

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: معجم الأدباء

ياقوت الحموي

المولود في ديار الروم عام 1179م والمتوفى عام 1228م

إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: معجم الأدباء

ياقوت الحموي

الجزء الأول

خطبة الكتاب

الفصل الأول

في فضل الأدب وأهله، وذم الجهل وحمله

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كفى بالعلم شرفاً أنه يدعيه من لا يحسنه ويفرح إذا نسب إليه من ليس من أهله، وكفى بالجهل خمولاً، أنه يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه.

فنظم بعض المحدثين ذلك، فقال:

كفى شرفاً للعلم دَعَوَاهُ جَاهِلٌ وَيَقْرَحُ أَنْ يُدْعَى إِلَيْهِ وَيُنْسَبُ
وَيَكْفِي خُمُولاً بِالْجَهَالَةِ أَنَّنِي أَرَاغُ مَنَى أَنْسَبُ إِلَيْهَا وَأَعْصَبُ

وقال رضي الله عنه: قيمة كل إنسان ما يحسن، فنظمه شاعر وقال:

لَا يَكُونُ الْفَصِيحُ مِثْلَ الْعَبِيِّ لَا وَلَا دُو الدَّكَّاءِ مِثْلَ الْعَبِيِّ
قِيَمَةُ الْمَرْءِ قَدْرُ مَا يُحْسِنُ الْمَرْءُ عُ قَضَاءُ مِنَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ

وقال كرم الله وجهه: كل شيء يعز إذا نزر، ما خلا العلم، فإنه يعز إذا غزر.

ومر عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قوم يسيئون الرمي، فقرعهم، فقالوا: إنا قوم "متعلمين"، فأعرض مغضباً، وقال: والله لخطوكم في لسانكم، أشد علي من خطوكم في رميكم.

سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "رحم الله امرأ أصلح من لسانه".

وروي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما قرأ: "ونادوا يا مال ليقض علينا ربك أنكر عليه ابن عباس. فقال علي: هذا من الترخيم في النداء فقال. ابن عباس: ما أشغل أهل النار في النار عن الترخيم في النداء؟ فقال علي: صدقت.

فهذا يدل على تحقق الصحابة من النحو، وعلمهم به.

استأذن رجل على إبراهيم النخعي فقال: "أبا" عمران في الدار، فلم يجبه. فقال: أبي عمران في الدار، فناداه: قل الثالثة وادخل.

وكان الحسن بن أبي الحسن يعثر لسانه بشيء من اللحن فيقول: استغفر الله. فقبل له فيه. فقال: من أخطأ فيها فقد كذب على العرب، ومن كذب فقد عمل سوءاً، وقال الله تعالى: "ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً".

وذكر أبو حيان في كتاب محاضرات العلماء: حدثنا القاضي أبو حامد أحمد بن بشر قال: كان الفراء يوماً عند محمد ابن الحسن، فتذاكرا في الفقه والنحو، ففضل الفراء النحو على الفقه، وفضل محمد بن الحسن الفقه على النحو، حتى قال الفراء: قل رجل أنعم النظر في العربية، وأراد علماً غيره، إلا سهل عليه، فقال محمد بن الحسن: يا أبا زكريا، قد أنعمت النظر في العربية، وأسألك عن باب من الفقه. فقال: هات على بركة الله تعالى، فقال له: ما تقول في رجل صلى فسها في صلاته، وسجد سجدي

السهو، فسها فيهما، فتفكر الفراء ساعة، ثم قال: لا شيء عليه. فقال له محمد: لم؟ قال: لأن التصغير عندنا ليس له تصغير، وإنما سجدنا السهو تمام الصلاة، وليس للتمام تمام. فقال محمد بن الحسن: ما ظننت أن آدمياً يلد مثلك.

وحكي عن بعض الفقهاء أنه كان يقول: حب من الناس حب من الله، وما صلح دين إلا بحياء، ولا حياء إلا بعقل، وما صلح حياء، ولا دين، ولا عقل، إلا بأدب.

وأنشد أبو الفضل الرياشي:

طَلَبْتُ يَوْمًا مَثَلًا سَائِرًا فَكُنْتُ فِي الشَّعْرِ لَهُ نَاطِمًا
لَا خَيْرَ فِي الْمَرْءِ إِذَا مَا عَدَا لَا طَالِبَ الْعِلْمَ وَلَا عَالِمًا

وفي الخبر: "ارحموا ثلاثة، عزيز قوم ذل. وغني قوم افتقر، وعالم يلعب الجهال بعلمه".

فنظمه شاعر فقال:

إِنِّي مِنَ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ حَقُّهُمْ أَنْ يُرْحَمُوا لِحَوَادِثِ الْأَزْمَانِ

مثر أقل وعالم مستجهل، وعزيز قوم ذل للحدثان.

ويقال: فقدان الأديب الطبع، كفقدان ذي النجدة السلاح، ولا محصول لأحدهما دون الآخر. وقال:

نِعْمَ عَوْنُ الْفَتَى إِذَا طَلَبَ الْعِلْمَ مَ وَرَامَ الْأَدَابَ صِحَّةَ طَبْعٍ
فَإِذَا الطَّبْعُ فَاتَهُ بَطَلُ السَّعْ يُ وَصَارَ الْعَنَاءُ فِي غَيْرِ نَفْعٍ

ومما يقارب ذلك قول بعضهم:

مَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ وَلَمْ يَكْ ذَا غِنَى يَكُونُ كَذِي رَجُلٍ وَلَيْسَ لَهُ نَعْلُ

وَمَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَلَمْ يَكْ ذَا حِجَى يَكُونُ كَذِي نَعْلٍ وَلَيْسَ لَهُ رَجُلُ

وقال آخر:

أَرَى الْعِلْمَ نُورًا وَالتَّأْدِبَ حَلِيَّةً فَخُذْ مِنْهُمَا فِي رَغْبَةٍ بِنَصِيبٍ
وَلَيْسَ يَتِمُّ الْعِلْمُ فِي النَّاسِ لِلْفَتَى إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي عِلْمِهِ بِأَدِيبٍ

وأنشد أبو حاتم سهل بن يحيى السجستاني:

إِنَّ الْجَوَاهِرَ ذُرَّهَا وَنُضَارَهَا هُنَّ الْفِدَاءُ لِجَوْهَرِ الْأَدَابِ
فَإِذَا اكْتَنَزْتَ أَوْ ادَّخَرْتَ دَخِيرَةً تَسْمُو بِزِينَتِهَا عَلَى الْأَصْحَابِ
فَعَلَيْكَ بِالْأَدَبِ الْمُزِينِ أَهْلُهُ كَيْمَا تَفُوزَ بِبَهْجَةٍ وَتَوَابِ
فَلَرُبَّ ذِي مَالٍ تَرَاهُ مُبْعَدًا كَالْكَلْبِ يَبْجُحُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ
وَتَرَى الْأَدِيبَ وَإِنْ دَهَتْهُ خِصَاصَةٌ لَا يُسَخِّفُ بِهِ لَدَى الْأَثَرَابِ

قَالَ آخَرُ:

مَا وَهَبَ اللَّهُ لِمَرِيٍّ هَبَةً أَحْسَنَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهِ
هُمَا جَمَالُ الْفَتَى فَإِنْ فُقِدَا فَقَفَدَهُ لِلْحَيَاةِ أَجْمَلُ بِهِ

وحدث أبو صالح الهروي قال: كان عبد الله بن المبارك يقول: أنفقت في الحديث أربعين ألفاً، وفي الأدب ستين ألفاً، وليت ما أنفقت في الحديث أنفقت في الأدب، قيل له: كيف؟ قال: لأن النصارى كفروا بتشديد واحدة خففوها، قال تعالى: يا عيسى إني ولدتك من عذراء بتول. فقالت النصارى: ولدتك.

شاعر:

وَلَمْ أَرِ عَقْلاً صَحَّ إِلَّا بِشِيمَةٍ وَلَمْ أَرِ عِلْماً صَحَّ إِلَّا عَلَى أَدَبٍ

وقال آخر:

لِكُلِّ شَيْءٍ حَسَنَ زِينَةٍ وَزَيْنَةُ الْعَالَمِ حُسْنُ الْأَدَبِ
قَدْ يَشْرُفُ الْمَرْءُ بِأَدَابِهِ فِينَا وَإِنْ كَانَ وَضِيعَ النَّسَبِ

وقال آخر:

مَنْ كَانَ مُقْتَضِرًا بِالْمَالِ وَالنَّسَبِ إِنَّمَا فَخْرُنَا بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ
لَا خَيْرَ فِي رَجُلٍ خُرَّ بِلَا أَدْبٍ، لَا، وَإِنْ كَانَ مَتَسُوبًا إِلَى الْعَرَبِ

قالوا: والفرق بين الأديب والعالم، أن الأديب من يأخذ من كل شيء أحسنه فيألفه. والعالم من يقصد بفن من العلم فيعتمله. ولذلك قال علي كرم الله وجهه: العلم أكثر من أن يحصى، فخذوا من كل شيء أحسنه. شاعر:

دَخَائِرُ الْمَالِ لَا تَبْقَى عَلَى أَحَدٍ وَالْعِلْمُ تَذَخَّرُهُ يَبْقَى عَلَى الْأَبَدِ
وَالْمَرْءُ يَبْلُغُ بِالْأَدَابِ مَنَزَلَهُ يَذِلُّ فِيهَا لَهُ دُوُ الْمَالِ وَالْعُقَدِ

وحدث سفيان قال: سمعت الخليل بن أحمد يقول: إذا أردت أن تعلم العلم لنفسك، فاجمع من كل شيء شيئاً، وإذا أردت أن تكون رأساً في العلم، فعليك بطريق واحد، ولذلك قال الشعبي: ما غلبني إلا ذو فن. شاعر:

لَا فَقْرٌ أَكْبَرُ مِنْ فَقْرٍ بِلَا أَدَبٍ لَيْسَ الْيَسَارُ بِجَمْعِ الْمَالِ وَالنَّسَبِ
مَا الْمَالُ إِلَّا جُزْأَتٌ مُلَقَّاةٌ فِيهَا عُيُونٌ مِنَ الْأَشْعَارِ وَالْخُطَبِ

ويقال: من أراد السيادة، فعليه بأربع: العلم، والأدب، والعفة، والأمانة.

شاعر:

كَمْ مِنْ خَسِيسٍ وَضِيعِ الْقَدْرِ لَيْسَ لَهُ فِي الْعِزِّ أَصْلٌ وَلَا يُنْمَى إِلَى حَسَبِ
قَدْ صَارَ بِالْأَدَبِ الْمُحْمُودُ ذَا شَرَفٍ عَالٍ وَذَا حَسَبٍ مُحَضٌّ وَذَا نَسَبِ

وقال بزرجمهر: من كثر أدبه كثر شرفه وإن كان وضيعاً، وبعد صوته وإن كان خاملاً، وساد وإن كان غريباً، وكثرت الحاجة إليه وإن كان فقيراً.

ويقال: عليكم بالأدب، فإنه صاحب في السفر، ومؤنس في الحضر، وجليس في الوحدة، وجمال في المحافل، وسبب إلى طلب الحاجة.

ويقال: مروءتان ظاهرتان: الفصاحة والرياش.

وكلم شبيب بن شيبه رجلاً من قریش، فلم يحمد أدبه، فقال له يا ابن أخي: الأدب الصالح خير لك من الشرف المضاعف، وقال: وكلم من ماجد أضحى عديماً له حسن، وليس له بيان

وما حسن الرجال لهم بزين

إذا لم يسعد الحسن اللسان

وقال أبو نواس: ما استكثر أحد من شيء إلا مله وثقل عليه، إلا الأدب، فإنه كلما استكثر منه، كان أشهى له، وأخف عليه.

وقال: الشره في الطعام دناءة، وفي الأدب مروءة.

ويقال: الأديب نسيب الأديب: قال أبو تمام:

إن يكدم طرف الإخاء فإننا
أو نفرق نسباً يؤلف بيننا
أو يختلف ماء الوصال فمأونا
نسري ونغدو في إخاء تالد
أدب أقمناه مقام الوالد
عذب تحدر من غمام واحد

وقال ابن السكيت: خذ من الأدب ما يعلق بالقلوب، وتشتيه الأذان وخذ من النحو ما تقيم به الكلام، ودع الغوامض، وخذ من الشعر ما يشتمل على لطيف المعاني، واستكثر من أخبار الناس، وأقويلهم وأحاديثهم، ولا تولعن بالغث منها.

وقال أبو عمرو بن العلاء: قيل لمنذر بن واصل: كيف شهوتك للأدب؟ فقال: أسمع بالحرف منه لم أسمع، فتود أعضائي أن لها أسماءاً تنتعم مثل ما تتعمت الأذان، قيل: وكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلة ولدها، وليس لها غيره، قيل: وكيف حرصك عليه؟ قال: حرص الجموع المتنوع على بلوغ لذته في المال.

قال الأصمعي: قال لي أعرابي: ما حرفتك؟ قلت: الأدب، قال: نعم الشيء، فعليك به، فإنه ينزل المملوك في حد الملوك.

وقال أرسطاطاليس: ليت شعري: أي شيء فات من أدرك الأدب، وأي شيء أدرك من فاته الأدب؟. وقال البحتري:

رأيت القعود على الاقتصاد
وعز بذي أدب أن يضيق
إذا ما الأديب ارتضى بالخمول
فما الحظ في الأدب المستفاد
قنوعاً به ذلة في العباد
بعيشته وسع هذي البلاد

وقال عمر رضي الله عنه: تعلموا العربية، فإنها تثبت العقل، وتزيد في المروءة.

وقال عبد الملك: ما الناس إلى شيء من العلوم أحوج منهم إلى إقامة ألسنتهم، التي بها يتحاورون الكلام، ويتهادون الحكم، ويستخرجون غوامض العلم من مخابئها، ويجمعون ما تفرق منها، إن الكلام قاض يجمع بين الخصوم، وضياء يجلو الظلام، وحاجة الناس إلى مواد، كحاجتهم إلى مواد الأغذية.

وقال الزهري: ما أحدث الناس مروءة أحب إلي من تعلم النحو.

وقال شاعر يصف النحو:

اقتبس النحو فنعم المقتبس
صاحبه مكرم حيث جلس
كان ما فيه من العي خرس
والنحو زين وجمال ملتبس
من فاته فقد تعمى وانتكس
شتان ما بين الحمار والفرس

وقال آخر:

لولا كم كان يلقى كل ذي خطل
لم لا أشد على من لا يقوم بها
للنحو مدعياً بين النحارير
من وقعة السمر والبيض المآثير

قرع رجل على الحسن البصري الباب وقال: يا أبو سعيد، فلم يجبه، فقال: أبي سعيد، فقال الحسن: قل الثالثة وادخل. (وقد مر مثل هذا) وحدث النضر بن شميل، قال: أخبرنا الخليل ابن أحمد، قال: سمعت أيوب السجستاني يحدث بحديث فلحن فيه، فقال: أستغفر الله: يعني أنه عد اللحن ذنباً.

وكا ابن سيرين يسمع الحديث ملحوناً، فيحدث به على لحنه، وبلغ ذلك الأعمش، فقال: إن كان ابن سيرين يلحن فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن، فقومه. قال: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب أولاده على اللحن، ولا يضربهم على الخطأ. ووجد في كتاب عامل له لحناً، فأحضره وضربه درة واحدة. ودخل أعرابي السوق فسمعهم يلحنون فقال: العجب، يلحنون ويربحون؟؟ وكان معاوية بن جبير عامل البصرة لا يلحن، فمات جبير بالبصرة، ومعاوية بفارس خليفة أبيه، فقال الفيج الذي جاء بنعيه: مات بجيراً، فقال له: لحننت لا أم لك. فقال أخوه عبد الله بن جبير:

ألم تر أن خير بني جبير
أتاه مخبر ينعي بجيراً
معاوية المحقق ما ظننتنا
علانية فقال له لحننتا

وقال الجاحظ: عيوب المنطق التصحيف، وسوء التأويل، والخطأ في الترجمة، فالتصحيف يكون من وجوه من التخفيف، والتثقيب، ومن قبل الإعراب، ومن تشابه صور الحروف. وسوء التأويل: من الأسماء المتواطئة أي أنك تجد اسماً لمعان، فتتأول على غير المراد. وكذلك سوء الترجمة. واعلم أن مذاكرة العلم عون على أدائه، وزيادة في الفهم، ولا بد للعالم من جهل، أي أن يجهل كثيراً مما يسأل عنه، إما لأنه ما سمعه أو نسيه. وقد قال بعض الفرس: ليس يحسن الأشياء كلها إنسان، ولكن يحسن كل إنسان شيئاً. ومن الأدب قول القائل:

إذا ما روى الراوي حديثاً فلا تقل
ولكن تسمع للحديث موهماً
سمعنا بهذا قبل أن يتمما
بأنك لم تسمعه فيما تقدما

وقال الأصمعي: من حق من يقبسك علماً أن ترويه عنه.

قال أبو عمرو بن العلاء: إنما سمي النحوي نحويًا، لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب.

واللحن مخالفة الإعراب، واللحن على جهة أخرى أن يكلم الرجل صاحبه بالكلام يعرفانه بينهما، ولا يعرفه سواهما، وأنشد ابن الكلبي لمالك ابن أسماء:

منطق صائب، وتلحن أحيا
أمغت مني على بصرى بالسح
نأ وخير الحديث ما كان لحاً
ب أم أنت أكمل الناس حسنا
ينعت الناعتون يوزن وزنا
وحديث ألذه هو مما

وقد روى أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كان لحناً أي فطناً، وفي حديث أبي الزناد أن رجلاً قرأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحن، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرشدوا صاحبكم. وحدث أبو العيناء عن وهب ابن جرير أنه قال لفتى من باهلة يا بني: اطلب النحو فإنك لن تعلم منه باباً إلا تدرعت من الجمال سربالاً، وفي حديث سعيد بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن". وعن ابن شهاب أنه قال: ما أحدث الناس مروءة أعجب إلي من تعلم الفصاحة. وحدث يحيى بن عتيق قال سألت الحسن: فقلت يا أبا سعيد الرجل يتعلم العربية يلتبس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته، قال حسن: يا بني فتعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك فيها. وعن سعيد بن سلم قال: دخلت على الرشيد فبهرنى هيبة وجمالاً فلما لحن خف في عيني، وعن الشعبي، قال حلي الرجال العربية، وحلي النساء الشحم.

وحدث التاريخي بإسناد رفعه إلى سلمة بن قتيبة قال: كنت عند ابن هبيرة الأكبر، قال: فجرى الحديث حتى ذكر العربية فقال: والله ما استوى رجلان دينهما واحد، وحسبهما واحد، ومروءتهما واحدة، أحدهما يلحن والآخر لا يلحن إن أفضلهما في الدنيا والآخرة الذي لا يلحن. قال: فقلت أصلح الله الأمير، هذا أفضل في الدنيا لفضل فصاحته وعربيته، أرأيت الآخرة ما باله فضل فيها، قال: إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزله الله، والذي يلحن يحمله لحنه على أن يدخل في كتاب الله ما ليس فيه، ويخرج منه ما هو فيه، قال: قلت صدق الأمير وبر.

وحدثت عن أبي ثوبة عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه، قال: تكلم أبو جعفر المنصور في مجلس فيه أعرابي فلحن فصر الأعرابي أذنيه، فلحن مرة أخرى أعظم من الأولى، فقال الأعرابي: أف لهذا، ما هذا؟ ثم تكلم فلحن الثالثة، فقال الأعرابي: أشهد لقد وليت هذا الأمر بقضاء وقدر، وحدث بإسناد رفعه إلى الواقدي قال: صلى رجل من آل الزبير، خلف أبي جعفر المنصور وقرأ، "ألهاكم التكاثر". فلحن في موضعين قال: فلما سلم التفت الزبيري إلى رجل كان إلى جانبه فقال: ما كان أهون هذا القرشي على أهله. وقال بعض الشعراء:

والمرء نعظمه إذا لم يلحن
والنحو يبسط من لسان الألكن
وإذا طلبت من العلوم أجلها
فأجلها عندي مقيم الألسن

وقال آخر:

إما تريني وأثوابي مقاربة
نيسب بخز ولا من حر كنان
فإن في المجد هماتي وفي لغتي
علوية ولساني غير لحيان

وحدث قال: قدم طاهر بن الحسين، والعباس بن محمد ابن موسى على الكوفة، فزاره طساسيج من سوادها. فوجه العباس كاتبه إليه، فلما دخل على طاهر. قال له: أخيك أبي موسى يقرأ عليك السلام، قال. وما أنت منه؟ قال كاتبه الذي يطعمه الخبز قال نعم، علي بعيسى بن عبد الرحمن، قال. فجاء، وكان عيسى كاتب طاهر، فقال. اكتب وأنت قائم بصرف العباس بن محمد بن موسى عن الكوفة، إذ لم يتخذ كاتباً يحسن الأداء عنه. وحدث فيما أسنده إلى الضحاك بن زمل السكسكي، وكان من أصحاب المنصور قال: كنا مع سليمان بن عبد الملك بدابق، إذ قام إليه السحاح الأزدي الموصلي، فقال يا أمير المؤمنين: إن أبينا هلك وترك مال كثير، فوثب أخانا على مال أبانا فأخذه، فقال سليمان: فلا رحم الله أباك ولا نبح عظام أخيك، ولا بارك الله لك فيما ورثت، أخرجوا هذا اللعان عني. فأخذ بيده بعض الشاكزية وقال: قم فقد أذيت أمير المؤمنين، فقال: وهذا العاض بظر أمه اسحبوا برجله. وحدث قال: قال رجل للحسن يا أبا سعيد: ما تقول في رجل مات وترك أبيه وأخيه؟ فقال الحسن ترك أباه وأخاه!! فقال له فما لأباه وأخاه؟ فقال له الحسن إنما هو فما لأبيه وأخيه قال: يقول الرجل للحسن يا أبا سعيد. ما أشد خلافك علي، قال: أنت أشد خلافاً علي، أدعوك إلى الصواب، وتدعوني إلى الخطأ؟ وحدث فيما رفعه إلى عبد الله بن المبارك قال: بعث الحجاج إلى والي البصرة أن اختر لي عشرة ممن عندك، فاختار رجالاً منهم كثير بن أبي كثير، قال: وكان رجلاً عربياً، قال كثير: فقلت في نفسي لا أفلت من الحجاج إلا باللحن، قال: فلما أدخلنا عليه، دعاني فقال: ما اسمك؟ قلت كثير، قال ابن من؟ فقلت إن قلتها بالواو، لم آمن أن يتجاوزها، قال: أنا ابن أبا كثير فقال: عليك لعنة الله، وعلى من بعث بك، جيئوا في قفاه، قال فأخرجت. وحدث فيما أسنده إلى الأصمعي، قال: سمعت مولى لعمر بن الخطاب يقول: أخذ عبد الملك ابن مروان رجلاً كان يرى رأى الخوارج رأي شبيب، فقال له: ألسنت القائل؟:

ومنا سويد والبطين وقعناب
ومنا أمير المؤمنين شبيب

قال: إنما قلت أمير المؤمنين، أي يا أمير المؤمنين، فأمر بتخلية سبيله. قال التاريخي: حدثنا أبو بكر الدولابي، حدثنا أبو مسهر قال: سألت سعيد بن عبد العزيز التنوخي عن الحديث إذا سمعته ملحوناً، فقال: اللحن يفسد الحديث، وذلك أنه يغير معناه، ولم يلق أحد من العلماء إلا مقوم اللسان، قال: وقد كان عمر بن عبد العزيز أشد الناس في اللحن على ولده وخاصته ورعيته، وربما أدب عليه. قال: وقال نافع مولى ابن عمر: كان ابن عمر يضرب ولده على اللحن، كما يضربهم على تعليم القرآن. وحدث فيما أسنده إلى شريك عن جابر قال: قلت للشعبي. أسمع الحديث بغير إعراب فأعربه؟ قال نعم، لا بأس به، قال: قال حماد ابن سلمة: مثل الذي يكتب الحديث ولا يعرف النحو، مثل الحمار عليه مخلاته ولا شعير فيها. وروى عن الشعبي أنه قال: لأن أقرأ وأسقط أحب إلي من أقرأ وألحن، وقال محمد بن الليث: النحو في الأدب، كالملاح في الطعام، فكما لا يطيب الطعام إلا بالملح، لا يصلح الأدب إلا بالنحو، وروى عن عبد الله بن المبارك أنه قال: تعلموا العلم شهراً، والأدب شهرين. وقال رجل لبنية: يا بني أصلحوا من ألسنتكم، فإن الرجل تنوبه النائبة، يحتاج أن يتجمل فيها، فيستعير من أخيه دابة ومن صديقه ثوباً، ولا يجد من يعيره لساناً: لما قال الفرزدق.

إن الذي سمك السماء بنى لنا
بيتاً دعائمه أعز وأطول

قال بعض الحاضرين: أعز وأطول من ماذا؟ فتفكر الفرزدق، فوافق ذلك قول المؤذن في الأذان، الله أكبر، فرفع الفرزدق رأسه فقال: يا فلان أكبر من ماذا؟ وقال الخطفي جد جرير:

عجبت لإزراء العبي بنفسه

وصمت الذي قد كان بالقول أعلما

وفي الصمت ستر للعبي وإنما

صحيفة لب المرء أن يتكلما

وحدث عن الأصمعي أنه قال: أخوف ما أخاف على طالب العلم، إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار" لأنه لم يكن يلحن، فمهما رويت عنه، ولحنت فقد كذبت عليه.

فصل ثان

في فضيلة علم الأخبار

قال أبو الحسن علي بن الحسين قالوا: لولا تقييد العلماء خواطرهم بالأخبار، وكتبتهم للآثار، لبطل أول العلم، وضاع آخره، إذ كان كل علم من الأخبار يستخرج، وكل حكمة منها تستنبط، والفقر منها تشتت، والفصاحة منها تستفاد، وأصحاب القياس عليها يبنون، وأهل المقالات بها يحتجون، ومعرفة الناس منها تؤخذ، وأمثال الحكماء فيها توجد، ومكارم الأخلاق ومعاليها منها تقتبس، وآداب سياسة الملك والحزم منها تلتبس، فكل غريبة بها تعرف، وكل عجيبة منها تستطرف، وهو علم يستمتع بسماعه العالم، ويستعذب موقعه الأحق، والعامل يأنس مكانه، وينزع إليه الخاصي والعامي، ويميل إلى روايته العربي والعجمي، "وبعد" فإنه يوصل به إلى كلام، ويتزين به في كل مقام، ويتجمل به في كل مشهد ويحتاج إليه في كل محفل، ففضيلة علم الأخبار تنبئ على كل علم، وشرف منزلته صحيحة في كل فهم، فلا يصبر على علمه، ويتقن ما فيه من إيراده وإصداره، إلا إنسان قد تجرد للعلم وفهم معناه، وذاق ثمرته، واستشعر من عزه، ونال من سروره. وقديماً قيل: إن علم النسب والأخبار من علوم الملوك، وذوي الأخطار، ولا تسمو إليه إلا النفوس الشريفة، ولا يأباه إلا العقول السخيفة، وقد قالت الحكماء: الكتاب نعم الجليس والذخر، إن شئت ألتهك بوارده، وأضحكتك نوادره، وإن شئت أشجنتك مواعظه، وإن شئت تعجبت من غرائب فوائده، وهو يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والغائب والحاضر، والشكل وخلافه، والجنس وضده، وهو ميت ينطق عن الموتى، ويترجم عن الأحياء، وهو مؤنس ينشط بنشاطك، وينام بنومك، ولا ينطق إلا بما تهوى، ولا يعلم جار ولا خليط أنصف، ولا رفيق أطوع، ولا معلم أخضع، ولا صاحب أظهر كفاية، ولا أقل جناية، ولا أبداً نفعاً، ولا أحمد أخلاقاً، ولا أدوم سروراً، ولا أسلم غيبة، ولا أحسن مواتاة، ولا أعجل مكافأة، ولا أخف مؤة منه، إن نظرت فيه أطال إمتاعك، وشحذ طباعك، وأكثر علمك، وتعرف منه في شهر، ما لا تعرف من أفواه الرجال في دهر، يغنيك عن كد الطالب، وعن الخضوع إلى من أنت أثبت منه أصلاً، وأرسخ منه فرعاً، وهو المعلم الذي لا يجفوك، وإن قطعت عنه المادة، لم يقطع عنك الفائدة، وكان عبيد الله ابن محمد ابن عائشة القرشي يقول: الأخبار تصلح للدين والدنيا. قلنا: الدنيا قد عرفنا فما للآخرة؟ قال: فيها العبر، يعتبرها الرجل. وقال الله تعالى مخبراً عن قصة يوسف وإخوته. "لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب". وقال تعالى: "ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين". وقال عز وجل: "كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق". ولذلك قال بعضهم لولده: عليك بالأخبار، فإنها لا تعدم كلمة على هدى، وأخرى تنهى عن ردى، وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أجموا هذه القلوب والتمسوا لها طرائف الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان. وكان أبو زيد الأنصاري لا يعدو النحو، فقال له خلف الأحمر: قد ألححت على النحو لم تعده، ولقلما ينبل متفرد به، فعليك بالأخبار والأشعار. وقال ابن المقفع في كتابه في الأدب، "ثم انظر الأخبار الرائعة فتحفظ منها، فإن من شأن الإنسان الحرص على الأخبار، ولا سيما ما يرتاح له الناس، وأكثر الناس من يحدث بما يسمع، ولا يبالي ممن سمع، وذلك مفسدة للصدق، ومزرة بالرأي، فإن استطعت ألا تخبر بشيء إلا وأنت به مصدق، وألا يكون تصديقك إلا ببرهان فافعل".

قال الأخفش علي بن سليمان: أنشدني أبو سعيد السكري:

وذكرني حلو الزمان وطيبه

مجالس قوم يملئون المجالسا

حديثاً وأشعاراً وفقهاً وحكمة

وبراً ومعرفةً وإلفاً مؤانسا

وقال ابن عتاب: يكون الرجل نحويًا عروضيًا حسن الكتاب، جيد الحساب، حافظًا للقرآن راوية للشعر، وهو راض بأن يعلم أولادنا بستين درهماً. ولو أن رجلاً كان حسن البيان حسن التخريج للمعاني ليس عنده غير ذلك لم يرض بألف درهم. لأن النحوي ليس عنده إمتاع كالنجار الذي يدعى ليغلق باباً، فلو كان أحذق الناس، ثم فرغ من تغليق ذلك الباب، قيل له انصرف، وصاحب الإمتاع يراد في الحالات كلها. وقال معاوية: ليس ينبغي (للقرشي وللرجل) أن يستغرق شيئاً من العلم إلا علم الأخبار، فأما غير ذلك فالنكت والشذوذ. وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج، انظر لي رجلاً عالماً بالحلال والحرام، عارفاً بأشعار العرب وأخبارها، أستاذس به وأصيب عنده معرفة، فوجهه إلى من قبلك. فوجه إليه الشعبي، وكان أجمع أهل زمانه، قال

الشعبي: فلم ألق والياً ولا سوقة إلا وهو يحتاج إلي، ولا أحتاج إليه ما خلا عبد الملك، ما أنشدته شعراً، ولا حدثته حديثاً، إلا وهو يزيديني فيه، وكنت ربما حدثته وفي يده اللقمة فأمسكها، فأقول: يا أمير المؤمنين أسغ طعامك، فإن الحديث من ورائه، فيقول: ما تحدثني به أوقع بقلبي من كل لذة، وأحلى من كل فائدة. وكتب عبد الملك إلى الحجاج: أت عندي كقدح ابن مقبل، فلم يدر الحجاج ما عني، فسأل قتيبة بن مسلم، وكان راوية عالماً عن ذلك، فقال: قد مدحك، فإن ابن مقبل نعت قدحه فقال:

مفدى مؤدى باليدين ملعن
خروج من الغمى إذا صك صكة
خليع قداح فائز متمنح
بدا والعيون المستكفة تلمح

قال: فكانت في نفس الحجاج حتى ولاه خراسان، وقال محمد بن عبد الملك الزيات في رجل خلو من الأدب:

يا أيها العائبي ولم تر بي
هل لك وتر لدي تطلبه
إن كان قسم الإله فضلني
فالحمد والشكر والثناء له
اقرأ لنا سورة تخوفنا
أو ارو فقهاً تحيي القلوب به
أو هات ما الحكم في فرائضنا؟
أو ارو عن فارس لنا مثلاً
أو من أحاديث جاهليتنا
أو هات كيف الإعراب في الرفع والخف
أو ارو شعراً أو صف لا عرضاً
إذا جهلت الآداب مرتقياً
ولم تعوض من ذاك ميسرة
فغن صوتاً تلهي الفؤاد به
تعيش فينا ولا تلائمنا
تغلي علينا الأشعار أنى؟ وما
همك في مرتع ومغتبك

عيباً ألا تنهي وتزدجر؟
أم لست مما أتيت تعتذر؟
وأنت صلد ما فيك معتصر
وللحسود التراب والحجر
فإن خير المواعظ السور
جاء به عن نبينا أثر
ما يستحق الإناء والذكر؟
فإن أمثال فارس عبر
فإنها عبرة ومعتبر
ض وكيف التصريف والصدر؟
يتلى صحيح منه ومنكسر
عنها وخلت العمى هو البصر
عليك منها لبهجة أثر
وكل ما قد جهلت مغتفر
فأذهب ودعنا حتام تنتظر؟
عندك نفع يرجى ولا ضرر
كما يعيش الحمير والبقر

باب الألف

آدم بن أحمد بن أسد الهروي

أبو سعد النحوي اللغوي، حاذق مناظر، ذكره الحافظ أبو سعد السمعاني، فقال: هو من أهل هراة سكن بلخ، كان أديباً فاضلاً عالماً بأصول اللغة صائباً، حسن السيرة، قدم بغداد حاجاً سنة عشرين وخمسائة، ومات في الخامس والعشرين من شوال من سنة ست وثلاثين وخمسائة، ولما ورد بغداد اجتمع إليه أهل العلم، وقرأوا عليه الحديث والأدب، وجرى بينه وبين الشيخ أبي منصور موهوب ابن أحمد بن الخضر الجواليقي ببغداد مناظرة في شيء اختلفا فيه، فقال له الهروي: أنت لا تحسن أن تنسب نفسك فإن الجواليقي نسبة إلى الجمع، والنسبة إلى الجمع بلفظه لا تصح قال: وهذا الذي ذكره الهروي نوع مغالطة، فإن لفظ الجمع إذا سمي به جاز أن ينسب إليه بلفظه، كمدائني ومعافري وأنماري وما أشبه ذلك. قال مؤلف هذا الكتاب: وهذا الاعتذار ليس بالقوي، لأن الجواليقي ليس باسم رجل فيصح ما ذكره، وإنما هو نسبة إلى بائع ذلك والله أعلم. فإن كان اسم رجل أو قبيلة أو موضع نسب إليه صح ما ذكره. وقال الحافظ الإمام السمعاني: سمعت أبا القاسم الطريفي يقول: سمعت أبا سعد الهروي المؤدب يقول: سئل سفيان الثوري عن التقوى فأنشد:

إني وجدت فلا تظنوا غيره
فاذا قدرت عليه ثم تركته
هذا التورع عند ذاك الدرهم
فاعلم بأن هناك تقوى المسلم

وكان الرشيد محمد بن عبد الجليل الملقب بالوطواط كاتب الإنشاء لخوارزم شاه من تلاميذ الشيخ أبي سعد آدم بن أحمد الهروي، وانتقل الرشيد من بلخ إلى خوارزم، وأقام بها في خدمة خوارزم شاه أشهراً، وكان يكتب الشيخ أبا سعد ويخضع له، ويقر بفضلته. فمما كتب إليه، رسالة نسختها.

كتابي وفي الأحشاء وجد على وجد
أشم طويل الباع أصبح رافعاً
سراة بني الإسلام عقد جواهر
إلى الصدر مولانا الأجل أبي سعد
إلى قمة الأفلاك ألوية المجد
وفيه أبو سعد كواسطة العقد

سقى الله أيامنا بالعقيق ودهورنا باللوى، وأعوامنا بالخليصاء، وشهورنا بالحمى، فإن هذه المغاني لألفاظ المسرات كالمعاني، فيها أثمار أطياب الأمانى، من أشجار وصال الغواني لا بل سقى موافقنا ببلخ في المدرسة النظامية واجتماعنا في المجالس الأجلية الإمامية

مجالس مولانا أبي سعد الذي
همام حوى يوم الفخار بنانه
الإمام أبو سعد، وما أدراك ما الإمام أبو سعد، سعد كله، خير قوله وفعله، صاحب جيوش الفصاحة، ومالك رقاب البلاغة، وناظم عقد المحامد، وجامع شمل المكارم، وناشر أردية الفضل والكرم، وعامر أبنية الأدب والحكم:
لله در إمام كله أدب
بفضلته يتحلى العجم والعرب
الله يعلم أنني وإن شط المزار، وشحطت الديار، لا أقطع أكثر أوقاتي، ولا أزجي أغلب ساعاتي، إلا في مدح معاليه، وشرح أياديه لو أنفقت جميع عمري في ذلك وسلكت طول دهري تلك المسالك:

لما كنت أقضي بعض واجب حقه
ولا كنت أحصي من صنائعه عشرأ
وكيف لا أبلغ في ثنائه، ولا أواظب على دعائه، وهو الذي رفع قدري، وشرح للأدب صدري، وسقاني كؤوس العلم وأحشائي صادية، وكساني حل الفضل وعوراتي بادية، اغترفت من بحاره واقتطعت ما اقتطعت من ثماره:
وأنت الذي عرفنتي طرق العلا
وأنت الذي بلغتني كل رتبة
وأنت الذي هديتني كل مقصد
مشيت إليها فوق أعناق حسدي

عبد مجلسه الشريف أخي عمر أيده الله ورد من خراسان ذاكراً لما يجري على لسانه الكريم في المجالس والمحافل، بين أيدي الأكابر والأمثال، من مدحي وثنائي، وتقريظي وإطرائي، فما استبدعت ذلك من خصائص كرمه، ولا استغربتة من لطائف شيمه، وكانت كلماته حاملة إياي على هذا التصديق، لمجلسه الرفيع، ورأيه في سحب ذيل العفو على هذا التجاسر وتبليغ تحيتي إلى القارئ عليه، والمختلفين إليه من أبناء جنسي، وشركاء درسي يقتضي الشرف والسلام.

أبان بن تغلب بن رباح الجريري

أبو سعيد البكري، مولى بني جرير بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكاشة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. ذكره أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي. في مصنف الإمامية، ومات أبان في سنة إحدى وأربعين ومائة. قال أبو جعفر: هو ثقة جليل القدر، عظيم المنزلة في أصحابنا، لقي أبا محمد علي بن الحسين، وأبا جعفر، وأبا عبد الله عليهم السلام، وروى عنهم، وكانت له عندهم حظوة وقدم، قال له أبو جعفر: اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس، فإني أحب أن أرى في شيعتي مثلك. وقال أبو عبد الله لما أتاه نعيه: أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان.

قال: وكان قارئاً فقيهاً لغوياً نبيهاً ثباً وسمع من العرب وحكى عنهم، وصنف كتاب الغريب في القرآن، وذكر شواهد من الشعر، فجاء فيما بعد عبد الرحمن بن محمد الأزدي الكوفي، فجمع من كتاب أبان ومحمد بن السائب الكلبي وابن روق عطية بن الحارث فجعله كتاباً، فيما اختلفوا فيه وما اتفقوا عليه، فتارةً يجيء كتاب أبان مفرداً، وتارةً يجيء مشتركاً، على ما عمله عبد الرحمن، ولأبان أيضاً كتاب الفضائل.

أبان بن عثمان بن يحيى بن زكريا

اللؤلؤي يعرف بالأحمر البجلي، أبو عبد الله مولا هم ذكره أبو جعفر الطوسي في كتاب أخبار مصنف الإمامية، وقال أصله الكوفة، وكان يسكنها تارة، والبصرة أخرى، وقد أخذ عنه من أهل البصرة أبو عبيدة معمر بن المثنى، وأبو عبد الله محمد بن

المثنى، وأبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي، وأكثروا الحكاية عنه في أخبار الشعراء والنسب والأيام: روى عن أبي عبد الله، وأبي الحسن موسى بن جعفر، وما عرف من مصنفاته إلا كتاب جمع فيه المبدأ والمبعث، والمغازي، والوفاء، والسقيفة والردة.

إبراهيم بن أحمد بن محمد توزون

الطبري النحوي، أحد أهل الفضل والأدب، سكن بغداد، وصحب أبا عمرو الزاهد، وكتب عنه كتاب الياقوتة، وعلى النسخة التي بخطه الاعتماد من كتاب أبي عمرو كما ذكرناه في ترجمة أبي عمرو، ولقي أكابر العلماء من هذه الطبقة، وكان صحيح النقل، جيد الخط والضبط.

ذكر أبو القاسم بن الثلاث: أنه حدثه عن إبراهيم بن عبد الوهاب الأيزاري الطبري صاحب أبي حاتم السجستاني: لا أعرف له تصنيفاً غير جمعه لشعر أبي نواس، فإنها رواية مشهورة بأيدي الناس. وقال أبو القاسم التتوخي: حدثني أبو الحسن الطبري، غلام الزاهد غلام ثعلب، وكان منقطعاً إلى بني حمدان، وقرأت بخطه قصيدة شبيل بن عروة الضبعي، وقد قرأها على أبي عمر الزاهد، وتناولها من أبي محمد عبد الله بن جعفر ابن درستويه. وقد قرأ عليه إلى: "سبياً من حر سئل"، ثم قال: بلغت بقراءتي إلى ههنا، وقال لي ابن درستويه: قد دفعت إليك كتابي بخطي، من يدي إلى يدك، وقد أجزت لك القصيدة فاروها عني، فإن هذا ينوب عن السماع والقراءة، فقبلت ذلك منه.

وكتب إبراهيم بن محمد الطبري الروياني بخطه: والاعتماد عليه أولى، ولكن الخطيب قال: إبراهيم بن أحمد ابن محمد المعروف ببيروز، فإن كان نسب نفسه إلى جده فذاك، والله أعلم.

إبراهيم بن أحمد بن الليث

الأزدي اللغوي الكاتب، لا أعرف من حاله إلا ما قاله السلفي. أنشدني أبو القاسم الحسن بن الفتح الهمداني قال: أبو المظفر إبراهيم بن أحمد ابن الليث الأزدي اللغوي الكاتب قدم علينا همدان، وقد حضر مجلسه الأدباء والنحاة لمحلته من الأدب:

وقد أغدو وصاحبتي محوص
كأن ثني النحوص على ذراها
على عذراء ناء بها الرهيص
حوائم ما لها عنه محيص

إبراهيم بن إسحاق الحربي

نقلت من كتاب أبي بكر الخطيب قال: إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله بن ديسم، أبو إسحاق الحربي، ولد سنة ثمان وتسعين ومائة، ومات ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين في ذي الحجة، ودفن في بيته في شارع باب الأنبار، وكان الجمع كثيراً جداً.

وكان قد سمع أبا نعيم الفضل بن دكين، وعفان ابن مسلم، وعبيد الله بن محمد بن عائشة، وأحمد بن حنبل، وعثمان بن أبي شيبة، وعبيد الله القواريري، وخلقاً من أمثالهم، روى عنه موسى بن هرون الحافظ، ويحيى بن صاعد، وأبو بكر بن أبي داود والحسين المحاملي، ومحمد بن مخلد، وأبو بكر الأنباري النحوي، وأبو عمر الزاهد صاحبه، وخلق كثير غيرهم. وكان إماماً في العلم، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام حافظاً للحديث، مميّزاً لعلله، قيماً بالأدب، جماً للغة، وصنف كتباً كثيرة، منها: كتاب غريب الحديث.

وأصله من مرو، وكان يقول: أمة تغلبية، وأخوالي نصاري أكثرهم. وقيل: لم سميت إبراهيم الحربي؟ فقال: صحبت قوماً من الحربية فسموني الحربي بذلك. وحدث أحمد بن عبد الله بن خالد بن ماهان المعروف بابن أسد، قال: سمعت إبراهيم الحربي يقول: أجمع عقلاء الأمة أنه من لم يجر مع القدر، لم يهنأ بعيشه، كان يكون قميصي أنظف قميص، وإزاري أوسخ إزار، ما حدثت نفسي أنهما يستويا قط، وفرد عقبي مقطوع، وفرد عقبي الآخر صحيح، أمشي بهما، وأدور بغداد كلها، هذا الجانب، وذاك الجانب، لا أحدث نفسي أني أصلحهما، وما شكوت إلى أمة، ولا إلى أختي، ولا إلى امرأتي، ولا إلى بناتي قط حمى وجدها. الرجل هو الذي يدخل غمه على نفسه، ولا يغم عياله.

كان بي شقيقة خمساً وأربعين سنة، ما أخبرت بها أحداً قط، ولي عشر سنين أبصر بفرد عين، ما أخبرت به أحداً، وأفانيت من عمري ثلاثين سنة برغيف في اليوم والليلة، إن جاءتني امرأتي أو إحدى بناتي أكلته، وإلا بقيت جائعاً عطشان إلى الليلة الأخرى، والآن أكل نصف رغيف وأربع عشرة تمرّة إن كان برنياً، أو نيفاً وعشرين إن كان دقلاً، ومرضت ابنتي فمضت امرأتي فأقامت عندها شهراً، فقام إفطاري في هذا الشهر بدرهم ودانقين ونصف، ودخلت الحمام واشتريت لهم صابوناً بدانقين، فقام بقية شهر رمضان كله بدرهم وأربعة دوانيق ونصف، ولا تزوجت ولا زوجت قط، ولا أكلت من شيء واحد في يوم مرتين.

وحدث أحمد بن سليمان القطيعي قال: أضقت إضاقّة شديدة، فمضيت إلى إبراهيم الحربي لأبثه ما أنا فيه، فقال لي: لا يضق صدرك، فإن الله من وراء المعونة، وإنني أضقت مرة حتى انتهى أمرى في الإضاقّة إلى عدم عيالي القوت، فقالت لي الزوجة: هب أني وإياك نصير، فكيف تصنع بهاتين الصبيتين؟ فهات شيئاً من كتبك نبيعه أو نرهنه، فضنت بذلك وقلت: اقترضي لهما شيئاً، وأنظريني بقية اليوم والليلة، وكان لي بيت في دهليز داري فيه كتبي فكنّت أجلس فيه للنسخ والنظر، فلما كان في تلك الليلة، إذا داق يدق الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: رجل من الجيران، فقلت ادخل فقال أطف السراج حتى أدخل، فكبيت على السراج شيئاً وقلت ادخل فدخل وترك إلى جابي شيئاً وانصرف فكشفت عن السراج، فنظرت فإذا منديل له قيمة، وفيه أنواع من الطعام، وكاغد فيه خمسمائة درهم، فدعوت الزوجة وقلت: نبهي الصبيا حتى يأكلوا، ولما كان من الغد قضينا ديناً كان عليا من تلك الدراهم.

وكان مجيء الحاج من خراسان، فجلست على بابي من غد تلك الليلة، وإذا جمال يقود جملين عليهما حملان ورقاً، وهو يسأل عن منزل إبراهيم الحربي، فأنتهى إلي فقلت: أنا إبراهيم الحربي، فحط الحملين وقال: هذان الحملان أنفدهما لك رجل من أهل خراسان، فقلت من هو؟ فقال قد استحلّفني ألا أقول لك من هو؟.

وحدث أبو عثمان الرازي قال: جاء رجل من أصحاب المعتضد إلى إبراهيم الحربي بعشرة آلاف درهم من عند المعتضد يسأله عن أمير المؤمنين أن يفرق ذلك، فردّه وانصرف الرسول، ثم عاد فقال: إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك، فقال له: عافاك الله، هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه، فلا نشغلها بتفرقه، قل لأمير المؤمنين: إن تركتنا، وإلا تحولنا من جوارك.

وحدث أبو القاسم الجيلي قال: اعتل إبراهيم بن إسحاق الحربي علة حتى أشرف على الموت، فدخلت عليه يوماً فقال: يا أبا القاسم، أنا في أمر عظيم مع ابنتي، ثم قال لها قومي واخرجي إلى عمك، فخرجت وألقت على وجهها خمارها، فقال إبراهيم: هذا عمك كلميه، فقالت لي يا عم: نحن في أمر عظيم، لا في الدنيا ولا في الآخرة، الشهر والدرهم ما لنا طعام إلا كسر يابسة وملح، وربما عدمننا الملح، وبالأمس قد وجه إلينا المعتضد مع بدر بألف دينار فلم يأخذها، ووجه إليه فلان وفلان، فلم يأخذ منها شيئاً وهو عليل، فالتفت الحربي إليها وتبسم وقال: يا بنية، خفت الفقر؟ فقالت نعم، فقال لها: انظري إلى تلك الراوية، فنظرت فإذا كتب، فقال لها: هناك اثنا عشر ألف جزء، لغة وغريب، كتبه بخطي، إذا مت فوجهي في كل يوم بجزء تبيعينه بدرهم، فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم فليس هو فقيراً.

وحدث أبو عمر الزاهد وابن المنادى: سمعت ثعلباً يقول: ما فقدت إبراهيم الحربي من مجلس لغة أو نحو خمسين سنة.

وحدث أبو بكر الشافعي قال: قال إبراهيم الحربي: ما أخذت على علم قط أجراً إلا مرة واحدة، فإني وقفت على بقال فوزنت له قيراطاً إلا فلساً، فسألني عن مسألة فأجبته، فقال للغلام: أعط بقيراط ولا تتقصه شيئاً فزادني فلساً. وحدث إبراهيم الحربي، وقد سأله عن حديث عباس البقال فقال: خرجت إلى الكيش ووزنت لعباس البقال دانقاً إلا فلساً فقال لي يا أبا إسحاق: حدثني حديثاً في السخاء، فلعل الله يشرح صدري فأعمل شيئاً، قال قلت له نعم: روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه كان ماراً في بعض حيطان المدينة، فرأى أسود بيده رغيف يأكل لقمة، ويطعم الكلب لقمة، إلى أن شاطرته الرغيف، فقال له الحسن: ما حملك على أن شاطرته؟ فلم تغابنه فيه بشيء، فقال: استحت عينا من عيني أن أغابنه، فقال له الحسن: أقسمت عليك لا برحت حتى أعود إليك، فمر فاشترى الغلام والحائط، وجاء إلى الغلام فقال: يا غلام، قد اشتريتك، فقام قائماً، فقال: السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي، قال: وقد اشتريت الحائط، وأنت حر لوجه الله تعالى، والحائط هبة مني إليك، فقال الغلام: يا مولاي، قد وهبت الحائط للذي وهبتي له: قال إبراهيم: فقال عباس البقال: حسن والله يا أبا إسحاق. يا غلام: لأبي إسحاق دانق إلا فلساً، أعطه بدانق ما يريد ولا تقصه شيئاً فقلت: والله لا أخذت إلا بدانق إلا فلساً.

وحدث عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: كان أبي يقول لي: امض إلى إبراهيم الحربي يلق عليك الفرائض، قال: ولما مات سعد بن أحمد بن حنبل، جاء إبراهيم الحربي إلى عبد الله، فقام إليه عبد الله، فقال: تقوم إلي؟ فقال: لم لا أقوم إليك؟ والله لو رأيك أبي لقام إليك، قال والله لو رأي ابن عيينة أبأك لقام إليه، وقال إبراهيم الحربي: إن في كتاب غريب الحديث الذي صنفه أبو عبيد ثلاثة وخمسين حديثاً ليس لها أصل، وقد أعلمت علتها في كتاب الشروي، منها: أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم وفي يدها مناجذ، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لبس السراويلات المخرفجة، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قاهة، وقال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم: لو أمرت بهذا البيت فسفروا، عن النبي أنه قال للنساء: إذا جعتن خجلتن، وإذا شبعتن دقعتن. وحدث أبو العباس بن مسروق قال: قال لي إبراهيم الحربي: لا تحدث فتسخن عينك، كما سخنت عيني، قلت له فما أعمل؟ قال تطأطيء رأسك وتسكت، قلت له فأنت لم تحدث؟ قال: ليس وجهي من خشب. وحدث محمد بن عبد الله الكاتب قال: كنت يوماً عند المبرد فأنشدنا:

جسمي معي غير أن الروح عندكم
فليعجب الناس مني أن لي بدنأ
ثم قال: ما أظن أن الشعراء قالوا أحسن من هذا. قلت: ولا قول الأخرق؟ قال هيه قلت الذي يقول:
فارتكمت وحييت بعدكم
فالآن ألقى الناس معتذراً
قال ولا هذا: قلت ولا قول خالد الكاتب؟
روحان لي روح تضمنها
وأظن غائبتي كشاهدتي
قال ولا هذا. قلت: أنت إذا هويت شيئاً ملت إليه ولم تعدل إلى غيره، قال: لا ولكنه الحق، فأنيبت ثعلباً فأخبرته فقال ثعلب: ألا أنشدته:

غابوا فصار الجسم من بعدهم
بأي وجه أتلقاهم
يا خجلتي منهم ومن قولهم
قال: وأنيبت إبراهيم الحربي فأخبرته فقال: ألا أنشدته:
يا حيائي ممن أحب إذا ما
لو صدقت الهوى حبيباً على الصبح
قال: فرجعت إلى المبرد فقال: أستغفر الله إلا هذي البيتين، يعني بيتي إبراهيم.

قال: وأنشد رجل إبراهيم قول الشاعر:
أنكرت ذلي فأني شيء
أليس شوقي وفيض دمعي
فقال إبراهيم: هؤلاء شهود ثقات. قال: وأنشد بعضهم لإبراهيم الحربي:
إثنان إذا عدا
فخير لهما الموت

فقير ما له زهد
وروى عن إبراهيم الحربي أنه قال: ما أنشدت شيئاً من الشعر قط إلا قرأت بعده "قل هو الله أحد، ثلاث مرات". وحدث الطوماري قال: دخلت على إبراهيم الحربي وهو مريض، وقد كان يحمل ماؤه إلى الطبيب، وكان يجيء إليه ويعالجه، وردت الجارية الماء وقالت: مات الطبيب، فقال:
إذا مات المعالج من سقام
ودخل عليه قوم يعودونه فقالوا: كيف نجدك يا أبا إسحاق؟ قال أجدني كما قال:
وأراني أدوب عضواً فعضوا

بليت جدتي بطاعة نفسي

وتذكرت طاعة الله نضوا

قال أبو الحسن الدار قطني: إبراهيم الحربي ثقة، وكان إماماً يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه، وهو إمام مصنف عالم بكل شيء، بارع في كل علم صدوق، وذكر وفاته كما تقدم، هذا آخر ما نقلته من تاريخ الخطيب. نقلت من خط الإمام الحافظ أبي نصر عبد الرحيم بن وهبان صديقنا ومفيدنا، قال: نقلت من خط أبي بكر محمد بن منصور السمعاني، سمعت أبا المعالي ثابت بن بندار البقال يقول: حكى لنا البرقاني "رحمه الله" قال: كان إسماعيل بن إسحاق القاضي يشتهي رؤية إبراهيم الحربي، وكان إبراهيم لا يدخل عليه، يقول: لا أدخل داراً عليها بواب، فأخبر إسماعيل بذلك، فقال: أنا أدع بابي كباب الجامع فجاء إبراهيم إليه، فلما دخل عليه خلع نعليه، فأخذ أبو عمر محمد بن يوسف القاضي نعليه ولفهما في منديل ديبقي وجعله في كفه وجرى بينهما علم كثير، فلما قام إبراهيم التمس نعليه فأخرج أبو عمر النعل من كفه، فقال له إبراهيم: غفر الله لك كما أكرمت العلم، فلما مات أبو عمر القاضي رئي في المنام، فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال أجيبني في دعوة إبراهيم الحربي، رحمه الله.

وحدثني صديقنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمود بن النجار حرسه الله قال: حدثني أبو بكر أحمد ابن سعيد بن أحمد الصباغ الأصبهاني بها قال: حدثنا أحمد بن عمر بن الفضل الحافظ الأصبهاني، ويعرف بجناك إملاء، قال: أخبرنا الحسن بن أحمد المقرئ، يعني أبا علي الحداد قال: أظنه عن أبي نعيم، أنه كان يحضر في مجلس إبراهيم الحربي جماعة من الشبان للقرأة عليه، ففقد أحدهم يوماً، فسأل عنه من حضر، فقالوا: هو مشغول، فسكت، ثم سأله مرة أخرى في يوم آخر، فأجابوه بمثل ذلك، وكان الشاب قد ابتلي بمحبة شخص شغله عن حضور مجلسه، وعظموا إبراهيم الحربي أن يخبروه بجلية الحال، فلما تكرر السؤال عنه، وهم لا يزيدونه على أنه مشغول، قال لهم: يا قوم، إن كان مريضاً فقوموا بنا لعيادته، أو مديوناً اجتهدنا في مساعدته، أو محبوساً سعيماً في خلاصه، فخبروني عن جليلة حاله، فقالوا: نجلك عن ذلك، فقال لابد أن تخبروني، فقالوا إنه قد ابتلي بعشق صبي، فوجم إبراهيم ساعة ثم قال: هذا الصبي الذي ابتلي بعشقه مليح أو قبيح؟ فعجب القوم من سؤاله عن مثل ذلك مع جلالة في أنفسهم، وقالوا: أيها الشيخ، مثلك يسأل عن مثل هذا؟ فقال: إنه بلغني أن الإنسان إذا ابتلي بمحبة صورة قبيحة كان بلاء يجب الاستعاذة من مثله، وإن كان مليحاً كان ابتلاء يجب الصبر عليه، واحتمال المشقة فيه، قال فعجبنا مما أتى به، قلت: هذه الحكاية مع الإسناد، حدثني مفاوضة بلحب، ولم يكن أصله معه فكتيبته بالمعنى، واللفظ يزيد وينقص. ومن مصنفات إبراهيم الحربي. كتاب سجود القرآن، كتاب مناسك الحج، كتاب الهدايا والسنة فيها، كتاب الحمام وأدابه. والذي خرج من تفسيره لغريب الحديث، مسند أبي بكر رضي الله عنه، مسند عمر رضي الله عنه، مسند عثمان رضي الله عنه، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مسند الزبير رضي الله عنه، مسند طلحة رضي الله عنه، مسند سعد ابن أبي وقاص، مسند عبد الرحمن بن عوف، مسند العباس رضي الله عنه، مسند شيبه بن عثمان رضي الله عنه، مسند عبد الله بن جعفر مسند المسور بن مخرمة رضي الله عنه، مسند المطلب ابن ربيعة، مسند السائب، مسند خالد ابن الوليد، مسند أبي عبيدة بن الجراح، مسند ما روى عن معاوية، مسند ما روى عن عاصم بن عمر، مسند صفوان بن أمية، مسند جبلة بن هبيرة، مسند عمرو ابن العاص، مسند عمران بن الحصين، مسند حكيم بن حزام، مسند عبد الله بن زمعة، مسند عبد الرحمن بن سمرة، مسند عبد الله بن عمرو، مسند عبد الله بن عمر.

إبراهيم بن إسحاق الأديب

اللغوي أبو إسحاق الضرير البارع، سمع الحديث بالبصرة والأهواز وبغداد، بعد الأربعين والثلاثمائة، وكان من الشعراء المجودين، طاف بعض الدنيا، ثم استوطن نيسابور، إلى أن مات بها في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة، (وكان من الشعراء المجودين)، وممن تعلم الفقه والكلام قال ذلك كله الحاكم. ولقيه وروى عنه شيئاً.

إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله

الطرابلسي، يعرف بابن الأجدابي، وأجدابية من نواحي أفريقية. له أدب، وحفظ، ولغة، وتصانيف، ومن مشاهيرها: كتاب كفاية المتحفظ، صغير الحجم، كثير النفع، وكتاب الأنواء.

إبراهيم بن السري بن سهل

أبو إسحاق النحوي قال الخطيب: كان من أهل الدين والفضل، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، وله مصنفات حسان في الأدب، مات في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.

وحكى ابن مهذب في تاريخه. حدثني الشيخ أبو العلاء المعري أنه سمع عنه ببغداد، أنه لما حضرته الوفاة سئل عن سنه، فعقد لهم سبعين، وآخر ما سمع منه: اللهم احشرنى على مذهب أحمد بن حنبل: وأبو إسحاق هو أستاذ أبي علي الفارسي.

قال الخطيب بإسناده، قال أبو محمد عبد الله بن درستويه النحوي: حدثني الزجاج قال: كنت أخطر الزجاج فاشتبهت النحو، فلزمت المبرد لتعلمه، وكان لا يعلم مجاناً ولا يعلم بأجرة إلا على قدرها، فقال لي: أي شيء صناعتك؟ قلت: أخطر الزجاج، وكسبي في كل يوم درهم ودانقان أو درهم ونصف، وأريد أن تبلغ في تعليمي، وأنا أعطيك كل يوم درهماً، وأشرط لك أن أعطيك إياه أبداً، إلى أن يفرق الموت بيننا، استغنييت عن التعليم أو احتجت إليه، قال: فلزمته، وكنت أخدمه في أموره مع ذلك وأعطيته درهم، فبصحتني في العلم، حتى استقلت، فجاء كتاب بعض بني مارة من الصراة يلتمسون معلماً نحوياً لأولادهم، فقلت له أسمني لهم، فأسماني، فخرجت فكنت أعلمهم وأنفذ إليهم في كل شهر ثلاثين درهماً، وأزيد به ذلك بما أقدر عليه، ومضت مدة على ذلك، فطلب منه عبيد الله بن سليمان مؤدباً لابنه القاسم، فقال له: لا أعرف لك إلا رجلاً بالصراة مع بني مارة، قال: فكتب إليهم عبيد الله فاستنزلهم عني، فنزلوا له، فأحضرني وأسلم القاسم إلي، فكان ذلك سبب غنائي، وكنت أعطي المبرد ذلك الدرهم في كل يوم إلى أن مات، ولا أخليه من التفقد بحسب طاقتي، قال فكنت أقول للقاسم بن عبيد الله: إن بلغك الله مبلغ أبيك ووليت الوزارة ماذا تصنع بي؟ فيقول: ماذا أحببت؟ فأقول له: تعطيني عشرين ألف دينار، وكانت غاية أمنيته، فما مضت سنون حتى ولي القاسم الوزارة، وأنا على ملازمتي له، وصرت نديمه، فدعيتني نفسي إلى إنكاره بالوعد، ثم هبته، فلما كان في اليوم الثالث من وزارته قال لي: يا أبا إسحاق، لم أرك أذكرتني بالنذر، فقلت: عولت على رعاية الوزير أيده الله، وأنه لا يحتاج إلى إنكار بنذر عليه في أمر خادم واجب الحق، فقال لي: إنه المعتضد، ولولاه ما تعاضمني دفع ذلك إليك في مكان واحد، ولكني أخاف أن يصير لي معه حديث، فأسمح بأخذه متفرقاً، فقلت يا سيدي أفعّل، فقال: اجلس للناس وخذ رقاعهم في الحوائج الكبار واستجعل عليها، ولا تمتنع عن مسألتي شيئاً تخاطب فيه، صحيحاً كان أو محالاً، إلى أن يحصل لك مال النذر، قال: ففعلت ذلك، وكنت أعرض عليه كل يوم رقاعاً، فيوقع لي فيها، وربما قال لي: كم ضمن لك على هذا؟ فأقول كذا وكذا، فيقول لي غبنت، هذا يساوي كذا وكذا إرجع فاستزد، فأراجع القوم، فلا أزال أمالكهم ويزيدوني، حتى أبلغ الحد الذي رسمه، قال وعرضت عليه شيئاً عظيماً، فحصلت عندي عشرون ألف دينار، وأكثر منها في مديدة، فقال لي بعد شهرين يا أبا إسحاق، حصل مال النذر؟ فقلت لا، فسكت، وكنت أعرض عليه فيسألني في كل شهر ونحوه حصل المال؟ فأقول لا، خوفاً من انقطاع الكسب إلى أن حصل لي ضعف ذلك المال.

وسألني يوماً فاستحييت من الكذب المتصل، فقلت قد حصل ذلك ببركة الوزير، فقال فرجت والله عني، فقد كنت مشغول القلب إلى أن يحصل لك، قال ثم أخذ الدواة فوقع إلى خزانة بثلاثة آلاف دينار صلة فأخذتها، وامتنعت أن أعرض عليه شيئاً، ولم أدر كيف أقع منه؟ فلما كان من الغد جنته وجلست على رسمي فأومأ إلى أن هات ما معك، يستدعي مني الرقاع على الرسم، فقلت ما أخذت من أحد رقعة، لأن النذر وقع الوفاء به، ولم أدر كيف أقع من الوزير؟ فقال يا سبحان الله! أتراني أقطع عنك شيئاً قد صار لك عادة؟ وعلم به الناس، وصارت لك به منزلة عندهم وجاه، وغدو ورواح إلى بابك، ولا يعلم سبب انقطاعه، فيظن ذلك لضعف جاهك عندي، أو تغير رتبك عندي، أعرض علي رسمك، وخذ بلا حساب، فقبلت يده، وباكرت من غد بالرقاع، فكنت أعرض عليه كل يوم شيئاً إلى أن مات وقد تأملت حالي هذه.

وحدث أبو علي الفارسي النحوي قال: دخلت مع شيخنا أبي إسحاق الزجاج على القاسم بن عبيد الله الوزير، فورد عليه خادم وساره بشيء استبشر له، ثم تقدم إلى شيخنا أبي إسحاق بالمكوث إلى أن يعود، ثم نهض فلم يكن بأسرع من أن عاد وفي وجهه أثر الوجوم، فسأله شيخنا عن ذلك، لأنس كان بينه وبينه، فقال له: كانت تختلف إلينا جارية لإحدى المغنيات، فسمتها أن تبغني إياها فامتنعت من ذلك، ثم أشار عليها أحد من ينصحها أن تهديها إلي، رجاء أن أضاعف لها ثمنها، فلما وردت أعلمني الخادم بذلك، فنهضت مستبشراً لأفتضها، فوجدتها قد حاضت، فكان مني ما ترى، فأخذ شيخنا الدواة من بين يديه وكتب:

حاذق بالطعن في الظلم

فاتقته من دم بدم

فارس ماض بحريته

رام أن يدمي فريسته

قال: وجرى بين الزجاج وبين المعروف بمسند، وكان من أهل العلم تنمر، فاتصل ونسجه إبليس وألحمه، حتى خرج إبراهيم بن السري إلى حد الشتم، فكتب إليه مسند:

لينفعه فائمه وضره

ليطلق لفظة في شتم حره

أبي الزجاج إلا شتم عرضي

وأقسم صادقاً ما كان حره

ولكن للمنون علي كره
ليوم لا وقاه الله شره

ولو أني كررت لفر مني
فأصبح قد وقاه الله شري

فلما اتصل هذا الشعر بالزجاج قصده راجلاً حتى اعتذر إليه وسأله الصفح. كل هذا من تاريخ الخطيب إبراهيم. أنبأنا يزيد بن الحسن الكندي عن أبي منصور الجواليقي عن المبارك الصيرفي، عن علي بن أحمد بن الدهان، عن عبد السلام بن حسن البصري، قال: كتب إلينا أبو الحسن علي بن محمد الشمشاطي من الموصل قال: قال أبو إسحاق بن السري الزجاج رحمه الله، دخلت على أبي العباس ثعلب رحمه الله، في أيام أبي العباس محمد بن يزيد المبرد وقد أملى شيئاً من المقتضب، فسلمت عليه وعنده أبو موسى الحامض، وكان يحسدني شديداً، ويجاهرني بالعداوة، وكنت أئين له وأحتمله لموضع الشيخوخة، فقال لي أبو العباس: قد حمل إلي بعض ما أملاه هذا الخلد، فرأيت لا يطوع لسانه بعبارة، فقلت له إنه لا يشك في حسن عبارته اثنان، ولكن سوء رأيك فيه يعيبه عندك، فقال: ما رأيته إلا ألكن متعلقاً، فقال أبو موسى: والله إن صاحبكم ألكن يعني سيبويه، فأحفظني ذلك، ثم قال: بلغني عن الفراء أنه قال: دخلت البصرة فلقيت يونس وأصحابه، فسمعتهم يذكرونه بالحفظ والدرابة وحسن الفطنة، فأتيتهم فإذا هو أعجم لا يفصح، سمعته يقول لجارية له: هات ذيك الماء من ذاك الجرة، فخرجت من عنده ولم أعد إليه، فقلت له: هذا لا يصح عن الفراء، وأنت غير مأمون في هذه الحكاية، ولا يعرف أصحاب سيبويه من هذا شيئاً، وكيف تقول هذا لمن يقول في أول كتابه: هذا باب علم ما الكلم من العربية؟ وهذا يعجز عن إدراك فهمه كثير من الفصحاء، فضلاً عن النطق به: فقال ثعلب: قد وجدت في كتابه نحواً من هذا، قلت: ما هو؟ قال يقول في كتابه في غير نسخة: حاشا حرف يخفض ما بعده كما تخفض حتى، وفيها معنى الاستثناء، فقلت له: هذا كذا في كتابه، وهو صحيح، ذهب في التذكير إلى الحرف، وفي التأنيت إلى الكلمة، قال: والأجود أن يحمل الكلام على وجه واحد، قلت: كل جيد، قال الله تعالى: "ومن يقنت منكن لله ورسوله ويعمل صالحاً". وقرئ وتعمل صالحاً. وقال عز وجل: "ومنهم من يستمعون إليك" ذهب إلى المعنى، ثم قال: "ومنهم من ينظر إليك" ذهب إلى اللفظ، وليس لقائل أن يقول: لو حمل الكلام على وجه واحد في الاثنين كان أجود، لأن كلا جيد، فأما نحن فلا نذكر حدود الفراء، لأن صوابه فيه أكثر من أن يعد، ولكن هذا أنت: عملت كتاب الفصح للمبتدئ المتعلم، وهو عشرون ورقة، أخطأت في عشرة مواضع منه قال لي اذكرها، قلت له نعم، قلت وهو عرق النساء، ولا يقال عرق النساء، كما لا يقال عرق الأبهري، ولا عرق الأكل.

قال امرؤ القيس:

فقلت هبلت ألا تنتصر

فأنتشب أظفاره في النسا

وقلت: حلمت في النوم أحلم حلماً، ليس بمصدر، وإنما هو اسم، قال الله تعالى: "والذين لم يبلغوا الحلم منكم" وإذا كان للشيء مصدر واسم، لم يوضع الاسم موضع المصدر، ألا ترى أنك تقول: حسبت الشيء أحسبه حسباً وحساباً، والحسب المصدر، والحساب الاسم، ولو قلت ما بلغ الحسب إليك ورفعت الحسب إليك لم يجز، وأنت تريد ورفعت الحساب إليك، وقلت: رجل عذب، وامرأة عذبة، وهذا خطأ، إنما يقال رجل عذب، وامرأة عذب، لأنه مصدر وصف به فلا يجمع ولا يثنى، ولا يؤنث، كما يقال رجل خصم وامرأة خصم، وقد أتيت بباب من هذا النوع في الكتاب، وأفردت هذا منه، قال الشاعر:

يا من يدل عذباً على عذب

وقالت كسرى بكسر الكاف وهذا خطأ، إنما هو كسرى، والدليل على ذلك أنا وإياكم لا نختلف في النسب إلى كسرى، يقال كسروي بفتح الكاف، وليس هذا مما يغير بالنسب لبعده منها، ألا ترى أنك لو نسبت إلى معزى لقلت معزوي، وإلى درهم قلت درهمي ولا يقال معزوي ولا درهمي، وقلت: وعدت الرجل خيراً وشرّاً، فإذا لم تذكر الشر قلت أوعده بكذا، نقضاً لما أصلت، لأنك قلت بكذا، وقولك بكذا كناية عن الشر، والصواب أن تقول إذا لم تذكر الشر قلت أوعده، وقلت: وهم المطوعة، وإنما هم المطوعة، بتشديد الطاء كما قال الله تعالى: "يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات" فقال ما قلت إلا المطوعة، فقلت: هكذا قرأته عليك، وقرأه غيري وأنا حاضر أسمع مراراً. وقلت هو لرشدة وزنية، كما هو لغية، والباب فيها واحد، لأنه إنما يريد المرة الواحدة، ومصادر الثلاثي إذا أردت المرة الواحدة لم تختلف، تقول ضربته ضربة، وجلست جلسة وركبت ركبة، لا اختلاف في ذلك بين أحد من النحويين، وإنما تكسر من ذلك ما كان هيئة حال، فتصفها بالحسن والقبح وغيرهما، فتقول: هو حسن الجلسة والسيرة والركبة، وليس هذا من ذلك. وقلت: أسنمة للبلدة، ورواه الأصمعي بضم الهمزة أسنمة، فقال: ما روى ابن الأعرابي وأصحابنا إلا أسنمة، فقلت قد علمت أنت أن الأصمعي أضبط لما يحكي، وأوثق فيما يروى، وقلت: إذا عز أخوك فهن، والكلام فهن، وهو من هان يهين إذا لان، ومنه قبل هين لين، لأن هن من هان يهون من الهوان، والعرب لا تأمر بذلك، ولا معنى لهذا الكلام يصح لو قالته العرب، ومعنى عز ليس من العزة التي هي المنعة والقدرة، وإنما هو من قولك عز الشيء

إذا اشتد، ومعنى الكلام: إذا صعب أخوك واشتد فذل من الذل له، ولا معنى للذل ههنا، كما تقول إذا صعب أخوك فلن له، قال فما قرئ عليه كتاب الفصيح بعد ذلك علمي، ثم بلغني أنه سئم ذلك، فأنكر كتاب الفصيح أن يكون له.

قال المؤلف: وهذه المأخذ التي أخذها الزجاج على ثعلب لم يسلم إليه العلماء باللغة فيها، وقد ألفوا تأليف في الانتصار لثعلب يضييق هذا المختصر عن ذكرها.

وحدث الزجاج قال: أنشدنا أبو العباس المبرد:

في انقباض وحشمة فإذا
أرسلت نفسي على سجيته
رأيت أهل الوفاء والكرم
وجئت ما جئت غير محتشم

قال عبيد الله الفقيه: وهذان البيتان يرويان لمحمد بن كناسة، وقد رواهما آخرون لأبي نواس، قال الزجاج: فقلت له: أليس يقول الأصمعي الحشمة الغضب؟ والحشمة الاستحياء، لأن الغضب والاستحياء جميعاً نقصان في النفس، وانحطاط عن الكمال، فلذلك كان مخرجهما واحداً، قال: فقلت له: أليس الحياء محموداً، والغضب مذموماً؟ وقد روي أن الحياء شعبة من الإيمان، وقد قيل: إذا لم تستح فافعل ما تشاء، فقال: الحياء محمود في الدين، وفي اجتناب المحارم، وفي الإفضال، وأما في ترك الحقوق، والنكوص عن الخصوم عند الحجاج، فهو نقصان في النفس.

قال أبو العباس: وسمعت المازني يقول: معنى قولهم إذا لم تستح فاصنع ما شئت أي إذا صنعت ما لا تستحي من مثله فاصنع ما شئت، وليس على ما يذهب إليه العوام، وهذا تأويل حسن.

قال حمزة بن الحسن الأصبهاني في كتاب الموازنة: كان الزجاج يزعم أن كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف وإن نقص حروف إحداها عن حروف الأخرى فإن إحداها مشتقة من الأخرى، فيقول الرجل مشتق من الرجل، والثور إنما يسمى ثوراً لأنه يثير الأرض، والثوب إنما سمي ثوباً لأنه ثاب لباساً بعد أن كان غزلاً، حسبيه الله، كذا قال، قال: وزعم أن القرنان إنما سمي قرنناً لأنه مطبق لفجور امرأته، كالثور القرنان أي المطبق لحمل قرنه، وفي القرآن "وما كنا له مقرنين" أي مطبقين قال: وحكى يحيى بن علي بن يحيى المنجم، أنه سأل بحضرة عبد الله بن أحمد بن حمدون النديم، من أي شيء اشتق الجرجير؟ قال لأن الريح تجرجه، قال وما معنى تجرجه؟ قال تجرره، قال ومن هذا قيل للحبل الجريز، لأنه يجر على الأرض، قال: والجرة لم سميت جرة؟ قال: لأنها تجر على الأرض، فقال لو جرت على الأرض لانكسرت، قال: فالمجرة لم سميت مجرة؟ قال لأن الله جرها في السماء جراً، قال: فالجرجور الذي هو اسم المائة من الإبل لم سميت به؟ قال: لأنها تجر بالأزمة وتقاد، قال: فالفصيل المجر، الذي يشق طرف لسانه، لئلا يرتضع أمه، ما قولك فيه؟ قال لأنهم جروا لسانه حتى قطعوه، قال فإن جروا أذنيه فقطعوه تسميه مجراً؟ قال لا يجوز ذلك، فقال يحيى بن علي: قد نقضت العلة التي أتيت بها على نفسك، ومن لم يدر أن هذا مناقضة فلا حس له، قال حمزة: وشهدت ابن العلاف الشاعر وعنده من يحكي عن كتاب الزجاج أشياء من شنيع الاشتقاق الذي فيه، ثم قال إني حضرته وقد سئل عن اشتقاق القصة، قال لأنها تقصع الجوع أي تكسره، قال ابن العلاف يلزمه أن يقول: الخضض مشتق من الخضيض. والعصفور مشتق من العصفور، والدب مشتق من الدب، والعذب من الشراب مشتق من العذاب، والخريف من الخروف، والعقل مشتق من العاقل، والحلم مشتق من الحلمة، والإقليم مشتق من القلم، والخنفساء من الفساء، والخنثى من الأنثى، والمخنث من المؤنث، ضرط إبليس على ذا من أدب.

وقال ابن بشران: كان أبو إسحاق الزجاج ينزل بالجانب الغربي من بغداد، في الموضع المعروف بالدويرة، وأنشدت له:

قعودي لا يرد الرزق عني
قعدت فقد أتاني في قعودي
ولم يدينه إن لم يقض شي
وسرت فعافني والسير لي
إلى رشدي وأن الحرص غي
ولي ظل أعيش به وفي
تركت لمدلج دلج الليالي

حدث أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي البصري قال: لما مات أبو العباس أحمد بن يحيى بكى أبو إسحاق الزجاج، فقلت ما بكؤوك؟ فقال لي: أين يذهب بك؟ أليس كان يقال: أحمد بن يحيى جالس وإبراهيم الزجاج اليوم؟ فقال الزجاج ونفطويه وابن الأنباري: مات الناقد، ونفقت البهارج. وحدث المرزباني في كتاب المقتبس، ولم يذكر من خبره غير هذه القصة، وذكرها ابن النديم في فهرسته، قالاً جميعاً: كان السبب في اتصال أبي إسحاق الزجاج بالمعتضد، أن بعض الندماء وصف للمعتضد كتاب جامع النطق الذي عمله محبرة النديم، قال محمد بن إسحاق خاصة، واسم محبرة محمد بن يحيى بن أبي عباد، ويكنى أبا جعفر، واسم أبي عباد جابر بن زيد بن الصباح العسكري، وكان حسن الأدب، ونام المعتضد، وجعل كتابه جداول، رجع الكلام

إلى اتفاقهما، فأمر المعتضد القاسم بن عبيد الله أن يطلب من يفسر تلك الجداول، فبعث إلى ثعلب وعرضه عليه فلم يتوجه إلى حساب الجداول، وقال لست أعرف هذا، وإن أردتم كتاب العين فموجود، ولا رواية له فكتب ابن عبيد الله إلى المبرد أن يفسرها، فأجابهم: إنه كتاب طويل، يحتاج إلى تعب وشغل، وإنه قد كبر وضعف عن ذلك، وإن دفعتموه إلى صاحبي إبراهيم بن السري رجوت أن يفي بذلك، فتعاقف القاسم عن مذاكرة المعتضد بالزجاج حتى ألح عليه المعتضد، فأخبره بقول ثعلب والمبرد وأنه أحال على الزجاج، فتقدم إليه بالتقدم إلى الزجاج بذلك، ففعل القاسم، فقال الزجاج: أنا أعمل ذلك على غير نسخة، ولا نظر في جدول، فأمره بعمل الثنائي، فاستعار الزجاج كتب اللغة من ثعلب والسكري وغيرهما، لأنه كان ضعيف العلم باللغة، ففسر الثنائي كله، وكتبه بخط الترمذي الصغير أبي الحسن، وجلده، وحمله إلى الوزير، وحمله الوزير إلى المعتضد، واستحسنه وأمر له بثلاثمائة دينار، وتقدم إليه بتفسيره كله، ولم يخرج مما عمله الزجاج نسخة إلى أحد، إلا إلى خزنة المعتضد ووزيره.

وقال ابن النديم: ثم ظهر في كتاب السلطان هذا التفسير منقطعاً، ورأيناه في طلحي لطيف، وصار للزجاج بهذا السبب منزلة عظيمة، وجعل له رزق في الندماء، ورزق في الفقهاء، ورزق في العلماء، نحو ثلاثمائة دينار، قال ابن النديم: وللزجاج من الكتب: كتاب ما فسر من جامع النطق، كتاب معاني القرآن، "قرأت على ظهر كتاب المعاني: ابتدأ أبو إسحاق بإملاء كتابه الموسوم بمعاني القرآن في صفر سنة خمس وثمانين ومائتين وأتمه في شهر ربيع الأول، سنة إحدى وثلاثمائة"، كتاب الاشتقاق، كتاب القوافي، كتاب العروض، كتاب الفرق، كتاب خلق الإنسان، كتاب خلق الفرس، كتاب مختصر النحو، كتاب فعلت وأفعلت، كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف، كتاب شرح أبيات سيبويه، كتاب النوادر.

إبراهيم بن سعدان بن حمزة

الشييباني المؤدب، ذكره المرزباني في كتابه وقال: كان أبو الحسن العنزي كثير الرواية عنه، يروى عنه الأخبار، ومستحسن الأشعار. وكان لسعدان بن المبارك النحوي ابن يسمى إبراهيم، روى عن أبيه النقائض، ورواها عنه أبو سعيد السكري، ولست أعلم أهو الذي نسبته العنزي إليه أم غيره؟ لأن العنزي نسبته إلى سعدان بن حمزة الشييباني، والله أعلم. كل هذا كلام المرزباني.

وكان إبراهيم بن سعدان النحوي فيما رواه أحمد بن أبي طاهر، يؤدب المؤيد، وكان ذا منزلة عنده. وحدث المرزباني فيما رفعه إلى أبي إسحاق الطلي أحمد بن محمد بن حسان في جمال إبراهيم بن سعدان:

ألا أيها العير المصروف لونه
هلم وفاك الله من كل آفة
بلونين في قر الشتاء وفي الصيف
إلى مجد مولاك الشفيق على الضيف

وحدث المرزباني عن عبد الله بن يحيى العسكري، عن أبي إسحاق الطلي قال: أخبرنا إبراهيم بن سعدان، قال: حرفان فيهما أربع وعشرون نقطة لا يعرف مثلها حكاها أبو الحسن الجبائي، تتنققت أي سعدت في الجبل، وتنبشبت من البشاشة، وحرف في القرآن هجاءه عشرة أحرف متصلة، ليس في القرآن مثله في سورة النور: "ليستخلفهم في الأرض".

وحدث المرزباني عن الصولي عن أبي العيناء قال: قال لي المتوكل: بلغني أنك رافضي، فقلت يا أمير المؤمنين وكيف أكون رافضياً وبلدي البصرة، ومنشئي مسجد جامعها، وأستاذي الأصمعي، وجبراني باهلة؟ وليس يخلو الناس من طلب دين أو دنيا، فإن أرادوا ديناً فقد أجمع المسلمون على تقديم من أخروا، وتأخير من قدموا، وإن أرادوا دنياً فأنت وأباؤك أمراء المؤمنين، لا دين إلا بك، ولا دنيا إلا معك، أبوك مستنزل الغيث، وفي يدك خزائن الأرض، وأنا مولاك، فقال: إن ابن سعدان زعم ذلك فيك، فقلت: ومن ابن سعدان؟ والله ما يفرق ذلك بي الإمام والمأموم، والتابع والمتبوع، إنما ذاك حامل درة، ومعلم صبيبة، وأخذ على كتاب الله أجره، فقال: لا تفعل، لأنه مؤدب المؤيد، فقلت يا أمير المؤمنين: إنه لم يؤدبه حسبة، وإنما أدبه بأجرة، فإذا أعطيته حقه فقد قضيت ذمامه، فقام ابن سعدان فقال: يا أبا العيناء، لا والله ما صدق أمير المؤمنين في شيء مما حكاه عني، ثم أقبل على المتوكل فقال: أي شيء أسهل عليك يا أمير المؤمنين من أن ينقضي مجلسك على ما تحب، ثم يخرج هذا فتقطعني؟ قال: فضحك المتوكل:

إبراهيم بن سعيد بن الطيب

أبو إسحاق الرفاعي، قال أبو طاهر السلفي: وسألته يعني أبا الكرم الجوزي عن الرفاعي فقال: هو من عبيد السبي، وكان ضريباً، قدم صبيّاً ذا فاقة إلى واسط، فدخل الجامع إلى حلقة عبد الغفار الحصيني، فتلقت القرآن فكان معاشه من أهل الحلقة، ثم أصعد إلى بغداد، فصحب أبا سعيد السيرافي، وقرأ عليه كتاب شرح سيبويه، وسمع منه كتب اللغة والدواوين، وعاد إلى واسط وقد مات عبد الغفار، فجلس صدرأ يقرئ الناس في الجامع، ونزل الزيدية من واسط، وهناك تكون الرافضة والعلويون، فنسب

إلى مذهبهم، ومقت على ذلك، وجفاه الناس، وكان شاعراً حسن الشعر جيده، وحدث في كتاب أبي غالب محمد بن أحمد بن سهل النحوي، أنشدني أبو إسحاق الرفاعي لنفسه.

وأحبة ما كنت أحسب أنني
نأت المسافة فالتذكر حظهم
أبلي ببيتهم فبنت وبانوا
مني وحطي منهم النسيان

ومات سنة إحدى عشرة وأربعمائة سمعت أبا نعيم أحمد بن علي بن أخي سدة المقرئ الإمام يقول: رأيت جنازة أبي إسحاق الرفاعي مع غروب الشمس تخرج إلى الجبانة وخلفها رجلان، فحدثت بها شيخنا أبا الفتح بن المختار النحوي فقال: سمى لك الرجلين؟ فقلت لا، فقال كنت أنا أحدهما، وأبو غالب ابن بشران الآخر، وما صدقنا أنا نسلم خوفاً أن نقتل.

ومن عجائب ما اتفق أن هذا الرجل توفي وكان على هذا الوصف من الفضل فكانت هذه حاله، وتوفي في غد يوم وفاته رجل من حشو العامة، يعرف بدناءة كان سوادياً، فأغلق البلد لأجله، وصلى عليه الناس كافة، ولم يوصل إلى جنازته من كثرة الزحام: آخر كلام الجوزي. وذكر لي أبو عبد الله محمد بن سعيد الذهبي، وذكره في أخبار النحويين الواسطيين أنه توفي في سنة اثنتي وعشرين وأربعمائة، فذاكرته بما قاله الجوزي فقال: الرجوع إلى الحق خير من التماذي على الباطل، الذي ذكره الجوزي هو الحق، أنا وهم.

وحدث أبو غالب بن بشران قال: أنشدنا أبو إسحاق الرفاعي وما رأيت قط أعلم منه قال أنشدنا عبد الغفار ابن عبد الله، قال أنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد نبطويه:

أقبل معاذير من يأتيك معتذراً
فقد أطاعك من أرضاك ظاهره
إن بر عندك فيما قال أو فجرا
وقد أهلك من يعصيك مستترا

إبراهيم بن سفيان الزياتي

هو إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه، كان نحويًا لغويًا راوية، قرأ كتاب سيبويه على سيبويه ولم يتمه، وروى عن الأصمعي وأبي عبيدة ونظرائهما، وكان شاعراً، مات سنة تسع وأربعين ومائتين، ومن شعره الذي رواه المرزباني في حجر النار الهاشمي،

دفع الرحمن عنكا
وأتى فيك بمن يع
م إن ذاك الدفع عني
ذلني قارع سن
ن فقد برز حزني
إن تكن برزت في الحس

حدث المرزباني عن المبرد عن الزياتي قال: كان في جوارح حق قد دعيت إليه فحضرت، وجيء بنبيذ وطنبور، فغنى مغنيهم:

قولاً لمن يتعري
ترك فتیان صدق
ومن يبدد شراً
يجبلون في الحسن درا

وصرت إلف خسيس
هيهات فأتك والله
يعيد خيرك شراً
من يغرك غرا

فقلت لمن هذا الشعر، أصلحك الله؟ قال: لي يا سيدي، وأنا جوان بن دست الباهلي سيدي، قلت ليس جوان ودست عافاك الله من أسماء العرب، قال: أي شيء عليك من ذا سيدي؟ قلت فردد الصوت، قال تريد تقمشه؟ كنك عقاب، أو كنى ما أعرفك، ما تركت على كبد ابن عمي الأصمعي الماء، وقد جئت إلي طارت فراخ برجك طارت. قال: فوثبت مما حل بي فلم أعد إليهم. وحدث قال: كان الزياتي يشبه بالأصمعي في معرفته للشعر ومعانيه، وكان فيه دعاية ومزاح، فمن شعره في ذلك:

قد خرج الهجر على الوصل
ودبق الهجر جناح الهوى
وانقطع الحبل من الحبل
وانفلت الوصل من البخل
فليسلم الوصل من القتل
فليت ذا الهجر قبيل الهوى

وقال الجماز يهجو الريادي:

ليس بكذاب ولا آثم
من قال إبراهيم ملعون

حكم رسول الله في جده ما ناله إلا الملائع وبعد هذا كله إنه يعجبه القثاء والتين وللزيادي من التصانيف: كتاب النقط والشكل، كتاب الأمثال، كتاب تنميق الأخبار، كتاب أسماء السحاب والرياح والأمطار، كتاب شرح نكت كتاب سيبويه. وقال إبراهيم الزيادي في جارية سوداء كان يحبها:

ألا حبذا حبذا حبذا
ويا حبذا برد أنيابه
حبيب تحملت فيه الأذى
إذا الليل أظلم واجلوذا

إبراهيم بن سليمان بن عبد الله

ابن حبان النهمي بطن من همدان، الخزار الكوفي أبو إسحاق، أخباري، ذكره أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في كتاب مصنفه الإمامية، وقال: هو ثقة في الحديث، سكن الكوفة في بني تميم، فرما قيل التميمي، قال: ثم سكن في بني هلال، فرما قيل الهلالي ونسبه في نهم.

له من الكتب: كتاب النواذر، كتاب الخطب، كتاب الدعاء، كتاب المناسك، كتاب أخبار ذي القرنين، كتاب إرم ذات العماد، كتاب قبض روح المؤمن والكافر، كتاب الدفائن، كتاب خلق السموات، كتاب أخبار جرهم.

إبراهيم بن صالح الوراق

أبو إسحاق، تلميذ أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ذكره البخارزي في كتاب دمية القصر فقال أنشدني له الأديب يعقوب بن أحمد، وهو أحسن ما قيل في معنى دود القز:

وبنات جيب ما انتفعت بعيشها
ثم انبعثن عواطلاً فإذا لها
قال: ومن المعاني المثارة من دود القز قول أبي الفتح البستي:
ألم تر أن المرء طول حياته
تراه كدود القز ينسج دائباً
ولأبي إسحاق يهجو ابن زكريا المتكلم الأصبهاني:
أبا أحمد يا أشبه الناس كلهم
لعمرك ما طالت بتلك اللحى لكم
ووأدتها فنفعني بقبور
قرن الكباش إلى جناح طيور
معنى بأمر لا يزال يعالجه؟
ويهلك غماً وسط ما هو ناسجه
خلفاً وخلفاً بالرخال النواسح
حياة ولكن بالعقول الكواسج

إبراهيم بن أبي عباد اليميني

وهو ابن أخي الحسن بن إسحاق، بن أبي عباد النحوي، ذكر في موضعه، وإبراهيم هذا من أعيان النحويين باليمن، وله تصنيفان في النحو مختصران، سمي أحدهما التلقين، والآخر يعرف بمختصر إبراهيم، وكان متأخراً بعد الخمسمائة.

إبراهيم بن العباس الصولي

أبو إسحاق الكاتب، هو إبراهيم بن العباس بن محمد ابن صول، مولى يزيد ابن المهلب، كنيته أبو إسحاق مات في شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائتين بسامراً، وهو يتولى ديوان النفقات والضياح، مولده سنة ست وسبعين ومائة، وقيل سنة سبع وستين، وكان صول رجلاً تركياً، وكان هو وأخوه فيروز ملكي جرجان، وتمجسا بعد التركية، وتشبها بالفرس، فلما حضر يزيد بن المهلب بن أبي صفرة جرجان أمنهما، فأسلم صول على يده، ولم يزل معه حتى قتل يزيد يوم العقر.

وكان يزيد بن المهلب لما دعا إلى نفسه لحق به صول وغيره، فصادفه قد قتل. وذكر الصولي أن صولاً جده شهد الحرب مع يزيد بن المهلب، وأن يزيد وجد مقتولاً بلا طعنة ولا ضربة، انسدت أذناه ومنخره، وامتلاً فمه بغبار العسكر فمات، فلا يعرف

مثله قتل غبار، قال: ومعه قتل صول وجماعة من أصحابه وغلماؤه، وقيل بل انحاز إلى العباس بن الوليد في جماعة من غلمانته، فأعطاه العباس أماناً وبعض أولاد المهلب معه، فلما حصلوا في يده غدر بهم، وقتلهم جميعاً، وكان يقاتل كل من بينه وبين يزيد من جيوش بني أمية، ويكتب على سهامهم: صول يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فاغتاظ، وجعل يقول: ويلي على ابن الغلفاء، ماله وللدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه؟ ولعله لا يفقه صلاته.

وكان محمد بن صول من رجال الدولة العباسية ودعاتها، وكان يكنى أبا عمارة، وقتله عبد الله بن علي، لما خالف مع مقاتل بن حكيم العكي، وكان بعض أهلهم ادعوا أنهم عرب، وأن العباس بن الأحنف الشاعر خالهم. وكان إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله من وجوه الكتاب، وكان عبد الله أسنهما، وأشدّهما تقدماً، وكان إبراهيم أدبهما، وأحسنهما شعراً، وكان إذا قال شعراً اختاره، وأسقط رذله، وأثبت نخبته، فمن ذلك قوله:

ولكن الجواد أبا هشام
بطئ عندما استغثت عنه
وفي العهد مأمون المغيب
وطلاع عليك مع الخطوب

وهذا من نادر الشعر وجيده، ومن ذلك قوله لأخيه عبد الله:

ولكن عبد الله لما حوى الغنى
رأى خلة منهم تسد بماله
وصار له من بين إخوانه مال
فساهمهم حتى استوت بهم الحال

وهذا الشعر يدل على أن قبله غيره، ولولا أن يكون قبله غيره لقال ألا إن الجواد أبا هشام، وألا إن عبد الله أو يكون قصد الإيهام بمدح قد تقدم، هذه الأبيات من جملته، والله أعلم، وكان إبراهيم كاتباً، حاذقاً، بليغاً، فصيحاً، منشئاً، وإبراهيم وأخوه عبد الله من صنائع ذي الرياستين الفضل ابن سهل، اتصلا به فرفع منهما، وتنقل إبراهيم في الأعمال الجليلة، والدواوين، إلى أن مات وهو متول ديوان الضياع والنفقات بسر من رأى، سنة ثلاث وأربعين ومائتين للنصف من شعبان، وكان دعبل يقول: لو تكسب إبراهيم بالشعر لتركنا في غير شيء، وتعجب من قوله:

إن امرأ ضن بمعروفه
ما أنا بالراغب في خيره
عني لمبذول له عذري
إن كان لا يرغب في شكري

وكان إبراهيم صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات، فولى محمد الوزارة وإبراهيم على الأهواز، فقصد وجه إليه بأبي الجهم أحمد بن سيف وأمره بكشفه، فتحامل عليه تحاملاً شديداً، فكتب إبراهيم إلى محمد ابن عبد الملك:

وإني لأرجو بعد هذا محمداً
لأفضل ما يرجى أخ ووزير

فأقام محمد على أمره، ولج أبو الجهم في التحامل عليه، فكتب إبراهيم إلى ابن الزيات، يشكو إليه أبا الجهم ويقول: هو كافر لا يبالي ما عمل، وهو القائل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت:

تركت عبيد بني طاهر
وأقبلت تسعى إلى واحدي
وقد ملأوا الأرض عرضاً وطولا
ضراراً كأن قد قتلت الرسولا
فسوف أدين بترك الصلاة
وأصطبغ الخمر صرفاً شمولاً

فكان محمد لعصبيته على إبراهيم وقصده له يقول: ليس هذا الشعر لأبي الجهم، وإنما إبراهيم قاله ونسبه إلى أبي الجهم.

وكتب إبراهيم إلى ابن الزيات يستعطفه: كتبت وقد بلغت المدينة المحز، وعدت الأيام علي بعد عدواني بك عليها، وكان أسوأ الظن وأكثر خوفي أن تسكن في وقت حركتها، وتكف عند أذاتها، فصرت أضرب علي منها، فكف الصديق عن نصرتي خوفاً منك، وبادر إلى العدو تقرباً إليك، وكتب تحت ذلك:

أخ بيني وبين الده
صديقي ما استقام وإن
ر صاحب أيننا غلبا
نبا دهر علي نبا
وثبت على الزمان به
فعاد به وقد وثبا
ولو عاد الزمان لنا
لعاد به أخاً حديبا

وكتب إليه: أما والله لو آمنت ودك لقلت، ولكني أخاف منك عتياً لا تنصفني فيه، وأخشى من نفسي لائمة لا تحتلمها لي، وما قدر فهو كائن، عن كل حادثة أحوثة، وما استبدلت بحالة كنت فيها مغتبطاً حالاً أنا في مكروهاها، ولكنها أشد علي من أني فرعت إلى ناصري عند ظلم لحقني، فوجدت من ظلمي أخف نية في ظلمي منه، وأحمد الله كثيراً، وكتب تحتها:

وكننت أخيب إخاء الزما

وكننت أذم إليك الزما

وكننت أعدك للنائب

قال: ثم وقف الواصل على تحامله عليه، فرفع يده عنه، وأمره أن يقبل منه ما رفعه، ويرد إلى الحضرة مصوناً، فلما أحس إبراهيم بذلك، بسط لسانه في ابن الزيات، وهجاه هجاء كثيراً منه:

قدرت فلم تضرر عدواً بقدره

وكننت ملياً بالتي قد يعافها

وقال أيضاً فيه:

أبا جعفر خف خفضة بعد رفعة

فإن كنت قد أوتيت عزاً ورفعة

وقال أيضاً فيه:

دعوتك في بلوى أملت صروفها

وإني إذا أدعوك عند ملمة

ولما مات ابن الزيات قال إبراهيم: لما أتاني خبر الزيات

وأنه قد عد في الأموات

ن فلما نبا صرت حرباً عوانا

ن فأصبحت فيك أذم الزمانا

ت فها أنا أطلب منك الأمانا

وسمت بها إخوانك الذل والرغا

من الناس من يأبى الدنية والذما

وقصر قليلاً عن مدى غلوانكا

فإن رجائي في غد كرجائكا

فأوقدت من ضغن علي سعيها

كداعية بين القبور نصيرها

أيقنت أن موته حياتي

ولما انحرف محمد بن عبد الملك عن إبراهيم تحاماه الناس إن تلقوه، وكان الحارث بن بشتخير الزريم المغني صديقاً له مصافياً، وهجره فيمن هجره من الإخوان، فكتب إليه:

تغير لي فيمن تغير حارث

أحارث إن شوركت فيك فطالما

ومن مستحسن شعر إبراهيم بن العباس قوله:

خل النفاق لأهله

وارغب بنفسك أن ترى

ومنه:

وأقضي للصديق على الشقيق

وأجمع بين مالي والحقوق

فإنك واجدي عبد الصديق

أميل مع الصديق على ابن أمي

وأفرق بين معروفي ومني

فإن ألفتني حراً مطاعاً

وكان إبراهيم يهوى جارية لبعض المغنين بسر من رأى، يقال لها ساهر، شهر بها، وكان منزله لا يخلو منها، ثم دعيت في وليمة لبعض أهلها، فغابت عنه ثلاثة أيام ثم جاءت ومعهما جاريتان لمولاهما، وقالت له: قد أهديت صاحبتني إليك، عوضاً عن مغيبتي عنك، فقال:

أقبلن يحفن مثل الشمس طالعة

ما كنت فيهن إلا كنت واسطة

وجلس يوماً مع إخوانه للشرب، وبعث خلفها فأبطأت عليه، وتنغص عليه وعلى جلسائه يومه، وكان عندهم عدة من القيان، ثم وافت فسرى عنه، وطلبت نفسه، وشرب وطرب، وقال:

ألم ترنا يوماً إذ نأت

وقد غمرتنا دواعي السرو

ونحن فتور إلى أن بدت

ولما نأت كيف كنا بها

فتغضبت فقالت: ما القصة كما ذكرت، وقد كنتم في قصفكم مع من حضر، وإنما تجملتم لي لما حضرت، فقال:

ومن فؤادي لديه

يا من حنيني إليه

ولم تأت من بين أترابها

ر بإشغالها وبإلهابها

وبدر الدجى تحت أثوابها

ولما دنت كيف صرنا بها

ومن إذا غاب من بي
إذا حضرت فمن بين
من غاب غيرك منهم
فرضيت، فأقاموا يومهم على أحسن حال، ثم طال العهد بينهما فملها، وكانت شاعرة، وكانت تهواه أيضاً، فكتبت إليه تعاتبه:
بالله يا ناقض العهود بمن
واسوأنا ما استحيت لي أبدا
لا غرني كاتب له أدب
كنت بذاك اللسان نختلني
نهم أسفت عليه
هم أصب إليه
فأذنه في يديه
بعدك من أهل ودنا نثق؟
إن ذكر العاشقون من عشقوا
ولا ظريف مهذب لبق
دهراً ولم أدر أنه ملق

فاعتذر إليها وراجعها، فلم تر منه ما تكره حتى فرق الموت بينهما.

وحدث علي بن الحسين الإسكافي قال: كان لإبراهيم ابن قد يفع وترعرع، وكان به معجباً، فاعتل علة لم تطل حتى مات، فرثاه مرثي كثيرة، وجزع عليه جزعاً شديداً، فمن مرثيته فيه:

كنت السواد لمقلتي
من شاء بعدك فليمت
فبكى عليك الناظر
فعليك كنت أحاذر

وقال أيضاً فيه:

ومازلت مذ لد أعطيته
أعوذه دائماً بالقرأ
فأضحت يدي قصدها واحد
ومر إبراهيم برجل يستثقله فسلم عليه فقال لبعض من معه: إنه جرمي، فقال له: ما كان عندي إلا أنه من أهل السواد، فضحك إبراهيم وقال: إنما أردت قول الشاعر:
يسائل عن أخي جرم
وكتب إبراهيم شفاعاً لرجل إلى بعض إخوانه: فلان ممن يزكو شكره، ويعينني أمره، والصنيعة عنده واجدة موضعها، وسالكة طريقها،

وأفضل ما يأتيه ذو الدين والحجى
ونظر إبراهيم إلى الحسن بن وهب وهو مخمور فقال له:

عينك قد حكنا مبي
ولرب عين قد أرت
تلك كيف كنت وكيف كانا
لك مبيت صاحبها عيانا

وقال: ورفع أحمد بن المدبر على بعض عمال إبراهيم، فحضر إبراهيم دار المتوكل فرأى هلال الشهر على وجهه، ودعا له وضحك، وقال له: إن أحمد بن المدبر رفع على عاملك كذا وكذا فاصدقني عنه، قال إبراهيم: فضاقت علي الحجة، وخفت أن أحقق قوله إن اعترفت، ثم لا أرجع منه إلى شيء فيعود على الغرم، فعدلت عن الحجة إلى الحيلة، فقلت: أنا في هذا يا أمير المؤمنين كما قلت فيك:

رد قولي وصدق الأقوالا
أتراه يكون شهر صدود
وأطاع الوشاة والعذالا
وعلى وجهه رأيت الهللا؟

فقال لا يكون ذلك، والله لا يكون ذلك أبداً، والتفت إلى الوزير وقال له: كيف تقبل في المال قول صاحبه. وكان أحمد بن يحيى ثعلب يقول: إبراهيم ابن العباس أشعر المحدثين، وما روي شعر كاتب غيره، وكان يستجيد قوله:

لنا إبل كوم يضيق بها الفضاء
فمن دونها أن تستباح دماؤنا
ويفتر عنها أرضها وسماؤها
ومن دوننا أن ننستدم دماؤها

حمي وقرى فالموت دون مرامها
وأيسر خطب يوم حق فناؤها

ويقول: والله لو أن هذا لبعض الأوائل لاستجيد له: وقال إبراهيم في قينة كان يهواها:

وعلمتني كيف الهوى وجهلته

وأعلم مالي عندكم فيردني

ومن أحسن ما قيل في قصر الليل، قول إبراهيم بن العباس:

وليلة من الليالي الزهر

لم تك غير شفق وفجر

وقال أبو الغيث: كنت عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً، فنقطت القلم نقطة مفسدة فمسحها بكمه، فعجبت فقال: لا تعجب، المال فرع، والقلم أصل، ومن هذا السواد جاءت هذه الثياب، والأصل أحوج إلى المراعاة من الفرع، ثم فكر قليلاً وقال:

إذا ما الفكر ولد حسن لفظ

ووشاه فمنمنه بيان

ترى حلل البيان منشرات

وقال إبراهيم بن الفضل بن سهل:

يقضي الأمور على بديته

فيظل يصدرها ويوردها

وإذا ألمت صعبة عظمت

المستقل بها وقد رسبت

وعدلتها بالعدل فاعتدلت

وإذا الحروب علت بعثت لها

رأياً إذا نبت السيوف مضى

أجرى إلى فئة بدولتها

وإذا الخطوب تأثلت ورسست

وإذا جرت بضميره يده

قال: واجتمع هارون بن محمد بن عبد الملك بن الزيات وابن برد الخباز، في مجلس عبيد الله بن سليمان، فجعل هارون ينشد من شعر أبيه ومحاسنه، ويفضله ويقدمه، فقال له ابن برد الخباز: إن كان لأبيك مثل قول إبراهيم ابن العباس الصولي:

أسد ضار إذا هيجته

يعرف الأبعد إن أثرى ولا

أو مثل قوله:

تلج السنون بيوتهم وترى لهم

وتراهم بسيفهم وشفارهم

حامين أو قارين حيث لقيتهم

فاذكره وفاخر به، وإلا فأقل، فخلج هارون.

قال: ودخل عليه أحمد بن المدبر بعد خلاصه من النكبة مهنئاً، وكان استعان به في أمر النكبة فقعد عنه، وبلغه أنه كان يسعى ويحرض عليه ابن الزيات، فقال:

وكننت أخي بالدهر حتى إذا نبا

فلا يوم إقبالي عددتك طائلاً

وما كنت إلا مثل أحلام نائم

وله أيضاً فيه:

لو قيل لي خذ أماناً

لما أخذت أماناً

فأنا أستحسن قوله:

وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي

هوأي إلى جهلي فأرجع عن علمي

قابلت فيها بدرها ببدر

حتى تولت وهي بكر الدهر

وقال أبو الغيث: كنت عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً، فنقطت القلم نقطة مفسدة فمسحها بكمه، فعجبت فقال: لا تعجب، المال فرع، والقلم أصل، ومن هذا السواد جاءت هذه الثياب، والأصل أحوج إلى المراعاة من الفرع، ثم فكر قليلاً وقال:

وأسلمه الوجود إلى العيان

فصيح في المقال بلا لسان

تجلى بينها حلل المعاني

وتريه فكرته عواقبها

فيعم حاضرها وغائبها

فيها الرزينة كان صاحبها

ولوت على الأيام جانبها

ووسعت راغبها وراهبها

رأيا تقل به كتائبها

عزم به فشقى مضاربها

وأقام في أخرى نوادبها

هدت فواضله نواببها

أبدت له الدنيا مناقبها

قال: واجتمع هارون بن محمد بن عبد الملك بن الزيات وابن برد الخباز، في مجلس عبيد الله بن سليمان، فجعل هارون ينشد من شعر أبيه ومحاسنه، ويفضله ويقدمه، فقال له ابن برد الخباز: إن كان لأبيك مثل قول إبراهيم ابن العباس الصولي:

وأب بر إذا ما قدرا

يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

عن جار بيتهم ازورار مناكب

مستشرفين لراغب أو راهب

نهب العفاة ونزهة للراغب

نبوت، فلما عاد عدت مع الدهر

ولا يوم إدباري عددتك من وتر

كلا حالتيك من وفاء ومن غدر

من أعظم الحدثان

إلا من الخلان

حتى متى أنا في حزن وفي غصص
وقد غضبت فما باليتم غضبي
ومما كتب إبراهيم بن العباس إلى ابن الزيات:
من رأى في المنام مثل أخ لي
رفعت حاله فحاول حطي
وكتب إليه يستعطفه:

إذا تجدد حزن هون الماضي؟
حتى رجعت بقلب ساخط راض
كان عوني على الزمان وخلي؟
وأبى أن يعز إلا بذلي

فهبني مسيئاً مثل ما قلت ظالماً
فإن لم أكن بالعفو منك لسوء ما
ومن منثور كلامه: أناني فلان في وقت أستثقل فيه لحظة الفرح وحدث الصولي عن العباس بن محمد قال: أنشدني إبراهيم بن العباس، في مجلسه في ديوان الضياع:
ربما تجزع النفوس من الأم
ونكت بقلمه ثم قال:

فغفواً جميلاً كي يكون لك الفضل
جنيبت به أهلاً فأنت له أهل
ر له فرجة كحل العقال

ذرعاً وعند الله منها المخرج
فرجت وكنت أظنها لا تفرج

ولرب نازلة يضيق بها الفتى
كملت فلما استحكمت حلقاتها
قال: فعجبنا من سرعة طبعه، وجودة قريحته.

وحدث الصولي عن أحمد بن يزيد المهلب قال: حدثني أبي قال: لما قرأ إبراهيم بن العباس على المتوكل رسالته إلى أهل حمص.

أما بعد، فإن أمير المؤمنين يرى من حق الله عليه بما قوم به من أود، وعدل به من زيغ، ولم به من منتشر، استعمال ثلاث يقدم بعضهن أمام بعض، أولاهن ما يتقدم به من تنبيه وتوقيف، ثم ما يستظهر به من تحذير وتخويف، ثم التي لا يقع حسم الداء بغيرها:

أناة فإن لم تغن عقب بعدها
وعيداً فإن لم يغن أغنت عزائمه
عجب المتوكل من حسن ذلك، وأوماً إلى عبيد الله أما تسمع؟ فقال يا أمير المؤمنين: إن إبراهيم فضيلة خبأها الله لك، واحتبسها على أيامك، وهذا أول شعر نفذ في كتاب عن خلفاء بني العباس.

وحدث عن ميمون بن هارون عن أبيه قال: قلت لإبراهيم بن العباس: إن فلاناً يحب أن يكون لك ولياً فقال لي: أنا والله أحب أن تكون الناس جميعاً إخواني، ولكني لا أخذ منهم إلا من أطيق قضاء حقه، وإلا استحالوا أعداء، وما مثلهم إلا كمثل النار، قليلها مقنع، وكثيرها محرق.

وقال الحسين بن علي الباقر: شاورت أبا الصقر قبل وزارته في أمر لي فعرفني الصواب فيه، فقلت له: أنت أيدك الله كما قال إبراهيم بن العباس في هذا المعنى:

أتيتك شتى الرأي لابس حيرة
على حين ألقى الرأي دوني حجاب
فسددتني حتى رأيت العواقب
فجبت الخطوب واعتسفت المذاهب

فقال: لا تبرح والله حتى أكتب البيتين، فكتبتهما له بين يديه بخطي.

وحدث أبو ذكوان قال: لما توفي المعتصم بالله، وقام ابنه الواثق خليفة بعده، كتب إليه إبراهيم بن العباس يعزیه بأبيه ويهنئه بالخلافة: إن أحق الناس بالشكر من جاء به عن الله، وأولاهم بالصبر من كان سلفه رسول الله، وأمير المؤمنين أعزه الله وآبأوه نصرهم الله وأولو الكتاب الناطق عن الله بالشكر، وعتره رسوله المخصوصون بالصبر، وفي كتاب الله أعظم الشفاء وفي رسوله أحسن العزاء، وقد كان من وفاة أمير المؤمنين المعتصم بالله، ومن مشيئة الله في ولاية أمير المؤمنين الواثق بالله، ما عفا على أوله آخره، وتلافت بدأته عاقبته، فحق الله في الأولى الصبر، وفرضه في الأخرى الشكر، فإن رأى أمير المؤمنين أن يستنجز ثواب الله بصبره، ويستدعي زيادته بشكره، فعل إن شاء الله تعالى وحده: ومن كلامه: ووجد أعداء الله زخرف باطلهم، وتمويه كذبهم سراياً "بقية يحسبه الظمان ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً" وكوميض برق عرض فأسرع، ولمع فأطمع، حتى

انحسرت مغاربه، وتشعبت مولية مذهبيه، وأيقن راجيه وطالبه، ألا ملاذ ولا وزر، ولا مورد ولا صدر، ولا من الحرب مفر، هنالك ظهرت عواقب الحق منجية، وخواتم الباطل مردية، سنة الله فيما أزاله وأداله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولا عن قضائه تحويلاً، وحدثني الصولي قال: حدثني يحيى ابن البحتري قال: رأيت أبي يذاكر جماعة من شعراء الشام بمعان من الشعر، فمر فيها قلة نوم العاشق وما قيل في ذلك، فأنشدوا إنشادات فيها، فقال لهم أبي: فرغ من هذا كاتب العراق، إبراهيم بن العباس، فقال:

أحسب النوم حكاكا إذ رأى منك جفاكا

مني الصبر ومنك ال هجر فابلغ بي مداكا

كذبت همة عين طمعت في أن تراكا

أي ما حظ لعين أن ترى من قد رآكا؟

ليت حظي منك أن تع لم ما بي من هواكا

ثم قال البحتري: تصرفت هذه الأبيات في معان من الشعر أحسن في جميعها، قال فكتبت عنها أجمعها ومما روي له الصولي.

أولى البرية طرا أن تواسيه عند السرور، الذي واساك في الحزن

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا

من كان يألّفهم في المنزل الخشن

وروي له، وهو في الحماسة:

لا يمينك خفض العيش في دعة

نزوع نفس إلى أهل وأوطان

تلقى بكل بلاد إن حلت بها

أرضاً بأرض وجيراناً بجيران

قال الصولي: حدثني جرير بن أحمد بن أبي دؤاد، قال: كان إبراهيم أصدق الناس لأبي، فعتب على ابنه أبي الوليد في شيء، فقال فيه أحسن قول ذمه فمدح أباه، وما أحسن هذا من جهة جرير:

عفت مساو تبذت منك واضحة

على محاسن نقاها أبوك لكا

لئن تقدمت أبناء الكرام به

فقد تقدم آباء الكرام بكا

وروي لإبراهيم في محمد بن عبد الملك:

إن كان رزقي عليك فارم به

في ما صفا حبه على رصد

لو كنت حراً كما زعمت وقد

كررتني بالمطال لم أعد

لكنني عدت ثم عدت فإن

عدت إلى مثلها إذا فعد

أعتقني سوء ما أتيت من ال

رق فيا بردها على كبدي

فصرت عبداً للسوء فيك وما

أحسن سوء قبلي إلى أحد

وله فيه:

وقائل لا أبداً

إن جد أو إن هزلاً

فهو إذا اضطر إلى

قول نعم قال بلى

تعودوا منه لما ض

من بالاً قول لا

ومما يستحسن من شعر إبراهيم ابن العباس:

إبتداء بالتجني

وقضاء بالتظني

واشتقاء بتجني

لك لأعدائك مني

بأبي قل لي كي أع

لم لم أعرضت عني؟

قد تمنى ذاك أعدا

ئي فقد نالوا التمني

وقال أبو زيد البلخي وذكر إبراهيم بن العباس فقال: كان من أبلغ الناس في الكتابة، حتى صار كلامه مثلاً. كتب كتاب فتح عجبياً أننى على الله وحده ثم قال في خلال ذلك: وقسم الله الفاسق أقساماً ثلاثة، روحاً معجلة إلى نار الله، وجنة منصوبة بفناء معقله وهامة منقولة إلى دار خلافته.

وحدث الجهشيارى عن وهب بن سليمان بن وهب قال: كنت أكتب لإبراهيم بن العباس على ديوان الضياع، وكان رجلاً بليغاً، ولم يكن له في الخراج تقدم، وكان بينه وبين أحمد بن المدبر تباعد، وكان أحمد مقدماً في الكتابة، فقال أحمد بن المدبر للمتوكل: قلدت إبراهيم بن العباس ديوان الضياع وهو متخلف، آية من الآيات لا يحسن قليلاً ولا كثيراً، وطعن عليه طعناً قبيحاً، فقال

المتوكل: في غد أجمع بينكما، واتصل الخبر بإبراهيم فأيقن بحاول المكروه، وعلم أنه لا يفي بأحمد بن المدير في صناعته، وغدا إلى دار السلطان آيساً من نفسه ونعمته، وحضر أحمد فقال له المتوكل: قد حضر إبراهيم وحضرت، ومن أجلكم قعدت، فهات: اذكر ما كنت فيه أمس، فقال أحمد: أي شيء أذكر عنه؟ فإنه لا يعرف أسماء عماله في النواحي، ولا يعلم ما في دساترهم، من تقديراتهم، وكيولهم، وحمل من حمل منهم، ومن لم يحمل، ولا يعرف أسماء النواحي التي تقلدها، وقد اقتطع صاحبه بناحية كذا كذا ألفاً، واختلت ناحية كذا في العمارة، وأطال في ذكر هذه الأمور، فالتفت المتوكل إلى إبراهيم فقال: ما سكوتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، جوابي في بيتي شعر قلتهما! فإن أذن أمير المؤمنين أنشدتهما، فقال هات: فأنشده البيتين المذكورين، رد قولي وصدق الأقوال، فقال المتوكل زه زه أحسنت، إيتوني بمن يعمل في هذا لحناً، وهاتوا ما نأكل، وجيئوا بالنساء، ودعونا من فضول ابن المدير، واخلعوا على إبراهيم بن العباس، فخلع عليه، وانصرف إلى منزله.

قال الحسن فمكث يومه مغموماً، فقلت له: هذا يوم سرور وجذل بما جدد الله لك من الانتصار على خصمك، فقال يا بني: الحق أولى بمثل وأشبه، إني لم أدفع أحمد بحجة ولا كذب في شيء مما ذكر، ولا أنا ممن يعيشه في الخراج، كما أنه لا يعيشني في البلاغة وإنما فلجت برطازة ومخرقة، أفلا أبكي، فضلاً عن أن أغتم من زمان يدفع ذلك كله.

وقال الجهشيارى: رأيت دفترأ بخط إبراهيم بن العباس الصولي فيه شعره، قال في حبس موسى بن عبد الملك، إياه يصف غليظ ما هو فيه من الحبس وثقل الحديد والقيد، ويذكر موسى في شعره، وكان يكنى بأبي الحسن، فكانه بأبي عمران، فقال في قصيدة طويلة:

كم ترى يبقى على ذابندي؟
أنا في أسر وأسباب ردي
وأبو عمران موسى حنق
ليس يشفيه سوى سفك دمي
قد بلي من طول همي وفني
وحديد فادح يكلمني
حاقد يطلبني بالإحن
أو يراني مدرجاً في كفني

وقد كتب أحمد بن مدبر بخطه في ظهر هذا الدفتر:

أبا إسحاق إن تكن الليالي
فلم أر صرف هذا الدهر يجري
عطفن عليك بالخطب الجسيم
بمكروه على غير الكريم

ولإبراهيم بن العباس من التصانيف فيما ذكره محمد ابن إسحاق النديم، كتاب ديوان رسائله، كتاب ديوان شعره، كتاب الدولة كبير، كتاب الطبخ كتاب العطر، ومات إبراهيم بن العباس الصولي في سنة ثلاث وأربعين ومائتين في شعبان وهو يتولى ديوان الضياع والنفقات بسامراً.

إبراهيم بن عبد الله النجيرمي

أبو إسحاق النحوي اللغوي أخذ عنه أبو الحسين المهلبى، وجنادة اللغوي الهروي، وكثير من أهل العلم، وكان مقامه بمصر.

قال أبو سعد السمعاني: النجيرمي نسبة إلى نجيرم، ويقال نجارم، وهي محلة بالبصرة، قال المؤلف: لم يصب السمعاني في قوله، إلا أن يكون طائفة من أهل هذا الموضع أقاموا بموضع من محال البصرة فنسب إليهم، ونجيرم قرية كبيرة على ساحل بحر فارس، بينها وبين سيراف نحو خمسة عشر فرسخاً، رأيتها يسمونها أهلها والتجار نيرم، فيسقطون الجيم تخفيفاً، أو تخلفاً، وليس مثلها يحتمل أن يكون لأهلها محلة بالبصرة، وهم فرس من فرس الحال، أكثر أكلهم النبق والسّمك حدثني بعض أهل مصر عند كوني بها في سنة اثنتي عشرة وستمائة قال: حدثت أن الفضل بن عباس دخل على كافور الأخشيدي فقال له: أدام الله أيام سيدنا الأستاذ، فخفض الأيام، فتبسم كافور إلى أبي إسحاق النجيرمي، فقال أبو إسحاق:

لا غرو أن لحن الداعي لسيدنا
فمثل سيدنا حالت مهابته
فإن يكن خفض الأيام عن دهش
فقد تفاءلت في هذا لسيدنا
و غص من هيبه بالريق واليه
بين البليغ وبين القول بالحصر
من شدة الخوف لا من قلة البصر
والفأل نأثره عن سيد البشر
وأن دولته صو بلا كدر
بأن أيامه خفض بلا نصب

قال: فأمر له بثلاثمائة دينار، ولابن عباس بمثلها، هكذا أخبرني المصري في خبر هذا الشعر، وأنه لأبي إسحاق النجيرمي، ووجدت في أخبار رواها أبو الجوائز الواسطي قال: حدثني أبو الحسين بن أدبن النحوي، وكان شيخاً قد نيف على الثمانين، في

سنة أربعمائة قال: حضرت مع والدي وأنا طفل مجلس كافور الإخشيدي، وهو غاص بأهله، فدخل رجل غريب، فسلم ودعا له، وذكر القصة، ولم يذكر الفضل بن عباس، قال: فقام رجل فأنشد ولم يذكر النجيري، وأنشد الشعر بعينه، وجهل الرجلين.

قرأت في كتاب من إملاء النجيري قال كاتبها: أنشدني أبو إسحاق وهي له:

بدلني الدهر أميراً معوزاً
بسد كان خضماً كوثراً
إذا شمت كفة مؤملاً
شمت منها غمراً مقترأ
بما أشم مسكها والعنبرأ
يا بدلاً كان لقاء أعورا

وأنشدهم أيضاً لنفسه:

وإني فتى ضبر على الأين والوجي
إذا ضربوها ساعة بدمائها
فإنك ضحاك إلى كل صاحب
وأنطق من قس غداة عكاظها
إذا اشتغبت المولى مشاغب مغشم
فعدره فيها آخذاً بكظاظها
إذا اعتصروا للوح ماء فظاظها
وحل عن الكوماء عقد شظاظها

إبراهيم بن عبد الله الغزال اللغوي

لا أعرف من حاله شيئاً، إلا أن السلفي قال: أنشدني أبو القاسم الحسن بن الفتح بن حمزة بن الفتح الهمداني قال: أنشدني إبراهيم بن عبد الله الغزال اللغوي لنفسه، وكان يتبخخ بهما:

والبرق في الديجور أهطل مزنة
أبدت نباتاً أرضها كالزرنب
فوجدت بحراً فيه نار فوقه
غيم يرى فيه بليلاً غيهب

إبراهيم بن عبد الرحيم العروضي

حكى عنه أبو العباس أحمد بن محمد النامي في كتاب القوافي فهو من طبقة ابن درستويه وعلي بن سليمان الأخفش.

إبراهيم بن عثمان أبو القاسم بن الوزان

القيرواني النحوي كان فقيهاً على مذهب العراقي وإماماً في النحو واللغة والعربية والعروض غير مدافع مع قلة ادعاء وخفض جناح، وكان عبد الله بن محمد المكفوف يقر له بالفضل، وانتهى من العلم إلى ما لعله لم يبلغه أحد قبله وأما في زمانه فلا يشك فيه، مات سنة ست وأربعين وثلاثمائة وكان يحفظ كتاب العين للخليل ابن أحمد، وغريب المصنف لأبي عبيد، وإصلاح المنطق لابن السكيت، وغيرها من كتب اللغة وحفظ قبل ذلك كتاب سيبويه، ثم كتب الفراء، وكان يميل إلى مذهب البصريين مع إتقانه معرفة مذاهب الكوفيين، وقال: ولو قال قائل إنه كان أعلم من المبرد وتعلب لصدقه من وقف على علمه ونفاذه، وكان مع ذلك مقصراً في صناعة الشعر وله تصانيف كثيرة في النحو واللغة

إبراهيم بن علي أبو إسحاق الفارسي

النحوي، من تلاميذ أبي علي الفارسي، وله كتاب شرح الجرمي معروف متداول بأيدي الناس، ذكره الثعالبي في البخاريين، وقال هو من الأعيان في علم اللغة والنحو، ورد بخارى في أيام السامانية، فأجل وبجل، ودرس عليه أبناء الرؤساء والكتاب بها، وأخذوا عنه، وولي التصفح في ديوان الرسائل، ولم يزل يليه إلى أن استأثر الله به، وله شعر لم يقع إلي منه إلا قوله في بعض الرؤساء بالحضرة يستهدي منه جبة خز بيضاء غير لبس من قصيدة:

وأعن على برد الشتاء بجبة
تذر الشتاء مقيداً مسجوناً
سوسية بيضاء يترك لونها
ألوان حسادي شواحب جونا
عذراء لم تلبس فكفك في العلا
تأني عذارها وتأني العونا
تسبي ببهجتها عيوناً لم تزل
تسبي قلوباً في الهوى وعيونا

مثل القلوب من العداة حرارة

مثل الخدود من الكواعب لينا

قال أبو حيان في كتاب الوزيرين وقد ذكر ابن العميد فقال: وقد اجتاز به أبو إسحاق الفارسي، وكان من غلمان أبي سعيد السيرافي، وكان قيمياً بالكتاب وفريض الشعر، وصنف وأملى، وشرح وتكلم في العروض والقوافي، والمعاني، وناقض المتنبي، وحفظ العلم والرم فما زوده درهماً، ولا تفقده برغيف بعد أن أذن له، حتى حضره وسمع كلامه، وعرف فضله، واستبان سعيه.

إبراهيم بن عقيل بن جيش بن محمد

ابن سعيد أبو إسحاق القرشي، المعروف بابن المكبري النحوي الدمشقي، مات فيما ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق في سنة أربع وسبعين وأربعمائة، ودفن بالباب الصغير.

وذكر أنه حدث عن أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الشرايبي النحوي، وروى عنه أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب وأبو محمد بن الأكفاني.

قال الخطيب وكان صدوقاً قال ابن عساكر وفي قوله نظر: قال وذكره الخطيب في كتابه الذي سماه تلخيص المتشابه، قيده كما كتبناه في أول الترجمة، قال ابن عساكر: وكان أبو إسحاق يذكر أن عنده تعلية أبي الأسود الدؤلي، التي ألهاها إليه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكان كثيراً ما يعد بها أصحابه، ولا سيما أصحاب الحديث، ولا يفي، إلى أن كتبها عنه بعض تلاميذه الذين يقرعون عليه، وإذا به قد ركب عليها إسناداً لا حقيقة له، اعتبر فوجد موضوعاً، مركباً بعض رجاله أقدم ممن روى عنه، ولم يكن الخطيب علم بذلك ولا وقف عليه، فلذلك وثقه، قال: وهذه التعليقة فهي في أمالي أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي، نحواً من عشرة أسطر، فجعلها هذا الشيخ إبراهيم قريباً من عشرة أوراق، وله كتاب في النحو، رأيت قدر اللمع، وقد أجاز فيه.

إبراهيم بن الفضل الهاشمي اللغوي

قال الحاكم في تاريخ نيسابور: أبو إسحاق الأديب اللغوي، أقام بنيسابور سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، وسمعت يذكّر جماعة من أبي محمد بن صاعد وأقرانه، وسمعت يقول: سمعت أبا بكر بن دريد ينشد لنفسه:

ودعته حين لا تودعه
ثم افترقنا وفي القلوب له
نفسى ولكنها تسير معه
ضيق مكان وفي الدموع سعه

إبراهيم بن قطن المهري القيرواني

أخو أبي الوليد عبد الملك المذكور في بابه، ذكره الزبيدي في كتابه وقال: قرأ إبراهيم النحو قبل أخيه أبي الوليد، وكان سبب طلب أبي الوليد النحو أن أخاه إبراهيم رآه يوماً وقد مد يده إلى بعض كتبه يقلبها، فأخذ أبو الوليد كتاباً منها ينظر فيه فجذبه من يده وقال له: مالك ولهذا؟ وأسمعه كلاماً، فغضب أبو الوليد لما قابله به أخوه، وأخذ في طلب العلم حتى علا عليه، وعلى أهل زمانه كلهم، واشتهر ذكره، وسما قدره، فليس أحد يجهل أمره، ولا يعرف إبراهيم إلا القليل من الناس، وكان إبراهيم يرى رأي الخوارج الإباضية:

إبراهيم بن ماهويه الفارسي

رجل أديب، لا أعرف من حاله إلا ما ذكره المسعودي، فقال: له كتاب عارض فيه المبرد في كتابه الملقب بالكامل.

إبراهيم بن محمد بن أبي حصن

الحارث بن أسماء، بن خارجة، بن حصن، بن حذيفة، بن بدر، الفزاري أبو إسحاق، كوفي الأصل نزل ثغر المصبيصة حتى مات به، في عدة روايات ذكرها ابن عساكر في تاريخ دمشق، أصحها أنه مات سنة ثمان وثمانين، وقد روي أنه مات سنة ست، وقيل سنة خمس وثمانين، وكان خيراً، فاضلاً، ورعاً، صاحب سنة، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وله فضائل جمّة،

يذكر منها في هذا الكتاب ما انتخبناه من كتاب دمشق، وكان أبو إسحاق مع ما اشتهر من فضله كثير الغلط، وله كتاب السيرة في الأخبار والأحداث، رواه عنه أبو عمرو معوية بن عمرو الرومي، وتوفي أبو عمرو هذا ببغداد، سنة خمس عشرة وثلاثمائة. قال ابن عساكر: أبو إسحاق أحد أئمة المسلمين، وأعلام الدين، روى عن الأعمش، وسليمان البتي، وأبي إسحاق سليمان بن فيروز الشيباني، وعبد الملك بن عمير وعطاء بن السائب، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وموسى ابن عقبة، وهشام بن عروة، وحמיד الطويل، وسفيان الثوري، وذكر خلقاً كثيراً، وروى عنه سفيان الثوري وأبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وهما أكبر منه، وذكر خلقاً روى عنه، وحدث فيما رفعه إلى رباح ابن الفرغ الدمشقي قال: سمعت أبا مسهر يقول: قدم علينا إبراهيم بن الفزاري، فاجتمع الناس يسمعون منه، فقال لي: أخرج إلى الناس فقل لهم: من يرى رأي القدرية فلا يحضر مجلسنا، ومن كان يأتي السلطان فلا يحضر مجلسنا، قال: فخرجت فأخبرت الناس، قال. وقال عبد الرحمن النسائي: أبو إسحاق الفزاري ثقة مأمون، أحد الأئمة، وكان يكون بالشام، روى عنه ابن المبارك، وحدث الأوزاعي بحديث، فقال رجل، من حدثك يا أبا عمرو؟ فقال: حدثني الصادق المصدق أبو إسحاق إبراهيم الفزاري، وحدث فيما رفعه إلى أبي صالح محبوب بن موسى الفراء، قال: سألت ابن عيينة قلت: حديث سمعت أبا إسحاق رواه عنك، أحببت أن أسمعه منك، فغضب علي فاتهرين، وقال: لا يقنعك أن تسمعه من أبي إسحاق، والله ما رأيت أحداً أقدمه على أبي إسحاق، وقال أبو صالح أيضاً: ولقيت الفضل بن عياض فعزاني بأبي إسحاق، وقال لي: والله لربما اشتقت إلى المصيصة مالي فضل الرباط إلا لأرى أبا إسحاق.

حدث فيما رفعه إلى أبي مسلم صالح بن أحمد العجلي عن أبيه قال: أبو إسحاق الفزاري كوفي، إسمه إبراهيم بن محمد، نزل الثغر بالمصيصة، وكان ثقة، رجلاً صالحاً، صاحب سنة، وهو الذي أدب أهل الثغر، وعلمهم السنة، وكان يأمر وينهى، وإذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه، وكان كثير الحديث، وكان له فقه، أمر سلطاناً يوماً ونهاه فضربه مائتي سوط، وتكلم فيه، وسئل عنه يحيى بن معين فقال: ثقة ثقة قال أبو صالح الحسين بن محمد بن موسى الفراء: سمعت علي بن بكار يقول: لقيت الرجال الذين لقيهم أبو إسحاق بن عون وغيرهم، والله ما رأيت فيهم أفقه منه. قال أبو صالح: قال عطاء الخفاف: كنت عند الأوزاعي فأراد أن يكتب إلى أبي إسحاق، فقال للكاتب: اكتب إليه: وابدأ به، فإنه والله خير مني.

قال: وكنت عند الثوري، فأراد أن يكتب إلى أبي إسحاق، فقال للكاتب: اكتب إليه فابدأ به، فإنه والله خير مني.

وحدث فيما رفعه إلى إسماعيل بن إبراهيم، قال: أخذ الرشيد زنديقاً فأمر بضرب عنقه، فقال له الزنديق: لم تضرب عني يا أمير المؤمنين؟ قال: أريج الناس منك، قال: فأين أنت عن ألف حديث وضعتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما فيها حرف نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري، وعبد الله بن المبارك؟ يخلانها نخلًا، فيخرجانها حرفاً حرفاً؟ وحدث فيما رفعه إلى عبد الرحمن بن مهدي قال، كان الأوزاعي والفزاري إمامين في السنة، إذا رأيت الشامي يذكر الأوزاعي والفزاري فاطمئن إليه، كان هؤلاء الأئمة في السنة، وحدث أبو علي الروزباري: كان أربعة زمانهم واحد، كان أحدهم لا يقبل من السلطان ولا من الإخوان، يوسف بن أسباط، ورث سبعين ألف درهم لم يأخذ منها شيئاً، وكان يعمل الخوص بيده، وآخر كان يقبل من الإخوان والسلطان جميعاً، أبو إسحاق الفزاري، فكان ما يأخذه من الإخوان ينفقه في المستورين الذين لا يتحركون والذي يأخذه من السلطان ينفقه في أهل طرسوس، والثالث كان يأخذ من الإخوان ولا يأخذ من السلطان، وهو عبد الله بن المبارك، يأخذ من الإخوان ويكافيء عليه، والرابع كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الإخوان، وهو مخلص بن الحسين، كان يقول: السلطان لا يمن والإخوان يمنون.

وحدث ابن عساكر فيما رفعه إلى الأصمعي قال: كنت جالساً بين يدي هارون الرشيد، أنشده شعراً وأبو يوسف القاضي جالس على يساره، فدخل الفضل بن الربيع فقال: بالباب أبو إسحاق الفزاري، فقال: أدخله، فلما دخل قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال له الرشيد: لا سلم الله عليك، ولا قرب دارك، ولا حيا مزارك، قال لم يا أمير المؤمنين؟ قال: أنت الذي تحرم السواد فقال يا أمير المؤمنين من أخبرك بهذا؟ لعل هذا أخبرك، وأشار إلى أبي يوسف، وذكر كلمة: والله يا أمير المؤمنين، لقد خرج إبراهيم على جدك المنصور، فخرج أخى معه وعزمت على الغزو فأتيت أبا حنيفة فذكرت له ذلك، فقال لي: مخرج أخيك أحب إلي مما عزمت عليه من الغزو، والله ما حرمت السواد. فقال الرشيد: فسلم الله عليك وقرب دارك، وحيا مزارك، اجلس أبا إسحاق، يا مسرور ثلاثة آلاف دينار لأبي إسحاق، فأتى بها، فوضعت في يده وانصرف بها، فلقه ابن المبارك فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من عند أمير المؤمنين، وقد أعطاني هذه الدنانير، وأنا عنها غني، قال فإن كان في نفسك منها شيء فتصدق بها، فما خرج من سوق الرافقة حتى تصدق بها كلها.

وفضائل أبي إسحاق كثيرة، اختصرت منها حسب ما شرطت من الإيجاز من تاريخ دمشق لابن عساكر.

إبراهيم بن محمد سعدان بن المبارك

النحوي، أحد من كتب وصح ونظر وحقق، وروى وصدق، وقد صنف كتباً حسنة، منها كتاب الخيل لطيف، كتاب حروف القرآن، وأبوه محمد بن سعدان المكفوف أحد أعيان أهل العلم من القراء، وله باب يذكر فيه.

إبراهيم بن القاسم الكاتب

يعرف بالرقيق القيرواني، والرقيق لقب له، رجل فاضل، له تصانيف كثيرة في علم الأخبار، ومنها كتاب تاريخ إفريقية والمغرب، عدة مجلدات، وكتاب النساء كبير، وكتاب الراح والارتياح كتاب نظم السلوك في مسامرة الملوك أربع مجلدات، وذكره ابن رشيقي فقال: هو شاعر سهل الكلام محكمه لطيف الطبع قويه، تلوح الكتابة على ألفاظه، قليل صنعة الشعر، غلب عليه اسم الكتابة وعلم التاريخ وتأليف الأخبار، وهو بذلك أحذق الناس، وكاتب الحضرة منذ نيف وعشرين سنة إلى الآن، ومن شعره جواباً عن أبيات كتبها إليه عمار بن جميل، وقد انقطع عن مجالس الشراب:

قريض كابتسام الرو	ض جمشه نسيم صبا
كعقد من جمان الط	ل منظوم وما ثقبأ
ومنتور كنثر الد	رّ من أسلاكه انسربا
فأهدى نشر زهرته	فتيت المسك منتها
إذا أثماره جنيت	جنيت العلم والأدبا
بهزل حين ينشده	كأنك منتش طربا
حباك به أخ يرعى	من العهد الذي وجبا
صديق مثل صفو الما	ء بالصهباء قد قطبا
كنزت مودة منه	كفت أن أكنز الذهبا
إذا عد امرؤ حسباً	فحسبي ذكره نسباً
ألد من الحياة لد	ي لكن قلبه قلبا
فهان عليه ما ألقى	وظن تجلدي لعبا
جفوت الراح عن سبب	وكان لجفوتي سببا
فصرت لوحدي كلاً	على الإخوان مجتنباً
وذاك لتوبة أمل	ت أن أقضي بها أرباً
فها أنا نائب منها	فزرنى تبصر العجبا

وكان قدم مصر في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة بهدية من نصير الدولة باديس بن زيري إلى الحاكم، فقال قصيدة يذكر فيها المناهل، ثم قال:

إذا ما ابن شهر قد لبسنا شبابه	بدا آخر من جانب الأفق يطلع
إلى أن أقرت جيزة النيل أعياناً	كما قر عيناً طاعن حين يرجع
يقول فيها بعد مدح كثير ووصف جميل:	
هدية مأمون السريرة ناصح	أمين إذا خان الأمين المضيع
وما مثل باديس ظهير خلافة	إذا اختير يوماً للظهير موضع
نصير لها من دولة حاتمية	إذا ناب خطب أو تفاقم مطعم
حسام أمير المؤمنين وسهمه	وسم زعاف في أعاديه منقع
قال: ومن مليح كلامه قوله من قصيدة:	
إذا ارجحت بما تحوي مآزرها	وخف من فوقها خصر ومنتطق
ثنى الصبا غصناً قد غازلته صبا	على كتيب له من ديمة لثق
للشمس ما سترت عنا معاجر ها	وللغزال احورار العين والعنق

مظلومة أن يقال البدر يشبهها
يجلل المتن وحف من ذوائبها
كأنها روضة زهراء حالية

قال ومن أعجب ما سمعت له قوله من قصيدة يمدح محمد بن أبي العرب:

أظالمة العينين يخلطها سحر
أعوذ ببرد من ثناياك قد ثنى
لقد ضمننت أن ضمانتي
وما أم ساجي الطرف خفاقة الحشا
إذا ما رعاها نصت الجيد نحوه
بأملح منها ناظراً ومقلداً

يقول في مديحها:

تصباه أبكار العلا ليس أنها
يخال بأن العرض غير موفر
يقول فيها يصف بلاغته وكتابته:

يوشح ديباج البلاغة أحرفا
ويفصح لفظاً خطها من فصاحة
يصيب عيون المشكلات بديهة

ثم ذكر الممدوح فقال:

وملمومة شهباء يسعى أمامها
يزجي بنات الأعوجية شزباً
أسود وغى تحت العجاجة غابها
صبحت بها دهماء قوم أرتهم

قال: ومثل هذه القصيدة في الجودة قصيدة طويلة يتشوق فيها إخوانه بمصر وهي:

هل الريح إن سارت مشرقة تسري
فما خرطت إلا بكيت صباية
تراني إذا هبت قبولاً بنشرهم
وما أنس من شيء خلا العهد دونه
ليال أنساها على غرة الصبا
لعمري لئن كانت قصاراً أعددها
أخادع دهري أن يعود بفرصة
وترجع أيام خلت بمعاهد
فكم لي بالأهرام أو دير نهية
إلى الجيزة الدنيا وما قد تضمنت
وبالمقس فالبستان للعين منظر
وفي سردوس مستراد وملعب
وكم بين بستان الأمير وقصره
تراها كمرأة بدت في رفارف
وكم بت في دير القصير مواصلاً
تبادرني بالراح بكر غريرة

البدر يكسف أحياناً وينمحق
جبينها تحت داجي ليلة فلق
بنورها يرتعي في حسنها الحدق

العرب:

وإظلم الخدان واهتضم الخصر
إليك قلوباً حشو اثنائها جمر
ستبري عظامي بالنحول ولا تبرو
أطاع لها الحوذان والسلم النضر
أغن قصير الخطو في لحظه فتر
ولكن عداني عن تقصصها الهجر

منعمة هيفاء أو غادة بكر
عن الذم إلا أن يدال له الوفر

يكاد يرى روضاً يوشحه الزهر
ويشرق من تحبير ألفاظها الحبر
وتبدى له أعقاب ما غيب الفكر

شهاب عظيم من طلائعه الذعر
عليها بنو الهيجا دروهم الصبر
سرجية بيض وخطية سمر
وجوه الردي حمراً خوافقها الصفر

تؤدي تحياتي إلى ساكني مصر؟
وحملتها ما ضاق عن حمله صدري
شممت نسيم المسك في ذلك النشر
فليس بخال من ضميري ولا فكري
فطابت لنا إذ وافقت غرة الدهر
فلست بمعند سواها من العمر
فيفقد روح الوصل من راحة الهجر
من اللهو لا تنفك مني على ذكر
مصيد غزلان المكابد والقفر؟
جزيرتها ذات المواخير والجسر
أنيق إلى شاطئ الخليج إلى القصر
إلى دير مرحنا إلى ساحل البحر
إلى البركة الزهراء من زهر نضر؟
من السندس الموشى ينشر للتجر
نهارى بليلي لا أفيق من السكر
إذا هتف الناقوس في غرة الفجر

مسيحية خوطية كلما انثنت
وكم ليلة لي بالقرافة خلتها
سقى الله صوب القصر تلك مغانياً

تشكت أذى الزنار من دقة الخصر
لما نلت من لذاتها ليلة القدر
وإن غنيت بالنيل من سبل القطر

وله أيضاً في الغزل:

رئم إذا ما معارض المنى خطرت
يا إخوتي أأقحي فيه أقبل لي؟
أم حس ذاك التراخي في تكلمه
أم سخطه أم رضاه أم تجنبه؟؟
نفسى فداؤك مالي عنك مصطبر

أجله المتمنى عن أمانيه
أم خطر أعين من مسك على فيه؟
أم حسن ذاك التهادي في تنبيهه؟؟
أم عطفه أم نواه أم تدانيه؟؟
يا قاتلي كل معنى من معانيه

وقال يرثي:

أهون ما ألقى وليس بهين
وإني وإن لم ألقك اليوم رائحاً
فلا يبعدنك الله ميتاً بقفرة
تردى نجيعاً حين بزت ثيابه
مضاء سنان في سنان مذلق

بأن المنايا للفوس بمرصد
لصرف رزاياها لقيتك في غد
معفر خد في الثرى لم يوسد
كأن على أعطافه فضل مجسد
وفتك حسام في حسام مهند

إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر

أبو إسحاق الكاتب الأديب الفاضل، الشاعر الجواد المترسل، صاحب النظم الرائق، والنثر الفائق، تولى الولايات الجليلة، ثم وزر للمعتمد على الله، لما خرج من سر من رأى بريد مصر، ومات في سنة تسع وسبعين ومائتين وهو يتقلد للمعتضد ديوان الضياع ببغداد.

وأصلهم من ستمسيان، وكان يدعي أنه من ضبة، وأخوه أحمد من جلة الكتاب وأفاضلهم وكرامهم، وحسدته الكتاب على منزلته من السلطان، فأغروه به، حتى أخرجه إلى دمشق متولياً عليها، وناظراً في تحصيل أموالها، وقبله ابن طولون في أمر قد ذكرته في كتابي التاريخ.

وإبراهيم بن المدبر هو القائل في إبراهيم بن العباس الصولي يهجو:

عز الطويل عن الأزمة
إن كان طال فإنه
هب كنت صولاً نفسه
لا رده ربي بذمه
من أقصر الثقلين همه
من كان صول ناك أمه

ومن شعره أيضاً:

يا كاشف الكرب بعد شدته
لا تبل قلبي بشحط بينهم
ومنزل الغيث بعد ما قنطوا
فالموت دان إذا هم شحطوا

من كتاب نظم الجمان للمنزري، قال العطوي الشاعر: أتيت إبراهيم بن المدبر، فاستأذنت عليه، فلم يأذن لي حاجبه، فأخذت ورقة وكتبت فيها:

أتيتك مشتاقاً فلم أرَ جالساً
كأنني غريم مقتض أو كأنني
ولا ناظراً إلا بوجه قطوب
نهوض حبيب أو حضور رقيب

فسألت الحاجب حتى أوصلها إليه، فلما قرأها قال: ويحك، أدخل علي هذا الرجل، فدخلت فأكرمني، وقضى حوائجي. قال أبو علي: سمعت أبا محمد المهلبى يتحدث وهو وزير في مجلس أنس، أن رجلاً كان ينادم بعض الكتاب الظراف، وأحسبه قال: ابن المدبر قال: كنت عنده ذات يوم، فرجع غلام له أنفذه في شيء لا أدري ما هو، فقال له رب الدار ما صنعت؟ فقال ذهبته ولم

يكن، فقام يجيء، فجاء، فلم يجيء، فجئت، قال فتبينت في رب الدار تغيراً وهماً، ولم يقل للغلام شيئاً، فعجبت من ذلك، ثم أخذ بيدي وقال: قد ضيق صدري ما جاء به هذا الغلام، فقم حتى تدور في البستان الذي في دارنا ونتفرج، فلعله يخف ما بي، فقلت: والله لقد توهمت أن صدرك قد ضاق بانقلاب كلام الغلام عليك، وقد فهمته وهو ظريف، فقال: إن هذا الغلام من أحصف وأظرف غلام يكون، وذاك أنني ممتحن بعشق غلام أمرد وهو ابن نجاد في جيراننا، والغلام يساعدي عليه، وأبوه يغار عليه، ويمنعه مني، فوجهت هذا الغلام، وقلت: إن لم يك أبوه هناك، فقل له يصير إلينا، فرجع، فلما رأيته عندي، قدر أنني لم أطلعك على الأمر فرد هذا الجواب الظريف الذي سمعته، فقلت: أعده علي أنت لأفهمه، فقال: إنه يقول: ذهبت إلى الغلام، ولم يكن أبوه هناك، فقام الغلام يجيء، فجاء أبوه، فلم يجيء الغلام فجئت أنا، فقلت له: هذا الغلام يجب أن يكون أخاً وصديقاً لا غلاماً، وقال مخلد بن علي الشامي الحوراني يهجو ابن المدبر:

على أبوابه من كل وجه
قصدت له أخو مر بن أد
يعني ضبة بن أد، يعني أبوابه مضربة باللوم أو محكمة عن الخير وكان ابن المدبر ينسب إلى ضبة:
أخو لخم أعارك منه ثوباً
هنيئاً بالقميص لك الأجد
وأخو لخم يريد جذاماً.

أبوك أراد أمك حين زفت
فلم توجد لأمك بنت سعد
بنت سعد يريد عذرة بن سعد بن هذيم القبيلة المعروفة.
وزيد في الهجاء بغير ذال
أحب إليك من غسل بزبد
رأيتك لا تحب الود إلا
إذا ما كان من عصب وجلد
أراني الله عرك في الجعبي
وعينك عين بشار بن برد
العرب: الجرب. والجعبي: الأست. وعين بشار: يعني أعمى لأن بشار بن برد كان أعمى.

إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال

ابن عاصم، بن سعد، بن مسعود، بعمر، بن عمير، ابن عوف، بن عقدة، بن غبرة، بن عوف، بن ثقيف، الثقفي، أصله كوفي، وسعد بن مسعود، هو أخو عبيد بن مسعود، صاحب يوم الجسر، في أيام عمر بن الخطاب مع الفرس، وسعد هو عم المختار بن أبي عبيد الثقفي، وولاه علي كرم الله وجهه المدائن، وهو الذي لجأ إليه الحسن يوم ساباط، وكنية إبراهيم أبو إسحاق، وكان جباراً من مشهوري الإمامية، ذكره أبو جعفر محمد بن الحسين الطوسي في مصنف الإمامية، وذكر أنه مات في سنة ثلاث وثمانين ومائتين قال وانتقل من الكوفة إلى أصفهان، وأقام بها، وكان زدياً أولاً، وانتقل إلى القول بالإمامية.

وله مصنفات كثيرة، منها: كتاب المغازي، كتاب السقيفة، كتاب الردة، كتاب مقتل عثمان، كتاب الشورى، كتاببيعة أمير المؤمنين، كتاب الجمل، كتاب صفين، كتاب الحكمين، كتاب النهر، كتاب الغارات، كتاب مقتل أمير المؤمنين، كتاب رسائل أمير المؤمنين وأخباره وحروبه، غير ما تقدم، كتاب قيام الحسن بن علي رضي الله عنهما، كتاب مقتل الحسين، كتاب التوابين وعين الورد، كتاب أخبار المختار، كتاب فذك: كتاب الحجة في فعل المكرمين، كتاب السرائر، كتاب المودة في ذوي القربى، كتاب المعرفة، كتاب الحوض والشفاعة، كتاب الجامع الكبير في الفقه، كتاب الجامع الصغير، كتاب ما نزل من القرآن في أمير المؤمنين، كتاب فضل الكوفة، ومن نزلها من الصحابة، كتاب الإمامة كبير، كتاب الإمامة صغير، كتاب المتعنين، كتاب الجنائز، كتاب الوصية، كتاب المبتدأ كتاب أخبار عمر، كتاب أخبار عثمان، كتاب الدار، كتاب الأحداث، كتاب الحرورية، كتاب الاستيفاء والغارات، كتاب السير، كتاب يزيد، كتاب ابن الزبير، كتاب التعبير، كتاب التاريخ، كتاب الرؤيا، كتاب الأشربة الكبير والصغير، كتاب محمد وإبراهيم، كتاب من قتل من آل محمد، كتاب الخطب.

إبراهيم بن محمد بن أحمد بن أبي عون

ابن هلال أبي النجم الكاتب أبو إسحاق، صاحب كتاب التشبهات لابن أبي عون، وكان من أصحاب أبي جعفر محمد بن علي الشلمغاني، المعروف بابن أبي العزاق، وأحد ثقاته، وممن كان يغلو في أمره، ويدعي أنه إلهه، تعالى الله عن ذلك، وكان ابن أبي العزاق من أهل قرية من قرى واسط، تعرف بشلمغان، وكان كاتباً ببغداد.

ذكر ثابت أن المحسن بن الفرات، كان له عناية به، فاستخلفه ببغداد لجماعة من العمال بنواحي السلطان، وكانت صورته صورة الحلاج، وكان له قوم يدعون أنه إلههم، وأن روح الله عز وجل حل في آدم، ثم في شيث، ثم في واحد واحد من الأنبياء

والأوصياء، والأئمة، حتى حل في الحسن بن علي العسكري، وأنه حل فيه، ووضع كتاباً سماه الحاسة السادسة، وأباح الزنا والفجور، فظفر به الراضي بالله، فقتله في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وكان قد استغوى جماعة، منهم: ابن أبي عون صاحب كتاب التشبيهات، وكانوا يبيحونه حرمهم، وأموالهم يتحكم فيها، وكان يتعاطى الكمياء وله كتب معروفة ولما أخذ ابن أبي العزاقر، أخذ معه، فلما قتل ابن أبي العزاقر، عرض على إبراهيم بن أبي عون أن يشتبه، أو يبصق عليه، فأبى وأرعد وأظهر خوفاً من ذلك للحين، والشقاء، فقتل، وألحق بصاحبه، وكان من أهل الأدب، وتأليف الكتب، وكان ناقص العقل متهوراً.

قال ثابت: قيل إن أبا جعفر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر ادعى الربوبية فقتل هو وإبراهيم ابن محمد بن أحمد بن أبي النجم، المعروف بابن أبي عون صاحبه، ضرباً بالسوط، ثم ضربت أعناقهما وصلبا، ثم أحرقت جثتهما، وذلك يوم الثلاثاء، لليلة خلت من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، نقلته من خطه، وله من التصانيف كتاب النواحي والبلدان، كتاب الجوابات المسكتة، وكتاب التشبيهات، كتاب بيت مال السرور، كتاب الدواوين. كتاب الرسائل.

قال المرزباني: أبو عون أحمد بن أبي النجم الكاتب الأنباري، مولى لبني سليم، وأبو عون وعماه صالح وماجد ابنا أبي النجم شعراء كلهم، وماجد يكنى أبا الدميل، وأبو عون هو القائل في حاتم بن الفرج وكان أبو شبيل البرجمي الشاعر في قدمته سر من رأى نزل عليه، وكان أبو شبيل أهتم، فقال فيه أبو عون:

لحاتم في بخله فطنة	أدق حساً من خطى النمل
قد جعل الهتمان ضيفانه	فصار في أمن من الأكل
ليس على خبز امرئ ضيعة	أكله عصم أبو شبيل
كم قدر ما كله كفه	إلى فم من سنه عطل؟
فحاتم الجود أخو طيء	كان وهذا حاتم البخل

وذكر أبو محمد عبد الله بن أحمد الفرغاني، وكان ابن أبي عون أحد القواد، ممن قربه إليه أبو الهيثم العباس بن محمد بن ثوبة، وأكسبه مالا، فلما قبض على أبي الهيثم صار ابن أبي عون عوناً عليه مع أعدائه، وكان فيمن وكله بدار أبي الهيثم، ولم يحسن إليه أبو الهيثم إلا على بصيرة فيه بظلمه وفسقه، فسلطه الله عليه، كما كان هو يسلطه على الناس، قال ابن أبي عون: أظن أن أبا الهيثم كان يهودياً، قيل: وكيف ذلك؟ قال لأنني أخذت غلاماً له ففسقت به في دبره وسكرت، وطلبت أم ولده لأفجر بها، ولم أقدر عليها، ولو كان أبو الهيثم مسلماً لغضب الله له، وهذا قول متمرد على الله، مستغر بامهال الله تعالى له، ولم يهمله الله عز وجل، ثم أخذه بسوء عمله، وكان ممن آمن بالحلاج وآمن بربوبيته، وأخذ مع من أخذ من أصحاب الحلاج، وقتل شر قتلة، كذا قال الحلاج، إنما هو ابن أبي العزاقر، وإن كانت عليهما واحدة.

وقرأت بمرور رسالة كتبت من بغداد عن أمير المؤمنين الراضي رضي الله عنه إلى أبي الحسين نصر بن أحمد الساماني والي خراسان بقتل العزاقري، لخصت ما يتعلق بابن أبي عون، قال فيها بعد أن ذكر أول من أبدع مذهباً في الإسلام من الرفضية وأهل الأهواء، وآخر من اضطّر المقتدر بالله رحمه الله فانتقم منهم من المعروف بالحلاج، وخبره أرفع وأشهر من أن يوصف ويذكر، وأراق دمه وأزال تمويهه وحسمه. ولما ورث أمير المؤمنين ميراث أوليائه، وأحلّه الله محل خلفائه، اقتدى بسنتهم، وجرى على شاكلتهم، في كل أمر قاد إلى مصلحة، ودفع ضرر، وعاد إلى الإسلام وأهله بمنفعة، وجعل الغرض الذي يرجو الإصابتة بتيممه، والمثوبة بتعمده، أن يتتبع هذه الطبقة من الكفار، ويظهر الأرض من بقيتهم، الفجار، فبحث عن أخبارهم، وأمر بتقصص آثارهم، وأن ينهي إليه ما يصح من أمورهم، ويحصل له ما يظهر عليه من جمهورهم، فلم يعد أن أحضر أبو علي محمد وزير أمير المؤمنين رجلاً، يقال له محمد بن علي الشلمغاني، ويعرف بابن أبي العزاقر، فأعلم أمير المؤمنين أنه من غمار الناس وصغارهم، ووجوه الكفار وكبارهم، وأنه قد استزل خلقاً من المسلمين، وأشرك طوائف من العمهين، وأن الطلب قد كان لحقه في الأيام الخالية فلم يدرك، وأودعت المحابس قوماً ممن ضل وأشرك، فلما رفع حكمه عنه، وأذن في استنقاذ العباد منه، واطلع من أبي عليّ على صفاء نية، ونقاء طوية، في ابتغاء الأجر، وطلابه رضا الله عز وجل واكتسابه، والامتناع من أن ينازع في الإلهية، أو يضاهي في الربوبية، آنسه بناحيته فاسترسل، وحثه بالمصير إلى حضرته، فتعجل، ففحص أمير المؤمنين عنه، ووكل إليه همه ففتش أمره تفتيش الحائط للمملكة، المحامي عن الحوزة، القائم بما فوضه الله إليه من رعاية الأمة، ووقف أمير المؤمنين على أنه لم يزل يدخل على العقول من كل مدخل، ويتوصل إلى ما فيها من كل متصل، ويعتزى إلى الملة وهو لا يعتقددها، وينتمي إلى الخلّة وهو عار منها، ويدعي العلوم الإلهية وهو عم عنها، ويحقق استخراج الحكم الغامضة وهو جاهل بها، ويتسم بالقدرة على المعجزات، وهو عاجز عن ممكن الأشياء ومتهينها، وينحل الثقة في دين آل محمد، وهو يضمّر التبرؤ منها، ويشنؤه ويسبه صلى الله عليه وسلم ويعظمه، يرمق ظاهره العيون، فيصرف عنه الظنون، إلى

أن دلته الحيلة والمكر والغيلة، على قوم من ذوي الجدة واليسار والثروة والاحتكار، قد أترفهم النعيم فبطروا، وألهاهم فأشروا، ولججهم في بحار اللذة وتولجوها على كل علة، والتسموا في ذلك رخصة يجعلونها لأنفسهم عمدة وعصمة، وآخرين لا جدّة عندهم ولا سعة، قد قويت شهواتهم، وضعفت حالاتهم، فهم يطلبون أقواتهم بالحق والباطل، ويخوضون في مثلها مع الجاد والهازل، فأباحهم المحظورات، وأحل لهم المحرمات، وامتطى لهم مركب الغرور، وتهور بهم غايات الأمور، ولم يدع فناً من الفنون، ولا نوعاً من الأنواع المخزية إلا فسخ لهم فيه، وشخذ عزائمهم عليه، حتى دان له واتبعه وأطاعه وشايعه خلق رين على قلوبهم، فهم لا يفقهون، وضرب على آذانهم، فهم لا يسمعون، وغطى على أعينهم، فهم لا يبصرون، وحيل بينهم وبين الرشد، فهم لا يراعون وأنسوا التدبر والتفكر في خلق أنفسهم، والسماء التي تظللهم، والأرض التي تقلهم فأصفقوا بأجمعهم على أنه خالقهم، وربهم ورازقهم، ومحبيهم، يحل فيما شاء من الصور، ويحدث ما شاء من الغير، ويفعل ما يريد، ولا يعجزه قريب ولا بعيد، وادعوا له الدعاوى الباطلة، وزعموا أنهم عاينوا منه الآيات المعضلة، واستظهر أمير المؤمنين، بأن تقدم إلى أبي علي بموافقة هذا اللعين على تمويهاته، وقبائح تلبيساته، ليكون إقامة أمير المؤمنين حد الله عليه، بعد الإنعام في الاستبصار، وانكشاف الشبهة فيه عن القلوب والأبصار، فتجرد أبو علي في ذلك وتشمر، وبلغ منه وما قصر وانثال عليه كل من اطلع على الحقيقة، وتعرف جليلة الصورة فوق أبو علي على أن العزاقري يدعي أنه لحق الحق، وأنه إله الآلهة، الأول القديم، الظاهر، الباطن، الخالق، الرازق، التام، الموصى إليه بكل معنى، ويدعى بالمسيح، كما كانت بنو إسرائيل تسمي الله عز وجل المسيح، ويقول: إن الله جل وعلا، يحل في كل شيء، على قدر ما يحتمل، وأنه خلق الضد ليدل به على مضدوده، فمن ذلك أنه جلى في آدم لعينه السلام لما خلقه، وفي إبليس، وكلاهما لصاحبه يدل عليه لمضادته إياه في معناه، وأن الدليل على الحق أفضل من الحق، وأ الضد أقرب إلى الشيء من شبهه، وأن الله عز وجل إذا حل في هيكل جسد ناسوتي، أظهر من القدرة المعجزة ما يدل على أنه هو، وأنه لما غاب آدم عليه السلام، ظهر اللاهوت في خمسة ناسوتية، كلما غاب منهم واحد، ظهر مكانه غيره، وفي خمسة أبالسة أصداد لتلك الخمسة، ثم اجتمعت اللاهوتية في إدريس عليه السلام،

وإبليس، وتفرقت بعدهما، كما تفرقت بعد آدم عليه السلام واجتمعت في نوح عليه السلام وإبليس، وتفرقت عند غيبتهم، حسب ما تقدم ذكره، واجتمعت في صالح وإبليس عاقر الناقة، وتفرقت بعدهما، واجتمعت في إبراهيم وإبليس نمرود، وتفرقت بعدهما، واجتمعت في هارون وإبليس فرعون، وتفرقت على الرسم بعدهما، واجتمعت في داود عليه السلام وإبليس جالوت، وتفرقت لما غاب، واجتمعت في سليمان عليه السلام وإبليس، وتفرقت كعادتها بعدهما، واجتمعت في عيسى عليه السلام وإبليس، ولما غاب تفرقت في تلامذة عيسى كلهم عليهم السلام، والأبالسة معهم، واجتمعت في علي بن أبي طالب وإبليس، وتفرقت بعدهما، إلى أن اجتمعت في ابن أبي العزاقر وإبليس، ويصف أن الله عز وجل يظهر في كل شيء بكل معنى، وأنه في كل أحد بالخاطر الذي يخطر بقلبه، فيتصور له ما يغيب عنه كأنه يشاهده، وأن الله اسم لمعنى، ومن احتاج إليه الناس فهو إلههم، ولهذا يستوجب كل كفي أن يسمى الله، وأن كل واحد من أشياعه لعنه الله يقول: إنه رب لمن هو دون درجته، وأن الرجل منهم يقول: إني رب فلان، وفلان رب فلان، حتى الانتهاء إلى ابن أبي العزاقر، لعنه الله، فيقول أنا رب الأرباب، وإله الآلهة، لا ربوبية لرب بعدي، وأنهم لا ينسبون الحسن والحسين رضي الله عنهما إلى علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، لأن من اجتمعت له اللاهوتية لم يكن له والد ولا ولد، وأنهم يسمون موسى ومحمداً صلى الله عليهما الحائنين، لأنهم يدعوا أن هارون أرسل موسى عليهما السلام، وأن علياً رضي الله عنه، أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم فخاناها، ويزعمون أن علياً أمهل النبي صلى الله عليه وسلم عدة أيام أصحاب الكهف سنين، فإذا انقضت هذه المدة وهي خمسون وثلاثمائة سنة تنقلب الشريعة، ويصفون أن الملائكة كل من ملك نفسه، وعرف الحق ورآه، وأن الحق حَقُّهم، وأن الجنة معرفتهم، وانتحال نحلّتهم، والنار الجهل بهم، والصدود عن مذهبهم، ويغتفرون ترك الصلاة والصيام والاعتسال، ويذكرون أن من نعم الله على العبد، أن يجمع له اللذتين، وأنهم لا يتناكحون بتزويج على السنة، ولا بحال تأول أو رخصة، ويبيحون الفروج ويقولون: إن محمداً عليه السلام بعث إلى كبراء قريش وجبابرة العرب، وقلوبهم قاسية، ونفوسهم آبية، فكان من الحكمة ما طالبهم به من السجود، وأن من الحكمة الآن أن يمتحن الناس في إباحة فروج حرمهم، وأن لا شيء عندهم في ملامسة الرجل نساء ذوي رحم، وحرم صديقه وأبيه بعد أن يكون على مذهبه، ولا ينكرون أن يطلب أحدهم من صاحبه حرمة ويردها إليه، فيبعث بها طيبة نفسه، وأنه لا بد للفاضل منهم أن ينكح المفضل ليولج النور فيه. وابن أبي العزاقر له في هذه الخصلة كتاب، سماه كتاب الحاسة السادسة، وقال: إنه متى أبى ذلك أب قلب في الكون الذي يجيء بعد هذا امرأة، إذ كان يحقق التناسخ وأنه ومن معه يرون البراءة من الطالبين، كما يرونها من العباسيين، ويدعون إلى أنفسهم دون غيرهم، إذ كان الحق عندهم، ويظهر فيهم، ووجد كتاب من الحسين ابن القاسم، بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، قيل إنه إلى إبراهيم بن محمد، بن أحمد بن أبي النجم، المعروف بابن أبي عون، أحد وجوه العزاقرية، ترجمته: إلى مولاي بشرى، من غلامه مرزوق الثلاج، المسكين الفقير، الذي بفضل الله يجمع الله بينه وبينه، في خير وعافية برحمته، يقول في فصل منه: على مولاي أعتمد، وهو حسبي، وفي فصل آخر: ومولاي أهل للتفضل علي، ورحمة ضعفي، وأرجو ألا يتأخر بفضلته عني، وينجزني وعده، وعيني ممدودة إلى تفضل مولاي، وأسأله به إعانتي، فسئل ابن أبي العزاقر عن ذلك الكتاب، فكتب بيده؟ إنه بخط الحسين بن علي بن القاسم، إلى ابن أبي عون، ووافق ابن أبي عون على ذلك

لأن الله أظفر به ويمكن منه، ورداه رداء ما عمل، ووفاه غاية ما كتب له من المهل، واعترف بأنه كتاب الحسين ابن علي بن القاسم إليه، وأن ما على عنوانه صحيح، وأنه هو بشرى، وأن مرزوقاً الثلاث هو الحسين بن القاسم، وكتب ذلك بخطه، وأشهد جماعة من العدول على ما اعترف به: ووجدت رقعة لابن أبي عون هذا بخطه، إلى بعض نظرائه، يخاطبه فيها كما يخاطب الإنسان ربه، تبارك وتعالى، ويقول في بعض فصولها: لك الحمد، وكل شيء، وما شئت كان، ربي، وفي فصل آخر منها: ولك الحمد على تشريفك وتقريبك، فوقف عليها، واعترف بها، وأشهد على نفسه عدة من العدول بصحتها.

ووجدت رقعة من المعروف بابن شيث الزيات، إلى ابن أبي عون هذا، يقول فيها: يا مولاي، عوائد مولاي عندي لطيفة، ورحمته وتفضله، وجميل إحسانه بامتنانه علي على كل حال، وانتاسي تفضل منه ورحمة، فأسأله بجوده، أن يتم ما تفضل به، ولا يسلبني إياه، فإن نعمه علي ظاهرة وباطنة، قد ألبسني عافيته، وأصلح شأنني، وأصلح ولدي، ورزقني الفتاة، وفي ذلك الغناء الأكبر، وأكبر منه تفضله علي بأمر عظيم، لا يجازى بشكر، ولا يسعه إلا تفضله، فإن مولاي الكبير، دعاني ابتداء فصرت إليه، فقربني وأدنانني، ومن علي بحديثه، وسقاني بعد جهد بيده، وقربني غاية القرب، ومع هذه الحالة العظيمة، وإعطائه لي الملك الخفي، فقد صحا قلبي عن كل كسر كان فيه، وكل شدة جرت، وفعل بي ما لم يفعل به بالثلاث، وأرجو أن يمن مولاي بإتمام صلاحي ديناً ودنياً، والمنة لمولاي، وأسأل مولاي الإحسان والتفضل، فإني فقير على كل حال، وأرجو منه توسعة في كل ضيق، وأماناً من كل خوف وأماناً من الشدائد، وما هو أولى به مما لا أعلمه وهو القادر عليه، والرحيم فيه، بمنه وجميل إحسانه، وهو حسبي ونعم الوكيل.

واعترف ابن أبي عون أنها إليه، وأن المخاطبة فيها له، وأن ابن شيث أراد بقوله "مولاي الكبير"، ابن أبي العزاقر، ويقول "الثلاث" الحسين بن القاسم، وأعطى بذلك خطه، وأشهد به، ووجد هذا الرجل مستبصراً في كفره، مستظهِراً في أمره، مستقصياً في طريق غيه، ماضياً في عنان شركه وإفكه، حتى إنه كلف التبرؤ من ابن أبي العزاقر لعنه الله ونيله بإهانة يصغر بها قدره، فامتنع من ذلك وأبى، وحاد عنه واستعصى، إلى أن لم يجد محيصاً، فمد يده إلى لحيته، على سبيل توفير وتكريم، وإجلال وتعظيم، وصرف تعد، وإمالة الأذى، وقال معلناً غير مخافت، "مولاي مولاي" هذا إلى ما وجد بخطه، وخطوط نظرائه، من الكباير التي لا تسوغ في الدين، ولا يحتملها ذو يقين، وإلى ما رسمته هذه الفرقة من الأدعية، التي موته بها على أهل الوكالة، والغباوة، وإذا تأملها أولو الروية والرواية، وجدت مباينة لما ألف في الشريعة، مشوبة بالمكر والتدليس، مشحونة بالختل والتلبيس، محلة دم مبتدعها، والتمسك بها، واستفتى أبو علي القضاة والفقهاء، في أمر ابن أبي العزاقر وصاحبه هذا الكافر، وسائر من على مذهبه، ممن وجدت له كتب ومخاطبة، ومن لم يوجد له ذلك، فأفتى من استفتى منهم بقتلهم، وأباحوا دماءهم، وكتبوا بذلك خطوطهم، فأمر أمير المؤمنين بإحضار ابن أبي العزاقر اللعين، وابن أبي عون صاحبه، وضريبه وتابعه، وأن يجلدا، ليراهما من سمع بهما، ويتعظ بما نزل من العذاب بساكتهما، ويتبين من دان بربوبية ابن أبي العزاقر عجزه عن حراسة نفسه، وأنه لو كان قادراً، لدفع عن مهجته، ولو كان خالفاً دفع وكشف الضر عن جسده، ولو كان رباً لقبض الأيدي عن نكايته. وجدد أمير المؤمنين الاستظهار، والحزم والروية فيما يمضيه عن العزم، وأحضر عمر بن محمد القاضي بمدينة السلام، والعدول بها، والفقهاء من أهل مجلسه، وسألهم عما عندهم، مما انكشف من أمر ابن أبي العزاقر، وأمور أهل دعوته، وغيه وضلالته، فأقامت الكافة على رأيها في قتله، وتطهير الأرض من رجسه، ورجس مثله، وزال الشك في ذلك عن أمير المؤمنين بالفتيا، وإجماع القاضي والفقهاء، وبما وضح من إزال لال هذا الضلال المسلمين، وإفساد الدين، وذلك أعظم وأثقل وزراً من الإفساد في الأرض، والسعي فيها بغير الحق، وقد استحق من جرى هذا المجرى القتل، فأوعز أمير المؤمنين بصلبه وصلب ابن أبي عون، بحيث يراهما المنكر والعارف، ويلحظهما المجتاز والواقف، فصلباً في أحد جانبي مدينة السلام، ونودي عليهما بما حاولاه من إبطال الشريعة. ورأياه من إفساد الديانة. ثم تقدم أمير المؤمنين بقتلهم، ونصب رؤوسهما، وإحراق أجسامهما، ففعل ذلك بمشهد من الخاصة والعامة، والنظارة والمارة.

إبراهيم بن محمد نفطويه

هو إبراهيم بن محمد، بن عرفة بن سليمان، بن المغيرة ابن حبيب بن المهلب، بن أبي صفرة، العتكي الأزدي من أهل واسط وكنيته أبو عبد الله.

قال الثعالبي: لقب نفطويه تشبيهاً إياه بالنفط، لدمايته وأدمته، وقرر اللقب على مثال سبويه لأنه كان ينسب في النحو إليه، ويجري في طريقته، ويدرس شرح كتابه، وأنشدوا: لو أنزل النحو على نفطويه: قال وقد صيره ابن بسام نفطوية بضم الطاء وتسكين الواو وفتح الياء فقال:

صلى عليه الله ذو الفضل

رأيت في النوم أبي آدم

من كان في حزن وفي سهل
إن كان نفطوية من نسلي

فقال أبلغ ولدي كلهم
بأن حوا أمهم طالق

كان عالماً بالعربية، واللغة، والحديث، أخذ عن ثعلب، والميرد، وغيرهما، روى عنه أبو عبيد الله المرزباني، وأبو الفرج الأصبهاني، وابن حيوية، وغيرهم، ذكره المرزباني في المقتبس، فقال: ولد في سنة أربع وأربعين ومائتين قال: ومات رحمه الله يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وحضرت جنازته عشاء، ودفن في مقابر باب الكوفة، وصلى عليه البربهاري، وكان يخضب بالوسمة، قال: وكان من طهارة الأخلاق، وحسن المجالسة، والصدق فيما يرويه، على حلا ما شاهدت عليها أحداً ممن لقيناه. وكان يقول: جلست إلى هذه الأسطوانة مذ خمسون، يعني محلته بجامع المدينة، وكان حسن الحفظ للقرآن، أول ما بيتدئ به في مجلسه بمسجد الأنباريين بالغدوات، إلى أن يقرئ القرآن، على قراءة عاصم، ثم الكتب بعده، وكان فقيهاً، عالماً بمذهب داود الإصبهاني، رأساً فيه، يسلم له ذلك جميع أصحابه، وكان مسنداً في الحديث من أهل طبقة، ثقة، صدوقاً، لا يتعلق عليه شيء من سائر ما روه، وكان حسن المجالسة للخلفاء والوزراء، متقن الحفظ للسيرة، وأيام الناس، وتواريخ الزمان، ووفاة العلماء وكانت له مروءة، وفتوة وظرف.

ولقد هجم علينا يوماً ونحن في بستان كان له بالزبيدية في سنة عشرين، أو إحدى وعشرين وثلاثمائة، فرأنا على حال تبذل، فانقبضت: وذهبت أعتذر إليه: فقال: في التعاقل على التبذل سخف، ثم أنشدنا لنفسه:

يحصي على القوم سقاط الكلم
يستمتع الناس بحسم الحشم

لنا صديق غير عالي الهمم
ما استمتع الناس بشيء كما

قال المرزباني: وكان يقول من الشعر المقطعات، في الغزل، وما جرى مجراها: كما يقول المتأدبون، وسنورد من ذلك فيما بعد إن شاء الله حسب الكفاية. وكان بين أبي عبد الله فطويه، وبين محمد بن الأصبهاني مودة أكيدة، وتصاف تام، وكان ابن داود يهوى أبا الحسين محمد بن جامع الصيدلاني، هوئ أفضى به إلى التلف. وقال ابن عرفة نفطويه، فدخلت عليه في مرضه الذي مات فيه، فقلت يا سيدي ما بك؟ فقال: حب من تعلم، أورتني ما ترى، فقلت: ما يمنعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه؟ فقال: الاستمتاع نوعان: محظور، ومباح، أما المحظور، فمعاذ الله منه، وأما المباح فهو الذي صيرني إلى ما ترى، ثم قال: حدثني سويد بن سعيد الحدثاني، عن أبي يحيى الفقات عن مجاهد، عن ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من حب ففف وكنم، ثم مات، مات شهيداً" ثم غشي عليه ساعة، وأفاق، ففتح عينيه، فقلت له أرى قلبك قد سكن، وعرق جبينك قد انقطع، وهذا أمانة العافية، فأنشأ يقول:

وغرهما سكون حمى جيبني
وخوضوا في الدعاء وودعوني
ولكني ضعفت عن الأنين

أقول لصاحبي وسلياني
تسلوا بالتعزي عن أخيك
فلم ادع الأنين لضعف سقم

ثم مات من ليلته، وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين فيقال إن نفطويه تفجع عليه، وجزع جزعاً عظيماً، ولم يجلس للناس سنة كاملة، ثم ظهر بعد السنة فجلس، فقيل له في ذلك فقال: إن أبا بكر بن داود قال لي يوماً، وقد تجارينا حفظ عهود الأصدقاء، فقال: أقل ما يجب للصديق أن يتسلب على صديقه سنة كاملة، عملاً بقول لبيد:

ومن بيبك حولا كاملاً فقد اعتذر

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما

فحزنا عليه سنة كما شرط.

قال المؤلف لهذا الكتاب: وأخبار أبي بكر بن داود كثيرة، مليحة رائقة، وقد أفردنا له باباً في هذا الكتاب، فقف عليه تطرب وتعجب، قال المرزباني: ومما أنشدنا لنفسه في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة:

والورد غص النبت في وجناته
أو أن تروم بلوغ بعض صفاته
لك طول الصد من عزماته
بل لا يسوغ لعل في لهواته

غنج الفتور يجول في لحظاته
وتكل السنة الوري عن وصفه
لا يعرف الإسعاف إلا خطرة
لا يستطيع نعم ولا يعتادها

قال وأنشدنا لنفسه:

هلا أقمت ولو على جمر الغضا
فعسى يرد لك النوى ما قد مضى

تشكو الفراق وأنت تزمع رحلة
فالآن عذ بالصبر أو مت حسرة

قال وأنشدنا لنفسه:

أتخالني من زلة أتعتب
قلبي وروحي في يديك وإنما
قال مؤلف الكتاب: ولم يورد أبو عبيد الله إلا هذين البيتين، وأنشدني بعض الأصدقاء، البيت الأول منها، وأتبعه بما لا أعلم، أهو
من قول نفطويه أو غيره، وهو:

لا يوحشك ما صنعت فتنثني
أنت البريء من الإساءة كلها
وحياة وجهك وهو بدر طالع
ما أنت إلا مهجتي وهي التي
قال المرزباني وأنشدني لنفسه:

كفى بالهوى بلوى وبالحب محنة
أما والذي يقضي الأمور بأمره
لقد حملتني صبوتي وصبابتني
قال وأنشدنا لنفسه:

تجل بلوأي عن البلوى
يظلمني من لا أرى ظلمه
عذبي الحب ولكني
سلط من أهوى علي الضنى

قال: وله:

لك خد تذييه الأبصار
لا تغيبني ع ناظري فإني

وكان بين نفطويه وابن دريد مماظة فقال فيه لما صنف كتاب الجمهرة:

إبن دريد بقره
قد ادعى بجهله
وهو كتاب العين إلا

فبلغ ذلك ابن دريد فقال يجيبه:

لو أنزل الوحي على نفطويه
وشاعر يدعى بنصف اسمه
أحرقه الله بنصف اسمه
لكان ذاك الوحي سخطاً عليه
مستأهل للصفع في أخذه
وصير الباقي صراخاً عليه

وحدث ابن شاذان قال: بكر نفطويه إلى درب الرواسين، فلم يعرف الموضع، فتقدم إلى رجل يبيع البقل، فقال له: أيها الشيخ، كيف الطريق إلى درب الرواسين؟ قال فالتفت البقلي إلى جاره، فقال: يا فلان ألا ترى إلى الغلام فعل الله به وصنع، قد احتبس علي، فقال وما الذي تريد منه؟ فقال عوق السلق علي، فما عندي ما أصفع به هذا العاض بظر أمه، فانسأل ابن عرفة ولم يجبه، وأنشد الخطيب لنفطويه:

كم قد خلوت بمن أهوى فيمنعني
كم قد خلوت بمن أهوى فيقتعني
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم
كذلك الحب لا إتيان معصية

ومنه:

أستغفر الله مما يعلم الله
هبه تجاوز لي عن كل مظلمة
إن الشقي لمن لم يرحم الله
واسوءنا من حياء يوم ألقاه

وذكره الزبيدي في كتابه، فقال: كان بخيلاً، ضيقاً في النحو، واسع العلم بالشعر.

قال أبو هلال في كتاب الأوائل: حدثني أبو أحمد، قال: كنا في مجلس نفطويه وهو يملئ، فدخل غلام وضيء الوجه، وقال: قال رجل من أهل عصرنا:

كم خاس ميعادك يا مخلف كم تخلف الوعد وكم تحلف؟؟
قد صرت لا أدعو على كاذب ولا ظلوم الفعل لا ينصف

فما شك أحد ممن حضر، أن الغلام كان وعده وأخلفه، وأن الشعر له، وكان نفطويه مع كونه من أعيان العلماء، وعلماء الأعيان، غير مكترث بإصلاح نفسه، فكان يفرط به الصنان، فلا يغيره، فحضر يوماً مجلس حامد بن العباس، وزير المقتدر، فتأذى هو وجلساؤه بكثرة صنانه، فقال حامد: يا غلام، أحضرنا مرتكاً، فجاء به، فبدأ الوزير بنفسه فتمرتك، وأداره على الجلساء فتمرتكوا، وفطوا ما أراد بنفطويه، وأنه أراد من نفطويه أن يتمرتك، فيزول صنانه، من غير أن يجبهه بما يكره، فقال نفطويه لا حاجة بي إليه، فراجعه فأبى، فاحتد حامد واغتاض، وقال له يا عاض كذا من أمه، إنما تمرتكنا جميعاً لتأذينا بصنانك، قم لا أقام الله لك وزناً، ثم قال: أخرجوه عني، أو أبعدوه إلى حيث لا أتأذى به، وقال ابن بشران أبو محمد عبيد الله في تاريخه.

ومن شعر نفطويه:

الجد أنفع من عقل وتأديب إن الزمان ليأتي بالأعاجيب
كم من أديب يزال الدهر يقصده بالنائبات ذوات الكره والحب
وامرئ غير ذي دين ولا أدب معمر بين تأهيل وترحيب
ما الرزق من حيلة يحتالها فطن لكنه من عطاء غير محسوب

قال: وكان كثير النوادر، ومن نوادره، قيل ليهلول في كم يوسوس الإنسان، فقال: ذاك إلى صبيان المحلة، قال: وقيل لبعض الشيعة، معاوية خالك، فقال لا أدري، أمي نصرانية، والأمر إليه بخط الوزير المغربي قال نفطويه أما سائر العلوم فهأنا من يشركنا فيها. وأما الشر: فإذا مات مات على الحقيقة، وقال: من أغرب عليّ ببيت لجري لا أعرفه فأنا عبده، وقال ابن خالويه، وقال لي يوماً وقد حضرته الوفاة: قد جالستني فما رأيت منك إلا خيراً، فادع لي، ثم قال وضئوني، وقد كنت آخذ بيده، فمر بمسجد هشام بن خلف البزار فقال، هذا مسجد هشام مقرئ أهل بغداد، والله ما كان بأعلم مني، ولكنه أطاع الله فرفع، وعصيت الله فوضع مني.

قال الحسين بن أبي قيراط، انصرفت من عند أبي عبد الله نفطويه، وقد كتبت عنه شيئاً، فجئت إلى أبي إسحاق إبراهيم السري الزجاج، فقال لي: ما هذا الكتاب؟ فأريته إياه، وكان على ظهره مقطوعتان، أنشدنيهما نفطويه لنفسه.

فلما قرأهما الزجاج استحسنتهما وكتبتهما بخطه على ظهر كتاب غريب الحديث، وكان بحضرته:

تواصلنا على الأيام باق ولكن هجرنا مطر الربيع
يروحك صوته لكن تراه على روعاته داني النزوع
كذا العشاق هجرهم دلال ومرجع وصلهم حسن الرجوع
معاذ الله أن نلقى غضاباً سوى ذاك المطاع على المطيع

والأخرى:

وقالوا شأنه الجدي فانظر إلى وجه به أثر الكلوم
فقلت ملاحه نثرت عليه وما حسن السماء بلا نجوم؟

وذكر الفرغاني أن نفطويه كان يقول بقول الحنابلة، إن الاسم هو المسمى، وجرت بينه وبين الزجاج مناظرة، أكر الزجاج عليه موافقته الحنابلة على ذلك.

قرأت في تاريخ خوارزم قال أبو سعد الحمدلجي: سمعت نفطويه يقول: إذا سلمت على اليهودي والنصراني، فقلت له أطال الله بقاءك، وأدام سلامتك، وأنتم نعمته عليكم، فإنما أريد به الحكاية أي أن الله قد فعل بك إلى هذا الوقت، وأعتقد به الدعاء للمسلم، قال الحمدلجي: وأنشدنا نفطويه لنفسه:

إذا ما الأرض جانبيها الأعادي وطاب الماء فيها والهواء

فتلك الأرض طاب بها النواء
ولا يسع البغيضين الفضاء
وزين المرء في الدنيا الحياء

وساعد من تحب بها وتهوى
يرى الأحباب ضنك العيش وسعاً
وعقل المرء أحسن حليتيه

قال محمد بن إسحاق النديم: وله من الكتب. كتاب التاريخ، كتاب الاقتصادات، كتاب البارع، كتاب غريب القرآن، كتاب المقنع في النحو، كتاب الإستثناء والشرط في القراءة، كتاب الوزراء، كتاب الملح، كتاب الأمثال، كتاب الشهادات، كتاب المصادر كتاب القوافي كتاب أمثال القرآن، كتاب الرد على من يزعم أن العرب يشتق كلامها بعضه من بعض كتاب الرد على من قال بخلق القرآن، كتاب الرد على المفضل بن سلمة في نقضه على الخليل كتاب في أن العرب تتكلم طبعاً لا تعلماً، والله أعلم.

الجزء الثاني

إبراهيم بن محمد الكلابزي

أدرك المازني وأخذ عن المبرد ومات في سنة ست عشرة وثلاثمائة، قال الزبيدي: وإبراهيم بن محمد بن العلاء الكلابزي اللغوي، من أهل العراق، بصري المذهب. حكى عن ابن المبرد أنه قال: في تلاميذ أبي رجلا: أحدهما يسفل، والآخر يعلو، فقيل ومن هما؟ قال المبرمان يقرأ على أبي، ويأخذ عنه كتاب سيبويه، ثم يقول قال الزجاج، فهذا يسفل، والكلابزي يقرأ عليه، ثم يقول قال المازني، فهذا يعلو، وكان الكلابزي قد أدرك المازني، فقال ابن إبراهيم بن حميد الكلابزي مات بالبصرة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة، وكان متقدماً في النحو واللغة، وقد ولي القضاء بالشام.

إبراهيم بن محمد بن زكريا

الزهري، الأندلسي، أبو القاسم، يعرف بابن الإفيلي، حدث عن أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي، بكتاب النوادر عن القالي، وكان متصدراً في العلم ببلده، يقرأ عليه الأدب، ويختلف إليه، وله كتاب شرح معاني شعر المتنبي، حسن جيد، قال الحميدي: وكان مع علمه بالنحو واللغة، يتكلم في معاني الشعر، وأقسام البلاغة، والنقد لها، روى عنه جماعة، وحكى عنه بإسناد له أنه قال: كان شيوخنا من أهل الأدب يتعاملون، أن الحرف إذا كتب عليه صح - بصاد وحاء - كان ذلك علامة لصحة الحرف، لئلا يتوهم متوهم عليه خللاً أو نقصاً، فوضع حرف كامل على حرف صحيح، وإذا كان عليه صاد ممدودة دون حاء، كان علامة أن الحرف سقيم، إذ وضع عليه حرف غير تام، ليدل نقص الحرف على اختلال الحرف، ويسمى ذلك الحرف أيضاً ضبة أي أن الحرف مقفل بها، لم يتجه لقراءة، كما أن الضبة مقفل بها.

قال المؤلف: وهذا كلام على طلاوة من غير فائدة تامة، وإنما قصدوا بكتبهم على الحرف صح، أنه كان شاكاً في صحة اللفظة، فلما صحت له بالبحث، خشي أن يعاوده الشك، فكتب عليها صح، ليُزول شكه فيما بعد، ويعلم هو أنه لم يكتب عليها صح إلا وقد انقضى اجتهاده في تصحيحها، وأما الضبة التي صورتها (ص) فإنما هو نصف صح، كتبه على شيء فيه شك، ليبحث عنه فيما يستأنفه، فإذا صحت له أمها بحاء، فيصير صح، ولو علم عليها بغير هذه العلامة، لتكلف الكشط، وإعادة كتبه صح مكانها. قال أبو سروان بن حيان: كان أبو القاسم، المعروف بابن الإفيلي، فريد أهل زمانه بقرطبة، في علم اللسان العربي، والضبط لغريب اللغة، في ألفاظ الأشعار الجاهلية والإسلامية، والمشاركة في بعض معانيها، وكان غيوراً على ما يحمل من ذلك الفن، كثير الحسد فيه، راكباً رأسه في الخطأ البين إذا تقلده، أو نشب فيه، يجادل عنه، ولا يصرفه صارف عنه، وعدم علم العروض ومعرفته، مع احتياجه إليه، لإكمال صناعته به ولم يكن له شروع فيه، وكان لحق الفتنة اليزيدية بقرطبة، ومضى الناس بين حائر وطاعن، فازدلف إلى الأمراء المتداولين بقرطبة من آل حمود، ومن تلاحم، إلى أن نال الجاه. واستكتبه محمد بن عبد الرحمن المستنكفي، بعد ابن برد، فوقع كلامه جانباً من البلاغة، لأنه كان على طريقة المعلمين المتكلمين، فلم يجر في أساليب الكتاب المطبوعين، فزهده فيه، وما بلغني أنه ألف في شيء من فنون المعرفة، إلا كتابه في شعر المتنبي لا غير، ولحقته تهمة في دينه، في أيام هشام المرواني، في جملة من تتبع من الأطباء في وقته كابن عاصم، والسناي، والخمار، وغيرهم، وطلب ابن الإفيلي، وسجن بالمطيق، ثم انطلق.

وفيه يقول موسى بن الطائف، من قصيدة:

عن كنه عرضي في البديع وطولي
من ضاق فرسخه بخطوة قبلي

يا مبصراً عميت فواطن فهمه
ولو كنت تعقل ما جهلت مقاومي

ولئن ثلّبت الشعر وهو أباطل
وخلعت ربق الدين عنك منابذاً
فأقمت للجهال مثلك في العنا
ومن المغالط أن تكون مقلداً
تعتل في الأمر الصحيح معانداً
وتظن أنك من فنوني موسر
سيسيل روحك من خبيث قذارة
وأحض سيف الدولة الملك الرضي
وأريك رأي العين أنك ذرة

فلقد ثلّبت حقائق التنزيل
ولبست ثوب الزيف والتعطيل
علماً مشيت أمامه برعيل
علماً ولو مقدار وزن فتيل
أبدأ وفهمك علة المعلول
وكثير شأنك لا يفي بقليلي
تأثير هذا الصارم المصقول
ليعيد عقد رباطك المحلول
عبثت بها مني قوائم فيل

إبراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد

ابن علي، بن الحسين، بن علي، بن حمزة، بن يحيى ابن الحسين، بن زيد، بن علي، بن الحسين، بن علي بن أبي طالب، أبو علي، والد أبي البركات عمر النحوي، صاحب كتاب شرح اللمع، من أهل الكوفة، له معرفة حسنة بالنحو واللغة والأدب، وحظ من الشعر جيد، نذر مثله، مات - فيما ذكره السمعاني عن ابنه أبي البركات - في شوال سنة ست وستين وأربعمائة، ودفن بمسجد السهلة عن ست وستين سنة، وكان قد سافر إلى الشام ومصر، وأقام بها مدة، ونفق على الخلفاء بمصر، ثم رجع إلى وطنه الكوفة، إلى أن مات بها.

وجدت بخط أبي سعد السمعاني: سمعت أبا البركات عمر ابن إبراهيم: سمعت والذي يقول: كنت بمصر، وضاق صدري بها فقلت:

فإن تسأليني كيف أنت فإنني
وأصبحت في مصر كما لا يسرني
وإني فيها كامرئ القيس مرة
فإن أنج من بابي زويلا فتوبة
تكرت دهري والمعاهد والصبرا
بعيداً من الأوطان منتزحاً عزبا
وصاحبه لما بكى ورأى الدربا
إلى الله أن لا مس خفي لها تربا

قال السمعاني: قال لي الشريف، قال أبي، قلت هذه الأبيات بمصر، وما كنت ضيق اليد، وكان قد حصل لي من المستنصر خمسة آلاف دينار مصرية.

قال: وقال الشريف: مرض أبي إما بدمشق أو بحلب، فرأيته يبكي وبجزع، فقلت له يا سيدي ما هذا الجزع؟ فإن الموت لا بد منه، قال أعرف، ولكنني أشتي أن أموت بالكوفة، وأدفن بها، حتى إذا أنشئت يوم القيامة أخرج رأسي من التراب، فأرى بني عمي، ووجوهاً أعرفها، قال الشريف: وبلغ ما أراد.

قال: وأنشدني أبو البركات لوالده:

أرخ لها زمامها والأنسعا
وأجل بها مغترباً عن العدا
يا رائد الظعن بأكناف العدا
وحي خدراً بأثيلات الغضا
كان وقوعي في يديه ولعا
ماذا عليها لو رثت لساھر
تمنعت من وصله فكلما
أنا ابن سادات قريش وابن من
ورم بها من العلا ما شسعا
توطنك من أرض العدا متسعا
بلغ سلامي إن وصلت لعلعا
عهدت فيه قمراً مبرقعا
وأول العشق يكون ولعا
لولا انتظار طيفها ما هجعا؟
زاد غراماً زادها تمنعا
لم يبق في قوس الفخار منزعا

وابن علي والحسين وهما
نحن بنو زيد وما زاحمنا
الأكثرين في المساعي عددا
من كل بسام المحيا لم يكن
طابت أصول مجدنا في هاشم

قال: وأنشدني لأبيه:

وأقض فيها مضجعي
بنواظر لم تهجع
وتخضع وتفجع
من فعل بينهم معي
ب ومن بتلك الأربع

لما أرقت بجلق
نادمت بدر سمائها
وسألته بتوجع
صف للأحبة ما ترى
واقرا السلام على الحبي

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم النسوي

أبو إسحاق، الشيخ العميد، مات فجأة في شهور سنة تسع عشرة وخمسائة بنيسابور، رجل فاضل، شاعر كاتب، حسن المحاورة، كريم الصحبة، سمع الحديث الكثير في أسفاره، وصنف في غريب الحديث لأبي عبيد تصنيفاً مفيداً.

إبراهيم بن مسعود بن حسان

المعروف بالوجيه الصغير، ويعرف جده بالشاعر، وإنما سمي بالوجيه الصغير لأنه كان ببغداد حينئذ نحوي آخر يعرف بالوجيه الكبير، وهو شيعي رحمه الله، وقد ذكرته في باب المبارك بن المبارك، وكنا ضريرين معاً، وكان هذا من أهل الرصافة ببغداد، وكان عجباً في الذكاء وسرعة الحفظ، وكان قد حفظ كتاب سيويه، وقيل: بل حفظ أكثره، وكان يحفظ غير ذلك من كتب الأدب، وأخذ النحو عن مصدق بن شبيب، وكان أعلم منه، وأصفى ذهنًا، واعتبط شاباً في جمادى الأولى سنة تسعين وخمسائة، ولو قدر الله أن يعيش لكان آية من الآيات.

إبراهيم بن محمد بن حيدر بن علي أبو إسحاق

نظام الدين المؤذي، الخوارزمي، سأله عن مولده، فقال: كانت ولادتي في ذي الحجة، سنة تسع وخمسين وخمسائة، وله من التصانيف: كتاب ديوان الأنبياء، كتاب شرح كلیلة بالفارسية، كتاب الوسائل إلى الرسائل، من نثره، كتاب ديوان شعره بالفارسية، كتاب الخطب في دعوات ختم القرآن، سماها يتيمة اليتيمة، كتاب الطرفة في التحفة بالفارسية، رسائل، وكتاب أساس نامه، في المواعظ بالفارسية. كتاب تعريف شواهد التصريف، كتاب أنموذار نامه، يشتمل على أبيات غريبة من كلیلة ودمنة، شرحها بالفارسية. كتاب كفتار نامه منطق، كتاب مرتع الوسائل ومربع الرسائل.

إبراهيم بن ممشاذ أبو إسحاق المتوكلي الأصبهاني

قال حمزة: ومن بلغاء إصبهان: أبو غسحاق المتوكلي، وكان من رستاق جي من قرية أسيجان، فخرج إلى العراق، وكتب للمتوكل، ثم صار من ندمائه، فسمي المتوكلي، ولم يكن بالعراق في أيامه أبلغ منه، وله رسالة طويلة في تقرّيط المتوكل، والفتح بن خاقان، يتداولها كتاب العراق إلى الآن، وتسخط صحبة أولاد المتوكل، فتركهم ولحق بيعقوب ابن الليث. وقال حمزة أيضاً، فيما رواه عن عمارة بن حمزة: حضر المتوكلي مجلس المتوكل، وقد نثر على المحضر مال جليل، تناهيه الأمراء والقواد بين يديه، وإبراهيم لا يتحرك، فقال له المتوكل، ولم لا تنبسط فيه؟ قال: جلالة أمير المؤمنين تمنعني منه، ونعمته على أغنتني عنه، فأقطعه إقطاعات.

وكان أحد البلغاء في زمانه، حتى لم يتقدمه أحد، وأنفذ في أيام المعتمد رسولا عنه، وعن الموفق إلى يعقوب بن الليث، فاحتبس عنه، وقدمه على كل من ببابه، حتى حسده قواد يعقوب وحاشيته، فأخبروا يعقوب أنه يكاتب الموفق في السر، فقتله.

قلت: والأولى من هاتين الروایتین أوضح فی أنه هو الذي لحق بـیعقوب، يدل على ذلك أنه كتب من عند یعقوب إلى المعتمد:

أنا ابن الأکرام من نسل جم
ومحبي الذي باد من عزهم
وطالب أوتارهم جهرة
يهم الأنام بلذاتهم
إلى كل أمر رفیع العماد
وإني لآمل من ذي العلا

معي علم الکائنات الذي به أرتجي أن أسود الأمم

فقل لبني هاشم أجمعين
ملکناکم عنة بالرما
وأولاکم الملك أبأونا
فعودوا إلى أرضکم بالحجاز
فإني سألعو سریر الملوك

وقال يرثي الفضل بن العباس بن مافروخ:

أخ لم تلدني أمه كان واحدي
مضى فرطاً لما استتم شبابه
فعلمني كيف البكاء من الجوى
إذا ندب الأقوام إخوان دهرهم

وقال يهجو إسحاق بن سعد القطريلي عامل إصبيهان، وقد كان أساء معاملة إخوته بإصبيهان:

أين الذين تقولوا ألا يروا
هذا ابن سعد قد أزال قیاسکم
أبدى لنا متحرکاً في ساکن
وإذا تذكر أصلعاً هشم استه
بالله ما اتخذ الإمامة مذهباً

قال حمزة: ومن هذا أخذ ابن الناصر قوله:

قل لمن كان إمام
أله التمس ما في سراوي
فهو القائم يا مغرو

يا إلى كم تتردد؟

ل فتی الناصر أحمد

ر من آل محمد

إبراهيم بن موسى الواسطي الكاتب

له كتاب في أخبار الوزراء، عارض فيه كتاب محمد ابن داود الجراح في الوزراء، قاله المسعودي.

إبراهيم بن هلال بن زهرون

أبو إسحاق الحراني، أوحّد الدنيا في إنشاء الرسائل، والاشتغال على جهات الفضائل، مات يوم الخميس، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، عن إحدى وسبعين سنة، ومولده في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، كذا ذكره حفيده أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم في تاريخه.

وكان قد خدم الخلفاء والأمراء من بني بويه والوزراء، وتقلد أعمالاً جليلة، ومدحه الشعراء، وعرض عليه عز الدولة يختار بن معز الدولة بن بويه الوزارة إن أسلم، فامتنع.

وكان حسن العشرة للمسلمين، عفيفاً في مذهبه.

وكان ينوب أولاً عن الوزير أبي محمد المهلب، في ديوان الإنشاء، وأمور الوزارة.

ولما ورد عضد الدولة إلى بغداد في سنة سبع وستين وثلاثمائة، نقم عليه أشياء من مكتوباته عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار، فحبسه، فسئل فيه وعرف بفضل، وقيل له: مثل مولانا لا ينقم على مثله ما كان منه، فإنه كان في خدمة قوم لا يمكنه إلا المبالغة في نصحهم، ولو أمره مولانا بمثل ذلك إذا استخدمه في أبيه، ما أمكنه المخالفة، فقال عضد الدولة: قد سوغته نفسه، فإن عمل كتاباً في مآثرنا وتاريخنا أطلقته، فشرع في محبسه في كتاب التاجي في أخبار بني بويه، وقيل إن بعض أصدقائه دخل عليه الحبس، وهو في تبييض وتسويد في هذا الكتاب، فسأله عما يعمل، فقال: أباطيل أنمقها، وأكاذيب ألقها، فخرج الرجل، وأنهى ذلك إلى عضد الدولة، فأمر بإلقائه تحت أرجل الفيلة، فأكب أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، ونصر بن هارون على الأرض يقبلانها، ويشفعون إليه في أمره، حتى أمر باستحيائه، وأخذ أمواله واستصفائه، وتخليد السجن بدمائه، فبقي في السجن بضع سنين، إلى أن تخلص في أيام صمصام الدولة ابن عضد الدولة. وكان بينه وبين صاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد مراسلات ومواصلات ومتاحفات، وكذلك بينه وبين الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي: مودة ومكاتبات أذكر منها ما يليق باختصارنا هذا، مع اختلاف الملل، وتباين النحل، وإنما كان ينظمهم سلك الأدب، مع تبدد الدين والنسب.

وذكر أبو منصور الثعالبي في كتابه: أنه بلغ من العمر تسعين سنة والذي أوردته من تاريخ حفيده، وهو أعلم به. فأما بلاغته، وحسن ألفاظه، فقد أغنتنا شهرتها عن صفتها، وذكرتها الشعراء فقال بعضهم:

أصبحت مشتاقاً حليف صباية	برسائل الصابي أبي إسحاق
صوب البلاغة والحلاوة والحجى	ذوب البراعة سلوة العشاق
طوراً كما رق النسم وتارة	يحكي لنا الأطواق في الأعناق
لا يبلغ البلغاء شأواً مبرز	كتبت بدائعه على الأحداق

ولآخر فيه:

يا بؤس من يمنى بدمع ساجم	يهمى على حجب الفؤاد لا واجم
لولا تعلله بكأس مدامة	ورسائل الصابي وشعر كشاجم

قال أبو منصور: وكان يصوم شهر رمضان، مساعدة وموافقة للمسلمين، وحسن عشرة منه لهم، ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه، وبرهان ذلك في رسائله.

قال: وكان أبو إسحاق في عنفوان شبابه، أحسن حالاً منه في أيام اكتهاله، وفي ذلك يقول:

عجباً لحظي إذ أراه مصالحي	عصر الشباب وفي المشيب مغاضبي؟
أمن الغواني كان حتى خانني	شيخاً، وكان على صباي مصاحبي؟
أمع التضعع ملني متجنباً	ومع الترعزع كان غير مجانبني؟
يا ليت صبوته إلي تأخرت	حتى تكون ذخيرة لعواقبي

من قصيدة، في فنّها فريدة، كتبها إلى صاحب يشكو فيها بثّه وحزنه، ويستمطر سحبه ودرره، بعد أن كان يخاطبه بالكلف، ولا يرفعه عن رتبة الأكفاء.

وكان المهلب لا يرى إلا به الدنيا، ويحن إلى براعته، ويصطنعه لنفسه، ويستدعيه في أوقات أنسه، وتوفي المهلب، وأبو إسحاق يلي ديوان الرسائل، والخلافة على ديوان الوزارة، لأن المهلب مات بعمان، وكان قد مضى لافتتاحها، واستخلف أبا إسحاق على ديوان الوزارة، فاعتقل في جملة عمال المهلب وأصحابه، فقال، وهو معتقل:

يا أيها الرؤساء دعوة خادم	أربت رسائله على التعديد
---------------------------	-------------------------

أيجوز في حكم المروءة عندكم:

حبسي وطول تهددي وو عيدي

قلدت ديوان الرسائل، فانظروا

أعدلت في لفظي عن التسديد؟

أعلي رفع حساب ما أنشأته

فأقيم فيه أدلتي وشهودي؟

أنسيتم كتباً شحنت فصولها

بفصول در عندكم منضورد

ورسائلاً نفذت إلى أطرافكم

عبد الحميد بهن غير حميد

قال: وكانت الرسالة التي ينقمها عليه عضد الدولة، كتاباً أنشأه عن الخليفة، في شأن عز الدولة بختيار، وهو: "وقد جدد له أمير المؤمنين، مع هذه المساعي السوابق، والمعالي السوامق، التي يلزم كل دان وقاص، وعام وخاص، أن يعرف له حق ما كرم به منها، ويتزحزح له عن رتبة المماثلة فيها" فإن عضد الدولة أنكر هذه اللفظة أشد الإنكار، وأسرها في نفسه، إلى أن ملك لاعراق، فحبسه، كما تقدم ذكره.

وقال حفيده هلال بن المحسن في أخبار الوزراء: حدثني أبو إسحاق جدي، قال: لما توفي أبو الحسين هلال أبي، جاءني أبو محمد المهلب معزياً به، فحين عرفت خبره في تقديمه مشرعة داري الشاطية بالزاهر، بادرت لتلقيه، واستعفيته من الصعود، فامتنع من الإجابة إلى ذلك، وصعد، وجلس ساعة يخاطبني فيها بكل ما يقوي النفس، وبشرح الصدر، ويصف والدي، ويقرظه لي بقوله: ما مات من كنت له خلفاً، ولا فقد من كنت منه عوضاً، ولقد قررت عين أبيك بك في حياته، وسكنت مضاجعه إلى مكانك بعد وفاته، فقبلت يده ورجله، وأكثرت من الثناء عليه، والدعاء له، وحضرتني في الحال ثلاثة أبيات، أنشدته إياها، وهي:

لو وثقنا بأن عمرك يمت

د بأعمارنا قتلنا النفوسا

قد تركت الموت الزؤام مغيظاً

يتلظى لجرحه، كيف يوسا

فغدت عندنا المصيبة نعى

بأبياديك وهي من قبل بوسا

ثم نهض، وأقسم علينا ألا يتبعه أحد منا، وأنفذ إلي في بقية ذلك اليوم خمسة آلاف درهم، فقال: استعن بهذا على أمرك، ولم يبق أحد من أهل الدولة إلا جاءني بعده معزياً، ثم اجتاز بي من الغد في طيارة ووقف واستدعاني، وأمرني بالنزول معه، فبعد جهد ما تركني بقية اليوم.

وحدث أبو منصور، قال: حكى أبو إسحاق الصابي، قال: طلب مني رسول سيف الدولة بن حمدان عند قدومه الحضرة شيئاً من شعري، وذكر أن صاحبه رسم له ذلك، فداثعته أياماً، ثم ألح علي وقت الخروج فأعطيته هذه الثلاثة الأبيات:

إن كنت خنتك في المودة ساعة

فدثمت سيف الدولة المحمودا

وزعمت أن له شريكاً في العلا

وجددته في فضله التوحيدا

قسماً لواني حالف بغمومها

لغريم دين ما أراد مزيدا

فلما عاد الرسول إلى الحضرة، ودخلت عليه مسلماً، أخرج لي كيساً بختم سيف الدولة، مكتوباً عليه اسمي، وفيه ثلثمائة دينار.

ووجدت بخط أبي علي بن أبي إسحاق قال: لما غني ابن حمدان بهذا الشعر، سأله عن قائله، فعرفه، قال والدي رحمه الله: فأنفذ إلي في الوقت عشرة دنانير من دنانير الصلة، وزنها خمسمائة مثقال، وأضاف إلى ذلك رسماً كان ينفذه إلي في كل سنة، إلى أن مات رحمه الله.

قال: وأهدى أبو إسحاق الصابي إلى عضد الدولة، في يوم مهرجان، إصطربلاً بقدر الدرهم، محكم الصنعة، وكتب إليه "وفي كتاب الوزراء لحفيده: أنه أهدى الإصطربلاب إلى المطهر بن عبد الله وزير عضد الدولة وكتب إليه" بهذه الأبيات:

أهدي إليك بنو الحاجات واختلفوا

في مهرجان عظيم أنت مبلية

لكن عبدك إبراهيم حين رأى

علو قدرك لا شيء يساميه

لم يرض بالأرض يهديها إليك فقد

أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه

ولقابوس أبيات تشبه هذه المذكورة في باب: "ذكر القبض على أبي إسحاق الصابي، والسبب فيه، وما جرى عليه من أمره إلى أن أطلق".

قال هلال بن المحسن: قبض عليه في يوم السبت لأربع بقين من ذي القعدة سنة سبع وستين وثلثمائة، وأفرج عنه يوم الأربعاء لعشر بقين من جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وثلثمائة، فكان مدة حبسه ثلاث سنين وسبعة أشهر وأربعة عشر يوماً.

قال: وكان السبب في القبض عليه، أنه كان قد خدم عضد الدولة عند كونه بفارس بالشعر والمكاتب، والقيام بما يعرض من أموره بالحضرة، فقبله وأنفق عليه، وأرفده في أكثر نكباته بمال حمله إليه، وورد عضد الدولة في سنة أربع وستين وثلاثمائة، فزاد قربه منه، وخصوصه به، وتأكد حاله عنده، فلما أراد العود إلى فارس، عمل على الخروج معه، إشفاقاً من المقام بعده، ثم علم أنه متى فعل ذلك أسلم أهله وولده، وتعجل منهم ما عسى الله أن يدفعه عنه، فاستظهر له عضد الدولة، بأن ذكره في الاتفاق الذي كتب بينه وبين عز الدولة، وعهد به إليه، واليمين التي حلفا بها، وشرط عليهما حراسته في نفسه وماله، وترك تنبعه في شيء من أحواله، وانحدر عضد الدولة، فلم يأمن على نفسه من عز الدولة، وأبي طاهر بن بقية وزيره، واستتر، وأقام على الاستتار مدة، ثم توسط أبو محمد بن معروف أمره معهم، وأخذ له العهد عليهما، والأمان منهما، واستوثق بغاية ما يستوثق به من مثلهما، وظهر، فتركاه مديدة، ثم قبضا عليه، وذلك بإغراء ابن السراج لهما به، وتجدد منه في العداوة له أمور تجنى فيها عليه، وجرت له في هذه التكببة خطوب أشفى فيها على ذهاب النفس، ثم كفاه الله بأن فسد أمر ابن السراج مع ابن بقية بما عامله بالعلة التي عرضت له فقبض عليه، ونقل القيد من رجل أبي إسحاق إلى رجله، وعاد إلى خدمة عز الدولة، وكتب عنه في أيام المباينة بينه وبين عضد الدولة الكتب التي تضمنت الواقعة والاستهتار عليه، ومنها الكتاب عن الطائع لله بتقديم عز الدولة وإنزاله منزلة ركن الدولة، وهو أعظم ما نقمه عليه. فلما ورد عضد الدولة إلى بغداد في الدفعة الثانية، وحصل بواسطه، استظهر بأن خرج إلى أبي سعد بهرام بن أردشير، وهو يتردد في الرسائل بما يتخوفه من تشعب رأي عضد الدولة، وسأله إجراء ذكره، وإقامة عزه، والاحتياط له بأمان تسكن إليه نفسه، وكتب على يده كتاباً، عاد جوابه بما نسخته: "كتابنا - أيدك الله - من المعسكر بجبل يوم الجمعة لست ليال بقيت من شهر ربيع الأول عن سلامة ونعمة، والحمد لله رب العالمين، ووصل كتابك - أيدك الله - وفهمنا وعرفنا ما يحمل، واستمعنا من أبي سعد بهرام بن أردشير، - أعزه الله، - ما أورده عنك، ومن كانت به حاجة إلى إقامة معذرة، واستقالة من عثرة، أو الاستظهار في مثل هذه الأحوال بوثيقة، فأنت مستغن عن ذلك، بسابقتك في الخدمة، ومنزلتك من الثقة، وموقعك لدينا من الخصوص والزلفة.

وذكر أبو سعد، - أعزه الله، - إلتماسك أماناً، فقد بذلناه لك على غناك عنه، وأنت آمن على نفسك، ودمك، وشعرك، وبشرتك، وأهلك، وولدك، وسائر ما تحويه يدك، حال في كل حال بكف الأثرة والخصوص والإحسان والقبول عندنا محروس في جاهك، وموقفك، وحالك، فاسكن إلى ذلك، واعتمده، ولك علينا الوفاء به عهد الله وميثاقه، وقد حملنا أبا سعد، - أعزه الله، - في هذا الباب ما يذكره لك، والله نستعين على النية فيك، وهو حسبنا.

والترقيع بخط عضد الدولة: اعتمد ذلك واسكن إليه، وثق به، إن شاء الله تعالى.

ودخل عضد الدولة إلى بغداد، فأجراه على رسمه، ووقع بإقرار إقطاعه، وإمضاء تقريراته، فلما حصل بالموصل، كتب إلى أبي القاسم المطهر بالقبض عليه فحدثني أبو الحسن فقد بن عبد الله، وكان يكتب لأبي عمرو بن... عند نظره في الموصل، قال: أخرج في الموصل إلى الديوان، ما وجد في قلاع أبي تغلب من الحسابات، ليتأمل ويميز، وكان فيها الشيء الكثير من كتب عز الدولة إلى أبي تغلب بخط أبي إسحاق جدك، فكان أبو عمرو إذا رأى ما فيه ذكر عضد الدولة، لعداوة كانت بينه وبينه، فأظن ما وقف عليه، حرك ما كان في نفسه، حتى كتب من هناك بالقبض عليه.

قال: وحدثني جدي قال: كنت جالساً بحضرة أبي القاسم المطهر بن عبد الله، وزير عضد الدولة، في يوم القبض علي، إذ وردت النوبة، ففضت بين يديه، وبدأ منها بقراءة كتاب عضد الدولة، فلما انتهى إلى فصل منه، وجم وجوماً بان في وجهه، فقال لي أبو العلاء صاعد بن ثابت: أظن في هذا الكتاب ما ضاق صدراً به، وقمت من مجلسه لأنصرف، فتبعني بعض حبابه، وعدل بي إلى بيت من داره، ووكل بي، وأرسل يقول لي: لعلك قد عرفت مني الانزعاج عند الوقوف على الكتاب الوارد من الحضرة اليوم، وكان ذلك لما تضمن من القبض عليك، وأخذ مائة ألف درهم منك، وينبغي أن تكتب خطك بهذا المال، ولا تراجع فيه، فوالله لا تركت ممكناً في معونتك وتحليصك إلا بذلته، وقد جعلت اعتقالك في داري، ومقامك في ضيقتي، فطب نفساً بقولي، وثق بما يتبعه من فعلي. وقبض على ولديه أبي علي المحسن، والدي، وأبي سعيد سنان، عمي، فلما تقدم عضد الدولة إلى أبي القاسم المطهر بالانحدر لقتال صاحب البطيحة، سأل عضد الدولة إطلاقه والإذن له في استخلافه، بحضرته، فقال له: أما العفو، فقد شفعتك فيه، وينبغي أن تعرفه ذلك، وتقول له، إننا قد غفرنا لك عن ذنب، لم نعف عما دونه لأهلنا، - يعني: عز الدولة والديلم - ولأولاد بيتنا - يعني: أبا الحسن محمد بن عمر وأبا أحمد الموسوي - ولكننا وهبنا إساءتك لخدمتك، وعلينا المحافظة فيك على الحفيظة منك، وأما استخلافك إياه بحضرتنا، فكيف يجوز أن ننقله من السخط والنكبة إلى النظر في الوزارة، ولنا في أمره تدبير. وبالعاجل، فتحمل إليه من عندك ثياباً ونفقة، وتطلق ولديه، وتقدم إليه عنا يعمل كتاب في مفاخرنا، فحمل إليه المطهر ثياباً ونفقة وأطلق ولديه، والدي وعمي، ورسم له تأليف الكتاب في الدولة الديلمية، وانحدر المطهر، وبقي أبة

إسحاق في محبسه وعمل الكتاب، فكان إذا ارتفع جزء منه، حمل إلى الحضرة العسدية، حتى يقرأه ويتصفحه، ويزيد فيه، وينقص منه، فلما تكامل على ما أراده، حرر وحمل كلاماً محرراً، فيقال: إنه قرئ عليه في أسبوع، وتركه في الحبس بعد ذلك سنة، واتفق أن خرج إلى الزيارة وعاد، فعمل فيه قصيدة بهنئه فيها بمقدمه، ويذكره بأمره، منها:

أهلاً بأشرف أوبة وأجلها
شاهنشاه تاج ملته التي
يا خير من زهت المنابر باسمه
وأقمت فينا سيرة عضدية
يردى غوي فاجر في بأسها
مولاي عبدك حالف لك حلفة
لقد انتهى شوقي إليك إلى التي
طوبى لعين أبصرتك ومن لها
لو بعثني بجميع عمري لفظة
أترى أمر بخطر من بالها؟
لي ذمة محفوظة في ضمنها
وإذا رأيت سحائب لك ثرة
لا في الرجال الناقعين بوبلها
قابلت بالزفرات هبة ريحها
فلو أن عيني راهنت بدموعها

قال: قد كان أبو إسحاق يكتب عضد الدولة في الحبس بالأشعار، ويرققه، فما رققه شيء كقصيدته القافية، ومنها:

أجل في البنين الزهر طرفك إنهم
وتمت لك النعمى بقرب كبيرهم
موال لنا مثل النجوم مطيفة
وقد ضمهم شمل لديك مؤلف
وإن كنت يوماً عنهم متصدقاً
فلي مقلة تقضى إذا ما مددتها
إناث وذكران أبيت من أجلهم
رسائلهم تأتي بما يلدغ الحشا
فباكية ترثي أباهم ولم يمت
زغب من الأطفال أبناء منزل
إذا حرقوا قلبي بنجواهم انثنت
شهدت لأن أنكرت أنك صنتني
لقد ضيع المعروف عندي وأصبحت
وحبسك لي جاه عريض ورفعة
وما موثق لم تطرحه بموثق
خلا أن أعواماً كملن ثلاثة
وقد ظمئت عيني التي أنت نورها
فيا فرحتي إن ألقه قبل ميتتي
خدمتك مذ عشرون عاماً موففاً
فإن يك ذنب ضاق عندي عذره

حوا كل مرأى للأحبة مؤنق
فأهلاً به من طارق خير مطرق
بمولي موال منك كالبدن مشرق
فأرث لذي الشمل الشتيت المفرق
فمن مثل ما خولت فيهم تصدق
على حلة ممن أعول ودورق
على كمد بين الحجابين مقلق
ويصدع قلب النازع المتشوق
وبائنة من بعلمها لم تطلق
شوارد عنه كالقطا المتمزق
عداك تناجيني فتطفي تحرق
ولم أرع ما أوليتني من ترفق
ودائعه مودوعة عند أحرق
وقيدك في ساقي تاج لمفرقي
ولا مطلق لم تصطنعه بمطلق
تعرفت البقيا أشد تعرق
إلى نظرة من وجهك المتألق
ويا حسرتي إن مت من قبل نلتقي
فهب لي يوماً واحداً لم أوفق
فعندك عفو واسع غير ضيق

قال: وسمعت أبا الريان، حامد بن محمد، الوزير، يقول لجدي، وهما في مجلس أنس، وأنا حاضر معهما: لما أنفذت القصيدة اللامية بالتهنئة، عن قدوم عضد الدولة من الزيارة، عرضتها عليه في وقت كان عبد العزيز بن يوسف غير حاضر فيه، فقرأها، ثم رفع رأسه إلي وإلى عبد الله بن سعدان، وكنت آمنه عليك، وأعلم أن اعتقاده يوافق اعتقادي فيك، فقال: قد طال حبس هذا المسكين ومحنته، فقبلت أنا وهو الأرض عند ذلك، فقال لنا: كأنكما تؤثران إطلاقه، قلنا: إن من أعظم حقوقه علينا، وذرائعه عندنا، أن عرفناه في خدمتك، وخالطناه في أيامك، قال: فإذا كان رأيكما فيه، فأئذا وأفرجا عنه، وتقدما إليه عنا بملازمة منزله، إلى أن يرسم له ما يليق بمثله: قال أبو الريان، فخرجت مبادراً، وأنفذت لشكرستان صاحبي، وأنفذ بن سعدان محمدا لأواتيه، وانتظرت عودهما بما فعلاه، من صرفك إلى دارك، فأبطأ عليّ، وكنت أعرف من عادة عضد الدولة، أنه يتقدم بالأمر، ثم يسأل عنه، فإن كان قد فعل أمضاه، ولم يرجع، وإن تأخر، فربما بدا له رأي مستأنف في التوقف عنه، فدخلت إلى عضد الدولة في غرض ما، أطلعه به، فقلت له: سمع الله في مولانا ما دعي له، فقال: ما تجدد؟ قلت: شاهد الناس أبا إسحاق الصابئ، وقد أخرج من محبسه، ومضى إلى داره، فأكثروا من الدعاء والشكر، فسكت، وشغلت عضد الدولة علته، وما أفضى إليه من منيته عن النظر في أمره، إلا أنه وصل إلى حضرته، فيما بين الإطلاق واشتداد العلة، في أيام متفرقة، فتفقدته بثياب ونفقات، عدة دفعات.

وكان صاحب ابن عباد يحبه أشد الحب، ويتعصب له، ويتعاهده على بعد الدار بالمنح، وكان الصابئ، منذ حبسه عضد الدولة، متعطلاً، إلى أن مات فكان يواصل حضرة صاحب بالمدح.

قال أبو منصور: فقرأت له فصلاً من كتاب في ذكر صلة، وصلت منه إليه، استطرفته جداً، وهو: ورد، أطل الله بقاء سيدنا، أبو العباس أحمد بن الحسن، وأبو محمد جعفر بن شبيب، حاجين، فعرجا إلى ملمين، وعاجا إلى مسلمين، فحين عرفتهما، فقبل أن أرد السلام عليهما، مددت اليد إلى ما معهما، كما مدها حسان بن ثابت إلى رسول جيلة بن الأيهم، ثقة مني بصلته، وتشوقاً إلى تكرمه، واعتياداً لإحسانه، وإلفاً لموارد إنعامه، وتيقناً أن الخطرة مني على باله، مقرونة بالنصيب من ماله، وأن ذكره لي، مشفوعة بجدواه علي، وقمت عند ذلك قائماً، وقبلت الأرض ساجداً، وكررت الدعاء والثناء مجتهداً، وسألت الله أن يطيل له البقاء، كطول يده بالعطاء، ويمد له في العمر، كامتداد ظله على الحر، وأن يحرس هذا البدن، القليل العدد، من مشيخة الكتاب، ومتحلي الآداب، ما كنهم به من ذراه، وأفاء عليهم من نداء، وأسامهم فيه من مراتعه وأعذبه لهم من شرائعه، التي هم محللون إلا منها، ومحرمون إلا عنها".

وكان صاحب يتمنى انحياز أبي إسحاق إلى جنبته، وقدمه إلى حضرته، ويضمن له الرغائب على ذلك، إما تشوقاً، وإما تشرفاً.

وكان أبو إسحاق يحتمل ثقل الخلة، وسوء أثر العطلة، ولا يتواضع للاتصال بجملة صاحب، بعدكونه من نظرائه، وتحليه بالرياسة في أيامه.

قال: وأخبرني ثقات، منهم أبو القاسم علي بن محمد الكرخي، وكان شديد الاختصاص بالصاحب، أنه كثيراً ما كان يقول: كتاب الدنيا، وبلغاء العصر أربعة: الأستاذ ابن العميد، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، وأبو إسحاق الصابئ، ولو شئت لذكرت الرابع يعني نفسه.

فأما الترجيح بين هذين الصديقين، أعني: صاحب والصابئ، في الكتابة، فقد خاض فيه الخائضون، وأطنب المحصلون، ومن أشفى ما سمعته في ذلك: أن صاحب كان يكتب كما يريد، وأبو إسحاق يكتب كما يؤمر، وبين الحاليين بون بعيد، وكيف جرى الأمر، فهما هما، ولقد وقف فلك البلاغة بعدهما؟ ومما يدل على إناخة لكل الزمان عليه، وصرف صروفه، بعد النباهة إليه، فصل كتبه إلى صديق له يستميحه، وهو: ولما صارت صروف الدهر تتوغل بعد التطريف وتجحف بعد التحيف، وصادف ما تجدد علي في هذا الوقت منها أشلاء، مني منهوكة، وأعظماً مبرية، وحشاشة مشفية، وبقية مودية، جعلت أختار الجهات، وأعتام الجنبات، لأنحو منها ما لا يعاب سائله إذا سأل، ولا يخيب آمله إذا أمل، وكان سيدي أولها إذا عدت، وأولها إذا اعتمدت، وكتبت كتابي هذا، بيد يكاد وجهي يتظلم منها إذ تخطه، إشفاقاً على مائه مما يريقه، لولا الثقة بأنه يحقن مياه الوجه ويحميها، ويجمها، ولا يقذيها.

فصل من كتاب إلى عضد الدولة في تهنئة بتحويل سنته: أسأل الله مبتهلاً لديه، ماداً يدي إليه، أن يحيل على مولانا هذه السنة، وما يتلوها من أخواتها، بالصالحات الباقيات، والزيادات الغامرات، ليكون كل دهر يستقبله، وأمد يستأنفه، موفراً على المتقدم له، قاصراً عن المتأخر عنه، ويوفيه من العمر أطوله وأبعده، ومن العيش أعذبه وأرغده، عزيزاً منصوراً، محمياً موفوراً،

باسطاً يده، فلا يقبضها إلا على نواصي أعداء وحساد، سامياً طرفه، فلا يغمضه إلا على لذة غمض ورقاد، مستريحة ركابه، فلا يعملها إلا لاستضافة عز وملك، فائزاً قداحه، فلا يجيلها إلا لحيازة مال وملك، حتى ينال أقصى ما يتوجه إليه أمنيته جامحة، وتسمو له همته طامحة.

وحدث هلال بن المحسن: حدثني جدي أبو إسحاق: ثم وجدت هذا الخبر بخط المحسن بن إبراهيم قال: حدثني والدي أبو إسحاق، قال: كان والدي أبو الحسن يلزمني في الحداثة والصبي قراءة كتب الطب، والتحلي بصناعاته، وينهاني عن التعرض لغير ذلك، فقويت فيها قوة شديدة، وجعل لي برسم الخدمة في البيمارستان عشرون ديناراً في كل شهر، وكنت أتردد إلى جماعة من الرؤساء، خلافة له، ونيابة عنه، وأنا مع ذلك كاره للطب، ومائل إلى قراءة كتب الأدب، كاللغة والشعر، والنحو والرسائل والأدب، وكان إذا أحس بهذا مني، يعاتبني عليه، وينهاني عنه، ويقول: يا بني، لا تعدل عن صناعة أسلافك، فلما كان في بعض الأيام، ورد عليه كتاب من بعض وزراء خراسان يتضمن أشياء كثيرة، كلفه إياها، ومسائل في الطب وغيره، سأله عنها، وكان الكتاب طويلاً بليغاً، قد تأنق منشئه، وتغارب، فأجاب عن تلك المسائل، وعمل جملاً لما يريده، وأنفذها على يدي إلى كاتب، لم يكن في ذلك العصر أبلغ منه، وسأله إنشاء الجواب عنه، قال: فمضيت، وأنشأت أنا الجواب، وأطلته وحررت، وجئت به إليه، فلما قرأه، قال: يا بني سبحان الله، ما أفضل هذا الرجل وأبلغه، فقلت له: هذا من إنشائي، فكاد يطير فرحاً، وضمني إليه، وقبل بين عيني، وقال: قد أذنت لك الآن، فامض، فكن كاتباً.

كان أبو إسحاق الصابئ واقفاً بين يدي عضد الدولة، وبين يديه كتب قد وردت عليه من ابن سمجور، صاحب خراسان، وعلى رأسه غلام تركي، حسن الوجه، جميل، الخليفة، وكان مائلاً إليه، ورأيت الشمس إذا وجبت عليه حجبها، إلى أن استتم قراءة ما كان في يده، ثم التفت إليه، فقال له: هل قلت شيئاً يا إبراهيم؟ فقال:

وقفت لتحجيني عن الشمس
فقلت لتظللني ومن عجب
نفس أعز علي من نفسي
شمس تقنعني عن الشمس

فسر بذلك، وطوى الكتب، وجعله مجلساً للقرب، وألقي على الجواري الستائر، فغنوا به في ذلك اليوم، وهو في الخامس من شوال سنة إحدى وستين وثلاثمائة.

وكتب إلى بعض أصدقائه: ولو حملت نفسي على الاستشفاع والسؤال، لضاق علي فيه المرتكض والمجال، لأن الناس عندنا - ما خلا الأعيان الشواذ الذين أنت بحمد الله أولهم - طائفتان: مجاملة، ترى أنها قد وفئت خيرها، إذا كفئك شرها، وأجزلت لك رفدها، إذا أجنبتك كيدها. ومكاشفة، تنزوا إلى القبيح، نزوا الجناب، أو تدب، دبيب العقارب، فإن عوتبوا، حسروا قناع الشقاق، وإن غولظوا، تلتثموا بلثام النفاق. والفريقان في ذاك كما قلت منذ أيام:

أيارب، كل الناس أبناء علة
وجوه بها من مضمهر الغل شاهد
إذا اعترضوا عند اللقاء فإنهم
وإن أظهروا برد الودود وظله
أخو وحدة قد أنستني كأنني
فذلك خير للفتى من ثوائه
أما تعثر الدنيا لنا بصديق
ذوات أديم في النفاق صفيق
قذى لعيون أو شجاً لحلق
أسروا من الشحاء حر حريق
بها نازل في معشر ورفيق
بمسبحة من صاحب وصديق

ومن خط أبي علي المحسن، بن إبراهيم بن هلال: حدثني والدي رحمه الله، قال: وصفت وأنا حدث، للوزير أبي محمد المهلب، وهو يومئذ يخاطب بالأستاذ، فاستدعى عمي أبا الحسن، ثابت بن إبراهيم، وسأله عني والتمسني منه، ووعدني بكل جميل، فخاطبني عمي في ذلك، وأشار علي به، فامتنعت، لانقطاعي إلى النظر في العلوم، وكنت مع هذه الحال شديد الحاجة إلى التصرف، لقرب العهد بالنكبة من توزون، التي أتت على أموالنا، فلم يزل بي أبي، حتى حملني إليه، فلما رأيته تقبلني، وأقبل علي، ورسم لي الملازمة، وبحضرته في ذلك الوقت جماعة من شيوخ الكتاب، فلما كان في بعض الأيام، وردت عليه عدة كتب من جهات مختلفة، فاستدعاني، وسلمها إلي، وذكر لي المعاني التي تتضمنها الأجوبة، وأطال القول، فمضيت، وأجبت عن جميعها، من غير أن أدخل بشيء من المعاني التي ذكرها، فقرأها حتى أتى على آخرها، وتقدم إلي في الحال بإحضار دواتي، والجلوس بين يديه متقدماً على الجماعة، فلزم بعضهم منزله وجداً وغضباً، وأظهر بعضهم التعال، فلم أزل أتلف وأداري، وأغضي على قوارص تبلغني، حتى صارت الجماعة إخواني وأصدقائي.

وقرأت بخطه أيضاً: وفي كتاب الوزراء لابنه، قال المحسن: حدثني والدي: وقال هلال: حدثني جدي: واللفظ والمعنى يزيد وينقص، والاعتماد على ما في كتاب هلال، لأنه أتم، قال أبو إسحاق: كنت في مجلس الوزير أبي محمد المهلب، في بعض أيام

الحداثة، جالساً في مجلس أنسه، وبين يديه أبو الفضل العباس بن الحسين، وأبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن، وأبو علي الحسين بن محمد الأنباري، وأبو الفرج بن أبي هشام، وغيرهم من خلفائه وكتابه، وقد أخذ الشراب من الجماعة، وزاد بهم على حد التشوه وكانت لي في ذلك مزية، لأنني شربت معه أرطالاً عدة، إذ حضر رسول الأمير معز الدولة، يذكر أن معه مهماً، فقال أبو محمد: يدخل، فدخل، وقال: الأمير يقول: تكتب عني الساعة كتاباً إلى محمد بن إلياس، صاحب كرمان، تخطب فيه ابنته لاختيار، فقال الوزير: هذا كتاب يحتاج إلى تأمل وثبوت، وما في الكتاب من فيه، مع السكر، فضل له، ثم التفت إلى أبي علي الأنباري، فقال له: تتمكن يا أبا علي من كتبه؟ فقال: أما الليلة وعلى مثل هذه الحالة والصورة فلا، ورأني الوزير مصغياً إلى القول، متشوقاً لما يرسمه لي في ذلك، فقال: تكتبه يا أبا إسحاق؟ قلت: نعم: قال: افعل، فقممت إلى صفة يشاهدني فيها، واستدعيت دواتي، ودرجاً منصورياً، وكتبت كتاباً اقتضبه بغير روية، ولا نسخة، والوزير والحاضرون يلاحظوني، ويعجبون من إقدامي، ثم اقتضابي وإطالتي، فلما فرغت منه، أصلحته، وعنونتته، وحملته إليه، فوقف عليه ووجهه متهلل، في أثناء القراءة والتأمل، ورمى به إلى أبي علي بن الأنباري، ثم قال للجماعة: هذا كتاب حسن، دال على الكفاية المبرزة، ولو كتبه صاحباً مروياً، لكان عجباً، فكيف إذ يكتبه منتشياً مقتضباً، ولكنه كاتبني وصنيعتي، قم يا أبا إسحاق من موضعك، واجلس ههنا، حيث أجلسك الكفاية، وأوماً إلى جانب أبي الغنائم ابنه، فقبلت يده ورجله، وشكرته، ودعوت له، وجلست بحيث أجلسني، وشرب لي ساراً، ثم استدعى حاجبه، وقال: تقدم دابته إلى حيث تقدم دواب خلفائي، ويوفى من الإكبار الإكرام ما يوفونه، فحسدني على ذلك كل من كان حاضراً، ووفوني من الغد حكم المساواة، في المخاطبة والمعاملة، واستشعروا عندها أسباب العداوة والمنافسة، ثم قلدي دواوين الرسائل، والمظالم، والمعاون تقليداً سلطانياً، كتب به: عن المطيع لله إلى أصحاب الأطراف.

وحدث هلال بن المحسن، قال: حدثني جدي أبو إسحاق، قال: كان أبو طاهر بن بقية واقفاً بين يدي عضد الدولة في سنة أربع وستين وثلاثمائة التي ورد فيها للمعاونة على الأتراك، فقال لي عضد الدولة: لو عرضت علينا أبياتك إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف، التي هي، وأنشدها، وكانت:

يا راكب الجسرة العيرانة الأجد	تدمى مناسمها في الحزن والجدد
أبلغ أبا قاسم نفسي الفداء له	مقالة من أخ للحق معتمد
أنصفت فيها ولم أظلم، وما حسن	بالمرء إلا مقال الحق والسدد
في كل يوم لكم فتح له خطر	يشاد فيه بذكر السيد العضد
وما لنا مثله لكننا أبدأ	نجيبكم بجواب الحاسد الكمد
فأنت أكتب مني في الفتوح وما	تجري مجيباً إلى شأوى ولا أمدى
إذ لست تعرفها تأتيك من أحد	ولست أعرفها تمضي إلى أحد
وما ذممت ابتدائي إذ بدأتكم	ولا جوابكم في القرب والبعد
وإنما رمت أن أثني على ملك	مستطرد بدليل فيه مطرد

قال: فلما استتمها، قال لأبي طاهر: ما قصد أبو إسحاق في هذه الأبيات؟ وسمعتها أبو طاهر صفحاً، وقد كان شرب أقداحاً، ولم يعلق بذكره من الأمر إلا ذكر المجلس، واشتهر خبرها عند كل أحد، مما عاد عضد الدولة إلى شيراز سألني أبو طاهر بن بقية عنها، وطالبني بإنشادها غياه، فلم يمكنني إنكارها، فغيرتها في الحال على هذا الوجه:

يا راكب الجسرة العيرانة الأجد	تدمى مناسمها في الحزن والجدد
أبلغ أبا قاسم، نفسي الفداء له	مقالة من أخ للود معتقد
أنصفت فيها ولم أظلم، ولا حسن	بالمرء إلا مقال الحق والسدد
قد أعجبتك فتوح أنت كاتبها	تردد السجع فيها غير متد
خلا لك الجو إذ أصبحت منتشياً	تشدو بها طرباً كالطائر الغرد
تروني كل يوم منك رائعة	تبغي الجواب لها من موجد كمد
فأنت أكتب مني في الفتوح وما	تجري مجيباً إلى شأوى ولا أمدى
أعطيتني شر قسميها وفزت بما	فيه الفوائد من قرب ومن بعد
فاشكر إلهك واعذرني فقد صديت	قريحتي من زمان مقرف تلد

ثم سعي بأبي إسحاق إلى عز الدولة، حتى قبض عليه، بعد أن أعطانا أماناً، كتبه ابن بقية بيده، ولم يستقص ابن بقية عليه، لحق كان قد أوجبه عليه، أيام كون عضد الدولة بيع فكتب أبو إسحاق إلى ابن بقية من الحبس:

ألا يا نصير الدين والدولة الذي
أيعجزك استخلاص عبدك بعد ما
وكتب أبو إسحاق إلى المطهر بن عبد الله، وزير عضد الدولة، وقد عرضت له شكاة:

لو استطعت أخذت علة جسمه
وجعلت صحتي التي لم تصف لي
فتكون عندي العلتان كلاهما
بدلاً له من صحة الإقبال
والصحتان له بغير زوال

قرأت بخط أبي علي بن إبراهيم الصابي، كتب والذي إلى بعض إخوانه: كانت رقعتك يا سيدي، وصلت إلي، مشتملة من لطيف تفضلتك وبرك، وأنيق نظمك ونثرك، على ما شغلني الاستحسان له، والاسترواح إليه، وتكرير الطرف في مبانیه، والفكرة في معانيه، عن الشروع في الإجابة عنه، ثم تعاطيتها، فوجدتني بين حالتين، إما أوجزت إيجازاً، يظن معه التقصير، أو أطلت إطالة، يظهر منها القصور، فرأيت أولى الأمرين، بذل الممكن، واستنفاد المجهود، بعد تقديم الإقرار لك، والاعتراف بفضلك.

فسبحان رب كريم حبا
ووفاك من فضل إنعامه
فما كنت أحسب أن الزما
ك بطول اللسان وطول البنان
كمالاً تقصر عنه الأمانني
ن يزان بمثلك لولا عياني

ومن خطه: حدثني والذي أبو إسحاق قال: راسلت أبا الطيب المتنبّي - رحمه الله - في أن يمدحني بقصيدتين، وأعطيه خمسة آلاف درهم، ووسطت بيني وبينه رجلاً من وجوه التجار، فقال له: قل له: والله ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك، ولا أوجب علي في هذه البلاد أحد من الحق ما أوجبت، وإن أنا مدحتك، تنكر لك الوزير، يعني - أبا محمد المهلبی، - وتغير عليك، لأنني لم أمدحه، فإن كنت لا تبالي هذه الحال، فأنا أجيبك إلى ما التمست، وما أريد منك منالاً، ولا عن شعري عوضاً، قال والذي: فتنبهت على موضع الغلط، وعلمت أنه قد نصح، فلم أعاوده.

ومن شعر أبي إسحاق، قوله:

جرت الجفون دماً، وكأسي في يدي
فتخالف الفعلان، شارب قهوة
فكأن ما في الجفن من كأسٍ جرى
شوقاً إلى من لج في هجراني
يبكي دماً، وتشاكل اللونان
وكأن ما في الكأس من أجفاني

وله أيضاً:

أيها اللائم المضيق صدري
قد أقام القوام حجة عشقي
وله أيضاً في غاية الجودة:

حذرت قلبي أن يعود إلى الهوى
فأجابني لا تخش مني بعد ما
حتى إذا داع دعاه إلى الهوى
كذبالة أخدمتها فكما دنا

وله أيضاً:

مرضت من الهوى حتى إذا ما
تكنفني ذوو الإشفاق منهم
وقالوا للطبيب: أشر فإننا
فقال شفاؤه الرمان مما
فقلت لهم: أصاب بغير قصد
ولكن ذاك رمان الصدور

وله أيضاً:

إلى الله أشكو ما لقيت من الهوى
بجارية أمسى بها القلب يلهج

إذا امتزجت أنفاسنا بالتزامنا
كأنني وقد قبلتها بعد هجعة
أضفت إلى النفس التي بين أضلعي
فإن قيل لي اختر أيما شئت منهما

وله أيضاً:

أقول، وقد جردتها من ثيابها
وقد آلمت صدري لشدة ضمها

وله أيضاً:

إن نحن قسناك بالغصن الرطيب فقد
لأن أحسن ما نلقاه مكتسباً

وله أيضاً:

فديت من لاحظ طرفها
لما رأت بدر الدجى تائهاً
سرت له البرقع من وجهها

وكتب أبو إسحاق إلى الوزير، أبي نصر سابور ابن أردشير جواباً عن كتاب إليه:

أتنتي على بعد المدى منك نعمة
كتابك مطوياً على كل منه
فقبلت إجلالاً له الأرض ساجداً
وقابلت ما فيه من الطول والندی
وعاليت نحو العرش طرفي باسطاً
وكم لك عندي من يد قد حفظتها
وقال في غلام له، اسمه رشد أسود:

قد قال رشد وهو أسود للذي
ما فخر خدك بالبياض وهل ترى
ولو أن مني فيه خالاً زانه

وله فيه أيضاً:

لك وجه كأن يمني خط
فيه معنى من الدور ولكن
لم يشنك السواد بل زاد حسناً

وله في البق:

وليلة لم أذق من حرها وسناً
أحاط بي عسكر للبق ذو لجب
من كل شائكة الخرطوم طاعنة
طافوا علينا، وحر الشمس يطبخنا
وقال يذم البصرة، وكان قد خرج إليها لاستيفاء مال السلطان:

ليس يغنيك في التطهر بالبص
إن تطهرت فالمياه سلاح

وقال عند رحيله عنها:

توليت عن أرض البصيرة راحلاً

توهمت أن الروح بالروح يمزج
ووجدي ما بين الجوانح يلعب
بأنفاسها نفساً إلى الصدر تولج
فإنني إلى النفس الجديدة أحوج

وعانقتها كالبدن في ليلة التم
لقد جبرت قلبي وإن أوهنت عظمي

حفنا عليك به ظلماً وعدوانا
وأنت أحسن ما نلقاك عرياناً

من جيفة الناس بتسليمته
وغازها ذلك من شيمته
فردت البدن إلى قيمته

تشاكل ما قدمت من نعم عندي

يمن بها المولى الكريم على العبد
وعفرت، قدام الرسول به خدي
بما في من شكر عليه ومن حمد
يدي بدعاء قد بذلت به جهدي
ولم ينسنيها ما تطاول من عهد

ببياضه يعلو علو الحائن
أن قد أفدت به مزيد محاسن؟؟
ولو أن مني فيه خالاً شانني

ته بلفظ تملنه آمالي
نفضت صبغها عليها الليالي
إنما يلبس السواد الموالي

كأن في جوها النيران تشتعل
ما فيه إلا شجاع فاتك بطل
لا تحجب السجف مسراها ولا الكلل
حتى إذا أنضجت أجسادنا أكلوا

رة إن حانت الصلاة اجتهاد
أو تيممت فالصعيد سعاد

وأفدة الفتیان حشو حقائبي

بأمثال غزلان الصريم الربائب
لعاشقة حيرى وحيران لا عب
ولا تستر الجدران إلا حبابي

عليه أن يغضب الرحمن من غضبي
إقذاء عيني وقد أقررت عين أبي؟
وسقيتها حتى تراخى بها المدى
أنتك بأغصان لها تطلب الندى

ففي حياتك من فقد اللهى عوض
يداك من طارف أو تالد عرض

لها أقيها المنايا حين تعترض
عن نية لم يشب إخلاصها مرض:
جواهر الأرض طرا عندها عرض
وإن أصبت بنفسى فهو لي عوض
ومهجتي، فهما مغزاي والغرض

يد لك لا تسود إلا من النقس
تطرز بالظلماء أردية تشمس

أبدأ يفيض حتى العفاة عطاء
كيما تسبب للطبيب حباء
حققت، بيدي الأمور، دماء
في عوده، فهو اللباب صفاء
جعلوا له حب القلوب وعاء
تحبي الولى وتكبت الأعداء

يفضي، وإن طال الزمان، إلى مدى
وعروقه متولجات في الندى
فيعود ماء العود فيه كما بدا
فلكية في منتهاها المبتدا

فكن رائشي، إذ أنت ناه وأمر
فبلغني المأمول إذ أنت قادر
وطرفي إلى نيل المنى بك ناظر

وإن كنت لم أبلغ لكم ما أومل

منازل تقري ضيفها كل ليلة
أقمت بها سوق الصبا والندى معاً
فما تظهر الأشواق إلا صنائعي
وقال، وقد عتب على بعض ولده:

أرضى عن ابني إذا ما عقني حذراً
ولست أدري لم استحققت من ولدي
وكتب إلى بعض الرؤساء، يلتمس منه إشغال بعض ولده وإجراء رزق عليه:
وما أنا إلا دوحة قد غرستها
فلما اقشعر العود منها وصوحت
وكتب إليه أبو علي المحسن ابنه، تسلية في إحدى نكباته:
لا تأس للمال إن غالته غائلة
إذ أنت جوهراً الأعلى وما جمعت
وأجابه أبو إسحاق:

يا درة أنا من دون الورى صدف
قد قلت للدهر، قولاً كان مصدره
دع المحسن يحيا، فهو جوهرة
والنفس لي عوض عما أصبت به
أتركه لي وأخاه، ثم خذ سلبي
وقال يمدح المهلبى:

وكم من يد بيضاء حازت جمالها
إذا رقت بيض الصحائف خلتها
وله فيه، وقد فصد من غير علة:

لهجت يمينك بالندى، فبنانها
حتى فصدت، وما بجسمك علة
ولقد أرقنت دماً زكياً من يد
يجري العلا في عرقه جري الندى
لو يقدر الأحرار حين أرقته
فانعم وعش في صحة وسلامة
وله أيضاً فيه:

لا تحسب الملك الذي أوتيته
كالدوح في أفق السماء فروعه
في كل عام يستجد شبيهة
حتى كأنك دائر في حلقة
وله في ابن سعدان:

وما زلت من قبل الوزارة جابري
أمنت بك المحذور، إذ كنت شافعاً
لعمري، لقد نلت المنى بك كلها
عكس قول المهلبى:

بلغت الذي قد كنت أمله بكم

وله إلى الصاحب:

لما وضعت صحيفتي

قبلتها لتمسها

وتود عيني أنها اق

حتى ترى في وجهك ال

وقال لأبي القاسم عبد العزيز بن يوسف:

أبو قاسم عبد العزيز بن يوسف

روى ورعى لما روى قول قائل

وله تهنئة بالعيد:

يا سيداً أضحى الزما

أيام دهرك لم تزل للناس أعياداً جميعاً

حتى لأوشك بينها

فاسلم لنا ما أشرقت

واسعد بعيد ما يزا

وله أيضاً، يهنئ عضد الدولة بالأضحى:

صل يا ذا العلا لربك وانحر

أنت أعلى من أن تكون أضاح

بل قروماً من الملوك ذوي السو

كلما خر ساجداً لك رأس

وله أيضاً:

ولما رأيت الله يهدي وخلقه

فكان احتفالي في الهدية درهماً

وجزءاً لطيفاً ذرعه ذرع محبسي

الأطف مولانا، وكالماء طبعه

وكتب إلى الوزير أبي نصر سابور بن أردشير، وقد أعيد إلى الوزارة:

قد كنت طلقت الوزارة بعد ما

فغدت بغيرك تستحل ضرورة

والآن آلت ثم آلت حلفة

وله يهجو:

أيها النابح الذي يتصدى

لا تؤمل أنني أقول لك: اخساً

وله يهجو:

وراكب فوق طرف

له قذال متين

يذوب شوقاً إليه

وله يهجو:

يبدي اللواط مغالطاً، وعجانه

فكانه ثعبان موسى إذ غدا

وله يصف الشعر:

في بطن كف رسولها

يمناك عند وصولها

ترنت ببعض فصولها

ميمون غاية سؤلها

عليه من العلياء عين تراقبه

"وشبع الفتى لؤم إذا جاع صاحبه "

ن بأسره منه ربيعا

عيد الحقيقة أن يضيحا

شمس على أفق طلوعا

ل إليك معتقداً رجوعا

كل ضد وشائى لك أبتتر

يك قروماً من الجمالة تعقر

دد تيجانها أمامك تنثر

منهم، قال سيفك: الله أكبر

تجاسرت واستقرغت جهد جهيد

يطير على الأنفاس يوم ركود

وتقييده بالشكل مثل قيودي

تسلسل من عذب النطاف برود

زلت بها قدم وساء صنيعها

كيما يحل إلى ذراك رجوعها

ألا يبيت سواك وهو ضجيعها

بقبيح يقوله لجوابي

لست أسخو بها لكل الكلاب

كأنه فوق طرفي

يجل عن كل وصف

نعلي وخفي وكفي

أبدأ لأعراذ الورى مستهدف

لحبالهم وعصيم يتلقف

لقد شأن شأن الشعر قوم كلامهم
فيا رب إن لم تهدهم لصوابه

وله أيضاً:

إذا جمعت بين امرأين صناعة
فلا تتفقد منهما غير ما جرت
فحيث يكون النقص، فالرزق واسع

وله أيضاً:

كل الورى من مسلم ومعاهد
فإذا رآك المسلمون تيقنوا
وإذا رأى منك النصرارى ظبية
أثنوا على تثليثهم واستشهدوا
وإذا اليهود رأوا جبينك لامعاً
هذا سنا الرحمن حين أبانه
ويرى المجوس ضياء وجهك فوقه
فتقوم بين ظلام ذاك ونور ذا
أصبت شمسهم، فكم لك فيهم
والصابئون يرون أنك فردة
كالزهرة الزهراء أنت لديهم
فعلى يديك جميعهم مستبصر
أصلحتهم وقتلتني فتركنتني

قرأت بخط أبي علي المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابى، حدثني أبو الحسن محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمي الشاعر، قال:
أعانني والدك أبو إسحاق إبراهيم ابن هلال في هجائي، خمرة المجنونة بالشيء الكثير، فمن ذلك:

لخمرة عندي حديث يطول
وقالت: تقول بنا يا فتى
فلما نهضت أنتني رفاع

ومن ذلك أيضاً:

نام إبرى، وقد تولج فيها
بيت خيش في برده ونداه
نعم مستبرد الغراميل لولا

ومن ذلك أيضاً:

إذا نظموا شعراً من الثلج أبرد
فأضللهم عن وزن ما لم يوجدوا

فأحببت أن تدري الذي هو أحق
به لهما الأرزاق حين تفرق
وحيث يكون الفضل، فالرزق ضيق

للدين منه فيك أعدل شاهد
حور الجنان لدى النعيم الخالد
تعطو بيدر فوق غصن مائد
بك إذ جمعت ثلاثة في واحد
قالوا لدافع دينهم والجاحد
لكليمه موسى النبي العابد
مسود فرع كالظلام الراكد
حجج أعدوها لكل معاند
من راعك عند الظلام وساجد
في الحسن إقراراً لفرد ماجد
مسعودة بالمشتري وعطارد
في الدين من غاوي السبيل وراشد
من بينهم أسعى بدين فاسد

رأتني أبول، فكادت تبول
فقلت، وأدليت: لم لا أقول؟
وجاءت هدايا ووافي رسول

قائلاً فيه من هجير وحر
سجفت دونه شريحة بظر
أنه منتن خبيث المقر

فقدتك، كل شيء منك عبره
وقد أخفت نواتك كل بسره
ترف نضارة وتروق حمرة
عليها من ثياب حشاك صدره
وتخرج وهي كالبرني صفرة
ومن خط أبي علي المحسن حدثني السري ابن أحمد الشاعر الرفاء قال أنشدني والدك لنفسه:
وذراعها بالقرص والآثار
غرس البنفسج منه في الجمار

ألا هل قائل مني لخمرة:
ألا كل النوى في البسر يخفى
إذا وردتك فيشة ذي جمام
تولت عنك صفراء النواحي
فتدخل وهي فيشة جيسوان
ومن خط أبي علي المحسن حدثني السري ابن أحمد الشاعر الرفاء قال أنشدني والدك لنفسه:
مازلت في سكري ألمع كفها
حتى تركت أديمها وكأنما

وأخذت هذا المعنى فقلت:

أحبيب إلي بفتية نادمتهم
من كل محض الجاهلية معرق
وسموا الأكف بخضرة فكأنما
ومن خطه لأبي الحسن بن سكرة الهاشمي، من قصيدة إلى والدي وعمي أبي العلاء - رحمهما الله -:
نوب الدهر والزمان المعاند
وأذلوا وأهبطوا كل حاسد
وصعود ببدره التمس صاعد
كل يوم يزيد في الصيد واحد
وكتب من الحبس إلى ابنه المحسن، وقد أكثر من هذا في ترجمة أبيه:

كتبت أفيك السوء من مجلس صنك
وقد ملكنتي كف فظ مسلط
صليت بنار الهم فازددت صفوة
وكتب إلى صديق له من الحبس:

نفسي فداؤك غير معتد بها
ولو أن لي مالا سواها لم أكن
لكن صفرت فلم أجد إلا التي
وإذا شكرت لمن فداك فإنني
وكأنني المفدى حين أرحمني

وقال في الحبس:

إذا لم يكن للمرء بد من الردى
وأصعبه ما جاءه وهو راتع
فإن أكره العيشتين أعيشها
وسيان يوما شقوة وسعادة

وقال في الشيب:

يقول الناس لي: في الشيب عز
ولولا أنه ذلك وهون

أخذه من ابن الرومي:

كفاك من ذلتي للشيب حين أتى

وله أيضاً:

وجع المفاصل وهو أي
جعل الذي استحسنته
والعمر مثل الكأس ير
سر ما لقيت من الأذى
والناس من حظي كذا
سب في أواخرها القذى

حدث الرئيس أبو الحسن هلال، قال: قلت لجدي أبي إسحاق، تجاوز الله عنه وهو يشكو زمانه: يا سيدي، ما نحن بحمد الله تعالى إلا في خير وعافية، ونعمة كافية، فما معنى هذه الشكوى التي تواصلها، ويضيق صدرك بها، وينتغص عيشك معها؟ فضحك وقال: يا بني نحن كدود العسل، قد نقلنا منه إلى الخل، فهو ذا نحس بعموضته، ونأسى ونحزن على ما كنا فيه من العسل ولذته، وأنتم كدود الخل، ما ذقتم حلاوة غيره، ولا رأيتم طلاوة ضده.

ولأبي إسحاق من التصانيف: كتاب رسائله، وهو مشهور، نحو ألف ورقة، كتاب التاجي في أخبار أهله، كتاب اختيار شعر المهلب، كتاب ديوان شعره.

إبراهيم بن علي الحصري القيرواني الأنصاري

قال ابن صهيب: مات بالمنصورة، من أرض القيروان سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وقد جاوز الأشد. قال: وكان شاعراً، نقاداً، عالماً بتنزيل الكلام، وتفصيل النظام، يحب المجانسة والمطابقة، ويرغب في الاستعارة، تشبيهاً بأبي تمام في أشعاره، وتتبعاً لآثاره، وعنده من الطبع ما لو أرسله على سجيته، لجرى جري الماء، ورق رقة الهواء، كقوله في بعض مقطعاته:

يا هل بكيت كما بكت
هتفت سحيراً والربى للقطر رافعة الجفون
فكأنها صاغت على
ذكرتي عهداً مضى
فتصرمت أيهما
وله في الغزل:

كتمت هواك حتى عيل صبري
ولم أقدر على إخفاء حال
وحبك مالك لحظي ولفظي
فإن أنطق، ففيك جميع نطقي
وقوله أيضاً:

إني أحبك حباً ليس يبلغه
أقصى نهاية علمي فيه معرفتي
وله تأليف جيدة في ملح الشعر والخبر.

قال ابن رشيق: وقد كان أخذ في عمل طبقات الشعراء على رتب الأسنان، وكنت أصغر القوم سناً، فصنعت:
رفقاً أبا إسحاق بالعالم
لو كان فضل السبق مندوحة
فبلغه البيتان، فأمسك عنه، واعتذر منه، ومات، وقد سد عليه باب الفكرة فيه، ولم يصنع شيئاً.

والذي أعرف أنا من تصانيفه: كتاب زهرة الآداب، وكتاب النورين، اختصره منها، وهما يتضمنان أخباراً وأشعاراً حسناً، وكتاب المصون والدر المكنون، وله عندي: كتاب الجواهر، في الملح والنوادر، كتبه عبد القادر البغدادي.

إبراهيم بن يحيى بن المبارك بن المغيرة

اليزيدي، أبو إسحاق بن أبي محمد العدوي، قد ذكر السبب الذي من أجله سمي باليزيدي في خبر أبيه، وكان إبراهيم عالماً بالأدب شاعراً مجيداً، نادم الخلفاء، وقدم دمشق صحبة المأمون، كذا ذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق، مات فيما ذكره أبو الفرج بن الجوزي في كتاب المنتظم، سنة خمس وعشرين ومائتين.

قال ابن عساكر: وكان قد سمع أباه أبا محمد اليزيدي وأبا زيد سعد بن أوس الأنصاري، والأصمعي. روى عنه أخوه أبو علي إسماعيل بن يحيى ابن المبارك، وابنا أخيه أحمد وعبيد الله ابنا محمد بن أبي محمد.

قال الخطيب: وهو بصري، سكن بغداد، وكان ذا قدر وفضل، وحظ وافر من الأدب، وله كتاب مصنف، يفخر به اليزيديون، وهو ما اتفق لفظه، واختلف معناه، نحو من سبعمائة ورقة، رواه عنه ابن أخيه عبيد الله ابن محمد بن أبي محمد، وذكر إبراهيم: أنه بدأ بعمله، وهو ابن سبع عشرة سنة، ولم يزل يعمل إلى أن أتت عليه ستون سنة، وله كتاب مصادر القرآن، قال ابن النديم: يبلغ فيه إلى سورة الحديد، ومات، وكتاب في بناء الكعبة وأخبارها، وكتاب النقط والشكل، وله كتاب المقصور والممدود. حدث ابن عساكر في تاريخه، بإسناد رفعه إلى إبراهيم بن أبي أحمد عن أبيه، قال: كنت مع أبي عمرو بن العلاء في مجلس إبراهيم ابن عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فسأل عن رجل من أصحابه فقده، فقال لبعض من حضره: اذهب فاسأل عنه، فرجع فقال: تركته يريد أن يموت، فقال: فضحك منه بعض القوم، قوال: في الدنيا إنسان يريد أن يموت؟ فقال إبراهيم: لقد ضحكتم منها عريية، إذ يريد هاهنا بمعنى يكاد، قال الله تعالى: "يريد أن ينقض"، قال: فقال أبو عمرو بن العلاء لا نزال بخير مادام فينا مثلك.

وحدث أيضاً قال: قال إبراهيم اليزيدي: كنت يوماً عند المأمون، وليس معنا إلا المعتصم، قال: فذكر كلاماً فلم أحتمله منه، يعني: من المعتصم، وأجبتة قال: فأخفى ذلك المأمون ولم يظهر ذلك الإظهار، فلما صرت من غد إلى المأمون، كما كنت أصبر، قال لي الحاجب: أمرت ألا أذن لك، فدعوت بدواة وقرطاس، فكتبت:

أنا المذنب الخطاء، والعفو واسع	ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو
سكرت فأبدت مني الكأس بعض ما	كرهت، وما إن يستوي السكر والصحو
ولا سيما إذ كنت عند خليفة	وفي مجلس ما إن يليق به اللغو
ولولا حميا الكأس كان احتمال ما	بدهت به لا شك فيه هو السرو
تتصلت من ذنبي تتصل ضارح	إلى من لديه يغفر العمد والسهو
فإن تعف عني تلف خطوي واسعاً	وإلا يكن عفو، فقد قصر الخطو

قال: فأدخلها الحاجب، ثم خرج إليّ، فأدخلني، فم المأمون باعيه، فأكبت على يديه فقبلتهما، فضمني إليه وأجلسني.

قال المرزباني: إن المأمون وقع على ظهر هذه الأبيات:

إنما مجلس الندامى بساط	للمودات بينهم وضعوه
فإذا ما انتهوا إلى ما أرادوا	من حديث ولذة رفعوه

وحدث أبو الفرج الإصبهاني في كتابه، ورفعته إلى إبراهيم بن اليزيدي، قال: كنت مع المأمون في بلد الروم، فبينما أنا أسير في ليلة مظلمة شاتية ذات غيم وريح، وإلى جانبي قبة إذ برقت بارقة، فإذا في القبة عريب المغنية جارية المأمون، فقالت: إبراهيم بن اليزيدي؟ فقلت: لبيك، فقالت: قل في هذا البرق أبياتاً أغني فيها، فقلت:

ماذا بقلبي من أليم الخفق	إذا رأيت لمعان البرق
من قبل الأردن أو دمشق	لأن من أهوى بذاك الأفق
فارقته وهو أعز الخلق	عليّ، والزور خلاف الحق
ذاك الذي يملك مني رقي	ولست أبغي ما حبيبت عتقي

فتنفست نفساً ظننت أنه قد قطع حيازيمها، فقلت: ويحك، على من هذا؟ فضحكت، وقالت: على الوطن فقلت: هيهات، ليس هذا كله للوطن، فقالت: ويحك، أفتراك ظننت أنك تستغزني، والله لقد نظرت نظرة مربية في مجلس، فادعها أكثر من ثلاثين رئيساً، والله ما علم أحد منهم لمن كانت إلى هذا الوقت.

ووجدت في بعض الكتب: أن إبراهيم اليزيدي، دخل يوماً على المأمون، وعنده يحيى بن أكنم القاضي، فأقبل يحيى على إبراهيم يمازحه، وهم على الشراب، فقال له فيما قال: ما بال المعلمين ينيكون الصبيان، فرفع إبراهيم رأسه، فإذا المأمون يحرض يحيى على العبث به، فغاض ذلك إبراهيم، فقال: أمير المؤمنين أعلم خلق الله بهذا، فإن أبي أدبه، فقام المأمون من مجلسه مغضباً، ورفعت الملاهي، وكل ما كان بحضرته، فأقبل يحيى بن أكنم على إبراهيم، فقال له: أتدري ما خرج من رأسك؟ إني لأرى هذه الكلمة سبباً في انقراضكم يا آل اليزيدي، قال إبراهيم: فزال عني السكر، وسألت من أحضر لي دواة ورقة، فأحضرهما، وكتبت معتذراً بقولي:

أنا المذنب الخطاء، والعفو واسع

الأبيات المتقدمة، فرضي وعفا عنه.

قال إبراهيم: وكنت يوماً بحضرة المأمون، فقالت لي عريب، على سبيل الولع: يا سلعوس، قال: وكان من يريد العبث بإبراهيم، لقبه سلعوس، قال إبراهيم: فقلت لها:

قل لعريب: لا تكوني سلعسه
هذه أسماء جواري المأمون، قال: فقال المأمون على الفور:
فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن
فقال إبراهيم: كذا والله يا أمير المؤمنين قدرت، وإياه أردت، وعبت من فطنة المأمون وذهنه.

الأثر المأجاني الإصباحي

ذكره في كتاب أصبهان، فقال: كان أحد علماء اللغة، وممن جاب بلدان العراق، يجمع اللغة والشعر، وتصحيحهما عن علمائهما.

أحمد بن إبراهيم الضبي

أبو العباس الملقب بالكافي الأوحى، الوزير بعد صاحب أبي القاسم بن عباد، لفخر الدولة أبي الحسن علي ابن ركن الدولة بن بويه، مات في صفر سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ببروجرد، من أعمال بدر بن حسنويه، على ما ذكره، ذكره الثعالبي فقال: هو جذوة من نار صاحب أبي القاسم، ونهر من بحره، وخليفته النائب منابه في حياته، القائم مقامه بعد وفاته، وكان صاحب استصحيه منذ الصبا، واجتمع فيه الرأي والهوى، فاصطنعه لنفسه، وأديه بأدابه، وقدمه بفضل الاختصاص على سائر صنائعه وندمائيه، وخرج منه صدرأ يملأ الصدور كملاً، ويجري في طريقه ترسماً وترسلاً، وفي ذرا المعالي توقلاً، ويحقق قول أبي محمد فيه من قصيدة:

ترهى بآثرابها كما زهيت
ضبة بالماجد ابن ماجدها
سمائها شمسها غمامتها
هلالها بدرها عطاردها
يروى كتاب الفخار أجمع عن
كافي كفاة الورى وواحدها

وقد كانت بلاغة العصر بعد صاحب والصائب بقيت متماسكة بأبي العباس، فأشرفت على التهافت بموته، وكادت تشيب بعده لمم الأقلام، وتجف غدر محاسن الكلام، لولا أن الله سد ببقاء الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد ثلم الآداب والكتابة، ثم وصفه بكلام كثير.

ومن شعر أبي العباس الضبي:

لا تركن إلى الفرا
ق فإنه مر المذاق
والشمس عند غروبها
تصفر من ألم الفراق
وكتب إلى صاحب كافي الكفاة:

أكافي كفاة الأرض ملكك خالد
وعزك موصول فأعظم بها نعمي
نثرت على القرطاس درأ مبدداً
وآخر نظماً قد فرغت به النجما
جواهر لو كانت جواهر نظمت
ولكنها الأعراض لا تقبل النظما

وهذه رسالة من نثره كتبها إلى أبي سعيد الشيباني: وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين، فكان في الحسن روضة حزن، بل جنة عدن، وفي شرح النفس، وبسط الأنس، برد الأكباد والقلوب، وقميص يوسف في أجفان يعقوب، ومنها: - وبعد - فإن المنازعين للأمير حسام الدولة نسور قد اقتنصتها القصور، ودولته - حرسها الله - في إبان شبابها واعتدالها، وريعان إقبالها واقتبالها، قد أسست على صلاح وسداد، وعمارة دنيا ومعاد، وهي مؤذنة بالدوام، في ظل السلامة والسلام.

وأما سبب هربه إلى بروجرد، فإن أم مجد الدولة اتهمته أن سم ابن أخيها، وطلبت منه مائتي ألف دينار، نفقة في مأتمه فلم يفعل، والتجأ إلى بروجرد، وهي من أعمال بدر بن حسنويه الكردي، ثم بدا له في الرجوع إلى الوزارة، فبذل مائتي ألف دينار ليعاد إلى وزارته لمجد الدولة، فلم يجب إلى ذلك، فلما مات احتوى ابنه أبو القاسم سعد على تركته، وكانت عظيمة، ومات بعده بشهور، فاحتوى أبو بكر محمد بن عبد العزيز بن رافع على المال، وورد تابوت أبي العباس إلى بغداد مع أحد حجابيه.

وكتب ابنه إلى أبي بكر الخوارزمي، شيخ أصحاب أبي حنيفة، يعرفه أنه وصى بدفنه في مشهد الحسين بن علي رضي الله عنهما، ويسأله القيام بأمره، وابتياح تربة له، فخاطب الشريف الطاهر أبا أحمد في ذلك، وسأله أن يبيعهم تربة بخمسمائة دينار، فقال: هذا رجل التجأ إلى جوار جدي، ولا أخذ لتربيته ثمنًا، وكتب نفسه الموضع الذي طلب منه، وأخرج التابوت إلى برانا، وخرج الطاهر أبو أحمد ومعه الأشراف والفقهاء وصلى عليه، وأصبح خمسين رجلاً من رجاله حتى أوصلوه ودفنوه هنالك.

وقد مدحه مهيار بقصائد منها:

أجبرانا بالغور والركب منهم	أيعلم خال كيف بات المتيم؟
رحلتُم وعمر الليل فينا وفيكم	سواء ولكن ساهرون ونوم
فيا أنتم من ظاعنين وخلفوا	قلوباً أبت أن تعرف الصبر عنهم
يقون الوجوه الشمس والشمس فيهم	ويستردون النجم والنجم منهم
أنأشد نعمان الأخابير عنهم	كفى خبرة مستقصح وهو أعجم
ولما جلا التوديع عمن أحبه	ولم يبق إلا نظرة تتغنم
بكيت على الوادي وحرمت ماءه	وكيف يحل الماء أكثره دم؟
ونفرت بالأنفاس عني حدودهم	كان مطاياهم بهن توسم
وإن ملوكاً في "بروجرد" كرمت	هم بذلوا الإنصاف فيما تكرموا
فميز من أعدائهم أولياؤهم	إذا انتقموا يوم الجزاء وأنعموا
أسادتنا والجود صيرنا لكم	عبيداً وعن قوم نعرز ونكرم
إلام وكان البر منكم سجية	تواصلنا يجفى وكم نتظلم؟
من اعتضتم عنا خطيباً لفضلكم	وهل مثل شعري عن علاكم يترجم؟
وهل غير مدحي طبق الأرض فيكم	وإن كان ملء الأرض ما قد مدحتم؟
ولما مات رثاه مهيار أيضاً بقصيدة منها:	
أبكيك لي ولمن بلين بفرقه ال	أيتام بعدك والنساء أرامل
ولمستجير والخطوب تنوشه	متسطعم والدهر فيه أكل
ولمعشر طرق العلوم ذنوبهم	في الناس وهي لهم إليك وسائل
قد كنت ملتحقاً بمدحك حلة	فخراً تجر لها علي ذلال
فاليوم أشكرك الصنيع مرثياً	خرس المشيب عندها والغازل

قال هلال: في عصر الجمعة لست بقين من صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، توفي صاحب كافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل بن عباد بالري، ودفن من غد في داره، ونظر في الأمور بعده أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي، المتلقب بالكافي الأوحى، ومنزلة صاحب، وعلو قدره، وما شاع من ذكره، يغني عن الإطالة، في وصف أمره.

فحدثني القاضي أبو العباس أحمد بن محمد البارودي قال: اعتل صاحب أبو القاسم، فكان أمراء الديلم، ووجوه الحواشي، وأكابر الناس يغادون بابه ويرأحون، ويخدمونه بالدعاء، وتقيل الأرض وينصرفون، وجاءه فخر الدولة عدة دفعات، فيقال إن صاحب قال له وهو على يأس من نفسه: قد خدمتك أيها الأمير الخدمة التي استفرغت فيها الوسع، وسرت في دولتك وأيامك السيرة التي حصلت لك حسن الذكر بها، فإن أدبت الأمور بعدي على رسومها علم أن ذلك منك، ونسب الجميل فيه إليك، واستمرت الأحداث الطيبة لك، ونسيت أنا في أثناء ما يثني به عليك، وإن غيرت ذلك وعدلت عنه وسمعت أقوال من يملك على خلافه، وتسلك به في طريقه، كنت المذكور بما تقدم والمشكور عليه، وقدح في دولتك ما يشيع أنفاً عنك، فقال له في جواب ذلك ما أراه به قبول رأيه. فلما كان وقد غروب الشمس من ليلة الجمعة المذكورة قضى نحبه.

وكان أبو محمد خازن الكتب ملازماً داره على سبيل الخدمة له، وهو عين لفخر الدولة في مراعاة الدار وما فيها، فأنفذ في الحال وعرفه الخير، فأنفذ فخر الدولة خواصه وثقاته حتى أحاطوا على الدار والخزائن، ووجد له كيس فيه رقاع أقوام بمائة ألف وخمسين ألف دينار مودعة عندهم، فاستدعاهم وطالبهم بذلك، فأحضروه، وكان فيه ما هو بختم مؤيد الدولة، ورجمت

الظنون فيه، فقيل: إنه أخذه من خيانة، وقيل إنه أودعه مؤيد الدولة عن وصية منه إليه، ونقل ما كان في الدار والخزائن إلى دار فخر الدولة، وجهاز صاحب وأخرج تابوته وسط الناس، وقد جلس أبو العباس الضبي لعزائه، فلما بدا على أيدي الحاملين له قامت الجماعة إعظاماً له وقبلوا الأرض، ثم وقفت الصلاة عليه، وعلق بالسلاسل في بيت كبير إلى أن نقل إلى تربته بإصبعها.

وكان القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد، قد قال: لا أرى الرحمة عليه، لأنه مات عن غير توبة هرت منه، فطعن عليه بذلك، ونسب إلى قلة الرعاية فيه، وقبض فخر الدولة على القاضي عبد الجبار وأصحابه، وقرر أمرهم على ثلاثة آلاف ألف درهم، فأدوا ذلك ورقاً وعيناً بقيمة عقار سلموه، وباع في جملة ما باع ألف طيلسان محشي، وألف ثوب مصري، وقلد القضاء بعده علي بن عبد العزيز، وطالب أبا العباس الضبي أن يحصل من الأعمال والمتصرفين فيها ثلاثين ألف ألف درهم، وقال له: إن صاحب أضاع الأموال، وأهمل الحقوق، وينبغي أن يستدرك ما فات، ويتبع ما مضى، فامتنع من ذلك مع تردد القول فيه.

وكتب أبو علي الحسن بن أحمد بن حمولة وكان من أعلام الكتاب المتقدمين، الذين استخصهم صاحب وأقر لهم بالفضل، وقد قاد الجيوش الكثيرة فهمهم، فقامت له الهيبة التامة في قلوب العساكر، والملوك المجاورين، وكان عند موت صاحب بجرجان، مقيماً مع الجيوش لمداغة قابوس بن وشمكير، وجيوش خراسان، فكتب يخطب الوزارة ويضمن ثمانية آلاف ألف درهم عنها، فأجيب بالحضور، فلما قرب، قال فخر الدولة لأبي العباس الضبي: قد ورد أبو علي وعزمت على الخروج من غد لتلقيه، وأمرت الجماعة من قوايدي وأصحابي بالنزول له، ولا بد من خروجك وفعلك مثل ذلك، فتقل هذا القول على أبي العباس، وقال له خواصه وأصحابه: هذا ثمرة امتناعك عليه، وتقاعدك عما دعاك له، وسيكون لهذه الحال ما بعدها، فراسل فخر الدولة وبذل له ستة آلاف ألف درهم على إقراره على الوزارة، وإعفائه من تلقي أبي علي، وخرج فخر الدولة وتلقاه، ولم يخرج أبو العباس. ورأى فخر الدولة أن من الصلاح لأمره الإشراف بينهما في وزارته، فسامح أبا علي بألفي ألف درهم من جملة الثمانية التي بذلها، وسامح أبا العباس بألفي ألف درهم من جملة الستة التي ذكرناها، وقرر عليهما عشرة آلاف ألف درهم، وجمع بينهما في النظر، وخلع عليهما خلعتين متساويتين، ورتب أمرهما على أن يجلسا في دست واحد، ويكون التوقيع لهذا في يوم، والعلامة للآخر، ويجعل الكتب باسمهما، فقدم هذا على عنوانتهما يوماً، ووقع التراضي بذلك، وجرت الحال عليه، ونظرا في الأعمال، وتحصيل الأموال، وقبضا على أصحاب صاحب أبي القاسم ومن لحقته المسامحة في أيامه، وقررا عليهم المصادرات.

وذكر القاضي أبو العباس عن أبي العلاء بن المقرن أنه حدثه أنهما استخرجا من إصبعها وحدها جملة وافرة، وجرت حال غيرها من النواحي إلى مصادرة أهلها على مثل هذه الصورة، وأنفذ أبا بكر بن رافع إلى إستراباذ ونواحيها لاستيفاء ما يستوفيه من المعاملين والثناء فيها، فقيل: إنه جمع الوجوه، وأرباب الأحوال، وآخر الإذن لهم حتى تعالى النهار، واشتد الحر، ثم أطعمهم طعاماً أكثر ملح، ومنعهم الماء عليه وبعده، وقدم إليهم الدواة والكاغد وطالبهم بكتب خطوطهم بما يصحونه، ولم يزل يستام عليهم فيه وهم يتلهفون عطشاً، إلى أن ألزموا له عشرة آلاف ألف درهم، وتوقف العمال والمتصرفون عن الخروج إلى قزوین، لأن أهلها أهل امتناع وقوة، فبذل القارضي بن شیرمردي الخروج إليها، وذكر أنه يعرف وجوه أموال فيها، وخرج وحاول مطالبة أهلها، ومعاملتهم بمثل ما عومل به غيرهم، فاجتمعوا وهجموا عليه في داره وقتلوه.

واجتمع لفخر الدولة من الأموال في الخزائن والقلاع ما كثره المقللون ثم تمزق بعد وفاته، فلم تبق منه بقية في أسرع وقت، ثم مات فخر الدولة، وولي الأمر بعده ابنه مجد الدولة أبو طالب رستم، واستولت السيدة والدته على الأمر، وأجري أمر الوزيرين على حاله في أيام فخر الدولة من التشارك في تدبير المملكة، ومزقا أموال فخر الدولة، وبذراها غاية التذير، ثم نجم قابوس، واستولى على رججان، وضام جيوش خراسان، فدعت الضرورة إلى تجهيز جيش إليه، وأن يخرج معه أحد الوزيرين، فنقارعا على من يخرج منهما، فوقعت القرعة على الجليل أبي علي الحسن بن أحمد بن حمولة، فخرج ومعه العساكر الجمة، ووقعت بينه وبين قابوس وقائع استنفدت الأموال التي صحبتته، واحتاج إلى الإمداد من الري، فتقاعد به أبو العباس الضبي، فرجع إلى الري مفلولاً، وأقاما على أمرهما من الاشتراك مدة، ثم سعت بينهما السعاة وقالوا: فساد الأمر إنما هو من اشتراكهما، واختلاف آرائهما، والرأي أن يعزل أحدهما ويبقى الآخر، وكان ابن حمولة شديد الثقة بنفسه، معتقداً أن العساكر لا تختار غيره، ولا تريد سواه، فكان متغافلاً حتى دبر أبو العباس الضبي عليه، وقبض عليه بأمر السيدة، وحمله إلى قلعة استوناوند، ثم أنفذ إليه من قتله.

واستبد أبو العباس بالأمر، وجرت له خطوب، وعجز في آخرها ومات، فرأته السيدة، فاتهم أنه سقاه السم، فهرب حتى لحق بروجرد في سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ملتجئاً إلى بدر بن حسنويه، فلم يزل عنده إلى أن مات في بروجرد في سنة سبع وتسعين أو ثمان وتسعين، وتبعه ابنه أبو القاسم سعد لاحقاً به، وكانت المدة قريبة بينهما. وقيل: إن أبا بكر بن رافع، وإطاً أحد غلمانه فسقاه سمًا كان فيه حتفه، ونهض أبو بكر من همدان إلى بروجرد لاحتمال تركته، فذكر أنه حصل له ما زاد على ستمائة ألف دينار.

أحمد بن إبراهيم أبو رياش

وجدت بخط الحميدي، فيما رواه عن التنوخي في كتاب نشوار المحاضرة قال: هو أبو رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي، ووجدت بخط بعض أدباء مصر قال: أبو رياش، أحمد بن إبراهيم الشيباني، ولعل أبا هاشم كنية إبراهيم، مات فيما ذكره أبو غالب همام بن الفضل بن مذهب المغربي في تاريخه في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة. قال أبو علي المحسن بن علي التنوخي: ومن رواة الأدب الذين شاهدناهم أبو رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي، وكان يقال: إنه يحفظ خمسة آلاف ورقة لغة، وعشرين ألف بيت شعر، إلا أن أبا محمد المافروخي أبر عليه، لأنهما اجتمعا أول ما تشاهدا بالبصرة، فتذكرا أشعار الجاهلية، وكان أبو محمد يذكر القصيدة فيأتي أبو رياش على عيونها، فيقول أبو محمد لا، إلا أن تهذا من أولها إلى آخرها، فينشد معه ويتناشدا إلى آخرها، ثم أتى أبو محمد بعده بقصائد لم يتمكن أبو رياش أن يأتي بها إلى آخرها، وفعل ذلك في أكثر من مائة قصيدة. حدثني بذلك من حضر ذلك المجلس معهما.

وحكى أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري، في كتابه المعروف بالرياش المصطنعي: أن أبا رياش كان طويل الشخص، جهير الصوت، يتكلم بكلام البادية، ويظهر أنه على مذهب الزيدية، ويتزوج كثيراً ويطلق، وكان يقول: ولدت بالبادية، ولعبت بالحضرة، وتأدبت بالبصرة، والحضرة بستان في ناحية اليمامة، له خاصية في عظم البصل، والريش والرياش حسن الهيئة والشارة.

وقال أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي في اليتيمة: كان أبو رياش باقعة في حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها، غاية بل آية في هذ دواوينها وسرد أخبارها، مع فصاحة وبيان، وإعراب وإتقان، ولكنه كان عديم المروءة، وسخ اللبسة، كثير النقشف، قليل التنظف، وفيه يقول أبو عثمان الخالدي:

كانما قمل أبي رياش
وذا وذا قد لج في انتعاش
ما بين صئبان قفاه الفاشي
شهدانج بدد في خشخاش

وكان مع ذلك شرهاً على الطعام، رجيم شيطان المعدة، حوتي الانتقام، ثعباني الاتهام، سيء الأدب في المؤكلة، دعاه أبو يوسف الزيدي والي البصرة إلى مائدته، فلما أخذ في الأكل، مد يده إلى بضعة لحم فانتهشها ثم ردها إلى القصعة، فكان بعد ذلك إذا حضر مائدته أمر بأن يهيا له طبق ليأكل عليه وحده.

ودعاه يوماً المهلي الوزير إلى طعامه، فبينما هو يأكل، إذ امتخط في منديل الغمر وبصق فيه، ثم أخذ زيتونة من قصعة فغمزها بعنف حتى طمرت نواتها فأصابته وجه الوزير، فتعجب من سوء أدبه، فاحتمله لفرط علمه، ففي شره أبي رياش يقول ابن لنكك:

يطير إلى الطعام أبو رياش
أصابعه من الحلواء صفر
مبادرة ولو واره قبر
ولكن الأخادع منه حمر

وله فيه:

أبو رياش بغي والبغي مصرعه
عبد ذليل هجا للحين سيده
وله فيه وقد ولاه المافروخي عملاً بالبصرة:
قل للوضع أبي رياش لا تبلى
ما ازددت حين وليت إلا خسة
فشد الغين ترميه بأبدته
تصحيف كنيته في صدغ والدته
ته كل تيهك بالولاية والعمل
كالكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل

ولابن لنكك فيه أشعار كثيرة: بعضها في أخبار ابن لنكك، من كتاب الشعراء. وجدت في موضع آخر من كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي، كان أبو رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي اليمامي رجلاً من حفاظ اللغة، وكان جندياً في أول أمره مع المسمعي برسم العرب، ثم انقطع إلى العلم والشعر وروايته لنا بالبصرة، وأنا حديث مع عمي حتى صرت رجلاً، وكتبت عنه وأخذت منه علماً صالحاً، وكان يتعصب على أبي تمام الطائي. وقال بعض الحاضرين لأبي: إن من عيون شعر أبي رياش قوله في أبيات عند ذكر امرأة شبيب بها:

لها فخذ بختية تغلف النوى
على شفة لمياء أحلى من التمر

فغضب أبو رياش ونهض، فأمر أبي بإجلاسه وقال للحاضر القائل: ولا كل ذا: وترضاه، ووهب له دراهم صالحة القدر.

قال: وأخبرني من حضر مجلس أبي محمد المافروخي عامل البصرة، وقد تنارا في شيء من اللغة اختلفا فيه، فقال أبو رياش: كذا أخبرتني عمتي أو جدتي في البادية عن العرب، ووجدتها تتكلم به. فقال له أبو الحسين محمد ابن محمد بن جعفر بن لنكك الشاعر وكان حاضراً: اللغة لا تؤخذ عن البغيات، فأمسك خجلاً، وكان أبو محمد المافروخي قد ولاه الرسم على المراكب بعبادان بحار سابع وأحسن إليه واختاره، عصبية منه للعلم والأدب، فقال ابن لنكك:

أبو رياش ولي الرسما	وكيف لا يصفع أو يعمى
يا رب جدي دق في خصره	ثم أأنا بقفا يذمى
قال وحدثني أبو رياش قال: مدحت الوزير المهلبى فتأخرت صلتته، وطال ترددي إليه، فقلت:	ر وهو المؤمل والمستماح
وقائلة قد مدحت الوزى	ح وهذا الغدو وذاك الرواح؟
فماذا أفادك ذاك المدي	بأي الأمور يكون الصلاح؟
فقلت لها ليس يدري امرو	ب جهدي وليس علي النجاح
علي التقلب والإضطرا	

قال المؤلف: وأما أبو محمد المافروخي الذي تقدم ذكره مكرراً، فهو أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الفروخي فإنه كان يتقلد عمالة البصرة، وكان من العلم والجلالة على ما تقدم ذكره، وكان مع ذلك تمتاماً، يكرر الحرف في كلامه، وهو الذي تسميه العامة أفاء، وكان مستغلقاً جداً، فحدث التنوخي أنه اعترض جملاً يسير في صحن الدار بحضرته، ووقف ليخاطب عليه فلم يرضه فقال أخرجه عني، وكرر أخ أخ لأجل عقلة لسانه، فبرك الجمل، لأنه ظن أنه يقال له ذلك، كما يقال إذا أريد منه البروك، قال: وكان إذا أنشد الشعر أون قرأ القرآن، قرأه وأورده على أحسن ما يكون من حسن الأداء، وطيب الحنجرة، فقليل له: لو كان كلامك كله شعراً أو كقراءة القرآن، تخلصت من هذه الشدة، فقال يكون ذلك طنزاً، قال: وكان أحد خلفائه قد خرج إلى بعض الأعمال، واستخلف بحضرته ابناً له، كان مثل المافروخي في التمتمة، فخاطبه المافروخي أول ما دخل إليه في أمر شيء قال فيه و. و. مراراً، فأجابه ذلك الابن بمثل كلامه، فقال يا غلمان قفاه، كأنه يحكيه، فصنع صفعاً محكماً، حتى حضره أقوام وحلفوا له أن ذلك عادته، فأخذ يعتذر إليه، قال الذنب لأبيه، لما نزل في حضرتي مثله فهذا خبر المافروخي لتعرفه،

أحمد بن إبراهيم الأديبي

الخوارزمي أبو سعيد، من مشاهير فضلاء خوارم وأدبائها وشعرائها.

قال أبو محمد في تاريخ خوارزم: ذكره أبو الفضل الصفاري في كتابه، قرأت بخطه أنه كان كاتباً بارعاً، حسن التصرف في الترسل، وافر الحظ من حسن الكتابة، وفصاحة البلاغة، وكان خطه في الدرجة العليا من أقسام الحسن والجودة، فمن كلامه: الزيادة فوق الحد نقصان، والإساءة بلسان الحق إحسان.

قال: وكان إذا رأى كتابة متعقدة متكلفة قال: الكتابة تسكن سكن أخرى: وكتب إلى بعض الرؤساء في شكاية رجل ثقیل: قد منيت من هذا الكهل الرازي، صاحب الجبة الكهباء، واللحية الشهباء بالدهاية الدهياء، والصيلم الصماء، جعل لسانه سنانة، وأشفار عينيه الصلبة شفاره، فإذا تكلم كلم بلسانه، أكثر مما يكلم بسنانة، وإذا لمح ببصره، جرح القلوب بلحظه، أشد مما جرح الأذان بلفظه، يظهر للناس في زي مظلوم، وإنه لظالم، ويشكو إليهم وجع السليم، وهو سالم.

وكتب إلى بعض الرؤساء وقد حجب عنه:	ومحجب بحجاب عز شامخ
وشعاع نور جبينه لا يحجب	حاولته فرأيت بديراً طالعا
والبدر يبعد بالشعاع ويقرب	قبلت نور جبينه متعززاً
باللحظ منه وقد زهاه الموكب	كالشمس في كبد السماء ونورها
من جانبيه مشرق ومغرب	إن بان شخصي عن مجالس غيره
فالنفس في أطافه تتقلب	وإذا تقاربت النفوس وما انتأت
أشخاصها فهو الجواد الأقرب	

وكتب إلى واحد، وقد بعث إليه شاة: وصلت الشاة فكانت شاة الشياة، حسنة الحلي والشيات، ففرح الفراريح بمكانها، وملأوا منها حواصلهم، وثنوا بالدعاء وأناملهم: وله: ساعدت الأيام بالمراد، ووفت بالميعاد، وجمعت لي بين طرفي الإصعاد والإسعاد، وله: حضرت موالياً الحضرة التي تضرب عليها أكباد الإبل، من كل فج عميق، وتمتد نحوها أعناق الأمل، من كل فوج وفريق، وله: أيام مولانا مشرقة، كأخلاقه، وأخباره عيقة، كأعراقه تزهى بجلال مكانه الرتب والمعارج، وتزين بكرم وجهه الأعياد والمهارج، وله: لا يليق خاتم العز والجلال إلا بخصره، ولا يرجع الباطل إلى الحق إلا عند ناصره، وله: من لحظته عين إقباله، وسقته عين إفضاله، أقبلت سعوده بإشراق، وأذن عوده بإيراق، وله: إن كانت الوزارة دثرت رسومها وأثارها، ودرست أعلامها ومنارها، فلقد قيض الله لها مولانا فمد باعها، وعمر رباعها، فأنست بتدابيره الثاقبة من وحشة نفارها، واستروحت من آرائه الصائبة إلى كنفها وقرارها، وله: كتابي وأنا في سلامة إلا من الشوق إلى طلعه المسعودة، والنزاع إلى أخلاقه المشهودة، وملاحظة تلك الهمم العلية، ومطالعة تلك الحركات الشهية، ومجاري تلك الأنامل بالأقلام، فإنها إذا جرت نثرت الدرر، وأسالت على جباه الأنام الغرر، وسنت للبلغاء والكتاب، سنن الفقر والآداب.

أحمد بن إبراهيم بن محمد السجزي

أبو نصر، أحد الأدياء الفضلاء، قرأ على أبي بكر عبد القاهر، ثم قرأت بخط سلامة بن عياض الكفريطي النحوي ما صورته: وجدت في آخر نسخة المعتضد، لعبد القاهر الجرجاني بالري مكتوباً، ما حكايته: قرأ علي الأخ الفقيه أبو نصر، أحمد بن إبراهيم بن محمد السجزي أيده الله، هذا الكتاب من أوله إلى آخره، قراءة ضبط وتحصيل، وكتبه عبد القاهر بن عبد الرحمن بخطه في شهر الله المبارك من شهور سنة أربع وخمسين وأربعمائة.

أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد

الطبيب يعرف بابن الجزار القيرواني، كان طبيباً حاذقاً دارساً، كتبه جامعة لمؤلفات الأوائل، فيه حسن الفهم لها، وله مصنفات فيه وفي غيره.

فمن أشهر كتبه في الطب، كتابه في علاج الأمراض، سماه زاد المسافرين، وكتابه في الأدوية المفردة، المعروف بالاعتماد، وكتابه في الأدوية المركبة، المعروف بالبغيّة، ورسائله في النفس، وذكر اختلاف الأوائل فيها، وكان أيضاً له عناية بالتاريخ، ألف فيه كتاباً، رأيت في مجلدات تزيد على العشر، سماه التعريف بصحيح التاريخ، وذاك الذي أوجب ذكره في هذا الكتاب، وكان مع ذلك حسن المذهب بأصل السيرة، صائناً لنفسه، منقبضاً عن الملوك، ذا ثروة، ولم يكن يقصد أحداً إلى بيته، وكان له معروف، وأدوية يفرقها، وكان في أيام المعز لدين الله، في حدود سنة خمسين وثلاثمائة أو ما قاربها.

أحمد بن أحمد بن أخي الشافعي

هو رجل من أهل الأدب، رأيت جماعة من أعيان العلماء يفتخرون بالنقل من خطه، ورأيت خطه وليس بجيد المنظر، لكنه متقن الضبط، ولم أر أحداً ذكر شيئاً من خبره، لكنني وجدت خطه في آخر كتاب، وقد قال فيه: كتبه أحمد بن أحمد المعروف بابن أخي الشافعي وراق ابن عبدوس الجهشيارى، والجهشبارى هذا قد ذكر في بابه، وقد جمع ديوان البحرى وغيره.

أحمد بن إسحاق بن البهلول

ابن حسان بن سنان، أبو جعفر التتوخي أنباري الأصل، ولي القضاء بمدينة المنصور عشرين سنة، ومات لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر، سنة ثمانى عشرة وثلاثمائة، ومولده بالأنبار سنة إحدى وثلاثين ومائتين، عن ثمان وثمانين سنة.

قال أبو بكر الخطيب: وحدث حديثاً كثيراً، وكان عنده عن أبي لهب محمد بن العلاء حديث واحد، وروى عنه الدارقطني، وأبو حفص بن شاهين، والمخلص، وجماعة، وكان ثقة، قال: وذكر طلحة بن محمد بن جعفر في تسمية قضاة بغداد.

أحمد بن إسحاق بن البهلول، عظيم القدر، واسع الأدب، تام المروءة، حسن الفصاحة، حسن المعرفة بمذهب أهل العراق، ولكن غلب عليه الأدب، وكان لأبيه إسحاق مسند كبير حسن، وكان ثقة، وحمل الناس عن جماعة من أهل هذا البيت، منهم البهلول بن حسان، ثم ابنه إسحاق، ثم أولاد إسحاق. ولم يزل أحمد بن إسحاق على قضاء المدينة من سنة ست وتسعين ومائتين، إلى شهر

ربيع الآخر سنة ست عشرة وثلاثمائة، ثم صرف، وكان بيناً في الحديث، ثقة مأموناً، جيد الضبط لما حدث به، وكان مفتياً في علوم شتى، منها الفقه على مذهب أبي حنيفة وأصحابه، وربما خالفهم في مسائلات يسيرة، وكان تام العلم باللغة، حسن القيام بالنحو على مذهب الكوفيين، وله فيه كتاب ألفه، وكان تام الحفظ للشعر القديم والمحدث والأخبار الطوال والسير والتفسير، وكان شاعراً كثير الشعر جداً، خطيباً، حسن الخطابة والتفوه بالكلام، لساناً صالح الخط في الترسل والمكاتبة والبلاغة في المخاطبة، وكان ورعاً متخشناً في الحكم تقلد القضاء بالأنبار، وهيت، وطريق الفرات، من قبل الموفق بالله الناصر لدين الله، في سنة ست وسبعين ومائتين، ثم تقلد للناصر دفعة أخرى، ثم تقلد للمعتضد، ثم تقلد بعض كور الجبل للمكتفي، في سنة اثنتين وتسعين ومائتين، ولم يخرج إليها، ثم قلده المقتدر بالله في سنة ست وتسعين ومائتين بعد فتنة ابن المعتز القضاء بمدينة المنصور من مدينة السلام، وطسوج قطربل ومسكن، والأنبار، وهيت، وطريق الفرات، ثم أضاف له إلى ذلك بعد سنين القضاء بكور الأهواز مجموعة، لما مات قاضيها إذ ذاك محمد بن خلف، المعروف بوكيع، فمزال على هذه الأعمال إلى أن صرف عنها في سنة سبع عشرة وثلاثمائة.

وحدث أبو نصر يوسف بن عمر ابن القاضي أبي عمر محمد بن يوسف قال: كنت أحضر دار المقتدر بالله وأنا غلام حدث بالسواد مع أبي الحسين، وهو يومئذ قاضي القضاة، فكننت أرى في بعض المواكب القاضي أبا جعفر يحضر بالسواد، فإذا رآه أبي عدل إلى موضعه فجلس عنده، فيتذاكران الشعر والأدب والعلم، حتى يجتمع عليهما من الخدم عدد كثير، كما يجتمع على القصص استحساناً لما يجري بينهما، فسمعت يوماً وقد أنشد بيتاً لا أذكره الآن، فقال له أبي أيها القاضي: إني أحفظ هذا البيت بخلاف هذه الرواية، فصاح عليه صيحة عظيمة وقال: اسكت، ألي تقول هذا؟ أنا أحفظ لنفسني من شعري خمسة عشر ألف بيت، وأحفظ للناس أضعاف ذلك وأضعافه وأضعافه، يكررها مراراً.

وفي رواية ابن عبد الرحيم عن التتوخي قال: قال له هات: ألي تقول هذا؟ وأنا أحفظ من شعري نيفاً وعشرين ألف بيت، سوى ما أحفظه للناس، قال: فاستحيى أبي منه لسنه ومحلّه وسكت. قال: وحدثني القاضي أبو طالب محمد ابن القاضي أبي جعفر ابن البهلول قال: كنت مع أبي في جنازة بعض أهل بغداد من الوجوه، وإلى جانبه في الحق جالس أبو جعفر الطبري، فأخذ أبي يعظ صاحب المصيبة ويسليه، وينشده أشعاراً، ويروي له أخباراً، فداخله الطبري في ذلك، وذنب معه، ثم اتسع الأمر بينهما في المذاكرة، وخرجا إلى فنون كثيرة من الأدب والعلم استحسناها الحاضرون، وعجبوا منها، وتعالى النهار واقتربنا، فلما جعلت أسير خلفه قال يا بني: هذا الشيخ الذي داخلنا اليوم في المذاكرة من هو؟ أترعفه؟ فقلت يا سيدي كأنك لم تعرفه؟ فقال لا: فقلت: هذا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، فقال: إنا لله، ما أحسنت عشتري يا بني، فقلت: كيف يا سيدي؟ فقال: ألا قلت لي في الحال، فكننت أذاكره غير تلك المذاكرة، هذا رجل مشهور بالحفظ، والاتساع في صنوف من العلم، وما ذاكرته بحسبها، قال: ومضت على هذا مدة، فحضرنا في حق لآخر وجلسنا، وإذ بالطبري يدخل إلى الحق، فقلت له: قليلاً قليلاً أيها القاضي، هذا أبو جعفر الطبري قد جاء مقبلاً، قال: فأومأ إليه بالجلوس عنده، فعدل إليه، فأوسعت له حتى جلس إلى جنبه، وأخذ أبي يجاريه، فكلما جاء إلى قصيدة ذكر الطبري منها أبياتاً، قال أبي هاتها يا أبا جعفر، فربما تلعثم، فيمر أبي في جميعه، حتى سبقه، قال: فما سكت أبي يومه ذاك إلى الظهر، وبان للحاضرين تقصير الطبري، ثم قمنا، فقال لي أبي: الآن شفيت صدري.

ولأبي جعفر هذا كتاب في النحو على مذهب الكوفيين، حدث أبو علي التتوخي، حدثني أبو الحسين علي بن هشام ابن عبد الله، المعروف بابن أبي قيراط، كاتب ابن الفرات، وأبو محمد عبد الله بن علي ذكويه، كاتب نصر القشوري، وأبو الطيب محمد بن أحمد الكلوزاني كاتب ابن الفرات، قالوا: كنا مع أبي الحسن بن الفرات، في دار المقتدر، في وزارته الثانية، في يوم الخميس لخمس ليال بقين من جمادى الآخرة من سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وقد استحضر ابن قليجة رسول علي بن عيسى إلى القرامطة في وزارته الأولى، فواجه علي بن عيسى في المجلس بحضرتنا بأنه وجه إلى القرامطة مبتدئاً، فكاتبوه يلتمسون منه المساحي والطلق وعدة حوائج، فأنفذ جميع ذلك إليهم، وأحضر ابن الفرات معه خطه، "أي ابن عيسى" في نسخة أنشأها ابن ثوبة إلى القرامطة، جواباً عن كتابهم إليه، وقد أصلح علي بن عيسى فيها بخطه، ولم يقل إنكم خارجون عن ملة الإسلام بعضيائكم أمير المؤمنين، ومخالفتكم إجماع المسلمين، وشقكم العصا، ولكنكم خارجون عن جملة أهل الرشاد والسداد، وداخلون في جملة أهل العناد والفساد، فهجن ابن الفرات علياً بذلك، وقال: ويحك تقول القرامطة مسلمون؟ والإجماع قد وقع على أنهم أهل ردة، لا يصلون ولا يصومون، وتوجه إليهم بالطلاق وهو الذي إذا طلي به البدن أو غيره لم تعمل فيه النار، قال: أردت بهذا المصلحة، واستعادتهم إلى الطاعة بالرفق وبغير حرب، فقال ابن الفرات لأبي عمر القاضي: ما عندك في هذا يا أبا عمر؟ اكتب به، فأفحم، وجعل مكان ذلك أن أقبل على علي بن عيسى فقال: يا هذا، لقد أقررت بما لو أقر به إمام لما وسع الناس طاعته، قال: فرأيت علي بن عيسى وقد حقق إليه تحديقاً شديداً، لعلمه بأن المقتدر في موضع يقرب منه، بحيث يسمع الكلام ولا يراه الحاضرون، فاجتهد ابن الفرات بأبي عمر أن يكتب بخطه شيئاً فلم يفعل، وقال: قد غلط غلطاً وما عندي غير ذلك، فأخذ خطه بالشهادة عليه بأن هذا كتابه، ثم أقبل على أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول القاضي، فقال: ما عندك يا أبا جعفر في هذا؟

فقال: إن أذن الوزير أن أقول ما عندي فيه على شرح قلته، قال افعل: قال: صح عندي أن هذا الرجل وأوماً إلى علي بن عيسى، افتدى بكتابين كتبهما إلى القرامطة في وزارته الأولى ابتداء وجواباً لثلاثة آلاف رجل من المسلمين، كانوا مستعدين، وهم أهل نعم وأموال، فرجعوا إلى أوطانهم ونعمهم، فإذا فعل الإنسان مثل هذا الكتاب على جهة طلب الصلح، والمغالطة للعدو لم يجب عليه شيء، قال: فما عندك فيما أقر به أن القرامطة مسلمون؟ قال: إذا لم يصح عنده كفرهم وكتابوه بالتسمية لله ثم الصلاة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وانتسبوا إلى أنهم مسلمون، وإنما ينازعون في الإمامة فقط لم يطلق عليهم الكفر، قال فما عندك في الطلاق ينفذ إلى أعداء الإمام؟ فإذا طلي به البدن أو غيره لم تعمل فيه النار، وصاح بها كالمنكر على أبي جعفر، فأخبرني، فأقبل ابن البهلول على علي بن عيسى فقال له: أنفذت الطلاق الذي هذه صفته إلى القرامطة؟ فقال علي بن عيسى لا، فقال ابن الفرات: هذا رسولك وثقتك ابن قليجة، قد أقر عليك بذلك، فلحق علي بن عيسى دهشة فلم يتكلم، فقال ابن الفرات لأبي جعفر بن البهلول، احفظ إقراره بابن قليجة ثقته ورسوله، وقد أقر عليه بذلك، فقال: أيها الوزير: لا يسمى هذا مقراً، هذا مدح، وعليه البينة، فقال ابن الفرات: فهو ثقته بانفاذه إياه، قال: إنما وثقه في حمل كتاب، فلا يقبل قوله عليه في غيره، فقال ابن أبي جعفر: أنت وكيله، ومحتج عنه؟، لست إلا حاكماً، فقال: لا، ولكني أقول الحق في هذا الرجل، كما قلته في حق الوزير - أيده الله - لما أراد حامد بن العباس في وزارته ومن ضامه الحيلة على الوزير - أعزه الله - بما هو أعظم من هذا الباب، فإن كنت لم أصب حينئذ فلست مصيباً في هذا الوقت، فسكت ابن الفرات، والتفت إلى علي بن عيسى وقال: أقرمطي؟ فقال له علي بن عيسى: أيها الوزير، أنا قرمطي؟ أنا قرمطي؟ يعرض به، وذكر قصة طويلة، ليست من خبر ابن البهلول في شيء.

وحدث أبو الحسن علي بن هشام بن أبي قيراط قال: دخلت مع أبي إلى أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول عقيب عيد لنهنته به، وتناول الحديث، فقال له أبي: قد كنت أكتب الوزير - أيده الله - إلى محبسه، يعني ابن الفرات، لأنه هو كان الوزير إذ ذاك الوزارة الثالثة، وأعرفه ما عليه القاضي من موالاته من كذا وكذا، والآن: وهو على شكر القاضي والاعتداد به، قال: فلما سمع ذلك فرق الغلمان، ومن كان في مجلسه من أصحابه حتى خلا، وقال: ليس يخفى علي التغير في عين الوزير، وإن كان لم ينقصني من رتبة ولا عمل، وبالله أحلف، لقد لقيت حامد بن العباس بالمدائن لما جاء به للوزارة، فقام لي في حرافته قائماً، وقال لي: هذا الأمر لك ولولدك، وسببين لك ما أفعله في زيارتك، من الأعمال والأرزاق، ثم لقيته يوم الخلع عليه بعد لبسه إياها فتناول، فلما فعلت به في أمر الوزير - أيده الله - ما فعلته بحضرة أمير المؤمنين عاداني، وصار لا يعيرني طرفه، وتعرضت منه لكل بلية، فكنت خائفاً له حتى أراح الله منه بتفرد علي بن عيسى بالأمور، واشتغاله هو بالضمان، وسقوط حاجتنا إلى لقائه، ومالي إلى هذا الوزير - أيده الله - ذنب يوجب انقباضه، إلا أنني أدبت الوديعة التي كانت له عندي، وبالله لقد وريت عن ذكرها جهدي، ودافعت بما يدافع به مثلي، ممن لا يمكنه الكذب. فلما جاء ابن حماد كاتب موسى بن خلف وأقر بها، وأحضر الدليل بإحضار المرأة التي حملتها، لم أجد بداً عن أدائها، وقد فعل مثلي أبو عمر في الوديعة التي كانت له عنده، إلا أن أبا عمر فعل ما قد علمته من حيلة، بشراء فص بنصف درهم، نقش عليه علي بن محمد، ووضع مالا من عنده في أكياس ختمها به، وقال للوزير: وديعتك عندي بحالها، وإنما غرمت ما أدبت عنك من مالي، وأراد التقرب إليه ففعل هذا، وأنت تعلم فرق ما بيني وبين أبي عمر في كثرة المال، فأريد أن تحل سخيمته، وتستصلح لي نيته، وتذكره بحقي القديم عليه، ومقامي له بين يدي الخليفة، ذلك، وإن مثل ذلك لا ينسى بتجن لا يلزم. فقال له أبي: أنا أفعل ولا أقصر، وقد اختلفت الأخبار علينا فيما جرى ذلك اليوم، فإن رأى القاضي - أعزه الله - أن يشرحه لي، فعل. فقال أبو جعفر: كنت أنا، وأبو عمرو علي بن عيسى، وحامد بن العباس، بحضرة الخليفة مع جماعة من خواصه، وكلهم منحرف عن الوزير - أيده الله - ومحب لمكروهه، إذ حضر حامد الرجل الجندي الذي ادعى أنه وجده راجعاً من أردبيل إلى قزوین، ثم إلى إصبهان ثم إلى البصرة، فإنه أقر له عفواً أنه رسول ابن الفرات إلى ابن أبي الساج، في عقد الإمامة لرجل من الطالبين المقيمين بطبرستان، ليقويه ابن أبي الساج، ويسيره إلى بغداد، ويعاونه ابن الفرات بها، وأنه مخبر أنه تردد في ذلك دفعات، وخاطبه بحضرة الخليفة في أن يصدق عما عنده في ذلك، فذكر الرجل مثل ما أخبر به عنه حامد، ووصف أن موسى بن خلف كان يتحير لابن الفرات، لأنه من الدعاة الذين يدعونه إلى الطالبين، وأنه كان يمضي في وقت من الأوقات إلى ابن أبي الساج في شيء من هذا، فلما استتم الخليفة سماع هذا الكلام، اغتاظ غيظاً شديداً، وأقبل على ابن عمر وقال: ما عندك فيمن فعله هذا؟ فقال: لأن كان فعل ذلك، لقد أتى أمراً فظيعاً، وأقدم على أمر يضر بالمسلمين جميعاً، واستحق لذا كلمة عظيمة لا أحفظها، قال أبو جعفر: وتبينت في علي ابن عيسى كراهية لما جرى، والإنكار للدعوى، والطمر بما قيل فيها، فقويت بذلك نفسي، وأقبل الخليفة علي فقال: ما عندك يا أحمد فيمن فعل هذا؟ فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني. فقال ولم؟ فقلت: لأن الجواب ربما أغضبت به من أنا محتاج إلى رضاه، أو خالف ما يوافقه من ذلك ويهواه، ويضر بي، فقال: لا بد أن تجيب، فقلت: الجواب ما قال الله تعالى، "يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين" ومثل هذا يا أمير المؤمنين لا يقبل فيه خبر واحد، والتميز يمنع من قبول مثل هذا على ابن الفرات، أترأه يظن به أنه رضي أن يكون تابعاً لابن أبي الساج؟، ولعله ما كان يرضى وهو وزير أن يستحجبه، ثم أقبلت على الرجل فقلت له: صف لي أردبيل، عليها سور أم لا؟ فإنك على ما تدعيه من دخولها، لا بد أن تكون عارفاً بها، وأذكر لنا صفة باب دار الإمارة، هل هو حديد، أم خشب؟ فتلجلج، فقلت له: كاتب ابن أبي الساج بن محمود ما اسمه؟

وما كنيته؟ فلم يعرف ذلك، فقلت له فأين الكتب التي معك؟ فقال: لما أحسست بأني قد وقعت في أيديهم رميت بها، خوفاً من أن توجد معي فأعاقب، قال: فأقبلت على الخليفة وقلت: يا أمير المؤمنين، هذا جاهل متكسب، مدسوس من قبل عدو غير محصل، فقال علي بن عيسى مؤيداً لي: قد قلت هذا للوزير فلم يقبل قولتي، وليس يهدد هذا فضلاً عن أن ينزل به مكروه إلا أقر بالصورة، فأقبل الخليفة على نذير الحرمي، وعدل عن أن يأمر نصرأ الحاجب بذلك، لما يعرفه بينه وبين ابن الفرات. بحقنا عليك لما ضربته مائة مقرعة أشد الضرب، إلى أن يصدق عن الصورة، فعدي بالرجل عن حضرة الخليفة ليبعد ويضرب، فقال: لا: إلا ههنا، فضرب بالقرب منه دون العشرة، فصاح: غدرت، وضمنت لي الضمانات، وكذبت، والله ما دخلت أردبيل قط، فطلب نزار بن محمد الضبي أبو معد، وكان صاحب الشرطة وقد انصرف، فقال الخليفة لعلي بن عيسى: وقع إليه بأن يضرب هذا مائة سوط، ويثقله بالحديد، ويحبس في المطبخ، فوالله لقد رأيت حامداً وقد كاد يسقط انخدالاً وانكساراً ووجدأ وإشفاقاً، وخرجنا وجلسنا في دار نصر الحاجب، وانصرف حامد، وأخذ علي ابن عيسى ينظر في الحوائج، وآخر أمر الرجل، فقال له حاجبه ابن عبدوس: قد وجه نذير بالمضروب المتكذب فقلت له: إنه وإن كان قد جهل، فقد غمني ما لحقه خوفاً من أن أكون سببه، فإن أمكنك أن تسقط عنه المكروه أو بعضه أجرت، فقال: ما في هذا - لعنه الله - أجر، ولكن أقتصر على خمسين مقرعة، وأعفيه من السياط، ثم وقع بذلك إلى نزار وانصرفنا، فصار حامد من أعدى الناس لي.

وقال ابن عبد الرحيم: حدثني القاضي أبو القاسم التنوخي، وله بأمره الخبرة التامة، لما يجمعهما من النسب في الصناعة، قال: كان أبو عفر من جلة الناس وعظمائهم وعلماهم، وتقلد قضاء الأنبار، وهيت، والرحبة، وطريق الفرات، في أيام المعتمد بعد كتابة الموفق أبي أحمد، سنة سبعين ومائتين، وأقام يليها إلى سنة ست عشرة وثلاثمائة، وأضيف له غلبها الأهواز وكورها السبع، وخلفه عليها جدي أبو القاسم علي بن محمد التنوخي، في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وقلده ماله الكوفة، وماله البصرة، مضافات إلى ما تقدم ذكره، ثم رد عليه مدينة المنصور وطسوج مسكن، وقطربل بعد فتنة ابن المعتز في سنة ست وتسعين ومائتين، ولم يزل على هذه الولايات إلى سنة ست عشرة وثلاثمائة، وأسن وضعف، فتوصل أبو الحسين الأسناني إلى أن ولي قضاء المدينة، فكانت له أحاديث قبيحة. وقيل إن الناس سلموا عليه بالقباء إيماء إلى البغاه، وكان إليه الحسبة ببغداد، فصرف في اليوم الثالث، وأعيد العمل إلى أبي جعفر، فامتنع من قبوله، فرفع يده عن النظر في جميع ما كان إليه، وقال: أحب أن يكون بين الصرف والقبر فرجة، ولا أنزل من القلنسوة إلى الحفرة، وقال في ذلك.

تركت القضاء لأهل القضاء
فإن يك فخرأ جليل الثنا
وإن كان وزراً فأبعد به
فقليل له: فابذل شيئاً حتى يرد العمل إلى ابنك أبي طالب، فقال: ما كنت لأتحملها حياً وميتاً، وقد خدم ابني السلطان، وولاه الأعمال، فإن استوثق خدمته قلده، وإن لم يرتض مذاهبه صرفه، وهذا يفتضح ولا يخفى، وأنشدهم:
يقولون همت بنت لقمان مرة
فقال لها ما لا يكون، فأمسكت
وما كل مستور يغلق دونه
بمستتر، والصائن العرض سالم
على أن أثواب البرئ نقية
ولا يلبث الزور المفكك أن يطفأ
قال: ولست أعلم، هذا الشعر له أم تمثل به؟ قال التنوخي: وكان أبو جعفر يقول الشعر تأدياً وتطرباً، وما علمت أنه مدح أحداً بشيء منه، وله قصيدة طردية مزدوجة طويلة، وحمل الناس عنه علماً كثيراً، ومن شعره:
رأيت العيب يلصق بالمعالي
ويخفى في الدنى فلا تراه
وله في الوزير ابن الفرات:

قل لهذا الوزير قول محق
قد تقلدتها ثلاثاً ثلاثاً
وكان الأمر على ما قاله، فإن ابن الفرات قتل بعد الوزارة الثالثة في محبسه: وله أيضاً:
فما أدوق العيش إلا كالصبر
لاقت لدينا لو تنوب ما يسر

وله أيضاً:

ويجزع من تسليمنا فيردنا
وما ضره لو أن أجاب ببشره

وله أيضاً:

وحرقة أورثتها فرقة دنفاً
في جسمه شغل عن قلبه وله

وله أيضاً:

أبعد الثمانين أفنيتهما
ترجى الحياة وتسعى لها؟

وله أيضاً:

إلى كم تخدم الدنيا
لئن لم تك مجنوناً

مخافة أن تبغى يدها فيبخلا
فنقتع بالبشر الجميل ونرحلا

حيران لا يهتدي إلا إلى الحزن
في قلبه شغل عن سائر البدن

وخمساً وسادسها قد نما
لقد كاد دينك أن يكلمنا

وقد جزت الثمانينا؟
فقد فقت المجانينا

وقد ذكر أبو عبيد الله ابن بشران في تاريخه قال: دخل على القاضي أحمد بن إسحاق بن البهلول أبو القاسم عمر بن شاذان الجوهري فقال له: ارتفع يا أبا حفص، فقال له بعض من حضر هو أبو القاسم، فأنشأ ابن البهلول يقول:

فإن ننسي الأيام كنية صاحب
ولكن رأيت الدهر ينسبك ما مضى
كريم فلم أنس الإخاء ولا الودا
إذا أنت لم تحدث إخاء ولا عهدا

أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد

بديع الزمان الهمداني، أبو الفضل، قال أبو شجاع شيرويه بن شهردار في تاريخ همدان: إن أحمد بن الحسين ابن يحيى بن سعيد بن بشر أبا الفضل، الملقب ببديع الزمان، سكن هراة، روى عن أبي الحسين أحمد بن قارس بن زكريا، وعيسى بن هشام الأخباري، وكان أحد الفضلاء والفصحاء، متعصباً لأهل الحديث والسنة، ما أخرجت همدان بعده مثله، وكان من مفاخر بلدنا، روى عنه أخوه أبو سعد بن الصفار، والقاضي أبو محمد عبد الله بن الحسين النيسابوري، قال: توفي في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة: قال شيرويه ومحمد بن الحسين ابن يحيى بن سعيد بن بشر الصفار الفقيه أبو سعد أخو بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى لأبيه وأمه مفتي البلد، روى عن ابن لال، وابن تركان، وعبد الرحمن الإمام، وأبي بكر محمد بن الحسين الفراء، وابن جئان، وذكر جماعة وأفره، قال: وأدركته، ولم يقض لي عنه السماع، وكان في الحديث ثقة، ويتهم بمذهب الأشعرية، ويقال: جن في آخر عمره إلى أن مات، وسمعت بعض أصحابنا يقول: كان يعرف الرجال، والمتون، ولد في ثالث عشر جمادى الآخرة، سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، ومات ولم يذكره وذكره الثعالبي في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، وكذا قال أبو نصر عبد الرحمن بن عبد الجبار الفامي في تاريخ هراة، قال المؤلف: وقد رأيت ذكر البديع في عدة تصانيف من كتب العلماء، فلم يستقص أحد خبره أحسن مما اقتضه الثعالبي، وكان قد لقيه وكتب عنه، فنقلت خبره من كتابه، ولخصته من بعض سجيته، قال: بديع الزمان، ومعجزة همدان، ونادرة الفلك، وبكر عطارده، وفرد الدهر، وغرة العصر، ولم نر نظيره في الذكاء، وسرعة الخاطر، وشرف الطبع، وصفاء الذهن، وقوة النفس، ولم ندرك نظيره في طرف النثر وملحه وغرر النظم ونكته، وكان صاحب عجائب وبدائع، فمنها: أنه كان ينشد الشعر لم يسمعه قط، وهو أكثر من خمسين بيتاً إلا مرة واحدة، فيحفظها كلها، ويؤديها من أولها إلى آخرها، لا يخرم حرفاً، وينظر في الأربعة والخمسة الأوراق، من كتاب لم يعرفه ولم يره، نظرة واحدة خفيفة ثم يهذه عن ظهر قلبه هذا، ويسردها سرداً، وهذا حاله في الكتب الواردة وغيرها، وكان يقترح عليه عمل قصيدة، وإنشاء رسالة، في معنى بديع، وباب غريب، فيفرغ منها في الوقت والساعة، وكان ربما كتب الكتاب المقترح عليه، فيبتدئ بآخره، ثم هلم جرا إلى أوله، ويخرجه كأحسن شيء وأملحه، ويوشح لقصيدة الفريدة من قوله، بالرسالة الشريفة من إنشائه، فيقرأ من النظم النثر، ويروي من النثر النظم، ويعطى القوافي الكثيرة، فيصل بها الأبيات الرشيقة، ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر، فيرجله أسرع من الطرف، على ريق لم يبلعه، ونفس لا يقطعه، وكلامه كله عفو الساعة، وفيض اليد، ومسارقة القلم، ومسابقة اليد للقم، وكان يترحم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية، المشتملة على المعاني الغريبة، بالأبيات العربية، فيجمع فيها بين الإبداع والإسراع، إلى عجائب كثيرة لا تحصى، ولطائف تطول أن تستقصى، وكان مع ذلك مقبول الصورة، حسن العشرة، وفارق همدان سنة ثمانين وثلاثمائة وهو في مقتبل الشبيبة، غض الحداثة، وقد درس على أبي الحسن فارس، وأخذ عنه جميع ما عنده، واستنفذ علمه، وورد حضرة صاحب ابن عباد، فتزود من ثمارها، وحسن آثارها، ثم قدم جرجان، وأقام بها مدة، على مداخلة الإسماعيلية، والتعيش في أكنافهم، واختص بالدهخداه أبي سعيد محمد بن منصور، ونفقت بضاعته لديه، وتوفر حظه من عادته المعروفة، في إسداء الإفضال على الأفاضل، ولما أراد ورود نيسابور أعانته بما سيره

إليها، فوردها في سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، ونشر بها بزء، وأظهر طرزء، وأملى أربعمئة مقامة، نحلها أبا الفتح الإسكندري في الكدية وغيرها، وضمنها ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، ثم شجر بينه وبين الأستاذ أبي بكر الخوارزمي ما كان سبباً لهبوب ريح الهمداني، وعلو أمره، إذ لم يكن في الحساب أن أحداً من العلماء ينبري لمساجلذته، فلما تصدى الهمداني لمباراته، وجرت بينهما مقامات، ومباهات ومناظرات، وغلب قوم هذا، وغلب آخرون ذاك، طار ذكر الهمداني في الأفاق، وشاع ذكره في الأفاق، ودرت له أخلاف الرزق، فلما مات الخوارزمي خلاله الجو، وتصرفت به أحوال جميلة، وأسفار كثيرة، ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها، وجنى ثمرها، ولا ملك ولا أمير ولا وزير إلا واستمطر بنونه، وسرى في ضوئه، فحصلت له نعمة حسنة، وثروة جميلة، وألقى عصاه بهراة، فاتخذها دار قراره، وصاهر بها أبا علي الحسين بن محمد الخشنامي، وهو الفاضل الكريم الأصيل، وانتظمت أحواله بمصارهرته، واقتنى بمعونته ضياعاً فاخرة، وحين بلغ أشده وأربى على أربعين سنة، ناداه الله فلباه، وفارق دنياه، في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة. وهذا أنموذج من رسائله فصل: من رقعة كتبها إلى الخوارزمي: وهذا أول ما كتبه به: أنا لقرب الأستاذ، كما طرب النشوان مالت به الخمر، ومن الارتياح للقاءه، كما انتفض العصفور بلله القطر، ومن الامتزاج بولائه، كما التقت الصهباء والبارد العذب، ومن الابتهاج بمزاره، كما اهتز تحت البارج الغصن الرطب، "ومن رقعة إلى غيره": يعز علي أن ينوب - أيد الله الشيخ - في خدمته قلبي عن قدمي، ويسعد برويته رسولي، دون وصولي، ويرد مشرع الأنس به كتابي، قبل ركابي. ولكن ما الحيلة؟ والعوائق جمة،

س علي إدراك النجاح

وعلي أن أسعى ولي

وقد حضرت داره، وقبلت جداره، وما بي حب الحيطان، ولكن شغف بالقطان، ولا عشق الجدران، ولكن شوق إلى السكان.

وقال البديع، وأراد التحميص كما يقول أهل بغداد، ومعناه عندهم غير ذلك كقوله:

أبتاع ما فيها من الأعراض

ولقد دخلت ديار فارس مرة

لهفي على ذاك الزمان الماضي

فاذا فسا فيها رجال سادة

فالسامع يرى أنه أراد فسا مدينة بفارس، التي منها أبو علي الفسوي النحوي، وإنما أراد فسا من الفسو، والضمير في فيها يريد به اللحية.

وذكره أبو إسحاق الحصري في كتاب زهر الآداب، وقد ذكر أبا الفضل الهمداني بديع الزمان فقال: وهذا اسم وافق مسماه، ولفظ طابق معناه، كلامه غض المكاسر، أنيق الجواهر، يكاد الهواء يسرقه لطفاً، والهوى يعشقه ظرفاً.

ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثاً، وذكر أنه استنبطها من بياض صدره، وانتخبها من معادن فكره، وأبداها للأبصار والبصائر، وأهداها إلى الأفكار والضمائر، في معارض حوشية، وألفاظ عنجبية فجاء أكثرها تنبؤ عن قبوله الطباع، ولا ترفع له حجب الأسماع، وتوسع فيها إذ صرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة، وضروب منصرفة، عارضه بأربعمئة مقامة في الكدية تذوب ظرفاً، وتقطر حسناً، لا مناسبة بين المقامتين لفظاً ولا معنى، عطف مساجلتها، ووقف مناقلتها بين رجلين، سمى أحدهما عيسى بن هشام، والآخر أبا الفتح الإسكندري، وجعلهما يتهاديان الدر، ويتناقضان السحر، في معان تضحك الحزين، وتحرك الرصين، وتطالع منها كل طريفة، وتوقف منها على كل لطيفة، وربما أفرد بعضهما بالحكاية، وخص أحدهما بالرواية، وقد ذكره أبو نصر عبد الرحمن بن عبد الجبار الفامي في تاريخ هراة من تأليفه.

وأنشد للبديع:

غيري وعز علي "أن" لم أخرج

خرج الأمير ومن وراء ركابه

أم يكتليني أم أصبح بنذعجي؟؟؟

أصبحت لا أدري أأدعو طغمشي

أم أدهمي أم أشهبي أم ديزجي؟؟؟

وبقيت لا أدري أأركب أبرشي

إلا السماء إلى ذراها ألتجي

يا سيد الأمراء مالي خيمة

كمى وجنح الليل مطرح هودجي

كنفي بعيري إن طعنت ومفرشي

وكتب بديع الزمان إلى مستميج عاوده مراراً، وقال له: لم لا تديم الجود بالذهب، كما تديمه بالأدب؟ فكتب البديع: عافاك الله: مثل الإنسان في الإحسان، مثل الأشجار في الإثمار، وسبيل من ابتدأ بالحسنة، أن يرفه إلى السنة، وأنا كما ذكرت لا أملك

عضوين من جسدي، وهما فؤادي ويدي، أما اليد فتولع بالجود، وأما الفراد فيتعلق بالوفود، ولكن هذا الخلق النفيس، لا يساعده إلا الكيس، وهذا الخلق الكريم، لا يحتمله إلا الكريم، ولا قرابة بين الأدب والذهب، فلم جمعت بينهما؟ والأدب لا يمكن ثرده في قصعة، ولا صرفه في ثمن سلعة، قد جهدت جهدي بالطباخ، أن يطبخ لي من جيمية الشماخ لونا فلم يفعل، وبالقصاب، أن يذبح أدب الكتاب فلم يقبل، وأنشدت في الحمام، ديوان أبي تمام، فلم ينجع، ودفعت إلى الحجام، مقطعات اللجام، فلم يأخذ، واحتيج في البيت، إلى شيء من الزيت، فأنشدت ألفاً ومائتي بيت، من شعر الكميت، فلم يغن، ودفعت أرجوزة العجاج، في توابل السكاج، فلم ينفع، وأنت لم تقنع، فما أصنع؟ فإن كنت تحسب اختلافك غلي، إفضالاً منك علي، فراحتي، ألا تطرق ساحتي، وفرجي، ألا تجي، وللسلام: وحدث أبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي صاحب كتاب وشاح الدمية، وقد ذكر أبا بكر الخوارزمي وقد رمي بحجر البديع الهمداني، في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة وأعان البديع الهمداني قوم من وجوه نيسابور، كانوا مستوحشين من أبي بكر، فجمع السيد نقيب السيادة بنيسابور أبو علي بينهما، وأراد على الزيارة، وداره بأعلى ملقاباذ فترفع، فبعث عليه السيد مركوبه، فحضر أبو بكر مع جماعة من تلامذته، فقال له البديع: إنما دعوناك لتملاً المجلس فوائد، وتذكر الأبيات الشوارد، والأمثال الفوارد، ونناجيك فنسعد بما عندك، وتسالنا فتسر بما عندنا، ونبدأ بالفن الذي ملكت زمامه، وطار به صيتك، وهو الحفظ إن شئت، والنظم إن أردت، والنثر إن اخترت، والبديهة إن نشطت، فهذه دعواك، التي تملأ منها فاك، فأحجم الخوارزمي عن الحفظ لكبر سنه، ولم يجل في النثر قداحاً، وقال أبادهك، فقال البديع: الأمر أمرك يا أستاذ، فقال له الخوارزمي: أقول لك ما قال موسى للسحرة: "قال بل ألقوا".

فقال البديع:

الشعر أصعب مذهباً ومصاعداً	من أن يكون مطيعه في فكه
والنظم بحر والخواطر معبر	فانظر إلى بحر القريض وفلكه
فمتى تراني في القريض مقصراً	عرضت أذن الإمتحان لعركه

قال: وهذه أبيات كثيرة، فيها مدح الشريف أبي علي والمفاخرة، وتهجين الخوارزمي، فقال الخوارزمي أيضاً أبياتاً: ولكن ما أبرزها من الغلاف.

فقال له البديع: أما تستحي أن يكون السنور أعقل منك، لأنه يجعر فيغطيه بالتراب. فقال لهما الشريف، انسجا على منوال المتنبّي: أرق على أرق ومثلي يارق فابتدأ أبو بكر وكان إلى الغايات سباقاً، وقال:

فاذا ابتدهت بديهة يا سيدي	فأراك عند بديهتي تتقلق
مالي أراك ولست مثلي في الوري	متموهاً بالترهات تمخرق

ونظم أبياتاً ثم اعتذر، فقال: هذا كما يجيء، لا كما يجب، فقال البديع: قبل الله عذرك، لكن رفقت بين قافيات خشنة، كل قاف كجبل قاف، فخذ الآن جزاء عن قرصك، وأداء لفرضك:

مهلاً أبا بكر فزندك أضيق	واخرس فإن أخاك حي يرزق
يا أحمقا وكفاك تلك فضيحة	جربت نار معرفتي هل تحرق؟

فقال له أبو بكر: يا أحمقا: لا يجوز فإنه لا ينصرف فقال البديع: لا تزال نصفك حتى ينصرف وتنصرف معه، وللشاعر أن يرد ما لا ينصرف، وإن شئت قلت يا كودنا ثم قولك في البيت يا سيدي، ثم قلت تتقلق مدحت أم قدحت؟ فإن اللفظين لا يركضان في حلبة فقال لهما الشريف قولاً على منوال المتنبّي: أهلاً بدار سباك أغيدها قال البديع:

يا نعمة لا تزال تجدها	ومنة لا تزال تكدها
-----------------------	--------------------

فقال أبو بكر: الكنود قلة الخير لا الكفران.

فكذبه الجمع وقالوا: ما قرأت قوله تعالى: "إن الإنسان لربه لكنود"؟ أي لكفور. فقال له أبو بكر: أنا اكتسبت بفضلتي دية أهل همدان، فما الذي اكتسبت أنت بفضلك؟ فقال له البديع أنت في حرفة الكدية أحذق، وبلاستماحة أخرى وأخلق. فقطعه الكلام، ثم أنشد:

وشبهنا بنفسج عارضيه	بقايا اللطم في الخد الرقيق
قال الخوارزمي: أنا أحفظ هذه القصيدة، فقال البديع أخطأت: فإن البيت على غير هذه الصيغة وهي:	
وشبهنا بنفسج عارضيه	بقايا الوشم في الوجه الصفيق

فقال له أبو بكر: والله لأصفعنك ولو بعد حين، فقال البديع: أنا أصفعك اليوم، وتضربني غداً، اليوم خمر، وغداً أمر. وأنشد قول ابن الرومي:

يفوق كل سفيه
له وفوق الشبيه

رأيت شيخاً سفيهاً
وقد أصاب شبيهاً

ثم أنشد البديع:

وأنزلني طول النوى دار غربة
إذا شئت لأقبت أمراً لا أشاكله
أخامقة حتى يقال سجية
ولو كان ذا عقل لكننت أعاقله

فأمال النعاس الرؤوس، وسكنت الألبان والنفوس، وسلب الرقاد الجلوس، فنام القوم كعادتهم في ضيافات نيسابور، وأصبحوا فترقوا، وبعض القوم يحكم بلغة البديع، وبعضهم يحكم بلغة الخوارزمي، وسعى الفضلاء بينهما بالصلح ودخل عليه البديع واعتذر، وتاب واستغفر مما تقدم من ذنبه وما تأخر، وقال له البديع: بعد الكدر صفو، وبعد الغيم صحو، فعرض عليه الخوارزمي الإقامة عنده سحابة يومه، فأجابه البديع وأضافه الخوارزمي، وكان بعض الرؤساء مستوحشاً من الخوارزمي، وهياً مجمعاً في دار الشيخ السيد أبي القاسم الوزير، وكان أبو القاسم فاضلاً ملء إهابه، وحضر أبو الطيب سهل الصعلوكي، والسيد أبو الحسين العالم، فاستمال البديع قلب السيد أبي الحسين بقصيدة قالها في مدائح أهل البيت أولها:

يا معشراً ضرب الزما
ن على معرضهم خيامه

ثم حضر المجلس القاضي أبو عمر البسطامي، وأبو القاسم ابن حبيب، والقاضي أبو الهيثم، والشيخ أبو نصر بن المرزبان، ومع الإمام أبي الطيب الفقهاء والمتصوفة، وحضر أبو نصر الماسرجسي مع أصحابه، والشيخ أبو سعد الهمداني، ودخل مع الخوارزمي جم غفير من أصحابه، فقبل لهما: أنشدا على منوال قول أبي الشيص:

أبقى الزمان به ندوب عضاض
ورمى سواد قرونيه ببياض

فابتدر الخوارزمي فقال:

يا قاضياً ما مثله من قاض
أنا بالذي تقضي علينا راض

منها:

ولقد بليت بشاعر متهتك
لا بل بليت بناب ذنب غاض

فقال البديع: ما معنى قولك: ذنب غاض. فقال أبو بكر: ما قلته. فشهد عليه الحاضرون أنه قاله، فقال أبو بكر: الذنب الغاضي: الذي يأكل الغضا، فقال البديع: استنوق الذنب صار الذنب جملاً يأكل الغضا، ثم دخل الرئيس أبو جعفر، والقاضي أبو بكر الحيري والشيخ أبو زكريا والشيخ أبو الرشيد المتكلم، فقال الرئيس: قولاً على هذا النمط:

برز الربيع لنا برونق مائه
وانظر لمنظر أرضه وسمائه

والترب بين ممسك ومعنبر
من نوره بل مائه وروائه

ثم أنشد الخوارزمي على هذا النمط، فلما فرغ من إنشاده قال البديع للوزير والرئيس: لو أن رجلاً حلف بالطلاق أني لا أقول شعراً، ثم نظم تلك الأبيات التي قالها الخوارزمي، لا يقال نظرت لكذا، ويقال نظرت إلى كذا، وأنت قلت فانظر لمنظر، وشبهت الطير بالمحصنات، وهذا تشبيه فاسد، ثم شبهتها بالمغنيات حين قلت:

والطير مثل المحصنات صواح
مثل المغني شادياً بغنائه

المحصنات كيف توصف بالغناء ثم قلت كالبحر في تزخاره، والغيث في إمطاره، والغيث هو المطر، فقال البديع: الغيث المطر والسحاب، وصدقه الحاضرون، وأنكروا على الخوارزمي، فقال الإمام أبو الطيب: علمنا أي الرجلين أفضل وأشعر؟ فقام البديع وقيل رأس الخوارزمي ويده وقال: أشهدوا أن الغلبة له، قال ذلك على سبيل الاستهزاء، وتفرق الناس واشتغلوا بتناول الطعام، وأبو بكر ينطق عن كبد حري والوزير يقول للبديع: ملكت فأسجج، فلما قام أبو بكر أشار إلى البديع وقال: لأتركك بين الميمات، فقال: ما معنى الميمات؟ فقال: بين مهذوم، مهزوم، مغموم، محموم، مرجوم، محروم، فقال البديع: لأتركك بين الهيام والسقام والسام والبرسام والجذام والسرسام، وبين السينات، وبين منحوس، ومنخوس، ومنكوس، ومعكوس، وبين الخاءات، من مطبوخ، ومسلوخ، ومشدوخ، ومفسوخ وممسوخ، وبين الباءات، بين مغلوب، ومسلوب، ومصلوب، ومنكوب، فخرج البديع وأصحاب الشافعي يعظمونه بالتقبيل والاستقبال، والإكرام والإجلال، وما خرج الخوارزمي حتى غابت الشمس، وعاد إلى بيته وانخذل انخذلاً شديداً، وانكسف باله وانخفض طرفه، ولم يحل عليه الحول حتى خانه عمره، وذلك في شوال سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة. قال أبو الحسن البیهقي: وبديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين الحافظ، كان يحفظ خمسين بيتاً بسماع واحد، ويؤديها من أولها إلى آخرها، وينظر في كتاب نظراً خفيفاً، ويحفظ أوراقاً ويؤديها من أولها إلى آخرها، فارق همدان في سنة ثمانين وثلاثمائة، وكان قد اختلف إلى أحمد بن فارس صاحب المجل، وورد حضرة صاحب، وتزود من ثمارهما، واختص بالدهخداه أبي سعد محمد بن منصور، ونفقت بضاعته لديه، ووافى نيسابور في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة، وبعد موت الخوارزمي خلاله الجو، وجرت بينه وبين أبي علي الحسين ابن محمد الخشنامي مصاهرة، وألقى عصا المقام بهراة، ثم فارق

دنياه في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة.
وحدث الثعالبي في أخبار أبي فراس قال: حكى أبو الفضل الهمداني قال: قال صاحب أبو القاسم يوماً لجلسائه وأنا فيهم - وقد جرى ذكر أبي فراس الحرث بن سعيد بن حمدان - لا يقدر أحد أن يزور على أبي فراس شعراً فقلت: من يقدر على ذلك؟ وهو الذي يقول:

رويدك لا تصل يدها بباعك ولا تعز السباع إلى رباعك
ولا تغر العدو على إنني يمين إن قطعت فمن ذراعك

فقال صاحب: صدقت: فقلت: - أيد الله مولانا - فقد فعلت. ويقال: إن السبب في مفارقة البديع الهمداني حضرة صاحب، أنه كان في مجلسه فخرجت منه ريح "فقال صاحب" فقال البديع هذا صرير التخت، فقال صاحب: أخشى أن يكون صرير النحت، فأورثه ذلك جلاً كان سبب مفارقتة إياه ووروده إلى خراسان، وكانت أول رقعة كتبها البديع إلى الخوارزمي عند وروده نيسابور: أنا لقرب الأستاذ أطال الله بقاءه، كما طرب النشوان مالت به الخمر، ومن الارتياح للقائه، كما انتفض العصفور بلله القطر، ومن الامتراج بولائه، كما التقت الصهباء والبارد العذب، ومن الابتهاج بمزاره كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب، فكيف ارتياح الأستاذ لصديق طوى إليه ما بين قسبتي العراق وخراسان، بل عتبتني الجبل ونيسابور؟ وكيف اهتزازه لضيف في بردة حمال وجلدة جمال.

رق الشماثل منهج الأثواب بكرت عليه مغيرة الأعراب
كمهلل وربيعة بن مكدم وعبيدة بن الحارث بن شهاب

وهو ولي إنعامه، بإنفاذ غلامه، إلى مستقري لأفضي إليه بما عندي إن شاء الله تعالى وحده. ثم اجتمع إليه فلم يحمده لقيه، فأنصرف عنه، وكتب إليه: الأستاذ - والله يطيل بقاءه. ويدم تأييده ونعماءه - أزرى بضيفه أن وجده يضرب أباط القلة في أظمار الغربة، فأعمل في ترتيبه أنواع المصارفة، وفي الاهتزاز له أصناف المضايقة، من إيماء بنصف الطرف، وإشارة بشطر الكف، ودفع في صدر القيام عن التمام، ومضغ الكلام، وتكلفه لرد السلام، وقد قبلت هذا الترتيب صعراً، واحتملته وزراً، واحتضنته نكراً، وتأبطته شراً، ولم آله عذراً، فإن المرء بالمال وثياب الجمال، وأنا مع هذه الحال، وفي هذه الأسمال، أنقزز صف النعال، ولو حاملته العتاب، وناقشته الحساب، وصدقته السماع، لقلت إن بوادينا ثاغية صباح، وراغية رواح، وقوماً يجرون المطارف، ولا يمنعون المعارف.

وفيه مقامات حسان وجوهم وأندية بنتابها القول والفعل
على مكثريهم حق من يعثريهم وعند المقلين السماحة والبذل

ولو طوحت بالأستاذ أيدي الغربة إليهم، لوجد منال البشر قريباً، ومحط الرحل رحيباً، ووجه المضيف خصيباً، ورأيه - أيده الله - في أن يملأ من هذا الضيف أجفان عينه، ويوسع أعطاف ظنه ويجيبه بموقع هذا العتاب الذي معناه ود، والمر الذي يتلوه شهد موفق إن شاء الله تعالى.
"الجواب من الخوارزمي"

إنك إن كلفتني ما لم أطق ساءك ما سرك مني من خلق

فهت ما تناوله سيدي من حسن خطابه، ومؤلم عتبه وعتابه، وصرفت ذلك منه إلى الضجر الذي لا يخلو منه من نبا به دهر، ومسه من الأيام ضر، والحمد لله الذي جعلني موضع أنسه، ومظنة مشتكى ما في نفسه، أما ما شكاه سيدي من مضايقتي إياه رغم في القيام، وتكلفي لرد السلام، فقد وفيت حقه، كلاماً، وسلاماً، وقياماً على قدر ما قدرت عليه، ووصلت إليه، ولم أرفع عليه غير السيد أبي القاسم، وما كنت لأرفع أحداً على من أبوه الرسول، وأمه البتول، وشاهداه التوراة والإنجيل، وناصراه التأويل والتنزيل، والبشير به جبرائيل وميكائيل، وأما عدم الجمال، ورثاة الحال، فما يضعان عندي قدراً ولا يضران نجراً، وإنما اللباس جلدة، والزي حلية بل قشرة، وإنما يشتغل بالجل من لا يعرف قيمة الخيل، ونحن بحمد الله نعرف الخيل عارية من لالها، ونعرف الرجال بأقوالها وأفعالها، لا بآلاتها وأحوالها، وأما القوم الذين صدر سيدي عنهم، وانتمى إليهم، ففيهم لعمري فوق ما وصف حسن عشرة، وسداد طريقة، وجمال تفصيل وجملة، ولقد جاورتهم فنلت المراد، وأحمدت المراد.

فإن أئ قد فارقت نجداً وأهله فما عهد نجد عندنا بزميم

والله يعلم نيتي للأحرار عامة، ولسيدي من بينهم خاصة، فإن أعانني على مرادى له، ونيتي فيه بحسن العشرة، بلغت له بعض ما في المنية، وجاوزت مسافة القدرة، وإن قطع على طريق عزمي بالمعارضة وسوء المؤاخدة، صرفت عنائي عن طريق الاختيار، بيد الاضطرار.

فما النفس إلا نطفة بقرارة إذ لم تكدر كان صفواً غديرها

وعلى هذا، فحبذا عتاب سيدي إذا صادف ذنباً، واستوجب عتياً، فأما أن يسلفنا العريضة، ويستكثر المعتبة والموجدة، فتلك حالة نصونه عنها، ونصون أنفسنا عن احتمال مثلها، فليرجع بنا إلى ما هو أشبه به وأجمل له، ولست أسومه أن يقول "استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين" ولكن أسأله أن يقول: "لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين".

"رقعة البديع الثالثة إلى الخوارزمي". أنا أرد من الأستاذ سيدي شرعة وده، وإن لم تصف، وألبس خلعة بره، وإن لم تصف وقصاراي أن أكله صاعاً بصاع، ومدأ عن مد، وإن كنت في الأدب دعي النسب، ضعيف السبب، ضيق المضطرب، سيء المنقلب، أمت إلى أهله بعشرة رشيقة، وأنزع إلى خدمة أصحابه بطريقة، ولكن بقي أن يكون الخليط منصفاً في الإخاء، عادلاً في الوداد، إذا زرت زار، وإن عدت عاد. والأستاذ سيدي - أيده الله - ضايقتي في القبول أولاً، وناقشني في الإقبال ثانياً، فأما حديث الاستقبال وأمر الإنزال والأنزال فنطاق الطمع ضيق عنه، غير متسع لتوقعه منه. وبعد، فكلية الفضل هينة، وفروض الود متعينة، وطرق المكارم بيّنة، وأرض العشرة لينة، فلم اختار قعود التعالي مركباً، وصعود التعالي مذهباً؟ وهلا زاد الطير عن شجر العشرة، إذا كان ذاق الحلو من ثمرها، وقد علم الله أن شوقي إليه قد كد الفؤاد برحاً على برح، ونكاه قرحاً على قرح، فهو شوق داعيته محاسن الفضل، وجاذبته بواعث العلم ولكنها مرة مرة ونفس حرة، ولم تقد إلا بالإعظام، ولم تلق إلا بالإكرام، وإذا استعفاني سيدي الأستاذ من معائبته، واستعادته ومواخذته إذا جفا واستزادته، وأعفى نفسه من كلف الفضل يتجشمها، فليس إلا غصص الشوق أتجرعها، وحلل الصبر أندرعها، فلم أعره من نفسي، وأنا لو أعرت جناحي طائر لما رنقت إلا إليه ولا حلقت إلا عليه.

أحبك يا شمس النهار وبدره
وذاك لأن الفضل عندك باهر
وإن لآمني فيك السها والفراقد
وليس لأن العيش عندك بارد
"جواب الخوارزمي عنها" شريعة ودي لسيدي - أدام الله عزه - إذا وردها صافية وثياب بري إذا قبلها ضافية، هذا ما لم يكدر الشريعة بتعنته وتعصبه، ولم تحترق الثياب بتجنبه وتسحبه، فأما الإنصاف في الإخاء فهو ضالتي عند الأصدقاء، ولا أقول: وإني لمشتاق إلى ظل صاحب
فإن قائل هذا البيت قاله والزمان زمان، والإخوان إخوان، وحسن العشرة سلطان، ولكني أقول: وإني لمشتاق إلى ظل:

رجل يوازنك المودة جاهداً
فيذا رأى رجحان حبة خردل
يعطي ويأخذ منك بالميزان
مالت مودته مع الرجحان
وقد كان الناس يقترحون الفضل فأصبحنا نقترح العدل، وإلى الله المشتكى لا منه. ذكر الشيخ سيدي - أيده الله - حديث الاستقبال، وكيف يستقبل من انقض علينا انقضا العقاب الكاسر، ووقع بيننا وقوع السهم العائر، وتكليف المرء ما لا يطيق يجوز على مذهب الأشعري، وقد زاد سيدي على أستاذه الأشعري، فإن أستاذه كلف العاجز ما لا يطيق مع عجزه عنه، وسيدي كلف الجاهل علم الغيب مع الاستحالة منه، والمنزل بما فيه قد عرضته عليه، ولو أطقت حمله لحملته إليه، والشوق الذي ذكره سيدي، فعندي منه الكثير الكبير، وعنده منه الصغير اليسير، وأكثرنا شوقاً أقلنا عتاباً، وأليننا خطاباً، ولو أراد سيدي أن أصدق دعواه في شوقه إلي، ليغض من حجم عتبه علي، فإنما اللفظ زائد، واللحظ وارد، فإذا رق اللفظ، دق اللحظ، وإذا صدق الحب ضاق العتاب والعتب.

فبالخير لا بالشر فارح مودتي
وأي امرئ يعتاد منه الترهيب
عتاب سيدي قبيح، ولكنه حسن، وكلامه لين، ولكنه خشن، أما قبحه فلأنه عاتب بريئاً، ونسب إلى الإساءة ما لم يكن مسيئاً، وأما حسنه فلألفاظه الغرر ومعانيه التي هي كالدرر، فهي كالدينيا ظاهرها يغر، وباطنها يضر، وكالمرعلى على دمن الثرى، منظره بهي، ومخبره وبهي، ولو شاء سيدي نظم الحسن والإحسان، وجمع بين صواب الفعل واللسان.

يا بديع القول حاشا
وبحسن القول عوذ
لا يعب بعضك بعضاً
"رقعة أخرى للبديع إلى الخوارزمي"

أنا وإن كنت مقصراً في موجبات الفضل، من حضور مجلس الأستاذ سيد، فما أفري إلا جلدي. ولا أبري إلا قدحي ولا أبخس إلا حظي، وإن يكن ذاك جرماً فلي هذا عقاباً، ومع ذاك فما أعمر أوقاتي إلا بمدحه، ولا أطرز ساعاتي إلا بذكره، ولا أركض إلا في حلبة وصفه، حرس الله فضله، نعم، وقد رددت كتاب الأوراق للصولي، وتناولت لكتاب البيان والتبيين. للجاحظ، وللأستاذ سيدي في الفضل والتفضل به رأيه وقال البديع يمدح الصحابة ويهجو الخوارزمي ويجيبه عن قصيدة رويت له في الطعن عليهم:

وكلني بالهم والكآبة
للسلف الصالح والصحابة
تأملوا يا كبراء الشيعة
أتستحل هذه الوقية
فكيف من صدق بالرسالة
وأحرز الله يد العقبي له
إمام من أجمع في السقية
ناهيك من أثاره الشريفة
سل الجبال الشم والبحارا
واستعلم الأفاق والأقطارا
ثم سل الفرس وبيت النار
هل هذه البيض من الآثار
وسائل الإسلام من قواه
واستنجز الوعد فأومى الله
ثاني النبي في سني الولادة
ثانيه في الدعوة والشهادة
ثانيه في منزلة الزعامة
أتأمل الجنة يا شتامه
إن امرأ أثنى عليه المصطفى
واجتمعت على معاليه الورى
واتبعته أمة الأمى
وباسمه استسقى حيا الوسمي
سيحان من لم يلقم الصخر فمه
يا نذل يا مأبون أفطرت فمه
إن أمير المؤمنين المرتضى
لو سمعوك بالخنا معرضا
وبلك لم تنبح يا كلب القمر؟
سيد من صام وحج واعتمر
يا من هجا الصديق والفاروقا
نفخت يا طبل علينا بوقاً
إنك في الطعن على الشيخين
لواهن الظهر سخين العين
هلا شغلت باسلك المغلومة
هلا نهتك الوجنة الموشومه
كفى من الغيبة أدنى شمه
ولم يعظم أمناء الأمه
مالك يا نذل وللزكية
يا ساقد الغيرة والحميه

طعانة لعانة سبابه
أساء سمعاً فأساء جابه
لعشرة الإسلام والشرية
في تبع الكفر وأهل البيعة
وقام للدين بكل آله
ذلكم الصديق لا محالة
قطعاً عليه أنه الخليفة
في رده كيد بني حنيفة
وسائل المنبر والمنارا
من أظهر الدين بها شعارا
من الذي قل شبا الكفار
إلا لثاني المصطفى في الغار
وقال إذ لم تقل الأفواه
من قام لما قعدوا إلا هو
ثانيه في الغارة بعد العادة
ثانيه في القبر بلا وساده
نبوة أفضت إلى إمامه
ليست بمأواك ولا كرامة
ثمت والاه الوصى المرتضى
واختاره خليفة رب العلا
وبايعته راحة الوصي
ما ضره هجو الخوارزمي
ولم يعده حجراً ما أحلمه
لشد ما اشتقات إليك الحطمه
وجعفر الصادق أو موسى الرضى
ما ادخروا عنك الحسام المنتضى
مالك يا مأبون تغتاب عمر
صرح بالحادك لا تمش الخمر
كيما يقيم عند قوم سوقا
فما لك اليوم كذا موهوقا؟
والقدح في السيد ذي النورين
معترض للحين بعد الحين
وهامة تحملها ميشومه
عن مستري الخلد ببئر رومه
من استجاز القدح في الأئمه
فلا تلوموه ولوموا أمه
عائشة الراضيه المرضيه؟
ألم تكن للمصطفى حظيه؟

يخبره أن ابنه عليا
بشرط أن يفهمنا المعنيا
مالك في الجري تقود اعجملا
وفي الخلا أطمعه ما في الخلا

من مبلغ عني الخوارزميا
قد اشترينا منه لحماً نيا
يا أسد الخلوة خنزير الملا
يا ذا الذي يثلبني إذا خلا
وقلت لما احتفل المضممار واحتفت الأسماع والأبصار

سوف ترى إذا انجلي الغبار
وكتب البديع إلى معلمه جواباً: الشيخ الإمام يقول: فسد الزمان، أفلا يقول متى كان صالحاً؟ أفي دولة العباسية، وقد رأينا آخرها،
وسمعنا بأولها، أم في المدة المروانية، وفي أخبارها ما لا تكسع الشول بأخبارها، إنك لا تدري من الناتج، أم السنين الحربية:
والسيف يغمد في الطلى
ومبيت حجر بالفلا
أم الأيام العدوية، فنقول، هل بعد الزول إلا النزول، أم الأيام التيمية، وتقول طوبى لمن مات في نأنة الإسلام، أم على عهد
الرسالة، وقيل اسكتي يا رحالة فقد ذهبت الأمانة، أم في الجاهلية، ولبيد يقول:
ذهب الذين يعاش في أكنافهم
أم قبل ذلك، وأخو عاد يقول:

بلاد بها كنا وكنا نحبها
إذا الأهل أهل والبلاد بلاد
أم قبل ذلك وقد قال آدم عليه السلام: تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح أم قبل ذلك، والملائكة تقول، "أتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" وإني على توبيخه لي لفقير إلى لقائه، شفيق على بقاءه، ما نسبته ولا أنساه، وإن له بكل كلمة
علمنا مناراً، ولكل حرف أخذته منه ناراً، ولو عرفت لكلامي موقعا من قلبه لا غتنمت خدمته به، ولكني خشيت أن تقول: "هذه
بضاعتنا ردت إلينا" واثنان قلما يجتمعان، الخراسانية والإنسانية، وإني وإن لم أكن خراساني الطينة، فأني خراساني المدينة،
والمرء من حيث يوجد، لا من حيث يولد، والإنسان من حيث يثبت، لا من حيث ينبت، فإذا انضاف إلى تربة خراسان ولادة
همذان، ارتفع القلم، وسقط التكليف، والجرح جبار، والجاني حمار، فليحملني على هناتي، أليس صاحبنا يقول؟
لا تلمني على ركاكة عقلي
إن تصورت أنني همذاني

أحمد بن الحسين بن عبيد الله

ابن إبراهيم بن عبد الله الأسدي الغضاري، كان من الأدباء، والفضلاء الأذكياء، وله خط يزري بخط ابن مقلة على طريقته،
أحمد بن أبان بن السيد اللغوي الأندلسي

أخذ عن أبي علي القالي وغيره من علماء بلاده: وكان عالماً حاذقاً أديباً، مات - فيما ذكره أبو القاسم خلف ابن عبد الملك بن
يشكوال القرطبي في تاريخه - في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة، وكان يعرف بصاحب الشرطة.
قال أبو نصر الحميدي: في آخر كتابه، في باب من يعرف بأحد آبائه: ابن سيد إمام في اللغة والعربية، وكان في أيام الحكم
المستنصر، وهو مصنف كتاب العالم في اللغة في نحو مائة مجلد، مرتب على الأجناس، بدأ بالفلك، وختم بالذرة، وله في
العربية: كتاب العالم والمعلم على المسألة والجواب، وكتاب شرح كتاب الأخفش، وله غير ذلك، ذكره أبو محمد علي بن أحمد
وأثنى عليه، ولم يسمه لنا، ولعله أحمد بن أبان بن سيد المذكور في بابيه.

أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل

ابن داود بن حمدون النديم أبو عبد الله، ذكره أبو جعفر الطوسي في مصنف الإمامية، وقال: هو شيخ أهل اللغة ووجههم،
وأستاذ أبي العباس ثعلب، قرأ عليه قبل ابن الأعرابي، وتخرج من يده، وكان خصيصاً بأبي محمد الحسن بن علي عليهما
السلام، وأبي الحسن قبله، وله معه مسائل وأخبار، وله كتب، منها: كتاب أسماء الجبال والمياه والأودية، كتاب بني مرة بن
عوف، كتاب بني نمر بن قاسط، كتاب بني عقيل، كتاب بني عبد الله بن غطفان، كتاب طيء، كتاب شعغر العجير السلولي
وصنعتة، كتاب شعر ثابت ابن قطن، الشابشتي: وكان خصيصاً بالمتوكل، ونديماً له، وأنكر منه المتوكل ما أوجب نفيه من
بغداد، ثم قطع أذنه، وكان السبب في ذلك أن الفتح بن خاقان كان يعشق شلهيك خادم المتوكل، واشتهر الأمر فيه، حتى بلغه، وله
فيه أشعار، ذكرت بعضها في ترجمة الفتح، وكان أبو عبد الله يسعى فيما يحبه الفتح، ونمى الخبر إلى المتوكل فاستدعى أبا عبد

الله، وقال له: إنما أردتك لتنادمني، ليس لتقود على غلماني، فأنكر ذلك، وحلف يميناً حنث فيها، فطلق من كانت حرة من نسائه، وأعتق من كان مملوكاً، ولزمه حج ثلاثين سنة، فكان يحج في كل عام.

قال: فأمر المتوكل بنفيه إلى تكريت فأقام فيها أياماً، ثم جاءه زرافة في الليل على البريد، فبلغه ذلك، فظن أن المتوكل لما شرب بالليل وسكر أمر بقتله، فاستسلم لأمر الله، فلما دخل إليه، قال له: قد جئت في شيء، ما كنت أحب أن أخرج في مثله، قال: وما هو؟ قال: أمير المؤمنين أمر بقطع أذنك، وقال: قل له: لست أعاملك إلا كما يعامل الفتيان، فرأى ذلك هيناً في جنب ما كان توهمه من إذهاب مهجته، فقطع غضروف أذنه من خارج، ولم يستقصه، وجدعله في كافور كان معه، وانصرف به.

وبقي منفياً مدة، ثم حدر إلى بغداد، فأقام بمنزله مدة.

قال أبو عبد الله: فلقيت إسحاق بن إبراهيم الموصلي، ثم لما كف بصره، فسألني عن أخبار الناس والسلطان، فأخبرته، ثم شكوت إليه غمي بقطع أذني، فجعل يسألني ويعزيني، ثم قال لي: من المتقدم اليوم عند أمير المؤمنين، الخاص من ندمائه؟ قلت: محمد بن عمر البازيار، قال: من هذا الرجل؟ وما مقدار علمه وأدبه؟ فقلت: أما أدبه فلا أدري، ولكني أخبرك بما سمعت منه منذ قريب، حضرنا الدار يوم عقد المتوكل لأولاده الثلاثة، فدخل مروان بن أبي الجنوب ابن أبي حفصة، فأنشده قصيدته، التي يقول فيها:

بيضاء في وجناتها ورد، فكيف لنا بشمه؟

فسر المتوكل بذلك سروراً كثيراً شديداً، وأمر، فنثر عليه بدرة دنانير، وأن تلقط وتطرح في حجره، وأمره بالجلوس، وعقد له على اليمامة والبحرين، فقال: يا أمير المؤمنين: ما رأيك كالיום، ولا أرى، - أبقاك الله - ما دامت السموات والأرض، فقال محمد بن عمر: هذا بعد طول إن شاء الله وقبل، قال له: فما تقول في أدبه؟ فقال: أكثر من أن يقول للخليفة: - أبقاك الله - يا أمير المؤمنين إلى يوم القيامة وبعد القيامة بشيء كثير؟ فقال إسحاق: ويلك، جزعت على أذنك، وغمك قطعها، حتى لا تسمع مثل هذا الكلام؟ ثم قال: لو أن لك مكوك أذان، إيش كان ينفعك مع هؤلاء؟ قال: ثم أعاده المتوكل إلى خدمته، وكان إذا دعاه قال له، يا عبيد، على جهة المزاح، وقال له يوماً هل لك في جارية أهيبها لك؟ فأكبر ذلك وأنكره، فوهب له جارية، يقال لها، صاحب، من جواريه، حسنة كاملة، إلا أن بعض الخدم رد بيده على فمها، وقد أرادت أن تدميه، فصدع ثنيتها، فاسودت، فسانها ذلك عنده، وحمل كل ما كان لها، وكان شيئاً كثيراً عظيماً.

فلما مات أبو عبد الله، تزوجت "صاحب" بعض العلويين، قال علي بن يحيى بن النجم: فرأيت في النوم وهو يقول:

أبا علي ما ترى العجائب؟ أصبح جسمي في التراب غائباً

واستبدلت "صاحب" بعدي صاحباً ومن شعر أبي عبيد الله، يكاثر فيه علي بن يحيى:

من عذيري من أبي حسن حين يجفوني ويصرمني

كان لي خلا وكنت له كامتزاز الروح بالبدن

فوشى واش، فغيره وعليه كان يحسدني

إنما يزداد معرفة بودادي حين يفقدني

قال: واتصل بنجاح بن سلمة، أن أبا عبد الله بن حمدون يذكره بحضرة المتوكل، يتنادر به، فلقية نجاح يوماً فقال له: يا أبا عبد الله، قد بلغني ذكرك لي بغير الجميل في حضرة أمير المؤمنين، أتحب أن أنهى إليه قولك إذا خلوت؟

"أتراني أحبه وقد فعل بي ما فعل؟" "والله ما وضعت يدي على أذني، إلا تجددت" "له عندي بغضة" فقال ابن حمدون: الطلاق لي لازم إن كنت قلت هذا قط، وامراته طالق إن ذكره بغير ما يحبه أبداً.

وكان أبوه إبراهيم، وأظن أنه الملقب بحمدون، خادم المعتصم، ثم الواثق بعده، وكان يعاتب المتوكل في أيام أحبه الواثق، وجاءه مرة بحية وأخرج رأسها من كمه، تعريضاً بأنمه شجاع، وكان ذلك يعجب الواثق.

ولما مات الواثق نادى حمدون المتوكل، فلما كان في بعض الأيام أمر المتوكل بإحضار فريدة أخيه الواثق، فأحضرت مكرهه، ودفع إليها عود، فغنت غناء كالندبة، فغضب المتوكل وأمرها أن تغني غناء، فغنت بتحزن وشجى، فزاد ذلك في طيب غنائها فوجم حمدون للرفة التي تداخلته، فغضب المتوكل، ورأى أنه فعل ذلك بسبب أخيه الواثق حزناً عليه، وكان يبغض كل

من مال إليه، فأمر بنفيه إلى السند، وضربه ثلثمائة سوط، فسأل أن يكون الضرب من فوق الثياب لضعفه عن ذلك، فأجيب إلى ذلك، وأقام منفياً ثلاث سنين.

وتزوج المتوكل فريدة، بعد ذلك، فولدت له ابنة أبا الحسن.

وحدث حمدون بن إسماعيل، قال: دعاني المعتصم يوماً فدخلت إليه، وهو في بعض مجالسه، وإلى جنبه باب صغير، فحدثته ملياً إلى أن رأيت الباب قد حرك، وخرجت منه جارية بيضاء، مقدودة، حسنة الوجه، ويدها رطل، وعلى عنقها منديل، فأخذ الرطل من يدها فشربه، ثم قال: أخرج يا حمدون، فخرجت، فكنيت في دهليز الحجرة، فلم ألبث أن دعاني، فدخلت، وهو على حاله، فحدثته ملياً، ثم حرك ذلك الباب، فخرجت جارية، كأحسن ما يكون من النساء، سمراء رقيقة اللون، بيدها رطل، فأخذه وشربه، وقال: ارجع إلى مكانك، فخرجت، فلبثت ساعة هناك، ثم دعاني، فأتيته وحادثته ساعة، وحرك الباب، فخرجت أحسن الثلاث، بيدها رطل، ومعها منديل، فأخذ الرطل فشربه، وقال: ارجع إلى مكانك، فخرجت، فلبثت ساعة، ثم دعاني، فدخلت: فقال لي: أتعرف هؤلاء؟ قلت: معاذ الله أن أعرف أحداً ممن هو داخل دار أمير المؤمنين، فقال: إحداهن ابنة بابك الخرمي، والأخرى ابنة المازيار أو "المازيان"، والثالثة ابنة بطريق عمورية، ففترعتهن الساعة، وهذا نهاية الملك يا حمدون.

وأما أبو محمد بن حمدون، فذكر جحظة أن مولده في سنة سبع وثلثين ومائتين، وتوفي ببغداد في رمضان سنة تسع وثلثمائة، ونادم المعتصم، وخص به، وكان من ثقافته المتقدمين عنده، وله معه أخبار.

وأما أبو العبيس بن أبي عبد الله بن حمدون، أحد المشهورين بجودة الغناء والصنعة فيه، وابنه إبراهيم بن أبي العبيس أيضاً من المجيدين في الغناء، وشجاء الصوت، فهؤلاء المعروفون بمنادمة الخلفاء من بني حمدون.

وحدث أحمد بن أبي طاهر: أن ابن حمدون النديم حدثه: أن الواثق بالله بسط جلأسه، وأمرهم ألا ينقبضوا في مجلسه، وأن يجروا النادرة على ما اتفقت عليه غير محتشمين، وإن اتفق وقوعها عليه احتمل، قال: فعبرنا على ذلك مدة، وكان على إحدى عيني الواثق نكتة بياض، فلما كان في بعض الأيام، أنشد الواثق أبيات أبي حية النميري:

نظرت كأني من وراء زجاجة إلى الدار من ماء الصبابة أنظر

فقلت: وإلى غير الدار يا أمير المؤمنين؟ فتبسم، ثم قال لوزيره: قد قابلني هذا الرجل بما لا أطيق أن أنظر إليه بعدها. فانظر كم مبلغ جاريه وجرايته، وأرزاقه وصلاته، فاجمعها، وأقطعها بها إقطاعاً بالأهواز، وأخرجه إليها ليبعد عن ناظري، ففعل، قال: وأخرجت إليها، وتبيغ بي الدم، فالتمست حجاماً كان في خدمتي، فقيل: لم يخرج في الصحبة لعله لحقته، فقلت: التمسوا حجاماً نظيفاً حاذقاً، وتقدموا إليه بقلة الكلام، وترك الانبساط، فأتوني بشيخ حسن على غاية النظافة وطيب الريح، فجلس بين يدي، وأخذ الغلام المرأة، فلما أخذ في إصلاح وجهي، قلت له: اترك في هذا الموضع، واحذف في هذا الموضع، وعدل هذه الشعرات، وسرح هذا المكان، وأطلت الكلام وهو ساكت، فلما قعد للحجامة، قلت له: اشرط في الجانب الأيمن اثنتي عشرة شرطة، وفي الجانب الأيسر أربع عشرة شرطة، فإن الدم في الجانب الأيسر أقل منه في الأيمن، لأن الكبد في الأيمن، والحرارة هناك أوفر، والدم أغزر، فإذا زدت في شرط الأيمن، اعتدل خروج الدم من الجانبين، ففعل، وهو مع ذلك ساكت، فعجبت من صمته، وقلت للغلام: ادفع إليه ديناراً، فدفعه إليه، فردته، فقلت: استقله، ولعمري إن العيون إلى مثلي ممتدة، والظمع مستحكم في نديم الخليفة، وصاحب إقطاعه، أعطه ديناراً آخر، ففعل، فردهما وأبى أن يأخذهما، فاعتظت وقلت: - قبحك الله، - أنت حجام سواد، وأكثر من يجلس بين يديك يدفع لك نصف درهم، وأنت تستقل ما دفعت إليك؟ فقال: وحقك ما رددتها استقلالاً، ولكن نحن أهل صناعة واحدة، وأنت أحق مني، وما كان الله ليراني وأنا أخذ من أهل صناعتي أجرة أبداً، فأخجلني وانصرف ولم يأخذ شيئاً.

فلما كان في العام القابل، خرجت لمثل ما خرجت إليه في العام الماضي، واحتجت إلى نقص الدم، فقلت لغلامي: اذهب فجئنا بذلك الحجام، فقد عرف الخدمة، وقد انصرف تلك الدفعة ولم يأخذ شيئاً، ولعله قد نسيها، فيقع برنا منه على حاجة منه إليه، قال: فلما جلس بين يدي، وأصلح وجهي الإصلاح الذي كنت أوقفته عليه، وحجمني أحسن حجامة، فلما فرغ، قلت: سبحان الله، أنت صانع سواد، فمن أين لك هذا الحذق بهذه الصنعة؟ فقال: وحقك ما كنت أحسن من هذا شيئاً، ولكن حجام الخليفة اجتاز بنا بهذا الموضع في العام الماضي، فتعلمت منه هذا، فضحكت منه، وأمرت له بثلاثين ديناراً، مع ما تم له من معاريض كلامه في الدفعتين جميعاً.

وأنشد جحظة في أماليه لنفسه، يرثي حمدون النديم، كذا قال، ولم يعينه:

أيعذب من بعد ابن حمدون مشرب
أصبنا به فاستأسد الضبع بعده
وقطب وجه الدهر بعد وفاته
بمن ألج الباب الشديد حجابيه
بمن أبلغ الغايات، أم من بجاهه
فأصبحت حلف البيت، خلف جداره
وقال جحظة في أبي جعفر بن حمدون، ولا أعرفه إلا أنه كذا، أورده في أماليه:

أبا جعفر لا تنال العلا
ولا بغلام كبدر التما
ولا بازيار إذا ما أت
فكيف ومالك من شاكر
أتذكر إذ أنت تحت الزما
ن وحيد بلا درهم واحد؟

وتحدث جحظة في أماليه قال: قال لي أبو عبد الله ابن حمدون: حسبت ما وصلني به المتوكل في مدة خلافته، وهي أربع عشرة سنة وشهور، فوجدته ستين ألفاً وثلاثمائة ألف دينار، ونظرت فيما وصلني به المستعين في مدة خلافته، وهي ثلاث سنين ونيف، وكان أكثر مما وصلني به المتوكل، ثم خلع المستعين، وحذر إلى واسط، ومنع من كل شيء إلا القوت، فاشتهد نبياً، فخرجت دايته إلى أهل واسط، فتشكت ذلك إليهم، فقال لها رجل من التجار: له عندي كل يوم خمسة أرطال نبيذ دوشاب، فكانت تمضي إليه في كل يوم فتجنيه به سرّاً، إلى أن حمل من واسط، فقتل بالقاتول:

أحمد بن إبراهيم بن أبي عاصم

اللؤلؤي، أبو بكر، قال الزبيدي: ومن نحاة القبروان ابن أبي عاصم، وكان من العلماء النقاد في العربية والغريب والنحو والحفظ والقيام بشرح أكثر دواوين العرب. مات فيما ذكره الزبيدي، سنة ثمان عشرة وثلاثمائة وله ست وأربعون سنة، وكان كثير الملازمة لأبي محمد المكشوف النحوي، وعنه أخذ، وكان صادقاً في علمه وبيانه لما يسأل عنه، وله تأليف في الضاد والظاء حسن بين، وكان شاعراً مجيداً، وكان أبوه موسراً، فلم يكن يمدح أحداً بمجازاة، وترك الشعر في آخر عمره، وأقبل على طلب الحديث والفقه، وهو القائل:

أيا طلل الحي الذين تحملوا
وكيف قضيب البان والقمر الذي
كان لم تدر ما بيننا ذهبية
ولم أتوسد ناعماً بطن كفه
فبانت به عني ولم أدر بغتة
فلما استقلت ظعمهم وحدوهم
حرمت منايا منك، إن كان ذا الذي
تقوله الواشون عني كما قالوا

وهذا البيت الأخير تضمن من أبيات لها قصة أنا ذاكرها.

ذكر أبو الفرج علي بن الحسين، في كتابه، قال: كان عبد الله بن محمد القاضي، المعروف بالخليجي، ابن أخت علوية المغني، وكان تياهاً صلفاً، فنقل في خلافة الأمين قضاء الشرقية، وكان يجلس إلى أسطوانة من أساطين الجامع، فيستند إليها بجميع بدنه ولا يتحرك، فإذا تقدم إليه الخصمان أقبل عليهما بجميع جسده، وترك الاستناد، حتى يفصل بينهما، ثم يعود لحاله، وعمد بعض المجان إلى رقعة من الرقاع التي يكتب فيها الدعاوي، فألصقها في موضع دنيته بالدبق فلما جلس الخليجي إلى السارية، وتمكن منها، وتقدم إليه الخصوم، وأقبل إليهم بجميع جسده، كما كان يفعل، انكشف رأسه، وبقيت الدنية موضعها مصلوبة ملتصقة، فقام الخليجي مغضباً، وعلم أنها حيلة عليه وقعت، فغطى رأسه بطيلسانه وتركها مكانها، حتى جاء بعض أصحابه فأخذها، فقال بعض شعراء عصره:

إن الخليجي من تنايهه
أثقل باد لنا بطلعته

ماتيه ذي نخوة مناسبة
يصالح الخصم من يخاصمه
لو لم تديقه كف قانصه
بين أخاوينه وقصعته
خوفاً من الجور في قضيته
لطار فيها على رعيته

واشتهرت الأبيات والقصة ببغداد، وعمل لها علوية حكاية أعطاهما الزفانين والمختنن، فأخرجوه منها، وكان علوية يعاديه لمنازعة كانت بينهما ففضحه، واستغفى الخليجي من القضاء ببغداد، وسأل أن يولى بعض الكور البعيدة، فولي جند دمشق أو حمص، فلما ولي المأمون الخلافة، غناه علوية بشعر الخليجي، وهو:

برئت من الإسلام، إن كان ذا الذي
ولكنهم، لما رأوك غرية
فقد صرت أذنًا للوشاة سميمة
تقوله الواشون عني كما قالوا
بهجري، تساعوا بالنميمة واحتالوا
ينالون من عرضي، ولو شئت ما نالوا

فقال له المأمون: من يقول هذا الشعر؟ قال: قاضي دمشق، فأمر المأمون بإحضاره، فكتب إلى والي دمشق بإحضاره، فكتب فأشخص، وجلس المأمون للشرب، وأحضر علوية، ودعا بالقاضي؛ فقال له: أنشدني قولك:
برئت من الإسلام، إن كان ذا الذي
تقوله الواشون عني، كما قالوا

فقال: يا أمير المؤمنين، هذا شيء قلته منذ سنة، وأنا صبي، والذي أكرمك بالخلافة، وورثك ميراث النبوة، ما قلت شعراً منذ أكثر من عشرين سنة إلا في زهد أو عتاب صديق، فقال له: إجلس، فجلس، فناوله قدحاً من نبيذ كان في يده، فقال: يا أمير المؤمنين ما غيرت الماء بشيء قط مما يختلف في تحليله، فقال: لعلك تريد نبيذ التمر أو الزبيب؟ فقال: لا، والله يا أمير المؤمنين ما أعرف شيئاً منها، فأخذ القدح من يده، وقال: أما والله لو شربت هذا لضربت عنقك، ولقد ظننت أنك صادق في قولك كله، ولكن لا يتولى لي أبداً رجل بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام، انصرف إلى منزلك، وأمر علوية أن يغير ذلك ويقول: حرمت منايًا منك إن كان ذا الذي.

أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله

ابن الحسن الفارسي، أبو حامد المقرئ الأديب، نزيل نيسابور، جمع في القراءات مصنفات كثيرة.

قال الحاكم: وكان من العباد، أقام في منزل أبي إسحاق المزكي سنين، لتأديب أولاده، وحفظ سماعاتهم عليهم، سمع في بلده من أصحاب أبي الأشعث وعمر بن شبة وأقرانهم، مات بنيسابور سنة ست وأربعين وثلاثمائة.

قال الحاكم: حدثني أبو حامد الفارسي قال: حدثنا أبو الحسين زكريا قال: كنت عند أبي بكر محمد داود ابن علي الإصبهاني الفقيه، وهو يكتب إلى بعض إخوانه بهذه الأبيات:

جعلت فداك، قد طال اشتياقي
كتبت إليك أستدعي نوالاً
نصحت لكم حذاراً أن تعابوا
وليس تزيدني إلا مطالاً
فلم تكتب إلي نعم ولا لا
فعاد علي نصحكم وبالا

أحمد بن إبراهيم بن معلى بن أسد العمي

أبو بشر، ذكره أبو جعفر الطوسي في مصنفه الإمامية، قال: والعم هو مرة بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة، وهو ممن دخل في تنوخ بالحلف وسكنوا الأهواز وكان مستملي أبي أحمد الجلودي، وسمع كتبه كلها ورواها، وكان ثقة في حديثه، حسن التصنيف، وأكثر الرواية عن العامة والأخباريين، وكان جده المعلى ابن أسد من أصحاب صاحب الزنج، المختصين به، وروى عنه، وعن عمه أسد بن المعلى أخبار صاحب الزنج، وله تصانيف، منها: كتاب التاريخ الكبير، كتاب التاريخ الصغير، كتاب مناقب علي، كتاب أخبار صاحب الزنج، كتاب الفرق وهو كتاب حسن غريب كتاب أخبار السيد الحميري، كتاب عجائب العالم.

أحمد بن إسحاق، يعرف بالجفر

حميري النسب، مصري الدار، لم أجد له ذكراً إلا في كتاب أبي بكر الزبيدي، فإنه ذكره في نحاة مصر قال: ومات سنة ثلاثمائة

وواحد.

أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخصيب

نطاحة من أهل الأنبار، كان كاتب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وكان بليغاً مترسلاً، شاعراً أديباً، متقدماً في صناعة البلاغة، وكان في الأكثر يكتب عن نفسه إلى إخوانه، وبينه وبين ابن المعتز مراسلات وجوابات عجيبة.

ذكره محمد بن إسحاق النديم، وقال: له من التصانيف: كتاب ديوان رسائله، نحو ألف ورقة، يحتوي على كل حسن من الرسائل. كتاب الطبخ، كتاب طبقات الكتاب، كتاب أسماء المجموع المنقول من الرقاق، يشتمل على سماعاته من العلماء وما شاهد من أخبار الجلة كتاب صفة النفس، كتاب رسائله إلى إخوانه.

قال المرزباني في المعجم: وجده الخصيب بن عبد الحميد صاحب مصر، وأصلهم منالمزار، وهو القائل:

خير الكلام قليل	على كثير دليل
والعي معنى قصير	يحويه لفظ طويل
وفي الكلام عيون	وفيه قال وقيل
وللبليغ فصول	وللعيي فضول

وله أيضاً:

لا تجعلن بعد داري	مخسناً لنصيبي
فرب شخص بعيد	إلى الفؤاد قريب
ورب شخص قريب إليه غير حبيب	ما كان بين القلوب
ما القرب والبعد إلا	

وله يمدح كاتباً:

وإذا تمنمت بنائك خطأ	معرّباً عن إصابة وسداد
عجب الناس من بياض معان	يجتنى من سواد ذاك المداد

وله أيضاً:

ماذا أقول لمن إن زرتة حجباً	وإن تخلفت عنه مكرها عتباً
وإن أردت خلاصاً من تعتبه	ظلماً، فعاتبته في فعله غضباً

قال أحمد بن يحيى: كان أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الكاتب، علامة شاعراً، أحسن المعرفة بالشعر، وكان من الظرفاء الخلاء، قال لي مرة: يا أبا العباس، ما بنات مخر؟ فقلت: بنات "مخر" سحائب بيض يأتين قبل الصيف، تشبه النساء في بياضهن وحسنهن بها، لأن سحاب الصيف لا ماء فيه فيسود ويتغير، فقال لي: قلبك عربي. وسأتهدي من أحمد بن إسماعيل كتاب حدود الفراء، فأهداه وكتب على ظهره:

خذه فقد سوغت منه مشبهاً	بالروض أو بالبرد في تفويفه
نظمت كما نظم السحاب سطوره	وتأنق الفراء في تأليفه
وشكلته ونقطته فأمنت من	تصحيفه ونجوت من تحريفه
بستان خط غير أن ثماره	لا تجتنى إلا بشكل حروفه

أحمد بن أبي الأسود القيرواني

ذكر الزبيدي فقال: كان غاية في النحو واللغة، وهو من أصحاب عبد الملك المهدي، وله تصانيف في النحو والغريب، ومؤلفات حسان وكان شاعراً مجيداً:

أحمد بن أعثم الكوفي أبو محمد الأخباري

المؤرخ، كان شيعياً، وهو عند أصحاب الحديث ضعيف وله كتاب التاريخ إلى آخر أيام المقتدر، ابتدأه بأيام المأمون، ويوشك أن يكون ذيلًا على الأول، رأيت الكتابين.

وقال أبو الحسين بن أحمد السلامي البيهقي: أنشدني ابن أعثم الكوفي:

إذا اعتذر الصديق إليك يوماً
من التقصير عذر أخ مقرر
فصنه عن جفائك وارض عنه
فإن الصفح شيمة كل حر

أحمد بن بختيار بن علي بن محمد المانداني

أبو العباس الواسطي، وكان له معرفة جيدة بالأدب والنحو واللغة، مات ببغداد في جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وخمسائة، ومولده في ذي الحجة سنة ست وسبعين وأربعمئة بأعمال واسط، وقد ولي القضاء بواسط، وكان فقيهاً فاضلاً، له معرفة تامة بالأدب واللغة، ويد بأسطة في كتب السجلات والكتب الحكمية، سمع أبا القاسم ابن بيان، وأبا علي بن نبهان، وغيرهما.

قال أبو الفرج بن الجوزي: وكان يسمع معنا علي بن الفضل بن ناصر.

صنف كتباً، منها: كتاب القضاة. كتاب تاريخ البطائح.

قرأت بخط حجة الإسلام، أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب: أنشدني صديقنا الشيخ أبو العباس أحمد بن بختيار بن علي بن محمد المانداني لنفسه في ابن المرخم:

قد نلت بالجهل أسباباً لها خطر
مضيق فيها على العقل المعاذير
مصيبية عمت الإسلام قاطبة
لا يقتضي مثلها حزم وتدبير
إذا تجاري ذوو الألباب جملتها
قالوا: جهول أعانته المقادير

أحمد بن أمية بن أبي أمية، أبو العباس الكاتب

ذكره المرزباني فقال: أهل بيت الكتابة، والغزل، والظرف، والأدب.

حدثنا أحمد بن القاسم النيسابوري: أنه لقيه بعد الخمسين والمائتين، أو حواليها، وأخذ عنده علماً كثيراً وأدباً.

قلت: وأمّية، مولى لهشام بن عبد الملك، واتصل في دولة بني العباس بالربيع، حاجب المنصور، وكتب بين يديه، وله شعر حسن، وولده أهل بيت علم، منهم: أحمد هذا، وأخوه محمد، وقد ذكرته في أخبار الشعراء. قال المرزباني: وأحمد هو القائل:

خبرت عن تغير الأترابا
ومشيبي، فقلن: بالله شابا
نظرت نظرة إلي، فصدت
كصدود المخمور شم الشرابا
إن أدهى مصيبة نزلت بي
أن تصدى، وقد عدمت الشبابا
وكان أبو هفان يقول: ليس في الدنيا هجاء أشرف ولا أظرف من قول أحمد بن أمية:
أضحى وحقك عنه وهو مشغول
إذا ابن شاهك قد وليته عملاً
في وسطها عرصة في وسطها ميل
بسكة أحدثت، ليست بشارعة
تهوى خريطته والبغل مشكول
يرى فرانقها في الركض مندفعاً

أحمد بن بشر بن علي التجيبي

يعرف بابن الأغيس، ذكره الحميدي وقال: مات سنة ست وعشرين وثلاثمائة، وكان فقيهاً على مذهب الشافعي، مائلاً إلى الحديث، عالماً بكتب القرآن، قد أتقن كل ما قيل فيها، من جهة العربية والتفسير واللغة والقراءة، وكان حافظاً للغة العربية، كثير الرواية، جيد الخط والضبط للكتب، وأخذ عن العجلي والخشني وابن الغازي.

أحمد بن بكران بن الحسين الزجاج

كتب عنه علي بن محمد الأزدي في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

أحمد بن بكر العبدي أبو طالب

صاحب كتاب شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي، كان نحوياً لغوياً قيماً بالقياس والإفتنان في العلوم العربية، أخذ عن القاضي أبي سعيد السيرافي، وأبي الحسن الرماني، وأبي علي الفارسي، ومات في سنة ست وأربعمائة في خلافة القادر بالله، لم أجد له خبراً فأحكيه، إلا ما حكى هو عن نفسه في كتاب شرح الإيضاح: أنه تكلم مع أبي محمد يوسف بن أبي سعيد الحسن السيرافي قال العبدي: ما كان ابن السيرافي مكيماً في هذا الشأن على شهرته عند الناس في اللغة في باء تفعلين، فقال: هي علامة التانيث، والفاعل مضمر، فقلت له: ولو كانت بمنزلة التاء في ضربت، علامة للتانيث فقط، لثبتت مع ضمير الاثنين، وعلم أن فيها مع دلالتها على التانيث، معنى الفاعل، فلما صار للاثنتين، بطل ضمير الواحد الذي هو الياء، وجاءت الألف وحدها، فقال: هذا زنبيل الحوائج كذا وكذا، وانقطع الوقت بالضحك من ابن شيخنا، ومن قلة تصرفه.

وقرأت في فوائد، نقلت عن أبي القاسم المغربي الوزير: أن العبدي أصيب بعقله، واختل في آخر عمره، وله من التصانيف كتاب شرح الإيضاح، كتاب شرح الجرمي.

أحمد بن أبي بكر بن أبي محمد الخاوراني

النحوي، الأديب، أبو الفضل، يلقب بالمحدوي، لقبته يعرف سربين، وهو شاب فاضل بارع متفنن قيم بعلم النحو، محترق بالذكاء، حافظ للقرآن، كتب بخطه العلوم، وقرأها على مشايخه، ورأيت قد صنف كتابين صغيرين في النحو، وشرح في أشياء لم تمهله المنية ليتمها، منها - فيما ذكر لي - شرح المفصل للزمخشري، وكتب عني الكثير، وفارقت في سنة سبع عشرة وستمائة، ثم بلغني أنه اعتب، فمات في سنة عشرين وستمائة، وعمره نحو ثلاثين سنة، وله رسالة صالحة.

أحمد بن عفر الدينوري

ختن ثعلب على ابنته، يكنى: أبا علي، أحد النحاة المبرزين المصنفين في نحاة مصر، وقال: إنه مات بمصر سنة تسع وثمانين ومائتين، قال: وكان أبو علي الدينوري يخرج من منزل ثعلب، وهو جالس على باب داره، فيتخطى أصحابه، ومعه محبرته، فيقرأ كتاب سيبويه على أبي العباس المبرد، فيعاتبه ثعلب ويقول: إذا رآك الناس تمضي إلى هذا الرجل، وتقرأ عليه، وتتركني، يقولون ماذا؟ فلم يكن يلتفت إلى قوله، قال: وكان أبو علي هذا حسن المعرفة، قال: قال المصعبي: فسألت أبا علي: كيف صار المبرد أعلم بكتاب سيبويه من ثعلب؟ فقال: المبرد قرأه على العلماء وثعلب قرأه على نفسه.

قال الزبيدي: وأصله من الدينور، وقدم البصرة، وأخذ عن المازني، وحمل عنه كتاب سيبويه، ثم دخل بغداد، فقرأ على المبرد، ثم قدم مصر، وألف كتاب المذهب في النحو، وكتب في صدره اختلاف البصريين والكوفيين، وعزا كل مسألة إلى صاحبها، ولم يعتل لكل واحد منهم، ولا احتج لمقالته، فلما أمعن في الكتاب ترك الاختلاف، ونقل مذهب البصريين، وعول في ذلك على كتاب الأخفش سعيد بن مسعدة، وله كتاب مختصر في ضوائر القرآن، استخرجه من كتاب المعاني للفرأ، ولما قدم علي بن سليمان الأخفش إلى مصر، خرج أبو علي منها، فلما رجع الأخفش إلى بغداد، عاد أبو علي إلى مصر، فأقام بها حتى مات في السنة المقدم ذكرها، وله كتاب إصلاح المنطق.

أحمد بن جعفر جحظة

هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي النديم، قال أبو عبد الله الحسن ابن علي بن مقلة: سألت جحظة عن لقبه بهذا اللقب، فقال: ابن المعتز لقيني يوماً فقال لي: ما حيوان إذا قلب صار آلة للبحرية؟؟ فقلت: علق، إذا عكس صار قلعة فقال: أحسنت يا جحظة، فلزمني هذا اللقب، وهو من في عينيه نتو جداً، وكان قبيح المنظر، وكان له لقب آخر، يلقيه به المعتمد، وهو خنياكر، وما أدري أي شيء معناه؟ كان حسن الأدب، كثير الرواية للأخبار، متصرفاً في فنون من العلم، كالنحو واللغة والنجوم، مليح الشعر، مقبول الألفاظ، حاضر النادرة وكان طنبورياً حاذقاً فيه فائقاً، مات في شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بجبل، ومولده سنة أربع وعشرين ومانتين، ذكره محمد بن إسحاق النديم، فقال: ولجحظة من التصانيف: كتاب الطبخ - لطيف، - كتاب الطنبوريين، كتاب فضائل السكبا، كتاب الترجم، كتاب المشاهدات، كتاب ما شاهده من أمر المعتمد على الله، كتاب ما جمعه مما جربه المنجمون فصح من الأحكام، كتاب ديوان شعره. قال: كان جحظة وسخاً قذراً دني النفس، في دينه قلة، وهو القائل:

إذا ما ظمئت إلى ريقه
وأين الدمامة من ريقه؟
جعلت الدمامة منه بديلاً
ولكن أعلل قلباً غليلاً

ومن سائر شعره قوله:

لي صديق مغري بقربي وشدوي
قوله إن شذوت أحسنت، زدني
حدث الخطيب قال: قال جحظة: أنشدت عبيد الله ابن طاهر قولي:
قد نادت الدنيا على نفسها
كم واثق بالعمر واثقت
فقال لي: ذنك إلى الزمان الكمال.

ومن شعر جحظة:

أقول لها والصباح قد لاح ضوءه
شبيهك قد وافى ولاح افتراقنا
فقلت شفائي في الذي قد ذكرته
قال جحظة: صك لي بعض الملوك بصك فدافعني الجهد به، حتى ضجرت، فكتبت إليه:
تخطط بالأنامل والأكف
ولم تكن الرقاع تجر نفعاً
وأناشد جحظة في أماليه:

طرقنا بزوعي حين أينع زهرها
وكم من بهار يبهر العين حسنه
ومن مستحث بالمدمام كأنه،
وفي كفه اليمنى شراب، مورد
شقانق تندى بالندى فكأنها
وكم ساقط سكرأ يلو كلسانه
وكم منشد بيتاً وفيه بقية
"فكان مجني دون من كنت أتقي

وفيها، لعمر الله، للعين منظر
ومن جدول بالبارد العذب يزخر
وإن كان ذمياً، أمير مؤمر
وفي كفه اليسرى بنان معصفر
خدود عليهن المدامع تقطر
وكم قائل هجراً وما كان يهجر
من العقل إلا أنه متحير
ثلاث شخوص كاعيان ومعصر "

وكم من حسان جس أوتار عوده فألهب ناراً في الحشا تتسعر

يعني وأسباب الصواب تمدد
أحن حنين الواله الطرب الذي
أجحظة إن تجزع على فقد معشر
وأصبحت في قوم كأن عظامهم

بصوت جليل ذكره حين يذكر
ثنى شجوه بعد الغداء التذكر
فقدت بهم من كان للكسر يجبر
إذا جئتهم في حاجة تتكسر

على ما جناه الدهر ، والله أكبر

فصبراً جميلاً، إن في الصبر مقتعاً

وأنشد أيضاً لنفسه:

يا من بعدت عن الكرى ببعاده
أصبحت أجحد أنني لك عاشق
الصبر مذ غيبت عني غائب
والعين مخبرة بأني كاذب

وأنشد أيضاً لنفسه:

قد قلل الإدمان أكلي فما
فالحمد لله وشكراً له
أطعم زاداً قيس إبهام
قد صرت من باند أقوام
للقوم ترى أولادهم بينهم
للقوم ترى أولادهم بينهم

وأنشد لنفسه:

أرى الأيام تضمن لي بخير
فمن ذا ضامن لدوام عمري
هي التسعون قد عطفت قناتي
وفيها لو عرفت الحق شغل
كأنني بالنوادر قائلات،
ألا سقيا لجسمك كيف يبلى وذكرك في المجالس غير بالي وأنشد أيضاً لنفسه:

أنفق ولا تخش إقلاً، فقد قسمت
لا ينفع البخل مع دنيا مولية
بين العباد مع الأجل أرزاق
ولا يضر مع الإقبال إنفاق

وأنشد أيضاً لنفسه:

تعجبت إذ رأنتني فوق مكسور
من بعد كل أمين الرسغ معترض
فقلت لا تعجبي مني ومن زمن
بل فاعجبي من كلاب قد خدمتهم
ولم يكن في تناهي حالهم بهم
وقيل لحظة: كيف حالك؟ فقال: كما قال الشاعر:

أي شيء رأيت أعجب من ذا
كل شيء من السرور بوزن

وأنشد لحظة لنفسه:

الحمد لله ليس لي كاتب
ولا حمار إذا عزمت على
ولا قميص يكون لي بدلاً
وأجرة البيت فهي مقرحة
إن زارني صاحب عزمت على
أصبحت في معشر تشمتهم
فيهم صديق في عرسه عجب
تحسبها حرة وحافرها

وأنشد لنفسه:

أحمد لله لم أقل قط: يا بد
لا، ولا قلت: أين أين الشوا
لا ولا قيل: قد أتاك من الضي
ر ويا منصفاً ويا كافور
هين ووزاننا وأين البذور
عة بر موفر وشعير

وأتاك العطاء بالنند لما
أنا خلو من الممالك والأم
ليس إلا كيسرة وقديح
قال لحظة: ومررت بوقاد يوقد في التنور ويغني:
أنا أهواك نور الل
إن تكن تمنعني شخ
قد أخذت الدن والطن
قل لمن جنبك القم
وله أيضاً:

ولي صاحب زرته للسلا
وقالوا تغيب عن داره
ولو كان عن داره غائباً
وقال يستزير بعض إخوانه:

لنا يا أخي زلة وافره
وراح تزيل إذا صفقت
ومسمعة لم يخنها الصوا
وما شئت من خبر نادر
فأت ولو كنت يا ابن الكرام
وأنشد لنفسه أيضاً:

ما زارني في الحبس من نادمته
بخلوا علي وقد طلبت سلامهم
وأنشد أيضاً لنفسه:

وذي جدة طلبت إليه برأ
فأقسم أنه رجل فقير
كأنني بالمنازل عن قليل
وقد ظفر النساء بما تركتم
وأنشد أيضاً لنفسه في أماليه:

وقائل قال لي: من أنت؟ قلت له،
لست الذي تعرف البطحاء وطأته
أنا الذي دينه إسعاف سائله
أنا الذي حب أهل البيت أفقره
وله أيضاً:

ولي كبد لا يصلح الطب سقمها
فيا ليت شعري والظنون كثيرة
وله أيضاً:

شكري لإحسانك شكر امرئ
وكيف لا أشكر من لا أرى
وأنشد لحظة لنفسه في أماليه.
حسبي ضجرت من الأدب

قيل لي إن في الخزين بخور
لاك جلد على البلا وصبور
وخليق أتت عليه الدهور

ه فافعل ما بدا لك
صك فابذل لي خيالك
بور والكلب فمالك؟
موث من دسك والك

م فقابلني بالحجاب الصراح
لخوف غريم ملح وقاح
لأدخلني أهله للنكاح

وقدر معجلة حاضره
سنا البرق في الليلة الماطره
ب وزامرة أيما زامره
ونادرة بعدها نادره
وحاشاك من ذاك في الآخره

كأسين: كأس مودة ومدام
فكأنني طالبهم بطعام

من الجلساء مذموم الخلائق
أرانيه المهيمن وهو صادق
خلون من المطرزة النمارق
فصار لماهر بالنيك حاذق

مقال ذي حكمة واتت له الحكم
والبيت يعرفه والحل والحرم
والضر يعرفه واليؤس والعدم
فالعدل مستعبر والجور مبتسم

من الوجد لا تنفك دامية حرى
أيشعر بي من بت أرعى له الشعري

يستوهب الإحسان من واهبه
في منزلي إلا الذي جاد به

ورأيته سبب العطب

وما حفظت من الخطب
نض واسترحت من التعب

وهجرت إعراب الكلام
ورهننت ديوان النقا

وله أيضاً:

حالي فما فيها عجب
م في النباهة منقلب
والرأس يعلوه الذنب

لا تعجبي يا هند من
إن الزمان بمن تقد
فالجعل يضطهد الحجي

حدث غرس النعمة في كتاب الهفوات قال: كان لحظة لما أسن يفسو في مجالسه، فيلقى من يعاشره منه جهداً. قال الحسين بن العباس: وكنت أحب غناؤه، والكتابة عنه، لما عنده من الأداب، وكان يستطيب عشريني، وكنت إذا جلست عنده أخذته غلبة الريح، فجنّته يوماً في مجلس الأدب، والناس عنده، وهو يملي، فلما خفوا، قال لي ولآخر كان معي: اجلسا عندي حتى أقعدكما على أسود، وأطعمكما طباهجة بكبود، وأسقيكما من معتقة اليهود، وأبحركما بعنبر وعود، أطيب من الندود، وأغنيكما غناء المشدود، فقلت: هذا موضع السجود، وجلسنا، وصديقي لا يعرف خلقه في الفساء، وأنا قد أخذت الريح فوقي، فوفى لنا بجميع ما ذكره، وقال لنا، وقد غنى وشربنا: نحن بالغداة علماء وبالعشي في صورة المخنكرين، فلما أخذ النبيذ منه، أخذ يفسو، وصديقي يغمزني ويتعجب، فأقول له: إن ذلك عادته وخلقته، وإن سبيله أن يحتمل، إلى أن غي صوتاً من الشعر، والصنعة له فيه، وكان يجيده:

فتن الرهبان فيها وافتتن
ورأى الدنيا مجوناً فركن

إن بالحيرة قسا قد مجن
ترك الإنجيل حيناً للصبا

قال: فطرب عليه صديقي طرباً شديداً، واستحسنه كثيراً، وأراد أن يقول له: أحسنت والله يا أبا الحسن. فقال له ما في نفسه يتردد من أمر الفساء: أفس علي يا أبا الحسن كيف شئت، فخلج لحظة، وخلج الفتى، وانصرفنا. وحدث الخطيب، عن أبي الفرج الإصبهاني، قال: حدثني لحظة قال: اتصلت علي إضاقه، أنفقت فيها كل ما أملكه، حتى بقيت ليس في داري سوى البواري، فأصبحت يوماً، وأنا أفلس من طنبور بلا وتر، كما في المثل، ففكرت كيف أعمل، فوقع لي أن أكتب إلى محبرة بن أبي عباد الكاتب، وكنت أجوره، وكان قد ترك التصرف قبل ذلك بسنتين، وحالفه النقرس، فأرمنه حتى صار لا يتمكن من التصرف إلا محمولاً على الأيدي أو في محفة، وكان مع ذلك على غاية الظرف، وكبر النفس، وعظم الهمة، ومواصلة الشرب والقصف، فأردت أن أتطايب عليه ليدعوني، فأخذ منه ما أنفقه مدة، فكتبت إليه:

وفي عمار بوارد
يحكي خدود الخزائد
من آل يحيى بن خالد
نزر المروءة بارد

ماذا ترى في جدي
وقهوة ذات لون
ومسمع يتغنى
إن المضيع لهذا

فما شعرت إلا بمحفة محبرة يحملها غلمانها إلى داري، وأنا جالس على بابي، فقلت له: لم جنّت؟ ومن دعاك؟ فقال: أنت، فقلت: إنما قلت لك: ماذا ترى في هذا؟ وعنيت في بيتك، وما قلت لك: إنه في بيتي، وبيتني والله أفرغ من فؤاد أم موسى، فقال: الآن قد جنّت ولا أرجع، ولكن أدخل إليك، وأستدعي من داري ما أريد، قلت: ذاك إليك، فدخل، فلم ير في بيتي إلا بارية، فقال: يا أبا الحسن، هذا والله فقر مطيح، هذا ضر مدقع، ما هذا؟ قلت: هو والله ما ترى، فأنفذ إلى داره، فاستدعى فرشاً وآلة وقماشاً وغلماناً، وجاء فراشوه وفرشوا ذلك، وجاء وافر الصفر والشمع وغير ذلك مما يحتاج إليه، وجاء طباخه بما كان في مطبخه، وهو شيء كثير، بالآلات ذلك، وجاء شرابه بالأواني والمخروط والفاكهة وآلة التبخير والبخور وألوان الأنيدة، وجلس يومه ذلك وليلته عندي، يشرب على غنائي وغناء مغنية أحضرها، كنت ألقنها، فلما كان من الغد سلم إلى غلامه كيساً فيه ألف درهم، ورزمة ثياب صحاح، ومقطوعة من فاخر الثياب، واستدعى محفة فجلس فيها، وشيعته، فلما بلغ آخر الصحن، قال: مكانك يا أبا الحسن، احفظ بابك، فكل ما في دارك لك، فلا تدع أحداً يحمل منه شيئاً، وقال للغلمان: اخرجوا، فخرجوا بين يديه، وأغلقت الباب على قماش بألفو كثيرة.

وأنشد السلمي لحظة في سعد الحاجب:

كل عليه منك وسم لائح
رفقاً به فالشيخ شيخ صالح
سعد ولكن أنت سعد الذابح

يا سعد إنك قد خدمت ثلاثة
وأراك تخدم رابعاً لتميته
يا خادم الوزراء إنك عندهم

وحدث لحظة قال: دخلت، وأنا في بقايا علة، على كاتب، قال ابن بشران، على هارون ابن عريب الخالي، فقدم إلينا مضيرة عصبان، فأمعنت منها، فقال: - جعلت فداك - أنت عليل، وبدنك نحيل، والعصب ثقيل، واللبن يستحيل، فثقلت له: والعظيم اعجليل، المفضل المنيل، لا تركت منها كثيراً ولا قليلاً، وحسبنا الله ونعم الوكيل، فغضب علي فضرمني عشرين مقرة، فقلت:

ولي صاحب لا قدس الله روحه
أكلت عصيداً عنده في مضيرة
وكان من الخيرات غير قريب
فيالك من يوم علي عصيب

قال: ودخلت إليه يوماً آخر، فقدم إلي لوزينجاً لها أيام وقد حمضت، فأخذت أمعن في أكلها، فقال لي: إن اللوزينج إذا كان بالجوز أبشم وإذا كان باللوز أتخم، فقلت: نعم يا سيدي إذا كانت لوزينجاً، وأما إذا كانت مصوصاً فلا! وحدث عبد الله بن المعتز، قال: عربد ابن أبي العلاء على لحظة بحضرتي، فأمرت بتتحية لحظة إلى أن رضي أحمد، فكتب إلي جحة:

أليس من العجائب أن مثلي
ولي نفس أبت إلا ارتفاعاً
يقام لأحمد بن أبي العلاء
فأضحت كالسما على السماء
لقد غضب الزمان على أناس
فأبلاهم بأولاد الزناء

في تاريخ دمشق قال لحظة: سلمت على بعض الرساء وكان مبخلاً، فلما أردت الانصراف قال لي: يا أبا الحسن، إيش يقول في قطائف تأتيه؟ ولم يكن له بذلك عادة؟ فقلت: ما أبي ذلك، فأحضر لي جاماً فيه قطائف، قد خمت فأرجفت فيها، وصادفت مني سغبة، وهو ينظر إلي شزراً، فقال لي: يا أبا الحسن، إن القطائف إذا كانت بجوز أتخمتك، وإذا كانت بلوز أبشمتك، قال: فقلت: هذا إذا كانت قطائف، أما إذا كانت مصوصاً فلا. وعملت لوقتي هذه الأبيات:

دعاني صديق لي لأكل القطائف
فأمعنت فيها آمناً غير خائف
فقال، وقد أوجعت بالأكل قلبه
رويك، مهلاً، فهي إحدى المتالف
فقلت له: ما إن سمعنا بهالك
ينادي عليه: يا قتيل القطائف

قال عبد الله بن المعتز: كتب إلي لحظة في يوم مطير: انصرفت من عندك - جعلني الله فداك - وقد كنا عقدنا موعداً للقاء، ومنعني من المصير إليك ما نحن فيه من انقطاع شريان الغمام، فتفضل ببسط العذر لعبدك، إن شاء الله. ومن شعر لحظة:

وليل في جوانبه حران
عدمتم مطالع الإصباح فيه
فليس لطول مدته انقضاء
كأن الصبح جود أو وفاء

وله أيضاً:

رحلتكم فكم من أنة بعد زفرة
وقد كنت أعتقت الجفون من البكا
مبينة للناس شوقي إليكم
فقد ردها في الرق حزني عليكم

وحدث أبو الفرج الإصبهاني قال: دعاني محمد بن الشار يوماً، ودعا لحظة، وأطال حبس الطعام جداً، وجاع لحظة، فأخذ دواة وبياضاً وكتب:

مالي وللشار وأولاده
قد حفظا القرآن واستعملوا
لا قدس الوالد والوالده
ما فيه إلا سورة المائدة

ورمى بها إلي، فقرأتها، ودفعتها إلى ابن الشار، فقرأها، ووثب مسرعاً، فقدم المائدة، فقاطعه لحظة، فكان يجهد جهده أن يجيبه فلا يفعل، فإذا عاتبناه قال: والله حتى يحفظ تلك السورة.

وله أيضاً:

يطول علي الليل حتى أمله
فلا أنا بالراضي من الدهر فعله
فأجلس والنوام في غفلة عني
ولا الدهر يرضى بالذي ناله مني

قال أبو علي: حدثني أبو القاسم الحسين بن علي البغدادي، وكان أبوه ينادم ابن الحواري، ثم نادم اليزيديين بالبصرة، وأقام بها سنين، قال: كان لحظة خفيف الدين، وكان لا يصوم شهر رمضان، وكان يأكل سراً، فكان عند أبي يوماً في شهر رمضان مسلماً، فأجلسه، فلما كان نصف النهار سرق من الدار رغيماً، ودخل المستراح، وجلس على المقعدة، واتفق أن دخل أبي فراه فاستعظم ذلك وقال: ما هذا يا أبا الحسن؟ فقال: أفت لبنات وردان ما يأكلون، فقد رحمتهم من الجوع: ومن شعر لحظة:

إن كنت ترغب في الزيا
رة عند أوقات لزياره

فدع الشتيمة للغلا

ومن مطبوع شعر جحظة:

م إذا دنت من الغضاره

لم أستجز ما عشت قطعه

ر أزورها في كل جمعه

وإذا جفاني صاحب

وتركته مثل القبو

وحدث جحظة في أماليه: دخلت إلى عريب المأمونية مع شروين المغنى، وأبي العبيس المغنى، وأنا يومئذ غلام على قباء ومنطقة، وأنكرتني، وسألت عني، فأخبرها شروين، وقال لها: هذا فتى من أهلك، هذا ابن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي، وهو يغني بالطنبور، فأدنتني، وقربت مجلسي، ودعت بطنبور، وأمرتني أن أغني، فغنيت أصواتاً، فقالت: أحسنت يا بني، ولتكونن مغنياً، ولكن إذا حضرت بين هذين الأسدين ضعت أنت وطنبورك، تعني بين عوديهما، وأمرت لي بمائة دينار.

وأنشد لنفسه في أماليه:

دعيني من العذل أين الكبير؟

فلست بباك على ظاعن

ولكن بكائي على ماجد

بحرمة معبودك الأكبر

ولا طلل محول مقفر

أراد نوالاً فلم يقدر

وأنشد فيه لنفسه:

مرضت فلم يعنني في شكاتي

فإن مرضوا، وللأيام حكم

غدوت على المدامة والملاهي

من الإخوان ذو كرم وخير

سينفذ في الكبير وفي الصغير

وإن ماتوا حزننت على القبور

وأنشد فيه لنفسه:

يا راقداً، ونسيم الورد منتبه

الورد ضيف، فلا تجهل كرامته

سقياً له زائراً تحيا النفوس به

تباً لحر رآه وهو ذو جدة

في ربة القفص والأطيّار تنتحب

وهاتها قهوة في الكاس تلتهب

يجود بالوصل حيناً ثم يجتنب

لم يقض من حقه بالشرب ما يجب

وقد قال جحظة:

ناديت عمراً، وقد مالت بجانبه

قد لاح في الدير نار الراهبين وقد

فقام يعثر في أثواب نعسته

فاستلها، وشدا، والكأس في يده:

لو دام لي في الورى خل وعاتقة

ولا بكرت إلى حلو لنائله

مدامة، أخذت بالراس والقدم

ناداك بالصبح ناقوساهما، فقم

لبزل صافية كالنجم في الظلم

سلم على الربع من سلمى بذى سلم

لما حفلت بذى قربي ولا رحم

ولا التفت إلى شيء من النعم

حدث أبو علي المحسن بن محمد بن علي قال: كان الحسن بن مخلد أكرم الناس في بذل المال، وأدخلهم بطعامه، فكان يحضر ندماؤه على مائدته، فلا يستجري أحد منهم أن يشعب شيئاً البيت، وينزهون أنفسهم عند رفع المائدة بمسح أيديهم بلحاهم، وله في ذلك قصص عجيبة. قال جحظة: ربحت بأكلة افتديتها مع الحسن ابن مخلد خمسمائة دينار، وخمسمائة درهم، وخمسة أثواب فاخرة، وعتيدة طيبة سرية، فقيل له: كيف كان ذلك؟ فقال: كان الحسن بن مخلد بخيلاً على الطعام، سمحاً بالمال، وكان يأخذ ندماؤه بغتة، فيسقيهم النبيذ، ويؤاكلهم فمن أكل قتله قتلاً، ومن شرب معه على الخسف حظي عنده، قال: فكنت عنده يوماً، فقال لي: يا أبا الحسن، قد عملت غداً على الصبوح الجاشري فبت عندي، فقلت: لا يمكنني، ولكني أباركك قبل الوقت، فعلى أي شيء عملت أن تصطبح؟ فقال: قد أعد لنا كذا وكذا، ووصف ما تقدم به إلى الطباخ بعمله، ففقدنا الرأي أن أباركه، وقمت وجئت إلى منزلي، ودعوت طباحي فتقدمت عليه بأن يصلح لي مثل ذلك بعينه، ويفرغ منه وقت العتمة، ففعل، ونمت، وقمت وقد مضى نصف الليل، فأكلت ما أصلح، وغسلت يدي وأسرج لي وأنا عامل على المضى إليه، إذ طرقتني رسلة، فجئته، فقال: بحياتي أكلت؟ قلت: أعينك بالله، انصرف من عندك قبل الغروب، وهذا نصف الليل، فأبي وقت أصلح لي شيء؟ أو أي وقت أكلت شيئاً؟ سل غلمانك على أي حال وجدوني، فقالوا: وجدناه يا سيدنا وقد لبس ثيابه، وهو ينتظر أن يفرغ له من إسراج بغلته ليركبها، فسر بذلك سروراً شديداً، وقدم الطعام، فما كان في فضل أشمه، فأمسكت عن تشعيبه ضرورة، وهو يستدعي أكلي، ولو أكلت أحل دمي، قال: وكذا كانت عادته، فأقول: هو ذا أكل يا سيدي أفي الدنيا أحد يأكل أكثر من هذا؟ وانقضى الأكل،

وجلسنا على الشرب، فجعلت أشرب بأرطال، وهو يفرح، وعنده أنى أشرب على الرقيق، أو على ذلك الأكل الذي جلست معه، ثم أمرني بالغناء، فغنيت، فاستطاب ذلك، وطرب، وشرب أرطالاً، فلما رأيت النبيذ قد عمل فيه، قلت: يا سيدي تطرب أنت على غنائي، فأنا على أي شيء أطرب؟ فقال: يا غلام هات دواة، فأحضرها، فكتب لي رقعة ورمى بها علي، وإذا هي على صيرفي يعامله بخمسائة دينار، فأخذتها وشكرته، ثم غنيته، وطرب وزاد سكره، فطلبت منه ثياباً، فخلع علي خمسة أثواب، ثم أمر أن يبخر كل ما بين يديه، فأحضرت عتيدة حسنة سرية فيها طيب كثير، فأخذ الغلمان يبخرون منها للناس، فلما انتهوا إلي، قلت: يا سيدي: وأنا أرضى أن أتبخر فحسب؟ فقال لي: ما تريد؟ قلت: أريد نصيبي من العتيدة، قال: قد وهبتها لك، فأخذتها، وشرب بعد ذلك رطلاً، واتكأ على مسورته، وكذا كانت عادته، إذا سكر، فقام الناس من مجلسه، وقمت وقد طلع الفجر وأضاء، وهو وقت يبكر الناس في حوائجهم، فخرجت كأني لص قد خرج من بيت قوم على قفا غلامي الثياب والعتيدة كلها، فصرت إلى منزلي ونمت نومة، ثم ركبت إلى رب عون أريد الصيرفي، فأوصلت إليه الرقعة، فقال: يا سيدي أنت لارجل المسمى في التوقيع؟ قلت: نعم، قال: أنت تعلم أن مثنا يعاملون للفائدة، قلت: أجل، قال: ورسمنا أن نعطي في مثل هذا ما يكسر في كل دينار درهماً، فقلت له: ليس أصايك في هذا القدر، فقال: ما قلت هذا إلا لأربح عليك الكبير أياً أحب إليك: أن تأخذ كما يأخذ الناس، وهو ما قد عرفتك، أو تجلس مكانك إلى الظهر، حتى أفرغ من شغلي، ثم تركب معي إلى داري، فتقيم عندي اليوم واللييلة تشرب، فقد والله سمعت بك، وكنت أتمنى أن أسمعك، ووقعن الآن لي رخيصة، فإذا فعلت هذا، دفعت إليك الدنانير من غير خسران، فقلت: أقيم عندك، فجعل الرقعة في كفه، وأقبل على شغله، فلما دنا الظهر، جاء غلامه ببغلة فارهة، فركب وركبت معه، وصرنا إلى دار سرية حسنة، بفاخر الفرش والألات، ليس فيها إلا جوار روم للخدمة من غير فحل، فتركني في مجلسه، ودخل، ثم خرج بثياب أولاد الخلفاء من حمام داره، وتبخر وبخرنى بيده بند عتيق جيد، وأكلنا أسرى الطعام وأنظفه، وقمنا إلى مجلس سري للشرب، فيه فواكه وآلات بمال، وشربنا ليلتنا، فكانت ليلتي عنده أطيب من أختها عند الحسن بن مخلد، فلما أصبحنا، أخرج كيسين، في أحدهما دنانير، وفي الأخرى دراهم، فوزن خمسمائة دينار، وخمسمائة درهم، وقال: يا سيدي تلك ما أمرت به، وهذه الدراهم هدية مني إليك، فأخذتها وصار الصيرفي صديقي، وداره لي. قال: وحدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف التتوخي قال: حدثني أبو لعي بن الأعرابي الشاعر قال: كنت في دعوة جحظة، فأكلت، وجلسنا نشرب، وهو يغني، إذ دخل رجل فقدم إليه جحظة زلة كان زلها من طعامه ونحن نأكل، وكان بخيلاً على الطعام، قال: وكان الرجل كان طاوياً، طأوى تسع، فأتى على الزلة، ورفع الطيفورية فارغة، وجحظة يرمقه ونحن نلمح جحظة، ونضحك، فلما فرغ، قال له جحظة: تلعب معي بالنرد قال: نعم، فوضعهما بينهما، ولعبا، فتوالى اللعب على جحظة من الرجل بأن تجيء الفصوص على ما يريد من الأعداد ويكره جحظة، فأخرج جحظة رأسه من قبة الخيش رافعاً له إلى السماء، وقال كأنه يخاطب الله جل وعز: لعمرى إني أستحق هذا، لأنني أشبع من

قلت: ما أشد تباعد ما بين هبذين الخبرين، وخبر رواه التتوخي أيضاً عن أبي العباس بن المنم، قال: سمعت أبا عبد الله الموسوي العلوي يقول: قصدني أبو جعفر محمد بن يحيى شيرزاد، في أيام تدبيره الأمر، قصداً قبيحاً، وعمل لي كتابة مؤامرة في خراجاتي بمائة ألف درهم، أكثرها واجب وباقيها كالواجب، وأحضرني للمناظرة. عليها، واعتقلني في داره، فضقت ذرعاً بما نزل بي وعلمت أن المال سيلزمني إذا نوطرت، وأنه يؤثر في حالي، وبهتك جاهي، فلم أدر ما أصنع، فشاورت بعض من يختص به، فقال: طمعه فيك والله قوي، وما يفعل معه بشيء غير المال، فقلت له: ففكر في حيلة أو مخادعة، ففكر ثم قال: لا أعرف لك دواء إلا شيئاً واحداً إن سمحت به نفسك وتركت العلوية عنك وفعلت نجوت، قلت: ما هو، قال: هو رجل سمح على الطعام، محب لأكلة مائدته، موجب لحرمته، وأرى لك، إذا وضع طعامه، أن تخرج إليه، فإنك معه في الدار، ولا يمنحك الموكلون من ذلك، فتجيء بغير إذن، فتجلس على المائدة، وتأكل وتنبت وتخطبه في أمرك عقيب الأكل، وتسأله، وترفق به، وتخضع له، فإنه يسامحك بأكثرها، ويقرب ما بينك وبينه، فشق ذلك علي، ثم نظرت، فإذا وزن المال أشق منه، وكان أبو جعفر لا يأكل إلا بعد المغرب في كل يوم أكلة، فلم أكل ذلك اليوم شيئاً، وراعت مائدته، فلما وضعت، قمت، فقال الموكلون: إلى أين؟ قلت: إلى مائدة الوزير، فما قدروا أن يمنعونني، فلما رأى أبو جعفر، أكبر ذلك وتهلل وجهه وقال: ألا عندي يا سيدي، وأجلسني إلى جنبه، فأقبلت أكل وأنبسط في الأكل والحديث، إلى أن رفعت المائدة واستدعاني إلى موضعه، فغسلت يدي بحضرته، فلما فرغت، أردت أن أبتدئه بالخطاب، فقال لي: قد آذيتك يا سيدي، يا أبا عبد الله، بتأخرك عن منزلك، فامض إلى بيتك، وما أخاطبك بشيء مما في نفسي، ولا مما أردت مخاطبتك به، ولا مطالبة عليك من جهتي، بعد ما تفضلت به، فشكرته، وقلت: إن رأى سيدنا، أيده الله، أن يتمم معروفه بتسليم المؤامرة إلي، فقال: هاتموها، فما برحت إلا وهي في خفي، وانصرفت إلى منزلي وقد سقط المال ني، ولزمته للسلم، وصرت أتعمد مؤاكلته، والتخصص به، فسلمت طول أيامه، وسلم جاهي ومالي علي، إلى أن مضى لسبيله.

قلت: هذا حسن من فعله، مع عسف كان فيه بالرعية في جباية المال، لم يسبق إليها، ولا يتبعه بعده أحد في مثلها، فكانت له أفعال منكرة منها: أنه استدعى العيارين وضمنهم ما يسرقونه من أموال الناس وكتب جحظة إلى أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله المشمعي، وكان قائدًا جليلاً، تقلد البصرة وفارس:

تزين الفتى، إن كان يعشق زينه
عليه، فقد أصلحت بيني وبينه

وكل إلي حبيب قريب
لأبطل ظن الذي يستريب

وحزتم نعمة ما نالها ملك
بما أتاكم به، أم وسوس الفلك

أخلفت والله حسن ظني
ومالح أو قليل بن
أقام يوماً بعقر دن
مساعد شاعر مغني

وحدث لحظة في أماليه قال: كنت أشرب عند بعض إخواني بباب حرب في ناعورة ثابت في يوم مطر، ومعنا شيخ خضيب حسن البرة متصدر، فتجارينا ذكر المطر، وما جاء فيه من الخبر، فقال الشيخ: حدثوا يا سيدي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه، أبا بكر وأبا حفص وعلى النبيين السريين منكر ونكير وعلى عمرو بن العاصي قاتل الكفار يوم غدير خم وصاحب راية النبي يوم القنائف - يريد يوم الطائف - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومحا ملك يتبها حتى يضحى في موضعاً ثم يصعد ويدحا فقلت: يا شيخ فالقطر يقع في الكنيف، والملك ينزل معه قال: نعم يا سيدي فيهم ما في الناس من الدناءة والخسة. وأنشد لحظة لنفسه في أماليه:

قالت أعالیه الصلب لما تننى واضطرب

أترى جنبيت جنباية؟ حتى صليت على الخشب قال لحظة في أماليه: استهديت من بعض إخواني دواة فأخرها عني، ثم اجتمعنا في مجلس أبي العباس ثعلب، فقلت لأبي العباس: ما أراد الشاعر بقوله:

أحاجيك: ما قبر عديم ترابه
سلوت عن التبيان مدة قبرهم
فسكت ساعة، ثم قال: الدواة، فلما انصرفت إلى منزلي إذا الدواة قد سبقتني إليه.

قال لحظة: دعوت فضيلاً الأعرج، وكان عندنا جماعة فكتب إلينا:

ه نديماً ومسمعاً وعقارا أنا في منزلي، وقد رزق الل
شغل الحلي أهله أن يعارا فاعذروني بأن تخلفت عنكم
ومثله لغيره:

بعد أن نوم الكرى السمارا حي طيفاً من الأحبة زارا
ل عيوناً عن الوصال سهارى داعياً في الوصال تحت دجى اللي
قبل ذاك الأسماع والأبصارا قلت ما بالنا جفينا وكنا
شغل الحلي أهله أن يعارا قال: إنا كما عهدت، ولكن

قال لحظة: وسألت الحسن بن مخلد حاجة، فقال: إذا كان بعد ثلاث عرفتك، فقلت: يا سيدي تعدني أن تعدني.

قال لحظة في أماليه: كنت جالساً عند صديق لي، فجاءه رقعة من منزله، فلما نظر فيها ضرط، فحادثته ساعة واعتقلته وأخذتها، وإذا فيها: قد فني الدقيق وغدا الخبزة.

وأنشد لنفسه في أماليه يقول:

لا خفف الله رب العرش بلواكا
يقول قلبي له في السر: حاشاكا

أدركني غير حرفة الأدب
أمي، وأير الحمار في أست أبي
وجهي يوماً عن ذلة الطلب

يقول لي مالكي، والدمع منحدر
وإن دعوت إليه عند معتبة،
وأنشد أيضاً لنفسه في أماليه:

ما أنصفتني يد الزمان ولا
لا حفظ الله، حيثما سلكت
ما تركا درهماً أصون به

أحمد بن جميل بن الحسن بن جميل أبو منصور

أديب أريب، فاضل كامل، له يد باسطة في النظم والنثر، وهو من أهل بغداد، وكان يسكن باب الأزج. ذكره أبو الفرج بن الجوزي، في مزيله على صدقة ابن الحسن، فقال: كانت له معرفة بالأدب جيدة، وله كتاب مقامات حذو الحريري، وله فضل.

ومات في شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وخمسائة.

أحمد بن حاتم أبو نصر الباهلي

صاحب الأصمعي، روى عن الأصمعي كتبه، وقال أبو العباس محمد بن أحمد القمري الإسكافي النحوي. كان أبو نصر ابن أخت الأصمعي، وقال أبو الطيب في كتاب مراتب النحويين: زعموا أن أحمد بن حاتم كان ابن أخت الأصمعي، وليس هذا بثبت، رأيت أبا جعفر بن باسوه ينكره، وكان أثبت من عبد الرحمن، يعني ابن أخت الأصمعي، واسن، وكان يضيق على ابن الأعرابي وقد أخذ عن الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد، وأقام ببغداد، وربما حكى الشيء بعد الشيء عن أبي عمرو الشيباني، ومات، فيما ذكره هو وأبو عبد الله ابن الأعرابي وعمرو بن عمرو الشيباني في سنة إحدى وثلاثين ومائتين وقد نيف على السبعين. وحدث المرزباني عن أبي عمر الزاهد قال: قال ثعلب دخلت على يعقوب بن السكيت، وهو يعمل إصلاح المنطق فقال، يا أبا العباس، رغبت عن كتابي، فقلت له كتابك كبير وأنا عملت الفصيح للصبيان، ثم قال سر معي إلى أبي نصر صاحب الأصمعي، فمضيت معه فلما كنا في الطريق قال: قد سألت أبا نصر عن بيت شعر فأجابني جواباً لم أرضه، أفأعيده عليه؟ فقلت: لا تفعل فإن عنده أجوبة، وقد أجابك ببعضها، فلما دخلت عليه سأله عن البيت، فقال له: يا مؤاجر أنت وهذا وأنا قريبك حتى رموني بك، عندي عشرون جواباً في هذا، وخجل من ذلك، وخرجنا، فقلت له: لا مقام لك هاهنا، اخرج من سر من رأى، واكتب إلي بما تحتاج إليه لأسأل عنه وأعرفك إياه.

وحكي عن الأصمعي أنه كان يقول: ما يصدق علي إلا أبو نصر، وكان ثقة مأموناً.

ولأبي نصر من التصانيف: كتاب الشجر والنبات، كتاب اللب واللبن، كتاب الإبل، كتاب أبيات المعاني كتاب اشتقاق الأسماء، كتاب الزرع والنحل، كتاب الخيل كتاب الطير. كتاب ما يلحن فيه العامة، كتاب الجراء. وذكره حمزة في كتاب إصبهان، قال: ولما أقدم الخصيب بن أسلم أبا محمد الباهلي صاحب الأصمعي إلى إصبهان، نقل معه مصنفات الأصمعي، وأشعار شعراء الجاهلية والإسلام مقروءة على الأصمعي، وكان قدومه إصبهان بعد سنة عشرين ومائتين فأقام أشهراً، ثم تاهب منها للحج، فدخل إلى عبد الله بن الحسن، وسأله أن يدلّه على رجل يسلم إليه دفاتره إلى أن يرجع، فقال له عليك بمحمد بن العباس، وكان مؤدب أولاد عبد الله بن الحسن، مقبول القول، فسلم الباهلي إليه دفاتره، وخرج، فأنسخها محمد بن عبد الله الناس، فقدم الباهلي وقامت قيامته، ودخل إلى عبد الله بن الحسن، وذكر له ما كان يأمل في دفاتره من التكمسب بها، فجمع له عبد الله بن الحسن من أهل البلد عشرة آلاف درهم، ووصله الخصيب بعشرين ألفاً، فتناولها ورجع إلى البصرة.

الجزء الثالث

أحمد بن الحارث بن المبارك الخزاز

أبو جعفر، راوية أبي الحسن المدائني، والعتابي، كان راوية مكثرأ، موصوفاً بالثقة، وكان شاعراً، وهو من موالى المنصور، ومات الخزاز، فيما ذكره قانع، ورواه المرزباني عنه، في ذي الحجة سنة سبع وخمسين ومائتين، وكان ينزل في باب الكوفة، فدفن في مقابرهما، وقيل: مات في سنة تسع وخمسين.

وذكره المرزباني في المقتبس: فقال: حدثني علي بن هارون، قال: أخبرني عبيد الله بن أحمد، بن طاهر، عن أبيه، عن محمد بن صالح، بن النطاح، مولى هاشم عن أبيه، قال: طلب المنصور رجلاً يجعلهم بوابين له، فقيل له: لا يضبطهم إلا قوم لئام الأصول، أنزال النفوس، صلاب الوجوه، ولا تجدهم إلا في رقيق اليمامة، فاشترى له مائتي غلام من اليمامة، فصير بعضهم بوابين، وبقي الباقيون، فكان ممن بقي خلاد، جد أبي العيناء محمد بن القاسم بن خلاد، وحسان جد إبراهيم بن عطار، جد أحمد بن الحارث الخزاز.

وقال المرزباني: أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني الحسين بن إسحاق، قال: أنشدت أحمد بن الحارث شعراً للبحثري، فعاب منه شيئاً، فبلغ البحثري، فقال:

الحمد لله على ما أرى	من قدر الله الذي يجري
ما كان ذا العالم من عالمي	يوماً ولا ذا الدهر من دهري
يعترض الحرمان في مطلبي	ويحكم الخزاز في شعري
وروى محمد بن داود، لأحمد بن الحارث، في إبراهيم ابن المدبر، وحاجبه بشر:	
وجه جميل وصاحب صلف	كذاك أمر الملوك يختلف
فأنت تلقى باليشر واللفظ	وبشر يلقاهم به جنف
يا حسن الوجه والفعال ويا	أكرم وجه سما به شرف
ويا قبيح الفعال بالحاجب ال	غث الذي كل أمره نطف
فأنت تبني وبشر يهدمه	والمدح والذم ليس يأتلف

وذكر أبو بكر الخطيب، فقال: كان الخزاز ذا فهم ومعرفة، صدوقاً، أسمع المدائني كتبه كلها، وهو بغدادى، روى عنه السكري، وابن أبي الدنيا، وغيرهما. وكان كبير الرأس، طويل اللحية كبيرها، حسن الوجه، كبير الفم ألثغ، خضب قبل موته لسنة خضاباً قانئاً، فسئل عن ذلك، فقال: بلغني أن منكراً ونكيراً، إذا حضرا ميتاً فرأياه خضيباً، قال منكر لنكير: تجاف عنه.

ومن سائر شعره قوله:

إني امرؤ لا أرى بالباب أقرعه	إذا تنمر دوني حاجب الباب
ولا ألوم امرأ في رد ذي شرف	ولا أطلب ود الكاره الآبي

ولما قتل بغا التركي باغر التركي، وهاجت الأتراك على المستعين بالله، وخافهم، وانحدر من سر من رأى إلى بغداد، في سنة إحدى وخمسين إلى مائتين في المحرم، قال أحمد بن الحارث:

لعمري لئن قتلوا باغراً	لقد هاج باغر حرباً طحوناً
وفر الخليفة والقائدا	ن بالليل يلتسمون السفينا
وحل ببغداد قبل الشروق	فحل بهم منه ما يكرهونا
فليت السفينة لم تأتينا	وغرقها الله والراكبينا

هي قصيدة يذكر فيها الحرب وصفتها.

وقال أحمد بن الحارث، في بشر حاجب إبراهيم ابن المدبر:

قد تركناك لبشر	وتركنا لك بشرا
----------------	----------------

وذكره محمد بن إسحاق النديم في كتابه، وقال: له من الكتب: كتاب المسالك والممالك. كتاب أسماء الخلفاء، وكتابهم، والصحابة. كتاب مغازي البحر في دولة بني هاشم، وذكر أبي حفص صاحب أقریطش. كتاب القبائل. كتاب الأشراف. كتاب ما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه، كتاب أبناء السراري. كتاب نواذر الشعراء. كتاب مختصر كتاب البطون. كتاب مغازي النبي صلى

الله عليه وسلم وسراياه وأزواجه. كتاب أخبار أبي العباس. كتاب الأخبار والنوادر. كتاب شحنة البريد. كتاب النسب. كتاب الحلائب والرهان. كتاب جمهرة نسب الحارث بن كعب، وأخبارهم في الجاهلية.

أحمد بن الحسن السكوتي

بن إسماعيل أبو عبد الله السكوتي الكندي النسابة، كان له اختصاص بالمكتفي، ثم بالمقتدر.

ذكره أبو الحسن، محمد بن جعفر بن النجار، الكوفي، في تاريخ الكوفة، وقال: إنه كان ممن أخذ عن ثعلب الأدب، وكان مليح المجلس، حسن الترتيل، ممكناً من نفسه، هذا لفظ ابن النجار بعينه.

وحكى ابن النجار، عن أبي عبد الله قال: قال ابن عبدة النسابة: ما عرف النسابة أنساب العرب على حقيقة، حتى قال الكميت النزاريات، فأظهر بها علماً كثيراً، ولقد نظرت في شعره، فما رأيت أحداً أعلم منه بالعرب وأيامها.

قال أبو عبد الله: فلما سمعت هذا، جمعت شعره، فكان عوني على التصنيف لأيام العرب.

ورأيت أنا لأبي عبد الله كتاباً في أسماء مياه العرب، ونقلته غير تام:

أحمد بن الحسن، بن القاسم،

بن الحسن، أبو علي أبو بكر، يلقب الفلكي، جد أبي الفضل الفلكي الحافظ الهمداني.

قال شيرويه: روى عن الحسن بن الحسين التميمي، وأبي الحسن، علي بن الحسن، بن سعد البزاز، وأبي بكر، عمر بن سهل الحافظ، روى عنه ابنه أبو عبد الله الحسين، وأبو الصقر الحسن.

قال: وكان إماماً جامعاً في كل فن، عالماً بالأدب، والنحو، والعروض، وسائر العلوم، وخصوصاً في علم الحساب، فإنه كان يقال له: الحاسب، ولذلك لقب بالفلكي، وكان هيوماً، ذا حشمة ومنزلة عند الناس. مات في ذي القعدة، سنة أربع وثمانين وثلثمائة، وهو ابن خمس وثمانين سنة.

أحمد بن الحسن، بن محمد، بن اليمان

ابن الفتح، الديناري، أبو عبد الله، رجل أديب، إلا أن الغالب عليه الخط، وذكرنا له، إنما هو لحسن خطه، الذي بلغ فيه الغاية.

وقال أبو الوزير عميد الدولة، أبو سعد بن عبد الرحيم، في أخبار ابنه عبد الجبار، بن أحمد: وكان والده أبو عبد الله الديناري مقدماً مكرماً، يزور بحسن خطه على أبي عبد الله بن مقله، تزويراً لا يكاد يظن له، وله ولد أديب، يقال له: أبو يعلى عبد الجبار، ذكر في بابه.

أحمد بن الحسين، يعرف بابن شقير

أبو بكر، هو أحمد بن الحسين، بن العباس، بن الفرّج، النحوي، أخذ عن أحمد بن عبيد بن ناصح، وكان مشهوراً برواية كتب الواقدي، عن أحمد بن عبيد عنه. ومات في صفر سنة سبع عشرة وثلثمائة، في خلافة المقتدر، وهو في طبقة أبي بكر بن السراج، وله تصانيف، منها: كتاب مختصر في النحو. كتاب المقصور والممدود. كتاب المذكر والمؤنث.

قرأت في كتاب ابن مسعدة: أن الكتاب الذي ينسب إلى الخليل، ويسمى الجمل، من تصانيف ابن شقير هذا. قال: يقول فيه: النصب على أربعين وجهاً.

أحمد بن الحسين بن مهران المقرئ

أبو بكر النيسابوري، قال الحافظ أبو القاسم: أصله من أصبهان، سكن نيسابور. قال الحاكم: هو إمام عصره في القراءات، وأعبد من رأينا من القراء، وكان مجاب الدعوة. مات في السابع والعشرين من شوال، سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وهو يوم مات ابن ست وثمانين سنة، وصلينا عليه في ميدان الطاهرية، وتوفي في ذلك اليوم، أبو الحسن العامري، صاحب الفلسفة.

قال الحاكم: فحدثني عمر بن أحمد الزاهد، قال: سمعت الثقة من أصحابنا، يذكر أنه رأى أبا بكر بن الحسين بن مهران - رحمه الله - في المنام، في الليلة التي دفن فيها، قال: فقلت: أيها الأستاذ ما فعل الله بك؟ فقال: إن الله عز وجل، أقام أبا الحسن العامري بحذائي، وقال: هذا فداؤك من النار.

ثم ذكر الحاكم بإسناد رفعه إلى أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كان يوم القيامة، أعطى الله كل رجل من هذه الأمة رجلاً من الكفار، فيقول: هذا فداؤك من النار". وهذا الخبر إذا قرن بالرؤية، صار من براهين الشرع.

قال الحاكم: سمع ابن مهران بنيسابور، أبا بكر بن محمد، بن إسحاق، بن خزيمة، وأبا العباس السراج الثقفي، وأبا العباس الماسرجسي. وله من التصانيف: كتاب الشامل، كتاب الغاية، كتاب قراءة أبي عمرو، كتاب غرائب القرآن، كتاب وقوف القرآن، كتاب الانفراد، كتاب شرح المعجم، كتاب شرح التحقيق، كتاب اختلاف عدد السور، كتاب رؤوس الآيات، كتاب الوقف والابتداء، كتاب قراءة عبد الله بن عمرو، كتاب علل كتاب المبسوط، كتاب آيات القرآن، كتاب الاتفاق والانفراد، كتاب المقطع والمبادئ.

قال الحاكم: سمعت أبا بكر بن مهران يقول: قرأت على أبي علي، محمد بن أحمد، بن حامد، الصفار المقرئ، القرآن من أوله إلى آخره، وقال: قرأت القرآن من أوله إلى آخره، على أبي بكر، محمد بن سليمان، بن موسى الهاشمي ببغداد، قال: قرأت على قنبل بن عبد الرحمن، بن محمد ابن خالد، بن سعيد، بن خزيمة المكي. وقال: قرأت على أبي الحسن النبال، وأخبرني أنه قرأ على ابن الإخريط وهب بن واضح، وقرأ ابن الإخريط، على إسماعيل بن عبد الله، بن قسطنطين، وقرأ ابن قسطنطين، على شبل بن عباد، ومعروف بن مسكان، فأخبراه أنهما قرأا على عبد الله بن كثير، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال الحاكم: ومحمد بن الحسين، بن مهران الأديب، الفقيه الكاتب، أخو أبي بكر، سمع عبد الله بن شيرويه وأقرانه، وسمع الكتب من أبي بكر، محمد بن إسحاق، ابن خزيمة وأقرانه. ومات في شعبان، سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، وهو ابن نيف وثمانين سنة.

أحمد بن أبي خالد، أبو سعيد الضرير

البغدادي، رأيت في فوائد أبي الحسين، أحمد بن فارس، بن زكريا اللغوي، صاحب كتاب المجمل ما صورته: وجدت في تفسير أبي موسى، محمد بن المثنى العنزي، ولم أسمع، حدثني أبو معاوية الضرير، محمد بن حازم، حدثنا إسماعيل، روى عن أبي صالح، هكذا أسماه، وقد سماه السلامي، كما ذكرناه في الترجمة، والذي ترجمناه أصح، لأنني رأيته في مواضع آخر موافقاً له، والله أعلم.

قال الأزهرى: كان طاهر بن عبد الله، بن طاهر، استقدمه من بغداد إلى خراسان، وقام بنيسابور وأملى بها المعاني، والنوادر، ولقي أبا عمرو الشيباني، وابن الأعرابي، وكان يلقي الأعراب الفصحاء، الذين استوردتهم ابن طاهر نيسابور، فيأخذ عنهم، وكان شمر، وأبو الهيثم يوثقانه.

ونقلت من كتاب نتف الطرف، تأليف أبي علي الحسين، بن أحمد السلامي، صاحب كتاب ولاية خراسان، وقد ذكرناه في بابه، قال: خرج أبو سعيد الضرير، عن أبي عبيد، من غريب الحديث جملة مما غلط فيه، وأورد في تفسيره فوائد كثيرة، ثم عرض ذلك على عبد الله بن عبد الغفار، وكان أحد الأدباء، فكانه لم يرضه، فقال لأبي سعيد: ناوني يدك، فناوله يده، فوضع الشيخ في كفه متاعه، وقال: اكتحل بهذا يا أبا سعيد، حتى تبصر، فكأنك لا تبصر، ثم قال: سمعت أبا جعفر، محمد بن سليمان الشرمقاني قال: سمعت أبا سعيد الضرير يقول، كان يقال: إذا أردت أن تعرف خطأ أستاذك فجالس غيره، وله تصانيف: منها كتاب الرد على أبي عبيد في غريب الحديث، وكتاب الأبيات. قال السلامي: حدثني أبو العباس، محمد بن أحمد الغضاري، قال: حدثني عمي محمد بن الفضل، وكان قد بلغ مائة وعشرين سنة، قال: لما قدم عبد الله بن طاهر نيسابور، وأقدم معه جماعة من فرسان طرسوس وملطية، وجماعة من أدباء الأعراب، منهم عرام، وأبو العميث، وأبو الميسجور، وأبو العجنس، وعوسجة، وأبو

الغدافر وغيرهم، فتفرس أولاد قواده وغيرهم بأولئك الفرسان، وتأدبوا بأولئك الأعراب، وبهم تخرج أبو سعيد الضرير، واسمه أحمد بن خالد، وكان وافي نيسابور مع عبد الله ابن طاهر، فصار بهم إماماً في الأدب، وقد كان صاحب بالعراق أبا عبد الله، محمد بن زياد الأعرابي، وأخذ عنه، فبلغ ابن الأعرابي، أن أبا سعيد يروى عنه أشياء كثيرة مما يفتي فيه، فقال لبعض من لقيه من الخراسانية: بلغني أن أبا سعيد يروى عني أشياء كثيرة، فلا تقبلوا منه ذلك، غير ما يرويه من أشعار العجاج ورؤية، فإنه عرض ديوانهما علي وصحه.

وحدث عن الغضاري، عن عمه قال: اختصم بعض الأعراب للذين كانوا مع عبد الله بن طاهر، في علاقة بينهم إلى صاحب الشرطة بنيسابور، فسألهم بينة وشهوداً يعرفون، فأعجزهم ذلك: فقال أبو العيسجور:

إن يبيع منا شهوداً يشهدون لنا
وكيف يبغي بنيسابور معرفة
فلا شهود لنا غير الأعراب
من داره بين أرض الحزن واللوب

قرأت بخط عبد السلام الصري، في كتاب محمد بن أبي الأزهر. قال: حدثني وهب بن إبراهيم، خال عبيد الله، بن سليمان ابن وهب، قال: كنا يوماً بنيسابور في مجلس أبي سعيد العفوف، وكان أبو سعيد عالماً باللغة جداً، إذ هجم علينا مجنون من أهل قم، فسقط على جماعة من أهل المجلس، فاضطرب الناس لسقطته، ووثب أبو سعيد، لا يشك أن أفة لحقتنا من سقوط جدار، أو شرود بهيمة، فلما رآه المجنون على تلك الحال، قال: الحمد لله رب العالمين، على رسلك، يا شيخ لا ترع، أذاني هؤلاء الصبيان، وأخرجوني عن طبعي، إلى ما لا أستحسنه من غيري، فقال أبو سعيد: امتنعوا عنه عافاكم الله، فوثبنا وشردنا من كان ورجعنا، فسكت ساعة لا يتكلم، إلى أن عدنا إلى ما كنا فيه من المذاكرة، وابتدأ بغضنا بقراءة قصيدة من شعر نهشل بن جرير التميمي، حتى بلغ قوله:

غلامان خاضا الموت من كل جانب
ملى يلقيا قرناً فلا بد أنه
فأبا ولم يعقد وراءهما يد
سيلقاه مكروه من الموت أسود

فما استتم هذا البيت حتى قال: قف يا أيها القارئ، تتجاوز المعنى ولا تسأل عنه، ما معنى قوله: ولم وراءهما يد؟ فأمسك من حضر عن القول، فقال: قل يا شيخ، فإنك المنظور إليه، والمقتدى به، فقال أبو سعيد: يقول: إنهما رميا بأنفسهما في الحرب أقصى مراميها، ورجعا موفورين لم يؤسرا، فتعقد أيديهما كتفاً، فقال: يا شيخ، أترضى لنفسك بهذا الجواب؟ فأكرنا ذلك على المجنون، فنظر بعضنا إلى بعض، فقال أبو سعيد: هذا الذي عندنا، فما عندك؟ فقال: المعنى يا شيخ، أبا، ولم تعقد يد بمثل فعلهما بعدهما، لأنهما فعلا ما لم يفعله أحد، كما قال الشاعر:

قرم إذا عدت تميم معاً
أليس الله ثياب الندى
أي خلقت له، وقريب من الأول قوله:
ساداتها عدوه بالخنصر
فلم تطل عنه ولم تقصر

قومي بنو مذحج من خير الأمم
يعني أنهم يتقدمون الناس، ولا يطئون على عقب أحد، وهذان فعلا ما لم يعطه أحد، فلقد رأيت أبا سعيد وقد احمر وجهه، واستحيا من أصحابه، ثم غطى المجنون رأسه، وخرج وهو يقول: يتصدرون ويغزون الناس من أنفسهم، فقال أبو سعيد بعد خروجه: اطلبوه، فإنني أظنه إبليس، فطلبناه فلم نظفر به.

قال الشافعي: حدثني أبو جعفر الشرمقاني قال: كان أبو سعيد الضرير مثيراً ممسكاً، لا يكسر رأس رغيف له، إنما يأكل عند من يختلف إليهم، لكنه كان أديب النفس، عاقلاً. حضر يوماً مجلس عبد الله بن طاهر، فقدم إليه طبق عليه قصب السكر، وقد قشر وقطع كاللقم، فأمره عبد الله ابن طاهر أن يتناول منه، فقال أبو سعيد: إن لهذا لفاظة ترتجع من الأفواه، وأنا أكره ذلك في مجلس الأمير، - أيده الله - فقال عبد الله: تناول، فليس بصاحبك من احتشمك واحتشمته، أما إنه لو قسم عقلك على مائة رجل، لصار كل رجل منهم عاقلاً، وقيل: إن هذا الكلام جرى بين الضرير، وبين أبي دلف في مجلسه. وحدث قال: حدثني الغضاري قال: كان أبو سعيد الضرير، يختار المؤدبين لأولاد قواد عبد الله بن طاهر، ويبين مقدار أرزاقهم، ويطوف عليهم، ويتعهد من بين أيديهم من أولئك الصبيان، فاستقبله يوماً في ميدان الحسين بعض أولئك المؤدبين، فقال له: يا فلان، من أين وجهك؟ قال: من شاذياخ. قال زد فيه ألفاً ولأماء، فقال من شاذياخ، فقال أبو سعيد: اللهم غفرأ، زدهما في أول الحرب، ويك، فقال: ألف لام شاذياخ، فقال صم صدك، كم رزقك؟ قال سبعين درهماً، فقال: يصرف ويبدل به غيره، وهو صاغر صد.

وحدث الحاكم في كتاب نيسابور: سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول: سمعت أبي يقول: لما قلد المأمون عبد الله بن طاهر ولاية خراسان، سنة سبع عشرة ومائتين، ونأوله العهد بيده قال: حاجة يا أمير المؤمنين، قال: مقضية، قال: يسعني أمير المؤمنين في استصحاب ثلاثة من العلماء، قال: من هم؟ قال: الحسين ابن الفضل البجلي، وأبو سعيد الضرير، وأبو إسحاق

القرشي. فأجابه إلى ذلك، فقال عبد الله: وطبيب يا أمير المؤمنين، فليس في خراسان طبيب حاذق. قال: من؟ قال: أيوب الرهاوي. فقال يا أبا العباس: لقد أسعفناك بما التمسته. قود أخليت العراق من الأفراد، قال: فقدم الحسن بن الفضل بنيسابور، وابتاع بها داراً مشهورة بباب غزرة، فبقي يعلم الناس العلم، ويفتي، إلى أن مات في شعبان، سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وهو ابن مائة سنة وأربع سنين، ودفن في مقبرة الحسين ابن معاذ، قال: ولو كان في بني إسرائيل لكان من عجائبهم، يعني الحسين بن الفضل. ذكر ذلك كله في ترجمة الحسين بن الفضل.

قرأت بخط الأزهرى من كتاب نظم الجمان للمنزري، سمعت أبا عبد الله المعقلي المزني يقول: سمعت أبا سعيد الضرير يقول: كنت أعرض على ابن الأعرابي أصول الشعر، أصلاً أصلاً، وعرض عليه - وأنا أحضر - شعر الكميت في المجالس التي كان يحضرها، قال: فحفظته بعضره، وحفظت النكت التي أفاد فيها، فقال لي ابن الأعرابي يوماً: لم تعرض عليّ فيما عرضت شعر الكميت، فقلت له: عرضه عليك فلان فحفظته بعرضه، وحفظت ما أفدت فيه من الفوائد والنكت والمعاني، وجعلت أنشده، وأعرفه من تلك النكت، فعجب.

وقال أبو سعيد الضرير: سألتني أبو دلف عن بيت امرئ القيس:

كبكر المقناة البياض بصفرة

قال: أخبرني عن البكر، هي المقناة أم غيرها؟ قال: قلت هي هي: قال: أضيف الشيء إلى صفته؟ قلت: نعم، قال: وأين؟ قلت: قد قال الله تعالى: "ولدار الآخرة" فأضاف الدار إلى الآخرة، وهي هي بعينها، والدليل على ذلك، أنه قال في سورة أخرى: "ولدار الآخرة" قال: أريد أسفى من هذا؟ فأنشدته لجرير:

يا ضب إن هوى القيون أضلكم
كضلال شيعه أعور الدجال

أحمد بن داود بن وتند

أبو حنيفة الدينوري، أخذ عن البصريين والكوفيين، وأكثر أخذه عن ابن السكيت. وكان نحويًا لغويًا، مهندسًا منجمًا حاسبًا، راوية ثقة فيما يرويه وبحكمه. مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وجدت ذلك على ظهر كتاب النبات من تصنيفه، ووجدت في كتاب عتيق: مات أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري. قبل سنة تسعين ومائتين، ثم وجدت على ظهر النسخة التي بخط ابن المسبح، بكتاب النبات، من تصنيف أبي حنيفة، توفي أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، ليلة الاثنين، لأربع بقين من جمادى الأولى، سنة ثمانين ومائتين، ووجدت في كتاب الوفيات، لأبي عبد الله محمد بن سفيان بن هارون، بن بنت جعفر، بن محمد الفريابي البغدادي، مات أبو حنيفة أحمد بن داود، بن وتند، صاحب كتاب النبات، في سنة إحدى وثمانين ومائتين. قال أبو حيان في كتاب تقييد الجاحظ: ومن خطه الذي لا أرتاب فيه نقلت، قال: قلت لأبي محمد الأندلسي، يعني عبد الله بن حمود الزبيدي، وكان من عدد أصحاب السيرافي، وله في هذا الكتاب ذكر، قد اختلفت أصحابنا في مجلس أبي سعيد السيرافي، في بلاغة الجاحظ، وأبي حنيفة صاحب النبات، ووقع الرضا بحكمك، فما قولك؟ فقال أنا أحقر نفسي عن الحكم لهما وعليهما، فقال: لابد من قول. قال: أبو حنيفة أكثر ندارة، وأبو عثمان أكثر حلاوة، ومعاني أبي عثمان لائقة بالنفس، سهلة في السمع، ولفظ أبي حنيفة أعذب وأغرب، وأدخل في أساليب العرب، قال أبو حيان: والذي أقول وأعتقد وأخذ به، وأسهم عليه، أنني لم أجد في جميع من تقدم وتأخر ثلاثة: لو اجتمع الثقلان على تقييدهم، ومدحهم، ونشر فضائلهم، في أخلاقهم وعلمهم، ومصنفاتهم ورسائلهم، مدى الدنيا إلى أن يأذن الله بزوالها، لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم، أحدهم: هذا الشيخ، الذي أنشأنا له هذه الرسالة، وبسببه جئنا هذه الكلفة، أعني أبا عثمان، عمرو بن بحر. والثاني: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، فإنه من نوادر الرجال، جمع بين حكمة الفلاسفة، وبيان العرب، له في كل فن ساق وقدم، ورواء وحكم، وهذا كلامه في الأنواء، يدل على حظ وافر من علم النجوم، وأسرار الفلك، فأما كتابه في النبات فكلامه فيه، في عروض كلام أبي بدوي، وعلى طباع أفصح عربي، ولقد قيل لي: إن له في القرآن كتاباً، يبلغ ثلاثة عشر مجلداً، ما رأيته، وإنه ما سبق إلى ذلك النمط، هذا مع ورعه وزهده، وجلالة قدره، وقد وقف الموفق عليه، وسأله وتحفى به. والثالث: أبو زيد أحمد بن سهل البلخي، فإنه لم يتقدم له شبيه في العصر الأول، ولا يظن أنه يوجد له نظير في مستأنف الدهر، ومن تصفح كلامه في كتاب أقسام العلوم، وفي كتاب أخلاق الأمم، وفي كتاب نظم القرآن، وفي كتاب اختيار السير، وفي رسائله إلى إخوانه، وجوابه عما يسأل عنه، ويده به، علم أنه بحر البحور، وأنه عالم العلماء، وما رئي في الناس، من جمع بين الحكمة والشريعة سواء، وإن القول فيه لكثير، ولو تناصرت إلينا أخبارهما، لكننا نحب أن نفرّد لكل واحد منهما تقييداً مقصوراً عليه، وكتاباً منسوباً إليه، كما فعلت بأبي عثمان.

قرأت في كتاب ابن فرجة: المسمى بالفتح، على أبي الفتح، في تفسير قول المتنبي:

فدع عنك تشبيهي بما وكأنه

فما أحد فوقني وما أحد مثلي

وقال فيه: ما لم ير ضه ابن فرجة، ونسبه إلى أنه سأل عنه أبا الطيب، فأجاب بهذا الجواب، فأورد ابن فرجة هذه الحكاية: زعموا أن أبا العباس المبرد ورد الدينور زائراً لعيسى ابن ماهان، فأول ما دخل عليه وقضى سلامه، قال له عيسى: أيها الشيخ، ما الشاة المثمة، التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أكل لحمها؟ فقال هي الشاة القليلة اللبن، مثل اللجبة. فقال: هل من شاهد؟ قال: نعم قول الراجز:

لم يبق من آل الحميد نسمة

إلا عنيز لجة مجثمة

فإذا بالحاجب يستأذن لأبي حنيفة الدينوري، فلما دخل، قال له: أيها الشيخ، ما الشاة المجثمة، التي نهينا عن أكل لحمها؟ فقال: هي التي جثمت على ركبها وذبحت من خلف قفاها، فقال: كيف تقول؟ وهذا شيخ العراق، يعني أبا العباس المبرد يقول: هي مثل اللجبة، وهي القليلة اللبن، وأنشده البيهقي، فقال أبو حنيفة: أيما البيعة تلزم أبا حنيفة، إن كان هذا التفسير، سمعه هذا الشيخ أو قرأه، وإن كان البيهقي إلا لساعتها هذه، فقال: صدق الشيخ أبو حنيفة، فإنني أنفت أن أرد عليك من العراق، وذكر ما قد شاع، فأول ما تسألني عنه لا أعرفه، فاستحسن منه هذا الإقرار، وترك البهت قال ابن فرجة: وأنا أحلف بالله العلي، إن كان أبو الطيب قط سئل عن هذا البيت، فأجاب هذا الجواب، الذي حكاه ابن جني، وإن كان إلا متزيذاً مبطلاً فيما يدعيه، - عفا الله عنه، وغفر له - فالجهل والإقرار به أحسن من هذا، وذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: وله من الكتب المصنفة: كتاب الباء، كتاب ما يلحن فيه العامة، كتاب الشعر والشعراء، كتاب الفصاحة، كتاب البحث في حساب الهند، كتاب الجبر والمقابلة، كتاب البلدان كبير، كتاب النبات، لم يصنف في معناه مثله، كتاب الرد على لغزة الأصفهاني، كتاب الجمع والتفريق، كتاب الأخبار الطوال، كتاب الوصايا، كتاب نواذر الجبر، كتاب إصلاح المنطق، كتاب القبلة والزوال، كتاب الكسوف، قال أبو حيان: وله كتاب في تفسير القرآن.

أحمد بن رشيق الأندلسي

الكاتب أبو العباس، ذكره الحميدي وقال: كان أبوه من موالي بني شهيد، ونشأ هو بمرسية، وانتقل إلى قرطبة، وطلب الأدب وبرز فيه، وبسق في صناعة الرسائل، مع حسن الخط المتفق على نهايته، وتقدم فيهما وشارك في سائر العلوم، ومال إلى الفقه والحديث، وبلغ من رياسة الدنيا أبلغ منزلة، وقدمه الأمير الموفق أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامري على كل من في دولته، لأسباب أكدت له ذلك عنده، من المودة والثقة، والنصيحة والصحبة في النشأة، وكان ينظر في أمور الجهة التي كان فيها نظر العدل والسياسة، ويشغل بالفقه والحديث، ويجمع العلماء والصالحين ويؤثرهم، ويصلح الأمور جهده، وما رأينا من أهل الرياسة من يجري مجراه، من هيبة مفرطة، وتواضع وحلم عرف به، مع القدرة، مات بعد الأربعين وأربعمئة، عن سن عالية، وله كتاب رسائل مجموعة متداولة، منها رسالة إلى أبي عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج نجح الفاسي، وأبي بكر بن عبد الرحمن فقيه القيروان في الإصلاح بينهما، وكتاب على تراجم كتاب الصحيح للبخاري، ومعاني ما أشكل منه، وقد رأيته غير مرة إذا غضب في مجلس الحكم أطرق ثم قام، ولم يتكلم بين اثنين، فظننته كان يذهب إلى حديث أبي بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يحكم حاكم بين اثنين وهو غضبان" وظننت أن قيامه عند الغضب شيء ما سبق إليه، حتى رأيت بعض المصنفين القدماء قد حكى عن يزيد بن أبي حبيب أنه قال: إنما غضبي في نعلي، إذا سمعت ما أكره أخذتهما ومضيت.

أحمد بن رضوان أبو الحسن

النحوي، أظنه ممن أخذ النحو عن أصحاب أبي علي الفارسي. أحمد بن زهير أبو خيثمة

هو أبو بكر، أحمد بن أبي خيثمة، زهير بن حرب، ابن شداد، النسائي الأصل، سمع أبا نعيم الفضل ابن دكين، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وأخذ علم النسب عن مصعب بن عبد الله الزبيري، وأيام الناس عن أبي الحسن المدائني، والأدب عن محمد بن سلام الجمحي، ومات في شوال سنة تسع وسبعين ومائتين، في خلافة المعتمد على الله، عن أربع وتسعين سنة، ذكر ذلك كله الخطيب، قال: وله كتاب التاريخ الذي أحسن تصنيفه، وكثر فائدته، قال: ولا أعرف أغزر فوائد من كتاب التاريخ الذي ألفه أحمد بن خيثمة، وكان لا يرويه إلا على الوجه، فسمعه منه الشيوخ الأكابر، كأبي القاسم البغوي ونحوه، قال: واستعار أبو العباس ابن محمد بن إسحاق السراج من أبي بكر بن أبي خيثمة شيئاً من التاريخ، فقال: يا أبا العباس علي يمين أن لا أخذت بهذا الكتاب إلا على الوجه، فقال أبو العباس وعلي عزيمة أن لا أكتب إلا ما اشتبهه فردده عليه، ولم يحدث في تاريخه عنه بحرف، وأنشد الخطيب لابن أبي خيثمة:

قالوا اهتجارك من تهواه تسلاه

فقد هجرت فما لي لست أسلاه

من كان لم ير في هذا الهوى أثراً
من يلقي يلق مرهوناً بصبوته
فليلقني ليرى آثار بلواه
متيماً لا يفك الدهر قيده
ولو يشاء الذي أدواه داواه
متيم شفه بالحب مالكة

قال الخطيب: وكان ابن أبي خيثمة كبير الكتاب، أكثر الناس عنه السماع.

في كتاب الفرغاني: أنه مات سنة سبع وتسعين، قال: وفي آخر شوال مات ابن أبي خيثمة صاحب التاريخ من سكتة، وكانت له معرفة بأخبار الناس وأيامهم، وله مذهب، كان الناس ينسبونه إلى القول بالقدر، وكان مختصاً بعلي بن عيسى.

أحمد بن سعد أبو الحسين الكاتب

ذكره حمزة في أهل أصبهان، فقال ندب في أيام القاهر بالله إلى عمل الخراج أبو الحسين أحمد بن سعد، فورد أصبهان غرة جمادى الأولى، سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وعزل عنها أبو علي بن رستم في جمادى الآخرة من هذه السنة، ثم قدم أبو الحسين بن سعد من فارس متقلداً لتدبير البلد، وعمل الخراج، من قبل الأمير علي ابن بويه، يعني عماد الدولة، في جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، ثم صرف في سنة أربع وعشرين. قال: ثم رد جباية الخراج في أربع وعشرين إلى أبي القاسم سعد بن أحمد بن سعد، قال ثم إن أبا الحسين عزل في شوال من هذه السنة، لم يذكره بعد ذلك، وعد فضلاء أصبهان من أصحاب الرسائل، ثم قال: وأما أبو مسلم محمد، وأبو الحسين أحمد بن سعد، فقد استغنيا بشهرة هذين وبعد صوتهما في كور المشرق والمغرب، وعند كتاب الحضرة، وإجماع أهل الزمان على فضلها عن وصفها، وعامة الرسائل لهما، ثم ذكره في المصنفين فقال: له من الكتب، كتاب الاختيار من الرسائل، لم يسبق إلى مثله، وكتاب آخر في الرسائل، سماه فقر البلغاء، وكتاب الحلي والثياب، وكتاب المنطق، وكتاب الهجاء، قرأت في كتاب عتيق.

حدثني شيخ كبير قال: تنبأ في مدينة أصبهان رجل في زمن أبي الحسين بن سعد، فأتني به، وأحضر العلماء والعظماء والكبراء كلهم فقيل له من أنت؟ فقال: أنا نبي مرسل، فقيل له: ويلك: إن لكل نبي آية، فما آيتك وحجتك؟ فقال: ما معي من الحجج لم يكن لأحد قبلي من الأنبياء والرسل، فقيل له: أظهرها: فقال: من كان منكم له زوجة حسناء، أو بنت جميلة، أو أخت صبيحة، فليحضرها إلي أحبها بآبن في ساعة واحدة، فقال أبو الحسين بن سعد: أما أنا فأشهد أنك رسول، وأعفني من ذلك، فقال له رجل: نساء ما عندنا: ولكن عندي عنز حسناء، فأحبها لي: فقام يمضي، فقيل له إلى أين؟ قال أمضي إلى جبرائيل وأعرفه أن هؤلاء يريدون تيساً، ولا حاجة بهم إلى نبي، فضحكوا منه وأطلقوه وأنشد للإصبهاني أبي الحسين هذا أشعاراً منها في جواب معمي:

رمانى أخ أصفى له الود جاهداً
بداهية تعيي على كل عالم
وحمل سرب الوحش والطير سره
فانهضت قلبي وهو في نفس جارح
فحاش لي الصنفين من بين أرنب
يسوق لنا أسراب طير تتابعت
ومزقتها بالزجر حتى تحولت
ورأوتها بالفكر حتى تذلت
فأخرجت السر الخفي وأنشدت
وإني وإياها للآخمر والفتى
وله في الفضل محمد بن الحسين بن العميد:

البين أفردني بالهم والكم
فارقت من صار لي من واحد عوضاً
أمسك حشاشة نفسي أن يطيف بها
لا في الحياة فإني غير مغتبط
والبين جدد حر الثكل في كبدي
يا رب لا تجعلها فرقة الأبد
كيد من الدهر بعد الفقد للولد
بالعيش بعد انقصاص الظهر والعصد

بل ابق لي الخلف المأمول حيطته
من أن يروا ضيعة في عرصة البلد
ربي رجائي وحسب المرء معتمداً
وله إلى أبي الحسين بن لرة، في مملوك له أسود كان تبناه:

على عيال وأطفال ذوي عدد
وأن يروا نهضة في كف مضطهد
نجل العميد وصنع الواحد الصمد
إني أخاف عليه لفعة العين
على الجبين وتحريف كنونين
غمامة نشرت في الأرض ثوبين
بالحبر خطين جاءا نحو قوسين
عن القبول وعن بعد من الشين
وهذه قطعة شعر لأبي الحسين بن سعد على أربع قواف كلما أفردت قافية كان شعراً برأسه إلى آخر الأبيات.

وبلدة قطعها بضامر
وليلة سهرتها لزائر
وقينة وصلتها بطاهر
إذا غوت أرشدتها بخاطر
وقهوة باكرتها لفاجر
سورتها كسرتها بماطر
و حرب خصم بختها بكائر
معوذاً بل سفتها بباتر
وكم حظوظ نلتها من قادر
كافية إذ شكرتها في سامر

أحمد بن سعيد بن عبد الله الدمشقي

أبو الحسن، نزل ببغداد، وحدث عن الزبير بن بكار بالموفقيات وغيرها من مصنفاته، وكان مؤدب ولد المعتز، واختص بعبد الله بن المعتز، روى عنه إسماعيل الصفار وغيره، وكان صدوقاً، مات سنة ست وثلاثمائة، ذكره المرزباني في كتابه، فقال: أبو بكر محمد ابن القاسم الأنباري: حدثني أحمد بن سعيد، قال: كنت أؤدب أولاد المعتز، فتحمل أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري على قبيحة أم المعتز بقوم سألوها أن تأذن له في أن يدخل إلى ابن المعتز وقتاً من النهار، فأجابت أو كادت تجيب، فلما اتصل الخبر بي جلست في منزلي غضبان مفكراً لما بلغني عنها، فكتب إلي أبو العباس عبد الله بن المعتز، وله ثلاث عشرة سنة.

أصبحت يا ابن سعيد حزت مكرمة
سربلنتي حكمة قد هذبت شيمي
أكون إن شئت قسا في خطابته
وإن أشأ فكزيد في فرائضه
أو الخليل عروضياً أخا فطن

تغلي بداهة ذهني في مركبها
وفي فمي صارم ما سلّه أحد
عقبك شكر طويل لا نفاذ له

قس: هو ابن ساعدة الإيادي، والهارث بن حلزة، كان ارتجل قصيدة أدنتنا ببينها، وزيد بن ثابت الأنصاري، والنعمان: أبو حنيفة، صاحب الرأي والفقه، وحدث أيضاً قال: كتب ابن المعتز إلى أحمد بن سعيد الدمشقي وأباً عن كتاب استزاده فيه: قيد نعمتي عندك بمثل ما كنت استدعيتها به، وذبح عنها أسباب الظن، واستدم ما تحب مني، بما أحب منك.

وكتب ابن المعتز إلى الدمشقي، جواباً عن اعتذار كان من الدمشقي، في شيء بلغ ابن المعتز عنه: والله لا قابل إحسانك مني كفر، ولا تبع إحساني إليك من فلك مني يد لا أقبضها عن نفكك، وأخرى لا أبسطها إلى ظلمك، ما يسخطني فإني أصون وجهك عن ذل الاعتذار.

أحمد بن سعيد بن شاهين

البصري، أبو العباس، هو أحمد بن سعيد بن شاهين ابن علي بن ربيعة: ذكره محمد بن إسحاق النديم، فقال هو من أهل الأدب، وله من الكتب: كتاب ما قالته العرب، وكثر في أفواه العامة.

أحمد بن سعيد بن حزم

الصدفي الأندلسي المنتجيلي، أبو عمر، ذكره الحميدي فقال: سمع بالأندلس جماعة منهم محمد بن أحمد الزراد، وذكره غيره، ورحل فسمع إسحاق بن إبراهيم بن النعمان، وأحمد بن عيسى المصري، المعروف بابن أبي عجيبة، وغيرهما وألف كتاب تاريخ الرجال، كبيراً، جمع فيه جميع ما أمكنه من أقوال الناس في أهل العدالة والتجريح سمعه منه خلف بن أحمد، المعروف بابن أبي جعفر، وأحمد بن محمد الأشبيلي، المعروف بابن الحزاز، قال ابن عبد البر: ويقال إنه لم يكمل سماعه إلا لهما، ومات أبو عمر الصدفي سنة خمسين وثلاثمائة، كل هذا من كتاب الحميدي، وذكر بعض الناس أنه من ولد جعفر بن الحارث، من أهل قرطبة، ويكنى أبا عمرو، عني بالآثار والسنن، وجمع الحديث والتاريخ، وروى عنه جماعة بالأندلس، منهم أحمد بن ثوبة، وأسلم بن عبد العزيز، وطبقته، ورحل إلى المشرق، سنة إحدى عشرة وثلاثمائة مع أحمد ابن عباد إرعيني، فسمع بمكة من أبي جعفر العقيلي، وأبي بكر بن المنذر صاحب الإشراف، والديلمي أبي جعفر، محمد بن إبراهيم، وأبي سعيد بن الأعرابي وغيرهم، وسمع بمصر على جماعة، منهم أبو عبد الله محمد بن الربيع بن سليمان، وبالقيروان من أحمد بن نصر، ومحمد بن محمد ابن اللباد، ثم انصرف إلى الأندلس، فصنف تاريخاً في المحدثين، بلغ فيه الغاية قرئ عليه، ولم يزل يحدث إلى أن مات، ليلة الخميس لتسع بقين من جمادى الآخرة سنة خمسين وثلاثمائة، ومولده يوم الجمعة لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين ومائتين.

أحمد بن سليمان الطوسي أبو عبد الله

هو أبو عبد الله، أحمد بن سليمان بن داود بن محمد ابن العباس الطوسي، واسم أبي العباس الفضل بن سليمان بن المهاجر، بن سنان بن حكيم، وكان فاضلاً مات فيما ذكره الخطيب في صفر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة عن ثلاث وثمانين سنة. قال ابن شاذان: قال الطوسي ولدت سنة أربعين ومائتين، روى عنه أبو حفص ابن شاهين، وأبو الفرج الإصبهاني صاحب كتاب الأغاني وأبو عبيد الله المرزباني وكان صدوقاً.

حدث ابن طاهر المباشر أبو عبد الله المعروف بقنينة سمعت الخضر بن داود بمكة يقول: قدم علينا سليمان ابن داود الطوسي وهو على البريد، وكان الزبير قد فرغ من كتاب النسب، فأهدى إليه الطوسي هدايا كثيرة، فأهدى إليه الزبير كتاب النسب، فقال له سليمان: أحب أن تقرأه علي، فقرأه عليه، وسمع ابنه أحمد ابن سليمان مع أبيه جميع الكتاب، فروى عنه أبو بكر ابن شاذان، وأبو حفص بن شاهين، وأبو عبد الله المرزباني والمخلص.

أحمد بن سليمان بن وهب

ابن سعيد الكاتب، أبو الفضل، وأبوه أبو أيوب سليمان بن وهب الوزير، وعمه الحسن بن وهب معروفان مشهوران، مذكوران في هذا الكتاب، ونسب هذا البيت مستقصى في ترجمة الحسن بن وهب، مات فيما ذكره أبو عبد الله في كتاب معجم الشعراء في سنة خمس وثمانين ومائتين، وكان أبو الفضل هذا بارعاً فاضلاً ناظماً ناثراً، قد تقلد الأعمال، ونظر للسلطان في جباية الأموال، وأخوه عبيد الله بن سليمان، والقاسم بن عبيد الله وزير المعتضد والمكتفي، ولأحمد من التصنيفات: كتاب ديوان شعره، وكتاب ديوان رسائله.

حدث لاصولي قال: وجدت بخط بعض الكتاب أن أحمد ابن سليمان سأل صديقاً له حاجة فلم يقضها له فقال:

وإن عداني ما أرجوه من نعم
تعد قولك لا إلا من الكرم

قل لي نعم مرة إني أسر بها
فقد تعودت لا حتى كأنك لا

قال: وحدثني الطالقاني: كنا عند أحمد بن سليمان على شرب، ومعنا رجل من الهاشميين ورجل من الدهاقين، فعربد الهاشمي علي الدهقان، فأنشد أحمد بن سليمان:

شفكن منه لآخر ذا ارتقاب

إذا بدأ الصديق بيوم سوء

وأمر بإخراج الهاشمي، فقال له: أخرجني وتدع نبطياً؟ فقال، نعم: رأس كلب أحب إلي من ذنب أسد، وحدث عن الحسين بن إسحاق قال: كنت عند أحمد بن سليمان بن وهب. ونحن على شراب، فوافقه رقعة فيها أبيات مدح، فكتب الجواب فنسخته، ولم أنسخ الرقعة الواردة عليه، وكان جوابه: وصلت رقعتك - أعزك الله - فكانت كوصل بعد هجر، وغنى بعد فقر، وظفر بعد صبر، ألفاظها در مشوف ومعانيها جوهر مرصوف، وقد اصطحبا أحسن صحبة، وتألفا أقرب ألفة، لا تمجها الأذان، ولا تتعب بها الأذهان، وقرأت في آخرها من الشعر ما لم أملك نفسي أن كتبت لجلالته عندي، وحسن موقعه من نفسي، بما لا أقوم به مع تحيف الصبياء لي، وشربها من عقلي، مقدار شربي، ولكني واثق منك بطي سينتي ونشر حسنتي:

وافي كتابك بعد طول اليا

نفسى فداؤك يا أبا العباس

فأصارني للجمع والإيناس

وافي وكنت بوحشتي متفرداً

فخراً على الخلاء والجلاس

وقرأت شعرك فاستطلت لحسنه

ببدائع في جانب القرطاس

عابنت منه عيون وشي سديت

عن أن يحد بفطنة وقياس

فاقت دقائقه وجل لحسنه

من حسن طبعك مخرج الأنفاس

شعر كجري الماء يخرج لفظه

لكماله إلا مكان الراس

لو كان شعر الناس جسماً لم يكن

وكان لأحمد خادم يقال له عرام، ويكنى أبا الحسام، وكان يهواه جداً، فخرج مرة إلى الكوفة بسبب رزقه مع إسحق بن عمران، فكتب إلى إسحق:

ونفس الصب مشغوفة

دموع العين مذروفة

ذي يطلع بالكوفة

من الشوق إلى البدر ال

فلما قرأ كتابه وفاه رزقه، وأنفذه إليه سريعاً، ومن كلامه: النعم أيدك الله ثلاث، مقيمة، ومتوقعة، ويغر محتسبة، فحرس الله لك مقيمها، وبلغك متوقعها، وآتاك ما لم تحتسب منها.

قال: ودخل أحمد بن سليمان إلى صديق له، ولم يره كما ظن من السرور، فدعا بدواة وكتب:

وعلمنا بأن عندك فضله

قد أتيناك زائرين خفافاً

ء أضأت لها من الهجر شعله

من شراب كأنه دمع مرها

معجبات نعددها لك جملة

ولدينا من الحديث هنات

فاحتملنا فإنما هي أكله

إن يكن مثل ما تريد وإلا

ومن مشهور شعره، الذي لا تخلو مجاميع أهل الفضل منه قوله يصف السرو من أبيات، وربما نسبوه إلى غيره،

خضر الحرير على قوام معتدل

حفت بسرو كالقيان تلحفت

تبغي التعانق ثم يمنعها الخجل

فكأنها والريح حين تميلها

وكتب في صدر كتاب إلى ابن أخيه، الحسن بن عبيد الله بن سليمان:

والمرتدي برداء العقل والأدب

يا ابني ويا ابن أخي الأدنى ويا ابن أبي

ومن إذا عد مني زان لي حسبي

ومن يزيد جناحي من قواك به

ومن منثوره كتب إلى ابن أبي الإصبع: لو أطعت الشوق إليك، والنزاع نحوك، لكثير قصدي لك، وغشيانى إياك، مع العلة الفاطمة عن الحركة، الحائلة بيني وبين الركوب، فالعلة إن تخلفت مخلفتي، وإيثار التخفيف يؤخر مكاتبتي، فأما مودة القلب، وخلوص النية، ونقاء الضمير، والاعتداد بما يجده الله لك من نعمة، ويرفعك إليه من درجة، ويبلغك إياه من رتبة، فعلى ما يكون عليه الأخ الشقيق، وذو المودة الشفيق، وأرجو أن يكون شاهدي على ذلك من قلبك أعدل الشهود، ووافدي بإعلامك إياه أصدق الوفود، وبحسب ذلك انبساطي إليك في الحاجة، تعرض قلبك، ويعنى بالنجاح منها عند، وعرضت حاجة ليس تمنعني

قلتها من كثير الشكر عليها، والاعتداد بما يكون من قضائك إياها، وقد حملتها يحيى لتسممها منه، وتتقدم بما أحب فيها، جارياً على كرم سجيئك، وعادة تفضلك، إن شاء الله. وكتب إلى أخيه الوزير، عبيد الله، وقد سافر ولم يودعه، - أطال الله بقاء الوزير - مصحباً له السلامة الشاملة والغبطة المتكاملة، والنعم المتظاهرة، والمواهب المتواترة، في ظعنه ومقامه، وحله وترحاله، وحركته وسكونه، وليله ونهاره، وعجل إلينا أوبته، وأقر عيوننا برجعته، ومتعنا بالنظر إليه: كان شخوص الوزير - أعزه الله - في هذه المدة يغتة، أعجل عن توديعه فزاد ذلك في ولهي، وإضرام لوعتي، واشتدت له وحشتي، وذكرت قول كثير:

وكنتم تزبنون البلاد ففارقت
فقد جعل الراضون إذ أنتم لها
عشية بنتم زينها وجمالها
بخصب البلاد يشتكون وبالها

والوزير - أعزه الله - يعلم ما قيل في يحيى بن خالد:

ينسى صنائعه ويذكر وعده
ويبيت في أمثاله يتفكر

وكتب إلى صديق له: ليس عن الصديق المخلص، والأخ المشارك، في الأحوال كلها مذهب ولا وراءه، للوائق به مطلب، والشاعر يقول:

وإذا يصيبك واحداث جمعة
حدث حداك إلى أخيك الأوثق

وأنت الأخ الأوثق، والولي المشفق، والصديق الوصول، والمشارك في المكروه والمحبوب، قد عرفني الله من صدق صفائك، وكرم وفائك، على الأحوال المتصرفة، والأزمنة المتقلبة، ما يستغرق الشكر، ويستعبد الحر، وما من يوم يأتي علي إلا وثقتي بك تزداد استحكاماً، واعتماداً عليك يزداد توكداً والتياماً، أنبسط في حوائجي، وأثق بنجح مسألتني، والله أسأل لك طول البقاء، في أيام النعمة وأسبغها وأكمل العوافي وأتمها، وألا يسلب الدنيا نصرتها بك، وبهجتها ببقائك، فما أعرف بهذا الدهر المتنكر في حالاته، حسنة سواك، ولا حيلة غيرك، فأعذك بالله من العيون الطامحة، والألسنة القاذحة وأسأله أن يجعلك في حرزه الذي لا يرام، وكنفه الذي لا يضام، وأن يحرسك بعينه التي لا تنام، إنه ذو المن والإنعام. تقرّبط الجاحظ، بوصف ذكرته في أخبار أبي حنيفة أحمد بن داود، فاحتسبت به كعادتي في الإيجاز، وترك التكرير، مات في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة على ما أذكره فيما بعد، عن سبع أو ثمان وثمانين سنة.

حكي عنه أنه قال: كان الحسين بن علي المروزي، وأخوه وأنا صعلوك يجريان علي صلوات معلومة دائمة، فلما صنف كتابي في البحث عن التأويلات قطعها عني، وكان لأبي علي محمد بن أحمد بن جيهان من خرخان الجيهاني، وزير نصر بن أحمد الساماني جوار يدرها علي، فلما أملت كتاب القرايين والذبايح حرميها، قال: وكان الحسين قرمطياً، وكان الجيهاني ثوياً، وكان أبو زيد يرمي بالإلحاد، ذكر ذلك كله محمد بن إسحاق النديم، قال: ولأبي زيد من الكتب: كتاب أقسام العلوم، كتاب شرائع الأديان، كتاب اختيارات السير، كتاب السياسة الكبير، كتاب السياسة الصغير، كتاب كمال الدين، كتاب فضل صناعة الكتابة، كتاب مصالح الأبدان والأنفس، يعرف بالمقاليتين، كتاب أسماء الله وصفاته، كتاب صناعة الشعر، كتاب فضيلة علم الأخبار، كتاب الأسماء والكنى والألقاب، كتاب أسماء الأشياء، كتاب النحو والتصريف، كتاب الصورة والمصدر، كتاب رسالة حدود الفلسفة، كتاب ما يصح من أحكام النجوم، كتاب الرد على عبدة الأوثان، كتاب فضيلة علوم الرياضات، كتاب في أقسام علوم الفلسفة، كتاب القرايين والذبايح، كتاب عصمة الأنبياء، كتاب نظم القرآن، كتاب قوارع القرآن، كتاب الفتاك والنسك، كتاب ما أغلق من غريب القرآن، كتاب في أن سورة الحمد تنوب عن جميع القرآن، كتاب أجوبة أبي القاسم الكعبي، كتاب النوار في فنون شتى، كتاب أجوبة أهل فارس، كتاب تفسير "صور" كتاب السماء والعالم لأبي جعفر الخازن، كتاب أجوبة أبي علي بن محتاج، كتاب أجوبة أبي إسحاق المؤدب، كتاب المصادر، كتاب أجوبة أبي الفضل السكري كتاب الشطرنج، كتاب فضائل مكة على سائر البقاع، كتاب جواب رسالة أبي علي بن المنير الزيايدي، كتاب منية الكتاب، كتاب البحث عن التأويلات كبير، كتاب الرسالة السالفة إلى العاتب، كتاب رسالته في مدح الوراق، كتاب الوصية، كتاب صفات الأمم، كتاب القروء، كتاب فضل الملك، كتاب المختصر في اللغة، كتاب صولجان الكتابة، كتاب نثرات على كلامه، كتاب أدب السلطان والرعية، كتاب فضائل بلخ، كتاب تفسير الفاتحة والحروف المقطعة في أوائل السور، كتاب رسول الكتب، كتاب كتبه إلى أبي بكر بن المستنير، عاتياً ومنتصفاً، في ذمه المعلمين والوراقين، كتاب كتبه إلى أبي بكر بن المظفر، في شرح ما قيل في حدود الفلسفة، كتاب أخلاق الأمم، وقرأت بخط أبي سهل أحمد بن عبيد الله بن أحمد، مولى أمير المؤمنين، وتصنيفه كتاباً في أخبار أبي زيد البلخي، وأبي الحسن شهيد البلخي، فلخصت منه ما ذكرته في تراجم الثلاثة.

قال في أخبار أبي زيد، ولد أبو زيد أحمد بن سهل بلخ، بقرية تدعى شامستيان، من رستاق نهر غربي، من جملة اثني عشر نهراً من أنهار بلخ، وكان أبوه سجزياً يعلم الصبيان، هذا ما ذكره أبو محمد الحسن بن محمد الوزير، وله كتاب في أخبار أبي زيد البلخي.

وسمعت أنه كان يعلم بهذه القرية المدعوة شامستيان أعني أباه، وكان أبو زيد يميل إليها ويحبها، لأجل مولده بها، ونزعه إليها حب المولد، ومسقط الرأس والحنين إلى الوطن الأول، ولذلك لما حسنت حاله، ودعته نفسه إلى اعتقاد الضياع والأسباب، والنظر للأولاد والأعقاب، اختارها من قرى بلخ، فاعتقد بها ضيعته، ووكّل بها همته، وصرف إلى اتخاذ العقد بها عنايته، وقد كانت تلك الضياع بعد باقية، إلى قريب من هذا الزمان، في أيدي أحفاده وأقاربه، بها وبالقصبة ثم إنهم كما أقدر قد فنوا وانقرضوا، في اختلاف هذه الحوادث ببلخ وغيرها، من سائر البلدان، فلا أحسب أنه بقي منهم نافخ ضرر، ولا عين تطرف، لا تحس منهم من أحد ولا تسمع منهم ركزاً.

أحمد بن سليمان المعيدي

أبو الحسين، ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: روى عن علي بن ثابت، عن أبي عبيد، وعن ابن أخيه أبي الوزير، عن الأعرابي، روى عنه أبو بكر محمد بن الحسين، بن مقسم، وخطه يرغب فيه: وهو أحد العلماء المشاهير الثقاة، قرأت بخط ابن أبي نواس. قال: أبو عمر ابن حيويه قال لي أبو عمران: مات المعيدي ليلة الأربعاء ودفن يوم الأربعاء لثمان بقين من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

أحمد بن سهل البلخي أبو زيد

كان فاضلاً، قائماً بجميع العلوم القديمة والحديثة، يسلك في مصنفاته طريقة الفلاسفة، إلا أنه بأهل الأدب أشبه، وكان معلماً للصبيان، ثم رفعه العلم إلى مرتبة عليّة، كما اقتصصنا في أخباره، وقد وصفه أبو حيان في كتابه، في سمعت أن الأمير أحمد بن سهل بن هاشم كان ببلخ، وعنده أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي، وأبو زيد ليلة من الليالي وفي يد الأمير عقد لائني نفيسة، ثمينة، تتلأل كاسمها، ويتوهج نورها، وكان حمل إليه من بعض بلاد الهند، حين افتتحت، فأفرد الأمير منها عشرة أعداد، وناولها أبا القاسم، وعشرة أعداد آخر، وناولها أبا زيد، وقال: هذه اللآلئ في غاية النفاسة، فأحببت أن أشرككما فيها، ولا أستبد بها دونكما. فشكرا له ذلك، ثم إن أبا القاسم وضع لآلئه بين يدي أبي زيد، وقال: إن أبا زيد وهو من هو مهتم بشأنهم، فأردت أن أصرف ما برني به الأمير إليه، لينتظم في عقده فقال الأمير: نعماً فعلت، ورمى بالعشرة الباقية إلى أبي زيد وقال خذها فلست في الفتوة بأقل حظاً، ولا أوكس سهماً، من أبي القاسم، ولا تغبن عنها، فإنها ابتيعت من الفئ، بثلاثين ألف درهم، فاجتمعت الثلاثون عند أبي زيد برمتها، وباعها بمال جليل، وصرف ثمنها إلى الضيعة التي اشتراها بشامستيان.

قال وكان أبو زيد كما ذكر أبو محمد الحسن الوزيري - وكان رآه واختلف إليه - ربعة نحيفاً مصفراً، أسمر اللون جاحظ العينين، فيهما تأخر ومثل بوجهه آثار جدري، صموتاً سكيناً، ذا وقار وهيبة، وقد وصفه أبو علي أحمد المنيري الزيايدي، في رسالته التي كتبها إليه، وأراد أن يهدم بنيانه، ويضع شأنه، ويوهي أركانه، فرند عليه أبو زيد في جوابها، ما ألبسه الشنار والصغار، ونبه العالم أن حظه من العلوم حظ منكود، وأنه فيما أجرى له من كلامه غير سديد، قرأت على أبي محمد الوزيري كلتا الرسالتين، فزعم أنه قرأهما عليهما، أعني أبا زيد والمنيري كليهما، فذكر المنيري في رسالته في جملة ما هجنه به، وأنك لا تصلح إلا أن تكون زامراً، أو مغيراً، أو محتكراً فدل هذا الكلام على أنه كان جاحظ العين، أشدق، مع قصر قامته، ودنو هامته، قال: ثم حدثت أنه كان في عنفوان شبابه، وطراءة زمانه، وأول حداثته، ومائه، دعتة نفسه إلى أن يسافر ويدخل إلى أرض العراق، ويجثو بين يدي العلماء، ويقتبس منهم العلو، فتوجه إليها راجلاً مع الحاج، وأقام بها ثمانين سنين، وجازها فطوف البلدان المتاخمة لها، ولقي الكبار والأعيان، وتتلذذ لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، وحصل من عنده علوماً جمة، وتعمق في علم الفلسفة، وهجم على أسرار علم التنجيم، والهيئة وبرز في علم الطب والطبائع وبحث عن أصول الدين أتم بحث، وأبعد استقصاء، حتى قاده ذلك إلى الحيرة، وزل به عن النهج الأوضح، فتارة كان يطلب الإمام ومرة كان يسند الأمر إلى النجوم والأحكام، ثم إنه لما كتبه الله في الأول من السعداء، وحكم بأنه لا يتركه يتسكع في ظلمات الأشقياء، بصره أرشد الطرق، وهواه لأقوم السبل، فاستمسك بعروة من الدين وثيقة، وثبت من الاستقامة على بصيرة وحقيقة، فذكر أبو الحسن الحديثي قال: كان أبو بكر البكري فاضلاً خليعاً لا يبالي ما قال، وكان يحتمل عنه لسنه، قال: أذكر إذ كنا عنده وقد قدمت المائدة وأبو زيد يصلي، وكان حسن الصلاة، فضجر البكري من طول صلاته، فالتفت إلى رجل من أهل العلم، يقال له أبو محمد الجحندي فقال: يا أبا محمد، ربح الإمامة يعد في رأس أبي زيد، فخفف أبو زيد الصلاة وهما يضحكان، قال أبو الحسن: فلم أدر ما ذلك! حتى سألت لا أدري الجحندي أو أبا بكر الدمشقي فقال: أحدهما: العم أن أبا زيد في أول أمره كان خرج في طلب الإمام إلى العراق، إذ كان قد تقلد مذهب الإمامية، فعيره البكري بذلك، قال: وكان حسن الاعتقاد، ومن حسن اعتقاده أنه كان لا يثبث من علم النجوم الأحكام، بل كان يثبت ما يدل عليه الحسبان، ولقد جرى ذكره رحمه الله في مجلس الإمام أبي بكر، أحمد بن محمد بن العباس البزار، وهو الإمام ببلخ، والمفتي بها، فأتى عليه خيراً، وقال: إنه كان قويم المذهب، حسن الاعتقاد، لم يعرف

بشيء في ديانته، كما ينسب إليه من نسب إلى علم الفلسفة، وكل من حضر من الفضلاء والأماثل، أثنى عليه ونسبه إلى الاستقامة والاستواء، وأنه لم يعثر له مع ما له من المصنفات الجمّة، على كلمة تدل على قدح في عقيدته، ثم لما قضى وطره من العراق، وصار في كل فن من فنون العلم قدوة، وفي كل نوع من أنواعه إماماً، قصد العود إلى بلده، فتوجه إليها مقبلاً على طريق هراة، حتى وصل إلى بلخ، وانتشر بها علمه، فلما ورد أحمد بن سهل بن هاشم المروزي بلخ، واستولى على تخومها، راوده على أن يستوزره فأبى عليه، واختار سلامة الأولى، والعقبى، فاتخذ أبا القاسم الكعبي وزيراً، وأبا زيد كاتباً، وكان أبو القاسم الوزير وأبو زيد من الكتاب، وعظم محلّهما عنده، وأصبحا بأرفع طرف عنده مرموقين وبأروى كأس من جنباه مصبوحين ومغبوقين، وكان رزق أبي القاسم في الشهر ألف درهم ورقاً، ولأبي زيد خمسمائة درهم ورقاً، وكان أبو القاسم يأمر الخازن بزيادة مائة درهم لأبي زيد من رزقه ونقصان مائة درهم من رزق نفسه، فكان يصل إلى أبي زيد ستمائة درهم وإلى أبي القاسم تسعمائة درهم، وكان يأخذ لنفسه مكسرة، ويأمر لأبي زيد بالوضوح الصحاح، فبقوا على ذلك مدة غير طويلة، وعاشوا على جملة جميلة، حتى فتكت بهم يد المنون، وهلك أحمد بن سهل عن عمر قصير، واستمتع بإمامة غير كبير، قال: أخبرني أبو محمد الحسن بن الوزيري: وكان لقي أبا زيد وتلمذ له قال: كان أبو زيد ضابطاً لنفسه ذا وقار، وحسن استبصار، قويم اللسان، جميل البيان، متثبتاً نزر الشعر، قليل البديهة، واسع الكلام في الرسائل والتأليفات، إذا أخذ في الكلام أمطر اللآلئ المنتورة، وكان قليل المناظرة، حسن العبارة، وكان يبتزّه عما يقال في القرآن، إلا الظاهر المستفيض من التفسير والتأويل، والمشكل من الأقاويل، وحسبك ما ألفه من كتاب نظم القرآن، الذي لا يفوقه في هذا لأبواب تأليف.

قرأت في كتاب البصائر لأبي حيان الفارسي، من ساكني بغداد، قال: قال أبو حامد القاضي لم أر كتاباً في القرآن مثل كتاب لأبي زيد البلخي، وكان فاضلاً يذهب في رأي الفلسفة، لكنه تكلم في القرآن بكلام لطيف دقيق في مواضع، وأخرج سرائره، وسماه نظم لأقرآن، ولم يأت على جميع المعاني فيه.

قال: وللکعبي كتاب في التفسير، يزيد حجمه على كتاب أبي زيد، قال الوزيري: وكان أيضاً يتحرج عن تفضيل الصحابة بعضهم على بعض، وكذلك عن مفاخرة العرب والعجم، ويقول ليس في هذه المناظرات الثلاث ما يجدي طائلاً، ولا يتضمن حاصلاً، لأن الله تعالى يقول في معنى القرآن: (قرأنا عربياً غير ذي عوج) الآية وأما معنى الصحابة وتفضيل بعضهم على بعض، فقله عليه السلام، أصحابي كالنجوم، بأبهم اقتديتم اهتديتم، وكذلك العربي والشعوبي، فإنه سبحانه يقول: (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ويقول في موضع آخر، (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) قال: وسمعت بعض أهل الأدب يقول: اتفق أهل صناعة الكلام أن متكلمي العالم ثلاثة، الجاحظ، وعلي بن عبيدة اللطفي، وأبو زيد البلخي، فمنهم من يزيد لفظه على معناه، وهو الجاحظ ومنهم من يزيد معناه على لفظه، وهو علي بن عبيدة، ومنهم من توافق لفظه ومعناه، وهو أبو زيد.

وقال أبو حيان في كتاب النظائر: أبو زيد البلخي يقال له بالعراق جاحظ خراسان، وحكي أن أبا زيد لما دخل على أحمد بن سهل، أول دخوله عليه، سأله عن اسمه، فقال أبو زيد، فعجب أحمد بن سهل من ذلك، حين سأله عن اسمه فأجاب عن كنيته، وعد ذلك من سقطاته، فلما خرج ترك خاتمه في مجلسه عنده، فأبصره أحمد بن سهل، فازداد تعجباً من غفلته، فأخذه بيده ونظر في نقش فصه، فإذا عليه أحمد بن سهل، فعلم حينئذ أنه إنما أجاب عن كنيته للموافقة الواقعة بين اسمه واسمه، وأنه أخذ بحسن الأدب، وراعى حد الاحتشام، واختار وصمة التزام الخط في الوقت والحال، على أن يتعاطى اسم الأمير بالاستعمال والابتدال. وحكي أن أبا زيد في حديثه، وحال فقره وخلته كان التمس من أبي علي المنيري حنطة، فأمره بحمل جراب إليه ففعل، فلم يعطه حنطة، وحبس الجراب، ومضى على هذا أعوام كثيرة، وخرج شهيد بن الحسين إلى محتاج بن أحمد بالصعانيان، وكتب إلى أبي زيد كتباً لم يجبه أبو زيد عنها، فكتب إليه شهيد بهذين البيتين، يعيره بحديث الجراب:

أمني النفس منك جواب كتبي

وأقطعها لتسكن وهي تاني

إذا ما قلت سوف يجيب قالت

إذا رد المنيري الجرابا

قال: وقرأت بخط أبي الحسن الحديثي، على ظهر كتاب كمال الدين لأبي زيد، قال أبو بكر الفقيه: ما صنف في الإسلام كتاب أنفع للمسلمين من كتاب البحث عن التأويلات، صنفه أبو زيد البلخي، وهذا الكتاب يعني كتاب كمال الدين.

وكان لأبي زيد حافد يقال له علي بن محمد بن أبي زيد، قال: ولأبي زيد نحو من سبعين تأليفاً، قال: ولقي أحمد بن سهل الأمير أبا زيد في طريق، وقد أجهده السير، فقال له: عيبت أيها الشيخ، فقال أبو زيد: نعم أعيبت أيها الأمير، فبهاه أنه لحن في قوله "عيبت" إذ العي في الكلام، والإعياء في المشي، وأنشد أبو زيد:

ومالي سوى الأحزان والهم من ضيف

فلم يبق إلا رؤية الطيف للطيف

لكل امرئ ضيف يسر بقربه

تئات بنا دار الحبيب اقترابها

وقال أبو زيد: كان ببلخ مجنون من عقلاء المجانين وكان يعرف بأبي إبراهيم إسحاق بن إسحاق البغدادي، "من عقلاء المجانين" دخل إلي وكنت ألاعب الأهوازي بالشطرنج، فقال أبو زيد والأهوازي لك فتحيرت في هذا الكلام، فقال لي احسب فحسبت بحروف الجمل، فكان ستون، قال فصل بين كنيته الأهوازي، قال فوصلت، فإذا أبو زيد ثلاثون، والأهوازي ثلاثون، فقضيت عجباً من اختراعه في تلك الوهلة هذا الحساب. وأما خبر وفاته، فقال صاحب الكتاب المذكور: ذكر أبو زيد الدمشقي قال: دخلت على أبي زيد - رحمه الله - يوم الجمعة ضحوة لعشر بفين من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة فوجدته ثقيلاً من علته، فسلمت سلاماً ضعيفاً، ثم قال: يا أبا بكر قد انقطع السبب، وما هو إلا فراق الإخوان، ودمعت عينه، وبكيت أنا، وقلت: أرجو أن يشفع الله الشيخ فينا وفي عترتنا بعافيته، فقال: أيها: وقرأ هذه الآية: (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) ثم قال: لا تعب عني وكن بالقرب.

فلما كان عند العتمة قال: انصرفوا حتى أدعوكم، وقال لابنه الحسين إذا طلع القمر ونزل في الدار فأعلمني، فلما طلع القمر أعلمه، فصاح بهم فجاءوا، وقال أطلع القمر؟ فقالوا: نعم، قال: اجمعوا كل من في المنزل، فاجتمعوا عليه، فسأل كل واحد منهم عن حاله، وعن كسوته، وعن آلة الشتاء، ثم قال: بقي شيء لم أصلحه لكم. قالوا: لا: فاستحلفهم ثم قال: عليكم السلام، هذا آخر اجتماعي معكم، ثم جعل ينشهد ويستغفر، ثم قال: قوموا فقد جاء نوبة غيركم، فخرجوا من باب الطارمة، وهم يسمعون تشهده، ثم سكت فرجعوا وقد قضى نحبهم، رحمه الله، هذا العقل والتمييز صار كما قال أبو تمام:

ثم انقضت تلك السنون وأهلها
فكانها وكأنهم أحلام

قال المؤلف: هذا آخر ما كتبتّه عن كتاب أبي سهل أحمد بن عبيد الله من أخبار أبي زيد، وما أرى أن أحداً جاء من خبر أبي زيد بأحسن مما جاء به، أثابه الله على اهتمامه الجنة، وسأكتب أخبار أبي القاسم، عبد الله بن أحمد الكعبي البلخي عنه في موضعه، ولم أخل من أخبار أبي زيد التي ذكرها بشيء مما يتعلق به، إنما تركت أشياء من فوائده تتعلق بكتب المجاميع.

وقال المرزباني: أحمد بن سهل البلخي محدث معتمدي وهو القائل يرثي الحسن بن الحسين العلوي، وقد توفي ببلخ:

إن المنية رامتنا بأسهمها	فأوقعت سهمها المسموم بالحسن
أبو محمد الأعلى فغادره	تحت الصفيح مع الأموات في قرن
يا قبر إن الذي ضمنت جثته	من عصابة سادة ليسوا ذوي أفن
محمد وعلي ثم زوجته	ثم الحسين ابنه والمرضى الحسن
صلى الإله عليهم والملائكة الـ	مقربون طوال الدهر والزمن

قال المؤلف: هكذا قال المرزباني، ولا أدري أيريد صاحبنا هذا أو غيره؟ فإنه لم يذكره بأكثر مما كتبناه. وقرأت في كتاب البلدان لأبي عبد الله البشاري، أن صاحب خراسان استدعاه إلى بخاري، ليستعين به على سلطانه، فلما بلغ جيحون ورأى تعظمط أمواجه وجزية مائه وسعة قطره كتب إليه: إن كنت استدعيتني لما بلغك من صائب رأيي فإني إن عبرت هذا النهر فلست بذئ رأيي ورأيي يمنعي من عبوره: فلما قرأ كتابه عجب منه وأمره بالرجوع إلى بلخ.

أحمد بن الصنديد العراقي

يكنى أبا مالك، كان من أهل الأدب والشعر، روى شعر المعري عنه، وله فيه شرح، وله مع الحصري مناقضات دخل الأندلس، وكان عند بني طاهر، ومدح الرساء والأكابر.

أحمد بن أبي طاهر أبو الفضل

واسم طاهر طيفور، مروزي الأصل، أحد البلغاء الشعراء الرواة، من أهل الفهم المذكورين بالعلم، وهو صاحب كتاب تاريخ بغداد، في أخبار الخلفاء والأمراء وأيامهم، مات سنة ثمانين ومائتين ودفن بباب الشام ببغداد، ومولده سنة أربع ومائتين مدخل المأمون ببغداد من خراسان، ذكر ذلك ابنه عبيد الله، فيما ذيله على تاريخ والده، وحكاه عنه، قال: وروى عن عمر بن شبة، روى عنه ابنه عبيد الله، ومحمد بن خلف بن المرزبان، وحدث جعفر بن أحمد صاحب كتاب الباهر: كان أحمد بن أبي طاهر مؤدب كتاب عامياً، ثم تخصص وجلس في سوق الوراقين، في الجانب الشرقي، قال: ولم أر ممن شهر بمثل ما شهر به من التصنيف للشعر، وقول الشعر أكثر تصحيحاً منه ولا أبلد علماً، ولا ألحن، ولقد أنشدني شعراً، يعرضه علي في إسحاق بن

أيوب، لحن في بضعة عشر موضعاً منه، وكان أسرق الناس لنصف بيت وثلاث بيت، قال: وكذا قال لي البحتري فيه، وكان مع هذا جميل الأخلاق، ظريف المعاشرة، حلواً من بين الكهول.

وحدث أبو دهقان قال: كنت أنزل في جوار المعلى ابن أيوب، صاحب العرض والجيش في أيام المأمون، وكان أحمد بن أبي طاهر ينزل عنده، فأضقنا إضاقاً شديدة، وتعذرت علينا وجوه احليلة، فقلت لابن أبي طاهر: هل لك في شيء لا بأس به؟ تدعني حتى أسجيك وأمضي إلى منزل المعلى بن أيوب، فأعلمه أن صديقاً لي قد توفي فأخذ منه ثمن كفن فننقه، فقال نعم: وجئت إلى وكيل المعلى فعرفته خبرنا، فصار معي إلى منزلي، فتأمل ابن أبي طاهر، ثم نقر أنفه فضرط، فقال لي ما هذا؟ فقلت هذه بقية من روحه كرهت نكهته فخرجت مناسته، فضحك، وعرف المعلى خبرنا، فأمر لنا بجملة دنانير، والمعلى هذا هو الذي يقول فيه دعبل، وقيل أبو علي البصير:

لعمر أبيك ما نسب المعلى
ولكن البلاد إذا اقتشعرت
إلى كرم وفي الدنيا كريم
وصوح نبتهارعي الهشيم

وحدث الجهمياري في كتاب الوزراء قال: مدح أحمد ابن أبي طاهر الحسن بن مخلد، وزير المعتمد، فأمر له بمائة دينار، وقال: إيت رجاء الخادم فخذها منه، فلقي أحمد رجاء فقال له: لم يأمرنى بشيء، فكتب إلى الحسن:

أما رجاء فأرجا ما أمرت به
بادر بجودك مهما كنت مقتدر
كيف إن كنت لم تأمره يأتمر؟
فليس في كل حال أنت مقتدر

فأمر بأضعافها له. وذكره محمد بن إسحاق النديم، وقال: له من الكتب كتاب المنثور والمنظوم، أربعة عشر جزءاً، والذي بيد الناس ثلاثة عشر جزءاً، كتاب سرقات الشعراء، كتاب بغداد، كتاب الجواهر، كتاب المؤلفين، كتاب الهدايا، كتاب المشتق، كتاب المختلف من المؤلف، كتاب أسماء الشعراء الأوائل، كتاب الموشى، كتاب ألقاب الشعراء، ومن عرف بالكنى ومن عرف بالاسم، كتاب المعروفين من الأنبياء، كتاب المعتذرين، كتاب اعتذار وهب من ضرطته، كتاب من أنشد شعراً وأجيب بكلام، كتاب الحجاب، كتاب مراثية هرمز بن كسرى بن أبي شروان، كتاب خبر الملك العالي في تدبير المملكة والسياسة، كتاب المصلح والوزير المعين، كتاب الملك البابلي والملك المصري الباغيين، والملك الحكيم الرومي، كتاب المزاح والمعاتبات، كتاب مفاخرة الورد والنرجس، كتاب مقاتل الفرسان، كتاب مقاتل الشعراء، كتاب الخيل، كبير، كتاب الطرد، كتاب سرقات البحتري من أبي تمام، كتاب جمهرة بني هاشم، كتاب رسالة إلى إبراهيم بن المدبر، كتاب الرسالة، في النهي عن الشهوات، كتاب الرسالة إلى علي بن يحيى، كتاب الجامع، في الشعراء وأخبارهم، كتاب فضل العرب على العجم، كتاب لسان العيون، كتاب أخبار المتظرفات، كتاب اختيار أشعار الشعراء كتاب اختيار شعر بكر ابن النطاح، كتاب المؤنس، كتاب الغلة والغليل، كتاب اختيار شعر العتابي، كتاب اختيار شعر منصور النمرى، كتاب اختيار شعر أبي العتاهية، كتاب أخبار بشار واختيار شعره، كتاب أخبار مروان وآل مروان واختيار أشعارهم كتاب أخبار ابن ميادة كتاب أخبار ابن هرمة ومختار شعره. كتاب أخبار ابن الدمينية. كتاب أخبار وشعر عبد الله بن قيس الرقيات. وأنشد له ابنه عبيد الله في كتابه:

وما الشعر إلا السيف ينبو وحده
ولو كان بالإحسان يرزق شاعر
حسام ويمضي وهو ليس بذى حد
لأجدى الذي يكدى وأكدى الذي يجدى

ومن قوله أيضاً:

قد كنت أصدق في وعدي فصيرني
يا ذاكرأ حلت عن عهدي وعهدكم
كذابة ليس ذا في جملة الأدب
فنصرة الصدق أفضت بي إلى الكذب

حدث المرزباني في كتاب المقتبس، عن عبد الله ابن محمد الحلبي، قال: أنشدني أحمد بن أبي طاهر لنفسه في أبي العباس المبرد:

كملت في المبرد الآداب
غير أن الفتى كما زعم النا
واستقلت في عقله الألباب
س دعي مصحف كذاب

وحدث عن الصولي، عن أبي علي بن عنيويه الكاتب، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: خرجت من منزل أبي الصقر، نصف النهار في تموز، فقلت ليس بقربي منزل أقرب من منزل المبرد، إذ كنت لا أقدر أصل إلى منزلي بباب الشام، فجئته، فأدخلني إلى حويشة له، وجاء بمائدة، فأكلت معه لونين طيبين، وسقاني ماء بارداً، وقال لي: أحدثك إلى أن تنام، فجعل يحدثني أحسن حديث، فحضرني لشؤمي وقلة شكري بيتان، فقلت: قد حضرني بيتان أنشدتهما؟ فقال: ذاك إليك، وهو يظن أنني قد مدحته، فأنشدته:

ويوم كحر الشوق في صدر عاشق
على أنه منه أحر وأومد

ظللت به عند المبرد قائلاً فما زلت في ألفاظه أتبرد

فقال لي: قد كان يسعك إذا لم تحمد ألا تدم، ومالك عندي جزاء إلا أن أخرجك، والله لا جلست عندي بعد هذا، فأخرجني، فمضيت إلى منزلي بباب الشام، فمرضت من الحر الذي نالني مدة، فعدت باللوم على نفسي. قال الخالدي حدثنا جحظة عن أحمد بن أبي طاهر قال: قصدت سر من رأى، زائراً بعض كتابها بشعر مدحته به، فقبلني وأحسن إلي، وأجزل صلتني، ووهب لي غلاماً رومياً، حسن الوجه، ورحلت أريد بغداد سائراً على الظهر، ولم أركب الماء، فلما سرت نحو الفرسخ أخذتنا السماء بأمر عظيم من القطر، ونحن بالقرب من دير السوسن، فقلت للغلام: اعدل بنا يا بني إلى هذا الدير، نقيم فيه إلى أن يخف هذا المطر، ففعل وازداد القطر واشتد، وجاء الليل، فقال الراهب: أنت العشيّة ههنا، وعندني شراب جيد، فتببت ونقصف، ويسكن المطر، وتجف الطريق وتبكر، فقلت: أفعل فأخرج إلي شراباً ما رأيت قط أصفي منه، ولا أعطر فقلت: هات مدامك، وأمرت بحط الرجل، وبث والغلام يسقيني، والراهب نديمي، حتى مت سكرأ، فلما أصبحت رحلت، وقلت:

سقى سر من را وسكانها	وديراً لسوسنها الراهب
سحاب تدفق عن رعه ال	صفوق وبارقه الواصب
فقد بت في ديره ليلة	وبدر على غصن صاحبي
غزال سقاني الصبا	ح صفراء كالذهب الذائب
على الورد من حمرة الوجنت	ين وفي الآس من خضرة الشارب
سقاني المدامة مستيقظاً	ونمت ونام إلى جانبي
فكانت هناة لك الويل من	جناها الذي خطه كاتبي
فيا رب تب واعف عن مذنب	مقر بزلته تائب

أحمد بن الطبيب السرخسي

يعرف بابن الفرائقي أحد العلماء الفهماء المحصلين، الفصحاء البلغاء المتقنين، له في علم الأثر الباع الواسع، وفي علوم الحكماء الذهن الثاقب الوقاد، وبسطة الذراع، وهو تلميذ الكندي وله في كل فن تصانيف، ومجاميع وتوالييف، وكان أحد ندماء أبي العباس المعتضد بالله، والمختصين به، فأنكر منه بعض شأنه، فأذاقه حمامه صبراً، وجعله نكالا، ولم يرع له ذمة ولا إلا.

وقال في تاريخ دمشق: ذكره أبو الحسن محمد بن أحمد بن القواس، قال: ولي أحمد بن الطبيب الحسبة يوم الاثنين، والمواريث يوم الثلاثاء، وسوق الرقيق يوم الأربعاء، لسبع خلون من رجب سنة اثنتين وثمانين ومائتين وفي يوم الاثنين لخمس خلون من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين غضب المعتضد على أحمد بن الطبيب، وفي يوم الخميس لثلاث بقين من جمادى الأولى ضرب ابن الطبيب مائة سوط، وحول إلى المطبخ، وفي صفر سنة ست وثمانين ومائتين مات ابن الطبيب السرخسي.

حدث أبو القاسم، عن عبد الله بن عمر الحاربي، قال حدثني أبي قال: حدثني أبو محمد عبد الله بن حمدون، نديم المعتضد، قال: كان المعتضد في بعض متصدياته مجتازاً بعسكره وأنا معه، فصاح ناطور في قثاء فاستدعاه وسأله عن سبب صياحه، فقال: أخذ بعض الجيش شيئاً فقال: اطلبوهم فجاءوا بثلاثة أنفس، فقال: هؤلاء الذين أخذوا القثاء؟ فقال الناطور: نعم، فقيدهم في الحال، وأمر بحبسهم، فلما كان من الغد أنفذهم إلى القراح وضرب أعناقهم فيه، وسار، وأنكر الناس ذلك وتحذوا به، ونحبت قلوبهم منه، ومضت على ذلك مدة طويلة، فجلست أحادثه ليلة، فقال لي: يا عبد الله، هل يعتب الناس علي شيئاً؟ عرفني حتى أزيله، فقلت: كلا يا أمير المؤمنين، فقال: أقسمت عليك بحياتي إلا صدقتني، قلت: يا أمير المؤمنين وأنا آمن؟ قال: نعم، قلت: إسراعك إلى سفك الدماء، فقال: والله ما هرقت دماً قط منذ وليت هذا الأمر إلا بحقه، قال: فأمسكت إمساك من ينكر عليه الكلام، فقال: بحياتي لما قلت، فقلت: يقولون إنك قتلت أحمد بن الطبيب، وكان خادمك، ولم تكن له جناية ظاهرة، فقال: ويحك، إنه دعاني إلى الإلحاد، فقلت له: يا هذا، أنا ابن عم صاحب هذه الشريعة، وأنا الآن منتصب منصبه، فألحد حتى أكون من؟ وكان قال لي: إن الخلفاء لا تغضب، وإذا غضبت لم ترض، فلم يصلح إطلاقه، فسكت سكوت من يريد الكلام، فقال: في وجهك كلام، فقلت: الناس ينقمون عليك أمر الثلاثة الأنفس الذين قتلتهم في قراح القثاء، فقال: والله ما كان أولئك المقتولون هم الذين أخذوا القثاء وإنما كانوا لصوصاً، حملوا من موضع كذا وكذا، ووافق ذلك أمر أصحاب القثاء، فأردت أن أهول على الجيش، بأن من عاث منهم في عسكري وأفسدوا في هذا القدر، كانت هذه عقوبتي له، ليكفوا عما فوقه، ولو أردت قتلهم لقتلتهم في الحال والوقت، وإنما حبستهم، وأمرت بإخراج اللصوص من غد مغطيين الوجوه، ليقال إنهم أصحاب القثاء، فقلت: فكيف تعلم العامة؟ قال:

بإخراجي القوم الذين أخذوا القتاء أحياء، وإطلاقي لهم في هذه الساعة، ثم قال: هاتوا القوم، فجاءوا بهم، وقد تغيرت حالهم، فقال لهم: ما قصتكم؟ فاقصوا عليه قصة القتاء، فاستتابهم عن فعل مثل ذلك وأطلقهم، فانتشرت الحكاية فزالت التهمة.

أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم

ابن سعيد بن أبي زرعة الزهري مولا هم، يكنى أبا بكر البرقي، وقد ذكرنا فيما بعد برقياً آخر، اسمه أحمد بن محمد، وهو أيضاً من برقة قم، وقد اشتد علي أمره وأمر هذا، فنقلت كما وجدت، ولا شك أنهما من بيت واحد، والله أعلم. وكانوا ثلاثة إخوة كلهم من أهل العلم، أبو بكر أحمد، وأبو عبد الله محمد، وأبو سعيد عبد الرحيم، يروي ثلاثتهم المغازي عن عبد الملك بن هشام، وفي كتاب أصبهان لحمزة، في الفصل الذي ذكر فيه أهل الأدب واللغة قال: أحمد بن عبد الله البرقي كان من رستاق برق رود، وهو أحد الرواة للغة والشعر، واستوطن قم، فخرج ابن أخيه أبو عبد الله البرقي هناك، ثم قدم أبو عبد الله أصبهان فاستوطنها.

قرأت في كتاب جمهرة النسب قال ابن حبيب: أخبرني أبو عبد الله البرقي - وكان أعلم أهل قم بنسب الأشعريين - أن ابن الكلبي قال: في ثلاثة أحياء من الأشعريين لسن وإنما هو أسن وقال مراطة، وإنما هو إمراطة، وقال زكاز وإنما هو ركاز.

أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة

أبو جعفر الكاتب، ولد ببغداد، ومات بمصر وهو على قضائها، سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وقد روى عن أبيه تصانيفه كلها، حدث عنه أبو الفتح المراغي النحوي، وعبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، وغيرهما، وقال أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن خرزاذ النجيري إن أبا جعفر بن قتيبة حدث بكتب أبيه كلها بمصر حفظاً، ولم يكن معه كتاب، وأحسب ذكر ذلك عن أبي الحسين المهلي.

وحدث أبو سعيد بن يونس قال: قدم أحمد بن عبد الله ابن مسلم بن قتيبة مصر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وتولى بها القضاء وتوفي بها وهو على القضاء سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

أحمد بن محمد بن عبد الله المعدي

من ولد معبد بن العباس، بن عبد المطلب بن هاشم، أحد من اشتهر بالنحو وعلم العربية من الكوفيين وجه من وجوه أصحاب ثعلب الكبار، ذكره الزبيدي، وقد تقدم ذكر آخر يقال له أحمد بن سليمان، لا أدري أهو هذا ونسب إلى جد له أعلى يقال له سليمان أم هو غيره؟ قرأت بخط ابن أبي نواس قال أبو عمر بن حيويه، قال لي أبو عمر: مات المعدي ليلة الأربعاء لثمان بقين من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

أحمد بن عبد الله بن أحمد الفرغاني

أبو منصور بن أبي محمد عبد الله، بن أحمد بن خزيان بن حامس الفرغاني كان أبوه صاحب محمد بن جرير الطبري، صاحب التفسير والتاريخ، وقد كتبنا خبره فيما بعد في بابه، مات أحمد هذا في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، ومولده لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وكانت وفاته كما أخبرني المصريون بها في سنة اثنتي عشرة وستمائة عند كوني بها.

روى أبو منصور عن أبيه تصانيف أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري، وصنف أبو منصور أيضاً عدة تصانيف، منها كتاب التاريخ، وصل به تاريخ والده، وكتاب سيرة العزيز سلطان مصر، المنتسب إلى العلويين، وكتاب سيرة كافر الإخشيدي، وبمصر كان مقامه.

أحمد بن عبد الله بن بدر القرطبي

النحوي، أبو مروان الحكم المستنصر، روى عن أبي عمر بن أبي الحباب، وأبي بكر بن هذيل، وكان نحوياً لغوياً، شاعراً عروضياً، مات سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، حدث عنه أبو مروان الطبيبي، وذكر خبره ووفاته، قاله ابن بشكوال.

أحمد بن عبد الله بن سليمان

أبو العلاء المعري، هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان، بن داود بن المطهر، بن زياد بن ربيعة، بن الحارث ابن ربيعة، بن أرقم بن أنور، بن أسحم بن النعمان، ويقال له الساطع الجمال، بن عدي بن عبد غطفان، بن عمرو بن يريح، بن خزيمة بن تميم الله، بن أسد بن وبرة ابن تغلب بن حلوان، بن عمران بن الحاف، بن قضاعة، وتيم الله مجتمع تنوخ من أهل محلة النعمان، من بلاد الشام، كان غزير الفضل، شائع الذكر، وافر العلم، غاية الفهم، عالماً باللغة حاذقاً بالنحو، جيد الشعر، جزل الكلام، شهرته تغني عن صفته، وفصله ينطق بسجيته، ولد بمعرة النعمان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة واعتل بالجذري، التي ذهب فيها بصره سنة سبع وستين وثلاثمائة، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، ورحل إلى بغداد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، أقام ببغداد سنة وسبعة أشهر، ثم رجع إلى بلده، فأقام ولزم منزله إلى أن مات، يوم الجمعة الثاني من شهر ربيع الأول، سنة تسع وأربعين وأربعمائة في أيام القائم، وكان في آباءه وأعمامه، ومن تقدمه من أهله وتأخر عنه، من ولد أبيه ونسله فضل، وقضاة وشعراء، أنا ذاكر منهم من حضرني، لتعرف نسبه في العلم، كما عرفت ما أعطيه من الفهم.

كان سليمان بن أحمد بن سليمان جده، قاضي المعرة، ولي القضاء بحمص، وبها مات سنة تسعين ومائتين، ثم ولي القضاء بعده بها ولده أبو بكر محمد، عم أبي العلاء وفيه يقول الصنوبري الشاعر:

بأبي يا بن سليمان	سدت تنوخا
وهم السادة شبا	نأ لعمري وشيوخا
أدرك البغية من أض	حي بناديك منيخا
وارداً عندك نيلاً	وفراتاً وبليخا
واجداً منك متى است	صرخ للمجد صريخا
في زمان غادر اله	مات في الناس مسوخا

ثم بعده أخوه، أبو محمد عبد الله، والد أبي العلاء ولعبد الله شعر في مراثية والده:

إن كان أصبح من أهواه مطرحاً	بباب حمص فما حزني بمطرح
لو بان أيسر ما أخفيه من جزع	لمات أكثر أعدائي من الفرح

وتوفي عبد الله بحمص سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ومنهم أبو المجد، محمد بن عبد الله أخو أبي العلاء، وكان أسن من أبي العلاء، وله أيضاً شعر، منه في الزهد:

كرم المهيم منتهى أمني	لا نيتي أجر ولا عملي
يا مفضلاً جلّت فواضله	عن بغيتي حتى انقضى أجلي
كم قد أفضت علي من نعم	كم قد سترت علي من زلل
إن لم يكن لي ما ألوذ به	يوم الحساب فإن عفوك لي

ومنهم عبد الواحد، أبو الهيثم أخو أبي العلاء القائل في الشمعة:

وذات لون كلوني في تغييره	وأدمع كدموعي في تحدرها
سهرت ليلي وباتت لي مسهرة	كأن ناظرها في قلب مسهرها

وله أيضاً:

قالوا تراه سلا لأن جفونه	ضنت عشية بيننا بدموعها
ومن العجائب أن يفيض مدامع	نار الغرام تشب في ينبوعها

هؤلاء من حضرني، ممن كان قبل أبي العلاء وفي زمانه، وقد تأخر عن زمانه من أهله من كان عالماً فاضلاً، وأنا ذاكرهم ههنا ليجيئوا على نسق واحد، فمنهم القاضي أبو المجد، محمد بن عبيد الله، وأبو المجد الثاني هو أخو أبي العلاء، وذكره العماد في الخريدة، فقال: ذكر لي ابنه القاضي أبو اليسر الكاتب، أنه كان فاضلاً أديباً، فقيهاً على مذهب الشافعي، أريباً مفتياً خطيباً، أدرك عم أبيه أبا العلاء، وروى عنه مصنفاته وأشعاره، وولي القضاء بالمعرة إلى أن دخلها الفرنج - خذلهم الله - في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، فانتقل إلى شيراز وأقام بها مدة، ثم انتقل إلى حماة فأقام بها إلى أن مات، في محرم سنة ثلاث وعشرين وخمسائة، ومولده سنة أربعين وأربعمائة وله ديوان ورسائل، ومن شعره:

رايتك في نومي كأنك معرض	ملالا فداويت الملالة بالترك
وأصبحت أبغي شاهداً فعدمته	فعدت فغلبت اليقين على الشك

وعهدي بصحف الود تنشر بيننا
لئن كانت الأيام أبلى جديدها
فما أنا إلا السيف أخلق جفنه
قال: وأنشدني بعض أهل المعرة:

جس الطبيب يدي جهلاً فقلت له
فقال لي ما الذي تشكو؟ فقلت له
فقام يعجب من قولي وقال لهم

قال: وأنشدني مؤيد الدولة، أسامة بن منقذ قال: أنشدني القاضي أبو المجد المعري لنفسه:

وقائلة رأت شيباً علاني
فقلت فهل ترين سوى هشيم

قال الأمير أسامة: ولما فارق أهله بالمعرة وبقي منفرداً، وكان له غلام اسمه شعياً قال:

زمان غاض أهل الفضل فيه
أسارى بين أتراك وروم

قال: وقد سبقه إلى هذا المعنى الوزير المغربي، فإنه لما تغيرت عليه الوزارة وتغرب، كان معه غلام اسمه داهر فقال:

كفى حزناً أني مقيم ببلدة

يحدثني مما يجمع عقله

قال الأمير أسامة: لما بليت بفرقة الأهل، كتبت إلى أخي، أستطرد بغلامي أبي المجد، والوزير المغربي، اللذين ذكراهما في شعريهما:

أصبحت بعدك يا شقيق النفس في

متفرداً بالهم من لي ساعة

الحديث شجون، يذكر الشيء بما يتصل به، وأشعار أبي المجد المعري كثيرة، منها:

قد أوسع الله البلاد وللفتى

فخل الهوينا إنها شر مركب

فإن نلت ما تهوى فذاك وإن تمت

بحر من الهم المبرح زاخر

برفاق شعياً أو علالة داهر

إلى بعضها عن بعضها مترحرح

ودونك صعب الأمر فالصعب أنجح

فللموت خير للكريم وأروح

ومنهم أبو اليسر، شاكر بن عبد الله، بن محمد، بن أبي المجد، بن عبد الله، بن سليمان، قال العماد: كان كاتب الإنشاء لنور الدين محمود بن زنكي قبلي، فلما استعفى وقعد في بيته، توليت الإنشاء بعده، ومولده بشير في جمادى الآخرة، سنة ست وتسعين وأربعمائة، وكان قد تولى ديوان الإنشاء سنين كثيرة، قال: وأنشدني لنفسه:

وردت بجهلي مورد الصب فارتوت

ولم تك إلا نظرة بعد نظرة

فحلت بقلبي من تثنيه لوعة

وله أيضاً:

سارقه نظرة أطل بها

يا جور حكم الهوى ويا عجا

وله:

يا له عارضاً إذا دب في الخد

قعد القلب منهما في بلاء

وله:

غريت بهم نوب الليالي فاغثوا

حتى كأنهم طريف بضائع

وله أيضاً:

فإن طويت فاجعل ختامك بالمسك
جديدي وردت من رحيب إلى ضنك
وليس بمأمون الفرند على الفتك

إليك عني فإن اليوم بحراني

إني هويت بجهلي بعض نجيراني

إنسان سوء فداووه بإنسان

عهدتك في قميص صباً بديع

إذا جاوزت أيام الربيع

فسقياً للحمام به ورعياً

وفقد أحبة وفراق شعياً

يعللني بعد الأحبة داهر

أحاديث منها مستقيم وجائر

أستطرد بغلامي أبي المجد، والوزير المغربي، اللذين ذكراهما في شعريهما:

بحر من الهم المبرح زاخر

برفاق شعياً أو علالة داهر

إلى بعضها عن بعضها مترحرح

ودونك صعب الأمر فالصعب أنجح

فللموت خير للكريم وأروح

عروقي من محض الهوى وعظامي

على غرة منها ووضع لثام

تفرت بها حتى الممات عظامي

عذاب قلبي وما له ذنب

تسرق عيني ويقطع القلب

دبيباً من تحت عقرب صدغ

وعذاب ما بين قرص ولدغ

ما يستقر لهم بأرض دار

وكان أحداث الزمان تجار

تعمم رأسي بالمشيب فساءني
وقد أبصرت عيني خطوباً كثيرة
ومنهم القاضي أبو مسلم، وادع بن عبد الله، بن محمد، ابن عبد الله، بن سليمان، كان أبو العلاء عم أبيه، تولى القضاء بمعرة النعمان وكفر طاب وحماة، وكان مشهوراً بالكرم، ومولده سنة إحدى وثلاثين وأربعمئة، وله رسائل حسنة، وشعر بديع منه:
وقائلة ما بال جفئك أرمدا
لئن سرقت عيناه من لون خده
ومن شعره أيضاً:

ولما تلاقينا وهذا بناره
تقلدت الدر الذي فاض جفنها
ومنهم أبو عدي النعمان بن مسلم، وادع من أهل العلم والفضل، وهو القائل:
يأيها الملاك لا تبرحوا الأم
فالعالم قد صحت ولكنها
ومات أبو عدي بعد سنة خمسين وخمسائة. ومنهم أبو مرشد سليمان بن علي، بن محمد بن عبد الله، بن سليمان، ولي القضاء بمعرة النعمان، وانتقل إلى شيزر بعد أخذ الفرنج المعرة، وتوفي بها، وله رسائل وشعر، منه قصيدة التزم في كل كلمة منها حرف النون، أولها:

نزه لسانك عن نفاق منافق
وتجنب المن المنكد للندى
ومنهم أبو سهل، عبد الرحمن بن مدرك، بن علي بن محمد بن سليمان، مولده ومنتشؤه بشيزر وحماة، وتوفي في الزلزلة التي كانت بحماة سنة اثنتين وخمسين وخمسائة وكان شاعراً مطبوع الشعر، ومنه:
جرحت بلحظي خد الحبي
ولكن اقتص من مهجتي
ومن شعره أيضاً:

ولما سألت القلب صبراً عن الهوى
تيقنت منه أنه غير صابر
فإن قال لا أسلوه قلت صدقتني
هذه كلمة أعجمية معناها كذب، ومنهم أخوه أبو المعالي صاعد بن مدرك، بن علي، بن محمد، بن عبد الله، ابن سليمان، مولده ومنتشؤه شيزر وحماة، ومات بمعرة النعمان، ومن شعره:

أيأيها الوادي المبيني هل لنا
أبتك ما بي من غرام ولوعة
عسى أن ترقى حين ملكت رقه
بوصل يروي غلة الوجد والأسى
وغير هؤلاء حذف أسماءهم اختصاراً، وإنما قصدت الإخبار عن إعراق أبي العلاء في بيت العلم. ونقلت من بعض الكتب، أن أبا العلاء لما ورد إلى بغداد، قصد أبا الحسن علي بن عيسى الربيعي، ليقرأ عليه، فلما دخل إليه، قال علي بن عيسى: ليسعد الإسطبل، فخرج مغضباً ولم يعد إليه، والإسطبل في لغة أهل الشام الأعشى، ولعلها معربة.

ودخل على المرتضى أبي القاسم، فعثر برجل، فقال من هذا الكلب؟ فقال المعري: الكلب من لا يعرف للكلب سعين اسماً، وسمعه المرتضى فاستدناه، واختبره فوجده عالماً مشبعاً بالفطنة والذكاء، فأقبل عليه إقبلاً كثيراً.

وكان أبو العلاء يتعصب للمتنبئ، ويزعم أنه أشعر المحدثين، ويفضله على بشار ومن بعده، مثل أبي نواس، وأبي تمام، وكان المرتضى يبغض المتنبئ، ويتعصب عليه، فجرى يوماً بحضرته ذكر المتنبئ، فتنقصه المرتضى، وجعل يتبع عيوبه، فقال المعري: لو لم يكن للمتنبئ من الشعر إلا قوله:

لك يا منازل في القلوب منازل

لكفاه فضلاً، فغضب المرتضى وأمر فسحب برجله، وأخرج من مجلسه، وقال لمن بحضرته: أتدرون أي شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة؟ فإن للمتنبئ ما هو أجود منها لم يذكرها، فقيل: النقيب السيد أعرف، فقال أراد قوله في هذه القصيدة:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

ولما رجع إلى المعرة لزم بيته: فلم يخرج منه، وسمى نفسه رهين المحبسين، يعني حبس نفسه في المنزل، وترك الخروج منه. وحبسه عن النظر إلى الدنيا بالعمى: وكان متهماً في دينه، يرى رأي البراهمة، لا يرى إفساد الصورة، ولا يأكل لحماً، ولا يؤمن بالرسول، والبعث والنشور، وعاش شيئاً وثمانين سنة، لم يأكل اللحم منها خمسا وأربعين سنة، وحدث أنه مرض مرة، فوصف الطبيب له الفروج، فلما جئ به لمسه بيده وقال: استضعفوك فوصفوك، هلا وصفوا شبل الأسد: وقد أوردنا من شعره ما يستدل به على سوء معتقده، ويخبرك بنحلته ومستنده. وحدث غرس النعمة أبو الحسن الصابي، أنه بقي خمسا وأربعين سنة لا يأكل اللحم ولا البيض، ويحرم إيلاام الحيوان، ويقتصر على ما تنبت الأرض، ويلبس حشن الثياب، ويظهر دوام الصوم، قال: ولقيه رجل فقال له: لم لا تأكل اللحم؟ قال: أرحم الحيوان، قال: فما تقول في السباع التي لا طعام لها إلا لحوم الحيوان؟ فإن كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه، وإن كانت الطباع المحدثه لذلك فما أنت بأحذق منها ولا أتقن عملاً، فسكت، قال ابن الجوزي: وقد كان يمكنه أن لا يذبح رحمة، وأما ما قد ذبحه غيره فأى رحمة بقيت؟ قال: وقد حدثنا عن أبي زكريا أنه قال: قال لي المعري: ما الذي تعتقد؟ فقلت في نفسي: اليوم أقف على اعتقاده، فقلت له: ما أنا إلا شك، فقال: وهكذا شيخك. قال القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني: قال لي المعري: لم أهج أحداً قط، فقلت له: صدقت. إلا الأنبياء عليهم السلام، فتغير وجهه.

وحدث أبو زكرياء قال: لما مات أبو العلاء أنشد على قبره أربعة وثمانون شاعراً مرثي، من جملتها أبيات لعل بن الهمام من قصيدة طويلة:

إن كنت لم ترق الدماء زهادة
سیرت ذكراً في البلاد كأنه
وترى الحجيج إذا أرادوا ليلة
كأنه يقول: إن ذكراك طيب، والطيب لا يحل للمحرم، فيجب عليه فدية، ومن شعره في الزهد:
ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة
يحطمننا صرف الزمان كأننا
ومن شعره في الزهد:

فما التشرف بدنيا هو الشرف
فكنا عن مغانيها سينصرف
فيا أم دفر لحاك الله والددة
لو أنك العرس أوقعت الطلاق بها
فما التشرف بالدنيا هو الشرف
فكنا عن مغانيها سينصرف
فيا أم دفر لحاك الله والددة
لو أنك العرس أوقعت الطلاق بها

وحدث أبو الكرم، خميس بن علي الجوزي النحوي، حدثنا القاضي أبو يوسف القزويني قال: قال لي ملحد المعرة: ما سمعت في أمر الحسين بن علي رضي الله عنهما شيئاً يجب أن يحفظ، فقلت له: قد قال سواي من أهل بلادنا أبياتاً، لا يقول مثلها تنوخ جدك الأكبر،

رأس ابن بنت محمد ووصيه
والمسلمون لمنظر ولمشهد
كحلت بمنظرك العيون عماية
أيقظت أجفاناً وكنت لها كرى
للمسلمين على قناة يرفع
لا جازع فيهم ولا متفجع
وأصم رزوك كل أذن تسمع
وأمنت عيناً لم تكن بك تهجع
لك تربة ولخط قبرك مضجع
ما روضة إلا تمنى أنها

قال ولم يسم لنا قائلًا: وقال أبو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر: وكان حدثني أبو الحسن الدلفي المصيصي الشاعر، وهو من لقيته قديماً وحديثاً في مدة ثلاثين سنة، قال: لقيت بمعرة النعمان عجباً من العجب، رأيت شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد ويدخل في كل فن من الجد والهزل، يكنى أبا العلاء، وسمعته يقول: أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر، قال: وحضرته يوماً وهو يملي في جواب كتاب ورد عليه من بعض الرؤساء:

وافى الكتاب فأوجب الشكرا
وفضضته وقرأته فإذا
فمحا دمعى من تحدره

قال وأنشدني لنفسه:

لست أدري ولا المنجم يدري
غير أنني أقول قول محق
إن من كان محسناً فابكينه

فضمته ولثمته عشرا
أجلى كتاب في الورى يقرأ
شوقاً إليك فلم يدع سطرأ

ما يريد القضاء بالإنسان
قد يرى الغيب فيه مثل العيان
لجميل عواقب الإحسان

حدث أبو سعد السمعاني في كتاب النسب، وقد ذكر المعري فقال بعد وصفه: وذكر تلميذه أبو زكريا التبريزي، أنه كان قاعداً في مسجده بمعرة النعمان، بين يدي أبي العلاء يقرأ عليه شيئاً من تصانيفه، قال: وكنت قد أقمت عنده سنين، ولم أر أحداً من أهل بلدي، فدخل المسجد مغافصة بعض جيراننا للصلاة، فرأيتُه وعرفته، فتغيرت من الفرح، فقال لي أبو العلاء: إيش أصابك؟ فحكيت له أنني رأيت جاراً لي، بعد أن لم ألق أحداً من أهل بلدي سنتين، فقال لي: قم وكلمه. فقلت: حتى أتمم السياق. فقال: قم أنا أنتظر لك، فقامت وكلمته بلسان الأذربية شيئاً كثيراً، إلى أن سألت عن كل ما أردت، فلما رجعت وقعدت بين يديه قال لي: أي لسان هذا؟ قلت هذا لسان أهل أذربيجان، فقال لي: ما عرفت اللسان ولا فهمته، غير أنني حفظت ما قلتما، ثم أعاد علي اللفظ بعينه، من غير أن ينقص عنه أو يزيد عليه في جميع ما قلت، وقال جاري: فتعجبت غاية التعجب، كيف حفظ ما لم يفهمه.

قال المؤلف: وهذا غاية ليس بعدها شيء في حسن الحفظ، وقال المؤلف: وأنا كثير الاستحسان لقول أبي العلاء:

أسألت أتى الدمع فوق أسيل
أيا جارة البيت الممنع أهله
لغيري زكاة من جمال وإن تكن
وأرسلت طيفاً خان لما بعثته
خيالاً أرانا نفسه متجنياً
نسيت مكان العقد من دهش النوى
وكنيت لأجل السن شمس غدية
أسرت أخانا بالخداع وإنه
فإن تطلقه تملكي شكر قومه
فإن عاش لاقى ذلة واختياره

ومالت لظل بالعراق ظليل
غدوت ومن لي عندكم بمقيل؟
زكاة جمال فاذكري ابن سبيل
فلا نتقي من بعده برسول
وقد زار من صافي الوداد وصول
فعلقته من وجنة بمسيل
ولكنها للبين شمس أصيل
يعد إذا اشتد الوغى بقبيل
وإن تقتليه تؤخذي بقتيل
وفاة عزيز لا حياة ذليل

وكيف يجر الجيش يطلب غارة
ومن شعره لزوم ما لا يلزم:

يا محلى عليك مني سلام
فلجسمي إلى التراب هبوط
وعلى حالها تدوم الليالي
أترجون أن أعود إليكم؟

أسير لمجرور الذبول كحيل
سوف أمضي وينجز الموعود
ولورحي إلى الهواء صعود
فحوس لمعشر وسعود
لا ترجوا فإنني لا أعود

قرأت بخط أبي سعد، أنشدنا الوكيل بأصبهان، أنشدنا عبيد الله القشيري، أنشدنا أبو الوليد الدربندي، قال: أنشدني أبو العلاء التتوخي في داره، عند وداعي إياه.

كم بلدة فارقتها ومعاشر
وإذا أضاعنتي الخطوب فلن أرى
خاللت توديع الأصادق للنوى

يذرون من أسف علي دموعا
لعهود إخوان الصفاء مضيعا
فمتى أودع خلي التوديعا؟

قال أبو الهبارية: أنشدني أبو زكريا الخطيب التبريزي قال: أنشدني أبو العلاء، أحمد بن عبد الله، بن سليمان المعري لنفسه:

أرى جيل التصوف شر جيل
فقل لهم وأهون بالحلول

أقال الله حين عبدتموه

ومن شعر أبي العلاء في الغزل:

يا ظبية علقتني في تصيدها

أعيبت قلبي وما راعيت حرمة

أتحرقين فؤاداً قد حلت به

أسكنته حين لم يسكن به سكن

ما بال داعي غرامي حين يأمرني

ولم غدا القلب ذا يأس وذا طمع

ومن خط ابن العصار، قال أبو العلاء في رجل اسمه أبو القاسم:

هذا أبو القاسم أعجوبة

لا ينظم الشعر ولا يحفظ ال

كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

أشراكها وهي لم تعلق بأشراكي

فلم رعيت ولا راعيت مرعاك

بنار حبك عمداً وهو واراك

وليس يحسن أن يسخر بسكناك

بأن أكابد حر الوجد ينهاك

يرجوك أن ترحميه ثم يخشاك

لكل من يدري ولا يدري

قرآن وهو الشاعر المقرري

قرأت بخط أبي سعيد قال: سمعت المبارك بن أحمد ابن الأخوثة مذاكرة، خرج رجل على سبيل: الفرجة فقعد على الجسر، فأقبلت امرأة من جانب الرصافة، متوجهة إلى الجانب الغربي، فاستقبلها شاب فقال لها: رحم الله علي بن الجهم فقالت المرأة في الحال: رحم الله أبا العلاء المعري، ولم يقف، ومرا مشرقاً ومغرباً، فتنبتت المرأة وقلت لها: أخبريني - عافاك الله - عما قال لك، وعما أجبت به؟ فقالت: نعم، رحم الله علي بن الجهم أراد قوله:

جلين الهوى من حيث أدري ولا أدري

عيون المها بين الرصافة والجسر

وأردت بترحمي على أبي العلاء قوله:

قريب ولكن دون ذلك أهوال

فيا دارها بالحزن إن مزارها

قال أبو زكريا، يحيى بن علي، الخطيب التبريزي: أنشدني أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري لنفسه:

من ذا علي بهذا في هواك قضى

منك الصدود ومنى بالصدود رضى

من الكآبة أو بالبرق ما ومضا

لي منك ما لو غدا بالشمس ما طلعت

لي التجاريب في ود امرئ غرضاً

جربت دهري وأهليه فما تركت

ماذفا يقول إذا عصر الشباب مضى؟

إذا الفتى ذم عيشاً في شببيته

فما وجدت لأيام الصبا عوضاً

وقد تعوضت عن كل بمشبهه

وله أيضاً:

لتعلم أنباء الأمور الصحائح

غدوت مريض العقل والدين فالقني

الأبيات: قرأت بخط عبد الله بن محمد، بن سعيد بن سنان، الخفاجي الشاعر في كتاب له ألفه في الصرفة، زعم فيه: أن القرآن لم يخرق العادة بالفصاحة، حتى صار معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، وأن كل فصيح بليغ قادر على الإتيان بمثله، إلا أنهم صرفوا عن ذلك، لا أن يكون القرآن في نفسه معجز الفصاحة، وهو مذهب لجماعة من المتكلمين والرافضة، منهم بشر المريسي، والمرتضى أبو القاسم، قال في تضاعيفه: وقد حمل جماعة من الأدباء قول أصحاب هذا الرأي، على أنه لا يمكن أحد من المعارضة بعد زمان التحدي، على أن ينظموا على أسلوب القرآن، وأظهر ذلك قوم، وأخفاه آخرون. ومما ظهر منه قول أبي العلاء في بعض كلامه: أقسم بخالق الخيل، والريح الهابة بليل، ما بين الأشرار ومطالع سهيل، إن الكافر لطيل الويل، وإن العمر لمكفوف الذيل، اتق مدارج السيل، وطالع التوبة من قبيل، تنج وما إخالك بناج.

وقوله: أذلت العائذة أباها، وأصاب الوحدة ورباها، والله بكرمه اجتباها، وأولاها الشرف بما حباها، أرسل الشمال وصباها، "ولا يخاف عقباها".

وقال:

ولا يهوديك بالطامع

من طلسة المبتكر الخامع

من خاطب يخطب في جامع

ما جار شماسك في كلمة

والطيلسان اشتق في لفظه

والقس خير لك فيما أرى

وله أيضاً:

قالوا: فلان جيد فأجبتهم
فغنيهم نال الغناء ببخله
لا تكذبوا ما في البرية جيد
وفقيرهم بصلاته يتصيد

والناس في أبي العلاء مختلفون، فمنهم من يقول: إنه كان زنديقاً، وينسبون إليه أشياء مما ذكرناها، ومنهم من يقول: كان زاهداً عابداً متقلاً، يأخذ نفسه بالرياضة والخشونة، والقناعة باليسير، والإعراض عن أعراض الدنيا. قال كمال الدين أبو القاسم، عمر بن أبي جرادة: قرأت بخط أبي اليسر شاعر بن عبد الله، بن سليمان المعري، أن المنتصر صاحب مصر، بذل لأبي العلاء ما ببيت المال بالمعرة من الحلال، فلم يقبل منه شيئاً، فقال:

كأنما لي غاية من غنى
سرت برغمي عن زمان الصبي
فعد عن معدن أسوان
يعجلني وقتي وأكواني
صد أبي الطيب لما غدا
منصرفاً عن شعب بوان

وقال أيضاً:

لا أطلب الأرزاق وال
إن أعط بعض القوت أع
مولى يفيض علي رزقي
لم أن ذلك ضعف حقي

قال: وقرأت بخط أبي المعري في ذكره، وكان - رضي الله عنه -، يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل، وتعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار، يضمنونها أقويل الملحدة قصداً لهلاكه، وإيثاراً لإتلاف نفسه، فقال - رضي الله عنه -:

حاول إهواني قوم فما
يخرشوني بسعائياتهم
واجهتهم إلا باهوان
فغيروا نية إخواني
لو استطاعوا لو شوا بي إلى ال
مريخ في الشهب وكيوان

وقال أيضاً:

غريت بذمي أمة
وعبدت ربي ما استطع
وبحمد خالقها غريت
ت ومن بريته برئت
سدة علي وما فريت
س وعندهم أني هريت
سعدوا علي فلم أح

فهرست كتبه على ما نقلته من خط أحد مستلمي أبي العلاء، قال: الذي أملاه أبو العلاء، أحمد بن عبد الله، بن سليمان التتوخي - تجاوز الله عنه - من الكتب على ضروب: منها ما هو في الزهد، وقرأت في نسخة أخرى: فهرست كتبه ما صورته، قال الشيخ أبو العلاء - رضي الله عنه -: لزممت مسكني منذ سنة أربعمائة، واجتهدت على أن أتوفر على تسبيح الله وتحميده، إلى أن اضطر إلى غير ذلك، فأملت أشياء، وتولى نسخها الشيخ أبو الحسن، علي بن عبد الله ابن أبي هاشم - أحسن الله معونته - فالزمني بذلك حقوقاً جمّة، وأيادي بيضاء، لأنه أفنى في زمنه، ولم يأخذ عما صنع ثمنه، والله يحسن له الجزاء، ويكفيه حوادي الزمن والأرزاء، وهي على ضروب مختلفة، فمنها ما هو في الزهد والعظات، وتمجيد الله سبحانه وتعالى من المنظوم والمنثور، فمن ذلك، الكتاب المعروف بالفصول والغايات، والمرادب الغايات القوافي، لأن القافية غاية البيت، أي منتهاه، وهو كتاب موضوع على حروف المعجم، ما خلا الألف، لأن فواصله مبيّنة على أن يكون ما قبل الحرف المعتمد فيها ألفاً، ومن المحال أن يجمع بين ألفين، ولكن تجئ الهمزة وقبلها ألف، مثل العطاء والكساء، وكذلك الشراب والسراب في الباء، ثم على هذا الترتيب، ولم يعتمد فيه أن تكون الحروف التي يبني عليها مستوية الإعراب، بل تجئ مختلفة.

وفي الكتاب قواف تجئ على نسق واحد، وليست المطلقة بالغايات، ومجيئها على حرف واحد، مثل أن يقال: عمامها، وغلامها، وغمامها، وأمرا، وتمرا، وما أشبه، وفيه فنون كثيرة من هذا النوع. وقيل إنه بدأ بهذا الكتاب قبل رحلته إلى بغداد، وأتمه بعد عوده إلى معرة النعمان، وهو سبعة أجزاء، وفي نسخة، مقداره مائة كراسة، وكتاب الشاذن، أنشأه في ذكر غريب هذا الكتاب، وما فيه من اللغز، مقداره عشرون كراسة، وكتاب إقليد الغايات، لطيف مقصور على تفسير اللغز، مقداره عشر كراريس، الكتاب المعروف بالأليك والغصون، وهو كتاب الهمزة والردف بخطه، يبني على إحدى عشرة حالة، الهمزة في حال أفرادها وإضافتها، ومثال ذلك السماء بالرفع: السماء، بالنصب: السماء، بالخفض: سماء يتبع الهمزة التثنية: سماءه، مرفوع مضاف، سماءه منصوب مضاف: سماءه مخفوض مضاف، ثم يجئ سماءها، وسماءها، وسمائها، على التأنيث، ثم همزة بعدها هاء ساكنة، مثل عباءه وملاءه، فإذا ضربت في حروف المعجم الثمانية والعشرين، خرج من ذلك ثلاثمائة فصل وثمانية فصول، وهي ستمتوفاة في كتاب الهمزة والردف، وذكرت فيه الأرداف الأربعة بعد ذكر الألف، وهي الواو المضموم ما قبلها، والواو

التي قبلها فتحة، ويذكر لكل جنس من هذه أحد عشر وجهاً، كما ذكر للألف، ومن غير خطه وهو في العظمت وذم الدنيا، وهو إثنان وتسعون جزءاً، نسخة أخرى، ويكون مقدار هذا الكتاب ألفاً ومائتي كراسة، ومن خطه الكتاب المعروف بتضمين الآي، وهو كتاب مختلف الفصول، فمنه طائفة على حروف المعجم، وقبل الحرف المعتمد ألف، مثل أن يقال في الهمزة: بناء ونساء، وفي الباء ثياب وعباب، ثم على هذا إلى آخر الحروف، ومنه فصول كثيرة على فاعلين، مثل باسطين وقاسطين، وعلى فاعلون، مثل حامدون وعابدون، وفيه ما هو على غير هذا الفن، والغرض أن يأتي بعد انقضاء الكلام آية من الكتاب العزيز، مثل قوله "إياك نعبد وإياك نستعين"، وربما اقتصر على بعض الآية، أو جئ بآيتين أو أكثر منهما، إذا كانت الآيات من ذوات القصر، كآيات "عبس" ونحوها، ومقدار هذا الكتاب أربعمئة كراسة.

وكان السبب في تأليف هذا الكتاب، أن بعض الأمراء سألوه أن يؤلف كتاباً برسمه، ولم يؤثر أن يؤلف شيئاً في غير العظمت، والحث على تقوى الله، فأملى هذا الكتاب. كتاب تفسير الهمزة والردف، جزء، كتاب سيف الخطبة جزءان، يشتمل على خطب السنة، فيه خطب للجمع والعديد، والخسوف والكسوف، والاستسقاء، وعقد النكاح، وهي مؤلفة على حروف من حروف المعجم، فيها خطب عمادها الهمزة، وخطب بنيت على الباء، وخطب على الدال، وعلى الراء، وعلى اللام، وعلى الميم، وعلى النون، وتركت الجيم والحاء وما يجري مجراها، لأن الكلام المقول في الجماعات، ينبغي أن يكون سجعاً سهلاً، ومقداره أربعون كراسة، وكان سألوه في الكتاب رجل من المتظاهرين بالديانة، فصنف له كتاب نشر شواهد الجمهرة ولم يتم ثلاثة أجزاء. كتاب دعاء وحرز الخيل، كتاب مجد الأنصار في القوافي، كتاب تاج الحرة في عظمت النساء خاصة، وتختلف فصوله، فمنها ما يجئ بعد حرفه الذي بني الروي عليه ياء للتأنيث، كقوله: "شائي" وتشائي وتساني، وهابي، وترائي. ومنه ما هو مبني على الكاف، نحو غلامك وكلامك. ومنها ما يجيء على تفعلين، مثل ترغيبين وتذهيبين، وأنواعه كثيرة، فيكون هذا الكتاب نحو أربعمئة كراسة. كتاب يعرف بدعاء ساعة، وكتاب آخر يعرف بوقفة الواعظ، وكتاب يعرف بسجع الحمام، يتكلم فيه على ألسن حمام أربع، وكان بعض الرساء سألوه أن يصنف له تصنيفاً يذكره فيه، فأنشأ له هذا الكتاب، وجعل ما يقوله على لسان الحمامة في العظة، والحث على الزهد. قال غيره: هو أربعة أجزاء، مقداره ثلاثون كراسة. كتاب يعرف بلزوم ما لا يلزم، وهو في المنظوم، بني على حروف المعجم، يذكر كل حرف سوى الألف بوجوه الأربعة، وهي: الضمة والفتحة والكسرة والوقف، ومعنى لزوم ما لا يلزم، أن القافية يردد فيها حرف لو غير لم يكن مخللاً بالنظم، كما قال كثير:

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا قلو صيكم ثم انزلا حيث حلت

فلزم اللام قبل اتاء، وذلك لا يلزمه، ولم يفعل كما فعل الشنفرى في قصيدته التي على التاء، لأنه لم يلزم فيها إلا حرفاً واحداً، ولكنه خالف بين الحروف التي قبل الروي، فقال:

أرى أم عمرو أزمعت فاستقلت وما ودعت جيرانها يوم ولت

وقال فيها:

بريحانة من نبت حلية نورت لها أرج ما حولها غير مسنت

وقال فيها:

لها وفضة فيها ثلاثون سيحفاً إذا أنست أولى العداة اقشعرت

ومن غير خطه ما هو ثلاثة أجزاء، أو أربعمئة وعشرون كراسة، يحتوي على أحد عشر ألف بيت من الشعر. كتاب زجر النابح، يتعلق بلزوم ما لا يلزم، وذلك أن بعض الجهال تكلم على أبيات من لزوم ما لا يلزم، يريد بها التشرير والأذية، فألزم أبا العلاء أصدقائه أن ينشئ هذا، فأنشأ هذا الكتاب وهو كاره، ومن غير خطه ما هو شرح اللزوم، وهو جزء واحد، مقداره أربعون كراسة، كتاب يتعلق بزجر النابح، سماه بحر الزجر، كتاب ملقى السبيل، صغير، فيه نظم ونثر، كتاب الجلي والحلي، سألوه فيه صديق له من أهل حلب، يعرف بابن الحلي، مجلد واحد وعشرون كراسة، ومن غير هذا الجنس كتاب لطيف، فيه شعر قيل في الدهر الأول: يعرف بكتاب سقط الزند، وأبياته ثلاثة آلاف بيت، كتاب يعرف بجامع الأوزان، فيه شعر منظوم على معنى اللغز، يعم به الأوزان الخمسة عشر، التي ذكرها الخليل بجميع ضروبها، ويذكر قوافي كل ضرب من ذلك، مثاله أن يقال للضرب الأول من الطويل أربع قواف، المطلقة المجردة، ثم قول القائل:

ألا يا اسلمي يا هند هند بني بدر وإن كان حياناً عدأ آخر الدهر

والقافية المردفة، مثل قول امرئ القيس:

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي

والمقيدة المجردة، وذلك مفقود في الشعر القديم والمحدث، وربما جاء به المحدثون على النحو الذي يسمى مقصوراً، كما قال بعض الناس وهو في السجن: هو صالح ابن عبد القدوس:

إلى الله أشكو إنه موضع الشكوى وفي يده كشف المصيبة والبلوى

فما نحن بالأحياء فيها ولا الموتى
فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا
وإن قبحت لم تحتبس وأنت عجلي

خرجدنا من الدنيا ونحن من أهلها
إذا ما أتانا مخبر عن حديثها
وتعجبنا الرؤيا فجل حديثنا
فإن حسنت لم تأت عجلي وأبطلت

والقافية المقيدة المؤسسة، مثل أن يكون العادل والقائل، وذلك مرفوض متروك، ثم على هذا النحو إلى آخر الكتاب، ومقداره ستون كراسة، ويكون عدد أبيات شعره نحو تسعة آلاف بيت، وهو ثلاثة أجزاء.

كتاب يعرف بالسجع السلطاني، يشتمل على مخاطبات للجنود والوزراء، وغيرهم من الولاة.

وكان بعض من خدم السلطان وارتفعت طبقته، لا قدم له في الكتابة، فسأل أن ينشأ له كتاب مسجوع من أوله إلى آخره، وهو لا يشعر بما يريد، لقله خبرته بالأدب، فألف هذا الكتاب، وهو أربعة أجزاء، وكتاب يعرف بسجع الفقيه، جزء، ثلاثون كراسة، وكتاب لطيف يعرف بسجع المضطرين، عمله لرجل مسافر يستعين به على أمور دنياه، وكتاب مختصر يعرف بذكرى حبيب، في غريب شعر أبي تمام، سأل فيه صديق لأبي العلاء من الكتاب، وهو أربعة أجزاء ستون كراسة، وهذه الكتب المسئول في تأليفها، إنما تكلفها مؤلفها من فرط الحياء، وهو لتأليفها كاره، وكتاب عبث الوليد، فيما يتصل بشعر البحري، وكان سبب إنشائه: أن بعض الرساء أنفذ نسخة ليقابل له بها، فأثبت ما جرى من الغلط، ليعرض ذلك عليه، وهو جزء واحد وعشرون كراسة، وكتاب يعرف بالرياش المصطنعي في شرح مواضع من الحماسة الرياشية، عمل لرجل يلقب بمصطنع الدولة، ويخاطب بالأمرة، واسمه كليب بن علي، ويكنى أبا غالب، أنفذ نسخة من الحماسة الرياشية، وسأل أن يخرج على حواشيه شيئاً لم يذكره أبو رياش، مما يحتاج إلى تفسيره، فخشي أن تضيق الحواشي عن ذلك، فصنع هذا الكتاب، وجمع فيه ما سنج مما لم يفسره أبو رياش، أربعون كراسة، وكتاب يعرف بشرف السيف، عمل للرجل الذي كان مقيماً بدمشق، وهو المعروف بنشتكين الدزيري. وكان السبب في عمله: أنه كان يوجه إلى أبي العلاء بالسلام، ويحفي المسألة عنه، فأراد جزاءه على ما فعل، - جزءان - وكتاب يعرف بتعليق الجليس، مما يتصل بكتاب أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، المعروف بالجمال - جزء - وكتاب إسعاف الصديق، ثلاثة أجزاء، يتعلق بالجمال أيضاً، وكتاب قاضي الحق، يتصل بالكتاب المعروف بالكافي، الذي ألفه أبو جعفر النحاس، وكتاب الحقيير النافع، مختصر في النحو، خمس كراريس، وكتاب يتصل به يعرف بالطل الطاهري، أنشئ لرجل يعرف بأبي طاهر حلي، وكتاب المختصر الفتحي، يتصل بكتاب محمد بن سعدان، صنعه لرجل يكنى أبا الفتح، محمد بن علي بن أبي هاشم، وكان أبو هذا الرجل، تولى إثبات ما ألفه أبو العلاء من جميع هذه الكتب، فألزمه بذلك حقوقاً جمّة، وأيادي كثيرة، وكتاب في الرسائل الطوال، فيها رسالة الغفران، كتاب سميته خطب الخيل، يتكلم على ألسنتها، ومقداره عشر كراريس، وكتاب يعرف بخطبة الفصيح، يتكلم فيه على أبواب الفصيح، مقداره خمس عشرة كراسة، وكتاب شرح فيه ما جاء في الذي قبله من الغريب، يعرف بتفسير خطبة الفصيح، وكتاب رسل الراموز، نحو ثلاثين كراسة، وكتاب راحة اللزوم، ويشرح فيه ما في كتاب لزوم ما لا يلزم من الغريب، نحو مائة كراسة، وكتاب لطيف يعرف بخماسية الراح، في ذم الخمر، ومعنى هذا الوسم، أنه بني على حروف المعجم، فذكر لكل حرف تمكن حركته خمس سجعيات مضمومات، وخمساً مفتوحات، وخمساً مكسورات، وخمساً موقوفات، يكون مقداره عشر كراريس، وكتاب المواعظ الست، وهو لطيف، ومعنى هذا التلقب، أن الفصل الأول منه في خطاب رجل، والثاني في خطاب اثنين، والثالث في خطاب جماعة، والرابع في خطاب امرأة، والخامس في خطاب امرأتين، والسادس في خطاب نسوة، نحو خمس عشرة كراسة، كتاب ضوء السقط، تفسير غريب سقط الزند، مقداره عشرون كراسة، وكتاب الصاهل والشاحج يتكلم فيه على لسان فرس وبغل، مقداره أربعون كراسة، صنّفه لأبي شجاع فاتك، الملقب بعزير الدولة، والي حلب من قبل المصريين، وكان رومياً، وكتاب منار القائف، في تفسير الكتاب الذي قبله فيما جاء فيه من اللغز والغريب، عشر كراريس، كتاب دعاء الأيام السبعة، وكتاب رسالة على لسان ملك الموت عليه السلام، وكتاب بعض فضائل أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكتاب أدب العصفورين، وكتاب السجعيات العشر، موضوع على كل حرف من حروف المعجم، عشر سجعيات في المواعظ، كتاب شرح كتاب سيبويه، لم يتم، مقداره خمسون كراسة، كتاب يتصل بكتاب الزجاجي، يعرف بعون الجمل، عمل أيضاً لأبي الفتح، محمد بن علي، بن أبي هاشم المذكور آنفاً، وهو آخر شيء أملاه، وكتاب في النحو يتصل بالكتاب المعروف بالعضدي، ولقبه ظهير العضدي، وكتاب ديوان الرسائل، وهو ثلاثة أقسام.

الأول رسائل طوال، تجري مجرى الكتب المصنفة، مثل كتاب رسالة الملائكة، وكتاب الرسالة السندية، جزء، وكتاب رسالة الغفران، جزء، وكتاب رسالة الفرض، جزء، ونحو ذلك.

والثاني: رسائل دون هذه في الطول، مثل كتاب رسالة المنيج، وكتاب رسالة الاغريض.

والثالث كتاب الرسائل القصار، كنحو ما تجري به العادة في المكاتبة، قيل إنه أربعون جزءاً، وقيل إنه ثمانمائة كراسة، وكتاب خادم الرسائل، في تفسير ما تضمنته هذه الرسائل، مما يحتاج إليه المبتدئون في الأدب، كتاب نظم السور، وكتاب عظات السور، وكتاب الراحلة، ثلاثة أجزاء، في تفسير كتاب لزوم ما لا يلزم، وكتاب في المنظوم، يعرف بكتاب استغفر واستغفري، مقداره مائة وعشرون كراسة، فيه نحو من عشرة آلاف بيت، وكتاب يعرف بالرسالة الحضية، وكتاب رسائل المعونة، وهي ما كتبت على ألسن قوم، وكتاب مثقال النظم في العروض، جزء، وكتاب اللامع العريزي، في تفسير شعر المتنبي، عمل للأمير عزيز الدولة، وغرسها ابن تاج الأمراء، أبي الدوام، ثابت ابن ثمال، بن صالح، بن مرداس، بن إدريس، بن نصر، بن حميد، بن شداد، بن عبد قيس، بن ربيعة ابن كعب، بن عبد الله، بن أبي بكر، بن كلاب، ابن ربيعة، بن عامر، بن صعصعة، ويقال له أيضاً اللامع العريزي، مقداره مائة وعشرون كراسة.

هذا ما وجدناه وأثبتناه عن جماعة من أصحاب أبي العلاء، قالوا: وله بعض كتب في العروض والشعر، بدأها ولم تتم، أو تمت وشذ عنا أسماؤها.

ومن شعره الدال على سوء عقيدته من لزوم ما لا يلزم:

ألا فانعموا واحذروا في الحيا
أتوكم بأقوالهم والحسا
تلوا باطلاً وجلوا صارماً
زخارف ما ثبت في القلوب
ومن ذلك أيضاً:

فقد طال العناء فكم تعاني
دعا موسى وزال وقام عيسى
وقيل يجيئ دين غير هذا
إذا قلت المحال رفعت صوتي
ومن ذلك أيضاً:

وجدت الشرع تخلقه الليالي
هي العادات يجري الشيخ منها
وأشوى الحق رام مشرقي
فذا عمر يقول وذا سواه
ومن ذلك أيضاً:

إذا ما ذكرنا آدماء وفعاله
علمنا بأن الخلق من أصل زنية
وقال في رسالة الغفران، ولما أجلي عمر بن الخطاب أهل الذمة عن جزيرة العرب، شق ذلك على الجالين، فيقال: إن رجلاً من يهود خيبر، يعرف بسمير بن أدكن، قال في ذلك:

يصول أبو حفص علينا بدرة
مكانك لا نتبع حمولة ماقط
فلو كان موسى صادقاً ما ظهرت
ونحن سبقناكم إلى المين فاعرفوا
مشيتم على آثارنا في طريقنا
وبغيتكم في أن تسودوا وترهبوا

وهذا يشبه أن يكون شعره، قد نحل هذا اليهودي، أو أن إيراده لمثل هذا، واستلذاذه به، من أمارات سوء عقيدته، وقبح مذهبه، ومن أشعاره الدالة على سوء اعتقاده، قوله في لزوم ما لا يلزم أيضاً:

وهيهات البرية في ضلال
وقد نظر اللبيب لما اعتراها

تقدم صاحب التوراة موسى
فقال رجاله وحي أتاه
وما حجي إلى أحجار بيت؟
إذا رجع الحليم إلى حباه

وله أيضاً:

خذ المرأة واستخير نجوماً
تدل على الممات بلا ارتياب

ومنها أيضاً:

هفت الحنيفة والنصارى ما اهدتوا
إثنان أهل الأرض ذو عقل بلا

ومنها أيضاً:

إن الشرائع ألفت بيننا إحناً
وما أبيحت نساء الروم عن عرض

ومنها أيضاً:

تناقض ما لنا إلا الشكوت له
يد بخمس مئتين عسجد فديت

قال المؤلف: كان المعري حماراً، لا يفقه شيئاً، وإلا فالمراد بهذا بين، لو كانت اليد لا تقطع إلا في سرقة خمسمائة دينار، لكثير سرقة ما دونها، طمعاً في النجاة، ولو كانت اليد تقدي ربع دينار، لكثير من يقطعها، ويؤدي ربع دينار دية عنها، نعوذ بالله من الضلال. ومنها أيضاً:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة
تحطمتنا الأيام حتى كأننا
ومما يدل على كفره تصريحاً قوله:

عقول تستخف بها سطور
كتاب محمد وكتاب موسى

ومن ذلك أيضاً:

صرف الزمان مفرق الإلفين

أنهيت عن قتل النفوس تعمداً
وزعمت أن لها معاداً ثانياً

ومن ذلك أيضاً:

إذا كان لا يحظى برزقك عاقل
فلا ذنب يا رب السماء على امرئ

ومن ذلك أيضاً قوله:

في كل أمرك تقليد تدين به
وقد أمرنا بفكر في بدائعه
لولا التنافس في الدنيا لما وضعت

ومن ذلك أيضاً قوله:

قلتم لنا خالق قديم
زعمتموه بلا زمان

وأوقع في الخسار من افتراها
وقال الناظرون بل افتراها
كؤوس الخمر تشرب في ذراها
تهاون بالمذاهب وازدراها

تمر بمطعم الأرى المشور
ولكن لا تدل على النشور

ويهود حارت والمجوس مضللة
دين وآخر دين لا عقل له

وأورثتنا أفانين العداوات
للغرب إلا بأحكام النبوات

وأن نعوذ بمولانا من النار
ما بالها قطعت في ربع دينار؟

قال المؤلف: كان المعري حماراً، لا يفقه شيئاً، وإلا فالمراد بهذا بين، لو كانت اليد لا تقطع إلا في سرقة خمسمائة دينار، لكثير سرقة ما دونها، طمعاً في النجاة، ولو كانت اليد تقدي ربع دينار، لكثير من يقطعها، ويؤدي ربع دينار دية عنها، نعوذ بالله من الضلال. ومنها أيضاً:

وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

يدري الفتى لمن الثبور؟
وإنجيل ابن مريم والزبور

فاحكم إلهي بين ذاك وبينني

وبعثت أنت لقتلها ملكين؟
ما كان أغناها عن الحاليين !!

وترزق مجنوناً وترزق أحمقا
رأى منك ما لا يشتهي فتزندقا

حتى مقالك ربي واحد أحد
فإن تفكر فيه معشر لحدوا
كتب التناظر لا المغني ولا العمد

صدقتم هكذا نقول
ولا مكان ألا فقولوا

هذا كلام له خبي
ومن ذلك أيضاً قوله:

معناه ليست لنا عقول

دين وكفر وأنباء تقال وقر
في كل جبل أباطيل ملفقة

قان ينص وتورا وإنجيل
فهل تفرد يوماً بالهدى جيل؟

ومن ذلك أيضاً:

أحمد لله قد أصبحت في لجج
قالت معاشر لم يبعث إلا همك
وإنما جعلوا الرحمن مأكلة
ولو قدرت لعاتببت الذين بغوا

مكابداً من هموم الدهر قاموساً
إلى البرية عيساهها ولا موساً
وصيروا دينهم للملك ناموساً
حتى يعود حليف الغي مغموساً

ومن ذلك أيضاً قوله:

ولا تحسب مقال الرسل حقاً
وكان الناس في عيش رغي

ولكن قول زور سطروره
فجاءوا بالمحال فكدروه

قال المؤلف: نقلت هذا كله من تاريخ غرس النعمة محمد بن هلال، بن المحسن الصابئ، وحمدت الله تعالى على ما ألهم من صحة الدين، وصلاح اليقين، واستعدت به من استيلاء الشيطان على العقول.

قرأت في كتاب فلك المعاني، أن كثيراً من الجهال يعد الموت ظلماً من الباري عز وجل، ويستقبحه، بما فيه من النعمة، والحكمة والراحة والمصلحة، وقد قال أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري مع تحذلقه ودعواه الطويلة العريضة، وشهرة نفسه بالحكمة، ومظاهرته:

ونهيته عن قتل النفوس تعمداً
وزعمت أن لنا معاداً ثانياً

وبعثت أنت لقتلها ملكين
ما كان أغناها عن الحاليين!!

وهذا كلام مجنون معتوه، يعتقد أن القتل كالموت والموت كالقتل، فليت هذا الجاهل لما حرم الشرع وبرده، والحق وحلاوته، والهدى ونوره، واليقين وراحته، لم يدع ما هو برئ منه، بعيد عنه، ولم يقل:

غدوت مريض العقل والرأي فالقني

لتعلم أنباء العقول الصحائح

حتى سلط الله عليه أبا نصر بن أبي عمران، داعي الدعاة بمصر، فقال له: أنا ذلك المريض رأياً وعقلاً، وقد أتيتك مستشفياً فاشفني، وجرت بينهما مكاتبات كثيرة، أمر في آخرها بإحضاره حلب، ووعدته على الإسلام خيراً من بيت المال، فلما علم أبو العلاء أنه يحمل للقتل أو الإسلام، سم نفسه ومات، وليته لما ادعى العقل خرس، ولم يقل مثل هذه الترهات التي يخلد إليها من لا حاجة لله تعالى فيه.

قال المؤلف: لما وقفت على هذه القصة، اشتبهت أن أقف على صورة ما دار بينهما على وجهه، حتى ظفرت بمجلد لطيف، وفيه عدة رسائل من أبي نصر، هبة الله ابن موسى، بن أبي عمران، إلى المعري في هذا المعنى، انقطع الخطاب بينهما على المساكنة، ولم يذكر فيها ما يدل على ما ذهب إليه ابن الهبارية، من سم المعري نفسه. ونقلها على الوجه يطول، فلخصت منها الغرض، دون تفاصيل المعري وتشدقه.

كتب ابن أبي عمران إليه:

الشيخ - أحسن الله توفيقه - الناطق بلسان الفضل والأدب، الذي ترك من عداه صامتاً، مشهود له بهذه الفضيلة، من كل من هو فوق البسيطة، غير أن الأدب الذي هو جالينوس طبه، وعنده مفاتيح غيبه، ليس مما يفيد كبير فائدة، في معاشه أو معاده، سوى الذكر السائر به الركبان، مما هو إذا تسمع المذكور به، علم أنه له بمكانة الجمال والزينة، مادام حياً، فإذا رمت به يد المنون من ظهر الأرض إلى بطنها، فلا بحسن ذكره ينتفع، ولا بقبوحه يستضر، وإذا كانت الصورة هذه، كان مستحيلاً منه، - أيده الله - مع وفور عقله، أن جعل مواده كلها منصبة إلى إحكام اللغة العربية، والتعرق فيها، واستيفاء أقسام ألفاظها ومعانيها، ووفر عمره على ما لا نتيجة له منها، وترك نفسه المتوقدة، نار ذكائها خلواً من النظر في شأن معاده، وأن يختار من عمله ما لا ينفع، فيمكث إذا ذهب الزبد جفاء من غيره، فإذا هو - حرسه الله - بمقتضى هذا الحكم، مرتو من عذب مشرب هذا العلم، وإنما ليس ييوح به، لضرب من ضروب السياسة، والدليل على كونه ناظراً لمعاده، سلوكه سبيل العيش والتزهد، وعدوله عن الملاذ، من

المأكول والمشروب والملبوس، وتعففه عن أن يعجل جوفه للحيوان مدفناً، أو أن يذوق من درها لبناً، أو يستطعم من استبدت عليه في حرثه وإنشائه، وهذه طريقة من يعتقد أنه إذا ألمها جوزي بألمها، وهذا غاية في الزهد.

ولما رأيت ذلك، وسمعت داعية البيت الذي يعزى إليه، وهو:

غدوت مريض الدين والعقل فالقني لتعلم أنباء الأمور الصحائح

شدت إليه راحلة العليل في دينه وعقله، إلى الصحيح الذي ينبئني أنباء الأمور الصحائح، وأنا أول ملب لدعوته، معترف بخبرته، وهو حقيق ألا يوطنني العشواء فيسلك بي في المجاهل، ولا يعتمد فيما يورده تلبيس الحق بالباطل.

وأول سؤالي عن أمر خفيف، فإن استنشقت نسيم الصبا، سقت السؤال إلى المهم: أسأله عن العلة في تحريمه على نفسه اللحم واللبن، وكل ما يصدر إلى الوجود من منافع الحيوان، فأقول: أليس النبات موضوعاً للحيوان يمتار منه؟ وبوجوده وجوده، وبقوة في الحيوان حساسة استولى على الانتفاع بالنبات، ولو لم يكن الحيوان، لكان موضوع النبات باطلاً لا معنى له، وعلى هذه القضية، فإن القوة الإنسانية مستولية على الحيوان، استيلاء الحيوان على النبات، لرجحانها عليه بالنطق والعقل، فهي مسخرة له على أنواع من التسخير، ولولا ذلك، لكان موضوع الحيوان باطلاً، فتجافى الشيخ - وفقه الله - عن الانتفاع بما هو موضوع له، مخلوق لأجله، إبطال لتركيب الخلقة، ثم امتناعه عن أكل الحيوان، ليس يخلو القصد به من أحد أمرين، الأول: إما أنه تأخذه رافة بها، فلا يرى تناولها بالمكروه، وما ينبغي له أن يكون أرأف بها من خالقها، فإذا ادعى أن تحليلها وتحريمها، إنما كان من بعض البشر، يعني به أصحاب الشرائع، وأن الله لم يبيح إراقة دم حيوان وأكله، كان الدليل على بطلان قوله، وقوع المشاهدة لجنس السباع وجوارح الطير، التي خلقها الله سبحانه على صيغة لا تصلح إلا لتنش اللحوم وفسخها، وتمزيق الحيوانات وأكلها. وإذا كان هذا الشكل قائم العين في الفطرة، كان جنس البشر وسيع العذر في أكل اللحوم، وكان من أصل لهم ذلك محققاً.

والثاني: أنه يرى سفك دماء الحيوان خارجاً عن أوضاع الحكمة، وذلك اعتراض منه على خالقه الذي أوجده. وإذا أنعم الشيخ وساق إلى حجة أعتمدها، رجوت كشف المرض الذي وقع اعترافي به.

الجواب من أبي العلاء المعري إليه قال العبد الضعيف العاجز، أحمد بن عبد الله، بن سليمان: أول ما أبدأ به، أني أعد سيدنا الرئيس الأجل، المؤيد في الدين - أطال الله بقاءه - ممن ورث حكمة الأنبياء، وأعد نفسي الخاطئة من الأغبياء، وهو بكتابه إلي متواضع، ومن أنا؟ حتى يكتب مثله إلى مثلي، مثله في ذلك، مثل الثريا كتب إلى الثرى وقد علم الله أن سمعي ثقيل، وبصري عن الإبصار ثقيل، قضى علي وأنا ابن أربع، لا أفرق بين النازل والطارع، ثم توالى محني، فأشبهه شخصي العود المنحني، ومنيت في آخر عمري بالإقعاد، وعداني عن النهضة عاد. وأما ما ذكره سيدنا الرئيس الأجل، المؤيد في الدين، فالعبد الضعيف العاجز، يذكر له مما عاياه طرفاً، فأقول: إن الله - جلّت عظمتة -، حكم علي بالإزهاد، فطفقت من العدم في جهاد، وأما قول العبد الضعيف العاجز:

"غدوت مريض العقل والدين فالقني" فإنما خاطب به من هو في غمرة الجهل، لا من هو للرياسة علم وأصل، وقد علم أن الحيوان كله حساس يقع به الألم، وقد سمع العبد الضعيف من اختلاف القدماء.

وأول ما يبدأ به، لو أن قائلًا من البشر قال: إذا بنينا القضية البتية المركبة من المسند والمسد إليه، ولها واسطتان، إحداها نافية، والأخرى استثنائية، فقلنا: الله لا يفعل إلا الخير، فهذه القضية كاذبة أم صادقة؟ فإن قيل صادقة، فقد رأينا الشرور غالبية، فعلمنا أن ذلك أمر خفي، ولم يزل من ينسب إلى الدين يرغب في هجران اللحوم، لأنها لم يوصل إليها إلا بإيلاام حيوان، يفر منه في كل أوان، وأن الضائنة تكون في محل القوم وهي حامل، فإذا وضعت وبلغ ولدها شهراً أو نحوه، اعتبطوه فأكلوه، ورغبوا في اللبن، وباتت أمه ثاغية، لو تقدر سعت له باغية، وقد تردد في كلام العرب ما يلحق الوحشية من الوجد، والناقة إذا فقدت الفصيل، فقال قائلهم:

فما وجدت كوجدي أم سقب أضلته فرجعت الحنينا

وللسائل أن يقول: إن كان الخير لا يريد ربنا سواه، فالشر لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون قد علم به أو لا. فإن كان عالماً به، فلا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون مريداً له أو لا. فإن كان مريداً له، فكأنه الفاعل، كما أن القائل يقول: قطع الأمير يد السارق، وإن لم يباشر ذلك بنفسه.

وإن كان غير مريد، فقد جاز عليه ما لا يجوز على أمير مثله في الأرض، أنه إذا فعل في ولايته شيء لا يرضاه أنكره، وأمر بزواله، وهذه عقدة، قد اجتهد المتكلمون في حلها فأعوزهم.

وقد ذكرت الأنبياء: أن الباري - جلّت عظمتة - رؤوف رحيم، ولو رَأف ببني آدم، وجب أن يرأف بغيرهم من أصناف الحيوان، الذي يجد الألم بأدنى شيء، وقد علم أن الوحوش الرائعة يبكر إليها الفارس، فيطعن العير أو الأتان، وهن ما أسدين إليه ذنباً، ولأي حال استوجب من يفعل بها هذا، "الرقّة"؟ وهي لم تشرب من الماء بذنوب، ولم تجز ما تكسب من الذنوب، وقد رأيت الجيشين المنتسب كل واحد منهما إلى الشرع المنفرد، يلتقيان وكلاهما في مدد، ويقتل بينهما آلاف عدداً، فهذا محسوب من أي الوجهين؟ فليس عند النظر بهين. فلما بلغ العبد الضعيف العاجز اختلاف الأقوال، وبلغ ثلاثين عاماً، سأل ربه إنعاماً، فرزقه صوم الدهر، فلم يفطر في السنة ولا الشهر، إلا في العيدين، وصبر على توالي الجديدين، وظن اقتناعه بالنبات يثبت له جميل العاقبة.

وقد علم سيدنا الرئيس الأجل، المؤيد في الدين ولا ريب، أنه قد نظر في الكتب المتقدمة، وما حكي عن جالينوس وغيره، من اعتقاد يدل على الحيرة. وإذا قيل: إن الباري رؤوف رحيم، فلم سلط الأسد على افتراس نسمة إنسية؟، ليست بالمفسدة ولا القسوة، وكم مات بلدغ الحيات جماعة مشهورة؟، وسلط على الطير الراضية بلقط الحبة البازي والصقر، وإن القطاة لتدع فراخها ظمأ، وتبتكر لترد ماء تحمله إليها في حوصلتها، فيصادفها دونهن أجدل فيأكلها، فيهلك فراخها عطشاً، وذكر أشياء من هذا الباب، ثم قال: وأعوذ بالله وأتبرأ من قول الكافر:

ألمت بالتحية أم بكر	فحيوا أم بكر بالسلام
وكائن بالطوى طوى بدر	من الشيزي يكلل بالسنام
ألا يا أم بكر لا تكرى	علي الكأس بعد أخي هشام
وبعد أخي أبيه وكان قرماً	من الأقرام شراب المدام
ألا من مبلغ الرحمن عني	بأنّي تارك شهر الصيام
إذا ما الرأس زایل منكبيه	فقد شبع الأنيس من الطعام
أيوعدنا ابن كبشة أن سنجيا	وكيف حياة أصداء وهام؟؟
أينزل أن يرد الموت عني	ويحييني إذا بليت عظامي؟؟
ولعن الله القائل. ويقال: إنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك.	
أدنها مني خليلي	عنه لا دون الإزار
فلقد أيقنت أني	غير مبعوث لنار
سأروض الناس حتى	يركبوا دين الحمار
وأرى من يطلب الجن	ة يسعى في خسار
وويل لابن رعيان إن كان قال:	

هي الأولى وقد نعموا بأخرى	وتسويف الظنون من السواف
فإن يك بعض ما قالوه حقاً	فإن المبتليّك هو المعافى

ومما حثني على ترك أكل الحيوان، أن الذي لي في السنة نيف وعشرون ديناراً، فإذا أخذ خادمي بعض ما يجب، بقي لي ما لا يعجب، فاقترصرت على فول وبلسن وما لا يعذب على الألسن، فأما الآن، فإذا صار إلى من يخدمني كبير، فعندي وعنده هين، فما حظي إلا اليسير المتعين، ولست أريد في رزقي زيادة، ولا أوتر لسقمي عيادة، والسلام.

الجواب من ابن أبي عمران حوشي الشيخ: - أدام الله سلامته - من أن يكون ممن قطف في مرض دينه وعقله بعلته، وأجاب دعوة الداعي منه، بالبيت الشائع عنه، لينال شفاء علته، جواباً يزيد به إلى غلته غلة، إذاً يكون كما قال المتنبي:

أظمتني الدنيا فلما جئتها	مستسقياً مطرت علي مصائباً
--------------------------	---------------------------

كان سؤالي له - حرسه الله - في شيء يختص بنفسه، في هجره ما يسد الجسم من اللحم، الذي ينبت اللحم، فأجاب بما أقول في جوابه: أهذه أنباء الخ، وهل زاد السقيم بدوائه هذا إلا سقماً، والأعمى الأصم في دينه وعقله بما قال إلا عمى وصمماً، على أن جميع ما ذكره بنجوة عن سؤالي الأول، ومعزل عنه، ولا مناسبة بينهما وبينه.

وأما القول بأن اللحوم لا يوصل إليها إلا بلبلايم الحيوان، فقد سبق الجواب: لا يكون الشيخ أرأف بها من خالقها، فليس يخلو من كونه عادلاً أو جائراً، فإن كان عادلاً، فإنه سبحانه يقبض أرواح الأكل والمأكول جميعاً، وذلك مسلم له، وإن كان جائراً، لم ينبغ أن نرجع لعي خالقنا بعلمنا وجوره.

وأما قوله وللوسائل أن يقول: إن كان الخير هو الذي لا يريد ربنا سواه، فالشر لا يخلو من أحد أمرين، إما أن يكون قد علم به أو لا، إلى آخره، فأقول: قيل إن إنساناً ضاع له مصحف، فقبل له اقرأ "والشمس وضحاها" فإنك تجده، فقال: وهذه السورة أيضاً فيه، فأقول أيضاً: إن هذا أيضاً من ذلك، وجميعه ظلمات فأين النور؟ وإنما قصدنا أن نعرف أنباء الأمور الصحاح كما قاله. وأما قوله: لما رأي اختلاف الأقوال، وأيقن بنفاه وزوال، سأل ربه أن يرزقه صوم الدهر، واقتنع بالنبات، فما صح لي أن الرب الذي سألته، هو الذي يريد الشر وحده، أو الذي يريد هما جميعاً، والصوم فرع على أصل، من شرع يأتي به رسول، والرسول يتعلق بمرسل، وقصتنا في الرسل مشتبهة، يبعث رسولاً يريد أن يطاع، أم لا يطاع؟ فإن كان يريد أن يطاع، فهو مغلوب على إرادته، لأن من لا يطيعه أكثر، وإن كان يريد ألا يطاع، فإرساله إياه محال، وطلبة حجة على الضعفاء ليعذبهم، فإن كان موضوع صومه على هذا، فلم يفعل شيئاً، وإن كان على غيره مما هو أجلى وأوضح، فهو الذي أطلبه.

وأما حكايته قول بعض الملحدين، واستعاذته بالله أن يكون من المعترضين، في قوله تعالى: "وأنت أهلك عاداً الأولى، وشمود فما أبقي" الآيات. إن كان الباري سبحانه خلقهم، وهو يعلم أنهم مجرمون، ومن التوبة والإنابة يحرمون، فكان الأولى به، وهو الرؤوف الرحيم، ألا يخلقهم لنلأ يعذبهم، وإن كان لا يعلم، فهو كأمثالنا، ولا يدري ما يكون منه. وقول الشيخ بعده: معاذ الله أن نقول ذلك. بل نسلم ونتلو الآية: "من يهد الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشداً" فليس الملحد إذا قال: إن السكر حلو، والخل حامض، لا يقبل منه لكونه ملحداً. وقوله يقتضي جواباً. فإن كان عند الشيخ جواب، فهو الذي نبغي، وإلا فما التسليم في هذا الموضوع، إلا التسليم للملحد، لا شيء غيره، وأما إنشاده: "ألمت بالتحية أم عمرو" وما بعده من الأشعار، وذمه من قال ولعنه، فمن الذي اتهمه بشيء من ذلك؟ حاشاه، وما الذي أوجب الإنكار بكفريات شعرهم؟ وأما ختمه الرسالة بقوله: إن الذي حثه على ترك أكل الحيوان، أن الذي له في السنة نيف وعشرون ديناراً، يصير إلى خادمه معظمها ويبقى له أيسرها، فتحمل منونة القدر الذي يطعمه، لو كان ثقيلاً لوجب تحمله، فكيف وهو الخفيف محمله؟ وقد كاتبت مولاي تاج الأمراء، - حرس الله عزه -، أن يتقدم بإزاحة العلة، فيما هو بلغة مثله من ألد الطعام، ومراعاته به على الإدرار والدوام، ليتكشف عنه غاشية هذه الضرورة، ويجري أمره في معيشته على أحسن ما يكون من الصورة، ثم إن قام من الشيخ نشطة لجواب، أعفاني فيه عن قصد الأسجاع، ولزوم ما لا يلزم، فإن ملتصقي فيه المعاني لا الألفاظ. الجواب من أبي العلاء "سيدنا الرئيس الأجل، المريد في الدين، عصمة المؤمنين، هدى الله الأمم بهديته، وسلوك بهم طريق الخير على يده، قد بدأ المعترف بجهله، - المقر بحيرته، والداعي إلى الله سبحانه أن يرزقه ما قل من رحمته، في أول ما خاطبه به -، أن ذكر اعتقاده في سيدنا الرئيس الأجل، المؤيد في الدين، ضوأ الله الظلم ببصيرته، وأذهب شكوك الأفئدة برأيه وحكمته، وما نفسه عليه من الذلة والحقيرية عنده، وأنه سحسبها ساكتة في بعض السوام، وعجب أن مثله يطلب الرشد ممن لا رشد عنده، فيكون كالقمر الذي هو دائب في خدمة ربه ليلاً ونهاراً، يطلب الحقيقة ممن أقمر بفلاة يرد الماء على الصائد، ويصيب قلبه بسهم. وقد ذكر - أيد الله الحق بحياته -، بيتاً من أبيات على الحاء، ذكر وليه ليعلم غيره ما هو عليه من الاجتهاد في التدين، وما حيلته في الآية المنزلة؟ التي هي قوله: "من يهد الله فهو المهتد" وأولها:

غدوت مريض العقل والدين فالقني

لتعلم أنباء الأمور الصحاح

فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالمًا

ولا تبغ قوتًا من غريض الذبائح

ولا يقدر أحد يدفع أن الحيوان البحري، لا يخرج من الماء إلا وهو كاره وإذا سئل المعقول عن ذلك، لم يقبح ترك أكله وإن كان حلالاً، لأن المتدينين لم يزلوا يتركون ما هو لهم حلال مطلق:

وأبيض أمات أرادت صريحة

لأطفالها دون الغواني الصرائح

والمراد بالأبيض: اللين، ومشهور أن الأم إذا ذبح ولدها وجدت عليه وجداً عظيماً، وسهرت لذلك ليلي، وقد أخذ لحمه، وتوفر على أصحاب أمه ما كان يرضع من لبنها، وأي ذنب لمن تخرج عن ذبح السليل؟ ولم يرغب في استعمال اللبن، ولا يزعم أنه محرم، وإنما تركه اجتهاداً في التبعيد، ورحمة للمذبح، رغبة أن يجازي عن ذلك بغفران خالق السموات والأرض، وإذا قيل: إن الله سبحانه يساوي بين عباده في الأقسام، فأى شيء أسلفته الذبائح من الخطأ، حتى تمنع حظها من الرأفة والرفق؟

فلا تقجعن الطير وهي غوافل

بما وضعت فالظلم شر القبائح

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صيد الليل، وذلك أحد القولين في قوله عليه الصلاة والسلام: "أقروا الطير في وكناتها"، وفي الكتاب العزيز: "يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم، ومن قتله منكم متعمداً فجزاء ما قتل من النعم" إلى غيرها من الآي في المعنى، فإذا سمع من له أدنى حس هذا القول، فلا لوم عليه إذا طلب التقرب إلى رب السموات والأرضين، بأن يجعل صيد الحل كصيد الحرم، وإن كان ذلك ليس بمحظور:

ودع ضرب النحل الذي بكرت له
كواسب من أزهار نبت فوائح

لما كانت النحل تحارب الشائير عن العسل بما تقدر عليه، وتجتهد أن تردده عن ذلك، فلا غرو إن أعرض عن استعماله، رغبة في أن تجعل النحل كغيرها، مما يكره فيه ذبح الأكيل، وأخذ ما كان يعيش به لتشربه النساء، كي يبدين وغيرها من بني آدم، وقد وصفت الشعراء ذلك، فقال أبو ذؤيب يصف مشتار العسل:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها
وخالفها في بيت لوب عواسل

وروى عن علي عليه السلام حكاية معناها: أنه كان له دقيق شعير في وعاء يختم عليه، فإذا كان صائماً لم يختم على شيء من ذلك الدقيق، وقد كان عليه السلام يصل إلى غلة كثيرة، ولكنه كان يتصدق بها، ويقتنع أشد اقتناع، وروي عن بعض أهل العلم أنه قال في بعض خطبه: إن غلته تبلغ في السنة خمسين ألف دينار، وهذا يدل على أن الأنبياء والمجاهدين من الأئمة، يقصرون نفوسهم، ويؤثرون بما يفضل منهم أهل الحاجة. وقد عدل سيدنا الرئيس إلى الإيماء بأن من ترك أكل اللحم ذميم، ولو أخذ بهذا المذهب، لوجب على الإنسان ألا يصلي صلاة إلا ما افترض عليه، لأن ما زاد على ذلك، أدها إلى كلفة، والله تبارك وتعالى لا يريد ذلك، ولوجب أن الذي له مال كثير، إذا أخرج عن الذهب ربع العشر، لا يحسن به أن يزيد على ذلك، وقد حث الناس على النفقات في غير موضع من الكتاب الأشرف. والعبد الضعيف العاجز، قد افتقر إلى مثل ذلك، ولو مثل بحضرته السامية، لعلم أنه لم يبق فيه بقية لأن يسأل ولا أن يجيب، لأن أعضائه متخاذلة، وقد عجز عن القيام في الصلاة، فإنما يصلي قاعداً، والله المستعان. وكيف له أن يكون يصل إلا أن يدب على عكاز؟ ثم استشهد على عجزه بأشعار العرب، وإنني لأعجز إذا اضطجعت عن القعود، فربما استعنت بإنسان، فإذا هم بإعانتني، وبسط يديه لنهضتي، ضربت عظامي، لأنهن عاريات من كسوة كانت عليهن. وأما استشهاده ببيت أبي الطيب، فمن استرشد بمثل العبد الضعيف العاجز، مثله مثل من طلب في القتادة ثمر النخلة، وإنما حمل سائله على ذلك حسن الظن، الذي هو دليل على كرم الطبع، وشرف النفس، وطهارة المولد، وخالص الخيم.

وأما ما ذكره من المكاتب في توسيع الرزق علي، فيدل على إفضال ورثه عن أب فأب، وجد في إثر جد، حتى يصل النسب إلى التراب، فالعبد الضعيف العاجز، ما له رغبة في التوسع، ومعاودة الأطعمة. وتركها صار له طبعاً ثانياً. وإنه ما أكل شيئاً من حيوان خمساً وأربعين سنة.

والشيخ لا يترك أخلاقه
حتى يوارى في ثرى رمسه

وقد علم أن السيد الأجل، تاج الأمراء، فخر الملك، عمدة الإمامة، وعدة الدولة ومجدها، ذا الفخرين، نصيف أولاد سام وحام ويافت، وود العبد الضعيف العاجز، لو أن قلعة حلب، وجميع جبال الشام جعلها الله ذهباً، لينفقه تاج الأمراء، نصير الدولة النبوية، على إمامها السلام. وكذلك على الأئمة الطاهرين من آبائهم، من غير أن يصير إلى العبد الضعيف من ذلك قيراط، وهو يستحي من حضرة تاج الأمراء، أن ينظر إليه بعين من رغب في العاجلة بعد ما ذهب، وهو رضي أن يلقي الله جلّت قدرته، وهو لا يطالب إلا بما فعل من اجتناب اللحوم، فإن وصل إلى هذه الرتبة فقد سعد. ثم اعتذر عن السجع بأخبار أوردها، واحتجاجات ذكرها. وسيدنا الرئيس الأجل، المؤيد في الدين، لزال حجتة باهرة، ودولته عالية، كما قال ثعلبة بن صعيّر:

ولرب قوم المين ذوي شذى
تغلي صدورهم بهتر هاتر

لاقيتهم مني بما قد ساءهم
وخسأت باطلهم بحق ظاهر

ولو ناظر أرسطاليس لجاز أن يفحمه، أو أفلاطون لنبذ حججه خلفه، والله يجمل بحياته الشريفة، وينصر بحججه الملة، وحسبي الله ونعم الوكيل.

"الجواب من ابن أبي عمران" ما فاتحت الشيخ - أحسن الله توفيقه - بالقول، إلا مفاتحة متناكر عليه فيه، مؤثر لأن يخفي من أين جاء السؤال؟ فيكون الجواب عنه باستدلال ورفض حشمة، وحذف تكلف للخطاب بسيدنا والرئيس، وما يجري بهذا المجري، إذ كان حكم ما يتجاري فيه، موجباً ألا يتخلله شيء من زخارف الدنيا، ولأنني أعتقد أن سيدي بالحقيقة، من تستقل دون يده يداي، صداً منه للدنيا، أو تمتاز نفسي من نفسه، استفادة من معالم الأخرى، فما أدري كيف انكشفت الحال؟، حتى صار الشيخ - أدام الله تأييده - يخاطبني بسيدنا والرئيس، وليست مفضلاً عليه في دنيا ولا دين، بل شاد راحلتي إليه الاستفادة، إن وردت موردها، أو صادفت نهراً أو علاقتها، قابلتها بالشكر لنعمته، والإسجال على نفسي بأستاذيته، وبعد، فإنني أعلمه - أدام الله سلامته - أنني

شقت جيب الأرض، من أقصى ديارى إلى مصر، وشاهدت الناس بين رجلين، إما منتحل لشريعة صبا إليها، ولهج بها، إلى الحد الذي إن قيل له من أخبار شرعه: إن فيلاً طار، أو جملاً باض، لما قابله إلا بالقبول والتصديق، وكان يكفر من يرى غير رأيه فيه، ويسفهه ويلعنه، والعقل عند من هذه سبيله في مهواة وفي مضیعة، فليس يكاد ينبعث أن هذه الشريعة التي هو منتحلها، لم يطوق طوقها، ولم يسور سوارها، إلا بعد بلوغ نور العقل منه، فكيف يصح توليه أولاً، وعزله آخر؟ فلما رمت بي المرامي إلى الشام، وسمعت أن الشيخ - وفقه الله - يفضل في الأدب والعلم، وقد اتفقت عليه الأقاويل، ووضح به البرهان والدليل، ورأيت الناس فيما يتعلق بدينه مختلفين، وفي أمره مبتلين، فكل يذهب فيه مذهباً، وحضرت مجلساً جليلاً أجري فيه ذكره، فقال الحاضرون فيه غثاً وسميماً فحفظته في الغيب، وقلت: إن المعلوم من صلابته في زهده، يحميه من الظنة والريب، وقام في نفسي أن عنده من حقائق الله سرّاً قد أسبل عليه من البقية سترّاً، وأمرأ يميز به عن قوم يكفر بعضهم بعضاً، ولما سمعت البيت "غدوت مريض العقل" توثقت من خلدي فيما حدثت عقوده، وتأكدت عهوده، وقلت: إن لساناً يستطيع بمثل هذه الدعوى نطقاً، ويفتق من هذا الفخر العظيم رتقاً، للسان صامت عنده كل ناطق، من ذروة من جبل العلم شاهق، فقصدته قصد موسى للطور، أقتبس منه ناراً، وأحاول أن أرفع بالفخر مناراً، لمعرفة ما تخلف عن معرفته المتخلفون، واختلف في حقيقته المختلفون، فأدليت دلوي بالمسألة الخفيفة، التي سألت عنها، ترقياً من دون إلى فوق، وتدرجاً من صغرى إلى كبير فكان جوابه، أنه يصغر عن أن يكون للاسترشاد محلاً، فقلت: هذه زيادة في فضله، وما يجوز صدور مثله عن مثله، ثم انتهى إلى الإحالة على كون الناس ممن تقدم أو تأخر، في وادي الحيرة تائهن، وفي أذیاله متعثرين، من قائل يقول: إن الخير والشر من الله، ومجيب يجيبه، هل كان ما كان يستعيز منه رسول الله صلى الله عليه وسلم من وعث السفر؟ وكل مستعاذ منه، خيراً أو شراً. فإن كان خيراً فالاستعاذة منه باطلة، وإن كان شراً والله مريده، فالاستعاذة منه كذلك فضول وزيادة في المعنى، وسؤال من يسأل: هل كان سم الحسن وقتل الحسين، عليهما السلام خيراً أو شراً؟ فإن كان خيراً فاللعنة على القاتل من أي جهة؟ وإن كان شراً والله مريده، زال اللوم عن القاتل. وقائل يقول: إن الخير من الله، والشر من غيره، ومجيب يجيب بالجواب الذي يقطع به الأسباب، وغيره مما أطال به الخطاب، من أشعار الملحة وأقوالهم، فكان جوابي - أدام الله سلامته - أنني من هؤلاء الذين ذكرتهم، تبريت إليك، وتطايحت عليك. وإن كلامهم عندي قبل أن علته عليل، وهو على مسامع القبول مني ثقيل، فافتح لي إلى ما عندك باباً، وأفسح لي من لدنك جناباً، فلم يفعل، ثم خاطبته على امتناعه من أكل اللحم، فاحتج بكونه متحرجاً من قصدها - أعني البهائم - بالمضرة والإيلام، متعففاً عنها لهذه الجهة، فقطعت لسان حجته بعد تناهيها، وقلت: إذا كان الله تعالى سلط بعضها لتأكل بعضها، وهو أعرف بوجوه الحكمة، وأرأف باخلیقة، فلا يكون أرأف بها من ربها، ولا أعدل فيها من خالقها، ثم عدل إلى قصور يد الاستطاعة دون ذلك، إذ كان القدر الذي هو له في السنة منصرفاً إلى من يتولى خدمته أكثره، وخالصاً له أقله، فقطعت الحجة في هذا الباب أيضاً، وعينت له على جهة كريمة، من الذين لا يتعبون ما أنفقوا مناً ولا أذى، ما يقوم بقدر كفايته، من أطيب ما يأكلون، وأزكى ما في البيوت يدخرون فتجافت نفسه - وقاها الله سوء - عن هذا الباب أيضاً، وكتب في الجواب الثاني بأنه لا يؤثر ذلك، ولا يرغب فيه، ولا يخرق عاداته المستمرة في الترك، وابتدأ يقول: إني طلبت الرشد ممن لا رشد عنده، وإن البيت الذي قاله مما تعلق به، وجعلته محجة إلى استقرار طريفته ومذهبه، إنما أراد الإعلام باجتهاده في التدين، وما حيلته في الآية المنزلة "من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً" فجمع بين المتضادين في كلمة واحدة، لأنه إن كانت الآية حقاً، كان الاجتهاد باطلاً. وقال: إن لله سبحانه أسراراً لا يقف عليها إلا الأولياء، فنحن على ذلك السر ندور، وعلى باب من هو عنده نطوف، فإن قلنا: إنه - حرسه الله - من أصحابه، بدعوى صحته في دينه وعقله ومرض الناس على موجب قوله، قال: لا رشد عندي، فنظمه في هذا المعنى يناقض نثره، ونثره يخالف نظمه، فكيف الحيلة؟ ثم قال: إن البيت المقول:

لتعلم أنباء العقول الصحائف

غدوت مريض العقل والدين فالقني

يؤدي معناه البيت الثاني:

ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح

فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالماً

فكان مرض الدين والعقل من جهة أكل اللحم، وشرب الألبان، وتناول العسل، فمن ترك هذه المطاعم، كان صحيحاً دينه وعقله، وهو يعلم أن صحة الأديان والعقول لا تقوم بذلك، ولا يجوز أن يكون هذا البيت الثاني، ناسخاً لحكم الأول، فيكون محصول دعواه في فقر الناس، إلى أن يصح دينهم وعقلهم، هو أن يقول لهم: لا تأكلوا اللحم واللبن!!! وأما قوله: إن الحيوان البحري كاره أن يخرج إلى البر، وإنه ليس يقبح في العقول ترك أكله وإن كان حلالاً، لأن المتدينين لم يزلوا يتركون ما لهم طلقاً، فما من حيوان بحري ولا بري، هو أجل من هذا الإنسان الحي العاقل، وهو كاره للموت فيموت، وكاره لأن يأكله شيء، والدود يأكله في قبره، فإن كان ذلك صانداً عن موضع حكمة، كان ما ذكره من الحيوان البري والبحري جارياً في مضمار هذا، مثلاً بمثل، وإن كان معدولاً به عن وجه الحكمة، كان محالاً أن يكون صانعي سفيهاً، وأكون - وأنا مصنوعه - حكيماً.

وأما قوله: إن النبي صلى الله عليه وسلم، صلى إلى أن تقرحت قدماه، فقيل له فيه، فقال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً؟ فما هذا مما نحن عليه في شيء، والإنسان له أن يصلي ما شاء من الصلوات، في الأوقات التي تجوز فيها الصلاة، على ألا يزيد في الفرائض ولا ينقص منها، وهذا الكلام شرعي، وكانت القضية للتكلم على العقليات.

وأما قوله: إنه عليه الصلاة والسلام، حرم صيد الحرم، وإن لغيره أن يحرم صيد الحل تقريباً إلى الله سبحانه، فليس لأحد أن يحل أو يحرم غيره، وأما قوله: إن علياً عليه السلام: لما قدم إليه الخبيص سأل: هل أكل النبي صلى الله عليه وسلم منه؟ فلما قالوا لا: رفعه ولم يأكله، فهذه الحجة عليه لا له، فإن الناس مجمعون على أن النبي صلى الله عليه وسلم، لم يفارق أكل اللحم، وهو يهجره دهره، وذلك بالصد سواء، ولو أنه - حرسه الله - لم يستظهر على بالشرعية، ولم يتجاوز نصبة العقل، لصنته عن هذا الجواب الذي عسى أن يستغل سره. ويعز علي ذلك. وأما ما شكاه من ضعفه، وقصور حركته، وأنه لم يبق فيه بقية لأن يسأل ولا أن يجيب، فما هو - حرسه الله - على علاقته من الضعف والقوة، إلا من محاسن الزمان، وممن سارت بذكر فضله الركبان، إلا أنه على عدوان الدهر عليه، عدا على نفسه، بحرمانها ملاذ دنياها، فإن وثقت نفسه بملاذ تعناض عنها، مما هو خير وأبقى منها، فما خسرت صفقته، وقام مصداق قوله بالبيت المقدم ذكره، وإن كان يوسم بميسم الشح بمنع المنتجعين، ورد السائلين. وإن كان شق على نفسه من غير بصيرة كما يدعيه الآن، خوضاً مع الخائضين، وتحيراً مع أمثالنا من المتحيرين، فقد أضاعها وجنى عليها، وادعى في البيت المقدم ذكره ما لا برهان له، والغرض في السؤال والجواب الفائدة، وإذا عدت فقد خفف الله عنه أن يتكلف جواباً.

وأما الأسجاع ومساءلتي التخلي عنها، فما كانت إلا ضحاً بالمعاني أن تضل بتتبعها، ولأنني إذا تتبعت فضله، بصنعاته في الأدب والشعر، وجدت في أرضه مراغماً كثيراً وسعة، ومن أين لي، أن أظهر على مكنون جواهر علوم دينه؟ كظهوري على مصنفات أدبه وشعره، وقبل وبعد، فأنا أعتذر عن سر له - أدام الله حراسته - أذعته، وزمان منه بالقراءة والإجابة شغلته، لأنني من حيث ما نفعته ضررته، والله تعالى يعلم، أني ما قصدت به غير الاستفادة من علمه، والاغتراف من بحره، والسلام.

وكنا بحضرة القاضي الأكرم، الوزير جمال الدين، أبي الحسن علي بن يوسف، بن إبراهيم الشيباني - حرس الله مجده - وفيه جماعة من أهل الفضل والأدب، فقال أبو الحسن، علي بن عدلان النحوي الموصل: حضرت بدمشق عند محمد بن نصر، بن عنين الشاعر، وزير المعظم، فجاءته رقعة طويلة عريضة، خالية من معنى، فارغة من فائدة، فألقاها إلي قائلاً: هل رأيت قط رقعة أسقط أو أدبر من هذه، مع طول وعرض؟ فتناولتها فوجدتها كما قال، وشرعت أخاطبه، فأومأ إلي بالسكوت وهو مفكر، ثم أنشدني لنفسه:

وردت منك رقعة أسأمتني
ورثت صدري الحمول ملولا
كنهار المصيف ثقلاً وكرباً
وليالي الشتاء برداً وطولا

فاستحسن أهل المجلس هذه البديهة، وعجبوا من حسن المعنى، فقال القاضي الأكرم: مازلت أستحسن كلاماً وجدته على ظهر كتاب ديوان الأعشى، في مدينة فقط سنة خمس وثمانين، يتضمن لأبي العلاء المعري شعراً، يشبه ما في هذين البيتين من المقابلة، ضداً بضد في موضعين، ولعل هذين البيتين بفضلان على ذلك، فقلنا له: وما ذلك الكلام؟ فقال: حكى أن صالح بن مرداس صاحب حلب، نزل على معرة النعمان محاصراً، ونصب عليها المجانيق، واشتد في الحصار لأهلها، فجاء أهل المدينة إلى الشيخ أبي العلاء، لعجزهم عن مقاومته، لأنه جاءهم بما لا قبل لهم به، وسألوا أبا العلاء تلافياً الأمر، بالخروج إليه بنفسه. وتدبير الأمر برأيه، إما بأموال يبذلونها، أو طاعة يعطونها، فخرج ويده في يد قائده، وفتح الناس له باباً من أبواب معرة النعمان، وخرج منه شيخ قصير يقوده رجل، فقال صالح: هو أبو العلاء، فجيئوني به، فلما مثل بين يديه، سلم عليه، ثم قال: الأمير - أطال الله بقاءه -، كالنهار الماتع، قاط وسطه، وطاب أبرداه، أو كالسيف القاطع، لان متنته، وخشن حداه، "خذ العفو وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين" فقال صالح: "لا تثريب عليكم اليوم" قد وهبت لك المعرة وأهلها، وأمر بتقويض الخيام والمجانيق، فنقضت ورحل، ورجع أبو العلاء وهو يقول:

نجى المعرة من برائن صالح
رب يعافي كل داء معضل
ما كان لي فيها جناح بعوضة
الله ألحفهم جناح تفضل

قال أبو غالب بن مهذب المعري في تاريخه، في سنة سبع عشرة وأربعمئة: صاحبت امرأة يوم الجمعة في جامع المعرة، وذكرت أن صاحب الماخور أراد أن يغتصبها نفسها، ففر كل من في الجامع، وهدموا الماخور، وأخذوا خشبه ونهبوه، وكان أسد الدولة في نواحي صيدا، فوصل الأمير أسد الدولة، فاعتقل من أعيانها سبعين رجلاً، وذلك برأي وزيره تادرس بن الحسن الأستاذ، وأوهمه أن في ذلك إقامة للهيبة، قال: ولقد بلغني أنه دعي لهؤلاء المعتقلين بأمد وميا فارقين على المنابر، وقطع تادرس عليهم ألف دينار، وخرج الشيخ أبو العلاء المعري إلى أسد الدولة صالح، وهو بظاهر المعرة، وقال له الشيخ أبو العلاء: مولانا السيد الأجل، أسد الدولة، ومقدمها وناصحها، كالنهار الماتع، اشتد هجير، وطاب أبرداه، وكالسيف القاطع، لان صفحه، وخشن حداه، "خذ العفو وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين".

فقال صالح: قد وهبتهم لك أيها الشيخ، ولم يعلم أبو العلاء، أن المال قد قطع عليهم، وإلا كان قد سأل فيه، ثم قال الشيخ أبو العلاء بعد ذلك شعراً وهو:

تغيبت في منزلي برهة	ستير العيون فقيد الحسد
فلما مضى العمر إلا الأقل	وحم لروحي فراق الجسد
بعثت شقيعاً إلى صالح	وذاك من القوم رأي فسد
فيسمع مني سجع الحمام	وأسمع منه زئير الأسد
فلا يعجبني هذا النفاق	فكم نفقت محنة ما كسد

أحمد بن عبد الرحمن بن نخيل الحميري

أبو العباس الشنتمري يقول فيه أبو العباس، أحمد بن عبد العزيز، بن غزوان الكاتب الشنتمري، وقد حضر القراءة عليه هو وجماعة من طلبة شنتمرية:

ومجلس ليس لشر به	باع وباع الخير فيه مديد
وربما تقضى حياة به	وينتهي العالم فيه بليد
يزينه في جمعه فتية	غر كما تدري صباح الخدود
ما منهم في جمعهم واحد	إلا أخو نبل وذهن حديد
تجمعوا حول فقيه حوى	حلماً وعلماً مع رأي سديد
إن خأنك التفكير في مشكل	فأت من يبلغ ما قد تريد
وإن يقل كان الذي قاله	ولم يكن فيه لخلق مزيد
كأنه بين تلاميذه	بدر بدا بين نجوم السعود

أحمد بن عبد الله المهاباذي الضرير

من تلاميذ عبد القاهر الجرجاني، له شرح كتاب اللمع.

أحمد بن عبد السيد بن علي

يعرف بابن الأشقر، النحوي أبو الفضل، متأخر من ساكني قطيعة باب الأزج، ذكره أبو عبد الله بن الديب في كتابه، الذي ذيله على تاريخ السمعاني وقال: هو أديب فاضل، قرأ على أبي زكريا، يحيى بن علي الخطيب التبريزي، ولازمه حتى برع في فنه، وسمع على علو سنه، من أبي الفضل محمد بن ناصر السلامي، قال: وسمعت من يذكر أنه رأى أبا محمد بن الخشاب النحوي بالقطيعة، من باب الأزج، وهو يسأله عن مسائل من النحو ويباحثه، وقد روى الأشقر: وأقرأ العربية، إلا أن الروايات عنه قليلة.

أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك

ابن عمر، بن محمد، بن عيسى، بن شهيد أبو عامر، أشجعي النسب، من ولد الوضاح، بن رزاح، الذي كان مع الضحاك يوم المرج، ذكره الحميدي وقال: إنه مات في جمادى الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائة بقرطبة، ومولده سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وأبو عبد الملك بن أحمد، شيخ من شيوخ وزراء الدولة العامرية، ومن أهل الأدب، وكان في أيام عبد الرحمن الناصر، له شعر وبديهة، ولم يخلف لنفسه نظيراً في علمي النظم والنثر. قال: وهو من العلماء بالأدب، ومعاني الشعر، وأقسام البلاغة، وله حظ من ذلك بسق فيه، ولم ير لنفسه في البلاغة أحداً يجاريه، وله كتاب حانوت عطار في نحو من ذلك.

وسائر رسائله وكتبه نافعة الجد، كثيرة الهزل، وشعره كثير مشهور، وقد ذكره أبو محمد علي بن أحمد مفتخراً به، فقال: ولنا

من البلغاء أحمد بن عبد الملك، بن شهيد. وله من التصرف في وجوه البلاغة وشعابها مقدار، ينطق فيه بلسان مركب من لساني عمرو وسهل، ومن شعر أبي عامر المختار:

وما ألان قناتي غمز حادثة
أمضي على الهول قدماً لا ينهنهني
ولا أقارض جهالاً بجهلهم
أهيب بالصبر والشحناء ثائرة

ولا استخف بحلمي قط إنسان
وأنتني لسفيهي وهو حردان
والأمر أمري والأيام أعوان
وأكظم الغيظ والأحقاد نيران

وقوله:

ألمت بالحب حتى لو دنا أجلي
وذاندني كرمي عمن ولهت به
قال: وقال أبو محمد علي بن أحمد: ولم يعقب أبو عامر، وانقرض عقب الوزير أبيه بموته، وكان جواداً لا يليق شيئاً، ولا يأسى على فائت، عزيز النفس، مانلاً إلى الهزل، وكان له من علم الطب نصيب وافر.

أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد

ابن عبد الصمد، بن بكر المؤذن، أبو صالح النيسابوري، الحافظ الأمين، لافقيه المفسر، المحدث الصوفي، نسيج وحده، في طريقته وجمعه وإفادته، ولد في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، ومات لتسع خلون من شهر رمضان سنة سبعين وأربعمائة، وكان أبو سعد السمعاني في المزيّد فقال: ومن خطه نقلت، كان عليه الاعتماد في الودائع من كتب الحديث، المجموعة في الخزائن، الموروثة عن المشايخ، الموقوفة على أصحاب الحديث، وكان يصونها، ويتعهد حفظها، ويتولى أوقاف المحدثين، من الحبر والكاغد وغير ذلك، ويقوم بتفريقتها عليهم، وإيصالها إليهم، وكان يؤذن على منارة المدرسة البيهقية سنين احتساباً، ووعظ المسلمين وذكرهم، وكان يأخذ صدقات الرؤساء والتجار، ويوصلها إلى ذوي الحاجات، ويقوم مجالس الحديث، وكان إذا فر، جمع وصنف وأفاد، وكان حافظاً ثقة ديناً، خيراً كثيراً السماع، واسع الرواية، جمع بين الحفظ والإفادة والرحلة، وكتب الكثير بخطه.

ثم ذكر أبو سعد جماعة كثيرة، ممن سمع عليه، بجرجان، والري، والعراق، والحجاز، والشام، ثم قال كما ينطق به تصانيفه وتخريجاته، ولم يتفرغ للإملاء، لاشتغاله بالمهمات التي هو بصدها، ثم ذكر جماعة روى عنه. ثم قال: وصنف التصانيف، وجمع الفوائد، وعمل التواريخ، منها: كتاب التاريخ لبلدنا مرو، ومسودته عندنا بخطه، وأثنى عليه ثناء طويلاً.

وذكر أن الخطيب أبا بكر ذكره في تاريخه، وأنه كتب عنه، وكتب هو عن الخطيب، ووصفه بالحفظ والمعرفة، والذب عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ثم روى عنه أخباراً وأسانيد كثيرة، منها ما أسنده إليه، وقال: أنشد الشريف أبو الحسن عمران ابن موسى المغربي لنفسه:

حذيت وفائي منك غدرًا وخنثني
وحاولت عند البدر والشمس سلوة
وفي الصدر مني لوعة لو تصورت
أمنت اقتدار البين من بعد بينكم

كذاك بدور التم شيمتها الغدر
فلم يسلني يا بدر شمس ولا بدر
بصورة شخص ضاق عن حملها الصدر
فما لفراق بعد فرقتم قدر

أحمد بن عبد الوهاب بن هبة الله

ابن محمد، بن علي، بن الحسين، بن يحيى، بن السيني، أبو البركات، بن أبي الفرج، مؤدب الخلفاء، كانت له معرفة حسنة بالأدب، ومات في سادس عشر من المحرم، سنة أربع عشرة وخمسمائة، عن ست وخمسين سنة، وثلاثة أشهر.

قال أبو الفرج بن الجوزي: كان أبو البركات يعلم أولاد المستظهر، وكان له أنس بالمسترشد، فلما قبض على ابن الجوزي صاحب المخزن، ولي ابن السيني مكانه النظر في المخزن سنة وثمانية أشهر، وكان عالماً بالأدب والشعر، كثير الإفضال على أهل العلم، وخلف من المال ما حزر بمائة ألف دينار. وقف وقوفاً على مكة والمدينة.

أحمد بن عبيد بن ناصح بن بلنجر

أبو جعفر النحوي الكوفي، يعرف بأبي عصيدة. ديلمى الأصل، من موالى بني هاشم، حدث عن الواقدي، والأصمعي، وأبي داود الطيالسي، وزيد بن هارون، وغيرهم. وروى عنه القاسم بن محمد، بن بشار الأنباري، وأحمد بن حسن، بن شهير، ومات فيما ذكره أبو عبد الله، محمد ابن شعبان بن هارون، بن بنت الغرياني في تاريخ الوفيات له، في سنة ثلاث وسبعين ومائتين.

قالوا: وكان ضعيفاً فيما يرويه، وله من التصانيف: كتاب المقصور والممدود، وكتاب المذكر والمؤنث، وكتاب الزيادات في السفر لابن السكيت في إصلاحه، وكتاب عيون الأخبار والأشعار. وحدث محمد بن إسحاق النديم قال: كان أبو عصيدة وابن قادم يودبان ولد المتوكل، قال: لما أراد المتوكل أن يتخذ المؤدبين لولده، جعل ذلك إلى إيتاخ، فأمر إيتاخ كاتبه أن يتولى ذلك، فبعث إلى الطوال، والأحمر، وابن قادم، وأبي عصيدة هذا، وغيرهم من أدباء ذلك العصر، فأحضرهم مجلسه، وجاء أبو عصيدة، فقعده في آخر الناس، فقال له من قرب منه: لو ارتفعت، فقال: بل أجلس حيث انتهى بي المجلس، فلما اجتمعوا، قال لهم الكاتب: لو تذاكرتم وقفنا على موضعكم من العلم، واخترنا. فآلقوا بينهم بيت ابن عنقاء الفزاري:

زريني إنما خطئي وصوبي علي وإنما أنفقت مال

فقالوا: ارتفع مال بإنما، إذا كانت ما بمعنى الذي، ثم سكتوا، فقال لهم أحمد بن عبيد بن عبيد من آخر الناس: هذا الإعراب، فما المعنى؟ فأحجم الناس عن القول، فقيل له: فما المعنى عندك؟ قال: أراد ما لومك إياي؟ وإن ما أنفقت مال، ولم أنفق عرضاً، فالمال لا ألام على إنفاقه، فجاءه خادم من صدر المجلس فأخذ بيده، حتى تخطى به إلى أعلاه، وقال له: ليس هذا موضعك، فقال: لأن أكون في مجلس أرفع منه إلى أعلاه، أحب إلي من أن أكون في مجلس أحط عنه. فاختر هو وابن قادم، بخط عبد السلام البصري.

حدثنا أبو الحسن محمد بن يوسف، بن يوسف، بن موسى سبط فلان، قال: حدثنا أبو القاسم عبيد الله، ابن محمد، بن جعفر الأزدي قال: سمعت أحمد بن عبيد، بن ناصح يقول: لما أراد المتوكل أن يعقد للمعز ولاية العهد، حططته عن مرتبته قليلاً، وأخرت غداءه عن وقته، فلما كان وقت الانصراف، قلت للخادم أحمله، فضربته من غير ذنب، فكتب بذلك إلى المتوكل: فأنا في الطريق منصرفاً، إذ لحقني صاحب رسالة فقال: أمير المؤمنين يدعوك، فدخلت على المتوكل وهو جالس على كرسي، والغضب يبين في وجهه، والفتح قائم بين يديه متكناً على السيف، فقال: ما هذا الذي فعلته يا أبا عبد الله؟ قلت: أقول يا أمير المؤمنين؟ فقال: قل، إنما سألتك لتقول، قلت: بلغني ما عزم عليه أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - فدعوت ولي عهده وحططت منزلته، ليعرف هذا المقدار، فلا يعجل بزوال نعمة أحد، وأخرت غداءه، ليعرف هذا المقدار من الجوع، فإذا شكى إليه الجوع عرف ذلك، وضربته من غير ذنب، ليعرف مقدار الظلم، فلا يعجل على أحد، قال: فقال أحسنت، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، ثم لحقني رسول قبيحة بعشرة آلاف أخرى، فانصرفت بعشرين ألفاً. قال: وحدثنا أبو القاسم الأزدي قال: سمعت أحمد بن عبيد، بن ناصح يحدث قال: قال لي المعز يوماً: يا مؤدبي، تصلي جالساً؟ وتضربني قائماً؟ فقلت له: وضربك من الفروض، ولا أودي فرضي إلا قائماً، وقال عبد الله بن عدي الحافظ: أحمد بن عبيد، أبو عصيدة النحوي، كان بسر من رأى يحدث عن الأصمعي، ومحمد بن مصعب القرقيساني بمناكير، وقال أبو أحمد الحافظ النيسابوري وذكره فقال: لا يتابع على جل حديثه قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري: أنشدني أبي قال: أنشدنا أحمد ابن عبيد:

ضعفت عن التسليم يوم فراقنا فودعتها بالطرف والعين تدمع
وأمسكت عن رد السلام فمن رأى محباً بطرف العين قبلي يودع؟
رأيت سيوف البين عند فراقنا بأيدي جنود الشوق بالموت نلمع
عليك سلام الله مني مضاعفاً إلى أن تغيب الشمس من حيث تطلع

أحمد بن عبيد الله بن محمد

ابن عمار أبو العباس الثقفي الكاتب المعروف بحمار العير، كذا قال الخطيب، قال: وله مصنفات في مقاتل الطالبين وغير ذلك، وكان يتشيع، ومات في سنة أربع عشرة وثلاثمائة. حدث عن عثمان بن أبي شيبة، وسليمان بن أبي شيخ، وعمر ابن شبة، ومحمد بن داود بن الجراح، وغيرهم. وروى عنه القاضي الجابي، وابن زنجي الكاتب، وأبو عمرو بن حيويه، وأبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، وغيرهم. وفيه يقول ابن الرومي:

وفي ابن عمار عزيرية ليخاصم الله بها والقدر
ما كان لم يكن؟ وما لم يكن لم يكن؟ فهو وكيل البشر

لا بل فتى خاصم في نفسه
وكل من كان له ناظر

لم لم يفز قدماً وفاز البقر
صاف فلا بد له من نظر

هذا ما ذكره الخطيب. ووجدت في كتاب ألفه أبو الحسن، علي بن عبيد الله، ابن المسيب الكاتب، في أخبار ابن الرومي، وكان ابن المسيب هذا، صديقاً لابن الرومي وخليطاً له. قال: كان أحمد بن محمد، بن عبيد الله، بن عمار، "هكذا قال في نسبه، بتقديم محمد على عبيد الله" صديقاً لابن الرومي، كثير الملازمة له، وكان ابن الرومي يعمل له الأشعار، وينحله إياها، يستعطف بها من يصحبه، وكان ابن عمار محدوداً فقيراً، وقاعة في الأحرار، وكان أيام افتقاره، كثير السخط لما تجري به الأقدار، في آناء الليل والنهار، حتى عرف بذلك، فقال له علي بن العباس، بن الرومي يوماً: يا أبا العباس، قد سميتك العزيز، قال له: وكيف وقعت لي على هذا الاسم؟ قال: لأن العزيز خاصم ربه، بأن أسال من دماء بني إسرائيل على يدي، بختنصر سبعين ألف دم، فأوحى الله: "لن لم تترك مجادلتي في قضائي، لأمحونك من ديوان النبوة". وقال فيه: "وفي ابن عمار عزيرية" وذكر البيهقي اللذين في كتاب الخطيب وزاد:

لا، بل فتى خاصم في نفسه
وكل من كان له ناظر

لم لم يفز قدماً وفاز البقر؟
صاف فلا بد له من نظر

وكتب ابن الرومي إلى أحمد بن محمد، بن بشر المرشدي قصيدة يمدحه فيها، ويهئنه بمولود ولد له، ويحضه على بر ابن عمار والإقبال عليه، يقول فيها:

ولي لديكم صاحب فاضل
مبارك الطائر ميمونه
بل عندكم من يمنه شاهد
جاء فجاءت معه غرة
إن أبا العباس مستصحب
لكن في الشيخ عزيرية
فاشدد أبا العباس كفاً به
باقعة إن أنت خاطبته
أدبه الدهر بتصرفه
وقد غدا ينشر نعماءكم

أحب أن يبقى وأن يصحبا
خبرني عن ذاك من جربا
قد أفصح القول وقد أعربا
تقبل الناس بها كوكبا
يرضي أبا العباس مستصحباً
قد تركته شرساً مشغباً
فقد ثقفت المحطوب المحوبا
أعرب أو فاكهته أغربا
فأحسن التأديب إذ أدبا
في كل ناد موجزاً مطنباً

والقصيدة طويلة. قال: وصار محمد بن داود، بن الجراح يوماً إلى ابن الرومي مسلماً عليه، فصادف عنده أبا العباس أحمد بن محمد بن عمار، وكان من الضيق والإملاق النهائية، وكان علي بن العباس مغموماً به، فقال محمد بن داود لابن الرومي، ولأبي عثمان الناجم: لو صرتم إلي وكثرتما بما عندي، لأنس بعضنا ببعض، فأقبل ابن الرومي، على محمد بن داود فقال: أنا في بقية علة، وأبو عثمان مشغول بخدمة صاحبه، يعني ابن بليل، وهذا أبو العباس بن عمار، له موضع من الرواية والأدب، وهو على غاية الإمتاع والإيناس بمشاهدته، وأنا أحب أن تعرف مثله، وفي العاجل خذه معك، لتقف على صدق القول فيه. فأقبل محمد بن داود، على أحمد بن عمار، وقال له: تفضل بالمصير إلي في هذا اليوم، وقبله قبولاً ضعيفاً، فصار إليه ابن عمار في ذلك اليوم، ورجع إلى ابن الرومي فقال له: إنني أقمت عند الرجل وبت، وأريد أن تقصده وتشكره، وتؤكد أمري معه. ومحمد بن داود في هذا الوقت متعطل، ملازم منزله، فصار إليه، وأكد له الأمر معه، وطال اختلافه إليه، إلى أن ولي عبيد الله بن سليمان وزارة المعتضد، واستكتب محمد بن داود بن الجراح، وأشخصه معه، وقد خرج إلى الجبل ورجع، وقد زوجه بعض بنات، وولاه ديوان المشرق، فاستخرج لابن عمار أفساطاً أغناه بها، وأجرى عليه أيضاً من ماله، ولم يزل يختلف إليه أيام حياة محمد بن داود.

وكان السبب في أن نعشه الله بعد العثار، وانتاشه من الإقبال ابن الرومي، فما شكر ذلك له، وجعل يتخلفه، ويقع فيه ويعيبه، وبلغ ابن الرومي ذلك، فهجاه بأهاج كثيرة، منها وهو مصحف:

ألا تعظم من قدرني
تك لا تعرض لشعري
حر عمتك وأبرى
حة منقاد لأمرى؟؟

ألا قل لابن عمار
بحر أختك وحر والد
وتذكر حين تنسى
وإذ فتى فرح الرو

يران لكن لست تدري

خر خالاتك للـج

قال ابن المسيب: ومن عجيب أمر عزيز هذا، أنه كان ينتقص ابن الومي في حياته، ويزري على شعره، ويتعرض لهجائه، فلما مات ابن الرومي، عمل كتاباً في تفضيله، ومختار شعره، وجلس يمليه على الناس، وذكره محمد بن إسحاق النديم في كتاب الفهرست، فقال: كان يصحب محمد بن داود، بن الجراح، ويروي عنه، ثم توكل للقاسم بن عبيد الله، بن سليمان وولده.

وله من الكتب كتاب المبيضة، وهو في مقاتل الطالبين، كتاب الأنواء، كتاب مثالب أبي نواس، كتاب أخبار سليمان بن أبي شيخ، كتاب الزيادة في أخبار الوزراء، لابن الجراح، كتاب أخبار حجر بن عدي، كتاب أخبار أبي نواس، كتاب أخبار ابن الرومي ومختار شعره، كتاب المناقضات، كتاب أخبار أبي العتاهية، كتاب الرسالة في بني أمية، كتاب الرسالة في تفضيل بني هاشم ومواليهم، وذم بني أمية وأتباعهم، كتاب الرسالة في المحدث والمحدث، كتاب أخبار عبد الله بن معاوية الجعدي، كتاب الرسالة في مثال معاوية.

وذكره أبو عبد الله المرزباني في كتاب المعجم فقال: وذكر أنه مات في سنة عشر وثلاثمائة قال: وهو القائل:

وعيرتني النقصان والنقص شامل
وأقسم أنني ناقص غير أنني
تفاضل هذا الخلق بالعلم والحجى
ولو منح الله الكمال ابن آدم
ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكما؟
إذا قيس بي قوم كثير تقللوا
ففي أيما هذين أنت؟ فتفضل
لخلده والله ما شاء يفعل

وذكر ابن زنجي أبو القاسم الكاتب قال: كان الوزير أبو الحسن، علي بن محمد، بن الفرات، قد أطلق في وزارته الأخيرة للمحدثين عشرين ألف درهم، فأخذت لأبي العباس أحمد بن عبد الله بن عمار، لأنه كان يجيئني ويقيم عندي: وسمعت منه أخبار المبيضة، ومقتل حجر، وكتاب صفين، وكتاب الجمل، وأخبار المحدثي، وأخبار سليمان بن أبي شيخ، وغير ذلك خمسمائة درهم.

أحمد بن عبد الله كلوذاني

بن أحمد، أبو الحسين الكلوذاني، المعروف بابن قرعة، من أهل الأدب والفضل الغزير، كتب بخطه الكثير من المصنفات الطوال، ولازم أبا بكر الصولي، وتضلع عليه من أدبه، وروى عنه، وطلب الأدب طول عمره، ثم عاد إلى بلده كلودي، فأقام بها طول عمره، وقصده الناس، فكان أديبها وفاضلها، ولم يزل بها إلى آخر عمره.

أحمد بن عبيد الله بن الحسن بن شقير

أبو العلاء البغدادي، ذكره الحافظ أبو القاسم في تاريخ دمشق، وقال: حدث عن أبي بكر محمد بن هارون بن المحدث، وحامد بن شعيب البلخي، والهيثم ابن خلف، وأبي بكر الباغندي والبيغوي، وأبي عمر الزاهد، وأبي بكر بن الأنباري، وابن دريد، وأحمد بن فارس، وأبي بكر أحمد بن عبد الله سيف السجستاني، روى عنه تمام الرازي، ومكي بن محمد بن الغمر، وأبو نصر عبد الوهاب بن عبد الله، بن الحيات، ومحمد بن عبد الله ابن الحسن الدوري.

أحمد بن علي بن يحيى بن أبي منصور

المنجم، أبو عيسى، نذكر كل واحد من آبائه وأعمامه، وأهل بيته في بابيه، إن شاء الله تعالى وحده. وأما نسبهم، وولائهم، وأولييتهم، فنذكره في باب جده يحيى بن أبي منصور المنجم، إن شاء الله، وكان أحمد هذا، نبيلاً فاضلاً، وذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: له كتاب تاريخ سني العالم.

أحمد بن علي، أبو بكر الميموني

البرزندي النحوي، ذكره أبو الفتح، منصور بن المعذر النحوي، الأصفهاني المتكلم، وقد ذكر جماعة من المعتزلة النحويين، فذكر أبا سعيد السيرافي، وأبا علي الفارسي، وعلي بن عيسى الرماني، وغيرهم، ثم قال: وأبو بكر أحمد بن علي النحوي البرزندي، الشافعي النحوي المعتزلي، القائل:

وما حبرت كفي بما في المحابر
إذا أظلمت بالقوم طرق البصائر

إذا مت فانعيني إلى العلم والنهي
فإني من قوم بهم يصبح الهدى

أحمد بن علي المعروف بابن خشكنانجه

بن وصيف، المعروف بابن خشكنانجه يكنى أبا الحسين، وكان أبوه علي الملقب بخشكنانجه، فاضلاً، وقد ذكر في بابه، مات أحمد ببغداد، وذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: كان كاتباً بليغاً، فصيحاً شاعراً، وله من الكتب: كتاب النثر الموصول بالنظم، كتاب صناعة البلاغة، كتاب الفوائد:

أحمد بن علي القاساني اللغوي

أبو العباس، يعرف بلوه، وقيل بابن لوه، لا أعرف من أمره إلا ما قرأته بخط بديع بن عبد الله، فيما كتبه عن أبي الحسين، أحمد بن فارس اللغوي. أنشدني أحمد بن علي بن القاساني اللغوي:

إغسل يديك من الثقافات
واصحب أخاك على هوا
ما الود إلا باللسا
ن فكن لسانی الصفات

وقال في موضع آخر منه: سمعت أبا العباس أحمد ابن علي القاساني يقول: سمعت أعرابياً بالبادية يقول:
قل لدينا أصبحت تلعب بي
سلط الله عليك الآخرة
قلت أنا: هذا البيت معروف للحسين بن الضحاك، مع بيت آخر هو:

إن أكن أبرد من قنيئة
أو من الريش فأمي فاجرة

وقال في موضع آخر: أخبرني أبو العباس، أحمد ابن علي القاساني، يعرف بلوه، وقال في موضع آخر: يعرف بابن لوه بقزوين، قال: كنت بالبصرة، وبها أبو بكر بن دريد، فبينما نحن في مجلسه، ورد علينا رجل من أهل الكوفة، فجعل يسأله عن مسائل، يظهر فيها لنا أنه يتعنته ويتسقطه، فأقبل عليه أبو بكر فقال له: يا هذا: قد عرفت مغزاك، وأحب أن تجمع ما تريد أن تسألني عنه في قرطاس، وتأتيني به وتأخذ من الجواب بديهة إن شئت، أو روية، فمضى الرجل وجاءه بعد ثلاث، وقد جمع له، فما سأله عن مسألة إلا وأبو بكر يبادره بالجواب، والرجل يكتب، ثم إنا سألنا الرجل، فأعطانا المسائل والجواب، فكتبتُها، وهي هذه سماعي من أبي بكر لفظاً، القهوسة: مشية بسرعة، القعسرة: الصلابة والشدّة، القعسنة: الانتصاب في الجلسة ويقال: الفقعة أن يرفع الرجل رأسه وصدرة، القعوسة: التذلل، الفقعسة: استرخاء وبلادة في الإنسان، البحدلة: القصر، بهدل: طائر، الكهدل: الشابة الناعمة، غطمش، من قولنا: تغطمش علينا: إذا ظلمنا، هجعم من الهجعة: وهي الجرأة، خضارع من الخضرة: وهي التسمح بأكثر ما عند الإنسان، التخثعم: الانقباض، الخنعة: التلطيخ بالدم، الشعفر: المرأة الحسنة، الكلحية: العبوس، ويقال: كلحبت النار إذا مدت لسانها، سنبس من الصلابة واليبس، البلندي: الغليظ الصلب، القرثة: تقرد الصوف في خروف ونحو هذه.

قال ابن فارس: أنشدني أبو العباس أحمد بن علي القاساني، وكان يعرف بابن لوه، قال: أنشدني أبو عبد الله نفطويه لبعض الأعراب:

إذا واله حنت من الليل حنة
هناك لا روادهم يبلغوننا
ولا خبر يجلو العمى بيقين
إلى إلفها جاوبتها بحنين

وقال: قال أبو العباس: حجبت فوقفت على أعرابية فقلت لها: كيف أصبحت؟ فقالت:

بخير على أن النوى مطمئنة
وإني لباك من تفرق شملهم
بليلى وأن العين باد معينها
فمن مسعد للعين؟ أم من يعينها؟

قال وأنشدني:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
بواد به الجثجاث والسلم والنضر

قال ابن فارس: وأنشدني أحمد بن علي القاساني:

وأمت أحب الناس قريباً ورؤية
إلى قلبه سلمى وإن لم نحبيب

سليمى خصيباً كان أو غير مخصب

وعضضت من جزع لفرقتها يدي
منها وإن سكنت محل الأبد

حبيب إليه كل واد تحله

قال وأنشدني:
وإذا دعا داع بها فديتها
لا يبعدن تلك الشمائل والحلي

أحمد بن علي بن هارون

ابن علي، بن يحيى، بن أبي منصور المنجم، والمنجم أبو الفتح، أحد من سلك سبيل آبائه في طرق الآداب، واهتدى بهديهم في تلك إلى الفضائل من كل، روى عنه أبو علي التنوخي في نشواره فأكثر، ووصفه بالفضل وما قصر، وأنشد له أشعاراً قال: أنشدني أبو الفتح، أحمد بن علي، بن هارون، بن يحيى المنجم، في الوزير أبي الفرج، محمد بن العباس بن فسانجس في وزارته، وقد عمل على الانحذار إلى الأهواز لنفسه:

قل للوزير سليل المجد والكرم
ومن يده ما تجدي ندى وردى
ومن إذا هم أن يمضي عزائمه
ومن عوارفه تهمني وعادته
لأنت أشهر في رعي الذمام وفي
والعبد عبدك في قرب وفي بعد
فمره يتبعك أو لا فاعتمده بما

قال وأنشدني لنفسه، وذكر أنه لا يوجد لها قافية رابعة من جنسها في الحلاوة:

سيدي أنت ومن عاداته
أنصف المظلوم وارحم عبدة
ربما أكني بقول سيدي

قال: وأنشدني لنفسه، والقافية كلها عود باختلاف المعنى:

العيش عافية والريح والعود
هذا الذي لكم في مجلس أنق
وقيته وعدّها بالخلف مقترن
وقيته كنجوم الليل دأبهم
فاغدوا علي بكاس الراح مترعة

فكل من حاز هذا فهو مسعود
شجاره العنبر الهندي والعود
بما يؤمله راج وموعد
إعمال كأس حذاها النار والعود
عوداً وبدءاً فإن أحمدم عودوا

أحمد بن علي، أبو الحسن البتي الكاتب

كان يكتب للقادر بالله عند مقامه بالبطيحة، ولما وصلتته البيعة، كتب عنه إلى بهاء الدولة، وكان البتي حافظاً للقرآن تالياً له، مليح المذاكرة بالأخبار والآداب، عجيب النادرة، ظريف المزح والمجون، قال ابن عبد الرحيم: كان البتي في بدء أمره يلبس الطيلسان، ويسمع الحديث، ويقرأ القرآن على شيوخ عصره، وكان يذكر أنه قرأ القرآن على زيد بن أبي بلال، وكان غاية في جمع خلال الأدب، يتعلق بصنوع وافرة من فنون العلم، ويكتب خطأ جيداً، ويترسل ترسل لا بأس به، وينظم شعراً دون ما كان حظي به من العلم، ثم لبس من بعد الدراعة، وسلك في لبسه مذاهب الكتاب القدماء، وكان يلبس الخفين والمبطنة، ويتعمم العمة الثغرية، وإن لبس لالحة لم تكن الامرديّة، وكان لا يتعرض لحلق شعره، جرياً على السنة السالفة، وكتب من بعد في ديوان الخلافة، وكان له حرمة بالقادر بالله رعاها له، ثم غلب على أخلاقه الهزل، وتجاوى الجد بالواحدة، وانقطع إلى اللعب، وكان شكله ولفظه، وما يورده من النواذر، يدعو إلى مكائرتة، والرغبة إلى مخالطته، فحضر مجلس بهاء الدولة ف يجملة الندماء، ونفق عنده نفاقاً لا مزيد عليه، ولم يكن لأحد من الرؤساء مسرة تنم، ولا أنس يكمل إلا بحضوره، فكانوا يتداولونه ولا يفارقونه، ونادم الوزراء، حتى انتهى إلى منادمة فخر الملك، وأعجب به غاية الإعجاب، وأحسن إليه غاية الإحسان، ومات في أيامه، وكانت له نواذر مضحكة، وجوابات سريعة، لا يكاد يلحقه فيها أحد، وتعرض لغيبة الناس، تعرضاً قلما أخل به على الوجه

المضحك، الذي يكون سبباً إلى تدارك تلك المنقصة، وطريقاً إلى استقالة زلته فيها، بما اعتمده من التطايب، وكان يذهب مذهب المعتزلة، ويميل إلى فقه أبي حنيفة، ويتعصب للطائي تعصباً شديداً، ويفضل البحتري على أبي تمام، ويغلو فيه غاية الغلو.

فمن نوادره الشائعة أنه انحدر مع الرضي والمرتضى، وابن أبي الريان الوزير، وجماعة من الأكابر لاستقبال بعض الملوك، فخرج عليهم للصوص، ورموهم بالحراقات، وجعلوا يقولون: ادخلوا يا أزواج القحاب، فقال البتي: ما خرج هؤلاء علينا إلا بعين، قالوا: ومن أين علمت؟ قال: وإلا فمن أين علموا أنا أزواج قحاب؟ وكان البتي صاحب الخبر والبريد في الديوان القادري، ومات في شعبان سنة ثلاث وأربعمائة، وله تصانيف منها: كتاب القادري، وكتاب العميدي، كتاب الفخري.

قال الوزير أبو القاسم المغربي: كان أبو الحسن البتي أحد المتفنيين في العلوم، لا يكاد يجاري في فن من العلوم فيعجز عنه، وكان مليح المحاضرة، كثير المذاكرة، طيب النادرة: مقبول المشاهدة، رأيته على باب أحد رؤساء العمال وقد حجب عنه، فكتب إليه:

على أي باب أطلب الإذن بعد ما حجبت عن الباب الذي أنا صاحبه

فخرج الإذن له في الحال. وحدث الرئيس أبو الحسن هلال بن المحسن قال: كنت عند فخر الملك أبي غالب بن خلف بالأهواز، فكتب إلى أبي ياسر عماد بن أحمد الصيرفي: احمل إلى أبي الحسن البتي مائتي دينار مع امرأة لا يعرفها، واكتب معها رقعة غير مترجمة، وقل فيها: قد دعاني ما أثرته من مخالطتك، ورغبت فيه من مودتك، إلى استدعاء المواصله منك، واقتتاح باب الملاطفة بيني وبينك، وقد أنفذت مع الرسول مائتي دينار، فأخذها أبو الحسن، وكتب على ظهر الرقعة: مال لا أعرف مهديه، فأشكر له ما يوليه، إلا أنه صادف إضافة دعت إلى أخذه، والاستعانة في بعض الأمور به، قلت:

ولم أدر من ألقى عليه رداءه سوى أنه قد سل عن ماجد محض

وإذا سهل الله لي اتساعاً، رددت العوض موفوراً، وكان المبتدي بالبر مشكوراً.

وكان أبو الحسن قد فطن للقصة، وكتب على بصيرة ولما أنفذ أبو ياسر بالجواب، أقرأنيه فخر الملك. فاستحسنه وقوع هذا البيت موقعه من التمثيل. ومن شعر الرضي الموسوي إليه، الأبيات المشهورة:

أبا حسن أتحسب أن شوقي يقل على مكاترة الخطوب

يهش لكم على الفرقان قلبي هشاشته إلى الزور القريب

وألفظ غيركم ويسوغ عندي وادكم مع الماء الشروب

ورثاه الموسوي بقوله:

ما للهموم كأنها نار على قلبي تشب

والدمع لا يرقا له غرب كأن العين غرب

ما كنت أحسب أنني جلد على الأرزاء صعب

ما أخطأتك النائبا ت إذا أصابت من تحب

ورثاه المرتضى أخو الرضي بقوله:

عرج على الدار مغبراً جوانبها فاسأل بها عجلاً عن ساكن الدار

وقل لها أين ما كنا نراه على مر المدى بك من نقض وإمرار؟

وأين أوعية الآداب فاهقة تجري خلائك جري الجدول الجاري

يا أحمد بن علي والردى عرض يزور بالرغم منا كل زوار

علقت منك بحبل غير منتكث عند الحفاظ وعود غير خوار

وقد بلوتك في سخط وعند رضى وبين طي لأنباء وإظهار

فلم تفدني إلا ما أضن به ولم تزدني إلا طيب أخبار

لا عار فيما شربت اليوم غصته من المنون وهل بالموت من عار؟

ولم يترك سوى ما نال كل فتى عالي المكان ولاقى كل جبار

وأمر بهاء الدولة أبا الحسن البتي أن يعمل شعراً يكتب على تكة إبريسم فقال:

لم لا أتيه ومضجعي بين الروادف والخصور؟

بين الترائب والنحور
إلفاً لربات الخدور

وإن اتشحت فإنني
ولقد نشأت صغيرة

وله يصف كوز لافقاع:

وقد عراني خمار مغبوق
مثل هدير الفحول في النوق
شف فيه صياح مخنوق

يا رب ثدي مصصته بكرة
له هدير إذا شربت به
كان ترجيعه إذا رشف الرا

وله أيضاً:

في عرصتي طلل أو إثر مرتحل
في وجه آخر فاحمرت من الخجل

ما احمرت العين من دمع أضر بها
لكن رآها الذي يهوى وقد نظرت

قال ابن عبد الرحيم: وكان القادر بالله استتر عنده، لما طلبه الطائع قبل انحداره، وأخذ يده أن يستلينه، فلما ولي وقضي الأمر، صرف ابن حاجب النعمان، ورتبه في كتابته، واتفق أن كان ذلك في وقت الأضحى، فخرج إليه خادم على العادة في مثل ذلك، فقال له: رسم أن تحصي أسقاط الأضاحي، فقال لغلّامه: خذ الدواة، فإن القوم يريدون كراعياً، ولا يريدون كاتباً، وانصرف بهذا المزح من الخدمة، وكان الهزل قد غلب عليه، وعزب عنه الجد جملة، وكان بينه وبين الرضي مقارضة لكلام جرى بينهما، فاتفق أن اجتاز بقرب دار الرضي، عند مسجد الأنباري، فقال لغلّامه: مل بنا عن تلك الدار، فإني أكره المرور بها، فالتفت فوقعت عينه على الرضي، فتمم كلامه من غير أن يقطعه وقال: فإنني لا وجه لي في لقائه، لطول جفائه، فاستحسن هذا من بديهته، ودخل دار الرضي واصطالحا. ومن نواذره: أنه سمع يوماً أصوات الملاحين، وارتفاع ضجة، فقال: ما هذا؟ فقالوا: هؤلاء أولاد أبي الفضل، بن حاجب النعمان، وأبي سعيد بن أبي الخطاب، وجماعة أولادهم، فقال: ما بيننا وبين هؤلاء إلا موت الآباء؟ ورأى معلماً قبيح الوجه، يعرف بنفاط الجن، وكان وحشاً انكشفت سوأته، فقال له يا هذا: استر عورتك السفلى، فإنك قد أدليت، ولكن بغير حجة، واستقبل أبا عبد الله بن الدراع، في ميدان بستان فخر الدولة، وهو متكئ على يد غلام أسود، فقال أبو عبد الله: هذا الأسود يصلح لخدمة سيدنا، فقال البتي: أي الخدم؟ فقال: خدمة الفراش، فقال: اللهم غفر، أرمي بالبغاء، وليس في منزلي خنفساء؟ ويعرى منه سيدنا، وفي داره جميع بني حام.

بشر ابن الحواري بمولود، وكان ابن الحواري سمح الخلقة، فقال له البتي: إن كان هذا المولود يشبهك فويه، ثم ويه.

وسقاه الفقاعي في دار فخر الدولة فقاعاً، فلم يستطبه، فرد الكوز مفكراً، فقال له الفقاعي: في أي شيء تفكر؟ فقال: في دقة صنعتك، كيف أمكنتك أن تخرى في بهذه الكيزان كلها مع ضيق رأسها؟ وأتاه غلامه في مجلس حفل فقال له: إن ابنك وقع من ثلاث درج، فقال: ويك من ثلاث بقين؟ أو خلون؟ فلم يفهم عنه، فقال: إن كان خلون فسهل، وإن بقين فيحتاج إلى نائحة.

ودخل الرقي العلوي على فخر الملك، فقال: - أطل الله بقاء مولانا، واسعده بهذا اليوم -، فقال له وأي يوم هذا؟ فقال أيلون، فقال البتي بالنون، فقال: ما قرأت النحو، فقال البتي: أنت إذا معذور، فإنك ثلاثة أرباع رقيق، أراد رقي، إذا ألحقت به العين وهو الحرف الرابع، صار رقيق.

قال ابن عبد الرحيم: وكان بين البتي وبين أبي القاسم بن فهد ملاحة ومناظرة، ثم أصلح فخر الملك بينهما، فعمل فيه أبياتاً يقول فيها:

رام صلحي من بعيد

قلت للبتي لما

وكان يرمي بالبخر، ويزن بالأبنة أيضاً، وقال فيه أيضاً:

إن أنت أعفيتني من القبل

وكل شرط للصالح أقبله

وحدث ابن عبد الرحيم قال: وكان البتي مقبولاً، مستملحاً في جميع أحواله، ولم يكن فيه أقل من شعره، فإنه كان في غاية البرد، وعدم الطبع، وكان قد عمل في فخر الملك، وهو يسد فتق النهران قصيدة، يصف فيها السكر قال فيها:

عاجله بالسد من جانب

إذا أتاه الماء من جانب

فقال له: هذا والله أيها الأستاذ بارد، وأعادته، فحكى البيت وتأمله، وقال نعم، والله هو بارد، وجعل يعوج على نفسه، ويكرر الإنشاد مستبرداً له، فضحك فخر الملك منه، وقطع الإنشاد ولم يتممه.

قال: ولم يكن يسلم أحد من لسانه، وتعويجه وثلبه له، وإذا اتفق أن يسمعه من يقول ذلك فيه، التفت إليه كالمعتذر، وقال: مولاي

ههنا؟ ما علمت بحضوره، ويجعل كونه ما عليم بحضوره اعتذاراً، كأنه مباح له ثلّبه بالغيبة. قال: وكان مع ذكائه وتوقده، وكثرة طنزه وتولعه، أشد الناس غباوة في الأمور الجديات، وأبعدهم من تصورهما، وكان له معرفة تامة بالغناء وصنعتة، ولا تكاد المغنية تغني بصوت إلا ذكر صنعتة، وشاعره وجميع ما قيل في معناه، وله من قصيدة في ابن صالحان:

سل الربع بالخبثين كيف معاهده	وأنى برجع القول منه هوامده؟
عفت حقباً بعد الأنيس رسومه	فلم يبق إلا نؤيه وخوالده
ديار نزت الدمع في عرصاتها	توأمًا إلى أن أقرح الجفن فارده
أرقت دماً بعد الدموع نزحته	من القلب حتى غيضته شوارده
سأستعقب الدهر الخئون بسيد	يرد جماح الدهر إذ هو قائده
سواء عليه طارف المال في الندى	إذ ما انتحاه السائلون وتالده

وله فيه:

قرم إذا اعتذرت نوافل بره	لم يلف دافع حقها بمعاذر
من معشر ورثوا المكارم والعلا	وتقسموها كابرًا عن كابر
قوم يقوم حديثهم بقديمهم	ويسير أولهم بمجد الآخر

وكان أبو إسحاق الصابئ قد عمل لأبي بشر بن طازاد نسخة كتاب أراد إنشاءه، ونحله إياه، فكتب إليه أبو الحسن البتي يعرض بذلك:

زكاة العلوم زكاة الندى	و عرف المعارف بذل الحجي
ولكن يجر به أهله	فأجر بنبلك فضل التقى
لئن كنت أوجبتة قرية	لما وقع الموقع المرتضى
وما صدقاتك مقبولة	إذا ما تنكبت فيها الهدى

قد عرفت - أطال الله بقاء سيدي - العارية والمستعير، وكيف جرى الأمر في ذلك، وما ظننت أن هذا يجري مجرى الماعون الذي لا يحسن منعه، "إذ لا يقع الغرض موقعه، بل ساء لنفرته من لابسه:"

أحمد بن علي بن محمد، أبو عبد الله

الرماني النحوي، المعروف بابن الشرايبي، ذكره أبو القاسم فقال: سمع عبد الوهاب بن حسن الكلابي، وأبا الفرج الهيثم بن أحمد الفقيه، وأبا القاسم عبد الرحمن بن الحسين، بن الحسن، بن علي، بن يعقوب، بن أبي العقب، حدث بكتاب إصلاح المنطق، ليعقوب بن السكيت، عن أبي جعفر محمد بن أحمد الجرجاني، عن أبي علي الحسن ابن إبراهيم الأمدي، عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش، عن ثعلب، عن ابن السكيت، روى عنه أبو نصر بن طلاب الخطيب. قال ابن الأكفاني: حدثنا عبد العزيز بن أحمد الكناني، قال: توفي أبو عبد الله، أحمد بن علي الرماني، الشرايبي النحوي، يوم الجمعة ليومين مضيا من ربيع الآخر، سنة خمس عشرة وأربعمائة.

الجزء الرابع

أحمد بن علي بن خيران الكاتب

المصري، أبو محمد الملقب بولي الدولة، صاحب ديوان الإنشاء بمصر بعد أبيه، وكان أبوه أيضاً فاضلاً بليغاً، أعظم قدراً من ابنه، وأكثر علماً، وكان أبو محمد هذا، يتقلد ديوان الإنشاء للظاهر، ثم للمستنصر، وكان رزقه في كل سنة ثلاثة آلاف دينار، وله عن كل ما يكتبه من السجلات، والعهودات، وكتب التقليدات رسوم، يستوفيه من كل شيء بحسبه، وكان شاباً حسن الوجه، جميل المروءة، واسع النعمة، طويل اللسان، جيد العارضة، وسلم إلى أبي منصور بن الشيرازي، رسول ابن النجار إلى مصر من بغداد، جزأين من شعره ورسائله، واستصحبهما إلى بغداد، ليعرضهما على الشريف المرتضي أبي القاسم وغيره، ممن

يأنس به من رؤساء البلد، ويستشير في تخليدهما دار العلم، لينفذ بقية الديوان والرسائل، إن علم أن ما أنفذه منها ارتضي واستجيد، وأنه فارقه حياً، ثم ورد الخبر، بأنه مات في شهر رمضان، سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة في أيام المستنصر.

قال ابن عبد الرحيم: ووقع إلى الجزء من الشعر فتأملته، فما وجدته طائلاً، وعرفني الرئيس أبو الحسن، هلال بن المحسن: أن الرسائل صالحة سليمة. قال: وقد انتزعت من المنظوم على خلوة، إلا من الوزن والقافية. فمن شعره:

عشق الزمان بنوه جهلاً منهم
نظروه نظرة جاهلين فغرهم
ولقد أتاني طائعاً فعصيته
ومن شعره أيضاً:

ولي لسان صارم حده
ومنطق ينظم سمل العلا
ولو دجا الليل على أهله
ومن شعره أيضاً:

أخذ المجد يميني
ثم لا أرجى إحسا
لتقيضن يميني
نأ إلى من يرتجيني
ومن شعره أيضاً:

ولقد سموت على الأنام بخاطر
فإذا نظمت نظمت روضاً حالياً
وقال على لسان بعض العلويين، يخاطب العباسيين:
وينطقنا فضل البدار إلى الهدى
وما كانت الشورى علينا غضاضة
ومن شعره أيضاً:

يا من إذا أبصرت طلعتة
قد كف لحظي عنك مذ كثرت
سدت على مطالع الحزم
فيها الظنون فكف عن ظلمي
ومن شعره أيضاً:

حيوا الديار التي أقوت مغانيها
ديار فاترة الألحاظ غانية
ظللت تسح دموعي في معاهدها
ومن شعره أيضاً:

أيها المغتاب لي حسداً
حافظي من كل معتقد
مت بداء البغي والحسد
في سوءاً: حسن معتقدي
ومن شعره أيضاً:

أما ترى الليل قد ولت كواكبه
ومنهل العيش قد طابت موارده
فقم بنا نغتنم صفو الزمان فما
ومن شعره أيضاً:

خلقت يدي للمكرمات ومنطقي
وسموت للعلياء أطلب غاية
وللمعجزات ومفرقي للنتاج
يشقى بها الغاوي وحظى الراجي
ومن شعره:

أنا شيعي لآل المصطفى
غير أنني لا أرى سب السلف

أقصد الإجماع في الدين ومن
لي بنفسه شغل عن كل من

ومن شعره:

قصد الإجماع لم يخش التلف
للهوى قرظ قوماً أو قذف

فقام بناوي غرة الشمس نوره
أغر له في العدل شرع يقيمه

وقال على لسان ذلك الملك -، يخاطب الظاهر لإعزاز دين الله، حين أمر بالختم على جميع ماله -: هذين البيتين، وكنا السبب في الإفراج عما أخذ منه والرضى عنه:

من شيم المولى الشريف العلي
وما جزا من جن من حبكم

ألا يرى مطرحاً عبده
أن تسلبوه فضلكم عنده

وكان ابن خيران، قد خرج إلى الجيزة متنزهاً، ومعه من أصحابه، المتقدمين في الأدب، والشعر، والكتابة، وقد احتفوا به يميناً وشمالاً، فأدى بهم السير إلى مخاضة مخوفة، فلما رأى إحجام الجماعة من الفرسان عنها، وظهر جزعهم منها، قنع بغلته، فولجها حتى قطعها، وانثنى قائلاً مرتجلاً:

ومخاضة يلقي الردى من خاضها
وبذلت نفسي في مهاول خوضها

كنت الغداة إلى العدا خواضها
حتى تنال من العدا أغراضها

وله أيضاً:

من كان بالسيف يسطو عند قدرته
فإن سيفي الذي أسطو به أبداً

على الأعادي ولا يبغي على أحد
فعل الجميل وترك البغي والحسد

وله أيضاً:

قد علم السيف وحد القنا
والقلم الأشرف لي شاهد

أن لساني منهما أقطع
بأنني فارسه المصقع

قال ابن عبد الرحيم: وهو كثير الوصف لشعره، والثناء على براعته ولسنه، وجميع ما في الجزء بعد ما ذكرته، لا حظ فيه، وليس فيه مدح إلا في سلطانهم المستنصر، والباقي على نحو ما ذكرته في مرثي أهل البيت عليهم السلام، ولو كان فيه ما يختار، لاخترته.

أحمد بن علي، بن ثابت، بن أحمد، بن مهدي

الخطيب، أبو بكر البغدادي، الفقيه الحافظ، أحد الأئمة المشهورين، المصنفين المكثرين، والحفاظ المبرزين، ومن ختم به ديوان المحدثين، سمع ببغداد شيوخ وقته، وبالبصرة، وبالدینور، وبالكوفة، ورحل إلى نيسابور في سنة خمس عشرة وأربعمائة حاجاً، فسمع بها، ثم قدمها بعد فتنة البساسيري، لاضطراب الأحوال ببغداد، فأذاه الحنابلة بجامع المنصور، سنة إحدى وخمسين، فسكنها مدة، وحدث بها بعامة كتبه ومصنفاته، إلى صفر سنة سبع وخمسين، فقصد صور، فأقام بها، وكان يتردد إلى القدس للزيارة، ثم يعود إلى صور، إلى أن خرج من صور، في سنة اثنتين وستين وأربعمائة، وتوجه إلى طرابلس، وحلب، فأقام في كل واحدة من البلدتين أياماً قلائل، ثم عاد إلى بغداد، في أعقاب سنة اثنتين وستين، وأقام بها سنة، إلى أن توفي، وحينئذ روى تاريخ بغداد، وروى عنه من شيوخه: أبو بكر البرقاني، والأزهري، وغيرهما. وقال غيث بن علي الصوري: سألت أبا بكر الخطيب عن مولده، فقال: ولدت يوم الخميس لست بقين من جمادى الآخرة، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة: وكان الخطيب يذكر، أنه لما حج، شرب من ماء زمزم ثلاث شربات، وسأل الله عز وجل ثلاث حاجات، أخذاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ماء زمزم لما شرب له": فالحاجة الأولى: أن يحدث بتاريخ بغداد، والثانية: أن يملي الحديث بجامع المنصور، والثالثة: أن يدفن إذا مات عند قبر بشر الحافي، فلما عاد إلى بغداد، حدث بالتاريخ بها، ووقع إليه جزء، فيه سماع الخليفة القائم بأمر الله، فحمل الجزء، ومضى إلى باب حجرة الخليفة، وسأل أن يؤذن له في قراءة الجزء، فقال الخليفة: هذا رجل كبير في الحديث، فليس له إلى السماع مني حاجة، ولعل له حاجة، أراد أن يتوصل إليها بذلك، فسلوه ما حاجته؟ فسئل، فقال: حاجتي أن يؤذن لي أن أملي بجامع المنصور، فتقدم الخليفة إلى نقيب النقباء بأن يؤذن له في ذلك، فحضر النقيب، فلما مات أرادوا دفنه عد قبر بشر بوصية منه، قال ابن عساكر: فذكر شيخنا إسماعيل بن أبي سعد الصوفي، وكان الموضع الذي بجنب بشر، قد حفر فيه أبو بكر أحمد بن علي الطرثيثي قبراً لنفسه، وكان يمضي إلى ذلك الموضع، فيختم فيه القرآن ويدعو، ومضى على ذلك عدة سنين، فلما مات الخطيب، سأله أن يدفنه فيه، فامتنع، فقال: هذا قبوري، قد حفرت، وختمت فيه عدة ختمات، ولا أمكن أحداً من الدفن فيه، وهذا

مما لا يتصور، فانتهى الخبر إلى والدي، فقال له: يا شيخ، لو كان بشر في الأحياء، ودخلت أنت والخطيب إليه، أيكما كان يقعد إلى جنبه؟ أنت أو الخطيب؟؟ فقال: لا، بل الخطيب، فقال له: كذا ينبغي أن يكون في حالة الموت، فإنه أحق به منك، فطاب قلبه، ورضي بأن يدفن الخطيب في ذلك الموضع، فدفن فيه. وقال المؤتمن الساجي: ما أخرجت بغداد بعد الدار قطني، أحفظ من الخطيب، وذكر في المنتظم: أن الخطيب لقي في مكة أبا عبد الله بن سلامة القضاعي، فسمع منه بها، وقرأ صحيح البخاري على كريمة بنت أحمد المروزي في خمسة أيام، ورجع إلى بغداد، ففرب من رئيس الرؤساء، أبي القاسم بن مسلمة، وزير القائم بأمر الله تعالى، وكان قد أظهر بعض اليهود كتاباً، وادعى أنه كتاب رسول الله صلى عليه وسلم بإسقاط الجزية عن أهل خير، وفيه شهادات الصحابة، وأنه خط علي بن أبي طالب - رضي الله عنه -، فعرضه رئيس الرؤساء على أبي بكر الخطيب، فقال: هذا مزور، فقيل له: من أين لك ذلك؟ قال: في الكتاب شهادة معاوية بن أبي سفيان، ومعاوية أسلم يوم الفتح، وخيبر كانت في سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ، وكان قد مات يوم الخندق، في سنة خمس، فاستحسن ذلك منه.

وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني: أن رئيس الرؤساء تقدم إلى القصاص والوعاظ، ألا يورد أحد حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى يعرضه على أبي بكر الخطيب، فما أمرهم بإيراده أو رده، وما منعهم منه ألغوه. وفي المنتظم قال: ولما جاءت نوبة السياسيري، استتر الخطيب، وخرج من بغداد إلى الشام، وأقام بدمشق، ثم خرج إلى صور، ثم إلى طرابلس، وإلى حلب، ثم عاد إلى بغداد، في سنة اثنتين وستين، فأقام بها سنة، ثم مات. قال: وله ستة وخمسون مصنفاً، بعيدة المثل، منها: كتاب تاريخ بغداد، كتاب شرف أصحاب الحديث، كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، كتاب الكفاية في معرفة علم الرواية، كتاب المتفق والمفترق، كتاب السابق واللاحق، كتاب تلخيص المتشابه في الرسم، كتاب في التلخيص، كتاب في الفصل والوصل، كتاب المكمل في بيان المهمل، كتاب الفقيه والمتفقه، كتاب الدلائل والشواهد، على صحة العمل باليمين مع الشاهد، كتاب غنية المقتبس في تمييز الملتبس، كتاب الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، كتاب الموضح، وهو أوهم الجمع والتفريق، كتاب المؤتلف في كملة المختلف والمؤتلف، كتاب منهج الصواب، في أن التسمية من فاتحة الكتاب، كتاب الجهر باليسملة، كتاب الخيل، كتاب رافع الارتباب في القلوب من الأسماء والألقاب، كتاب القنوت، كتاب التبيين لأسماء المدلسين، كتاب تمييز المزيد في متصل الأسانيد، كتاب من وافق كنيته اسم أبيه، كتاب من حدث فنسي، كتاب رواية الأبناء عن الأبناء، كتاب الرحلة في طلب الحديث، كتاب الرواة عن مالك بن أنس، كتاب الاحتجاج للشافعي فيما أسند إليه، والرد على الجاهلين بطعنهم عليه، كتاب التفصيل لمبهم المراسيل، كتاب اقتضاء العلم بالعمل، كتاب تقييد العلم، كتاب القول في علم النجوم، كتاب روايات الصحابة عن التابعين، كتاب صلاة التسييح، كتاب مسند نعيم بن همار، جزء. كتاب النهي عن صوم يوم الشك، كتاب الإجازة للمعلوم والمجهول، كتاب روايات السنة من التابعين، كتاب البخلاء، كتاب الطفيليين، كتاب الدلائل والشواهد، كتاب التنبيه والتوقيف، على فضائل الخريف.

قال ابن الجوزي: فهذا الذي ظهر لنا من تصانيفه، ومن نظر فيها عرف قدر الرجل، وما هيئ له مما لم يهياً لمن كان أحفظ منه، كالدار قطني وغيره.

وحدث أبو سعد السمعاني، قرأت بخط والدي: سمعت أبا الحسين بن الطيوري ببغداد يقول: أكثر كتب الخطيب سوى التاريخ، مستفاد من كتب الصوري، كان الصوري بدأ بها ولم يتممها، وكانت للصوري أخت بصور، مات وخلف عندها اثني عشر عدلاً محزوماً من الكتب، فلما خرج الخطيب إلى الشام، حصل من كتبه ما صنف منها كتبه، قال: وكان سبب وفاة الصوري، أنه اقتصد، وكان الطبيب الذي قصده، قد أعطي مريضاً مسموماً ليفصد به غيره، فغلط، فقصده فقتله.

قال ابن الجوزي عند سماع هذه الحكاية: وقد يضع الإنسان طريقاً فيسلكه غيره، وما قصر الخطيب على كل حال، وكان حريصاً على علم الحديث، كان يمشي في الطريق وفي يده جزء يطلعه، وكان حسن القراءة، فصيح اللهجة، عارفاً بالأدب، يقول الشعر الحسن.

قال ابن الجوزي: ونقلت - من خطه - من شعره قوله:

لعمرك ما شجاني رسم دار	وقفت بها ولا ذكر المغاني
ولا أثر الخيام أراق دمعي	لأجل تذكري عهد الغواني
ولا ملك الهوى يوماً فؤادي	ولا عاصيته فتنى عناني
رأيت فعالة بذوي التصابي	وما يلقون من ذل الهوان

فلم أطمعه في وكم قتيل
طلبت أخاً صحيح الود محضاً
فلم أعرف من الإخوان إلا
وعالم دهرنا لا خير فيه
ووصف جميعهم هذا فما إن
ولما لم أجد حراً يواتي
صبرت تكراً لقراع دهري
ولم أك في الشدائد مستكيناً
ولكني صليب العود عود
أبي النفس لا أختار رزقاً
لعز في لظى باغيه يشوى
ومن طلب المعالي وابتغاه
ومن شعره أيضاً:

لا تغبطن أخا الدنيا بزخرفها
فالدهر أسرع شيء في قلبه
كم شارب عسلاً فيه منيته

له في الناس لا يحصى وعان؟
سليم الغيب مأمون اللسان
نفاقاً في التباعد والتداني
ترى صوراً تروق بلا معاني
أقول سوى فلان أو فلان
على ما ناب من صرف الزمان
ولم أجزع لما منه دهاني
أقول لها ألا كفي كفاني
ربيط الجأش مجتمع الجنان
يجيء بغير سيفي أو سنان
ألد من المذلة في الجنان
أدار لها رحا الحرب العوان

ولا للذة وقت عجلت فرحاً
وفعله بين للخلق قد وضحا
وكم تقلد سيفاً من به ذبحا

قال أبو الفرج: وكان الخطيب قديماً على مذهب أحمد بن حنبل، فمال عنه أصحابنا لما رأوا من ميله إلى المبتدعة وأذوه، فانتقل إلى مذهب الشافعي، وتعصب في تصانيفه عليهم، فرمز إلى ذمهم، فصرح بقدر ما أمكنه، فقال في ترجمة أحمد بن حنبل: سيد المحدثين، وفي ترجمة الشافعي: تاج الفقهاء، فلم يذكر أحمد بالفقه، وقال في ترجمة حسين الكرابيسي، إنه قال عن أحمد: "إيش" تعمل بهذا الصبي. إن قلنا لفظنا بالقرآن مخلوق، قال بدعة، وإن قلنا غير مخلوق، قال بدعة، ثم التفت إلى أصحاب أحمد: فقدح فيهم بما أمكن، وله دسائس في ذمهم عجيبة، وذكر شيئاً مما زعم أبو الفرج أنه قدح في الحنابلة، وتأول له، ثم قال: أنبأنا أبو زرعة، طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي عن أبيه، قال: سمعت إسماعيل بن أبي الفضل القومسي، وكان من أهل المعرفة بالحديث يقول: ثلاثة من الحفاظ لا أحبهم، لشدة تعصبهم وقلة إنصافهم، الحاكم أبو عبد الله، وأبو نعيم الأصبهاني، وأبو بكر الخطيب. قال أبو الفرج: وصدق إسماعيل، وكان من أهل المعرفة، فإن الحاكم كان متشيعاً ظاهر التشيع، والآخران كانا يتعصبان للمتكلمين والأشاعرة. قال: وما يليق هذا بأصحاب الحديث، لأن الحديث جاء في ذم الكلام، وقد أكد الشافعي في هذا، حتى قال رأيي في أصحاب الكلام، أن يحملوا على البغال ويطاف بهم قال: وكان للخطيب شيء من المال، فكتب إلى القائم بأمر الله: إني إذا مت، كان مالي لبیت المال، وأنا أستأذن أن أفرقه على من شئت، فأذن له، ففرقه على أصحاب الحديث، وكان مائتي دينار، ووقف كتبه على المسلمين، وسلمها إلى أبي الفضل، بن خيرون، فكان يعزها، ثم صارت إلى ابنه الفضل، فاحترقت في داره، ووصى الخطيب أن يتصدق بجميع ما لديه من الثياب.

قال ابن طاهر: سألت أبا القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي، قلت: هل كان أبو بكر الخطيب كتصانيفه في الحفظ؟ فقال: لا، كنا إذا سألناه عن شيء أجابنا بعد أيام، وإن ألحنا عليه غضب، وكانت له بادرة وحشة.

وأما تصانيفه فمصنوعة مهذبة، ولم يكن حفظه على قدر تصانيفه.

وذكر أبو سعد السمعاني، في ترجمة عبد الرحمن بن محمد، بن عبد الواحد القزاز، قال: سمع جميع كتاب تاريخ مدينة السلام، من مصنفه أبي بكر الخطيب الحافظ، إلا الجزأين السادس، والثلاثين، فإنه قال: توفيت والدتي، واشتغلت بدفنها والصلاة عليها، ففأنتي هذان الجزآن، وما أعيدا لي، لأن الخطيب كان قد شرط في الابتداء، ألا يعاد الفوت لأحد، فبقيا غير مسموعين.

قال السمعاني: لما رجعت إلى خراسان، حصل لي تاريخ الخطيب، بخط شجاع بن فارس، الذهلي الأصل، الذي كتبه بخطه لأبي غالب، محمد بن عبد الواحد القزاز، وعلى وجه كل واحد من الأجزاء مكتوب: سماع لأبي غالب، ولابنه أبي منصور عبد الرحمن، ولأخيه عبد المحسن، إلا هذين الجزأين، السادس، والثلاثين، فإنه كتب على وجهيهما: إجازة لأبي غالب، وابنه أبي منصور. وشجاع أعرف الناس، فيكون قد فاته الجزءان المذكوران، لا جزء واحد. ونقلت من خط أبي سعد السمعاني، ومنتخبه

لمعجم شيوخ عبد العزيز، بن محمد النخشي، قال: ومنهم أبو بكر، أحمد بن علي، بن ثابت الخطيب، يخطب في بعض قرى بغداد، حافظ فهم، ولكنه كان يتهم بشرب الخمر، كنت كلما لقيته بدائي بالسلام، فلقيته في بعض الأيام فلم يسلم علي، ولقيته شبه المتغير، فلما جاز عني لحقني بعض أصحابنا، وقال لي: لقيت أبا بكر الخطيب سكران، فقلت له: قد لقيته متغيراً، واستنكرت حاله، ولم أعلم أنه سكران، ولعله قد تاب، إن شاء الله. قال السمعاني: ولم يذكر عن الخطيب - رحمه الله - هذا، إلا النخشي، مع أنني لحقت جماعة كثيرة من أصحابه. وقال في المذيل: والخطيب في درجة القدماء من الحفاظ، والأئمة الكبار، كيحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأحمد بن أبي خيثمة، وطبقتهم. وكان علامة العصر، اكتسب به هذا الشأن غضارة، وبهجة ونضارة، وكان مهيباً وقوراً، نبيلاً خطيراً، ثقة صدوقاً، متحريراً، حجة فيما يصنفه ويقول، وينقله ويجمعه، حسن النقل والخط، كثير الشكل والضبط، قارئاً للحديث، فصيحاً. وكان في درجة الكمال، والرتبة العليا، خلقاً وخلقاً، وهيئة ومنظراً، انتهى إليه معرفة علم الحديث وحفظه، وختم به الحفاظ، - رحمه الله - بدأ بسماع الحديث سنة ثلاث وأربعمئة، وقد بلغ إحدى عشرة سنة من عمره. ثم إنه قال: وسمعت بعض ماضيخي يقول: دخل بعض الأكابر جامع دمشق أو صور، ورأى حلقة عظيمة للخطيب، والمجلس غاص، يسمعون منه الحديث، فصعد إلى جانبه، وكأنه استكثر الجمع، فقال له الخطيب: القعود في جامع المنصور مع نفر يسير، أحب إلي من هذا. قال: وسمعت أبا الفتح مسعود بن محمد، بن أحمد أبي نصر، الخطيب بمرور يقول: سمعت عمر النسوي - يعرف بابن أبي ليلي - يقول: كنت في جامع صور عند الخطيب، فدخل عليه بعض العلوية، وفي كفه دنانير، وقال للخطيب: فلان - وذكر بعض المحتشمين من أهل صور - يسلم عليك ويقول: هذا تصرفه في بعض مهماتك، فقال الخطيب: لا حاجة لي فيه، وقطب وجهه، فقال العلوي: فتصرفه إلى بعض أصحابك، قال: قل له بصرفه إلى من يريد، فقال العلوي: كأنك تستقله، ونفض كفه على سجادة الخطيب، وطرح الدنانير عليها، وقال: هذه ثلاثمائة دينار، فقام الخطيب محمر الوجه، وأخذ السجادة، ونفض الدنانير على الأرض، وخرج من المسجد. قال الفضل بن أبي ليلي: ما أنسى عز خروج الخطيب، وذل ذلك العلوي، وهو قاعد على الأرض، يلتقط الدنانير من شقق الحصر، ويجمعها.

وحدث بإسناد رفعه إلى الخطيب، قال: حدثت ولي عشرون سنة، حين قدمت من البصرة، كتب عني شيخنا أبو القاسم الأزهرى، أشياء أدخلها في تصانيفه، وسألني فقرأتها عليه، وذلك في سنة اثنتي عشرة وأربعمئة. وحدث قال: ذكر أبو الفضل ناصر السلامي قال: كان أبو بكر الخطيب من ذوي المروآت حدثني أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب اللغوي قال: لما دخلت دمشق في سنة ست وخمسين، كان بها إذ ذاك الإمام أبو بكر الحافظ، وكانت له حلقة كبيرة يجتمعون في بكرة كل يوم، فيقرأ لهم، وكنت أقرأ عليه الكتب الأدبية المسموعة له، فكان إذا مر في كتابه شيء يحتاج إلى إصلاح يصلحه، ويقول: أنت تريد مني الرواية، وأنا أريد منك الدراية، وكنت أسكن منارة الجامع، فصعد إلي يوماً وسط النهار، وقال: أحبيت أن أزورك في بيتك، وقد عندي، وتحدثنا ساعة، ثم أخرج قرطاساً فيه شيء، وقال: الهدية مستحبة، وأسألك أن تشتري به الأقلام، ونهض، وفتحت القرطاس بعد خروجه، فإذا فيه خمسة دنانير صحاح مصرية، ثم إنه مرة ثانية، صعد وحمل إلي ذهباً، وقال لي تشتري به كاغداً، وكان نحواً من الأول أو أكثر، قال: وكان إذا قرأ الحديث في جامع دمشق، يسمع صوته في آخر الجامع، وكان يقرأ مع هذا صحيحاً.

وقال أبو طاهر أحمد بن محمد، بن أحمد، السلفي الحافظ، الأصبهاني، يمدح مؤلفات الخطيب:

تصانيف ابن ثابت الخطيب	ألد من الصبا الغصن الرطيب
تراها إذ حواها من رواها	رياضاً تركها رأس الذنوب
ويأخذ حسن ما قد صاغ منها	بقلب الحافظ الفطن الأريب
فأية راحة ونعيم عيش	يوازي كتبه أم أي طيب؟؟

وحدث محمد بن طاهر المقدسي، سمعت أبا القاسم مكي بن عبد السلام الرميلي كان يقول: سبب خروج أبي بكر الخطيب من دمشق إلى صور، أنه كان يختلف إليه صبي صبيح الوجه، وقد سماه مكي، وأنا نكبت عن ذكره، فتكلم الناس في ذلك، وكان أمير البلدة رافضياً متعصباً، فبلغه القصة، فجعل ذلك سبباً للفتك به، فأمر صاحب الشرطة أن يأخذه بالليل ويقتله، وكان صاحب الشرطة من أهل السنة، فقصده صاحب الشرطة تلك الليلة مع جماعة من أصحابه، ولم يمكنه أن يخالف الأمر، فأخذه وقال له: قد أمرت بكذا وكذا، ولا أجد لك حيلة، إلا أنني أعبر بك على دار الشريف، بن أبي الحسن العلوي، فإذا حاذيت الباب فادخل الدار، فإني أرجع إلى الأمير، وأخبره بالقصة، ففعل ذلك، ودخل دار الشريف، وذهب صاحب الشرطة إلى الأمير، وأخبره الخبر، فبعث الأمير إلى الشريف أن يبعث به، فقال الشريف: أيها الأمير، أنت تعرف اعتقادي فيه، وفي أمثاله، ولكن ليس في قتله مصلحة، هذا رجل مشهور بالعراق، وإن قتلت، قتل به جماعة من الشيعة بالعراق، وخربت المشاهد، قال: فما ترى؟ قال:

أرى أن يخرج من بلدك، فأمر بإخراجه، فخرج إلى صور، وبقي بها مدة، إلى أن رجع إلى بغداد، فأقام بها إلى أن مات.
ومن شعر الخطيب أيضاً:

قد شاب رأسي وقلبي ما يغيره
وكم زماناً طويلاً ظلت أعذله
حكم الهوى يترك الألباب حائرة
وحبك الشيء يعمي عن مقابحه
لا أسمع العذل في ترك الصبا أبداً
من ادعى الحب لم تظهر دلائله

وله أيضاً:

تغيب الخلق عن عيني سوى قمر
محله في فؤادي قد تملكه
فالشمس أقرب منه في تناولها
أردت تقبيله يوماً مخالسة
وكم حليم رآه ظننه ملكاً

قال عبد الخالق بن يوسف: أنشدني من لفظه الشيخ أبو العز، أحمد بن عبد الله كادش، عن الخطيب، وقال: هي في أبي منصور بن النفور:

الشمس تشببه والبدر يحكيه
ومن سرى وظلام الليل معتكر
روي له الحسن حتى حاز أحسنه
فالعقل يعجز عن تحديد غايته
يدعو القلوب فتأتيه مسارعة
سألته زروة يوماً فأعجزني
وقال لي دون ما تبغي وتطلبه
رضيت يا معشر العشاق منه بأن
وأن يكون فؤادي في يديه لكي

وله أيضاً:

بنفسي عاتب في كل حال
حفظت عهوده ورعيت منه
حرمت وصاله إن كنت يوماً
ولو تلفي رضاه لهان عند

وله أيضاً:

خمار الهوى يربي على نشوة الخمر
وللحب في الأحشاء حر أقله
أخبركم بأيها الناس أنني
سبيل الهوى سهل يسير سلوكه
وترجع أوصاف الهوى ونعوته

وله أيضاً:

إلى الله أشكو من زمني حوادث
أصابته بها قلبي ولم أقض منيتي

رمت بسهام البين في غرض الوصل
ولو قتلتني كان أجمل بالفعل

"متى ما تماثل بين" قتل وفرقة

تجد فرقة الأحباب شراً من القتل

قال أبو بكر الخطيب: كتب معي أبو بكر البرقاني إلى أبي نعيم الأصبهاني الحافظ كتاباً يقول في فصل منه: وقد نفذ إلى ما عندك عمداً متعمداً، أخونا أبو بكر أمد بن علي، بن ثابت، - أيده الله وسلمه - ليقتبس من علومك، ويستفيد من حديثك، وهو بحمد الله، من له في هذا الشأن سابقة حسنة، وقدم ثابة، وفهم حسن وقد رحل فيه وفي طلبه، وحصل له منه ما لم يحصل لكثير من أمثاله الطالبين له، وسيظهر لك منه عند الاجتماع من ذلك مع التورع والتحفظ، وصحة التحصيل، ما يحسن لديك موقعه، ويجمل عندك منزلته، وأنا أرجو إذا صحت منه لديك هذه الصفة، أن تلين له جانبك، وأن تتوفر له، وتحتمل منه ما عساه يورده، من تثقيل في اللاسكتنار، أو زيادة في الاصطبار، فقديمًا حمل السلف عن الخلف، ما ربما ثقل، وتوفروا على المستحق منهم بالتخصيص، والتقديم والتفضيل، ما لم ينله الكل منهم، وقال الرئيس أبو الخطاب بن الجراح، يمدح الخطيب:

فاق الخطيب الورى صدقاً ومعرفة	وأعجز الناس في تصنيفه الكتب
حمى الشريعة من غاو يدنسها	بوضعه ونفى التدليس والكذب
جلا محاسن بغداد فأودعها	تاريخه مخلصاً لله محتسباً
وقال في الناس بالقسطاس منزوباً	عن الهوى، وأزال الشك والريباً
سقى ثراك أبا بكر على ظمأ	جون ركام يسح الواكف السرباً
ونلت فوزاً ورضواناً ومغفرة	إذا تحقق وعد الله واقترباً
يا أحمد بن علي طبت مضطجعاً	وباء شانيك بالأوزار محتفباً

وقال أبو القاسم: حدثني أبو محمد الأكفاني، حدثني أبو القاسم، مكي بن عبد السلام المقدسي، قال: مرض الشيخ أبو بكر الخطيب ببغداد، في نصف رمضان، إلى أن اشتد به الحال، في ذي الحجة، وأيسنا منه، وأوصى إلى أبي الفضل بن خيرون، ووقف كتبه على يده، وفرق جميع ماله في وجوه البر، وعلى أهل العلم والحديث، وأخرجت جنازته من حجرة تلي المدرسة النظامية، من نهر المعلى، وتبعه الفقهاء، والخلق العظيم، ومرت الجنازة على الجسر، وحملت إلى جامع المنصور، وكان بين يدي الجنازة جماعة ينادون: هذا الذي كان يذب عن رسول الله، هذا الذي كان يحفظ حديث رسول الله، وعبرت الجنازة بالكرخ، ومعها ذلك الخلق العظيم.

أحمد بن علي، بن قدامة، أبو المعالي

قاضي الأنبار، أحد العلماء بهذا الشأن، المعروفين المشهورين به، وله من الكتب كتاب في علم القوافي، وكتاب في النحو. مات في شوال، سنة ست وثمانين وأربعمائة.

أحمد بن علي، بن عمر، بن سوار المقرئ

أبو طاهر، مات، فيما ذكره السمعاني، في رابع شعبان، سنة ست وتسعين وأربعمائة، ودفن عند قبر معروف الكرخي، قال: وقال ابن ناصر أبو الفضل: أظن أن مولد ابن سوار في سنة ست عشرة وأربعمائة، قال: وسمعت أبا المعمر، المبارك بن أحمد الأنصاري قال: سألت ابن سوار عن مولده، فقال: ولدت سنة اثنتي عشرة وأربعمائة. قال: وهو والد شيخنا أبي الفوارس هبة الله، بن محمد، وكان ثقة أميناً، مقرئاً فاضلاً، وكان حسن الأخذ للقرآن العظيم، ختم عليه جماعة كتاب الله، وكتب الكثير بخطه من الحديث، وصنف في القرآن كتاب المستنير وغيره، سمع عبد الواحد بن رزمة، صاحب أبي سعيد السيرافي في النحو. وأبا القاسم علي بن المحسن التنوخي، وأبا طالب محمد بن محمد، بن إبراهيم، بن غيلان اليزاز، وغيرهم. وروى عنه عبد الوهاب الأنماطي، ومحمد بن ناصر، الحافظان، وغيرهما.

قال: وسألت عنه الأنماطي فقال: ثقة مأمون، فيه خير ودين. وسألت عنه الحافظ بن ناصر، فأحسن الثناء عليه، وقال: شيخ نبيل عالم ثبت، متقن رحمه الله.

وأنشد السمعاني بإسناده إلى ابن سوار، قال: أنشدني أبو الحسن علي بن محمد السمار: أنشدنا أبو نصر عبد العزيز ابن نباتة السعدي لنفسه:

نعلل بالدواء إذا مرضنا	وهل يشفي من الموت الدواء؟
ونختار الطبيب، وهل طبيب	يؤخر ما يقدمه القضاء؟

وما أنفاسنا إلا حساب ولا حركاتنا إلا فناء

وذكره أبو علي الحسين بن محمد، بن فيرو الصدفي في شيوخه، يذكر نسبه، ثم قال: البغدادي الضرير المقرئ الأديب، ولعله أضر على كبر، فإن المحب بن النجار، أخبرني أنه رأى خطه تحت الطباقي متغيراً.

سمع الصدفي منه كتابه المستنير، وكتابه في المفردات، أفرد ما جمعه في المستنير، وقال: هو شيخ فاضل في الحنفية، سمع كثيراً، وحبس نفسه على القرآن.

وذكره أبو بكر بن العربي في شيوخه، فقال: واقف على اللغة، مذاكر، ثقة، فاضل، قرأ على أبيي علي الشرمقاني والعطار. وأبي الحسن بن فارس الخياط، وأبي الفتح بن المقدّر، وأبي الفتح بن شيطا، وغيرهم.

أحمد بن علي، بن مخلد، البيادي الأديب

أبو العباس، ذكره عبد الغافر فقال: أحد وجوه أفاضل النواحي، المشهورين باللهجة الفصيحة في النظم والنثر، سمع الأحاديث، وعني بجمعها.

أحمد بن علي، بن أبي جعفر، محمد

ابن أبي صالح البيهقي، أبو جعفر المقرئ اللغوي، ويعرف ببو جعفر، ومعنى هذه الكاف المزيدة ففي آخر الاسم الفارسي "التصغير" يقولون في تصغير علي "عليك" وفي تصغير حسن "حسنك" وفي تصغير جعفر "جعفرك" وما أشبهه. مات فيما ذكره أبو سعد السمعاني في مشيخة أبيه، في سلخ شهر رمضان، سنة أربع وأربعين وخمسمائة. أخبرني بذلك الشيخ الإمام أبو المظفر عبد الرحيم ابن سعد السمعاني، عن والده، وأخبرني أيضاً أن مولده في حدود سنة سبعين وأربعمائة.

قال السمعاني: كان إماماً في القراءة والتفسير، والنحو واللغة، صنف التصانيف في ذلك، وانتشرت عنه في البلاد وظهر له أصحاب نجباء، وتخرج به خلق، وكان ملازماً لبيته لا يخرج منه إلا في أوقات الصلاة، إلى مسجد نيسابور، لأنه كان إمامه، وكان لا يزور أحداً، إنما يقصده الناس إلى منزله، للتعلم منه والتبرك به، سمع أبا نصر أحمد بن محمد، بن صاعد القاضي، وأبا الحسن علي بن الحسن، بن العباس، الصندلي الواعظ وغيرهما. وذكر وفاته كما تقدم.

وذكر تاج الدين، محمود بن أبي المعالي الحواري، في مقدمة كتاب ضالة الأديب، قال: أحمد بن علي البيهقي، كان إماماً في القراءات والأدب، حفظ كتاب الصحاح في اللغة عن ظهر قلب، بعد ما قرأه على أبي الفضل أحمد بن محمد الميداني، وكتباً كثيرة، وله مؤلفات، منها: كتاب المحيط بلغات القرآن، كتاب ينابيع اللغة، فيه صحاح اللغة من الشواهد، وضم إليه من تهذيب اللغة والشامل لأبي منصور الجبان، والمقاييس لابن فارس، قدراً صالحاً من الفوائد والفرائد وهو كتاب صالح، كبير الحجم، يقرب حجمه من الصحاح، وله أيضاً: كتاب تاج المصادر، كتاب المحيط بعلم القرآن.

وقال علي بن محمد، بن علي الجويني، يمدح بو جعفر ويذكر كتابه تاج المصادر، وقد راعى اللزوم:

أبا جعفر يا من جعافر فضله	موارد منها قد صفت ومصادر
كتابك ذا غيل تأشب نبتة	وأنت به ليث بخفان خادر
ليست صدار الصبر، يا خير مصدر	مصادر لا تنهى إليها المصادر
فقل لرواة الفضل والأدب: انتهوا	إليها، ونحو الري منها فبادروا

أحمد بن علي، بن إبراهيم، الغساني

الأسواني المصري، يلقب بالرشيدي، وكنيته أبو الحسين. مات في سنة اثنتين وستين وخمسمائة، على ما ذكره، وكان كاتباً شاعراً، فقيهاً، نحويًا، لغويًا، ناشئًا، عروضيًا، مؤرخًا، منطقيًا، مهندسًا، عارفًا بالطب، والموسيقى، والنجوم، متفناً.

قال السلفي: أنشدني القاضي أبو الحسن، أحمد بن علي ابن إبراهيم، الغساني الأسواني لنفسه بالشعر:

سمحنا لدنيانا بما بخلت به

علينا، ولم نحفل بجل أمورها

فيا ليتنا لما حرمنا سرورها

وقينا أذى آفاتنا وشرورها

قال: وكان ابن الزبير هذا، من أفراد الدهر فضلاً في فنون كثيرة من العلوم، وهو من بيت كبير بالصعيد، من الممولين وولي النظر بئعر الإسكندرية والدواوين السلطانية، بغير اختياره، وله تأليف ونظم ونثر، التحق فيها بالأوائل المجيدين، قتل ظلماً وعدواناً في محرم سنة اثنتين وستين وخمسمائة، وله تصانيف معروفة لغير أهل مصر، منها: كتاب منية الألمي وبلغة المدعي: تشتمل على علوم كثيرة. كتاب المقامات. كتاب جنان الجنان، وروضة الأذهان، في أربع مجلدات، يشتمل على شعر شعراء مصر، ومن طراً عليهم. كتاب الهدايا والطرف. كتاب شفاء الغلة، في سمت القبله. كتاب رسائله نحو خمسين ورقة، كتاب ديوان شعره، نحو مائة ورقة.

ومولده بأسوان، وهي بلدة من صعيد مصر، وهاجر منها إلى مصر، فأقام بها، واتصل بملوكها، ومدح وزراءها، وتقدم عندهم، وأنفذ إلى اليمن في رسالة، ثم قلد قضاءها وأحكامها، ولقب بقاضي قضاة اليمن، وداعي دعاة الزمن. ولما استقرت بها داره، سمت نفسه إلى رتبة الخلافة، فسعى فيها، وأجابه قوم، وسلم عليه بها، وضربت له السكة، وكان نقش السكة على الوجه الواحد: "قل هو الله أحد، الله الصمد" وعلى الوجه الآخر: الإمام الأمجد، أبو الحسين أحمد، ثم قبض عليه، وأنفذ مكبلاً إلى قوص، فحكى من حضر دخوله إليها: أنه رأى رجلاً ينادي بين يديه: هذا عدو السلطان، أحمد بن الزبير، وهو مغطى الوجه، حتى وصل إلى دار الإمارة، والأمير بها يومئذ طرخان سليط، وكان بينهما ذحول قديمة، فقال: احبسوه في المطبخ، الذي كان يتولاه قديماً، وكان بان الزبير، قد تولى المطبخ، وفي بذلك يقول الشريف الأخفش، من أبيات يخاطب الصالح بن رزيك:

يولى على الشيء أشكاه

فيصبح هذا لهذا أخا

أقام على المطبخ ابن الزبير

فولى على المطبخ المطبخا

فقال بعض الحاضرين لطرخان: ينبغي أن تحسن إلى الرجل، فإن أخاه، - يعني المهذب حسن بن الزبير، - قريب من قلب الصالح، ولا أستبعد أن يستعطفه عليه، فتقع في خجل.

قال: فلم يمض على ذلك غير ليلة أو ليلتين، حتى ورد ساع من الصالح بن رزيك، إلى طرخان بكتاب يأمره فيه بإطلاقه، والإحسان إليه، فأحضره طرخان من سجنه مكرماً.

قال الحاكي: فلقد رأيته، وهو يزاحمه في رتبته ومجلسه.

وكان السبب في تقدمه في الدولة المصرية في أول أمره، ما حدثني به الشريف، أبو عبد الله، محمد بن أبي محمد العزيز الإدريسي، الحسني الصعيدي قال: حدثني زهر الدولة، حدثنا: أن أحمد بن الزبير، دخل إلى مصر بعد مقتل الظافر، وجلس الفانز، وعليه أطمار رثة، وطيلسان صوف، فحضر المأتم، وقد حضر شعراء الدولة، فأنشدوا مرثيتهم على مراتبهم، فقام في آخرهم، وأنشد قصيدته التي أولها:

ما للرياض تميل سكرًا

هل سقيت بالمزن خمرًا

إلى أن وصل إلى قوله:

أفكر بلاء بالعرا

ق، وكربلاء بمصر أخرى؟

فزفرت العيون، وعج القصر بالبكاء والعويل، وانثالت عليه العطايا من كل جانب، وعاد إلى منزله بمال وافر، حصل له من الأمراء والخدم، وحظايا القصر، وحمل إليه من قبل الوزير جملة من المال، وقيل له: لولا أنه العزاء والمأتم، لجاءتك الخلع.

قال: وكان على جلالته وفضله، ومنزلته من العلم والنسب، قبيح المنظر، أسود الجلدة، جهم الوجه، سمج الخلقه، ذا شفة غليظة، وأنف مبسوط، كخلقة الزنوج، قصيراً. حدثني الشريف المذكور عن أبيه، قال: كنت أنا والرشد بن الزبير، والفقير سليمان الديلمي، نجتمع بالقاهرة في منزل واحد، فغاب عنا الرشد، وطال انتظارنا له، وكان ذلك في عنفوان شبابه، وإبان صباه، وهبوب صباه، فجاءنا، وقد مضى معظم النهار، فقلنا له: ما أبطأ بك عنا؟ فتبسم وقال: لا تسألوا عما جرى عليّ اليوم، فقلنا: لا بد من ذلك، فتمنع، وألحنا عليه، فقال: مررت اليوم بالموضع الفلاني، وإذا امرأة شابة، صبيحة الوجه، وضيئة المنظر، حسنة الخلق، ظريفة الشمايل، فلما رأنتي، نظرت إلي نظر مطعم لي في نفسه، فتوهمت أنني وقعت منها بموقع، ونسيت نفسي، وأشارت إلي بطرفها، فتبعته وهي تدخل في سكة وتخرج من أخرى، حتى دخلت داراً، وأشارت إلي، فدخلت، ورفعت النقاب عن وجه كالقمر في ليلة تمامه، ثم صفقت بيديها منادية: يا ست الدار، فنزلت إليها طفلة، كأنها فلقة قمر، وقالت لها: إن رجعت تبولين في الفراش، تركت سيدنا القاضي يأكلك، ثم التفتت وقالت: - لا أعدمني الله إحسانه، بفضل سيدنا القاضي آدم الله عزه -، فخرجت وأنا خزيان خجلاً، لا أهتدي إلى الطريق.

وحدثني قال: اجتمع ليلة عند الصالح بن رزيك، هو وجماعة من الفضلاء، فألقى عليهم مسألة في اللغة، فلم يجب عنها بالصواب سواه، فأعجب به الصالح، فقال الرشيد: ما سئلت قد عن مسألة إلا وجدتني أتوقد فهماً. فقال ابن قادوس، وكان حاضراً:

إن قلت: من نار خلق
قلنا: صدقت، فما الذي
ت، وفقت كل الناس فهماً
أطفأك حتى صرت فحماً؟

وأما سبب مقتله: فلميله إلى أسد الدين شيركوه عند دخوله إلى البلاد، ومكاتبته له، واتصل ذلك بشاور وزير العاضد، فطلبه، فاخفى بالإسكندرية، واتفق التجاء الملك صلاح الدين، يوسف بن أيوب إلى الإسكندرية، ومحاصرته بها، فخرج ابن الزبير راكباً متقلداً سيفاً، وقاتل بين يديه، ولم يزل معه مدة مقامه بالإسكندرية، إلى أن خرج منها فتزايد وجد شاور عليه، واشتد طلبه له، واتفق أن ظفر به، على صفة لم تتحقق لنا، فأمر بإشهاره على جمل، وعلى رأسه طرطور، ووراءه جلواز ينال منه.

وأخبرني الشريف الإدريسي، عن الفضل بن أبي الفضل، أنه رآه على تلك الحال الشنيعة، وهو ينشد:

إن كان عندك يا زمان بقية
مما تهين به الكرام فهاتها

ثم جعل يهمهم شفتيه بالقرآن، وأمر به، بعد إشهاره بمصر والقاهرة، أن يصلب شنعاً، فلما وصل به إلى الشناقة، جعل يقول للمتولي ذلك منه: عجل عجل، فلا رغبة للكريم في الحياة بعد هذه الحال، ثم صلب.

حدثني الشريف المذكور قال: حدثني الثقة حجاج ابن المسيح الأسواني: أن ابن الزبير دفن في موضع صله، فما مضت الأيام والليالي، حتى قتل شاور، وسحب فاتق أن حفر له ليدفن، فوجد الرشيد بن الزبير في الحفرة مدفوناً، فدفنا معاً في موضع واحد، ثم نقل كل واحد منهما بعد ذلك إلى تربة له بقرافة مصر القاهرة.

ومن شعر الرشيد، قوله يجيب أخاه المهذب عن قصيدته التي أولها:

يا ربع، أين ترى الأحبة يمموا
رحلوا، فلا خلت المنازل منهم

ويروى: ونأوا فلا سلت الجوانح عنهم

وسروا، وقد كتموا الغداة مسيرهم

وتبدلوا أرض العقيق عن الحمى

نزلوا العذيب، وإنما في مهجتي

ما ضرهم، لو ودعوا من أودعوا

هم في الحشا إن أعرقوا أو أشأموا

وهم مجال الفكر من قلبي وإن

أحبابنا، ما كان أعظم هجركم

غبتم، فلا والله ما طرق الكرى

وزعتم أني صبور بعدكم

وإذا سئلت بمن أهيم صباية

النازلين بمهجتي وبمقلتي

لا ذنب لي في البعد أعرفه سوى

فأقمت، حين ظعنتم، وعدلت، لم

يا محرقاً قلبي بنار صدورهم

أسعرتهم فيه لهيب صباية

يا ساكني أرض العذيب سقيتم

بعدت منازلكم وشط مزاركم

وضياء نور الشمس ما لا يكتم

روت جفوني أي أرض يمموا

نزلوا، وفي قلب المتيم خيموا

نار الغرام، وسلموا من أسلموا

أو أيمنوا، أو أنجدوا، أو أتهموا،

بعد المزار فصفو عيشي معهم

عندي، ولكن التفرق أعظم

جفني، ولكن سح بعدكم الدم

هيهات، لا لقيتم ما قلتم

قلت: الذين هم الذين هم هم

وسط السويديا، والسواد الأكرم

أنني حفظت العهد، لما خنتم

ما جرتم، وسهدت، لما نمتم

رفقاً، ففيه نار شوق تضرم

لا تنطفي إلا بقرب منكم

دمعي، إذا ضن الغمام المرزم

وعهودكم محفوظة، مذ غبتم

حكمتهم في مهجتي فتحكموا
فلطالما حفظ الوداد المسلم
عن بعض ما يلقي الفؤاد المغرم
جرم ولا سبب لمن نتظلم؟
ونأيتم، وقطعتم، وهجرتم
يسلو عن البيت الحرام المحرم؟
وحفظت أسباب الهوى، إذ خنتم
ظلماً، ومال الدهر، لما ملتكم
هدف يمر بجانيبه الأسهم
قل الصديق بها وقل الدرهم
يصدى بها فكر اللبيب وبهم
لم يعلموا، أو خوطبوا لم يفهموا
إحسان يعرف في كثير منهم
هجر الكلام فيقدموا ويقدموا
زهدي لهم، ويفك أسري منهم

لا لوم للأحباب فيما قد جنوا
أحباب قلبي أعمره بذكركم
واستخبروا ريح الصبا تخبركم
كم تظلمونا قادرين، وما لنا
ورحلتكم، وبعدتكم، وظلمتم
هيهات لا أسلوكم أبداً، وهل
وأنا الذي واصلت، حين قطعتم
جار الزمان علي، لما جرتكم
وغدوت بعد فراقكم، وكأني
ونزلت مقهور الفؤاد ببلدة
في معشر خلقوا شخوص بهائم
إن كورموا لم يكرموا، أو علموا
لا تنفق الآداب عندهم ولا ال
صم عن المعروف حتى يسمعوا
فالله يغني عنهم، ويزيد في

أحمد بن علي الصفار، الخوارزمي أبو الفضل

قال محمد بن أرسلان: كان من فضلاء خوارزم، وبلغائهم، وكتابهم، وله أشعار مونقة لطيفة، ورسائل لبقة خفيفة، جمع رسائله أبو حفص، عمر بن الحسن، بن المظفر الأديبي، وجعلها على خمسة عشر باباً، وذكر في أول جمعه: وبعد، فإني رغبت في مطالعة رسائل، تكون إلى التخريج في البراعة وسائل، ثم تقلبت وتطلبت، فلم أر أعذب في السمع، وأعلق بالطبع، وأجرى في ميدان أهل الزمان، من غرر أبي الفضل الصفاري، ثم ذكرت ما كان بينه وبين والدي - رحمه الله - من المحبة المشتبكة استشباك الرحم، الجارية في عروقها مجرى الدم، والأخوة الصافية من الكدر، الباقية على الغير، فاقترحته عليه أن يلقي إلي ما حصل لديه، من رقايع الصادرة إليه، فأجابني إلى ملتسمي، فدونت ما ألقاه إلي من إنشائه، وألحقت به ما وجدته عند غيره من أودائه، وهذا أنموذج من كلامه: كتب عن أبي سعيد، سهل بن أحمد السهلي، إلى عميد الملك أبي نصر الكندري، حين أنهض ولده إلى حضرته: كتابي - أطال الله بقاء الشيخ السيد - وأنا معترف برق ولائه، متصرف في شكر سوابق آلئه، حامد لله تعالى على تظاهر أسباب عزه وعلائه، ولم أزل منذ حرمت التشرف بخدمته، أنطوي على مبايعته، وأتلظى شوقاً إلى التسعد بخدمة حضرته، التي هي مجمع الوفود، ومطلع الجود، وعصره المحمود، وأتمنى على الله تعالى حالاً تدينني من جنبه الرحب، ومشعره العذب، ومتى تذكرت تلك الأيام، التي كانت تسعني بالتمكن من خدمته، التي هي مادة الجمال، وغاية الآمال، انتثيت بحسرة مرة، وانطويت على غصة مستمرة، وكم كاتب شريف حضرته، لازالت محسودة مأنوسة، فلم أوهل لجواب، ولم أشرف بخطاب، فأمسكت عن العادة في المعاودة، جرياً على طريقة الأصاغر، في مراعاة حشمة الأكابر، ولو جريت في مكاتبته حضرته على حكم الاعتقاد، والنية الخالصة في الوداد، لأكثرت، حتى أضجرت، وهو بحمد الله أحسن أخلاقاً، وأوفر في الكرم والمجد خلافاً، من أن يرى عن قدماء خدمه متجافياً، ولخواص أصاغره جافياً، ولو كان رحيلي ممكناً، لاستعملت في الخدمة قدمي، دون قلبي، وحين عجزت عن ذلك، لما أنا مدفوع إليه من اختلال الحال، وتضاعف الاعتلال، أنهضت ولدي أبا الحسين خادمه، وابن خادمه، نائباً عني في إقامة رسم حضرته، التي من فاز بها، فقد فاز وسعد، وعلا نجمه وصعد، فلا زال مولانا منيع الأركان، رفيع القدر ولا مكان، سابغ القدرة والإسكان، محروس العز والسلطان، تدين المقادير لأحكامه، وتجري السعود تحت رايته وأعلامه، آمين، إن شاء الله.

أحمد بن علي، بن المعمر، بن محمد المعمر بن أحمد، بن محمد

ابن محمد، بن عبيد الله، بن علي، بن عبيد الله، بن الحسين ابن علي، بن الحسين، بن أبي طالب، أبو عبد الله، النقيب الطاهر، نقيب نقباء الطالبين، ابن النقيب الطاهر أبي الغنائم، أديب، فاضل، شاعر منشئ، له رسائل مدونة حسنة، مرغوب فيها، يتناولها الناس في مجلدين، وكان من ذوي الهيئات والمنزلة الخطيرة، التي لا يجدها أحد، وكان فيه كيس ومحبة لأهل

العلم، وبينه وبين محمد بن الحسن، بن حمدون مكاتبات، كتبهاها في ترجمته، وكان وقوراً، عاقلاً جداً، تولى النقابة بعد أبيه، في سنة ثلاثين وخمسمائة، ولم يزل على ذلك إلى أن مات، في سنة تسع وستين وخمسمائة تاسع عشر جمادى الآخرة، فيكون: قد تولى النقابة تسعاً وثلاثين سنة، وبادره بالحريم الطاهري كانت وفاته، وصلى عليه جمع كثير، وتقدم في الصلاة عليه شيخ الشيوخ، أبو القاسم عبد الرحيم، بن إسماعيل النيسابوري، بوصية منه بذلك، بعد مشاجرة جرت بينه وبين قثم بن طلحة، نقيب الهاشميين، ودفن بداره المذكورة، ثم نقل بعد ذلك إلى المدائن، فدفن بالجانب الغربي منها، في مشهد أولاد الحسين بن علي، عليه السلام، وكان قد سمع الحديث من أبي الحسين بن المبارك، ابن عبد الجبار الصيرفي، وأبي الحسن علي بن محمد ابن العلاف، وأبي الغنائم محمد بن علي الزينبي، وغيرهم، وحدث عنهم. سمع منه أبو الفضل، أحمد بن صالح، بن شافع، وأبو إسحاق، إبراهيم بن محمود، بن الشعار، والشريف أبو الحسن، علي بن أحمد اليزيدي، وغيرهم. وله كتاب ذبله على منثور المنظوم لابن خلف الثيرماني، وكتاب آخر مثله في إنشائه، وكانت حرمة في الأيام المقتضية وأمره لم ير أحد من النقباء مثلها، مقدره وبسطة. ثم مرض مرضة شارف فيها التلف، فولى ولده الأسن النقابة موضعه، ثم أفاق من مرضه، واستمر ولده على النقابة، حتى عزل عنها، ومات ولده في سنة ثلاث وخمسين، ولم تعد منزلته إلى ما كانت عليه في أيام المستجد، لأسباب جرت من العلويين.

أحمد بن علوية، الأصبهاني الكرماني

قال حمزة: كان صاحب لغة، يتعاطى التأديب، ويقول الشعر الجيد، وكان من أصحاب أبي علي لغزة، ثم رفض صناعة التأديب، وصار في ندماء أحمد بن عبد العزيز، ودلف بن أبي دلف العجلي، وله رسائل مختارة، فدونها أبو الحسن أحمد بن سعد، في كتابه المصنف في الرسائل، لوه ثمانية كتب في الدعاء من إنشائه، ورسالة في الشيب ولاخضاب، وله شعر جيد كثير، منه في أحمد ابن عبد العزيز العجلي:

يرى مآخير ما يبدو أوائله
ركن من العلم لا يهفو لمحفظة
إذا مضى العزم لم ينكت عزيمته
بل يخرج الحية الصماء مطرقة
حتى كأن عليه الوحي قد نزلا
ولا يحد وإن أبرمته جدلا
ريب ولا خيف منه نقض ما فتلا
من جحرها ويحط الأعصم الوعلا

وله فيه:

إذا ما جنى الجاني عليه جنابة
ويوسعه رفقا يكاد لبسطه
عفا كرمًا عن ذنبه لا تكريما
يود برئ القوم لو كان مذنباً

وله يهجو زامراً اسمه حمدان:

حذار يا قوم من حمدان وانتبهوا
فما يبالي إذا ما دب مغتلبا
حذار يا سادتي من زامر زاني
ألهى النساء بمزمار له ثاني
يلهى الرجال بمزمار فإن سكروا

ومن شعره:

حكم الغناء تسمع ومدام
لو أنني قاض قضيت قضية
ما للغناء مع الحديث نظام
إن الحديث مع الغناء حرام

قال حمزة: وله وأنشدنيها في سنة عشر وثلاثمائة، وله ثمان وتسعون سنة:

دنيا مغبة من أثرى بها عدم
وفي المنون لأهل اللب معتبر
ولذة تنقضي من بعدها ندم
وفي تزودهم منها التقى غنم
والمرء يسعى لفضل الرزق مجتهداً
كم خاشع في عيون الناس منظره
والله يعلم منه غير ما علموا

قال: وقال بعد أن أتت عليه مائة:

حتى الدهر من بعد استقامته ظهري
ودب البلوى في كل عضو ومفصل
وأفضى إلى ضحضاح غايته عمري
ومن ذا الذي يبقى سليماً على الدهر؟

قال: ولأحمد بن علوية قصيدة، على ألف قافية، شيعية، عرضت على أبي حاتم السجستاني، فأعجب بها، وقال: ي أهل البصرة، غلبكم أهل أصبهان، وأول هذه القصيدة:

ودب البلى في كل عضو ومفصل ومن ذا الذي يبقى سليماً على الدهر؟

قال: ولأحمد بن علوية قصيدة، على ألف قافية، شيعية، عرضت على أبي حاتم السجستاني، فأعجب بها، وقال: ي أهل البصرة، غلبكم أهل أصبهان، وأول هذه القصيدة:

ما بال عينك ثرة الإنسان عبرى اللحاظ سقيمة الأجفان

وقال أحمد بن علوية يهجو الموفق، لما أنفذ الأصبغ رسولا إلى أحمد بن عبد العزيز العجلي، يأمره بإنفاذ قطعة من جيشه:

أدى رسالته وأولص كتبه وأتى بأمر لا أبالك معضل

قال اطرح ملك أصبهان وعزها وابعث بعسكرك الخميس الجحفل

فعلمت أن جوابه وخطابه عض الرسول ببظر أم المرسل

أحمد بن عمر، البصري النحوي

روى عن أبي بشر، عن أبي المفرح الأنصاري، عن ابن السكيت، وروى عنه أبو عبد الله، محمد بن المعلى ابن عبد الله الأزدي.

أحمد بن عمران، بن سلامة الأللهاني، أبو عبد الله النحوي

يعرف بالأخفش، قديم، ذكره أبو بكر الصولي، في الكتاب الذي ألفه في شعراء مصر، فقال: كان نحوياً لغوياً، وأصله من الشام، وتأدب بالعراق، فلما قدم مصر، أكرمه إسحاق بن عبد القدوس، وأخرجه إلى طبرية، فأدب ولده، وله أشعار كثيرة في أهل البيت، عليهم السلام، منها:

إن بني فاطمة الميمونة الطيبين الأكرمين الطينة

ربيعنا في السنة الملعونة كلهم كالروضة المهتونة

قال: وحدثني علي بن سراج قال: حدثني جعفر بن أحمد قال: قال لي أحمد بن عمران، قال الهيثم بن عدي، ممن أنت؟ قلت: أنا من ألهان، أخي همدان، قلت: نعم، هم عرس الجن، يسمع به ولا يرى، ما رأيت ألهاناً قبلك، قال: وكان الأللهاني قد نزل على رعل حي من بني سليم فلم يقروه، فقال:

تضيفت بغلتي والأرض معشبة رعلأ وكان قراها عندهم علسي

وأكلباً كأسود الغاب ضارية وواقفات بأيدي أعبد عبس

والعام أرغد والأيام فاضلة وما ترى في سواد الحي من قبس

يستوحشون من الضيف الملم بهم ويأنسبون إلى ذي السوء الشرس

وله يمدح جعفر بن جدلة:

إذا استسلم المال عند الهذيل فمال الفتى جعفر خاسر

وإن ضن جازره بالمدى فإن الحسام له حاضر

أحمد بن فارس، بن زكريا اللغوي

وقال ابن الجوزي: أحمد بن زكريا، بن فارس، ولا يعاج به، مات سنة تسع وستين وثلاثمائة: وقال قبل وفاته بيومين:

يا رب إن ذنوبي قد أحطت بها علماً وبى وبإعلاني وإسراري

أنا الموحد لكني المقر بها فهب ذنوبي لتوحيدى وإقراري

ووجد بخط الحميدي: أن ابن فارس مات في حدود سنة ستين وثلاثمائة، وكل منهما لا اعتبار به، لأنني وجدت خط كفه على كتاب "الفصيح" تصنيفه، وقد كتبه في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، وذكره الحافظ السلفي، في شرح مقدمة معالم السنن للخطابي فقال: أصله من قزوين، وقال غيره: أخذ أحمد بن فارس على أبي بكر، أحمد بن الحسن الخطيب، راوية ثعلب، وأبي

الحسن، علي بن إبراهيم القطان، وأبي عبد الله، أحمد بن طاهر المنجم، وعلي بن عبد العزيز المكي، وأبي عبيد، وأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، وكان ابن فارس يقول: ما رأيت مثل ابن عبد الله أحمد بن طاهر، ولا رأى هو مثل نفسه.

وكان ابن فارس قد حمل إلى الري بأجرة، ليقراً عليه مجد الدولة، أبو طالب بن فخر الدولة، علي بن ركن الدولة، بن أبي الحسن بويه الديلمي صاحب الري، فأقام بها قاطناً.

وكان صاحب ابن عباد يكرمه، ويتلمذ له، ويقول: شيخنا أبو الحسين، ممن رزق حسن التصنيف وأمن فيه من التصحيف، وكان كريماً جواداً، لا يبقي شيئاً، وربما سئل فوهب ثياب جسمه، وفرش بيته، وكان فقيهاً شافعيّاً، فصار مالكيّاً، وقال: دخلت الحمية لهذا البلد، يعني الري، كيف لا يكون فيه رجل على مذهب هذا الرجل؟ المقبول القول على جميع الألسنة وله من التصنيف: كتاب المجمل، وكتاب متخير الألفاظ، كتاب فقه اللغة، كتاب غريب إعراب القرآن، كتاب تفسير أسماء النبي عليه الصلاة والسلام، كتاب مقدمة كتاب دار العرب، كتاب حلية الفقهاء، كتاب العرق، كتاب مقدمة الفرائض، كتاب ذخائر الكلمات، كتاب شرح رسالة الزهري إلى عبد الملك بن مروان، كتاب الحجر، كتاب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب صغير الحجم، كتاب الليل والنهار، كتاب العم والخال، كتاب أصول الفقه، كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب صاحب، صنفه لخزانة صاحب، كتاب جامع التأويل في تفسير القرآن، أربع مجلدات، كتاب الثياب والحلي، كتاب خلق الإنسان، كتاب الحماسة المحدثّة، كتاب مقاييس اللغة، وهو كتاب جليل لم يصنف مثله، كتاب كفاية المتعلمين في اختلاف النحويين.

وحدث ابن فارس: سمعت أبي يقول: حجبت فلقيت ناساً من هذيل، فجاريتم ذكر شعرائهم، فما عرفوا أحداً منهم، ولكني رأيت أمثلاً الجماعة رجلاً فصيحاً وأنشدني:

إذا لم نحظ في أرض فدعها
ولا يغزرك حظ أخيك فيها
ونفسك فز بها إن خفت ضيماً
فإنك وابدأ أرضاً بأرض

ومن شعر ابن فارس:

وقالوا كيف أنت؟ فقلت خير
إذا ازدحمت هموم القلب قلنا
نديمي هرتي وسرور قلبي

ومن شعره في همدان:

سقى همدان الغيث لست بقاتل
وما لي لا أصفى الدعاء لبلدة
نسيت الذي أحسنه غير أنني

وله أيضاً:

إذا كنت في حاجة مرسل
فأرسل حكيماً ولا توصه

وله أيضاً:

مرت بنا هيفاء مقدودة
ترنو بطرف فاتن فاتر

قال الثعالبي: حدثني ابن عبد الوارث النحوي قال: كان صاحب منحرفاً عن أبي الحسين بن فارس، لانتسابه إلى خدمة آل العميد، وتعبه لهم، فأنفذ إليه من همدان كتاب الحجر نم تأليفه، فقال صاحب: رد الحجر من حيث جاءك، ثم لم تطب نفسه بتركه فنظر فيه، وأمر له بصلة: ولابن فارس في اليتيمة:

يا ليت لي ألف دينار موجهة
قالوا فما لك منها؟ قلت تخدمني

وله أيضاً:

إسمع مقالة ناصح
إياك واحذر أن تبني

وله أيضاً:

وصاحب لي أتانني يستشير وقد
قلت اطلب أي شيء شئت واسع ورد

وله أيضاً:

إذا كان يؤذيك حر المصي
ويلهيك حسن ازمان الربيع

وله أيضاً:

عتبت عليه حين ساء صنيعة
فلما خبرت الناس خبر مجرب

وله أيضاً:

تلبس لباس الرضا بالقضا
تقدر أنت وجاري القضا

جمع النصيحة والمقة
ت من الثقات على ثقة

أراد في جنبات الأرض مضطرباً
منه الموارد إلا العلم والأديبا

ف وكرب الخريف وبرد الشتا
ع فأخذك للعلم قل لي متى؟

وآليت لا أمسيت طوع يديه
ولم أر خيراً منه عدت إليه

وخل الأمور لمن يملك
ء مما تقدره يضحك

قال يحيى بن مندة الأصبهاني: سمعت عمي عبد الرحمن ابن محمد العبدي يقول: سمعت أبا الحسين أحمد بن زكريا ابن فارس النحوي يقول: دخلت بغداد طالباً للحديث، فحضرت مجلس بعض أصحاب الحديث وليست معي قارورة، فرأيت شاباً عليه سمة جمال، فاستأذنته في كتب الحديث من قارورته، فقال: من انبسط إلى الإخوان بالاستئذان، فقد استحق الحرمان. قال عبد الرحمن بن مندة: وسمعت ابن فارس يقول: سمعت أبا أحمد بن أبي التيار يقول: أبو أحمد العسكري يكذب، على الصولي، مثلما كان الصولي، يكذب على الغلابي، مثلما كان الغلابي، يكذب على سائر الناس. قرأت بخط الشيخ أبي الحسن، علي بن عبد الرحيم السلمي، وجدت بخط ابن فارس على وجه المجلد والأبيات له، ثم قرأتها على سعد الخير الأنصاري، وأخبرني أنه سمعها من ابن شيخة أبي زكريا، عن سليمان بن أيوب، عن ابن فارس:

يا دار سعادى بذات الضال من غضم
العين: سحاب ينشأ من قبل القبلة.

إني لأذكر أياماً بها ولنا
العين ههنا: عين الإنسان وغيره.

تدني معشقة منا معتقة
العين ههنا: ما ينبع منه الماء.

إذا تمرزها شيخ به طرق
العين ههنا: عين الركبة، والطرق: ضعف الركبتين.

والزق ملآن من ماء السرور فلا
العين ههنا: ثقب يكون في المزادة، وتوله الماء: أن يتسرب.

وغاب عذالنا عنا فلا كدر
العين ههنا: لا رقيب.

يقسم الود فيما بيننا قسماً
العين ههنا: العين في الميزان.

وفائض المال يغنينا بحاضره
العين ههنا: المال الناض.

والمجمل المجتبي تغني فوائده

حفاظه عن كتاب الجيم والعين

قال: وبخطه أيضاً: سمعت أبي يقول: حجبت فلقيت بمكة ناساً من هذيل، فجاريتهم ذكر شعرائهم. وجدت على نسخة قديمة بكتاب المجلد، من تصنيف ابن فارس ما صورته: تأليف الشيخ أبي الحسين، أحمد بن فارس، ابن زكريا الزهراوي، الأستاذ

خرزي، واختلفوا في وطنه، فقيل: كان من رستاق الزهراء، من القرية المعروفة بكرسفة وجيانا باذ، وقد حضرت القريتين مراراً، ولا خلاف أنه قروي.

حدثني والدي محمد بن أحمد، وكان من جملة حاضري مجالسه، قال: أتاه آت فسأله عن وطنه، فقال: كرسف، قال فتمثل الشيخ:

بلاد بها شددت على تمائمي
وأول أرض مس جليد ترابها
وكتبه مجمع بن محمد، بن أحمد بخطه، في شهر ربيع الأول، سنة ست وأربعين وأربعمائة، وكان في آخر هذا الكتاب ما صورته أيضاً: قضى الشيخ أبو الحسين، أحمد ابن فارس - رحمه الله - في صفر سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بالري، ودفن بها مقابل مشهد قاضي القضاة، أبي الحسن، علي بن عبد العزيز، يعني الجرجاني.

أنشد أبو الريحان الببروني في كتاب الآثار الباقية، عن القرون الخالية، لأحمد بن فارس:

قد قال فيما مضى حكيم
فقلت قول امرئ لبيب
من لم يكن معه درهماه
وكان من ذله حقيراً
ما المرء إلا بأصغريه
ما المرء إلا بدرهميه
لم تلتفت عرسه إليه
تبول سنوره عليه

وحدث هلال بن المظفر الريحاني قال: قدم عبد الصمد، ابن بابك الشاعر إلى الري، في أيام صاحب، فتوقع أبو الحسين، أحمد بن فارس، أن يزوره ابن بابك، ويقضي حق علمه وفضله، وتوقع ابن بابك، أن يزوره ابن فارس، ويقضي حق مقدمه، فلم يفعل أحدهما ما ظن صاحبه، فكتب ابن فارس إلى القاسم بن حسولة:

تعديت في وصلي فعدي عتابك
تيقنت أن لم أحظ والشملى جامع
ذهبت بقلب عيل بعدك صبره
وما استمطرت عيني سحابة ريبة
ولا نقبت والصب يصبو لمثلها
ولا قلت يوماً عن قلى وأمة
وأنت التي شيبت قبل أوانه
تجنبت ما أوفى وعاقبت ما كفى
وقد نبحتني من كلابك عصبه
تجافيت عن مستحسن البر جملة
وأدنى بديلاً من نواك إيابك
بأيسر مطلوب فهلا كتابك
غداة أرتنا المرقلات ذهابك
لديك ولا مست يميني سخابك
عن الوجنات الغانيات نقابك
لنفسك: سلى عن ثيابي ثيابك
شبابي سقى الغر الغوادي شبابك
ألم بأن سعدى أن تكفي عتابك؟
فهلا وقد حالوا زجرت كلابك
وجرت على بختي جفاء ابن بابك

فلما وقف أبو القاسم الحسولي على الأبيات، أرسلها إلى ابن بابك، وكان مريضاً، فكتب جوابها بديهاً: وصلت الرقعة - أطال الله بقاء الأستاذ - وفهمتها، وأنا أشكو إليه الشيخ أبا الحسن، فإنه صيرني فضلاً لا وصلاً، وجأ لا نصلاً، ووضع الحلاوى من الموائد، وتمت من أواخر القصائد، وسحب اسمي منها مسح الذيل، وأوقعه موقع الذنب المحذوف من الخيل، وجعل مكاني مكان القفل من الباب، وفذلك من اعلساب، وقد أجبت عن أبياته بأبيات، أعلم أن فيها ضعفاً لعلتين: علتي، وعلتها، وهي:

أيا أثلات الشعب من مرج يابس
لقد شاقني والليل في شملة الحيا
ولمحة برق مستضى كأنه
فبت كأنى صعدة يمنية
ألاى حبذا صبح إذا ابيض أفاقه
ركبت من الخلاء أرقب سيلها
فيا طارق الزوراء قل لغيومها
وقل لرياض القفص تهدي نسيما
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
سلام على أثاركن الدوارس
إليكن ترجيع النسم المخالس
تردد لحظ بين أجفان ناعس
تزعزع في نقع من الليل دامس
تصدع عن قرن من الشمس وارس
ورود المطي الظامئات الكوانس
أهلي على مغنى من الكرخ آنس
فلست على بعد المزار بآيس
لقى بين أقرات المها والمحابس

وهل أرين الري دهليز بابك
ويصبح ردم السد قفلاً عليهما
وبابك دهليز إلى أرض فارس
كما صرت قفلاً في قوافي ابن فارس
فعرض أبو القاسم الحسولي المقطوعين على صاحب، وعرفه الحال، فقال: البادئ أظلم، والقادم يزار، وحسن العهد من الإيمان.

أحمد بن الفضل، بن شبابة الكاتب، أبو الصقر

النحوي الهمداني، من أهل همدان، ذكره شيرويه كان يلقب بساسي دوير، مات سنة خمسين وثلاثمائة، روى عن إبراهيم بن الحسين ديزيل، وأبي خليفة الفضل ابن الخباب الجمحي، وأبي القاسم عبد الله، بن محمد، بن عبد العزيز البغوي، وأبي سعيد الحسن بن علي، بن زكريا العدوي، وأبي بكر محمد، بن خلف وكيع، وأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، وأبي العباس، محمد بن يزيد المبرد، وأبي بكر بن دريد النحوي، وأبي الحسن علي بن سعيد العسكري، وعلي بن الفضل الرشدي وغيرهم. روى عنه أبو بكر أحمد بن علي، بن بلال، وأبو العباس، أحمد ابن إبراهيم، بن تركان، وأبو الحسن، إبراهيم بن عفر الأسدي، وأبو بكر بن خلف، بن محمد الخياط، وأبو عبد الله أحمد بن عمر الكاتب، وابن روزنة، وغيرهم. حدثنا عبد الملك بن عبد الغفار، الفقيه لفظاً، أخبرنا عبد الله بن عيسى الفقيه، حدثنا محمد بن أحمد قال: سمعت أبا الصقر بن شبابة الكاتب يقول: كنت بالبصرة، فاستأذنت على ابن خليفة، وعنده جماعة من الهاشبيين يتغدون، فحبسني البواب، فكتبت في رقعة وناولتها بعض غلمانه، فناولها أبا خليفة:

أبا خليفة تجفو من له أدب
ما كان قدر رغي لو سمحت به
وتتحف الغر من أولاد عباس
شيئاً وتأذن لي في جملة الناس
فلما وصلت إليه الرقعة قال: علي بالهمداني صاحب الشعر، فأدخلت إليه، فقدم إلي طبقاً من رطب، وأجلسني معه.

أحمد بن الفضل، بن محمد، بن أحمد ابن محمد، بن جعفر

الباطرقاني المقرئ، مات في الثاني والعشرين من صفر، سنة ستين وأربعمائة بأصبهان.

قال السمعاني: كان مقرئاً فاضلاً، ومتحدثاً كثيراً من الحديث، كتب بنفسه الكثير، وكان حسن الخط دقيقه، قرأ القرآن على جماعة من مشاهير القدماء بالروايات، وصنف التصانيف فيه، منها: كتاب طبقات القراء، كتاب الشواذ، وصلى بالناس إماماً في الجامع الكبير سنين، بعد ابن المظفر بن الشبيب، سمع الحديث من أبي عبد الله، محمد بن إسحاق، بن إبراهيم، ابن عبد الله، بن خرشيدة التاجر وجماعة، وروى لنا عن جماعة كثيرة.

قال ابن مندة: جرى ذكر الباطرقاني عند الإمام عمر، - رحمه الله -، والشيخ الحافظ أبو محمد، عبد العزيز ابن محمد النخشي، وجماعة حاضرون، فقال عبد العزيز صنف مسنداً ضمنه ما اشتمل عليه صحيح البخاري، إلا أنه كتب المتن من الأصل، ثم ألحقه الإسناد، وهذا ليس من شرط أصحاب الحديث وأهله، يتكلم في مسائل لا يسع الموضع ذكرها، ولو اقتصر على الإقراء والحديث، لكان خيراً له.

أحمد بن كامل، بن شجرة، بن منصور، بن كعب

ابن يزيد أبوبكر القاضي، قال الخطيب: قال القاضي بن كامل، ولدت في سنة ستين ومائتين. ومات في المحرم سنة خمسين وثلاثمائة، قال الخطيب: فكان ينزل في شارع عبد الصمد، وهو أحد أصحاب محمد بن جرير الطبري، وتقلد قضاء الكوفة، من قبل أبي عمر محمد بن يوسف، فكان من العلماء بالأحكام، وعلوم القرآن، والنحو، والشعر، وأيام الناس، والتاريخ، وأصحاب الحديث، وله مصنفات في أكثر من ذلك، قال النديم. منها: كتاب غريب القرآن، كتاب القراءات، كتاب التقريب في كشف الغريب، كتاب موجز التأويل عن حكم التنزيل، كتاب التنزيل، كتاب الوقوف، كتاب التاريخ، كتاب المختصر في الفقه، كتاب الشروط الكبير، كتاب الشروط الصغير، كتاب البحث والحث، كتاب أمهات المؤمنين، كتاب الشعر، كتاب الزمان، كتاب أخبار القضاة.

وكان قد اختار لنفسه مذهباً، قال الخطيب: وحدث ابن كامل، عن محمد بن سعد العوفي، ومحمد بن الجهم السمري، وأبي قلابة

الرقاشي، وأحمد بن أبي خيثمة، وأبي إسماعيل الترمذي. روى عنه الدارقطني، وأبو عبد الله المرزباني، وحدثنا عنه ابن رزقويه وغيره، وقال ابن رزقويه: لم تر عينا مثله، ولما بلغ الثمانين أنشدنا:

عقد الثمانين عقد ليس يبلغه
قال: وأنشدني القاضي بن كامل لنفسه:

وإذا نقشعت الأمور تكشفت
صرف الزمان تنقل الأيام
والمرء بين محلل وحرام
عن فضل أيام وقبح أنام

وسئل الدارقطني عن ابن كامل، فقال: كان متساهلاً، ربما حدث ن حفظه بما ليس عنده في كتابه، وأهلكه العجب، فإنه كان يختار، ولا يضع لأحد من الأئمة أصلاً، قيل: أكان جريري المذهب؟ فقال: بل خالفه، واختار لنفسه، وأملى كتاباً في السير، وتكلم على الأخبار. أنبأنا الخطيب أبو الفضل، عبيد الله بن أحمد، بن عبد الله المنصوري، قال: حدثنا أبو منصور، موهوب بن الجواليقي، حدثنا ثابت بن بدار، حدثنا أبو علي الحسن بن أحمد بن شاذان، حدثنا أبو بكر أحمد بن كامل، بن شجرة القاضي، في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، حدثني عبد الله بن أحمد، بن عيسى المقرئ، يعرف بالقسطاطي، قال: حدثنا أحمد بن سهل، أبو عبد الرحمن، قال: قدم علينا سعد بن زنبور، فأتيناه فحدثنا، قال: كنا على باب الفضيل ابن عياض، فاستأذنا عليه، فلم يؤذن لنا، قال: فقيل لنا: إنه لا يخرج إليكم إلا أن يسمع القرآن، قال: وكان معنا رجل مؤذن، وكان صينياً فقلنا له: اقرأ فقرأ: "ألهاكم التكاثر"، ورفع بها صوته، قال: فأشرف علينا الفضيل، وقد بكى حتى بل لحيته بالدموع، ومعه خرقة ينشف بها الدمع من عينيه، وأنشأ يقول:

بلغت الثمانين أو جزتها
أتاني ثمانون من مولدي
علتني السنون فأبلى نبي.
فماذا أو مل أو أنتظر؟
وبعد الثمانين ما ينتظر؟

قال: ثم خنفته العبرة، قال: وكان معنا علي بن خشرم فأتته له، فقال: فدقت عظامي وكل البصر قال: ثم قال القاضي أحمد بن كامل: ولدت سنة ستين ومائتين، وأنشدنا:

عقد الثمانين عقد ليس يبلغه
إلا المؤخر للأخبار والغير

أحمد بن كليب النحوي

صاحب أسلم الأندلسي، ذكر أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي في المنتظم: أن أحمد بن كليب، مات سنة ست وعشرين وأربعمائة، وذكر قصته التي أذكرها فيما بعد بعينها، ولا أدري من أين له هذه الوفاة؟ فإن الحميدي ذكره في كتابه، ولم يذكر وفاته، قال الحميدي: هو شاعر مشهور الشعر، ولا سيما شعره في أسلم، وكان قد أفرط في حبه، حتى أداه ذلك إلى الموت، وخبره في ذلك ظريف رواه عن محمد بن الحسن المذحجي.

قال: كنت أختلف في النحو إلى أبي عبد الله، محمد ابن خطاب النحوي في جماعة، وكان معنا عنده أبو الحسن، أسلم بن أحمد، بن سعيد، بن قاضي الجماعة، وأسلم بن عبد العزيز، صاحب المزني والربيع، قال محمد بن الحسن: وكان من أجمل من رأيته العيون، وكان يجيء معنا إلى محمد بن خطاب، أحمد بن كليب، وكان من أهل الأدب البارع، والشعر الرائع، فاشتد كلفه بأسلم، وفارق صبره، وصرف فيه القول متستراً بذلك، إلى أن فشت أشعاره فيه، وجرت على الألسنة، وتوشدت في المحافل، فلعهدي بعرس، وفيه زامر يزمر في البوق بقول أحمد بن كليب في أسلم:

أسلمني في هوا
غزال له مقلة
وشى بيننا حاسد
ولو شاء أن يرتشي
ه أسلم هذا الرشا
يصيب بها من يشا
سيسأل عما وشى
على العمل روجي ارتشي

فلما بلغ هذا المبلغ، انقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب، ولزم بيته والجلوس على باب، فكان أحمد بن كليب، لا شغل له إلا المرور على باب أسلم، سائراً ومقبلاً نهاره كله، فانقطع أسلم عن الجلوس على باب داره نهاراً، فإذا صلى المغرب واختلط الظلام، خرج مستروحاً، وجلس على باب داره، فعيل صبر أحمد بن كليب، فتحيل في بعض الليالي، وليس جبة من جباب أهل البادية، وأعم بمثل عمامتهم، وأخذ بإحدى يديه دجاجاً، وبالأخرى قفصاً فيه بيض، وتحين جلوس أسلم عند اختلاط الظلام على باب، فتقدم إليه وقبل يديه، وقال: يأمر مولاي بأخذ هذا؟ فقال له أسلم: ومن أنت؟ قال: صاحبك في الضيعة الفلانية، وقد كان

تعرف أسماء ضياعه وأصحابه فيها، فأمر أسلم بأخذ ذلك منه، ثم جعل أسلم يسأله عن الضيعة، فلما جاوبه أنكر الكلام، وتأمله فعرفه، فقال يا أخي: وهنا بلغت بنفسك؟ وإلى ههنا تبعتي؟ أما كفك انقطاعي عن مجالس الطلب، وعن الخروج جملة، وعن القعود على باب داري نهراً؟ حتى قطعت علي جميع مالي فيه راحة، قد صرت في سجنك، والله لا فارقت بعد هذه الليلة قعر منزلي، ولا قعدت ليلاً ولا نهراً على بابي، ثم قام، وانصرف أحمد بن كليب حزيناً كثيراً. قال محمد بن الحسن: واتصل ذلك بنا، فقلنا لأحمد ابن كليب: قد خسرت دجاجك وبيضك، فقال هات: كل ليلة قبلة يده، وأخسر أضعاف ذلك. قال: فلما يئس من رؤيته ألبته، نهكته العلة، وأضجعه المرض، قال: فأخبرني شيخنا محمد بن خطاب قال: فعدته، فوجدته بأسوا حال، فقلت له: ولم لا تتداوى؟ فقال: دوائي معروف وأما الأطباء، فلا حيلة لهم فيه، ألبته. فقلت له: وما دواؤك؟ قال: نظرة من أسلم، فلو سعت في أن يزورني لأعظم الله أجرك، وكان هو والله أيضاً يؤجر، قال: فرحمته، وتقطعت نفسي له، ونهضت إلى أسلم، فتلقاني بما يجب، فقلت له: لي حاجة، قال: وما هي؟ قلت له: قد علمت ما جمعك مع أحمد من ذمام الطلب عندي، فقال: نعم، فقد تعلم أنه أشهر اسمي وأداني، فقلت له: كل ذلك مغتفر في الحال التي هو فيها، والرجل يموت، فتفضل بعيادته، فقال: والله ما أقدر على ذلك، فلا تكلفني هذا، فقلت له: لا بد، فليس عليك في ذلك شيء، فإنما هي عيادة مريض، قال: ولم أزل به حتى أجاب، فقلت: فقم الآن، فقال لي: لست والله أفعل ذلك، ولكن غداً، فقلت له: ولا خلف؟ فقال: نعم. قال: فانصرفت إلى أحمد بن كليب، وأخبرته بوعده بعد تأيبيه، فسر بذلك، وارتاحت نفسه. قال: فلما كان من الغد، بكرت إلى أسلم وقلت له، الوعد، فوجم وقال: والله لقد تحملني على خطة صعبة، وما أدري كيف أطيق ذلك؟ فقلت له: لا بد من أن تفي بوعدك، فأخذ رداءه ونهض معي راجلاً، فلما أتينا منزل أحمد بن كليب، وكان يسكن في آخر درب طويل، فلما توسط الدرب احمر وخجل، وقال لي: الساعة والله أموت، وما أستطيع أن أنقل قدمي، ولا أن أعرض لهذا نفسي. فقلت: لا تفعل، بعد أن بلغت المنزل، أن تنصرف؟ قال لا سبيل والله إلى ذلك، ألبته، قال: ورجع مسرعاً، فاتبعته وأخذت بردائه، فتمادى وتمزق الرداء، وبقيت قطعة منه في يدي، ومضى فلم أدركه، فرجعت ودخلت إلى أحمد بن كليب، وقد كان غلامه دخل إليه، إذ رأنا من أول الدرب مبشراً، فلما رأني دونه، تغير لونه، وقال: وأين أبو الحسن؟ فأخبرته بالقصة، فاستحال من وقته، واختلط، وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه أكثره من التوجع، فاستبشعت، الحال، وجعلت أرجع وقمت، فثاب إليه ذهنه، وقال لي: يا أبا عبد الله، اسمع، وأنشد:

أسلم يا راحة العليل

رفقاً على الهائم النحيل

وصلك أشهى إلى فوادي

من رحمة الخالق الجليل

فقلت له: اتق الله، ما هذه العظيمة؟ فقال لي: قد كان ما كان، فخرجت عنه، فوالله ما توسطت الدرب حتى سمعت الصراخ عليه، وقد فارق الدنيا، هذا قتيل الحب، لا دية ولا قود.

قال: وهذه قصة مشهورة عندنا، والرواة ثقات، وأسلم هذا، من بيت جليل، وهو صاحب الكتاب المشهور في أغاني زرياب، وكان شاعراً أديباً.

قال الحميدي: وقد رأيت ابنه أبا الجعد قال: وذكرت هذه القصة لمحمد بن سعيد الخولاني الكاتب، فعرفها، وقال لي: أخبرني الثقة قال: لقد رأيت أسلم هذا في يوم شديد المطر، لا يكاد أحد يمشي في طريق، وهو قاعد على قبر أحمد بن كليب زائراً له، وقد تحين غفلة الناس في مثل ذلك الوقت، وكان أحمد بن كليب، قد أهدى إلى أسلم في أول أمره كتاب الفصيح، وكتب عليه:

هذا كتاب الفصيح

بكل لفظ مليح

وهيته لك طوعاً

كما وهبتك روحي

وقرأت في كتاب الديارات للخالدي حكاية أعجبتني أمر صاحبها، وأحببت أن يكون لها موضع من كتابي هذا، وكأن المثل يذكر بالمثل، ذكرتها عقيب خبر أحمد بن كليب، فإنهما خبران متقاربان.

قال: حدثني أبو الحسين، يحيى بن الحسين الكندي الحراني الشاعر، قال: حدثني أبو بكر أحمد بن محمد الصنوبري، قال: كان بالرها وراق يقال له سعد، وكان في دكانه مجلس كل أديب، وكان حسن الأدب والفهم، يعمل شعراً رقيقاً، وما كنا نفارق دكانه، أنا وأبو بكر المعوج، الشامي الشاعر، وغيرنا من شعراء الشام، وديار مصر، وكان لتاجر بالرها نصراني، من كبار تجارها ابن اسمه عيسى، من أحسن الناس وجهاً، وأحلام قداً، وأظرفهم طبعاً ومنطقاً، وكان يجلس إلينا، ويكتب عنا أشعارنا، وجميعنا يحبه، ويميل إليه، وهو حينئذ صبي في الكتاب، فعشقه سعد الوراق عشقاً مبرحاً، ويعمل فيه الأشعار، فمن ذلك وقد جلس عنده في دكانه:

وهاك فابر عظامي موضع القلم

فإن ذلك برء لي من السقم

وأنت أشهر في الصبيان من علم

إجعل فوادي دواة والمداد دمي

وصير اللوح وجهي وامحه بيد

ترى المعلم لا يدري بمن كلفني

ثم شاع - بعشق الغلام في الرها - خبره، فلما كبر وشارف الائتلاف أحب الرهبنة، وخاطب أباه وأمه في ذلك، وألح عليهما حتى أجاباه، وخرجا به إلى دير زكي بنواحي الرقة، وهو في نهاية حسنه، فابتاعا له قلاية، ودفعا إلى رأس الدير جملة من المال عنها، فأقام الغلام فيها، وضافت على سعد الوراق الدنيا بما رحبت، وأغلق دكانه، وهجر إخوانه، ولزم الدير مع الغلام، وسعد في خلال ذلك، يعمل فيه الأشعار: فمما عمل فيه وهو في الدير، وكان الغلام قد عمل شماساً:

يا حمة قد علت غصناً من البان
قد قايسوا الشمس بالشماس فاعترفوا
كأن أطرافها أطراف ريحان
فقل لعيسى بعيسى كم هراق دماً
بأنما الشمس والشماس سيان
إنسان عينك من عين لإنسان

ثم إن الرهبان، أنكروا على الغلام كثرة إمام سعد به، ونهوه عنه، وحرموه أن أدخله، وتوعده بإخراجه من الدير إن لم يفعل، فأجابهم إلى ما سألوه من ذلك.

فلما رأى سعد امتناعه منه، شق عليه، وخضع للرهبان، ورفق بهم ولم يجيبوه، وقالوا: في هذا علينا إثم وعار، ونخاف السلطان، فكان إذا وافى الدير، أغلقوا الباب في وجهه، ولم يدعوا الغلام يكلمه، فاشتد وجده، وازداد عشقه، حتى صار إلى الجنون، فحرق ثيابه، وانصرف إلى داره، فضرب جميع ما فيها بالنار، ولزم صحراء الدير، وهو عريان يهيم، ويعمل الأشعار ويبكي.

قال أبو بكر الصنوبري: ثم عبرت يوماً أنا والمعوج، من بستان بتنا فيه، فرأينا جالساً في ظل الدير وهو عريان، وقد طال شعره، وتغيرت خلقته، فسلمنا عليه، وعذلناه وعتبناه. فقال: دعاني من هذا الوسواس، أترى أن ذلك الطائر على هيكل؟ وأوماً بيده إلى طائر هناك، فقلنا: نعم، فقال: أنا وحقكما يا أخوي، أناشده منذ الغداة أن يسقط، فأحمله رسالة إلى عيسى، ثم التفت إلي وقال: يا صنوبري، معك ألواحك؟ قلت: نعم. قال اكتب:

بدينك يا حماسة دير زكي
قفي وتحلمي عني سلاماً
عليه مسوحوه وأضاء فيها
وقالوا رابنا إمام سعد
وقولي سعدك المسكين يشكو
فصله بنظرة لك من بعيد
وإن أنا مت فاكتب حول قبوري
رقيب واحد تنغيص عيشي

وبالإنجيل عندك والصليب
إلى قمر على غصن رطيب
وكان البدر في حلل المغيب
ولا والله ما أنا بالمريب
لهيب جوى أحر من اللهيب
إذا ما كنت تمنع من قريب
محب مات من هجر الحبيب
كيف بمن له مانتا رقيب؟

ثم تركنا وقام يعدو إلى باب الدير، وهو مغلق دونه، وانصرفنا عنه، وما زال كذلك زماناً، ثم وجد في بعض الأيام ميتاً إلى جانب الدير، وكان أمير البلد يومئذ، العباس بن كيغلف، فلما اتصل ذلك به وبأهل الرها، خرجوا إلى الدير، وقالوا: ما قتله غير الرهبان، وقال لهم ابن كيغلف: لا بد من ضرب رقبة الغلام، وإحراقه بالنار، ولا بد من تعزير جميع الرهبان بالسياط، وتصعب في ذلك، فافتدى النصاري نفوسهم وديرهم بمائة ألف درهم. وكان الغلام بعد ذلك، إذا دخل الرها لزيارة أهله، صاح به الصبيان: يا قاتل سعد الوراق، وشدوا عليه بالحجارة يرمونه، وزاد عليه الأمر في ذلك، حتى امتنع من دخول المدينة، ثم انتقل إلى دير سمعان، وما أدري ما كان منه. ومثل هذه الحكاية، خبر مدرك بن علي الشيباني، وكان مدرك شاعراً، أديباً فاضلاً، وكان كثيراً ما يلزم بدير الروم ببغداد، ويعاشر نصاراه، وكان بدير الروم غلام من أولاد النصاري، يقال له: عمرو بن يوحنا، وكان من أحسن الناس وجهاً، وأملحهم صورة وأكملهم خلقاً، وكان مدرك بن علي يهواه، وكان لمدرك مجلس يجتمع فيه الأحداث لا غير، فإن حضر شيخ أو ذو لحية قال له مدرك: إنه قبيح بك أن تختلط مع الأحداث والصبيان، فقم في حفظ الله، فيقوم، وكان عمرو ممن يحضر مجلسه، فعشقه وهام به، فجاء عمرو يوماً، فكتب مدرك رقعة فطرحها في حجره، فقرأها فإذا فيها:

بمجالس العلم
إلا رثيت لمقلة
بيني وبينك حرمة
التي بك تم حسن جموعها
غرقت بفيض دموعها
الله في تضيقها

فقرأ الأبيات عمرو، ووقف عليها من كان بالمجلس، وقرءوها، فاستحيا عمرو، وانقطع عن الحضور، وغلب الأمر على مدرك، وقال فيه قصيدته المزوجة المشهورة، التي أولها:

ناطق دمع صامت اللسان
معذب بالصد والهجران

من عاشق ناء هواه داني
موثق قلب مطلق الجثمان
وهي طويلة: وكتب إليه لما هجره، وقطع مجلسه:

شهدا على ما في هواه أفا سي
شتان بين لباسه ولباسي
ما قد يحاذر من كلام الناس
منهم فعصب ما يقال براسي

فيض الدموع وشدة الأنفاس
لبس الملاحة وهو ألبسني الضنا
يا من يريد وصالنا ويصده
صلني فإن سبقت إليك مقالة

ثم خرج مدرك إلى الوسواس، وسل جسمه، وتغير عقله، وترك مجلسه، وانقطع عن الإخوان، ولزم الفراش. قال حسان بن محمد، بن عيسى، بن شيخ: فحضرته عائداً في جماعة من إخوانه، فقال: ألسنت صديقكم؟ والقديم العشيق لكم؟ فما منكم أحد ليسعدني بالنظر إلى وجه عمرو، قال: فمضينا إلى عمرو فقلنا له: إن كان قتل هذا الرجل ديناً، فإن إحياءه مروءة، قال: وما فعل؟ قلنا قد صار إلى حال لا نحسبك تلحقه قال: فنهض معنا، فلما دخلنا عليه، سلم عليه عمرو، فأخذ بيده وقال: كيف تجدك يا سيدي، فنظر إليه، ثم أغمى عليه، وأفاق، وهو يقول:

لا من الشوق إليكا
منك لا يخفى عليك
بأ رهيناً في يديكا
ق بسهمي مقلتيكا

أنا في عافية إل
أيها العائد ما بي
لا تعد جسماً وعد قل
كيف لا يهلك مرشو

ثم شفق شهقة فارق الدنيا فيها، فما برحنا حتى دفناه - رحمه الله -.

أحمد المحرر، يعرف بالأحول

قديم، كان في أيام الرشيد والمأمون، وبعد ذلك. قال أبو عبد الله بن عبدوس: ذكر أبو الفضل بن عبد الحميد في كتابه: أن الأحول المحرر شخص مع محمد بن يزداد، بن سعيد وزير المأمون، عند شخص المأمون إلى دمشق، وأنه شكاً يوماً إلى أبي هارون، خليفة محمد بن يزداد، الوحدة والغربة، وقلة ذات اليد، وسأله أن يكلم له محمداً في كلام المأمون في أمره. ليبره بشيء، ففعل أبو هارون ذلك، ورأى محمد بن يزداد من المأمون طيب نفس، فكلمه فيه وعطفه عليه، فقال له المأمون: أنا أعرف الناس به، ولا يزال بخير ما لم يكن معه شيء، فإذا رزق فوق القوت بذره وأفسده، ولكن أعطه لموضع كلامك، أربعة آلاف درهم، فدعا ابن يزداد بالأحول، وعرفه ما جرى، ونهاه عن الفساد، وأمر له بالمال، فلما قبضه ابتاع غلاماً بمائة دينار، واشترى سيفاً ومنازعاً، وأسرف فيما بقي بعد ذلك، حتى لم يبق معه شيء، فلما رأى الغلام ذلك، أخذ كل ما كان في بيته وهرب، فبقي عرياناً، بأسوء حال، وصار إلى أبي هارون، خليفة بن يزداد فأخبره، فأخذ أبو هارون نصف طومار ونشره ووقع في آخره:

وأنا الشفيع وأنت خير معول

فر الغلام فطار قلب الأحول

ثم ختمه ودفعه إليه، وقال له: امض به إلى محمد ابن يزداد، فأوصله إليه، فلما رآه ابن يزداد، قال له: ما في كتابك؟ قال: لا أدري، فقال: هذا من حمقك، تحمل كتاباً لا تدري ما فيه، ثم فضه فلم ير فيه شيئاً، فجعل ينشره وهو يضحك، حتى أتى على آخره، فوقف على البيت ووقع تحته:

كان الغلام ربيطة بالمنزل

لولا تغنت أحمد لغلامه

ثم ختمه وناولته، وأمره أن يرده إلى خليفته، فقال له: الله الله في، - جعلت فداك -، ارحمني من الحال التي صرت إليها، فرق له، ووعدته أن يكلم المأمون، فلما وجد بعد ذلك خلوة من المأمون، كلمه فيه، وشرح له ما جرى أجمع، ووصف له ضعف عقل الأحول، ووهي عقدته وسخفه، فأمر المأمون بإحضاره، فلما وقف بين يديه، قال له: يا عدو الله، تأخذ مالي فتشتري به غلاماً حتى يفر منك، فارتاع لذلك، وتلجلج لسانه. فقال: - جعلت فداك - يا أمير المؤمنين. ما فعلت، فقال له: ضع يدك على رأسي، والحف أنك لم تفعل. فجعل ابن يزداد يأخذ بيده لذلك، والمأمون يضحك، ويشير إليه أن ينحيها. ثم أمر له بإجراء رزق واسع في كل شهر، ووصله مرة بعد مرة، حتى أغناه، وكان يعجبه خطه.

أحمد بن محمد، بن حميد، بن سليمان، بن حفص، بن عبد الله

ابن أبي الجهم، بن حذيفة، بن غانم، بن عامر، بن عبد الله، بن عبيد، بن عوتج، بن عدي، بن كعب العدوي الجهمي: أبو عبد الله، من بني عدي بن كعب، القرشي، ينسب إلى جده أبي الجهم، بن حذيفة، حجازي، دخل العراق وبها تأدب ونشأ، وكان أديباً، رابوية شاعراً، متقناً، عالماً بالنسب، والمثالب، ويتناول جلة الناس، وله في ذلك كتب، مات.

ذكره المرزباني، ومحمد بن إسحاق النديم، فقالا: وقع بينه وبين قوم من العمربيين والعثمانيين شر، فذكر سلفهم بأقبح ذكر، فكلمه بعض الهاشميين في ذلك، فذكر العباس بأمر عظيم، فأنهاى خبره إلى المتوكل، فأمر بضربه مائة سوط، وتولى ضربه إياها، إبراهيم ابن إسحاق، بن إبراهيم، فلما فرغ من ضربه، قال فيه:

تبرا الكلوم وينبت الشعر
ولكل مورد غلة صدر
واللؤم في أثواب منبطح
لعييده ما أورد الشجر

قال: وله من الكتب، كتاب قريش وأخبارها، كتاب المعصومين، كتاب المثالب، كتاب الانتصار في الرد على الشعوبية، كتاب فضائل مضر.

أحمد بن أبي عبد الله، بن محمد، بن خالد، بن عبد الرحمن

ابن محمد، بن علي الرقي، أبو جعفر، الكوفي الأصل، وكان يوسف بن عمر الثقفي، والي العراق من قبل هشام ابن عبد الملك، قد حبس جده محمد بن علي بعد قتل زيد ابن علي، ثم قتله، وكان خالد صغير السن، فهرب مع أبيه عبد الرحمن إلى برقة قم، فأقاموا بها. وكان ثقة في نفسه، غير أنه أكثر الرواية عن الضعفاء، واعتمد المراسيل، وصنف كتباً كثيرة، منها: المحاسن وغيرها، وقد زيد في المحاسن ونقص، فمما وقع إلي منها: كتاب الإبلاغ، كتاب التراحم والتعاطف، كتاب أدب النفس، كتاب المنافع، كتاب أدب المعاشرة، كتاب المعيشة، كتاب المكاسب، كتاب الرفاهية، كتاب المعارض، كتاب السفر، كتاب الأمثال، كتاب الشواهد من كتاب الله عز وجل، كتاب النجوم، كتاب المرافق، كتاب الدواجن، كتاب المشوم، كتاب الزينة، كتاب الأركان، كتاب الزي، كتاب اختلاف الحديث، كتاب المأكول، كتاب الفهم، كتاب الإخوان، كتاب الثواب، كتاب تفسير الأحاديث وأحكامه، كتاب العلل، كتاب العقل، كتاب التخويف، كتاب التحذير، كتاب التهذيب، كتاب التسلية، كتاب التاريخ، كتاب التبصرة، كتاب غريب كتب المحاسن، كتاب مدام الأخلاق، كتاب النساء، كتاب المآثر والأحساب، كتاب أنساب الأمم، كتاب الزهد والموعظة، كتاب الشعر والشعراء، كتاب العجائب، كتاب الحقائق، كتاب المواهب والحظوظ، كتاب الحياة، وهو كتاب النور والرحمة، كتاب التعيين، كتاب التأويل، كتاب مدام الأفعال، كتاب الفروق، كتاب المعاني والتحريف، كتاب العقاب، كتاب الامتحان، كتاب العقوبات، كتاب العين والخصائص، كتاب النحو، كتاب العيافة والقيافة، كتاب الزجر والفال، كتاب الطيرة، كتاب المراسد، كتاب الأفانين، كتاب الغرائب، كتاب الخيل، كتاب الصيانة، كتاب الفراسة، كتاب العويص، كتاب النوادر، كتاب مكارم الأخلاق، كتاب ثواب القرآن، كتاب فضل القرآن، كتاب مصابيح الظلم، كتاب المنتخبات، كتاب الدعابة والمزاح، كتاب الترغيب، كتاب الصفوة، كتاب الرؤيا، كتاب المحبوبات والمكروهات، كتاب خلق السموات والأرض، كتاب بدء خلق إبليس والجن، كتاب الدواجن والرواض، كتاب مغازي النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب بنات النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه، كتاب الأحناس والحيوان، كتاب التأويل، كتاب طبقات الرجال، كتاب الأوائل، كتاب الطب، كتاب التبيان، كتاب الجمل، كتاب ما خاطب الله به خلقه، كتاب جداول الحكمة، كتاب الأشكال والقرائن، كتاب الرياضة، كتاب ذكر الكعبة، كتاب التهاني، كتاب التعازي.

أحمد بن محمد، بن يوسف الأصبهاني

قال حمزة في كتاب أصبهان، وذكره في جملة الأدباء الذين كانوا بها، وقال: له كتاب في طبقات البلغاء، وكتاب في طبقات الخطباء، لم يسبق إلى مثلهما، وكتاب أدب الكتاب، وأنشد الأصبهاني في القاضي الوليد.

لعمرك ما حمدنا غب ود
رجونا أن يكون لنا ثمالاً
ويحيى أحمد بن أبي دؤاد
فزرناه فلم نحصل لديه
نورد حوضه الآمال منا
يظل عدوه يحظى لديه
بذلنا الصفو منه للوليد
إذا ما المحل أذوى كل عود
سليل المجد والشرف العتيد
على غير التهدد والوعيد
فأبت غير حامدة الورود
بنيل الحظ من دون الودود

رضينا بالسلامة من جداه
وقال في مثل للفرس قلبه إلى العربية شعراً:

إني إذا ما رأيت فرخ زنى
لو في جدار تخط صورته

وقال في رجل عدل عن انتحال علم الإسلام، إلى علم الفلسفة:
فارقت علم الشافعي ومالك
وأراك في دين الجماعة زاهداً
وكتب إلى بعض إخوانه:

نفسى فداؤك من خليل مصقب
عندي غداً فئة تقوم بمثلها
مثل النجوم يلذ حسن حديثهم
أو روضة زهراء معشبة الثرى
من بين ذي علم يصول بعلمه
منهم أبو الحسن ابن قلس دهره
والهرمزاني الذي يسمو به
فاجعل حديثك عندنا يشفي الجوى
ألن الجواب فليس يعجبني أخ

وأعفيناه من كرم وجود

فليس يخفى على جوهره
لماج في كف من يصوره

وشرعت في الإسلام رأي رقلس
ترنو إليه بميل طرف الأشوس

لم يشفني منه اللقاء الشافي
لله حجتة على الأصناف
ليسوا بأوباش ولا أجناف
كال الربيع لها بكيل واف
أو شاعر يقضي بحد قواف
وأبو الهذيل وليس بالعلاف
شرف أناف به على الأشراف
ففوسنا ولهى إلى الإيلاف
في الدين شاب وفاء بخلاف

أحمد بن محمد، بن أبي محمد اليزيدي

أبو جعفر، ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر، في تاريخ دمشق، فقال: أحمد بن محمد، بن يحيى المبارك، ابن المغيرة، أبو جعفر العدوي النحوي، المعروف أبوه باليزيدي، كان من ندماء المأمون، وقدم معه دمشق، وتوجه منها غازياً للروم، سمع جده أبا محمد يحيى، وأبا زيد الأنصاري، وكان مقرئاً، روى عنه أخواه، عبيد الله، والفضل ابنا محمد، وابن أخيه محمد بن العباس، ومحمد بن أبي محمد، وعون بن محمد الكندي، ومحمد بن عبد الملك الزيات، مات قبيل سنة ستين ومائتين. قرأت في كتاب أبي الفرج الأصبهاني، حدثنا محمد بن العباس، حدثني أبي، عن أخيه أبي جعفر قال: دخلت يوماً على المأمون بقارا، وهو يريد الغزو، فأنشدته شعراً مدحته به، أوله:

يا قصر ذا النخلات من بارا
أبصرت أشجاراً على نهر
لله أيام نعمت بها
إذ لا أزال أزور غانية
لا أستجيب لمن دعا لهدى
أعصى النصيح وكل عاذلة

إني حننت إليك من قارا
فذكرت أنهاراً وأشجارا
في الققص أحياناً وفي بارا
ألهو بها وأزور خمارا
وأجيب شطاراً ودعارا
وأطيع أوتاراً ومزمارا

قال: فغضب المأمون وقال: أنا في وجه عدو، وأحض الناس على الغزو، وأنت تذكرهم نزهة بغداد، قلت: الشيء بتمامه، ثم قلت:

وصحوت بالمأمون من سكري
ورأيت طاعته مؤدية
فخلعت ثوب الهزل من عنقي
وظللت معتصماً بطاعته
إن حل أرضاً فهي لي وطن

ورأيت خير الأمر ما اختارا
للفرض إعلاناً وإسرارا
ورضيت دار الخلد لي دارا
وجواره وكفى به جارا
وأسير عنها حيثما سارا

فقال له يحيى بن أكتم: ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين! أخبر أنه كان في سكر وخسار، فترك ذلك وارعوى، وأثر طاعة خليفته، وعلم أن الرشد فيها، فسكن وأمسك، ولأحمد بن اليزيدي هذا، بيت جمع فيه حروف المعجم كلها وهو:
ولقد شجنتي طفلة برزت ضحى
كالشمس خثماء العظام بذى الغضا
وذكره أبو بكر الزبيدي فقال: هو أمثل أهل بيته في العلم.

أحمد بن محمد، بن عبد الكريم، بن سهل

ويقال ابن أبي سهل الأحول، أبو العباس، ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: هو من متقدمي الكتاب وأفاضلهم، وكان عالماً بصناعة الخراج، متقدماً في ذلك على أهل عصره، مات سنة سبعين ومائتين وله كتاب الخراج.

أحمد بن محمد، بن ثوابة، بن خالد الكاتب

أبو العباس، قال محمد بن إسحاق النديم: هو أحمد ابن محمد، بن ثوابة، بن يونس، أبو العباس الكاتب، أصلهم نصارى، وقيل: إن يونس يعرف بلبابية، وكان حجاماً، وقيل: أمهم لبابية، ومات أبو العباس سنة سبع وسبعين ومائتين، وقال الصولي: مات في سنة ثلاث وسبعين قال: وحدثنى أبو سعيد، وهب بن إبراهيم، بن طازاذ قال: كان بين علي بن الحسين، وبين أبي العباس بن ثوابة، منازعة في ضيعة، فاجتمعا في مجلس بعض الرؤساء وأحسبه عبيد الله بن سليمان، فرد علي بن الحسين، مناظرة أبي العباس، إلى أخيه أبي القاسم، بن الحسين، فناظر أبا العباس، فأقبل أبو العباس يهاتره ويطنز به وقال في جملة قوله: من أنتم؟ إنما نفقتم بالبذيدة، قال: فالتفت علي بن الحسين، إلى صبي كان معه، كأنه الدنيا المقبلة، فأخذ بيده، وقام قائماً في موضعه، وكشف عن رأسه، وقال بأعلى صوته: يا معشر الكتاب، قد عرفتموني، وهذا ولدي، من فلانة بنت فلان الفلاني، وهي من طالق طلاق الحرج والسنة، على سائر المذاهب، إن لم يكن هذا الشرط الذي في أذعني شرط جده فلان المزين، لا يكتفى عن جد ابن ثوابة، قال: فاستخذل أبو العباس، ولم يجر جواباً، ولا أجرى بعد ذلك كلاماً في الضيعة، وسلمها من غير منازعة ولا محاورة. قال: وكان أبو العباس من الثقلاء اليعضاء، وله كلام مدون مستهجن مستنقل، منه: علي بماء الورد أغسل فمي من كلام الحاجم. ومنه: لما رأى أمير المؤمنين الناس قد تدارسوا وتدفقوا وترنسعوا وتذورروا تدسفن وله من التصانيف: كتاب رسائله المجموعة، كتاب رسالته في الكتابة والخط، وأخوه جعفر بن محمد، بن ثوابة، تولى ديوان الرسائل في أيام عبيد الله بن سليمان الوزير، وله ابن اسمه محمد بن أحمد، كان أيضاً مترسلاً بليغاً، وله كتاب رسائل. وأبو الحسين محمد بن جعفر، بن ثوابة، وابنه أبو عبد الله، أحمد بن محمد، بن جعفر. وله أيضاً ديوان رسائل، وهو آخر من بقي من فضلانهم.

ومن كلام أبي العباس: من حق المكاتبة، أن يسبقها أنس، وينعقد قبلها ود، ولكن الحاجة أعجلت عن ذلك، فكتبت كتاب من يحسن الظن إلى من يحققه.

ومن فصل له إلى عبيد الله بن سليمان: لم يؤت الوزير من عدم فضيلة، ولم أوت من عدم وسيلة، وغلة الصادي تأبى له انتظار الوارد، وتعجل عن تأمل ما بين الغدير والواد، ولم أرل أن أترقب أن يخطرني بباله، ترقب الصائم لظفره، وأنتظره انتظار الساري لفجره، إلى أن برح الخفاء، وكشف الغطاء، وشممت الأعداء، وإن في تخلفي وتقدم المقصرين، لآية للمتوسمين والحمد لله رب العالمين.

وقيل لابن ثوابة: قد تقلد إسماعيل بن بلبل الوزارة، فقال: إن هذا عجز قبيح من الأقدار، وكان محمد بن أحمد بن ثوابة، كاتباً لبابكباك التركي، فلما أغري المهتدي بالرافضة، قال المهتدي لبابكباك: كاتبك والله أيضاً رافضي، فقال بابكباك: كذب والله على كاتبتي، ما كان يقول هؤلاء، فشهدت الجماعة عليه، فقال بابكباك: كذبتم، ليس كاتبتي كما تقولون، كاتبتي خير فاضل، يصلي ويصوم، وينصحني، ونجاني من الموت، لا أصدق قولكم عليه، فغضب المهتدي، وردد الأيمان على صحة القول في ابن ثوابة، وهو يقول: لا، لا، فلما انصرف القوم من حضرة المهتدي، أسمعهم بابكباك وشتمهم، ونسبهم إلى أخذ الرشأ والمصانعات وأغلظ لهم وأمر ببعضهم فنيل بمكره، إلى أن تخلصوا من يده، واستتر ابن ثوابة، وقلد المهتدي كتابه بابكباك، سهل بن عبد الكريم الأحول، ونودي على ابن ثوابة، ثم تنصل بابكباك إلى المهتدي، واعتذر إليه فقبل عذره، وصفح عنه، فلما قدم موسى بن بغا، سر من رأى من الجبل، تلقاه بابكباك، وسأله النطف في المسألة، في الصفح عن كاتبه ابن ثوابة، فلما جدد المهتدي البيعة في دار أناجور التركي، عاود بابكباك المسألة في كاتبه، فوعده بالرضا عنه، وقال: الذي فعلته بابن ثوابة، لم يكن لشيء كان في نفسي عليه يخصني، لكن غضباً لله تعالى وللدين، فإن كان قد نزع عما أنكر منه، وأظهر تورعاً، فإني قد رضيت عنه، ثم

رضي عنه الخليفة في يوم الجمعة، النصف من محرم، سنة خمسين ومائتين، وخلع عليه أربع خلع، وقلده سيفاً، ورجع إلى كتابة بابك ميمون بن هارون.

قال لي الحسن، علي بن محمد، بن الأخضر: كنا يوماً في مجلس أبي العباس ثعلب، إذ جاءه أبو هفان البصري للسلام عليه، فسأله عن أمره، وسبب قدومه من سامراء، وابن يريدي؟ فقال أريد ابن ثوبة، يعني أحمد بن محمد، ابن ثوبة، بن خالد، وكان بالرقعة، وكان ذلك في أيام عيد، فقال أبو العباس: كيف رضاك عن بني ثوبة؟ فقال: إني والله أكره هجاءهم في يوم مثل هذا، ولكني أقمت هجائي لهم مقام الزكاة، وقلت:

ملوك تناهم كأحسابهم
فطول قرونهم أجمعين
وأخلاقهم شبه آدابهم
يزيد على طول أذنانهم

وقال الصولي: كانت بين أبي الصقر إسماعيل بن بلبل الوزير، وبين أبي العباس، أحمد بن محمد، بن ثوبة وحشة شديدة، لأسباب منها: أشياء جرت في مجلس صاعد في آخر أيامه، قد حدثني رشيق الموسوي الخادم - وما رأيت خادماً أعقل منه، ولا أكتب يداً - قال: كنا في مجلس صاعد، فسأل عن رجل، فقال أبو الصقر: قد كان أنفي، يريد نفي، فقال ابن ثوبة: في الخراء، فسمعها، فقال أبو الصقر: كيف تكلم من حقه أن يشد ويحد؟ فقال ابن ثوبة: من جهلك، إنك لا تعلم أن من يشد لا يحد، ومن يحد لا يشد، ثم ضرب الدهر من ضربه، فرايت ابن ثوبة قد دخل إلى أبي الصقر بواسطة، فوقف بين يديه، ثم قال: أيها الوزير، "لقد أترك الله علينا وإن كنا لخطئين". فقال له أبو الصقر: "لا تترييب عليك" يا أبا العباس، ثم رفع مجلسه، وقلده طساسيج بابل، وسورا، وبريسما، فضاعف وزاد في الدعاء له، فمازال والياً إلى أن توفي في سنة ثلاث وسبعين ومائتين. هكذا ذكر الصولي، والأول منقول من كتاب محمد بن إسحاق، وهذا أولى بالصواب.

قال الصولي: وحدثني الحسين بن علي الكاتب، قال: كان أبو العيناء في جملة أبي الصقر، قال: وكان يعادي ابن ثوبة، لمعاداة أبي الصقر، فاجتمع في مجلس يعقب ما جرى بين أبي الصقر، وبين ابن ثوبة في مجلس صاعد، فتلاحيا، فقال له ابن ثوبة: أما تعرفني؟ قال: بل أعرفك ضيق العطن، كثير الوسن، قليل الفطن، خارا على الذنن، قد بلغني تعديك على أبي الصقر. وإنما حلم عنك، لأنه لم ير عزا فيذله: ولا علواً فيضعه. ولا حجراً فيهدمه، فعاف لحمك أن يأكله. وسهك دمك أن يسفكه، فقال له: اسكت، فما تساب اثنان إلا غلب الأملهما، قال أبو العيناء: فلهذا غلبت بالأمس أبا الصقر، فأسكته.

ومن كتاب الوزراء لهلال بن المحسن، حدث علي بن سليمان الأخفش قال: ذكر لي المبرد، أنه كان في سوم نوبة له عند أبي العباس، أحمد بن محمد، بن ثوبة، حتى دخل عليه غلامه، وفي يده رقعة البحري، فقرأها أبو العباس، ووقع فيها توقيعاً خفيفاً، وأمر بإصلاحها، فأصلحت وأعيدت إليه. قال المبرد: فرمى بها إلي، فإذا فيها:

إسلم أبا العباس واب
وكن الذي يبقى لنا
لي حاجة أرجو لها
والمجد مشروط علي
فلئن كفيت ملمها
ق فلا أزال الله ظلك
ونموت حين نموت قبلك
إحسانك الأوفى وفضلك
لك قضاءها والشرط أملك
فلمثلها أعددت مثلك

قال: وإذا وقع أبو العباس: مقضية، والله الذي لا إله إلا هو، ولو أتلفت المال، وأذهبت الحال، فقل: - رعاك الله - ما شئت منبسطاً، وثق بما أنا عليه لك معتبطاً، إن شاء الله تعالى.

وقال أحمد بن علي المادرائي، الكاتب الأعور الكردي، صديق المبرد يهجو ابن ثوبة من قصيدة:

تعست أبا الفضل الكتابة
وسألت أهل المهتي
عن عادل في حكمه
فاسمع فقد ميزتهم
أما الكبير فمن جلا
وإذا خلا فممدد
وارفض عنه زهوه
من أجل مقت بني ثوبة
ن من الخطابة والكتابة
فعليك أجمعت العصابة
ولكلهم طرز وبابه
لته يقال له لبابه
في البيت قد شالوا كعابه
وتفشعت تلك المهابة

نقلت من خط عبد السلام البصري، حدثنا أبو العباس التميمي، حدثنا جحظة في أماليه، قال: حضرت مجلس أبي العباس ثعلب، وعنده جماعة من أصحابه، وحضر أحمد بن علي المادرائي، فسأله عن أبي العباس بن ثوابه، وقال له، متى عهدك به؟ فقال: لا عهد ولا عقد، ولا وفاق ولا ميثاق، فقال له ثعلب: عهدي بك إذا غضبت هجوت، فهل من شيء؟ فأنشد:

بني ثوابه أنتم أثقل الأمم
أهاض حين أراكم من بشامتكم
كم قائل حين غاظته كتابتكم
لو شئت يا رب ما علمت بالقلم
جمعتم ثقل الأوزار والتخم
على القلوب وإن لم أوت من بشم

فقال ثعلب: أحسنت والله في شعرك، وأسأت إلى القوم. وعن أبي الفرج الأصبهاني، حدثني أبو الفضل العباس بن أحمد، بن محمد، بن ثوابه، قال: قدم البحتري النيل على أحمد بن علي الإسكافي، مادحاً له، فلم يثبه ثواباً يرضاه، بعد أن طالت مدته عنده، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها:

ما كسبنا من أحمد بن علي
ومن النيل غير حمى النيل

وهجاه بقصيدة أخرى أولها: قصة النيل فاسمعوها عجابه فجمع إلى هجائه إياه، هجاء بني ثوابه، وبلغ ذلك أبي، فبعث إليه بألف درهم، وثياباً ودابة بسرجهما ولجامهما، فردده، وقال: قد أسلفتكم إساءة، فلا يجوز معه قبول صلتكم، فكتب إليه أبي: أما الإساءة فمغفورة، والمعذرة مشكورة، والحسنات بذهين السيئات، وما بأسو جراحك مثل يدك، وقد رددت إليك ما رددته علي، وأضعفته، فإن تلافيت ما فرط منك، أثبتنا وشكرنا، وإن لم تفعل، احتملنا وصبرنا، فقبل ما بعث به، وكتب إليه: كلامك والله أحسن من شعري، وقد أسلفتني ما أخجلني، وحملتني ما أثقلني، وسيأتيك ثنائي، ثم غدا عليه بقصيدة أولها: ضلال لها ماذا أرادت من الصد؟ وقال فيه بعد ذلك: برق اضاء العقيق من ضرمة وقال فيه أيضاً: أن دعاه داعي الهوى فأجابه: قلم يزل أبي يصله بعد ذلك، وتتابع بره لديه، حتى افترقا. وكتب أحمد بن محمد، بن ثوابه، إلى إسماعيل بن بلبل، حين صاهر الناصر لدين الله، الموفق بالله: "بسم الله الرحمن الرحيم"، بلغني، للوزير - أيده الله - نعمة زاد شكرها على مقادير الشكر، كما أربي مقدارها على مقادير النعمة، فكان مثلاً قول إبراهيم بن العباس:

بنوك غدوا آل النبي، ووارثوا آل
خلافة، والحاوون كسرى وهاشما

وأنا أسأل الله تعالى أن يجعلها موهبة ترتبط ما قبلها، وتنتظم ما بعدها، وتصل جلال الشرف، حتى يكون الوزير - أعزه الله - على سادة الوزراء موفياً، ولجميل العادة مستحقاً، ولمحمود العاقبة مستوجباً، وأن يلبس خدمه، وأولياءه، من هذه الحل العالية، ما يكون لهم ذكراً باقياً، وشرفاً مخلداً.

وكان يلقب لبابة، وكان عبيد الله بن سليمان، قد صرف أحمد بن محمد، بن ثوابه، عن طساسيج كان ينقلها، بأبي الحسن بن مخلد.

فقال أحمد بن علي المادرائي الأعور الكردي:

إني وقفت بباب الجسر في نفر
قالوا: لبابة أضحت وهي ساخطة
فقلت: حقاً وقد قرت بقولهم
لا تعجبوا لقميص قد من قبل
ولأبي سهل فيه، يخاطب عبيد الله بن سليمان:
يا أبا القاسم الذي قسم الل
كدت تنفي هل الكتابة عنها
أنت ألحقته وما كان فيهم
هل رأينا مخنئاً كاتباً أو
فوضى يخوضون في غرب من الخبر
قد قدت الجيب من غيظ ومن ضجر
عيني وأعين إخواني بني عمر
فإن صاحبه قد قد من دبر
ه في الورى الهوى والمهابة
حين أدخلت فيهم ابن ثوابه
بهم ظالماً به للكتابة
هل يسمى أديب قوم لبابة؟؟

وله فيه:

أقصرت عن جدي وعن شغلي
لما أراني الدهر من تصريفه
بلغ أحمد بن ثوابه بجنونه
والمكرمات وعدت في هزلي
غيراً يغير مثلاً مثلي
ما ليس يبلغه ذوو عقل

إن كان نقص المرء يجلب حظه

فالعقل يرفع رزق ذي فضل

قال أبو حيان في كتاب الوزيرين: حدثنا أبو بكر الصيمري قال: حدثنا ابن سمكة قال: حدثنا ابن محارب قال: سمعت أحمد بن الطيب يقول: إن صديقاً لابن ثوابة الكاتب أبي العباس، يكنى أبا عبيدة، قال له ذات يوم: إنك بحمد الله ومنه، ذو أدب وفصاحة وبراعة، فلو أكملت فضائلك، بأن تضيف إليها معرفة البرهان القياسي، وعلم الأشكال الهندسية، الدالة على حقائق الأشياء، وقرأت إقليدس وتدبرته، فقال له ابن ثوابة: وما كان إقليدس؟ ومن هو؟ قال: رجل من علماء الروم، يسمى بهذا الاسم، وضع كتاباً فيه أشكال كثيرة مختلفة، تدل على حقائق الأشياء المعلومة والمغيبية، يشد الذهن، ويدقق الفهم، ويلطف المعرفة، ويصفي الحاسة، ويثبت الروية، ومنه افتتح الخط، وعرفت مقادير حروف المعجم، قال له أبو العباس بن ثوابة: وكيف ذلك؟ قال: لا تعلم كيف هو؟ حتى تشاهد الأشكال، وتعين البرهان، قال: فافعل ما بدا لك، فأتاه برجل يقال له قويري مشهور، ولم يعد إليه بعد ذلك، قال أحمد بن الطيب: فاستغربت ذلك، وعجبت منه، فكتبت إلى أبي ثوابة رقعة نسختها: "بسم الله الرحمن الرحيم"، اتصل بي، - جعلت فداك -، أن رجلاً من إخوانك أشار عليك، بتكميل فضائلك وتقويتها، بشيء من معرفة القياس البرهاني، وطمأنينتك إليه، وأنت أصغيت إلى قوله، وأذنت له، فأحضرك رجلاً كان غاية في سوء الأدب، ومعدناً من معادن الكفر، وإماماً من أئمة الشرك، لاستغراك واستغوانك، يخادعك عن عقلك الرصين، وينازلك في ثقافة فهمك المبين، فأبى الله العزيز، إلا جميل عوانه الحسنة قبلك، ومننه السواب لديك، وفضله الدائم عندك، بأن تأتي على قواعد برهانه من ذروته، وتحط عوالي أركانه، من أقصى معاهد أسه، فأحببت استعلامي ذلك على كنهه من جهتك، ليكون شكري لك، على ما كان منك، حسب لومي لصاحبك، على ما كان منه، ولأتلافي الفارط، في ذلك بتدبر المشيئة، إن شاء الله تعالى، قال: فأجابني ابن ثوابة برقعة نسختها: "بسم الله الرحمن الرحيم" وصلت رقعتك - أعزك الله - وفهمت فحواها، وتدبرت متضمنها، والخبر كما اتصل بك، والأمر كما بلغك، وقد لخصته وبينته، حتى كأنك معنا وشاهدنا، وأول ما أقول: الحمد لله مولي النعم، والمتوحد بالقسم، "إليه يرد علم الساعة"، "وإليه المصير"، وأنا أسأله إتراع الشكر على ذلك، وعلى ما منحنا من ودك، وإتمامه بيننا بمنه، ومما أحببت: إعلامك وتعريفك بما تأدى إليك، أن أبا عبيدة "لعه الله تعالى" بنحسه، ودسه وحده، اغتالني ليكلم ديني، من حيث لا أعلم، وينقلني عما أعتقد، وأراه وأضمره، من الإيمان بالله عز وجل، وبرسوله صلى الله عليه وسلم، موطداً إلى الزندقة، بسوء نيته من الهندسة، وأنه يأتيني برجل يفيدني علماً شريفاً، تكمل به فضائلي فيما زعم، فقلت: عسى أفيد به براعة في صناعة، أو كمالاً في مروءة، أو فخاراً عند الأكفاء، فأجبت: بأن هلم، فأتاني بشيخ دبراني شاخص النظر، منتشر عصب البصر، طويل مشدب، محزوم الوسط، متزمل في مسكة فاستعذت بالرحمن، إذ نزغني الشيطان، ومجلسي غاص بالأشراف، من كل الأصناف وكلهم يرمقه، ويتشوف إلى رفعي مجلسه، وإدناؤه وتقريبه، ويعظمونه ويحيونه، "والله محيط بالكافرين"، فأخذ مجلسه، ولوى أشداقه، وفتح أوساقه، فتبينت في مشاهدته النفاق، وفي ألفاظه الشقاق، فقلت: بلغني أن عندك معرفة من الهندسة، وعلماً واصلاً إلى فضل، يفيد الناظر فيه حكمة، وتقدماً في كل صناعة، فهل أفدنا شيئاً منها، عسى أن يكون عوناً لنا على دين أو دنيا، في مروءة ومفاخرة لدى الأكفاء، ومفيداً زهداً ونسكاً، فذلك هو الفوز العظيم، "فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز"، "وما ذلك على الله بعزيز"، قال: فأحضرني دواة وقرطاساً، فأحضرتهما، فأخذ القلم ونكت نكتة، نقط منها نقطة، تخيلها بصري، وتوهمها طرفي، كأصغر من حبة الذرة، فزرم عليها من وساوسه، وتلا عليها من حكم أسفار أباطيله، ثم أعلن عليها جاهراً بفاقه وأقبل علي وقال: أيها الرجل، إن هذه النقطة شيء لا جزء له، فقلت: أضللتني ورب الكعبة، وما الشيء الذي لا جزء له؟ فقال كالبيسط، فأذهلني وحيرني، وكاد يأتي على عقلي، لولأن هداني ربي، لأنه أتاني بلغة، ما سمعتها والله من عربي ولا عجمي، وقد أحطت علماً بلغات العرب، وقمت بها وسبرتها جاهداً، واختبرتها عامداً، وصرت فيها إلا ما لا أجد أحداً يتقدمني إلى المعرفة به، ولا يسبقني إلى دقيقة وجليلة، فقلت أنا: وما الشيء البسيط؟ فقال: كالله، وكالنفس، فقلت له: إنك من الملحد، أتضرب بالله الأمثال؟ والله يقول: "فلا تضربوا لله الأمثال، إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون" لعن الله مرشداً أرشدني إليك، ودالاً دلني عليك، فما ساقك إلي إلا قضاء سوء، ولا كسعك نحوي إلا الحين، وأعوذ بالله من الحين، وأبرأ إليه منكم ومما تلحدون، والله ولي أمير المؤمنين، إني بريء مما تشركون، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فلما سمع مقالتي كره استعاذتي، فاستخفه الغضب، فأقبل علي مستبسلاً وقال: إني أرى فصاحة لسانك سبباً لعجمة فهمك، وتدرعك بقولك آفة من آفات عقلك، فلولاً من حضر والله المجلس، وإصغاؤهم إليه مستصوبين أباطيله، ومستحسنين أكاذيبه، وما رأيت من استهوائه إياهم بخدعه، وما تبينت من توازهم، لأمرت بلسان اللعك الألكن، وأمرت بإخراجه، إلى آخر نار الله وسعيره، وغضبه ولعنته، ونظرت إلى أمارات الغضب في وجوه الحاضرين، فقلت: ما غضبكم لنصراني يشرك بالله، ويتخذ من دونه الأنداد، ويعلم بالإلحاد، ولا مكانكم لنهكته عقوبة، فقال له رجل منهم: إن كان حكيم، فغاضني قوله، فقلت: لعن الله حكمة مشوبة بكفر، فقال لي آخر: إن عندي مسلماً يتقدم أهل هذا العلم، ورجوت بذكره الإسلام خيراً، فقلت: انتني به، فأتاني برجل قصير دحداح، آدم، مجدور الوجه، أخفش العينين، أبلح أفطس، سيء المنظر، قبيح لآزي، فسلم، فرددت عليه السلام، فقلت: ما اسمك؟ فقال أعرف بكنية قد غلبت علي، فقلت: أبو من؟ فقال أبو يحيى، فتفاءلت بملك الموت عليه السلام، وقلت: اللهم إني أعوذ بك من الهندسة، اللهم فاكفني شرها، فإنه لا يصرف السوء إلا أنت، وقرأت "الحمد لله، والمعوذتين، وقل هو الله أحد"، وقلت: إن صديقاً لي جاءني بنصراني يتخذ الأنداد، ويدعي أن الله الأولاد، ليغويني، فهل أفدنا شيئاً من هندستك، واقبسنا من ظرائف حكمتك، ما يكون لي

سبباً إلى رحمة الله، ووسيلة إلى غفرانه، فإنها أريح تجارة، وأعود بضاعة، فقال: أحضرني دواة وقرطاساً، فقلت: أندعو بالدواة والقرطاس، وقد بليت منهما ببليّة، كلها لم تتدمل عن سويداء قلبي، فقال: وكيف كان ذلك؟ فقلت: إن النصراني نقط نقطة كأصغر من سم الخياط، وقال لي، إنها معقولة كربك الأعلى، فوالله ما عدا فرعون وكفره وإفكه، فقال: إني أعفك من النقطة، - لعن الله - قوبري، وما كان يصنع بالنقطة؟ وهل بلغت أنت أن تعرف النقطة؟ فقلت: استجهلني ورب الكعبة، وقد أخذت بأزمة الكتابة، ونهضت بأعبائها، واستقلت بثقلها، يقول لي: لا تعرف فحوى النقطة، فناز عتني نفسي في معالجته بغليظ العقوبة، ثم استعطفني الحلم إلى الأخذ بالفضل، ودعا بغلامه، وقال: انتني بالتخت، فوالله ما رأيت مخلوقاً بأسرع إحضاراً له من ذلك الغلام، فأتاه به، فتخيلته هيئة منكورة، ولم أدر ما هو؟ وجعلت أصوب الفكر فيه، وأصعد أخرى، وأجبل الرأي ملياً، وأطرق طويلاً، لأعلم أي شيء هو؟ أصندوق هو؟ فإذا ليس بصندوق، أتخت؟ فغذا ليس بتخت، فتخيلته كتابوت، فقلت: لحد لملحد، يلحد به الناس عن الحق، ثم أخرج من كفه ميلاً عظيماً، فظننته متطيباً، وإنه لمن شر المتطبيين، فقلت له: إن أمرك لعجب كله، ولم أر أميال المتطبيين كميلك، أتفقاً به العين؟ قال: لست بمتطبيب، ولكن أخط به الهندسة على هذا التخت، فقلت له: إنك وإن كنت مباحناً للنصراني في دينه، لمواز له في كفره، أخط على تخت بميل، لتعدل به عن وضح الفجر إلى غسق الليل؟ وتميل بي إلى الكذب باللوح المحفوظ، وكاتبه الكرام، إياي تستهوي؟ أم حسبتني كمن يهتز لمكايذكهم فقال: لست أذكر لوحاً محفوظاً، ولا مضيعاً، ولا كاتباً كريماً، ولا لثيماً، ولكن أخط فيه الهندسة، وأقيم عليها البرهان بالقياس والفلسفة، قلت له: اخطط، فأخذ يخط، وقلبي مروع يجب وجيباً، وقال لي غير متعظم: إن هذا الخط طول بلا عرض، فتذكرت صراط ربي المستقيم، وقلت له: - قاتلك الله - أتدري ما تقول؟ تعال صراط ربي المستقيم، عن تخطيطك وتشبيهك، وتحريفك وتضليلك، إنه لصراط مستقيم، وإنه لأحد من السيف الباتر، والحسام القاطع، وأدق من الشعر، وأطول مما تمسحون، وأبعد مما تذرعون، ومداه بعيد، وهوله شديد، أتطمع أن تزحزحي عن صراط ربي؟ وحسبتي غراً غيبياً، لا أعلم ما في باطن ألفاظك، ومكنون معانيك، والله ما خططت الخط، وأخبرت أنه طول بلا عرض، إلا ضلة بالصراط المستقيم، لتزل قدمي عنه، وأن ترديني في جهنم، - أعوذ بالله وأبرأ إليه من الهندسة، ومما تدل عليه، وترشد إليه -، إني بريء من الهندسة، ومما تعلنون وتسرون، ولبنسما سولت لك نفسك، أن تكون من خزنتها، بل من وقودها، وإن لك فيها لأنكالا وسلاسل وأغلالاً، وطعاماً ذا غصة، نفاخذ يتكلم. فقلت: سدوا فاه، مخافة أن يبدر من فيه، مثل ما بدر من المضلل الأول، وأمرت بسحبه، فسحب إلى أليم عذاب، ونار "وقودها الناس والحجارة، عليها ملائكة غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون" ثم أخذت قرطاساً، وكتبت بيدي يميناً، آليت فيها بكل عهد مؤكد، وعقد مردد، ويمين ليست لها كفارة، أني لا أنظر في الهندسة أبداً، ولا أطلبها، ولا أعلمها من أحد لا سراً ولا جهراً، ولا على وجه من الوجوه، ولا على سبب من الأسباب، وأكدت بمثل ذلك على عقبي وعقب أعقابهم، لا تنتظروا فيها ولا تتعلموها، مادامت السموات والأرض، إلى أن تقوم الساعة، لميقات يوم معلوم، وهذا بيان ما سألت - أعزك الله - عنه، فيما دفعت إليه، وامتنحت به، ولتعلم ما كان مني، ولولا وعكة أنا في عقابيلها، لحضرتك مشافهاً، وأخذت بحظ المتمني بك، والاستراحة إليك، تمهد على ذلك عذري، فإنك غير مباحين لفكري، والسلام.

قال عبد الله الفقير إليهن مؤلف هذا الكتاب: لا شك أن أكثر ما في هذه الرسالة، مفتعل مزور، وما أظن برجل مثل ابن ثوابة، وهو بمكانة من العلم، بحيث تلقى إليه مقاليد الخلافة، فيخاطب عنها بلسانه القاصي والداني، ويرتضيه العقلاء والوزراء، بحيث لا يرون له نظيراً في زمانه، في براعة لسانه، تولى كتابة الإنشاء السنين الكثيرة، أن يكون منه هذا كله، ولكن عسى أن يكون منه، ما كان من ابن عباد، وهو الذي ساق أبو حيان، خبر ابن ثوابة لأجله، وهو أن قال: كان ابن عباد يسب أصحاب الهندسة، ويقول: جاءني بعض هؤلاء الحمقى، ورغبني في الهندسة، فابتدأ فأتيت خمسة وعشرين، وخط خطأ، ووضع شكلاً، وطول، وزعم أنه يعمل برهاناً على ذلك، فقلت له: كنت أعرف أن هذا خمسة وعشرون ضرورة، وقد شككت الآن، فأنا مجتهد حتى أعلم بالاستدلال، وهذا هو الخسار، قلت: ومثل هذا لا يبعد أن يقول مثله، من لم يتدرب بهذه الصناعة، فأما ما تقدم من حديث ابن ثوابة، فهو غاية في التجلف، والرجل كان أجل من ذلك، وإنما أتى إما من جهة أحمد بن الطيب، لأنه كان فيلسوفاً، وكان ابن ثوابة متعجرفاً كما ذكرنا، فأخذ يسخر منه، ليضحك المعتضد، فإن أحمد بن الطيب، كان من جلساء المعتضد. وإما أن يكون أبو حيان، جرى على عادته، في وضع ما أكثر من وضعه من مثل ذلك، والله أعلم.

أحمد بن علي، بن المأمون، النحوي اللغوي

القاضي، صاحب الخط المليح، والعقل الصحيح. مات في التاسع عشر من شعبان، سنة ست وثمانين وخمسائة، ومولده في ذي القعدة، سنة تسع وخمسائة. سألت ولده أبا محمد، عبد الله بن أحمد عنه، فأعطاني جزءاً بخط والده هذا، وقد ضمنه ذكر نفسه، وذكر ولده، فقلت منه جميع ما أذكره في هذه الترجمة، إلا ما أبينه، فقال: أنا أحمد بن علي، بن هبة الله، بن علي الزوال، "وأصله الزول، وإنما غيره المتكلمون، وزادوا ألفاً، والزول: الرجل الشجاع، وقد ذكر ذلك في كتاب الألفاظ لابن السكيت"، بن محمد، بن يعقوب، بن الحسين، ابن عبد الله المأمون بالله، الخليفة، بن هارون الرشيد بالله الخليفة، بن محمد المهدي بالله الخليفة،

بن عبد الله المنصور بالله الخليفة، بن محمد الكامل، بن علي السجاد، ابن عبد الله خير الأمة، بن العباس سيد العمومة، ابن عبد المطلب شيبه الحمد، بن هاشم عمرو العلا، ابن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، هو قريش بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، ابن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان، ابن أد، بن أدد، بن اليسع، بن الهميسع، بن سلامان، ابن ثبت، بن جميل، بن قidar، بن إسماعيل، بن إبراهيم الخليل، بن أزر، بن تارح، بن ناحور، بن ساروغ، ابن أرغو، بن فالع، بن عابر، بن صالح، ابن أرفخشذ، ابن سام، بن نوح، بن لمك، بن متوشلخ، بن أخنوخ، وهو إدريس بن ليارد، بن مهلائيل، بن قينان، بن أنوش، بن شيث، بن آدم، أبي البشر، فطرة الله عز وجل، ومولدي في ضحى نهار الثلاثاء، ثالث عشر ذي القعدة سنة تسع وخمسمائة، ولدت بدرب فيروز، في الدار المعروفة الآن، بورثة ابن الثقفي، القاضي عز الدين، قاضي القضاة، - رحمه الله -، وكان والدي يومئذ، كاتب الزمام في الأيام المستظهرية، وبعد ذلك في الأيام المسترشدية مدة، وكنت منذ نشأت، ختمت القرآن، وقرأته للعشرة، على المرزقي - رحمه الله -، الأمين أبي بكر، أنا وحجة الإسلام، أبو محمد، إسماعيل بن الجواليقي - وفقه الله -، وكنا نترافق حين الحداثة في القراءة على الشيوخ، ويتكثر بعضنا ببعض، ونتعاضد في القراءة، وكتبت الخط على أبي سعيد الحسن بن منصور، أبي الحسن الجزري، - رحمه الله -، وكان صالحاً أديباً، صائم الدهر، عالماً في فنون من العلم، فقيهاً، وكان والدي يؤثرني من دون إختي، لما يراه من اشتغالي بالعلم، فإنني منذ انفصلت من المكتب، رجعت بقراءة النحو واللغة، إلى شيخنا أوحده الزمان، أبي منصور بن الجواليقي، - رحمه الله -، وصحبته إحدى عشرة سنة، وقرأت عليه كتباً كثيرة من حفظي، وبغير حفظي، حتى توليت القضاة، سنة أربع وثلثين وخمسمائة، وكان الحكم والقضاء على دجيل، إلى والدي المقدم ذكره، مضافاً إلى الخطابة، فحين ولي أمر ديوان الزمام ببغداد، رد القضاء إلى ولده هبة الله، الملقب بتاج العلا، وكان يخاطب من الديوان العزيز - مجده الله - بالأجل الأوحده، زين الإسلام، نجم الكفاءة، تاج العلا، جمال الشرف، مجد القضاة، عين الكفاءة، وكان بعد ذلك أضيف إليه نظر دجيل أجمع، مع المخزنيات، وكان ذا سطوة وشجاعة، وثروة كبيرة، ومماليك من الأتراك، والإمام والعبيد، والقرايا والأملاك، والرياسة التامة، والصيت والذكر الجميل، بين العرب والعجم، وكان له معروف كبير، ودار مضيض بحربي، يجتمع إليها أمراء العرب على طبقاتهم، وغيرهم من الغرباء، وكان له نواب في القضاء بحربي، والحظيرة، وغيرهما، وكانت ولايته من قاضي القضاة الدامغاني، إلى أن درج بالموصل مسموماً مخافة منه، لما شوه من رياسته، وتبع العرب والتركمان له، وحمل السلاح، والجند الكثير، والاستطالة العظيمة، وأنفذ ميتاً في ستارة حتى دفن بحربي، في أواخر سنة ثلاث وثلثين وخمسمائة، وانحدر ولده علي بن هبة الله، بن علي، طالباً مكانه ببذل المال الجم، وكان وزير الزمان يومئذ، شرف الدين علي بن طراد الزينبي، في أوائل الأيام المقتفوية، فترك مع بذله، ووليت بعد أن أحضرت، وقيل لي: قد رسم توليك من غير قرينة، لتميزك بالعلم، وكان لي من العمر يومئذ، أربع وعشرون سنة، واعتزى ابن أخي بعد ذلك، إلى ديوان السلطنة، وخاطب الديوان العزيز في ذلك فلم يجب، ودخل في النوبة جماعة من الأهل والأكابر من ولاة الأمر، فتوسط الحال على أن يكون لولده مجلس وساطة، وحكم بحربي في المداينات، وما عداها إلي مع الخطابة، ولذلك نصر يقين، فكتبت رسالة إلى المواقف المقدسة النبوية المقتفوية، - قدسها الله -.

ومنها: ومعاذ الله أن يقارن هذا الفتى بالعبد، ولا يعرف فتياً من وثير، ولا يؤلف بين كلمتين في تعبير، لوسيم قراءة الفاتحة أحجلته، أو ريم منه التماس حاجة في التطهر أحفرته، وعد عن أسباب لا يمكن بسطها، ولا يروق خطها، وأما العبد فطرائقه معلومة، ومأخذه مفهومة، ومحل الشيء عنده قابل، والجمهور إليه مائل، وسحاب الاستحقاق لما أهل له في أرضه هائل، ومعاذ الله أن يتغير من كريم الآراء الشريفة في حقه رأي، أو ينقص من تلك الوعود فيما أهل له وأي، والوعود كالعهود، ومواقع الكلم الشريفة كالتريق في الجلود، وهو واثق من الإنعام، بما سار بين الأنعام، ليغدو مستحكم الثقة بالإكرام، والأمر أعلى والسلام.

فبرز التوقيع الأشرف المقتفوي، يؤمر فيه بالعمل بسابق التوقيع، وخرجت إلى العمل، وبقيت مدة، فتولي القضاء لمدينة السلام، وفاء بن المرحم، وكان على حالة جليلة من الاختصاص، واستخدام قضاة الأطراف من جانبه، فأبيت ذلك، وخاطبت في الخروج عن يده، وإضافة باقي دجيل، مع ما والاه وقاربه، من لدن تكريرت إلى الأنبار، وإلى الجبل وما والاه، من بلد خانقين، وروشن قبادوا، إلى الحربية من الجانب الغربي ببغداد، وكنت أحكم في ذلك أجمع، حتى ولي المستجد بالله، - رضي الله عنه -، وقصر القضاة وغيرهم، وأنا في الجملة، وبقيت إحدى عشرة سنة مقصوراً، إلى أن توفي إلى رحمة الله، بعد أن استوعب ما كنت أملكه سائره، فلم أضيع من زماني شيئاً، وكنت في الحبس بمائتي مجلدة، منها، الجمهرة لأبي بكر بن دريد، مجلدتان. وشرح سيويه، ثلاث مجلدات. وإصلاح المنطق، محشي مجلدة واحدة. والغريبان للهروي، مجلدة واحدة. وأشعار الهذليين ثلاث مجلدات. وشعر المتنبي مجلدة. وغريب الحديث لأبي عبيد، مجلدتان. وأشياء يطول شرحها من الكتب الكبار، وحفظت أولادي الختمة، وأيضاً حفظتهم كتباً كثيرة في علم العربية والتفاسير، وغريب القرآن، والخطب والأشعار، وشرحت لهم كتاب الفصيح، وجمعت لهم كتاباً سميته أسرار الحروف، يبين فيه مخارجها ومواقعها من الزوائد، والمنقلب، والمبدل، والمتشابه، والمضاعف،

وتصريفها في المعاني الموجودة فيها، والمعاني الداخلة عليها، وذكرت فيه من اشتقاق الأسماء، كل ما تكلمت به علماء البصريين، والكوفيين، وغيرهم من أهل اللغة، وهو مجلدة ضخمة، تحتوي على عشرين كراسة، في كل جهة عشرون سطراً.

ولما درج الإمام المستجد بالله، وأتاح الله الخروج من ذلك الضيق، وولي بعده الإمام العادل الرحيم، المستضيء بالله أمير المؤمنين، وشملت رحمته من كان في السجن من الأمة، حتى لم يبق فيه أحداً إلا أفرج عنه، ومن وجد له بخزائنه المعمورة من ماله شيئاً عليه اسمه، أعاده عليه، وكل من كان في ولاية، أعاده إليها، ومن وجد من ملكه شيئاً تحت الاعتراض، أفرج عنه، وأعاده إليه، وأنا ممن أنعم في حقه، بإعادة خرقة كان ختمها باقياً عليها، واسمي فيها ثلاثمائة دينار إمامية صحاح، من جملة ما أخذ من مالي، فأعادها علي، وأعاد علي سهاماً في ثلث قراري بالردان، وقراحاً ببلدة الحظيرة، وما كان فات وبيع لم يرجع، وأنعم في حقي بإعادة ولايتي علي، وتقريبني واستخدامي في مهام عدة، وكان الوسيط في ذلك كله، الوزير عضد الدولة، أبو الفرج بن رئيس الرؤساء، وكان محباً لإسداء العوارف والاصطناع، وجذب الباع، وإدخال المكارم عند الرجال، وكان كريماً رحب الفناء لأرباب الحوائج، بعيداً ما ينفصل من بابه محروم.

هذا آخر ما نقلته من خطه، واجتمعت بولده قوام الدين، أبي محمد عبد الله، بن أحمد، وقد أفردت له ترجمة في هذا الكتاب، فأنشدني لوالده من حفظه:

فرد المشوق كثير العنا	ومن كنتم الوجد أبدى الضنا
وكم مدنف في الهوى بعدهم	وكانوا الأمانى له والمنا
لقد خلفوه أخل لوعة	موله شوق يعاني العنا
ينادي من الشوق في إثرهم	إذا آده ما به قد منا
بيا جسداً ناحلاً بالعراق	مقيماً وقلباً بوادي منى
تحرقه زفرات الحني	ن ويغدو بهن الشجا ديدنا

وهي طويلة، قالها في زعيم الدين بن جعفر، عند عودته من مكة،

أحمد بن أبي عمر، المقرئ، المعروف بأحمد الزاهد

أبو عبد الله الأندلسي، مات في العشرين من ربيع الأول، سنة سبعين وأربعمائة، ذكره عبد الغافر، وقال: شيخ زاهد عابد، عالم بالقراءات، له التصانيف الحسنة في علم القراءات، سمع الحديث، وأكثر سماعه مع السيد أبي المعالي، جعفر بن حيدر العلوي، الهروي الصوفي، وكان رفيقه، سمعاً صحيحاً مسلم وغيره، وروى عن محمد بن يحيى ابن الحسن الحافظ. روى عنه أبو الحسن الحافظ.

أحمد بن محمد، بن بشر، بن سعد المرثدي، أبو العباس

ذكره الطيب فقال: كنيته أبو علي، ومات في صفر: سنة ست وثمانين ومائتين، وذكر ابن بنت الغرياني أنه مات في سنة أربع وثمانين، وسمع علي ابن الجعد، والهيثم بن خارجة في آخرين، وروى عنه أبو بكر الشافعي وغيره، وكان عبد الرحمن بن يوسف يثني عليه، وقال ابن المنادي: هو أحد الثقات، وذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: كنيته أبو العباس الكبير، وهو الذي كان ابن الرومي يكتبه في السمك كان المرثدي يكتب للموفق في خاصة أمره، وله من الكتب: كتاب الأنواء في نهاية الحسن، كتاب رسائله، كتاب أشعار قريش، وعليه عول أبو بكر الصولي في كتاب الأوراق، وله انتحل، وقد ذكرت ذلك في أخبار الصولي.

أحمد بن محمد، بن عاصم، أبو سهل الحلواني

ذكره محمد بن إسحاق النديم، وقال: بينه وبين أبي سعيد السكري نسب قريب، فروى عن أبي سعيد كتبه، وكان كثيراً ما توجد بخطه، وخطه في نهاية القبح، إلا أنه من العلماء، وله من الكتب: كتاب المجانين الأدباء.

أحمد بن محمد، بن بنت الشافعي

هو صحيح الخط، متقن الضبط، من أهل الأدب، يعتمد على خطه وضبطه، لا أعرف من خطه إلا ما رأيته بخطه، بكتاب تفسير القرآن، لابن جرير الطبري، وقد ذكر عند خاتمته "وكتبه أحمد بن محمد، بن بنت الشافعي، وراق الجهشيري".

أحمد بن محمد، بن سليمان، بن بشار، الكاتب

ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: هو أستاذ أبي عبد الله الكوفي الوزير، وكان أحد الأفاضل من الكتاب بلاغة، وفصاحة، وصناعة، وله كتاب الخراج نحو ألف ورقة، وكتاب الشراب والمنادمة.

أحمد بن محمد، المهلبى أبو العباس

كذا ذكره محمد بن إسحاق النديم في كتابه، وقال: هو مقيم بمصر ويعرف بالبرجاني وله من الكتب: كتاب شرح علل النحو، كتاب المختصر في النحو، وكان بمصر نحوي يعرف بالمهلبى، اسمه علي بن أحمد، وكان في هذا العصر. فإن كان هذا، فقد وهم النديم في اسمه، وإلا فهو غيره، والله أعلم، وقد كتبنا لذلك ترجمة في بابه.

أحمد بن محمد، بن نصر

الجيهاني أبو عبد الله، وزير نصر بن أحمد، بن نصر الساماني، صاحب خراسان، كان أديباً فاضلاً، ذكره محمد بن إسحاق النديم، وقال: له من الكتب كتاب آئين، كتاب العهود والخلفاء والأمراء، كتاب المسالك والممالك، كتاب الزيادات في كتاب الناشئ من المقالات، ولأحمد بن أبي بكر الكاتب، يهجو أبا عبد الله الجيهاني:

أيا رب فرعون لما طغى	وتاه وأبطره ما ملك
لطفت وأنت اللطيف الخبير	فأفحمته اليم حتى هلك
فما بال هذا الذي لا أرا	ه يسلك إلا الذي قد سلك
مصوناً على نائبات الدهو	ر يدور بما يشتهي الفلك
ألست على أخذه قادراً	فخذه وقد خصل الملك لك
فقد قرب الأمر من أن يقا	ل ذا الأمر بينهما مشترك
وإلا فلم صار يملى له	وقد لج في غيه وانهمك
ولن يصفو الملك مادام ه	ذا شريكاً وهل ثم شك

ذكر هذه الأبيات أبو الحسن، محمد بن سليمان، ابن محمد في كتاب فريد التاريخ، في أخبار خراسان، وقال فيه بعضهم يهجو، قال: وأظنه اللحم:

لا لسان لا رواء	لا بيان لا عبارة
لا ولا رد سلام	منك إلا بالإشارة
أنا أهواك ولكن	أين آثار الوزارة

قال: ثم مات السديد، منصور بن نوح، وقام مقامه الرضي أبو القاسم، نوح بن منصور، والجيهاني على وزارته، ثم صرفت عنه الوزارة في شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين وثلاثمائة، ووليها أبو الحسين عبد الله بن أحمد العتبي.

أحمد بن محمد، بن يزداد، بن رستم

أبو جعفر النحوي الطبري، سكن بغداد، قال الخطيب: وحدث بها عن نصير بن يوسف، وهاشم بن عبد العزيز، صاحب علي بن حمزة الكسائي، روى بإسناده قال: قال عبد الله بن مسعود: إني قد سمعت القراء، فوجدتهم متقاربين، فافترءوا كما علمتم، فإنما هو كقول أحدكم هلم، وتعال. قال عمر بن محمد، بن سيف الكاتب: سمعت من ابن رستم، في سنة أربع وثلاثمائة. قال محمد بن إسحاق النديم: وله من الكتب: كتاب غريب القرآن، كتاب المقصور والممدود، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب صورة الهمز، كتاب التصريف، كتاب النحو، وقرأت في كتاب الغاية، لأبي بكر بن مهران النيسابوري في القراءات: قرأت على أبي عيسى، بكار بن أحمد المقرئ قال: قرأت على أبي جعفر، أحمد بن محمد، بن رستم الطراني، وكان مؤدباً في دار الوزير بن

الفرات، ووصلنا إليه بالحيل والشفعاء، وكان بصيراً بالعربية، حاذقاً في النحو، أخذ القراءات عن نصير بن يوسف، أبي المنذر النحوي، صاحب الكسائي، وأخذ نصير عن الكسائي.

أحمد بن محمد، بن عبد الله، بن صالح

ابن شيخ بن عمير، أبو الحسن، أحد أصحاب أبي العباس ثعلب، ذكره المرزباني في كتاب المقتبس، وقال ابن بشران في تاريخه: في سنة عشرين وثلاثمائة، مات أبو بكر بن أبي شيخ ببغداد، وكان محدثاً أخبارياً، وله مصنفات، ولا أدري أهو هذا، أم غيره؟ فإن الزمان واحد، وكلاهما أخباري، والله أعلم، ولعل ابن بشران غلط في جعله ابن أبي شيخ، أو جعله أبا بكر، والله أعلم.

حدث المرزباني، عن عبد الله بن يحيى العسكري، قال: أنشدني أبو الحسن، أحمد بن محمد، بن صالح، بن شيخ ابن عمير الأسدي لنفسه، وكتب بها إلى بعض إخوانه:

كنت يا سيدي على التطفيل	أمس لولا مخافة التثجيل
وتذكرت دهشة القارع البا	ب إذا ما أتى بغير رسول
وتخوفت أن أكون على القو	م ثقيلاً فقدت كل ثقل
لو تراني وقد وقفت أروي	في دخول إليك أو في قفول
لرأيت العذراء حين تحايا	وهي من شهوة على التعجيل

وحدث عن عمر بن بنان النمطي، عن أبي الحسن الأسدي قال: تركت النبيذ، وأخبرت أبا العباس ثعلباً بتركي إياه، ثم لقيت محمد بن عبد الله، بن طاهر، فسقاني فمررت على ثعلب، وهو جالس على باب منزله عشياً، فلما رأني أتكأ في مشيتي، علم أنني شارب، فقام ليدخل إلى منزله، ثم وقف على بابه، فلما حاذيته وسلمت عليه، أنشأ يقول:

فتكت من بعد ما نسكت وصا	حبت ابن سهلان صاحب القسط
إن كنت أحدثت زلة غلطاً	فالله يعفو عن زلة الغلط

قال عمر: فسألت ثعلباً عن ابن سهلان صاحب القسط، فقال: أهل الطائف يسمون الخمار صاحب القسط. وحدث عن الصولي قال: أنشدني أبو الحسن، أحمد بن محمد الأنباري لنفسه، في قصيدته المزدوجة، التي تم بها قصيدة علي بن الجهم، التي ذكر فيها الخلفاء إلى زمانه:

ثم تولى المستعين بعده	فحاز بيت ماله وجنده
ثم أتى بغداد في محرم	إحدى وخمسين برأي ميرم
وذكر قطعة من أخباره، ثم قال:	ولم يشب أمره بعجز
وثبتت خلافة المعتز	في رجب من غير أمر عائق
وذكر طرفاً من أموره، ثم قال:	
وقلدوا محمد بن الوائق	
وقال أيضاً:	

المهتدي بالله دون الناس	جاء به الرحمن بعد الياس
ثم قال بعد أبيات:	
وقام بالأمر الإمام المعتمد	إمام صدق في صلاح مجتهد
وساق قطعة من سيرته.	

أحمد بن محمد، جراب الدولة

هو أحمد بن محمد، بن علوية، من أهل سجستان، ويكنى أبا العباس، وكان طنبورياً أحد الظرفاء الطيِّاب، كان في أيام المقتدر، وأدرك دولة بني بويه، فلذلك سمي نفسه جراب الدولة، لأنهم كانوا يفتخرون بالتسمية في الدولة، وكان يلقب بالريح أيضاً، وله: كتاب ترويح الأرواح ومفتاح السرور والأفراح، لم يصنف في فنه مثله اشتمالاً على فنون الهزل والمضاحك.

أحمد بن محمد، بن إسحاق،

بن إبراهيم، الهمداني أبو عبد الله، يعرف بابن الفقيه، أحد أهل الأدب، ذكره محمد بن إسحاق في كتابه، الذي ألفه في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة قال: وله كتاب البلدان نحو ألف ورقة، أخذه من كتب الناس، وسلخ كتاب الجيهاني، وكتاب ذكر الشعراء المحدثين، والبلغاء منهم والمفحمين.

وقال شيرويه: محمد بن إسحاق، بن إبراهيم، الفقيه أبو أحمد، والد أبي عبيد الأخباري، روى عن إبراهيم بن حميد البصري وغيره، وروى عنه ابنه أبو عبد الله، وقال شيرويه: أحمد بن أحمد، بن محمد، بن إسحاق، بن إبراهيم الأخباري، أبو عبد الله، يعرف بابن الفقيه، ويلقب بحالان، صاحب كتاب البلدان، روى عن أبيه، وإبراهيم بن الحسين، بن ديزيل، ومحمد بن أيوب الرازي، وأبي عبد الله الحسين، بن أبي السرح الأخباري، وذكر جماعة قال: وروى عنه أبو بكر بن بلال، وأبو بكر بن روزنة، ولم يذكر وفاته.

أحمد بن محمد، بن الوليد،

بن محمد، يعرف بولاد من أهل بيت علم، ولأبيه وجده ذكر في هذا الكتاب، وتراجم في مواضعها، وكنية أحمد هذا، أبو العباس. مات فيما ذكره الزبيدي في كتابه سنة اثنتين وثلاثمائة، قال: وكان بصيراً بال نحو، ساداً فيه، ورحل إلى بغداد من موطنه مصر، ولقي إبراهيم الزجاج وغيره، وكان الزجاج يفضل، ويقدمه على أبي جعفر النحاس، وكانا جميعاً تلميذيه، وكان الزجاج لا يزال يثني عليه عند كل من قدم إلى بغداد من مصر، ويقول لهم: لي عندكم تلميذ من حاله وصفته كذا، فيقال له: أبو جعفر النحاس، فيقول: بل أبو العباس بن ولاد. قال: وجمع بعض ملوك مصر بين ابن ولاد، وابن النحاس، وأمرهما بالمناظرة، فقال ابن النحاس لابن ولاد: كيف تبني مثال أفعلوت من رميت، فقال ابن ولاد: أقول ارمييت، فخطأه أبو جعفر، وقال: ليس في كلام العرب أفعلوت، ولا أفعليت، فقال أبو العباس: إنما سألتني أن أمثل لك بناء ففعلت، وإنما تعقله أبو جعفر بذلك.

قال الزبيدي: ولقد أحسن في قياسه، حين قلب الواو ياء، وقد كان أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش: يبنى من الأمثلة، ما لا مثال له في كلام العرب، وله كتاب المقصور والممدود، وكتاب الانتصار لسبويه، فيما ذكره المبرد.

أحمد بن محمد، البشتي الخارزنجي

قال السمعاني: خارزنج قرية بنواحي نيسابور، بناحية بشت، والمشهور من هذه القرية: أبو حامد، أحمد بن محمد الخارزنجي، إمام أهل الأدب بخراسان في عصره بلا مدافعة، فإن فضلاء عصره شهدوا له، لما حج بعد الثلاثين وثلاثمائة، وشهد له أبو عمر الزاهد، صاحب ثعلب، ومشايخ العراق بالتقدم، وكتابه المعروف بالتكملة، البرهان في تقدمه وفصله، ولما دخل بغداد، تعجب أهلها من تقدمه في معرفة اللغة، فقبل: هذا الخراساني لم يدخل البادية قط، وهو من أدب الناس، فقال: أنا بين عربين: بشت، وطوس. سمع الحديث من أبي عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي، وحدث، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ، ومات في رجب سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وهذا كله نقله السمعاني من كتاب الحاكم أبي عبد الله. قال الأزهرى: وممن ألف وجمع من الخراسانيين في زماننا هذا فصحف، وأكثر فغير، رجالان: أحدهما يسمى أحمد بن محمد البشتي، ويعرف بالخارزنجي، والآخر أبو الأزهر البخاري، فأما الخارزنجي، فإنه ألف كتاباً سماه التكملة، أراد أنه كمل كتاب العين، المنسوب إلى الخليل بن أمد بكتابه، وأما البخاري: فإنه سمي كتابه الحصائل، فأعاره هذا الاسم، لأنه أراد تحصيل ما أغفله الخليل، ونظرت في أول كتاب البشتي، فرأيت أنه أثبت في صدره الكتب المؤلفة، التي استخرج كتابه منها، وعدد كتباً. قال الخارزنجي: استخرجت ما وضعت في كتابي هذا من الكتب المذكورة. قال: ولعل بعض الناس يبتغي العيب بتهجينه والقدر فيه، لأنني أسندت ما فيه إلى هؤلاء العلماء من غير سماع، وإنما إخباري عن صحفهم، كإخباري عنهم، ولا يزرى ذلك على من عرف الغث من السمين، وميز بين الصحيح والسقيم، وقد فعل مثل ذلك أبو تراب، صاحب كتاب الاعتقاب، فإنه روى عن الخليل بن أحمد، وأبي عمرو بن العلاء، والكسائي، وبينه وبين هؤلاء فترة، وكذلك العتبي روى عن سبويه، والأصمعي، وأبي عمرو، وهو لم ير منهم أحداً، قال المؤلف: ورد عليه الأزهرى في هذا الفصل، بما يطول على كتبه، وله من الكتب: كتاب التكملة، كتاب التفصلة، كتاب تفسير أبيات أدب الكاتب.

أحمد بن محمد، بن إسحاق، بن أبي خميسة

يعرف بالحرمي بن أبي العلاء، أبو عبد الله، من أهل مكة، سكن بغداد، ذكره الخطيب فقال: مات سنة سبع عشرة وثلثمائة، وكان كاتب أبي عمر محمد بن يوسف القاضي، وحدث عن الزبير بكتاب النسب وغيره. وحدث عنه أبو حفص بن شاهين، وأبو عمر بن حيوية، وأكثر عنه أبو الفرج، علي بن الحسين الأصبهاني وغيره.

أحمد بن محمد، بن موسى، بن العباس، أبو محمد

ذكره ابن الجوزي في المنتظم، وقال: كان معتنياً بأمر الأخبار، وطلب التواريخ، وولي حسبة سوق الرقيق، وكتب عنه، ومات في محرم سنة أربع وعشرين وثلثمائة.

أحمد بن محمد، بن عبد الله الزردي

اللغوي، العلامة النيسابوري، أبو عمر الزردي، من قرى إسفرايين، من رساتيق نيسابور، ذكره الحاكم، وقال: مات أبو عمرو الزردي في شعبان، سنة ثمان وثلثين وثلثمائة، قال: وكان واحداً في هذه الديار في عصره، بلاغة وبراعة، وتقدماً في معرفة أصول الأدب، وكان رجلاً ضعيف البنية مسقاماً، يركب حماراً ضعيفاً، ثم إذ تكلم، تحير العلماء في براعته، سمع الحديث الكثير من أبي عبد الله محمد ابن المسيب الأريغاني، وأبي عوانة يعقوب بن إسحاق، وأقرانهما.

قال الحاكم: سمعت الأستاذ أبا عمرو الزردي في منزلنا يقول: إن الله إذا فوض سياسة خلقه، إلى واحد يخصه لها منهم، وفقه لسداد السيرة، وأعانه بإلهامه، من حيث رحمته تسع كل شيء، ولمثل ذلك، كان يقول ابن المقفع: تفقدوا كلام ملوككم، إذ هم موفقون للحكمة، ميسرون للإجابة، فإن لم تحظ به عقولكم في الحال، فإن تحت كلامهم حيات فواغر، وبدائع جواهر، وكان بعضهم يقول: ليس لكلام سبيل أولى من قبول ذلك، فإن ألسنتهم ميازيب الحكمة والإصابة. قال: وسمعت أبا عمر الزردي يقول: العلم علمان: علم مسموع، وعلم ممنوح.

أحمد بن محمد، بن عبد ربه،

بن حبيب، بن حدير ابن سالم، مولى هشام بن عبد الرحمن، بن معاوية، ابن هشام، بن عبد الملك، بن مروان، كنيته أبو عمر، ذكره الحميدي، وقال: إنه مات في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة، ومولده سنة ست وأربعين ومائتين. عن إحدى وثمانين سنة، وثمانية أشهر، وثمانية أيام، وهو من أهل بلاد الأندلس، قال الحميدي: وأبو عمر من أهل العلم، والأدب، والشعر، وهو صاحب كتاب العقد في الأخبار، مقسم على عدة فنون، وسمى كل باب منه على نظم العقد، كالواسطة، والزبرجدة، والياقوتة، والزمردة، وما أشبه ذلك، وبلغني أن صاحب بن عباد، سمع بكتاب العقد، فحرص حتى حصل عنده، فلما تأمله، قال: "هذه بضاعتها ردت إلينا"، ظننت أن هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم، وإنما هو مشتمل على أخبار بلادنا، لا حاجة لنا فيه، فرده. قال الحميدي: وشعره كثير مجموع، رأيته منه نيفاً وعشرين جزءاً، من جملة ما جمع للحكم بن عبد الله الملقب بالناصر الأموي سلطان العرب، وبعضها بخطه. قال: وكانت لأبي عمر بالعلم جلالة، وبالأدب رئاسة وشهرة، مع ديانتته وصيانتته، واتفقت له أيام وولايات للعلم، فيها نفاق، فتسود بعد المول، وأثرى بعد فقر، وأشير بالتفضيل إليه، إلا أنه غلب عليه الشعر، ومن شعره وكان بعض من تألفه قد أزمع لعي الرحيل في غداة عينها، فأنت السماء في تلك الغداة بمطر جود، منعت من الرحيل، فكتب إليه أبو عمر ابن عبد ربه:

هيهات يأبى عليك الله والقدر
حتى رثا لي فيك الريح والمطر
نيرانها بغليل الشوق تستعر
حتى أراك فأنت الشمس والقمر

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر
مازلت أبكي حذار البين ملتهداً
يا برده من حيا مزن على كبد
آليت ألا أرى شمساً ولا قمراً

ومن شعره السائر:

يا وحشة الروح بل يا غربة الجسد
من رحمة فهما سهمان في كبد

الجسم في بلد والروح في بلد
إن تبك عينك لي يا من كلفت به

قال: ووقف ابن عبد ربه تحت روشن لبعض الرؤساء، قد رش بماء وكان فيه غناء حسن، ولم يعرف لمن هو؟ فقال:

ما كنت أحسب هذا البخل في أحد

يا من يضمن بصوت الطائر الغرد

لو أن أسمع أهل الأرض قاطبة
فلا تضن على سمعي تقلده
لو كان زرياب حيا ثم أسمع
أما النبيذ: فإنني لست أشربه

أصغت إلى الصوت لم ينقص ولم يزد
صوتا يجول مجال الروح في الجسد
لذاب من حسد أو مات من كمد
ولست آتيك إلا كسرتي بيدي

وزرياب عندهم، بجري مجرى إسحاق بن إبراهيم الموصلي في صنعة الغناء ومعرفة، وله أصوات مدونة، ألفت الكتب فيها، وضربت به الأمثال. قال: ولأبي عمر أيضاً أشعار كثيرة، سماها الممحصات، وذلك أنه نقض كل قطعة قالها في الصبا والغزل، بقطعة في المواعظ والزهد، وأرى أن من ذلك قوله:

ألا إنما الدنيا غضارة أكلة
هي الدار ما الآمال إلا فجائع
وكم أسخنت بالأمس عيناً قريرة
فلا تكتحل عينك منها بعبرة

إذا اخضر منها جانب جف جانب
عليها ولا اللذات إلا مصائب
وقرت عيون دمعها الآن ساكب
على ذاهب منها فإنك ذاهب

ومن شعره، وهو آخر شعر قاله فيما قيل:

بليت وأبلتني الليالي بكرها
ومالي لا أبكي لسبعين حجة

وصرفان للأيام معثوران
وعشر أتت من بعدها سنتان

وقد أجاز لي رواية كتابه الموسوم بالعقد، الحافظ ذو النسبين، بني دحية والحسين، أبو الخطاب عمر بن الحسين، المعروف بابن دحية المغربي السبتي، فإنه رواه عن شيخه أبي محمد عبد الحق، بن عبد الملك، بن ثوبة العبيدي، عن شيخه أبي عبد الله، محمد بن معمر، عن شيخه أبي بكر، محمد بن هشام المصحفي عن أبيه، عن زكريا بن بكير، بن الأشبح، عن المصنف. وقسم كتاب العقد على خمسة وعشرين كتاباً، كل كتاب منها جزءان، فذلك خمسون جزءاً في خمسة وعشرين كتاباً، كل كتاب باسم جوهرة من جواهر العقد، فأولها: كتاب اللؤلؤة في السلطان، ثم كتاب الفريدة في الحروب، ثم كتاب الزبرجدة في الأجواد، ثم كتاب الجمانة في الوفود، ثم كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك، ثم كتاب الياقوتة في العلم والأدب، ثم كتاب الجوهرة في الأمثال، ثم كتاب الزمردة في المواعظ، ثم كتاب الدرة في التعازي والمراثي، ثم كتاب اليتيمة في الأنساب، ثم كتاب العسجدة في كلام الأعراب، ثم كتاب المجنية في الأجوبة، ثم كتاب الواسطة في الخطب، ثم كتاب المجنية الثانية، في التوقيعات، والفصول، والصدور، وأخبار الكتبة، ثم كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وأيامهم، ثم اليتيمة الثانية في أخبار زياد، والحجاج، والطلبيين، والبرامكة، ثم الدرة الثانية في أيام العرب ووقائعهم، ثم الزمردة الثانية في فضائل الشعر، ومقاطعته ومخارجة، ثم الجوهرة الثانية في أعراب الشعر، وعلل القوافي، ثم الياقوتة الثانية في علم الألحان واختلاف الناس فيه، ثم المرجانة الثانية في النساء وصفاتهم، ثم الجمانة الثانية في المتنبيين والممرورين، والطفيليين، ثم الزبرجدة الثانية في التحف، والهدايا، والنتف، والفاكهات والملح، ثم الفريدة الثانية في الهيئات والبنائين، والطعام والشراب، ثم اللؤلؤة الثانية في طبائع الإنسان، وسائر الحيوان، وتفاضل البلدان، وهو آخر الكتاب: ومن شعر ابن عبد ربه:

ودعنتي بزورة واعتناق
وبدت لي فأشرق الصباح منها
يا سقيم الجفون من غير سقم
إن يوم الفراق أقطع يوم

ثم نادت متى يكوت التلاقي
بين تلك الجيوب والأطواق
بين عينيك مصرع العشاق
ليتني مت قبل يوم الفراق

ومن شعره أيضاً:

يا ذا الذي خط الجمال بخده
ما صح عندي أن لحظك صارم
خطين هاجا لوعة وبلا بلا
حتى ليست بعارضيك حمائلا

قال: أخبرني بعض العلية: أن الخطيب أبا الوليد ابن عسال، حج، فلما انصرف، تطلع إلى لقاء المتنبي واستشرف، ورأى أن لقيته فائدة يكتسبها، وحلة فخر لا يحتسبها، فصار إليه، فوجده في مسجد عمرو بن العاص، ففاوضه قليلاً ثم قال: ألا أنشدني لمليح الأندلس، يعني ابن عبد ربه فأنشده:

يا لؤلؤاً يسبي العقول أنيقاً
ما إن رأيت ولا سمعت بمثله
ورداً بتقطيع لاقلوب رفيقاً
ورداً يعود من الجناء عقيقاً
أبصرت وجهك في سناه غريقاً
يا من تقطع خصره من ردفه

فلما أكمل إنشاده، استعادها منه، ثم صفق بيديه. وقال: يا ابن عبد ربه، لقد يأتيك العراق حبواً. ثم إن ابن عبد ربه، ألق في آخر عمره عن صبوته، وأخلص لله في توبته، فاعتبر أشعاره التي قالها في الغزل واللهو، وعمل على أعاريضها وقوافيها في الزهد، وسماها الممحصات، فمنها القطعة التي أولها: هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر محصها بقوله:

يا قادراً ليس يعفو حين يقتدر	ماذا الذي بعد شيب الرأس تنتظر؟
عابن بقلبك إن العين غافلة	عن الحقيقة واعلم أنها سقر
سوداء تزفر من غيظ إذا سعرت	لظالمين فما تبقي ولا تذر
لو لم يكن لك غير الموت موعظة	لكان فيه عن اللذات مزدجر
أنت المقول له ما قلت مبتدئاً	هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر

أحمد بن محمد، بن إسماعيل النحاس،

أبو جعفر من أهل مصر، رحل إلى بغداد، فأخذ عن المبرد، والأخفش علي بن سليمان، ونفطويه، والزجاج، وغيرهم. ثم عاد إلى مصر فأقام بها إلى أن مات بها، فيما ذكره أبو بكر الزبيدي في كتابه، في سنة سبع وثلاثين وثلثمائة.

وأبو جعفر هذا: صاحب الفضل الشائع والعلم المتعارف الذائع، يستغني بشهرته، عن الإطناب في صفته. قال الزبيدي: ولم يكن له مشاهدة، فإذا خلا بعلمه جود وأحسن، وكان لا ينكر أن يسأل أهل النظر والفقه، ويفاتشهم عما أشكل عليه في تصانيفه. قال الزبيدي: فحدثني قاضي القضاة بالأندلس، وهو المنذر بن سعيد البلوطي قال: أتيت ابن النحاس في مجلسه بمصر، فألفيته يملئ في أخبار الشعراء شعر قيس بن معاذ المجنون، حيث يقول:

خليلي هل بالشام عين حزينة	تبكي على نجد لعللي أعينها؟
قد اسلمها الباكون إلا جمامة	مطوقة باتت وبات قرينها
تجاوبها أخرى على خيزرانة	يكاد يذنيها من الأرض لينها

فقلت: يا ابا جعفر، ماذا - أعزك الله - باتا يصنعان؟ فقال لي: وكيف تقوله أنت يا أندلسي؟ فقلت: بانت وبان قرينها، فسكت، وما زال يستثقلني بعد ذلك، حتى منعي كتاب العين، وكنت ذهبت إلى الانتساخ من نسخته، فلما قطع بي، قيل انتسخ من أبي العباس ابن ولاد، فقصدته، فلقيت رجلاً كاملاً العلم، حسن المروءة، وسألته الكتاب فأخرجه علي، ثم تندم أبو جعفر لما بلغه إباحة ابن العباس الكتاب لي، وعاد إلى ما كنت أعرفه منه. قال: وكان أبو جعفر لئيم النفس، شديد التقدير على نفسه، وكان ربما وهبت له العمامة، فقطعها ثلاث عائم، وكان يأبى شري حوائجه بنفسه، ويتحامل فيها على أهل معرفته، وصنف كتباً حسناً مفيدة، منها كتاب الأنوار، كتاب الاشتقاق لأسماء الله عز وجل، كتاب معاني القرآن، كتاب اختلاف الكوفيين والبصريين سماه "المقنع"، كتاب أخبار الشعراء، كتاب أدب الكتاب، كتاب الناسخ والمنسوخ، كتاب الكافي في النحو، كتاب صناعة الكتاب، كتاب إعراب القرآن، كتاب شرح السبع الطوال، كتاب شرح أبيات سيبويه، كتاب الاشتقاق، كتاب معاني الشعر، كتاب التفاحة في النحو، كتاب أدب الملوك.

وسمعت من يحيى: أن تصانيفه تزيد على الخمسين مصنفاً، وقد ذكر أبو عبد الله الحميدي: القاضي المذكور في قصة ابن النحاس، وقال: هو أبو الحكم، المنذر ابن سعيد، يعرف بالبلوطي، ينسب إلى موضع هناك قريب من قرطبة، يقال له فحص البلوط، ولي قضاء الجماعة بقرطبة، في حياة الحكم المستنصر، وذكر له قصة استحسنتها فأثبتتها ههنا، إذ لم أجعل له ترجمة، لأنه لم يذكره بالتصنيف في الأدب، فقال: كان الحكم المستنصر مشغولاً بأبي علي القالي، يؤوله لكل مهمة في بابه، فلما ورد رسول ملك الروم، أمره عند دخول الرسول إلى الحضرة أن يقوم خطيباً، بما كانت العادة جارية به، فلما كان في ذلك الوقت، وشاهد أبو علي الجمع، وعابن الحفل، جبن ولم تحمله رجلاه، ولا ساعده لسانه، ففطن له أبو الحكم، منذر بن سعيد القاضي، فوثب وقام مقامه، وارتجل خطبة بليغة على غير أهبة، وأنشد لنفسه في آخرها:

هذا المقال الذي ما عابه فند	لكن صاحبه أزرى به البلد
لو كنت فيهم غريباً كنت مطرفاً	لكنني منهم فاغتالي النكد
لولا الخلافة أبقي الله بهجتها	ما كنت أبقي بأرض ما بها أحد

واتفق الجمع على استحسانه، وجمال استدراكه، وصلب العليج وقال: هذا كبش رجال الدولة، ثم ذكر قصته مع ابن النحاس بعينها.

أحمد بن محمد بن حمادة أبو الحسن الكاتب

حسن الأدب، من أفاضل الكتاب، صنف الكتب ولقي الأدباء، وله كتاب امتحان الكتاب، وديوان ذوي الألباب، كتاب شحذ الفطنة، كتاب الرسائل، ذكر ذلك محمد بن إسحاق.

أحمد بن محمد، بن عبد الله، بن هارون

أبو الحسين، أظنه من عسكر مكرم، لأنه اعتنى بشرح مختصر محمد بن علي، بن غسماعيل المبرمان، ثم قرأت في بعض المجموعات: تقدم رجلان إلى القاضي أبي أحمد بن أبي علان، - رحمه الله -، فادعى أحدهما على الآخر شيئاً، فقال المدعي عليه: ماله عندي حق، فقال القاضي: من هذا؟ فقالوا: ابن هارون النحوي العسكري، فقال القاضي: فاعطه ما أقررت له به. له شرح كتاب التلقين، رأيته وسماه البارع، وكتاب شرح العيون، وكتاب شرح المجاري، رأيت كتاب شرح التلقين بخطه، وقد كتبه في رجب، سنة تسع وستين وثلاثمائة.

أحمد بن محمد، بن ميمون

بن أحمد، بن نصر، بن ميمون ابن مروان بن الأسلمي، الكفيف النحوي أبو عمرو، قال ابن الفرزي: هو من أهل قرطبة، ويقال له اشكابة. سمع من قاسم بن أصبغ، ومحمد بن محمد الخشني وغيرهما، وكان صالحاً عفيفاً، أدب عند الرؤساء والجلة من الملوك، ومات لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال، سنة تسعين وثلاثمائة.

أحمد بن محمد، العروضي

بن أحمد أبو الحسن، العروضي معلم أولاد الراضي بالله، وجدت على كتابه في العروض بخطه، وقد قرئ عليه في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة. وكان إماماً في علم العروض، حتى قال أبو علي الفارسي في بعض كتبه، وقد احتاج إلى الاستشهاد ببيت قد تكلم عليه في التقطيع: "وقد كفانا أبو الحسن العروضي الكلام في هذا الباب" ولقي أبو الحسن ثعلباً وأخذ عنه، وروى أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني: نقلت من كتاب ألفه أبو القاسم عبيد الله بن جرو الأسدي في العروض، وكان الكتاب بخط أبي الحسن السمسمناني يقول فيه: وكان أبو الحسن علي بن أحمد العروضي، عمل كتاباً كبيراً، وحشاه بما قد ذكر أكثره، ونقل كلام أبي إسحاق الزجاج، وزاد فيه شيئاً قليلاً، وضم إليه باباً في علم القوافي، وذاك علم مفرد مثل علم العروض، وفيه مسائل لطيفة، واختلاف كثير، يحتاج إلى كشف واستقصاء نظر، ولم أره كبير عمل، ولو نسخ كتاب أبي الحسن الأخفش في القوافي، لكان أعذر عندي، ثم ضم إليه باباً في استخراج المعمي، وهذا لا يتعلق بالعروض، وضم إليه باباً في الإيقاع ونسبه، وغيره به أحق، وختمه بقصيدة في العروض، ولم يفد بها غير التكرير، وكان ينبغي أن يوفي صناعته حقها، ولا يخل بشيء منها، ثم يتعرض لما قد ضمه إليها.

أحمد بن محمد التاريخي،

الرعياني بالأندلس الحميدي: عالم بالأخبار، ألف في مآثر المغرب كتباً جمّة، منها: كتاب ضخّم ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيها، وأمّهات مدنها وأجنادها الستة، وخواص كل بلد منها، ذكره ابن جرير وأثنى عليه.

أحمد بن محمد، بن موسى بن، بشير بن، جناد

ابن لقيط، الرازي الأندلسي، أصله من الري، ذكره أبو نصر الحميدي قال: له كتاب في أخبار ملوك الأندلس وكتابتهم وخططها، على نحو كتاب أحمد بن أبي طاهر في أخبار بغداد، وكتاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس، في خمس مجلدات ضخّم، من أحسن كتاب وأوسعها، كتاب تاريخه الأوسط، كتاب تاريخه الأصغر، كتاب مشاهير أهل الأندلس، في خمسة أسفار، من جيد كتبه.

وقال ابن الفرزي: أصله رازي، قدم أبوه على الإمام محمد، وكان أبوه من أهل اللسن والخطابة، وولد أحمد هذا بالأندلس، يوم الاثنين عاشر ذي الحجة، سنة أربع وسبعين ومائتين، ومات لاثنين عشرة ليلة خلت من رجب، سنة أربع وأربعين وثلاثمائة.

أحمد بن محمد، بن فرج، الجبائي الأندلسي

أبو عمرو وقد ينسب إلى جده، فيقال: أحمد بن فرج، وكذلك أخوه، وهو وافر الأدب، كثير الشعر، معدود في العلماء والشعراء، وله الكتاب المعروف بكتاب الحقائق، ألفه للحكم المستنصر، عارض فيه كتاب الزهرة لابن داود الأصبهاني، إلا أن ابن داود، ذكر مائة باب، في كل باب مائة بيت، وأبو عمرو ذكر مائتي باب، في كل باب مائة بيت، ليس منها باب يكرر اسمه لأبي بكر، ولم يورد فيه لغير الأندلسيين شيئاً، وأحسن الاختيار ما شاء. وله أيضاً كتاب المنتزين والقائمين بالأندلس وأخبارهم، وكان الحكم قد سجنه لأمر نقمه عليه، قال الحميدي: وأظنه مات في سجنه، وله في السجن أشعار كثيرة مشهورة.

أحمد بن محمد، بن سعيد، بن عبيد الله

ابن أحمد، بن سعيد، بن أبي مريم، أبو بكر القرشي الوراق، وراق أبي الحسن، أحمد بن عمير، بن جوصي، الحافظ الدمشقي، ويعرف بابن فطيس. قال ابن عساكر في تاريخ دمشق: ومات في شوال سنة خمسين وثلاثمائة، ومولده في رمضان، سنة إحدى وسبعين ومائتين، أو اثنتين وسبعين ومائتين، وهو صاحب الخط الحسن المشهور، مولى جويرية بنت أبي سفيان، روى الحديث عن جماعة من أهل الشام، قال ابن عساكر: وقد ذكره عبد العزيز الكناني وقال: كان ثقة مأموناً، يورق للناس بدمشق، له خط حسن.

قال المؤلف: وإنما ذكرناه، لما اشترطنا في أول الكتاب، من ذكر أرباب الخطوط المنسوبة، فذكرناه لما وصفه به ابن عساكر من جودة الخط، وأما أنا، فلم أر من خطه شيئاً.

أحمد بن محمد، بن الفضل،

بن جعفر، بن محمد ابن الجراح، أبو بكر الخزاز، سمع أبا بكر ابن دريد، وأبا بكر بن السراج، وأبا بكر بن الأنباري، وروى كثيراً من مصنفاتهم، ومات في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وكان ثقة حسن الأدب والخط، والإتقان، والضبط، فاضلاً أديباً، كثير الكتب، حسن الحال، ظاهر الثروة، روى عنه القاضي أبو العلاء الواسطي، والصيمري، والتتوخي، وأبو الحسين هلال بن المحسن، وأولاد الصابئ كلهم كثيراً من كتب الأدب، متصلة الرواية إلى الآن، وقد روى شيخنا تاج الدين أبو اليمن من طريقه عدة كتب أدبية.

قال أبو القاسم التتوخي: سمعت ابن الجراح يقول: كتبت بعشرة آلاف درهم، ورواي بعشرة آلاف درهم. وسلاحه بعشرة آلاف درهم قال التتوخي: وكان أحد الفرسان، يلبس أدواته، ويركب فرسه، ويخرج إلى الميدان، ويطارد الفرسان.

أحمد بن محمد، بن أحمد، الأصبهاني المقرئ

بن الحسين، بن سعيد، "أبو علي الأصبهاني المقرئ" سكن دمشق، وصنف تصانيف في القراءات، وقرأ القرآن على أبي القاسم، زيد بن علي، بن أحمد، بن أبي بلال الكوفي، وأبي بكر النقاش، وأبي العباس بن الحسن ابن سعد الفاسي، وأبي عبد الله، صالح بن مسلم، بن عبيد الله، بن المقرئ، وأبي الفتح، المظفر بن أحمد، بن إبراهيم، بن برهان. وسمع بدمشق أبا محمد عبد الله بن عطية، وعبد الوهاب بن الحسن الكلابي، والحسين بن علي، وأبا القاسم بن الفرات، وأبا نصر بن الجبان. ومات سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، بدمشق في شهر ربيع الآخر، وكان لجنائزته مشهد عظيم.

أحمد بن محمد، بن هاشم،

بن خلف، ابن عمرو بن سعيد ابن عثمان، بن سلمان، بن سليمان، القيسي القرطبي الأعرج، يكنى أبا عمر، سمع محمد بن عمر بن ليابة، وأسلم بن عبد العزيز، وأحمد بن خالد، ومال إلى النحو وغلب عليه، وأدب به، وكان وقوراً مهيباً، لا يقدم عليه، ولا عنده هزل، وكان يلقب بالقاضي لوقاره. مات سنة خمس وأربعين وثلاثمائة. قال ابن الفرضي: ذكره محمد ابن حسن.

أحمد بن محمد، بن جعفر، بن ثوابة

يكنى أبا عبد الله، أحد البلغاء الفهماء، وأرباب الاتساع في علم البلاغة، ولي ديوان الرسائل بعد أبيه محمد بن جعفر، في سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة، في أيام المقتدر، ولم يزل على ديوان الرسائل، إلى أن مات وهو متوليه، في أيام معز الدولة، في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، فولى ديوان الرسائل بعده، أبو إسحاق الصائبي، حدث أبو الحسين، علي بن هشام الكاتب قال: سمعت الوزير أبا الحسن، علي بن عيسى، يقول لأبي عبد الله، أحمد بن محمد، بن محمد، بن جعفر، بن ثوابة، ما قال: "أما بعد" فما أحد، على وجه الأرض أكتب من جدك، وكان أبوك أكتب منه، وأنت أكتب من أبيك، قال أبو علي المحسن التتوخي: وقد رأيت أنا أبا عبد الله هذا في سنة تسع وأربعمائة، وإليه ديوان الرسائل، وكان نهاية في حسن الكلام والكتابة.

أحمد بن محمد، بن الفضل، الأهوازي

يعرف بابن كثير، صاحب بلاغة وفضل، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: له من الكتب: كتاب مناقب الكتاب.

أحمد بن محمد، الأفريقي المعروف بالمتيم

أبو الحسن، أحد الأدباء، الفضلاء، الشعراء، له من التصانيف: كتاب الشعراء الندماء، كتاب الانتصار المنبئ عن فضل المتنبي، وغير ذلك، وله ديوان شعر كبير، قال الثعالبي: رأيته ببخارى شيخاً رث الهيئة، تلوح عليه سيماء الحرفة، وكان يتطبيب ويتنجم، فأما صناعته التي يعتمد عليها، فالشعر. ومما أنشدني لنفسه:

وقتية أدباء ما علمتهم	شبهتهم بنجوم الليل إذ نجموا
فروا إلى الراح من خطب يلم بهم	فما درت نوب الأيام أين هم؟
قال: وأنشدني أيضاً لنفسه:	
تلوم على تركي الصلاة حيلتي	فقلت أعزبي عن ناظري أنت طالق
فوالله لا صليت لله مفلساً	يصلي له الشيخ الجليل وفائق
لماذا أصلي أين مالي ومنزلي	وأين خيولي والحلي والمناطق
أصلي ولا فتر من الأرض يحتوي	عليه يميني إنني لمنافق؟
بلى إن على الله وسع لم أزل	أصلي له ما لاح في الجو بارق
وله في تركي:	

قلبي أسير في يدي مقلة	تركية ضاق لها صدري
كأنها من ضيقها عروة	ليس لها زر سوى السحر

أحمد بن محمد، بن إبراهيم، بن الخطاب

الخطابي أبو سليمان، من ولد زيد بن الخطاب، أخي عمر بن الخطاب، كذا ذكر أبو عبيد الهروي، وكان تلميذه، وأبو منصور الثعالبي، وكان صديقه. مات الخطابي فيما ذكره عبد الرحمن بن عبد الجبار، الفامي الهروي، في تاريخ هراة من تصنيفه "وسماه حمداً" في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، ومولده في رجب، سنة تسع عشرة وثلاثمائة.

نقلت من خط أبي سعد السمعاني، قال: نقلت من خط الشيخ ابن عمر، توفي الإمام أبو سليمان الخطابي ببست في رباط على شاطئ هندمند، يوم السبت السادس عشر من شهر ربيع الآخر، سنة ست وثمانين وثلاثمائة. وذكر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في كتاب المنتظم: أنه توفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، وهذا ليس بشيء. قال السمعاني: كان الخطابي حجة صدوقاً، رحل إلى العراق، والحجاز، وجال في خراسان، وخرج إلى ما وراء النهر، وكان يتجر في ملكه الحلال، وينفق على الصلحاء من إخوانه، وقد ذكره الثعالبي في كتاب بتيمة الدهر، وقال: كان يشبه في زماننا بأبي عبيد القاسم بن سلام. وذكره الحافظ أبو طاهر، أحمد بن محمد، بن أحمد السلفي، في شرح مقدمة كتاب معالم السنن له، فقال: وذكر الجم الغفير، والعدد الكثير، أن اسمه حمد، وهو الصواب، وعليه الاعتماد. قال المؤلف: وإنما ذكرته أنا في هذا الباب، لأن الثعالبي، وأبا عبيد الهروي، وكنا معاصريه وتلميذيه، سمياه أحمد، وقد سماه الحاكم بن البيع في كتاب نيسابور حمداً، وجعله في باب من اسمه حمد، وذكر أبو سعد السمعاني في كتاب مرو: سئل أبو سليمان عن اسمه فقال: اسمي الذي سميت به حمد، لكن الناس كتبوه أحمد، فتركته عليه. قال: ورثاه أبو بكر عبد الله بن إبراهيم الحنبلي ببست في شعر، فسماه حمداً فقال:

وقد كان حمداً كاسمه حمد الورى
خلائق ما فيها معاب لعائب
تغمده الله الكريم بعفوه
لازال ريحان الإله وروحه

شمائل فيها للثناء ممدوح
إذا ذكرت يوماً فهن مدائح
ورحمته والله عاف وصافح
قرى روحه ما حن في الأيك صادق

قال: وأخذ العلم عن كثير من أهله، ورحل في طلب الحديث، وطوف وألف في فنون من العلم وصنف. وأخذ الفقه عن أبي بكر القفال الشاشي، وأبي علي بن أبي هريرة، ونظرانها من فقهاء أصحاب الشافعي. ومن تصانيفه: كتاب معالم السنن، في شرح كتاب السنن لأبي داود، كتاب غريب الحديث، ذكر فيه ما لم يذكره أبو عبيد، ولا بان قتيبة في كتابيهما، وهو كتاب ممتع مفيد، رواه عنه أبو الحسين عبد الغافر بن محمد، بن عبد الغافر، الفارسي ثم النيسابوري. كتاب تفسير أسامي الرب عز وجل، شرح الأدعية المأثورة، كتاب شرح البخاري. كتاب العزلة. كتاب إصلاح الغلط. كتاب العروس. كتاب أعلام الحديث. كتاب الغنية عن الكلام. كتاب شرح دعوات لأبي خزيمة. ومن شيوخ الخطابي في الأدب وغيره: إسماعيل الصغر، وأبو عمر الزاهد، وأبو العباس الأصم، وأحمد بن سليمان النجار، وأبو عمرو السماك، ومكرم القاضي، وجعفر الخدي، كل هؤلاء بغداديون، سوى الأصم، فإنه نيسابوري، وبها كتب عنهم عالي الإسناد جداً، وروى عنه خلق: منهم عبد بن أحمد، ابن غفير الهروي، وأبو مسعود الحسن بن محمد الكرابيسي البستي، روى عنه ببست، وأبو بكر محمد ابن الحسن المقرئ، روى عنه بغزنة، وأبو الحسن علي ابن الحسن، الفقيه السجزي، روى عنه بسجستان، وأبو عبد الله محمد بن علي، بن عبد الله الفسوي، روى عنه بفارس، وآخرون. وقد روى عنه الإمام الفقيه، أبو حامد الإسفراييني، فقيه العراق، والحاكم أبو عبد الله، محمد بن البيع النيسابوري، روى عنه بخراسان وقد حدث عنه أبو عبيد الهروي في كتاب الغريبين. وأنشد أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، لأبي سليمان الخطابي في البيتمة أشعاراً منها:

وما غربة الإنسان في شقة النوى
وإني غريب بين بست وأهلها
ولأبي منصور الثعالبي في الخطاب شعر منه:
أبا سليمان سر في الأرض أو أقم
ما أنت غيري، فأخشى أن تفارقني
فأنت عندي دنا مثواك أو شطنا
فديت روحك بل روحي، فأنت أنا

نقلت من خط أبي سعد السمعاني: أنبأنا إسماعيل ابن أحمد الحافظ، أنبأنا أبو القاسم سعد بن علي، بن محمد الريحاني أدباً، أنبأنا أبو سعد الخليل، بن محمد الخطيب، قال: كنت مع أبي سليمان الخطابي، فرأى طائراً على شجرة، فوقف ساعة يستمع، ثم أنشأ يقول:

يا ليتني كنت ذاك الطائر الغردا
في غصن بان دهنه الريح تخفضه
خلو الهموم سوى حب تلمسه
ما إن يورقه فكر لرزق غد
طوباك من طائر طوباك ويحك طب
من البرية منحازاً ومنفردا
طوراً وترفعه أفنائه سعدا
في الترب أو نفية يروى بها كبدا
ولا عليه حساب في المعاد غدا
من كان مثلك في الدنيا فقد سعدا

وحدث أبو بكر محمد بن علي، بن الحسن، بن الراغوثي اللغوي، فيما ذكره السلفي قال: أنشدني أبو منصور الثعالبي بنيسابور للخطابي، يقوله في الثعالبي:

قلبي رهين بنيسابور عند أخ
له صحائف أخلاق مهذبة
قال أبو طاهر السلفي: وقلت أنا فيه في سنة خمسين وخمسائة، لشغفي بتأليفه، ورغبتي في تحصيل تصانيفه.
ظن هذا الخطاء في الخطابي
من على كتبه اعتماد ذوي الفض
أن يحوز الفردوس إذ أتعب لائف
وتعنى في الأخذ جداً وفي النص
نضر الله وجهه من إمام
ولعمري قد فاز بالروح والري
ما مثله حين تستقري البلاد أخ
منها التقى، والنهى، والحلم ينتسخ
شيخ أهل العلوم والآداب
ل ومن قوله كفصل الخطاب
س لذي العرش غاية الإتعاب
نيف من بعد رغبة في الثواب
ألمعي أتى بكل صواب
حان من غير شبهة وارتياب

هو قد كان شمس متبعي الشر
وللسلفي فيه أشعار غير هذا، في نهاية الضعف والسقط كما ترى. ومن شعره في اليتيمة:
وليس اغترابي عن سجستان أنني
ولكنني مالي بها من مشاكل
وله:

شر السباع العوادي دونه وزر
كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع
ومنه أيضاً:
ما دمت حياً فدار الناس كلهم
من يدر دارى، ومن لم يدر سوف يرى
ومنه أيضاً:

وقائل ورأى من حجبتي عجباً
فقلت: حلت نجوم الدهر منذ بدا
فلذت من وجل بالاستتار عن ال
ومنه أيضاً:
وتغنم سكوت الحادثات فإنها
وبادر بأيام السلامة إنها
ومنه أيضاً:

تسامح، ولا تستوف حقك كله
ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد
وقال أبو القاسم الداودي الهروي: قال الثعالبي له في مرثية الخطابي - رحمه الله -:
انظروا كيف تخدم الأنوار
انظروا هكذا تزول الرواسي

أحمد بن محمد، أبو عبيد الهروي

بن عبد الرحمن، أبو عبيد الهروي الباشاني المؤدب، صاحب كتاب غريبي القرآن والحديث، والسابق إلى الجمع بينهما في علمنا، قرأ على جماعة منهم: أبو سليمان الخطابي، وكان اعتماده وشيخه الذي يفتخر به، أبا منصور محمد بن أحمد الأزهرى، صاحب كتاب التهذيب في اللغة. مات أبو عبيد هذا، فيما ذكره المليحي، سنة إحدى وأربعمئة في رجبها. روى عنه كتاب الغريبين، أبو عمرو عبد الواحد بن أحمد المليحي، وأبو بكر محمد بن إبراهيم، بن أحمد الأزدي، وله من الكتب: كتاب الغريبين. كتاب ولادة هراة.

أحمد بن محمد، بن عبد الله، بن يوسف

ابن محمد، بن مالك السهلي الأديب، أبو الفضل، العروضي الصفار الشافعي، ذكره عبد الغفار في السياق، فقال: مات بعد سنة ست عشرة وأربعمئة، ومولده سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة، وهو شيخ أهل الأدب في عصره، حدث عن الأصم، والمكاري. وأبي الفضل المزكي، وأبي منصور الأزهرى، وأقرانهم. وتخرج به جماعة من الأئمة، منهم: علي بن أحمد الواحدي، وغيره، وذكره أبو منصور الثعالبي فقال: إمام في الأدب، خنق التسعين في خدمة الكتب، وأنفق عمره على مطالعة العلوم، وتدريس مؤدبي نيسابور، وإحراز الفضائل، والمحاسن، وهو القائل في صباه:

أوفى على الديوان بدر الدجى
أخذه أمّ ملح أم خطه
قال: وأنشدني لنفسه:
فصل نجوم السعد ما حظه؟
ولحظه أفتن أم لفظه؟؟

أودعها الله قلب صخرة
بألف كد وألف كره
أقصى من الصخر ألف مرة

لعزة الفضة العبرة
حتى إذا النار أخرجتها
أودعها الله كف وغد

أحمد بن محمد، ابن شرام الغساني

بن أحمد، بن سلمة، ابن شرام الغساني أحد النحاة المشهورين بالشام، صحب أبا القاسم الزجاجي وأخذ عنه، وكتب تصانيفه، وكان جيد الخط والضبط، صحيح الكتابة، وجدت خطه في كتاب أمالي الزجاجي، وقد فرغ من كتابتها، في سنة ست وأربعين وثلاثمائة. ذكره أبو القاسم فقال: أحمد بن محمد، بن أحمد، بن سلمة، أبو بكر بن أبي العباس، الغساني المعروف بابن شرام النحوي، سمع أبا بكر الخرائطي، وأبا الدحداح أحمد بن محمد، بن إسماعيل التميمي، وأبا الحسن أحمد ابن جعفر، بن محمد الصيدلاني، وعبد الغافر بن سلامة الحمصي، وأبا القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، وأبا بكر أحمد بن محمد، بن سعيد، بن عبيد الله، بن فطيس، والحسن بن حبيب الحظائري، وأبا الطيب أحمد ابن إبراهيم، بن عبادل الشيباني، وإبراهيم بن محمد، بن أبي ثابت، وأبا علي محمد بن القاسم، بن أبي نصر. روى عنه رشا بن نظيف، وأبو بكر أحمد بن الحسن، بن أحمد ابن الطبال، وأبو الحسن الربيعي، وأبو نصر بن الجبان. قال ابن الأكفاني: رأيت في كتاب عتيق: توفي أبو بكر ابن شرام يوم الثلاثاء، لعشر خلون من شعبان، سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

أحمد بن محمد، الخلال، الوراق

بن الحسن، "الخلال، الوراق، الأديب"، صاحب الخط المليح الرائق، والضبط المتقن الفائق، أظنه ابن أبي الغنائم الأديب، وقد ذكرنا في باب علي ابن محمد، "آخر"، ونراه أخا هذا، والله أعلم. وجدت خطه على كتاب قد كتبه في سنة خمس وستين وثلاثمائة.

الجزء الخامس

أحمد بن محمد، الملقب مسكوية

بن يعقوب، الملقب مسكوية أبو علي الخازن، صاحب التجارب، مات فيما ذكره يحيى بن مندة، في تاسع صفر، سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، قال أبو حيان في كتاب الإمتاع: وقد ذكر طائفة من متكلمي زمانه، ثم قال: وأما مسكوية، فقير بين أغنياء، وغني بين أنبياء، لأنه شاذ، وإنما أعطيته في هذه الأيام، صفو الشرح لإيساغوجي، وقاطيغورياس، من تصنيف صديقنا بالري. قال الوزير ومن هو قلت أبو القاسم الكاتب، غلام أبي الحسن العامري وصححه معي، وهو الآن لاند بابن الخمار، وربما شاهد أبا سليمان المنطقي، وليس له فراغ، لكنه محب في هذا الوقت، للحسرة التي لحقت مما فاتته من قبل. فقال: يا عجباً لرجل صحب ابن العميد، وأبي الفضل، ورأى ما عنده، وهذا حظه، قلت: قد كان هذا ولكنه كان مشغولاً بطلب الكيمياء، مع أبي الطيب الكيميائي الرازي، منهوك الهمة في طلبه، والحرص على إصابته، مقتوناً بكتب أبي زكريا، وجابر ابن حيان، ومع هذا، كان إليه خدمة صاحبه في خزانة كتبه، هذا مع تقطيع الوقت في الحاجات الضرورية والشهوية، والعمر قصير، والساعات طائفة، والحركات دائمة، والفرص بروق تأتلق، والأواطر في عرضها تجتمع وتفترق، والنفوس عن فوائتها تذوب وتحترق، ولقد قطن العامري الري خمس سنين، ودرس وأملى، وصنف وروى، فما أخذ عنه مسكوية كلمة واحدة، ولا وعي مسألة، حتى كأنه كان بينه وبينه سد، ولقد تجرع على هذا التواني الصاب والعقم، ومضغى لقمة حنظل الندامة في نفسه، وسمع بأذنه، قوارع الملامة من أصدقائه، حينما ينفع ذلك كله، وبعد هذا، فهو ذكي، حسن الشعر، نقي اللفظ، وإن بقي فعساه أن يتوسط هذا الحديث، وما أرى ذلك مع كلفه بالكيمياء، وإنفاق زمانه، وكد بدنه وقلبه في خدمة الساطن، واحتراقه في البخل بالدانق والقبراط، والكسرة والخرقه، نعوذ بالله من مدح الجود باللسان، وإيثار الشح بالفعل، وتمجيد الكرم بالقول، ومفارقته بالعمل. قال أبو منصور الثعالبي: كان في ذروة العليا من الفضل والأدب، والبلاغة والشعر، وكان في ريعان شبابه متصلاً بابن العميد، مختص به، وفيه يقول:

فضيلة الشمس ليست في منازلها
ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها

لا يعجبك حسن القصر تنزله
لو زبدت الشمس في أبراجها مائة

ثم تنقلت به أحوال جلييلة، في خدمة بني بوية، والاختصاص بيهاء الدولة، وعظم شأنه، وارتفاع مقداره، فترفع عن خدمة صاحب، ولم يرى نفسه دونه، ولم يخل من نوائب الدهر، حتى قال ما هو متنازع بينه وبين نفر من الفضلاء:
 من عذيري من حادثات الزمان
 قال: وله قصيدة في عميد الملك، تفنن فيها، وهنأه باتفاق الأضحى، والمرجان في يوم، وشكا سوء أثر الهرم، وبلوغه إلى أرذل العمر:

قل للعميد: عميد الملك والأدب	أسعد بعيديك: عيد الفرس والعرب
هذا يشير بشرب الغمام ضحى	وذا يشير عشيا بابنة العنب
خلائق خيرت في كل صالحة	فلو دعاها لغى الخير لم تجب
أعدن شرخ شباب لست أذكره	بعداً ووردت على العمر من كتب
فطاب لي هرمي والموت يلحطني	لحظ المريب ولولا أنت لم يطب
فإن تمرس لي خصم تعصب لي	وإن أساء إلى الدهر أحسن بي ومنها:
وقد بلغت إلى أقصى مدى عمري	وكل غربي وأستأنست بالنوب
إذا تملأت من غيظ على زماني	وجدتني نافخاً في جذوة اللهب

ومنها:

وإن تمنيت عيش الدهر أجمعه	وإن تعاین ماولى من الحقب
فانظر إلى سير القوم الذين مضوا	و الحظ كتابهم من باطن الكتب
تجد تفاوتهم فى الفضل مختلفاً	وإن تقاربت الأحوال فى النسب
هذا: كتاج على رأس يعظمه	وذاك كالبرع الجافي على الذنب

قال المؤلف: وكان مسكوية مجوسياً وأسلم، وكان عارفاً بعلوم الأوائل معرفة جيدة، وكتاب الفوز الأصغر. وصنف كتب تجارب الأمم في التاريخ، ابتدأه من بعد الطوفان، وانتهاه إلى سنة تسع وستين وثلاثمائة. وله: كتاب أنس الفريد، وهو مجموع يتضمن أخباراً وأشعاراً، وحكماء وأمثالا، غير مبوب، وكتاب ترتيب العادات، وكتاب المستوفي أشعار مختارة، وكتاب الجامع، وكتاب تجاوزان فرد، وكتاب السير أجاده، ذكر فيه ما يسير به الرجل نفسه من أمور دنياه، مزجه بالآثر والآية، والحكمة، والشعر وللبديع الهمداني إلى أبي سلمى مسكوية، يعتذر من شيء بلغه عنه، بعد مودة كانت بينهما:

ويا عز: إن واش وشى بى عندكم	فلا تمهليه أن تقولي له: مهلاً
كما لو وشى واش بعزة عندنا	لقلنا: ترحزح لاقربياً ولاسهلاً

بلغني أطل الله بقاء الشيخ، أن قيضه كلب وافته بأحاديث لم يعرها الحق نوره، ولا الصدق ظهوره، وأن الشيخ أذن لها على حجاب أذنه وفسح لها فناء ظنه، وعاذ الله أن أقولها، وأستجيز معقولها، بلى قد كان بيني وبينه عتاب لاينزع كفه، ولايجدف أنفه، وحديث لايتعدى إلى النفس وضميرها ولا تعرفه الشفة وسميرها، وعريضة كعريضة أهل الفضل، لا تتجاوز والإدلال، ووحشة يكشفها عتاب لحظة كغناء جحظة، فسبحان من ربي هذا الأمر، حتى صار أمراً، وتأبط شراً، وأوحش حراً، وأوجب عذراً، بل سبحة من جعلني في حير العذر أشيم بارقة وأستقبل صاعقه، وأنا المساء إليه، والمجني عليه، ورمى من الحسدة بما رميت، ووقف من الوجد والوحدة حيث وقفت، واجتمع عليه من المكاره ما وصفت، أعتذر مظلوماً، وأحسن ملوماً، وضحك مشتوماً، ولو علم الشيخ عدد أبناء الحدد، وأولاد العدد، بهذا البلد، ممن ليس له همة إلا في شكاية، أو حكاية، أو سعاية أو نكاية لحن بعشرة غريب إذا بدر، وبعيد إذا حضر، ولصان مجلسه عمن لا يصونه عما رقى إليه، فهبني قلت ماحكى له، أليس الشاتم من أسمع أليس الجاني من أبلغ فقد بلغ من كيد هؤلاء القوم، أنهم حين صادفوا من الأستاذ نفساً لا تستفز، وحبالاً لا يهز، دسوا إليه حديثه بما حرشوا به نارهم، ورد على مما قالوه، فما لبثت أن قلت:

فإن يك حرب بين قومي وقومها	فإنني لها في كل نائبة سلم
----------------------------	---------------------------

فليعلم الشيخ الفاضل، أن في كيد الأعداء منى جمرة، وأن في أولاد الزنا عندنا كثرة، قصاراهم نار يشبونها، أو عقرب يدبونها، أو مكيدة يطلبونها، ولولا أن العذر إفرار بما قيل، وأكره أن أستقبل، بسطت في الاعتذار شاذرواناً، ودخلت في الاستقالة ميداناً، لكنه أمر لم أضع أوله، فلا أتدارك آخره، وقد أبى الشيخ أبو محمد، إلا أن يوصل هذا النثر الفاتر بنظم مثله، فهاكه يلحن بعضه بعضاً:

مولاي إن عدت ولم ترض لي	أن أشرب البارد لم أشرب
إمتط خدي وانتعل ناظري	وصيد بكفي حمة العقرب

بالله ما أنطق عن كاذب
فالصفو بعد الكدر المفترى
إن أجتن الغلظة من سيدي
أو نفق الزور على ناقد

فيك ولا أبرق عن خلب
كالصحو بعد المطر الصيب
فالشوك عند الثمر الطيب
فالخمر قد تعضب بالثيب

ولعل الشيخ أبا محمد يقوم من الاعتذار، بما قعد عنه القلم والبيان، فنعم رائد الفضل هو، والسلام. وجاء الجواب من أبي علي:
وإذا الواشي أتى يسعى لها
نفع الواشي بما جاء يضر

فهمت خطاب الشيخ الفاضل، الأديب البارع، الذي لو قلت: إنه السحر الحلال، والعذب الزلال، لنقصته حظه، ولم أوفه حقه، أما البلاغات التي أوما إليها، فو الله ما أذنت لها، ولا أذنت فيها، وما أذهيني عن هذه الطريقة، وأبعدني عنها، وقد نزه الله لسانه عن الفحشاء، وسمعي عن الإصغاء، وما يتخذ العدو بينهما مجالاً وأما الأبيات فقد تكلفت الجواب عنها، لامساجلة له، ولكن لأبلغ المجهود في قضاء حقه:

يا بارعاً في الأدب المجتنى
لوقلت: إن البحر مستغرق
إذا تبوأ محللاً فما
أحمدتني الشعر وأعتبتني
والعذر يمحو ذنب فعالة
أنا الذي آتيك مستغفراً
وأنت لاتمنع مستوهباً

منه ضروب الثمر الطيب
في بحرك الفيض لم أكذب
نزلت إلا منزل الكوكب
فيه ولم أذم ولم أعتب
فكيف يمحوه ولم يذيب
من زلة لم تك من مذهبي
مالاً فهب ذنباً لمستوهب

قال أبو حيان في كتاب الوزيرين: فإن ابن العميد اتخذ خازناً لكتبه، وأراد أيضاً أن يقدر ابنه به، ولم يكن من الصنائع المقصودة، والمهمات اللازمة وكان يحتمل ذلك لبعض العزازة بظله، والتظاهر بجاهه.

نسخة وصية أبو على المسكاوية

"بسم الله الرحمن الرحيم": هذا ما عاهد عليه أحمد ابن محمد، وهو يومئذ آمن في سربه، معافى في جسمه عند قوت يومه، لا تدعه إلى هذه المعاهدة، ضرورة نفس ولا بدن، ولا يريد بها مراعاة مخلوق، ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة منهم، عاهد على أن يجاهد نفسه، ويتفقد أمره، فيعف، ويشجع، ويحكم. وعلامة عفته: أن يقتصد في مأرب بدنه، حتى لا يحمله الشره على ما يضر جسمه، أو يهتك مروءته. وعلامة شجاعته: أن يحارب دواعي نفسه الذميمة، حتى لا تقهره شهوة قبيحة، ولا غضب في غير موضعه. وعلامة حكمته: أن يستبصر في اعتقاداته حتى لا يفوته بقدر طاقته شيء من العلوم والمعارف الصالحة، ليصلح أولاد نفسه ويهذبها، ويحصل له من هذه المجاهدة ثمراتها، التي هي العدالة، وعلى أن يتمسك لهذه التذكرة، ويجتهد في القيام بها، والعمل بموجبها، وهي خمسة عشرة باباً: إثبات الحق على الباطل في الاعتقادات، والصدق على الكذب في الأقوال، والخير على الشر في الأفعال، وكثرة الجهاد الدائم، لأجل الحرب الدائم، بين المرء ونفسه، والتمسك بالشرعية، ولزوم طائفتها، وحفظ المواعيد حتى ينجزها. وأول ذلك، ما بين وبين الله جل وعز. وقلة الثقة بالناس بترك الاسترسال. ومحبة الجميل لأنه جميل لا لغير ذلك. والصمت في أوقات حركات النفس للكلام، حتى يستشار فيه العقل. وحفظ الحال التي تحصل في شيء حتى تصير ملكة، ولا تفسد بالاسترسال. والاقدام على كل ما كان صواباً. والإشفاق على الزمان الذي هو العمر ليستعمل في المهم دون غيره. وترك الخوف من الموت والفقر لعمل ما ينبغي. وترك التواني. وترك الاكتراث لأقوال أهل الشر والحسد، لئلا يشتغل بمقاتلتهم. وترك الانفعال لهم. وحسن احتمال الغنى والفقر، والكرامة والهوان بجهة وجهة. وذكر المرض وقت الصحة، والهم وقت السرور، والرضا عند الغضب، ليقفل الطغى والبغى. وقوة الأمل، وحسن الرجاء. والثقة بالله عز وجل، وصرف جميع البال إليه.

أحمد ابن محمد، الصخرى أبو الفضل

قتل في أواخر سنة ست وأربع مائة، هكذا ذكر أبو محمد، محمود ابن أرسلان، في تاريخ خوارزم، وقال: هو أحد مفاخر خوارزم، أديب كامل، وعالم ماهر، وكاتب بارع، وشاعر ساهر. قال أبو منصور الثعالبي في كتابه: له ظرف حجازي، وخط عراقي، وبلاغة جولة سهلة، ومروءة ظاهرة، ومحاسن متظاهرة، وله شعر كثير، يجمع فيه بين الإسراع والإبداع، ويأخذ بطرفي الإتقان والإحسان، ثم هو في الارتجال، فرد الرجال بسرعة خاطره، وسلامة طبعه، وحصول أعنة القوافي في يده،

وكان في عفوان شبابه، ألم بحضرة الصاحب إسماعيل بن عباد، فاقتبس من نورها، واغترف من بحرها، وانخرط في سلك أعيان أهل الفضل بها، وتزود من ثمارها، فحسن أثره وطاب خبره ورجع إلى أوطانه، وأقام بحضرة سلطانه، في أجلة الكتاب، ووجوه العمال، وهو الآن من أخص جلساء الأمير، وأقرب ندمائه، وأفضل كتابه، وأجل شعرائه، ولا يكاد يخلو منه مجالس أنسه، ولا يتقشع عنه سحائب جوده، وما أكثر ما يقترح عليه الأشعار في المعاني البديعة، ويكمل لها وبفي، ويعلمها في الوقت والساعة بين يديه، ويعرضها عليه. وعهدى بذلك المجلس العالي، ليلة من الليالي، وقد جرى فيه ذكر أبي الفضل الهمداني بديع الزمان، وإعجاز لطائفه وخصائصه في الارتجالات، وسرعة إتيانه وإثباته بالافتراحت، وأنه كان يكتب الكتاب المقترح عليه، ويبتدى بأخر سطر، ثم هلم جرا إلى السطر الأول، حتى يخرج منه مستوفي الألفاظ والمعاني، كأملح شئ وأحسنه، فانتدب الصخري لهذه النادرة، وضمن الاستقلال بهذه الغريبة الصعبة، فرسم له على لسان الشيخ أبي الحسين السهيلي، أن يكتب في معنى مؤلف الكتاب، كتاباً إلى الدهخدأ أبي سعيد، محمد بن منصور الحوالي، يذكر فيه: أن أخبار فلان في محاسن أدبه، وبديع تأليفاته، لم تزل تأتي، ثم تشوقنا إلى مشاهدة الفضل، فأخذ القلم و القرطاس، وكان كتب أولاً السطر الذي يقع في آخره - إن شاء الله تعالى - ثم لم يزل يمضي قدماً في الكتاب، ويرتفع عن عجزه إلى صدره، ومن سفله إلى علوه، ويصل أواخره بأوائله، حتى أتم المعنى المقترح عليه، مع جودة الألفاظ وسهولتها، وحسن مطالعها. وفرغ من الكتاب في زمن قصير المدة، وقد أخذ منه الشراب، وأثرات فيه الكاسات، فوقع ذلك أحسن موقع، وعد من محاسنه. وله كتاب رسائل مدونة، كتاب ديوان شعر مجلد. فمن منشور كلامه: الشيخ: أصدق لهجة، وأبين في الكرم محبة، من أن يخلف برق ضمانه، ولا يطر سحاب إحسانه، فليت شعري: ما الذي فعله في أمر وليه، القاصر عليه أمله؟ وهل بلغ الكتاب أجله؟، وقد استهل الشهر الثامن استهلالاً ولاندى كالأفق، ولنرى لأفق مواعده هلالاً. آخر: طبع كرمه: أغلب من أن يحتاج إلى هز، وحسام فضله، أقطع من أن يهز لحز. آخر: أما إني لأرضى من كرمه العد، أن تجر أولياؤه على شوك الرد، فيحق مجده المحض، الذي فاق به أهل الأرض، أن يرفع عن حاجتي قناع الخجل، ولا يعتبر أمني فيها قبل حلول الأجل وهذا قسم أرجو أن يصونه عن الحنث، وعهد أظن أنه لا يعرضه للحنث. آخر: لا أدري: أهني الشيخ بعوده إلى مركزه، ومستقر عزه، سالماً في نفسه، التي سلامتها سلامة المعالي والمكارم، وهي أجسم المتاع وأنفس الغنائم؟، أم أهني الحضرة به، فقد عاد إليها مأوها، ورجع برجوعه حسننها وبهاؤها، أم أهني الملك - ثبت الله أركانه -؟ كما نضر بمكانه منه زمانه، فقد آب إليه رونقه، وزال عن أمره رونقه، أم أهني الفضل، فقد كان ذوى عوده، ثم احضر وأورق، وهوى نجمه، ثم أثار وأشرق، أم أهني جماعة الأولياء والخدم، وكافة كتاب الإنشاء فقد عاشوا، وانتعشوا وارتاشوا، وارتفعت نواظرم بعد الانخفاض، وانتشرت صدورهم غب الانقباض. وأنا أعد نفسي من جملتهم، ولا أنحرف مع طول العهد عن قبلتهم. وله: كتابي وقد عرتني علة منعني من استغراق المعاني واستيعابها، وإشباع الكلم في وجوها وأبوابها، فاختصرت وقصرت، وعلى النبذ اليسيرة اقتصرت، وما أعرف هذه العلة، إلا من عوادي فراقه، ودواعي اشتياقه، وإن كانت النعمة بمكانه خارجة عن القياس، غير خافية من جميع الناس، إلا أنها ازدادات الآن ظهوراً، وإن لم يكن قدرها مستوراً، وقدر النعمة لا يعرف إلا بعد الزوال، ولا يتحقق إلا مع الانتقال، - أهلنا الله لعودها -، لنحسن جوارها، بشكرها وحملها، وأصبحه السلامة حالاً ومرتاحاً، ومقيماً ومتنقلاً، إنه خير صاحب، يصحب كل غائب. وله: وصل كتاب الشيخ فيما حلاني به، من صفاته التي هو بها حال، وأنا منها خال وقد كان أعارني منها عارية، وجدت نفسي منها عارية، ولكنه نظر إلى بعين رضاه، وشهد لي بقلب هواه. فلا ينظر بعين الرضى، فنظرتها ربما تنجح، ولا يشهد بقلب الهوى، فإنها شهادة تجرح وله: كل من ورد جناب الشيخ من أمثالي، إنما ورد بأمل منفسخ، ثم صدر بصدر منشرح، إذ ما امتدت إليه يد فارتدت عاطلاً ولا توجه تلقاه رجاء فعاد باطلاً. وأنا أجله أن يفسخ من بينهم ذريعة رجائي، وينسخ شريعة ولائي، بل أظن إن لم يفضلني عليهم في المراتب، لم ينقصني عنهم في الواجب، ثم ليس طمعي في ماله، فكفاني ما شملني من أفضاله، بل كفاه ما تكلفه في هذا الوقت من كلفة المروءة، التي تنوء بالعصبة أولى القوة، ولكن طمعي في جاهه، ومن ضن به ملوم. إذ البخل به لؤم. ومن أشعاره يمدح أبا العباس خوارزمشاه:

أشبه البدر في السنا والسناء	وحوى رقة الهوى و الهواء
وأتى الشيب بعدها منفذاً لي	عن يد الدهر بالبلوى والبلاء
وإذا شاء بالندى الملك العا	دل في المجد والعلو والعلاء
أبدل الشين منه سيناً وأوطا	ني الثريا من الثرى والثراء
ومن شعره أيضاً في الهجاء:	
أيذا الفضائل و اللام حاء	ويذا المكارم و الميم هاء
ويا أنجب الناس و الباء سين	ويذا الصيانة و الصاد خاء
ويا أكتب الناس و التاء ذال	ويا أعلم الناس و العين ظاء
تجود على الكل و الدال راء	فأنت السخي و يتلوه فاء

ولقد صرت عيباً لداء البغاء
وله يستهدي ماء الورد:

يا من حكى الورد الطرئ بعرفه
إن شئت و الإفضال منك سجية
وله قصيدة في أبي الفتح البستي:

نسب كريم فاضل أنسى به
قد كنت في نوب الزمان وصرفه
فاللوم جانبنت الحوادث جانبي
نفسمصدقة جميع عدااتها
هماته حكمت على هاماتها
ومن قصيدة في أبي الحسين السهيلي:

نفس مصدقة جميع عدااتها
يا أحمد بن محمد يا خير من
مادامت الأيام في الغفلات عن

وله من قصيدة:

لئن بخلت بإسعادى سعاد
وإن نفذ اصطبارى في هواها
أرى تلجأ بوجنتها وناراً
فهب من نارها كان احتراقي
لأجتهدن في طلب المعالي
فإن أدركت آمالي وإلا

وله في بعض الصدور:

جمعت إلى العلي شرف الأبوه
أتيتك خادماً فرفعت قدري
فما شبهتني إلى بموسى

وله من قصيدة:

أسمعت يامولاي ده
أخني علي بصرفه

أحمد بن محمد الخوارزمي

أبو الحسين السهلي الخوارزمي. قال محمود بن محمد الإسلامي في تاريخ خوارزم إنه مات بسر من رأى، في سنة ثمان عشرة واربعمائة، على ما يذكره. قال: وهو من أجلة خوارزم، وبيته بيت رئاسة ووزارة، وكرم ومروءة، قال الثعالبي: وهو وزير ابن وزير:

موصولة الاسناد بالاسناد

ورث الوزارة كابراً عن كابر

قال: وكان يجمع بين آلات الرياسة، وأدوات الوزارة، ويضرب في العلوم والآداب بالسهم الفائزة، ويأخذ من الكرم وحسن الشيم بالخطوط الوافرة: وله كتاب الروضة السهيلية في الأوصاف والتشبيهات، وبأمره والتماسه، صنف الحسن بن الحارث الحسوفي في المذهب كتاب الهيلي، يذكر فيه المذهبيين: مذهب الشافعي، والحنفي وله شعر، فمن ذلك ولم يسبق الى معناه:

أعز علينا من عتاق الترحل

ألا سقنا الصهباء صرفاً فإنها

لئلا يزول الطعم عند التنقل

وإني لأقلّي النقل حباً لطعمها

وله في النجوم:

شرر تطاير من دخان النار
الكافور فوق صلاية العطار

فالشهب تلمع في الظلام كأنها
فكأنها فوق السماء بنادق

وله في النجوم أشعار، منها في شعاع القمر على الماء:

يقدر فمد له جسر من الذهب
ونحن بالشط في لهو وفي طرب
يقدر فمد له جسر من الذهب

كأنما البدر فوق الماء مطلعاً
كأنما البدر فوق الماء مطلعاً
مللت وأنا فأهوى للعبور فلم

خرج السهيل من خوارزم، في سنة أربع وأربعمئة إلى بغداد، وتوطنها، وترك وزارة خوارزم شاه، أبي العباس مأمون خوفاً من شره، ولما قدم بغداد، أكرمه فخر الملك أبو غالب، محمد بن خلف، وهو والي العراق يومئذ، وتلقاه بالجميل، فلما مات فخر الملك، خرج من بغداد هارباً أيضاً، حتى لحق بغريب بن مقن، خوفاً على ماله، وكان غريب صاحب البلاد العليا، تكريت، ودجيل، وما لاصقها، فأقام عنده إلى أن مات، وخلف عشرين ألف دينار، سلمها غريب إلى ورثته.

أحمد بن محمد، بن الحسن المرزوقي

أبو علي، من أهل أصبهان، كان غاية في الذكاء والفطنة، وحسن التصنيف، وإقامة الحجج، وحسن الاختيار وتصانيفه لا مزيد عليها في الجودة مات فيما ذكره أبو زكريا، يحيى بن مندة في ذي الحجة، سنة إحدى وعشرين وأربعمئة، قال: وكتب عنه سعيد البقال، وأخرجه في معجمه وجدت خطة على كتاب شرح الحماسة من تصنيفه، وقد قرئ عليه في شعبان، سنة سبع عشرة وأربعمئة، وكان قد قرأ كتاب سيبويه، على أبي علي الفارسي، وتلمذ له، بعد أن كان رأساً بنفسه وله من الكتب: كتاب شرح الحماسة، أجاد فيه جداً، كتاب شرح المفضليات، كتاب شرح الفصيح، كتاب شرح أشعار هذيل، كتاب الأزمعة، كتاب شرح الموجز، كتاب شرح النحو قال صاحب بن عباد: فاز بالعلم من أصبهان ثلاثة: حائك، وحلاج، وإسكاف، فالحائك هو المرزوقي والحلاج أبو منصور بن ماشدة، والإسكاف أبو عبد الله الخطيب بالري، صاحب التصانيف في اللغة ووجدت في المجموع بخط بعض فضلاء العجم، نقلت من خط الأبيوردى: أبو علي المرزوقي، صاحب شرح الحماسة، والذهليين: قرأ على أبي علي، وهو يتفاحص في تصانيفه كابن جني، وكان معلم أولاد بني بويه بأصبهان، ودخل إليه صاحب فما قام له فلما أفضت الوزارة إلى صاحب جفاه أحمد بن محمد، بن إبراهيم، أبو إسحاق الثعلبي المفسر، صاحب الكتاب المشهور بأيدي الناس المعروف بتفسير الثعلبي مات فيما ذكره عبد الغني بن سعيد، الحافظ المصري، ونقلته من حاشية كتاب الإكمال لابن مأكولة، في محرم سنة سبع وعشرين وأربعمئة فقال: أبو إسحاق الثعلبي المفسر، جليل خراساني، وذكره عبد الغافر في السياق فقال: أحمد بن محمد، بن إبراهيم، أبو إسحاق الثعلبي، المقرئ المفسر، الواعظ الأديب، الثقة الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة، من التفسير الحاوي أنواع الفرائد، من المعاني والإشارات، وكلمات أرباب الحقائق، ووجوه الإعراب والقراءات، ثم كتاب العرائس والقصص، وغير ذلك، مما لا يحتاج إلى ذكره لشهرته، وهو صحيح النقل، موثوق به حدث عن أبي طاهر بن خزيمة، وأبي بكر بن مهران المقرئ، وأبي بكر بن هانئ وأبي بكر بن الطرازي، والمخلدي، والخفاف، وأبي محمد بن الرومي، وطبقتهم وهو كثير الحديث، كثير الشيوخ، وذكر وفاته كما تقدم قال: وسمع منه الواحدي التفسير، وأخذ عنه، وأثنى عليه وحدث عنه بإسناد رفعه إلى عاصم، قال: الرياسة بالحديث رياسة ندلة، إن أصح الشيخ وحفظ، وصدق فأحمي، قالوا هذا شيخ كيس، وإذا هم قالوا شيخ كذاب وله كتاب ربيع المذكرين

أحمد بن محمد، بن دلويه

بن أحمد، بن محمود، بن دلويه أبو حامد الاستوائي، مات فيما ذكره الخطيب، في سنة أربع وثلاثين وأربعمئة، وقال: يعرف بالدلوي، واستوى التي نسب إليها: قرية من قرى نيسابور، قدم بغداد، فسمع من الدار قطني، واستوطنها إلى حين وفاته، وولى القضاء بعكبرا، من قبل القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلائي، وكان ينتحل في الفقه مذهب الشافعي، وفي الأصول مذهب الأشعري، وله حظ في معرفة الأدب، والعربية، وحدث بشئ يسير قال الخطيب: وكتب عنه، وكان صدوقاً، ولما مات دفن بالشونيزية قال المؤلف: كان الدلوي أديباً، فاضلاً، وكثيراً ما توجد كتب الأدب بخطه، وكان صحيح النقل، جيد الضبط، معتبر الخط في الغالب.

أحمد بن محمد، المهدي

بن عمار، بن مهدي، بن ابراهيم المهدي، ابو القاسم المقرئ، ذكره الحميدي فقال: أصله من المهديّة، من بلاد القيروان، ودخل الأندلس في حدود الثلاثين وأربعمائة، أو نحوها، وكان عالماً بالقراءات والأدب متقدماً، ذكره لى بعض أهل العلم بالقراءات، وأثنى عليه، وأنشدني له في طاءات القرآن:

ظننت عزيمة ظلمنا من حظها	فظلت اوقظها لتكظم غيظها
وظغنت أنظر في الظلام وظله	ظمان أنتظر الظهور لو عظها
ظهرى وظفرى ثم عظمى فى لظى	لأظاهرن لحظها ولحفظها
لفظي شواظ أو كشمس ظهيرة	ظفر لدى غلظ القلوب وفظها

أحمد بن محمد، بن برد الأندلسي

ذكره الحميدي وقال: هو مولى أحمد بن عبد الملك، ابن عمر، بن محمد، بن شهيد، أبو حفص الكاتب، مليح الشعر، بليغ الكتابة، من أهل بيت أدب ورياسة، له رسالة في السيف والقلم، والمفاخرة بينهما، وهو أول من سبق إلى القول في ذلك بالأندلس، وقد رأيته بالمرية، بعد الأربعين وأربعمائة غير مرة، وله كتب في علم القرآن، منها كتاب التحصيل في تفسير القرآن، كتاب التفصيل في تفسيره أيضاً، وله غير ذلك وكان جده أحمد بن برد وزيراً في الأيام العامرية، وكاتباً بليغاً أيضاً مات سنة ثمان عشرة وأربعمائة أعنى الوزير ومن شعر أحمد بن محمد هذا:

تأمل فقد شهق البهار مغلساً	كماميه عن نواره الخضل الندى
مداهن تبر في أنامل فضة	على أذرع مخروطة من زبرجد

ومن شعره أيضاً:

لما بدا في لازور	دى الحرير وقد بهر
كبرت من فرط الجمال	وقلت ما هذا بشر
فأجابني لا تنكرن	ثوب السماء على القمر

ومن شعره أيضاً:

قلبي وقلبك لامحالة واحد	شهدت بذلك بيننا ألحاظ
فتعال فلنعظ الحسود بوصلنا	إن الحسود بمثل ذاك يغاظ

أحمد بن محمد، بن هارون النزلي

أبو الفتح النحوي أخذ عن أبي الحسن، علي بن عيسى الربيعي، وهو من أقران أبي يعلى بن السراج

أحمد بن محمد العمودي

الهمذاني أبو عبد الله اللغوي ذكره شيرويه بن شهر دار، فقال: روي عن عبد الرحمن بن حمدان الجلاب، وأبي الحسين محمد الحريري، صاحب أبي شعيب الحراني، وغيرهما روى عنه أبو عبد الله الإمام وغيره

أحمد بن محمد، الأصبهاني

بن أحمد بن شهر دار المعلم الأصبهاني كان أديباً فاضلاً، بارعاً في الأدب، فصيحاً، كثير السماع، حسن الخط صاحب اصول، مات في شوال سنة ست وأربعين وأربعمائة قال يحيى بن مندة: سمعت من الثقات، منهم أبو غالب بن هارون تلميذه، أنه كان رجلاً فاضلاً، إلا أنه كان لا يصلى الصلوات كما قيل.

أحمد بن محمد، ابن ابراهيم الميداني

أبو الفضل النيسابوري، والميدان محلة من محال نيسابور، كان يسكنها، فنسب إليها، ذكر ذلك عبد الغافر، وهو أديب فاضل، عالم نحوي لغوي مات فيما ذكره عبد الغافر بن اسماعيل الفارسي في السياق، في رمضان، سنة ثمان عشرة وخمسمائة، ليلة القدر، ودفن بمقبرة الميدان، قرأ على أبي الحسن، على بن أحمد الواحدي، وعلى يعقوب بن أحمد النيسابوري، وله من التصانيف: كتاب جامع الأمثال، جيد بالغ، كتاب السامي في الأسامي، كتاب النموذج في النحو، كتاب الهادي للشادي، كتاب النحو الميداني، كتاب نزهة الطرف في علم الصرف، كتاب شرح المفضليات، كتاب منية الراضي في رسائل القاضي، وفي كتاب السامي في الأسامي يقول أسعد بن محمد المرساني

هذا الكتاب الذي سماه بالسامي
ماصنفت مثله في فنه أبداً
فيه قلائد ياقوت مفصلة
فكعب أحمد مولاي الإمام سما
درج من الدر بل كنز من السام
خاطر الناس من حام ومن سام
لكل أوع ماضى العزم بسام
فوق السماكين من تصنيفه السامي

وسميت في المفاوضات ممن لا أحصى: أن الميداني لما صنف كتاب الجامع في الأمثال، وقف عليه أبو القاسم الزمخشري، فحسده على جودة تصنيفه، وأخذ القلم وزاد في لفظة الميداني نوناً، فصار التميداني، ومعناه بالفارسية: الذي لا يعرف شيئاً فلما وقف الميداني على ذلك، أخذ بعض تصانيف الزمخشري، فصير ميم نسبته نوناً فصار الزنخشري، معناه مشترى زوجته وذكر محمد بن أبي المعالي، بن الحسن الخواري في كتابه ضالة الأديب، من الصحاح والتعذيب، وقد ذكر الميداني فقال: وسمعت غير مرة من كتاب أصحابه يقولون: لو كان للذكاء، والشهامة، والفضل، صورة، لكان الميداني تلك الصورة، ومن تأمل كلامه، واقتفى أثره، علم صدق دعواه. وكان ممن قرأ عليه وتخرج به، الامام أبو جعفر أحمد ابن علي المقرئ البيهقي، وابنه سعيد، وكان اماماً بعده. قال عبد الغافر ابن اسماعيل: ومن اشعاره:

تنفس صبح الشيب في ليل عارض
فلما فشا عاتبته فأجابني
فقلت عساه يكتفي بعذاري
ألا هل يرى صبح بغير نهار

وذكره أبو الحسن البيهقي في كتاب وشاح الدمية فقال: الامام استاذنا صدر الأفاضل، أبو الفضل، أحمد ابن محمد ابن أحمد الميداني، صدر الادباء، وقدوة الفضلاء، قد صاحب الفضل في أيام نفذ زاده. وفني عتاده، وذهبت عدته، وبطلت اهبتة، فقوم سناد العلوم، بعد ما غيرتها الايام بصروفها، ووضع انامل الافاضل، على خطوطها وحروفها، ولم يخلق الله تعالى فاضلاً في عهده، إلا وهو في مائدة ادايه ضيف، وله بين بابه وداره شتاء وصيف، وما على من عام لجج البحر الخضم، واستنزف الدرر ظلم وحيف، وكان هذا الامام يأكل من كسب يده، وما انشدني رحمة الله لنفسه:

حننت اليهم والديار قريبة
وقد كنت قبل البين لا كان بينهم
وتحت سجوف الرقم اغيد ناعم
وينض علينا السيف من جفن مقلة
فكيف اذا سار المطي مراحل
اعاين للهجران فيهم دلألا
ينيس كخوط الخيزرانة مائلا
تريق دم الابل في الحب باطلاً
وتسكرنا لحظ ولفظ كأنما
بفيه وعينيه سلافة بابلأ

وله أيضاً:

شفة لماها زاد في الامي
قد ضمنا جنح الدجى وللثمننا
ثم ذكر البيتين اللذين أولهما:
تنفس صبح الشيب في ليل عارض
ياكاذب اصبح في كذبه
وناطق ينطق في لفظة
شبهك الناس بعرقوبهم
فقلت: كلا، انه كاذب
في رشف ريقها شفاء سقام
صوت كقطك الرؤوس الأقسام
وقد مر ذكرهما انفاً، ثم قال: وله :
عجوبة اية اعجوبة
واحدة سبعين اكذوبة
لما رأوا اخذك اسلوب
عرقوب لا يبلغ عرقوبه

ثم ذكر وفاته كما تقدم في رواية عبد الغافري، ثم ذكر ولده سعيد، وقد ذكرناه في بابه

أحمد بن محمد الصلحي، أبو الخطاب

كان أديباً، فاضلاً، كاتباً، حسن الخط، وله شعر رفيق سائر، ذكره أبو سعد في المذيل، وأورد له هذين البيتين وهما:
يا راقد العين عيني فيك ساهرة
انني ارى منك عذب الثغر عذبني
وفارغ القلب: قلبي فيك ملأت ما الآن
واسهر الجفن، جفن منك وسنان

أحمد بن محمد، الأخسكيثي

بن القاسم، بن أحمد، بن خديو الأخسكيثي أبو رشاد، الملقب بذي الفضائل. مات ليلة الاحد الثامن من جماد الاولى، سنة ثمان وعشرين وخمسائة، وأخيكث مدينة من فرغانة، يقال بالثاء والثاء، وكان هو واخوه ذو المناقب محمد، اديبي مرو، غير مدافعين، يقر لهما بذلك كلهم، قدما مرو وسكناه الى ان ماتا. وكان ذو الفضل هذا شاعرا اديباً، مصنفًا كاتباً، مترسلاً في ديوان السلاطين وله تصانيف، منها: كتاب في التاريخ، كتاب في قولهم كذب عليك كذا، كتاب زوائد في شرح سقط الزند، وغير ذلك. قرأت في ديوان شعره بخطه، انشدت لابي العلاء:

هفت الحنيفة والنصارى ما اهدت
اثنان اهل الارض: ذو عقل بلا
وموجس حارت واليهود مظلة
الدين اخذه وتاركه
دينا، واخر دين لا عقل له فقلت له مجيباً له :
رجلان اهل الارض قلت فقل:
لم يخف رشدهما وغيهما
يا شيخ سوء انت ايهما؟

ذكره السمعاني في مشيخته، فقال: كان اديباً، فاضلاً، بارعاً، له الباع الطويل في معرفة النحو واللغة، واليد الباسطة في النظم والنثر، وله ورود على جماعة من قدماء الفضلاء، ومشاعرات ومنافرات، مع الفحول والكبراء، وكان اكثر فضلاء خراسان، قرأوا الادب عليه، وتتلذذوا له، سمع بأخسيكث: أبي القاسم محمود ابن محمد الصوفي، وبمرو: جدي ابي المضفر السمعاني، سمعت كتاب الاداب والمواعظ، للقاضي أبي سعد الخليل ابن أحمد السجزي، بروايته عن محمود الصيرفي، عن أبي عبيد الكرواني، عن المصنف. كانت ولادته في حدود سنة ست وستين واربعمئة. وتوفي بمرو فجأة ليلة الاثنين، لاربع ليال بقين من جماد الاخرة، سنة ثمان وعشرين وخمسائة.

أحمد ابن محمد الأبي، أبو العباس

كان من أهل أبة، من ناحية برقة، وسافر إلى اليمن تاجراً، واجتمع بأبي بكر السعدي بعدن وحدثني المولى المفضل، جمال الدين بقصته مع السعدي عنه، انه سمعها منه، ثم قدم الاسكندرية واقام بها، فجرى بينه وبين القاضي شرف الدين عبد الرحمن، ابن قاضي الاسكندرية ما احوجه الى قدومه الى القاهرة، وشكا منه إلى صاحب صفى الدين شكر، فلم يشكه، فاقام بالقاهرة إلى ان مات، وكان شكواه من قطع رزقه، من مسجد كان يصلى فيه، او نحو ذلك، وكان قدومه إلى القاهرة، سنة ست وستين وخمسائة ومات بعد ذلك في نحو سنة ثمان وتسعين وصنف كتاباً في النحو، رأيته بخطه، وهي مسائل منثورة حدثني المولى القاضي المفضل، جمال الدين قال: دخلت إلى صاحب أبي بشر وهو في مجلسه، فجلست إلى جانبه فأنشدني متمثلاً:

إنك لاتشكو إلى مصمت
فاصبر على الحمل الثقيل أو مت

اشارة الى انه لم يشكه قال أبو زياد الكلابي: ومثل من أمثال العرب: إنك لاتشكو الى مصمت، والتصميت: أن تقول المرأة إذا بكى صبيها الرضيع، وهي مشغولة عنه لبعض صبياتها، أو لزوجها: صمت هذا الصبي، فيأتيه فيحضنه بيده حتى يسكت قال: وحدثني قال: دخلت إلى مجلس الشيخ الموفق أبي الحجاج يوسف، المعروف بابن الخلال، كاتب الإنشاء في ايام المصريين، وكان الموفق قد عمل معي في المرأة نثراً، فقال لمن بحضرته: ماتقولون في قلبي: شيء شديد الباس، يغيره ضعيف الانفاس وذكر كلاماً بعده، فاستدللت بهذه الفاتحة، على انه المرأة، لأن الشديد البأس، هو الحديد، ويغير صفالها النفس، فقلت له ذلك، فاستحسن حدة خاطري انشدني مولانا القاضي، الإمام جمال الدين، أبو الحجاج يوسف بن القاضي الأكرم، علم الدين، أبي طاهر اسماعيل بن عبد الجبار، بن ابي الحجاج، قال انشدني أبو العباس، أحمد بن محمد الأبي، ممتدحاً لى، وكتبته أنا من خطه بيده:

ياخير من فاق الافاضل سوددا
وسما لاعلام المعالي فاحتوى
وامتاز خيماً في الفخار ومحتدا
واذا الرياسة لم تزن بمعارف
فصلاً به يهدي وفضلاً يجتدا
لا تنس من لم ينس ذكرك أحمدا
وعوارف يسدى بها كانت سدا
وافى جنابكم الكريم فأحمدا

ملحاً كزهر الروض باكره النداء
لم تسأم الاسماع منها موردا
يعزى المضاعف في الجميل لمن بدا
فيعود منه نشره متصعدا
عذبا فنصر ما حوته ونضدا
بدءا تملكه بها واستبعدا
شرفا على نظرائه واستجمدا

يهدى الى الأسماع من أوصافكم
مستحسنات كلما كررتها
والفضل فيه لكم ومنكم إنما
كالزهر يسقى الزهر صيب ألقها
جاد الغمام على الكمام بمائه
وإذا امرؤ أسدى لحر نعمة
دعى المفضل إذ تسامى فضله

أحمد بن محمد، الواسطي

بن مختار الواسطي أبو علي النحوي العدل، بن أخي أبي الفتح، محمد بن محمد بن محمد، بن جعفر، بن مختار النحوي، الذي يأتي ذكره فيما بعد، إن شاء الله تعالى مات بعد سنة خمسمائة وله عقب بواسط، أخذ النحو عن أبي غالب بن بشران، وكان منزله مألفا لاهل العلم، وكان من الشهود المعدلين، وكان طحانا بمشركة التتائيرين بواسط حدثني أبو عبد الله محمد بن سعد، بن الحجاج الديلمي، قال: حدثني عبد الوهاب بن غالب، عن الشريف أبي العلاء ابن التقي قال: قدم إلى واسط في بعض الأعوام عسكر الأعاجم، فذهبوا قطعة من البلد، ونبوا دكان الشيخ أبي علي بن مختار، ونزلوا بداره قال الشريف: فدخلت معه إليهم، نستعطفهم أن يردوا عليه بعض ما أخذوا منه، فلم نر لذلك وجهها وخرجنا وهو يقول:

تذكرت ما بين المذيب وبارق
مجر عوالينا ومجرى السوابق
ثم التفت الى فقال: ما العامل في الطرف في هذا البيت؟ فقلت له يا سيدي: ما أشغلك ما أنت فيه عن النحو والنظر فيه! فقال: يا بني، وما يفيدني إذا حزنت؟ وحدث الحافظ أبو طاهر، أحمد بن محمد السلفي قال: أنشدني الشيخ أبو علي أحمد بن محمد، بن مختار المعدل بواسط لنفسه، وأفادني خميس بن علي الحافظ:

كم جاهل متواضع
ومميز في علمه
فدع التكبير ما حبيت
فالكبر عيب للفتى
ستر التواضع جهله
هدم التكبر فضله
ولا تصاحب أهله
أبدا يفبح فعله

وأنشد له:

ما هذه الدنيا بدار مسرة
بيننا الفتى فيها يسر بنفسه
حتى سقته من المنية شربة
فغدا بما كسبت يده رهينة
لو كان ينطق قال من تحت الثرى
وتخونني مكرها لها وخداعا
وبماله يستمتع استمتعا
وحمته منها بعد ذاك رضاعا
لايستطيع لما عراه دفاعا
فليحسن العمل الفتى ما استطاعا

أحمد بن مروان، المؤدب أبو مسهر

من اهل الرملة، عالم باللغة، كان في أيام المتوكل وهو القائل:

غيث وليث: فغيث حين تسأله
يحيا الانام به في الجذب ان قحطوا
حالان ضدان مجموعان فيه فما
كالمرز يجتمع الضدان فيه معا
عرفا، وليث: لدى الهيجاء ضرغام
جودا ويشقي به يوم الوغى الهام
ينفك بينهما بوسى وانعام
ماء ونار وارهام واضرام

أحمد بن مطرف، القاضي

بن إسحاق القاضي أبو الفتح المصري، كان في الدولة المصرية في أيام، الحكم، وله تأليف في الأدب، منها: كتاب النوائح، كتاب كبير في اللغة، ورسالة في الضاد و الطاء، كتب بها إلى الشريف أبي الحسن، محمد بن القاسم الحسيني، عامل تنيس

أحمد بن مطرف، أيم الفتح العسقلاني

كان ياي القضاء بدمياط، ومات في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، ومولده سنة نيف وعشرين وثلاثمائة، وكان أديباً، فاضلاً، وله كتب كثيرة مصنفة في الأدب، وفي اللغة، وغيرهما. وديوان شعره جمعه على نسختين: إحداهما عربية، والأخرى مجردة، يكون دون ألف ورقة، قال ذلك كله أبو عبد الله الصوري الحافظ. وحكى: أنه أنشده قطعة من شعره، وناولته بقيته، وأذن له في روايته عنه، ورواية سائر مصنفاته، قال: ومما أحفظ له من قطعة أنشد فيها لنفسه، أولها:

علمي بعاقبة الأيام يكفيني
وما قضى الله لي: لا بد يأتيني يقول فيها :
ولاخلاف بأن الناس مذ خلقوا
فيما يرومون معكوسو القوانين
إذ ينفق العمر في الدنيا مجازفة
و المال ينفق فيها بالموازين

أحمد بن موسى، بن أبي عمار الحنط

صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام، مات فيما ذكره ابن بنت الغرياني في سنة إحدى وثمانين ومائتين

أحمد بن موسى، بن مجاهد المقرئ

بن العباس، بن مجاهد المقرئ، أبو بكر، قال الخطيب: كان شيخ القراء في وقته، و المقدام منهم على أهل عصره، مات فيما ذكره الخطيب في شعبان، سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، ودفن في مقبرة باب البستان، من الجانب الشرقي، في ربيع الآخر، سنة خمس وأربعين ومائتين، قال الخطيب: وحدث عن عبد الله بن أيوب المخزومي، ومحمد بن الجهم السمري، وخلق غيرهما. وحدث عنه الدار قطني، وأبو بكر الجعابي، وأبو بكر بن شاذان، وأبو حفص بن شاهين، وغيرهم. وكان ثقة مأموناً، يسكن بالجانب الغربي، نحو مربعة الخرسى. حدث أبو بكر الخطيب قال: قال ثعلب النحوى: في سنة ست وثمانين ومائتين: ما بقى من عصرنا هذا، أعلم بكتاب الله، من أبي بكر بن مجاهد. وحدث أبو بكر النحوى قال: صليت خلف أبي بكر ابن مجاهد صلاة الغداة، فاستفتح بقراءة الحمد، ثم سكت، ثم استفتح ثانية، ثم سكت، ثم ابتدأ بالقراءة، فقلت أيها الشيخ، رأيت اليوم منك عجباً. فقال لي: شهدت المكان؟ فقلت: نعم، فقال: أشهدك الله أن لا حدثت به عنى، إلى أن أوارى تحت أطباق الثرى، ثم قال يابنى: ما هو إلا أن كبرت تكبيرة الإحرام، حتى كأني بالحجب قد انكشفت ما بينى وبين رب العزة تعالى سرابسر، ثم استفتحت بقراءة الحمد، فاستجمع كل حمد لله في كتابه ما بين عيني، فلم أدرى بأى الحمدلة أبتدىء؟. وحدث عيسى بن علي، بن عيسى، الوزير قال: أنشدنى أبو بكر بن مجاهد، وقد جئته عائداً، وأطال عنده قوم، كانوا قد حضروا لعيادته، فقال لى يا ابا القاسم، عيادة ثم ماذا؟ فصرف من حضر، ثم هممت بالانصراف معهم، فامرئى بالرجوع إليه، ثم انشدنى عن على بن الجهم السمرى:

لا تضجرن مريضاً جئت عائدته
ان العيادة يوم اثر يومين
بل سلّه عن حاله وادع الاله له
واقعد بقدر فواق بين حلبين
من زار غبا اخا دامت مودته
وكان ذاك صلاحاً للنحليلين.

وحدث الحسين بن محمد، بن خلف المقرئ، قال: سمعت ابا الفضل الزهرى يقول: انتبه أبى في الليلة التى مات فيها أبو بكر بن مجاهد، فقال يابنى: ترى من مات الليلة؟ فانى قد رأيت في منامى، كأن قاتلاً يقول: قد مات الليلة مقوم وحى الله، منذ خمسين سنة، فلما أصبحنا إذا ابن مجاهد قد مات آخر ماتقلناه من تاريخ الخطيب وذكره محمد بن إسحاق في كتابه، فقال: كان ابن مجاهد، مع ما عرف به من الفضل، واشتهر عنه من العلم والنبيل، كثير المداعبة، طيب الخلق، وله من الكتب: كتاب القراءات الكبير، كتاب القراءات الصغير، كتاب الباءات، كتاب الهاءات، كتاب قراءة ابى عمرو، كتاب قراءة ابن كثير، كتاب قراءة عاصم، كتاب قراءة نافع كتاب قراءة حمزة كتاب قراءة الكسائى كتاب قراءة ابن عامر، كتاب قراءة النبى صلى الله عليه وسلم، كتاب السبعة كتاب انفرادات القراء السبعة كتاب قراءة على بن ابى طالب رضى الله عنه نقلت من خط أبى سعد السمعي واختياره لتاريخ يحيى بن مندة سمعت الامام ابا المظفر عبد الله بن شيث المقرئ يقول: سمعت أحمد بن منصور المذكر يقول: سمعت ابا الحسن بن سالم البصري الصوفى يقول: وهو صاحب سهل بن عبد الله التستري قال: سمعت ابا بكر محمد بن مجاهد المقرئ يقول: رأيت رب العزة في المنام؟ فتختمت عليه ختمتين، فلحنت فى موضعين، فاغتممت، فقال يابن مجاهد: الكمال لى، الكمال لى قرأت فى تاريخ خوارزم فى ترجمة ابى سعيد، أحمد بن محمد، ابن حمديج الحمد يجى قال: كنت اختلف إلى ابى بكر

بن مجاهد، المقرئ البغدادي، فكان يكرمي لفقهى، فاشتبهت ات اقرأ عليه، لما رايت من ولوع الناس بالقراءة عليه، فقلت له: اني اريد أن اقرأ عليك القرآن، فقال: نعم، إن كنت تريد القراءة، فاجلس مجلس التلامذة، قال فتحولت من جنبه الى بين يديه، فلما افتتحت القراءة على رسم العامة، وقلت: "بسم الله الرحمن الرحيم" قال: أوكذا تقرأ؟ إذهب الى ذلك الفتى حتى يرشدك، ثم اقرأ علي، فخلجت من ذلك، وترك إكرامي، كما كان يكرمني قبل ذلك، لما عرف بضاعتي في القراءة وقال التنوحي: بلغني عن أبي بكر بن مجاهد أنه قال: الناس أربعة: مليح يتبغض لملاحته فيحتمل، وبغيض يتملح، فذاك الحمى، والداء الذي لا دواء له، وبغيض يبغض، فيعذر لأنه طبعه، ومليح يتملح، فتلك الحياة الطيبة ومن تاريخ ابن بشران: كان ابن مجاهد كثيراً ما ينشد:

إذا عقد القضاء عليك أمرا
فليس يحله إلا القضاء

قال: وذكر عن ابن مجاهد: انه حضر وجماعة من اهل العلم في بستان، وداعب وقال: وقد لاحظته بعضهم التعاقل في البستان، كالتخالع في المسجد وروى عن ابى طالب الهاشمي صهر ابى بكر بن مجاهد قال: كنت عند ابن مجاهد وقد حضرته الوفاة، فقال لي: اخرج من ههنا من اهلنا، قال: ففعلت ذلك، ثم قال لي: وتباعد انت ايضا، فوقفت عنه بعيدا، فاستقبل القبلة، واقبل يتلو آيات من القرآن، ثم خفت صوته، فلم يزل يتشاهد الى ان طفا قال: وكان له جاه عريض عند السلطان، وسأله بعض اصحابه كتابا الى هلال بن بدر في حاجة له، فكتب إليه كتابا وختمه، ولم يقف عليه، فلما صار الى هلال وسلم اليه الكتاب، قضى حوائجه، وبلغ له فوق ما اراد، فلما اراد ان ينصرف، قال له: تدرى ما في كتابك؟ قال: فاخرجه وفيه: "بسم الله الرحمن الرحيم" حامل كتابي إليك، حامل كتاب الله عني والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين.

أحمد النهر جوري،

أبو أحمد الشاعر العروضي له في العروض تصانيف، وهو به عارف حاذق، يجرى مجرى أبي الحسن العروضي والعمرائي وغيرهما فيه، وهو مع ذلك شاعر متوسط الطبقة، وهو من أهل البصرة حدثني أبو الحسن، عن علي بن محمد بن نصر الكاتب، قال: اجتمعت به بالبصرة في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وانا في جملة ابى الحسن بن ماسرجيس، وسافرنا عنها الى ارجان مع بهاء الدولة، وخرج النهرجوري معنا، واقام في مصاحبته، إلى ان تقلد أبو الفرج، محمد بن علي الخازن البصرة في اواخر سنة اثنتين واربعمائة، فعاد معه اليها، ثم وردتها في ذى القعدة، سنة ثلاث واربعمائة، متصلا بخدمة "شاهنشاه" الاعظم، جلال الدولة بن بهاء الدولة، وقد مات النهرجوري قبل ذلك بشهور، بعلقة طريفة، لحقته من ظهور القمل في جسمه، عند حكه اياه، الى ان مات وكان شيخا قصيرا، شديد الأدمة، سخيף اللبسة، وسخ الجملة، سيء المذهب، متطاير بالالحاد، غير مكاتم له، ولم يتزوج قط، ولا اعقب، وكان اقوى الطبقة في الفلسفة، وعلوم الاوائل، ومتوسطا في علوم العربية وعلمه بها اكثر من شعره، وكان ثلاثة للناس هجاء قليل الشكر لمن يحسن إليه، غير مراعاة لجميل يسدى إليه وانشدني اشياء كثيرة من شعره، ومنه:

من عاذري من رئيس
بعد كسيي حسبي
لما انقطعت إليه
وصلت منقطعا بي

فسمع ذلك أبو العباس بن ماسرجيس، فقال: هذا تليس منه، وانا المقصو بالهجو، وانا قال: من عذيري من وزير، وقد راقبني في تعبيره، فلما توفي النهرجوري، حمل إلى ابى العباس مسوداته، فوجد فيها القطعة منسوبة اليه، فاخرجها ووقفني عليها، وعرفني صحة حدسه فيه ومن شعره في أبي الوفاء بن الصقيل:

ما استخرج المال بمثل العصا
ليس قد اخرج موسى بها
لطالبه من أبي الغدر
لقومه الماء من الصخرة

وله ايضا:

صاح نديمي وشفه الطرب
نار إذا الماء مسها زفرت
ياقومنا ان امرنا عجب
كأنها لالتهابها حطب

وله يهجو طبيبا من أهل الابلية، يعرف بأبي غسان وكان قد أغرى بهجائه:

ياطبيبيا داوى كساد ذوي الأكفان
إن تكن قد وصلت رزقهم فيها
حتى أعادهم في نفاق
فكم قد قطعت من أرزاق؟
وقع الله في جبينك للأرزاق
إن ودع وداع الفراق

وله فيه ايضا:

يا بن غسان أنت ناقضت عيسى
يشهد القلب أنه يقدم الغاسل
فهو يحيي الموتى وأنت تميت
أو إن دسته تابوت

وقال في أبي إسحاق الصابي، بمدحه وهو بالبصرة بقصيدة أولها:

لا يذهبن عليك في العواد
ضعف القوى وتفتت الأكباد
لا تسألني عني سواك فإنما
ذكراك أنفاسي وحبك زادي
يا سمحة بدمي على تحريره
فيما يظن أصادق وأعادي
حاشاك أن ألقاك غير بخيلة
أو أن أرى ما لا ترين رشادي
وله يهجو امرأة:

تموت من شهوة الضراط ولا
يسعدها دبرها بتصويت
كأنما إيتاك خابية
تظل ملقية لترفيت

وله أيضاً:

لو كان يورث بالتشابه ميت
لملكت بالأعضاء ما لا يملك
ثعل مختله تخبر أنه
في الناس من نطف الجميع مشبك

قالوا: ولم يكن وسخه وقذارته عن فقر، فإن حاله كانت مستقيمة حسنة، بل كانت لعادة سيئة فيه، وكان الناس يتقون لسانه وكثرة هجائه، قال ابن نصر: ومدح أبو أحمد النهرجوري أبا الفرج منصور بن سهل المجوسي عامل البصرة، فأعطاه صلة حاضرة هنية، والتف به الحواشي، فكتب رقعة ودفعها إلى بعض الداخلين إليه، وقال تسلم هذه إلى الأستاذ وكان فيها:

أجارني الأستاذ عن مدحتي
جائزة كانت لأصحابه
ولم يكن حظي منها سوى
جربذتي يوماً على بابه
فلما وصلت إليه الرقعة، خرج في الحال من صرف الحواشي عنه، وصار معه حتى دخل منزله:

أحمد بن نصر، بن الحسين البازريار

أبو علي كان نديماً لسيف الدولة بن حمدان، وكان أبوه نصر بن الحسين من ناقلة سامراء، واتصل بالمعتضد وخدمه، وخف على قلبه، وأهله من خرسان، وكان يتعاطى لعب الجوارح فرد إليه المعتضد نوعاً من أنواع جوارحه، ومات أبو علي بحلب، في حياة سيف الدولة، وله من الكتب كتاب تهذيب البلاغة ذكر ذلك كله محمد بن إسحاق النديم. قال ثابت بن سنان: مات أبو علي أحمد بن نصر، بن البازريار بالشام، في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، وحدث أبو جعفر طلحة بن عبد الله بن قناش، صاحب كتاب القطاة قال: كنا بحضرة سيف الدولة، وقد كان من ندمائه، قال: كان يحضر معنا مجلسه أبو نصر النبط، وكان رجلاً من أهل نيسابور، أقام ببغداد قطعة من أيام المقتدر، وبعدها إلى أيام الراضي، وكان مشهوراً بالطيبة والخلاعة، وخفة الروح، وحسن المحاضرة، مع العفة والستر، وتقلد الحكم في عدة نواح بالشام، فقبل له يوماً بحضرة سيف الدولة: لم لقبك النبط؟ فقال: ما هذا لقب، وإنما هو اشتقاق من كنييتي، كما لو أردنا أن نشق من أبي على مثل هذا "وأوماً إلى ابن البازريار" لقلنا: البعل. أو اشتققنا من أبي الحسن "وأوماً إلى سيف الدولة" لقلنا: البجس، فضحك سيف الدولة منه، ولم ينكر عليه، وقد استدلت بهذه الحكاية، على عظم قدر ابن البازريار عند سيف الدولة، إذ قرن اسمه باسمه. قال أبو علي عبد الرحمن بن عيسى، بن الجراح في تاريخه: لما ورد ناصر الدولة إلى بغداد، وقد رد إليه تدبير العساكر، وإمرة الأمراء، قلد الوزير أبو إسحاق محمد بن أحمد القراريطي، إبراهيم بن أخى أبي الحسن على بن عيسى، أصل ديوان المشرق، وزمام البر، وزمام المغرب، وزمام المنبع وديوان الفراتية، مدة من الزمان، ثم استشفع إلى الوزير، أحمد بن نصر البازريار، بآبن مكرم كاتب ناصر الدولة، فقلده ديوان المشرق، وزمام البر، وزمام المغرب، وعوض أب نصر إبراهيم بن أخى أبي الحسن، علي بن عيسى، صاحب هذه القصة، فإن ضياع ورثة موسى بن بغا الأصل. نقلت هذا من خط إبراهيم ابن أخى أبي الحسن، علي بن عيسى، صاحب هذه القصة، فإن النسخة بالتاريخ كانت بخطه. وذكر هلال أن أحمد ابن نصر البازريار، كان ابن أخت أبي القاسم، علي بن محمد بن الحواري، وكان أبو العباس الصفري، شاعر سيف الدولة، قد حبس لمحاكمة كانت بينه وبين رجل من أهل حلب، فكتب إلى ابن البازريار في محبسه

كذا الدهر بوس مرة ونعيم
فلا ذا ولا هذا يكاد يدوم
وذو الصبر محمود على كل حالة
وكل جزوع في الأنام ملوم

يقول فيها:

أترضى الطمأى قاض بحبسه
إذا اختصمت يوماً إليه خصوم؟
وإن زماناً فيه يحبس مثله
لمثلي، زمان ما علمت لثيم

إذا هب من نحو الأمين نسيم
لها في دجى الخطب البهيم نجوم؟
غدا قاضياً فالأمر فيه عظيم
كريم نماء فى الفخار كريم

يكاد فؤادي يستطير صباية
هل أنت ابن نصر ناصر بمقالة
ولائم قاض رد توقيع من به
ومتخذ عندي صنعة ماجد

أحمد بن هبة الله، بن العلاء،

ابن منصور المخزومي أبو العباس، الأديب النحوى، المعروف بالصدر ابن الزاهد، مات فى الثالث عشر من رجب، سنة إحدى عشرة وستمائة، وقد نيف على الثمانين وكان له اختصاص عظيم بالشيخ أبي محمد بن الخشاب لا يفارقه، فحصل منه علماً جماً، وصارت له يد باسطة فى العربية و اللغة، وكان قرأ قبله على أبي الفضل بن الأشتري، وكان كيباً مطبوعاً، خفيف الروح، حسن الفكاهة. وسمع من عبد الوهاب الأنماطى، وابن الماندائى، وغيرهما. أنبأنا أبو عبد الله الديبى، قال: أنشدني أبو العباس، أحمد بن هبة الله الأديب لفظاً، قال: أنشدني الأمير أبو الفوارس سعد بن محمد الصيفى لنفسه:

أجنب أهل الأمر و النهى زورتي
إني لسمح بالسلام لأشعث
وما ذاك من كبر ولكن سجية
ذكره العماد فقال: هو من فقهاء النظامية، ذو الخاطر الوقاد، و القريحة والانقاد وله يد فى العربية و النحو، قرأ على شيخنا أبي محمد الخشاب، وأنشدني لنفسه:

ويريك ضوء البدر فى أزراره
لطف النسيم يهب فى أسحاره

ومهفهف يسببك خط عذاره
حاكت شمائله الشمول وهجنت

وله قصيدة كتبها إلى الملك الناصر يوسف بن أيوب، منها

بين الأنام فمضل أو منعم
حتى تتوسي ما تقدم منهم
عن بعضه وفهمت مالم يفهموا وله أيضاً
فيك المعاني وبحر القول قد نرزا؟
يسمع يظل عليه الدهر معتكفاً

إن الأكاسرة الأولى شادوا العلي
يشكون أنك قد نسخت فعالهم
وسننت فى شرع الممالك ما عملوا
ماذا يقول لك الراجي وقد نفذت
وما له حيلة إلا الدعاء فإن

أحمد بن الهيثم، بن فراس،

بن محمد، ابن عطاء الشامي قال المرزبانى: هو أحد الرواة المكثرين، روى عنه الحسن بن عليل العنزى، وأبو بكر وكيع، قلت: وكان أبوه الهيثم بن فراس، شاعراً مكثراً، وكان جده فراس من شيعة بني العباس، وقد أدرك دولة هشام بن عبد الملك، وله فى أول الدولة أخبار، فحدث المرزبانى بإسناد رفعه إلى الهيثم بن فراس قال: أنشدت عمار بن ثمامة:

مشمرة إذا حضر الطعام
فلا أمة تجيب ولا غلام

ينادي الجار خادمة فتسعى
وأدعو حين يحضرني طعامي

وحدث عن محمد، بن العباس عن المبرد قال: قال الهيثم بن فراس فى المفضل بن مروان، وزير المعتصم:

فقبلك كان الفضل، والفضل و الفضل
أبادهم الموت المشتت والقتل

تجبرت يافضل بن مروان فاعتبر
ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم

يريد الفضل بن يحيى، و الفضل بن الربيع، و الفضل ابن سهل.

ستودى كما أودى الثلاثة من قبل

فإنك قد أصبحت فى الناس ظالماً

أحمد بن يحيى، البلاذري

بن جابر، بن داوود البلاذري أبو الحسن، وقيل أبو بكر، من أهل بغداد ذكره الصولي في ندماء المتوكل على الله، مات في أيام المعتمد على الله إلى أواخرها، وما أبعد أن يكون أدرك أول أيام المعتضد، وكان جده جابر يخدم الخصيب صاحب مصر، وذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق، فقال: سمع بدمشق هشام بن عمار، وأبا حفص عمر ابن سعيد، وبحمص محمد بن مصفى، وبأنطاكية محمد ابن عبد الرحمن بن سهم، وأحمد بن مرد الأنطاكي، و بالعراق عفان بن مسلم، وعبد الأعلى بن حماد، وعلى ابن المديني، وعبد الله بن صالح العجلي، ومصعبا الزبيري، وأبا عبيد القاسم بن سلام، وعثمان بن أبي شيبة، وأبا الحسن على بن محمد المدائني، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي، وذكر جماعة قال: وروى عنه يحيى بن النديم، وأحمد بن عبد الله بن عمار، وأبو يوسف، يعقوب بن نعيم قرقارة الأرزاني. قال محمد بن إسحاق النديم: كان جده جابر، يكتب للخصيب صاحب مصر، وكان شاعراً، وراوي، ووسوس آخر أيامه فشد بالمارستان، ومات فيه، وكان سبب وسوسته، أنه شرب ثمر البلاذر على غير معرفة، فلحقه مالحقه. وقال الجهشيارى في كتاب الوزراء: جابر بن داوود البلاذري، كان يكتب للخطيب بمصر، هكذا ذكر. ولا أدري أيهما شرب البلاذر؟ أحمد بن يحيى، أو جابر بن داود؟ إلا أن ما ذكره الجهشيارى، يدل على أن الذي شرب البلاذر هو جده، لأنه قال: جابر بن داود، ولعل ابن ابنه، لم يكن حينئذ موجوداً، والله أعلم. وكان أحمد بن يحيى بن جابر، عالماً فاضلاً، شاعراً، رواية نسابة، متقناً، وكان مع ذلك، كثير الهجاء، بذيء اللسان، أخذ الأعراض، وتناول وهب بن سليمان، بن وهب، لما شرط فمزقه، فمن قوله فيه، وكانت الضرطة بحضرة عبد الله بن يحيى، بن خاقان:

أيا ضرطة حسبت رعه
تتوق في سلها جهده
تقدم وهب بها سابقاً
وصلى أخو صاعد بعده
لقد هتك الله ستريهما
كذا كل من يطعم الفهده

وقال أحمد بن يحيى، بن جابر، يهجو عافية بن شيب:

من رآه فقد رأى
عريباً مدلساً
ليس يدري جليسه
أفسا أم تنفسا؟

وحدث علي بن هارون، بن النجم في أماليه عن عمه قال: حدثني أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري قال: لما أمر المتوكل إبراهيم بن العباس الصولي، أن يكتب فيما كان أمر به من تأخير الخراج، حتى يقع في الخامس من حزيران استفتاح الخراج فيه، كتب في ذلك كتابه المعروف، وأحسن فيه غاية الإحسان، فدخل عبيد الله بن يحيى على المتوكل، فعرفه حضور إبراهيم ابن العباس، وإحضاره الكتاب معه، فأمر بالإذن له فدخل، وأمره بقراءة الكتاب، فقرأه، واستحسنه عبيد الله بن يحيى، وكل من حضر، قال البلاذري: فدخلني حسد له، فقلت: فيه خطأ، قال: فقال المتوكل: في هذا الكتاب الذي قرأه على إبراهيم خطأ؟ قال: قلت: نعم، قال: يا عبيد الله وقفت على ذلك؟ قال: لا، والله يا أمير المؤمنين، ما وقفت فيه على خطأ، قال: فأقبل إبراهيم بن العباس على الكتاب يتدبره، فلم ير فيه شيئاً، فقال يا أمير المؤمنين: الخطأ لا يعرى منه الناس، وتدبرت الكتاب، خوفاً من أكون قد أغفلت شيئاً وقف عليه أحمد بن يحيى، فلم أر ما أنكره، فليعرفنا موضع الخطأ، قال: فقال المتوكل: قل لنا ما هو هذا الخطأ الذي وقفت عليه في هذا الكتاب؟ قال: فقلت هو شيء لا يعرفه إلا على بن يحيى النجم، ومحمد بن موسى، وذلك أنه أرخ الشهر الرومي بالليالي، وأيام الروم قبل ليلائها، فهي لا تؤرخ بالليالي، وإنما يؤرخ بالليالي الأشهر العربية، لأن ليلائها قبل أيامها بسبب الأهلة، فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين، هذا مالا علم لي به، ولا أدعي فيه ما يدعى، قال: فغير تاريخه. قال الجهشيارى: وقال أحمد بن يحيى، البلاذري في عبيد الله بن يحيى وقد صار إلى بابه فحجبه:

قالوا: اصطبارك للحجاب مذلة
عار عليك به الزمان و عاب
فأجبتهم: ولكل قول صادق أو
كاذب عند المقال جواب
إنى لأغتر الحجاب لماجد
أمست له منن على رغب
قد يرفع المرء اللثيم حجاب
صناعة ودون العرف منه حجاب

وحدث الجهشيارى قال: حدثني ابن أبي العلاء الكاتب، قال: حدثني أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري قال: دخلت إلى أحمد بن صالح بن شيرزاد، فعرضت عليه رقعة لي فيها حاجة، فتشاغل عني فقلت:

تقدم وهب سابقاً بضراطه
وصلى الفتى عبدون و الناس حضر
وإني أرى من بعد ذاك وقبله
بطوناً لناس آخرين تقرقر

فقال ياأبا الحسن: بطن من؟ فقلت: بطن من لم يقض حاجتى، فأخذ الرقعة، ووقع فيها بما أردت. وقال أحمد بن يحيى: يهجو صاعداً وزير المعتمد:

أصاعد قد ملأت الأرض جوراً
وقد سست الأمور بغير لب
وساميت الرجال وأنت وغد
لثيم الجد ذوعي وعيب

أضل عن المكارم من دليل

وأكذب من سليمان بن وهب

وقد خبرت أنك حارثي

فرد مقالتي أولاد كعب

قلت: أما سليمان بن وهب فمعروف، وأما دليل: فهو دليل بن يعقوب النصراني، أحد وجوه الكتاب، كان يكتب لبغا التركي، ثم توكل للمتوكل على خاصته. وحدث أبو القاسم الشافعي، في تاريخ دمشق بإسناده قال: قال أحمد بن جابر البلاذري: قال لي محمود الوراق: قل من الشعر ما يبقى ذكره، ويزول عنك إثمه، فقلت

إستعدي يانفس للموت واسعي

لنجاهة فالحازم المستعد

قد تثبت أنه ليس للحي

خلود ولا من الموت بد

إنما أنت مستعيرة ما سوف

تردين والعواري ترد

أنت تسهين والحوادث لا تسهو،

وتلهين والمنايا تجد

لا ترجى البقاء في معدن الموت

ودار حقوقها لك ورد

أي ملك في الأرض أم أي حظ

لأمرى حظه من الأرض لحد

كيف يهوى أمرؤ لذادة أياماً

عليه الأنفاس فيها تعد

ومن شعر البلاذري، الذي رواه المرزباني في معجم الشعراء:

يا من روى أدباً ولم يعمل به

فيكيف عادية الهوى بأديب

ولقلما تجدي اصابة صائب

أعماله أعمال غير مصيب

حتى يكون بما تعلم عاملاً

من صالح فيكون غير معيب

قال ابن عساكر في كتابه: وبلغني أن البلاذري كان اديباً، راوية، له كتب جياداً، ومدح المأمون بمدايح، وجالس المتوكل، ومات في أيام المعتمد، ووسوس في آخر عمره. قال المؤلف: هذا الذي ذكره ابن عساكر، من كلام المرزباني في معجم الشعراء بعينه. وقال محمد ابن اسحاق النديم: وله من الكتب: كتاب البلدان الصغير، كتاب البلدان الكبير لم يتم، كتاب جمل نسب الأشراف، وهو كتابه المعروف بالمتهور، كتاب عهد أردشير، ترجمه بشعر. قال: وكان أحد النقلة من الفارسي إلى العربي، كتاب الفتوح وحدث الصولي في كتاب الوزراء: حدثني أحمد ابن محمد الطالقي قال: لي أحمد ابن يحيى البلاذري: كان بيني وبين عبيد الله ابن يحيى، ابن خاقان حرمة، منذ أيام المتوكل، وماكنت أكلفه حاجة لإستغناء عنه، فنالتني في أيام المعتمد على الله إضافة، فدخلت إليه وهو جالس للمظالم، فشكوت تأخر رزقي وثقل ديني، وقلت: إن عيب على الوزير - أعزه الله - حاجة مثلي في أيامه، وغض طرفه عني، فوقع لي ببعض ما أردت، وقال: أين حياؤك المانع لك من الشكوى على الاستبطاء؟ فقلت: غرس البلوى، يثمر ثمر الشكوى، وانصرفت، وكتبت إليه:

لحاني الوزير المرتضى في شكائتي

زماناً أكلت للجذب محارمه

وقال: لقد جاهرتنني بملامة

ومن لي بدهر كنت فيه أكاثم

فقلت: حياء المرء ذو الدين والتقى

يقل إذا قلت لديه دارهم

وحدث الصولي عن محمد ابن علي: أن البلاذري امتدح أبا الصقر، اسماعيل بن بلبل، وكتب إليه كتاباً حسناً، وسأله أن يطلق له شيئاً من ارزاقه ووعد فلم يفعل، فقال:

تجائف إسماعيل عني بوده

ومل إخائي واللئيم ملول

وأن امرؤ يغشى أبا الصقر راغباً

إليه ومغترا به لدليل

وقد علمت شيبان أن لست منهم

فماذا الذي إن أنكروك تقول؟

ولو كانت الدعوى تثبت بالرشى

لثبت دعواك الذين تنيل

ولكنهم قالوا مقالاً فكذبوا

وجأؤوا بأمر ماعليه دليل

وله فيما أورده عبيد الله ابن ابي طاهر:

لما رأيتك زاهياً

ورأيتني أجفى ببابك

عديت رأس مطيتي

وحجبت نفسي عن حجابك

أحمد ابن يحيى، ابن يسار،

أبو العباس ثعلب الشيباني، مولاهم النحوي اللغوي، إمام الكوفيين في النحو واللغة، والثقة، والديانة. ولد فيما ذكره المرزباني عن مشايخه، سنة مائتين، ومات لثلاث عشرة ليلة بقيت من جماد الأولى، سنة إحدى وتسعين ومائتين، في خلافة المكتفي ابن المعتضد، وقد بلغ تسعين سنة وأشهر وكان رأى أحد عشر خليفة، أولهم المأمون وأخبرهم المكتفي وكان قد ثقل سمعه قبل موته، ودفن في مقابر باب الشام، في حجرة اشترى له، وبنيت بعد ذلك، وقربره هناك معروف، ورد ماله على ابنته، وكان خلف إحدى وعشرين ألف درهم، وألفي دينار، ودكاكين بباب الشام، قيمتها ثلاثة آلاف دينار، وضاع له قبل أحمد الصيرفي ألف دينار، وكان يتجر له بها، ذكر ذلك عبد الله ابن الحسين القطر بلى في تاريخه: حدث المرزباني عن أبي العباس، محمد ابن طاهر الطاهري، وكان أبو العباس ثعلب، يؤدب أباه طاهر ابن محمد، بن عبد الله، بن طاهر، قال: كان سبب وفاة أبي العباس ثعلب، أنه كان في يوم جمعة قد انصرف من الجامع بعد صلاة العصر، وكان يتبعه جماعة من أصحابه إلى منزله، أنا أحدهم، فتنبعناه في تلك العشية، إلى أن صرنا إلى درب قد أسماه بناحية بابل باب الشام، وأنفق أن ابناً لإبراهيم ابن أحمد المادرائي، يسير من وراءنا على دابة، وخلفه خادم له على دابة، قد قلق واضطرب، وكان في تلك العشية بيده دفتراً ينظر فيه وقد شغله عما سواه، فلما سمعنا صوت حوافر الدواب خلفنا، تأخرنا عن جادة الطريق، ولم يسمع أبو العباس لصممه صوت الحوافر، فصدته دابة الخادم، فسقط على رأسه في هوة من الطريق، أخذ ترابها، فلم يقدر على القيام، فحملناه إلى منزله، كالمختلط يتأوه من رأسه، وكان سبب وفاته - رحمه الله - . وحدث المرزباني عن أحمد بن محمد العروضي قال: إنما فضل أبو العباس أهل عصره، بالحفظ للعلوم التي يضيق عنها الصدور، وقد كان أبو سعيد السكري كثير الكتب جداً، فكتب بيده مالم يكتبه أحداً، فكان في الطرفان، لأن أبا سعيد، كان غير مفارق للكتاب عند ملاقة الرجال. وأبو العباس لا يمس بيده كتاباً إلا على حفظه، وثقة بصفاء ذهنه. قال الخطيب: سمع يعني ثعلبة، محمد بن سلام الجمحي، ومحمد بن زياد الأعرابي، وعلي ابن المغيرة الأكثر، وإبراهيم بن المنذر الحراني، وسلمة بن عاص، وعبيد الله بن العمر القواريري، والزبير بن بكار، وخلق كثيرة. وروى عنه محمد ابن العباس اليزيدي، وعلي ابن سليمان الأخفش، وإبراهيم بن محمد، بن عرفة نفطويه، وأبو بكر بن الأنباري، وأبو عمر الزاهد، وأبو الحسن بن المقسم، وأحمد ابن كامل القاضي وخلق كثير. وكان يقول: سمعت من القواريري مائة ألف حديث. قرأت بخط أبي سالم الحسن ابن علي: نقلت من خط الحسن بن علي المقله، قال أبو العباس أحمد بن يحيى ابتدأت النظر في العربية، والشعر واللغة، سنة ست عشرة، ومولد سنة مائتين، في السنة الثانية من خلافة المأمون. قال أبو العباس: ورأيت المأمون لما قدم من خراسان في سنة أربع ومائتين وقد خرج من باب الحديد، وهو يريد قصر الرصافة، والناس صفان في المصلى، قال: وكان أبي قد حملني على يده، فلما مر المأمون، رفعتني وقال لي: هذا المأمون، وهذه سنة أربع، فحفظت ذلك إلى هذه الغاية وحذقت العربية، وحفظت كتب الفراء كلها، حتى لم يشذ عني حرف منها، ولي خمس وعشرون سنة، وكنت أعنى بالنحو، أكثر من عناية بغيره، فلما أتقنته، أكببت على الشعر، والمعاني، والغريب، ولزمت أبا عبد الله ابن الأعرابي، بضع عشرة سنة، وأذكر يوماً وقد صار إلى أحمد بن سعيد ابن سليم وأنا عنده وجماعة منهم السدري، وأبو العالية، فأقام وتذكروا شعر الشماخ، وأخذوا في البحث عن معانيه، والمسألة عنه، فجعلت أجيب ولا أتوقف وابن الأعرابي يسمع، حتى أتينا على معظم شعره، فالتفت إلى أحمد ابن سعيد يعجبه مني. قال أبة العباس: قلت لابن ماسويه في علة شكوتها إليه، ماتقول في الحمام: فقال لي: أن تهياً لأنسان بعد أربعين سنة، أن يكون قد قيم حمام فليل، قال أبو العباس: الذي لا ينسب إلهيه، لأنه لا ينم إلا بصله، والعرب لا تنسب إلا إلى اسم تام، والذي وما بعده حكاية، والحكاية لا ينسب إليها، لئلا تتغير. قال أبو العباس: وسئل ابن قادم عنها، وأنا غائب بفارس، فقال: اللذوي فلما قدمت وسنلت، فقلت: لا ينسب إليه وأتيت بهذه العلة، فبلغته، فلما اجتمعنا تجادبنا، ثم رجع إلى قولي. وقال أبو العباس: كنت أصير إلى الرياشي لأسمع منه، وكان نقي العلم، فقال لي يوماً وقد قرئ عليه:

ماتنقم الحرب العوان مني بازل عامين حديث سني

لمثل هذا ولدتني أمي؟ كيف نقول؟ بازل أو بازل؟ فقلت: أتقول لي هذا بالعربية؟ إنما أقصدك لغير هذا يروى بازل وبازل، الرفع على الاستئناف، والخفض على الإتياع، والصب على الحال، فاستحيي وأمسك. قال أبو العباس: ودخلت على محمد ابن عبد الله، بن طاهر، فإذا عنده المبرد وجماعة من أصحابه وكتابه، وكان محمد ابن عيسى وصفه له، فلم قعدت، قال لي محمد ابن عبد الله: ماتقول في قول امرئ القيس؟:

لها متنتان خطاتا كما أكب على ساعديه النمر

قال: قلت أما غريب البيت، فإنه يقال لحم خطا يخطي: إذا كان صلياً مكتنزاً، ووصف فرساً، وقوله أكب على ساعديه النمر: أي في صلابة ساعد النمر، إذا اعتمد على يديه والتمتن: الطريقة الممتدة من عن يمين الصلب وشماله، ومافيه من العربية أنه خطاتا، فلم تحركت التاء أعاد الألف من أجل الحركة والفتحة، قال: فأقبل بوجهه على محمد بن يزيد فقال له محمد: - أعز الله الأمير - إنما أراد خطاتا بالإضافة، أضاف خطاتا إلى ما قال فقلت: ما قال هذا لأحد. قال محمد بن يزيد: بلى سيبويه يقول، فقلت لمحمد بن عبد الله لا والله ما قال سيبويه وهذا كتابه فليحضر، ثم أقبلت على محمد بن عبد الله، وقلت: ما حاجتنا إلى كتاب سيبويه؟ أيقال مررت بالزبدتين طريفي عمرو، فيضاف نعت الشيء إلى غيره؟؟ فقال محمد لصحة طبعه، لا والله ما يقال هذا، ونظر إلى محمد بن يزيد فأمسك ولم يقل شيئاً ففمت ونهض المجلس. قال عبد الله الفقير إليه: لا أدري، لما لا يجوز هذا؟ وما أظن أحداً أن ينكر قول القائل: رأيت الفرسين مر كوي زيد، والا الغلامين عيدي عمرو، ولا الثوبين ذراعتي زيد، ومثله

مررت بالزبيدين طريفي عمر، فيكون مضاف الى عمرو، وهو صفة لزيد، وهذا ظاهر لكل متأمل. قال أبو العباس: لما شاهدني المازني وجاراني النحو، وخرج الى سر من رأى، كان يذكرني ويوجه: الى أخوك يقرئك السلام. قال أبو العباس: قال لي محمد ابن عيسى بحصرة محمد ابن عبد الله: نحن نقدمك لتقدمه الأمير، فقلت له ياشيخ: إني لم أتعلم لتقدمني الأمراء، وإنما تعلمته لتقدمني العلماء. قال أحمد ابن يحيى: كان محمد ابن عبد الله، يكتب ألف درهم واحدة، فإذا مر به ألف درهم واحد أصلحه واحدة، وكان كتابه ينكرون ذلك، ويغلظ عليه ويهابونه، فلا يبتدأونه فيه بشيء، فقال يوم: أتدري لما عمل القراء كتاب البهي؟ قلت لا، قال: لعبد الله أبي، بأمر طاهر الجدي، قلت له: إنه كان قد عمل له كتباً، منها: كتاب المذكور والمؤنث قال ومافيه؟ مثل ألف درهم واحد، ولا يجوز واحدة، ففتح عينيه وتنبه وأقلع. وقال أبو العباس: بعث الي عبدالله ابن اخت أبي الوزير، رقعة فيها خط المبرد: ضربته بلا سيف، قال: أيجوز هذا؟ فوجهت إليه، لا والله ماسمعت بهذا، قال أبو العباس: هذا خطأ البتة لأن لا التبرئة لا يقع عليه خافض ولا غيره، لأنها أداة، وماتقع أداة على أداة. قال العجوزي: صرت إلى المبرد مع القاسم والحسن ابني عبيد الله، بن سليمان، بن وهب، فقال لي القاسم سله عن شيء من الشعر فقلت ما تقول: - أعزك الله - في قول أوس؟:

وغيرها عن وصل الشيب أنه شفيح الي بيض الخدور مدرب

فقال بعد تمكث وتمهل وتمطق: يريد النساء أنس به، فصرنا لا يسترنا منه، ثم صرنا إلى أبي العباس أحمد ابن يحيى، فلم غص المجلس، سألته عن البيت، فقال: قال لنا ابن الأعرابي: إن الهاء في "أنه للشباب" وإن لم يجر له ذكر لأنه علم، والتفت الى الحسن والقاسم فقلت: أين صاحبنا من صاحبكم؟ وقال حمزة: لما مات المازني، خلفه أبو العباس المبرد، وبقي ذكره ببغداد وسامراء، لا يفيض احد منه، الى أن ذكره ابن الأنباري في بعض مصنفاته وأراد أن يضع منه، ويرفع من صاحبه أبي العباس، أحمد ابن يحيى ثعلب، جاري على عادته في العصبية للكوفيين على البصريين، فقال: سمعت أبا العباس يعني ثعلب: عزمت على المضي الى المازني لاناظره، فأنكر ذلك على أصحابنا وقالوا: مثلك لا يصلح أن يمضي إلى بصرى، فيقال غداً إنه تلميذه، فكرهت الخلافة عليه، فأراد ابن الأنباري أن يرفع من ثعلب، فوضع منه، ولم يقتصر على ذلك التقصير بالمازني، حتى قصر بالخليل أيضاً، وزعم أن أبا العباس أحمد ابن يحيى، حكى له أن ابا جعفر الرؤاسي، عمل كتاباً في النحو وسماه الفيصل، فبعث الخليل إليه يستعيه، فوجه به إليه، فقال: والدليل على أن الخليل تعلم النحو من كتاب الرؤاسي ما يوجد في كتاب سيبويه من ذكره، إذ يقول: قال الكوفي: وهذا متى سمع، علم أنه لايقوله إلا عسبي. قرأت في كتاب ابن أبي الأزر، بخط عبد السلام البصري قال: كان بأزادار أبي العباس ثعلب، رجل قد غلب على عقله، فكان ربما خرج فجلس على باب بيته ينظر إلى الناس، فرأى يوماً غلام أبي العباس، وقد أدخل إلى داره خبز أسود فقال له يا أبا العباس: ألا تشتري لك خبز حواري؟ مامعنى هذا الضيق والشؤم؟ فقال: هذا أصلح من الحاجة، وبد للوجه الى الناس فضحك فقال: عجبت لك من هذا الكلام، أما لك هذا، إلا من بذل الوجه والحاجة إلى الطلب منه، لا تقبل بر أحد إن كنت صادقاً فالتفت إلى وقال: قد قال قولاً، ثم أنشدني في الزهد:

زماننا صعب وإخواننا
وقدمضى الناس ولم يبق فيه
وما لنا بلغة أقواتنا
غضم كفيلك على ملكها
أيديهم جامدة البذل
عصرك إلا محكم البخل
مافيه للأسراف من فضل
وأطرش السمع عن العذل

فتعجبت من إنشاد هذا الشعر، بعقب ما خوطب به قال أحمد ابن فارس اللغوي: كان أبو العباس ثعلب، لا يتكلف الأعراب في كلامه كان يدخل المجلس فتقوم له فيقول: أقعدوا أقعدوا بفتح الألف قال ابن كامل القاض: أنشدني أبو بكر ابن العلاف لنفسه لما مات المبرد:

ذهب المبرد وانقضت أيامه
بيت من الأداب أصبح نصفه
فابكوا لما سلب الزمان ووطنوا
ذهب المبرد حيث لا ترجونه
فتزودوا من ثعلب فبكاس ما
واستحلبوا ألفاظه فكأنكم
وأرى لكم أن تكتبوا أنفاسه
فليالحقن بمن مضى متخلف
وليلحقنا مع المبرد ثعلب
خرباً وباق بيتها فسيخرب
للدهر أنفسكم على مايسلب
أبدأً ومن ترجونه فمغيب
شرب المبرد عن قليل يشرب
بسريره وعليه جمع ينحب
إن كانت الأنفاس مما يكتب
من بعده وليذهبن وتذهب

وقال أبو الطيب عبد الواحد اللغوي في كتابه المسمى مراتب النحويين، قال: كان ثعلب يعتمد على ابن الأعرابي في اللغة وعلى سلمة ابن عاصم في النحو، ويروى عن ابن نجدة كتب أبا زيد، وعن الأثرم كتب أبي عبيدة، وعن أبي نصر كتب الأصمعي، وعن عمرو ابن أبي عمرو كتب ابيه، وكان ثقة متقنة يستغني بشهرته عن نعتة وقال: وكان ثعلب حجة، ديناً، ورعاً، مشهوراً

بالحفظ والصدق وإكثار الرواية وحسن الدراية، كان ابن الأعرابي إذا شكى في شيء يقول له: ما عندك يا أبا العباس في هذا؟ ثقة بغزارة حفظه. ولد سنة مائتين، وطلب اللغة والعربية في سنة ست عشرة ومائتين، قال: وابتدأت بالنظر في حدود الفراء وسني ثمانى عشرة سنة، وبلغت خمس وعشرين سنة، وما بقي على مسألة للقراء، إلا وأنا أحفظها، وأحفظ موضعها من الكتاب، ولم يبق شيء من كتب الفراء في هذا الوقت، إلا وقد حفظته. وحدث المزرباني: قال عبد الله بن حسين، بن سعد القطر بلى في تاريخه: كان أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، بن الحفظ، والعلم، وصدق اللهجة، والمعرفة بالغريب، رواية الشعر القديم، ومعرفة النحو على مذهب الكوفيين على ما ليس عليه أحد وكان يدرس كتب الفراء، والكسائي، درسا، وكان متبحرا في مذهب البصريين لا مستخرجا للقياس، ولا طالبا له، وكان يقول: قال الفراء: والكسائي: فإذا سأل عن الحجة والحقيقة في ذلك لم يعرف النظر وكان أبو على أحمد ابن جعفر النحوي ختنه، زوج ابنته، يخرج من منزله وهو جالس على باب داره، فيتخطى أصحابه، ويمضى ومعه دفتره ومحبرته، فيقرأ على أبي العباس المبرد كتاب سيبويه، فيعاتبه أحمد ابن يحيى على ذلك ويقول له: إذا رأى الناس تمضي إلى هذا الرجل تقرأ عليه، يقول ماذا؟ ولم يكن يلتفت إلى قومه قال: وكان ختنه هذا أبو علي يعرف بالدينوري، وكان حسن المعرفة، فسمعت إسحاق المصعبي يقول له: كيف صار محمد ابن يزيد، أعلم بكتاب سيبويه من أحمد ابن يحيى؟ قال: لأن محمد ابن يزيد، قرأه على العلماء، وأحمد ابن يحيى، قرأه على نفسه. قال: ولم يزل ثعلب متقدم عند العلماء منذ أيام حدثته، وكان ضيق النفقة مقتررا على نفسه. حدثني أخي، وكان صاحبه ووصيه قال: دخلت إليه يوما وقد احتجم، وبين يديه طبق فيه ثلاثة أرغفة، وخمس بيضات، وبقل وخل، وهو يأكل، فقلت له: يا أبا العباس، قد احتجمت، ولو أخذ لك رطل لحم وثمان التوابل، ومثله للعيال كان ما له معنى. قال: وسمعت أحمد ابن إسحاق المعروف بابي المدور يقول: كنت أرى عبد الله بن الأعرابي يشك في الشيء، فيقول لثعلب: ما عندك يا أبا العباس في هذا؟ ثقة بغزارة حفظه، ولم يكن مع ذلك موصوفا بالبلاغة، ولا رأيته إذا كتب كتابا إلى بعض إخوانه من أصحاب السلطان، خرج عن طبع العامة، فإذا أخذته في الشعر والغريب، ومذهب الفراء والكسائي، رأيت من لا يفي به أحدا، ولا يتهيا له الطعن عليه، وكان هو ومحمد بن يزيد، عالمين، ختم بهما تاريخ الأدب، أو كان كما قال بعض المحدثين:

وعد بالمبرد أو ثعلب

فلا تك كالجمال الأجر

بهذين في الشرق والمغرب

قال المرزباني: أخبرني الصولي أن عبد الله ابن الحسين بن سعد القطريلي: أنشده هذه الأبيات لنفسه. وحدث محمد ابن أحمد الكاتب قال: حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال: سألتني ابن الأعرابي: كم لك من الولد؟ فقلت: ابنة وأنشدته:

ولم أجب في الليالي حنندس الظلم

والموت أكرم نزالا على الحرم

لولا أميمة لم أجزع من العدم

تهوى حياتي، وأهوى موتها شققا

فأنشدني ابن الأعرابي في المعنى:

لها الموت قبل الليل لو أنها تدري

ولا ختن يرجى أود من القبر

أميمة تهوى عمر شيخ يسره

يخاف عليها جوفة الناس بعده

وحدث عن أبي عبد الله الحكيمي، عن يموت بن المزروع قال: وأراد أبو العباس ثعلب أن يرحل إلى أبي حاتم السجستاني في البصرة، فبلغه أن أبا حاتم أنتشر ذكره يوما، لم رأى جماعة المرد يكتبون في مجلسه، فأراه غلام منهم فقال له: - أصلحك الله - أي لأم هذه؟ قال: لأم كي يابني، فلم يخرج أبو العباس إليه. وحدث الصولي قال: كنا عند أبي العباس أحمد ابن يحيى فقال له رجل: المسجد هذا المعروف، فما المصدر؟ قال: مصدره السجود، قال: فعرفني ما لا يجوز مندا؟ فقال: لا يقال مسجد، وضحك، وقال: هذا يطول إن وصفنا ما لا يجوز، وإنما بوصف الجائز، ليدل على أن غيره لا يجوز. ومثل ذلك أن ماسيويه: وصف لانسان دواء ثم قال له: كل الفروج وشيئا من الفاكهة، وقال: أريد أن تخبرني بالذي لا أكل، فقال: لاتأكلن ولاحماري، ولا غلامي، واجمع كثير من القراطيص وبكر إلي فإن هذا يكثر إن وصفته لك وحدث عن الصولي قال: قال أبو العباس ثعلب: لم أسمع من جماعة كلهم قد رأيتهم، وتمكنت منه، ولو أردت ذلك، ما فاتني عنه جميع ما أطلب، منهم أبو عبيد القاسم ابن سلام وإسحاق الموصلي، وأبو التوبة والنظر ابن حديد، وإنني لا أذكر موت الفراء ذكر جيدا، وأنا في الكتاب. وحدث قال: وقال أبو العباس يوم لآخر: الهرم علة قائمة بنفسها، فإذا كان معه علة، فذاك امر عظيم، وأنشد:

يكل وخطوى عن مداهن يقصر

بغيره والدهر لا يتغير

لما كنت أمشي مطلق قبل أكثر

أرى بصرى في كل يوم وليلة

ومن يصحب الأيام تسعين حجة

لعمري لأن أصبحت أمشي مقيدا

وحدث أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي قال: قال ثعلب: أقعدني محمد ابن عبد الله ابن طاهر، مع ابنه طاهر، وأفرد لي دار في داره، وأقام لنا وظيفة فكنت أقعد معه إلى أربع ساعات من النهار ثم أنصرف إذا أراد الغداء، فنما ذلك إلى أبيه، فكسى اليهود

والأروقة وأضعف ما كان يعد من الألوان، فلما حضر وقت الانصراف، انصرفت فنما ذلك اليه، فقال للخادم الموكل بنا، قد نمت إلى انصراف أحمد بن يحيى وقت الطعام، فلظننت أنه يستقل ما يحضر، ولم يستتطب الموضع فأمرنا بتضعيفه، ثم نمت إلى أنه انصرف، فقل له عن نفسك: بيتك أبرد من بيتنا؟ أو طعامك أطيب من طعامنا؟ وتقول له عنى: انصرفك إلى بيتك وقت الغداء هجنة علينا، فلما عرفني الخادم ذلك، أقمت، فكننت علة هذه الحال، ثلاث عشرة سنة، وكان يقم لي مع ذلك في اليوم، سبعة وظائف من الخبز الخشكار، ووظيفة من الخبز السميد وسبعة أرطال من اللحم، ووعلوفة رأس وأجرى لي في الشهر ألف درهم، ولقد جاءت سنة لفتنته، وعظم الأمر بالدقيق واللحم، فكتب إليه كاتبه على المطبخ، يعرفه ما هو فيه من عظم المؤنة، ويسأله احضار الجليدة، فيقتصر على ما لا بد منه، فأنفذها، فكان مشتملة على ثلاثة آلاف وستمائة إنسان، فرأيت محمدا قد زاد فيها بخطه قوم آخرين، ووقع عليها: لست أقطع عن أحد ما عودته، ولا سيما من قال لي: أطعمنى الخبز، فاجرى الأمر على ما في الجريدة، واصبر على هذه المؤن فيما عشنا جميعاً وإما متنا جميعاً. قال الزبيدي: وخلف كتب جليدة، فوصى إلى علي ابن محمد الكوفي، أحد أعيان تلامذته، وتقدم إليه في دفع كتبه إلى أبي بكر أحمد بن إسحاق القطر بلى، فقال الزجاج للقاسم بن عبيد الله: هذه كتب جليدة، فلا تفوتتك، فاحضر خيران الوراقة، فقوم ما كان يساوى عشرة دنائير ثلاثة، فبلغت أقل من ثلاثمائة دينار، فأخذها القاسم بها. وقال أبو الطيب، عبد الواحد بن العلي اللغوي في كتاب مراتب النحويين: وانتهى علم الكوفيين إلى ابن السكيت، وثلعب، وكان ثقتين أمينين، ويعقوب أسن وأقدم موتاً، وأحسن الرجلين تأليفاً، وكان ثلعب أعلمهما بالنحو، وكان يعقوب يضعف فيه. قال ثلعب: كنت يوماً عند ابن السكيت، فسألني عن شيء فصحته، وكان ثلعب شديد الحدة، قال: فقال لي لاتصح، فوالله ما سألت إلا مستفهماً وحدث أحمد ابن العسكري في كتاب التصحيح قال: وأخبرنا أبو بكر بن الأنباري قال: حدثني أبي قال: قرأ القطر بلى على أبي العباس ثلعب بيت الأعشى:

فلو كنت في حب ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم

فقال أبو العباس: خرب بيتك، هل رأيت حباً قط ثمانين قامة؟ إنما هو جب وحدث الخطيب قال: قال ثلعب: كنت أحب أن أرى ابن حنبل، فلما دخلت عليه قال لي: فيما تنظر؟ قلت: في النحو والعربية فأثندني أبو عبد الله وهو لبعض بنى أسد:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل
ولا تحسبن الله يغفل ما يرى
خلوت، ولكن قل علي رقيب
لهونا على الأثام حين تتابع
ولا أنما تخفني عليه يغيب
فيا ليت أن الله يغفر ما مضى
ذنوب على أثارهن ذنوب
فيأذن في توابتنا فنتوب

وحدث الخطيب قال: قال أبو محمد الزهري: كان لثلعب عزاء لبعض أهله فتأخرت عنه، لأن هفا علي، ثم قصدته معتذراً، فقال لي: يا أبا محمد، ما بك حاجة إلى تكلف عذراً، فإن الصديق لا يحاسب والعدو لا يحتسب له وجدت بخط أبي الحسن، علي ابن عبيد الله، السميسمي اللغوي: حدثنا أبو محمد بن الحسن النوبختي، قال: حدثنا أبو الفتح، محمد ابن جعفر المراغي النحوي قال: حدثنا أبو بكر بن الخيار النحوي: كنت عند أبي العباس ثلعب في بعض الأيام، فسأله رجل وقد ساء سمعه، فقال له: يا أبا العباس، أعزك الله، ما الصوص؟ فقال له: الصوص أصل الجبل، فأعاد الرجل سؤاله، فعلمه بأن الشيخ ما فهم، فقال ثلعب: السوح جمع ساحة، فأعاد سؤالاً ثالثة، فعلم ثلعب أنه ما فهم عن الرجل، قال: فقال له: أدن مني، فألقم أدني فاك وقل: ففعل ذلك، فلما فهم ثلعب سؤاله، قال: نعم، العرب تقول: رأيت صوصاً على أصوص، أي رجل نذل على ناقة الكلمة. حدث الزجاجي أبو القاسم، عن علي بن سليمان الأخفش قال: أخبرنا أحمد ابن يحيى ثلعب قال: قدم الرياشي بغداد، سنة ثلاثين ومائتين، فصرت إليه لأخذ عنه، فقال لي: أسألك عن مسألة؟ فقلت: نعم فقال: تجيز نعم الرجل يقوم؟ فقلت: نعم هي جائزة عند الجميع، أم الكسائي فيضمر، والتقدير عنده نعم الرجل رجل يقوم، لأن نعم عنده فعل، والفراء لا يضم، لأن نعم عند اسم، فيرفع الرجل بنعم، ويقوم الصلة للرجل. وأما صاحبك، يعني سيبويه: فإنه لا يضم شيئاً، ونعم عنده أيضاً فعل، ولكن يجعل يقوم مترجماً وهو الذي يسمونه البذل، فسكت فقلت له: فأسألك عن مسألة؟ فقال: نعم فقلت: أيجوز يقوم نعم الرجل؟ فقال: جاز، فقلت: هذه خطأ عند الجميع، أما على مذهب الكسائي فإنه لا يولى الفعل فعل. فأما على مذهب الفراء: فإن يقوم عنده صلة للرجل والصلة لا تتقدم على الموصول. وأما على مذهب سيبويه صاحبك: فإنه لا يجوز، لأنه ترجمة، والترجمة إيضاح وتبيين للجملة التي تتقدمها، ولا يجوز تقديمها عليها. فقال: أنا تارك للعربية، فخذ فيما قصدت له، ففاتحته أيام الناس، والأخبار، والأشعار، ففتحت به سحر بحر. وحدث قال: أخبرنا علي بن سليمان الأخفش قال: كنت يوماً بحضرة ثلعب، فاسرعت القيام قبل انقضاء المجلس، فقال: إلى أين؟ ما أراك تصبر عن مجلس الخلد، يعني المبرد، فقلت له: لي حاجة، فقال لي: ان أراه يقدم البحترى على أبي تمام، فإذا اتيت، فقل له: ما معنى قول أبي تمام:

ألفته النحيب كما افتراق أظل فكان داعية اجتماع

قال أبو الحسن: فلما صرت إلى أبي العباس المبرد، سألته عنه، فقال: معنى هذا: أن المتحابين العاشقين قد يتصارمان ويتهاجران إذلالاً، لا عزمًا على القطيعة، فإذا حان الرحيل وأحسا بالفراق، ترجعا إلى الود، وتلاقيا خوف الفراق، وأن يطول العهد بالالتقاء بعده، فيكون الفراق حينئذ سبباً للاجتماع، كما قال الآخر:

مستجيرين بالبكا والعناق
وكم كاتما غليل اشتياق
فراقا أتاها باتفاق
وغداة الفراق كان التلافي

متعا باللقاء يوم الفراق
كم أسرا هواهما حذر الناس
فأظل الفراق فالتقيا فيه
كيف أدعو على الفراق بحتف

قال: فلما عدت إلى ثعلب سألتني عنه، فأعدت عليه الجواب والأبيات، فقال: ما أشد تمويهه!! ما صنع شيئاً، إنما معنى البيت، أن الانسان قد يفارق محبوبه، رجاء أن يغنم في سفره، فيعود الى محبوبه مستغنيا عن التصرف، فيطول اجتماعه معه، ألا تراه يقول في البيت الثاني:

لموقوف على ترح الوداع

وليست فرحة الأبواب إلا

وهذا نظير قول الآخر، بل منه أخذ أبو تمام:

وتسكب عيناى الدموع لتجمدا
ولا يطلب بعد الدار لتقربوا
هذا هو ذاك بعينه. وحكى ان ثعلباً خرج يوماً على أصحابه، وليس فيهم إلا كهل أو شيخ، فأنشد متمثلاً:
بي الأعين النجل المراض الصحاح
وأن نادماي الكهول الجحاح

وأطلب بعد الدار لتقربوا
هذا هو ذاك بعينه. وحكى ان ثعلباً خرج يوماً على أصحابه، وليس فيهم إلا كهل أو شيخ، فأنشد متمثلاً:
ألا ربما سؤت الغيور وبرحت
فقد سادني أن الغيور يودنى
قلت أنا: إن هذا والله مليح جداً

وحدث لحظة في أماليه قال: كنت يوماً في مجلس ثعلب، فقال له رجل ياسيدي: ما البعجة؟ قال: لا أعرفها في كلام العرب، فقال الرجل: فإني وجدتها في شعر عبد الصمد بن المعذل حيث يقول

أبع جدتي بالمنن

أعاذلتى أقصري

فاغتاظ أبو العباس غيظاً عظيماً وقال: يا قوم، أجيئوا أذنيه عركاً، أو يحلف أنه لا يرجع يحضر حلقتي، ففعلنا. قال أبو محمد عبد الرحمن ابن أحمد الزهري: كانت بيني وبين أبي العباس ثعلب مودة وكيدة، وكنت أستشيره في أموري، فجنّته يوماً أشاوره في الانتقال من محلة الى محلة، لنادي بالجيران. فقال: يا أبا محمد، العرب تقول: صبرك على أذى من تعرف، خير من استحداث ما لا تعرف. قال أبو عمر الزاهد: أنشدني أبو العباس ثعلب:

فجرب وده عند الدراهم

إذا ما شئت أن تبلو صديقاً

وتعرف ثم أخلاق المكارم

فعند طلابها تبدو هنات

وحدث الخطيب قال: كان بين المبرد وثعلب منافرات كثيرة، والناس مختلفون في تفضيل كل واحد منهما على صاحبه نقطة. قال: وجاء رجلا الى ثعلب فقال له: يا أبا العباس: قد هجاك المبرد، فقال بماذا؟ فأنشده:

ومشتكي الصبو الى الصب

أقسم بالمبتسم العذب

ما زاده إلا عى القلب

لولا أخذ النحو عن الرب

فقال: أنشدني من أنشده أبو عمرو ابن العلاء:

فصنته عنه النفس والعرض

يشتمنى عبدي بمسمع

من ذا يعرض الكلب إن عصى؟

ولم أجبه لاحتقار له

وحدث أيضاً قال: قال: أبو العباس محمد بن عبيد الله ابن عبد الله، بن طاهر، قال لي ابي: حضرت مجلس أخي محمد ابن عبد الله، بن طاهر وحضره أبو العباس ثعلب، والمبرد، فقال لي أخي محمد، قد حضر هذان الشيخان فليتناظرا، قال: فتناظرا في شيء من علم النحو مما أعرفه، فكنت أشركهما فيه الى أن دققا، فلم أفهم، ثم عدت اليه، فلم أعرف ما المجلس؟ فسألني فقلت: إنهما تكلمتا فيما أعرف فشركما ثم دققا، فلم أعرف ما قال، ولا والله ياسيدي ما يعرف أعلمهما إلا من هو أعلم منهما، ولست ذلك الرجل، فقال لي يا أخي: أحسنت والله، هذا أحسن، يعني اعترافه بذلك وقال لي أبو عمر الزاهد: سألت أبا بكر بن السراج فقلت: أي الرجلين أعلم؟ ثعلب أم المبرد فقال: ما أقول في رجلين، العالم بينهما؟ وحدث أبو عمر أيضاً قال: كنت في مجلس أبي العباس ثعلب فضجر، فقال له شيخ خضيب من الظاهرية: لو علمت مالك من الأجر في إفادة الناس، لصبرت على أذاهم، فقال لولا ذلك ما تعديت، ثم أنشد بعقب هذا:

به الظلم لايفل لهن غروب

يخللن بالقضبان كل مفلج

من الظرو أو غضن الاراك قضيب

رضاب كطعم الشهد يجلو متونه

لحاج ولا استقبلت برد جنوب

اولئك لولا هن ما سقت نضوة

وحدث أبو بكر بن مجاهد كنت عند أبي العباس ثعلب، فقال لي يا أبا بكر: اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا، واشتغل أهل الفقه بالفقه ففازوا، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو، فليت شعري ما يكون حالف الآخرة؟ فانصرفت من عنده، فرأيت تلك الليلة النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي: اقرأ أبا العباس عني السلام وقل له: إنك صاحب العلم المستطيل. قال: الروض باري: أراد أن الكلام به يكمل، والخطاب به يجمل. وقال مرة أخرى: أراد أن جميع العلوم مفتقرة إليه. وأنشد الخطيب قال: أنشد أبو العباس ثعلب:

بلغت من عمري ثمانين
فالحمد لله وشكرا له
وأسأل الله بلوغا إلى
مرضاته آمين آمين

ونقلت من كتاب محمد بن عبد الملك التاريخي في أخبار النحويين، فقال: أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد ابن ثعلب، الشيباني النحوي، فاروق النحويين، والمعايير على اللغويين، من الكوفيين والبصريين، أصدقهم لساناً وأعظمهم شأنًا، وأبدعهم ذكراً، وأرفعهم قدراً، وأصحهم علماً، وأوسعهم حلماً وأتقنهم حفظاً، وأوفرهم حظاً من الدين والدنيا.

حدثني المفضل بن سلمة بن عاصم قال: رأس أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحوي، واختلف الناس إليه في سنة خمس وعشرين ومائتين، قال: وسمعت إبراهيم الحربي يقول: وقد تكلم الناس في الاسم والمسمى وقد كرهت لكم ولنفسى، ما كره أحمد بن يحيى ورضيت لكم ولنفسى، ماضي أحمد بن يحيى. قال: وكان أبو الصقر إسماعيل بن بلبل الشيباني قد ذكر أبا العباس ثعلبا للناصر لدين الله، الموفق بالله، وأخرج له رزقاً سنياً سلطانياً، فحسن موقع ذلك من أهل العلم والأدب وقال قائلهم لأبي الصقر، وأبي العباس في أبيات ذكرها:

فيا جبلي شيبان لا زلتما لها
فهذا اليوم الجود والسيف والقنا
عليك أبا العباس كل معول
فككت حدود النحو بعد انغلاقه
فكم ساكن في ظل نعمتك التي
فأصبحت للإخوان بالعلم ناعشا
حليفي فخار في الورى وتفضل
وأنت لبسط العلم غير مبخل
لأنك بعد الله خير معول
وأوضحته شرحاً وتبيان مشكل
على الدهر أبقي من ثبير وينبل
وأخصبت منه منزلاً بعد منزل

وذكر التاريخي وفاة الثعلب كما تقدم قال: وقال بعض أصحابنا يرثيه:

مات ابن يحيى فماتت دولة الأدب
فإن تولى أبو العباس مفتقدا
ومات أحمد أنحى العجم والعرب
فلم يمت ذكره في الناس والكتب

وللتاريخي في ثعلب شعر رثاه به، نذكره في بابيه إن شاء الله تعالى قال التاريخي: وحدثني أبو الحصين البجلي قال: تقول أهل الكوفة: لنا ثلاثة فقهاء في نسق، فلم ير الناس مثلهم: أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن ولنا ثلاثة نحويين كذلك، وهم: أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، وأبو زكريا يحيى بن زيد الفراء، وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، آخر مات قلناه من كتاب التاريخي وذكره محمد بن إسحاق النديم في كتاب الفهرست وقال: من الكتب: كتاب المصون في النحو جعله حدوداً، كتاب اختلاف النحويين، كتاب معاني القرآن، كتاب مختصر في النحو سماه الموفق، كتاب القراءات، كتاب معاني الشعر، كتاب التصغير، كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف، كتاب ما يجزى وما لا يجزى، كتاب الشواذ، كتاب الوقف والابتداء، كتاب الهجاء، كتاب استخراج الألفاظ من الأخبار، كتاب الأوسط، كتاب غريب القرآن لطيف، كتاب المسائل، كتاب حد النحو، كتاب تفسير كلام ابنة الخس كتاب الفصيح وذكر أن الفصيح تصنيف بن داود الرقي، وادعاه ثعلب وهذا له ترجمة قال: ولأبي العباس مجالسات وأمال أملاها على أصحابه في مجالسه، تحتوي على قطعة من النحو، واللغة، والأخبار، ومعاني القرآن، والشعر، رواها عنه جماعة وعمل أبو العباس قطعة من داوود بن العرب، وفسر غريبها كالأعشى والنابتين وغيرهم. وسئل ثعلب عن معنى قولهم، لا أكملك أصلاً فقال: معناه أقطع ذلك من أصله وأنشد:

بأهلي من لا يقطع البخل رغبتني
وإن قد لحاني الناس فيه فأكثر
وأمنحه صفو الهوى ولو أنه
وما زلت تعتادين ود بالمنى
إليه وما لا يزداد عن زغيتي بخلا
علي فكل الناس مغتظن ذحلا
على البحر يسقي ما سقيت به سجلا
وبالبخل حتى قد ذهبت به أصلا

قرأت في أمال أبي بكر ابن محمد، ابن القاسم الأنباري: أنشدنا أبو بكر لأحمد بن يحيى النحوي:

فلم تلبث النفس التي أن تقوتها؟
يعيش لدى ديمومة البيد حوتها

وفي النفس مني منك ماسيمتها
وبالريح ماهبت وطال خفوتها

فأشكو هموما منك كنت قد لقيتها

كذا كان في الكتاب، ولا أدري، أهذا الشعر لثعلب أم أنشأه لغيره؟ إلا أنه في هذا الكتاب لأحمد ابن يحيى كما ترى:

أحمد بن يحيى،، لمنجم

بن علي، بن يحيى، بن أبي منصور المنجم أبو الحسن، قد ذكرنا آباءه في أبوابهم، وكان أبو الحسن هذا، أديباً، شاعراً، فاضلاً، عالماً، أحد رؤساء زمانه في علم الكلام، وعلوم الدين، والافتنان في الآداب مات في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، عن نيف وسبعين سنة، وله أخبار مع الراضي في منادته إياه، ذكر ذلك كله المزرباني في المعجم قال ثابت: وفي ذي الحجة كانت وفاته، ومولده في سنة اثنتين وستين ومائتين، وكان يحيى بن علي أبوه، قد صنف كتاباً في أخبار الشعراء المخضرمين، فأتمه ابنه هذا وله من الكتب: كتاب أخبار أهله ونسبهم، كتاب الإجماع في الفقه، على مذهب ابن جرير الطبري، وكان يرى رأيه كتاب المدخل إلى مذهب الطبري ونصرة مذهبه، كتاب الأوقات، وأبو الحسن هذا، هو القائل فيما رواه المزرباني:

ياسيدا قد راح فر	دا ماله في الفضل توعم
عمرت أطول مدة	تزداد تمكيننا وتسلم
في صفو عيش لاترا	ل به العدى تقذي وترغم
مازلت في كل الأمر	موفقا للخير ملهم
بك إن تذوكرت الأيا	دي يبتدا فيها ويختم

أحمد بن يحيى، بن الوزير،

بن سليمان، بن مهاجر مولى قيسبة بن كلثوم السوقي، سمع ابن الكلبي وعبد الله بن وهب، وكان فقيهاً من جلساء ابن وهب، وكان عالماً بالشعر، والأدب، والأخبار، وأيام الناس، والأنساب يقال: كان مولده سنة إحدى وسبعين ومائة، وتوفي في حبس ابن المدبر، صاحب الخراج بمصر، لخراج كان عليه، ودفن يوم الأحد لاثنتين وعشرين ليلة خلت من شوال، سنة خمسين ومائتين، وكان من أهل مصر ذكر ابن يونس ذلك كله في تاريخ مصر.

أحمد ابن يحيى، السدي، الطائي

بن سهل بن السدي، الطائياًبو الحسن المنبجي، الشاهد، المقرئ، النحوي، الأطروش، ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق، وكان وكبلاً في الجامع مات سنة خمس عشرة وأربعمائة روى عن أبي عبد الله بن مروان، وأبي العباس أحمد بن فارس، الأديب المنبجي، وأبي الحسن، نظيف بن عبد الله المقرئ، وغيرهم وكان يحفظ من أخبار أبي عبد الله بن خالويه النحوي، وكان ثقة، قال ابن عساكر: أنشدني ابن الأكفاني، عن ابن الأكفاني، عن أحمد بن يحيى، بن سهل المنبجي، أنشدني أبو العباس، أحمد بن فارس الأديب أنشدني ابن طباطبا لنفسه:

حسود مريض القلب يخفى أئينه	ويضحى كئيب البال مني حزينه
يلوم على أن رحت للعلم طالبا	أقلب من كل الرواة فنونه
وأختار أباكرا الكلام وعونه	وأحفظ مما أستفيد عيونه
ويزعم أن العلم لا يجلب الغنى	ويحسن بالجهل النميم ظنونه
فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي	فقيمه كل الناس ما يحسنونه

أحمد بن يزيد، بن محمد المهلب، أبو جعفر

أديب شاعر، راوية، له قصيدة مدح فيها الموفق، وهناك بفتح مصر، منها:
قل للأمير هناك النصر والظفر
وفيها للاله الحمد والشكر
ما فوق فخرك يوم الفخر مفتخر

أحمد بن يعقوب، بن يوسف، أبو جعفر

النحوي، المعروف ببرزويه الأصبهاني، مات فيما ذكره الخطيب، سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، في أيام المطيع، فكان يعرف بغلام نفطويه أخذ عن أبي خليفة الفضل بن الحباب، ومحمد بن العباس اليزيدي، وغيرهما.

أحمد بن يعقوب، بن ناصح الأصبهاني

الأديب، أبو بكر النحوي، ذكره الحاكم فقال: هو نزيل نيسابور، وسمع بأصبهان محمد بن مندة الأصبهاني وأقرانه مات بنيسابور قبل الخمسين، وبعد الأربعين والثلاثمائة، وكتب عنه الحاكم، وأسند إليه في كتابه حديثين.

أحمد بن أبي يعقوب، إسحق بن جعفر

ابن وهب، بن واضح الأخباري العباسي، ذكره أبو عمر، محمد بن يوسف، بن يعقوب المصري الكندي المؤرخ في تاريخ له، ابتداء بسنة ثمانين ومائتين، قال إن أحمد بن إسحق بن واضح مولى بنى هاشم، توفي في سنة أربع وثمانين ومائتين، وله تصانيف كثيرة، منها: كتاب التاريخ كبير، كتاب أسماء البلدان مجلد، وكتاب في أخبار الأمم السالفة صغير، كتاب مشاكلة الناس لزمانهم.

أحمد بن أبي يعقوب، يوسف بن إبراهيم

يعرف بابن الداية، كان أبوه ولد داية ابن المهدي، وأظن أن المعروف بابن الداية، هو يوسف، الراوي أخبار أبي يونس، والله أعلم وكان أبوه يوسف بن إبراهيم، يكنى أبا الحسن، وكان من جلة الكتاب بمصر، ولا أدري كيف كان انتقاله إليها عن بغداد وكان له مروءة تامة، وعصبية مشهورة.

قال أبو القاسم العساكري الحافظ: يوسف بن إبراهيم، أبو الحسن الكاتب، وأظنه بغدادياً: كان في خدمة إبراهيم بن المهدي، قدم دمشق سنة خمس وعشرين ومائتين، وحكى عن عيسى بن حكم الدمشقي، الطبيب النسطوري، وشكك أم إبراهيم بن المهدي، وإسماعيل ابن أبي سهل، بن نوبخت، وأبي إسحق إبراهيم بن المهدي، وأحمد بن رشيد الكاتب، مولى سلام الأبرش، وجبرائيل بن بختيشوع الطبيب، وأيوب بن الحكم البصري، المعروف بالكسروي، وأحمد بن هارون الشرابي روى عنه ابنه أبو جعفر أحمد، ورضوان بن أحمد، بن جالينوس، وكان من ذوى المروءات، وصنف كتاباً فيها أخبار المطبيين.

قال الحافظ: وبلغني عن أبي جعفر أحمد، بن يوسف قال: حبس أحمد بن طولون، يوسف بن إبراهيم والدي في بعض داره، وكان اعتقال الرجل في داره يؤيس من خلاصه، فكاد ستره أن ينتهك لخوف شمله عليه، وكان له جماعة من أبناء الستر تتحمل مؤنة مقيمة لا تنقطع إلى غيره، فاجتمعوا، وكانوا زهاء ثلاثين رجلاً، وركبوا إلى دار أحمد بن طولون، فوقفوا بباب له، يعرف بباب الخيل، وأستاذنوا عليه، فأذن لهم، فدخلوا إليه وعنده محمد بن عبد الله، بن عبد الحكم، وجماعة من أعلام مستورى مصر، فابتدعوا كلامه بأن قالوا: قد اتفق لنا - أيد الله الأمير - من حضور هذه الجماعة، وأشاروا إلى ابن عبد الحكم والحاضرين مجلسه، ما رجونا أن يكون ذريعة إلى ما نسأله، ونحن نرغب إلى الأمير في أن يسألهم عنا ليقف على أمرنا ومنازلنا، فسألهم عنهم، فقالوا: قد عرضت العدالة على أكثرهم، فامتنع منها، فأمرهم أحمد بن طولون بالجلوس، وسألهم تعريفه ما قصدوا له، فقالوا: ليس لنا أن نسال الأمير مخالفة ما يراه في يوسف بن إبراهيم، لأنه أهدى إلى الصواب فيه، ونحن نسأله أن يقدمنا إلى ما اعتزم عليه فيه، إن أثر قتله أن يقتلنا، إن أثر غير ذلك أن يبلغه، فهو في سعة وحل منه، فقال لهم: ولم ذلك؟ فقالوا: لنا ثلاثون سنة ما فكرنا في ابتياع شيء مما احتجنا إليه، ولا وقفنا بباب غيره، ونحن والله يا أمير، نرفض البقاء بعده، والسلامة إن شيء

مكروه وقع به وعجبوا باليكاء بين يديه، فقال أحمد بن طولون: - بارك الله عليكم - فقد كافأتم إحسانه، وجازيتم إنعامه، ثم قال: أحضروا يوسف بن إبراهيم، فأحضر، فقال: خذوا بيد صاحبكم وانصرفوا، فخرجوا معه، وانصرف إلى منزله.

قال أبو جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم: وبعث أحمد بن طولون في الساعة التي توفي فيها والدي، يوسف بن إبراهيم، بخدم فهجموا الدار، وطالبوا بكتبه، مقدرين أن يجدوا فيها كتابا من أحد ممن ببغداد، فحملوا صندوقين، وقبضوا علي وعلى أخي وصاروا بنا إلى داره، وأدخلنا إليه وهو جالس، وبين يديه رجل من أشرف الطالبين، فأمر بفتح أحد الصندوقين، وأدخل خادم يده، فوقع يده على دفتر جرائته على الأشراف وغيرهم، فأخذ الدفتر بيده وتصفحه، وكان جيد الاستخراج، فوجد اسم الطالب في الجراية، فقال له وأنا أسمع: كانت عليك جراية ليوسف بن إبراهيم؟ فقال له نعم: يأبها الأمير، دخلت هذه المدينة وأنا مملق فأجري علي في كل سنة مائتي دينار، أسوة بابن الأرقط، والعقيقي، وغيرهما ثم امتلأت يداي بطول الأمير، فاستعفيت منها، فقال لي: نشدتك الله أن لا قطع سببا لي برسول الله صلى الله عليه وسلم، وتدمع الطالب، فقال أحمد بن طولون: رحم الله يوسف بن إبراهيم، ثم قال: انصرفوا إلى منازلكم، فلا بأس عليكم، فانصرفنا فلحقنا جنازة والدنا، وحضر ذلك العلوى، وقضى حقنا، وقد أحسن مكافأة والدنا في خلفيه.

قال أبو جعفر: أحمد بن أبي يعقوب، يوسف بن إبراهيم، يعرف بابن الداية، من فضلاء أهل مصر ومعروفهم، وممن له علوم كثيرة في الأدب، والطب والنجامة، والحساب، وغير ذلك وكان أبوه أبو يعقوب، كاتب إبراهيم بن المهدي ورضيعه، ألف كتابا في أخبار الطب، مات أحمد بن يوسف، في سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة، وأظنها سنة أربعين وثلاثمائة وله من التصانيف: سيرة أحمد بن طولون، كتاب سيرته إلى أبي الجيش خمارويه، كتاب سيرة هارون بن أبي الجيش، وأخبار غلمان بني طولون، كتاب المكافأة، كتاب حسن العقبي، كتاب أخبار الأطباء، كتاب مختصر المنطق، ألفه للوزير علي بن عيسى، كتاب ترجمته، كتاب الثمرة، كتاب أخبار المنجمين، كتاب أخبار إبراهيم بن المهدي، كتاب الطبيخ، وذكره ابن زولاق الحسن ابن إبراهيم، فقال: كان أبو جعفر رحمه الله في غاية الافتتان، أحد وجوه الكتاب الفصحاء، والحساب والمنجمين مجسطى أوقليدسي، حسن المجالسة، حسن الشعر، قد خرج من شعره أجزاء دخل يوما على أبي الحسن، على بن المظفر الكرخي، عامل خراج مصر، مسلما عليه، فقال له: كيف حالك يا أبا جعفر؟ فقال على البديهة:

يكفيك من سوء حالي إن سألت به
أني إلى ثوب طمر في الكوانين

أحمد بن يوسف، بن القاسم، بن صبيح

الكاتب الكوفي أبو جعفر، من أهل الكوفة، كان يتولى ديوان الرسائل للمأمون، وكان أخوه القاسم بن يوسف، يدعي أنه من بني عجل، ولم يدع أحمد ذلك، قال المرزباني: كان مولى لبني عجل، ومنزلهم بسواد الكوفة وزر أحمد للمأمون، بعد أحمد بن أبي خالد مات في قول الصولي في شهر رمضان، سنة ثلاث عشرة ومائتين، وقال غيره: سنة أربع عشرة ومائتين، وكان أبوه يوسف يكنى أبا القاسم، وكان يكتب لعبد الله بن علي عم المنصور، وله شعر حسن وبلاغة، وكان أحمد وأخوه القاسم، شاعرين، أدبيين، وأولادهما جميعا أهل أدب، يطلبون الشعر والبلاغة حكى عن المأمون وعبد الحميد بن يحيى الكاتب، وحكى عنه ابنه محمد بن أحمد، بن يوسف، وعلي بن سليمان الأخفش، وغيرهما قال الصولي: لما مات أحمد بن أبي خالد الأحول، شاور المأمون الحسن ابن سهل، فيمن يكتب له، ويقوم مقامه، فأشار عليه بأحمد بن يوسف، وبأبي عباد ثابت بن يحيى الرازي وقال: هما أعلم الناس بأخلاق أمير المؤمنين، وخدمته، وما يرضيه فقال له: اختر لي أحدهما، فقال الحسن: إن صبر أحمد على الخدمة، وجفا لذاته قليلا، فهو أحبهما إلي، لأنه أعرق في الكتابة، وأحسنهما بلاغة، وأكثر علما، فاستكتبه المأمون، وكان يعرض الكتب ويوقع، ويخلفه أبو عباد إذا غاب عن دار المأمون، مترفعا عن الحال التي كان عليها أيام أحمد بن أبي خالد، وكان ديوان الرسائل، وديوان الخاتم والتوقيع، والأزمة، إلى عمرو بن مسعدة، وكان أمر المأمون يدور على هؤلاء الثلاثة حدث الصولي عن أبي الحارث النوفلي قال: كنت أبغض القاسم بن عبيد الله لمكروه نالني منه، وألف أحمد بن يوسف الوزير، فلما مات أخوه الحسن، قلت على لسان ابن بسام:

قل لأبي القاسم المرجى
مات لك ابن وكان زينا
عاش ذو الشين والمعائب
فليس تخلو من المصائب
قابللك الدهر بالعجائب
حياة هذا كموت هذا

وانما أخذه من قول أحمد بن يوسف الكاتب، لبعض إخوانه من الكتاب، وقد مات له ببغا، وكان له أخ يضعف، فكتب إليه:

أنت تبقى ونحن طرا فداكا
فلقد جل خطب دهر أتانا
أحسن الله ذو الجلال عزاكا
بمقادير أتلقت ببغاكا

وتخطت عبد الحميد أخاكا
ت من البيغا وأولى بذاكا
فقدنا هذه ورؤية ذاكا

عجبا للمنون كيف أتتها
كان عبد الحميد أصلح للمو
شملتنا المصيبتان جميعا

حدث أبو القاسم عبد الله بن محمد، بن باقيا الكاتب، في كتاب ملح الممالحة، قال: ولما خرج عبد الله بن طاهر من بغداد الى خراسان، قال لابنه محمد: إن عاشرت أحدا بمدينة السلام، فعليك بأحمد ابن يوسف الكاتب، فإن له مروءة، فما عرج محمد حين انصرف من توديع أبيه على شيء، حتى هجم على أحمد، ابن يوسف في داره، فاطال عنده، ففطن له أحمد، فقال: يا جارية غدينا، فأحضرت طبقا وارغفة نفية، وقدمت الوانا يسيرة وحلاوة، وأعقب ذلك بأنواع من الأشربة في زجاج فاخر، وآلة حسنة، وقال: يتناول الأمير من أيها شاء، ثم قال له: إن رأى الأمير أن يشرف عبده وبجيئه في غد فانعم بذلك، فنهض وهو متعجب من وصف أبيه له، وأراد فضيخته، فلم يترك قائدا جليلا، ولا رجلا مذكورا من أصحابه، إلا عرفهم انه في دعوة أحمد بن يوسف، وأمرهم بالغزو معه، فلما أصبحوا قصدوا دار أحمد بن يوسف، وقد أخذ أهبطه، وأظهر مروءته، فرأى محمد من النضائد والفرش والستور والغلمان والوصائف ما أدهشته، وكان قد نصب ثلاثمائة مائدة، وقد حفت بثلاثمائة وصيفة، ونقل الى كل مائدة ثلاثمائة لون في صحاف الذهب والفضة، ومثارد الصين، فلما رفعت الموائد، قال ابن طاهر: هل أكل من الباب؟ فنظروا، فاذا جميع من الباب قد نصبت لهم الموائد، فأكلوا، فقال: شتان بين يوميك يا أبا الحسن - كذا هذه الرواية، كناه بأبي الحسن - فقال أيها الأمير: ذاك قوتي وهذه مروءتي وحدث الصولي قال: كان من أول ما ارتفع به أحمد بن يوسف، أن المخلوع لما قتل، أمر طاهر الكتاب أن يكتبوا إلى المأمون، فأطالوا، فقال طاهر، أريد أخصر من هذا، فوصف له أحمد بن يوسف، فأحضره لذلك، فكتب أما بعد: فإن المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة، فقد فرق حكم الكتاب بينه وبينه في الولاية والحرمة، لمفارقته عصمة الدين، وخروجه عن اجماع المسلمين، قال الله عز وجل لنوح عليه السلام في ابنه: (يا نوح إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح) ولاصلة لأحد في معصية الله، ولاقطيعة ما كانت في ذات الله. وكتبت إلى أمير المؤمنين، وقد قتل الله المخلوع، وأحصد لأمر المؤمنين أمره، وأنجز له وعده، فالارض باكنافها أوطأ مهاد لطاعته، واتبع شيء لمشيتته، وقد وجهت الى أمير المؤمنين بالدنيا، وهي رأس المخلوع، وبالاخرة وهي البردة والقضيب، والحمد لله الأخذ لأمر المؤمنين بحقه، والكائد له من خان عهده، ونكت عقده، حتى رد الالفة، وأقام به الشريعة والسلام على أمير المؤمنين، ورحمة الله وبركاته، فرضى طاهر ذلك وأنفذه، ووصل أحمد بن يوسف وقدمه. وحدث محمد ابن عديس: انه لما حمل رأس المخلوع إليه وهو بمرو، أمر المأمون بانشاء كتاب عن طاهر ابن الحسين، ليقرأ على الناس، فكتبت عدة كتب لم يرضها المأمون، والفضل ابن سهل، فكتب أحمد بن يوسف هذا الكتاب، فلما عرضت النسخة على ذي الرياستين، رجع نظره فيها، ثم قال لأحمد ابن يوسف: ما أنصفناك، ودعا بقهر مانه، وأخذ القلم والقرطاس، وأقبل يكتب بما يفرغ له من المنازل، ويعد له فيها من الفرش والالآت، والكسوة والكراع، وغير ذلك، ثم طرح الرقعة إلى أحمد ابن يوسف، وقال له: إذا كان في غد فاقعد في الديوان، وليقعد جميع الكتاب بين يديك، واكتب الى الأفاق. وحدث بما رفعه الى إبراهيم ابن إسماعيل قال: قال: كثر الطلاب للصلاة بباب المأمون، فكتب اليه أحمد بن يوسف: داعي نداك يا أمير المؤمنين، ومنادى جدواك، جمع الوفود ببابك، يرجون نائلك المعهود، فمن من يمت بحرمة، ومنهم من يدلي بخدمة، وقد أجحف بهم المقام، وطالت عليهم الايام، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعشه بسبيبه، ويحقق حسن ظنهم بطوله، فعل، إن شاء الله تعالى، فوقع المأمون: الخير منبع، وأبواب الملوك مغان لطالب الحاجات، ومواطن لهم، ولذلك قال الشاعر:

وتغشى منازل الكرماء

يسقط الطير حيث يلتقط الحبيب

فاكتب اسماء من ببابنا منهم، وأحك مراتبهم، ليصل الى كل رجل قدر استحقاقه، ولاتكدر معروفنا عندهم بطول الحجاب، وتأخير الثواب، فقد قال الشاعر:

كالصاق به طرف الهوان

فإنك لن ترى طرد لحر

حدث أحمد ابن أبي طاهر قال: كتب صديق لأحمد ابن يوسف الكاتب في يوم دجن اليه: يومنا ظريف النواحي، رقيق الحواشي، قد رعدت سماءه، وبرقت وحننت وارجحنت، وانت قطب السرور، ونظام الأمور، فلا تفردين منك فنقل، ولا تنفرد عنا فنذل، فإن المرء بأخيه كثير، وبمساعده جدير. قال: فصار أحمد بن يوسف الى الرجل، وحضرهم من أرادوا ثم تغيتم السماء، فقال أحمد بن يوسف:

وأحسب أن سياطينا بهطل

أرى غيم تؤلفه جنوب

فتشربه وتدعو لي برطل

فعين الرأي أن تدعو برطل

فيغرفون منهم بغير عقل

ونسقيه ندامانا جميعا

تبادر بالمدامة كل شغل

فيوم الغيم يوم الغم إن لم

فإني لا أراه له بأهل

ولا تكره محرما عليها

قال فغنى فيه عثعت اللحن المشهور: وأهدى أحمد بن يوسف هدية في يوم نوروز الى المأمون وكتب معها:

على المبدى حق فهو لا بد فاعله
وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي الى الله ماله
وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله
ولو كان يهدي للكريم بقدره
لقصر فضل المال عنه ونائله
ولكننا نهدي الى من نعزه
وإن لم يكن في وسعنا ما يعادله

وذكر الجهشاري قال: كان يكتب لعبد الله بن علي، يوسف بن صبيح، مولاى بني عجل، من ساكني سواد الكوفة، فذكر القاسم بن يوسف بن صبيح، أن أباه حدثه: أن عبد الله بن علي، لما استتر عند أخيه سليمان بالبصرة، علم أنه لاوزر له من أبي جعفر قال: فلما استتر، وقصدت اصحابنا الكتاب، فصرت في ديوان أبي جعفر، وأجرى لي في كل يوم عشرة دراهم، قال: فبكرت يوما الى الديوان قبل فتح بابه، ولم يحضر أحد من الكتاب، وإني لجالس عليه، إذا أنا بخادم لابي جعفر، قد جاء الى الباب فلم يد غيري، فقال لي: أجب أمير المؤمنين، فاسقط في يدي، وخشيت الموت، فقلت له: إن أمير المؤمنين لم يردني، فقال: وكيف؟ فقلت: لأنني لست ممن يكتب بين يديه، فهم بالانصراف عني، ثم بدا له فأخذني وأدخلني، حتى اذا كنت دون الستر وكلا بي، ودخل ولم يلبث ان خرج، فقال لي: أدخل، فدخلت، فلما ضرب باب الايوان، قال لي الربيع: سلم على أمير المؤمنين، فشمنت رائحة الحياة، فسلمت، فادناني وامرني بالجلوس، ثم رمى إلي برقع قرطاس وقال لي: اكتب وقارب بين الحروف، وفرج بين السطور، واجمع خطك ولا تسرف في القرطاس، وكانت معي دواة شامية، فتوقفت عن اخراجها، فقال لي يا يوسف: إنت تقول في نفسك، أنا بالأمس في ديوان الكوفة، اكتب لبني أمية، ثم مع عبد الله بن علي، وأخرج الساعة دواة شامية، إنك إنما كنت في الكوفة تحت يدي غيرك، وكنت مع عبد الله ابن علي، لي ومعى، والدوي الشامية أدب جميل، ومن أدوات الكتاب ونحن أحق بها. قال: فأخرجتها، وكتبت وهو يملئ، فلما فرغت من الكتاب أمر به فأترب واصلح، وقال: دعه، وكل العنوان الي، ثم قال لي: كم رزقك يابوسف في ديواننا؟ فقلت: عشرة دراهم، فقال: قد زادك أمير المؤمنين عشرة دراهم أخرى، رعاية لحرمتك بعبد الله ابن علي، ومثوبة لك على طاعتك، ونقاء ساحتك وأشهد أنك لو اختفيت باختفائه، لاخرجتك ولو كنت في حجرة النمل، ثم زابلت بين اعضائك، فدعوت له، وخرجت مسرورا بالسلامة. كان للمأمون جارية اسمها مؤنسة، وكانت تعني بأحمد ابن يوسف، وكان أحمد ابن يوسف يقوم بحوائجها، فأدلت على المأمون في بعض الأمور، فانكر عليها، وصار الى الشماسية ولم يحملها معه، فاستحضرت نصره خاد أحمد بن يوسف، وحملته رسالة الى مولاه بخبرها، وسألته التلطف لاصلاح نية المأمون، فلم عرفه الخادم ذلك، دعا بدواته، وقصد الشماسية، فاستأذن على المأمون، فلما وصل اليه قال: أنا رسول، فاذن لي في تأدية الرسالة، فأنشده هذه الابيات:

قد كان عتبك مرة مكتوماً
فاليوم أصبح ظاهراً معلوماً
نال الأعادي سؤلهم، لاهنوا،
لما رأونا ظاعنا ومقيما
هبني أسأت فعادة لك أن ترى
متجاوزا متفضلا مظلوما

قال: قد فهمت الرسالة، فكن الرسول بالرضى، ووجه بياسر الخادم فحملها، وكان موسى بن عبد الملك، في ناحية أحمد بن يوسف وهو خرج، وقدمه، قال الحسن بن مخلد: حدثني، موسى ابن عبد الملك، وكان يرمي بابنة قال: وهب لي أحمد بن يوسف، وكان يعبث بموسى بن عبد الملك ويتعشقه، الف الف درهم في مرات، وكان عاتبه فيه محمد بن الجهم البرمكي، فكتب اليه أحمد بن يوسف:

لا تعذلني يا أبا جعفر
لوم الاخلاء من اللوم
إن أسته مشربة حمرة
كأنها وجنة مكلوم

فتقدم محمد الى البجلي، وكان في ناحيته، فأجابه:

لست بلا حيك على حبه
ولست في ذاك بمذموم
لأنه في استه سخنة
كأنها سخنة محموم

ذكر غرس النعمة في كتاب الهفوات: حدثني محمد بن علي، بن طاهر، بن الحسين قال: كان أحمد بن يوسف يسقط السقطة بعد السقطة، فيتلف نفسه في بعض سقطاته، وذلك أنه حكى علي ابن يحيى، ابن أبي منصور: أن المأمون كان إذا تبخر طرح له العود والعنبر، فإذا تبخر أمر باخراج المجرمة، ووضعها تحت الرجل من جلسائه إكراما له وحضر أحمد بن يوسف يوما، وتبخر المأمون على عادته، ثم أمر بوضع المجرمة تحت أحمد بن يوسف، فقال: هاتوا ذا المردود، فقال المأمون: ألنا يقال هذا، ونحن نصل رجلا واحدا من خدمنا بستة آلاف دينار، إنما قصدن إكرامك، وأن أكون أنا وأنت، قد اقتسمنا بخورا واحدا ثم قال: يحضر عنبر، فأحضر منه شيء في الغاية من الجودة، في كل قطعة ثلاثة مثاقيل، وأمر أن تطرح قطعة في المجرم، ويخير بها أحمد، ويدخل رأسه في زيقه حتى ينفذ بخورها، وفعل به ذلك بقطعة ثانية، وثالثة، وهو يستغيث ويصيح، وانصرف الى منزله،

وقد احترق دماغه واعتل، ومات سنة ثلاث عشرة ومائتين، وقيل: أربع عشرة ومائتين وكانت له جارية يقال لها نسيم، لها من قلبه مكان خطير، فقالت ترثيه:

ولو أن ميتا هابه الموت قبله
ولو أن حيا جازه الردى
وقالت أيضا ترثيه:

نفسى فداؤك لو بالناس كلهم
وللورى موتة في الدهر واحدة
ومن شعر أحمد بن يوسف كتب به إلى صديق له:

تطاول باللقاء العهد منا
أراك وإن نأيت بعين قلبي
فهل لك في الرواح إلى حبيب

قال أحمد بن يوسف: وقد شتمه رجل بين يدي المأمون، للمأمون، قدو الله يا أمير المؤمنين، رأيته يستملي من عينيك ما يلقاني به.

وكتب الى إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وقد أراده إبراهيم بن المهدي: من حق من أنا عبده، وحجتنا عليك، إعلامنا إياك، والسلام.

عندي من تبهج العيون به
فإن تخلفت كنت مغبونا

وأهدى الى المأمون في يوم عيد هدية وكتب معها: هذا يوم جرت فيه العادة، بإهداء العبيد إلى السادة، وقد أهديت قليلا من كثير عندي، وقلت:

أهدي إلى سيده العبد
وإنما أهدى له ماله
ومن شعره اللطيف:

إذا ما التقينا والعيون نواظر
وتحت استراق اللحظ منا مودة

وهو القائل في محمد بن سعيد، بن حماد الكاتب، وكان يميل إليه، وكان صبيا مليحا.

صد عني محمد بن سعيد
صد عني لغير جرم إليه
ليس إلا لحبه في الصدود

قال: وكان محمد بن سعيد يكتب بين يديه، فنظر إلى عارضه قد اختط في خده، فأخذ رقعة وكتب فيها:

لحاك الله من شعر وزادا
أغررت على تورد وجنتيه
فصيرت احمرارهما سوادا

ورمى بها إلى محمد بن سعيد، فكتب مجيبا: عظم الله أجرك في ياسيدي، وأحسن لك العوض مني. ومن شعر أحمد بن يوسف:

كثير هموم النفس ختى كأنما
إذا قيل ما أضناك أسبل دمعته
وعاش القاسم أخوه بعده، فقال يرثيه:

رماك الدهر بالحدث الجليل
أترجو سلوة وأخوك ثاو
ولمثل أخيك فلتبك البواكي
زير الملك يرعى جانبيه
فجز النفس بالصبر الجميل
ببطن الأرض تحت ثرى مهيل
لمعضلة من الخطب الجليل
بحسن تيقظ وصواب قيل

هو لقب ولا أعرف اسمه، ولم أجد له ذكرا، إلا ما ذكره أبو بكر الميرمان، في الباب من كتابه في نكت كتاب سيبويه، في الفرق بين الكلم والكلام، فقال: وقال لي الملقب بأخثا: وكان أحد من رأينا من النحويين، الذين صحت لهم القراءة على أبي عثمان المازني، وكان موصوفا في أول نظره بالبراعة، مسلما له لاستغراقه الكتاب على أبي عثمان، ثم أدركته علة، فقال عن الحال الأولى كلاما أنا حاكبيه، ورأيت أبا العباس ثعلبا يروم ذلك، وهو أن كل ما لفظ به ينقسم أقساما ثلاثة: قسم منه يكون للحدث، ولأسماء المدثين، ولأسماء الأمكنة والأزمنة، التي تقع فيها الأحداث، ولا اسم للجنس فيه، وذلك نحو الضرب، والقتل، والأخذ، والكلام، وما أشبه ذلك فإذا سئلت عن شيء من هذا، فقل لك: ماهو؟ فجوابه أن تذكر الحدث المنقضى مع الزمان، وصنف منه يكون للأجناس، ولا اسم للأحداث فيه، ولا يكون حدثا، وهو كقولك: سفرجلة وسفرجل، فإذا سئلت عن ذلك، فجوابه أن تخبر عن صفة الشيء، فتقول: هو الذي لونه كذا، وجسمه كذا، ومركب من كذا، وصنف آخر يجمع الجنس، وذلك نحو ثمرة وتمر، فهذا من باب سفرجلة وسفرجل، ثم تقول: أثمر النخل يثمر بإتمار، فهذا إنما هو عبارة عن الحدث، فإذا سئلت ما التمر؟ فجوابه أن تقول: هو الجسم الذي من صفته كذا، ومن قده كذا، وفي داخله كذا، وإذا سئلت ما الإثمار؟ فجوابه أنه يمر الزمان بحره ويرده، وما فيه على البسر، فيتغير من حال إلى حال كذا، ثم يلين فيصير فيه الدبس وإنما تنبئ عن الأحداث التي تقع، وكذا كلمة وكلم في باب ثمرة وتمر، فإذا قيل لك: ما الكلم؟ فالجواب هو الموضوع المتعارف بين الناس فاستعملوه، وهو الذي يسمونه: اسم، وفعل، وحرف، فإن قيل: فما الكلام؟ فجواب ذلك أن تقول: هو إجراء هذا الذي يسمونه كليما، وإخراجه بالصوت من الفم، فهو حدث، فالكلام حدث، والكلم موضوع الكلام الذي يستعمل، كزيد وضرب، وهل، وبل، فقد جمع الكلم أمرين، والكلام ليس كذلك، إنما هو لأمر واحد.

أسامة بن سفيان، السجزي النحوي

من نحاة سجستان وشعرائها، ذكره أبو الحسن البهيقي في كتاب الوشاح، وأنشد له:

أبي النأى إلا أن يجدد لي ذكرى	لمن ودعتني وهي لا تملك العبرا
وقالت: رعاك الله ماخلت أنني	أراك تسلى أو تطيق لنا هجرا
وكانت ترى فرط العلاقة ساعة	تغيبها عنا وإن قصرت شهرا
وتجزع من وشك الفراق فما لها	على فرقة الأحباب أن تظهر الصبرا

ومنها في المديح:

وزير يرى المعروف يجمل ذكره	فأرسل بين الناس معروفه غمرا
فم أقلعت يوما غمامة جوده	ولا قطرت رشا ولا أخطأت قطرا
وما اختص يوما حاضرا دون غائب	برفد ولا ذا فاقة دون من أثرى
وقد أمه الراجون من كل وجهة	فأربى مرجاهم بواحدة عشا
وقد كان يعطيهم وهم في ديارهم	ولكن هوى أن يجمع الرفد والبشرا
رأى ماله مال العدى فأباده	فلم يبق منه لا ولا منهم أثرا

أسامة بن مرشد، بن مقلد

ابن نصر، بن منقذ، بن محمد، بن منقذ، بن نصر، ابن هاشم، بن سوار، بن زياد، بن رغيب، بن مكحول، بن عمر، بن الحارث، بن عامر، بن مالك، ابن أبي مالك، بن عوف، بن كنانة، بن بكر، بن عذرة، ابن زيد اللات، بن ربيعة، بن ثور، بن كلب، بن وبرة، ابن ثعلب، بن حلوان، بن عمران، بن قضاة، ابن مالك، بن حمير، بن مرة، بن زيد، بن مالك، بن حميد، بن سينا، بن يشجب، بن يعرب، بن قحطان، هكذا ذكر هو نسبه، وفيه اختلاف يسير، عند ابن الكلبي، ويكنى أبا أسامة، وأبا الظفر، ويلقب مؤيد الدولة، ومجد الدين، وفي بني منقذ جماعة أمراء شعراء، لكن أسامة أشعرهم وأشهرهم، وأنا أذكر لكل واحد من أهله وترجمته ما يليق، ولا أفرقهم.

ذكر عماد الدين أبو عبد الله، محمد بن محمد، بن حامد الأصفهاني في كتاب خريدة القصر، وفريدة العصر، وأثنى عليه كثيرا، فقال: ما زال بنو منقذ هؤلاء مالكي شيزر، وهي حصن قريب من حماة، معتصمين بحصانتها، متمتعين بمناعتها، حتى جاءت الزلزلة في سنة نيف وخمسين، فخربت حصنها، وأذهبت حسننها، وتملكها نور الدين، محمود بن زنكى عليهم، وأعاد بناءها، فتشعبوا شعبا، وتفرقوا أيدي سبا.

قال ابن عساكر: ذكر لي أسامة، أنه ولد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وقدم دمشق، سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ومات أسامة في الثالث والعشرين من رمضان، سنة أربع وثمانين وخمسمائة، ودفن بجبل قاسيون قال العماد: وأسامة كاسمه، في قوة نثره ونظمه، يلوح من كلامه أماراة الإمارة، ويؤسس بيت قريضه عمارة العيارة، حلو المجالسة، حالي المساجلة، ندى الندى بماء الفكاهة، عالي النجم في سماء النباهة، معتدل التصاريف، مطبوع التصانيف، اسكنه عشق الغوطة، دمشق المغبوبة، ثم نبت به كما تنبو الدار بالكريم، فانتقل الى مصر، فبقى بها مؤمرا، مشارا إليه بالتعظيم الى أيام ابن رزيك، فعاد الى الشام، وسكن دمشق، مخصوصا بالاحترام، حتى أخذت شيزر من أهله، ورشقهم صرف الزمان بنبله ورماء الحدثن الى حصن كيفا، مقيما بها في ولده، مؤثرا لها على بلده، حتى أعاد الله دمشق الى سلطنة الملك الناصر صلاح الدين، يوسف بن أيوب، سنة سبعين وخمسمائة، ولم يزل مشغوبا بذكره، مشتهرا باشاعة نظمته ونثره، والأمير العضد مرهف، ولد الأمير مؤيد الدولة، جليسة ونديمه وأنيسه.

قال مؤلف هذا الكتاب: وقد رأيت أنا العضد هذا بمصر، عند كوني بها، في سنتي إحدى عشرة واثنتي عشرة وستمائة، وأنشدني شيئا من شعره، وشعر والده قال: فاستدعاه الى دمشق، يعني: مؤيد الدولة، وهو شيخ قد جاوز الثمانين قال: وأنشدني العامري من شعره بأصبيهان، و كنت أتمنى لقياه، وأشيم على العيد حياه، حتى لقيته في صفر، سنة إحدى وسبعين بدمشق، وسألته عن مولده، فقال: ولدت في السابع والعشرين من جمادى الآخر، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وأنشدني لنفسه، البيتين اللذين سارا له في قلعه ضرره:

وصاحب لأمل الدهر صحبته
لم ألقه مذ تصاحبنا فحين بدا
وأنشدني لنفسه من قديم شعره:

قالوا نهته الأربعون عن الصبا
كم جار في ليل الشباب فدلّه
وإذا عددت سنى ثم نقصتها
قلت أنا: هذا كلام نفيس، ومعنى لطيف، ولكنه أخذ معنى البيت الثانى، من قول ابن الرومى:
كفى بسراج الشيب في الرأس هاديا
فكان كرامى الليل يرمى فلا يرى
وأخذ معنى البيت الأخير، من قول أبى فراس بن حمدان في مزدوجته:

ما العمر ما طالت به الدهور
أيام عزى ونفاذ أمرى
لو شئت مما قد قللن جدا
ولكن قول أسامة أبلغ في المعنى، وهذا ظاهر قال: وأنشدني من قديم شعره:

لم يبق لي في هواكم أرب
أوضحتم لي سبل السلو وقد

الإم دمعى من هجركم سرب
إن كان هذا لأن تعبدني الحب
أحببتكم فوق ما توهمه الناس
وقوله أيضا:

يادهر مالك لا يصدك
أمرضت من أهو ويأبى
لو كنت تنصف كانت الأم
أخذ هذا المعنى من قول الشاعر:

عن مساءتى العتاب
أن أمرضه الحجاب
راض لي وله الثواب

يا ليت علته لى غير أن له
قال العماد: وهذا الذى أوردته من شعره، نقلته من تاريخ السمعاني، فلم وردت إلى دمشق، وأجتمعت به، قلت له: هل لك معنى مبتكر فى الشيب؟ فأنشدني:

لو كان صد معاتبا ومغاضبا
لكن رأى تلك النصارة قد ذوت
ورأى النهي بعد الغواية صاحبي
وأبيه ما ظلم المشيب وإنه
أنا كالدجى لما تناهى عمره
ومن شعره أيضا في محبوس:

حبسوك: والطير النواطق إنما
وتهيبوك وأنت مودع سجنهم
ما الحبس دار مهانة لذوى العلا
ومنه قوله في الشمعة:

أنظر إلى حسن صبر الشمع يظهر
كذا الكريم تراه ضاحكا جذلا
وقوله أيضا:

نافقت دهري فوجهي ضاحك جذل
وراحة قلبي في الشكوى ولذتها
وقوله أيضا:

لئن غض دهر من جماعي أو ثنى
تظاهر قوم بالشّمات جهالة
وهل أنا إلا السيف فلل حده
وقوله أيضا:

لا تحسّدن على البقاء معمرًا
وإذا دعوت بطول عمر لا مرئ
قال العماد: وتناشدنا بيتا للوزير المغربي في وصف خفقان القلب، وتشبيهه بظل اللواء، الذى تخترقه الرياح وهو:

كان قلبي إذا عن ادكاركم
فقال لى الأمير مؤيد الدولة أسامة: لقد شبهت القلب الخافق وبالغت في تشبيهه، وأربيت عليه فى قولى من أبيات وهي:

أحبابنا كيف اللقاء ودونكم
أبكيتم عيني دما لفراقكم
وكان قلبي حين يخطر ذكركم
لهب الضرام تعاورنه الريح

فقلت له: صدقت، فإن المغربى قصد تشبيهه خفقان القلب، وأنت شبهت القلب الواجب باللهيب، وخفقانه باضطرابه عند اضطرامه، لتعاور الريح، فقد أربيت عليه وأنشدني أيضا من قوله أيام شبابه، وهو معتقل فى الخيال.

فالم وهو بوجدنا مراتب
متعّبت عندي له الأعتاب
من قبل أن تنقطع الأسباب
منه وليس يزيده الإغياب
وإذا اقتسرت فما علي عتاب
ذكر الوفاء خيالك المنتاب
نفسى فداؤك من حبيب زائر
ودى كعهدك والديار قريبة
ثبت فلا طول الزيارة ناقص
حظر الوفاء على هجرك طائعا
قال: وتذكرنا قول أبي العلاء المعري:

لو حط رحلي فوق النجم رافعة
وأبلغ من هذا قول المعري في بعد المسافة:

وذكرت كم بين العقيق إلى الحمى
وعذرت طيفك في الجفاء فإنه

وأنشدني:

وأعجب ما لقيت من الليالي

ألفيت ثم خيالا منك منتظري

فجزعت من أمد المدى المتطاول
يسري فيصبح دوننا بمراحل

وأى فعالها بي لم يسؤني؟

تقلب قلب من مثواه قلبي

قال: واجتمعنا عن الملك الناصر صلاح الدين، يوسف بن أيوب بدمشق، وكان يلعب بالشطرنج، فقال الأمير أسامة: ألا أنشدك البيتين اللذين قتلتهما في الشطرنج؟ فقلت: هات، فأنشدني لنفسه:

أنظر إلى لاعب الشطرنج يجمعها
كالمرء يكدح للعنقا ويجمعها

وأنشدني لنفسه في غرض له في نور الدين محمود - رحمه الله -:

سلطاننا زاهد والناس زهدوا
أيامه مثل شهر الصوم خالية

قال: وأنشدني لنفسه:

أحبابنا هلا سبقتم بوصلنا

تشاغلتم بالهجر والوصل ممكن

كانا أخذنا من صروف زماننا

وقال أيضا:

قمر إذا عاينته شغفا به

وتلهبت خجلا فلولاً ماؤها

وازور عني مطرقاً فأضلني

فليلحنى من شاء فيه فصبوتى

وكتب إليه أبو الفوارس مرفه: من حض كيفاً، كتاباً على يد مسنمخ، فلم يمكن الوقت من بلوغ الغرض من البر، فكتب أسامة جوابه.

أبا الفوارس ما لاقيت من زمني

رأى سماحي بمنزور تجانف لي

فصرت إن هزني جان تعود أن

وقال أيضا:

سقوف الدور في خربت سود

فلا تعجب إذا ارتفعت علينا

بياض العين يكسوها جمالا

ونور الشيب مكروه وتهوى

وطرس الخط ليس يفيد علما

وله مدح صلاح الدين:

هو من عرفت فلو عصاه نهاره

وله في الهزل:

خلع الخليع عذاره في فسقه

كستها النار أثواب الحداد

فللحظ اعتناء بالسواد

وليس النور إلا في السواد

سواد الشعر أصناف العباد

وكل العلم في وشى الممداد

لرماء نقع جيوشه بالغيهب

حتى تهتك في بغا ولواط

يأتي ويؤتى ليس ينكى ذا ولا
قال العماد: وكان قد سألني أن أنتجز له مطلوباً عند الملك الناصر، صلاح الدين، فكتب إلى يستحثني:
عماد الدين مولانا جواد
يحكم في مكارمه الأمانى
وعذرك في قضا شغلى قضاء
ولمؤيد الدولة أسامة بن منقذ، تصانيف حسان، منها: كتاب القضاء، كتاب الشيب والشباب، ألفه لابييه، كتاب ذيل يتيمة الدهر
للنعالبي، كتاب تاريخ أيامه، كتاب في أخبار أهله رأيته ومن شعر الأمير الأجل مؤيد الدولة، مجد الدين أسامة بن منقذ:
صديق لنا كالبحر قد أهلك الورى
موداته تحكيه صفوا وخبرها
كمشربه من حوبه وذنوبه

ومنه أيضا:

كنت بين الرجاء واليأس منه
ألتقى عتبه بأكرم إعتاب
فبدا للملول أنى لو رمت
فتجنى لي الذنوب ولا والله

ومنه أيضا:

أنظر بعينك هل
فترى أخلاء الصفاء
ترى أحد يدوم على الموده؟
عدى إذا نابتك شدة

ومنه أيضا

تتكرني الإخوان حتى ثقاتهم
كأنى إذا أودعت سري عندهم
قال العماد: وكتبها إلى دمشق بعد خروجه إلى مصر، في أيام بنى الصوفى يشير إليهم:
لولا فلما رجونا عدلهم ظلموا
ما مر يوما بفكرى ما يريهم
ولا أضعت لهم عهدا ولا اطلعت
محاسنى منذ ملونى بأعينهم
وبعد لو قيل لي ما تحب وما
هم مجال الكرى من مقلتي ومن
تبدلوا بي ولا أبغى بهم بدلا
ياراكبا تقطع البيداء همته
بلغ أميري معين الدين مألكة
هل فى القضية يا من فضل دولته
تضيق واجب حقى بعد ما شهدت
إذا نهضت إلى مجد تؤثله
وإن عرتك من الأيام نائبة
وكل من ملت عنه قربوه ومن
أين الحمية والنفس الأبية إذ
هلا أنفت حياء أو محافظة
أسلمتنا وسيوف الهند مغمدة
وكننت أحسب من والاك في حرم
وحذرنى منهم نذير التجارب
رفعت بنار فوق أعلى المراقب
فليتهم حكموا فينا بما علموا
ولا سعت بي إلى ما ساءهم قدم
على ودائعهم فى صدرى التهم
قذى، وذكرى فى أذانهم صمم
تختار من زينة الدنيا لقلت هم
قلبي محل المنى جاروا أو احترموا
حسبى بهم أنصفوا فى الحكم أم ظلموا
والعيس تعجز عما تترك الهمم
من نازح الدار لكن وده أمم
وعدل سيرته بين الورى علم
به النصيحة والخلاص والخدم
تقاعدوا، وإذا شيدته هدموا
فكلهم للذي يبكك يبتسم
ولاك فهو الذي يقى ويهتضم
ساموك خطة خسف عارها يصم؟
من فعل ما أنكرته العرب والعجم
ولم يرو سنان السمهوري دم
لايعتريه به شيب ولا هرم

وأن جارك جار للسموئل لا
هينا جنينا ذنوبا لا يكفرها

ومنها:

لكن رأيك أدناهم وأبعدني
ولا سخطت بعادي إذ رضيت به
تعلقت بحبال منك يدي
لكن فراقك آساني وأسقمني
فاسلم فما عشت لي فالدهر طوع يدي
ومن شعره أيضا:

إلق الخطوب إذا طرقت
فسينقضي زمن الهموم
فمن المحال دوام حال

وتوفى بعد الثمانين والخمسائة. ومنهم أخوه أبو الحسن علي بن مرشد، بن علي بن مقلد، بن منقذ، سيد بني منقذ، ورد بغداد حاجا بعد العشرين والخمسائة. وقد ذكره السمعاني في تاريخه، وأنشد له:

ودعت صبري ودمعي يوم فرقتم
وضل قلبي عن صدري فعدت بلا
ولو علمت ذخرت الصبر ميتغيا

قال الأمير علي بن مرشد: سمعت دربابا يصيح بدرب حبيب فقلت فيه:

يا طائرا لعبت أيدي الفراق به
داني الأسى، نازح الأوطان مغتربا
بلا نديم ولا جار يسر به
لكن نطقت فزال الهم عنك ولى:
وكل من باح بالشكوى استراح ومن
أرقت عيني بنوح لست أفهمه
وما بكيت ولي دمع غواربه
قال: وكتب إلى صديق له:

ما فهمت مع متحدث متشاغلا
ولو استطعت لزرت أرضك ماشيا
وكتب إلى أخيه مؤيد الدولة أسامة، وهو بالموصل:

ألا هل لمخزون تذكر إلفه
وعيشا معنى بالرغم إذ نحن جبرة
لدي منزل كان السرور قرينكم
فلو أعشيت من فيض دمعي محوله
قال: وأنشدني له ابن أخيه، الأمير مرهف بن أسامي:

لأشكرن النوى والعيس إذ قصدت
فسرت في وطني إذ سرت من وطني
وقد ندمت على عمر مضى أسفا
فاسلم ولا زلت محروس العلا أبدا

يخشى الأعدى ولا تغتاله النقم
عذر فماذا جنى الأطفال والحرم

فليت أنا بقدر الحب نقتسم
ولا لجرح إذا أرضاكم ألم
ثم انتنت وهي صفر ملؤها ندم
ففي الجوانح نار منه تضطرم
وكل ما نالني من بؤسه نعم

بقلب محتسب صبور
كما انقضى زمن السرور
في مدى العمر القصير

وتوفى بعد الثمانين والخمسائة. ومنهم أخوه أبو الحسن علي بن مرشد، بن علي بن مقلد، بن منقذ، سيد بني منقذ، ورد بغداد حاجا بعد العشرين والخمسائة. وقد ذكره السمعاني في تاريخه، وأنشد له:

وما علمت بأن الدمع يدخر
قلب فياويح ما أتى وما أذر
إطفاء نار بقلبي منك تستعر

قال الأمير علي بن مرشد: سمعت دربابا يصيح بدرب حبيب فقلت فيه:

مثلى فأصبح ذا هم وذا حزن
عن الأحية مصفودا عن الوطن
ولاحميم ولا دار ولا سكن
هم يقلقل أحشائي ويخرسني
أخفى الجوى بث عنه شاهد البدن
مع ما بقلبي من وجد يؤرقني
إذا ارتمت منه لم تنشق بالسفن

إلا رأيته خاطرا في خاطري
بسواد قلبي أو بأسود ناظري

فحن وأبدى وجده من يعنيه
ترف على روض الوصال عصونه
به فتولى إذ تولى قرينه
لما رضيت عن دمع عيني جفونه

بى معدن الجود والإحسان والكرم
فمن رأى صحة جاءت من السقم؟
إذ لم أكن لك جارا فيه في القدم
ما لاحت الشهب في داج من الظلم

وقال أخوه أسامة بن مرشد: ونقلت من خط أخى عز الدولة، أبي الحسن، علي بن مرشد، من شعره، وكان استشهد رحمه الله على عزة في شهر رمضان، سنة خمس وأربعين وخمسمائة، فى حرب الفرنج لعنهم الله قبل أن يكمل من شعره، وكان تقطر به فرسه على باب غزة، واستعلى الفرنج على أصحابه، فانكشفوا عنه، وبقي في المعركة قتل، وأنشد له أشعرا، منها قوله فى مرض طال به:

ظننت، وظن الألعى مصدق
فإن لم يكن موت صريح فإنه
وكم يلبث المسجون في قبضة الأذى
وأنشد له قوله عند رحيله عن بغداد إلى الحجاز
ترحلت عن بغداد لا كارها لها
فسقيا لأيام تقضت بربعها
بإخوان صدق ليس فيهم مشاهق
وأنشد له أيضا:

ولما أعرتني النوى منك نظرة
تعقبها البين المشت فليتنا

وأنشد له:

ليت شعري علام صدك عنا
لاتجار الزمان سبقا إلى الهجر
أنت غر بغدره فلهذا

وأنشد له:

بنى أبى إن عدا دهر ففرقنا
هل تعلمون الذى فى النفس من أسف
ترحتم أدمعى حتى لقد محلت
وإن دهرًا رمى عن جيده دررا
فهم نفسى بكم ما عشت مجتمع
عليكم وحنين ليس ينقطع
جفون عيني ومات اليأس والطمع
أمثالكم لزمان عاطل ضرع

ومنهم جده سديد الملك، أبو الحسن، علي مقلد، بن منقذ، وكان من شرطه أن يقدم على بنيهِ قال: هو جد الجماعة، موفور الطاعة، أحكم أساس مجده وشادها، وفضل أمراء ديار بكر والشام وسادها.

قال أبو يعلى حمزة بن أسد: في سنة أربع وسبعين وأربعمائة فى رجب، ملك الأمير أبو الحسن، علي بن مقلد، بن منقذ، حصن شيزر، من الأسقف الذى كان فيه بمال بذله له، وأرغبه فيه إلى أن حصل فى يده، وشرع فى عمارته وتحصينه، والمصانة عنه إلى أن تمكنت حاله فيه، وقويت نفسه فى حمايته، والمدافعة عنه والأمير سديد الملك، هو ممدوح فحول الشعراء، الذى امتدحه ابن حيوس بقصيدته التي أولها - وكتبها إليه من طرابلس وهو بحلب -:

أما الفراق فقد عاصيته فأبى
أرأني البين لما حم عن قدر
وطالت الحرب إلا أنه غلبا
وداعنا كل جد بعده لعبا

قال: وسألت ابن ابنه الأمير أسامة بن مرشد، ابن علي عن وفاة جده، فقال: مات سنة خمس وسبعين وأربعمائة، قال: وأنشدني مجد العرب العامري بأصبهان قال: أنشدني الأمير أبو سلامة مرشد لأبيه الأمير، أبي الحسن علي بن مقلد فى غلام له ضربه، وقد أبدع في هذا المعنى وأعرب:

أسطو عليه وقلبي لو تمكن من
وأستعير إذا عاتبته حنقا
كفى غلها غيظا إلى عنقي
وأين ذل الهوى من عزة الحنق

قال وأنشدني له أيضا:

ماذا النجيع بوجنتيك وليس من
ألحاظنا جرحتك حين تعرضت
شدخ الأنوف على الخدود رعاف
لك أم أديمك جوهر شفاف

وقرأت له في مجموع.

إذا ذكرت أياديك التي سلفت
أكاد أقتل نفسي ثم يمنعني

وله أيضا:

مع سوء فعلي وزلاتي ومجترمي
علمي بأنك مجبول على الكرم

من كان يرضى بذل في ولايته
قالوا فنركب أحيانا فقلت لهم

وله أيضا:

من خوف عزل فإني لست بالراضي
تحت الصليب ولا في موضع القاضي

لاتعجلوا بالهجر إن النوى
وظاهرنا بوفاء فقد

وله أيضا:

تحمل عنكم مؤنة الهجر
أغناكم البين عن الهجر

ألقي المنية في درعين قد نسجا
إن الذي صور الأشياء صورني

من المنية لا من نسج داود
نارا من البأس في بحر من الجود

وهذان البيتان يرويان لعبد المؤمن ملك الغرب، ولسيد الملك، من مجموع أسامة:
كيف السلو وحب من هو قاتلي
إنى لأعمل فكرتي في سلوة

أدنى إلي من الوريد الأقرب
عنه فيظهر في ذل المذنب

وله أيضا:

بكرت تنتظر شيبي
ثم قالت لي بهزء
لاتغالطني فما تص

وثيابي يوم عيد
يا خليقا في جديد
لح إلا للصدود

قال العماد: أنشدت هذه الأبيات والقطع جميعها، الأمير مؤيد الدولة أسامة، في سنة اثنتين وسبعين، فأذكر أن يكون لجدته سوى البيتين اللذين أولهما: لاتعجلوا بالهجر إن النوى وأنشدني لجدته، وكان كتب بها إلى القاضي جلال الملك، أبي الحسن علي بن عمارة، صاحب طرابلس:

أحبابنا لو لقيتم في مقامكم
لأصبح البحر من أنفاسكم ييبسا

من الصباية ما لاقيت في ظعنى
كالبر من أدمعي ينشق بالسفن

ومنهم الأمير أبو سلامة، مرشد بن علي، بن مقلد، ابن نصر، بن منقذ، وولد المقدم ذكره، له البيت القديم، والفضل العميم، من فروع الأملاك، الفارعى الأملاك.

قال السمعاني في تاريخه: رأيت مصحفا بخطه، كتبه بماء الذهب على الطاق الصوري، ما رأيت ولا أظن أن الرائيين رأوا مثله، فقد جمع إلى فضائله حسن خطه، وتقدم بحسن تدبيره على رهطه وأسن وعمر، وله أولاد نجباء أمجاد، كرماء أجواد، وكان مولده سنة ستين وأربعمائة، ومات بشيزر، سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، فيما حكاه ولده أسامة للسمعاني. وذكره مجد العرب أبو فراس العامري، وقال: كنت مقبما مدة بشيزر في كنفهم، حاضيا برفدهم، ساميا بشرفهم وأثنى على خلفهم، وترحم على سلفهم، قال: وكان الأمير حينئذ بقلعة شيزر: السلطان أبو العساكر أخوه، وهو ممدوحى الذى حباني الإكرام والإحسان، وكان الأمير مرشد يقر بني ويكرمني، وقال في أبياتا منها

لئن نسي امرؤ عهدا فإني
وما عاش الأمير أبو فراس

لعهد أبي الفوارس غير ناس
فما مات الأمير أبو فراس

كنية العامري أبو فراس الآخر، وهو أبو فراس بن حمدان، وكان العامري ينبجج بالبيتين، وذكر السمعاني في تاريخه، أنشدني ولده أبو عبد الله محمد ابن مرشد، بن علي، بن مقلد بن منقذ، من حفظه عند القبة التي فيها قبر أيوب النبي صلى الله عليه وسلم، عند عقبة أفيق، بنواحي الأردن قال، وأنا قائم أكتب، وهو غلمانة على الخيل قال: أنشدني والداى المرشد بن علي لنفسه بشيزر:

ظلوم أبت في العلم إلا التماديا
شكت هجرنا والذنب في ذاك ذنبها
وطاوعت الواشين في وطالما

وفى الصد والهجران إلا تناهيا
فيا عجبا من ظالم جاء شاكيا
عصيت عدولا في هواها وواشيا

ومال بها تيه الجمال إلى العلا
ولا ناسيا ما استودعت من عهودها
ومنها فى العتاب:

وقلت: أخی یرعى بني وأسرتي
ويجزيهما ما لم أكلفه فعله
فأصبحت صفر الكف مما رجوته
فما لك لما أن حنى الدهر صعدي

وهيهات أن أمسى لها الدهر قاليا
وإن هي أبدت جفوة وتناسيا

ويحفظ فيهم عهدتي وذماميا
لنفسى فعد أعدته من تراثيا
أرى اليأس قد غطى سبيل رجائيا
وثلم مني صارما كان ماضيا

تنكرت حتى صار برك قسوة
على أننى ماحلت عما عهدته
فلا ز عز عتك الحادثات فإنني

قال: وقرأت فى بعض الكتب كلمة نظمها الخطيب أب الفضل، يحيى بن سلام الحصكفي، فى جواب رسالة وصلتته من الأمير
على بن مرشد من شبزر، وهى:

حوى مرشد وابناه غر المناقب
ذوائب مجد ما علمت بأنهم
أنت من على روضة جاد روضها
بأبيات شعر أفحمت كل شاعر
وغر معان أعجزن كل عالم
وربع لورد واقد لمطالع
وخود رمت بالسحر عن قوس حاجب
فلو قطبت يوما لما قطبت لها

وحلوا من العلياء أعلى المراتب
من العلم أيضا فى الذرى و الذوائب
سحائب فضل لا كجود السحائب
وآيات نثر أعجبت كل خاطب
وأسطر خط أرعشت كل كاتب
ربيع لوفد وارد بمطالب
لها فى العلا فخر على قوس حاجب
وجوه ولا غطت على حكم شارب

ومنهم حميد بن مالك، بن مغيث، بن نصر، بن منقذ، بن محمد، بن منقذ، بن نصر، بن هاشم، أبو الغنائم، الملقب بمكين الدولة،
ولد بشيزر فى تاسع جمادى الآخرة، سنة إحدى وتسعين وأربعمائة، ونشأ بها، وانتقل إلى دمشق، فسكنها مدة طويلة، وكتب فى
العسكر، وكان يحفظ القرآن، وله شعر جيد، وفيه شجاعة وعفاف، ومات فى نصف شعبان، سنة أربع وستين وخمسمائة بـحلب،
ومن شعره:

ما بعد جلق للمرتاد منزلة
فكلها لمجال الطرف منتزه
وهم وإن بعدوا عنى بنسبتهم
وقال فى أخيه يحيى:

بالشام لي حدث وجدت بفقده
فيه من اليأس المهيب صواعق
فارقت حتى حسن صبرى بعده

قال الحافظ علي بن الحسن، بن هبة الله، وأنشدنا لنفسه:

يذكرني يحيى الرماح شوارعا
وأقسم ما رؤياه فى العين بهجة
قال: وأنشد لنفسه:

وسلافة أزرى احمرار شعاعها
جاءت مع الساقى تنير بكأسها
قال: وأنشدنا لنفسه فى صديق له يعاتبه:

أدنو بودى وحظى منك يبعدنى

ولا كسكانها فى الأرض سكان
وكلهم لصروف الدهر أقران
إذا بلوتهم بالود إخوان

وجدا يكاد القلب منه يذوب
تخشى ومن ماء السماء قليب
وهجرت حتى النوم وهو حبيب

وبيض المواضى جردت للوقائع
بأحسن من أوصافه فى المسامع

بالورد والوجنات والياقوت
فكأنها اللاهوت فى الناسوت

هذا: لعمر ك عين الغبن والغبن

وإن توخيتني يوما بلائمة
وحسن طنى موقف عليك فهل
رجعت باللوم إبقاء على الزمن
غيرت بالظن بى عن رأيك الحسن
ومنهم الأمير شرف الدين، أبو الفضل، إسماعيل بن أبي العساكر، سلطان بن علي، بن منقذ، كان أبوه عم مؤيد الدولة، أسامة
بن مرشد، أمير شيزر، وكان شابا فاضلا، سكن لما أخذت منهم شيزر بدمشق، ومات بها سنة إحدى وستين وخمسمائة، قال
العماد: وسمعت من شعره:

ومهفهف كتب الجمال بخده
بالغت في استخراج فوجدته
سظرا يحير ناظر المتأمل
لا رأى إلا رأى أهل الموصل
وذكره ابن عمه الأمير مرهف بن أسامة، وأثنى عليه، وأنشدني له أشعاراً منها بيتان في النحل والزنبور وهما:
ومغردين ترنما في مجلس
هذا وجود بما وجود يعكسه
فنفاهما لأذاهما الأقوام
هذا فيحمد ذا وذاك يدام
يعنى العسل من النحل، وعكسه اللسع من الزنبور وأنشدني أيضا له:

سقيت كأس الهوى علا على نهل
نأى الحبيب فبى من نأيه حرق
فلا ترذني كأس اللوم والعذل
لو لابتست جبلا هدت قوى الجبل
وقد يزيد رسوبا نهضة الوحل
فالصب غب زيال الحب كالطلل
لكنني ثمل من طرفة الثمل
مالي بعادية الأشواق من قبل
مذ ذقت طعم النوى لليأس والأمل
منها وإن خاطرت في الوجد لم تتل
لهل دروع تقيها أسهم المقل
وانظر إلى تر العشاق في رجل
في جفنه سحر هاروت وسيف على
قلبي أعد لا رماك الله بالشلل
سهامه بالورى أم من بني ثعل؟
أمنت في حبه من روعة العذل
سقيت كأس الهوى علا على نهل
نأى الحبيب فبى من نأيه حرق
ولو تطلبت سلوانا لزدت هوى
عفت رسومي فعج نحوى لتندبني
صحوت من قهوة تنفى الهموم بها
أصبر النفس عنه وهى قائلة
كم ميتة وحياة ذقت طعمهما
والنفس إن خاطرت في غمرة وألث
لها دروع تقيها من سهام يد
فانظر إليه تر الأقمار في قمر
بأى أمر سأنجو من هوى رشا
إذا رمى طرفه باللحظ قال له
أمن بني الروم ذا الرامي الذى فتكت
إن خفت روعة هجران الحبيب فقد

ومنهم الأمير أبو الفتح، يحيى بن سلطان، بن منقذ، لقبه فخر الدولة، ذكره الأمير مرهف بن أسامة، وذكر أنه قتل على بعلبك،
فى سنة أربعين وخمسمائة وأنشدني من شعره، ما كتبه إلى أبيه عز الدين، يطلب منه رمحا:

يا خير قوم لم يزل مجدهم
عبدك يبغى أسمر ذكره
مسدد والجور من شأنه
فإن تفضلت به عاد عن
فى صفحات الدهر مسطورا
ما زال بين الناس مذكورا
إن نال، وترا صار موتورا
صدور أعدائك مكسورا

ومنهم الأمير عز الدولة أبو المرهف، نصر بن مقلد، بن نصر، بن منقذ، عم مؤيد الدولة أسامة، قال العماد: كنا حضرنا عند
الملك الناصر ليلة بدمشق، سنة إحدى وسبعين، والأمير مؤيد الدولة حاضر، وتناشدنا ملح القصائد، ونشدنا ضالة الفوائد،
وجرى حديث اقتضى إنشاد الأمير أسامة بيتين لبعضهم فى المشط الأبيض، وهما لأبى الحسن، أحمد بن محمد، بن الدريدة
المغربي، كان فى زمن بنى صالح:

كنت أستعمل السواد من الأمشاط
أتلقي مثلا بمثل فلما
والشعر فى سواد الدياجي
صار عاجا سرحته بالعاج

ثم قال الأمير: وقد أخذ هذا المعنى، عمى نصر وعكسه، وقال:

كنت أستعمل البياض من الأمشاط
فاتخذت السواد فى حالة الشيب
عجبا بلمتى وشبابي
سلوا عن الصبا بالتصابي

وقال لى الأمير أسامة: كان عمى نصر قد أخرج حجة عن والدته، فرآها فى النوم كأنها تنشده، فأثبته والأبيات على حفظه، وهي:

جزيت من ولد بر بصالحة	فقد كسبت ثوابا آخر الزمن
وقد حجبت إلى البيت الحرام وقد	أثبته زائرا يا خير محتضن
فلا تنلك يد الأيام ما طلعت	شمس وما صدحت ورقاء فى فنن

وكان نصر هذا، صاحب قلعة شيزر بعد والده سديد الملك، وكان كريما ذا أريحية حدثنى الأمير مرهف بن أسامة بحضرة والده، قال: كتب القاضى أبو مسلم وادع المعرى، إلى الأمير نصر فى نكبة نالته:

يأنصر يا ابن الأكرمين ومن	شفع التلاد بطارف الفخر
هذا كتاب من أختى ثقة	يشكو إليك نواب الدهر
فأمنن بما عودت من حسن	هذا أوان النفع والضرر

فكتب إليه نصر إنه لم يحضرنى سوى ما هو عندك مودع، وهو ستة آلاف دينار، فاصرفها فى بعض مصالحك واعذر وذكر أن نصرا كان برا بوالده سديد الملك، فقال فيه سديد الملك:

جزى الله نصرا خير ما جزيت به	رجال قضوا فرض العلاء ونفلوا
هو الولد البر العطوف وإن رمى	به حادث فهو الحمام المعجل
يفديك يا نصر رجال محلهم	من المجد والإحسان أن يتقولوا
سألنى بما أوليت بالموقف الذى	تقر به الأقدام أو تتزلزل
وأفالك يوم الحشر أبيض ناصعا	وأشكر عند الله ما كنت تفعل

وتوفى نصر بن على، فى جمادى الآخرة، سنة إحدى وتسعين وأربعمائة، بشيزر ومنهم الأمير عضد الدين أبو الفوارس مرهف بن أسامة، بن مرشد، بن على، ابن مقلد، بن نصر، بن منقذ قال مؤلف الكتاب: فارقت فى جمادى الأولى، سنة اثنتى عشرة وستمائة، بالقاهرة يحيا، ولقيته بها وهو شيخ ظريف، واسع الخلق، شائع الكرم، جماعة للكتب، وحضرت داره، واشترى منى كتباً، وحدثنى أن عنده من الكتب ما لا يعلم مقداره، إلا أنه ذكر لى، أنه باع منها أربعة آلاف مجلد فى نكبة لحقته، فلم يؤثر فيها، وسألته عن مولده، فقال: ولدت سنة عشرين وخمسمائة، فيكون عمرى إلى وقتنا هذا، اثنتين وتسعين سنة، وكان قد أقعد لا يقدر على الحركة، إلا أنه صحيح العقل والذهن، والفطنة والبصر، يقرأ الخط الدقيق كقراءة الشبان، إلا أن سمعه فيه ثقل، وكان ذلك يمنعنى من مكاثرته ومذاكرته وكان السلطان صلاح الدين رحمه الله قد أقطعه ضياعا بمصر، فهو يصرفها فى مصالحه، وأجره الملك العادل، أخو صلاح الدين على ذلك، وكان الملك الكامل بن العادل يحترمه، ويعرف له حقه، وأنشدنى شيئا من شعره وشعر أهله، لم يحضرنى فى هذا الوقت ما أورده: وذكر له العماد فى كتاب الخريدة، ما ذكر أنه سمعه منه وهو:

سمحت بروحى فى رضاك ولم يكن	ليعجزنى لولا رضاك المذاهب
وهانت لجراك العظائم كلها	على وقد جلست لدى النواب
فكان ثوابي عن ولائي لحبكم	رمتني به منك الظنون الكواذب
فمهلا فلي فى الأرض عن منزل العلا	مسار إذا أخرجتني ومسارب
وإن كنت ترجو طاعتي بإهانتني	وقسري فإن الرأي عنك لعازب

وأنشدنى أيضاً لنفسه، قال وهو حاضر عند والده، وذكر أنه مما كتبه إلى والده:

رحلتم وقلبي بالولاء مشرق	لديكم وجسمي للعناء مغرب
فهذا سعيد بالدنو منعم	وهذا شقي بالبعاد معذب
وما أدعي شوقا فسحب مدامعي	تترجم عن شوقي إليكم وتعرب
ووالله ما اخترت التأخر عنكم	ولكن قضاء الله ما منه مهرب

ومات الأمير عضد الدين بن مرهف، فى الثانى من صفر، سنة ثلاث عشرة وستمائة.

الجزء السادس

إسحاق بن إبراهيم الموصلي

كنيته أبو محمد وكان الرشيد إذا أراد أن يولع به، كناه أبا صفوان، وموضعه من العلم، ومكانه من الأدب والشعر، لو أردنا استيعابه، طال الكتاب وخرجنا عن غرضنا من الاختصار، ومن وقف على الأخبار، وتتبع الآثار، علم موضعه، وأما الغناء فكان أصغر علومه، وأدنى ما يوصف به، وإن كان الغالب عليه، لأنه كان له في سائر علومه نظراء، ولم يكن له في هذا نظير، لحق فيه من مضى، وسبق من بقى، فهو إمام هذه الصناعة، على أنه كان أكره الناس للغناء والتسمي به، ويقول: وددت أني أضرب، - كلما أراد مني من يندبني أن أغني، وكلما قال قائل: إسحاق الموصلي المغني، - عشر مقارع، ولا أطيق أكثر من هذا، وأعني من الغناء والنسبة إليه وكان المأمون يقول: لولا ما سبق لإسحاق على ألسنة الناس، وشهر به من الغناء عندهم، لوليت القضاة بحضرتي، فإنه أولى به، وأحق وأعف، وأصدق تدبينا وأمانة من هؤلاء القضاة قال: بقيت زمانا من دهرى أغلس إلى هشيم، فأسمع منه الحديث، ثم أصير إلى الكسائي، فأقرأ عليه جزءا من القرآن، وآتى الفراء، فأقرأ عليه جزءا، ثم آتى منصورا زلزل فيضاربني طريقين أو ثلاثة، ثم آتى عاتكة بنت شهدة، فأخذ منها صوتا أو صوتين، ثم آتى الأصمعي فأناشده، وآتى أبا عبيدة فأذأكره، ثم أسير إلى أبي فأعلمه ما صنعت، ومن لقيت، وما أخذت، وأتغذى معه، وإذا كان العشاء رحت إلى الرشيد وقال الأصمعي: خرجت مع الرشيد، فلقيت إسحاق الموصلي بها، فقلت له: هل حملت شيئا من كتبك؟ فقال: حملت ما خف فقلت: كم مقداره؟ فقال ثمانية عشر صندوقا، فعجبت وقلت: إذا كان هذا ما خف، فكم يكون ما ثقل؟ فقال: أضعاف ذلك وكان الأصمعي يعجب بقول إسحاق:

ودافع ضيمي خازم وابن خازم

إذا كان الأحرار أصلى ومنصبي

يداي الثريا فاعدا غير قائم

عطست بأنف شامخ وتناولت

وقال جعفر بن قدامة: حدثني علي بن يحيى المنجم قال: سأل إسحاق الموصلي المأمون أن يكون دخوله إليه، مع أهل العلم والأدب، والرواة، لامع المغنين، فإذا أراد الغناء غناه، فأجابه إلى ذلك، ثم سأله بعد ذلك بمدة، أن يكون دخوله مع الفقهاء، فأذن له في ذلك، فكان يدخل ويده في يد القضاة، حتى يجلس بين يدي المأمون وقال: ولا كل هذا يا إسحاق، وقد اشتريت منك هذه المسألة، بمائة ألف درهم، وأمر له بها. وحدث المزرباني عن محمد بن عطية الشاعر قال: كنت عند يحيى بن أكثم في مجلس له، يجتمع إليه فيه أهل العلم، وحضره إسحاق، فجعل يناظر أهل الكلام حتى انتصف منهم، ثم تكلم في الفقه فأحسن واحتج، ثم تكلم في الشعر واللغة، ففاق من حضر، فأقبل على يحيى ابن أكثم وقال: - أعز الله القاضي - أفي شيء مما ناظرت فيه تقصير؟ قال: لا والله، قال: فما بالي أقوم بسائر العوم قيام أهلها، وأنسب إلى فن واحد قد اقتصر الناس عليه؟ قال العطوى: فالتفت إلى يحيى بن أكثم، وقال: جوابه في هذا عليك، قال: وكان العطوى من أهل الجدل والكلام، فالتفت إلى إسحاق، وقلت: يا أبا محمد، أخبرني إذا قيل: من أعلم الناس بالشعر واللغة؟ أيقولون إسحاق، أم الأصمعي وأبو عبيدة؟ فقال: بل الأصمعي وأبو عبيدة، قال: فإن قيل من أعلم الناس بالنحو؟ أيقولون إسحاق، أم الخليل وسيبويه؟ قال بل الخليل وسيبويه: قال: فإن قيل: من أعلم الناس بالأنساب؟ أيقولون إسحاق، أم ابن الكلبي؟ قال: بل ابن الكلبي قال: فإن قيل: من أعلم الناس بالكلام؟ أيقولون إسحاق، أم أبو الهذيل والنظام؟ قال: بل أبو الهذيل، والنظام، قال: فإن قيل من أعلم الناس بالفقه؟ أيقولون إسحاق، أم أبو حنيفة، وأبو يوسف؟ فقال: بل أبو حنيفة وأبو يوسف، قال: فإن قيل: من أعلم الناس بالحديث؟ أيقولون إسحاق، أم علي بن المديني، ويحيى بن معين؟ قال: بل علي المديني، ويحيى بن معين. قال: فإذا قيل من أعلم الناس بالغناء؟ أيجوز أن يقول قائل: فلان أعلم من إسحاق؟ قال: لا، قلت: فمن ههنا نسبت إلى مانسبت إليه، لأنه لا نظير لك فيه، وأنت في غيره لك نظراء فضحك وقام وانصرف فقال لي يحيى بن أكثم لقد وفيت الحجة، وفيها ظلم قليل لإسحاق، لأنه ربما ماثل أو زاد على من فضله عليه، وإنه ليقول في الزمان نظيره.

وكان إسحاق قد روى الحديث عن جماعة، منهم: أبو معاوية الضرير، وهشيم، وابن عينية، وغيرهم، وكان مع كراهيته للغناء أحذق خلق الله به، ممن تقدم وتأخر، وأشد الناس بخلا به على كل أحد، حتى على جواريه وغلماؤه، ومن يأخذ عنه منتسبا إليه، متعصبا له، فضلا عن غيره، وهو الذي صحح أجناس الغناء وطرائقه، وميزها تمييزا لم يقدر عليه أحد قبله، ولا تعلق به أحد بعده، ولم يكن قديما مميزا على هذا الجنس.

وكان إبراهيم بن المهدي يأكل المغنين أكلا، حتى يحضر إسحاق فيداريه إبراهيم، ويطلب مكافأته ومعارضته، ولا يدع إسحاق يكبته، وكان إسحاق آفته، كما أن لكل شيء آفة، وله معه عدة مشاهد، قال إسحاق: كنت يوما عند الرشيد، وعنده دماؤه وخاصة، وفيهم إبراهيم بن المهدي، فقال لي الرشيد: يا إسحاق نحن:

وراح المننشون وما انتشب

شربت مدامة وشقيت أخرى

فغنيته فأقبل على إبراهيم بن المهدي، فقال: ما أصبت يا إسحاق ولا أحسنت، فقلت له: ليس هذا مما تحسنه وتعرفه، وإن شئت فنه، فإن لم أجذك تخطئ فيه منذ ابتدائك إلى انتهائك، فدمي حلال ثم أقبلت على الرشيد فقلت: يا أمير المؤمنين: هذه صناعتني، وصناعة أبي، وهى إلى قربتنا منك، واستخدمتنا إليك، وأوطأنا بساطك، فإذا ناز عنها أحد بلا علم، لم نجد بدا من الإيضاح والذب، فقال: لا عزو، ولا لوم عليك، وقام الرشيد لبيول، فأقبل على إبراهيم وقال: ويلك يا إسحاق، تجترى على وتقول ما قلت

يا ابن الزانية، فداخني ما لم أملك نفسي معه، فقلت له: أنت تشتمني ولا أقدر على إجابتك، وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة، ولولا ذلك لقد كنت أقول لك: يا ابن الزانية، كما قلت لي يا ابن الزانية، ولكن قل لي في ذمك، ينصرف إلى خالك لأعلم، ولولاك لذكرت صناعته ومذهبه قال إسحاق: وكان بيطارا، وعلمت أن إبراهيم يشكوني إلى الرشيد، وأن الرشيد سيسأل من حضر عما جرى فيخبره، ثم قلت له: أنت تظن أن الخلافة تصير إليك، فلا تزال تهددني بذلك، وتعاديني كما تعادي سائر أولياء أخيك، حسدا له ولولده على الأمر، وأنت تضعف عنه وعنهم، وتستخف بأوليائهم تشيعا وأرجو ألا يخرجها الله تعالى عن يد الرشيد وولده، وأن يقتلك دونها، وإن صارت إليك والعياذ بالله، فحرام على العيش يومئذ، والموت أطيب من الحياة معك، فاصنع حينئذ ما بدا لك.

فلما خرج الرشيد، وثب إبراهيم فجلس بين يديه، وقال يا أمير المؤمنين: شتمني وذكر أمي، واستخف بي، فغضب الرشيد وقال: ما تقول وبيك؟ قلت: لا أعلم، سل من حضر، فأقبل على مسرور وحسين الخادم فسألهما عن القصة، فجعلا يخبرانه ووجهه يريد إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة، فسرى عنه ورجع لونه، وقال لإبراهيم: ما له ذنب، شتمته فعرفك أنه لا يقدر على جوابك، ارجع إلى موضعك، وأمسك عن هذا، فلما انقضى المجلس وانصرف الناس، أمر ألا أبرح، وخرج كل من حضر، حتى لم يبق غيري، فسأ ظني وهمتني نفسي، فأقبل على وقال لي: ويحك يا إسحاق، أتراني لا أعرف وقائعك؟ قد والله زانيتك دفعات، ويحك لا تعد، ويحك حدثني عنك لو ضربك أخي إبراهيم، أكننت أقتصص لك منه، فأضربه؟ وهو أخي يا جاهل؟ أترأه لو أمر غلمان أن يقتلوك فقتلوك، أكننت أقتله بك؟ فقلت: قد والله قتلنتي يا أمير المؤمنين بهذا الكلام، ولئن بلغه ليقتلني، وما أشك في أنه قد بلغه الآن، فصاح بمسرور الخادم وقال: على بإبراهيم الساعة، وقال لي: قم فانصرف، فقلت لجماعة من الخدم، وكلهم كان لي محبا، وإلى مائلا، أخبروني بما يجري، فأخبروني من غد: أنه لما دخل عليه وبخه وجهه، وقال له: لم تستخف بخادمي؟ وصنيعتي، ونديمي، وابن خادمي، وصنيرة أبي في مجلسي، وتقدم على وتصنع في مجلسي، وحضرتي، هاه هاه، نقدم على هذا وأمثاله، وأنت مالك والغناء، وما يدريك ماهو؟ ومن أخذ لحنه وطارحك إياه، حتى تظن أنك تبلغ منه مبلغ إسحاق، الذي غذى به، وهو صناعته، ثم تظن أنك تخطئه فيما لا تدريه، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك، فلا تثبت لذلك، وتعتصم بشتمه، أليس هذا مما يدل على السقوط، وضعف العقل، وسوء الأدب، من دخولك فيما لا يشبهك، ثم إظهارك إياه ولم تحكمه، أليس تعلم ويحك؟ أن هذا سوء رأى وأدب، وقلة معرفة ومبالاة بالخطأ، والتكذيب والرد القبيح، ثم قال له والله العظيم، وحق رسوله الكريم - وإلا فأنا نفى من أبي - لن أصابه سوء أو سقط عليه حجر من السماء، أو سقط من دابته، أو سقط عليه سقف، أو مات فجأة، لأقتلنك به - والله والله والله وأنت أعلم - فلا تعرض له، قم الآن فاخرج، فخرج وقد كاد يموت، فلما كان بعد ذلك، دخلت عليه وإبراهيم عنده، فأعرضت عنه، فجعل الرشيد ينظر إلي مرة، وإلى إبراهيم أخرى، ويضحك، ثم قال له: إني لأعلم محبتك لإسحاق وميلك إليه والأخذ عنه وإن هذا لا تقدر عليه كما تريد، إلا أن يرضى، والرضا لا يكون بمكره، ولكن أحسن إليه وأكرمه، وبره وصله، فإذا فعلت ذلك، ثم خالف ما تهواه، عاقبته بيد منبسطة، ولسان منطلق، ثم قال لي: قم إلى مولاك وابن مولاك، فقبل رأسه، فقامت إليه، وأصلح بيننا وحدث المبرد قال: حدثت عن الأصمعي قال: دخلت أنا وإسحاق بن إبراهيم يوما على الرشيد، فرأيت له نفس النفس، فأنشده

وأمره بالبخل قلت لها اقصرى	فذلك شيء ما إليه سبيل
أرى الناس خلان الكرام ولا أرى	بخيلا له حتى الممات خليل
وإني رأيت البخل يزرى بأهله	فأكرمت نفسي أن يقال بخيل
ومن خير أخلاق الفتى قد علمته	إذا نال يوما أن يكون ينيل
فعالي: فعال الموسرين تكرما	ومالي: كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى	ورأى أمير المؤمنين جميل

قال: فقال الرشيد لأكيفيك إن شاء الله: ثم قال: لله در أبيات تأتينا بها، ما أشد أصولها، وأحسن فصولها، وأقل فضولها!!! وأمر له بخمسين ألف درهم، فقال له إسحاق: وصفك والله يا أمير المؤمنين لشعري، أحسن منه، فعلم أخذ الجائزة، فضحك الرشيد وقال: أجعلوها لهذا القول مائة ألف درهم. قال الأصمعي: فعلمت يومئذ أن إسحاق، أحقق بصيد الدراهم مني. وحدث إسحاق قال: قال لي الرشيد يوما: بأي شيء يتحدث الناس؟ قلت: يتحدثون أنك نقبض على البرامكة، وتولى الفضل بن الربيع الوزارة، فغضب وصاح، وقال: وما أنت وذاك؟ فأمسكت، فلما كان بعد أيام دعا بنا، فكان أول شيء غنيته:

إذا نحن صدقناك	فضر عندك الصدق
طلبنا النفع بالباطل	إذ لم ينفع الحق
فلو قدم صبا في	هواه الصبر والرفق
لقدمت على الناس	ولكن الهوى رزق

والشعر لأبى العتاهية. قال: فضحك الرشيد، وقال لى يا إسحاق: قد صرت حقوداً وحدثت شهوات جارية إسحاق، التى كان أهداها الواثق: أن محمدا الأمين، لما غنى إسحاق لحنه، الذى صنعه فى شعره:

يأيها القائم الأمير فدت
نفسك نفسي بالأهل والولد
بسطت للناس إذا وليتهم
يدا من الجود فوق كل يد

أمر له بألف ألف درهم، فرأيتها قد أدخلت إلى دارنا، يحملها مائة فراش وحدث إسحاق قال: أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهرا، لم يسمع حرفا من الأغاني، ثم كان أول من تغنى بحضرته، أبو عيسى بن الرشيد، ثم واطب على السماع، مستترا متشبهاً في أول أمره بالرشيد، فأقام على ذلك أربع حجج ثم ظهر للندماء والمغنين، وكان حين أحب السماع سأل عني، فخرجت بحضرته، وقال الطاعن على: ما يقول أمير المؤمنين في رجل يتيه على الخلافة؟ فقال: ما بقى هذا شيئا من التيه إلا استعمله، فأمسك عن ذكرى، وجفاني من كان يصلنى، لسوء رأيه الذى ظهر في، فأضر ذلك بى، حتى جاءني علوية يوما فقال لي: أأذن لى في ذكرك، فإننا قد دعينا اليوم فقلت: لا، ولكن غنه بهذا الشعر، فإنه سيبعثه على أن يسألك، لمن هذا، فإذا سألك، انفتح لك ما تريد، فكان الجواب، أسهل عليك من الابتداء، وألقيت عليه لحنى فى شعرى:

يا مشرع الماء قد سدت موارده
أما إليك طريق غير مسدود؟
لحائم حام حتى لا سبيل له
محلا عن طريق الماء مطرود

قال: فلما استقر بعلوية المجلس، غناه الشعر الذى أمرنه، فما عدا المأمون أن سمع الغناء، حتى قال: ويحك يا علوية، لمن هذا الشعر؟ قلت: ياسيدى لعبدك الذى جفوله، وأطرحته لغير جرم. فقال: لإسحاق تعنى؟ قلت: نعم. فقال: يحضرنى الساعة، فجاءني رسوله، فصرت إليه، فلما دخلت عليه، قال: ادن، فدنوت منه، فرفع يديه مددهما إلي، فأكببت عليه فاحتضنى بيديه، وأشار من يرى وإكرامى، ما لو أظهر صديق مؤانس بصديق لسره وقال إسحاق. غنيت المأمون يوما.

لأحسن من قرع المثاني ورجعها
تواتر صوت الثغر يقرع بالشعر
وسكر الهوى أروى لعظمي ومفصلي
من الشرب بالكلمات من عائق الخمر

فقال لى المأمون: ألا أخبرك بأطيب من ذلك وأحسن؟ الفراغ، والشباب، والجدة.

وحدث إسحاق قال: ذكر المعتصم وأنا بحضرته يوما بعض أصحابه، وقد غاب عنه، فقال: تعالوا حتى نقول ما يصنع فى هذا الوقت. فقال قوم: كذا، وقال آخرون: كذا، فبلغت الرنة إلى، فقال: قل يا إسحاق قلت: إذا أقول فأصيب. قال: أتعلم الغيب؟ قلت: ولكننى أقسم ما يصنع، وأندر على معرفته. قال: فإن لم تصب، قلت: وأن أصبت، قال: لك حكمك، وإن لم تصب، قلت لك دمي، قال: وجب، قلت: وجب، قال: فقل، قلت يتنفس، قال. وإن كان ميتا، قلت: تحفظ الساعة التى تكلمت فيها، فإن كان مات قبلها أو فيها، فقد قمرتني، قال: قد أنصفت، قلت: فالحكم، قال: فاحتكم ما شئت، قلت: ما حكمي إلا رضاك يا أمير المؤمنين. قال: فإن رضاي لك، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم، أترى مزيدا؟ فقلت: ما أولاك يا أمير المؤمنين بذاك، قال: فإنها مائتا ألف، أترى مزيدا؟ فقلت ما أحوجنى إلى ذاك، قال فإنها ثلاثمائة ألف، أترى مزيدا؟ قلت، ما أولاك يا أمير المؤمنين بذاك، فقال: يا صفيق الوجه ما نريد على هذا وحدث إسحاق قال: كنت جالسا بين يدى الواثق وهو ولى عهد، إذ خرجت وصيفة من القصر، كأنها خوط بان، أحسن من رآته عيني، يقدمها عدة وصائف بأيديهن المذاب والمناديل، ونحو ذلك، فنظرت إليها نظر دهش وهي ترمقني، فلما تبين إلحاح نظري إليها، قال لي: مالك يا أبا محمد، قد انقطع كلامك، وباتت الحيرة فيك؟ فلجلجت، فقال: رمتك والله هذه الوصيفة، فأصابك قلبك، فقلت: غير ملوم، فضحك وقال: أنشدني شيئا فى هذا المعنى، فأنشدني قول المرار:

ألكني إليها: عمرك الله يافتى
بأية ما قالت: متى أنت رائح
وآية ما قالت: لهن عشية
وفى الستر: حرات الوجوه ملائح
تخيرن أربابا فارمين رمية
أخا أسد إذ طوحته الطوائح
فأرسلت مسلاس الوشاح كأنها
مهاة لها طفل برمان راشح

فقال الواثق: أحسنت وحياتي وظرفتي، فاصنع فيه لحناً، فإن جاء كما أريد، فالوصيفة لك، فصنعت فيه لحناً وغنيته إياه، فانصرفت بالجارية. وحدث إسحاق قال: غنيت الواثق فى شعر قلته عنده بسر من رأى، وقد طال مقامى، واشتقت إلى أهلى، وهو:

يا حبذا ريح الجنوب إذا بدت
فى الصبح وهى ضعيفة الأنفاس
قد حملت برد الندى وتحملت
عيقا من الجناث والبسباس

فاستحسنه وقال: يا إسحاق، لو جعلت مكان الجنوب شمالا، ألم يكن أرق وأخف، وأصح للأجساد، وأقل وخامة، وأطيب للأنفاس فقلت: ما ذهب على ما قاله أمير المؤمنين، ولكن التفسير فيما بعد، وهو:

ماذا يهيج للصبابة والهوى

للصب بعد ذهوله والياس

فقال الوراق: فإنما استطيت ما يجي به الجنوب، لنسيم بغداد، لا للجنوب وإليهم اشتقت لا إليها، فقلت: أجل يا أمير المؤمنين، وقمت فقبلت يده، فضحك وقال: قد أذنت لك بعد ثلاثة أيام، فامض راشداً، فأمر لي بمائة ألف درهم. وحدث إسحاق قال: ما وصلني أحد من الخلفاء، بمثل ما وصلني به الوراق، ولا كان أحد يكرمني إكرامه، ولقد غنيته:

لعلك إن طالبت حياتك أن ترى

بلاداً بها مبدى لليلي ومحضر

فاستعاده مني جمعة لا يشرب على غيره، ثم وصلني بثلاثمائة ألف درهم، ولقد استقدمني إليه، فلما قدمت عليه، قال لي: ويحك يا إسحاق، أما اشتقت إلي؟ فقلت: بلى والله يا سيدي، وقد قلت في ذلك أبياتاً، إن أمرتني أنشدتك إياها، قال: هات، فأنشدته:

أشكو إلى الله بعدى عن خليفته

وما أعالج من سقم ومن كبر

لا أستطيع رحيلاً إن هممت به

يوماً إليه ولا أقوى على السفر

أنوى الرحيل إليه ثم يمنعني

ما أحدث الدهر والأيام في بصرى

وإنما قال: ما أحدث الدهر والأيام في بصرى، لأن إسحاق لما كبر ضعف بصره، ثم أضر واستأذنته في إنشاد قصيدة مدحته بها، فأذن لي فأنشدته:

لما أمرت بأشخاصي إليك هفا

قلبي حنيناً إلى أهلي وأولادى

ثم اعترمت ولم أحفل ببينهم

وطابت النفس عن فضل وحماد

فلو شكرت ياديكم وأنعمكم

لما أحاط بها وصفى وتعدادى

فقال أحمد بن إبراهيم: لعلي بن يحيى، وقد أخبر بهذا الخبر، أخبرني: لو قال الخليفة أحضرني فضلاً وحماداً، أليس كان إسحاق يفتضح من دمامة خلقتهم، وتجلف شاهدهما.

قال إسحاق: وانحدرت منه إلى النجف، فقلت له يا أمير المؤمنين: قد قلت في النجف قصيدة قال هاتها: فأنشدته:

يا ركب العيسى لا تعجل بنا وقف

نحي داراً ليسعدى ثم ننصرف

حتى انتهيت فيها إلى قولي

لم ينزل الناس في سهل ولا جبل

أصفى هواء ولا أغذى من النجف

حفت ببر وبحر في جوانبها

فالبر في طرف والبحر في طرف

ما يزال نسيم من يمانية

يأتيك منها برياً روضة أنف

ثم مدحته فقلت:

لا يحسب الجود يفي ماله أبداً

و لا يرى بال ما يحوى من السرف

ومضيت فيها حتى أتممتها، فطرب وقال: أحسنت والله يا أبا محمد، وكناني يومئذ، وأمر لي بمائة ألف درهم، وانحدرت معه إلى الصالحية، التي يقول فيها أبو نواس:

فالصالحية من أطراف كلواذى

فذكرت الصبيان وبغداد، فقلت:

أتبكي على بغداد وهى قريبة

فكيف إذا ما ازدددت منها غدا بعدا

لعمرك ما فارقت بغداد عن قلى

لو أنا وجدنا من فراق لها بدا

إذا ذكرت بغداد نفسي تقطعت

من الشوق أو كادت تهيم بها وجدا

كفى حزناً أن رحت لم أستطع لها

وداعاً ولم أحدث بساحتها عهدا

فقال لي الموصلى: اشتقت إلي بغداد؟ فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين، ولكن من أجل الصبيان، وقد حضرني بيتان فأنشدته:

حننت إلى أصيبية صغار

وشافك منهم قرب المزار

وأبراج ما يكون الشوق يوماً

إذا دنت الديار من الديار

فقال لي إسحاق: سر إلى بغداد، فأقم مع عيالك شهراً، ثم صر إلينا، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم. وحدث حماد بن إسحاق عن إسحاق قال: دخلت يوماً دارا الوراق بالله بغير إذن، إلى موضع أمر أن أدخله إذا كان جالساً، فسمعت صوت عود من بيت وترنماً، لم أسمع أحسن منه قط، فأطلع خادم رأسه وصاح، فدخلت، وإذا الوراق، فقال لي أى شئ سمعت؟ فقلت: الطلاق كاملاً لازم لي، وكل مملوك لي حر، لقد سمعت ما لم أسمع مثله قط حسناً، فضحك وقال: ما هو الأفضل؟ أدب وعلم مدحه الأوائل، واشتهاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتابعون بعدهم، وكثر في حرم الله عز وجل، ومهاجر رسوله صلى الله

عليه وسلم، أتحب أن تسمعه؟ قلت: أى: و الذى شرفني بخطاب أمير المؤمنين، وجميل رأيه، وقال يا غلام: هات العود، وأعط إسحاق رطلا، فدفع الرطل إلى، وضرب و غنى فى شعر لأبي العتاهية، بلحن صنعه فيه:

أضحت قبورهم من بعد عزتهم
لا يدفعون هوماً عن وجوههم
تسعى عليها الصبا و الحرجف الشمل
كأنهم خشب بالقاع منجدل

فشربت الرطل، ثم قمت ودعوت له، فأجلسنى و قال: أنتشهى أن تسمع ثانية؟ قلت: إى و الله، فغنائيه ثانية، وثالثة، وصاح ببعض خدمه، و قال: احمل إلى إسحاق الساعة، ثلاثمائة ألف درهم ثم قال يا إسحاق قد سمعت ثلاثة أصوات وشربت ثلاثة ارطال واخذت ثلاثمائة ألف درهم، فانصرف إلى أهلك مسروراً، وليسروا معك، فانصرفت بالمال. وحدث إسحاق بن إبراهيم قال: جاءني الزبير بن دحمان يوماً مسلماً، فقلت له: إلى أين؟ فقال: إن الفضل بن الربيع أمرني أن أبكر إليه لنصطبج، فقلت له: أنت تعرف أن صبوح الفضل غبوق غيره، فأقم عندى نشرب، قلت له:

أقم يا أبا العوام ويحك نشرب
إذا ما رأيت اليوم قد بان خيره
ونله مع اللاهين يوماً ونطرب
فخذ به بشكر واترك الفضل يغضب

قال: فأقام عندى وسررنا يوماً، ثم صار إلى الفضل، فسأله عن سبب تأخره عنه، فحدثه الحديث، وأنشده الشعر، فعتب علي، وحول وجه عني، وأمر عوناً حاجبه ألا يدخلني، ولا يستأذن لي عليه، ولا يوصل لي رقعة إليه، فقلت: وكتبت بها إلى الفضل:

يقول أناس شامتون و قد رأوا
لقد كان هذا خص بالفضل مرة
مقامي وإغياي الرواح إلى الفضل
فأصبح منه اليوم منصرم الحبل
لقطعت نفسى بالملامة والعذل
ولو كان لي فى ذاك ذنب علمته

و توصلت حتى عرضت الأبيات عليه، فلما قرأها قال: أعجب من ذنبه وأشد، أنه لا يرى من نفسه ذنباً بذلك الفعل، فقلت فى نفسى: لأرى أمره يصلحه إلا حاجبه عون، فقلت لعون:

عون يا عون ليس مثلك عون
لك عندى والله رضى الفضل
أنت لي إذا كان كون
غلام يرضيك أو بردون

فقال: اكتب رقعة وقل شعراً لأعرضه لك عليه، فقلت:

حرام على الراح مادمت غضبائاً
فأحسن فإنى قد أسأت ولم تزل
وما لم يعد عنى رضاك كما كانا
تعودنى عند الإساءة إحسانا

قال: فأنى الفضل بالشعرين جميعاً، فقرأهما وضحك، وقال: ويحك، وإنما عرض بقوله: غلام يرضيك بالسوء، فقال: قد وعدنى بما سمعت، فإن شئت أن تحرمنيه فأنت أعلم، فأمره أن يرسل إلي، فأتاني رسوله، فصرت إليه، فرضي عني، ووفيت لعون، وحدث إسحاق قال: عتب على جعفر بن يحيى و قال: إنى لا أراك ولا تغشاني، فقلت: إنى أتيتك كثيراً، فيحجبني خادمك نافذ، فقال: إذا حجبك عني فنكه، فكتبت إليه بعد أيام:

جعلت فداءك من كل سوء
يحولون بينى وبين السلام
إلى حسن رأيك أشكو أناسا
فلمست أسلم إلا اختلاسا
فما زاده ذاك إلا شماسا
وأنفذت أمرك فى نافذ

قال: فأحضرنى ودعا نافذاً، وقرأ الأبيات عليه، وقال له: فعلتها ياعدو الله، فغضب نافذ حتى كاد يبكى، وجعفر يضحك ويصفق، ثم لم يعد بعدها إلى التعرض. وحدث على بن الصباح قال: كانت امرأة من بنى كلاب يقال لها زهراء، تحدث إسحاق وتناشده، وكانت تميل إليه. وتكنى عنه فى شعرها، إذا ذكرته بجمال قال: فحدثنى إسحاق أنها كتبت إليه، وقد غابت عنه:

وجدى بجمال على أنى أجمجه
أو وجد تكللى أصاب الموت واحدا
وجد السقيم ببرء بعد إذناف
أو وجد مغترب من بين ألاف

قال فأجبتها:

إقر السلام على زهراء إذ ظعنت
أما رثيت لمن خلفت مكتئباً
وقل لها قد أدقت القلب ما خافا
يذري مدامعه سحاً وتو كافا
فما وجدت على إلف فجمعت به
وجدى عليك وقد فارقت ألاف

وحدث محمد بن عبد الله الخزاعى قال: أنشدنى إسحاق لنفسه:

سقى الله يوم الماوشان ومجلساً
به كان أحلى عندنا من جنى النحل

غداة اجتئنا اللهو غضا ولم نبل
غدونا صحاحاً ثم رحنا كأننا

حجاب أبى نصر ولا غضب الفضل
أطاف بنا شر شديد من الخبل
فسألته أن يكتنينا فغل، فقلت: ما حديث يوم الماوشان؟ فقال: لو لم أكتبك الأبيات، ما سألت عما لا يعينك، ولم يخبرنى. قال: وكان ابن الأعرابي يصف إسحاق ويقرظه، ويثني عليه، ويذكر أدبه وحفظه، وعلمه وصدقه، ويستحسن قوله:

هل إلى أن تنام عيني سبيل
غاب عني من لا أسمى فعيني
إن ما قل منك يكثر عندي

إن عهدي بالنوم عهد طويل
كل يوم وجداً عليه تسيل
وكثير ممن تحب القليل
وكان إسحاق إذا غنى هذه الأبيات، تفيض عيناه ويبكى أحر بكاء، فسئل عن بكائه، فقال: تعشقت جارية فقلت لها هذه الأبيات، ثم ملكتها، وكنت مشغولاً بها، حتى كبرت و اعتلت عي، فإذا غنيت هذا الصوت، ذكرت أيامه المتقدمه، وأنا أبكى على دهرى الذى كنت فيه. قال إسحاق وأنشدنى بعض الأعراب لنفسه:

إلا قاتل الله الحمامة غدوة
تغنت بصوت أعجمى فهيجت
فلو قطرت عين امرئ من صباية
فما سكنت حتى أويت لصوتها
ولي زفرات لويد من قتلني
إذا قلت هذي زفرة اليوم قد مضت
فيا منشئ الموتى أعنى على التى
لقد بخلت حتى لو انى سألتها
فقلت ارحلا يا صاحبي فيلتني
حلفت لها بالله ما أم واحد
ولا وجد أعرابية قذفت بها
إذا ذكرت ماء العذيب وطيبه
بأكثر منى لوعة غير أننى

على الغصن ماذا هيجت حين غنت
من الوجد ما كانت ضلوعى أجنت
دماً قطرت عيني دماً وأبلت
وقلت أرى هذه الحمامة جنت
بشوق إلى هاتي التى قد تولت
فمن لى بأخرى فى غد قد أظلت
بها نهلت نفسى سقاماً وعلت
قذى العين من سافى التراب لضنت
أرى كل نفس أعطيت ما تمنى!
إذا ذكرته آخر الليل أنت
صروف النوى من حيث لم تك ظنت
وبرد حصاه آخر الليل حنت
أطامن أحشائي على ما أجنت

قال: وحدث حماد بن إسحاق، لما خرج أبى إلى البصرة وعاد، أنشدنى لنفسه:

ما كنت أعرف ما فى البين من حزن
لما افترقنا على كره لفرقتنا
قامت تودعني و الدموع يغلبها
مالت على تفدني وترشفني
وأعرضت ثم قالت وهى باكبة

حتى تنادوا بأن قد جئ بالسفن
أيقنت أنى قتيل الهم والحزن
فجمجت بعض ما قالت ولم تبين
كما يميل نسيم الريح بالغصن
يا ليت معرفتي إياك لم تكن

وحدث إسحاق قال: دخلت على الأصمعى، فأنشدنه أبياتاً قلنها ونسبتها إلى بعض الأعراب، وهى: "هل أن تنام عيني سبيل" الأبيات، وهى متقدمة. قال فجعل يعجب بها ويردها، فقلت له إنها بنات ليلتها. فقال: لاجرم، إن أثر التوليد فيها بين. فقلت: ولا جرم أن أثر الحسد فيك ظاهر وكان إسحاق يقوم على ابن الأعرابي ويبره، فكان ابن الأعرابي يقول: إسحاق والله أحق بقول أبى تمام:

يرمى بأشباحنا إلى ملك

نأخذ من ماله ومن أدبه

ممن قد قيل فيه وحدث إسحاق قال: بعث إلى طلحة بن طاهر، وقد انصرف من وقعة الشراة، وقد أصابته ضربة فى وجهه، فقال: غنى، فغنيت فى شعر بعض الأعراب:

إنى لأكنى بأجبال عن أجبلها
عمدا ليحسبها الواشون غانية
ولا يغير ودى أن أهاجرها
وللقلوص ولى منها إذا بعدت

وباسم أودية عن إسم واديهها
أخرى، وتحسب أنى لست أعنيها
ولا فراق نوى فى الدار أنوبها
بوارح الشوق تنضيبنى وأنضيها

فقال: أحسنت والله، أعدته، فأعدت عليه وهو يشرب، حته صلى العتمة وأنا أغنيه إياه، فأقبل على خادم له فقال له: كم عندك؟ فقال: مقدار سبعين ألف درهم، فقال: تحمل معه، فلما خرجت من عنده، تبعني جماعة من الغلمان يسألونني، فوزعت المال بينهم، فرفع الخبر إليه فأغضبه، ولم يوجه إلى ثلاثا، فكتبت إليه:

علمنى جودك السماح فما	أبقيت شيئا لدى من صلتك
لم أبق شيئا مما سمحت به	كأن لى قدرة كمقدرتك
تتلف فى اليوم بالهبات وفي السا	عة ماتجتيبه فى سنتك
فلست أدرى من أين تنفق لو	لا أن ربى يجزي علي هبتك

فلما كان فى اليوم الرابع، بعث إلى فصرته إليه، فدخلت فسلمت، ورفع بصره إلى، ثم قال: اسقوه رطلا فسقيته، فأمر لى بأخر، وأخر، فشربت ثلاثة، ثم قال: غنى " إنى لأكنى بأجبال عن أجبلها" فغنيته إياه، ثم أتبعته الأبيات التى قلتها. فقال لى: أذن فدنوت، فقال لى: أعد الصوت، فأعدته، فلما فهمه وعرف المعنى، قال الخادم له: أحضرني فلانا فأحضره، فقال له: كم قبلك من مال الضياع؟ قال: ثمانمائة ألف درهم، فقال: أحضرها الساعة، فجئ بثمانين بدره فقال: جننى بثمانين مملوما، فأحضروا، فقال: احملوا المال، ثم قال: يابا محمد، خذ المال والممالك حتى لا تحتاج إلى أحد تعطيه شيئا.

حدث على بن يحيى النجم: أن إسحاق لما انحدر إلى البصرة، كتب إلى على بن هشام القائد، - جعلت فداك - بعث إلى أبو نصر مولاك بكتاب منك إلي، يرتفع عن قدرى، ويقصر عنه شكري، فلو لا ما أعرف من معانيه، لظننت أن الرسول غلط بي فيه، فلما لنا ولك يا أبا عبد الله، تدعنا حتى إذا نسينا الدنيا وأبغضناها، ورجونا السلامة من شرها، أفسدت قلوبنا وعلقت أنفسنا، فلا أنت تريدنا، ولا أنت تتركنا فأما ذكرته من شوقك إلي، فلو لا أنك حلفت عليه، لقلت:

يا من شكا عيئا إينا شوقه	شكوى المحب وليس بالمشاق
لو كنت مشتاقا إلى تريدى	ماطبت نفسا ساعة بفراقى
وحفظني حفظ الخليل خليله	ووفيت لى بالعهد والميثاق
هيهات قد حدثت أمور بعدنا	وشغلت باللذات عن إسحاق

قد تركت - جعلت فداك - ما كرهت من العتاب فى الشعر وغيره، وقلت أبياتا لا أزال أخرج بها إلى ظهر المربد وأستقبل الشمال، وأنتسم أرواحكم فيها، ثم يكون ما الله أعلم به، وإن كنت تكرهها، تركتها إن شاء الله:

ألا قد أرى أن الثواء قليل	وأن ليس يبقى للخليل خليل
وأنى وإن مليت فى العيش حقبة	كذى سفر قد حان منه رحيل
فهل لى إلى أن تنظر العين مرة	إلى ابن هشام فى الحياة سبيل؟
فقد خفت أن ألقى المنايا بحسرة	وفى النفس منه حاجة وغليل

وأما بعد، فإنى أعلم أنك وإن لم تسأل عن حالى، تحب أن تعلمها، وأن تأتيتك عني سلامة، فأنا يوم كتبت إليك سالم البدن، مريض القلب، وبعد فأنا - جعلت فداك - فى صنعة كتاب ظريف مليح، فيه تسمية القوم، ونسبهم وبلادهم، وأسبابهم وأزمنتهم، وما اختلفوا فيه من غنائهم، وبعض أحاديثهم، وأحاديث قيان الحجاز والكوفة، وقد بعثت إليك بنموذج، فإن كان كما قال القائل: قبح الله كل دن أوله دردي لم نتجشم إتمامه، وإن كان كما قال العربى: إن الجواد عينه فرارة، أعلمتنا، فآتمناه مسرورين بحسن رأيك فيه.

وكان إسحاق يألف عليا وأحمد بنى هشام، وسائر أهلهم ألفا شديدا، ثم وقعت بينهم نبوة ووحشة فى أمر لم يقع إلينا، فهجاهم هجاء كثيرا.

فحدث أبو أيوب المديني عن مصعب الزبيري قال: قال لي أحمد بن هشام: أما تستحي أنت وصباح بن خافان المنقري، وأنتما شيخان من مشايخ المروءة، والعلم والأدب، أن يذكركما إسحاق فى شعره، فيقول:

قد نهانا مصعب وصباح	فعصينا مصعبا وصباحا
عذلا ما عذلا ثم ملا	فاسترحنا منهما واستراحا

فقلت له: إن كان قد فعل، فما قال إلا خيرا، إنما ذكر أننا نهيناه عن خمر شربها، أو امرأة عشقها، وقد أشاد باسمك فى الشعر بأشد من هذا. قال بماذا؟ قلت: بقوله.

وصافية تعشى العيون رقيقة	رهينة عام فى الدنان وعام
--------------------------	--------------------------

أدرنا بها الكأس الروية موهنا
فما ذر قرن الشمس حتى كأننا
قال: أوقد فعل العاض بظر أمه؟ قلت: إى والله قد فعل.

من الليل حتى انجاب كل ظلام
من العى نحكى أحمد بن هشام

ومن شعر إسحاق عند علو سنه:

سلام على سير القلاص مع الركب
سلام امرئ لم يبق منه بقية
لعمري لئن حلت عن منهل الصبا
ليالى أغدو بين بردى لاهيا
ووصل الغواني والمدامة والشرب
سوى نظر العينين أو شهوة القلب
لقد كنت ورادا لمشرعه العذب
أميس كغصن البانة الناعم الرطب

وحدث أبو بكر الصولى، عن إبراهيم الشاهينى قال: كان إسحاق يسألى الله ألا يبتليه بالقولنج، لما رأى من صعوبته على أبيه، فأرى فى منامه، كأن قائلاً يقول له: قد أجيبك دعوتك، ولست تموت بالقولنج، ولكن تموت بضده، فأصابه ضرب فمات منه فى شهر رمضان، سنة خمس وثلاثين ومائتين، فى خلافة المتوكل على الله، فبلغ المتوكل نعيه، نعمه وحزن عليه. وقال: ذهب صدر عظيم من جمال الملك، وبهائه وزينته، ثم نعى إليه بعده، أحمد بن عيسى، بن زيد، بن علي، بن الحسين، ابن علي الخارج عليه. فقال: تكافأت الحالان. ثم قال: قام الفرح بوفاة أحمد، - وما كنت آمن وثبته علي -، مقام الفجيعة بإسحاق، والحمد لله على ذلك.

ورثاه أو داؤه وأصدقائه بأشعار كثيرة، منها قول إدريس بن أبى حفصة:

سقى الله يا ابن الموصلي بوابل
ذهبت فأوحشت الكرام فما بنى
إلى الله أشكو فقد إسحاق إننى
وإن كنت شيخا بالعراق يتيم

وقال مصعب بن الزبير يرثى إسحاق:

أندرى لمن تيكى العيون الذوارف
لقد امرئ لم يبق فى الناس مثله
تجهز إسحاق إلى الله رائحا
وما حمل النعش الولى عشية
فلقيت فى يمنى يدك صحيفة
تسرك يوم البعث عند قراتها
وينهل منها مسبل ثم واكف
مفيد لعلم أو صديق يلاطف
فله ما ضمت عليه اللفائف
من الناس إلا داعم العين كالف
إذا نشرت يوم الحساب الصحائف
ويقتل ضحكا كل من هو واقف

وحدث الصول قال: كان لإسحاق من الولد: حميد، وحماد، وأحمد، وحامد، وإبراهيم، وفضل، ولم يكن فى ولد إبراهيم من يغنى إلا إسحاق، وطيب أخوه، ومات إسحاق، وله من التصانيف التى تولى هو بنفسه تصنيفها: كتاب أغانيه التى غنى فيها، كتاب أخبار عزة الميلاء، كتاب أغاني معبد، كتاب أخبار حماد عجرد، كتاب أخبار حنين الحيرى، كتاب أخبار ذى الرمة، كتاب أخبار طويس، كتاب أخبار المغنين المكيين، كتاب أخبار سعيد بن مسجع، كتاب أخبار دلال، كتاب أخبار محمد بن عائشة، كتاب أخبار الأبرج، كتاب أخبار ابن صاحب الموضوع، كتاب الاختيار من الأغاني للوائح، كتاب اللحظ والاشارات، كتاب الشراب، يروى فيه عن العباس بن معن، وابن الجصاص، وحماد بن ميسرة، كتاب جواهر الكلام، وكتاب الرقص والزفن، كتاب النغم والإيقاع، كتاب أخبار الهذليين، كتاب الرسالة إلى علي بن هشام، كتاب قيان الحجاز، كتاب القيان، كتاب النوادر المتخيرة، كتاب الأخبار والنوادر، كتاب أخبار حسان، كتاب أخبار الأصوص، كتاب أخبار جميل، كتاب أخبار كثير، كتاب أخبار نصيب، كتاب أخبار عقيل بن علفة، كتاب أخبار ابن هرمة وأما كتاب الأغاني الكبير، فقال محمد بن إسحاق النديم: قرأت بخط أبى الحسن على بن محمد، بن عبيد، ابن الزبير الكوفى الأسدى، حدثنى فضل بن محمد اليزيدى قال: كنت عند إسحاق بن إبراهيم الموصلى، فجاءه رجل فقال له يا أبا محمد: أعطنى كتاب الأغاني، فقال: أيما كتاب؟ الكتاب الذى صنفته، أو الكتاب الذى صنف لي، يعني بالذى صنفه كتاب أخبار المعنيين واحدا واحدا، ويعنى بالذى صنف له، كتاب الأغاني الكبير، الذى بأيدى الناس. قال محمد بن إسحاق: وحدثني أبو الفرج الأصبهاني قال: أخبرني أبو بكر محمد بن خلف وكيع قال: سمعت حماد بن إسحاق يقول: ما ألف أبى هذا الكتاب قط، يعنى كتاب الأغاني الكبير، ولا رآه، والدليل على ذلك، أن أكثر أشعاره المنسوبة، إنما جمعت لما ذكر معها من الأخبار، وما غنى فيها إلى وقتنا هذا، وأن أكثر نسبة المغنين خطأ، والذى ألفه أبى من دواوين غنائهم،

يدل على بطلان هذا الكتاب، وإنما وضعه وراق كان لأبي بعد وفاته، سوى الرخصة التي هي أول الكتاب، فإن أبي ألفها، إلا أن أخباره كلها من روايتنا. وقال لي أبو الفرج: هذا سمعته من أبي بكر وكيع، واللفظ يزيد وينقص.

قال: وأخبرني جحظة أنه يعرف الوراق الذي وضعه، وكان يسمى سندی بن علي، وحاتوته في طاق الزبل، وكان يورق لإسحاق، فاتفق هو وشريك له على وضعه، وهذا الكتاب يعرف في القديم بكتاب السراة، وهو أحد عشر جزءا، ولكل جزء أول يعرف به، فالجزء الأول من الكتاب: الرخصة، هو من تأليف إسحاق، لا شك فيه ولا خلف. قرأت في كتاب ألف في أخبار أبي زيد البلخي، أن أبا زيد قال: وذكر كتاب الأغاني لإسحاق، فقال: ما رأيت أعجب من الموصلي، جمع علم العرب والعجم في كتاب، ثم أنشده بالاسم قال: وكان إسحاق أديبا فاضلا، متقدما في كل شيء، بلغني أنه دخل على إسحاق ابن إبراهيم، بن مصعب، يعزیه بعبد الله بن طاهر، فقال:

لم تصب أيها الأمير بعبد
فسيكفيكم البكاء عليه
الله لكن به أصيب الأنام
أعين المسلمين والإسلام

إسحاق بن إبراهيم البربري المحرر "ووالده إبراهيم" ويعرف بالنديم، كذا قال عبد الرحمن بن عيسى الوزير. قال محمد بن إسحاق بن النديم: هو إسحاق بن إبراهيم، بن عبد الله، بن الصباح، بن بشر، بن سويد، بن الأسود، التميمي ثم السعدي، وكان إبراهيم أبوه أحول، وكان محررا أيضا. وكان ول من تكلم على رسوم الخط وقوانينه، وجعله أنواعا رجل يعرف بالأحول المحرر، لا أدري: هل هو إبراهيم أو غيره؟ وكان من صنائع البرامكة، وكان يحرر الكتب النافذة من السلطان إلى ملوك الأطراف في الطوامير، وكان في نهاية الحرفة والوسخ، ومع ذلك كان سمحا لا يلبق على شيء، فلما رتب الأقلام، جعل أول الأقلام الثقال. فمنها قلم الطومار وهو أجلها، يكتب في طومارتام بسعة، وربما كتب بقلم، وكانت تنفذ الكتب إلى الملوك به، ومن الأقلام: قلم الثلثين، قلم السجلات، قلم العهود، قلم المؤامرات، قلم الأمانات، قلم الديباج، قلم المدمج، قلم المرصع، قلم التشاجي. فلما أنشأ ذو الرياستين الفضل بن سهل، اخترع قلما وهو أحسن الأقلام، ويعرف بالرئاسي، ويتفرع إلى عدة أقلام، فمن ذلك: قلم الرئاسي الكبير، قلم النصف من الرئاسي، قلم الثلث، قلم صغير النصف، قلم خفيف الثلث، قلم المحقق، قلم المنثور، قلم الوشي، قلم الرقاق، قلم المكاتبات، قلم غبار الحلبة، قلم النرجس، قلم البياض.

فأما إسحاق هذا، فإنه كان يعلم المقتدر وأولاده، وهو أستاذ ابن مقلة. ولأبي علي إليه رسالة ذكرتها في أخبار أبي علي. ويكنى بأبي الحسين، لم ير في زمانه أحسن خطا منه، ولا أعرف بالكتابة.

ولإسحاق كتاب القلم، كتاب تحفة الواثق، رسالة في الخط والكتابة، وأخوه أبو الحسن نظيره، ويسلك طريقته، وابنه أبو القاسم، إسماعيل، بن إبراهيم، وابنه أبو محمد القاسم بن إسماعيل، بن إسحاق، ومن ولده أيضا أبو العباس عبد الله بن إسحاق، وهؤلاء القوم في نهاية حسن الخط، والمعرفة بالكتابة.

إسحاق بن إبراهيم الفارابي

خال إسماعيل بن حماد الجوهري، صاحب كتاب الصحاح في اللغة، وأبو إبراهيم هذا، هو صاحب كتاب ديوان الأدب، المشهور اسمه، الذائع ذكره كتب إلينا القاضي الأشرف يوسف بن إبراهيم، بن عبد الواحد الشيباني القفطي من بلاد اليمن، وكان قد سافر إلى هناك وأقام، قال: مما أخبركم به، أن أبا إبراهيم إسحاق الفارابي مصنف كتاب ديوان الأدب، ممن ترامي به الاغتراب، وطوح به الزمان المنتاب إلى أرض اليمن، وسكن زبيد، وبها صنف كتابة ديوان الأدب، ومات قبل أن يروى عنه، وكان أهل زبيد، قد عزموا على قراءته عليه، فحالت المنية دون ذلك. قال: وكانت وفاته فيما يقارب سنة خمسين وأربعمئة، والله أعلم. ووضع كتابه على ستة كتب: الأول السالم، الثاني المضاعف، الثالث المثال، وهو ما كان في أوله أو ياء، والرابع ذوات الثلاثة، وهو ما كان في وسطه حرف من حروف العلة، والخامس كتاب ذوات الأربعة، وهو ما كان آخره حرف علة، والسادس كتاب الهمزة، وكل كتاب من هذه الستة أسماء وأفعال، يورد الأسماء أولا ثم الأفعال بعده. وله كتاب بيان الإعراب، كتاب شرح أدب الكاتب، كتاب ديوان الأدب. قرأت بخط الشيخ أبي نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري، الفارابي النسوي النيسابوري قال: قرأته على إبراهيم - رحمه الله - بفاراب، ثم على أبي السري محمد بن إبراهيم الأصبهاني بأصبهان، ثم عرضته على القاضي أبي سعيد السيرافي ببغداد. قال الحاكم: وكنت قرأت بعضه إلى موضع البلاغ، وهو آخر الأسماء على أبي يعقوب يوسف بن محمد، بن إبراهيم الفرعاني الزبرقاني قال: قرأته على أبي علي، الحسن بن علي، بن سعد الزاميني، وقرأه أبو علي على أبي إبراهيم. قال الحاكم: قول الجوهري عرضته على القاضي أبي سعد السيرافي يريد أنه، فأذكره من كلمات علم عليها بخط الجوهري، وفي آخر الثلث الأخير من نسخة الحاكم: قرأ على أبو سعد عبد الرحمن بن محمد، بن محمد، بن عزيز، هذا الكتاب من أوله إلى آخره، وصححته له، وكتبه إسماعيل بن حماد الجوهري، وعلى النسخة أيضا في موضع

آخر سمعه مني، ولدي علي والحسن، من أوله إلى آخره بقراءتي إياه، إلا أوراقا قرأها الحسن بنفسه علي، وصح سماعهما، والله تعالى يبارك لهما فيه، ويوفقهما الأعمال.

وكتب أبوهما يعقوب بن أحمد، غرة المحرم سنة خمس وخمسين وأربعمائة، ثم قرأه علي ولدي الحسن، قراءة بحث واستقصاء، من أوله إلى آخره، بما على حواشيه من الفوائد، وشرح الأبيات في شهور، سنة ثلاث وستين وأربعمائة، وعلى النسخة أيضا قبل ذلك ما صورته: سمعه مني بلفظي، وصححه عرضاً بنسختي، صاحبه أبو يوسف، يعقوب بن أحمد، وفرغ منه في ذي العقدة، سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

وكتب عبد الرحمن بن محمد بن دوست بخطه، قال مؤلف الكتاب: فهذا مه وضوحه، وكون هؤلاء المذكورين مشهورين، معروفين، ومعرفتي بالخطوط الموجودة على النسخة، كعرفتي بما لا أشك فيه، يبطل ما كتب إلينا القاضي القفطي، من كون هذا الكتاب صنف بزييد، وأنه لم يسمع علي مصنفه.

إسحاق بن أحمد، بن شبيب،

بن نصر، بن شبيب ابن الحكم، بن أفلذ، بن عقبة، بن يزيد، بن سلمة، بن روبة، بن خفاعة، بن وائل، بن هضيم، بن ذبيان الصفار، أبو نصر الأديب البخاري، من أهل بخارى، كان أحد أفراد الزمان في علم العربية، والمعرفة بدقائقها الخفية، وكان فقيهاً وورد إلى بغداد، وروى بها، ومات بعد سنة خمس وأربعمائة، فإنه في هذه السنة حدث ببغداد، ذكره السمعاني أبو سعد في تاريخ مرو، والحاكم بن البيع، في تاريخ نيسابور، والخطيب في تاريخ بغداد. قال تاج الإسلام: ومن خطه نقلت: ورد أبو نصر الصفار خراسان ثم خرج إلى العراق والحجاز، وسكن الطائف، وبها توفي، وقبره بها معروف، وله تصانيف في اللغة، وكان حسن الشعر وهو جد الزاهد الصفار إبراهيم بن إسماعيل بن، إسحاق بن أحمد، الذي لقيناه بمرور. وسمع نصر بن أحمد بن إسماعيل الكنانى. وروى عنه أبو علي الحسن بن علي بن محمد، بن المذهب التميمي البغدادي. وقال الحاكم أبو نصر الفقيه، الأديب البخاري الصفار، بعد ما ذكر سنة كما تقدم: قدم علينا حاجاً، وما كنت رأيت مثله ببخارى في سنة، في حفظ الأدب والفقه، وقد طلب الحديث في أنواع من العلم، وأنشدني لنفسه من الشعر المتين ما يطول شرحه، ثم قال: أنشدني لنفسه:

ألعين من زهر الخضراء في شغل	والقلب من هيبة الرحمن في وجل
لو لم تكن هيبة الرحمن تردعنى	شرقت من قبلى فى صحن خد ولى
يا دمية خلقت كالشمس فى المثل	حورى جسم ولكن صورة الرجل
لو كان صيد الدمى والمرد من عملى	لكننى من وثاق العقل فى عقل
الله يرقبني والعقل يحجبني	فما لمتلى إذا في اللهو والغزل
كلفت نفسى عزا في صيانتها	دين الورى لهم طرا وديني لي

وقال أبو بكر بن علي الخطيب: إسحاق بن أحمد، ابن شبيب أبو نصر البخاري، ويعرف بالصدق، قدم بغداد في سنة خمس وأربعمائة، وحدث بها عن نصر بن أحمد، بن إسماعيل الكنانى، صاحب جبريل السمرقندي، حدثني عنه الحسن بن علي، بن محمد، بن المذهب، واثني عليه خيراً. قال المؤلف: ورأيت أنا له كتاباً في النحو عجباً، سماه كتاب المدخل إلى سيبويه، وذكر فيه المبنيات فقط، يكون نحواً من خمسمائة ورقة، ووقفت منع على كلام من تبحر في هذا الشأن، واشتمل على غوامضه إلى أقصى مكان، وله غير ذلك من التصانيف في الأدب، وكتاب المدخل الصغير في النحو، وكتاب الرد على حمزة في حدوث التصحيف.

إسحاق بن بشر، بن محمد، ابن عبد الله

بن سالم أبو حذيفة البخاري، مولى بنى هاشم، ولد ببليخ، واستوطن بخارى، فنسب إليها، وهوة صاحب كتاب المبتدأ وغيره، مات ببخارى سنة ست ومائتين، حدث عن محمد بن إسحاق، بن يسار، وعبد الملك بن جريج، وسعيد بن أبي عروبة، وجوبير بن سعيد، ومقاتل بن سليمان، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، وإدريس ابن سنان، وخلق من أئمة أهل العلم أحاديث باطلة، روى عنه جماعة من الخراسانيين، ولم يرو عنه من البغداديين فيما أعلم، سوى إسماعيل بن عيسى العطار، فإنه سمع منه مصنافته، ورواها عنه، وروى الحسن بن علويه القطان: أن الرشيد بعث إلى أبي حذيفة، فأقدمه بغداد، وكان يحدث في المسجد المعروف بابن رعيان. وقال أحمد بن سيار، بن أيوب: كان ببخارى شيخ يقال له أبو حذيفة، إسحاق بن بشر القرشي، وكان

صنف في بدء الخلق كتاباً، وفيه أحاديث ليست لها أصول، وكان يتعرض فيروى عن قوم ليسوا ممن أدركهم مثله، فإذا سأله عن آخرين دونهم يقول: من أين أدركت هؤلاء؟ وهو يروى عنهم فوقهم و كانت فيه غفلة، مع أنه كان يزن بحفظ، وسمعت إسحاق بن منصور يقول: قدم علينا ههنا، وكان يحدث عن ابن طاوس، ورجال كبار من التابعين، ممن ماتوا قبل حميد الطويل. قال: فقلت له: كتبت عن حميد الطويل؟ قال: ففزع وقال: جئتم تسخرون بي، حميد عن أنس جدى لم يلق حميداً. قال: فقلنا له أنت تروى عن مات قبل حميد بكذا كذا سنة، قال: فعلنا ضعفه، وأنه لا يعلم ما يقول. وقال أبو رجاء قتيبة بن سعيد: بلغنى أن أبا حذيفة البخارى قدم مكة، فجعل يقول: حدثنى ابن طاوس، فليل لسفيان بن عيينة ذلك، فقال: سلوه عن مولده، فسألوه، فإذا ابن طاوس مات قبل مولده بسنين. فقال: وهو متروك الحديث، ساقط رمى بالكذب. قال المؤلف: كل ما تقدم من كتاب الخطيب. محمد بن إسحاق النديم: وله من الكتب كتاب المبدإ ثم كتاب الفتوح، كتاب الردة، كتاب الجمل، كتاب الألوية، كتاب صفين، كتاب حفر زمزم.

إسحاق بن مسلمة بن إسحاق القينى

أخبارى عالم أندلسى، له كتاب يشتمل على أجزاء كثيرة فى أخبار "رية" ناحية بالأندلس، وحصونها وولاتها، وحروبها، وفقهاؤها، ذكره أبو محمد بن حزم.

إسحاق بن عمار، يعرف بابن الجصاص

يكنى أبا يعقوب، من موالى اليمن، وكان صاحب عيسى بن موسى فى أول الدولة، ولم يزل معه. فكان الناس يقرءون عليه الشعر فى دار عيسى، قال المرزبانى: قال عيسى بن جعفر: إسحاق بن عمار من موالى اليمن، ويقال: هو عبد الله بن إسحاق، وإسحاق أبوه هو الجصاص، وقد اختلف فى ولائه أيضاً وقال الكسائى: إسحاق بن عمار الجصاص، أحد من أخذنا عنه الشعر، وكان عالماً به، ومات فى آخر أيام المنصور. قال: وكان إذا تكلم فى مجلس صمت الناس. وقال عبد الله بن جعفر: ذكر ابن الجصاص الكوفى الرواية، عند أحمد بن سعيد بن سالم، قال: ذكر عند أبى فاختلوا فى ولائه، فقال أبى: حدثنى من رآه، وقد دخل إلى عيسى بن موسى، بعد أن خلع وسلم العهد إلى المهدي فقال: أيها الأمير، أنت و الله كما قال الأصوص:

فمن يك عنا سائلاً بشماتة

لما مسنا أو شامتاً غير سائل

فما عجمت منا العواجم ماجداً

إذا سر لم يبطر وليس لنكبة

وحدث المبرد عن عيد الله بن صالح المقرئ قال: كان ابن الجصاص، وجناد بن واصل قاعدين، فتذاكرا القبور، فقال ابن الجصاص متمثلاً:

فإن كنت لا تدري ما الموت فانظري

إلى دير هند كيف خطت مقابره

فقال جناد:

ترى عجباً مما قضى الله فيهم

رهائن حتف أوجيته مقادره

فرد عليه أعرابى فقال:

بيوت ترمى أهلها فوق أهلها

ومستأذن لا يرحد الدهر زائره

وقال ابن الكلبي: ابن الجصاص الراوية، مولى لبشر ابن عبد الملك، بن بشر بن مروان.

إسحاق بن مرار،

أبو عمرو الشيبانى الكوفى قال الأزهرى: كان يعرف بأبى عمرو الأحوص، ومرار بكسر الميم ورأين مهملتين مخففتين، وهو مولى وليس من بنى شيبان، وإنما كان مودبا لأولاد ناس من بنى شيبان، فنسب إليهم، كما نسب إليهم، إلى يزيد ابن منصور، حين أدب ولده. وقرأت فى أمالى أبى إسحاق النجيري: ذكر أن يوسف الأصبهانى قال: أبو عمرو الشيبانى من الدهاقين وإنما قيل له الشيبانى، لأنه كان يؤدب ولد هارون الرشيد، الذين كانوا فى حجر يزيد بن يزيد الشيبانى، فنسب إليه قال عبد الله بن جعفر: وأبو عمرو راوية أهل بغداد، واسع العلم باللغة والشعر، ثقة فى الحديث، كثير السماع. وله كتب كثيرة فى اللغة جيا، مات فى أيام المأمون، سنة خمس ومائتين، وأوست ومائتين، وقد بلغ مائة سنة وعشر سنين.

وقال ابن السكيت: مات أبو عمرو، وله ثمان عشرة ومائة سنة، وكان يكتب بيده إلى أن مات، وكان ربما استعار منى الكتب،

وأنا إذ ذاك صبي أخذ عنه، وأكتب من كتبه. وقال ابن كامل: مات أبو العتاهية، وأبو عمرو الشيباني، وإبراهيم المغني، والد إسحاق في يوم واحد، سنة ثلاث عشرة ومائتين، ببغداد.

قال ابن درستويه: وله بنون وبنو بنين يروون عنه كتبه، وأصحاب علماء ثقاة، وكان ممن يلزم مجلسه، ويكتب عنه الحديث: أحمد بن حنبل - رضي الله عنه - وحدث الحزنبلي، عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني قال: لما جمع أبي أشعار القبائل، كانت نيفا وثمانين قبيلة، فكان كلها عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس، كتب مصحفا بخطه، وجعله في مسجد الكوفة، حتى كتب نيفا وثمانين مصحفا. وكان يقول: تعلموا العلم، فإنه يوطئ الفقراء بسط الملوك. وروى عن أبي عمرو الشيباني أنه قال يوما لأصحابه: لا يمينين أحد أمنية سوء، فإن البلاء موكل بالمنطق هذا المؤمل قال:

شف المؤمل يوم الحيرة النظر
فذهب بصره. وهذا مجنون بنى عامر قال:

فلو كنت أعمى أخبط الأرض بالعصا
فعمى وصم. وقال أبو شبل يهجو أبا عمرو الشيباني:

قد كنت أحجو أبا عمرو أبا ثقة
فقلت: والمرء قد تخطيه منيته
فكان ما جاد لي لا جاد عن سعة
ما الشعر ويح أبيه من صناعته
ودن خل ثقيل فوق عاتقه
فلو رأيت أبا عمرو ومشيته
حتى ألمت بنا يوما ملمات
أدنى عطيته إياي ميات
دراهم زانقات ضربجيات
لكن صناعته بخل وحالات
فيه رعيثاء مخلوط وصحناة
كأنه جاحظ العينين نهات

نهات: أي نهاق وقال محمد بن إسحاق النديم: وله من الكتب كتاب الختم، كتاب النوادر، كتاب أشعر القبائل، ختمه بابن هرمة، كتاب الخيل، كتاب غريب المصنف، كتاب اللغات، كتاب غريب الحديث، كتاب النوادر الكبير على ثلاث نسخ.

وقال أبو الطيب اللغوي في كتاب مراتب النحويين: وأما كتاب الختم فلا رواية له، لأن أبا عمرو بخل به على الناس، فلم يقرأه أحد عليه، وذكره أبو بكر الخطيب فقال: هو كوفي نزل بغداد، وحدث بها عن ركين الشامي. روى عنه ابنه عمرو، وأحمد بن حنبل، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وكان ثقة. قال ثعلب: وكان مع أبي عمرو الشيباني من العلم والسماع، عشرة أضعاف ما كان مع أبي عبيدة، ولم يكن في أهل البصرة مثل أبي عبيدة، في السماع والعلم.

قال المؤلف: ولقد أسرف ثعلب فيما فضل به أبا عمرو، فإنني لا أقول: إن الله خلق رجلا كان أوسع رواية وعلمًا من أبي عبيدة في زمانه. وحدث يونس بن حبيب قال: دخلت على أبي عمرو الشيباني، وبين يديه قمطر فيه أمناء من الكتب يسيرة، فقلت له أيها الشيخ: هذا علمك؟ فتبسم إلى وقال: إنه من صدق كثير. وقال الخطيب: كان أبو عمرو نبيلًا، وفاضلاً، عالماً بكلام العرب، حافظاً للغاتها، عمل كتاب شعراء مضر، وربيعه، ويمن، إلى ابن هرمة، وسمع من الحديث سماعاً واسعاً، وعمر عمراً طويلاً، حتى أناف على التسعين، وهو عند الخاصة من أهل العلم، والرواية مشهور معروف والذي قصر به عند العامة من أهل العلم أنه كان مستهتراً بالنبيذ والشرب له. قرأت بخط أبي منصور الأزهري، في كتاب نظم الجمان للمنزدي، حدثني أبو بكر محمد بن أحمد، بن النضر المثنى قال: حدثني سعيد بن صبيح قال: حدثني أبوك يعني النضر، قال: كنت عشيبة الخميس عند إسماعيل بن حماد، بن أبي حنيفة، وجاء أبو عمرو الشيباني فقال لي: من هذا الشيخ؟ قلت، هذا أبو عمرو الشيباني، صاحب العربية والغريب، وكان قد أتى عليه نحو من خمس عشرة سنة ومائة، فالتفتت إليه أسائله عن أيامه وسنه، ثم قال: ما راح بك؟ الك حاجة؟ قلت: نعم بلغني أنك تقول: إن القرآن مخلوق، قال: نعم، قلت: فمتى خلقه؟ قبل أن يتكلم به أو بعد ما تكلم به، فأطرق طويلاً ثم رفع رأسه، وقال: أنت شيخ جدل، هذا قلبي، وقول أمير المؤمنين. قال سعيد: فغدوت يوم الجمعة على أبي عمرو، وكان مجلسه وكنت أقرب منه، فقلت يا أبا عمرو " وإيش " كنت تصنع عند إسماعيل بن حماد؟ قال: من أخبرك؟ فقال: أحمد بن أبي غالب، أله عن هذا، فإن هذا بي عارف، يعني المأمون، دعوا هذا لا تتكلموا به.

إسحاق بن نصير الكاتب البغدادي،

أبو يعقوب، كاتب الرسائل بديوان مصر، بعد محمد بن عبد الله، ابن عبد كان، قال ابن زولاق: مات سنة سبع وتسعين ومائتين، قال ابن زولاق: وكان أبو جعفر محمد بن عبد الله ابن عبد كان، على المكاتبات والرسائل، منذ أيام أحمد بن طولون، ومكاتباته

وأجوبته موجودة، إلى أن قدم عليه أبو يعقوب، إسحاق بن نصير البغدادى من العراق، والتمس التصرف، فقال له ابن عبد كان، فيماذا تتصرف؟ فقال: فى المكاتبات والأجوبة والترسل، وكان بين يدي أبى جعفر كتب قد وردت، فقال له: خذ هذه وأجب عنها، فأخذها ومضى إلى ناحية من الدار، فأجاب عنها، فأجاب عنها، ثم وضع خفه تحت رأسه ونام، وقام أبو جعفر إلى الحجرة التي له، فاجتاز به والكتب بين يديه، فأخذها وقرأها، فلما تأملها جعل يروح إسحاق بن نصير حتى انتبه، فقال له: عمن أخذت الكتبة وأجرى عليه أربعين ديناراً فى كل شهر، فلم يزل مع أبى جعفر إلى أن توفى أبو جعفر، وانفرد بالأمر على بن أحمد الماذرائي، فقال لإسحاق: الزم منزلك، فاتصرف، فوردت كتب فأجاب عنها على بن أحمد، ودخل على أبى الجيش، خمارويه بن أحمد، بن طولون، فعرضها عليه، فقال له: ما هذه الألفاظ التي كانت تخرج منى وعنى فمضى على بن أحمد، وعاد إليه، فما أراد أبو الجيش الجواب ولا استجاده، فخرج على بن أحمد وقال: هاتوا إسحاق ابن نصير، فجئ به، فقال: أجب عن هذه، فأجاب، ودخل على بن أحمد على أبى الجيش، فقرأ الأجوبة، فقال: نعم هذا الذى أعرف "أيش الخبر"؟ فقال له: كاتب كان مع أبى جعفر، فاعتزل، وأحضرت الساعة، فقال هاته، فأحضره فقال: كم رزقك؟ فقال: أربعون ديناراً، فقال لعلي بن أحمد: "اجعلها أربعمئة فى السنة"، إجعلها له أربعمئة فى الشهر.

وقال لإسحاق بن نصير: لا تفارق حضرتى، فبلغ إسحاق حتى صار رزقه ألف دينار فى كل شهر، فكان يوجد بذلك، ويفضل به على الناس، ولقد أرسل إلى بغداد إلى ثلاثة أنفس، إلى أبى العباس المبرد، وإلى أبى العباس ثعلب، وإلى وراق كان يجلس عنده دفعة واحدة ثلاثة آلاف دينار، لكل واحد منهم ألف دينار، وجرى ذلك على يدي أحمد بن الوليد التاجر، خال القاضي بمصر.

إسحاق بن يحيى، بن شريح الكاتب

أبو الحسين النصرانى، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: كان جيد المعرفة يامر الدواوين والخراج، ومناظرة العمال، وله معرفة تامة بالنجوم، ومولده فى شعبان سنة ثلاثمئة، قال وهو يحيى. قال المؤلف: وكان قوله هذا فى سنة سبع وسبعين وثلاثمئة، قال: وله من الكتب: كتاب الخراج الكبير فى ألف ورقة، جزأين، وجعله ستة منازل كتاب الخراج الذى فى أيدي الناس مائتا ورقة، كتاب الخراج صغير نحو مائة ورقة، كتاب عمل المؤامرات بالحضرة، كتاب تحويل سني الوليد نحو مائة ورقة، كتاب جمل التاريخ.

إسحاق بن موهوب،

بن أحمد، بن محمد بن الخضر الجوالقي يكنى أبا طاهر، وهو أخو إسماعيل، ومات فى الحادى عشر من رجب، سنة خمس وسبعين وخمسمئة، ودفن بباب حرب عند أبيه وأخيه. سمع أبا القاسم بن الحصين وأباه وغيرهما، وحدث بالقليل. سمع منه القاضي القرشي قال: وسألته عن مولده فقال: فى ربيع الأول، سنة سبع عشرة وخمسمئة.

أسعد بن عصمة، أبو البيداء الرياحي

أعرابي نزل البصرة، وكان يعلم الصبيان بالأجرة وأقام بها أيام عمره، يؤخذ عنه العلم، زوج أم أبي مالك عمرو بن كركرة، وكان شاعراً، ومن شعره:

قال فيها البليغ ما قال ذو العي
وكذاك العدو لم يعد أن قال

وكل بوصفها منطق
جميلاً كما يقول الصديق

أسعد بن علي، بن أحمد الزوزني

المعروف بالبارع، أبو القاسم الأديب الشاعر، الفاضل الكاتب المترسل، مات فيما ذكره عبد الغافر فى السياق، يوم عيد الأضحى، سمة اثنتين وتسعين وأربعمئة. قرأت بخط تاج الإسلام: البارع من أهل زوزن، سكن نيسابور، وورد العراق، وأكرم فضلاًؤها مورده، وكان شاعر عصره، وأوحد دهره بخراسان والعراق، وقد شاع ذكره فى الأفق، وكان على كبر سنه، يسمع الحديث، ويكتب إلى آخر عمره، سمع أبا عبد الرحمن ابن محمد الداودى، وأبا جعفر محمد بن إسحاق البحاتي، وروى لنا عنه أبو البركات الفرارى. وأبو منصور الشحامى وغيرهما.

وذكره الباخريزي فى الدمية وقال: الأديب أبو القاسم، أسعد بن علي البارع الزوزني، هو البارع حقا، والوافر من البراعة حظاً،

وقد اكتسب الأدب بجده وكده، وانتهى من الفضل إلى أقصى حده، ولفتني إليه نسبة الآداب، ونظمتني وإياه صحبة الكتاب، وهلم جرا إلى الآن، وقد ارتدينا المشيب، وخلعنا برد الشباب ذاك القشيب، ولا أكاد أنسى وأنا في الحضر، حظي منع في السفر، وقد أخذنا بيننا بأطراف الأحاديث، ورضنا المطايا بأجنحة السير الحثيث، حتى سرنا معا إلى العراق، ونزل هو من فضلائه بمنزلة السواد من الأحداق وعنده توقعاتهم بتبريزه على الأقران، وحيازته قصبات الرهان، وأنا على ذلك من الشاهدين، لا أكتف من شهادتي دقا ولا جلا، بل أعتقد بها صكا وعليها سجلا، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه، وعازب لبه.

قال السمعاني: أنشدني الشحامي، أنشدنا البارح لنفسه:

قد أقبل المعشوق فاستقبلته	مستسقياً مستشفياً من ريقه
نشوان والإبريق في يده ولى	من ريقه ما ناب عن إبريقه
لو كنت أعلم أنه لى زائر	لرشت من دمعى تراب طريقه
ولكنت أذكرى جمر قلبى فى الدجى	بطريقه كى يهتدى ببريقه
فزويت وجهى عن مدامة كأسه	وشربت كأساً من مجاج عقيقه

وله أيضاً:

كان لون الهواء ماء	أو سندس رق أو عمامه
كان شكل الهلال قرط	أو عطفة النون أو قلامه

وله أيضاً:

ألا فاشكر لربك كل وقت	على الآلاء والنعم الجسيمة
إذا كان الزمان زمان سوء	فيوم صالح منه غنيمة

وله أيضاً:

أبو بكر حبا فى الله مالا	وكان لسانه يجرى بلالا
لقد واسى النبى بكل خير	وأعطى من ذخائره بلالا
لو أن البحر ناقضه اعتقادا	لما أعطى الإله له بلالا

ومما أورده البخارزى فى كتابه البارح:

قمر سبى قلبى بعقرب صدغه	لما تجلى عنه قلب العقرب
فأجبتك ألدبك قلبى قال لا	لكن قلبك عند قلب العقرب

قرأت فى بعض الكتب قال: الفضلاء الملقبون بالبارح فى خراسان ثلاثة: أحدهم البارح الهروى، وهو صاحب كتاب طرائف الطرف، وهو دونهم فى الفضل مرتبة، والثاني البارح البوشنجي، وهو أوسطهم، والثالث البارح الزوزني، وهو أفضلهم وأشهرهم، قال: وكان تلميذ القاضى أبى جعفر البحاتي، وهو الذى يقول فيه البحاتي:

عفجت على اليبس البويرع مرة	فقال: لقد أوجعت سرى قبله
فقلت: بزاقى لايفى بجميعه	ومن أين لى أن أبزق الدرب كله
قلت أنا: ينبغى أن يكون قد استعمله بمنارة إسكندرية، إذ عفجه فى شئ كالدرج فأوجعه. وقال البحاتي فيه أيضاً:	

للبارح ابن العاهرة	زوجة سوء فاجره
مؤاجر قد زوجوه	كفؤه مؤاجره

وقال البارح هذا، يخاطب أبا القاسم على بن أبى توار رئيس زوزون:

كف على عندها التبر	هان وللكم بخا قدر
كانها الخال على ظهرها	عنبرة قد مجها البحر

أسعد بن مسعود، بن علي،

بن محمد، ابن الحسن العتبي أبو إبراهيم، من ولد عتبة بن غزوان، وهو حفيد أبى النضر العتبي، كذا ذكر السمعاني فى المذيل، وأبو النضر: هو محمد بن عبد الجبار، وليس فى نسب هذا عبد الجبار كما ترى، ولا أدرى ما صوابه، إلا أن يكون ابن بنته.

قال السمعاني: قرأت بخط والذي: أسعد بن مسعود العتبي، مولده سنة أربع وأربعمئة، ذكره أبو الحسن البيهقي في وشاح الدمية، وقال: هو مصنف كتاب درة التاج، وكتاب تاج الرسائل، وكان كاتباً في الدواوين المحمودية، والسلجوقية، وعاش إلى آخر أيام نظام الملك وقال في الامام على الفنجكردي:

يا أوحى البلغاء والأدباء
يا سيد الفضلاء والعلماء
يامن كأن عطاردا في قلبه
يملى عليه حقائق الأشياء

وذكره أبو سعد، ونقلت من خطه، قال بعد ذكر نسبه: كان من أهل نيسابور، وكان يسكن مدرسة البيهقي، وهو من أولاد المنعمين، شاعر كاتب، تصرف في الأعمال أيام شبابه، وخرج في صحبة عميد خراسان إلى أسفار، وصحب الأكابر، وارتفعت به الأيام وانخفضت، حتى تأخر عن العمل، وتاب ولزم البيت، وقنع بالكفاف من العيش، واستراح من الأمور، وعقد له مجلس الإملاء في الجامع المنيعي، فأملى مدة، وكان يحضر عنده المدثون والأئمة ودخل بغداد، وسمع بها من أبي منصور عبد الله بن سعيد، بن مهدي الكاتب الخوافي وسمع بنيسابور ومرو، وغير ذلك، وسمع جده أبا النضر العتبي، وروى لنا جماعة عنه.

قال: وقرأت بخط أبي جعفر، محمد بن علي الحافظ الهمداني: أسعد بن مسعود العتبي: شيخ عالم، ثقة دين، كان يثنى عليه أبو صالح المؤذن الحافظ، وذكره في موضع آخر وقال: أسعد العتبي: تزهّد وكان من الصالحين. قال السمعاني: أنبأنا أبو البركات الفراوي، عن ابن مسعود، عن عبد القاهر بن طاهر التميمي، حدثني شيخ فاضل قال: دخلت المسجد الجامع بالبصرة، فرأيت شيخاً بهياً قد قطع مسافة العمر، فسلمت عليه، وقلت: أتفرس أنك شاعر؟ فقال: أجل، فقلت: أنشدني من مقولك، ما يكون لي تذكرة منك، فقال اكتب:

قالوا تغير شعره عن حاله
أما الهجاء فمعه شيء زاهر
قال السمعاني: أنشدني أبو الحسين، أحمد بن محمد السمناني المصري، أنشدنا أبو إبراهيم أسعد العتبي لنفسه:
قد كنت فيما مر من أزمانى
ورأيت خلاني وأهل مودتى
فتغيروا لما رأونى تائباً
دعهم وعادتهم فلم أر مثلهم
واغسل يديك من الزمان وأهله
والهم يشغلنى عن الأشعار
والمدح قل لقلّة الأحرار
متوانيا لتقاصر الإحسان
متوفرين معا على الإخوان
وعن التصرف قد صرفت عناني
إلا مجرد صورة الإنسان
بالطين والصابون والأشنان

أسعد بن المهذب، بن أبي المليح

مماتي أحد الرؤساء الأعيان الجلة، والكتاب الكبراء المنزلة، ومن تصرف بالأعمال، وولى رئاسة الديوان، وله أدب بارع، وخاطر وقاد مسارع، وقد صنف في الأدب وعرف، ومات بمدينة حلب في الثامن عشر من جمادى الأولى، سنة ست وستمئة، على ما نذكره إن شاء الله تعالى، وأصله من نصارى أسيوط، بليدة بصعيد مصر، قدموا مصر، وخدموا وتقدموا، وولوا الولايات، وهو مع ذلك، من أهل بيت في الكتابة عريق، وهو كالمستولى على الديار المصرية، ليس على يده يد، والمسمون بالخلافة، محجوبون ليس لهم غير السكة والخطبة، وكان إلي مماتي كثير من الأعمال، فحدثني صاحب الكبير، الوزير الجليل، جمال الدين الأكرم، أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني القفطي، - حرس الله علاه - بمدينة حلب قال: بلغني أن بعض تجار الهند، قدم إلى مصر، ومعه سمكة مصنوعة من عنبر، قد تنوق فيها وأجيدت، وطيبت ورصعت بالجواهر، فعرضها على بدر الجمالي ليبيعه منه، فسامها من صاحبها، فقال: لا أنقصها عن ألف دينار شيئاً، فأعيدت إليه، فخرج بها من دار بدر، فقال له أبو المليح: أرني هذه السمكة، فإراه إياها، فقال له كم سمت فيها؟ فأخذ بيده، وقبض ألف دينار من ماله، وتركها عنده مدة، فاتفق أن شرب أبو المليح يوماً وسكر، وقال لندمائه: قد انتهيت سمكاً، هاتم المقلّى والنار، حتى نقليه بحضرتنا، فجاء بمقلّى حديد وفحم، وتركوه على النار، وجار بتلك السمكة العنبر، فتركها في المقلّى، فجعلت تنقل وتفرح رواحها، حتى لم يبق بمصر دار، إلا ودخلتها تلك الرائحة، وكان بدر الجمالي جالساً، فشم تلك الرائحة وتزايدت، فاستدعى الخزان، وأمرهم بفتح خزائنه وتفتيشها، خوفاً من حريق قد يكون وقع فيها، فوجدوا خزائنه سالمة، فقال: وبحكم، انظروا ما هذا، ففتشوا حتى وقعوا على حقيقة الخبر، فاستعظم الأمر وقال: هذا النصراني، الفاعل الصانع، قد أكل أموالي، واستبد بالدينا دوني، حت أمكنه أن يفعل مثل هذا، وتركه إلى الغداة، فلما دخل إليه وهو مغضب، قال له ويحك: أستعظم أنا وأنا ملك مصر شري سمكة من العنبر، فأتركها استكثارا لثمنها، فتشترى بها أنت!! ثم لا يفتحك حتى نقلها، وتذهب في ساعة ألف دينار مصرية، ما فعلت هذا، إلا وقد

نقلت بيت أموالي إليك، وفعلت، فقال له: والله ما فعلت هذا إلا غيرة عليك، ومحبة لك، فإنك اليوم سلطان نصف الدنيا، وهذه السمكة لا يشتريها إلا ملك، فخفت أن يذهب بها إلى بعض الملوك، ويخبره بأنك استعظمتها ولم تشتريها، فأردت أن أعكس الأمر، وأعلمه أنك ما تركتها إلا احتقارا لها، وأنها لم يكن لها عندك مقدار، وأن كاتبنا نصرانيا من كتابك اشتراها، وأحرقها، فيشيع بك ذكرك، ويعظم عند الملوك قدرك، فاستحسن بدر ذلك منه، وأمر له بضعفي ثمنها، وزاد في رزقه. وكان مماتي مع ذلك كريما ممدحا، قد مدحه الشعراء، فذكر أبو الصلت في كتاب الرسالة المصرية له، أن أبا طاهر إسماعيل بن محمد النشاع، المعروف بابن مكنسة، كان منقطعا إليه فلما مات مماتي، رثاه ابن مكنسة بقصيدة منها:

ماذا أرجى من حياتي
بعد موت أبي المليح
ما كان بالنكس الدنيي
من الرجال ولا الشحيح
كفر النصاري بعد ما
غدروا به دين المسيح

كذا قال، ولعلهم اغتالوه أو قتلوه. ولما ولي الأفضل بن أمير الجيوش، بدر الجمالي بعد أبيه، دخل إليه ابن مكنسة مادحا، فقال له: ذهب رجاؤك بموت أبي المليح، فما الذي جاء بك إلينا، وحرمة ولم يقبل مديحه. وأما المذهب والده، وكان يلقب بالخطير، فإنه كان كاتب ديوان الجيش بمصر، في أواخر أيام المصريين، وأول أيام بني أيوب مدة، فقصدته الكتاب، وجعلوا له حديثا عند السلطان، فهم به صلاح الدين يوسف بن أيوب، أو أسد الدين شيركوه، وهو يومئذ المستولي على الديار المصرية، فخاف المذهب، فجمع أولاده ودخل على السلطان، وأسلموا على يده، فقبلهم وأحسن إليهم، وزاد في ولاياتهم، وجب الإسلام لما قبله. ووجدت على ظهر كتاب من تصانيف ابن مماتي مكتوبا: كان المذهب أبوه، المعروف بالخطير، مرتبا على ديوان الإقطاعات، وهو على دين النصرانية، فلما علم أسد الدين شيركوه، في بدء أمره بمصر أنه نصراني، وأنه يتصرف في عمله بلا غبار، نهاه وأمره بغيار النصاري، ورفع الذؤابة وشد الزنار، وصرفه عن الديوان، فبادر هو وأولاده، فأسلموا على يده، فأقره على ديوانه مدة، ثم صرفه عنه، فقال فيه ابن الذرؤي:

لم يسلم الشيخ الخطير
بل ظن أن محاله
لرغبة في دين أحمد
يبقى له الديوان سرمد

والآن قد صرفوه عنه فدينه فالعود أحمد قال: ووجدت بخط ابن مماتي:

صح التمثل في قديم
لما أمر شيركوه النصاري بلبس الغيار، وأن يعمموا بغير عذبة، قال عمارة اليميني:
يا أسد الدين ومن عدله
كفى غيارا شد أوساطنا
يحفظ فينا سنة المصطفى
فما الذي يوجب كشف القفا

وجرى معه حديث النحويين، وأن أحدهم ينفذ عمره فيه، ولا يتجاوز إلى شيء من الأدب - الذي يراد النحو لأجله - من البلاغة، وقول الشعر، ومعرفة الأخبار والآثار، وتصحيح اللغة، وضبط الأحاديث. فقال الأسعد: هؤلاء مثلهم مثل الذي يعمل الموازين، وليس عنده ما يزن فيه، فيأخذها غيرهم، فيزن فيها الدر النفيس، والجوهر الفاخر، والدنانير الحمر، والجواهر البيض، وهذا عندي من حسن التمثيل. أنشدنا سعيد بن أبي الكرم، بن هبة الله المصري قال: أنشدني الخطير أبو سعيد بن مماتي لنفسه، في أبي سعيد بن أبي اليمن النحال وزير العادل، وكان نصرانيا واسلم، وكان أملح الناس وجهها، أعنى ابن النحال.

وشادن لما أتى مقبلا
ومذ رأيت النمل في خده
سبحت رب العرش باريه
أيقنت أن الشهد في فيه

وأنشدنا سعيد بن أبي الكرم المذكور، قال: أنشدني الخطير أبو سعيد بن مماتي، في ابن النحال أيضا، وكان يسكن ابن النحال في أول الدرب، وكان في آخر الدرب صبي مثله في الحسن، يعرف بابن زنبور:

حوى درب نور الدين كل شمردل
بأوله للشهد والنحل منزل
مشددة أوساطهم بالزنانير
وأخره يا سادتي للزنانير

ومن عجيب ما جرى للخطير: أنه كان يوما جالسا في انه في حجرة موسومة بديوان الجيش، من قصر السلطان بمصر، وكانت حجرة حسنة مرخمة منمقة، فجاءه قوم وقالوا له: قم من ههنا، فقال لهم: ما الخبر؟ فقالوا: قد تقدم الملك العادل أبو بكر بن أيوب، بأخذ رخام هذه الحجرة، وأن يعمر به موضعا آخر، فخرج منكسرا كاسفا، فقبل له في ذلك: فقال: قد استجيبت فينا دعوة، وما أظنني أجلس في ديوان بعدها، أما سمعتم إذا بالغوا في الدعاء علينا قالوا: خرب الله ديوانه، وما بعد الخراب إلا اللياب، ثم دخل منزله، أوح فلم يخرج منه إلا ميتا، فلما مات خلفه ابنه الأسعد هذا، على ديوان الجيش، وتصدر فيه مدة طويلة، ثم أضيف إليه في الأيام الصلاحية والعززية ديوان المال، وهو أجل ديوان من دواوين مصر، وتصدر فيه، واختص بصحبة القاضي الفاضل، عبد الرحيم بن علي البيساني، ونفق عليه، وحظى عنده، وكرم لديه، فقام بأمره، وأشاع من ذكره، ونبه على فضله،

وصنف له عدة تصانيف باسمه، ولم يزل على ذلك، إلى أن ملك الملك العادل، أبو بكر ابن أيوب الديار المصرية، وكان وزيره، والمدير لدولته، الصفي عبيد الله بن علي بن شكر، وكان بينه وبين الأسعد ذحل قديم أيام رياسته عليه، ووقعت من الأسعد إهانة في حق ابن شكر، فحقها عليه، إلى أن تمكن منه، فلما ورد مصر، أحضر الأسعد إليه، وأقبل بكلينه عليه، وفوض إليه جميع الدواوين، التي كانت باسمه قديما، وبقي على ذلك سنة كاملة، ثم عمل له المؤامرات، ووضع عليه المحالات، وأكثر فيه التأويلات، ولم يلتفت إلى أعداره ولا اعاره طرفا لا اعتذاره، فنكبه نكبة قبيحة، ووجه عليه أموالا كثيرة، وطالبه بها، فلم يكن له وجه، لأنه كان عفيفا ذا مروءة، فأحال عليه الأجناد، فقصدوه وطالبوه، وأكثروا عليه، وأذوه، واشتكوه إلى ابن شكر، فحكمهم فيه. فحدثني المؤيد إبراهيم بن يوسف الشيباني قال: سمعت الأسعد يقول: علقت في المطالبة على باب داري بمصر، على ظهر الطريق في يوم واحد، إحدى عشرة مرة، فلما قدم رأوا أنني لا وجه لي، قيل لي تحيل، ونجم هذا المال عليك في نجوم، فقلت: أما المال فلا وجه له عندي، ولكن إن أطلقت وملكت نفسي، استجديت من الناس، وسألت من يخافني ويرجوني، فلعلي أحصل من هذا الوجه، فأما من وجه حاصل، فليس لي بعد ما أخذتموه مني درهم واحد، فنجم المال على، وأطلقت وبقيت مديدة إلى أن حل بعض نجوم المال على، فاخفقت واستترت، وقصدت القرافة، وأخفيت نفسي في مقبرة الماذرائيين، وأقمت بها مدة عام كامل، وضاق الأمر على، فهربت قاصدا للشام على اجتهد من الأستاذ، فلحقني في بعض الطريق فارس مجد، فسلم على، وسلم إلى مكتوبا ففضضته، وإذا هو من الصفي بن شكر، يذكر فيه: لاتحسب أن اختفاءك عني، كان بحيث لا أدري أين أنت؟ ولا أين مكانك؟ فاعلم أن أخبارك كانت تأتيني يوما يوما، وأنت كنت في قبور الماذرائيين بالقرافة، منذ يوم كذا، وأنت اجتزت هناك، واطلعت فرأيتك بعيني، وأنت لما خرجت هاربا عرفت خبرك، ولو أردت ردك لفعلت، ولو علمت أنك قد بقي لك مال أو حال لما تركتك، ولم يكن ذنبك عندي مما يبلغ أن أتلف معه نفسك، وإنما كان مقصودي: أن أدعك تعيش خائفا فقيرا، غريا ممجبا في البلاد، فلا تظن أنك هربت مني بمكيدة صحت لك علي، فاذهب إلى غير دعة الله، قال: وتركني القاصد وعاد، فبقيت مبهوتا إلى أن وصلت إلى حلب.

فحدثني صاحب جمال الدين الأكرم - أدام الله علوه - لما ورد إلى حلب، نزل في داري فأقام عندي مدة، وذلك في سنة أربع وستمئة، وعرف الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين، بن أيوب - رحمه الله - خبره فأكرمه، وأجرى عليه في كل يوم ديناراً سوريا، وثلاثة دنانير أخرى أجرة دار، فكان يصل إليه في كل ثلاثة أشهر ثلاثون ديناراً، غير بر وأطاف، ما كان يخليه منها، وأقام عنده على قدم العطلة، إلى سنة ست وستمئة، كما ذكرنا، ومات فدفن بظاهر حلب، بمقام بقرب قبر أبي بكر الهروي. وله تصانيف كثيرة يقصد بها قصد التأديب، وفي معرض وقائع تجرى، ويعرضها على الأكابر، لم تكن مفيدة إفادة علمية، إنما كانت شبيهة بتصانيف الثعالبي وأضرابه، فمن ذلك كتاب تلقين النفنن في الفقه، كتاب سر الشعر، كتاب علم النثر، كتاب الشيء بالشيء يذكر، وعرضه على القاضي، فسماه سلاسل الذهب، لأخذ بعضه بشعب بعض، كتاب تهذيب الأفعال لابن ظريف، كتاب قرقرة الدجاج، في ألفاظ ابن الحاج، كتاب الفاشوش في أحكام "قراقوش"، كتاب لطائف الذخيرة لابن بسام كتاب ملاذ الأفكار وملاذ الاعتبار، كتاب سيرة صلاح الدين يوسف بن أيوب، كتاب أخاير الذخائر، كتاب كرم النجار في حفظ الجار، عمله للملك الظاهر لما قدم عليه، كتاب ترجمان الجمان، كتب مذاهب المواهب. كتاب باعث الجلد عند حادث الولد، كتاب الحض على الرضى بالحظ، كتاب زواهر السدف وجواهر الصدف، كتاب قرص العتاب، كتاب درة التاج، كتاب ميسور النقد، كتاب المنتحل، كتاب أعلام النصر، كتاب خصائص المعرفة في المعميات، وكان علم الدين بن الحاج، شريكه في ديوان الجيش، وكان بينهما ما يكون بين المتماثلين في العمل، فعمل فيه الكتاب المتقدم ذكره، وهجاه بعدة أشعر، منها:

حكي نهريين ما في الأرض

ففى أفعاله ثورى

من يحيهما أبدا

وفي ألفاظه بردى

وكان له نوادر حسنة حادة، منها ما حدثني به صاحب القاضي الأكرم، قال: ركبنا وخرجنا يوما نسير بظاهر حلب، فكان خروجنا من أحد أبوابها، ودرنا سور البلد جميعه، ثم دخلنا من ذلك الباب، فقال: اليوم تسييرنا تدليك، قلت: كيف؟ قال من برا برا. وكان السيد بن المنذر، وهو رجل فقيه، اتصل بالسلطان صلاح الدين، يوسف بن أيوب بعض الاتصال، فجعل لنفسه بذلك سوفا، واستجلب بما يمت به من ذلك، وإن كان باطلا رزقا، وكان أعور رديئا، قليل الدين بغیضا، ولما أحدث الملك الظاهر غازي، قناة الماء بحلب، وأجراها في شوارعها ودور الناس، فوض إلى ابن المنذر النظر في مصالحها، ورزق على ذلك رزقا حسنا، نحو ثلاثمائة درهم في الشهر، فسأل عنه الأمير فارس الدين، ميمون القصري، والأسعد بن مماتي حاضر، فقال له مسرعا: هو اليوم مستخدم على قناة، فأعجب بحسن هذه النادرة الحاضرين.

وقيل للأسعد يوما: أى شيء يشبه ابن المنذر؟ فقال: يشبه الزب، فاستبردوا ذلك، وظنوا أنه إنما ذهب إلى عورة فقط، فقال: مالكم لا تسألوني كيف يشبهه؟ فقالوا: كيف؟ قال: هو أقرع أصلع أعور، يسمع بلا أذن، يدخل المداخل الرديئة بحدة واجتهاد، ويرجع منكسرا، فاستحسن ذلك. وله شعر، من ذلك قوله فى الثلج في رجب، سنة خمس وستمئة:

قد قلت لما رأيت الثلج منبسطا

على الطريق إلى أن ضل سالكها

ما بيض الله وجه الأرض في حلب
وقال أيضا فيه:

لما رأيت عيني الثلج
وصار ليل الثرى منه
حسبت ذلك من ذوب
أو من حباب الحميا
فما على داخل النار

وقال أيضا فيه:

بسيف غياث الدين غازي بن يوسف بن
وشاهدته في الدست والثلج دونه

وقال أيضا فيه:

مذ رأينا الصبح يزدان
وحسبنا نوره بطرد
نثر الثلج علينا
ورأى أن يرسل الأسهم
فعدا الكافور في عنبرة

وقال أيضا فيه:

لما رأيت عيني الثلج
وقلت من عجب منه
وخلته من ثغور الملا
فما أرادوا من الدر

وقال أيضا فيه:

لما رأيت الثلج قد
وأنسب الصبا الصبا
خفت فما فتحت من
فإن نما صبرى وهو

وقال أيضا فيه:

لما رأيت الثلج قد
سألت ياهل حلب

نقل من خطه ومن شعره أيضا:

وحياء ذاك الوجه بل وحياته
لأرابطن على الغرام بشعره
وأجاهدن عواذلي في حبه
قد صيغ من ذهب وقلد جوهر

وله أيضا:

يعاهدني ألا يخون وينكث
ومن أعجب الأشياء أنك ساكن
وللحسن يا لله طرف مذكر

ومنه أيضا:

إلا لأن غياث الدين مالکها

ساقطا كالأقاحي
أبيضضا كالصباح
در عقد الوشاح
أو من ثغور الملاح
بعد ذا من جناح

أيوب دام القتل واتصل الفتح
فقلت: سليمان بن داود والصرح

ويزداد انفرasha
من خلف الفرasha
ياسمينا وفرasha
بالبرد فرasha
الأرض فرasha

خلته الياسمينا
أصبح الآس مينا
ح للاثمينا
قط إلا ثمينا

أضحت به الأرض سما
وأذكرت جهنما
تعاضم الخوف فما
ناقص فإنما

غطى الوهاد والقنن
هل نمطر السما اللين؟

قسم يريك الحسن في قسماته
لأفوز بالمرجو من حسناته
بالمرهفات على من لحظاته
فلذاك ليس يجوز أخذ زكاته

ويحلف لي ألا يصد ويحنث
بقلي وأني عن مكانك أبحث
يتيه به عجا وطرف مؤنث

أجر لمن تهجر أجر الشهيد
بأسهم اللحظ فقيد الفقيد

يا سالب الطبية لحظاً وجيد
متى رأى طرفك قتل امرئ

ولد دوييت:

يا غصن، أراك حاملاً عود أراك	حاشاك إلى السواك يحتاج سواك
قل ي: أنهاك عن محبيك نهأك	لو تم وفاك بست خديك وفاك
كذا وجدت له في اشعارمجموعة، وأنشدني هذين "الدوييت" بعض أهل الأدب، وذكر أنهما للعماد الأصبهاني الكاتب، وهما به أشبه، لأنهما في غاية الجودة، وابن مماتي، في طبقة شعره انحطاط جداً. ومن شعره أيضاً:	
قد نهانا عن الغرام نهانا	إذ هوانا ألا تذوق هوانا
وهجرنا الحبيب خيفة أن يهجر	بدءا فيستمر عنانا
وتركنا للورى فكأنا	قد أدرنه بيننا دستكانا
وأنسنا من وحشة بفراق	فافترقنا كما ترى برضانا
وسمعنا من العذول كلاما	فأنفنا من ضحكه لبيكانا
أى خير يكون في حب من فوق	سهما من لحظة ورمانا
نحن لو لم نكن هجرناه من قبل	لأبدى صدوده وجفانا
شيمة في الملاح قد أحسن الدهر	بإعلامها بنا وأسانا
وصباح المشيب يظهر ما كان	ظلام الشباب عنه ثنانا
ما مشينا إلى الصبابة إلا	وخطانا معدودة من خطانا
فأدراها معسجات كؤوسا	مطلعات من الحباب جمانا

أسلم بن سهل، بن أسلم،

بن زياد، ابن حبيب الرزاز، أبو الحسن المعروف بنحشل الواسطي، منسوب إلى محلة الرزازين، المحلة للسفلي بواسط، ومسجده هناك وداره، وهو ثقة، إمام يصلح للتصحيح، وجده لأمه: أبو محمد وهب بن بقية، ويقال: وهبان. جمع نحشل تاريخ واسط، وضبط أسماء أهلها، ورتب طبقاتهم، وكان لا مزيد عليه في الحفظ والإتقان. مات في سنة ثمان وثمانين ومائتين، قبلها أو بعدها بقليل. حدث عنه بتاريخه أبو بكر، محمد بن عثمان، بن سمعان المعدل، وكان يضاهيه في الحفظ والإتقان، وشركه في أكثر شيوخه، ومات قبل الثلاثين وثلاثمائة. ذكر ذلك كله السلفي الحافظ، في السؤالات التي سألها خميسا الحوزي.

إسماعيل بن أحمد، بن عبد الله،

الحيري أبو عبد الله الضرير المفسر، المقرئ الواعظ، الفقيه المحدث الزاهد، أحد المسلمين، والحيرة محلة بنيسابور هي الآن خراب، مات فيما ذكره عبد الغافر بن إسماعيل بعد الثلاثين وأربعمائة، ومولده سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. قال: وله التصانيف المشهورة في علوم القرآن والقراءات، والحديث والوعظ، والتذكير. سمع صحيح البخاري من أبي الهيثم. سمع منه ببغداد، وقد روى عن زاهر السرخسي.

إسماعيل بن إسحق، بن إسماعيل،

بن حماد، بن زيد، بن درهم، أبو إسحق الأزدي، مولى آل حرير بن حازم، من أهل البصرة. مات فيما ذكره الخطيب: سنة اثنتين وثمانين ومائتين، ومولده سنة مائتين، مات فجأة. قال التنوخي: حدثني أبو الفرج الأصبهاني، أن القاضي إسماعيل، لبس سواده ليخرج إلى الجامع فيحكم، وليس أحد خفيه، وأراد أن يلبس الآخر، فمات. وهو قاض على جانبى بغداد جميعا. سمع محمد بن عبد الله الأنصاري، ومسدد بن مسرهد، وعلي بن المديني، وغيرهم. روى عنه موسى بن هارون الحافظ، وكان فاضلا، عالما، متقنا، فقيها، على مذهب مالك ابن أنس، شرح مذهبه ولخصه، واحتج له، وصنف المسند، وكتب عدة في علوم القرآن، وجمع كتاب حديث مالك، وكتاب يحيى بن سعيد الأنصاري، وكتاب أيوب السخيتاني، واستوطن بغداد قديما، وولى القضاء بها، ولم يزل يتقلده إلى حين وفاته قال الخطيب: قال طلحة بن محمد، بن جعفر الشاهد: إسماعيل بن إسحاق منشؤه البصرة، وأخذ الفقه

على مذهب مالك، عن أحمد بن المعدل، وتقدم في هذا المذهب، حتى صار علما فيه، ونشر من مذهب مالك وفضله، ما لم يكن بالعراق في وقت من الأوقات، وصنف من الاحتجاج لمذهب مالك والشرح له، ما صار لأهل هذا المذهب مثالا يحتذونه، وطريقا يسلكونه، وانضاف إلى ذلك علمه بالقرآن، فإنه صنف في القرآن كتباً تتجاوز كثيرا من الكتب المصنفة فيه. فمنها كتاب في أحكام القرآن، وهو كتاب لم يسبقه أحد من أصحابه إلى مثله، وكتاب في القراءات، وهو كتاب جليل القدر، عظيم الخطر، وكتاب في معاني القرآن، وهذان الكتابان يشهدان بفضله فيهما، وأنه واحد زمانه، ومن انتهى إليه العلم في النحو واللغة في أوانه، وهو نظير المبرد. ورأيت أبا بكر بن مجاهد يصف هذين الكتابين، وسمعت مرارا أحصيتها يقول: القاضي إسماعيل، أعلم مني بالتصريف، وبلغ من العمر ما صار به واحدا في عصره، في علو الإسناد، فحمل الناس عنه من الحديث الحسن ما لم يحمل أحد عن كثير، وكان الناس يصيرون إليه، فيقتبس منه كل فريق علما لا يشاركه فيه الآخر، فمن قوم يحملون الحديث، ومن قومك يحملون علم القرآن، والقراءات، والفقه، إلى غير ذلك مما يطول شرحه. فأما سدادته في القضاء، وحسن مذهبه فيه. وسهولة الأمر عليه، فيما كان يلتبس على غيره، فشئ شهرته تغني عن ذكره، وكان في أكثر أوقاته، وبعد فراغه من الخصوم، متشاغلا بالعلم، لأنه اعتمد على مكاتبة أبي عمر، محمد بن يوسف، فكان يحمل عنها أكثر أمره من لقاء السلطان، وينظر في كل أمره، وأقبل هو على الحديث والعلم.

قال أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم: كان إسماعيل ابن إسحاق نيفا وخمسين سنة على القضاء، ما عزل عنها إلا سنتين قال الخطيب: وهذا القول فيه تسامح، وذلك أن ولاية إسماعيل للقضاء، ما بين ابتدائها إلى حين وفاته، لم تبلغ خمسين سنة، وأول ما ولي في خلافة المتوكل، لما مات سوار بن عبد الله، بن سوار، بن عبد الله، وكان قاضي القضاة بسر من رأى: جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، فأمره المتوكل، أن يولي إسماعيل، قضاء الجانب الشرقي من بغداد، سنة ست وأربعين ومائتين، لم يعزله أحد من الخلفاء غير المهدي، فإنه نقم على أخيه حماد بن إسحاق شيئا، فضربه بالسياط، وعزل إسماعيل إلى أن قتل المهدي، وولي المعتمد، فأعادته إلى القضاء، فلم يزل على قضاء بغداد بالجانبين إلى أن مات، ولم يقلد قضاء القضاة، لأن القضاة، كان الحسن بن أبي الشوارب، وكان يكون حينئذ بسامرا وحدث الخطيب قال: قال المبرد لما توفيت والدته القاضي إسماعيل، رأيت من وجهه ما لم يقدر على ستره، وكان كل يعزيه، وقد كان لا يسلو، فسلمت عليه ثم أنشدته:

لعمري لئن غال ريب الزمان
ولكن علمي بما في الثواب
فساء لقد غال نفسا حبيبه
عند المصيبة ينسي المصيبة

فتفهم كلامي واستحسنه، ودعا بدواة وكتبه، ثم انبسط، وزالت تلك الكآبة والجزع.

قال إبراهيم بن حماد: أنشدني عمي إسماعيل القاضي:

هم الموت عاليات فمن ثم
ولهذا قيل: الفراق آخر الموت
تخطى إلى لباب اللباب
لإقدامه على الأحباب

قال: ودخل إلى القاضي إسماعيل بن إسحاق، عيدون، ابن صاعد الوزير، وكان نصرانيا، فقام له ورحب به، فرأى إنكار اليهود ومن حضره، فلما خرج قال لهم: قد علمت إنكاركم، وقال الله تعالى: "لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، ولم يخرجوكم من دياركم" وهذا الرجل يقضى حوائج المسلمين، وهو سفير بيننا وبين خليفتنا، وهذا من البر، فسكتت الجماعة.

قرأت بخط أبي سعيد بإسناد له، رفعه إلى أبي العباس ابن الهادي. قال: كنت عند إسماعيل بن إسحاق القاضي في منزله، فخرج يريد صلاة العصر، ويدي في يده، فمر ابن البري، وكان غلاما جميلا، فنظر إليه: فقال وهو يمشي إلى المسجد:

لولا الحياء وأننى مشهور
لحللت منزلها التي تحلته
والعيب يعلق بالكبير كبير
ولكان منزلها هو المهجور

وانتهى إلى مسجد على باب داره فقال، الله أكبر، الله أكبر، ثم مر في أذانه، والشعر لإبراهيم بن المهدي. وحكى أبو حيان هذه الحكاية كما مر، وزاد فيها، فقيل له: افتتحت الأذان بقول الشعر، فقال دعوني، فوالله لو نظر أمير المؤمنين إلى ما نظرت إليه، لشغله عن تدبير ملكه. قيل له: فهل قلت شيئا آخر فيه؟ قال: نعم، أبيات عبثت بي وأنا في المحراب، فما استتمت قراءة "الحمد" حتى فرغت منها، وهي:

ألحظه ترجمان منطق
هذبه الظرف والكمال فما
ووجهه نزهة لعاشقه
بمر عيب على طرائقه
تسمع إلا سبحان خالقه
قد كثرت قالة العباد فما

ومن كتاب القضاة لابن سمكة قال: لما مات إسماعيل بن إسحاق، بقيت بغداد ثلاثة أشهر بغير قاض، حتى ضج الناس، ورفع إلى المعتضد، فاختار عبيد الله بن سليمان، ثلاثة قضاة، أبا حازم، وعلي بن أبي الشوارب، ويوسف، وهو ابن عم إسماعيل بن إسحاق، فولى أبا حازم الكرخ، وابن أبي الشوارب مدينة المنصور، ويوسف الجانب الشرقي.

قال: وأخبرني الثقة أن إسماعيل دخل على الموفق، فقال له: ما تقول في النبيذ؟ فقال أيها الأمير: إذا أصبح الإنسان وفي رأسه شيء منه، يقال له ماذا؟ فقال الموفق: يقال هو مخمور، قال فهو كاسمه.

وحدث المحسن قال: سمعت أبي يحكى عن أبي عمر القاضي قال: عرض القاضي إسماعيل على عبيد الله بن سليمان، وزير تامةضد رقعة في حوائج الناس، ثم عرض أخرى وقال: إن أمكن الوزير أن يوقع، وقع وعرض أخرى، وقال شيئا من هذا الجنس، فقال عبيد الله: يا أبا إسحاق: كم تقول "إن أمكن، وإن جاز، وإن سهل"؟ من قال لك: إنه يجلس هذا المجلس أحد، ثم يتعذر عليه شيء على وجه الأرض من الأمور، فقد كذبك، هات رقاعك كلها في موضع واحد، قال: فأخرجها إسماعيل من كمه، وطرحها بين يديه، فوقع فيها، فكانت مع ما وقع فيه قبل الكلام وبعده، نحو الستين رقعة - رحمه الله - فما أصدق ما كانت رغبته إلى الله عز وجل.

اسماعيل بن الحسن، بن علي الغازي

البيهقي أبو القاسم، شمس الأئمة، ذكره البيهقي في كتاب الوشاح، فقال: يعرف بالشمس البيهقي، كان جامعاً لفنون الآداب، حائزاً لمفاتيح الحكمة وفصل الخطاب، أقام وتوطن بمرور، وطريقه في الفقه مستقيم، وأكثر مصنفاته من المناقص سليمان ومن منظومه:

كتاب حضرتنا دامت سلامتهم	يهيئون من الألقاب أسبابا
وينصبون من الأطماع ألوية	ويفتحون من الألقاب أبوابا
ويخلون بما جاد الكريم به	وينفقون على الأقوام ألقابا
تجشئوا في نواديهم بلا شبع	كأنهم أكلوا الحلتيت والرابا
أخذه من قول الخوارزمي:	

قل الدراهم في كيسى خليفتنا	فصار ينفق في الأقوام ألقابا
----------------------------	-----------------------------

قال: ومن تصانيفه: كتاب نقض الاصطلاح، كتاب سمط الثريا، في معاني الغرائب للحديث، كتاب في اللغة، كتاب في الخلاف ظريف.

إسماعيل بن الحسين، بن محمد، بن الحسين،

ابن أحمد، بن محمد ابن عزيز، بن الحسين، بن أبي جعفر، محمد الأطروش، بن علي، بن الحسين، بن علي، بن محمد الديباج، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين، بن علي، بن أبي طالب - رضي الله عنهم -، كنيته أبو طالب بن أبي محمد، بن أبي أحمد، بن أبي علي، بن أبي الحسين، بن أبي جعفر، بن أبي الفضل، بن أبي جعفر الأطروش، بن أبي الحسين بن أبي عبد الله، بن أبي الحسين، بن أبي جعفر، بن أبي عبد الله الصادق، بن أبي جعفر الباقر، بن أبي محمد العابدين، بن أبي عبد الله السبط، بن أبي الحسن أمير المؤمنين، المروزي العلوي، النسابة الحسيني، عزيز الدين حقا، أول من انتقل من أجداده إلى مرو من قوم، أبو علي أحمد بن محمد، بن عزيز، وكان قد انتقل إلى بغداد من المدينة، علي بن محمد الديباجي، وكان على هذا يعرف بالحارص، وابنه الحسين انتقل إلى قوم، ثم أقاموا بمرور إلى هذا الأوان. وأخبرني - أحسن الله جزاه - أن مولده ليلة الاثنين، الثاني والعشرين من جمادى الآخرة، سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، ورد بغداد في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، صحبة الحاج، ولم يحج. وقرأ الأدب على الإمام منتخب الدين، أبي فتح محمد ابن سعد، بن محمد، بن أبي الفضل الديباجي، والإمام برهان الدين أبي الفتح، ناصر بن أبي المكارم، عبد السيد بن علي المطرزي الخوارزمي، وأخيه الإمام مجد الدين أبي الرضا طاهر، وقرأ الفقه على الإمام فخر الدين محمد ابن محمد، بن محمد، بن الحسين الطيان الماهرة الحنفى، وقاضي القضاة، منتخب الدين أبي الفتح محمد بن سليمان، ابن إسحاق الفقيهي قال: وما علمت أنه ولي القضاء بمرور أحسن سيرة منه - رحمه الله - وقرأ الحديث على الإمام فخر الدين، إسماعيل بن محمد، بن يوسف القاشاني، وأبي بكر بن محمد، بن عمر الصائغي السبخي، والإمام شرف الدين، محمد بن مسعود المسعودي، والإمام فخر الدين، أبي المظفر عبد الرحيم، ابن الإمام تاج الإسلام، عبد الكريم بن محمد، بن منصور السمعاني، وعبد الرشيد بن محمد، بن أبي بكر الزرقى

المؤدب، وبنيسابور على القاضي ركن الدين إبراهيم بن علي، بن حمد المعيني، والإمام مجد الدين، أبي سعد عبد الله بن عمر الصفار، والإمام نور الدين، فضل الله بن أحمد، بن محمد الجليل التوقاني، وعبد الرحيم بن عبد الرحمن الشعري، وبالري على مجد الدين، يحيى بن الربيع الواسطي، وبغداد عليه، وعلي عبد الوهاب بن علي، بن سكينه، وغيرهم، بشيراز، وهراة، وتستر، ويزد. وله من التصانيف: كتاب حظيرة القدس، نحو ستين مجلدا، ولعله يزيد فيما بعد، وكتاب بستان الشرف، وهو مختصر ذلك، يكون عشرين مجلدا، كتاب غنية الطالب، في نسب آل أبي طالب مجلد، كتاب الموجز في النسب، مجلد لطيف، كتاب الفخرى صنفه للفخر الرازي، كتاب زبدة الطالبية، مجلد لطيف، كتاب خلاصة العترة النبوية، في أنساب الموسوية، كتاب المثلث في النسب، شجر عدة كتب منها: كتاب أبي الغنائم الدمشقي، كتاب من اتصل عقبه بأبي الحسن، محمد بن القاسم التميمي الأصفهاني مشجر، وكتاب المعرف للسيد أبي طالب الزنجاني الموسوي، كتاب الطبقات للفقيه زكريا بن أحمد البزاز النيسابوري، كتاب نسب الشافعي خاصة، كتاب وفق الأعداد في النسب. وهذا السيد - أدام الله فضله - اجتمعت به في مرو، في سنة أربع عشرة وستمائة، فوجدته كما قيل:

قد زرتة فوجدت الناس في رجل والدهر في ساعة والفضل في دار

قد طبع من حسن الأخلاق، وسماحة الأعراق، وحسن البشر، وكرم الطبع، وحياء الوجه، وحب الغرباء على ما نراه، متفرقا في خلق كثير، وهو مع ذلك، أعلم الناس يقينا بالأنساب، والنحو، واللغة، والشعر، والأصول، والنجوم، وقد تفرد بهذا البلد، بالتصدر لإقراء العلوم على اختلافها، في منزل ينتابه الناس على حسب أغراضهم، فمن قارئ للفقه، ومتعلم في النحو، ومصحح للغة، وناظر في النجوم، ومباحث في الأصول، وغير ذلك من العلوم، وهو مع سعة علمه متواضع، حسن الأخلاق، لا يرد غريب إلا عليه، ولا يستفيد مستفيد إلا منه. وأنشدني - أدام علوه - لنفسه:

قولوا لمن لبي في حبه
وفي صميم القلب مني أرى
وصحتي في عشقه صيرت
ومدمني منهمرا ماؤه

وأنشدني - أدام الله علوه - لنفسه:

والعين يحجبها لألاء وجنته
بل عبرتي منعت لو نظرتي عبرت
لولا تجسمه بالإبتسام وما
لما عرفت عقيقا شفه درر

حدثني عزيز الدين، - رحمه الله -، قال: ورد الفخر الرازي إلى مرو، وكان من جلالة القدر، وعظم الذكر، وضخامة الهيبة، بحيث لا يراجع في كلامه، ولا يتنفس أحد بين يديه لإعظامه، على ما هو مشهور متعارف، فدخلت إليه، وترددت للقراءة عليه، فقال لي يوما: أحب أن تصنف لي كتابا لطيفا في أنساب الطالبين لأنظر فيه، فلا أحب أن أكون جاهلا به. فقلت له: أتریده مشجرا أم منشورا؟ فقال: المشجر لا ينضبط بالحفظ، وأنا أريد شيئا أحفظه، فقلت: السمع والطاعة، ومضيت وصنفت له الكتاب، الذي سميت بالفخرى، وحملته وجنته به، فلما وقف عليه، نزل عن طراحته، فأعظمت ذلك وخدمته، فانتهرني نهره مزعجة، وزعق علي وقال: اجلس بحيث أقول لك، فتدخلني - علم الله - من هيئته ما لم أتمالك، غلا أن جلست حيث أمرني، ثم أخذ يقرأ على ذلك الكتاب، وهو جالس بين يدي، ويستفهمني عما يستغلق عليه، إلى أن أنهاه قراءة، فلما فرغ منه قال: اجلس الآن حيث شئت، فإن هذا علم أنت أستاذي فيه، وأنا أستاذك منك، وأتلمذ لك، وليس من الأدب أن يجلس التلميذ إلا بين يدي الأستاذ، فقامت من مقامي، وجلس هو في منصبه، ثم أخذت أقرأ عليه، وأنا جالس بحيث كان أولا، وهذا لعمري من حسن الأدب حسن، ولا سيما من مثل ذلك الرجل العظيم المرتبة.

إسماعيل الضرير النحوي، أبو علي

لا أعرف من أمره إلا ما ذكر: أن رجلا سأل إسماعيل الضرير النحوي، عن أبي القاسم، علي بن أحمد، ابن الفرج، بن الحسين، بن المسلمة، الملقب برئيس الرؤساء، وزير القائم، كيف ترى رئيس الرؤساء في النحو؟ فقال: يتكلم فيه بكلام أهل الصنعة، وسئل رئيس الرؤساء عن إسماعيل فقال: ما أرى مفتوح القلب في النحو، إلا هذا المغضض العينين!

إسماعيل بن حماد الجوهري،

أبو نصر الفارابي ابن أخت أبي إسحاق الفارابي، صاحب ديوان الأدب، وكان الجوهري هذا من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلماء، وأصله من بلاد الترك من فاراب، وهو إمام في علم اللغة والأدب، وخطه يضرب به المثل في الجودة، لا يكاد يفرق بينه وبين خط أبي عبد الله بن مقلة، وهو مع ذلك من فرسان الكلام في الأصول، وكان يؤثر السفر على ساق. دخل العراق فقرأ علم العربية على شيوخ زمانه، ونور عين أوانه، أبي علي الفارسي، وأبي سعيد السيرافي. وسافر إلى أرض الحجاز، وشافه باللغة العرب العاربة، وقد ذكر هو ذلك في مقدمة كتاب الصحاح من تصنيفه، وطوف بلاد ربيعة ومضر، وأجهد نفسه في الطلب، ولما قضى وطره من الطواف، عاد راجعا إلى خراسان، وتطرق الدامغان، فأنزله أبو علي الحسين بن علي، وهو من أعيان الكتاب، وأفراد الفضلاء عنده، وأخذ عنه، وسمع منه، ثم سرحه إلى نيسابور، فلم يزل مقيما بها على التدريس، والتأليف، وتعليم الخط، وكتابة المصاحف، والدفاتر، حتى مضى لسبيله عن آثار جميلة وذكره أبو الحسين البخاري فقال: هو صاحب صحاح اللغة، لم يتأخر فيها عن شرط أقرانه، ولا انحدر عن درجة أبناء زمانه، أنشدني الأديب، يعقوب بن أحمد قال: أنشدني الشيخ أبو إسحاق صالح الوراق، تلميذ الجوهري - رحمه الله - له:

ياضائع العمر بالأمانى	أما ترى رونق الزمان
فقم بنا يا أبا الملاهي	نخرج إلى نهر نشنقان
لعلنا نجتني سرورا	حيث جنى الجنتين دان
كأننا والقصور فيها	بحاقتي كوثر الجنان
والطير فوق الغصون تحكى	بحسن أصواتها الأغاني
وأرسل الورق عندليب	كالزير واليم والمثاني
وبركة حولها أناخت	عشر من الدلب واثنان
فرصتك اليوم فاغتنمها	فكل وقت سواه فان

وله من التصانيف: كتاب في العروض جيد بالغ، سماه عروض الورقة، كتاب الصحاح في اللغة، كتاب المقدمة في النحو، وهذا الكتاب، هو الذى بأيدي الناس اليوم، وعليه اعتمادهم. أحسن تصنيفه، وجود تأليفه، وقرب متناوله، وأثر من ترتيبيه على من تقدمه، يدل وضعه على قريحة سالمة، ونفس عالمة، فهو أحسن من الجمهرة، وأوقع من تهذيب اللغة، وأقرب متناولا من محمل اللغة، فيه يقول الشيخ أبو إسماعيل بن محمد، بن عبدوس النيسابوري.

هذا كتاب الصحاح أحسن ما	صنف قبل الصحاح في الأدب
تشمل أبوابه وتجمع ما	فرق في غيره من الكتب

هذا مع تصحيح فيه في مواضع عدة، أخذها المحققون، وتتبعها العالمون، ومن ما ساء قط، ومن له الحسنى فقط؟؟ فإنه - رحمه الله - غلط وأصاب، وأخطأ المرمى وأصاب، كسائر العلماء، الذين تقدموه وتأخروا عنه، فإني لا أعلم كتابا سلم إلى مؤلفه فيه، ولم يتبعه بالتتبع من يليه.

وذكر أبو الحسن، علي بن فضال المجاشعي في كتابه، الذى سماه شجرة الذهب، في معرفة أئمة الأدب فقال: كان الجوهري قد صنف كتاب الصحاح، للأستاذ أبي منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكى، وسمعه منه إلى باب الضاد المعجمة، واعتري الجوهري وسوسة، فانتقل إلى الجامع القديم بنيسابور، فصعد إلى سطحه وقال: أيها الناس، إني عملت في الدنيا شيئا لم أسبق إليه، وضم إلى جنبيه مصراعي باب، وتأبطهما بحبل، وصعد مكانا عاليا من الجامع، وزعم أنه يطير، فوق فمات، وبقي الكتاب، مسودة غير منقحة، ولا مبيضة، فبيضه أبو إسحاق، إبراهيم بن صالح الوراق، تلميذ الجوهري بعد موته، فغلط فيه في عدة مواضع غلطا فاحشا. وكان الجوهري يجيد قول الشعر، فمن ذلك:

رأيت فتى أشقرا أزرقا	قليل الدماغ كثير الفضول
يفضل من حمقه دائبا	يزيد بن هند علي ابن البتول

قال المؤلف: وكنت بحلب في سنة إحدى عشرة وستمائة، في منزل القاضي الأكرم، والصاحب الأعظم، أبي الحسن علي بن يوسف، بن إبراهيم الشيباني، فتجارينا أمر الجوهري، وما وفق له من حسن التصنيف، ثم قلت له: ومن العجب أني بحثت عن مولده ووفاته، بحثا شافيا، ذلك، فقال لي: فقد بحثت قبلك عن ذلك، فلم أر مخريرا عنه. فلما كان من غد ذلك اليوم، جئته فقال لي: ألا أخبرك بطريفة؟ إنني رأيت في بارحتنا في النوم قائلا يقول لي: مات إسماعيل بن حماد الجوهري، في سنة ست وثمانين وثلثمائة، ولعمري وإن كان المنام مما لا يقطع به، ولا يعدل عليه، فهذا بلا شك زمانه، وفيه كان أوانه، لأن شيخه أبا علي، وأبا سعيد، ماتا قبل هذه المدة بسنين يسرة، ثم وجدت نسخة بديوان الأدب، بخط الجوهري بتريز، وقد كتبها في سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة. ثم وقفت على نسخة بالصحاح، بخط الجوهري بدمشق، عند الملك العظيم بن العادل، بن أيوب صاحب دمشق، وقد كتبها في سنة ست وتسعين وثلثمائة.

وقد ذكره أبو منصور عبد الملك، بن محمد الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر، وأنشد من شعره:
لو كان لي بد من الناس العز في العزلة لكنه
قطعت حبل الناس بالياس لا بد للناس من الناس
وأنشد له:

وها أنا يونس في بطن حوت فبيتى والفؤاد ويوم دجن
بنيسابور في ظل الغمام ظلام في ظلام في ظلام
وأنشد له:

ز عم المدامة شاربها أنها صدقوا سرت بعقولهم فتوهموا
تتفي الهموم وتذهب الغما سلبتهم أديانهم وعقولهم
أن السرور بها لهم تما رأيت عادى دين مغتتما؟
ومن شعره:

يا صاحب الدعوة لاتجز عن فسقنا ماء بلا منة
من عزه يجعل في الحرز فالماء كالعنبر في قومس
وأنت في حل من الخبز فسقنا ماء بلا منة

قال مؤلف الكتاب: وذكر محمود بن أبي المعالي الخواري، في كتاب ضالة الأديب من الصحاح والتهذيب، بعد أن ذكر قصة الجوهري، كما ذكرها المجاشعي، سواء من تصنيفه الكتاب للبشكي، وقراءة الناس عليه، إلى باب الضاد، وشده مصراعي الباب وطيرانه، ثم قال: وسألت الإمام سعيد بن الإمام، أحمد ابن محمد الميداني، عن الخلل الواقع في هذا الكتاب، فقال مثل ما ذكرناه: إن هذا الكتاب قرئ عليه إلى باب الضاد فحسب، وبقي أكثر الكتاب على سواده، ولم يقدر له تنقيحه، ولاتهديه، فلهذا يقول في باب السين، قيس: أبو قبيلة من مضر، واسمه إلياس بنقطتين تحتها، ثم يقول في فصل النون من هذا الباب: الاناس بالنون اسم قيس عيلان، فالأول سهو والثاني صحيح، ثم قال: ومن زعم أنه سمع عن الجوهري شيئا من الكتاب، زيادة على أول الكتاب إلى باب الضاد، فهو مكذوب عليه.

قال: ورأيت أنا نسخة السماع، وعليها خطه إلى باب الضاد، وهي الآن موجودة في بلادنا، والله أعلم بحقيقته. قال: والكتاب بخط مؤلفه عند أبي محمد إسماعيل بن محمد، بن عبدوس النيسابوري، وفيه يقول: وذكر البيهقي المتقدمين قال: وقال الثعالبي في أثناء كتابه، يعنى يتيمة الدهر: إن تلك النسخة بيعت بمائة دينار نيسابورية، وحملت إلى جرجان، والعلم عند الله في ذلك.

قال المؤلف: وأما البشكي الذي صنف له الكتاب، فقد ذكره الغافر الفارسي في السياق، فقال: هو عبد الرحيم بن محمد البشكي، الأستاذ الإمام أبو منصور، ابن أبي القاسم، الأديب الواعظ الأصولي، من أركان أصحاب أبي عبد الله، يعنى الحاكم بن عبد الله بن البيع. له المدرسة والأصحاب، والأوقاف والأسباب، والتدريس والمناظرة، والنثر والنظم. توفي في جمادى الأولى، سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة. ووجدت على ظهر كتاب الصحاح، وكان مجلدة واحدة كاملة، بخط الحسن بن يعقوب بن أحمد النيسابوري، اللغوى الأديب ماصورته: قرأ على هذا الكتاب من أوله إلى آخره، بما عليه من حواشيه من الفوائد، معارضا بنسختي مصححا إياها: صاحبه الفقيه، الفاضل السيد، الحسين بن مسعود الصرام، - برك الله فيه له -، وهو إجازة لي عن الأستاذ أبي منصور عبد الرحيم، ابن محمد البشكي عن المصنف، وكتبه الحسن بن يعقوب ابن أحمد في شهر الله الأصم، سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، فهذا كما تراه مخالف لما تقدم، من أن الجوهري لم يعمل من الكتاب إلا أن باب الضاد. ومن كتابه الموسوم بالصحاح: النخيس: البكرة، يتسع ثقبها الذى يجري فيه المحور، مما يأكله المحور، فيعمدون إلى خشبية فيثقبون وسطها، ثم يلقونها ذلك الثقب المتسع، ويقال لتلك الخشبية النحاس، وسألت أعرابيا بنجد من بني تميم وهو يستقي، وبكرته نحيس، فوضعت أصبعي على النحاس فقلت: ما هذا؟ وأردت أن أتعرف منه الخاء من الحاء، فقال نحاس بحاء معجمة، فقلت: أليس قال الشاعر: وبكرة نحاسها نحاس فقال: ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين. ومن كتابه في باب بقم، وقلت لأبي علي الفارسي أعربي هو؟ فقال: معرب، وليس في كلامهم اسم على فعل، إلا خمسة خضم بن عمرو بن تميم، وبا لفعل سمى، وبقم لهذا الصبغ، وشلم موضع با لشام، وهما أعجميان، وبذر اسم ماء من با لفعل، فثبت أن فعل ليس من أن فعل ليس من أصول أسما لهم، وإنما يختص بالفعل، فإذا سميت به رجلا لم ينصرف في المعرفة، للتعريف ووزن الفعل، وينصرف في النكرة.

إسماعيل بن خلف،

أبو طاهر الصقلي المقرئ صاحب على بن إبراهيم بن سعيد الحوفي من خوف مصر، وصنف كتاب إعراب القراءات في تسع مجلدات كبار، وصنف في القراءات كتاب الإكتفاء، وكتاب العيون، وأرى أنه كان فيما بعد سنة عشرة وخمسمائة

إسماعيل بن عباد، بن العباس،

ابن عباد الوزير الملقب بالصاحب، كافي الكفاة أبو القاسم، من أهل الطالقان، وهي ولاية بين قزوين وأبهر، وهي عدة قرى يقع عليها هذا الاسم، وبخراسان بلدة تسمى الطالقان غير هذه، خرج منها جماعة من أهل العلم، هكذا نسبته المحدثون، وقد قال الرستمي شاعره، يهنيء بن عباد قال:

والله تعمي بالكرامة تردف

يهني ابن عباد بن عباس بن نجد

وقال في السلامي يهجو:

بن عبد الله حرها

يا بن عباد بن عباس

إلى دنياك كرها

تنكر الجبر وأخرجت

قال أبو حيان في أخلاق الوزيرين: كان عباد يلقب الأمين، وكان ديناً خيراً، مقدماً في صناعة الكتابة. فقال: وكتب الأمين في ركن الدولة، كما كتب العميد لصاحب خراسان، والأمين كان ينصر مذهب الأشناني تدنياً، وطلباً للزلفى عند ربه، والعميد كان يعمل لعاجلته، وإن قلت: كان الأمين معلماً بقرية من قرى طالقان الديلم، قيل: وكان والده العميد نخلاً في سوق الحنطة بقم، والصاحب مع شهرته بالعلوم، وأخذ من كل فن منها بالنصيب الوافر، والحظ الزائد الظاهر، وما أوتيته من الفصاحة، ووفق لحسن السياسة والرجاحة، مستغن عن الوصف، مكتف عن الأخبار عنه والرصف، مولده في ذي القعدة، سنة ست ست وعشرين وثلاثمائة.

ووزر لمؤيد الدولة، أبي منصور بويه، بن ركن الدولة، أبي علي الحسن بن بويه، وأحبه فخر الدولة، ثماني عشرة سنة، وشهرا واحداً، ومات الصاحب فيما ذكره أبو نعيم الحافظ: في الرابع والعشرين من صفر، سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. وكان أبوه عباد يكنى بالحسن، وكان من أهل العلم والفضل أيضاً، سمع أبا خليفة الفضل بن الخباب، وغيره من البغداديين، والأصفهانيين، والرازيين، وصنف كتاباً في أحكام القرآن، نصر فيه الاعتزال وجود فيه. روى عنه ابنه الوزير أبو القاسم بن عباد، وابن مردويه الأصفهاني، ومات عباد في السنة التي مات فيها لأبنه، سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. وكل ما ذكرناه من خبر عباد أبي الوزير، فهو منقول من كتاب المنتظم في التاريخ، من تصنيف أبي الفرج بن الجوزي. وبين عباد وبين الحسن بن عبد الرحمن، بن حماد القاضي مكاتبات ومراسلات، مذكورة مدونة.

وكان الصاحب في بدء أمره من صغار الكتاب، يخدم أبا الفضل بن العميد علياً خاصة، فترقت به الحال، إلى أن كتب لمؤيد الدولة، بن ركن الدولة، بن بويه، أخي عضد الدولة، بن ركن الدولة الديلمي. ومؤيد الدولة حينئذ أمير، وأحسن في خدمته، وحصل له عنده بقدم الخدمة قدم، وأنس منه مؤيد الدولة كفاية وشهامة، وولى مؤيد الدولة بلاده بالرى وأصبهان، وتلك النواحي، خلع على أبي الفتح بن العميد وزير أبيه خلع الوزارة، وأجراه على ما كان في أيام أبيه، إلى أن قتل كما ذكرناه في ترجمته، واستوزر الصاحب، واستولى على أموره، وحكمه في أمواله، ولم يزل على ذلك إلى أن أت مؤيد الدولة، وكان فخر الدولة أخو مؤيد الدولة، قد هرب من أخيه عضد الدولة، والتجأ بخراسان إلى السامانية، وهو وقابوس بن وشمكير، في أخبار يضيق كتابنا عنها، فنفع الصاحب إليه وأحضره، وملكه البلاد، فأقر الصاحب على أمره، فأراد الصاحب اختباره، هل في نفسه عليه شيء، مما كان في أيام مؤيد الدولة؟ الذي أوجب هرب فخر الدولة، فاستغفاه من الخدمة والوزارة، فقال له فخر الدولة: لك في هذه الدولة من إرث الوزارة، كما لنا من إرث الإمارة، فسييل كل واحد منا أن يحتفظ بحقه ولم يعفه، ولم يزل على أمره معه، إلى أن مات الصاحب، والأمور تصدر عن أمره، والملك يدبر برأيه، وكان إذا قال فخر الدولة قولاً، وقال الصاحب قولاً، امتثل قول الصاحب، وترك قول فخر الدولة. وللصاحب أخبار حسان في مكارم الأخلاق، مع رقاعة كانت فيه، ووصفه الإمتاع فقال: كان الصاحب كثير المحفوظ، حاضر الجواب، فصيح اللسان قد تنف من كل أدب شيئاً، وأخذ من كل فن طرفاً، والغالب عليه كلام المتكلمين المعتزلة، وكتابه مهجنة بطرائقهم، ومناظرتهم مشوبة بعبارة الكتاب، وهو شديد التعصب على أهل الحكمة، والناظرين في أجزائها، كالهندسة، والطب، والتنجيم، والموسيقى، والمنطق، والعدد، وليس له من الجزء الإلهي خبر والقوافي، ويقول الشعر، وليس بزال، وبديته غزارة. وأما رويته فخوارة، وطالعه الجوزاء والشعري، فقريته منه، ويتشبع بمذهب أبي حنيفة، ومقالة الزيدية، ولا يرجع إلى التالة والرقعة، والرأفة والرحمة، والناس كلهم يجمعون عنه لجراسته وسلطته واقتداره وبطشته. شديد العقاب، طفيف الثواب، طويل العتاب، بذىء اللسان، يعطى كثيراً قليلاً" يعطى الكثير القليل" مغلوب

بحرارة الرأس، سريع الغضب، بعيد الفئدة قريب الطيرة، حسود حقود، وحسده وقف على أهل الفضل، وحقده سار إلى أهل الكفاية، أما الكتاب والمتصرفون فيخافون سطوته، وأما المنتجعون فيخافون جفوته. وقد قتل خلقا، وأهلك ناسا، ونفى أمة نخوة وبغيا، وتجبرا وزهوا ومع هذا يخدعه الصبي، ويخلبه الغبي. لأن المدخل عليه واسع، والمأوى إليه سهل، وذلك بأن يقال: "مولانا يتقدم بأن أعار شيئا من كلامه ورسائله، منظومة ومنثورة، فما جبت الأرض إليه من فرغانة، ومصر، وتفليس، إلا لأستفيد كلامه، وأفصح به، وأتعلم به البلاغة: منه: لكننا رسائل مولانا سور قرآن. وفقره آيات فرقان. واحتجاجة في أثنائها برهان. فسبحان من جمع العالم في واحد.

وأبرز جميع قدرته في شخص، فلبين عند ذلك ويذوب، ويلهى عن كل مهم له، وينسى كل فريضة عليه، ويتقدم إلى الخازن، بأن يخرج إليه رسائله، مع الورق والورق، ويسهل الإذن عليه، والوصول إليه، والتمكن من مجلسه، فهذا هذا، ثم يعمل في أوقات كالعيد والفضل شعرا، ويدفعه إلى أبي عيسى بن المنجم، ويقول له: قد نحلكت هذه القصيدة، امدحني بها في جملة الشعراء، وكن الثالث من المنشدين، فيفعل ذلك أبو عيسى، وهو بغدادى محكك قد شاخ على الخدائع وتحكك، وينشد فيقول له عند سماعه شعره فى نفسه، ووصفه بلسانه، ومدحه من تجبيره، أعد يا أبا عيسى، فإنك والله مجيد زه يا أبا عيسى، قد صفا ذهنك، وجادت قريحتك وتنقحت قوافيك، ليس هذا من الطراز الاول حين أنشدتنا في العيد الماضي: المجالس تخرج الناس، وتهب لهم الذكاء، ويزيدهم الفطنة، وتحول الكودن عتيقا، والمحمر جوادا، ثم لا يصرفه عن مجلسه إلا بجائزة سنوية، وعطية هنية، ويغايظ الجماعة من الشعراء وغيرهم، لأنهم يعلمون أن أبا عيسى لا يقرض مصراعا، ولا يزن بيتا، ولا يذوق عروضاً.

قال يوما: من في الدار؟ فقيل له: أبو القاسم الكاتب وابن ثابت، فعمل في الحال بيتين، وقال لإنسان بين يديه: إذا أذنت لهذين، فادخل بعدهما بساعة، وقل قد قلت بيتين، فإن رسمت لي إنشادهما أنشدتهما، وازعم أنك بدهت بهما، ولا تجزع من تأففي بك، ولا تنزع من تكبري عليك، ودفع البيتين إليه، وأمره بالخروج إلى صحن الدار، وأذن للرجلين حتى وصلا، فلما جلسا وأنسا، دخل الآخر على تقيتهما ووقف للخدمة، وأخذ يتلمظ ير أنه يقرض شعرا، ثم قال يا مولانا: قد حضرني بيتان، فإن أذنت أنشدت، قال له: أنت إنسان أخرق سخي، لا تقول شيئا فيه خير، اكفني أمرك وشعرك، قال يا مولانا: هي بديهتي، وإن كسرتني ظلمتني، وعلى كل حال فاسمع، فإن كانا بارعين، وإلا فاعلمني بما تحب، قال: أنت لحوح، هات، فأنشد:

يا أيها صاحب تاج العلا
يا أيها يكتى أبا قاسم
لا تجعلني نزهة الشامت
ومجبر يعزى إلى ثابت

فقال: قاتلك الله، لقد أحسنت وأنت مسيء قال لي أبو القاسم: وكدت أنفقا غيظا، لأنني علمت أنها من فعلاته المعروفة، وكان ذلك الجاهل لا يقرض بيتا، ثم حدثني الخادم الحديث يقضه والذى غلظه في نفسه، وحمله على الإعجاب بفضله، والاستبداد برأيه، أنه لم يجبه قط بخطئة، ولا قول بتسوءة، لأنه نشأ على أن يقال: أصاب سيدنا، وصدق مولانا، - والله دره - ما رأينا مثله، من ابن عبد كان مضافا إليه؟ ومن ابن ثوابة نقيسه عليه؟ ومن إبراهيم بن العباس الصولى؟ من صريع الغواني؟ من أشجع السلمي؟ إذا سلكا طريقهما، قد استدرك مولانا على الخليل في العروض، وعلي أبي عمرو بن العلاء في اللغة، وعلي أبي يوسف في القضاء، وعلي الإسكافي في الوزنة، وعلي ابن نوبخت في الآراء والديانات، وعلي ابن مجاهد في القراءات، وعلي ابن جرير فى التفسير، وعلي أرسططاليس فى المنطق، وعلي الكندى فى الجدل، وعلي ابن سيرين فى العبارة، وعلي أبي العيىاء فى البديهة، وعلي ابن أبى خالد فى الخط، وعلي الجاحظ فى الحيوان، وعلي سهل بن هارون فى الفقر، وعلي يوحنا فى الطب، وعلي ابن يزيد فى الفردوس، وعلي عيسى بن كعب فى الرواية، وعلي الواقدى فى الحفظ، وعلي النجار فى البذل، وعلي بنى ثوابة فى التقنية، وعلي السري السقطي فى الخطرات والوساوس، وعلي مزيد فى النوادر، وعلي أبى الحسن العروضي فى استخراج المعمي، وعلي بنى برمك فى الجود، وعلي ذى الرياستين فى التدبير، وعلي سطيف فى الكهانة، وعلي أبى المحياة خالد بن سنان فى دعواه، هو والله أولى بقول أبي شريح، أوس بن حجر التميمي، فى فضالة بن كلداء أبى دليجة:

الألمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

فتراه عند هذا الهذر وأشباهه، بتلوى وبيتسم، ويطير فرحا به وينقسم، ويقول: ولا كذى ثمرة السبق لهم، وقصدنا أن نلحقهم، أو نقفوا أثرهم، وهو فى ذلك يتشاجى ويتحايك، ويلوى شدقه، وبيتلغ ريقه، ويرد كالأخذ، ويأخذ كالمتنعم، ويغضب فى عرض الرضا، ويرضى فى لبوس الغضب، ويتهالك ويتمالك، ويتفانك ويتمائل، ويحاكي المومسات، ويخرج فى أصحاب السماجات، وهو مع هذا، يظن أنه خاف على نقاد الأخلاق، وجهابذة الإخوان. وقد أفسده أيضا ثقة صاحبه به، وتعويله عليه، وقلة سماعه من الناصح فيه، "وهو فى الأصل محدود لاجرم بقلة مكان، دلالة ونزقا وعجبا، واندرأ على الناس، وازدراء للصغار والكبار، وجبها للصادر والوارد، وفى الجملة: آفاته كثيرة، وذنوبه جملة، ولكن الغنى رب غفور:

ذريني للغنى أسعى فإني
وأبعدهم وأهونهم عليهم
رأيت الناس شرهم الفقير
وإن أمسى له حسب وخير

خليته وبنهره الصغير
يكاد فؤاد صاحبه يطير
ولكن الغني رب غفور

ويقضيه الندى وتزدرية
وتلقى ذا الغنى وله جلال
قليل ذنبه والذنب جم

قال: فكيف يتم له الأمور مع هذه الصفات؟ قلت: والله لو أن عجوزا بلهاء، أو أمة ورهاء، أقيمت مقامه، لكانت الأمور على هذا السبيل، لأنه قد أمن أن يقال له: لم فعلت؟ ولم لم تفعل؟ وهذا باب لا يتفق لأحد من خدم الملوك، إلا بجد سعيد، ولقد نصح صاحبه الهروي في أموال تآويه، وأمور من النظر جارية رفعت إليه، ففد بالرقعة إليه، حتى عرف ما فيها، ثم قتل الرافع خنقا، هذا وهو يدين بالوعيد. وقال لي الثقة من أصحابه: ربما شرع في أمر يحكم فيه بالخطأ، فيقلبه جده صوابا، حتى كأنه عن وحي، وأسرار الله في خلقه عند الارتفاع والانحطاط خفية، ولو جرت الأمور على موضوع الرأي، وقضية العقل، لكان معلما على مصطبة في شارع، أو في دار فإنه يحرج الإنسان بتفهيقه وتشادقه، واستحقاره واستكباره، وإعادته وإبدائه، وهذه أشكال تعجب الصبيان، ولا تنفرهم عن المعلمين، ويكون فرحهم به سببا للملازمة، والحرص على التعلم، والحفظ والرواية والدراسة. هذا قول صاحب الإمتاع فيه، ومما وجدت في بعض الكتب من مكارم الأخلاق للصاحب: أنه استدعى يوما شرابا من شراب السكر، فجاءه يقدم منه، فلما أراد شربه، قال له بعض خواصه: لا تشربه فإنه مسموم، فقال له: وما الشاهد على صحة ذلك؟ قال: بأن تجربته على من أعطاكه، قال: لا أستجيز ذلك ولا أستحل. قال: فجربه على دجاجة. قال: إن التمثيل بالحيوان لا يجوز، وأمر بصب ما في القدح، وقال للغلام: انصرف عني، ولا تدخل داري بعدها، وأقر رزقه عليه، وقال: لا تدفع اليقين بالشك. والعقوبة بقطع الرزق نذالة.

قال: ودخل إلى الصاحب رجل لا يعرفه، فقال له الصاحب: أبو من؟ فأنشد الرجل:
وتتفق الأسماء في اللفظ والكنى
كثيرا ولكن لا تلاقي الخلائق
فقال له: اجلس يأبأ القاسم. وكان يقول لجلسائه: نحن بالنهار سلطان، وبالليل إخوان.

وحدث أبو الحسن النحوي قال: كان مكى المنشد، قديم الصبغة، فأساء إليه غير مرة: والصاحب يتجاوز له، فلما كثر ذلك منه، أمر الصاحب بحبس، فحبس في دار الضرب، وكانت في جواره، فاتفق أن الصاحب صعد يوما سطح داره، وأشرف على دار الضرب، فناداه مكى: "فاطلع فراه في سواء الجحيم" فضحك الصاحب وقال: "أخسئوا فيها ولا تكلمون" ثم أمر بإطلاقه.

ومن كتاب أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدي، قال المؤلف: أما خبر أبي حيان مع ابن عباد: فيذكر في أخبار أبي حيان، وأما غيره: فإن أبا حيان، كان قصد ابن عباد إلى الري، فلم يرزق منه، فرجع عنه داما له، وكان أبو حيان مجبولا على الغرام بثلب الكرام، فاجتهد في الغض من ابن عباد، وكانت فضائل ابن عباد تأتي إلا أن تسوقه إلى المدح، وإيضاح مكارمه، فصار ذمه له مدحا، فمن ذلك أن قال، بعد أن فرغ من الاعتذار من التصدي لثلبه، قال: فأول ما أذكر من ذلك، ما أدل به على سعة كلامه، وفصاحة لسانه، وقوة جأشه، وشدة منته وإن كان في فحواه ما يدل على رقاعته، وانتكاث مريته، وضعف حوله، وركاكة عقله، وانحلال عقده، لما رجع من همدان سنة تسع وستين وثلاثمائة، بعد أن فارق حضرة عضد الدولة، استقبله من الري وما يليها، واجتمعوا بساوة، وكان قد أعد لكل واحد منهم كلاما يلقيه به عند رؤيته، فأول من دنا منه، القاضي أبو الحسن الهمداني، من قرية يقال لها أسداباذ فقال له: أيها القاضي، ما فارقتك شوقا إليك، ولا فارقنتني وجدا علي، ولقد مرت لي بعدك مجالس تفتضيك، وتخطيك وترضيك، ولو شهدتني بين أهلها، وقد علوهم بتبنياني ولساني، وجدلي وبرهاني، لأنشدت قول حسان بن ثابت في ابن عباس وهو:

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه
رأيت له في كل مجمعة فضلا
إذا قال لم يترك مقالا لقائل
بملتقطات لا ترى بينها فصلا
كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع
لذي إربة في القول جدا ولا هزلا
سموت إلى العلياء من غير خفة
فنلت ذراها لا دنيا ولا غلا

ولذكرت أيضا أيها القاضي قول الآخر وأنشدته فإنه قال فيمن وقف موقفي، وقرف مقرفي وتصرف تصرفي، وانصرف منصرفي، واغترف مغترف

إذا قال لم يترك مقالا ولم يقف
لي ولم يثن اللسان على هجر
يصرف بالقول اللسان إذا انتحى
وينظر في أعطافه نظر الصقر

ولقد أودعت صدر عضد الدولة، ما يطيل التفافه إلى، ويكثر حسرته على، ولقد رأى مني ما لم ير قبله مثله، ولا يرى بعده شكله، والحمد لله أوفدني عليه على ما يسر الولي، وأصدرني عنه على ما يسوء العدو، أيها القاضي: كيف الحال والنفس؟

وكيف المجلس والدرس؟ وكيف العرض والحرس وكيف الدس والعس؟ وكيف الفرس والمرس، وكاد لا يخرج من هذا الهذيان لتهيجيه واحتدامه، وشدة خباله وغلوائه، والهمذاني مثل الفأرة بين يدي السنور، وقد تضاعل وقمؤ لا يصعد له نفس إلا بنزع تذللًا وتقللاً، هذا على كبره في نفسه. ثم نظر إلى الزعفراني رئيس أصحاب الرأي فقال: أيها الشيخ، سرني بقاؤك، وساعني عناؤك، ولقد بلغني عدواؤك، وما خيله إليك خيلاؤك، وأرجو ألا أعيش حتى يرد عليك غلواؤك، ما كان عندي أنك تقدم على ما أقدمت عليه، وتنتهي في عدوانك لأهل العدل والتوحيد إلى ما انتهت إليه، ولي معك إن شاء الله نهار له ليل، وليل يتبعه ليل، وثبور يتصل به ويل، وقطر يدفع ومعه سيل. "وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار" فقال له الزعفراني: "حسبنا الله ونعم الوكيل"، ثم أبصر أبا طاهر الحنفي، فقال: أيها الشيخ، ما أدري، أشكوك، أم أشكو إليك، أما شكواي منك، فإنك لم تكاتبني بحرف، كأنما لم نتلاحظ بطرف، ولم نتحافظ على ألف، ولم نتلاق على ظرف، وأما شكواي إليك، فإنني ذممت الناس بعدك، وذكرت لهم عهدك، وعرضت بينهم ودك، وقدحت عليهم زندك، ونشرت عليهم غرائب ما عندك، فاشتاقوا إليك بتشويقي، واستصفوك بترويق، وأثنوا بتتيميقي وتزويقي، وهكذا عمل الأحاب، إذا نأت بهم الركاب، والتوت دونهم الأعناق واضطربت في صدورهم نار الاشتياق، فالحمد لله الذي أعاد الشعب ملتئما، والشمل منتظما، والقلوب وادعة، والأهواء جامعة، حمدا بالمزيد، على عادة السادة مع العبيد، عند كل قريب وبعيد.

ثم التفت إلى ابن القطان القزويني الحنفي، وكان من ظرفاء العلماء، فقال: كذب أيها الشيخ: أحلم بك في الیقظة، وأشتمل عليك دون الحفظة، لأنك قد ملكت مني غاية المكانة والحظوة، والله ما أسغت بعدك ريقا إلا على جرض ولا سلكت دونك طريقا إلا على مضض، ولا وجدت للظرف سوقا إلا بالعرض. سقى الله ربعا أنت أشدته بنزاهتك، وطبعا أنت أطبته ببراعتك، ومغرسا أنت أينعته بنباهتك.

وقال للعيسابادي: أيها القاضي، أيسرك أن أشتاقك وتسلو عني، وأن أسأل عنك وتتسل مني، وأن أكاتبك فتنغافل، وأطالبك بالجواب فتتكاسل، وهذا ما لا أحتمله من صاحب خراسان، ولا يطمع في مثله مني ملك بني ساسان، متى كنت منديلا ليد، ومتى نزلت على هذا الحد لأحد، إن انكفأت على بالعدر انكفاء، وإلا اندرأت عليك بالعدل اندزاء، ثم لا يكون لك فرار بحال، ولا يبقى لك بمكاني استكبار، إلا على وبال وخيال، ثم طلع أبو طالب العلوي فقال: أيها الشريف، جعلت حسناتك عندي سيئات، ثم أضفت إليها هنات، ولم تفكر في ماض ولا آت، أضعت العهد، وأخلفت الوعد، وحققت النحس، وأبطلت السعد، وحلت سرايا للحران، بعد ما كنت شرابا للحران، وظننت أنك قد شبعنت مني واعتضت عني، هيهات وأنى بمثلي، أو من يعثر في ذبلي، أو له نهار كنهاري. أو ليل كليلي:

وإن جل عائن

وهل عائن مني

وأنت بما تسمع عالم، لا إله إلا الله، سبحانه الله.

أنا واحد هذا العالم،

أيها الشريف، أين الحق الذي وكدناه أيام كادت الشمس تزول، والزمان علينا يصول، وأنا أقول، وأنت تقول والحال بيننا يحول، - سقى الله - ليلة تشبيعك وتوديعك، وأنت متنكر تنكرا يسوء الموالى، وأنا متفكر تفكرا يسوء العدو، ونحن متوجهون إلى ورامين، خوفا من ذلك الجاهل المهين، يعني بالجاهل المهين ذا الكفايتين، حين أخرجه من الري، بعد أن ألب عليه، وكاد أن يأتي على نفسه الخبيثة، وهو حديث له فرش، وما أنا بصدده، يمنع من اقتضائه، ولعله يأتي فيما بعد".

ثم نظر إلى أبي محمد كاتب الشروط فقال: أيها الشيخ، الحمد لله الذي كفانا شرك، ووقانا عرك وضرك، وأنأنا فيحك وحرك، دببت الضر إلينا، ومشيت الجمر علينا، ونحن نحيس لك الحيس، وأنت في خلال ذلك تقابلنا بالويح والويس، لو لا أنك قرحان، لسقط بك العشاء على سرحان.

وقال لابن أبي خراسان الفقيه الشافعي: أيها الشيخ، ألغيت ذكرنا عن لسانك، واستمررت على الخلوة بإنسانك، جاريا على نسيانك، مشتهرا بفتيانك وافتتانك، غير عاطف على أصدانك وإخوانك، لو لا أنني أرعى قديما قد أضعته، وأعطيك من رعايتي ما قد منعت، لكان لي ولك حديث، إما طيب وإما خبيث، خلفتك محتسبا، فخلفت مكتسبا، وتركك أمرا بالمعروف، فلحقك راكبا للمنكر، قد تغيل الرأي، وتخيب الظن، وتكذب الأمل. وقد قال الأول:

وؤتمن بالغيب وهو ظنين

ألا رب من تغتبه لك ناصح

ثم نظر إلى الشادباشي فقال: يا أبا علي، كيف أنت؟ وكيف كنت؟ فقال يا مولانا:

لا كنت إن كنت أدري كيف لم أكن

لا كنت إن كنت أدري كيف كنت ولا

فقال: أعرب يا ساقط، يا هابط، يا من تذهب إلى الحائط بالغائط، ليس هذا من تحت يدك، ولا هو مما نشأ من عندك، هذا لمحمد بن عبد الله بن طاهر، وأوله:

لاقيت بعدك من هم ومن حزن

كنت تسأل عني كيف كنت يوما

لا كنت إن كنت أدري كيف كنت ولا
لا كنت إن كنت أدري كيف لم أكن

وكان ينشد وهو يلوى رقبتة وتجحظ حذمته، وينزى أطراف منكبيه، ويتشفا ويتمايل كأنه لدى يتخبطه الشيطان من المس ثم قال يا أبا علي: لا تعود على أبر في سراويل، لا أبر إلا أبر تمضي تحت عنقك فإنك إن عولت على ذلك شائك وخانك، وفضح حالك ومالك.

ثم نظر إلى غلام قد بقل وجهه، كان يتهم به على الوجه الأقيح، فالتوى وتقلقل، وقال: ادن مني يا بني، كيف كنت؟ ولم حملت نفسك على هذا العناء، وجهك هذا الحسن لا يتبذل للشحوب، ولا يعرض للفحات الشمس بين الطلوع إلى الغروب. أنت تحب أن تكون بدلة بين حجلة وكلة. تزاح بك العلة، وتغلى بك القلة وتشفى منك الغلة هذا آخر حديث الاستقبال.

قال أبو حيان: ودخل يوما دار الإمارة، الفيرزان المجوسي في شيء خاطبه به فقال له: إنما أنت محش محش مخش، لا تهش ولا تبش ولا تمتش، فقال الفيرزان: أيها صاحب، برئت من النار إن كنت أدري ما تقول، فإن العرض لك. والنفس لك فداء، لست من الزنج ولا من البربر، كلمنا على العادة التي عليها العمل، والله ما هذا من لغة آبائك الفرس، ولا من أهل دينك من أهل السواد، وقد خالطنا الناس، وما سمعنا منهم هذا النمط فقام مغضبا. قال: وكان ابن عباد يقول للإنسان إذا قدم عليه من أهل العلم: يا أخي تكلم واستأنس، واقترح وانبسط، ولا تدع واحسبني في جوف مربعة، ولا بروعك هذا الحشم والخدم، والغاشية وهذه المرتبة والمصطبة، وهذا الطاق والرواق، وهذه المجالس والطنافس، فإن سلطان العلم فوق سلطان الولاية، فليفرج روعك، ولينعم بالك، وقل ما شئت، وأبصر ما أردت، فلست تجد عندنا إلا الإنصاف والإسعاف، والإتحاف والإطراف، والمواهبة والمقاربة، والمؤانسة والمقابلة، وقد كان يحفظ ما كان يهذي به في هذا وفي غيره، ويجزي في هذا الميدان فيطيل، حتى إذا استوفى ما عند ذلك الإنسان بهذه الزخارف والحيل، وصار الرجل معه في حدوده على مذهب الثقة، فحاجه وضايقه وسابقه، ووضع يده على النكتة الفاصلة، والأمر القاط تتمر له، وتغير عليه، ثم قال يا غلام: خذ بيد هذا الكلب إلى الحبس، وضعه فيه، بعد أن تصب على كاهله وظهره وجنبه، خمسمائة سوط وعصا، فإنه معاند ضد، يحتاج أن يشد بالقد ساقط هابط، كلب وقاح، أعجبه صبرى، وغره حلمي، ولقد أخلف طني، وعدت على نفسي باللائمة وبالتوبيخ، وما خلق الله العصا باطلا. فيقام ذلك البائس على هذه الحالة، وليس الخبر كالعيان، من لم يحضر ذلك المجلس، لم ير منظرا رفيعا، ورجلا رفيعا. قال: وكان أبو الفضل بن العميد إذا رآه قال: أحسب أن عينيه ركبتا من زئبق، وعنقه عمل بلولب، وصدق، فإنه كان ظريف التثني والتلوي، شديد التفكك والتقتل، كثير التعوج والتموج، في شكل المرأة المومسة، والفاجرة الماجنة.

قال وحدثني الجراباذي الكاتب أبو بكر، وكان كاتب داره، قال: يبلغ من سخنة عين صاحبا، أنه لا يسكت عما لا يعرف، ولا يسالم نفسه فيما لا يفهم، وإن احتال وموه، جاز ذلك وخفى واستتر، ولا يعلم أن ذلك الإحتيال، طريق إلى الإغراء بمعرفة الحال، وصدق القائل: "كاد المريب يقول خذوني". قلت: وما الذي حداك على هذه المقدمة؟ قال: قال لي في بعض هذه الأيام، أرفع حسابك، فقد أخرته وقصرت فيه، وانتهزت سكوتي وشغلي بأمر الملك، وسياسة الأولياء والجند، والرعايا والمدن، وما على من أعباء الدولة، وحفظ البيضة، ومشارفة الأطراف النائية والدانية، باللسان والعلم، والرأى والتدبير، والبسط والقبض، والتتبع والتقصي وما على قلبي من الفكر في الأموال الظاهرة والغامضة، وهذا باب لعمري مطمع، وإمساكي عنه مغر بالفساد مولع، فبادر - عافاك الله - إلى عمل حساب بتفصيل باب باب، يبين فيه أمر داري، وما دخل عليه أمر دخلي وخرجي. قلت له: هذا كله لسبب قوله: هات حسابك بما نراعيه؟ فقال: إى والله، ولقد كان أكثر من هذا، ولقد اختصرته. قال أبو بكر: فتفردت أياما، وحررت الحساب على قاعدته وأصله، والرسم الذى هو معروف بين أهله، وحملته إليه، فأخذه من يدي، وأمر عينيه فيه، من غير تثبيت أو فحص، أو مسألة، فحذف به إلى وقال: أهذا حساب؟ أهذا كتاب؟ أهذا تحرير؟ أهذا تقرير؟ أهذا تفصيل؟ أهذا تحصيل؟ والله لولا أنى ربيتك فى دارى، وشغلت بتخريجك ليلى ونهارى، ولك حرمة الصبا، ويلزمنى رعاية الأبا، لأطعمتك هذا الطومار، وأحرقتك بالنفط والقار، وأدبت بك كل كاتب، وحاسب، وجعلتك مثله لكل شاهد وغائب، أمثلى يمويه عليه؟ وبطمع فيما لديه؟ وأنا خلقت الحسابية والكتابة، والله ما أنام ليلة، إلا وأحصل فى نفسى ارتفاع العراق، ودخل الأفاق، أغرك منى أنى أجزرت رسنك، وأخفيت قبيلك، وأبديت حسنك؟ غير الذى رفعت، وأعرف قبل وبعد ما صنعت، وأعلم أنك من الآجرة قد رجعت، فزد فى صلاتك وصدقك، ولا تعول على قحتك وصلابة حدقتك، قال: فو الله ما هالنى كلامه، ولا أحاك فى هذيانه، لأنى كنت أعلم جهله فى الحساب، ونقصه فى هذا الباب، فذهبت وأفست، وأخرت وقدمت، وكأبرت وتعمدت، ثم رددته عليه، فنظر فيه، وضحك فى وجهي وقال: أحسنت - بارك الله عليك -، هكذا أردت، وهذا بعينه ما طلبت، لو تغالفت عنك فى أول الأمر، لما تيقظت فى الثاني، فهذا كما ترى، فاعجب منه كيف شئت.

قال أبو حيان: ومن رقايعه أيضا، سمعته يقول: وقد جرى حديث الأبهري المتكلم، وكان يكنى أبا سعيد، فقال: - لعن الله - ذاك

الملعون المأبون المأفون، جاءني بوجه مكبح، وأنف مفلطح، ورأس مسح، وسرم مفتوح، ولسان مكبح، فكلمني في مسألة الأصلح، فقلت له: اعزب، عليك لعنة الله لقيت الأبرح، الذي يلزم ولا يبرح.

وشتم يوما رجلا فقال - لعن الله - هذا الأهوج الأعوج الأفلج الأفحج الذي إذا قام تخلج، وإذا مشى تدرج، وإن عدا تفجج قال أبو حيان: بالله يا أصحابنا حدثوني، أهذا عقل رئيس، أم بلاغة كاتب أم كلام متماسك، لم تجنون به، وتتهالكون عليه، وتغيظون أهل الفضل به؟؟ هل هناك إلا الجد الذي يرفع من هو أنذل منه، ويوقع من هو أرفع منه. ولقد حدثت هذا الحديث أبا السلم الشاعر، فأنشدني لشاعر:

سبحان من أنزل الدنيا منازلها	وميز الناس مشنوءا وموموقا
فعاقل فطن أعيت مذهبها	وجاهل خرق تلقاه مرزوقا
كانه من خليج البحر مغترف	ولم يكن بارتزاق القوت محقوقا
هذا الذي ترك الألباب حائرة	وصير العاقل النحرير زنديقا

قال: وكان كلفه بالسجع في الكلام والقول، عند الجد والهزل، يزيد على كلف كل من رأيناه في هذه البلاد. قلت لابن المسيبي: أين يبلغ ابن عباد في عشقه للسجع؟ قال: يبلغ به ذلك، لو أنه رأى سبعة ينحل بموقعها عروة الملك، ويضطرب بها حبل الدولة، ويحتاج من أجلها إلى غرام ثقيل، وكلفة صعبة، وتجشم أمور، وركوب أهوال، لما كان يخف عليه أن يفرج عنها ويخليها، بل يأتي بها ويستعملها، ولا يعبأ بجميع ما وصفت من عاقبتها. قال: وقلت للخليلي، أما كان ابن العميد يسمع كلامه؟ قال: بلى، وكان يقول: سجعه يدل على الخلاعة والمجاعة. وخطه يدل على الشلل والزمانة وصياحه يدل على أنه قد خلب بالقمار في الحانة، وهو أحقق الطبع إلا أنه طيب قلت للخليلي: فهل عرفت طالعها؟ فقال: حدثني بعض أصحابنا منهم الهروي، أن طالعها الجوزراء والشعري اليمانية "كط" وكان زحل في الحادى عشر في الحمل "كز" والقمر فيه "يط" والشمس في السنبله "كد" والمريخ في العقرب "ن" ومنهم السعادة في القوس "يد" ومنهم الغيب في الجدى "يز" والرأس في الثالث من الأسد "يا" قال: وخفى على عطارده وذكر أنه ولد سنة ست وعشرين وثلاثمائة، من الهجرة لأربع عشرة ليلة من ذى العقدة، "رونسروش" من "ماه شهرير" قلت: وأين ولد؟ قال: كان عندنا أنه ولد بطالقان، وقال لنا يوما باصطخر: وقال غير الخليلي: كان عطارده في السنبله "طى" قال أبو حيان: كنت بالرى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وابن عباد بها مع مؤيد الدولة، قد ورد في مهمات وحوائج، وعقد لابن عباد مجلس جدل، وكنا نبيت عنده في داره، في باب شير، ومعنا الضرير أبو العباس القاضي، وأبو الجوزاء البرقي، وأبو عبد الله النحوي الزعفراني، وجماعة من الغرباء، فرأى ليلة في مجلسه وجهها غريبا صاحب مرقعة، فأحب أن يعرفه ويعرف ما عنده، وكان الشاب من أهل سمرقند، يعرف بأبى وافد الكرابيسي، فقال له: يا أخ انبسط واستأنس، وتكلم فلك منا جانب وطئ وشرب مرئ، ولن ترى إلا البر، بم تعرف فقال: بدقاق، قال: تدق ماذا؟ قال: أدق الخصم إذا زاغ عن سبيل الحق، فلما سمع هذا تنكر وعجب، لأنه فجئ ببذينة، فقال: دع هذا وتكلم، قال: أتكلم سائلا؟ ما بى والله حاجة إلى مسألة، أم أتكلم مسئولا؟ فو الله إنى لأكسل عن الجواب، أم أتكلم مقررًا؟ فو الله إنى لأكره أن أبدد الدر في غير موضعه، وإنى لكما قال الأول:

لقد عجمتني العاجمات فلم تجد	هلوعا ولا لين المجسة في العجم
وكاشفت أقواما فأبديت وصمهم	وما للأعادي في قناتى من وصم

قال له يا هذا: ما مذهبك؟ قال: مذهبي ألا أقر على الضيم، ولا أنام على الهون، ولا أعطى صمتى لمن لم يكن ولى نعمتي، ولم تصل عصمته بعصمتي. قال: هذا مذهب حسن، ومن ذا الذى يأتي الضيم طائعا؟ ويركب الهون سامعا؟ ولكن ما نحلكتك التى تنصرها؟ قال: أنادى عليها فى سوق، ولا أعرضها على شاك ولا أجادل فيها المؤمن، قال: فما تقول في القرآن؟ قال: ما أقول في كلام رب العالمين، الذى يعجز عنه الخلق، إذا أرادوا الاطلاع على غيبته، وبحثوا عن خافي سره، وعجائب حكمته، فكيف إذا حاولوا مقابلته بمثله!! وليس له مثل مظنون، فضلا عن مثل متيقن، فقال له ابن عباد: صدقت، ولكن أمخلوق أم غير مخلوق؟ فقال: إن كان مخلوقا كما يزعم خصمك، فما يضررك، فقال يا هذا: أبهذا تناظر فى دين الله؟ وتقوم على عبادة الله؟ قال: إن كان كلام الله نفعنى إيماني به، وعملي بمحكمه، وتسليمي لمتشابهه، وإن كان كلام غيره وحاش لله من ذلك، ما ضرني فأمسك عنه ابن عباد وهو مغيط، ثم قال: أنت لم تخرج من خراسان بعد، فمكث الرجل ساعة ثم نهض، فقال له ابن عباد: إلى أين يا هذا؟ قد تكسر الليل، بت ههنا، فقال: " أنا بعد لم أخرج من خراسان" كيف أبييت بالرى، وخرج فارتاب به ابن عباد، ففقهه بصاحب له، وأوصاه بأن يتبع خطاه، ويبلغ مده، من حيث لا يظن له ولا يراه، فما زاغ الرجل عن باب ركن الدولة، حتى وصل ودخل فى ذلك الوقت الفائت إليه، فقيل لابن عباد ذلك، فطار نومه وقال: أى شيطان هبط علينا، وأحصى ما كنا فيه بلسان سليط، وطبع مريد، وكان هذا الكرابيسي عينا لركن الدولة بخراسان، فلذلك كان قريبا، وكان أحد رجالاته.

ومما يدل على ولوع ابن عباد بالسجع، ومجاوزته الحد فيه بالإفراط، قوله يوما: " حدثني أن ناش. وكان من سادة الناش " جعل السين شيئا، وممر في هذا الحديث وقال: هذه لغة، وكذب وكان كذوبا.

وقال ابن عباد لشيخ من خراسان في شيء جرى: والله لولا شيء لقطعنا تقطيعا، وبضعتك تبضيعا، ووزعتك توزيعا، ومزعتك تمزيعا، وجزعتك تجزيعا، وأدخلتك في خزانك، ثم وقف ساعة، ثم قال جميعا، قال: وملح هذه الحكاية ينبتر في الكتابة، وطربها ينقض في الرواية دون مشاهدة الحال، وسماع اللفظ، وملاحه الشكل، والتثني، والترنح والتهادي، ومد اليد، ولي العنق، وهز الرأس والأكتاف، واستعمال الأعضاء والمفاصل.

قال: وحدثنا ابن عباد يوما قال: ما أفضعني إلا شاب ورد علينا إلى أصبهان بغدادي، فقصدني فأذنت له، وكان عليه مرقعة وفي رجليه نعل طاق، فنظرت إلى حاجبي، فقال له وهو يصعد إلي: اخلع نعلك، فقال: ولم؟ ولعلي أحتاج إليها بعد ساعة، فغليني الضحك، وقلت: أترأه يريد أن يصفعني؟ قال أبو حيان: وقال لي علي بن الحسن الكاتب: هجرني في بعض الأيام هجرا أضمر بي، وكشف مستور حالي وذهب على أمرى، ولم أهتد إلى وجه حيلة في مصلحتي، وورد المهرجان، فدخلت عليه في غمار الناس، فلما أنشد نوبتين تقدمت فلم يهش لي، ولم ينظر إلي، وكنت ضمننت أبياتي بيتا له من قصيدة على روى قصيدتي، فلما مر به البيت، هب من كسله، ونظر إلى كالمنكر على، فطأطأت رأسي، وقلت بصوت خفيض، لا تلم ولا تزدد في القرحة، فما على محمل، وإنما سرقت هذا من قافيتك، لأزين به قافيتي، وأنت بحمد الله تجود بكل علق ثمين، وتهب كل در مكنون، أترك تشاحني على هذا القدر، وتفضحني في هذا المشهد، فرفع رأسه وصوته وقال: يابني أعد هذا البيت، فأعدته، فقال: أحسنت يا هذا، ارجع إلى أول قصيدتك، فقد سهونا عنك، وطار الفكر بنا إلى شأن آخر، والدنيا مشغلة، وصار ذلك ظلما بغير قصد منا ولا تعمد: قال: فأعدتها وأمررتها، وفغرت فمي بقوافيها، فلما بلغت آخرها قال: أحسنت، الزم هذا الفن، فإنه حسن الديباجة، وكان البحترى استخلفك، وأكثر بحضرتنا، وارتفع بخدمتنا، وابدل نفسك في طاعتنا، نكن من وراء مصالحك، بأداء حقك، والجذب بضبعك، والزيادة في قدرك على أقرانك.

قال: فلم أر بعد ذلك إلا الخير، حتى عراه نوك آخر، فوضعني في الحبس سنة، وجمع كتبي وأحرقها بالنار، وفيها كتب الفراء، والكسائي، ومصاحف القرآن، وأصول كثيرة في الفقه والكلام، فلم يميزها من كتب الأوائل، وأمر بطرح فيها من غير تثبيت، بل لفرط جهله، وشدة نزقه، فهلا طرح النار في خزانته، وفيها كتب ابن الرواندي، وكلام ابن أبي العرجاء في معارضة القرآن بزعمه، وصالح بن عبد القدوس أبي سعيد الحصري، وكتب أرسططاليس، وغير ذلك، ولكن من شاء حمق نفسه.

قال أبو حيان: وحدثني محمد بن المرزباني قال: كنا بين يديه ليلة فنعس، وأخذ إنسان يقرأ الصافات، فاتفق أن بعض هؤلاء الأجلاف من أهل ما وراء النهر، نعس أيضا، وضرط ضرطة منكرة، فانتبه وقال: يا أصحابنا، نمنا على والصافات، وانتبهنا على والمراسلات، وهذا من نوادره وملحه.

وحدثني أيضا قال: انفلتت ليلة أخرى ضرطة من بعض الحاضرين وهو في الجدل، فقال على حدثه: كانت بيعة أبي بكر، خذوا فيما أنتم فيه، يعني فلانة، لأنه قيل في بيعة أبي بكر: كانت فلانة.

قال: وقال قوم من أهل أصبهان لابن عباد، لو كان القرآن مخلوقا لجاز أن يموت، ولو مات القرآن في آخر شعبان، بماذا كنا نصلي التراويح في رمضان؟ قال: لو مات القرآن، كان رمضان يموت أيضا، ويقول: لا حياة لي بعدك، ولانصلي التراويح ونستريح.

قال أبو حيان: واسمع ما هو أعجب من هذا، ناظر بالري اليهودي رأس الجالوت في إعجاز القرآن، فراجع اليهودي فيه طويلا، وماتته قليلا، وتكرر عليه حتى احتد، وكاد ينقد، فلما علم أنه قد سجر تتوره، وأسعط أنفه، احتال طلبا لمخادعته، ورفقا به في مخاطلته، فقال أيها صاحب: فلم تنتقد وتستشيط؟ وتلتهب وتختلط؟ كيف يكون القرآن عندى آية، ودلالة ومعجزة، من جهة نظمه وتأليفه؟ فإن كان النظم والتأليف بديعين، وكان البلغاء فيما تدعى عنه عاجزين، وله مدعين، فهأنا أصدق عن نفسه، وأقول ما عندي: إن رسائلك وكلامك، وفكرك وماتولفه، وتباد به نظما ونثرا، هو فوق ذلك، أو مثل ذلك، وقريب منه، وعلى كل حال، فليس يظهر لي أنه دونه، وأن ذلك يستعلى عليه بوجه من وجوه الكلام، أو بمرتبة من مراتب البلاغة، فلما سمع ابن عباد هذا فتر وخمد، وسكن عن حركته، وانحصر ورمه به، وقال: ولا هكذا يا شيخ: كلامنا حسن وبلغ، وقد أخذ من الجزالة حذا وأفرا، ومن البيان نصيبا ظاهرا، ولكن القرآن له المزية التي لا تجهل، والشرف الذي لا يخمل، وأين ما خلقه الله على أتم

حسن وبهاء، مما يخلقه العبد بطلب وتكلف، هذا كله يقوله، وقد خبا حميه، وتراجع مزاجه، وصارت ناره رمادا، مع إعجاب شديد قد شاع في أعطافه، وفرح غالب قد دب في أسارير وجهه، لأنه رأى كلامه شبيها بالقرآن، لدى اليهود وأهل الملل.

وقال بعض الشعراء في ابن عباد يذم سجعه، وخطه وعقله:

متقلب كافي الكفاة وإنما
السجع سجع مهوس والخط خطط
هو في الحقيقة كافر الكفار
منقرس والعقل عقل حمار

وكان ذو الكفائتين ابن العميد يقول: خرج ابن عباد من عندنا من الري، متوجها إلى أصفهان، ومنزله ورامين، وهي قرية كالمدينة، فجاوزها إلى قرية غامرة وماء ملح، لا شيء إلا لكتب إلينا كتابي هذا من النوبهار، يوم السبت نصف النهار".

قال أبو حيان: وكان ابن عباد يروى لأبي الفضل بن العميد كلاما في رقعة إليه، حين استكتبه لمؤيد الدولة، وهو: "بسم الله الرحمن الرحيم" مولاي: وإن كان سيدا بهرتنا نفاسته، وابن صاحب تقدمت علينا رياسته. فإنه يعدني سيدا ووالدا. كما أعده ولدا واحدا. ومن حق ذلك، أن يعضد رأيي برأيه، ليزداد استحكاما، ونتظاهر عقدا وإبراما. وحضرت اليوم مجلس مولانا ركن الدين، ففاوضني ما جرى بينه وبين مولاي طويلا، ووصل به كلاما بسيطا، وأطلعني على أن مولاي، لا يزيد بعد الاستقصاء والاستيفاء، على التقصي والاستغناء، وألزم عبده أن أكره مولاي إكراها في المسألة، وأجبره إجبارا في الطلبة، علما بأنه إن دافع المجلس المعمور طلبا للتحرز، لم يرد وساطتي أخذا بالتطول، وأقول بعد أن أقدم مقدمة: مولاي غنى عن هذا العمل بتصونه، وتصلفه وعزوفه، وبهمته عن التكثر بالمال وتحصيله، لكن العمل فقير إلى كفايته، محتاج إلى كفالته، وما أقول: إن مرادي ما يعقد من حساب، وينشأ من كتاب، ويستظهر به من جمع، وبذر ومن عطاء ومنع، فكل ذلك وإن كان مقصودا، وفي آلات الوزارة معدودا، ففي كتاب مولاي من يفي به ويستوفيه، ويوفي عليه ما يسر مساعيه، ولكن ولي النعمة يريده لتهديب ولده، ومن هو ولي عهده من بعده، والمأمول ليوحه وغده، - أدام الله أيامه - وبلغه فيه مرامه، ولا بد وإن كان الجوهر كريما، والسنخ قديما. والمجد صميما، ومركب العقل سليما، من ينوب مناب من تعلم ما السياسة؟ وما الرياسة؟ وكيف تدبير العامة والخاصة؟ وبماذا تعقد المهابة؟ ومن أين تجلب الأصالة والإصابة؟ وكيف ترتب المراتب، ويعالج الخطب إذا ضاقت المذاهب؟ وتعضى الشهوة لتحرس الحشمة، وتهجر اللذة لتحفظ الإمرة، ولا بد من محتشم يقوم في وجه صاحبه، فيرده إذا بدر منه الرأي المنقلب. ويراجعه إذا جمع به اللجاج المرتكب. ويعاوده إذا ملكه الغضب الملتهب. فلم يكن السبب في أن أفسدت ممالك جمة، وبلدان عدة، إلا أن خفضت أقدار الوزارة، فانقبضت أطراف الإمارة، وليس يفسد على ما أرى بقية الأرض، إلا إذا استعين بأذناب على هذا الأمر، فلا يخلن مولاي على ولي نعمته، بفضل معرفته، فمن هذه الدولة، جرى ما فضله، وفضل الشيخ الأمين من قبله، وإن كان مسموعا كلامي، وموثوقا باهتمامي، فلا يقعن انقباض عني، وإعراض عما سبق مني. ومولاي محكم الإجابة إلى العمل فيما يقترحه، وغير مراجع فيما يشترطه، وهذا خطي به، وهو على ولي النعمة، حجة لا يبقى معها شبهة، وسأتبع هذه المخاطبة بالمشافهة، إما بحضورى لديه، أو بتجشمه إلى هذا العليل الذي قد ألح النقرس عليه. وكان ابن عباد يحفظ هذه النسخة، ويرويها ويفتخر بها.

قال أبو حيان: وقال لي أصحابنا بالري، منهم أبو غالب الكاتب الأعرج، إن هذه المخاطبة من كلام ابن عباد، افتعلها عن ابن العميد إلى نفسه، تشيعا بها، ونفاقا بذكرها.

قال: وكان ابن عباد ورد الري سنة ثمان وخمسين، مع مؤيد الدولة، وحضر مجلس ابن العميد، وجرى بينه وبين مسكويه كلام، ووقع تجاذب، فقال مسكويه: فدعني حتى أتكلم، ليس هذا نصفه إذا أردت ألا أتكلم، فدع على فمي مخدة فقال صاحب: بل أدع فمك على المخدة، وطارت النادرة ولصقت، وشاعت بين الناس وبقيت. قال: ودخل الناس في مذهب ابن عباد، فقالوا بقوله، رغبة فيما لديه، واجتهد بالحسين المتكلم الكلابي، أن ينتقل إلى مذهبه، فقال الحسين: دعني أيها صاحب أكن مستحدا لك، فما بقي غيري، فإن دخلت في المذهب، لم يبق بين يديك، من ينبو عليك قبiche، ويبدو للناس عواره، فضحك وقال: قد أعفيناك يا أبا عبد الله. "وبعد" فما نبخل عليك بنار جهنم، أصل بها كيف شئت. قال لنا الحسين بعد ذلك: أتراني أصلي بنار جهنم، وعقيدتي وسريرتي معروفتان، ويتبوأ هو الجنة مع قتل النفس المحرمة، وركوب المحظورات العظيمة، وإن ظنه بنفسه لعجب، - لحي الله الوقاح - وقال يوما صدر قول الشاعر:

والمورد العذب كثير الزحام

فسكتت الجماعة، فقال ابن الداري:

يزدحم الناس على بابه

فأقبل عليه بغيظ وقال: ما عرفتك إلا متعجرفا جاهلا، أما كان لك بالجماعة أسوة.

قلت لأبي السلم نجبة بن علي القحطاني الشاعر: أين ابن عباد من ابن العميد؟ فقال: زرتهما منتجعا وزرتهما جميعا، فكان ابن العميد أعقل، وكان يدعي الكرم، وابن عباد أكرم، ويدعي العقل، وهما في دعواهما كاذبان، وعلى سجيتهما جاريان.

أنشدت يوما على باب ذاك قول الشاعر:

جمال ولا مال تمنى انتقالها

إذا لم يكن للمرء في ظل دولة

يؤمل أخرى فهو يرجو زوالها

وما ذاك من بغض لها غير أنه

فرفع إليه إنشادي، فأخذني وأعدني، وقال: انج بنفسك، فإنني إن رأيتك بعد هذا، أولغت الكلاب دمك، وكنت قاعدا على باب هذا منذ أيام، فأنشدت البيتين على سهو، فرفع الحديث إليه، فدعاني ووهب لي دريهمات وخريقات، وقال: لا تتمن انتقال دولتنا بعد هذا.

قال أبو السلم: هذا من أعذر الناس في الشعر، يحفظ الطم والرم، وقال الخليلي: الرجل مجنون "يعنى ابن عباد" في طباع المعلمين، سمعته يقول للتميمي الشاعر: كيف تقول الشعر؟ وإن قلت كيف تجيد؟ وإن أجدت فكيف تغرز؟ وإن غزرت فكيف تروم غاية، وأنت لا تعرفما الزهزيق، وما الهبلع، وما العتلط، وما الجلعلع، وما القهقب، وما القهلبس، وما الخلبوس، وما الخزعبلة، وما القذعلة، وما العمروط، وما الجرفاس، وما اللئوس، وما النعشل، وما الطريال، وما الفرق بين العرم، والردم، والحدم، والحزم، والقضم، والخضم، والنضح، والرضح، والقضم، والقصم، والفصع، والفصع، وما العبنقس، وما العلنكس، وما الوكال، والزومل، وما الخيعثور، واليستور، وما الشنعوف، وما الخذروف، وما الحلزون، وما الققندد، وما الجمعليل: قال الشاعر:

جاءت تمشى وهى قدام الإبل

جاءت بخف وحنين ورحل

مشى الجمعليلة بالخرق النقل قال: ورأيت بعض الجهال يصحف ويقول: وحنين وزجل، قلت للخليلي من عنى بهذا؟ قال ابن فارس: معلم ابن العميد أبي الفتح، قال الخليلي: فهذا الضرب من الكلام يجب أن يفتخر بمثله، ويترقق به، إنك يا أبا حيان، لو رأيته يمشى وهو يهذي بهذا وشبهه، ويتفيهق ويلوي شذقيه عليه، ويقذف بالبصاق على أهل المجلس، لحمدت الله على العافية مما يلي هذا الرجل به، "وبعد" فما بين الشاعر وهذا الضرب؟ الشاعر يطلب لفظا حرا، ومعنى بديعا، ونظما حلوا، وكلمة رشيقة، ومثلا سهلا، ووزنا مقبولا.

قال أبو حيان: عندما قارب الفراغ من كتابه في أخلاق الوزيرين، ولو لا هذين الرجلين أعنى ابن عباد، وابن العميد، كانا كبيرى زمانهما، وإليهما انتهت الأمور، وعليهما طلعت شمس الفضل، وبهما ازدانت الدنيا، وكانا بحيث ينشر الحسن منهما نشرًا، والقبیح يؤثر عنهما أثرا، لكن لا أتسكع في حديثهما هذا التسكع، ولا أنحى عليهما بهذا الحد، ولكن النقص ممن يدعي التمام أشنع، والحرمان من السيد المأمول فاقرة، والجهل من العالم منكر، والكبيرة ممن يدعى العصمة جائحة والبخل ممن يتبرأ منه بدعواه عجيب.

ولو أردت مع هذا كله، أن تجد لهما ثالثا في جميع من كتب للجبل والديلم، إلى وقتك هذا المؤرخ في الكتاب لم تجد.

قال: وقال ابن عباد يوما: كان أبو الفضل "يعنى ابن العميد" سيّدا، لم يشق غبارنا، ولا أدرك شوارنا، ولا مسح عذارنا، ولا عرف غرارنا، لا في علم الدين، ولا فيما يرجع إلى نفع المسلمين. فأما ابنه: فقد عرفتم قدره في هذا وفي غيره، طياش قلاش، ليس عنده إلا قاش وقماش، مثل ابن عياش، والهروى الحواش، وولدت والشعرى في طالعي، ولو لا دقيقة لأدركت النبوة، وقد أدركت النبوة إذ قمت بالذب عنها، والنصرة لها، فمن ذا يجارينا أو يبارينا، ويغارينا، أو يمارينا، ويشارينا.

قال: وسمعته يقول لابن ثابت، جعلك الله ممن إذا خرى سطر، وإذا بال قطر، وإذا فسا غير، وإذا ضرط كبر، وإذا أعجف عبر.

قال: وهذا سخف لا يليق بأصحاب الفرصة، والذين اختلفوا إلى الخندق، ودارك ومنوقان، والزبيدية، والرمادة، والخلد.

قال وأنشد أبو دلف الخزرجي:

بن عبد الله حرها

يا ابن عباد بن عباس

من دنياك كرها

تتكر الجبر وقد أخرجت

قال علي ابن عطاء: إن عطاء ابن عباد: لا يزيد على مائة درهم، وثوب إلى خمسمائة، وما يبلغ إلى الألف نادر، وما يوفى على الألف بديع، بلى، قد نال بن ناس من عرض جاهه على السنين، ما يزيد قدره على هذا بأضعاف، وعدد هؤلاء قليل جدا، وذلك بابتذال النفس، وهتك الستر.

قال: ولقد بلغ من ركاكته، أنه كان عنده أبو طالب العلوي، فكان إذا سمع منه كلاما يسجع فيه، وخبرا ينمقه ويرويه، يبلق عينيه، وينشر منخريه، ويرى أنه قد لحقه غشى حتى يرش على وجهه ماء الورد، فإذا أفاق قيل: ما أصابك؟ ما عراك؟ ما الذي نالك وتغشاك؟ فيقول: ما زال كلام مولاي يروقني ويؤنقني حتى فارقتني لبي، وزايلني عقلي، وتراخت مفاصلي، وتخاذلت عرى قلبي، وذهل ذهني، وحيل بيني وبين رشدی، فيتلهل وجه ابن عباد عند ذلك، وينتفش ويضحك عجا وجهلا، ثم يأمر له بالحباء والتكرمة، ويقدمه على جميع بنى أبيه وعمه، ومن ينخدع هكذا، فهو بالنساء الرعن أشبه، وبالصبيان الضعاف أمثل. وذكر الوزير أبو سعد، منصور بن الحسين الأبى في تاريخه، من جلالة قدر صاحب، وعظم قدره في النفوس، وحشمته، مالم يذكر لوزير قبله، ولا بعده مثله، وأنا ذاكر ما ذكر على ما نسقه، قال: توفيت أم كافي الكفاة بأصبهان، وورد عليه الخبر، فجلس للتعزية يوم الخميس للنصف من محرم، سنة أربع وثمانين، وركب إليه سلطانه وولى نعمته، فخر الدولة، بن ركن الدولة معزيا، ونزل وجلس عنده طويلا يعزيه، ويسكن منه، وبسط الكلام معه بالعربية، وكان يفصح بها، فسمعته يقول حين أراد القيام: أيها صاحب، هذا جرح لا يندمل، فأما سائر الأمراء والقواد، مثل منوچهر بن قابوس، ملك الجبل، وفولاذ بن ما نادر، أحد ملوك الديلم، وأبي العباس الفيروزان بن خالد، فخر الدولة وغيرهم، من الأكابر والأمائل، فإنهم كانوا يحضرون حفاة حسرا، وكان كل واحد منهم إذا وقعت عينه على صاحب، قبل الأرض، ثم توالى بعد ذلك إلى ان يقرب منه، ويأمره بالجلوس فيجلس، وما كان يتحرك ولا يستوفز لأحد، بل كان جالسا على عادته في غير أيام التعزية، فلما أراد القيام من المعزى بعد الثالث، كان أول من أمر أن يقدم إليه اللكاء منوچهر بن قابوس، فإنه قال: يحمل إلى أبي منصور ما يليسه، فقدم إليه، ومنع من الخروج من الدار حافيا، ثم قدم بعد ذلك الحجاب والحاشية للكاوات إلى الجماعة، فغضب فولاذ بن مانادر، والفولاذ دريدية عليه ذلك، وقالوا: ميز منوچهر من بين الجماعة، فاحتج صاحب ببيتة العظيم، ورياسته القديمة.

قال: وخطب كافي الكفاة ابنة أبي الفضل بن الداعي، لسبطه عباد بن الحسين، ووقع الإملاك في داره يوم الخميس، لاربع خلون من شهر ربيع الأول، سنة أربع وثمانين، وكان يوما عظيما احتفل فيه كافي الكفاة، ونثر من الدنانير والدراهم شيئا كثيرا، لذلك أنفذ له فخر الدولة على يدى أحد حجابيه الكبار، إلى هناك من النثار، ما زاد على مائة طبق عينا وورقا، وحضر الفولاذ دريدية بأسرهم، فإن الابنة المزوجة، كانت ابنة ديكونة بنت الحسن، بن الفيروزان، خالة فخر الدولة، وكان القوم أخوالها، وأضافهم صاحب، ونصبت مائدة عظيمة في بيت طوله يزيد على خمسين ذراعا، وكانت بطول البيت، وأجلس عليه ستة أنفس، وكان فولاذ بن مانا وكبات بن بلقسم في الصدر، وبجنب فولاذ، أبو جعفر بن الثائر العلوي، وبجنبه الآخر، أبو القاسم بن القاضي العلوي، ودون أحد العلويين كاكى ابن يشكر زاد، ودون الآخر مرداويج الكلاري، ووقف أبو العباس الفيروزان، وعبد الملك بن ما كان للخدمة، ووقف كافي الكفاة أيضا ساعة، ووقف جميع أكابر الكتاب والحجاب، مثل الرئيس أبى العباس، أحمد بن إبراهيم الضبى، وأبى الحسين العارض، وأخيه أبى على، وابنه أبى الفضل، وأبى عمران الحاجب وغيرهم. إلى أن فرغ القوم من الأكل، ثم أكل هؤلاء مع صاحب على مائدة منفردة، وأما قاضى القضاة، والأشراف والعدول، فإنهم أطعموا على مائدة أخرى فى بيت آخر. قال: وكان نصر بن الحسين، بن الفيروزان، وهو خال فخر الدولة، مقداما شجاعا، قليل المبالاة، قد استعصى على فخر الدولة، واقتطع من بلاده، وتغلب عليها، واحتال على جماعة من عساكره، فقتلهم بأنواع القتل، ثم كسر له عدة عساكر، إلى أن تكاثرت عساكر فخر الدولة فكسرتة، وشتتت جموعه، وهرب نحو خراسان، حتى صار إلى إسفرايين، ثم بدا له أن سلك طريق المفارة فيها، حتى ورد الى ليلة الجمعة، لست بقين من شوال، سنة أربع وثمانين، وقصد في الليل باب كافة الكفاة مستجيرا به، ومستعظا له، فلم يرق له، ورد إلى دار بعض حجاب فخر الدولة، فحبس فيها.

قال الوزير أبو سعد: وكنت في هذه الليلة بحضرة كافي الكفاة، فأتاه الحاجب، وقد مضى هزيع من الليل، فأخبره بوقوف نصر بن الحسن، بن الفيروزان على الباب، خاشعا متضرعا، فرأيتة قد تحبر في الأمر ساعة، ثم راسله بأن السلطان الأعظم - يعني فخر الدولة - ساخط عليك، ولا يجوز لي أن آذن لك في دخول داري، إلا بعد تترضاه، وتستعطف قلبه، فإذا عفا عنك ورجع لك، فالدار بين يديك، وأنا معين لك. فعاد الحاجب إليه بذلك، ورجع فقال: إنه امتنع من العود وقال: إنما جئت إلى صاحب لأنذا به، ومنقطعا إليه، ولا أعرف غيره، وأنا أحتاج أن يدبر أمري، ويجبرني ويحامي على، ويذب عني، فرأيت صاحب وقد مال رأيه بين إحدى خصلتين: إما أن يستمر على المنع ولا يأذن له، وإما أن يأذن له، ويجعل داره بما فيها من الخزائن له، وينتقل هو إلى دار كانت لحاجبه الراوندي، وكان قد أضافها بعد موت هذا الحاجب إلى داره. ثم تقرر رأيه على صرفه، واستمر نصر على الإلحاح فى الخضوع، والاجتهاد أن يأذن له في الدخول، وانتقل من الباب الكبير إلى باب الخاصة، سأل واجتهد إلى أن جاءه من قبل فخر الدولة، علوسة الحاجب وحبسه، وكان هذا الفعل من صاحب مستهجنا، يعجب الناس منه، وتحدثوا به

واستقيحوه، مع ما اظهره نصر من الاستكانة والاستجارة به. وأظن أنه لم يفعل ذلك، إلا لأنه جين عن الاجتماع معه في دار واحدة، مع العداوة المتأكدة بينهما، والضغينة الراسخة في قلب كل واحد منهما.

ثم ذكر وفاة صاحب، في الوقت الذي ذكره غيره، وكما ذكرناه آنفاً. ثم قال: وتوفي فخر الدولة عشية يوم الثلاثاء، عاشر شعبان، وكان مبلغ عمره أربعاً وأربعين سنة، وستة أشهر وأياماً. ثم وصف أخلاقه وجيوشه، وقلاعه وأمواله، التي خلفها، ثم قال: فأما الوزارة في أيامه، فكانت أشهر من أن يحتاج إلى ذكرها، فإن أول وزرائه كان كافي الكفاة. وأسنة الأقاليم، وعذبات الألسنة تكل دون أيسر أوصافه، وأدنى فضائله، ولو لا ما آل إليه أمر الوزارة في هذه الأيام، واعتقاد من لم يعلم حالها في ذلك الزمان، بأن الأمر كان ولم يزل على ما نراه، أو قريباً منه وشبيهاً به، لأمسكنا عن ذكره، ولكننا نذكر يسيراً من أحواله، فإن هؤلاء الذين ذكرناهم من أبناء الملوك، والأمراء والقواد، وسائر من ساوهم من الزعماء والكبار، مثل أولاد مؤيد الدولة، وابن عز الدولة، ومنوهر بن قابوس، بن وشمكير، وأبي الحجاج بن ظهير الدولة، وأسفهد بن أسفار، وحسن بن وشمكير، وفولاذ بن مانادر، ونصر بن الحسن بن الفيروزان، وأبي العباس الفيروزان، ابن الحسن، بن الفيروزان، وكبات بن بلقاسم، بن الفيروزان، وحيدر بن وهسودان، وكبخسرو بن المرزبان، ابن السلار، وجستان بن نوح، بن وهسودان، وشيرزيل ابن سلار، بن شيرزيل، وكان في يد كل واحد من هؤلاء من الأقطاع، ما يبلغ ارتفاعه خمسين ألف دينار، وما دونها إلى عشرين ألف دينار، ومن أكابر القواد ما يطول تعدادهم، كانوا يحضرون باب داره، فيقفون على دوابهم مطرقين، لا يتكلم واحد منهم هيبية وإعظاماً لموضعه، إلى أن يخرج أحد خلفاء حجابيه، فيأذن لبعض أكابرهم، ويصرفهم جملة، فكان من يؤذن له في الدخول، يظن أنه قد بلغ الأمال، ونال الفوز بالدنيا والآخرة، فرحاً ومسرّة، وشرفاً وتعظيماً، فإذا حصل في الدار، وأذن له في الدخول إلى مجلسه، قبل الأرض عند وقوع بصره عليه، ثلاث مرات أو أربعاً، إلى أن يقرب منه، فيجلس من كانت رتبته الجلوس، إلى أن يقضى كل واحد منهم وطره من خدمته، ثم ينصرف، بعد أن يقبل الأرض أيضاً مراراً. ولم يكن يقوم لأحد من الناس ولا يشير إلى القيام، ولا يطمع منه أحد في ذلك. ونزل بالصيمرة عند عوده من الأهواز، فدخل عليه شيخ من زهاد المعتزلة، يعرف بعبد الله بن إسحاق، فقام له: فلما خرج التفت كافي الكفاة وقال: ما قمت لأحد مثل هذا القيام، منذ عشرين سنة، وإنما فعل ذلك به لزهده، فإنه كان أحد أبدال دهره، فأما العلم فقد كان يرى من هو أعلم منه، فلا يحفل به. وأما هيبته في الصدور، ومخافته في القلوب، وحشمته عند الصغير والكبير، والبعيد والقريب، فقد بلغت إلى أن كان صاحبه فخر الدولة، ينقبض عن كثير مما يريد به بسببه، ويمسك عما نشره إليه نفسه لمكانه، وقد ظهر ذلك للناس بعد موته، وانبساط فخر الدولة فيما لم يكن من عادته، فعلم أنه كان يزم نفسه لحشمته، ثم كان يحله محل الوالد إكراماً وإعظاماً، ويخاطبه بالصاحب شفاهاً وكتاباً، فأما أكابر الدولة، فكان الواحد إذا رأى أحد حجابيه، بل أحد الأصاغر من حاشيته، فإن فرائضه كانت ترتعد، وجوانحه كانت تصطفق، إلى أن يعلم ما يريد منه، ويخاطبه به.

وتظلمت إليه امرأة من صاحب لفولاذ بن مانادر، وذكرت أنه ينازعها في حق لها، فما زاد على أن التفت إلى فولاذ، وكان في موكبه يسير خلفه، فبهت وتحيّر، وارتعد ووقف، ولم يبرح إلى أن سار كافي الكفاة، ثم أرسل مع المرأة من أرضها، وأزال ظلامتها، ومثل هذا كثير يطول الكتاب ببعضه، فكيف يتسع لكله.

وأما أسبابه وحاشيته، وهيبته ورتبته، فإن من أيسرها أنه كان له عدة من الحجاب، منهم من على مربطه ثلاثمائة رأس من الدواب، أو ما يقاربها، وكانت أحوال بلكا الحاجب، تزيد على ذلك زيادة كثيرة، فإنه كان على مربط خليفة له يعرف ببيزدة، كثير من الخيل العتاق الموصوفة، وكان لا يستغني عنها، لأنه كان موقوفاً على حفظ الطرق، وطلب الأكراد، وأهل العيث وصيانة السابلة، وكان ما يخرج لكافي الكفاة في السنة، في وجوه البر والصدقات والمبرات، وصلات الأشراف وأهل العلم، والغرباء الزوار، ومن يجري مجرى ذلك، مما يتكلفه به صيت الدنيا، وأجر الآخرة، يزيد على مائة ألف دينار.

وانتقلت الوزارة عنه إلى أبي العباس، أحمد بن إبراهيم الضبي، وأبي علي الحسن، بن أحمد، بن حمولة، والسياسة التي قد سنها هو باقية، وحشمة الوزارة ثابتة، والأمور على ما عهد في أيامه جارية، وكان لهما من الحشم والحاشية، والتجمل والزينة، مثل ما كان له، بل كان فوقه في الغنى والثروة، وإن لم يلحقه في الفضل والمكرمة. قال غرس النعمة: حدث أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى النصيبي قال: كان أبو الفتح علي بن أبي الفضل، بن العميد، قد دبر على صاحب بن عباد، حتى أزاله عن كتابة الأمير مؤيد الدولة، وأبعده عن حضرته بالري إلى أصفهان، وانفرد هو بتدبير الأمور لمؤيد الدولة، كما كان يدبرها لأبيه ركن الدولة، واستدعى يوماً ندماءه، وعبأ لهم مجلساً عظيماً، وأظهر من الزينة وآلات الفضة، والذهب والصيني وما شاكله، ما يفوت الحصر، وشرب واستنزه الطرب، وكان قد شرب يومه وليلته، فعمل شعراً غنى به، وهو:

فلما أجابا دعوت القدح

دعوت المني ودعوت العلا

وقلت لأيام شرخ الشباب

ألا إن هذا أوان المرح

إذا بلغ المرء أماله

فليس له بعدها مقترح

فلما غنى بالشعر استطابه، وشرب عليه إلى أن سكر، وقال لغلماناه: غطوا المجلس، ولا تسقطوا منه شيئا، لأصطحب في غد عليه، وقال لندمائيه: باكروني، وقام إلى بيت منامه، وانصرف عنه الندماء، فدعاه مؤيد الدولة في السحر، فلم يشك أنه لمهم، فقبض عليه، وأنفذ إلى داره من استولى على جميع ما فيها وأعاد ابن عباد إلى وزارته، وطاولت بابن العميد النكبة، حتى مات فيها، كما ذكرناه في ترجمته.

ثم وزر ابن عباد بعد مؤيد الدولة لأخيه فخر الدولة، فبقى في الوزارة ثمانى عشرة سنة وشهورا، وفتح خمسين قلعة سلمها إلى فخر الدولة، لم يجتمع عشر منها لأبيه ولا أخيه، وسمع الصاحب الحديث وأملى.

فحدث أبو الحسن، على بن محمد الطبري الكيا قال: لما عزم الصاحب بن عباد، على الإملاء وهو وزير، خرج يوما متطلسا متحنكا بزي أهل العلم، فقال: قد علمتم قدمي في العلم، فأقروا له بذلك، فقال: وأنا متلبس بهذا الأمر، وجميع ما أنفقته من صغرى إلى وقتي هذا، من مال أبي وجدي، ومع هذا فلا أخلو من تبعات، أشهد الله وأشهدكم أنى تائب إلى الله، من ذنب أذنبته. واتخذ لنفسه بيتا وسماه بيت التوبة، وليث أسبوعا على ذلك، ثم أخذ خطوط الفقهاء بصحة توبته، ثم خرج فقعد للإملاء، وحضر الخلق الكثير، وكان المستملى الواحد ينضاف إليه ستة، كل يبلغ صاحبه، فكتب الناس حتى القاضي عبد الجبار، وأهدي إليه العميري كتابا، وكتب معها:

العميري عبد كافي الكفاة

وإن اعتد في وجوه القضاة

خدم المجلس الرفيع بكتب

مفعمات من حسناتها مترعات

فوقع الصاحب تحتها:

قد قبلنا من الجميع كتابا

ورددنا لوقتها الباقيات

لست أستغنم الكثير فطبعي

قول خذ، ليس مذهبي قول هات

حدث أبو الرجاء الضرير، الشطرنجي العروضي، الشاعر الأهوازي بالأهواز، قال: قدم علينا الصاحب ابن عباد، في السنة التي جاء فيها فخر الدولة، ولقيه الناس ومدحه الشعراء، فمدحته بقصيدة قلت فيها:

إلى ابن عباد أبي القاسم الصاحب

إسماعيل كافي الكفاة

فقال: قد كنت والله أشتهي بأن تجتمع كنييتي واسمي، ولقبى واسم أبي في بيت، فما انتهيت إلى قولي فيها: ويشرب الجيش هنيئا بها فقال يا أبا الرجاء: أمسك، فأمسكت، فقال:

ويشرب الجيش هنيئا بها

من بعد ماء الري ماء الصراة

هكذا هو؟ قلت نعم، قال: أحسنت، قلت يا مولاي: أحسنت أنت، عملت أنا هذا في ليلة، وأنت عملته في لحظة. قال عبد الله الفقير غليه: وممن ذكر نسب الممدوح كاملا، الحارث الدؤلي، في عاصم بن عمرو، بن عثمان، ابن عفان:

إليك ابن عثمان بن عفان عاصم بن

عمرو سرت عيس فطال سراها

ومن مستحسن شعر الصاحب:

دعتنى عيناك نحو الصبا

دعاء تكرر في كل ساعة

فلو لا "وحقك" عذر المشيب

لقلت لعينيك سمعا وطاعة

وحدث البديع الهمداني قال: كان بعض الفقهاء ويعرف بابن الحضيري، يحضر مجلس الصاحب بالليالي، فغلبته عينه ليلة فنام، وخرجت منه ريح لها صوت، فخجل وانقطع عن المجلس، فقال الصاحب أبلغوه عني:

يا بن الحضيري لا تذهب على خجل

لحادث كان مثل الناي والعود

فإنها الريح لا تستطيع تحبسها

إذ لست أنت سليمان بن داوود

ولأبي بكر الخوارزمي في ابن عباد:

لاتحمدن ابن عباد وإن هطلت

كفاه يوما ولا تزمه إن حرما

فإنها خطرات من وساوسه

يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما

فلما مات الخوارزمي، بلغ الصاحب وفاته فقال:

أقول لركب من خراسان رائح

أمات خوارزميكم؟ قيل لي نعم:

فقلت: اكتبوا بالجص من فوق قبره
وحدث أبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي، في كتاب مشارب التجارب، وذكر صاحب فقال: أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس، الوزير ابن الوزير، كما قال الرستمي فيه:

ورث الوزارة كابرا عن كابر
بيروي عن العباس عباد وزارته

قال: مولده بكورة فارس، في ذي العقدة، سنة ست وعشرين وثلاثمائة، ومندحه خمسمائة شاعر من أرباب الدواوين، وممن كان ببابه: قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الأسدأبازي، وكان قد فوض إليه قضاء همذان والجلال، واستقبل القاضي عبد الجبار صاحب يوما، فلم يترجل له، فقال: أيها صاحب، أريد أن أترجل للخدمة، ولكن العلم يأبى ذلك، وكان يكتب في عنوان كتابه: "إلى صاحب: داعيه، عبد الجبار بن أحمد" ثم كتب "وليه عبد الجبار بن أحمد"، ثم كتب "عبد الجبار بن أحمد" فقال صاحب لندمائه: أظنه يؤول أمره إلى أن يكتب الجبار. وأنشد صاحب لنفسه يرثي:

يقولون لي أودى كثير بن حمد
وذلك رزء ما علمت جليل

فقلت دعوني والعلا نيكه معا
فمثل كثير في الرجال قليل

وذكر هلال بن المحسن، عن أبي طاهر بن الحمامي، عن الأنباري الكاتب، قال: ورد إلى صاحب رجل من أهل الشام، فكان فيما استخبره عنه: رسائل من تقرأ عندكم؟ فقال: رسائل بن عبد كان. قال ومن؟ قال: رسائل الصابي. وغمره أحد جلسائه ليقول: رسائل صاحب فلم يظن، وراه صاحب فقال: تغمر حمرا لا يحس وكان صاحب خراسان، الملك نوح بن منصور الساماني، قد أرسل إلى صاحب في السر يستدعيه إلى حضرته، ويرغبه في خدمته، وبذل البذل السنية، فكان من جملة اعتذاره أن قال: كيف يحسن لي مفارقة قوم بهم ارتفع قدرى، وشاع بين الأنام ذكرى، ثم كيف لي بحمل أموالى مع كثرة أثقالى؟ وعندي من كتب العلم خاصة، ما يحمل على أربعمائة جمل أو أكثر.

قال أبو الحسن البيهقي: وأنا أقول: ببيت الكتب الذى بالرى، دليل على ذلك، بعدما أحرقه السلطان محمود ابن سبكتكين، فإني طالعت هذا البيت، فوجدت فهرست تلك الكتب عشر مجلدات، فإن السلطان محمودا لما ورد إلى الري، قيل له: إن هذه الكتب، كتب الروافض، وأهل البدع، فاستخرج منها كل ما كان فى علم الكلام، وأمر بحرقه. وللصاحب من التصانيف: كتاب المحيط باللغة عشرة مجلدات، كتاب ديوان رسائله عشرة مجلدات، كتاب الكافي رسائل، كتاب الزيدية، كتاب الأعياد وفضائل النوروز، كتاب في تفصيل على بن أبى طالب. وتصحيح إمامة من تقدمه، كتاب الوزراء لطيف، كتاب عنوان المعارف في التاريخ، كتاب الكشف عن مساوئ المتنبي، كتاب مختصر أسماء الله تعالى وصفاته، كتاب العروض الكافي، كتاب جوهرة الجماهر، كتاب نهج السبيل فى الأصول، كتاب أخبار أبي العيناء، كتاب نقض العروض، كتاب تاريخ الملك واختلاف الدول، كتاب الزيديين، كتاب ديوان شعره.

وقال بعض ولد المنجم بعد وفاة صاحب، وقد استوزر أبو العباس الضبى، ولقب بالرئيس، وضم إليه أبو علي، ولقب بالجليل:

والله و الله لا أفلحتم أبدا
بعد الوزير ابن عباد بن عباس
إن جاء منكم جليل فاقطعوا أجلي
أو جاء منكم رئيس فاقطعوا راسي

ومن شعر صاحب:

وشادن جماله
أهوى لتقبيل يدي
يقصر عنه صفتي
فقلت: لا بل شفتي

وله:

قال لى إن رقيبى
قلت: دعنى وجهك
سيء الخلق فداره
الجنة حفت بالكاره

وله أيضا:

أقول وقد رأيت له سحابا
وقد سحت عز اليها بسكب
من الهجران مقبلة إلينا
حوالينا الصدود ولا علينا

حدث الوزير أبو العلاء بن حسولي قال: كان دينار المجوسي صدرا في ديوان الري، وكان مدنرا مدرهما ممولا، فكتب رجل إلى صاحب:

لم لا يفرق في ديوان عسكره
فإن أيسر ما في قطع شأفته
كافي كفاة الورى دينار دينار
تطهير ديوانه من عابدي النار
فقبض عليه وصادره، واستوفى منه مالا عظيما، والسبب في ذلك البيتان.

وحدث ابن بابك قال: سمعت صاحب يقول: مدحت والعلم عند الله، بمائة ألف قصيدة شعر، عربية وفارسية وقد أنفقت أموالا على الشعراء والأدباء، والزوار والقصاد، ما سررت بشعر، ولا سرنى شاعر، كما سرنى أبو سعيد الرستمي الأصفهاني بقوله:

ورث الوزارة كبرا عن كابر
يروى عن العباس عباد وزارته
مرفوعة الإسناد بالإسناد
وإسماعيل عن عباد

وقال أبو الحسن، علي بن الحسين الحسني، ختن صاحب يرثيه:

ألا إنها يمنى المكارم شلت
حرام على الظلماء إن هي قوضت
نفس المعالي إثر فقدك سلت
وحجر على شمس الضحى إن تجلت
لتبك على كافي الكفاة مآثر
لقد فدحت فيه الرزايا وأوجعت
ألا هل أتى الأفاق أية غمة
وهل تعلم الغبراء ماذا تضمنت
يحاكي ندى كفيك إلا استهللت
لجدنا بها عند الفداء وقلت
ولو قبلت أرواحنا عنك فدية

قال أبو حيان: كان ابن عباد يأتي بالسجع في أثر كلامه، مع روية طويلة، وأنفاس مديدة، وحشجة صدر، وانتفاخ منخريه، والتواء شذقيه، وتعويج عنقه، واللعب بشاربه وعنفقته، فلو رأيته يقرر المسائل على هذه الأمثلة العجيبة، والبيان الشافي، لرأيت عجبا من العجائب، وضربا من الغرائب.

وقال لي يوما الشاب وقد خرجنا من مجلس صاحب: كيف رأيت مولانا صاحب اليوم مع هذا التغرير، وإظهاره البلاغة الحسنة بين الناس، فقلت: السكوت عن مثله إحدى الحسنيين، وأحرق الحاتين، ولكن نعوذ بالله ممن يوين له الشيطان عمله، ويزخرف له قوله. قال لي: كأنه لم يخلق هذا الرجل إلا غيظا لأكباد الأحرار، وشفاء لسقم الأندال، - لحى الله دهرنا آل بنا إليه -، وأنزلنا عليه، وأحوجنا إلى مقاساته، وألجأنا إلى مجالسته، وأنشد يقول:

يا من تبرمت الدنيا بطلعته
يمشي على الأرض مجتازا فأحسبه
كما تبرمت الأجفان بالرمد
من بغض طلعه يمشي على كبدي
لو كان في الأرض جزء من سماجته
لم يقدم الموت إشفاقا على أحد

قال أبو حيان: قال لي الشابي: أهدي ابن عباد إلى صاحبه وقت وردوهما إلى الأهواز ديناراً من ضربه، وزنه ألف مثقال! وكتابتها:

وأحمر يحكي الشمس شكلا وصورة
فإن قيل دينار فقد صدق اسمه
فأسماءه مشتقة من صفاته
وإن قيل ألف كان بعض سماته
ولا ضربت أضرايه لسراته
على أنه مستصغر لعفاته
لتستمتع الدنيا بطول حياته
وغرس أياديه وكافي كفاته
تأق فيه عبده وابن عبده
تأق فيه عبده وابن عبده

فقال: رأيت أكذب منه حيث قال؟ "فلم يطبع على الدهر مثله" ما كان في الدنيا من خدم ملكا بألف دينار، ثم قال: "وكافي كفاته" والله لو كتبت امرأة بمثله إلى زوجها، لكان سمجا قبيحا، فكيف إلى فخر الدولة!! ما أحسن ما كفاه أمر أبي العلاء النصراني حين هزمه بعدد قليل، بعد أن كان في جيش عرمرم ثقیل، ولكن الدنيا حمقاء خرقاء، لا تميل إلا إلى مثلها، لو كتب

المطهر أو نصر بن هارون، أو أحد وزراء عضد الدولة إليه بشيء من ذلك، لأحرقه بالنار والنفط، ومن كتاب الروزنامة: قال صاحب: ما زال أحداث بغداد يذكرونني بآبن شمعون المتصوف، وكلامه على الناس في مكان الشبلي، فجمعت يوما في المدينة، وعلى طيلسان ومصمته، ووقعت عليه، وقد لبس فوطة قصب، وقعد على كرسي ساج، بوجه حسن، ولفظ عذب، فرأيت يقطع مسأله بهوس يطيله ويسهب فيه، فقلت: لا بد من أن أسأله عما أقطع به، وابتدرت فقلت: يا شيخ، ما تقول في قد سيكونيات العلم، إذا وقعت قبل التوهم، فورد عليه ما لم يسمع به، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: لم أؤخر إجابتك عجزا عن مسألتك بل لأعطشك إلى الجواب، وأخذ في ضرب من الهذيان، فلما سكت قلت: هذا بعد التوهم، وإنما سألتك قبله إلى أن ضجر، فأنصرفت عنه.

قرأت بمصر في نسخة باليمنية للثعالبي، عليها خط يعقوب بن أحمد، بن محمد بالقراءة عليه، يرويها عن مؤلفها الثعالبي، فوجدت فيها زوائد، لا أعرفها في النسخ المشهورة بأيدي الناس، منها: حدثني عرف بن الحسين، الهمداني التميمي قال: كنت يوما في خزانة الخلع للصاحب، فرأيت في ثوب الحسبان لكاتبها - وكان صديقي - مبلغ عائم الخز، التي صارت في تلك الشتوة، في خلع العلويين والفقهاء والشعراء، سوى ما صار فيها في خلع الخدم والحاشية، ثمانمائة وعشرين، قال: وكان يعجبه الخز ويأمر بالاستكثار منه في داره، فنظر أبو القاسم الزعفراني يوما، إلى جميع ما فيها من الخدم والحاشية، عليهم الخزوز الملونة الفاخرة، فاعتزل ناحية وأخذ يكتب شيئا، فسأل صاحب عنه فقيل له: إنه في مجلس كذا يكتب، فقال: علي به، فاستمهل الزعفراني ريثما يتم مكتبته، فأعجله صاحب، وأمر أن يؤخذ ما في يده من الدرج، فقام الزعفراني إليه، وقال: - أيد الله صاحب -:

عجبا فحسن الورد في أعضائه

إسمعه ممن قال تزدد به

فقال: هات يا أبا القاسم، فأنشده أبياتا منها:

ويأمره الحرص أن يحزنا

سواك يعد الغني ما اقتنى

تعد نوالك نيل المني

وأنت ابن عباد المرتجى

وممن ثناها قريب الجنى

وخيرك من باسط كفه

فأصغر ما ملكوه الغنى

غمرت الورى بصنوف الندى

وأشكرهم عاجزا ألكنا

وغادرت أشعرهم مفحما

إلى راحتى من نأى أو دنا

أيا من عطايه تهدي الغنى

كسا لم نخل مثلها ممكنا

كسوت المقيمين والزائرين

ضروب من الخز إلا أنا

وحاشية الدار يمشون في

فقال صاحب: قرأت في أخبار معن بن زائدة: ان رجلا قال له احملني، فأمر له بفرس وبغلة وحمار وناقة وجارية، ثم قال: لو علمت أن الله خلق مركوبا غيرها لحملتك عليه، وقد أمرنا لك من الخز بحبة وقميص، وسراويل وعمامة، ومنديل ومطرف، ورداء وجورب، ولو علمنا لباسا آخر يتخذ من الخز لأعطيناكه، ثم أمر بإدخاله إلى الخزانة، وصيرت تلك الخلع عليه، وسلم ما فضل عن لبسه في الوقت إلى غلامه.

قال: وحدثني أبو عبد الله محمد بن حامد الحامدي قال: عهدي بأبي محمد ماثلا بين يدي صاحب، ينشده قصيدة أولها:

وذاك رأيك شورى بين آراء

هذا فؤادك نهى بين أهواء

داء لعمرك ما أبلاه من داء

هواك بين العيون النجل مقتسم

أخرى بشخص قريب عزمه ناء

لا تستقر بأرض أو تسير إلى

بالعذيب ويوما بالخليصاء

يوما بجزوى ويوما بالعقيق ويوما

شعب العقيق وطورا قصر تيماء

وتارة تنتحى نجدا وأونة

قال: فرأيت صاحب متقبلا عليه بمجامعه، حسن الإصغاء إلى إنشاده، مستعيدا لأكثر أبياته، مظهرا من الإعجاب به والاهتزاز له، ما يعجب الحاضرين، فلما بلغ إلى قوله:

كأن أسماء أضحت بعض أسمائي

أدعى بأسماء نيزا في قبائلها

فألغا بين إصباح وإمساء

أطلعت شعري فألقت شعرها طربا

زحف عن دسته طربا له، فلما بلغ إلى قوله في المدح:

لو أن سحبان باراه لأسحبه
أرى الأقاليم قد ألفت مقالدها
فساس سبعتها منه بأربعة:
كذاك توحيده ألوى بأربعة:
فجعل يحرك رأسه ويقول: أحسنت أحسنت، فلما أنهى القصيدة، أمر له بجائزة وخلع.
على خطابته أذبال فأفاء
إليه مستبقات أي إلقاء
أمر ونهي وتنبيت وإمضاء
كفر وجبر وتشبيه وإرجاء

قال الأمير أبو الفضل الميكالي: كتب عامل رقعة إلى الصاحب في التماس شغل، وفي الرقعة: إن رأى مولانا أن يأمر بإشغالي ببعض أشغاله فعل، فوقع الصاحب تحتها: من كتب لإشغالي لا يصلح لأشغالي.

وحدث هلال بن المحسن: ما روى أحد وفي من الإعظام والإكبار بعد موته، ما وفيه الصاحب، فإنه لما جهز ووضع في تابوته، وأخرج على أكتاف حامله للصلاة عليه، قام الناس بأجمعهم، فقبلوا الأرض بين يديه، وخرقوا عند ذلك ثيابهم، ولطموا وجوههم، وبلغوا في البكاء والنحيب عليه جهدهم، وكان يلبس القباء في حياته تخففا بالوزارة، وانتسابا معها إلى الجندية وحدث عن أبي الفتح بن المقدر قال: كان أبو القاسم بن أبي العلاء الشاعر، من وجوه أهل أصبهان، وأعيانهم ورؤسائهم، فحدثني أنه رأى في منامه قائلا يقول له: لو كاثرت الصاحب أبا القاسم بن عباس، مع فضلك وكثرة علمك، وجودة شعرك، فقلت: أفحمتني كثرة محاسنه، فلم أدر بم أبدأ منها؟ وخفت أن أقصر، وقد ظن بي الاستيفاء لها، فقال: أجز ما أقوله، قلت قل: ثوى الجود والكافي معا في حفيرة فقلت: ليأنس كل منهما بأخيه فقال: هما اصطحبا حيين ثم تعانقا فقلت: ضجيعين في لحد بباب ذرية فقال: إذا ارتحل الثاؤون عن مستقرهم فقلت: أقاما إلى يوم القيامة فيه "باب ذرية: المحلة التي فيها تربته، أو ما يستقبلك من أصفهان" وحدث في كتاب الروزنامة، وانتهيت إلى أبي سعيد السيرافي، وهو شيخ البلد، وفرد الأدب، حسن التصرف، ووافر الحظ من علوم الأوائل، فسلمت عليه، وقعدت إليه، وبعضهم يقرأ الجمهرة، فقرأ: ألمقت، فقلت: إنما هو لمقت، فدافعني الشيخ ساعة، ثم رجع إلى الأصل، فوجد حكايتي صحيحة، واستمر القارئ حتى أنشد وقد استشهد:

رسم دار وقفت في طلله
كدت أقضى الغداة من جلله

فقلت: أيها الشيخ، هذا لا يجوز، والمصراعان على هذا النشيد، يخرجان من بحرین، لأن: "رسم دار وقفت في طلله" فاعلاتن مفاعلن فعطن "كدت أقضى الغداة من جلله" مفتعلن مفتعلن فذاك من الخفيف، وهذا من المنسرح. فقال: لم لا تقول: الجميع من المنسرح؟ والمصراع الأول مخزوم. فقلت: لا يدخل الخزم هذا البحر، لأنه أوله مستعلن مفاعلن، هذه مزاحفة عنه، وإذا حذفنا متحركا، بقينا ساكنا، وليس في كلام العرب ابتداء به، وإنما هو: كدت أقضى الغداة من جلله بخفيف الضاد فأمر بتغييره، ورفعني إلى جنبه، وابتدأ فقريء عليه من كتاب المقتضب، باب ما يجزي وما لا يجزي، إلى أن ذكر وسحر، وأنه لا ينصرف إذا كان لسحر بعينه، لأنه معدول عن الأول، فقلت: ما علامة العدل فيه؟ فقال: إنا قلنا السحر، ثم قلنا: سحر، فهلما أن الثاني معدول عن الأول قلت: لو كان كذلك، لوجب أن تطرد العلة في عتبة، فضجر واحتد، وصاح واريد وادعيت أنه ناقص، والتمس الحاكم، فكتبت رسالة أخذت فيها خطوط أهل النظر، وقد أنفذت درج كتابي نسختها، وفيها خط أبي عبد الله بن رذامر عين مشايخهم، ورأيت الشيخ بعد ذلك عزيزا فاضلا، متوسعا عالما، فعلمت عليه، وأخذت عنه، وحصلت تفسيره لكتاب سيبويه، وقرأت صدرا منه، وهناك أبو بكر ابن مقسم، وما في أصحاب ثعلب أكثر دراية، وما أصح رواية منه، وقد سمعت مجالسه، وفيها غرائب ونكت، ومحاسن وطرف، من بين كلمة نادرة، ومسألة غامضة، وتفسير بيت مشكل، وحل عقد معضل، وله قيام بنحو الكوفيين وقراءتهم، ورواياتهم ولغاتهم والقاضي أبو بكر ابن كامل، بقية الدنيا في علوم شتى، يعرف الفقه والشروط والحديث، وما ليس من حديثنا، ويتوسع في النحو توسعا مستحسنا، وله في حفظ الشعر بضاعة واسعة، وفي جودة التصنيف قوة تامة، ومن كبار رواة المبرد وثعلب، والبحثري وأبي العيناء، وغيرهم. وقد سمعت قدرا صالحا مما عنده، وكنت أحب أن أسمع كلام أهل النظر بالعراق، لما تتابع في حذقهم من الأوصاف. وذكر أبا زكريا يحيى بن عدي وغيره، ومناظرات جرت هناك يطول شرحها.

وحدث عن أبي نصر بن خواشاده أنه قال: ما غبطت أحدا على منزلة، كما غبطت الصاحب أبا القاسم بن عباد، فإننا كنا مقيمين بظاهر جرجان، مع مؤيد الدولة على حرب الخراسانية، فدخل الصاحب إلى داره في البلد، آخر نهار يوم لحضور المجلس الذي يعقده لأهل العلم، وتحت دابة رهواء، وقد أرسل عنانه، فرأيت وجوه الديلم وأكابرهم، من أولاد الأمراء يعدون بين يديه، كما تعدو الركابية، وكان عضد الدولة: يخاطب شيخا خطابا لا يشرك معه فيه أحدا، إلا أنه كان يقل مكاتبتة، وكانت الكتب من عضد الدولة، إنما ترد على لسان كاتبه أبو القاسم، عبد العزيز بن يوسف.

ولما وجدت الشعراء لبضائعها عند ابن عباد نفقا وسوقا. أهذوا نتائج أفكارهم إلى حضرته، وساقوها نحوه سوقا. فذكر الثعالبي

قال: واحتف به من نجوم الأرض، وأفراد العصر، وإبناء الفضل، وفرسان الشعر من يربي عددهم على شعراء الرشيد، ولا يقصرون عنهم في الأخذ برقاب القوافي، وملك رق المعاني، فإنه لم يجتمع بباب أحد من الخلفاء والملوك، مثل ما اجتمع بباب الرشيد، من فحول الشعراء المذكورين، كأبي نواس، وأبي العتاهية، والعتابي، والنمري، ومسلم بن الوليد، وأبي الشيص، وابن أبي حفصة، ومحمد بن منذر. وجمعت حضرة صاحب بأصبيهان، والري، وجرجان، مثل أبي الحسين السلامي، وأبي سعيد الرستمى، وأبي القاسم الزعفراني، وأبي العباس الضبي، والقاضي الجرجاني وأبي القاسم بن أبي العلاء، وأبي محمد الخازن، وأبي هاشم العلوي، وأبي الحسن الجوهري، وبني المنجم، وابن بابك، وابن القاشاني، والبديع الهمداني، وإسماعيل الشاشي، وأبي العلاء الأسدي، وأبي الحسن الغويري، وأبي دلف الخزرجي، وأبي حفص الشهرزوري، وأبي معمر الإسماعيلي، وأبي الفيض الطبري، وغيرهم ممن لم يبلغني ذكره، أو ذهب عني اسمه، ومدحه مكاتبة الرضي الموسوي، وأبو إسحاق الصابي، وابن الحجاج، وابن سكرة، وابن نباتة، وغيرهم ممن يطول ذكره.

وكتب أبو حفص الأصفهاني الوراق إلى صاحب رقعة نسختها: لو لا أن الذكرى - أطل الله بقاء مولانا صاحب الجليل - تنفع المؤمنين، وهزة الصمصام تعين المصلتين لما ذكرت ذاكرًا، ولا هزرت ماضيًا، ولكن الحاجة تستعجل النجح، وتكد الجواد السمع، وحال عبد مولانا في الحنطة متخلفة، وجرذان داره عنها منصرفة، فإن رأى أن يخلط عبده بمن أخصب رحله، فلم يشد رحله، فعل إن شاء الله تعالى، فوقع على رقعة، أحسنت يا أبا حفص قولا، وسنحسن فعلا، فيشر جرذان دارك بالخصب، وأمنها من الجذب، فالحنطة تأتيك في الأسبوع، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع، إن شاء الله تعالى. قال: وحدثني أبو الحسن الدلفي المصيصي قال: انتحل فلان يعني بعض المتشاعرين بحضرة صاحب شعرا له، وبلغه ذلك فقال: أبلغوه عني:

سرق شعري وغيري	يضام فيه ويجدع
فسوف أجزيك صفا	بكدر رأس وأخدع
فسارق المال يقطع	وسارق الشعر يصفع

قال: فاتخذ الليل جملا وهرب من الري.

وحدث عن عون بن الحسين الهمداني قال: سمعت أبا عيسى بن المنجم يقول: سمعت صاحب يقول: ما استأذنت على فخر الدولة وهو في مجلس الأنس، إلا وانتقل إلى مجلس الحشمة فأذن لي فيه، وما أذكر أنه تبذل بين يدي، أو مازحني قط إلا مرة واحدة، فإنه قال لي، بلغني أنك تقول: إن المذهب مذهب الاعتزال، والنيك نيك الرجال، فأظهرت الكراهة لانبساطه، وقلت بنا من الجد، ما لانفرغ معه للهزل، ونهضت كالمغاضب، فما زال يعتذر إلى مراسلة حتى عاودت مجلسه، ولم يعد بعدها إلى ما يجري مجرى الهزل والمرح. ولما أتت صاحب البشارة بسببه عباد بن علي الحسني، " ولم يكن للصاحب ولد غيرها، وكان قد زوجها من أبي الحسن على بن الحسين الهمداني، وكان شاعرا أدبيا بليغا، وله شعر منه هذان البيتان في دار لبعض الملوك بناها:

دار علت دار الملوك بهمة	كعلو صاحبها على الأملاك
فكانها من حسننها وبهائنها	"بنييت قواعدها على الأفلاك "
أنشأ صاحب يقول:	

أحمد الله لبشرى	أقبلت عند العشي
إذ حبانني الله سبطا	هو سبط للنبي
مرحبا ثمت أهلا	بغلام هاشمي
نبوي علوي	حسنى صاحبي

ثم قال:

الحمد لله حمدا دائما أبدا	قد صار سبط رسول الله لي ولدا
وقد ذكرت ذلك الشعراء في أشعارهم، فمن ذلك قول أبي الحسن الجوهري في قصيدة منها:	
وكان بعد رسوب الله كافله	فصار جد بنيه بعد كافله
هلم للخبر المأثور مسنده	في الطالقان فقرت عين ناقله
فذلك الكنز عباد وقد وضحت	عنه الإمامة في أولى مخايله

لما روت الشيعة أن بالطالقان كنزا من ولد فاطمة، يملأ الله به الأرض عدلا، كما ملئت جورا. والصاحب من الطالقان من قرى أصفهان، فلما رزق سبطا فاطميا، تأولوا له هذا الخبر، وأنا برئ من العهدة، هذ الذي ذكر الثعالبي، أن طالقان من قرى أصفهان، والصواب ما تقدم.

قال: وعرض على أبو الحسن الشقيقي البلخي، توقيع الصاحب إليه في رقعة: من نظر لدينه نظرنا لدنياه، فإن أثرت العدل والتوحيد، بسطنا لك الفضل والتمهيد، وإن أقمت على الجبر، فليس لكسرك من جبر، وهذه رسالة كتبها الصاحب إلى أبي علي الحسين بن أحمد، في شأن أبي عبد الله محمد بن حامد. قال الثعالبي: وسمعت الأمير أبا الفضل عبيد الله ابن أحمد الميكالي يسردها، فزادني جريها على لسانه، وصدورها عن فمه إعجابا بها، وهي: كتابي هذا يا سيدي صدر من "سحنة"، وقد أرخى الليل سدوله، وسحب الظلام ذيوله، ونحن على الرحيل غدا إن شاء الله، إذا مد الصباح غرره، قبل أن يسبغ حجوله، ولو لا ذلك لأطلته، كوقوف الحجيج على المشاعر، ولم أقتصر منه على زاد المسافر، فإن المحتمل له، وسبع الحقوق لدى، حقيق أن أتعب له خاطري ويدي، وهو أبو عبد الله الحامدي، كان وافي مع ذلك الشيخ الشهيد، أبي سعيد الشيباني السعيد - رفع الله منزلته - وقتل قاتله، يكت له فأنسنا بفضل، وأنسنا الخير من عقله، فلما فجع بتلك الصحبة، وبما كان فيها من القرية، لم يرض غير بابي بتلك مشرعا، وغير جنابي مرتعا، وقطع إلى الطريق الشاق، مؤكدا حقا لا يشق غباره، ولا ينسي على الزمان ذماره، فكتب على جناح هذه النهضة التي بنا لم يستقر نواها، ولم تلق عصاها، فإخراج الحر المبتدئ الأمر، القريب العهد بوطأة الدهر، تحامل عليه بالمركب الوعر، فرددته إليك يا سيدي، لتسهل عليه حجابك، وتمهد له جنابك، ويترصد عملا خفيف النقل، ندى الظل، فإذا اتفق عرضته عليه، ثم فوضته إليه، وهو إلى أن يتسق ذلك ضيفي ذلك ضيفي، وعليك قراه، وعندك مربعه ومشتاه، ويريد اشتغالا بالعلم يزيده استقلاله. إلى أن يأتيه إن شاء الله خبرنا في الاستقرار، ثم له الخيار، إن شاء أقام على ما وليته، وإن شاء التحق بنا ناشرا ما أوليته، وقد وقعت له إلى فلان بما يعنيه على بعض الانتظار، إلى أن يختار له كل الاختيار، فأوعز إليه بتعجيله، واكفني شغل القلب بهذا الحر، الذي أفردني بتأميله، إن شاء الله تعالى وحده.

وكتب إلى القاضي أبي بشر، الفضل بن محمد الجرجاني، عند وروده باب الري وافدا عليه:

تحدثت الركاب بسير أروي

إلى بلد حططت به خيامي

فكدت أطير من شوق إليها

بقادمة كقادمة الحمام

أفحق ما قيل من أمر القادم؟ أم ظن كأمني الحالم؟ لا والله، بل هو درك العيان، وإنه ونيل المنى سيان، فمرحبا أيها القاضي براحتك ورحلتك، بل أهلا بك وبكافة أهلك، ويا سرعة ما فاح نسيم مسراك، ووجدنا ريح يوسف من رباك فحث المطى تزل غلتى برويك، وتزح علتى بلقياك، ونص على يوم الوصول نجعله عيدا مشرفا، ونتخذة موسما ومعرفا، ورد الغلام أسرع من رجع الكلام، فقد أمرته أن يطير على جناح نسر، يترك الصبا في عقال وأسر:

سقى الله دارات مررت بأرضها

فأذنتك نحوى يا زياد بن عامر

أصائل قرب أرتجي أن أنالها

بلقياك قد زحزن حر الهواجر

وقال بعض ندماء الصاحب له يوما: أرى مولانا قد أغار في قوله:

لبسن برود الوشى لا لتجمل

ولكن لصون الحسن بين برود

على المنتبىء في قوله:

لبسن الوشى لا متجملات

ولكن كي يصن به الجمالا

فقال كما أغار هو في قوله:

ما بال هذي النجوم حائرة

كأنها العمى ما لها قائد

على العباس بن الأحنف في قوله:

والنجم في كبد السماء كأنه

أغمى تحير ما لديه قائد

وللصاحب أيضا:

يقولون لي كم عهد عينك بالكرى

فقلت لهم مذ غاب بدر دجاها

ولو تلتقي عين على غير دمة

لصارمتها حتى يقال نفاها

من قول المهلبى الوزير:

تصارمت الأجفان منذ صرمتني

فما تلتقي إلا على دمة تجري

وللصاحب أيضا:

ومهفهف حسن الشمائل أهيف

ما زال يبعثني ويؤثر هجرتي

قالوا: تراجع فقلت: بديهة

والله لا راجعته ولو أنه

أخذه من قول ابن المعتز:

والله لا كلمتها ولو انها

قال المؤلف: هكذا ذكر الثعالبي، ونسب هذا البيت إلى ابن المعتز، وهو لأبي بكر محمد بن السراج النحوي، وله قصة ظريفة، وهي مذكورة في أخباره من هذا الكتاب.

ومما هجي به صاحب، قول أبي العلاء الأسدي:

إذت رأيت مسجى في مرقعة

فاعلم بأن الفتى المسكين قد قذفت

وقال السلامي:

يا ابن عباد بن عباس

تنكر الجبر وأخرجت

ومر أبو العباس بن الضبي، بباب صاحب بعد موته، فقال:

أيها الباب لم علاك اكتئاب

أين من كان يفرع الدهر منه

ولأبي القاسم بن العلاء الأصفهاني، يرثي صاحب من قصيدة:

ما مت وحدك لكن مات من ولدت

هذي نواعي العلا مذ مت نادبة

تبكي عليك العطايا والصلات كما

قام السعاة وكان الخوف أقعدهم

لايعجب الناس منهم إن هم انتشروا

وكتب صاحب إلى أبي العلاء الأسدي من أجود أبياته:

يقر بعيني أن يلم رسولها

ببابي ويهدي بالعشي سلامها

ورد يا شيخي - أطل الله بقاءك - رسولك بكتاب سبق الأفكار والظنون، وحسدت عليه القلوب العيون، وترك الواصفين بين قاصر ومقصر، ومثل ليالينا بين اللوى فمحجر بكلام كالورق النضير، تتأوه منه الغصون، وكالنور المنير، أفنانه فنون فصاد فني حليفا للشوق أو رهينا، رحنيا على الحنين وساء قرينا، وكيف لا وقد ألفنا القرب حولا، حولنا رياض الأدب ترف، ودوننا رواحل الفضل تزف نملك رقاب المنطق، ونتنازع أطراف الكلام المنمق، ونقطع الليالي تناشدا وتذكرا، وتحادثا وتسامرا، إلى أن يخلع الظلام ثيابه، ويحدر المصباح نقابه، هذا دأبنا كان، إلى أن جاوزنا الشباب مراحل. ووردنا من المشيب مناهل. ثم حان الفراق، فنحن حتى اليوم منه في جو كدر، ونجم منكدر يقبضنا عن الموارد العذاب.

ويعرضنا على لوايح العذاب، - والله نسأل - إعادة هاتيك الأحوال، وتلك الأيام الخضراء الظلال، وإن كان الله قد زادنا بعدك مناجح ومناجح وأيادي غواذي وروائح، حتى فتحنا الفتوح، وذللنا الصروح، ورنقنا الفتوق، ونسخنا القرون، وأثرنا الآثار، ووطأنا الرقاب، وطلبنا الثار، واصطنعنا الصنائع، وجعلنا ودائع النعم قطاع، وعقدنا في أعناق الأحرار مننا، أحسبها من سبل الإحسان سننا، إنا قد تحملنا مشاق، مالت على القوة بالضعف، وتحاملت على الأشر بالوهن، ودفعت إلى معالجة خطوب، تعجب الدهر من صبرنا عليها فحار، وجبن الزمان عند شجاعتنا لها فحار، وها أنا أخرج ما كنت إلى أن أرفه، ولا أستكره، وقد رميت بسهم الأربعين، وأرميت على شرف الخمسين، مدفوع الأشغال والأثال، إلى متاعب ومصاعب، لو مني بها ابن ثلاثين قويا أزره، طريا جرضه، لقام عجزه، وقعدت به نفسه، وأظنني كنت قديما قلت:

وأمرك ممثّل في الأمم

وقائلة: لم عرتك الهموم

فقلت: دعيني وما قد عرا

فإن الهموم بقدر الهمم

وما أنا على الراحة آسف، بل على ألا أكون مشغولا بأخرى، أمهد لها وأكدح، وأدأب لنفسي وأنصح، - اللهم وفق وقدر -، ومهل ويسر، إنك على ما تشاء قدير. والرسالة طويلة كتبت مقدمتها ذكر محمد ما فعله الصاحب مع القاضي عبد الجبار ابن أحمد، من حسن العناية والتولية والتمويل، فلما مات الصاحب كان يقول: أنا لا أترحم عليه، لأنه لم يظهر توبته، فطعن عليه في ذلك، ونسب إلى قلة الرعاية، فلا جرم أن فخر الدولة، قبض عليه بعد موت الصاحب، وصادره فيما قيل: على ثلاثة آلاف ألف درهم، وعزله عن قضاء الري، وولى مكانه القاضي أبا الحسن، علي بن عبد العزيز الجرجاني، العلامة، صاحب التصانيف والفضائل الجمة، وقد ذكرته أنا في بابي. فقول: إن عبد الجبار باع ألف طيلسان مصري في مصادرتة، وهو شيخ طائفتهم، يزعم أن المسلم يخلد في النار على ربع دينار، وجميع هذا المال من قضاء الظلمة، بل الكفرة عنده وعلى مذهبه، وإنما ذكرت هذا للاعتبار. وقرأت في كتاب هلال بن المحسن، بن إبراهيم الصابي قال: وكان الصاحب أبو القاسم براعي من ببغداد، والحرمين من أهل الشرف، وشيوخ الكتاب والشعراء، وأولاد الأدباء والزهاد والفقهاء، بما يحمله إليهم في كل سنة مع الحاج، على مفاديرهم ومنازلهم، وكان يحمل إلى أبي إسحاق إبراهيم بن هلال خمسمائة دينار، وإلى ألف درهم جبلية، مع جعفر بن شعيب، فأذكر وقد راسله بعد وفاة عضد الدولة، بالاستدعاء إلى حضرته بالرى، وبذل له النفقة الواسعة، والمعونة الشاسعة عند شخوصه، والإرغاب والإكثار عند حضوره. فكانت عقله بالذيل الطويل، والظهر الثقيل، تمنعه من ترك موضعه، ومفارقة موطنه، فيما كتبه إليه بالاعتذار عن التأخير:

وتقاعست عن شأوهن مآربي
كانت نفاذا كالشهاب الثاقب
دفن الأعرسة في العذار الشائب

نكصت على أعقابهن مطالبى
وتبلدت مني القريحة بعد ما
وبكيت شرخ شبيبتي فدفنتها

ومنها:

حتى أقبل ظهر كف الصاحب
ضمنت سعادة كل جد خائب
حتى السواد من الشباب الذاهب
شحتن بكل مسائل ومجارب
متثبت فيقول هذا كاتبى؟
أنى وخدمته أجل مراتبى

فلو أن لى ذاك الجناح لطار بي
وأعيش في سقيا سحائبه التي
وأراجع العادات حول قبابه
وأعد من جلساء حضرته التي
فيقول: من ذا سائل عنى له
أترى أروم بهمتي ما فوق ذا

ومنها يعتذر

من غيث راحته المثلث الساكب
هو رابعي وعشيرتي وأقاربي
شامت بوارق يومها المتقارب
والحال يقصر عن ترفه راكب
كانت على المملوك ضربة لازب
كل سواء في الحساب الحاسب

كثرت عوائقي التى تعناقني
ولد لهم ولد وبطن ثالث
والسن تسع بعدها خمسون قد
فالجسم يضعفون تجشم راجل
وعلى للسultan طاعة مالك
وتعطلي مع شهرتي كتصرفي

وهي طويلة. فلما كانت سنة أربع وثمانين، التي توفي فيها جدي، أحسن بانقضاء مدته، وحضور منيته، فكتب إلى الصاحب كتابا يسأله فيه، إقرار هذا الرسم المذكور على ولده، وإجراؤه لهم من بعده، وقرن الكتاب بقصيدة أولها:

وتذكر للخطب الجسيم فيصغر
فيرجوك معروف ويخشاك منكر

نحذر منك النائبات فتحذر
وتكسي بك الدنيا ثياب جمالها

يقول فيها:

إلى بآيات تروع وتذعر
على مورد ما عته للمرء مصدر
إذا كنت بالتقديم لي تتأخر
إذا غمضت عينا وعينك تنظر
حضانك طابت نفسه حين يقبر

أسيدنا إن المنية أعذرت
لها نذر قد آذنتني بهجمة
وإنى لأستحلي مرارة طعمه
وحق لنفس كان منك معاشها
ومن ورث الأولاد بعد وفاته

مطالبنا والمجد الحر يصبر
وأطلبه والجنب منى معفر؟
لها موقف فيه لك الحمد ينشر

تمرد منك الجود حتى تمردت
أأطلب منك الرفد عمرى كله
وليست بأولى بدعة لك في الندى

وهي طويلة. قال هلال بن المحسن: وأمرني بأن أنفذ ذلك، فأنفذته، وكتبت عن نفسي كتابا في معناه، ووصل ونفذ من يحمل الرسم على العادة، ثم اتفق أن توفي صاحب في أول سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، فوقف، وكانت بين وفاتهما شهر. قال هلال: وسمعت محدثا يحدث أبا إسحاق، أنه سمع صاحب يقول: ما بقي من أوطاري وأغراضي، إلا أن أملك العراق، وأتصدر ببغداد، وأستكتب أبا إسحاق الصابي، ويكتب عني وأغير عليه، فقال جدي: ويغير على وإن أصبت.

قال: وحدثني أبو إسحاق جدي قال: حضر صاحب أبو القاسم بن عباد دار الوزير المهلي، عند وروده إلى بغداد، مع مؤيد الدولة، فحجب عنه لشغل كان فيه، وجلس طويلا، فلما تأخر الإذن، كتب إلى رقعة لطيفة فيها:

وأترك محجوبا على الباب كالخصي
ويدخل غيري كالأيور ويخرج
فأقرأتها الوزير المهلي، فأمر بإدخاله.

قال: وكان صاحب عند دخوله إلى بغداد، قصد القاضي أبا السائب، عتبة بن عبيد لقضاء حقه، فتثاقل في القيام له، وتحفز تحفزا أراه به ضعف حركته، وقصور نهضته، فأخذ صاحب بضبعه وأقامه، وقال: نعين القاضي على قضاء حقوق إخوانه، فخلج أبو السائب واعتذر إليه.

وذكر القاضي أبو علي التوحي في كتاب نشوار المحاضرة: حدثني أبو منصور عبد العزيز بن محمد بن عثمان، المعروف بابن عمرو الشرايبي، حاجب أمير المؤمنين المطيع لله، قال: دخلت في حديثي يوما على أبي السائب القاضي، فتثاقل في القيام لي، وأظهر لي ضعفا عنه للسن، والعلل المتصلة به، قال: فتطول فجدبت يده بيدي، حتى أقمته القيام التام، وقلت له: أعين قاضي القضاة، - أيده الله - على اكمال البر، وتوفية الإخوان حقوقهم؟ قال: وقد كنت عاتبا عليه في أشياء عاملني بها، وإنما جنته للخصومة، فبدأت لأخذ الكلام، فحين رأى الشر في وجهي قال: تتفضل لاستماع كلمتين؟ ثم تقول ما شئت، فقلت له، فقال: روينا عن ابن عباس، - رضي الله عنه -، في قوله تعالى: "فاصفح الصفح الجميل" قال: عفو بلا تقييد، فأنت رأيت أن تفعل ذلك، فافعل، فاستحييت من الاستقصاء عليه، وانصرفت.

قال المؤلف: والذي عندي، أن الخبر إنما جرى بين هذا والقاضي، وبلغ أمره صاحب، فانتحلته لنفسه، وحكاه في مجلس أنسه، فشاع عنه، وكان صاحب - رحمه الله - ممن يحب الفخر، وانتحال الفضائل، التي ربما قصر عنها. ومن أشعار صاحب:

ذكرك موقوف على خاطري
عندى فلا متعت بالناظر

يا خاطرا يخطر في تيهه
إن لم تكن أثر من ناظري
وكتب إلى أبي الحسن الطيب:

والجوع قد أثر في الأخلاط
صفعت بالتعل قفا بقرط

إنا رجوناك على انبساط
فإن عسى ملت إلى التباطي

وله:

ووجه حياتي مذ تغيبت أرقم
وودك في غير الندار مرخم

بعدت فطعم العيش بعدك علقم
فمالك قد أدغمت في النوى

وقال لما حضرته الوفاة:

بظلم يسل السيف بعد وفاتي
من الذل بعدي مات قبل مماتي

وكم شامت بي عند موتي جهالة
ولو علم المسكين ماذا يناله

وله أيضا:

يشكو غزالا لج في عقوقه
من عاشق أحسن من معشوقه

بدا لنا كالبدن في شروقه
يا عجبي والدهر في طروقه

قال أبو بكر الخوارزمي: أنشدنا صاحب هذه القوافي ليلة وقال: هل تعرفون نظيرا لمعناها في شعر المحدثين؟ فقلت: لا أعرف إلا قول البحرني:

ومن عجب الدهر أن الأمير
قال: فقال جودت وأحسنت، هكذا فليكن الحفظ وله ويروق لغيره:

رشاً غدا وجدي عليه كردفه
وكان يوم وصاله من وجهه
إن ذقت خمرا خلقتها من ريقه
وإذا تكبر واستطال بحسنة

وله أيضا:

دب العذار على ميدان وجنته
كأنه كاتب عز الممداد له

وله أيضا:

وخط كأن الله قال لحسنه
وهيهات أين الخط من حسن وجهه

وله أيضا:

وشادن قلت له ما اسمكما
فصرت من لثغته ألثغا

وله يصف الثلج:

هات الدمامة يا غلام مصيرا
أو ما ترى كانون ينثر وروده؟

وله أيضا:

وصفراء أو حمراء فهي مخيلة
يشككنا في الكرم أن انتماءه
لك الوصف دون القصف مني فخيبي

وكتب إلى أبي الفضل بن شعيب:

يا أبا الفضل لم تأخرت عنا
كم تمننت نفسي صديقا صدوقا
فبعض الشباب لما تثنى
كن جوابي إذا قرأت كتابي

وله أيضا:

يا بن يعقوب يا نقيب البدور
قل له إن الجمال زكاة

وله يمدح عضد الدولة:

سعود يحار المشتري في طريقها
وكم عالم أحييت من بعد عالم
فوالله لو لا الله قال لك الورى
فحامد لو فضت فعاضت على الورى
وكلا ولكن لو حظوا بزكاتها
ولو قلت إن الله لم يخلق الورى

وله يهجو:

سبط متوى رقيق سفله

أصبح أكتب من كاتبه

وغدا اصطباري في هواه كخصره
وكان ليلة هجره من شعره
أو رمت مسكا نلته من نشره
فعذار عارضه يقوم بعذره

حتى إذا كاد أن يسعى به وقفا
أراد يكتب لاما فابتدا ألفا

تشبه بمن قد خطك اليوم فائتمر
وأين ظلام الليل من صفحة القمر؟؟

فقال لي بالغنج عباث
فقلت أين الكاث والطاث

نقلي عليها قبلة أو عضه
وكانما الدنيا سبائك فضة

لرقتها إلا على المتوهم
إلى الخمر أم هاتا إلى الكرم تنتمي
بغير يدي وارضني بما قاله فمى

فأسأنا بحسن عهدك ظنا؟
فإذا أنت ذلك المتمني
وبعهد الصبا وإن بان منا
لاثقل للرسول كان وكنا

كن شفيعي إلى فتى مسرور
فتصدق بها على المهجور

ولا تتأتى في حساب المنجم
على حين صاروا كالهشيم المحطم
مقال النصارى في المسيح بن مريم
لما أبصرت عيناك وجه مذمم
لما سمعت أذنك ذكر ملوم
لغيرك لم أخرج ولم أتائم

أبدا يبذل فينا أسفله

إعترز لنا نيكه في دبره
وله في رجل كثير الشرب بطيء السكر: يقال:
لماذا ليس يسكر بعدما
فقلت:

سبيل الخمر أن تنقص الحجى
وله أيضا:

شرط الشرطي فتى أير
أبغى من الإبرة لكنه
وله أيضا:

تصد أميمة لما رأت
فقلت لها: الشيب نقش الشباب
وله أيضا:

ولما تناءت بالأحبة دارهم
تمكن مني الشوق غير مسامح
وصرنا جميعا من عيان إلى وهم
كمعتر لي قد تمكن من خصم.

الجزء السابع

إسماعيل بن عبد الله بن محمد، بن ميكال

أبو العباس المكيالي، وقد ذكر هذا النسب في عدة مواضع، مات ليلة الاثنين الخامس عشر من صفر، سنة اثنتين وستين وثلاثمائة بنيسابور، وهو ابن اثنتين وتسعين سنة، ودفن بمقبرة باب باب معمر، وكان شيخ خراسان، ووجهها وعينها في عصره، سمع بنيسابور أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمه، وأبا العباس محمد بن إسحاق السراج، وأبا العباس أحمد بن محمد الماسرجسي، وبكور الأهواز، عبد ابن أحمد بن موسى الجواليقي الحافظ والحسن بن بهار، سمع منه الحفاظ: مثل ابن علي النيسابوري، وأبي الحسين محمد بن الحجاجي، وأبي عبد الله، ابن البيه الحافظ، وذكره في التاريخ وقال: ولد أبو العباس بنيسابور، فلما قلد أمير المؤمنين المقتدر بالله، أباه عبد الله بن محمد، للأعمال بكور الأهواز، حمل إلى حضرة أبيه، فاستدعى أبا بكر محمد بن الحسن، ابن دريج لتأديبه، فأجيب إليه إيجاباً له، وبعث بأبي بكر الدريدي إليه، فهو كان مؤدبه وكان واحد عصره، وفي عبد الله بن محمد، بن ميكال، وابنه أبي العباس، قال الدريدي قصيدته المشهورة في الدنيا، التي مدحهم بها.

ثم قال الحاكم: سمعت أبا العباس، وقد سئل عن مقصورة الدريدي يقول: أنشدنيها مؤدبي أبو بكر الدريدي، ثم قرأتها عليه مراراً، فسألناه أن ينشدها فقال: أنشدنا أبو بكر بن دريد إما ترى رأسي حاكمي لونه إلى أن بلغ إلى الأبيات، التي مدحهم الدريدي فيها، فقال: هذه الأبيات قد ذكرنا فيها، فلو أنشدها بعضكم؟ فقرأها عليه أبو منصور الفقيه، وأقر بها وهي:

إن العراق لم أفارق أهله
عن شأن صدني ولا قلى
إلى أن بلغ قوله:

لا زال شكري لها مواصلاً
دهري أو يعتاقني صرف الفنا

إلى هنا قرئ عليه ثم أنشدنا لفظاً إلى آخرها، وذلك في شهر رمضان، سنة ست وأربعين وثلاثمائة. قال الحاكم: سمعت أبا بكر بن محمد ب إبراهيم الجوري الأديب، وهو يحدثنا عن أبي بكر بن دريد، قلت له: أين كتبت عنه؟ ولم تدخل العراق؟ قال: كتبت عنه بفارس لما قدم على عبد الله بن محمد، بن ميكال، لتأديب ولده أبي العباس، فقلت له: أبو العباس إذ ذاك صبي، فقال: لا والله إلا رجل، إمام في الأدب والفروسيه، بحيث يشار إليه. قال: وسمعت أبا عبد الله محمد بن الحسين الوضاحي يقول: سمعت أبا العباس بن ميكال، يذكر صلة الدريدي في إنشائه المقصورة فيهم. قال الوضاحي فقلت له: وإيش الذي وصل إليه من خاصة الشيخ؟ فقال: لم تصل يدي إذ ذاك، إلا إلى ثلاثمائة دينار، صببها في طبق كاغد، ووضعناها بين يديه.

وروى عنه أبو علي الحافظ في مصنفاته، وأبو الحسين الحجاجي ومشايخنا رضي الله عنه.

قال الحاكم: سمعت أبا محمد عبد الله بن إسماعيل يقول: لما توفي أبي عبد الله بن ميكال، أمر أمير المؤمنين، أن أقلد الأعمال التي كان يتقلدها أبي، فأمر لي باللواء والخلعة، وأخرج في ذلك خادماً من خواص الخدم، وكوتبت فيه، فبكيت واستعفيت، والناس يتعجبون من ذلك، وقلت: لي بخراسان معاش أرجع إليه، فلما انصرفت إلى نيسابور، جاءني أبو نصر بن أبي حبة غداة جمعة، فقالك ينبغي أن تتأهب للركوب إلى الرئيس أبي عمرو الخفاف، فإن هذا رسم مشايخ البلد معه، ركبت معه إليه فلم يتحرك لي، فخرجت من عنده وأنا أبكي فقال لي أبو نصر: ما الذي أبكاك؟ فقلت: سبحان الله، رددت على المقتدر لواء الولاية بفارس، وخوزستان، وانصرفت إلى نيسابور، حتى أزور أبا عمرو الخفاف، فلم يتحرك لي، فقال لي: لا تغتم بهذا، واعمل إلى الخروج إلى هراة، فإن والي خراسان، أحمد بن إسماعيل بها، وإذا رأيك وضربك بالصولجان وعلم محلك، أجلسك على رقاب كل من بنيسابور. فتأهبت وأصلحت هدية له وخرت إلى هراة، فوصلت إلى خدمة لاسلطان، ورضي خدمتي، ودعاني إلى الصولجان، ورضي مقامي، فلما استأذنت للانصراف، عرض على أعمالاً جلييلة، فامتنعت عنها، فزودني بجهاز وخلع وكان الأمر على ما ذكره أبو نصر بن أبي حبة.

قال: وسمعت أبا عبد الله بن أبي ذهل يقول: قال لي الوزير أبو جعفر، أحمد بن الحسين العتبي، لما أجلسني الأمير الرشيد هذا المجلس، نظرت إلى جميع أهل خراسان، ممن يؤهل للجلوس معي في مجلس السلطان، أيده الله، فلم أجد فيهم أجل من أبي العباس بن ميكال، فسألت السلطان استحضاره، فلما حضر امتنع منتقداً للعمل: فقلت له: ديوان الرسائل هو مثل قضاء القضاة، أمر منوط بالعلم والعلماء، فتقلد ديوان الرسائل صار جليس في مجلس السلطان، وكان على كره من أبي العباس.

قال: وسمعت أبا يحيى حماد بن الحمادي يقول: لما قلد أبو العباس بن ميكال الديوان، أمر أن يغير زيه من التعم تحت الحنك والرداء وغير ذلك، فلم يفعل، وراجع السلطان فيه حتى أذن فيه، فكان يجلس في الديوان متطلساً متعمماً تحت الحنكة. قال: وسمعت قاضي اقضاة أبا الحسن محمد بن صالح الهاشمي يذكر آثار الميكالية ببغداد، ويصف إنشاء ابن ميكال، فوصف له بعض أحوالهم بخراسان، فقال: آثارهم عندنا بالعراق أكثر منها بخراسان، لأنهم نقالة م عندنا إلى خراسان.

إسماعيل بن أبي ذؤيب السدي الأعور

عبد الرحمن، ابن أبي ذؤيب السدي الأعور وقيل: عبد الرحمن بن أبي كريمة، مولى زينب بنت قيس، بن مخزومة، من بني عبد مناف، حجازي الأصل، سكن الكوفة، مات سنة سبع وعشرين ومائة، في أيام بني أمية، في ولاية مروان بن محمد. روى عن أنس ابن مالك، وعبد خير، وأبي صالح، ورأى ابن عمر، وهو السدي الكبير، وكان ثقة مأموناً، روى عنه الثوري وشعبة، وزائدة، وسماك بن حرب، وإسماعيل بن أبي خزيمة، وسليمان التيمي. وكان ابن أبي خالد إسماعيل يقول: السدي أعلم بالقرآن من الشعبي، وقال أبو بكر بن مردويه: الحافظ إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، يكنى أبا محمد، صاحب التفسير، إنما سمي السدي، لأنه نزل بالسدة، كان أبوه من كبار أهل أصبهان، أدرك جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم سعد بن أبي وقاص، وأبو سعيد الخدري، وابن عمر، وأبو هريرة، وابن عباس.

وقال غيره: نسب السدي إلى بيع الخمر - يعني المقانع - في سدة الجامع - يعني باب الجامع - وقال الفلكي: إنما سمي السدي، لأنه كان يجلس بالمدينة في موضع يقال له السد. قال يحيى بن سعيد: ما سمعت أحداً يذكر السدي إلا بخير. ومحمد بن مروان بن عبد الله، ابن إسماعيل، بن عبد الرحمن السدي، من أهل الكوفة يروى عن الكلبي صاحب التفسير، وداود بن أبي هند، وهشام بن عروة. روى عنه ابنه علي، ويوسف بن عدي، والعلاء بن عمرو، وأبو إبراهيم الترمذاني، وغيرهم. وهو السدي الصغير. وكان يحيى بن معين يقول، السدي الصغير، محمد بن مروان صاحب التفسير، ليس بثقة. وقال البخاري: محمد بن مروان الكوفي، صاحب الكلبي، لا يكتب حديثه ألبتة. وسئل أبو علي صالح جهرة عنه فقال: كان ضعيفاً، وكان يضع الحديث، وكل ضعفه.

وذكر الحافظ أبو نعيم في تاريخ أصبهان، من تصنيفه قال: إسماعيل بن عبد الرحمن الأعور، يعرف بالسدي، صاحب التفسير، كان أبوه عبد الرحمن يكنى أبا كريمة، من عظماء أهل أصبهان، توفي في ولاية مروان، وذكر كما تقدم، وكان عريض اللحية، إذا جلس غطت لحيته صدره قيل: إنه رأى سعد بن أبي وقاص. وقال أبو نعيم بإسناده: إن السدي قال: هذا التفسير أخذته عن ابن عباس، إن كان صواباً فهو قد قاله: وإن كان خطأ فهو قاله. قال أبو نعيم فيما رفعه إلى السدي: إنه قال: رأيت نفعاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، منهم أبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وابن عمر. كانوا يرون أنه ليس أحد منهم، على الحال التي فارق عليها محمداً، إلا عبد الله بن عمر.

إسماعيل بن عبد الرحمن، بن أحمد

ابن إسماعيل، بن إبراهيم، بن عامر، بن عابد، أبو عثمان الصابوي، مات في ثالث محرم سنة تسع وأربعين وأربعمائة قال عبد الغافر: هو الأستاذ الإمام شيخ الإسلام، أبو عثمان الصابوني الخطيب، المفسر المحدث الواعظ، أوحده وقته في طريقته، وكان أكثر أهل العصر من المشايخ سماعاً وحفظاً، ونشراً لمسموعاته وتصنيفاته، وجمعاً وتحريضاً على السماع، وإقامة لمجالس الحديث.

سمع الحديث بنيسابور، من أبي العباس التابوتي، وأبي سعيد اللسمسار، وبهارة من أبي بكر بكر أحمد بن إبراهيم الفرات، وأبي معاذ شاه بن عبد الرحمن، وسمع بالشام والحجاز، ودخل معرة النعمان، فلقى بها أبا العلاء أحمد ابن سليمان، وسمع بالجلال وغيرها من البلاد، وحدث بنيسابور، وخراسان إلى غزنة، وبلاد الهند وجرجان، وأمل وطبرستان، وبالشام، وبيت المقدس، والحجاز.

روى عنه أبو عبد الله القارئ، وأبو صالح المؤذن.

ومن تاريخ دمشق: أن الصابوني وعظ للناس سبعين سنة.

قال: وله شعر منه:

مالي أرى الدهر لا يسخو بذى كرم	ولا يوجد بمعاون ومفضل
ولا أرى أحداً في الناس مشترياً	حسن الثناء بإنعام وإفضال
صاروا سواسية في لؤمهم شرعاً	كأنما نسجوا فيه بمنوال

وذكر من فضله كثيراً ثم قال: ومولده ببوشنج للنصف من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، وذكر وفاته كما تقدم.

إسماعيل بن بنان الخطيب

علي، بن إسماعيل بن يحيى، ابن بنان الخطيب أبو محمد، سمع الحارث بن أبي أسامة، والكريمي، وعبد الله بن أحمد، وغيرهم. وروى عنه الدار قطني، وابن شاهين، وابن زقويه. وكان ثقة فاضلاً نبيلاً، فهماً عارفاً بأيام الناس، وأخبار الخلفاء. وصنف تاريخاً كبيراً على ترتيب السنين، وكان عالماً بالأدب، ركيناً عاقلاً، ذا رأي يتحرى الصدق. ولد الخطيب في محرم سنة تسع وتسعين ومائتين، ومات في جمادى الآخرة، سنة خمسين وثلاثمائة، في خلافة المطيع لله. حدث الخطيب قال: سمعت الأزهرى يقول: جاء أبو بكر بن مجاهد، وإسماعيل الخطيب إلى منزل أبي عبد الصمد الهاشمي، فقدم إسماعيل أبا بكر، فتأخر أبو بكر وقدم إسماعيل، لما استأذن إسماعيل أذن له، فقال له: أدخل ومن أنا معه؟

وحدث عن الحسن بن زقويه، عن إسماعيل الخطيب قال: وجه إلى الراضي بالله ليلة عيد فطر، فحملت إليه راكباً بغلة، فدخلت عليه وهو جالس في الشموع، فقال لي يا إسماعيل: إني عزمات في غدٍ على الصلاة بالناس في المصلى، فما أقول إذا انتهيت في الخطبة إلى الدعاء لنفسى؟ قال: فأطرقت ثم قلت يقول أمير المؤمنين: (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي، وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين)؟ فقال حسبك، ثم أمرني بالانصراف، وأتبعني بخادم، فدفع إلى خريطة فيها أربعمائة دينار، وكانت الدنانير خمسمائة، فأخذ الخادم منها لنفسه مائة أو كما قال.

إسماعيل بن علي الخضيري

من أعمال دجيل، ثم من ناحية نهر تاب، كان فاضلاً متميزاً لسناء، ذا بلاغة وبراعة، وله في ذلك تصانيف معروفة متدولة، إلا أن الخول كان عليه غالباً، قدم بغداد، وقرأ الأدب على أبي محمد إسماعيل ابن أبي منصور، موهوب بن الخضر الجواليقي، وعلى أبي البركات عبد الرحمن، الأنباري، وعلى علي بن عبد الرحيم السلمي بن العصار، وأدرك ابن الخشاب أبا محمد، وأخذ عنه علماً جمياً، وقرأ على أبي الغنائم بن حبشي، وكان ورعاً زاهداً تقياً، رحل إلى الموصل، وأقام بها في دار الحديث عدة سنين، ثم اشتاق إلى وطنه، فرجع إلى بغداد، فمات بها في صفر سنة ثلاث وستمائة، وله تصانيف ورسائل مدونة وخطب، وديوان شعر، وكتاب جيد في علم القراءات رأيته. ومن شعره:

ولا نبه لا ولا خامل
يودي أخو اليقظة والغافل

لا عالم يبقى ولا جاهل
على سبيل مهيع لاحب

إسماعيل بن عيسى، بن العطار أبو إسحاق

من أهل السير، بغدادي، روى عنه الحسن بن علويه، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: له من الكتب: كتاب المبتدأ.

إسماعيل بن القاسم، بن عيذون، بن هارون

ابن عيسى بن محمد، بن سليمان، المعروف بالقالي، أبو علي البغدادي، مولى عبد الملك بن مروان، ولد بمنازجرد من ديار بكر، ودخل بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة، وأقام بها إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، مات بقرطبة في ربيع الآخر، سنة ست وخمسين وثلاثمائة، ومولده في سنة ثمانين ومائتين، وفي أيام الحكم المستنصر كانت وفاته، وسمع من أبي القاسم عبد الله بن محمد، بن عبد العزيز البغوي، وأبي سعيد لاحسين بن علي، بن زكريا بن يحيى، بن صالح، بن عاصم، بن زفر العدوي، وأبي بكر بن دريد، وأبي بكر بن السراج، وأبي عبد الله نبطويه، وأبي إسحاق الزجاج، وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش، وقرأ كتاب سيبويه على ابن درستويه، وسأله عنه حرفاً حرفاً، وأما نسبته: فهو نسوب إلى قالي قلا، بلد من أعمال أرمينية. قال القالي: لما دخلت بغداد، انتسبت إلى قالي قلا، رجاء أن أنتفع بذلك، لأنها ثغر من ثغور المسلمين، لا يزال بها المرابطون، فلما تأدب ببغداد، ورأى أنه لاحظ له بالعراق، قصد بلاد الغرب، فوافاها في أيام المتقلب بالحكم، المستنصر بالله عبد الرحمن، بن الحكم، بن هشام بن عبد الرحمن، بن معاوية، بن هشام، بن عبد الملك، بن مروان، بن الحكم، بن أبي العاص، بن أمية، بن عبد شمس، ابن عبد مناف. قالوا: وهذا أول من دعي من هؤلاء بالغرب أمير المؤمنين، إنما كان المتولون قبله يدعو ببني الخلائف. فوفد القالي إلى الغرب، في سنة ثلاثي وثلاثمائة، فأكرمه صاحب الغرب، وأفضل عليه إفضالاً عمه، وانقطع هناك بقية عمره، وهناك أملى كتبه أكثرها عن ظهر قلب، منها كتاب الأمالي، معروف ببداية الناس، كثير الفوائد، غاية في معناه. قال أبو محمد بن حزم: كتاب نوادر أبي علي، مبار لكتاب الكامل، الذي جمعه المبرد، ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً، فإن كتاب أبي علي أكثر لغةً وشعراً، وكتاب الممدود والمقصود، رتبته على التفعيل، ومخارج الحروف من الحلق، مستقى في بابيه، لا يشذ منه شيء في معناه، لم يوضع مثله، كتاب مقاتل الفرسان، كتاب تفسير السبع الطوال، كتاب البارغ في اللغة على حرف المعجم، جمع فيه كتب اللغة، يشتمل على ثلاثة آلاف ورقة. قال الزبيدي: ولا نعلم أحداً من المتقدمين ألف مثله.

قرأت بخط أبي بكر محمد بن طرخان، بن الحكم: قال الشيخ الإمام أبو محمد العربي: كتاب البارغ لأبي علي القالي، يحتوي على مائة مجلد، لم يصنف مثله في الإحاطة والاستيعاب، إلى كتب كثيرة ارتجلها وأملأها عن ظهر قلب كلها.

قال الحميدي: وممن روى عن القالي أبو بكر محمد ابن الحسين الزبيدي النحوي، صاحب كتاب مختصر العين، وأخبار النحويين، وكان حينئذ إماماً في الأدب، ولكن عرف فضل أبي علي فمال إليه، واختص به استفاد منه، وأقر له.

قال الحميدي: وكان أقام ببغداد خمساً وعشرين سنة، ثم خرج منها قاصداً إلى المغرب، سنة ثمان وعشري وثلاثمائة، ووصل إلى الأندلس، في سنة ثلاثين وثلاثمائة، في أيام عبد الرحمن الناصر، وكان ابنه الأمير أبو العباس، الحكم ابن عبد الرحمن، من أحب ملوك الأندلس للعلم، وأكثرهم اشتغالا به، وحرصاً عليه، فتلقيه بالجميل، وحظي عنده، وقرب منه، وبالف في إكرامه، ويقال: إنه هو الذي كتب إليه، ورغبه في الوفود عليه، واستوطن قرطبة، ونشر علمه بها.

قال: وكان إماماً في علم العربية، متقدماً فيها، متقناً لها، فاستفاد الناس منه، وعولوا عليه، واتخذوه حجة فيما نقله، وكانت كتبه على غاية التقيد، والضبط والإتقان، وقد ألف في علمه الذي اختص به تأليف مشهورة، تدل على سعة علمه وروايته، وحدث عنه جماعة، منهم أبو محمد عبد الله بن الربيع، بن عبد الله التميمي، ولعله آخر من حدث عنه، وأحمد بن أبان، بن سيد الزبيدي، كما ذكرنا آنفاً. قال: وكان أعلم الناس بنحو البصريين، وأرواهم للشعر مع اللغة.

قال الزبيدي: وسألته لم قيل له القالي؟ فقال: لما انحدرنا إلى بغداد، كنا في رفقة فيها أهل قالي قلا، وهي قرية من قرى منازلجرد، وكانوا يكرمون لمكانهم من الشعر، فلما دخلت بغداد، نسبت إليهم لكوني معهم، وثبت ذلك علي.

قال الحميدي: وكان الحكم المستنثر قبل ولايته الأمور، وبعد أن صارت إليه، يبعثه على التأليف، وينشطه بوسع العطاء، ويشرح صدره بالإجزال في الإكرام، وكانوا يسمونه بالبغدادي، لكثرة مقامه، ووصوله إليهم منها.

قال السلفي بإسناد له: أخبرنا أبو الحكم، منذر بن سعيد البولطي قال: كتبت إلى أبي علي البغدادي القالي، أستعير منه كتاباً من الغريب وقلت:

بحق رئم مفهف	وصدغه المتلطف
ابعث إلى بجزء	من الغريب المصنف
قال: فأجابني وقضى حاجتي،	
وحق در تألف	بفيك أي تألف
ولو بعثت بنفسي	إليك ما كنت أسرف

ابن صالح، بن إسماعيل

ابن صالح، بن عبد الرحمن، الصفار، أبو علي، علامة بالنحو باللغة، مذكور بالثقة والأمانة، صحب المبرد صحبة اشتهر بها وروى عنه، وسمع الكثير، وروى الكبير، أدركه الدار قطني، وقال: هو ثقة، صام أربعة وثمانين رمضان، وكان متعصباً للسنة، مات فيما ذكره الخطيب، سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، ومولده سنة تسع وأربعين ومائتين، ودفن بقرب قبر معروف الكرخي، بينهما عرض الطريق، دون قبر أبي بكر الأدمي، وأبي عمر الزاهد. قال أبو عبيد، محمد بن عمران المرزباني: أنشدني الصفار لنفسه:

إذا ظرتكم لاقيت أهلاً ومرحباً	وإن غبت حولاً لا أرى منكم رسلاً
وإن جنت لم أعدم ألا قد جفوتنا	وقد كنت زواراً فما بالنا نقلى
أفي الحق أن أرضى بذلك منكم	بل الضيم أن أرضى بذا منكم فعلا
ولكنني أعطي صفاء مودتي	لمن لا يرى يوماً على له فضلاً
وأستعمل الإنصاف في الناس كلهم	فلا أصل الجافي ولا أقطع الحبال
وأخضع لله الذي هو خالقي	ولن أعطي المخلوق من نفسي الذلاً

إسماعيل بن محمد، بن أحمد الوثابي

أبو طاهر، من أهل أصبهان، له معرفة تامة بالأدب، وطبع جواد بالشعر، مات في سنة ثلاث وثلثين وخمسائة. قال السمعاني: ومن خطه نقلت: ما رأيت بأصفهان في صنعة الشعر والترسل، أفضل منه، أضر في آخر عمره، وافترق وظهر الخلل في أحواله، حتى كاد أن يختلط، دخلت عليه داره بأصفهان، وما رأيت أسرع بديهته منه في النظم والنثر. اقترحت عليه رسالة فقال لي: خذ القلم واكتب، وأملى علي في الحال بلا ترو ولا تفكر، كأحسن ما يكون، إلا أنني سمعت الناس يقولون: إنه يخل بالصلوات المفروضة، والله أعلم بحاله.

وأنشد عنه السمعاني أشعاراً له منها:

أشاعوا فقالوا وقفة ووداع	وزمت مطايا للرحيل سراع
فقلت: وداع لا أطيق عيانه	كفاني من البين المشتت سماع
ولم يملك الكتمان قلب ملكته	وعند النوى سر الكتوم مذاع

وأنشد عنه له:

فو الله لا أنسى مدى الدهر قولها	ونحن على حد الوداع وقوف
وللنار من تحت الضلوع تلهب	وللماء من فوق الخدود وكيف
ألا قاتل الله الصورف فإنما	تفرق بين للصاحبين صروف

وأنشد له عنه أيضاً:

طابت لعمرى على الهجرا ذكرها تحيا بياس وتفتيها طماعية قامت لها دون دعوى الحب بينة إرسال شكوى وإجراء الدموع معاً وأنشد عنه له م قصيدة.	كان نفسي ترى الحرمان ذكرها هل مهجة برد يأس الوصل أحياء؟ بشاهدين أبانا صدق دعواها وإن تحقبت مجراها ومرساها
فعج صاح بالعوج الطلاح إلى الحمى تعوض عيناً بعد عين أو أنساً وما ساءني وجد ولا ضرني هوى تبصر خليلي من ثنية بارق يدق وأحياناً يرق ويرتقي فيقضى بها من ذكر حزوى ليانة وإن كان عهد لاوصل أضحى نسيئة وشم لي نسيم الريح من أفق الحمى	وزر أثلات القاع طال بها العهد وأوحش أحشاء تضمنها الوجد كما ساءني هج تعقبه صد بريقاً كسقط النار عالجته الزند ويخفى كراي الغمر إمضاؤه رد ويطفئ بها م نار وجد بها وقد فهاك أليل البرق إذ عهده نقد فقد عبق الوادي وفاح بها الارند

إسماعيل بن محمد، بن عبدوس الدهان

أبو محمد النيسابوري، أنفق ماله على الأدب، وتقدم فيه، وبرع في علم اللغة، والنحو والعروف، وأخذ عن إسماعيل بن حماد الجوهري، فاستكثر منه، وحصل كتابه كتاب الصحاح في اللغة بخطه واتص بالأمير أبي الفضل الميكالي بشعر كثير، ثم أوتي الزهد والإعراض عن الأعراض الدنيا.

وقال لما أزمع الحج والزيارة:

أتيتك راجلاً ووددت أني ومالي لا أسير على الماقي وله أيضاً:	ملكك سواد عيني أمتطيه إلى قبر رسول الله فيه
أيا خير مبعوث إلى خير أمة فلو كان في الإمكان سعى بمقلتي وله أيضاً:	نصحت وبلغت الرسالة ولاوحيا إليك رسول الله أفنيتها سعيا

عبد عصي ربه ولكن إن لم يكن فعله جميلاً وقال لصديق له:	ليس سوى واحد يقول فإنما ظنه جميل
نصحتك يا أبا إسحاق فاقبل تعلم ما بدا لك من علوم قال: وسألني أن أردد شيئاً من أشعاره في الغزل والمديح في كتابي هذا، فانتهيت في ذلك إلى رواية...	فإني ناصح لك ذو صداقه فما الإدبار إلا في الوراقه

إسماعيل بن محمد القمي النحوي

ذكره ابن النديم فقال: له من التصانيف، كتاب الهمز. كتاب العلل.

إسماعيل بن محمد، بن عامر، بن حبيب

أبو الوليد الكاتب بإشبيلية فيقال: له ولأبيه قدم في الأدب، وله شعر كثير تقوله بفضل أدبه. وله كتاب في فضل الربيع. مات أبو الوليد ب محمد بن عامر، قريباً من سنة أربعين وأربعمائة بإشبيلية، ومن شعره في الربيع:

أبشر فقد سفر الثرى عن بشره	وأناك ينشر ما طوى من نشره
متحصناً من حسنه في معقل	عقل العيون على رعاية زهره
من بعد ما سحب السحاب ذيوله	فيه ودر عليه أنفس دره
شهر كأن الحاجب بن محمد	ألقي عليه مسحة من بشره

إسماعيل بن مجمع الأخباري

ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: هو أحد أصحاب السير والأخبار، ومعلوم بصحة الواقدي المختص به، مات سنة سبع وعشرين ومائتين. له من التصنيف: كتاب أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، ومغازيه، وسراياه.

إسماعيل بن موهوب، بن أحمد، بن محمد

ابن الخضر، بن الجواليقي، يكنى أبا محمد، كان إمام أهل الأدب، بعد أبيه أبي منصور بالعراق، واختص بتأديب ولد الخلفاء، مات في شوال سنة خمس وسبعين وخمسائة، وكان مليح الخط، جيد الضبط، يشبه خطه خط والده، وكانت له معرفة حسنة باللغة والأدب، وكانت له حلقة بجامع القصر، يقرئ فيها الأدب كل جمعة. سمع منه ابن الأخضر، وابن حمدون الحسن تاج الدين، وغيرهما. ومولده في شعبان، سنة اثنتي عشرة وخمسائة. وكان بينه وبين أخيه إسحاق في المولد سنة ونصف، وفي الوفاة ثلاثة أشهر.

حدثت أن أبا الحسن، جعفر بن محمد، بن فطيرا، ناظر واسط والبصرة، وما بينهما من تلك النواحي، دخل يوماً إلى بعض الوزراء في أيام المستضيئ بالله - سقى الله عهوده صوب الرضوان، - فرأى في مجلسه الذي كان يجلسه، رجلاً لم يعرفه، فهابه وجلس بين يدي الوزير، وكان بان فطير معروفاً بالمزاح والنادرة، فتقدم حتى قال للوزير مساراً: يا مولانا، من هذا الذي قد جلس في مجلسي؟ فقال: هذا لاشيخ الإمام أبو محمد بن الجواليقي. فقال: وأي أرباب المناصب هو؟ قال: ليس هو من أرباب المناصب، هذا هو الإمام الذي يصلي بأمير المؤمنين، صلوات الله عليه وسلامه.

قال: فقام مبادراً وأخذ بيده، وأزاحه عن موضعه، وجلس في منصبه، وقال له: أيها الشيخ، أن ينبغي أن تتشامخ على إمام الوزير ومن دونه، فتجلس فوقهم، لأنك أعلى منهم منزلة، فأما على أنا، وأنا ناظر واسط والبصرة وما بينهما، فلا. قال: فما تمالك أهل المجلس من الضحك أن يمسخوه.

إسماعيل بن المبارك اليزيدي

بن أبي محمد يحيى، بن المبارك اليزيدي نذكر نسبه وولادته في ترجمة أبيه يحيى، إن شاء الله تعالى وحده، وكان إسماعيل أحد الأدباء الرواة، الفضلاء من ولج أبيه، وكان شاعراً مصنفاً، صنف كتاب طبقات الشعراء، فنقلت من خط عمر بن محمد، بن سيف الكاتب: أنشدنا اليزيدي أبو عبد الله، يعني محمد بن العباس، بن محمد، بن أبي محمد، بعد فراغه من كتاب الوحوش لعم أبيه، إسماعيل بن أبي محمد اليزيدي:

كلماً رابني من الدهر ريب	فاتكالي عليك يا رب فيه
إن من كان ليس يدري أفي المح	بوب صنع له أو المكره
لحرى بأن يفوض ما يع	جز عنه إلى الذي يكفيه
الإله البر الذي هو في الرأ	فة أحنى من أمه وأبيه
قعدت بي الذنوب أستغفر الل	ه لها مخلصاً وأستغفيه
كم يوالي لنا الكرامة والنعم	مة من فضله وكم نعصيه؟؟

ومن شعره عن المرزباني:

أتت ثمانون فاستمرت	بالنقص من قوتي وعزمي
--------------------	----------------------

فرق جلدي ودق عظمي	واختل بعد التمام جسمي
ياليت أني صحبت دهري	صحبة ذي تهمة وحزم
من لم يكن عاملاً بعلم	رواه لم ينتفع بعلم
وقال يرثي علي بن يحيى المنجم، ومات على في سينة خمس وسبعين وثلاثمائة.	
مات السماح ومات الجود والكرم	إذ ضم شخص علي في الثرى رجم
سقيت من مجدث فابتل ساكنه	غيثاً ملثاً توالي صوبه الديم
عادت لنا بعدك الأيام مظلمة	وكننت ضوءاً لها تجلى به الظلم
كان لازان فتياً مشرفاً نضراً	فالיום أخلقه من بعدك الهرم
قد كنت للخلق في حاجاتهم علماً	يفرج الهم عنهم ذلك العلم

الأغر أبو الحسن

ذكره أبو بكر الزبيدي في نحاة مصر، وقال: أخذ عن أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي، ولقيه قوم من أهل الأندلس، وحملوا عنه في سنة سبع وعشرين ومائتين، أمان بن الصمصامة، ابن الطرماح، بن الحكيم

ابن الحكم، بن نفر بن قيس، بن جدر، بن ثعلبة، بن رضا ب مالك، بن أمان، ب عمرو، ابن ربيعت، بن جرول، بن ثعل، بن عمرو، بن الغوث، أبي طئ. والطرماح الشاعر المشهور، ويكنى أمان هذا، أبا مالك. واطرحه با لأغلب، إذ صار إليه الأمر لهجاء جده الطرماح بني تميم. قال أبو الوليد المهدي: أبطأت على أبي مالك وكان مريضاً فكتب إلى:

أبلغ المهدي عن مألكا	أن دائي قد أصار المخ ريرا
كنت في المرضى مريضاً مطلقاً	ولقد أصبحت في المرضى أسيراً
فإذا ما مت فانعم سالماً	وتمل العيش في الدنيا كثيرًا

وأخذ عنالمهدي جزءاً من النحو، واللغة، والشعر.

أمية بن عبد العزيز، بن أبي الصلت

من أهل الأندلس، كان أديباً فاضلاً، حكيماً منجماً، مات في سنة تسع وعشري وخمسمائة، في المحرم بالمهدية من بلاد القيروان، وهو صاحب فصاحة بارعة، وعلم بالنحو، والطب. وكان قد ورد إلى مصر في أيام المسمى بالأمير، من ملوك مصر، واتصل بوزيره ومدير دولته، الأفضل شاهنشاه، بن أمير الجيوش بدر، واشتمل عليه رجل من خواص الأفضل، يعرف بمختار، ويلقب بتاج المعالي، وكانت منزلته عند الأفضل عالياً، ومكانته بالسعد حالية، فتحسنت حال أمية عنده، وقرب من قلبه، وخدمه بصناعي الطب والنجوم، وأنس تاج المعالي منه بالفصل، الذي لا يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فوصفه بحضرة الأفضل، وأثنى عليه، وذكر ما سمعه من أعيان أهل العلم، وإجماعهم على تقدمه في الفصل وتميزه عن كتاب وقته. وكان كاتب حضرة الأفضل يومئذ، رجل قد حمى هذا الباب، ومنع من أن يمر بمجلسه ذكر أحد م أهل العلم بالأدب، إلا أنه لم يتمكن من معارضة قول تاج المعالي، فأغضى على قذى، وأضمر لأبي الصلت المكروه، وتتابع من تاج المعالي السقطات، وأفضت إلى تغير الأفضل، والقبض عليه والاعتقال، فوجد حينئذ السبيل إلى أبي الصلت، بما اختلق له من المحال، فحبسه الأفضل في سجن المعونة بمصر، مدة ثلاث سنين وشهر واحد، على ما أخبرني به الثقة عنه، ثم أطلق، فقصد المرتضي أبا طاهر يحيى بن تميم، بن المعز، بن باديس، صاحب القيروان، فحظى عنده، وحسن حاله معه. وقد ذكر ذلك في رسالة لم يذم فيها مصر، ويصف حاله، ويثني على بان باديس، واستشهد فيها بهذه الأبيات في وصف ابن باديس:

فلم أستسغ إلا نداء ولم يكن	ليعدل عندي ذا الجناح جناح
فما كل إنعام يخف احتماله	وإن هطلت منه على سحاب
ولكن أجل اصنع ماجل ربه	ولم يأت باب دونه موحجاب
وما شئت إلا أن أدل عواذلي	على أن رأيي في هواك صواب
وأعلم قوماً خالفوني وشرقوا	وغربت أني قد ظفرت وخابوا

ومن شعره أيضاً:

لا غرو إن لحقت لهاك مدائحي
يكسى القضيبي ولم يحن إبانه

ومنه يرثي:

فتدقت نعماك ملء إنائها
وتطوق الورقاء قبل غنائها

قد كنت جارك والأيام ترهيني

فنافستني الليالي فيك ظالمة

ولست أرهب غير الله من أحد

وما حسبت الليالي من ذوي الحسد

ولأبي الصلت من التصانيف: كتاب الأدوية المفردة، كتاب تقويم الذهن في المنطق، كتاب الرسالة المصرية، كتاب ديوان شعره كبير، كتاب رسالة عمر في الأسطرلاب، كتاب الديباجة في مفاخر صنهجة؟ كتاب ديوان رسائل، كتاب الحديث ف يختار من أشعار المحدثين، ومن شعر أمية منقولاً من كتاب سر السرور:

حسبي فقد بعدت في الغي أشواطي

أنفقت في اللهو عمري غير متعظ

فكيف أخلص من بحر الذنوب وقد

يا رب مالي ما أرجو رضاك به

وطال في اللهو إيغالي وإفراطي

وجدت فيه بوفري غير محتاط

غرقت فيه على بعد من الشاطئ

إلا اعترافي بأنني المذنب الخاطي

ومنه أيضاً:

لله يومي ببركة الحبش

والنيل تحت الرياح مضطرب

ونحن في روضة مفعوة

قد نسجتها يد الربيع لنا

وأثقل الناس كلهم رجل

فعاطني الراح إن تاركها

وأسقتني بالكبار مترعة

والصبح بين الضياء والغيش

كطائر في يمي مرتعش

دبح بالنور عطفها ووشي

فنحن من نسجها على فرش

دعاه داعي الهوى فلم يطش

من سورة الهم غير منتعش

فهن أشفى لشدة العطش

قال محمد بن محمود: حدثني طلحة أن أبا الصلت، اجتمع في بعض متنزهات مصر، مع وجوه أفاضلها، فمال لصبي صبيح الوجه، عديم الشبه، قد نقط نون صدغه على صفحة خده، فاستو صفوه إياه، فقال:

منفرد بالحس والظرف

لهفي شكوت وهومن تيهه

قد عوقبت أجفانه بالضنى

قد أزهو الورد على خده

كأنما الخال به نقطة

بحت لديه بالذي أخفى

في غفلة عني وعن لهفي

لأنها أضنت وما تشفى

لكنه ممتنع القطف

قد قطرت من كحل الطرف

قال: وحدثني أبو عبد الله الشامي، وكان قد درس عليه، واقتبس ما لديه، أن الإفضل كان قد تغير عليه وحبسه بالإسكندرية في دار الكتب الحكيم أرسططاليس، قال: وكنت أختلف إليه إذ ذاك، فدخلت إليه يوماً، فصادفته مطرقاً، فلم يرفع رأسه إلى على العادة، فسألته فل يرد الجواب، ثم قال بعد ساعة: اكتب، وأنشدني:

قد كان لي سبب قد كنت أحسب أن

فما مقلم أظفاري سوى قلمي

أحضى به فإذا دائي من السبب

ولا كتائب أعدائي سوى كتبني

فكتبت وسألته ع ذلك، فقال: إن فلاناً تلميذي، قد طعن في عند الأمير الأفضل، ثم رفع رأسه إلى السماء، واغرورقت عيناه دمعاً، ودعا عليه، فلم يحل الحال حتى استجيب له.

وأنشدني الشيخ سليمان بن الفياض الإسكندراني - وكان ممن درس عليه، واختلف إليه - في صفة فرس:

صفراء إلا حبول مؤخرها

تعطيك مجهودها فراحتها

وأنشدني له يهجو، وما هو من صناعته:

صاف ومولاته وسيده

حدود شكل القياس مجموعة

فهني مدام ورسغها زيد

في الحضر والحضر عندها وخد

والست تحت الاثنين موضوعة
بحشمة في الجميع مصنوعة
غريبة في دمشق مطبوعة

فالشيخ فو الاثنين مرتفع
والشيخ محمول ذي وحامل ذا
شكل قياس كانت نتيجته

وقرأت في الرسالة المصرية، زيادة على البيتين المتقدم ذكرهما قبل:

يسلى من الهم أو يعدى على النوب
كانت مواعيدهم كالآل في الكذب

وكم تمنيت أن ألقى بها أحداً
فما وجدت سوى قوم إذا صدقوا

فالشيوخ فوالاثنتين مرتفع
والشيخ محمول ذي وحامل ذا
شكل قياس كانت نتيجته
وقرأت في الرسالة المصرية، زيادة على البيتين المتقدم ذكرهما قبل:
وكم تمنيت أن ألقى بها أحداً
فما وجدت سوى قوم إذا صدقوا
والست تحت الاثنتين موضوعة
بحشمة في الجميع مصنوعة
غريبة في دمشق مطبوعة
يسلى من الهم أو يعدى على النوب
كانت مواعيدهم كالآل في الكذب

باب الباء

برزخ بن محمد، أبو محمد العروضي

مولى بجيلة، وقال الصولى: أظنه من موالى كندة، وقال ابن درستويه: ومن علماء الكوفة: برزخ بن محمد العروضي، وهو الذي صنف كتاباً في العروض، نقض فيه العروض - في زعمه - على الخليل، وأبطل الدوائر والألقاب، والعلل التي وضعتها، ونسبها إلى قبائل العرب، وكان كذاباً.

وحدث الصولى: حدث جبلة بن محمد قال: سمعت أبي يقول: كان الناس قد البوا على أبي محمد برزخ ابن محمد العروضي، لكثرة حفظه، فسأ ذلك حماداً وجناداً، فدسا إليه من يسقطه، فإذا هو يحدث بالحديث عن رجل فعل شيئاً، ثم يحدث به عن رجل آخر بعد ذلك، ثم يحدث به عن آخر، فتركه الناس حتى كان يجلس وحده. وحدث صعود قال: سمعت سلمة يقول: كاني ونس النحوي يقول: إن لم يكن برزخ أروى الناس، فهو أكذب الناس. قال سلمة: وصدق يونس يقول: إن كان ما أتى به حقاً وإلا فقد كذب، لأنه حدث عن أقوام لا يعرفهم الناس. وحدث ابن قادم قال: سئل الفراء عن برزخ، فأنشد قول زهير:

أضاعت فلم يغفر لها غفلاتها
يريد أن الناس اجتنبوه، لشيء استبانوه منه.

وحدث المازني قال: روى برزخ شعراً لامرئ القيس فقال له جناد: عن رويت هذا؟ قال عني: وحسبك بي، فقال له جناد: من هذا أتيت يا غافل.

وحدث الصولي عن أبي عبد الله، أحمد بن الحسن السكوني قال: كنا نروى لبرزخ أشعاراً منها:
ليس بيني وبين قومي إلا
حسدوني فزخرفوا في قولاً
أنني فاضل لهم في الذكاء
تتلقاه ألسن البغضاء

كنت أرجو العلاء فيهم بعلمي
شدة قد أفدتها من رخاء
وحدث الحارث بن أبي أسامة قال: أنشدني عثمان ابن محمد لأبي حنش، واسمه حضير بن قيس شعراً، يقوله في برزخ:
أبرزخ قد فقدتك من ثقیل
فماتنقك إنساناً تماري
وبالأشعار علمك حين يقضى
يكون كلم سنور إذا ما
فأتاني من الرجاء يلائي
وانتقاص جنيت من وفاء
فظلك حين يوزن وزن فيل
جليسك منك في هم طويل
علينا بالسماع المستطيل
أثاروه بأكل الرنجبيل

ولبرزخ من التصانيف: كتاب العروض، كتاب بناء الكلام. قال محمد بن إسحاق النديم: رأيته في جلود. وكتاب معاني العروض على حروف المعجم، كتاب النقض على الخليل وتعليظه في العروض، كتاب الأوس في العروض، كتاب تفسير الغريب.

بشر بن يحيى، بن علي القيني النصيبى

أبو ضياء من أهل نصيبين، شاعر قليل الشعر، وأديب كثير الأدب، وله من الكتب فيما ذكره محمد ابن إسحاق: كتاب سرقات البحترى م أبي تمام، كتاب الجواهر، كتاب الأداب، كتاب السرقات الكبير لم يتم.

بقي بن مخلد الأندلسي، أبو عبد الرحمن

ذكره الحميدي وقال: مات بالأندلس، سنة ست وسبعين ومائتين، في قول أبي سعيد بن يونس. وقال الدار قطني: مات سنة ثلاث وسبعين، والأول أصح. قال الحميدي: وبقي من حفاظ المحدثين، وأئمة الدين، والزهاد الصالحين، رحل إلى المشرق، فروى عن الأئمة، وأعلام السنة، منهم الإمام أبو عبد الله، أحمد بن محمد، بن حنبل، وأبو بكر ابن عبد الله، بن محمد، بن أبي شيبه، وأحمد بن إبراهيم الدورقي، وخليفة بن خياط، وجماعات أعلام، يزيدون على المائتين، وكتب المصنفات الكبار، والمنثور الكثير، وبالف في الجمع والرواية، ورجع إلى الأندلس، فملاها علماً جماً، وألف كتباً حسناً، تدل على احتفاله واستكثاره.

قال لنا أبو محمد علي بن أحمد: فمن مصنفات بقي ابن مخلد، كتاب تفسير القرآن، وهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا أستثني فيه، أنه لم يؤلف في الإسلام مثله، ولا تصنيف محمد بن جرير الطبري ولا غيره. ومنها في الحديث: كتاب مصنفه الكبير، الذي رتبته على أسماء الصحابة، فروى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيف، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه، وأبواب الأحكام، فهو مصنف ومسنند، ومأعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته وضبطه، وإتقانه واحتفاله في الحديث، وجودة شيوخه. فإنه روى ع مائة رجل وأربعة وثمانين رجلاً، ليس فيه عشر ضعفاء، وسائرهم أعلام مشاهير، ومنها كتاب في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم، الذي أربى فيه على مصنف أبي بكر، بن أبي شيبه وغيره، فصارت تصانيفه قواعد الإسلام، لا نظير لها، وكان بحراً لا يقلد أحداً، وكان خاصاً بأحمد بن حنبل، وجارياً في مضممار البخاري ومسلم. كل هذا من كتاب الحميدي، وإما ذكرته لتصنيفه كتاباً في تفسير القرآن.

وذكر له ترجمة أخرى فقال فيها: ولد بقي بن مخلد الأندلسي في رمضان، سنة إحدى وثمانين، وتوفى ليلة الثلاثاء، لتسع وعشرين ليلة مضت من جمادى الآخرة، سنة ست وسبعين ومائتين، ودفن في المقبرة المنسوبة إلى بني العباس، وكانت له رحلتان، أقام في إحداهما نحو العشرين عاماً، وفي الثانية نحو الأربعة عشر عاماً، فأخبرني أبي أنه كان يطوف في الأمصار على أهل الحديث، فإذا أتى وقت الحج، أتى إلى مكة فحج، هذا كان فعله كل عام في رحلتيه جميعاً، وكان يلتزم صيام الدهر، فإذا أتى يوم جمعة أفطر وكانت له عبادات كثيرة، من قراءة القرآن، وغيرها من الصلوات، ونشر العلم. قال: أما مشايخه الذين سمع منهم، فكانوا مائتي رجل، وأربعة وثمانين رجلاً، هكذا ذكر في هذه الترجمة، فما أدري أيهما الصحيح؟ أخبرني أسم بن عبد العزيز، أخبرني أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد قال: لما وضعت مسندي، أتاني عبيد الله بن يحيى، ومعه أخوه إسحاق، فقالا لي: بلغنا أنك وضعت مسنداً، قدمت فيه أبا مصعب وابن بكير، وأخرت أبا نانا، فقال بقي: أما تقديمي لأبي مصعب، فإني قدمته لقول رسول الله عليه وسلم: (فقدمو قيش ولا تقدموها). وأما ابن بكير، فإني قدمته لسنه وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (كبر كبر)، مع أنه سمع الموطأ من مالك سبع عشرة مرة، ولم يسمعه أبوكما إلا مرة واحدة قال بقي: فخرجنا عني، ولم يعودا إلى بعد ذلك، وخرجا إلى حد المداوة.

حدثنا قاسم بن أصبغ قال: خرجت من الأندلس ولم أرو عن بقي شيئاً، فلما دخلت العراق وغيره من البلدان، سمعت من فضائله وتعظيمه، ما اندمني على ترك الرواية عنه، وقلت: إذا رجعت لزمته حتى أروي جميع ما عنده، فأتانا نعيه ونحن بإطربلس.

وحدثنا قاسم بن أصبغ قال: سمعت أحمد بن أبي خيثمة يقول: وذكر بقي بن مخلد فقال: ما كنا نسميه إلا المكنتسة، وهل احتاج بلد بقي أن يأتي إلى ههنا منه أحد؟ قلنا له: ولا أنت تحدثنا عن رجال ابن أبي شيبه؟ فقال: ولا أنا.

وذكر بقي أنه أدرك جماعة من أصحاب سفيان الثوري، فلم يرو عنهم، وروى عن رجلين: عن سفيان الثوري قال: وحدثت عن بقي أنه قال يوماً لطلبته، أنتم تطلبون العلم؟ وهكذا يطلب العلم؟ إنما أحذركم إذا لم يكن عليه شغل يقول: أمضى أسمع العلم، إني لأعرف لاجلاً تمضي عليه الأيام في وقت طلبه للعلم، لا يكون له عيش ألام ورق الكرب الذي يلقيه الناس، وإني لأعرف رجلاً باع سراويله غير مرة في شرى كاغد حتى يسوق الله عليه من حيث يخلفها.

قال الحميدي: أخبرنا أبو القاسم، عبد الكريم ابن هزازن القشيري، في أجازة وصلت إليه، وذكر إسناداً وقال: جاءت امرأة إلى

بقي بن مخلد فقالت: إن ابني قد أسره الروم، ولا أقدر على مال أكثر من دويرة ولا أقدر على بيعها، فلو أشرت إلى من يفديه بشيء، فإنه ليس لي ليل ولا نهار، ولا نوم ولا قرار، فقال: أنصرفي حتى أنظر في أمره إن شاء الله، وأطرق الشيخ وحرك شفتيه قال: ولبثنا مدة، فجاءت المرأة ومعها ابنها، فأخذت تدعو له وتقول: قد رجع سالمًا، وله حديث يحدثك به، فقال الشاب: كنت في يدي بعض ملوك الروم، مع جماعة من الأساري، وكان له إنسان يستخدمنا كل يوم، يخرجنا إلى الصحراء للخدمة، ثم يردنا وعلينا قيودنا، فبينما نحن نجيء من العمل مع صاحبه، الذي كان يحفظنا، إذ انفتح القيد من رجلي، ووقع على الأرض، ووصف اليوم والساعة، فوافق الوقت الذي جاءت المرأة، ودعاء الشيخ. قال: فنهض إلى الذي كان يحفظني، وصاح علي: كسرت القيد؟ فقلت: لا، إلا أنه سقط من رجلي. قال فتحيروا في أمري، ودعوا رهبانهم فقالوا لي: ألك والد؟ قلت لهم نعم. فقالوا: وافق داؤها الإجابة، وقالوا: أطلقك الله، ولا يمكننا تقييدك، فزودوني وأصحبوني إلى ناحية المسلمين.

بكر بن حبيب السهمي، والد عبد الله

ابن بكر، المحدث، ذكره الزبيدي وغيره في النحويين.

أخذ عن ابن أبي إسحاق، وقال ابن أبي إسحاق لبكر بن حبيب: ما ألحن في شيء، قال نفعل؟ فقال له: فخذ على كلمة، قال: هذه واحدة، قل كلمة، وقربت منه سنورة، فقال: لها اخسي، فقال له: أخطأت، إنما هو اخسي.

وحدث أبو أحمد، الحسين بن عبد الله العسكري في كتاب النصف، له عن أبيه، عن عسل بن ذكوان عن الرياشي قال: توفي ابن لبعض المهالبة، فأتاه شبيب ابن شيبه المنقري يعزيه، وعنده بكر بن حبيب السهمي فقال شبيب: بلغنا أن الطفل لا يزال محببًا، على باب الجنة يشفع لأبيه. فقال بكر بن حبيب: إنما هو محببًا غير مهموز. فقال له شبيب: أتقول لي هذا؟ وما بين لابتيها أفصح مني. فقال بكر: وهذا خطأ ثان، ما للبصرة وللوب، لعلك غرك قولهم: ما بين لابتي المدينة، يريدون الحرية.

قال أبو أحمد: والحرية أرض تركبها حجارة سود وهي اللابة، وجمعها لابات، فإذا كسرت فهي اللوب واللاب، وللمدينة لابتان من جانبيها، وليس للبصرة لابة ولا حرة.

قال أبو عبيدة: المحبب غير همزة: هو المنتصب المستبطن للشيء، والمحبب بالهمز: العظيم البطن المنتفخ. وقال أبو عبد الله المرزباني في كتاب المعجم: بكر بن حبيب السهمي من بالهلة، أحد مشايخ المحدثين قال أنه عبد الله بن بكر، كان أبي يقول البيتين والثلاثة، وهو القائل:

سير النواعج في بلاج مضلة
خير من الطمع الدنيء ومجلس
فاقصد لحاجتك المليك فإنه
يغنيك عن مترفع مختال
يمسي الدليل بها على ململ
بفناء لا طلق ولا مفضل

وحدث التاريخي عن أبي خالد، يزيد بن محمد المهلبي، عن البجلي، عن قتب بن بشر قال: كنت مع بكر بن حبيب السهمي بموضع، يقال له قصر زربي، ونحن مشرفون على المريد، إذ مر بنا يونس بن حبيب النحوي، فقال: أمر بكم الأمير؟ قال بكر: نعم، مر بنا عاصبًا فوه، فرمى يونس بعنانه على عنق حمارة، ثم قال: أف أف. فقال له بكر: انظر حسنًا، ثم قال نعم.

وإنما ظن يونس بن حبيب النحوي، أنه قد لحن، وأنه كان يجب أن يقول عاصبًا فاه، فلما تبين أنه أراد عصب الفم صوبه.

قال: وممر بكر بن حبيب بدار فسمع جلبة فقال: ما هذه الجلبة؟ أعرس أم خرس؟ أم إعدار أم توكير؟ فقال له قوم: قد عرفنا العرس، فأخبرنا ما سوى ذلك، قال: الخرس: الطعام على الولادة، والإعدار: الختان، والتوكير: أن يبنى الرجل القبة، ويحدث القدر الجماع، فيقال: وكر لنا طعامًا. قال: والقدر: الجماع الكبيرة.

وقال ثعلب: الوكيرة: مأخوذ من الوكر، وهي الوليمة، التي يصنعها الرجل عند بناء المنزل.

أبو بكر بن عياش، الخياط

بن سالم، الكوفي الخياط مولى واصل بن حيان الأسدي الأحذب، واختلف في اسمه، فقيل: اسمه قتيبة، وقيل شعبة، وقيل عبد الله، وقيل محمد، وقيل مطرف، وقيل سالم، وقيل عنتره، وقيل أحمد، وقيل عتيق، وقيل روبة، وقيل حماد، وقيل حسين، وقيل

قاسم، وقيل لا يعرف له اسم، وأظهر ذلك شعبة ومطرف، قال الهيثم بن عدي: اسم أبي بكر مطرف بن النهشلي ومات ابن عياش في سنة ثلاث وتسعين ومائة، في السنة التي مات فيها الرشيد بن المهدي قبله بشهر، وفيها مات غندر، وعبد الله بن إدريس.

وروى أن اب عياش مات في سنة اثنتين وتسعين، والأول أظهر.

ومولده سنة سبع وتسعين، في أيام سليمان بن عبد الملك، وروى سنة أربع وتسعين، وروى سنة خمس وتسعين، وكان ابن عياش يقول: أنا نصف الإسلام.

وقال الحسين بن فهم: وقد ذكر جماعة لا تعرف أسماؤهم، منهم أبو بكر بن أبي مريم، وأبو بكر ابن أبي سبرة، وأبو بكر بن محمد، بن عمرو، بن حزم، وأبو بكر بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن عياش، وأبو بكر بن أبي العرامس. وقال أبو الحسن الأهوازي المقرئ في كتابه: وإنما وقع هذا الاختلاف في اسم أبي بكر، لأنه كان رجلاً مهيباً، فكانوا يهابونه أن يسألوه، فروى كل واحد على ما وقع له قلت: وقد روى المرزباني في كتابه: أن جماعة من أهل العلم، سألوه عن اسمه، واختلفت أقوالهم على ما تقدم، ولولا كراهة الإطالة لذكرته. وكان ابن عياش معظماً عند العلماء وقد لقي الفرزدق، وذا الرمة، وروى عنهما شيئاً من شعرهما.

حدث المرزباني: حدثنا أحمد بن عيسى، عن أحمد بن أبي خيثمة، حدثنا محمد بن يزيد قال: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: كان أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن. قال عزوجل: (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم)، إلى قوله: (أولئك هم الصادقون)، فهو لاء سموه خليفة رسول الله، وهؤلاء لا يكذبون.

وحدث المرزباني بإسناده إلى زكريا بن يحيى الطائي قال: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: إني أريد أن أتكلم اليوم بكلام، لا يخالفني فيه أحد إلا هجرته ثلاثاً. قالوا: قل يا أبا بكر. قال: ما ولد لأدم عليه السلام، مولود بعد النبيين والمرسلين، أفضل من أبي بكر الصديق. قالوا: صدقت يا أبا بكر، ولا يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام؟ قال: ولا يوشع بن نون، إلا أن يكون نبياً. ثم فسره فقال: قال الله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير هذه الأمة أبو بكر). قال زكريا بن يحيى: وسمعت ابن عياش يقول: لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي - رضي الله عنهم - في حاجة، لبدا بحاجة علي قبل حاجة أبي بكر وعمر، لقربته من رسول الله، ولأن آخر من السماء إلى الأرض، أحب إلي من أن أقدمه عليهما. وكان يقدم علياً على عثمان، ولا يغلو ولا يقول إلا خيراً. وحدث المرزباني بإسناده عن أبي بكر بن عياش، عن زر، عن عبد الله قال: إن الله عز وجل نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلبه، فوجد قلوب أصحابه، خير القلوب، بعد قلبه فجعلهم وزراء نبيه صلى الله عليه وسلم، يقتلون عن دينه، فما رأى المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن، وما رأى المسلمون سيئاً، فهو عند الله سيئ قال أبو بكر ابن عياش: وأنا أقول: إنهم رأوا أن يولوا أبا بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم. وحدث المرزباني، حدثنا أبو محمد بن مخلد، حدثنا أبو عمر العطار قال: بعث أبو بكر بن عياش، إلى أبي يوسف الأعشى، فمضيت مع أبي يوسف، ومع عبد الوهاب ابن عمر، والعباس بن عمير، فدخلنا إليه وهو في عليّة له فقال لأبي يوسف: قد قرأت علي القرآن مرتين. وقد نقلت عني القرآن، فاقرأ علي آخر الأنفال، واقرأ علي من رأس المائة من براءة، واقرأ علي كذا، واقرأ كذا فقال له أبو يوسف: يا أبا بكر، هذا القرآن، والحديث، والفقه، وأكثر الأشياء أفدتها بعد ما كبرت، أو لم تزل فيه مذ كنت؟ ففكر هنيهة ثم قال: بلغت وأنا ابن ست عشرة سنة، فكنت فيما يكون فيه الشبان مما يعرف وينكر سنتي، ثم وعظت فسي وزجرتها، وأقبلت على الخير وقراءة القرآن، فكنت أختلف إلى عاصم في كل يوم، وربما مطرنا ليلاً، فأنزع سراويلي وأخوض الماء إلى حقوي، فقال له أبو يوسف: ومن أين هذا الماء كله؟ قال: كنا إذا مطرنا، جاء ماء الحيرة إلينا، حتى يدخل الكوفة. وكنت إذا قرأت على عاصم، أتيت الكلبى فسألته عن تفسيره، وأخبرني أبو بكر أن عاصماً أخبره أنه كان يأتي زر بن حبيش، فيقرئه خمس آيات لا يزيد عليها شيئاً، ثم يأتي أبا عبد الرحمن السلمي، فيعرضها عليه، فكانت توافق قراءة زر، قراءة أبي عبد الرحمن، وكان أبو عبد الرحمن، قرأ علي علي عليه السلام، وكان زر بن حبيش الشكري العاطري قرأ علي عبد الله بن مسعود القرآن كله، في كل يوم آية واحدة، لا يزيده عليها شيئاً، فإذا كانت آية قصيرة استقلها زر من عبد الله، فيقول عبد الله: خذها، فوالذي نفسي بيده، لهي خير من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو بكر، وصدق والله، ونحن نقول كما قال أبو بكر بن عياش، إذ حدثنا عن عاصم عن زر، عن عبد الله قال: هذا والله الذي لا إله إلا هو حق، كما أنكم عندي جلوس، والله ما كذبت، والله ما كذب عاصم بن أبي النجود، والله ما كذب زر، والله ما كذب عبد الله بن مسعود، وإن هذا لحق كما أنكم عندي جلوس.

وحدث عمن أسنده إلى أحمد بن عبد الله بن يونس قال: ذكر النبيذ عند العباس بن موسى، فقال: إن ابن إدريس يحرمه، فقال أبو بكر بن عياش: إن كان النبيذ حراماً، فالناس كلهم أهل ردة.

وحدث المرزباني قال: قال عبد الله بن عياش: كنت أنا وسفيان الثوري وشريك، نتماشى بين الحيرة والكوفة، فرأينا شيخاً أبيض الرأس والحية، حسن السميت والهيئة، فظننا أن عنده شيئاً من الحديث، وأنه قد أدرك الناس، وكان سفيان أطلبنا للحديث، وأشدنا بحثاً عنه، فتقدم إليه وقال: يا هذا، عندك شيء من الحديث؟ فقال: أما حديث فلا، ولكن عندي عتيق سنتين، فنظرنا فإذا هو خمار. وحدث أبو بكر بن عياش قال: الفرزدق بالكوفة يعني عمر بن عبد العزيز، - رضي الله عنه -، فقال:

كم من شريعة عدل قد سننت لهم

يا لهف نفسي ولهف اللاهفين معي

وحدث بإسناده عن ابن كناسة قال: حدثني أبو بكر ابن عياش قال: كنت إذ أنا شاب إذا أصابتنني مصيبة، تصبرت ورددت البكاء، فكان ذلك يوجعني ويزيدني ألماً، حتى رأيت بالكناسة أعرابياً واقفاً، وقد اجتمع الناس حوله فأنشد:

خليلي عوجاً من صدور الرواحل

لعل انحدار الدمع يعقب راحة

فسألت عنه، فقيل: ذو الرمة. قال: فأصابتني بعد ذلك مصائب، فكنت أبكي فأجد راحة، فقلت في نفسي: - قاتل الله - الأعرابي، ما كان أبصره وأعلمه!!

وحدث المرزباني، عن الحسن النحوي، عن محمد بن عثمان، بن أبي شيبه قال: سمعت عمي القاسم بن محمد يقول: حدثني يحيى بن آدم قال: لما قدم هارون الرشيد الكوفة، نزل الحيرة، ثم بعث إلى أبي بكر ابن عياش، فحملناه إليه، وكنت أنا أقتاده بعد ذهاب بصره، فلما انتهينا إلى باب الخليفة، ذهب الحجاب يأخذون أبا بكر مني، فأمسك أبو بكر بيدي وقال: هذا قائدي لا يفارقني، فقالوا: ادخل أنت وقائدك يا أبا بكر، قال يحيى: فدخلت به، وإذا هارون جالس وحده، فلما دنا منه أنذرت، فسلم عليه بالخلافة، فأحسن هارون الرد، فأجلسه حيث أمرت، ثم خرجت فعدت في مكان أراهما وأسمع كلامهما، قال: فجعلت أنظر إلى هارون يتلمح أبا بكر قال: وكان أبو بكر رجلاً قد كبر، وضعت رقبته، فاتكأ ذقنه على صدره، فسكت هارون عنه ساعة، ثم قال له: يا أبا بكر، فقال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: إني سائلك عن أمر فأسألك بالله لما صدقتني عنه، قال: إن كان علمه عندي، قال: إنك قد أدركت أمر بني أمية وأمرنا، فأسألك بالله، أيهما كان أقرب إلى الحق؟ قال يحيى: فقلت في نفسي: اللهم وفقه وثبته، قال: فأطال أبو بكر في الجواب، ثم قال له: يا أمير المؤمنين، أما بنو أمية فكانوا أنفع للناس منكم، وأنتم أقوم بالصلاة منهم. قال: فجعل هارون يشير بيده ويقول: إن في الصلاة، إن في الصلاة.

قال: ثم خرج فتبعه الفضل بن الربيع، فقال: يا أبا بكر: إن أمير المؤمنين قد أمر لك بثلاثين ألفاً، فقال أبو بكر: فما لقائدي؟ فضحك الفضل وقال: لقائدي خمسة آلاف. قال يحيى: فأخذت الخمسة آلاف قبل أن يأخذ أبو بكر الثلاثين.

وحدث بإسناد رفعه إلى أبي بكر بن عياش، قال: دخلت على هارون أمير المؤمنين، فسلمت وجلست، فدخل فتى من أحسن الناس وجهاً، فسلم وجلس. فقال لي هارون: يا أبا بكر: أتعرف هذا؟ قلت: لا، قال: هذا ابني محمد، ادع الله له، فقلت: يا أمير المؤمنين، حدثنا هشام بن حسان عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله فاتح عليكم مشارق الأرض ومغاربها، وإن عمال ذلك الزمان في النار إلا من اتقى، وأدى الأمانة). فانتفض وتغير، وقال يا مسرور: اكتب، ثم سكت ساعة، وقال: يا أبا بكر، ألا تحدثني، فقلت: يا أمير المؤمنين، حدثنا هشام بن حسان عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدري ما قال عمر بن الخطاب للهروان؟ قال: وما قال له؟ قلت: قال له ما يمنعك من حب المال؟ وأنت كافر القلب، طويل الأمل، قال: لأنني قد علمت أن الذي لي سوف يأتي، والذي أخلفه بعدي يكون وباله علي. ثم قال يا مسرور: اكتب وبحك. ثم قال: ألك حاجة يا أبا بكر؟ قلت: تردني كما جئت بي، قال: ليست هذه حاجة، سل غيرها، قلت: يا أمير المؤمنين: لي بنات أخت ضعاف، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لهن بشيء، قال: قدر لهن، قلت: يقول غيري، قال: لا يقول غيرك، قلت: عشرين ألفاً، قال: لهن عشرة آلاف، وعشرة آلاف، وعشرة آلاف، وعشرة آلاف، يا فضل اكتب بها إلى الكوفة، وألا تحبس عليه. ثم قال: اصنرف ولا تنسنا من دعائك.

وحدث بإسناده عن العباس بن بنان قال: كنا عند أبي بكر بن عياش، يقرأ علينا كتاب مغيرة، فغمض عيني فحركه جهور، وقال

له: تنام يا أبا بكر؟ فقال لا، ولك مر ثقيل فغمضت عيني. وحدث أبو هاشم الدلال قال: رأيت أبا بكر بن عياش مهموماً، فقلت له: مالي أراك مهموماً؟ قال: سيف كسرى لا أدري إلى من صار. وقال محمد بن كناسة: يذكر أصحاب أبي بكر بن عياش:

الله مشيخة فجعت بهم

سرج لقوم يهتدون بها

وحدث المدائني قال: كان أبو بكر بن عياش أبرص، وكان رجل من قریش يرمى بشرب الخمر، فقال له أبو بكر ابن عياش يداعبه، زعموا أن نبياً قد بعث بحل الخمر. فقال له القرشي، إذا لا أومن حتى يبرئ الأكمه والأبرص. أنشد أبو بكر بن عياش اتلمحدث، ويقال إنهما له:

إن الكريم الذي تبقى مودته

ليس الكريم الذي إن زل صاحبه

بكر بن محمد، بن بقية المازني

أبو عثمان النحوي، وقيل: هو بكر بن محمد، بن عدي، بن حبيب، أحد بني مازن بن شيبان، بن ذهل، ابن ثعلبة، بن عكاية، بن صعب، بن علي، بن بكر، ابن وائل. قال الزبيدي: قال الخشني: المازي مولى بني سدوس، نزل في بني مازن ب شيبان، فنسب إليهم، وهو من أهل البصرة، وهو أستاذ المبرد. روى عن أبي عبيدة والأصمعي، وأبي زيد الأصاري. وروى عنه الفضل بن محمد اليزيدي، والمبرد، وعبد الله بن سعد الوراق، وكان إمامياً يرى رأي ابن ميثم، ويقول بالإرجاء، وكان لا يناظره أحد إلا قطعه، لقدرته على الكلام، وكان المبرد يقول: لم يكن بعد سيبويه أعلم من أبي عثمان بالنحو، وقد ناظر الأخفش في أشياء كثيرة فقطعه، وهو أخذ عن الأخفش. وقال حمزة: لم يقرأ على الأخفش، إنما قرأ على الجرمي، ثم اختلف إلى الأخفش وقد برع، وكان يناظره ويقدم الأخفش وهو حي، وكان أبو عبيدة يسميه بالمتدرج، والنقار. مات أبو عثمان فيما ذكره الخطيب، في سنة تسع وأربعين ومائتي، أو ثمان وأربعين ومائتين، وذكر ابن واضح: أنه مات سنة ثلاثين ومائتين.

حدث المبرد عن المازني قال: كنت عند أبي عبيدة، فسأله رجل فقال له: كيف تقول عنيت بالأمر؟ قال: كما قلت عنيت بالأمر، قال: فكيف أمر منه؟ قال فغلط، وقال: اعنُ بالأمر، فأومأت إلى الرجل، ليس كما قال: فرأني أبو عبيدة، فأمهلني قليلاً، فقال: ما تصنع عندي؟ قلت: ما يصنع غيري، قال: لست كغيرك، لا تجلس إلي، قلت ولم؟ قال: لأنني رأيتك مع إنسان خوزي سرق مني قطيفة، قال: فأنصرفت وتحملت عليه بإخواه، فلما جئته قال لي: أدب نفسك أولاً، ثم تعلم الأدب. قال المبرد: الأمر من هذا باللام، لا يجوز غيره، لأك تأمر غير من بحضرتك، كأنه ليفعل هذا. وقال حماد يهجو المازني:

كادني المازني عند أبي العب

يا شبيه النساء في كل فن

جمع المازني خمس خصال

هو بالشعر والعروض وبالنح

ليس ذنبي إليك يا بكر إلا

وكفاني ما قال يوسف في ذا

وحدث المبرد قال: عزى المازني بعض الهاشميين، ونحن معه فقال:

إني أعزيك لا أني على ثقة

ليس المعزى بباقي بعد ميته

وقد روي عن المبرد: أن يهودياً بذل للمازي مائة دينار، ليقرئه كتاب سيبويه، فامتنع من ذلك، فقيل له: لم امتنعت مع حاجتك وعيلتك؟ فقال: إن في كتاب سيبويه كذا آية من كتاب الله، فكرهت أن أقرئ كتاب الله للذمة، فلم يمتص على ذلك مديدة، حتى أرسل الواثق في طلبه، وأخلف الله عليه أضعاف ما تركه الله. كما حدث أبو الفرج، علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني، بإسناد رفعه إلى أبي عثمان المازني قال: كان سبب طلب الواثق لي، أن مخارقاً غناه في شعر الحارث بن خالد المخزومي:

أظلم إن مصابكم رجلاً

أهدى السلام تحية ظلم

فلحنه قوم، وصوبه آخرون فسأل الواصل عن بقي من رؤساء النوبيين، فذكرت له، فأمر بحملي وإزاحة علي. فلما وصلت إليه، قال لي: ممن الرجل؟ قلت: من بني مازن. قال: من مازن تميم؟ أم مازن قيس؟ أم مازن ربيعة؟ أم مازن اليمن. قلت: من مازن ربيعة، قال لي با اسمك؟ يريد ما اسمك، وهي لغة كثيرة في قومنا، فقلت على القياس: اسمي مكر، وفي رواية فقلت: اسمي بكر. فضحك وأعجبه ذلك، وفطن لما قصدت، فإني لم أجرو أن أواجهه بالمكر، فضحك وقال: اجلس فاطيبن، أي فاطمي، فجلست فسألني عن البيت، فقلت: صوابه إن مصابكم رجلاً، قال: فأين خبر إن؟ قلت: ظلم، وهو الحرف في آخر البيت، والبيت كله متعلق به، لا معنى له حتى يتم بقوله: ظلم، ألا ترى أنه لو قال: أظلم إن مصابكم رجلاً، أهدى السلام تحية، فكأنه لم يفد شيئاً، حتى يقول ظلم، ولو قال أظلم إن مصابكم رجل، أهدى السلام تحية، لما احتاج إلى ظلم ولا كان له معنى إلا أن تجعل التحية بالسلام ظلماً، وذلك محال. ويجب حينئذ: أظلم إن مصابكم رجل، أهدى السلام تحية ظلماً، ولا معنى لذلك، ولا هو لو كان له وجه مراد الشاعر. فقال: صدقت، ألك ولد؟ قلت: بنية لا غير قال: فما قالت لك حين ودعتها. قلت: أنشدتني قول الأعشى:

تقول ابنتي حي جد الرحيل
أبانا فلا رمت من عندنا
أرانا إذا أضمرتك البلاد

فقال الواصل: كآني بك، وقد قلت لها قول الأعشى أيضاً:

تقول بنتي وقد قربت مرتحلاً
عليك مثل الذي صليت فاعتصمي
يوماً فإن لجنب المرء مضطجعا

فقلت: صدق أمير المؤمنين. قلت لها ذلك، وزدتها قول جرير:

تقي بالله ليس له شريك
ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال: ثق بالنجاح إن شاء الله تعالى، إن ههنا قوماً يختلفون إلى أولادنا فامتحهم، فمن كان عالماً ينتفع به، أئزمناهم إياه، ومن كان بغير هذه الصفة، قطعناهم عنه قال: فامتحنتهم، فما وجدت فيهم طائلاً، وحذروا ناحيتي. فقلت: لأبأس على أحد منكم، فلما رجعت إليه قال: كيف رأيتهم؟ فقلت يفضل بعضهم بعضاً في علوم، ويفضل الباقي في غيرها. وكل يحتاج إليه. فقال الواصل: إني خاطبت منهم رجلاً، فكان في نهاية الجهل في خطابه وطره. فقلت: يا أمير المؤمنين، أكثر من تقدم فهم بهذه الصفة، وقد أنشدت فيهم:

إن المعلم لا يزال مضجعاً
ولو ابنتي فوق السماء سماء
من علم الصبيان أضنوا عقله
مما يلاقي بكرة وعشاء

قال: فقال لي: لله درك، كيف لي بك؟ فقلت يا أمير المؤمنين: إن الغنم لفي قربك، والنظر إليك، والأمن والفوز لديك، ولكي ألفت الوحدة، وأنست بالافراد، ولي أهل يوحشني البعد عنهم، ويضر بهم ذلك، ومطالبة العادة أشد من مطالبة الطباع. فقال لي: فلا تقطعنا وإن لم نطلبك. فقلت: السمع والطاعة، وأمر لي بألف دينار، وفي رواية بخمسمائة دينار وأجرى علي في كل شهر مائة دينار. وزاد الزبيدي قال وكنت بحضرته يوماً، فقلت لابن قادم، أو ابن سعدان، وقد كابرني، كيف تقول نفقتك ديناراً أصلح من درهم؟ فقال: دينار بالرفع. قلت: فكيف تقول: ضربك زيدا يخر لك، فتتصب زيدا، فطالبت بالفرق بينهما فانقطع. وكان ابن السكيت حاضراً فقال الواصل: سله عن مسألة. فقلت له: ما وز نكتل من الفعل فقال: نفع. فقال الواصل: غلطت. ثم قال لي: فسر، فقلت: ونكتل تقديره نفتعل، وأصله نكتيل، فانقلبت الياء ألفاً لفتحة ما قبلها، فصار لفظها نكتال، فأسكنت اللام للجزم، لأنه جواب الأمر، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين. فقال الواصل: هذا الجواب، لا جوابك يا يعقوب. فلما خرجنا قال لي يعقوب: ما حملك على هذا وببي وبينك المودة الخاصلة؟ فقلت: والله ما قصدت تخطبتك، ولم أظن أنه يعزب عنك ذلك. ولهذا البيت قصة أخرى في أخبار ابن السكيت.

قال المبرد: سألت المازني عن قول الأعشى:

هذا النهار بدا لها من همها
ما بالها بالليل زال زوالها

فقال: نصب النهار على تقدير، هذا الصدود بدا لها النهار، واليوم والليلة. والعرب تقول: زال وأزال: بمعنى، ففقول: زال زوالها. وحدث الزبيدي قال: قال المازني: وحضرت يوماً عند الواصل وعنده نحة الكوفة، فقال لي الواصل: يا مازني: هات مسألة، فقلت: ما تقولون في قوله تعالى: (وما كانت أمك بغياً). لم لم يقل بغية، وهي صفة لمؤنث فأجابوا بجوابات غير مرضية. فقال الواصل: هات ما عندك. فقلت: لو كان بغياً على تقدير فعيل بمعنى فاعلة، لحقتها الهاء، مثل كريمة وظريفة، وإنما تحذف الهاء إذا كانت في معنى مفعولة، نحو: المرأة قتيل وكف خضيب، وبغياً ههنا ليس بفعيل، إنما هو فعول، وفعول لا تلحقه الهاء

في وصف التأنيث، نحو: امرأة شكور، وبئر شظون، إذا كانت بعيدة الرشاء، وتقدير بغي بغوي، قلبت الواو ياء، ثم أدغمت في الياء، فصارت ياء ثقيلة: نحو سيد وميت. فاستحسن الجواب.

قال المازني: ثم انصرفت إلى البصرة، فكان الوالي يجري علي المائة دينار في كل شهر، حتى مات الواصل، فقصعت عني. ثم ذكرت للمتوكل فأشخصني، فلما دخلت إليه، رأيت من العدد وال سلاح، والأثر ما را عني، والفتح بن خاقان بين يديه، وخشيت إن سئلت عن مسألة ألا أجيب فيها. فلما مثلت بين يديه وسلمت، قلت: يا أمير المؤمنين، أقول كما قال الأعرابي؟:

لا تقلوها وادلوها دلو
إن مع اليوم أخاه غدوا
قال أبو عثمان: فلم يفهم عني ما أردت، واستبردت فأخرجت. والقلو: رفع السير، والدلو: إدناؤه.

ثم دعاني بعد ذلك فقال: أنشدني أحسن مرثية قالت العرب. فأنشدته قول أبي ذؤيب:

أمن المنون وريبها تتوجع؟

وقصيدة متمم بن نويرة:

لعمري وما دهري بتأبين هالك

وقول كعب الغنوي:

تقول سليمان ما لجسمك شاحباً

وقصيدة محمد بن منذر:

كل حي لاقى الحمام فمودي

فكان كلما أنشدته قصيدة يقول: ليست بشيء. ثم قال: من شاعركم اليوم بالبصرة؟ قلت: عبد الصمد ابن المعذل، قال: فأنشدني له، فأنشدته أبياتاً قالها في قاضينا ابن رباح:

رأى قومي فارقي قطره

فماذا البرد والفترة

عجاج القصف يا حره

وتجعيدك للطره

أيا قاضية البص

ومري بروشنك

أراك قد تثيرين

بتجذيفك خديك

قال: فاستحسنها واستطار لها، وأمر لي بجائزة. قال: فجعلت أعمل له أن أحفظ أمثالها، فأنشده إذا وصلت إليه، فيصلني. وكان المازني يفضل الواصل. وللمازني شعر قليل، ذكر منه المرزباني:

رأى النساء وإمرة الصبيان

وأخو الصبا يجري بكل عنان

شيثان يعجز ذو الرياضة عنهما

أما النساء فإنهن عواهر

ولما مات المازني، اجتازت جنازته على أبي الفضل الرياشي فقال متمثلاً:

أفناهم حدثان الدهر والأبد

ولا ينوب إلينا منهم أحد

لا يبعد الله أقواماً رزئتهم

نمدهم كل يوم من بقيتنا

قال محمد بن إسحاق: وللمازني من الكتب: كتاب في القرآن كبير، كتاب علل النحو صغير، كتاب تفاسير كتاب سيبويه، كتاب ما يلحن فيه العامة، كتاب الألف واللام، كتاب التصريف، كتاب العروض، كتاب القوافي، كتاب الديباج في جوامع كتاب سيبويه، قرأت بخط الأزهرى منصور، في كتاب نظم الجمان، تصنيف الميداني قال: سئل المازني عن أهل العلم، فقال: أصحاب القرآن فيهم تخطيط وضعف، وأهل الحديث فيهم حشو ورقاعة، والشعراء فيهم هوج، وأصحاب النحو فيهم ثقل، وفي رواية الأخبار الظرف كله، والعلم هو الفقه. وتصانيف المازني كلها لطاف، فإنه كان يقول: من أراد أن يصنف كتاباً كبيراً في النحو، بعد كتاب سيبويه فليستح، ويحوي كتاب سيبويه في كنهه عدة كتب. حدث محمد بن رستم الطبري قال: أنبأنا أبو عثمان المازني قال: كنت عند سعيد بن مسعدة الأخفش، أنا وأبو الفضل الرياشي، فقال الأخفش: إن منذ إذا رفع بها، فهي اسم مبتدأ وما بعدها خبرها، كقولك: ما رأيته منذ يومان، فإذا خفض بها، كقولك: ما رأيته منذ اليوم فحرف معنى ليس باسم. فقال له الرياشي: فلم لا يكون في الموضع اسماء؟ فقد نرى الأسماء تخفض وتنصب، كقولك هذا ضارب زيداً غداً، وضارب زيد أمس، فلم لا تكون بهذه المنزلة؟ فلم يأت الأخفش بمقنع. قال أبو عثمان: فقلت له: لا يشبه منذ ما ذكرت، لأننا لم نر الأسماء هكذا تلزم موضعاً، إلا إذا ضارعت حروف المعاني، نحو أين، وكيف، فكذلك منذ هي مضارعة لحروف المعاني، فلزمت موضعاً واحداً.

قال الطبري: فقال ابن أبي زرعة للمازي: أفرأيت حروف المعاني، تعمل عملين مختلفين متضادين؟ قال نعم، كقولك قام القوم حاشا زيد وحاشا زيدا، وعلى زيد ثوب، وعلا زيد الفرس، فتكون مرة حرفاً، ومرة فعلاً بلفظ واحد.

وحدث المبرد قال: سمعت المازني يقول: معنى قولهم: إذا لم تستح فاصنع ما شئت. أي إذا صنعت ما لا يستحي من مثله، فاصنع منه ما شئت، وليس على ما يذهب العوام إليه. قلت: وهذا تأويل حسن جداً.

قال أبو القاسم الزجاجي: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن رستم الطبري قال: حضرت مجلس أبي عثمان المازني وقد قيل له: لم قلت روايتك عن الأصمعي؟ قال: رميت عنده بالقدر، والميل إلى مذاهب أهل الاعتزال، فجنّته يوماً وهو في مجلسه، فقال لي: ما تقول في قول الله عز وجل: (إنا كل شيء خلقناه بقدر). قلت: سيبويه يذهب إلى أن الرفع فيه أقوى من النصب في العربية، لاستعمال الفعل المضمر، وأنه ليس ههنا شيء هو بالفعل أولى، ولكن أبت عامة القراء إلا النصب، ونحن نقرؤها كذلك اتباعاً، لأن القراءة سنة. فقال لي: فما الفرق بين الفع والنصب في المعنى؟ فعلمت مراده، فخشيت أن تغري بي العامة فقلت: الرفع بالابتداء، والنصب بإضمار فعل، وتعاميت عليه.

فقال: حدثني جماعة من أصحابنا أن الفرزدق قال يوماً لأصحابه: قوموا بنا إلى مجلس الحسن لابصري، فإني أريد أن أطلق النوار، وأشهده على نفسي. فقالوا له: لا تفعل، فلعن نفسك تتبعها وتندم. فقال: لا بد من ذلك، فمضوا معه، فلما وقف على الحس قال له: يا أبا سعيد، تعلمن أن النوار طالت ثلاثاً، قال: قد سمعت، فنتبعتها نفسه بعد ذلك، وندم وأنشأ يقول:

ندمت ندامة الكسعي لما	غدت مني مطلقة نوار
وكانت جنتي فخرجت منها	كأدم حين أخرجه الضرار
ولو أني ملكت يدي ونفسي	لكان علي للقدر الخيار

ثم قال: والعرب تقول: لو خيرت لاخترت، تحيل على القدر، وينشدون:

هي المقادير فلمني أو فذر	إن كنت أخطأت فلم يخط القدر
--------------------------	----------------------------

ثم أطبق عليه وقال: نعم القناع للقدري، فأقلت غشيانه بعد ذلك.

قال المبرد: حدثني المازني قال: مررت ببني عقيل، فإذا رجل أسود قصير، أعور أبرص أكشف، قائم على تل سماء وهو يملأ جواليق معه من ذلك المساد، وهو يغني بأعلى صوته:

فإن تصرمي حبلي وتستكرهي وصلي	فمثلك موجود ولن تجدي مثلي
------------------------------	---------------------------

فقلت: صدقت والله، ومتى تجد ويحك مثلك؟ فقال: - بارك الله عليك - واسمع خيراً، ثم اندفع لينشد:

يا ربة المطرف والخلخال	ما أنت من همي ولا أشغالي
مثلك موجود ومثلي غالي	

بندار بن عبد الحميد الكرخي الأصبهاني

يعرف بابن لرة، ذكره محمد بن إسحاق في الفهرست فقال: أخذ عن أبي عبيد القاسم بن سلام، وأخذ عنه ابن كيسان.

وقال ابن الأنباري عن ابنه القاسم: كان بندار يحفظ سبعمائة قصيدة، أول كل قصيدة بانئت سعاد. قال المؤلف: وبلغني عن لاشيخ الإمام أبي محمد الخشاب أنه قال: أمعنت التفتيش والتتقير فلم أقع على أكثر من ستي قصيدة، أولها بانئت سعاد. وفي كتاب أصبهان: كان بندار بن لرة، متقدماً في علم اللغة ورواية الشعر، وكان مم استوط الكرخ، ثم خرج منها إلى العراق، فظهر هناك فضله، وكان الطوسي صاحب ابن الأعرابي، يوصي أصحابه بالأخذ عن بندار، ويقول: هو أعلم مني ومن غيري، فخذوا عنه. قال: وحدث أبو بكر بن الأنباري في أماليه ببغداد قال: سمعت أبا العباس الأموي يقول: كان بندار بن لرة الأصبهاني، أحفظ أهل زمانه للشعر، وأعلمهم به. أنشدني عن حفظه ثمانين قصيدة، أول كل قصيدة بانئت سعاد.

قال حمزة: وحدثني النوشجان بن عبد المسيح قال: سمعت المبرد يقول: كان سبب غناي بندار بن لرة الأصبهاني، وذلك أنني حين فارقت البصرة، وأصعدت إلى سامراء، وردتها في أيام المتوكل، فأخيت بها بندار بن لرة، وكان واحد زمانه في رواية

دواوين شعر العرب، حتى كان لا يشذ عن حفظه، من شعر شعراء الجاهلية والإسلام إلا القليل، وأصح الناس معرفة باللغة، وكان له كل أسبوع دخلة على المتوكل، فجمع بيني وبين النحويين في داره في مجالس، ومرت ليلة، فرفع حديثي إلى الفتح بن خاقان، ثم توصل إلى أن وصفني للمتوكل، فأمر بإحضاري مجلسه.

وكان المتوكل يعجبه الأخبار والأنساب، ويروي صدرها منها، يمتح من يراه بما يقع فيها من غريب اللغة، فلما دنوت من طرف بساطه، استنداني حتى صرت إلى جانب بNDAR، فأقبل علينا وقال: يا بن لرة، ويا بن يزيد، ما معي هذه الأحرف التي جاءت في هذا الخبر؟ ركبت الدجوجي، وأمامي قبيلة، فنزلت ثم شربت الصباح، فمررت وليس أمامي إلا نجيم، فركضت أمامي النحوص والمسحل والعمردين فقتصت ثم عطفت ورائي إلى قلوب فلم أزل به حتى أدقته الحمام، ثم رجعت ورائي، فلم أزل أمارس الأغصاف في قتله، فحمل علي، وحملت عليه حتى خر صريعاً. قال المبرد: فبقيت متحيراً، فبدر بNDAR وقال: يا أمير المؤمنين، في هذا نظر وروية، فقال: قد أجلتكم بياض يومي، فأنصرفا وبكراني غداً، فخرجنا من عنده، فأقبل بNDAR علي وقال: إن ساعدك الجد ظفرت بهذا الخبر، فاطلب فأني طالبه، فأنقلبت إلى منزلي، وقلبت الدفاتر ظهراً لبطن، حتى وقفت على هذا الخبر، في أثناء أخبار الأعراب، فتحفظته، وبكرت بNDAR فأفضته معي وصحبناه، وبدأت فرويت الخبر، ثم فسرت ألفاظه، فالتفت إلى بNDAR وقال: ابن يزيد فوق ما وصفتكم. ثم قال للغلام: علي بالخازن، فحضر فقال له: اخرج إلى ابن يزيد، وقل للحاجب: يسهل إذنه علي، فصار ذلك أصل مالي. وكان بNDAR - رحمه الله - أصله وسببه. قرأت بخط عبد السلام البصري، في كتاب عقلاء المجانين، لأبي بكر بن محمد الأزهرى: حدثنا محمد ابن أبي الأزهر قال: كنت يوماً في مجلس بNDAR بن لرة الكرخي، بحضرة منزله، في درب عبد الرحيم الرزامي بDKAN الأبناء، وعنده جماعة من أصحابه، إذ هجم علينا المسجد بردعة الموسوس، ومعه مخلاة فيها دفاتر، وجزازات، وقد تبعه الصبيان، فجلس إلى جانب بNDAR، وكان بNDARاً فرق منه، فقال له: اطرد ويلي هؤلاء الصبيان عني، فقال لهم: اطردوهم عنه، فوثبت أنا من بين أهل المجلس، فصحت عليهم وطردتهم فجلس ساعة، ثم وثب فنظر هل يرى منهم أحداً، فلما لم يرههم، رجع فجلس ساعة ثم قال: اكتبوا: حدثني محمد ابن عسكر، عن عبد الرزاق، عن معمر قال: سئل الشعبي ما اسم امرأة إبليس؟ فقال: هذا عرس لم أشهد إملكه. ثم أقبل على بNDAR، فقال: يا شيخ، ما معنى قول الشاعر؟:

وكننت إذا ما جئت ليلى تبرقت
فقد رابني منها الغداة سفورها

فقال لا بNDAR: أجيبوه. فقال: يا مجنون، أسألك ويجيب غيرك! فقال بNDAR: يقول إنه لما رآها فعلت ما فعلته من سفورها، ولم يكن يعهد منها، علم أنها قد حذرت من بحضرتها، ليحجم عن كلامها، وانبساطه إليها، فضحك ومسح يده على رأس بNDAR وقال: أحسنت يا كيس، وكان بNDAR قد قارب في ذلك الوقت تسعين سنة.

بهراد بن يعقوب، بن خرزاد

أبي يعقوب، يوسف بن يعقوب، بن خرزاد النجيري، راوية نحوي في طبقة أبيه، مات قبل أبيه بما يقارب الثلاثة شهور بمصر، وذلك لسبع خلون من شوال، سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، قال السمعاني في كتاب الأنساب: نجيرم، محلة بالبصرة، إليها ينسب النجيرميون.

باب الناء

تمام بن غالب بن عمرو، يعرف بابن التيان

أبو غالب المرسى الأندلسي. بخط بن يحلم، قال سعد الخير: مرسية بلدة حسنة من بلاد الأندلس، كثيرة التين، يجلب منها إلى سائر البلدان، فلعله نسب إليه لبيع التي. ذكره الحميدي فقال: كما إماماً في اللغة، وثقة في إيرادها، مذكوراً بالديانة والورع، مات بالمرية في جمادى، سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وله كتاب تلفيح العين في اللغة، لم يؤلف مثله اختصاراً وإكثاراً، وله فيه قصة تدل على فضله، وذلك أن الأمير أبا الجيش، مجاهد بن عبد الله العامري، وهو أحد المتغلبين على تلك النواحي، وجه إلى أبي غالب هذا - أيام غلبته على مرسية وأبو غالب ساكن بها - ألف دينار أندلسية، على أن يزيد في ترجمة هذا الكتاب مما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد. فرد الدنانير ولم يفعل، وقال: والله لو بذل لي ملء الدنيا ما فعلت، ولا استجزت الكذب، فأني لم أجمعه له خاصة، لكن لكل طالب عامة.

قال الحميدي: فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها واعجب لنفس هذا العالم وزاقتها: وقال أبو القاسم، خلف بن عبد الملك، بن بشكوال الأنصاري الأندلسي: في كتاب الصلة من تصنيفه، وهو كتاب وصل به كتاب ابن الفرضي في تاريخ الأندلسيين، قال

ابن حبان: وله كتاب جامع في اللغة، سماه تلقيح العين، جم الإفادة، وكان بقية شيوخ اللغة الضابطيين لحروفها، الحاذقين بمقاييسها وكان ثقة صدوقاً عفيفاً، وذكر وفاته كما تقدم.

توفيق بن محمد، بن الحسين، بن عبيد الله

ابن محمد، بن زريق، أبو محمد الإطرابلسي النحوي، كان جده محمد بن زريق، يتولى أمر الثغور من قبل الطائع لله، وانتقل ابنه عبيد الله إلى الشام، وولد توفيق بإطرابلس، وسكن دمشق، وكان أديباً فاضلاً، شاعراً، وكان يتهم بقلّة الدين، والميل إلى مذاهب الأوائل، ومن شعره:

وجلنار كأعراف الديوك على	خصر يميم كآذاب الطواويس
مثل العروس تجلت يوم زينتها	حمراء تجلى على خضر الملايس
في مجلس لعبت أيدي السرور به	لدى عريش يحاكي عرش بلقيس
سقى الحيا أربعاً تحيا النفوس بها	ما بين مقري إلى باب الفراديس

مات في صفر، سنة عشرة وخمسمائة، ودفن بمقبرة باب الفراديس.

باب الناء

ثابت بن الحسين، بن شراعة

أبو طالب التميمي الأديب، ذكره شيرويه فقال: روى عن ابن سلمة، وابن عيسى وأبي الفضل، محمد ابن عبد الله الرشدي، ومنصور بن رامش، والريحاني وغيرهم. سمعت منه، وكان صدوقاً. توفي في العشر الأخير من صفر، سنة تسع وستين وأربعمائة.

ثابت بن أبي ثابت، علي بن عبد الله الكوفي

قال الزبيدي: كان من أمثل أصحاب أبي عبيد القاسم بن سلام، وقيل: اسم أبي ثابت سعيد.

وقال النديم: قال السكري: اسم أبي ثابت محمد، لغوي، لقي فصحاء الأعراب، وأخذ عنهم، وهو من كبار الكوفيين. قال محمد بن إسحاق: وله من الكتب: كتاب خلق الإنسان، كتاب الفرق: كتاب الزجر والدعاء، كتاب خلق الفرس، كتاب الوحوش، كتاب مختصر العربية، كتاب العروض.

ثابت بن أبي ثابت، عبد العزيز اللغوي

الذي له كتاب خلق الإنسان، من علماء اللغة. يروي عن أبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي الحسن علي ابن المغيرة الأثرم، والليثاني، وأبي نصر أحمد بن حاتم، وسلمة بن عاصم التميمي، وأبي عبد الله محمد بن زياد وآخرين، روى عنه أبو الفوارس داود بن محمد، ابن صالح المروزي النحوي، المعروف بصاحب ابن السكيت، وابنه عبد العزيز بن ثابت. واسم أبي ثابت أبيه، عبد العزيز، من أهل العراق، جليل القدر، موثق به، مقبول القول في اللغة، يعرف بوراق أبي عبيد.

ثابت بن سنان، الصابي،

بن ثابت، بن قرة، بن مروان الصابي، أبو الحسن، الطبيب المؤرخ، مات فيما ذكره هلال ابن المحسن، لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، سنة خمس وستين وثلاثمائة، وكان قد ذكر في تاريخه إلى آخر سنة ستين، ووصل هلال بن المحسن من أول سنة إحدى وستين وثلاثمائة، وكان أبو الحسن طبيباً حاذقاً، وأديباً بارعاً، وله كتاب التاريخ، الذي ابتدأ به من أول أيام المقتدر، وله كتاب مفرد في أخبار الشام ومصر، مجلد واحد. وقال أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي، يرثي خاله أبا الحسن، ثابت بن سنان، ابن ثابت، بن قرة:

أسمع أنت يا من ضمه الجدف نشيح باك حزين دمه يكف

يكاد منها حجاب الصدر ينكشف
لربها أنه ذو غلة أسف
تشفي العليل إذا ما شفه الدنف
وكنت ذائدها والروح تختطف
أطنها ضارب من زندها نطف
أفت في عضد الباغي وانتصف
الدين والعقل والعلياء والشرف
ممهداً جسمه من عمة ترف
فيها التراب فمنها الفرش واللحف

وزفرة من صميم القلب مبعثها
أثبتت بن سنان دعوة شهدت
ما بال طبك ما يشفي وكنيت به
غالتك غول المنايا فاستكننت لها
فارتقتي كفراق الكف صاحبها
فتت في عضدي يا من غنيت به
ثوى بمغناك في لحد سكنت به
لهفي عليك كريماً في عشيرته
قد أسلموه إلى غبراء يشمله

ثابت بن محمد الجرجاني

أبو الفتوح، ذكره الحميدي في كتاب الأندلسيين فقال: دخل إلى الأندلس وجال في أقطارها، وبلغ إلى ثغورها، واجتمع بملوكها، وكان إماماً في العربية، متمكناً في علم العرب.

قال ابن بشكوال: قتل في محرم سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، قتله باديس بن حبوس، أمير صنهاجة، لتهمة لحقته عنده، في القيام عليه مع اب عمه بيدر بن جباسة. ومولده سنة خمسين وثلاثمائة. وكان مع تحفقه بالأدب. قيماً بعلم المنطق، ودخل بغداد وأقام بها طالباً، وأملى بالأندلس كتاب شرح الجمل للزجاج. روى ببغداد عن اب جني، وعلي بن عيسى الربيعي، وعبد السلام بن الحسين البصري، وروى كثيراً من علم الأدب.

وحدث الحميدي عن أبي محمد علي بن أحمد، عن البراء ابن عبد الملك الباجي قال: لما ورد أبو الفتوح الجرجاني الأندلس، كان أول من لقي من ملوكها، الأمير الموفق أبا الجيش مجاهداً العامري، فأكرمه وبالغ في إكرامه، فسأله عن رفيقه، من هذا معك؟ فقال:

وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

رفيقان شتى ألف الدهر بيننا

قال أبو محمد: ثم لقيت بعد ذلك أبا الفتوح، فأخبرني عن بعض شيوخه: أن ابن الأعرابي رأى في مجلسه رجلي يتحادثان، فقال لأحدهما: من أين أنت؟ فقال: من إسبيجاب، وقال للآخر: من أين أنت؟ فقال: من الأندلس، فعجب ابن الأعرابي، فأنشد البيت المقدم، ثم أنشدني تمامها:

لها نسب في الصالحي هجان
لأية أرض أم من الرجالن؟
تميم وأما أسرتي فيماني
وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

نزلت على قيسية يمنية
فقال وأرخت حانب الستر دوننا
فقلت لها: أما رفيقي فومه
رفيقان شتى ألف الدهر بيننا

أبو ثروان العكلي

أحد بني عكل، وعكل: اسم امرأة حضنت ولد عوف بن وائل، بن قيس، بن عوف، بن عيد مناف، ابن أد، بن طابخة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان. وهي أمة لهم، وأهم بنت ذي اللحية ابن حمير، وكان ثطاً فسمي بضد صفته، وبنو عوف ابن وائل: الحارث، وجشم، وسعد، وعلي، وقيس درج ولا عقب له، فكل من ولده واحد من هؤلاء، كان عكلياً. وكان أبو ثروان أعرابياً بدوياً، تعلم في البادية لدى، ذكره يعقوب بن السكيت، ووجد بخطه، وكان فصيحاً. قال محمد بن إسحاق: وله من الكتب: كتاب خلق الفرس، كتاب معاني الشعر.

باب الجيم

جبر بن علي، بن عيسى،

ابن الفرج، بن صالح، أبو البركات الربيعي الزهيري، ووالده أبو الحسن علي بن عيسى، هو النحوي المشهور، صاحب أبي علي الفارسي، وكان أبو البركات هذا، أحد الأدباء البلغاء الفصحاء.

قال محمد بن عبد الملك الهمذاني، كان ينوب عن الوزراء ببغداد، وله اليد الطولى في الكتابة، وجن في شببته، فكان يتعمم بحبل البئر، وادعى النبوة في ذلك الوقت، وعولج حتى برأ. وللبصري وغيره فيه مدائح. ومات في سنة تسع وأربعين وأربعمائة.

جعفر بن أحمد المروزي

أبو العباس، ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: هو أحد جماعي ومؤلفي الكتب، في أنواع من العلم، وكتبه كثيرة جداً، وهو أول من ألف كتاباً في المسالك والممالك، ولم يتم. مات بأهواز وحملت كتبه إلى بغداد، وبيعت في طاق الحراني سنة أربع وسبعين ومائتين. فمن كتبه: كتاب المسالك والممالك، كتاب الآداب الكبير، كتاب الآداب الصغير، كتاب الناجم، كتاب تاريخ القرآن لتأييد كتب السلطان، كتاب البلاغة والخطابة.

جعفر بن أحمد، بن عبد الملك، بن مروان

اللغوي، أبو مروان الإشبيلي، يعرف بابن الغاسلة، روى عن القاضي أبي بكر بن زرب، وأبي عو ابنه، والمعيطي، والزيدي، وكان بارعاً في الأدب واللغة، ومعاني الشعر والخبر، ذا حظ من علم السنة. توفي سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة، ومولده سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.

جعفر بن أحمد، السراج

بن الحسين، بن أحمد، بن جعفر السراج أبو محمد القارئ البغدادي، سمع أبا علي بن شاذان، وأبا القاسم بن شاهين، وأبا محمد الخلال، وأبا الفتح بن شيطاء، وأبا الحسين التوزي، وأبا القاسم التنوخي. قال ابن عساكر: قرأت بخط غيث بن علي الصوري: جعفر بن أحمد بن الحسين، ذو طريقة جميلة، ومحبة للعلم والأدب، وله شعر لأبأس به، وخرج له شيخنا الخطيب فوائد، وتكلم عليها في خمسة أجزاء، وكان يسافر إلى مصر وغيرها، وتردد إلى صور عدة دفعات، ثم قطن بها زماناً، وعاد إلى بغداد، وأقام بها إلى أن توفي. كتب عنه ولم يكن به بأس. وله تصانيف: منها مصارع العشاق، كتاب زهد السودان. ونظم أشعاراً كثيرة في الزهد، والفقه، وغير ذلك.

قال الصوري: قال لي: ولدت سنة تسع عشرة وأربعمائة، وسمعت الحديث، ولي خمس سنين. وقرأت بخط أبي المعمر الأنصاري: توفي جعفر السراج، في حادي عشر من صفر، سنة خمس مائة، ودفن بمقبرة باب أبرز، وكان ثقة. وقال السمعاني: مولده سنة سبع عشرة، أو ست عشرة. ومن شعره:

أفلح عبد عصى هواه
ولم يرح مدمناً لخم

ومن شعره:

يا من إذا ما رضيت حكماً
قد مدح الله أمة جعلت

وقال جعفر بن أحمد السراج نقلاً من كتاب الخريدة:

قضت وطراً من أرض نجد وأمت
وخبرها الرواد أن لحاجر
ولاح لها برق من الغور موهناً
فميلن بالأعناق عند وميضه
وغنى لها الحادي فأذكرها الحمى
وقد شركتني في الحنين ركائبي

عقيق الحمى مرخى لها في الأزمة
حيّاً نورت منه الرياض فحنت
كشعلة نار للطوارق شبت
تراقص في أرسائها واستمرت
وأيامها فيه وساعات وجرة
وزدن علينا رة بعد رنة

وعز بهم ماء ردوا ماء عبرتي
ليالي لاصبا من بعد ما قد تولت

أقول لركب مجهشين تطوحوا
ألا ليت شعري هل تعود رواجعاً

قرأت بخط الحسن بن جعفر، بن عبد الصمد، بن المتوكل في كتابه: حدثني الشيخ أبو الفضائل بن الخاضبة قال: دخل الشيخ أبو سعد بن أبي عمارة الواعظ، إلى المسجد المعلق، مقابل دار الخلافة، وكان فيه الشيخ أبو محمد بن السراج ليسلم عليه، فالتقاه الشيخ أبو بكر بالرحب والسعة، وتعانقا، وجلسا يتذاكران، فجاء الشيخ أبو نصر الأصبهاني، فصعد إليهما، وقد كان في الحمام، فكشف رأسه، وقعد يستريح من كرب الحمام، فقال له الشيخ أبو محمد: غط رأسك لا ينالك الهوى، فتتأذى، فقال الشيخ أبو سعد: لعله يجد فيه راحة.

أنبأنا أبو محمد عبد العزيز بن الأخضر شيخنا - رحمه الله - قال: سمعت أبا الكرم المبارك بن الحسن، ابن الشهرزوري المقرئ يقول: كنت أقرأ على أبي محمد جعفر، بن محمد السراج، وأسمع منه، فضاق صدري منه لحاله، فانقطعت عنه، ثم ندمت وقلت: يفوتني منه بانقطاعي عنه فوائد كثيرة، فقصيدته في مسجده المعلق، الحادي لباب النوبي، فلما وقع نظره علي، رحب بي وأنشدني لنفسه:

فزوري قد تقضى الشهر زوري
إلى البلد المسمى شهر زور
ولكن شهر وصلك شهر زور

وعدت بأن تزوري بعد شهر
وموعد بيننا نهر المعلى
فأشهر صدك المحتوم حق

ومن شعره:

فإن الأحبة أضحوا خمودا
فبدلهم بالقصور اللحودا
فأفنت ضعيفهم والشديدا
عليهم غزار تروى الصعيدا

دع الدمع بالوكف ينكى الخدودا
دعا بهم هاتف الحادثات
دنت منهم نوب للردى
دموع يكفكفهن الأسى

وقد مزق الدود منهم جلودا
وجعل كتاب مصارع العشاق أجزاء، وكتب على كل جزء أبياتاً من قوله، فكان على الجزء الأول:
صرعتهم أيدي نوى وفراق
وتطلب الراقي فعز الراقي

دجاهم وصبحهم واحد
وجعل كتاب مصارع العشاق أجزاء، وكتب على كل جزء أبياتاً من قوله، فكان على الجزء الأول:
هذا كتاب مصارع العشاق
تصنيف من لدغ الفراق فؤاده
وأنشد له السمعاني في المزيد:

حذر الواشي السري من ذي طوى
بين أجزاع زرود فاللوى
طيفها الطارق من مس الجوى
بيننا وهناً على رغم النوى
ليس مشغول وخال بالسوى

حبذا طيف سليمى إذ طوى
وأتى الحي طروقاً وهم
بت أشكو ما ألاقيه إلى
أشكر الأحلام لما جمعت
أيها العاذل دعني والهوى

وأنشد له:

راحة للقلب في أرض سواها
هاج أشواقى أو هبت صباها
تبذل الود وتصفيها هواها
ورماها البين من حيث رماها
زارنا والعين قد زال كراها

حبذا نجد بلاداً لم نجد
فإذا ما لاح منها بارق
لست أنسى إذ سلمي جارة
ثم لما شطت الدار بها
أرسلت طيف كرى لكنه

ومن شعره أيضاً:

على الدار نبكيها سقي ربعها المز
فلو أرسلت سفن بها جرت السف

وقفنا وقد شطت بأحبابنا النوى
وزادت دموع الواكفين برسمها

ولم يبق صبر يستعان على النوى
سألنا الصبا لما رأينا غرامنا
أفيك لحمل الشوق يا ريح موضع
فقد ضعفت عن حمل أشواقنا البدن
به بعد توديع الخليط ولا جفن
يزيد بسكان الحمى والهوى يدنو

جعفر بن إسماعيل، بن القاسم القالي

هو ولد أبي علي القالي الذي تقدم ذكره، وأبو علي والده. هو صاحب الأمالي وغيرها من التصانيف المشهورة، وكان جعفر هذا أيضاً أديباً فاضلاً أريباً، وهو القائل في المنصور محمد بن أبي عامر، أمير الأندلس يمدحه:
وكتيبة للشيب جاءت تبتغي
فكأن هذا جيش كل مثلث
وكان تلك كتيبة المنصور
قتل الشباب ففر كالمذعور

جعفر بن الفضل، بن جعفر،

بن محمد، بن موسى ابن الحسن، بن الفرات، أبو الفضل المعروف بابن حنزابية، وحنزابية اسم أمهم، كانت جارية، وكانت حنزابية حماة المحسن بن الفرات بمصر، وكان وزيراً فاضلاً بارعاً كاملاً، وزر بمصر لأنوجور بن أبي بكر الأخسيد، ثم لأخيه أبي الحسن علي، ثم لكافور إلى أن انقضت دولة الأخشيديّة، وإليه رحل أبو الحسن الدارقطني، حتى صنف له ما صنف في مصر. مات في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، ومولده سنة ثمان وثلاثمائة.

وفي تاريخ أبي محمد أحمد بن الحسين، بن أحمد، ابن أحمد، بن محمد، بن عبد الرحمن الروذباري: أن ابن حنزابية، مات في ثالث عشر من صفر، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، في أيام الحاكم، وفي سنة تسع وتسعين، قتل الحاكم ابنه أبا الحسين بن جعفر، بن الفضل، بن الفرات، وكان يلقب بسيدوك. وفي سنة خمس وأربعمائة، ولي وزارة الحاكم أبو العباس، الفضل ابن جعفر بن الفضل، بن الفرات ابنه الآخر، وضمن ما لم يعرفه، فقتل بعد خمسة أيام من ولايته.

ويروى لأبي الفضل جعفر هذان البيتان، ولا يعرف له شعر غيره:

من أحمل النفس أحياء وروحها
إن الرياح إذا اشتدت عواصفها
ولم يبت طاوياً منها على ضجر
فليس ترمي سوى العالي من الشجر

قال يحيى بن مندة: قدم أبو الفضل بن حنزابية أصفهان، وسمع من عبد الله بن محمد، بن عبد الكريم، ومحمد بن حمزة بن عمارة، والحسن بن محمد الداركي، وسمع ببغداد، من محمد بن هارون الحصري، ومن في طبقته. وهو أحد الحفاظ حسن العقل، كثير السماع، مائل إلى أهل العلم والفضل، نزل مصر، وتقلد الوزارة لأمرها كافور، وكان أبوه وزير المقتدر بالله. وبلغني أنه كان يذكر أنه سمع من عبد الله بن محمد البغوي مجلساً، ولم يك عنده. وكان يقول: من جاءني به أغنيته، وكان عالي الحديث بمصر، وإليه خرج أبو الحسن الدارقطني إلى هناك، لأنه يريد أن يصنف مسنداً، فخرج الدارقطني إليه، وأقام عنده مدة فصنف له المسند، وحصل له من جهته مال كثير. وروى عنه الدارقطني في كتاب المذبح، قال ابن مندة: سمعت أبا القاسم، إسماعيل بن مسعدة الجرجاني قال: قال حمزة بن يوسف السهمي: سألت أبا الحسن علي بن عمر الحفاظ الدارقي، عن محمد بن محمد، بن سليمان الباغندي، فحكى عن الوزير أبي الفضل بن الفرات، المعروف بابن حنزابية حكاية، قال الشيخ حمزة: ثم دخلت مصر، وسألت الوزير أبا الفضل جعفر بن الفضل عن الباغندي، وحكى له ما كنت سمعته من الدارقطني، فقال لي الوزير: لحقت الباغندي محمد بن محمد بن سليمان، وأنا ابن خمس سنين، ولم أكن سمعت منه شيئاً، وكان للوزير الماضي - رحمه الله - حجرتان، إحداهما للباغندي، يجيئه يوماً ويقرأ له، والأخرى لليزيدي.

قال أبو الفضل: سمعت أبي - رحمه الله - يقول: كنت يوماً مع الباغندي في الحجرة، يقرأ لي كتب أبي بكر بن أبي شيبة، فقام الباغندي إلى الطهارة، فمددت يدي إلى جزء معه من حديث أبي بكر، فإذا على ظهره مكتوب مربع ولا باقي محكوك، فرجع الباغندي فرأى الجزء في يدي فتغير وجهه. وسألته وقلت: إيش هذا؟ مربع؟ فتغير إذ ذاك ولم أفطن له، لأنني أول من كنت دخلت في كتبة الحديث، ثم سألت عنه، فإذا الكتاب لمحمد بن إبراهيم، بن مربع، سمعه من أبي بكر بن أبي شيبة.

قرأت في تاريخ لابن زولاق الحسن بن إبراهيم، في أخبار سيبويه الموسوس قال: ورأى سيبويه جعفر ابن الفضل ب الفرات بعد موت كافور، وقد ركب في موكب عظيم. فقال: ما بال أبي الفضل قد جمع كتابه، ولفق أصحابه، وحشد بين يديه حبابه، وشمم أنفه، وساق العساكر خلفه، أبلغه أن الإسلام طرقت؟ أو أن ركن الكعبة سرق؟ فقال له رجل: هو اليوم صاحب الأمر، ومدير الدولة. فقال: يا عجباً، أليس بالأمس نهب الأتراك داره؟ ود كوا آثاره، وأظهروا عواره، وهم اليوم يدعونه وزيراً، ثم قد صيروه أميراً. ما عجبني منهم كيف نصبوه، بل عجبني كيف تولى أمر عدوهم ورضوه.

قال الحافظ أبو القاسم: ذكر بعض أهل العلم، وأظنه محمد بن أبي نصر الحميدي: أن الوزير أبا الفضل بن حنزابة حدث بمصر، سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، مجالس إملاء خرجها الدارقطني، وعبد الغني ابن سعيد، وكانا كاتبه ومخرجيه، وكان كثير الحديث، جم السماع، مكرماً لأهل العلم، مطعماً لأهل الحديث، استجلب الدارقطني من بغداد وبر إليه، وخرج له المسند، وقد رأيت عند أبي إسحاق الجباني من الأجزاء التي خرجت له جملة كثيرة جداً، وفي بعضها الموفى ألفاً من مسند كذا، والموفى خمسمائة من مسند كذا، وهكذا هي سائر المسندات. وقد أعطى الدارقطني ما لا كثيراً، وأنفق عليه نفقة واسعة، ولم يزل في أيام عمره يصنع شيئاً من المعروف عظيماً، ويفق نفقات كثيرة على أهل الحرمين، من أصناف الأشراف وغيرهم، إلى أن تم له أن اشترى بالمدينة داراً إلى جانب المسجد، من أقرب الدور إلى القبر، ليس بينها وبين القبر إلا حائط وطريق في المسجد، وأوصى أن يدفن فيها، وقرر عند الأشراف ذلك، فسمحوا له بذلك، وأجابوه إليه. فلما مات حمل تابوته من مصر إلى الحرمين، فخرجت الأشراف من مكة والمدينة لتلقيه والنيابة في حمله، إلى أن حجوا به، وطافوا ووقفوا بعرفة، ثم رده إلى المدينة، ودفنوه في الدار التي أعدها لذلك. قرأت بخط الشريف النسابة، محمد بن أسعد بن علي الجواني المعروف بابن النحوي، كان الوزير جعفر بن الفضل بن الفرات، المعروف بابن حنزابة، يهوى النظر إلى الحشرات من الأفاعي، والحيات والعقارب، وأم أربعة وأربعين، وما يجري هذا المجرى وكان في داره التي تقابل دار الشنتكاني ومسجد ورش. - وكانت للماذرائي قبل ذلك - قاعة لطيفة مرخمة، فيها سلل الحيات، ولها قيم فراش حاو من الحواة، ومعه مستخدمون برسم الخدمة، ونقل السلل وحطها، وكان كل حاو في مصر وأعمالها يصيد له ما يقدر عليه من الحيات، ويتباهون في ذوات العجب من أجناسها، وفي الكبار وفي الغريبة المنظر، وكان الوزير ينيبهم في ذلك أوفى الثواب، ويبدل لهم الجزيل حتى يجتهدوا في تحصيلها، وكان له وقت يجلس فيه على دكة مرتفعة، ويدخل المستخدمون والحواة، فيخرجون ما في السلل ويطرحونه في ذلك الرخام، ويحرشون بين الهوام، وهو يتعجب من ذلك ويستحسنه.

فلما كان ذات يوم، أنفذ رقعة إلى الشيخ الجليل ابن المدبر الكاتب، وكان من أعيان كتاب آبائه ودولته، وكان عزيزاً عنده، وكان يسكن في جوار دار ابن الفرات، يقول له فيها: نشعر الشيخ الجليل، - أدام الله سلامته -، أنه لما كان البارحة، وعرض علينا الحواة الحشرات، الجاري بها العادات، انساب إلى داره منها الحية البتراء، وذات القرنين الكبرى، والعقربان الكبير وأبو صوفة، وما حصلوا لنا إلا بعد عناء ومشقة، وبجملة بذلناها للحواة، ونحن نأمر الشيخ - وفقه الله تعالى - بالتوقيع إلى حاشيته وصبيته، بصو ما وجد منها، إلى أن ننفذ الحواة لأخذها وردّها إلى سلها، فلما وقف ابن المدبر على الرقعة قلبها وكتب في ذيلها: أتاني أمر سيدنا الوزير - أدام الله نعمته وحرس مدته - بما أشار إليه في أمر الحشرات، والذي يعتمد عليه في ذلك، أن الطلاق يلزمه ثلاثاً إن بات هو أو واحد من أولاده في الدار، والسلام.

أنشدني أبو بكر بن عبد البر القيرواني التميمي، لصالح بن مؤنس المصري، يمدح بعض آل الفرات:

قد مر عيد وعيد	ما اخضر لي فيه عود
وكيف يخضر عود	والماء منه بعيد
يا من له عدد المج	د كلها والعديد
آل الفرات نداهم	على الفرات يزيد
وأنت فضلك فيهم	عليك منه شهود
وكل يوم لغيري	من راحتك مديد
هل لي إلى الرزق ذنب	فكان منه صدود
ما الناس إلا شقي	في دهرنا وسعيد

قال ابن الأكفاني: أنبأنا أبو محمد عبد الله بن الحسين بن النحاس، حدثنا أبو محمد عبد الله بن يوسف ابن نصر من لفظه قال: حضرت عند أبي الحسين المهلب في داره بالقاهرة فقال لي: كنت منذ أيام حاضراً دار الوزير، يعني أبا الفرج بن كلس، فدخل عليه أبو العباس، الفضل بن أبي الفضل، الوزير ابن حنزابة، وكان قد زوجه ابنته، وأكرمه وأجله، فقال له: يا أبا العباس يا

سيدي، ما أنا بأرجل من أبيك، ولا بأعلم ولا بأفضل، وزاد في وصفه وإكرامه، ثم قال: أتدري ما أقعد أباك خلف الباب؟ شيل أنفه، وأخرج يده فعلا بها رأسه، وشال أنفه إلى فوق وقال له: بالله يا أبا العباس لا تشل أنفك، تدري ما الإقبال؟ نشاط وتواضع، تدري ما الإدبار؟ كسل وترافع. قرأت فيما جمعه أبو علي صالح بن رشد قال: كان أبو الفضل جعفر بن الفضل الوزير، قد خرج إلى بستانه بالمقس فكتب إليه أبو صر بن كشاجم على تفاحة بماء الذهب وأنفذهما إليه:

إذا الوزير تخلى
فقد أتاه سمي
للنيل في الأوقات
اه جعفر بن الفرات

قال محمد بن طاهر المقدسي: سمعت أبا إسحاق الحبال يقول: لما قصد هؤلاء مصر وزولا قريباً منها، لم يبق أحد من الدولة العباسية، إلا خرج للاستقبال والخدمة، غير الوزير أبي الفضل بن حنزابه فإنه لم يخرج، فلما كان في الليلة التي صبيحتها الدخول، اجتمع إليه مشايخ البلد، وعاتبوه في فعله. وقيل له: إنك تغري بدماء أهل السنة، ويجعلو تأخرك عنهم سبباً للانتقام. قال: الآن أخرج فخرج للسلام، فلما دخل عليه أكرمه وبجله، وأجلسه وفي قلبه شيء، وكان إلى جنبه ابنه وولي عهده، وغفل الوزير عن التسليم عليه، فأراد أن يمتحنه بسبب يكون إلى الوقعة به. فقال له: حج الشيخ؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وزرت الشيخين؟ فقال: شغلت بالنبي صلى الله عليه وسلم عنهما، كما شغلت بأمير المؤمنين عن ولي عهده، السلام عليك يا ولي عهد المسلمين ورحمة الله وبركاته. فأعجب من فطنته، وتداركه ما أغفله، وعرض عليه الوزارة فامتنع. فقال: إذا لم تل لنا شغلاً فيجب ألا تخرج عن بلادنا، فإننا لا نستغني أن يكون في دولتنا مثلك، فأقام بها ولم يرجع إلى بغداد.

قال: وسمعت أبا إسحاق الحبال يقول: كان يعمل للوزير أبي الفضل الكاغد بسمرقند، ويحمل إليه إلى مصر في كل سنة، وكان في خزانته عدة من الوراقين، فاستغفى بعضهم، فأمر بأن يحاسب ويصرف، فكمل عليه مائة دينار، فعاد إلى الوراق، وترك ما كان عزم عليه من الاستعفاء..

قال: وسمعت أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال يقول: خرج أبو صر السجزي الحافظ على أكثر من مائة شيخ، لم يبق منهم غيري، وكان قد خرج له عشرين جزءاً في وقت الطلب، وكتبها في كاغد عتيق فسألت الحبال عن الكاغد، فقال: هذا من الكاغد الذي كان يحمل للوزير من سمرقند، وقعت إلي من كتبه قطعة، فكنت إذا رأيت فيها ورقة بيضاء قطعها إلى أن اجتمع هذا، فكتبت فيه هذه الفوائد.

جعفر بن قدامة، بن زياد الكاتب

أبو القاسم، ذكره الخطيب فقال: هو أحد مشايخ الكتاب وعلماهم، وكان وافر الأدب، حس المعرفة. وله مصنفات في صناعة الكتابة وغيرها، حدث عن أبي العيلاء الضرير، وحماد بن إسحاق الموصلي، والمبرد، ومحمد ابن عبد الله بن مالك الخزاعي، ونحوهم. روى عنه أبو الفرج الأصفهاني.

ونقلت من خط أبي سعيد مع بن خلف البستي، مستوفي بيت الزرد والفرش السلطاني الملكشاهي، بتولية نظام الملك قال: قال جعفر بن قدامة الكاتب:

استمع بالله يا ابن ال
يومنا في الحسن والبه
فأزري نفسك الح
ومن خطه قال: نقلت من خط عبد الرحمن بن عيسى الوزير لجعفر بن قدامة:

كسف الشمس بالجمال البهي
وينادي بكل أمر خفي
تاه عقلي به وحق النبي
كيف يخفى وإن أتاني نهراً
فكلا حالتيه يفضح سري
بأبي أحسن الأنام جميعاً

وقال أبو محمد عبيد الله بن أبي القاسم، عبد المجيد ابن بشران الأهوازي في تاريخه: مات أبو القاسم جعفر ابن قدامة، بن زياد يوم الثلاثاء، لثمان بقين من جمادى الآخرة، سنة تسع عشرة وثلاثمائة. قال ابن بشران: وفي سنة عشرة وثلاثمائة، أخرج علي بن عيسى الوزير إلى اليمن منفيًا، فقال أبو القاسم، جعفر بن قدامة الكاتب في ذلك:

أصبح الملك واهي الأرجاء
وأمر الورى بغير استواء

منذ نادت نوى علي بن عيسى
فوحق الذي يميت ويحيي
لقد اختل بعده كل أمر
ثم صاروا بعد العداوة والى
يتألون كلهم في علي
ومن شعره أيضاً:

تسمع مت قبلك بعض قلبي
إذا أسقمت بالهجران جسمي
ومن كتاب الوزراء لـهلال ب المحسن: ولجعفر بن قدامة يمدح ابن الفرات:
يا ابن الفرات ويا كري
ضبيعت بعدك واطرح

وتغيرت مذ غيرت
لهفاً أبا حس على
لهفاً عليها إنها
أحوالك الأيام حالي
أيامك الغر الخوالي
بليت بأحوال بوالي

قرأت في كتاب المحاضرات لأبي حيان قال: وقلت للعروضي: أراك منخرطاً في سلك ابن قدامة، ومنصباً إليه، ومتوفراً عليه، وكيف يتفق بينكما، وكيف تأتلفان ولا تختلفان. فقال: أعلم أن الزمان وقت الاعتدال، والرجل كما تعرف على غاية البرد والغثاء، وخساسة الطبع، وأنا كما تعرفني وتثبتني، فاعتدلنا إلى أن يتغير الزمان، ثم نفترق ونختلف ولا نتفق. وأنشأ يقول:

وصاحب أصبح من برده
ندمائمه من ضيق أخلاقه
نادمته يوماً فالفيتته
حتى لقد أوهمني أنه
كالماء في كانون أو في شباط
كطأنهم في مثل سم الخياط
متصل الصمت قليل النشاط
بعض التماثيل التي في البساط

جعفر بن محمد، بن أحمد، بن حذار

الكاتب أبو القاسم، ذكره الصولي في كتاب أخبار شعراء مصر قال: لم يك بمصر مثله في وقته، كثير الشعر حسن البلاغة عالم، له ديوان شعر، ومكاتبات كثيرة حسنة.

قال: وكان العباس بن أحمد بن طولو، قد خرج على أبيه في نواحي برقة، عند غيبة أبيه بالشام، وتابعه أكثر الناس، ثم غدر به قوم، وخرج عليه آخرون من نواحي القيروان، فظفر به أبوه، وكان جعفر بن حذار وزير العباس وصاحب أمره. قال ابن زولاق مؤرخ مصر: قبض على العباس بنواحي الإسكندرية، وأدخل إلى القسطنطينية على قتب على بغل مقيداً، في سنة سبع وستين ومائتين، ونصب لكتابه ومن خرج بهم إلى ما خرج إليه دكة عظيمة رفيعة السمك، في يوم الأربعاء، لا أعرف موقعه من الشهر، وجلس أحمد بن طولو في علو يوازيها، وشرع من ذلك العلو إليها طريقاً، وكان العباس قائماً بين يدي أبيه في خفاف ملحم وعمامة وخف، وبيده سيف مشهور، فضرب ابن حذار ثلاثمائة سوط، وتقدم إليه العباس فقطع يديه ورجليه من خلاف، وألقي من الدكة إلى الأرض، وفعل مثل ذلك بالمنتوف وبأبي معشر، واقتصر بغيرهم على ضرب السوط. فلم تمض أيام
وقال لاصولي: مثل أحمد بن طولون بابن حذار لما قتله. يروى أنه تولى قطع يديه ورجليه بيده. ومن شعر ابن حذار إلى صديق له من أبيات:

يا كسروياً في القدي
يا ابن المقفع في البيا
يا ناظراً في المشكلا
إيها، جعلت فداك في
م وهاشمياً في الولاء
ن ويا إياساً في الذكاء
ت المعضلات ويا ضيائي
م طويئتي طي الرداء

وتركتني بين الحجا
ورغبت عما كنت تر
من بعد أني كنت عن
فوحق كفك إنها
لأخلىنك والهوى
ولأشكونك ما استطع
ولأصبر على رق
فهناك أجنبي ما غرس
ومن شعره أيضاً:

ب أعوم في بحر الجفاء
غب فيه من لطف الإخاء
دك وابن أمك بالسواء
كف كأخلاف السماء
ولأصبرن عن اللقاء
ت إلى حفاظك والوفاء
يك في ذرى درج العلاء
ت إليك من ثمر الرجاء

جاءت بوجه كأنه قمر
ترنو بعين إذا تعالينا
حتى إذا ما استوت بمجلسها
غنت فلم يبق في جارحة
ومن شعره أيضاً:

على قوام كأه غصن
حسبت أن في جفونها وسن
وصار فيه من حسنهما وثن
إلا تمنيت أها أذن

زارني زور ثكلتهم
أكلوا حتى إذا شبعوا

وأصيبوا حيثما سلكوا
حملوا الفضل الذي تركوا

جعفر بن محمد، الأخباري

بن الأزهر، ابن عيسى الأخباري أحد أصحاب السير، ومن عني بجمع الأخبار والتواريخ. مات سنة تسع وسبعين ومائتين. ومولده سنة مائتين، سمع من ابن الأعرابي وطبقته، وله من الكتب: كتاب التاريخ على السنين، وهو من جيد الكتب، ذكر ذلك محمد بن إسحاق.

جعفر بن محمد، بن خالد، بن ثوابة،

أبو الحسين الكاتب، أحد البلغاء الفصحاء، قال أبو علي: حدثني أبو الحسين بن قيراط قال: حدثني أبو الحسن الإيادي الكاتب، صديق الكرخيين، قال أبو محمد عبد الوهاب، بن الحسن، بن عبيد الله، بن سليمان ابن وهب، وعبيد الله بن سليمان، هما الوزيران قال: كان إلى والدي الحسن بن عبيد الله ديوان الرسائل، وديوان المعاون وجملة الدواوين التي كانت إليه في أيام وزارة أبيه للمعتضد فأمر عبيد الله ابنه، أن يستخلف أبا الحسين ابن ثوابة على ديوان الرسائل، وديوان المعاون، فصار كالمقلد له من قبل الوزير، لكثرة استخدامه له فيه، ثم مات أبي، فأقره جدي الوزير عبد الله على الديوان رئاسة، وبقي عليهم يتوارثونه، مرة رئاسة ومرة خلافة، إلى أن تسلمه الصائب أبو إسحاق من ابن ابنه أحمد.

وكتب جعفر بن محمد هذا، رقعة إلى عبيد الله بن سليمان الوزير في نسختها: قد فتحت للمظلوم بابك، ورفعت عنه حجابك، فأأحكم الأيام إلى عدلك، وأشكو صرفها إلى عطفك، وأستجير من لؤم غلبتها بكرم قدرتك، فإنها توخرني إذا قدمت، وتحرمني إذا قسمت، فإن أعطت أعطت يسيراً، وإن ارتجعت ارتجعت كثيراً، ولم أشكها إلى أحد قبلك، ولا أعددت لإنصافها إلا فضلك، ودفع زمام المسألة وحق الظلامة حق التأمل، وقدم صدق الموالاتة والمحبة، والذي يملأ يدي من النصفة، ويسبغ العدل علي، حتى تكون إلي محسناً، وأكون بك للأيام معدياً، أن تخلطني بخواص خدمك، الذين نقلتهم من حال الفراغ إلى الشغل ومن الخمول إلى النباهة والذكر، فإن رأيت أن تعديني فقد استعديت، وتجبرني فقد عذت بك، وتوسع علي كنفك، فقد أويت إليه، وتشملني بإحسانك، فقد عولت عليه، وتستعمل بدني ولساني فيما يصلح لخدمتك فيه، فقد درست كتب أسلافك، وهم الأئمة في البيان، واستضأت برأيهم، واقفيت آثارهم اقتفاء جعلني بين وحشي كلام وأنيسه، ووقفني منه على جادة متوسطة، يرجع عليها الغالي، ويسمو نحوها المقصر، فعلت إن شاء الله تعالى، فكانت هذه الرقعة سبب استخلافه لأبي.

جعفر بن محمد، بن حمدان الموصلي،

أبو القاسم لافقيه الشافعي، ذكره محمد بن إسحاق فقال: هو حسن التأليف، عجيب التصنيف، شاعر أديب فاضل، ناقد للشعر، كثير لارواية، مات سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، ومولده سنة أربعين ومائتين. له عدة كتب في الفقه على مذهب الشافعي. فأما كتبه في الأدب فهي: كتاب الباهر في أشعار المحدثين، عارض به الروضة للمبرد، كتاب الشعر والشعراء لم يتم، ولو تم لكان غاية في معناه، كتاب السرقات لم يتم أيضاً، وهو كتاب جيد في معناه، كتاب محاسن أشعار المحدثين لطيف.

قال أبو عبد الله الخالع: كان أبو القاسم، جعفر بن محمد، بن حمدان الموصل، ممن عمر طويلاً، وكانت بينه وبين البحتري مراسلة، ورثاه بعد وفاته. ومدح القاسم ابن عبيد الله، وأدرك أبا العباس النامي، وتكاتبا بالشعر. وقال أبو علي بن أبي الزمزم: كان ابن حمدان كبير المحل من أهل الرياسات بالموصل، ولم يكن بها في وقته من ينظر إليه، ويفضل في العلوم سواء، متقدماً في الفقه، معروفاً به، قوياً في النحو فيما يكتبه، عارفاً بالكلام والجدل مبرزاً فيه، حافظاً لكتب اللغة، راوية للأخبار، بصيراً بالنجوم، عالماً مطلعاً على علوم الأوائل، عالي الطبقة فيها، وكان صديقاً لكل وزراء عصره، مداحاً لهم، أنساً بالمبرد وثلعب وأمثالهما، من علماء الوقت، مفضلاً عندهم، وكانت له ببلده دار علم قد جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم، وقفاً على كل طالب للعلم، لا يمنع أحد من دخولها إذا جاءها غريب يطلب الأدب، وإن كان معسراً أعطاه ورقاً وورقاً. تفتح في كل يوم، ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه، ويجتمع إليه الناس فيملي عليهم من شعره وشعر غيره ومصنفاته، مثل الباهر وغيره من مصنفاته الحسان، ثم يملئ من حفظه من الحكايات المستطابة، وشيئاً من النوارد المؤلفة، وطرفاً من الفقه وما يتعلق به. وكان جماعة من أهل الموصل حسدوه على محله وجاهه عند الخلفاء والوزراء والعلماء، وكان قد جدد بعض أولاده وزعم أنه ليس منه، فعاندوه بسببه، وزعموا أنه نفاه ظلماً، واجتهدوا أن يلحقوه به، فما تم لهم، فاجتمعوا وكتبوا فيه محضراً، وشهدوا عليه بكل قبيح عظيم، ونفوه عن الموصل، فأنحدر هارباً منهم إلى مدينة السلام، ومدح المعتضد بقصيدة يشكو فيها ما آله منهم، ويصف ما يحسنه من العلوم، ويستشهد بثلعب والمبرد وغيرهما. أولها:

أجذك ما ينفك طيفك سارياً
يذكرنا عهد الحمى وزماننا
ليالي مغنى آل ليلي على الحمى
وعهد الصبي منهن فينان مورك
قريب المدى نائي الجوى داني الهوى
حلفت بأخفاف المخيم من منى
وبالركب يأتون بطحاء مكة
طواهن طي البيد في غلس الدجى
ولو أني أبثت ما بي من الجوى
وإن أطو ما تطوي الجوانح من هوى
أدخل تحت الضيم والبيد والسرى
سأخرج من جلباب كل ملمة
إذا أنا قابلت الإمام مناجياً
رميت بأمالي إلى الملك الذي
وما هي إلا روحة وادلاجة
ولي في أمير المؤمنين مدائح
وأمت بي الآمال لا طالباً جدى
ولكنني أشكو عدواً مسلطاً
أيا ابن الولاة الوارثين محمداً
إذا ما اعترمت الأمر أبرمت فتله
فلا تك للمظلوم ناداك في الدجى

مع الليل مجتاباً إليا الفياfia
بنعمان والأيام تعطي الأمانيا
ونعمان غاد بالآوانس غانيا
ظليل الضحى من حائط اللهو دانيا
على ما يشاء المستهام مؤاتيا
ومن حل جمعاً والرعان المتاليا
على أركب تحكى القسى حوافيا
ونشر الفياfi والفيافي كما هيا
شماريخ رضوى أو شمام رثى ليا
عن الناس تخبرهم بحالي حاليا
وأيدي المطايا الناعاجات عتاديا؟
خروج المعلى والمنيح ورائيا
له بالذي من ريب دهري عنانيا
أذلت ماسعيه الأسود الضواريا
تنبل الأمانيا أو تقيم البواكيا
ملأت بها الأفاق حسن ثنائيا
ولا شاكياً إنفاض حالي وماليا
على عداني بغيه عن مجاليا
خلافته دون الموالى مواليا
ولم تك عن إمضائك العزم وانيا
لغريته والدفع للظلم ناسيا

وهي مائة وخمسون بيتاً، فيها بعد المدح: ما يحسنه من العلوم الدينية والأدبية، ويتبجح بمعرفته إقليدس وأشكاله، وزيادات زأها في أعماله، وله في صفة الليل:

رب ليل كالبحر هولاً وكالده

ر امتداداً وكالمداد سوادا

خضته والنجوم توقدن حتى
قال ابن عبد الرحيم: ونقلت من خط جعفر بن محمد الموصلي، من قصيدة في أبي سليمان داود ب حمدان:
أعيجي بنا قبل انبتات حبالك
قفي وقفة تتلو عليك أوامها
فقد طلعت شمس الضحى بأوارها
ومنها:

بأبناء حمدان الذين كأنهم
لهم نعم لا أستقل بشكرها
وخلفت فيه من قريض بدائعاً
وله من قصيدة في القاسم بن عبيد الله:
ما شأن دارك يا ليلي نناجيتها
إنا عشية عجنا بالمطوي بها
لا ترسلي الطيف إن الطرف في شغل
لأضربن بآمالي إلى ملك
يا بن الوزارة والمأمول بعد لها
ما بال ما اجتاب عرض الأرض من مدحي
لم يأتني نبأ عنها ولا خبر
وله أيضاً:

وما الموت قبل الموت غير أنني
فدع قولهم ليس الثراء من العلا
إذا أنت لم تبل الصديق فلا تكن
فإن سترت حال امرئ لؤم أصله
وله أيضاً:

على الخيف من أكناف برقة أطلال
ومبني خيام من فريق تفرقوا
وهن نجوم للنجوم ضرائر
ألا إن تجوال الأطباء سوانحاً
إلى ابن أبي العباس جاذبنا المنى
ومازال الت أيام تضحك عنهم
أولئك أرباب العلى وبنو الندى
هم ورثوه الجود والبذل والندى
وله يرثي البحرري:

تعولت البدائع والقصيد
وأظلم جانب الدنيا وعادت
فقل للدهر يجهد في الرزايا
وله من قصيدة:

تمكن حب علوة من فؤادي
فوالي بين دمعي والمآقي
وقد طلب السلامة في سليمى

أطفأ الفجر ذلك الإيقاد
جمالك إن الشوق شوق جمالك
جوانح لا تروى بغير نوالك
على مستظلات بفيئ ظلالك

مصاييح لاحت في ليال حوالك
وإن كنت قد سيرته في المسالك
ترى خلفاً من كل باق وهالك

فما تجيب ولا ترعى لداعيتها
كنا نحبيك فيها لا نحبيها
عن الكرى بدموع بات يجريها
يقل في قدره الدنيا بما فيها
في سائر الأرض دانيها وقاصيها
إليك يسري مع الركبان ساريها
واليوم كالحول لي مما أراعيها

أرى ضرعاً بالعسر يوماً لذى اليسر
فما الفخر إلا أن يقال هو المثرى
له آمناً فيما يجن من الأمر
أبي اللؤم إلا أن يبين مع الستر

دوارس عفتها ببرقة أحوال
أيادي سبا والبين للشمّل مغتال
وهن لأكدار الحنادس إقبال
لمن عالج الوجد المبرح آجال
ومن دونه بيد يخب بها الآل
وتشرق عنهم بالمكارم أفعال
وقوال فصل يوم مجد وفعال
فزاد على ما ورثوه ولم يال

وأودي الشعر مذ أودي الوليد
وجوه المكلمات وهن سود
فليس وراء فجعته مزيد

وملك أمر غيي والرشاد
وعادى بين جفي والرقاد
زماناً والسعادة في سعاد

فلا هاتيك أحمدها وصالاً

ولا هذي ارتضاها في الوداد

وله أيضاً:

أيها القرم الذي أع

وزنا فيه النديد

وأعانتة على المج

د مساع وجدود

عجل النجح فإن ال

مطل بالوعد وعيد

قال عبيد الله الفقير إليه مؤلف هذا الكتاب: هذا معنى عن لي من قبل أن أقف على هذه الأبيات، وكنت أعجب كيف فات الأوائل لاشتماله على مطابقة التجنيس وحسن المعنى مدة، حتى وقفت على ما ههنا، فعلمت أن أكثر ما ينسب إلى الشعراء من السرقات، إنما هو توارد الخواطر، ووقوع حافر على حافر. وأما أبياتي فهي:

يا سيداً بذ من يمشي على قدم

علماً وحلماً وآباء وأجدادا

ماذا دعاك إلى وعد تصيره

بالخلف والمطل والتسويق إيعادا

لا تعجلن بوعد ثم تخلفه

فيثمر المطل بعد الود أحقادا

فالوعد بزر ولطف القول منبته

وليس يجدي إذا لم يلق حصادا

جعفر بن موسى، يعرف بابن الحداد

أبو الفضل النحوي، كتب الناس عنه شيئاً من اللغة وغريب الحديث، وما كان من كتب أبي عبيدة مما سمعه من أحمد بن يوسف التغلبي، وغير ذلك من ثقات المسلمين وأخبارهم. مات لثلاث خلون من شعبان، سنة تسع وثمانين ومائتين، ودفن بقرب منزله ظهر قنطرة البردان.

جعفر بن هارون، بن النحوي، الدينوري

أبو محمد. روى عنه ابن شاذان، في شوال سنة أربع وأربعين وثلاثمائة.

جلد بن جمل الراوية

ما رأيت أحداً من أهل التصنيف، والرواية والتأليف، ذكره في كتاب ترجمة، إلا أن الإسناد إليه كثير، والرواية عنه ظاهرة شهيرة، وكان فيما تدل عليه الأخبار التي يرويها، علامة بأخبار العرب وأشعارها عارفاً بأيامها وأنسابها.

جناد بن واصل الكوفي

أبو محمد، ويقال: أبو واصل، مولى بني عاضدة، من رواة الأخبار والأشعار، لا علم له بالعربية، وكان يصحف ويكسر الشعر، ولا يميز بين الأعراب المختلفة، فيخلط بعضها ببعض. وهو من علماء الكوفيين القدماء، وكان كثير الحفظ في قياس حماد الراوية. وحدث المرزباني قال: قال عبد الله بن جعفر: أخبرنا أبو عمرو أحمد بن علي الطوسي عن أبيه قال: ما كانوا يشكون بالكوفة في شعر، ولا يعزب عنهم اسم شاعر، إلا سألوا عنه جناداً، فوجدوه لذلك حافظاً، وبه عارفاً على لحن كان فيه، وكان كثير اللحن جداً، فوق لحن حماد، وربما قال من الشعر البيت والبيتين.

وقال الثوري: اتكل أهل الكوفة على حماد وجناد، ففسدت رواياتهم من رجلين، كانا يرويان لا يدریان، كثرت رواياتهما وقل علمهما. وحدث عبد الله بن جعفر عن جبلة بن محمد الكوفي، عن أبيه قال: مررت بجناد مولى العاضديين وهو ينشد:

إعلم بأن الحق مركبه

إلا على أهل التقى مستصعب

فاقدر بذرك في الأمور فإنما

رزق السلامة من لها يتسبب

فقلت: أبرقت يا جناد؟ قال: وأني ذلك؟ قلت: في هذين البيتين. قال: فلم يستبين ذلك، فتركته وانصرف. قال عبد الله: وإنما أنكر عليه أن البيت الأول ينقص من عروضه وتد، والثاني تام فكسره ولم يعلم. والعرب لا تغلط بمثل هذا، وإنما يغلطون بأن يدخلوا عروضين في ضرب واحد من الشعر لتشابههما. فأما هذا: فالصواب فيه أن يقول:

إعلم بأن الحق مركب ظهره
ومعنى قوله أبرقت: خلطت بيتاً مكسوراً ببيت صحيح، فصار كالحبل الأبرق على لوين. والبرقاء من الأرض والحجارة: ذات لونين: سواد وبياض.

جنادة بن محمد بن الحسين الهروي،

أبو أسامة اللغوي النحوي، عظيم القدر، شائع الذكر، عارف باللغة، أخذ عن أبي منصور الأزهري، وروى عن أبي أحمد العسكري وروى عنه كتيبه، ثم قدم مصر فأقام بها، إلى أن قتله الحاكم من الملوك المصرية، المنتسبة إلى العلويين، في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة. ذكر ذلك أبو محمد أحمد بن الحسين، بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الروذباري في تاريخه، الذي ألفه في حوادث مصر. وأخذ عنه بمصر أبو سهل الهروي وغيره من أهل مصر وغيرهم، وكان مجلسه بمصر في جامع المقياس، وهو الذي فيه العمود، الذي يعتبرون به زيادة النيل من نقصه.

واتفق في بعض السنين، أن النيل لم يزد زيادة تامة، ففيل للحاكم حينئذ: إن جنادة رجل مشنوم، يقعد في المقياس ويلقي النحو، ويعزم على النيل فلذلك لم يزد. وكان من حدة الحاكم وتهوره، وما عرف من سوء سيرته، لا يتثبت فيما يفعله، ولا يبحث عن صحة ما يبلغه، فأمر من ساعته بقتله، فقتله - رحمه الله - سمعت هذا الحديث في مصر مفاوهة، حكوه عن الأثير بن البيهقي، أخي القاضي الفاضل وغيره، واللفظ يزيد يونقص، والله أعلم.

جهم بن خلف المازني الأعرابي،

من مازن تميم، له اتصال في النسب بأبي عمرو بن العلاء المازني المقرئ، وكان جهم راوية، علامة بالغريب والشعر، وكان في عصر خلف الأحمر، والأصمعي، وكانوا ثلاثتهم متقاربين في معرفة الشعر. ولجهم شعر مشهور في الحشرات والجوارح من الطير. وقيل: إن ابن منذر قال يمدح جهماً:

سميتم آل العلاء لأنكم	أهل العلاء ومعدن العلم
ولقد بنى آل العلاء لمازن	بيتاً أحلوه مع النجم
وجههم القائل في رواية المازني يصف الحمامة:	
مطوقة كساها الل	ه طوقاً لم يكن ذهباً
جمود العين مبكاها	يزيد أخوا الهوى نصباً
مفجعة بكت شجواً	فبت بشجوها وصبا
على غص تميل به	جنوب مرة وصبا
ترن عليه إما ما	ل من شوق أو انتصاب
وما فغرت فماً وبكت	بلا دمع لها انسكبا
قال: لوه يخاطب المفضل الضبي لما قدم البصرة:	
أنت كوفي ولا يح	فظ كوفي صديقا
لم يكن وجهك يا كو	في للخير خليقا

جودي بن عثمان

مولي لآل يزيد بن طلحة العنيسيين، من أهل مورور من بلاد الغرب، ذكره الحميدي والزبيدي، رحل إلى المشرق، فلقى الكسائي والفراء وغيرهما. وهو أول من أدخل كتاب الكسائي إلى الغرب، وسكن قرطبة بعد قدومه من المشرق، وفي حلقته أنكر على عباس بن ناصح قوله:

يشهد بالإخلاص يؤتيها
الله فيها وهو نصراني

فلحن حيث لم يشدد ياء النسب. وكان بالحضرة رجل من أصحاب عباس بن ناصح، فسأه ذلك، فقصد عباساً وكان مسكنه بالجزيرة، فلما طلع على عباس قال له: ما أقدمك - أعزك الله - في هذا الأوان؟ قال: أقدمني لحنك. قال له عباس: وأي لحن؟ فأعلمه فقال له: ألا أنشدكم قول عمران ابن حطان:

يوماً يمان إذا لاقيت ذا يمين وإن لقيت معدياً فعدناني

فلما سمع البيت كر راجعاً. فقال له عباس: لو نزلت فأقمت عندنا. فقال: ما بي إلى ذلك من حاجة، ثم قدم قرطبة، واجتمع بجودي وأصحابه، فأعلمهم ما قال ووافقوه.

باب الحاء

حبشي بن محمد، بن شعيب الشيباني

أبو الغنائم النحوي الضرير، من أهل واسط، من ناحية تعرف بالأفشولية. مات في ذي القعدة، سنة خمس وستين وخمسمائة. وكان قد ورد واسط، وقرأ بها القرآن وشيئاً من النحو، ثم قدم بغداد وأقام بها، وقرأ على ابن الشجري العلوي، واللغة على الشيخ أبي منصور الجواليقي، وسمع منهما ومن قاضي المارستان. وكان عارفاً بالنحو واللغة والعربية، تخرج به جماعة من أهل الأدب، كمصدق بن شبيب، وكان يحسن الثاء عليه ويقول: به تخرجت، لأن الشيخ ابن الخشاب، كان مشغولاً عنا، ويض علينا بعلمه، فكان انعكافنا على حبشي. وكان مع هذا العلم، إذا خرج إلى الطريق بغير قائد لا يهتدي كما يهتدي العمياء، حتى سوق الكتب الذي كان يأتيه في كل ليلة عشرين سنة، ولم يكن بعيداً عن منزله.

حبش بن عبد الرحمن أبو قلابة

وقيل: حبش بن منقذ. كان أحد الرواة الفهمة. وكان بينه وبين الأصمعي مذاكرة لأجل المذهب، لأن الأصمعي - رحمه الله - كان سنياً حسن الاعتقاد، وكان أبو قلابة شيعياً رافضياً، ولما بلغت وفاة الأصمعي شمت به وقال:

أقول لما جاءني نعيه

يا شر ميت خرجت نفسه

وله أيضاً فيه:

لئن الله أعظمأ حملوها

أعظمأ تبغض النبي وأهل البي

وكان أبو قلابة صديقاً لعبد الصمد بن المعذل، وبينهما مجالسة وممازحة، وله معه أخبار. حدث المرزباني قال: قال أنشدت أبا قلابة قولني فيه:

يا رب إن كان أبو قلابة

فابعث عليه عقرباً دبابه

واقرن إليه حية منسابة

قال: وأبو قلابة ساكت. فلما قلت: وابعث على جوخانه سنجابه، قال: الله الله، ليس مع ذهاب الخير عمل. حدث المبرد في الروضة، حدثني عبد الصمد ابن المعذل قال: جئت أبا قلابة الجرمي، وهو أحد الرواة الفهمة، ومعه الأرجوزة التي نسبت إلى الأصمعي، وهي:

تهزأ مني أخت آل طيسله

قال: فسألته أن يدفعها إلي، فأبى. فعملت أرجوزتي التي أولها:

أن رأأت الأحناء مقفعله

والورد من ماء اليرنا حله

قال: ودفعتها إليه على أنها لبعض الأعراب، وأخذت منه تلك، ثم مضى أبو قلابة إلى الأصمعي يسأله عن غريبها. فقال له: لمن هذه؟ قال: لبعض الأعراب. فقال له: ويحك، هذه لبعض الدجالين دلسها عليك، أما ترى فيها كيت وكيت وكيت؟ قال: فحزي أبو قلابة واستحي.

حبش بن موسى الضبي

صاحب كتاب الأغاني الذي ألفه للمتوكل، وذكر في هذا الكتاب أشياء لم يذكرها غسحاق، ولا عمرو بن نانة، وذكر من أسماء المغنين والمغنيات في الجاهلية والإسلام كل طريف غريب. وله: كتاب الأغاني على حروف المعجم، وكتاب مجيدات المغنيات.

حسان بن مالك، اللغوي الأندلسي

بن أبي عبيدة، اللغوي الأندلسي كنيته أبو عبدة الوزير، من أنمة اللغة والأدب، وأهل بيت جلالة ووزارة. مات عن سن عالية. قيل: سنة عشرين وثلاثمائة. له كتاب على مثال كتاب أبي السري سهل بن أبي غالب، الذي ألفه في أيام الرشيد، وسماه كتاب ربيعة وعقيل، وهو من أحسن ما ألف في هذا المعنى، وفيه من أشعاره ثلاثمائة بيت. وذاك أنه دخل على المنصور بن أبي عامر، وبين يديه كتاب السري، وهو معجب به، فخرج من عنده وعمل هذا الكتاب، وفرغ منه تأليفاً ونسخاً، وجاء به في مثل ذلك اليوم من الجمعة الأخرى، وأراه إياه، فسر به ووصله عليه. وكتب أبو عبدة للمستظهر عبد الرحمن ابن هشام، بن عبد الجبار، بن عبد الرحمن التاجر، المسمى بالخلافة أيام الفتنة، وكان استوزره:

إذا غبت لم أحضر وإن جئت لم أسل
فأصبحت تيمياً وما كنت قبلها
أشار في هذا لابیيت إلى قول الشاعر:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم
ولا يسأذنون وهم شهود

قال ابن خاقان: وكان لأبي عبدة أيام الفتنة حين أدجت الفتنة ليلها، وأزجت إبلها وخيلها. اغتراب كإغتراب الحارث بن مضاض، واضطراب بين الموالي والمواض، كالحية النضاض، ثم اشتهر بعد، وافتقر له السعد، وفي تلك المدة يقول يتشوق إلى أهله:

سقى بلداً أهلي به وأقاربي
وهبت عليهم بالعشي وبالضحى
تذكرتهم، والنأي قد حال دونهم
ومما شجاني هاتف فوق أكمة
فقلت: اتند يكفيك أني نازح
ولي صبية مثل الفراخ بقفرة
إذا عصفت ريح أقامت رؤوسها
غواد بأثقال الحيا وروائح
نواسم من برد الظلال فوائح
ولم أنس لكن أوقد القلب لافح
ينوح ولم يعلم بما هو نائح
وأن الذي أهواه عني نازح
مضى حاضنها فاطحتها الطوائح
فلم تلقها إلا طيور بوارح

الحسن بن إبراهيم بن زولاق

أبو محمد، هو الحسن بن إبراهيم، بن الحسين، بن الحسن ابن علي، ب خلف، بن راشد، بن عبد الله، بن سليمان، ابن زولاق المصري الليني، من أعيان علماء أهل مصر، ووجوه أهل العلم فيهم. وله عدة تصانيف في تواريخ المصرية. مات يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي القعدة، سنة ست وثمانين وثلاثمائة، في أيام المتلقب بالعزیز بالله. وقيل: إنه مات في ذي القعدة، سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، في أيام الحاكم، والأول أظهر. وكان لمحبته للتواريخ، والحرص على جمعها وكتبها، كثيراً ما ينشد:

مازلت تكتب في التاريخ مجتهداً
حتى رأيتك في التاريخ مكتوباً

وله من الكتب: كتاب سيرة محمد بن طفج الأخشيد، كتاب سيرة جوهر، كتاب سيرة الماذرائيين، كتاب التاريخ الكبير على السنين، كتاب فضائل مصر، كتاب سيرة كافور، كتاب سيرة المعز، كتاب سيرة العزيز، وغير ذلك. وكان قد سمع الحديث ورواه، فسمع منه عبد الله بن وهبان، بن أيوب، بن صدقة وغيره وحدث ابن زولاق في كتاب سيرة العزيز المتغلب على مصر، المتسبب إلى العلويين من تصنيفه، حاكياً عن نفسه قال: لما خلع على الوزير يعقوب بن كلس، وكان يهودياً فأسلم، وكان مكيناً من العزيز، فلما أسلم قلده وزارته، وخلع عليه. قال ابن زولاق: وكنت حاضراً مجلسه، فقلت: أيها الوزير، روى الأعمش عن زيد ابن وهب، عن عبد الله بن مسعود أنه قال: حدثني الصادق رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه). وهذا علو سماوي. فقال الوزير: ليس الأمر كذلك، وإنما أفعالي وتوفيراتي وكفايتي، ونيابتي ونييتي وحرصي، الذي كان يهجي ويعاب. وقد مات قوم ممن كان، وبقي قوم، وكان هذا القول بحضرة القوم الذين

حضرُوا قراءة السجل، الذي خرج من العزيز في ذكر تشريفه. قال ابن زولاق: فأمسكت وقلت: - وفق الله الوزير-، إنما رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً صحيحاً، وقمت وخرجت وهو ينظر إلي، وانصرف الوزير إلى داره بما حباه العزيز به. قال: فحدثني أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الحسيني الزينبي قال: عاتبت الوزير على ما تكلم به وقلت: إنما روى حديثاً صحيحاً بجميع طرقه، وما أراد إلا الخير. فقال لي: خفي عنك، إنما هذا مثل قول المتنبي:

ولله سر في علاك وإنما كلام العدى ضرب من الهذيان

وأجمع الاس على أن ذلك هجو في كافور، لأنه أعلمه أنه تقدم بغير سبب. وابن زولاق هجاني على لسان صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم، فما أمكني السكوت. وكان في نفسي شيء، فجعلت كلامه سبباً. قال أبو عبد الله الزينبي: فأشهد أن الوزير لم ينقض يومه، حتى تكلم بمثل كلامي، الذي أوردته عن النبي صلى الله عليه وسلم. وذلك أن رجلاً عرض عليه رقعة فقال: كم رقا، كم حرص هو ذا الرجل، يطوف البلدان، ويتقلب في الدول ويسافر فلا ينجح وآخر يأتيه أمه عفواً، قد فرغ الله من الأرزاق والأجال، والمراتب، ومن الشقاوة والسعادة، ثم التفت إلي وضحك، وقطع كلامه. قال ابن زولاق: وكنت هنأت ابن رشيق بهذه التهنة، في مجلس عظيم حفل، حي جاءت الخلع من بغداد والتقليد والبسوه. ورويت له هذا الخبر، فبكي وشكر، وحسدني على ذلك أكثر الحاضرين، وكافأني عليه أحسن مكافأة.

الحسن بن أحمد بابن الحائك الهمداني،

بن يعقوب، يعرف بابن الحائك الهمداني ومن مفاخرها. له: كتاب الإكليل في مفاخر قحطان، وذكر اليمن. وله قصيدة سماها الدامغة في فضل قحطان، أولها:

ألا يا دار لولا تتطيقاً فإنا سائلوك فخيرنا

وله كتاب جزيرة العرب وأسماء بلادها، وأوديتها ومن يسكنها. وقرأت بخط الأمير عبد الكريم بن علي البيساني، أخي الفاضل عبد الرحيم في فهرست كتبه، وذكر خبراً من كتاب الإكليل في أنساب حمير وأخبارها، تصيف الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، وكان في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة.

الحسن بن أحمد، الفارسي،

بن عبد الغفار، ابن سليمان الفارسي، أبو علي الفارسي لامشهور في العالم اسمه، المعروف بتصنيفه ورسمه، أوجد زمانه في علم العربية. كان كثير من تلامذته يقول: هو فوق المبرد. قال أبو الحسن علي ابن عيسى الربيعي: هو أبو علي الحسن، بن أحمد، بن عبد الغفار، بن محمد، بن سليمان، بن أبان الفارسي، وأمه سدوسية من سدوس، شيبان من ربيعة الفرس. مات ببغداد، سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، في أيام الطائع لله، عن نيف وتسعين سنة. أخذ النحو عن جماعة من أعيان أهل هذا الشأن، كأبي إسحاق الزجاج، وأبي بكر بن السراج، وأبي بكر ميرمان، وأبي بكر الخياط. وطوف كثيراً في بلاد الشام، ومضى إلى طرابلس، فأقام بحلب مدة، وخدم سيف الدولة بن حمدان، ثم رجع إلى بغداد، فأقام بها إلى أن مات. حدث الخطيب قال: قال التنوخي: ولد أبو علي الفارسي بفسا، وقدم بغداد واستوطعها، وعلت منزلته في النحو حتى قال قوم من تلامذته: هو فوق المبرد وأعلم منه. وصنف كتباً عجيبة حسنة لم يسبق إلى مثلها، واشتهر ذكره في الأفق، وبرع له غلمان حذاق، مثل عثمان بن جني، وعلي بن عيسى الربيعي وخدم الملوك ونفق عليهم، وتقدم عند عضد الدولة فكان عضد الدولة يقول: أنا غلام أبي علي النحوي في النحو، وغلام أبي الحسين الرازي الصوفي في النجوم. وكان متهماً بالاعتزال.

وذكر أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي، في كتاب شرح الجمل للزجاجي، في باب التصريف منه: يحكى عن أبي علي الفارسي: أنه حضر يوماً مجلس أبي بكر الخياط، فأقبل أصحابه على أبي بكر يكثر عليه المسائل، وهو يجيبهم ويقيم عليها الدلائل. فلما أنفدوا أقبل على أكبرهم سناً، وأكبرهم عقلاً، وأوسعهم علماً عند نفسه. فقال له: كيف تبني من سفرجل مثل عنكبوت؟ فأجابهم مسرعاً سفرروت. فحي سمعها قام من مجلسه وصفق بيديه، وخرج وهو يقول: سفرروت. فأقبل أبو بكر على أصحابه، وقال: - لا بارك الله فيكم، ولا أحسن جزاءكم -، خجلاً مما جرى، واستحياء من أبي علي.

ومما يشهد بصفاء ذهنه وخلوص فهمه: أنه سئل - قيل أن ينظر في العروض - عن خرم متفاعلين، فتفكر وانتزع الجواب فيه من النحو فقال: لا يجوز، لأن متفاعلين ينقل إلى مستعلن إذا أضمر، فلو خرم لتعرض للابتداء بالساكن. إذا الخرم: حذف الحرف الأول من البيت. والإضمار تسكين ثانية. ولما خرج عضد الدولة لقتال ابن عمه عز الدولة، بختيار بن معز الدولة، دخل عليه أبو علي الفارسي فقال له: ما رأيك في صحبتنا؟ فقال له: أنا من رجال الدعاء لا من رجال اللقاء، - فحار الله للملك في عزيته، وأنجح قصده في نهضته، وجعل العافية زاده، والظفر تجاهه، والملائكة أنصاره - . ثم أنشده:

ودعته حيث لا تودعه
ثم تولى وفي الفرداد له
فقال له عضد الدولة: - بارك الله فيك - فإني واثق بطاعتك، وأتيقن صفاء طويتك، وقد أنشدنا بعض أشياخنا بفارس:
فبلوه البعد بالقرب
سار من العين إلى القلب

فدعا له أبو علي، وقال: أياذن مولانا في نقل هذين البيتين؟ فأذن فاستملاهما منه. وكان مع عضد الدولة يوماً في الميدان فسأله: بماذا ينتصب الاسم المستثنى، في نحو قام القوم إلا زيدا؟ فقال أبو علي: ينتصب بتقدير أستثني زيدا. فقال له عضد الدولة: لم قدرت أستثني زيدا. فقال له عضد الدولة: لم قدرت أستثني زيدا فنصبت؟ هلا قدرت امتنع زيد. فرفعت، فقال أبو علي: هذا الذي ذكرته جواب ميداني، فإذا رجعت قلت لك الجواب الصحيح. وقد ذكر أبو علي في كتاب الإيضاح: أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا. قالوا: ولما صنف أبو علي كتاب الإيضاح، وحمله إلى عضد الدولة، استقصره عضد الدولة، وقال له: ما زدت على ما أعرف شيئاً، وإنما يصلح هذا للصبيان. فمضى أبو علي، وصنف التكملة، وحملها إليه. فلما وقف عليها عضد الدولة قال: غضب الشيخ، وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو. وحكى ابن جني عن أبي علي أنه كان يقول: أخطئ في مائة مسألة لغوية، ولا أخطئ في واحدة قياسية. قال أبو الفتح بن جني: قال لي أبو علي الفارسي: قرأ علي بن عيسى الرمانى كتاب الجمل وكتاب الموجز لابن السراج في حياة ابن السراج. وكان أبو طالب العبدي يقول: لم يكن بين أبي علي وبين سيبويه، أحد أبصر بالنحو من أبي علي. قرأت بخط سلامة بن عياض النحوي ما صورته: وفقت على نسخة من كتاب الحجة لأبي علي الفارسي، في صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة بالري، في دار كتبها التي وقفها صاحب ابن عباد - رحمه الله - وعلى ظهرها بخط أبي علي ما حكايته هذه: - أطال الله بقاء سيدنا صاحب الجليل، أدام الله عزه ونصره وتأييده وتمكيته -، كتابي في قراء الأمصار، الذين بينت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى، المعروف بكتاب السبعة، فما تضمن من أثر وقراءة ولغة، فهو عن المشايخ الذين أخذت ذلك عنهم، وأسندته إليهم، فمتى أثر سيدنا صاحب الجليل - أدام الله عزه ونصره وتأييده وتمكيته - حكاية شيء منه عنهم، أو عني لهذه المكاتبة فعل. وكتب الحسن بن أحمد الفارسي بخطه: ولأبي علي من التصانيف: كتاب الحجة، كتاب التذكرة، قد ذكرت حاله في ترجمة محمد ابن طوس القصري، كتاب أبيات الإعراب، كتاب الإيضاح الشعري، كتاب الإيضاح النحوي، كتاب مختصر عوامل الإعراب، كتاب المسائل الحلبية، كتاب المسائل البغدادية، كتاب المسائل الشيرازية، كتاب المسائل القصرية، كتاب الأغفال، وهو مسائل أصلحها على الزجاج، كتاب المقصور والممدود، كتاب نقص الهانور كتاب الترجمة، كتاب المسائل المنثورة، كتاب المسائل الدمشقية، كتاب أبيات المعاني، كتاب التتبع لكلام أبي علي الجبائي في التفسير، نحو مائة ورقة، كتاب تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة)، كتاب المسائل البصرية، كتاب المسائل العسكرية، كتاب المسائل المصلحة من كتاب ابن السراج، كتاب المسائل المشكلة، كتاب المسائل الكرمانية، ذكر المعري في رسالة الغفران: أن أبا علي الفارسي كان يذكر أن أبا بكر بن السراج، عمل من الموجز النصف الأول لرجل بزاز، ثم تقدم إلى أبي علي الفارسي بتمامه. قال: وهذا لا يقال إنه من إنشاء أبي علي، لأن الموضوع في الموجز، هو منقول من كلام ابن السراج في الأصول وفي الجمل، فكان أبا علي جاء به على سبيل النسخ، لا أنه ابتدع شيئاً من عنده نقلت من خط الشيخ أبي سعيد مع ب خلف البستي، مستوفي بيتي الزرد والفرس الملكشاهي بتوليته من نظام الملك، من كتاب ألفه بخطه، وكان عالماً فاضلاً حاسباً. قال الأستاذ أبو العلاء الحسين بن محمد، بن مهرويه في كتابه الذي سماه أجناس الجواهر: كنت بمدينة السلام أختلف إلى أبي علي الفارسي النحوي - رحمه الله - وكان السلطان رسم له أن ينتصب لي كل أسبوع يومين، لتصحيح كتاب التذكرة، لخزانة كافي الكفاة، فكان إذا قرأنا أوراقا من تجارينا في فنون الأداب، واجتينا من فوائده ثمار الألباب ورتعنا في رياض ألفاظه ومعانيه، والتقطنا الدر المنثور من سقاط فيه، فأجرى يوماً بعض الحاضرين ذكر الأصمعي، وأسرف في الثناء عليه، وفضله على أعيان العلماء في أيامه، فرأيت - رحمه الله - كالمنكر لما كان يورده، وكان فيما ذكر من محاسنه، ونشر من فضائله أن قال: من ذا الذي يجسر أن يخطئ الفحول من الشعراء غيره؟ فقال أبو علي: وما الذي رد عليهم؟ فقال الرجل: أنكر على ذي الرمة مع إحاطته بلغة العرب ومعانيها، وفضل معرفته بأغراضها ومأميها، وأنه سلك نهج الأوائل في وصف المغاوز، إذا لعب السراب فيها، ورقص الال في نواحيها، ونعت الجريال وقد سبح على جدله، والظليم وكيف ينفر من ظله؟ وذكر الركب وقد مالت طلاهم من غلبة المنام، حتى كأنهم صرعتهم كؤوس المدام، فطبق مفصل الإصابة في كل باب، وسأوى الصدر الأول من أرباب الفصاحة، وجارى القروم البزل من أصحاب البلاغة، فقال له الشيخ أبو علي: وما الذي أنكر على ذي الرمة؟ فقال قوله: وقفنا فقلنا إيه عن أم سالم لأنه كان يجب أن ينونه، فقال: أما هذا فالأصمعي مخطئ فيه، وذو الرمة مصيب، والعجب أن يعقوب ب السكيت قد وقع عليه هذا السهو في عيب ما أنشده. فقلت: إن رأى الشيخ أن يصدع لنا بجلية هذا الخطأ تفضل به، فأملى علينا: أنشد ابن السكيت لأعرابي من بني أسد:

وقائلة أسيت فقلت جبر
أصابهم الحمى وهم عواف
أسى إنني من ذاك إنه
وكن عليهم نحساً لعنه

فناديت القبور فلم يجيبنه
وأبدان بدران وما نخرنه

فجئت قبورهم بدءاً ولما
وكيف يجيب أصداء وهام

قال يعقوب: قوله جبر أي حقاً، وهي مخفوضة غير منوة، فاحتاج إلى التوين: قال أبو علي: هذا سهو منه، لأن هذا يجري منه مجرى الأصوات، وباب الأصوات كلها، والمبنيات بأسرها لا ينون، إلا ما خص منها لعل الفرقان فيها، بين نكرتها ومعرفتها، فما كان منها معرفة جاء بغير تنوين، فإذا نكرته نونته، ويكون من ذلك أنك تقول في الأمر: صه ومه، تريد السكوت يا فتى، فإذا نكرت قلت: صه ومه، تريد سكوتاً. وكذلك قول الغراب: غاق أي الصوت المعروف من صوته، وقول الغراب غاق، أي صوتاً، وكذلك إيه يا رجل، تريد الحديث، وإيه تريد حديثاً. وزعم الأصمعي: أن ذا الرمة أخطأ في قوله: وقفنا فقلنا إيه عن أم سالم. وكان يجب أن ينونه ويقول إيه منونة، وهذا من أوابد الأصمعي، فاحتاج إلى التوين. قال أبو علي: هذا سهو من غير علم. فقوله جبر بغير تنوين، في موضع قوله الحق، وتجعله نكرة في موضع آخر فتنونه، فيكون معناه: قلت حقاً. ولا مدخل للضرورة في ذلك، إنما التوين للمعنى المذكور، وبالله التوفيق. وتوين هذا الشاعر على هذا التقدير.

قال يعقوب: قوله: أصابهم الحمى: يريد الحمام. وقوله بدران: أي طعن في بواذرهم بالموت. والبادرة: النحر. وقوله: فجئت قبورهم بدءاً: أي سيداً، وبدء القوم: سيدهم. وبدء الجزور: خير أنصبائها. وقوله: ولما أي ولم أك سيداً إلا حين ماتوا فإني سدت بعدهم.

قرأت في معجم الشعراء للسلفي: أنشدني أبو جعفر، أحمد بن محمد بن كوثر، المحاربي الغرناطي بديار مصر، قال: أنشدنا أبو الحسن علي أحمد بن خلف النحوي لنفسه بالأندلس، في كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي النحوي:

أضع الكرى لتحفظ الإيضاح	وصل العدو لفهمه برواح
هو بغية المتعلمين ومن بغى	حمل الكتاب يلجه بالمفتاح
لأبي علي في الكتاب إمامة	شهد الرواة لها بفوز قداح
يفضي إلى أسرارهِ بنوافذ	من علمه بهرت قوى الأمداح
فيخاطب المتعلمين بلفظه	ويحل مشكله بومضة واحي
مضت العصور فكل نحو ظلمة	وأتى فكان النحو ضوء صباح
أوصى ذوي الإعراب أن يتذكروا	بحروفه في الصحف والألواح
فإذا هم سمعوا النصيحة أنجحوا	إن النصيحة غبها لنجاح

وكتب صاحب إلى أبي علي في الحال المقدم ذكرها: كتابي - أطال الله بقاء الشيخ، وأدام جمال العلم والأدب بحراسة مهجته، وتنقيس مهلته -، وأنا سالم والله حامد، وإليه في الصلاة على النبي وآله راغب، ولبر الشيخ - أيده الله - بكتابه الوارد شاكر.

فأما أخونا أبو الحسين قريبه - أعزه الله - فقد ألزمني بإخراجه إلى أعظم منة، وأتحنني من قربه بعلق مضنة، لولا أنه قلل المقام، واختصر الأيام. ومن هذا الذي لا يشاق ذلك المجلس؟ وأنا أحوج من كل حاضريه إليه، وأحق منهم بالمثابرة عليه، ولكن الأمور مقدرة، وبحسب المصالح ميسرة، غير أن ننتسب إليه على البعد وقتبس فوائده عن قرب، وسيشرح هذا الأخ هذه الجملة حق الشرح بإذن الله. والشيخ - أدام الله عزه - يبرد غليل شوقي إلى مشاهدته، بعمارة ما افتتح من البر بمكاتبتة، ويقتصر على الخطاب الوسط دون الخروج في إعطاء الرتب إلى الشطط، كما يخاطب الشيخ المستفاد منه التلميذ الأخذ عنه، ويبسط في حاجاته، فإني أظنني أجدر إخوانه بقضاء مهماته، إن شاء الله تعالى. قد اعتمدت على صاحبي أبي العلاء - أيده الله - لاستساخ التذكرة، وللشيخ - أدام الله عزه - رأيه الموفق في التمكين، من الأصل والإذن بعد النسخ في العرض - بإذن الله تعالى -.

قال حدثني علم الدين، أبو محمد القاسم بن أحمد الأندلسي - أيده الله تعالى - قال: وجدت في مسائل نحوية، ننسب إلى ابن جني قال: لم أسمع لأبي علي شعراً قط، إلى أن دخل إليه في بعض الأيام رجل من الشعراء، فجرى ذكر الشعر، فقال أبو علي: إني لأغبطكم على قول هذا الشعر، فإن خاطري لا يواتيني على قوله، مع تحققي للعلوم التي هي من موارده. فقال له ذلك الرجل: فما قلت قط شيئاً منه ألبتة؟ فقال: ما أعهد لي شعراً إلا ثلاثة أبيات قتلها في الشيب، وهي قولتي:

خضبت الشيب لما كان عيباً	وخضب الشيب أولى أن يعابا
ولم أخضب مخافة هجر خل	ولا عيباً خشيت ولا عتابا

ولكن المشيب بدا ذميماً

فصيرت الخضاب له عقاباً

فاستحسنها وكتبتها عنه، أو كما قال. لأنني كتبتها عن المفاهمة، ولم أنقل ألفاظها. أخبر أبو الحسن علي بن عمر الفراء، عن أبي الحسين، نصر بن أحمد، بن نوح المقرئ، قال: أنبأ أبو الحسن علي بن عبيد الله السهمي اللغوي ببغداد، أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد، بن عبد الغفار الفارسي النحوي، قال: جئت إلى أبي بكر السراج لأسمع منه الكتاب. وحملت إليه ما حملت، فلما انتصف الكتاب عسر علي في تمامه، فانقطعت عنه لتمكني من الكتاب، فقلت لنفسني بعد مدة: إن سرت إلى فارس، وسئلت عن تمامه، فإن قلت نعم، كذبت، وإن قلت لا، سقطت الرواية والرحلة. ودعتني الضرورة، فحملت إليه رزمة، فلما ابصرني من بعيد أنشد:

وكم تجرعت من غيظ ومن حزن

إذا تجدد حزن هو الماضي

وكم غضبت فما باليتم غضبي

حتى رجعت بقلب ساخط راضي

قرأت بخط الشيخ أبي محمد بن الخشاب: كان شيخنا، يعني أبا منصور موهوب بن الخضر الجواليقي فلما ينبل عنده ممارس للصناعة النحوية، ولو طال فيها بآه، ما لم يتمكن من علم الرواية، وما تشتمل عليه من ضروبها، ولا سيما رواية الأشعار العربية، وما يتعلق بمعرفتها من لغة وقصة، ولهذا كان مقدماً لأبي سعيد السيرافي، على أبي علي الفارسي - رحمهما الله -. وأبو علي أبو علي في نحوه. وطريقة أبي سعيد في النحو معلومة. ويقول: أبو سعيد أروى من أبي علي، وأكثر تحقّقاً بالرواية، وأثرى منه فيها: وقد قال لي غير مرة: لعل أبا علي لم يكن يرى ما يراه أبو سعيد، من معرفة هذه الأخباريات والأنساب، وما جرى في هذا الأسلوب - كبير أمر -. قال الشيخ أبو محمد: ولعمري إنه قد حكى عنه، أعني أبا علي أنه كان يقول: لا أخطئ في خمسين مسألة مما بابه الرواية، أحب إلي من أن أخطئ في مسألة واحدة قياسية. هذا كلامه أو معناه، على أنه كان يقول: قد سمعت الكثير في أول الأمر، وكنت أستحي أن أقول: أثبتوا اسمي. قال الشيخ أبو محمد وكثيراً ما تحصي السقطات على الحذاق من أهل الصناعة النحوية، لتقصيرهم في هذا الباب، فمنه يذهبون، ونم جهته يؤتو. تمام هذا الكلام في أخبار ابن الخشاب.

وقرأت في تاريخ أبي غالب بن مهذب المعري، قال: حدثني الشيخ أبو العلاء، أن أبا علي مضى إلى العراق، وصار له جاه عظيم عند الملك فناخسرو. فوقعت لبعض أهل المعرفة حاجة في العراق، احتاج فيها إلى كتاب من القاضي أبي الحسن سليمان، إلى أبي علي. فلما وقف على الكتاب قال: إني قد نسيت الشام وأهله، ولم يعره طرفه.

وذكر شيخنا أبو علي: أن بعض إخوانه سأله بفارس إملاء شيء من ذلك، فأملى عليه صدراً كثيراً، وتقصى القول فيه، وأنه هلك في جملة ما فقده، وأصيب به من كتبه. قال عثمان بن جي - رحمه الله -: وإن وجدت نسخة وأمكن الوقت، عملت بإذن الله كتاباً أذكر فيه جميع المعتلات في كلام العرب، وأميز ذوات الهمزة من ذوات الواو والياء، وأعطي كل جزء منهما حظه من القول، مستقصى - إن شاء الله تعالى -.

وحدثني أيضاً أنه وقع حريق بمدينة السلام، فذهب به جميع علم البصريين قال: وكنت قد كتبت ذلك كله بخطي، وقرأته على أصحابنا، فلم أجد من الصندوق الذي احترق شيئاً البتة، إلا نصف كتاب الطلاق عن محمد ابن الحسن. وسألته عن سلوته وعزائه، فنظر إلي عابجاً ثم قال: بقيت شهرين لا أكلم أحداً حزناً وهماً، وانحدرت إلى البصرة لغلبة الفكر علي، وأقمت مدة ذاهلاً متحيراً انقضى كلامه في هذا الفصل.

قرأت في المسائل الحلبية، نسخة كتاب كتبه أبو علي إلى سيف الدولة جواباً عن كتاب ورد عليه منه، يرد فيه على ابن خالويه في أشياء أبلغها سيف الدولة عن أبي علي نسخته: قرأ - أطال الله بقاء سيدنا الأمير سيف الدولة - عبد سيدنا الرقعة النافذة من حضرة سيدنا، فوجد كثيراً منها شيئاً لم تجر عادة عبده به، ولا سيما مع صاحب الرقعة، إلا أنه يذكر من ذلك ما يدل على قلة تحفظ هذا الرجل فيما يقوله، وهو قوله: ولو بقي عمر نوح ما صلح أن يقرأ على السيرافي، مع علمه بأن ابن هزاذ السيرافي يقرأ عليه الصبيان ومعلومهم، أفلا أصلح أن أقرأ على من يقرأ عليه الصبيان؟ هذا ما لاخفاء به. كيف وهو قد خلط فيما حكاه عني؟ وأنا قلت: إن السيرافي قد قرأ علي ولم أقل هذا. إنما قلت: تعلم مني أو أخذ عني هو وغيره ممن ينظر اليوم في شيء من هذا العل. وليس قول القائل: تعلم مني مثل قرأ علي، لأنه قد يقرأ عليه من لا يتعلم منه وقد يتعلم منه من لا يقرأ عليه. وتعلم ابن بهزاذ مني في أيام محمد بن السري وبعده، لا يخفى علي من كان يعرفني ويعرفه، كعلي بن عيسى الوراق، ومحمد بن أحمد اب يونس. ومن كان يطلب هذا الشأن من بي الأزرق الكتاب وغيرهم. وكذلك كثير من الفرس الذين كانوا يرونه يغشاني في صف شوبز، كعبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، لأنه كان جاري بيت بيت قبل أن يموت الحسن بن جعفر أخوه، فينتقل إلى داره التي ورثها عنه في درب الزعفراني.

وأما قوله إني قلت: إن ابن الخياط كان لا يعرف شيئاً، فغلط في الحكاية، كيف أستجيز هذا وقد كلمت ابن الخياط في مجالس

كثيرة؟. ولكني قلت: إنه لا لقاء له، لأنه دخل إلى بغداد بعد موت محمد بن يزيد، وصادف أحمد بن يحيى وقد صم صمماً شديداً، لا يخرق الكلام معه سماعه، فلم يمكن تعلم النحو منه، وإنما كان يعول فيما كان يؤخذ عنه، على ما يمله دون ما كان يقرأ عليه، وهذا الأمر لا ينكره أهل هذا الشأن ومن يعرفهم. وأما قوله: قد أخطأ البارحة في أكثر ما قاله. فاعتراف بما إن استغفر الله منه كان حسناً، والرقعة طويلة فيها جواب عن مسائل أخذت عليه. كانت النسخة غير مرضية، فتركتها إلى أن يقع ما أرتضيه. وأكثر النسخ بالحليبات لا توجد هذه الرقعة فيها. قرأت بخط أبي الفتح عثمان بن جني الذي لا أرتاب به قال: وسألته - يعني أبا علي - فقلت: أقرأت أنت على أبي بكر؟ فقال: نعم قرأته عليه، وقرأه أبو بكر على أبي سعيد يعني السكري. قال: وكان أبو بكر قد كتب من كتب أبي سعيد كثيراً، وكتب أبي زيد. قال: وذاكرته بكتب أبي بكر وقلت: لو عاش لظهر من جهته علم كثير، وكلاماً هذا نحوه فقال: نعم، إلا أنه كان يطول كتبه. وضرب لذلك مثلاً قد ذهب عني، أظنه - بارك الله لأبي يحيى في كتبه - أو شيئاً نحو ذلك.

قال: وفارقت أبا بكر قبل وفاته وهو يشغل بالعلة التي توفي فيها، ورجعت إلى بلاد فارس، ثم عدت وقد توفي. ورأيت في آخر كتابه في معاني الشعر خطي الذي كان يمله علي لأكتبه فيه، فعلمت أنه لم يزد فيه شيئاً. قال: وكان الأصمعي يتهم في تلك الأخبار التي يرويها. فقلت له: كيف هذا؟ وفيه من التورع ما دعاه إلى ترك تفسير القرآن ونحو ذلك. فقال: كان يفعل ذلك رياء وعناداً لأبي عبيدة، لأنه سبقه إلى عمل كتاب في القرآن، فجنح الأصمعي إلى ذلك.

الحسن بن أحمد، أبو محمد الأعرابي

المعروف بالأسود الغندجاني اللغوي النسابة. وغندجان: بلد قليل الماء، لا يخرج منه إلا أديب أو حامل سلاح. وكان الأسود صاحب دنيا وثروة، وكان علامة نسابة عارفاً بأيام العرب وأشعارها، قيماً بمعرفة أحوالها، وكان مستنده فيما يرويه عن محمد بن أحمد أبا الندى، وهذا رجل مجهول لا معرفة لنا به.

وكان أبو يعلى بن الهبارية الشاعر يعيره بذلك ويقول: ليست شعري، من هذا الأسود الذي قد نصب نفسه للرد على العلماء؟ وتصدى للأخذ على الأئمة القدماء، بماذا نصح قوله؟ ونبطل قول الأوائل ولا تعويل له فيما يرويه إلا على أبي الندى، ومن أبو الندى في العالم؟ لا شيخ مشهور، ولا ذو علم مذكور. قال المؤلف: ولعمري إن الأمر لكما قال أبو يعلى: هذا رجل يقول: أخطأ ابن الأعرابي في أن هذا الشعر لفلان، إنما هو لفلان بغير حجة واضحة، ولا أدلة لائحة، أكثر من أن يكون ابن الأعرابي قد ذكر من القصيدة أبياتاً يسيرة فينشدها هو تمامها، وهذا ما لا يقوم به حجة على أن يكون أعلم من ابن الأعرابي الذي كان يقاوم الأصمعي، وقد أدرك صدرًا من العرب الذين عنهم أخذ هذا العلم، ومنهم استمد أولو الفهم. وكان الأسود لا يقنعه أن يرد على أئمة العلم رداً جميلاً، حتى يجعله من باب السخرية والتهكم، وضرب الأمثال والطير. والحكاية عنه مستفاضة في أنه كان يتعاطى تسويد لونه، وأنه كان يدهن بالقطرا، ويقعد في الشمس ليحقق لنفسه التلقيب بالأعرابي، وكان قد رزق في أيامه سعادة، وذلك أنه كان في كنف الوزير العادل أبي منصور بهرام ابن مافنة، وزير الملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة، بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه صاحب شيراز، وقد خطب له ببغداد بالسلطنة. فكان الأسود إذا صنف كتاباً جعله باسمه، فكان يفضل عليه إفضالاً جماً، فأثرى من جهته. ومات أبو منصور الوزير في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة.

وقرأت في بعض تصانيفه: أنه صنف في شهور سنة اثنتي عشرة وأربعمائة. وقرأ عليه في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة. وللأسود من التصانيف: كتاب السل والسرقة، كتاب فرجة الأديب في الرد على يوسف ب أبي سعيد السيرافي في شرح أبيات سيبويه، كتاب ضالة الأديب في الرد على ابن الأعرابي في النوادر التي رواها ثعلب، كتاب قيد الأوابد في الرد على ابن السيرافي أيضاً في شرح أبيات إصلاح المنطق، كتاب الرد على النمري في شرح مشكل أبيات الحماسة، كتاب نزهة الأديب في الرد على أبي علي في التذكرة، كتاب الخليل مرتب على حروف المعجم، كتاب في أسماء الأماكن:

الحسن بن أحمد، بن عبد الله، بن البناء

أبو علي المقرئ، المحدث الحنبلي. ولد سنة ستوتسعين وثلاثمائة. وقرأ القرآن على أبي الحسن الحمامي وغيره. وسمع الحديث من ابن بشران وغيرهما، وتفقه على القاضي أبي يعلى ب الفراء. ومات في خامس رجب سنة إحدى وسبعين وأربعمائة. وصنف في كل فن حتى بلغت تصانيفه مائة وخمسين مصنفًا. منها: كتاب شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي في النحو، رأيته وكان له حلقة بجامع القصر، يفتي فيها ويقرأ الحديث وحلقة بجامع المنصور. وحدث السمعاني قال: سمعت أبا القاسم بن السمرقندي يقول: كان واحد من أصحاب الحديث اسمه الحسن بن أحمد بن عبد الله النيسابوري، وكان سمع الكثير، وكان ابن

البناء يكشط من التسميع بوري ويمد السين، وقد صار الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البنا قال: كذا قيل إنه كان يفعل. قال أبو الفرج: وهذا القول بعيد من الصحة، فإنه قال: كذا قيل ولم يحك عن علمه بذلك، فلا يثبت هذا. والثاني أن الرجل مكث لا يحتاج إلى الاستزادة لما يسمع، ومتدين ولا يحسن أن يظن بالمتدين الكذب. والثالث أنه قد اشتهرت كثرة رواية أبي علي بن البنا، فأين هذا الرجل الذي يقال له: الحسن بن أحمد بن عبد الله النيسابوري؟ ومن ذكره ومن يعرفه؟ ومعلوم أن من اشتهر سماعه لا يخفى. وقال السمعاني ونقلته من خطه: الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البنا المقرئ الحافظ أبو علي، أحد الأعيان، والمشار إليهم في الزم، له في علوم القرآن والحديث والفقه والأصول والفروع عدة مصنفات. حكى بعض أصحاب الحديث عنه أنه قال: صنفت خمسمائة مصنف، وكان حلو العبارة. قال السمعاني: وقرأت بخط الإمام والدي: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي علي الهمذاني بها يقول: سمعت أبا علي ابن البنا ببغداد. وقال: ذكرني أبو بكر الخطيب في التاريخ بالصدق أو بالكذب؟ فقالوا: ما ذكرك في التاريخ أصلاً فقال: ليته ذكرني ولو في الكذابين.

قال السمعاني: أنبأنا أبو عثمان العصائدي، أنبأنا أبو علي بن البنا قال: كتب إلي بعض إخواني من أهل الأدب كتاباً وضمنه قول الخليل بن أهد:

إن كنت لست معي فالقلب منك معي	يراك قلبي وإن غيبت عن بصري
العين تبصر ما تهوى وتفقد	وباطن القلب لا يخلو من النظر
فكتب إليه أبو علي لنفسه:	
إذا غيبت أشباحنا كان بيننا	رسائل صدق في الضمير تراسل
وأرواحنا في كل شرق ومغرب	تلاقي بإخلاص الوداد تواصل
وثم أمور لو تحققت بعضها	لكنت لنا بالعدل فيها تقابل
وكم غائب والصدر منه مسلم	وكم زائر في القلب منه بلابل
فلا تجزع يوماً إذا غاب صاحب	أمين فما غاب الصديق المجامل

الجزء الثامن

الحسن بن أحمد الأسترابادي

أبو علي النحوي اللغوي، الأديب الفاضل، حسنة طبرستان، وأوحد ذلك الزمان، وله من التصانيف: كتاب شرح الفصيح. كتاب شرح الحماسة.

الحسن بن أحمد، بن الحسن، بن أحمد

ابن محمد، بن سهل، بن سلمة، بن عثكل، بن حنبل، بن إسحاق العطار الحافظ أبو العلاء الهمذاني، المقرئ من أهل همذان. مات في تاسع عشر جمادى الأولى سنة تسع وستين وخمسمائة. وذكره بعض الثقات من أهل العلم، فذكر له مناقب كثيرة، وذكر نسبه وولادته فقال: هو أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن، بن أحمد، ابن محمد، بن سهل، بن سلمة، بن عثكل، بن إسحاق العطار الهمذاني. وكان عثكل من العرب. وأما ولادته: فإنها كانت يوم السبت قبل طلوع الشمس الرابع عشر من ذي الحجة، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة. بهمذان وذكر من مناقبه قال: سمعته - رحمه الله - يقول: سلمت في صغري إلى رجل معلم. قال: سماه ونسيت اسمه قال: وكنت أحفظ عليه القرآن، فحفظت عليه إلى سورة يوسف، ثم أجرى الله لساني بحفظ الباقي من القرآن دفعة واحدة، من غير تحفظ وتكرار، فضلاً منه جل جلاله. قال: وسار في ليلة واحدة في طلب الحديث من جرباذقان إلى أصفها.

وسمعه يقول: لما حججت كنت أمشي في البادية راجلاً قدام القافلة، أحياناً مع الدليل، وأحياناً أخلف الدليل، حتى عرفني الدليل واستأنس بي ومال إلي، وهو يسير على ناقة له تكاد ترد الريح، وكنت أرى الدليل يتعجب من قوتي على السير، وكان أحياناً يضرب ناقته ويمعن في السير، وكنت لا أخلّي الناقة تسبقي. فقال لي الدليل يوماً: تقدر أن تسابق ناقتي هذه؟ فقلت: نعم. فضربها وعدوت معها فسبقتها.

قال: وكان كثير الحفظ للعلوم، كثير المجاهدة في تحصيلها، فسمعته يقول - رحمه الله -: حفظت كتاب الجمل في النحو لعبد

القاهر الجرجاني، في يوم واحد من الغداة إلى وقت العصر. قال: وسمعت الشيخ أبا حفص عمر بن الحسين الوشاء المقرئ يقول: سمعت الإمام الحافظ - رحمه الله - يقول: حفظت يوماً ثلاثين ورقة من القراءة. قال: وسمعت الإمام الحافظ أبا بكر محمد بن شيخ الإسلام الحافظ أبي العلاء قال: سمعت الشيخ الصالح إبراهيم المرجي قال: سمعت الشيخ - رحمه الله - يقول: ولو أن أحداً أتاني بحديث واحد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغني لمأت فاه ذهباً. قال: وكان الشيخ - رحمه الله - حفظ الجمهرة لأبي بكر بن دريد، وكتاب المجمل لابن فارس، وكتاب النسب للزبير بن بكار.

قال: وبلغني عن الثقة أن الحافظ أبا جعفر - رحمه الله - كان يقول: لو أن الله تعالى يقول لي يوم القيامة: ماذا أتيتني به؟ أقول ربي وسيدي، أتيتك بأبي العلاء العطار. قال: وكان الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد ابن الفضل الجوزي - رحمه الله -، يملي يوماً في الجامع بأصفهان وعنده جماعة من المحدثين، إذ دخل الشيخ الحافظ أبو العلاء - رحمه الله - من باب الجامع، فلما نظر الحافظ أبو القاسم إليه أمسك عن الإملاء، ونظر إلى أصحابه وقال: أيها القوم: إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها، وهذا الرجل المقبل من جملتهم، قوموا نسلم عليه، فقاموا واستقبلوه، وسلموا عليه واعتنقوه. قال: وكان يقرأ على الشيخ أبي العز المقرئ القلانسي الواسطي - رحمه الله -، وكان يفضل على أصحابه، فشق ذلك عليهم، فاجتمع بعضهم يوماً وفيهم الشيخ أبو العلاء - رحمه الله -، فسألهم الشيخ أبو العز عن اختلاف القراء. في قوله تعالى: (كوكب دري يوقد) وأقاريل الأئمة فيها، فسقط في أيديهم، وتاهوا في شرحها، وما أجابوا بطلال. ثم أقبل الشيخ أبو العز على الشيخ - رحمه الله - وقال: تكلم أنت فيها يا أبا العلاء، فشرع فيها الشيخ وعد فيها بضعة عشر قولاً، وأدى فيها حقاً بأحسن إشارة، وأبلغ عبارة. فلما فرغ، نظر الشيخ أبو العز إلى أصحابه الحاضرين وقال: بهذا أفضله عليكم، لو أمهلتمكم مدة لما قدرتم على الذي ذكر هو بديهة من غير عزيمة سابقة، وروية سائلة. قال: وكان محترماً عند الخلفاء والسلطين. كتب إليه المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين كتاباً من جملته: وبعد، فإن الأب القديس النفيس، خامس أولي العزم، وسابع السبعة على الحزم، وارث علم الأنبياء، حافظ شرع المصطفى أبا العلاء، ثم ذكر كلاماً واستدعى منه الدعاء. قال: وسمعت ولده أبا محمد عبد الغني ابن الشيخ الحافظ أبي العلاء - رحمه الله - يقول: لما دخل أبي على أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله - رضي الله عنه - بعد استدعاء أمير المؤمنين إياه، كان يأمره خواص الخليفة بتقبيل الأرض في المواضع، وكان يأبى ذلك، فلما أكثروا عليه قال: دعوني، إنما السجود لله تعالى، فكفوا عنه حتى وصل إليه، وسلم بالخلافة عليه، فقام له أمير المؤمنين وأجلسه، ثم كلمه ساعة وسأل نمه الدعاء، فدعا وأذ له في الرجوع فرجع، وكانوا قد أحضروا الخلعة والصلة فاستعفى من ذلك فأعفى، وخرج من بغداد حذراً من فتنة الدنيا وآفاتها.

وحدثني غير واحد، أن السلطان محمداً لما دخل عليه داره، نصحه كثيراً ووعظه، وكان السلطان جالساً بين يديه، مقبلاً عليه بوجهه، مصغياً إلى كلامه فلما قام ليخرج، أمره بتقدمة رجله اليمنى، وأخذ الطريق من الجانب الأيمن.

وسمعت الإمام أبا بشر - رحمه الله - يقول: سمعت عبد الغني بن سرور المقدسي يقول: كنت يوماً في خدمة الحافظ أبي طاهر السلفي بثغر الإسكندرية، تقرأ الحديث، فجرى ذكر الحفاظ إلى أن انتهى الكلام إلى ذكر الحافظ أبي العلاء - رحمه الله -، فأطرق الحافظ أبو طاهر عند ذكره ساعة، ثم رفع رأسه وقال: قدمه دينه، قدمه دينه. قال: وسمعت أبا بشر محمد بن محمد، بن محمد ابن منصور المقرئ الخطيب بشيراز، يذكر الحافظ أبا العلاء - رضي الله عنه - ويثني عليه، ثم أنشد يقول:

فسار مسير الشمس في كل موطن وهب هبوب الريح في الشرق والغرب

قال: وسمعت الإمام أبا نصر أحمد بن الإمام الحافظ أبي الفرج بن عبد الملك بن الشعار يقول: سمعت الإمام أبا الحسن الحراني يقول: كنت أطوف بالكعبة، فرأيت شيخاً في الطواف، فلما نظرت إليه تفرست فيه الخير والصلاح، فانتظرت حتى قضى طوافه، فدنوت منه، وسلمت عليه فرد علي السلام، فسألته عن الوطن، فسمى لي موطناً بعيداً، ذكره أبو الحسن، ونسبه أبو نصر. قال أبو الحسن: فقلت: أي شيء المقصد بعد بلوغك بيت ربك؟ فقال: مقصدى الحافظ أبو العلاء، فتعجبت في نفسي وقلت: ستظفر إن شاء الله بمقصودك، وتنال مطلوبك، وبكيت حتى غلبني البكاء. فقال لي: ومم بكائك؟ فقلت: إن الحافظ أبا العلاء الذي تقصده وتأمل بلوغه، قد كنت مستفيداً منه كذا وكذا سنة، قرأت عليه القرآن ختماً، وسمعت منه الحديث الكثير، فتعجب من قلبي وقام إلي، وقبل بين عيني، وهو يفديني بأبيه وأمه، وغاب عني.

قال: وسمعت أبا بشر يقول: لما دخلت على الإمام أبي المبارك المقرئ بشيراز، جعل يذكر شيخ الإسلام الحافظ أبا العلاء الهمداني - رحمه الله - ويثني عليه. ثم أنشد متمثلاً:

فسار مسير الشمس في كل موطن وهب هبوب الريح في الشرق والغرب

قال: رحل إليه رجل من أقصى المغرب، وكان له حظ في كل علم، ومدحه بقصيدة هي من غرر القصائد، وذكر أحواله في سفرته، وما أصابه من التعرب والمشاق. ومن شعره فيه أيضاً:

سعى إليك على قرب ومن بعد	من كان ذا رغبة في العلم والسند
حتى أناخ بمغناك الكريم وقد	كلت ركائبه في العنف والسند
لذاك أترى وما أوعت أنامله	لكن وعى قلبه ما شاء من مدد
وما أناخ بمغنى غيركم أحد	إلا ونودي، ما بالربع من أحد
وقد قصدتك من أقصى المغارب لا	أبغي سواك لوحى الواحد الصمد
وما امتطيت سوى رجلي راحلة	وقد غنيت عن العيرانة الأجد
وهذه رحلة بكر كشفت لها	عن ساق ذي عزمات غير متد
عناية لم تكن قبلي لذي طلب	وحظوة لم تكن في غابر الأبد
هل كان قبلك حبر أمه رجل؟	وسار مدة حول سير مجتهد
أبا العلاء الكل إنك في	أقصى العراق مقيم منه في بلد
وقد فشا لك ذكر في البلاد كما	فاحت أزاهر روض للغمام ندى

قال: وسمعت الشيخ - رحمه الله - يقول يوماً لمن حضره: إن خلف أبو العلاء ديناراً أو درهماً بعد موته، فلا تصلوا عليه. وقد كان - رحمه الله - لا يبقى على الذهب والفضة، وكل ما آتاه الله منها يصرفه في اليوم، وينفقه في قضاء الديون ومراعاة الناس، فمات ولم يخلف ديناراً ولا درهماً، حتى بيعت داره وقضى منه دينه. قال: وكان - رحمه الله - شديد التمسك بسن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان لا يسمع باطلاً أو يرى منكراً إلا غضب لله، ولم يصبر على ذلك ولم يداهن فيه. قال: سمعت أبا رشيد راشد بن إسماعيل المعدل يقول: كنت عند الشيخ يوماً فدخل عليه أبو الحسين العبادي الواعظ زائراً، وجلس عنده زماناً وجعل يكلم الشيخ إلى أن جرى في كلامه، وقد عزمت غير مرة على الإتيان إلى الخدمة، لكن منعني كون الكوكب الفلاني في البرج الفلاني، فزجره الشيخ وقال: السنة أولى أن تتبع، فقام العبادي خجلاً وخرج. وكان من ورعه في رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه ما كان يترجم الحديث للعامة رعاية منه للصدق، واستدعى منه بهذان أن يفسر للناس حديثاً واحداً فأجاب، وقعد لذلك، فلما شرع في الكلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان في الدولة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستغفر ثم رجع وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستدعى منه ثانياً بالكرخ كذلك، فروى حديثاً في فضائل الأعمال وفي بعض ألفاظه (حتى يدخل الجنة)، ففسر لفظة الجنة قبل أن يفسر لفظة (حتى يدخل) كأنه قدم لفظة (الجنة) على لفظة (حتى يدخل) في ترجمته، فاستغفر ورجع، وأتى بها على الوجه المنطوق به في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان - رحمه الله - يتخرج عن القصص والكلام فيه والتمق والتكلف حذراً من الزيادة والنقصان. ولما قصد السلطان محمد بغداد، وحاصرها وخالف الإمام المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين رضي الله عنه. كان الشيخ - رحمه الله - يقرأ صحيح البخاري بهذان على الشيخ عبد الأول - رحمه الله - على أسلوب. يحضره لسماع الكتاب عامة أهل البلد، من الأمراء والفقهاء والعلماء، والصوفية والعوام، فصرح بالقول قائماً على المنبر، بأن السلطان ومن معه من جنوده خارجة مارقة. ثم قال: لو أن رجلاً من عسكر أمير المؤمنين رمى رجلاً من أصحاب السلطان بسهم، وجاءه آخر من غير الفريقين، فنزع السهم من جراحه، يكون هو أيضاً خارجاً باغياً، وكرر القول في ذلك مراراً. قال: وسئل الشيخ - رحمه الله - عن سبب أكثر اشتغاله بعلم الكتاب والسنة فقال: إني نظرت في ابتداء أمري فرأيت أكثر الناس عن تحصيل هذين العلمين معرضين، وعن دراستهما لاهين، فاشتغلت بهما، وأنفقت عمري في تحصيلها حسبة قال: ورأى - رحمه الله - قلة رغبة الخلق في تحصيل العلم، والرحلة ولقاء الشيوخ، فاتخذ مهذا وعزم على المضي إلى بغداد وأصفهان للرواية، ورفع مناور العلم وإحياء السنة حسبة، فمنعه الضعف والكبر، وأدركته المنية وهو على هذه النية. قال: سمعت الثقة يقول: سمعت الشيخ - رحمه الله - يقول: كنت واقفاً يوماً على باب دار الشيخ أبي العز القلانسي - رحمه الله - في حر شديد أنتظر الإذن، فمر بي إنسان فرأني على تلك الحال واقفاً فقال لي: أيها الرجل، لو أنك تصير إماماً يقرأ عليك، ويقتدى بك، أهكذا كنت تفعل أنت بطلبة العلم ومن يأتيك من الغرباء؟ فزفرت عيناى فقلت: لا إن شاء الله، وأشهدت الله تعالى في نفسي في تلك الحال، على أنني لا أخذ على التعليم والإقراء والتحديث أجراً، ولا أبخل بعلمي على أحد، وأبذله حسبة، فكان كما قال، ويقعد لطلبة العلم من أول النهار إلى آخره.

قال: وكان الشيخ - رحمه الله - لا يرى طول هاره إلا كاتباً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو مطالعاً له، أو مشغلاً به، أو مصغياً إلى قراءة القرآن وطلبة العلم. هكذا كان دأبه بالنهار، ويجعل ليلته ثلاثة أثلاث، يكتب في ثلث، ويتفكر في ثلث، وينام في ثلث، وكان كثيراً ما يقول عند انتباهه من النوم: يا كريم يا كريم أكرمنا وكان من كرامته على الاس وإقبال الخلق عليه، وتبركهم به، أنه كان يصعب عليه المرور يوم الجمعة في مضيه ورجوعه، لازدحام الخلق عليه. وكان جماعة من الشبا

يتحلقون حواليه، يدفعو عنه زحمة الناس وهو يمر في وسطهم مطرقاً، لا يشتغل بأحد وهو يقول: يا من أظهر الجيمل وستر على القبيح.

قال: سمعت العدل عمر بن محمد يقول: دخلنا على الإمام الحافظ أبي العلاء - رضي الله عنه - وهو يكتب، فقعنا عنده ساعة، فوضع ما في يده، وقام ليتوضأ فنظرا فيما كتب، فإذا هو قد بيض كل موضع فيه اسم من أسماء الله تعالى، أو ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتعجبنا من ذلك، فلما رجع سألناه عن ذلك فقال: إني لما كنت أكتب ذلك شككت في الوضوء، فما جوزت أن أكتب بيدي أسماء الله تعالى، أو ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وأنا شاك في الوضوء.

وكان الشيخ - رحمه الله - إذا نزل بالناس شدة أو بلاء، يجيء إليه الناس ويسألونه الدعاء فيقول: اللهم إني أخاف على نفسي أكثر مما يخافون على أنفسهم. وكان كثيراً ما يقول: ليتني كنت بقالاً أو حلاجاً، ليتني نجوت من هذا الأمر رأساً برأس، لا علي ولا ليا. قال: وسمعت والدي يحكي عن الإمام عبد الهادي بن علي - رحمه الله عليه - أنه قال: كنت أمشي يوماً مع الشيخ الإمام الحافظ - رحمه الله - في الشتاء في وحل شديد في رجليه مداس خفيف، يكاد يدخل فيها الطي، فقلت له يا أخي: لو لبست مداساً غير هذا يصلح للشتاء فقال: إذا لبست غيرها لهت عيني عن النظر إليها، فربما نظرت إلى منكر أو فاحشة، وفي دوام نظري إليها وحفظي لها عن الوحل، شغل عن ذلك وحفظ لليصر. قال: وكراماته مشهورة بين الناس، منها ما كتب به إلى الشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المقرئ قال: سمعت الأستاذ بهلة الطحا يقول: حملت أحمال الحنطة من دار الشيخ - رضي الله عنه - لأطحنها لأهله، فلما طحنتها ووضعت بعضها على بعض، قصد بعض من في الطاحونة من المستحقين أن يأخذ شيئاً من ذلك الدقيق، ليخبز منه رغيفاً، فصحت عليه ومنعته من الأخذ، فلما رددت الأحمال إلى دار الشيخ من الغد، تبسم الشيخ في وجهي وقال: وملك يا بهلة، لم منعك الرجل أن يأخذ قبضات من الدقيق؟ فتحيرت من قوله: وقيل في الحال رجليه، وتبت على يديه، واستغفرت الله عز وجل عما سلف مني من الذنوب، وصرت معتقداً في كرامات أولياء الله تعالى.

قال: سمعت أبا محمد عبد الله بن عمر يقول: كنت يوماً في خدمة الشيخ - رضي الله عنه - نأكل الغداء، فدق الباب داق، فقامت وفتحت له الباب. فإذا بالشيخ الصالح مسعود النعال، فاستأذنت له، فدخل وقعد عند الشيخ إلى الطعام. فلما كان بعد ساعة نظر إلى مسعود وقال يا مسعود: لو أن النطفة التي قدر الله عز وجل في سابق علمه، أن يخلق منها خلقاً صبت على الأرض، لظهر من ذلك الخلق. فلما سمع مسعود النعال هذا الكلام انزعج وبكى وصاح. فتعجبنا من تلك الحالة فلما سكن، سألته عن سبب انزعاجه وتواجده من كلام الشيخ. فقال لي: اعلم أنني تزوجت امرأة منذ سنين كثيرة، وما رزقت منها ولداً، وأني جئت اليوم لأسأل منه الدعاء، حتى يرزقي الله عز وجل ولداً صالحاً. فقبل سوالي إياه حدثني بما في قلبي، وأظهر لي سري، وأسمعني ما سمعتم، قال: ثم دعاه الشيخ - رضي الله عنه - ودعا له، وسأل الله عز وجل له الولد، ونأوله شيئاً من بقية طعامه وقال: أطعمها أهلك. قال: ثم رأيته بعد ذلك بمدة، فقال لي: قد رزقني الله عز وجل، والحمد لله ابناً وبناتاً ببركة دعاء الشيخ وهمة. قال: وسمعت الشيخ أبا بكر عبد الغفار. بن محمد بن عبد الغفار، وكان خال ولد الشيخ - رضي الله عنه - يقول لي: هل علمت سبب وفاة أختي، يعني التي كانت حليمة الشيخ - رحمه الله عليهما - قلت: لا. قال: قالت أختي: كان للشيخ في الدار بيت مختص به لا يدخله غيره، وكا يأذن لي في بعض الليالي بدخولي فيه، وفي أكثر الأوقات وأغلب الليالي، يغلق الباب على نفسه ويخلو فيه بنفسه، وأبيت أنا في الدار وحدي، فاشتد ذلك علي، حتى أفلق نهاري، وأسهر ليلي. فبينما أنا متفكرة في بعض تلك الليالي، إذ قلت في نفسي: لم لا أقوم فأرتقي الرواق، وأنظر إليه من كوة البيت لأفـ على حاله؟ فقامت وارتقيت الرواق، فقبل بلوغي الكوة رأيت نوراً عظيماً، وضياء ساطعاً من البيت أضاء منه كل شيء، فتقدمت ونظرت في البيت، فرأيت الشيخ جالساً في مكانه، وحوله جماعة يقرءون عليه، وكنت أرى سوادهم، وأسمع حسهم، غير أنني لا أرى صورهم. فهالني ذلك، ووقعت مغشياً علي لا أشعر شيئاً، إلا أنني رأيت الشيخ واقفاً على رأسي، فأقامني وتلطف بي، وقال لي: ماذا دهأك؟ فقصصت عليه قصتي. فقال لي: كفي عن هذا، ولا تخبري بما رأيت أحداً من الناس، إن كنت تريدين رضاي. فقبلت منه ذلك، وكتمت سره حتى أمرضني، وحملت مريضة إلى دار أبي.

قال الإمام أبو عبد الله: وقال لي الشيخ أبو بكر، واشتد عنده مرضها، وكنا نسألها عن سبب مرضها، وكانت تعلق بأشياء إلى أ وقعت في هول الموت، وسياق النزاع فنظرت إلينا وبكت، ثم قالت: أوصيكم بزوجي أبي العلاء واسترضائه، والآن بدا لي أن أخبركم بسبب موتي، ثم قصت علينا هذه القصة، وفارقت الدنيا - رحمه الله - قال: وسمعت الشيخ أبا العلاء أحمد بن الحسن الحداد العارف يقول: سمعت الشيخ عمر بن سعد بن عبد الله بن حذيفة، من نسل حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - يقول: كنت مع الحافظ جزءاً من مسموعه وقرأه عليه، ثم سلمنا عليه وارتحلنا من عنده، فوصلنا إلى نهر عظيم، فلما عبرنا النهر، وقع ذلك الجزء منا وضاع، وضاع قلب الحافظ لذلك ضيقاً شديداً. فلما كان بعد ذلك بأيام، استقبلنا رجل حسن الوجه، حسن الشارة، وسلم علينا، ثم أقبل على الحافظ وقال: ما الذي أصابك؟ وما سبب حزنك؟ فقص عليه الحافظ قصة الجزء وكيفية ضياعه، فقال: خذ

القلم واكتب عني جميع ما ضاع عنك في ذلك الجزء، وأخذ الحافظ القلم متعجباً ينظر إليه، وهو يملئ والحافظ يكتب إلى أن فرغ، فلما فرغ الحافظ أخذ ببعض ثيابه فقال: أنشدك الله من أنت؟ فقال: أنا أخوك الخضر، وبعثت إليك لهذا الأمر. ثم غاب عنا فلم نره.

سمعت الشيخ الصالح سنقر بن عبد الله غلام شيخنا أبي طاهر محمد بن الحسن، بن أحمد العطار - رحمه الله - ابن الشيخ - رضي الله عنه - يقول: إني خدمت الشيخ - رضي الله عنه - سنين كثيرة، فرأيت العجائب الكثيرة في خلواته. منها: أنه قام ليلة ليتوضأ، فقال لي استق الماء من البئر فجئت وأرسلت الدلو فيها، فلما بلغ الدلو إلى رأس البئر نظرت فيها، فإذا الدلو مملوء ذهباً أحمر، أضاء الدار حمرته، فصحت صيحة عظيمة فقال لي أيها الشيخ: ماذا أصابك؟ فأريته الدلو، فاسترجع ثم استغفر، وقال لي: اقلب الدلو في البئر، فإذا نطلب الماء لا الذهب. قال: فقلبتها ثم أخذ الدلو من يدي واستقى الماء وقال لي: يا سنقر، إياك إياك أن تخبر بما رأيت أحدًا من الناس ما دمت حياً.

قال: رأيت بخط الثقة ذكر أنه نقل من خط الشيخ أبي الفتح محمد بن الحسين بن وهب: سمعت الشيخ أبا عبد الله الحسين بن إبراهيم، بن الحسين بن جعفر الجوزقاني يقول: كنت نائماً ذات ليلة، فرأيت فيما يرى النائم، كأن الناس يهرعون إلى رباط أبي الفرج، أحمد بن علي المقرئ - رحمه الله عليه - قال: فسألت ما لهؤلاء؟ فقالوا: إن أنس بن مالك - رضي الله عنه -، نزل في رباط المقرئ، ففرحت وأسرعت، وقصدت الإمام الحافظ أبا العلاء وأخبرته بذلك، فلما سمع مني فرح ونشط، وقام وأخذ جزءاً واحداً من أحاديث أس بن مالك - رضي الله عنه - وجاء معي حتى دخلنا الرباط، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في الرباط، ورأينا أنس بن مالك عن يساره، فقدمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلمنا عليه، وجلسنا بين يديه، فاستأذنه أبو العلاء في قراءة ذلك الجزء عليه، فأذن له فابتدأ أبو العلاء بالقراءة، وقرأ ذلك الجزء قراءة حسنة مبينة صحيحة، ورأيت صلى الله عليه وسلم يتبسم من الفرح مرة إلى وجهه، ومرة إلى وجهي فلما قرأ الجزء انتبهت من النوم، فقامت وتوضأت وصليت الصلاة شكرًا لله تعالى على ما رأيت في المنام.

قال: وسمعت الشيخ عمر بن أبي رشيد بن طاهر الزاهد يقول: رأني يوماً الشيخ علي الشاذاني صاحب الكرامات الظاهرة. فقال لي يا عمر: اذهب إلى الحافظ أبي العلاء وقبل جبينه عني، فإني رأيت الليلة في المنام أن من قبل جبهته موقناً محتسباً - غفر الله له -.

قال: وسمعت الشيخ الزاهد وكان من الأبدال، إن شاء الله يقول: سمعت الشيخ سعيداً المتقي وكان من الصالحين يقول: رأيت جنات عدن مفتوحة أبوابها، وإذا الناس كلهم وقوف ينظرون دخول شخص، فلما قرب من الباب وكاد يدخل جنة عدن، سألت من هذا الشخص الذي يدخل جنة عدن قبل دخول الخلائق؟ فقالوا: الحافظ أبو العلاء ومن كان يحبه في الله عز وجل، فقتضرت وبكيت وقلت: وأنا أيضاً ممن يحبه في الله عز وجل، دعوني أدخل. فقال شخص: صدق: دعوه يدخل، فدخلت مع القوم وهم يقولون: (أدخلوها بسلام آمنين). قال المصنف: وحكى لي الشيخ الإمام أبو عبد الله زبير بن محمد بن زبير المشكاني - رحمه الله - فقال: رأيت ليلة من الليالي في المنام كان الإمام أبا العلاء - رضي الله عنه - يمشي إلى الحج، وهو جالس في المهد مربع، والمهد يمشي في الهواء بين السماء والأرض، فعدوت خلفه، فنزل المهد من السماء إلى الأرض وشيء مثل الودت، وخرج من ذلك المهد فتعلقت به، فقام المهد يمشي في الهواء وأنا متعلق به حتى وصلنا الفرات، فأخذني العطش فقلت للحافظ: إني عطشان أريد أن أشرب، فقال لي: تعال حتى تشرب من زمزم، فمشيا حتى وصلنا مكة فدخلت الحرم، وشربت من ماء زمزم، ورأيت في الحرم خلقاً كثيراً، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الحافظ أبي العلاء، جالسا على تل في الحرم أعلى من سطح الحرم، وما معهما أحد غيرهما، وهما يستقبلان الكعبة، وينظران إلى فوق، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم مع أحد نحو فوق الكعبة، وإذا أراد أن يتكلم قام إليه، ورأيت شيخنا الحافظ أبا العلاء شاخصاً ببصره إلى الذي يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فوق الكعبة، ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً، فقلت في نفسي: أذهب فأبصر من الذي يتكلم النبي صلى الله عليه وسلم معه؟ ويظهر إليه الحافظ أبو العلاء، فتقدمت وظرت إلى فوق الكعبة، فرأيت عرش الرحمن - جل جلاله - واقفاً فوق الكعبة، ورأيت الرحمن - جل جلاله - عليه، فأشار إلي النبي صلى الله عليه وسلم أن اسأل الله تبارك وتعالى، فسألت الله تعالى أربع حاجات، فسمعت يقول بالفارسية كردم وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة ففعل، فنويت الرجوع، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفارسية: شكرانه كو. فوقفت وقرأت (قل هو الله أحد) خمسمائة مرة. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن، فرجعت وتركت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا مع الحافظ أبي العلاء على ذلك التل، وينظران إلى الله عز وجل.

وقد مدحه أفاضل عصره بأشعار كثيرة، منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي، وقد خرج الشيخ فحجبت الشمس غيماً فقال في ذلك:

ظهرت فأخفت وجهها الشمس هيبية
ولما رأت مسعاك كفت شؤونها
وقد كان ذاك القطر أيضاً دلالة
ولا شك أن الله يرحم أمة

وشوقاً إلى مرآك أسبلت الدمعا
لئلا ترى شيئاً يصدك عن مسعى
على أن مولى الجمع قد رحم الجمعا
حللت بها قطعاً أقول بذا قطعاً

وقد مدحه أبو عبد الله المغربي هذا بقصائد حسان، وقد أفرد لها الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن محمود، بن أبراهيم، بن الفرّج، مؤلف هذه المناقب، - رحمه الله - والأصل يشتمل على ستة أجزاء بخطه كلها - رحمه الله - وقد ذكر فيه بعد ذكر القصائد التي ذكرتها: سمعت أبا بشر محمد بن محمد، بن محمد بن هبة الله، بن عبد الله بن سهل - رحمه الله - يقول: كان أبو عبد الله المغربي بأصفهان في مدرسة النظام وهو يقرأ القرآن، فلما بلغ قوله - عز وجل - (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قام وصرخ، وترك أمتعته وكتبه، وأقبل إلى الصحراء هائماً، وما ربي بعد ذلك، ولا سمع له خيراً ولا أثر.

وأنشد موفق بن أحمد المكي الخطيب الحافظ في مدحه:

حفظ الإمام أبي العلاء الحافظ
عمرو بن بحر بحره من جدول
ما إن رأينا قبل بحرك من له
أحييت ما قد غاض من سنن العلا
بهظ البرايا عبء أدنى علمه
كم واعظ، لي أن أجاوز هجره
غاظ الأعادي جاهه لعلومه

بالرجل ينكت هام حفظ الجاحظ
متشعب من بحر بحر الحافظ
بحر طفوح كالأتي اللافظ
والعلم قبلك باليراع الغائظ
أعظم به من عبء علم باهظ
لو كان ينجع في وعظ الواعظ
فرددت غيظهم بهذا القائظ

وأنشد أيضاً في مدحه:

وليس اعتراف الحاسدين بفضل
بدا كعمود الفجر ما فيه شبهة

لشيء سوى أن ليس يمكنهم جحد
فهل لهم من أن يقرأوا به، بد؟

وأنشد الإمام العلامة أفضل الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الملك، بن عبيد الله بن أحمد بن سعيد الدمانجير الكرخي، - رحمة الله عليه - في مدحه:

صبراً فأيام الهموم تزول
ويؤوب من فلك السعادة ثاقباً
لا تياسن إذا ألم ملمة
والفضل لا يزرى به عدم الغنى
ما إن يضر الغضب بعد مضائه
لا تشتغل بالعسر واطو مشمرأ
والبس سواد الليل مرتدياً به
حتى تنيخ العيس في كنف العلا
كنف الإمام القرم قطب الدين من
صدر الزمان أبي العلاء سميدع

والدهر يعطيك المنى وينيل
قمر الآمالي والحوس أقول
إن الشدائد تعتري وتحول
أوليس يحسن في الرماح ذبول
يوم القراع إذا عرته فلول
بسط الفياقي والشباب مقيل
إن التجلد للرجال جميل
حيث التحرم بالنجي كفيل
جوب الفلا إلا إليه فضول
غر المعالي في ذراه تقيل

وهي طويلة.

ولموفق الدين مكي خطيب خوارزم أشعار كثيرة في مدحه. منها:

بقيت بقاء الدهر في الناس خالداً
لتروي أحاديث النبي محمد
فهذا دعائي بالحقون وبالصفاء

أيا خير من في الأرض خالاً ووالداً
وتحيي مسانيداً وتزوي معانداً
وهذا مرامي حيثما كنت ساجداً

قال: وسمعت الثقة يقول: سمعت الشيخ - رضي الله عنه - يقول: لما مات فلان أحد أصدقائه ذكر اسمه ونسبه: شق علي موته، وأثر في وفاته، فكنت بعد ذلك أكتب كل سنة كتاب الوصية، وأنا سمعت منه حينئذ صغيراً وهو يقول: غداً من شهر رجب شهر الله الأصم، وأنا أريد أن أجدد مع ربي عهداً، وهذا كتاب وصيته: "بسم الله الرحمن الرحيم" أخبرنا عبد القادر اليوسفي، وهبة الله بن أحمد الشيباني قالاً: أخبرنا أبو علي الحسن بن علي التميمي، أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي، حدثنا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل - رضي الله عنهما -، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا عبد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما حق امرئ مسلم يبني بيتاً ليلتين وله شيء يوصي فيه، إلا ووصيته مكتوبة عنده). وأخبرنا الشيخ أبو القاسم، زاهر بن طاهر بن محمد بن محمد بن محمد الحافظ، أخبرنا أبو عثمان سعد بن محمد النجيري، أخبرنا أبو الخير الحنبلي، وأبو بكر محمد ابن أحمد بن عقيل قالاً: أخبرنا أبو بكر محمد بن حفص بن جعفر، حدثنا إسحاق بن إبراهيم العصبي، حدثنا خالد بن يزيد الأنصاري، حدثني محمد بن أبي ذئب، عن نافع عن ابن عمر - رضي الله عنهما -، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من لا يحسن الوصية عند الموت، كان نقصاً في مروءته وعقله). قيل: وكيف يوصي؟ قال: يقول: (اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، إني أعهد إليك في دار الدنيا، إني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبدك ورسولك، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن البعث حق، والحساب والقدر حق، والميزان حق، وأن الدين كما وصفت، وأن الإسلام كما شرعت، وأن القول كما حدثت، وأن القرآن كما أنزلت، جزى الله محمداً صلى الله عليه وسلم عنا خير الجزاء، وحيا محمداً منا بالسلام. اللهم يا عدتي عند كربتي، وبأصحابي عند شدتي، وبأولي نعمي إلهي وإله آبائي، لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، فإنك إن تكلني إلى نفسي أقرب من الشر، وأتباعه من الخير، فأنتسني في قبري من وحشتي، واجعل لي عهداً يوم ألقاك). ثم يوصي بحاجته. وتصديق هذه الوصية في القرآن: (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً). فهذا عهد الميت. وهذه وصيته سنة إحدى وعشري وخمسمائة. وقتلها من خطه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسن بن أحمد بن الحسن، بن أحمد بن محمد العطار، طوعاً في صحة عقله وبدنه، وجواز أمره، أوصى وهو يشهد (أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الدن، وخلق كل شيء فقدره تقديراً، ألا له الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين). ويشهد أن محمداً عبده ورسوله (أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون). صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً، ويشهد أن الجنة حق، والنار حق، والبعث حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. وأنه جل وعز جامع الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، ويشهد أن صلاته ونسكه، ومحياه ومماته لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمر وهو من المسلمين، وأنه رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، وبالقرآن إماماً، وبالمؤمنين إخواناً، وأنه يدين الله عز وجل بمذهب أصحاب الحديث، ويتضرع إلى الله عز وجل، ويتوسل إليه بجميع كتبه المنزلة، وأسمائه الحسنى، وكلماته التامات، وجميع ملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين أن يحييه على ذلك حياً، ويميته على ذلك إذا توفاه، وأن يبعثه عليه يوم الدي، وأوصى نفسه وخاصته وقرابته، ومن سمع وصيته بتقوى الله، وأن يعبدوه في العبادين، ويحمدوه في الحامدين، ويذكروه في الذاكرين، ولا يموتن إلا وهم مسلمون، وأوصى إلى الشيخ أبي مسعود إسماعيل بن أبي القاسم الخازن في جميع تركته، وما يخلفه بعده، وفي قضاء ديونه، واقتضاء ديونه وإنفاذ وصاياه، وذكره في ذلك بتقوى الله وإيثار طاعته، وحذره أن يبذل شيئاً من ذلك أو يغيره، وقد قال الله تعالى: (فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلوه، إن الله سميع عليم).

وكتب هذه الوصية موصيها الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن محمد بن العطار، في يوم الثلاثاء السابع من ذي الحجة، سنة إحدى وعشري وخمسمائة.

قال: وحدثني من شهد قبض روح الشيخ - رضي الله عنه - قال: كنا قعوداً في ذلك الوقت، وكنا نحب أن نلقه كلمة الشهادة رعاية للسنة، ومع هذا كنا نخشى من هيئته، ونحذر سوء الأدب، فبقينا متحيرين حتى قلنا للرجل من أصحاب الشيخ: اقرأ أنت سورة يس. فرفع الرجل صوته يقرأ السورة، وكنا ننظر إليه ونراقب حاله، فدهش القارئ وأخطأ في القراءة، ففتح الشيخ عينه ورد عليه، فسررنا لذلك وحمداً لله عز وجل، ثم جئ إليه بقدر فيه شيء من الدواء، ووضع القدح على شفته، فولى وجهه ورد القدح بفيه، وفتح عينه وقال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، رافعاً بها صوته وفاضت نفسه - رحمه الله، ورضي عنه وأرضاه، وجعل أعلى الجنان مأواه -. وكان ذلك قبيل العشاء الآخرة ليلة الخميس، التاسع عشر من جمادى الأولى، عام تسع وتسعين وخمسمائة، ودفن يوم الخميس في مسجده، وصلى عليه ابنه الإمام ركن الدين شيخ الإسلام أبو عبد الله أحمد، القائم مقامه، وخليفته على أولاده، وأصحابه وأتباعه. - رحمه الله -.

والكتاب الذي يشتمل على مناقبه، كتاب ضخمة جليل. وإنما كتبت هذه النبذة ليستدل لها على فضله ومرتبته - رحمة الله عليه -، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين.

الحسن بن أبي عباد، اليميني النحوي

من وجوه اليمن، كان يصحب الفقيه يحيى بن أبي الخير، وعمه إبراهيم بن أبي عباد نحوي أيضاً يذكر في موضعه. وصنف الحسن هذا مختصراً في النحو مشهوراً باليمن، يقرؤه المبتدئون وهو قريب العهد، تقارب وفاته سنة تسعين وخمسمائة. وهو القائل:

لعمرك ما للحن من شيمتي
ولكنني قد عرفت الأنا
ولا أنا من خطأ ألحن
م فخاطبت كلا بما يحسن

الحسن بن أسد بن الحسن الفارقي

أبو نصر، شاعر رقيق الحواشي، مليح النظم، متمكن من القافية، كثير التجنيس، قلما يخلو له بيت من تصنيع وإحسان وبديع. كان في أيام نظام الملك والسلطان ملكشاه، وشمله منهما الجاه، فخلصه الكامل الطبيب في أيام نظام الملك، بعد أن قبض عليه وأساء إليه، فإنه كان مستولياً على أمد وأعمالها، مستيداً باستيفاء أموالها. وكان نحويّاً رأساً. وإماماً في اللغة يقتدى به. وصنف في الأدب تصانيف تقوم له مقام شاهدي عدل بفضل، وعظم قدره. منها: كتاب شرح اللمع كبير كتاب الإفصاح في شرح أبيات مشكلة.

حدثني الشيخ الإمام موفق الدين أبو لبقاء يعيش ابن لعي بن يعيش النحوي قال: حدثني قاضي عسكر نور الدين محمود بن زنكي قال: قدم علي ابن مروان صاحب ديار بكر شاعر من العجم يعرف بالغساني. وكان من عادة ابن مروان إذا قدم عليه شاعر يكرمه وينزله، ولا يجتمع به إلى ثلاثة أيام ليستريح من سفره، ويصلح شعره، ثم يستدعيه. واتفق أن الغساني لم يكن أعد شيئاً في سفره، ثقة بقرينته، فأقام ثلاثة أيام فلم يفتح عليه بعمل بيت واحد وعلم أنه يستدعي ولا يليق أن يلقي الأمير بغير مديح، فأخذ قصيدة من شعر ابن أسد لم يغير فيها إلا اسمه. وعلم ابن مروان بذلك، فغضب من ذلك وقال: جيئ هذا العجمي فيسخر منا؟ ثم أمر بمكاتبة ابن أسد، وأمر أن يكتب القصيدة بخطه ويرسلها إليه، فخرج بعض الحاضرين، فأنهى القضية إلى الغساني وكان هذا بآمد. وكان له غلام جلد فكتب من ساعته إلى ابن أسد كتاباً يقول فيه: إي قدمت على الأمير، فأرتج علي قول الشعر مع قدرتي عليه، فادعيت قصيدة من شعرك استحساناً لها وعجباً بها، ومدحت بها الأمير. ولا أبعد أن تسأل عن ذلك، فإن سئلت فرأيك الموفق في الجواب فوصل غلام الغساني قبل كتاب ابن مروان. فجدد ابن أسد أن يكون عرف هذه القصيدة، أو وقف على قائلها قبل هذا. فلما ورد الجواب على ابن مروان، عجب من ذلك واساء إلى الساعي وشتمه وقال: إنما قصدكم فضيحتي بين الملوك، وإنما يحملكم على هذا الفعل الحسد منكم لمن أحسن إليه؟ ثم زاد في الإحسان إلى الغساني، وانصرف إلى بلاده، فلم يمض على ذلك إلا مديدة حتى اجتمع أهل ميفارقين إلى ابن أسد، ردعوه إلى أن يؤمروه لعيهم، ويساعدوه على العصيان، وإقامة الخطبة للسلطان ملكشاه وحده، وإسقاط اسم ابن مروان من الخطبة، فأجابهم إلى ذلك، وبلغ ذلك ابن مروان، فحشد له وزل على ميفارقين محاصراً فأعجزه أمرها، فأفد إلى نظام الملك والسلطان يستمدهما فأنفذا إليه جيشاً ومدداً مع الغساني الشاعر المذكور آنفاً، وكان قد تقدم عند نظام الملك والسلطان، وصار من أعيان الدولة، وصدقوا في الزحف على المدينة حتى أخذوها عنوة، وقبض على ابن أسد، وجيء به إلى ابن مروان فأمر بقتله فقام الغساني وشد العناية في الشفاعة فيه، فامتنع ابن مروان امتناعاً شديداً من قبول شفاعته وقال: إن ذنبه وما اعتمده من شق العصا، يوجب أن يعاقب عقوبة من عصي، وليس عقوبة غير القتل. فقال: بيني وبين هذا الرجل ما يوجب قبول شفاعتي فيه، وأنا أتكفل به ألا يجري منه بعد شيء يكره. فاستحى منه وأطلقه له، فاجتمع به الغساني وقال له: أتعرفني؟ قال: لا والله، ولكنني أعرف أنك ملك من السماء، من الله بك علي لبقاء مهجتي. فقال له: أنا الذي ادعيت قصيدتك وسترت علي، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان. فقال ابن أسد: ما رأيت ولا سمعت بقصيدة جددت فنفعت صاحبها أكثر من نفعها إذا ادعاها غير هذه. - فجزاك الله عن مروءتك خيراً -، وانصرف الغساني من حيث جاء.

وأقام ابن أسد مدة ساءت حاله، وجفاه إخوانه، وعاداه أعوانه، ولم يقدم أحد على مقاربتة ولا مرافدته، حتى أضر به العيش، فعمل قصيدة مدح بها ابن مروان، وتوصل حتى وصلت إليه. فلما وقف ابن مروان عليها غضب وقال: ما يكفيه أن يخلص منا رأساً برأس، حتى يريد منا الرغد والمعيشة، لقد أذكرني بنفسه، فذهبوا به فاصلبوه، فذهبوا به فاصلبوه، - رحمه الله -.

ومن شعر الحسن بن أسد الفارقي - رحمه الله -:

بنتم فما كحل الكرى
لي بعد وشك البين عينا

ولقد غدا كلني بكم
فأسلت بعد فراقكم
فحككت مدامعها الغزا
جادت على أثر شفى
من كل واضحة الترا
غراء تحسب وجهها
أمسيت في حبي لها
لا قر ركب بالركا
غاظ الحسود لنا الوصا
فذهمت حرفاً عاينت
كانت تناصفنا بصا
لهفي وقد أبصرت في
كم من أخ فينا وعى
ومصاحب صنف في

وقال في الشمعة:

ونديمة لي في الظلام وحيدة
فاللون لوني، والدموع كأدمعي
لا فرق فيما بيننا لو لم يكن

وله أيضاً:

أريقاً من رضاك أم رحيقا
وللصهباء أسماء ولك
حمتني عن حميا الكأس نفس
وما تركي لها شح ولكن

وله أيضاً:

وإخوان بواطنهم قباح
حسبت مياه ودهم عذاباً

وله أيضاً:

ووقت غمناه من الدهر مسعد
معانيه مما نبتغيه جميعها
أدار علينا الكاس فيه ابن أربع
تناولتها منه بكف كأنما

وله أيضاً:

تيم قلبي شادن أعيد
لو جاز أن يعبد في حسنه

وله أيضاً:

هويت بديع الحسن للغصن قده
غزال من الغزلان لكن أخافه

وله أيضاً:

ولرب دان منك يكره قربه

أذناً علي لكم وعينا
من ناظري بالدمع عينا
ر من الغيوم الغر عينا
عيناً لهم لم تلق عينا
نب سهلة الخدين عينا
للشمس حين تراه عينا
عبداً أضام وكنت عيا
نب إذ يهن سرين عينا
ل فلا رعاه الله عينا
عينا في أولاه عينا
في الود لا ورقاً وعينا
ميزان ذاك الوصل عينا
ما لم تكن فيه وعينا
غدراته للعين عينا

مثل مجاهدة. كمثل جهادي
والقلب قلبي، والسهاد سهادي
لهبي خفياً وهو منها بادي

رشفت فلس من سكري مغيقا
جهلت بأن في الأسماء ريقا
إلى غير المعالي لن تتوقا
طلبت فما وجدت لها صديقا

وإن كانت ظواهرهم ملاحا
فلما ذقتها كانت ملاحا

معار، وأوقات السرور عواري
كواس ومما لا نريد عواري
وعشر له بالكاس أي مدار!
أناملها تحت الزجاج مداري

ملك فالناس له أعبد
وظرفه كنت له أعبد

وللظبي عيناه وخداه للورد
وإن كنت مقدماً على الأسد الورد

وتراه وهو عناء عينك والقذى

فاعرف وخل مجرباً هذا الورى
وله أيضاً:

أيا ليلة زار فيها الحبيب
فإني شهدتك مستمتعاً
وطيب حديث كزهر الرياض
سقتك الرواعد من ليلة
وفي لي بوعد ولا تخلف
فلما تقضيت أمرضتني

وله أيضاً:

يا من حكى ثغره الدر النظيم ومن
إعطف على مستهام ضم من أسف

وله أيضاً:

بنتم فما لحظ الطرف الولوع بكم
فلو محا فيض دمع من تكاثره

وله أيضاً:

أياكم أعاني الوجد في كل صاحب
إذا كنت ذا دم فحرب مجانب
أحاول في دهري خليلاً مصافياً

وله أيضاً:

بعدت فأما الطرف مني فساد
فسل عن سهادي أنجم الليل إنها
قطعتك إذ أنت القريب لشقوتي
فيأهل ودي إن أبي وعد قربنا

وله أيضاً:

لا يصرف الهم إلا شدو محسنة
والراح للهم أنفاها فخذ طرفاً
بكر تخال إذا ما المزج خالطها

وله أيضاً:

بعدت فقد اضمرت ما بين أضلعي
وكلفت نفسي قطع ببداء لوعة

وله أيضاً:

تجلد على الدهر واصبر لكل ما
ولا يسخطنك صرف القضاء
فما زال رزق امرئ طالب
توقع إذا ضاق أمر علي

وله أيضاً:

قد كان قلبي صحيحاً كالحمى زمناً
فكم سخطت على من كان شيمته
يا من إذا فوقت سهماً لوحظه

واترك لقاءك ذا كفافاً والى ذا

أعيدي لنا منك وصلاً وعودي
به بين رنة ناي وعود
تضوع ما بين مسك وعود
بها اخضر يابس عيشي وعودي
يه إخلاف دهر به في وعودي
فزوري مريضك يوماً وعودي

تخال أصداعه السود العناقيدا
على هواك وفي حبل العناقيدا

شيثاً يسر به قلبي ولا لمحا
إنسان عين إذا إنسانه لمحا

ولست أراه لي كوجدي واجدا
وتلقاه لي سلماً إذا كنت واجداً
وهيهات خلا صافياً لست واجدا

لشوقي وأما الطرف منك فراق
ستشهد لي يوماً بذاك الفراق
وواصلني قوم إلى أباعد
زمان، فأنتم لي به إن أبي عدوا

أو منظر حسن تهواه أو قدح
منها ودع أمة فس شربها قدحوا
سقاتها أنهم زنداً بها قدحوا

ببعدهك ناراً شجو قلبي وقودها
تكل بها هوج المهاري وقودها

عليك الإله من الرزق أجرى
فتعدم إذ ذاك حظاً وأجرا
بعيداً إليه دجى الليل يسرى
لك خيراً فإن مع العسر يسرا

فمذ أباح الهوى منه الحمى مرضاً
وقد أبحت له فيك الحمام رضا
أضحى لها كل قلب غرضا

وما قضى فيك من أغراضه غرضاً
جسمي لرقته من سقمه حرصاً
أيدي الصبابة فيه كلما عرضاً
أشد من زفرات الحب حين قضى
أن قيل إن المحب المستهام قضى

مكثر إعلالي وأمراضي
علي في حبك أم راضي؟

أنا الذي إن يمت حباً يمت أسفاً
ألبست ثوب سقام فيه صار له
وصرت وفقاً على هم يجاذبني
ما إن قضى الله شيئاً في خليقته
فلا قضى كلف حباً فأوجعني

وله أيضاً:

نراك يا متلف جسمي ويا
من بعد ما أضنيته ساخطاً

الحسن بن بش بن الأمدي، النحوي الكاتب

أبو القاسم صاحب كتاب الموازنة بي الطائي. كان حسن الفهم، جيد الدراية ولارواية، سريع الإدراك. رأيت سماعه على كتاب القوافي لأبي العباس المبرد، وقد سمعته على نبطويه سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، ثم وجدت خطه على كتاب تبیین قدامة بن جعفر وفي نقد الشعر، وقد ألفه لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد وقد قرأه عليه، وكتب خطه في سنة خمس وستين وثلاثمائة. وقال ابن النديم في الفهرست الذي ألفه في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة. هو من أهل البصرة، قريب العهد، وأحسبه يحيا إلى الآن، ثم وجدت كتاب القوافي للمبرد بخط أبي منصور الجواليقي ذكر في إسناده: أن عبد الصمد بن حنيش النحوي قرأه على أبي القاسم الأمدي في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. وفي تاريخ هلال بن المحسن في هذه السنة يعني في سنة سبعين: مات الحسن ابن بشر الأمدي بالبصرة. وقال أبو القاسم المحسن التنوخي: حدثني أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي، كاتب القضاء من بني عبد الواحد بالبصرة، وله شعر حسن، واتساع تام في الأدب، ودراية وحفظ، وكتب مصنفه قال: حدثني أبو إسحاق الزجاج قال: كنا ليلة بحضرة القاسم بن عبيد الله نشرب وهو وزير، فغنت بدعة جارية عريب:

ومن ظالم لدمي مستحل
بذل وذلك جهد المقل
ولولا ملاحظته لم أذل

أذل فأكرم به من مدل
إذا ما تعزز قابله
وأسلمت خدي له خاضعاً

فأدت فيه صنعة حسنة جداً، فطرب القاسم عليه طرباً شديداً، واستحسن الصنعة جداً والشعر فأفرط. فقالت بدعة يا مولاي: إن لهذا الشعر خبراً حسناً أحسن منه، قال: وما هو؟ قالت هو لأبي حازم القاضي. قال: فعجبنا من ذلك مع شدة تقشف القاضي أبي حازم وورعه وتقضيه. فقال الوزير: بالله يا أبا إسحاق، اركب إلى أبي حازم واسأله عن هذا الشعر وسببه. فباكرته وجلست حتى خلا وجهه ولم يبق إلا رجل بزي القضاة عليه قلنسوة، فقلت: بيننا شيء أقوله على خلوة؟ فقال: ليس هذا ممن أكنمه شيئاً. فقصصت عليه الخبر، وسألت عن الشعر والخبر، فتبسم ثم قال: هذا شيء كان في الحداثة قلته في والدته هذا، وأوماً إلى القاضي الجالس، وإذا هو ابنه وكنت إليها مائلاً، وكانت لي مملوكة، ولقلمي مالكة، فأما الآن، فلا عهد لي بمثله منذ سنين، ولا عملت شعراً منذ دهر طويل، وأنا أستغفر الله مما مضى. قال: فوجم الفتى حتى أرفض عرقاً، وعدت إلى القاسم فأخبرته، فضحك من خجل الإبن وقال: لو سلم من العشق أحد لكان أبا حازم مع تقضيه، وكنا نتعاود ذلك زماناً.

قال المؤلف: كان هذا الخبر بترجمة إسحاق الزجاج أخرى، إلا أن في أوله من إيضاح حال الأمدي ما ساق باقي الحديث.

قال أبو علي: كان قد ولي القضاء بالبصرة - في سنة نيف وخمسين وثلاثمائة - رجل لم يكن عندهم بمزلة من صرف به، لأنه ولي صارفاً لأبي الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي، فقال فيه أبو القاسم الحسن ابن بشر الأمدي، كاتب القاضي أبي القاسم جعفر، وأبي الحسن محمد بن عبد الواحد:

ث من فوق رأس تنادي خذوني
ل من عن يسار ومن عن يمين
وطوراً تراها فويق الجبين
فردت بقول كئيب حزين
وأخشى من الناس أن يبصروني

رأيت قلنسوة تستغي
وقد قلعت وهي طوراً تمي
فطوراً تراها فويق القفا
فقلت لها أي شيء دهاك؟
دهاني أن لست في قالبني

وأن يعبثوا بمزاح معي
فقلت لها مر من تعرفين
ومن كان يصفع في الدين لا
ويلمح ملئك كيل التما
ففارقتها ذلك الإنزعاج
وعادت إلى حالها في السكون

وحدث ابن نصر قال: حدثت يوماً أبا الفرج الببغا الشاعر: أن أبا الفرج منصور بن بشر النصراني الكاتب، كان منقطعاً إلى أبي العباس بن ماسرجس، فأنفذه مرة إلى أبي عمر إسماعيل بن أحمد عامل البصرة في بعض حاجاته، فعاد من عنده مغضباً لأنه لم يستوف له القيام عند دخوله، وأراد أبو العباس إنفاذه بعد أيام، فأبى وقال: لو أعطيتني زورق ابن الخواستيني مملوءاً كيميا، كل مثقال منه إذا وضع على ألف مثقال صفرأ صار ذهباً إبريزاً ما مضيت إليه، فأمسك عنه مغيضاً. وهذا زورق معروف بالبصرة، وحمله ثلاثمائة ألف رطل، وقد رأيت دواتي أبي العباس سهل بن بشر. وقد حكى له أن ابن علان قاضي القضاة بالأهواز، ذكر أنه رأى قبجة وزنها عشرة أرطال فقال: هذا محال. فقيل له: ترد قول ابن علان؟ قال: فإن قال ابن علان: إن على شاطئ جبحون نخلاً يحمل غصاراً صينياً مجزاً بسواد أقبل منه؟ وقلت لأبي الفرج: وللناس عادات في المبالغات، وهذا من أعجبها. فقال لي: كان الأمدى النحوي صاحب كتاب الموازنة، يدعي هذه المبالغات على أبي تمام، ويجعلها استطراداً لعيبه إذا ضاق عليه المجال في ذمه، وأورد في كتابه قوله من قصيدته التي أولها: من سجايا الطلول ألا تجيبا

خضبت خدها إلى لؤلؤ العق
دءماً أن رأيت شواتي خضيبا
كل داء يرجى الدواء له إل
لا الفظيعين ميتة ومشيبا

ثم قال: هذه من مبالغاته المسرفة. ثم قال أبو الفرج: هذه والله المبالغة التي يبلغ بها السماء. وله من الكتب: كتاب المختلف والمؤتلف في أسماء الشعراء، كتاب نثر المنظوم، كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري، كتاب في أن الشاعرين لا يتفق خواطرهما، كتاب ما في عيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ، كتاب فرق ما بين الخاص والمشارك من معاني الشعر، كتاب تقضيل شعر امرئ القيس على الجاهليين، كتاب في شدة حاجة الإنسان إلى أن يعرف نفسه، كتاب تبیین غلط قدامة بن جعفر في كتاب نقد الشعر، كتاب معاني شعر البحتري، كتاب الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام، كتاب فعلت وأفعلت غاية لم يصنف مثله، كتاب الحروف من الأصول في الأضداد رأيت به خطه في نحو مائة ورقة، كتاب ديوا شعره نحو مائة ورقة. وقرأت في كتاب ألفه أحد بني عبد الرحيم الوزراء الذي مدحهم مهيار وغيره ولم يذكر اسمه قال: أخبرني القاضي أبو القاسم التتوخي عن أبيه أبي علي المحسن: أن مولد أبي القاسم الحسن بن بشر الأمدى بالبصرة، وأنه قدم بغداد يحمل عن الأخفش، والحمض، والزجاج، وابن دريد، وبان السراج وغيرهم اللغة والنحو. وروى الأخبار في آخر عمره بالبصرة. وكان يكتب بمدينة لاسلام لأبي جعفر هارون بن محمد الضبي خليفة أحمد بن هلال صاحب عمان، بحضرة المقتدر بالله ووزارته، ولغيره من بعده. وكتب بالبصرة لأبي الحسن أحمد، وأبي أحمد طلحة بن الحسن بن المثنى، وبعدهما لقاضي البلد أبي جعفر بن عبد الواحد الهاشمي على الوقوف التي تليها القضاة ويحضر به في مجلس حكمه، ثم لأخيه أبي الحسن محمد بن عبد الواحد لما ولي قضاء البصرة، ثم لزم بيته إلى أن مات. وكان كثير الشعر، حس الطبع، جيد الصنعة، مشتهراً بالتشبيهات.

ولأبي القاسم تصانيف كثيرة جيدة مرغوب فيها. منها: كتاب الموازنة بين البحتري وأبي تمام في عشرة أجزاء، وهو كتاب حسن وإكان قد عيب عليه في مواضع منه، ونسب إلى الميل مع البحتري فيما أورده، والتعصب على أبي تمام فيما ذكره. والناس بعد فيه على فريقين: فرقة قالت برأيه حسب رأيهم في البحتري وغلبة حبهم لشعره. وطائفة أسرفت في التقيح لتعصبه، فإنه جد واجتهد في طمس محاسن أبي تمام، وتزيين مردول البحتري. ولعمري إن الأمر كذلك، وحسبك أنه بلغ في كتابه إلى قول أبي تمام: أصم بك الناعي وإن كان أسماً وشرع في إقامة البراهين على تزييف هذا الجواهر الثمين فتارة يقول: هو مسروق، وتارة يقول: هو مردول، ولا يحتاج المتعصب إلى أكثر من ذلك إلى غير ذلك من تعصباته، ولو أنصف وقال في كل واحد بقدر فضائله، لكان في محاسن البحتري كفاية عن التعصب بالوضع من أبي تمام. وله أيضاً: كتاب الخاص والمشارك، تكلم فيه على الفرق بين الألفاظ والمعاني التي تشترك العرب فيها، ولا ينسب مستعملها إلى السرقة وإن كان قد سبق إليها، وبين الخاص الذي ابتدعه الشعراء وتفردوا به ومن اتبعهم، وما قصر في إيضاح ذلك وتحقيقه إلى غير ذلك من تصانيفه التي ذكرنا منها ما قدرنا عليه فيما تقدم. ومن شعره:

يا واحداً كان في الزمان
دعني من نائل جزيل
فلست والله مستميحاً
وهب إذا كنت لي وهوباً

لا من يجاريه أو يداني؟
يعجز عن شكره لساني
ولا أخا مطعم تراني
من بعض أخلاقك الحسان

وقال في أبي محمد المافروخي وكان عالماً فاضلاً لا يجارى، لكنه كان متمتماً:

رام الكلام ولفظه المعتاص	لا تنظرن إلى تتعتعه إذا
تشفيك عند تطلق وخلص	وانظر إلى المحكم التي يأتي بها
حتى تقطع أنفاس الغواص	فالدر ليس يناله غواصه

وفي النشوار: حدثني أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي قال: قال أبو أحمد: طلحة بن الحسين بن المثنى، وقد تجارينا على خلوة للحديث عما كان بينه وبين أبي القاسم البريدي، وتدبير كل واحد منهما لصاحبه في القبض عليه، وأشرت عليه بأ يهرب من البصرة ولا يقيم، وأنه يجب أن يغير زيه فقال: لست أفكر في هذا الرجل لأمر كثيرة، منها: رؤيا رأيته منذ ليال كثيرة. فقلت: ما هي؟ فقال: رأيته ثعباناً عظيماً قد خرج من هذا الحائط، وأوأ بيده إلى حائط في مجلسه وهو يريدني فطلبته فأتيته في الحائط فتأولت ذلك أن الثعبان البريدي وأني أغلبه. قال: فحين قال: فأتيته في الحائط، سبق إلى قلبي أن البريدي هو الثابت، وأن الحائط حيطة له دون أبي أحمد. فأردت أن أقول له: إن الخبر مستفيض لما كان عبد الملك رأى في منامه، كأنه وابن الزبير اضطراعا في صعيد من الأرض، فطرح ابن الزبير عبد الملك تحته على الأرض، وأوتده بأربعة أوتاد فيها، وأنه أنفذ ركباً إلى البصرة، حتى لقي ابن سيرين، فقص عليه الرؤيا كأنها له، وكتب ابن الزبير. فقال له ابن سيرين: هذه الرؤيا ليست رؤياك، فلا أفسرها لك، فألح عليه فقال له: هذه للرؤيا يجب أن تكون لعبد الملك، فإن صدقتني فسرته لك، فقال: هو كما وقع لك. فقال: قل له: إن صحت رؤياك هذه فستغلب ابن الزبير على الأرض، ويملك الأرض من صلبك أربعة ملوك. فمضى الرجل إلى عبد الملك فأخبره، فعجب من فطنة ابن سيرين فقال: ارجع إليه فقل له: من أين قلت ذلك؟ فرجع الرجل إليه، فقال له: إن الغالب في النوم هو المغلوب، وتمكنه على الأرض غلبه عليها، والأوتاد الأربعة التي أوتدها في الأرض: هم ملوك يتمكنون من الأرض كما تمكنت الأوتاد.

قال أبو القاسم الأمدي: فأردت أن أقول لأبي أحمد هذا، وما وقع لي من القياس عليه في تفسير رؤياه، فكرهت ذلك لأنه كان يكون سوء أدب وقباحة عشرة، وعياً لنفسه، فما مضت الأيام حتى قبض البريدي عليه، وكان من أمره ما كان.

أبو الحسن البوراني

معتزلي نحوي، ذكره المقدر عند ذكره لجماعة من المعتزلة النحويين فقال: وأبو الحسن البوراني، ناهيك تدقيقاً في مسائل الكتاب، وكان في أيام أبي علي الفارسي وطبقته.

الحسن بن الحسين بن عبيد الله

ابن عبد الرحمن، ابن العلاء بن أبي صفرة، المعروف بالسكري، أبو سعيد النحوي اللغوي، الراوية الثقة الكثير. مات في سنة خمس وسبعين ومائتين، ومولده في سنة اثنتي عشرة ومائتي. سمع يحيى بن معين، وأبا حاتم السجستاني، والعباس بن الفرج الرياشي، ومحمد بن حبيب، والحاتر اب أبي أسامة، وأحمد بن الحارث الخزاز وخلقاً سواهم. وأخذ عنه محمد بن عبد الملك التاريخي وكان ثقة صادقاً يقرئ القرآن، وانتشر عنه من كتب الأدب ما لم ينتشر عن أحد من نظرائه. وكان إذا جمع جمعاً فهو الغاية في الاستيعاب والكثرة.

حدث أبو الكرم خميس بن علي الحوزي النحوي الحافظ الواسطي في أماليه، - وله في هذا الكتاب باب - قال: قدم أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري بغداد، فحضر مجلس أبي زكريا الفراء وهو يومئذ شيخ الناس بها، فأملى الفراء باباً في التصغير قال فيه: العرب تقول: هو الهن وتصغيره الهني وتثنيته في الرفع الهنيان، وفي النصب والجر الهنيين، وأنشد عليه قول القتال الكلابي:

يا قاتل الله صلحاً تجي بهم أم الهنيين من زند لها وارى

فأمسك أبو سعيد حتى إذا انقضى المجلس، ولم يبق فيه أحد سوى الفراء، تقدم أبو سعيد حتى جلس بين يديه وقال له: - أكرمك الله - أنا رجل غريب وقد مر شيء، أتأذن لي في ذكره؟ فقال اذكره. فقال: إنك قلت هو الهن، وتثنيته في الرفع الهنيان، وفي النصب والجر الهنيين، وهذا جميعه كما قلت، ثم أنشدت قول الكلابي:

يا قاتل الله صلحاً تجي بهم أم الهنيين من زد لها وارى

وليس هكذا أنشدناه أشياخنا. قال الفراء: ومن أشياخك؟ قال: أبو عبيدة، وأبو زيد، والأصمعي. قال الفراء: وكيف أنشد أشياخك؟ فقال: زعموا أن الهنبر بوزن الخنصر: ولد الضبع. وأن القتال قال:

يا قاتل الله صلعاً تجئ بهم أم الهنير من زد لها وارى

على التصغير. ففكر الفراء ساعة وقال: - أحسن الله عن الإفادة بحسن الأدب جزاءك - قال المؤلف ياقوت بن عبد الله: هكذا وجدت هذا الخبر في أمالي أجوزي، وهو ما علمت من الحفاظ، إلا أنه غلط فيه من وجوه، وذلك أن السكري لم يلق الأصمعي ولا أبا عبيدة، ولا أبا زيد، وإنما روى عن روى عنهم: كابت حبيب، وابن أبي أسامة، والخزاز وطبقتهما. ثم إن السكري ولد في سنة اثنتي عشرة ومائتين. وأبو عبيدة مات سنة تسع عشرة ومائتين وأبو زيد مات سنة خمس عشرة ومائتين. والأصمعي مات في سنة ثلاث عشرة ومائتين، أو خمس عشرة ومائتين، فمتى قرأ عليهم؟ وهذه الجماعة المذكورة هم في طبقة الفراء، لأن الفراء مات في سنة سبع ومائتين، ولعل هذه الحكاية عن غير السكري، وأوردها خميس عنه سهواً، وأوردتها أنا كما وجدتها. وللسكري من الكتب على ما ذكره محمد بن إسحاق النديم: كتاب أشعار هذيل، كتاب النقائص، كتاب النبات، كتاب الوحوش جود في تصنيفه، كتاب المناهل والقرى، كتاب الأبيات السائرة. وعمل أشعار جماعة من الشعراء، منهم: امرؤ القيس، النابغة الذبياني، النابغة الجعدي، زهير، الحطيئة، ليبيد، تميم بن مقبل، دريد بن الصمة، الأعشى، مهلهل، متمم بن نويرة، أعشى باهلة، الزبرقان بن بدر، بشر بن أبي حازم، المتلمس، الراعي، الشماخ، الكميت، ذو الرمة، الفرزدق. ولم يعمل شعر جرير، وعمل شعر أبي نواس، وتكلم على معانيه وغريبه في نحو ألف ورقة ولم يتم، وإنما عمل مقدار ثلثيه.

قال محمد بن إسحاق النديم: ورأيت بخط الحلواني، وكان الحلواني قريب أبي سعيد السكري. وعمل شعر قيس بن الخطيم، وهذبة بن خشرم، وابن أحمر العقيلي، والأخطل، وغير هؤلاء.

وأما أشعار القبائل فإنه عمل منهم: أشعار بني هذيل، أشعار بني شيبان، وبني ربيعة، أشعار بني يربوع، أشعار بني طيء، أشعار بني كنانة، أشعار بني ضبة، أشعار بجيلة، أشعار بني العين، أشعار بني يشكر، أشعار بني حنيفة، أشعار بني محارب، أشعار الأزد، أشعار بني نهشل، أشعار بني عدي، أشعار بني أشجع، أشعار بني نمير، أشعار بني عبد ود، أشعار بني مخزوم، أشعار بني سعد، أشعار بني الحارث، أشعار الضباب، أشعار فهم وعدوان، أشعار مزينة.

وحدث الصولي قال: كنت عند أحمد بن يحيى ثعلب ففني إليه السكري فتمثل:

المراء يخلق وحده	ويموت يوم يموت وحده
والناس بعد هالك	هل من رأيت الناس بعده

الحسن بن الخطير

أبو علي الفارسي المعروف بالظهير، كان فقيهاً لغوياً نحوياً، مات بالقاهرة من الديار المصرية في شهر سنة ثمان وتسعين وخمسائة. حدثني بجميع ما أورده عنه ههنا من خبره ووفاته، تلميذه الشريف أبو جعفر محمد بن عبد العزيز الإدريسي، الحسن الصعيدي بالقاهرة في سنة اثنتي عشرة وستمائة قال: كا الظهير يكتب على كتبه في فتاويه - الحسن النعماني -، فسألته ع هذه النسبة فقال: أنا نعماني، أنا من ولد النعمان بن المنذر، ومولدي بقرية تعرف بالنعمانية، ومنها ارتحلت إلى شيراز، فتفقهت بها فقيل لي الفارسي، وأنتحل مذهب النعمان وأنتصر له فيما وافق اجتهادي. وكان عالماً بفنون من العلم، كان قارئاً بالعشر والشواذ، عالماً بتفسير القرآن وناسخه ومنسوخه، والفقه والخلاف، والكلام والمنطق، والحساب والهيئة والطب، مبرزاً في اللغة والنحو، والعروض والقوافي، ورواية أشعار العرب وأيامها وأخبار الملوك من العرب والعجم. وكان يحفظ في كل فن من هذه العلوم كتاباً، فكان يحفظ في علم التفسير كتاب لباب التفسير لتاج القراء، وفي الفقه كتاب الوجيز للغزالي، وفي فقه أبي حنيفة كتاب الجامع الصغير لمحمد بن الحسن الشيباني نظم النسفي، وفي الكلام كتاب نهاية الإقدام للشهرستاني، وفي اللغة كتاب الجمهرة لابن دريد، كان يسردها كما يسرد القارئ الفاتحة.

وقال لي: كنت أكتب ألواحاً وأدرسها كما أدرس القرآن، فحفظتها في مدة أربع عشرة سنة، وكان يحفظ في النحو كتاب الإيضاح لأبي علي وعروض الصاحب بن عباد، وكان يحفظ في المنطق أرجوزة أبي علي بن سينا، وكان قيمياً بمعرفة قانو الطب له، وكان عارفاً باللغة العبرانية، وينظر أهلها بها، حتى لقد سمعت بعض رؤساء اليهود يقول له: لو حلفت أن سيدنا كان حبراً من أحبار اليهود لحلفت، فإنه لا يعرف هذه النصوص بالعبرانية إلا من تدرب بهذه اللغة. وكان الغالب عليه علم الأدب، حتى لقد رأيت الشيخ أبا الفتح عثمان بن عيسى النحوي البلطي، وهو شيخ الناس يومئذ بالديار المصرية، يسأله سؤال المستفيد عن حروف من حوشي اللغة، وسأله يوماً بمحضري عما وقع في ألفاظ العرب على مثال شقحطب، فقال: هذا يسمى في كلام العرب المنحوت، ومعناه: أن الكلمة منحوتة من كلمتين، كما ينحت النجار خشبتين، ويجعلهما واحداً فشقحطب منحوت من شق

وحطب. فسأله الباطني أن يثبت له ما وقع من هذا المثال ليعول في معرفتها عليه، فأملأها عليه في نحو عشرين ورقة من حفظه، وسماها كتاب تنبيه البارعي على المنحوت من كلام العرب.

قال: ورأيت السعيد أبا القاسم هبة الله بن الرشيد جعفر بن سناء الملك، يسأله عن وجه الامتحان عن كلمات من غريب كلام العرب، وهو يجيب عنها بشواهدا وكان القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني قد وضعه على ذلك. قال: وحدثني عن نفسه قال: لما دخلت خوزستان لقيت بها المجير البغدادي تلميذ الشهرستاني، وكان مبرزاً في علوم النظر فأحب صاحب خوزستان أن يجمع بيننا للمناظرة في مجلسه، وبلغني ذلك، فأشفت من الانقطاع لمعرفتي بوفور بضاعة المجير من علم الكلام، وعرفت أن بضاعته من اللغة نزرة، فلما جلسنا للمناظرة والمجلس غاص بالعلماء، فقلت له: نعرض الكلام إذا أفرأيت الطلبة إلى قرينها فارهاً في وبصان، أو الجساد إذا تأشب بأبي المغبث؟ فاحتاج إلى أن يستفسر ما قلت، فشنت عليه وقلت: انظر إلى المدعي رتبة الإمامة جهل لغة العرب، التي بها نزل كلام رب العالمين، وجاء حديث سيد المرسلين، والمناظرة: إنما اشتقت من النظير، وليس هذا بنظيري لجهله بأحد العلوم التي يلزم المجتهد القيام بها، وكثر لغط أهل المجلس، وانقسموا فريقين فرقة لي، وفرقة علي، وانفض المجلس على ذلك، وشاع في الناس أنني قطعته. وكان الظهير قد أقام بالقدس مدة، فاجتاز به الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف، فرآه عند الصخرة يدرس، فسأل عنه فعرف منزلته من العلم، فأحضره عنده، ورغبه في المصير معه، ليقمع به شهاب الدين أبا الفتح الطوسي لشيء نقمه عليه، فورد معه إلى القاهرة، وأجرى عليه كل شهر ستين ديناراً، ومائة رطل خبزاً وخروفاً وشمعة كل يوم، ومال إليه الناس من الجند وغيرهم من العلماء، وصار له سوق قائم، إلى أن قرر العزيز المناظرة بينه وبين الطوسي في غد عيد، وعزم الظهير أن يسلك مع الطوسي وقت المناظرة طريق المجير من المغالطة، لأن الطوسي كان قليل المحفوظ، إلا أنه كان جريئاً مقداماً شديد المعارضة، واتفق أن ركب العزيز يوم العيد، وركب معه الظهير والطوسي، فقال الظهير للعزيز في أثناء الكلام: أنت يا مولانا من أهل الجنة، فوجد الطوسي السبيل فوجد الطوسي السبيل إلى مقتله فقال: وما يدريك أنه من أهل الجنة؟ وكيف تركي على الله تعالى؟ فقال له الظهير: قد زكى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة. فقال: أبيت يا مسكين إلا جهلاً، ما تفرق بين التزكية عن الله، والتكزية على الله؟ وأنت من أخبرك أن هذا من أهل الجنة؟ ما أنت إلا كما زعموا: أن فأرة وقعت في دن خمر، فشربت فسكرت، فقالت أين القطار؟ فلاح لها هر، فقالت: لا تواخذ السكارى بما يقولو. وأنت شربت من خمر دن نعمة هذا الملك فسكرت فصرت تقول خالياً: أين العلماء؟ فأبلس ولم يجد جواباً وانصرف، وقد انكسرت حرمة عند العزيز، وشاعت هذه الحكاية بين العوام، وصارت تحكى في الأسواق والمحافل. فكان مأل أمره أن انضوى إلى المدرسة التي أنشأها الأمير تروكون الأسدي، يدرس بها مذهب أبي حنيفة إلى أن مات. وكان قد أملى كتاباً في تفسير القرآن، وصل منه بعد سنين إلى تفسير قوله تعالى: (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) في نحو مائتي ورقة، ومات ولم يختم تفسير سورة البقرة. وله: كتاب في شرح الصحيحين على ترتيب الحميدي سماه كتاب الحجة، اختصره من كتاب الإفصاح في تفسير الصحاح للوزير ابن هبيرة، وزاد عليه أشياء وقع اختياره عليها، وكتاب في اختلاف الصحابة والتابعين وفقهاء الأنصار ولم يتم. وله خطب وفصول وعظية مشحونة بغريب اللغة وحوشها.

الحسن بن داود الرقي

أبو علي، لا أعرف من أمره إلا ما وجدته بخط أبي الحسن علي بن عبيد الله الشمسي اللغوي. حدثنا النيسابوري قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن يوسف الناظر قال: حدثنا الناظر قال: حدثنا القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة قال: قال لي أبو أحمد محمد بن موسى البردي: سمعت من الحسن بن داود أبي علي الرقي بسر من رأى، سنة ثمان وثلاثين ومائتين كتابه الذي يسميه كتاب الحل، وكان وقت كتبنا عنه قد جاز الثمانين، وأخرج إلى أبو أحمد الكتاب، فإذا هو الكتاب الذي سماه أمد بن يحيى فصيح الكلام. قال أبو الحسن الناظر: قال ابن كامل: وكان الحسن بن داود مؤدب عبيد الله ابن سليمان بن وهب وزير المعتضد.

الحسن بن داود بن الحسن القرشي

المعروف بالبقار المقرئ، يكنى أبا علي، أموي كوفي، قرأ على أبي محمد القاسم بن أحمد، المعروف بالخياط التميمي، المعروف بابن القملي أيضاً - عن أبي جعفر محمد ابن حبيب الشموني الكوفي، عن أبي يوسف يعقوب بن خليفة الأعشى، عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم - قراءة عاصم. ومات بالكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة. وصنف كتباً منها: كتاب قراءة الأعشى، كتاب اللغة في مخارج الحروف وأصول النحو، ذكر الحافظ أبو العلاء الهمداني في كتاب القراءات العشر له في نسب البقار: الحسن بن داود بن الحسن بن عون بن منذر بن صبيح القرشي النحوي، وكان موصوفاً بحسن القراءة وطيب النغم جداً.

وقال ابن النجار في تاريخ الكوفة: ومن خيار رجال عاصم محمد بن غالب الصيرفي، وبينه وبين القملي اختلافات في حروف يسيرة، وقرأ عليه جماعة من أهل الكوفة منهم: أبو علي الحسن بن داود البقار، وكان حاذقاً بالنحو، لفاظاً بالقرآن، صاحب الحان، وكان يصلي بالناس التراويح بالجامع بالكوفة، وصلى فيه ثلاثاً وأربعين سنة، وكان أهد المجودين.

الحسن بن رشيق القيرواني

مولى الأزدي، كان شاعراً أديباً، نحوياً لغوياً حاذقاً عروضياً، كثير التصنيف، حسن التأليف، وكان بينه وبين ابن شرف الأديب مناقضات ومحادثات، وصنف في الرد عليه عدة تصانيف. كان أبوه رشيق رومياً، ذكر ذلك هو في الرد على ابن شرف، بعد ذكره نسب ابن شرف: هو اسم امرأة نائحة ثم قال: وأما أنا - فنضر الله وجه هذا الشيخ في، وأتم به النعمة علي -، فما أبغي به أباً، ولا أرضى بمذهبه مذهباً، رضيت به رومياً، لا دعياً، ولا بدعياً. تأدب ابن رشيق على أبي عبد الله بن جعفر القزاز، القيرواني النحوي اللغوي، وغيره من أهل القيروان. ومات بالقيروان سنة ست وخمسين وأربعمئة: عن ست وستين سنة، ذكر ابن رشيق هذا نفسه في كتابه الذي صنفه في شعراء عصره، ووسمه بالنموذج فقال في آخره: صاحب الكتاب هو حسن بن رشيق، مولى من موالى الأزدي، ولد بالمحمدية سنة تسعين وثلاثمئة، وتأدب بها يسيراً. وقدم إلى الحضرة سنة ست وأربعمئة، وامتحن سيدنا - خلد الله دولته -.

قال المؤلف يعني المعز بن باديس بن المنصور سنة عشر بقصيدة أولها:

ذمت لعينك أعين الغزلان
ومشت ولا والله ما حققت النقا
وثن الملاحة غير أن ديانتني
قمر أقر لحسنه القمران
مما أرتك ولا قضيب البان
تأبى علي عبادة الأوثان

منها:

يا بن الأعزة من أكابر حمير
من كل أبلج واضح بلسانه
قال: ومن مدحه القصيدة التي دخل بها في جملته، ونسب إلى خدمته، فلزم الديوان وأخذ الصلة والحملان:
لذن الرماح لما يسقي أسننتها
لو أثمرت من دم الأعداء سمرقناً
إذا توجه في أولى كتائبه
فالجيش ينفض حوله أسننته
يأتي الأمور على رفق وفي دعة
قال: ومن رثائه:

أما لئن صح ما جاء البريد به
مازلت أفزع من يأس ومن طمع
ليكثرن من الباكي أشياعي
حتى ترفع يأسى فوق أطماعي

فاليوم أنفق كنز العمر أجمعه
قال: ومن هجائه:

قالوا رأينا فراتاً لي سوجعه
وله من كتاب سر السرور:

معتقة يعلو الحباب متونها
رأت من لجين راحة لمديرها
ومن غير كتابه له:

ومن حسنات الدهر عندي ليلة
خلونا بها ننفي القذا عن عيوننا
من العمر لم تترك لأيامها دنبا
بلؤلؤة مملوءة ذهباً سكبا

وملنا لتقبيل الثغور ولثمها
قال الأبيوردي: هذا أحسن من قول ابن المعتز:
كم من عناق لنا ومن قبل
نقر العصافير وهي خائفة
وله أيضاً:

قد حنكت مني التجا
أبدأ أقول لنن كسب
حتى إذا أثريت عد
إن المقام بمثل حا
لا بد لي من رحلة

وله أيضاً:

في الناس من لا يرتجى نفعه
كالعود لا يطمع في طيبه
ومما أورده ابن رشيق لنفسه في النموذج:
أقول كالمأسور في ليلة
يا ليلة الهجر التي ليته
ما أحسنت جمل ولا أجملت
وأنشد لنفسه أيضاً:

أحب أخي وإأعرضت عنه
ولي في وجهه تقطيب راض
ورب تجهم من غير بغض

وله أيضاً:

من جفاني فإنني غير جاف
ربما هاجر الفتى من يصافي
وأنشد لنفسه في كتاب فسخ الملح:

المرء في فسحة كما علموا
فواحد منهما صفحت له
وأخر نحن منه في غرر
وقد بعثنا كيسي ملؤهما
فانظر وما زلت أهل معرفة

كميل جناح الطير يلتقط الحبا
مختلسات حذار مرتقب
من النواطير يانع الرطب

رب كل شيء غير جودي
ت لأقبضن بيدي شديد
ت إلى الساحة من جديد
لي لا يتم مع القعود
تدي من الأمل البعيد

إلا إذا مس بإضرار
إن أنت لم تمسه بالنار

ألقت على الآفاق كلكالها
قطع سيف الهجر أوصالها
هذا وليس الحسن إلا لها

وقل على مسامعه كلامي
كما قطبت في وجه المدام
وضغن كامن تحت ابتسام

صلة أو قطيعة في عفاف
ه ولاقى بالبشر من لا يصافي

حتى يرى شعره وتأليفه
عنه وجازت له زخاريفه
إن لم يوافق رضاك تثقيفه
نقد امرئ حاذق وتزييفه
يا من لنا علمه ومعروفه

ثم قال في ورقة أخرى تمام الأبيات العينية، وما وجدت أعني الأبيات التي هذه تمامها:

لأعطيت فيه مدعي القوم ما ادعى
مآثم واترك للصنائع موضعاً
لساناً ولا عرضت للذم مسمعا
حبالى ولا ولى ثنائي مودعا
وأجللتها عن أن تذلل وتخضعاً
وقاطعت لا أن الوفاء تقطعا

وجرى لساني فيه أو قلبي

ولو غيرك الموسوم عندي بريية
فلا تتخالجك الظنون فإنها
فوالله ما طولت باللوم فيكم
ولا ملت عنكم بالوداد ولا انطوت
بلى ربما أكرمت نفسي فلم تهن
فباينت لا أن العداوة باينت
وختم كتاب العمدة بهذه الأبيات:

إن الذي صاغت يدي وفمي

واخترته من جوهر الكلم
ذكرأ يجده على القدم
لكنهن مصايد الكرم
ونسخت عنه آية العدم
تأتي بمثلك فائق الهمم

مما عنيت بسبك خالصه
لم اهده إلا لتكسوه
لسنا نزيديك فضل معرفة
فاقبل هدية من أشدت به
لا تحسن الدنيا أبا حسن

الحسن بن أبي الحسن صافي

أبو نزار النحوي، وكان أبوه صافي مولى الحسين الأرموي التاجر، وكان لا يذكر اسم أبيه إلا بكنيته، لئلا يعرف أنه مولى، وهو المعروف بملك النحاة. قال أبو القاسم علي بن عساكر الحافظ: ذكر لي أنه ولد ببغداد سنة تسع وثمانين وأربعمائة، في الجانب الغربي بشارع دار الرقيق، ثم انتقل إلى الجانب الشرقي إلى جوار حرم الخلافة، وهناك قرأ العلم وتخرج. وسمع الحديث من الشريف أبي طالب الريني، وقرأ الفقه على أحمد، وأصول الفقه على أبي الفتح بن برهان، والخلاف على أسعد الميهني، والنحو على أبي الحسن علي بن أبي زيد الأستراباذي الفصحي وفتح له الجامع ودرس، ثم سافر إلى بلاد خراسان وكرمان وغزنة، ودخل إلى الشام وقدم دمشق، ثم خرج منها وعاد إليها واستوطنها إلى أن مات بها، في تاسع شوال سنة ثمان وستين وخمسمائة، ودفن بمقبرة الباب الصغير، وكان قد ناهز الثمانين، وكان صحيح الاعتقاد كريم النفس، ذكر لي أسماء مصنفاته: كتاب الحادي في النحو مجلدتان، كتاب العمد في النحو مجلدة وهو كتاب نفيس، كتاب المقتصد في التصريف مجلدة ضخمة، كتاب أسلوب الحق في تعليل القراءات العشر، وشيء من الشواذ مجلدتان، كتاب التذكرة السفرية انتهت إلى أربعمائة كراسة، كتاب العروض مختصر محرر، كتاب في الفقه على مذهب الشافعي سماه الحاكم مجلدتان، كتاب مختصر في أصول الفقه، كتاب مختصر في أصول الدين، كتاب ديوان شعره، كتاب المقامات هذا حذو الحريري. ومن شعره يمدح النبي صلى الله عليه وسلم:

أن يستجير بعليا خاتم الرسل
مدحت في آخر الأعصار والأول
تذكر الفخر لم يصدف ولم يمل
سبعاً طباقاً فبذت كل ذي أمل
جبريل عما له قد كان لم يطل
عدوت شيمة سبط الخلق مبتهل
لديك فاقبل ثناء غير منتحل
إليك أو صد بالإقتار عن جمل

يا قاصداً يثرب الفيحاء مرتجياً
خذ عن أخيك مقالاً إن صدعت به
قل يا من الفخر موقوف عليه فإن
صيت إذا طلبت غاياته خرقت
علوت وازددت حتى عاد منتزحاً
وعدت والكبر قد نافى علاك فما
أتاك غر قوافي المدح خاضعة
ثناء من لم يجد وجناء تحمله

ومن شعره أيضاً:

وهالك أصناف الكلام المسخر
يخبرك أن الفضل للمتأخر
تهجيهن تحت قد أعجموها
يعجم أشياء قد أعربوها
غدا وجه جهلك فيه وجوها
ك إذا دخلوا قرية أفسدوها

حنانيك إن جاءتك يوماً خصائصي
فسل منصفاً عن حالتي غير جائر
وقال أحمد بن منير يهجو ملك النحاة، وكان قد كتب أبو نزار إلى بعض القضاة العاصوي:

تهجيهن تحت قد أعجموها
يعجم أشياء قد أعربوها
غدا وجه جهلك فيه وجوها
ك إذا دخلوا قرية أفسدوها

فبلغت أبياته ملك النحاة فأجابه بأبيات منها:

أيا بن منير حسبت الهجا
جمعت القوافي من ذا وذا

وفي آخرها:

ك إذا أخطأت سوقة أدبوها

فقالوا قفا الشيخ إن الملو

قال البلطي: كان ملك النحاة قدم إلى الشام، فجهاه ثلاثة من الشعراء، ابن منير والقيسواني والشريف الواسطي. واستخف به ابن الصوفي ولم يوفه قدر مدحه، فعاد إلى الموصل ومدح جمال الذي وجماعة من رؤسائها وقضاتها. فلما نبت به الموصل، قيل له: لو رجعت إلى الشام، فقال: لا أرجع إلى الشام إلا أن يموت ابن الصوفي، وابن منير، والقيسراني، والشريف الواسطي، فقتل الشريف الواسطي، ومات ابن منير والقيسراني في مدة سنة، ومات الصوفي بعدهم بأشهر. وحدثني شيخنا أبو البقاء يعيش بن علي ابن يعيش النحوي قال: بلغني أنه كان لملك النحاة غلام وكان سيء العشرة، قليل المبالاة بمولاه ملك النحاة، فأرسله يوماً في شغل ليتعجله في إنجاز، فأبطأ فيه غاية الإبطاء، ثم جاء بعذر غير جميل، وكان يحضر ملك النحاة جماعة من أصدقائه والتلامذة، فغضب ملك النحاة وخرج عن حد الوفاق الذي كان يلتزمه ويتوخاه وقال له: ويلك أخبرني، ما سبب قلة مبالاة بك بي، وإطراحك لقبول أوامري؟ أنكتك قط؟ فبادر الغلام وقال: لا والله يا مولاي، معاذ الله أن تفعل ذلك بي، فإنك أجل من ذلك. قال: ويلك، فنكتني قط؟ فحرك الغلام رأسه متعجباً من كلامه وسكت. فقال له: ويلك أدركني بالجواب، هذا موضع السكوت؟ - لا رعاك الله - يا ابن الفاعلة، عجل، قل ما عندك قل، فقال: لا والله. قال: فما السبب في أنك لا تقبل قولتي، ولا تسرع في حاجتي؟ فقال له إن كان سبب الانبساط لا يكون إلا هذين، فأعدك ألا أعود إلى ما تكره إن شاء الله.

قال العماد: أقام ملك النحاة بالشام في رعاية نور الدين محمود بن زنكي، وكان مطبوعاً متناسب الأحوال والأفعال، يحكم على أهل التميز بحكم ملك فيقيل ولا يستقال، وكان يقول: هل سيوييه إلا من ريعتي؟ ولو عاش ابن جني لم يسع إلا حمل غاشيتي، مر الشكيمة، حلو الشيمة، يضم يده على المائة والمائتين ويمشي وهو منها صفر اليمين، مولع باستعمال الحلوات السكرية، وإهدائها إلى جيرانه وإخوانه، مغرَى بإحسائه إلى خالصانه وخلانه. قال العماد: أذكره وقد وصلت إليه خلعة مصرية، وجائزة سنية، فأخرج القميص الدبقي إلى السوق، فبلغ دو عشرة دنائير، فقال: قولوا: هذا قميص ملك كبير، أهداه إلى ملك كبير، ليعرف الناس قدره، فيحلبوا عليه البدر على البدار، وليجلوا قدره في الأقدار، ثم قال: أنا أحق إذا جهلوا حقه، وتكبووا فيه سبل الواجب.

ومن ظريف ما يحكى عن ملك النحاة: أن نور الدين محموداً خلع عليه خلعة سنية، ونزل ليمضي إلى منزله. فرأى حلقة عظيمة فمال إليها لينظر ما هي؟ فوجد رجلاً قد علم تيساً له استخراج الخبايا وتعريفه ما يقول له من غير إشارة، فلما وقف عليه ملك النحاة، قال الرجل لذلك التيس: في حلقتي رجل عظيم القدر، شائع الذكر ملك في زي سوقة، أعلم الاس، وأكرم الناس، وأجمل الناس، فأرني إياه، فشق ذلك التيس الحلقة، وخرج حتى وضع يده على ملك النحاة، فلم يتمالك ملك النحاة أن خلع تلك الخلعة، ووهبها لصاحب التيس، فبلغ ذلك نور الدين فعاتبه وقال: استخففت بخلعتنا حتى وهبتها من طريقي؟ فقال يا مولانا: عذري في ذلك واضح، لأن في هذه المدينة زيادة على مائة ألف تيس، ما فيهم من عرف قدري إلا هذا التيس، فجازيته على ذلك. فضحك منه.

وحكي عنه أنه كان يستخف بالعلماء، فكان إذا ذكر واحد منهم يقول: كلب من الكلاب. فقال رجل يوماً: فلست إذا ملك النحاة، إنما أنت ملك الكلاب، فاستشاط غضباً وقال: أخرجوا عني هذا الفضولي. وقال السمعاني: دخل أبو نزار بلاد غزنة وكرمان، ولقي الأكابر، وتلقى مورده بالإكرام، ولم يدخل بلاد خراسان وانصرف إلى كerman، وخرج منها إلى الشام. قال: وقرأت فيما كتبت به بواسط، ولا أدري عمن سمعته لأبي نزار النحوي:

أراجع لي عيشي الفارط	أم هو عني نازح شاحط؟؟
ألا وهل تسعفني أوبة	يسمو بها نجم المنى الهابط؟
أرقل في مرط ارتياح وهل	بطرق سمعي هذه واسط؟
يا زمني عد لي فقد رعتني	حتى عراني شيبني الواخط
كم أقطع البيداء في ليلة	يقبض ظلي خوفها الباسط؟
أأرقب الراحة أم لا وهل	يعدل يوماً دهري القاسط؟؟
أيا ذوي ودي أما اشتقتم	إلى إمام جأشه رابط؟
وهل عهدودي عندكم غضة	أم أنا في ظني إذا غالط؟
ليهنكم ما عشتم واسط	إنني لكم يا سادتي غابط

وأنشد له:

الجيش والبرم الكثير	منظوم ذلك والنثير
ودخان عود الهند والش	مع المكفر والعبير
ورشاش ماء الورد قد	عرفت به تلك النحور

عد جسها بم وزير
فق بينها الطبل القصير
ير يحثه القدح الكبير
غر والحدة بها تسير
دنياه والله الغفور

ومثال العيدان يس
وتخافق النايات يخ
والشرب بالقدح الصغ
أحظى لدي من الأبا
للعبد أ يلتذ في

ومن شعره أيضاً:

وعلت أخامصهم فروع شمام
يما أدعيه لا بفتح اللام

يا بن الذين ترفعوا في مجدهم
أنا عالم ملك بكسر اللام ف

أنشدني عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل أحمد بن عبد الوهاب بن الزاكي بن أبي الفوارس، السلمي الحراني المعروف باب الصيفي الدمشقي قال: أنشدني فتیان بن علي بن فتیان الأسدي النحوي في ملك النحاة، وكانت قد عصت يد ملك النحاة سنور فربطها بمنديل عظيم:

وقلت: أتيت بغير الصواب
وبث العلوم وضرب الرقاب
ألي القطاط أعادي الكلاب؟

عتبت على قط ملك النحاة
عضضت يداً خلقت للدى
فأعرض عني وقال اتند

قال: فبلغته الأبيات فغضب منها، إلا أنه لم يدر من قائلها؟ ثم بلغه أنني قلتها وبلغني ذلك فانقطعت عنه حياء مدة، فكتبت إليه شعراً أعتذر إليه، فكتب إلي:

وتسمنتما العلا والعلاء
ور واستمطرا به الأنواء
كل يوم تحية وثناء
ت به مادحاً وكان هجاء
قاله الجاهلون عنك اقتراء

يا خليلي نلتما النعماء
ألما بالشاغور والمسجد المعمر
وامنحاً صاحبي الذي كان فيه
ثم قولاً له اعتبرنا الذي فيه
وقبلنا فيه اعتذارك عما

الشاغور محلة بدمشق بالباب الصغير. وقال فتیان ابن المعلم الدمشقي: رأيت أبا نزار في النوم بعد موته فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: أنشدته قصيدة ما في الجنة مثلها، فتعلق بحفظي منها أبيات وهي:

فليس في الحق وبك من قبل
بما جنته يداي من زلل
صفر يد من محاسن العمل
وأنت يا رب في القيامة لي

يا هذه أقصري عن العذل
يا رب ها قد أتيت معترفاً
ملأن كف بكل مائتمة
فكيف أخشى ناراً مسعرة

قال: فوالله منذ فرغت من إنشادها ما سمعت حسيس الأرض.

الحسن بن عبد الله، الأصبهاني

المعروف بلغة ولكذة، أيضاً الأصبهاني أبو علي، قدم بغداد، وكان جيد المعرفة بفنو الأدب، حسن القيام بالقياس، موفقاً في كلامه، وكان إماماً في النحو واللغة، وكان في طبقة أبي حنيفة الديوري، مشايخهما سواء، وكان بينهما مناقضات قال حمزة بن حسن الأصبهاني في كتاب أصبهان: وقدم على اب رستم الديميري من سامراً: إبراهيم بن غيث البغدادي وكان أصبهانياً، فخرج في صغره إلى العراق، فبرع في علم النحو واللغة، وهو جد عبد الله بن يعقوب الفقيه. وروى عن أبي عبيدة، وأبي زيد، وقدم الخصب بن أسلم الباهلي صاحب الأصمعي وروى عن أبي إسحاق إبراهيم بن غيث، وأبي عمر الخرق، وهو أول من قدم أصبهان من أهل الأدب واللغة، وعن الباهلي صاحب الأصمعي، وعن الكرمانني صاحب الأخفش: أخذ أبو علي لغة علم اللغة. وكان أبو علي يحضر مجلس أبي إسحاق ويكتب عنه، ثم خالفه وقعد عنه، وجعل ينقض عليه ما يمليه.

قال حمزة: وقد تقدم من أهل اللغة في أصبهان، - وصار فيها رئيساً يؤخذ عنه - جماعة: منهم أبو علي لغة، وكان رأساً في اللغة والعلم والشعر والنحو. حفظ في صغره كتب أبي زيد، وأبي عبيدة، والأصمعي، ثم تتبع ما فيها، فامتحن بها الأعراب الوافدين أصبهان، وكانوا يفدون على محمد بن يحيى بن أبان، فيضربون خيمهم بفاء داره، في باغ سلم بن عود، ويقصدهم أبو

علي كل يوم، فيلقي عليهم مسائل شكوكه من كتب اللغة، وثبت تلك الأوصاف عن ألفاظهم في الكتاب الذي سماه كتاب النوادر. ثم لم يك له في آخر أيامه ظير بالعراق. قال: وكتاب النوادر هذا كتاب كبير، يقوم بإزاء كل ما خرج إلى الناس من كتب أبي زيد في النوادر، وله من الكتب الصغار: كتاب الصفات، كتاب خلق الإنسان، كتاب خلق الفرس، وكتب آخر كثيرة من صغار الكتب، وله ردود على علماء اللغة، وعلى رواة الشعر والشعراء، قد جمعناها نحن في كتاب وأنفذناه إلى أبي إسحاق الزجاج - رحمه الله قال محمد بن إسحاق النديم: وله من التصانيف: كتاب الرد على الشعراء قضه عليه أبو حنيفة الدينوري، كتاب الطق، كتاب الرد لعلي أبي عبيد في غريب الحديث، كتاب علل النحو، كتاب مختصر في النحو، كتاب الهشاشة والبشاشة، كتاب التسمية، كتاب شرح معاني الباهلي، كتاب نقض علل النحو، كتاب الرد على ابن قتيبة في غريب الحديث. وأفرد حمزة الأصبهاني في كتاب أصبهان أشعاراً للغدة منها:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم
وبقيت في خلف يزين بعضهم
ما أقرب الأشياء حي يسوقها
الجد أنهض بالفتى من كده
وإذا تعسرت الأمور فأرجها
ومن شعره أيضاً:

خير إخواك المشارك في المر
الذي إن شهدت سرك في الق
مثل تبر العقبا إن مسه الا
وأخو السوء إن يغب عك يسبع
جيبه غير ناصح ومناه
فاصرمنه ولا تلهف عليه

ومن شعره أيضاً:

بذلت لك الصفاء بكل جهدي
جرحت بمديّة فحزرت أنفي
فلم تترك إلى صحل مجازاً
ستمكت نادماً في العيش مني
وتذكرني إذا جربت غيري

وكنّت كما هويت فرصت وخزا
وحبل مودتي ببديك حزا
ولا فيه لمطلبه مهزا
وتعلم أن رأيك كان عجزا
وتعلم أنني لك كنت كنزا

الحسن بن عبد الله المرزباني السيرافي

أبو سعيد النحوي القاضي، وسيراف بليد على ساحل البحر من أرض فارس، رأيته أنا وبه أثر عمارة قديمة، وجامع حسن، إلا أنه الآن الغالب عليه الخراب، وقد كان ولي القضاء على بعض الأرباع ببغداد، ومات - رحمه الله - يوم الاثنين ثاني رجب، سنة ثمان وستين وثلاثمائة، في خلافة الطائع ودفن في مقابر الخيزران. وكان أبوه مجوسياً اسمه بهزاد، فسماه أبو سعيد عبد الله، وكان أبو سعيد يدرس ببغداد القرآن والقراءات، وعلوم القرآن، والنحو، واللغة، والفقه والفرائض. وكان قد قرأ على أبي بكر بن مجاهد القرآن، وعلى أبي بكر بن دريد اللغة، ودرسا جميعاً عليه النحو، وقرأ على أبي بكر بن السراج، وأبي بكر المبرمان النحو، وقرأ أحدهما عليه القرآن، ودرس الآخر عليه الحساب.

قال الخطيب: وكان - رحمه الله - زاهداً ورعاً، لم يأخذ على الحكم أجراً، إنما كان يأكل من كتب يمينه، فكان لا يخرج إلى مجلس الحكم ولا إلى مجلس التدريس، حتى ينسخ عشر ورقات يأخذ أجرتها عشرة دراهم، تكون بدق رمونته، ثم يخرج إلى مجلسه. وصنف كتباً منها: شرح كتاب سيبويه.

قال أبو حيان التوحيدي: رأيته أصحاب أبي علي الفارسي يكثررون الطلب لكتاب شرح سيبويه ويجتهدون في تحصيله. فقلت لهم: إنكم لا تزالون تقعون فيه، وتزرون على مؤلف، فما لكم وله؟ قالوا: نريد أن نرد عليه، ونعرفه خطأه فيه.

قال أبو حيان: فحصلوه واستفادوا منه، ولم يرد عليه أحد منهم أو كما قال أبو حيان، فإني لم أنقل ألفاظ الخبر لعدم الأصل الذي قرأته منه، وكان أبو علي وأصحابه كثيرون الحسد لأبي سعيد، وكانوا يفضلون عليه الرمان، فحكى ابن جني عن أبي علي: أن أبا سعيد قرأ على اب السراج خمسين ورقة من أول الكتاب ثم انقطع، قال أبو علي: فلقبته بعد ذلك فعاتبته على انقطاعه. فقال لي: يجب على الإنسان أن يقدم ما هو أهم. وهو علم الوقت من اللغة والشعر، والسماع من الشيوخ، فكان يلزم ابن دريد ومن جرى مجراه من أهل السماع.

وقال أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني يهجو أبا سعيد السيرافي:

لست صدراً ولا قرأت على صد
ر ولا علمك البكي بكاف

لعن الله كل شعر ونحو
وعروض يجيء من سيراف

وذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: قال لي أبو أحمد: ولد أبو سعيد بسيراف، وفيها ابتدأ بطلب العلم، وخرج عنها قبل العشرين، ومضى إلى عمان فتفقه بها، ثم عاد إلى سيراف، ومضى إلى العسكر فأقام بها مدة. قال المؤلف: وبها قرأ فيما أحسب على المبرمان. قال: كان فقيهاً على مذهب العراقيين، وورد إلى بغداد، فخلف أبا محمد بن معروف قاضي القضاة على قضاء الجانب الشرقي، وكان أستاذه في النحو، ثم استخلفه على الجانبين. ومولده قبل التسعين ومائتين. وله من الكتب: كتاب شرح سيبويه، ألفات القطع والوصل، كتاب أخبار النحويين البصريين، كتاب شرح مقصورة ابن دريد، كتاب الإقناع في النحو لم يتم، فتممه ابنه يوسف، وكان يقول: وضع أبي النحو في المزابيل بالإقناع، يريد أه سله حتى لا يحتاج إلى مفسر، كتاب شواهد كتاب سيبويه، كتاب الوقف والابتداء، كتاب صنعة الشعر والبلاغة، كتاب المدخل إلى كتاب سيبويه، كتاب جزيرة العرب.

قرأت بخط أبي حيان التوحيدي في كتابه الذي ألفه في تقرير عمرو بن بحر، وقد ذكر جماعة من الأئمة، كانوا يقدمون الجاحظ ويفضلونه فقال: ومنهم أبو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ، وإمام الأئمة معرفة بالنحو والفقه، واللغة والشعر، والعروض والقوافي، والقرآن والفرائض، والحديث والكلام، والحساب والهندسة. أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة، فما وجد له خطأ، ولا عثر منه على زلة. وقضى ببغداد، وشرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السليمان، فما جراه فيه أحد، ولا سبقه إلى تمامه إنسان. هذا مع الثقة والديانة، والأمانة والرواية. صام أربعين سنة، وأكثر الدهل كله.

قال لنا الأندلسي: فارقت بلدي في أقصى الغرب طلباً للعلم، وابتغاء مشاهدة العلماء، فكنت إلى أن دخلت بغداد وتلقيت أبا سعيد، وقرأت عليه كتاب سيبويه نادماً سادماً في اغترابي عن أهلي ووطني، من غير جدوى في علم أو حظ من الدنيا، فلما سعدت برؤية هذا، علمت أن سعياً قرن بسعدي، وغربتي اتصلت ببغيتي، وأن عنائي لم يذهب هدرأ، وأن رجائي لم ينقطع يأساً. قرأت بخط أبي علي المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ: قرأنا على أبي سعيد الحسن بن عبد الله في كتاب ما يلحن فيه العامة لأبي حاتم: هو الشمع مفتوح الشين والميم. فسألناه عما يحكى عن أبي بكر بن دريد أنه قال: شمع بكسر الشين. فقال: لا يعاج عليه. قلنا له: فهو صحيح عن ابن دريد؟ فقال: نعم هو عنه بخطي في كتاب الجمهرة.

قال: وكان أبو الفتح بن النحوي، وأبو الحس الدريدي سألاني عن ذلك، فاستعفيت من الإجابة، لنلا أنسب إلى أبي بكر حرفاً أجمع الناس على خلافه.

وقال أبو حيان في كتاب محاضرات العلماء قتال: وحضرت مجلس شيخ الدهر، وقريع العصر، العديم المثل، المفقود الشكل، أبي سعيد السيرافي، وقد أقبل على الحسين بن مردويه الفارسي، يشرح له ترجمة المدخل إلى كتاب سيبويه من تصنيفه. فقال له: علق عليه، واصرف همتك إليه، فإنك لا تدركه إلا بتعب الحواس، ولا تتصوره إلا بالاعتزال عن الناس. فقال: - أيد الله القاضي -، أنا مؤثر لذلك، ولك اختلال الأمر وقصور الحال يحول بيني وبين ما أريده. فقال له: ألك عيال؟ قال لا. قال: عليك ديون؟ قال: دريهما. قال: فأنت ربح القلب، حسن الحال، ناعم البال، اشتغل بالدرس والمذاكرة، والسؤال والمناظرة، واحمد الله تعالى على خفة الحاذ، وحسن الحال. وأنشده:

إذا لم يكن للمرء مال ولم يكن
له طرق يسعى به الولائد

وكان له خبز وملح ففیهما
له بلغة حتى تجيء الموائد

وهل هي إلا جوعة إن سدتها
فكل طعام بين جنبك واحد

قال: وكان يقرأ على أبي سعيد السيرافي الكامل للمبرد، فجاءه أبو أحمد بن مردك وكان هذا من ساوة، واستوطن بغداد وولد بها، وكان له قرب ومنزلة من أبي سعيد يوجب حقه ويرعاه له. فقال: أيها الشيخ عندي ابنة بلغت حد التزويج، وجماعة من

الغرباء والبغداديين يخطبونهم، فما ترى ومم أزوجها؟ فقال: فمن يخاف الله تعالى، وأكثرهم تقية وخشية منه، فإن من يخاف الله إن أحبها بالغ في إكرامها، وإن لم يحبها تخرج من ظلمها، فاستحسننا ذلك وأثبتناه ثم قال: لا تنسبوا هذا إلي، إنما هذا قول الحسن. قال: وشبيه هذه الحكاية: أن رجلاً وقف على الحسن فقال: علمني ما يقربني إلى الله تعالى وإلى الناس، قال: أما ما يقربك إلى الله فمسألته. وأما ما يقربك إلى الناس فترك مسألتهم. وقال: وتأخر بعض أصحابه عن مجلسه في يوم السبت، وكان يرفع حق أبيه فيه، لأنه كان وجيهاً شريفاً، فلما كان يوم الأحد قال له: ما الذي أخرجك؟ فأشار إلى شرب الدواء، ولأجله تأخر عن المجلس، فأشدنا:

لنعم اليوم يوم السبت حقاً	لصيد إن أردت بلا افتراء
وفي الأحد البناء فإن فيه	تبدى الله في خلق السماء
وفي الإثنين إن سافرت حقاً	يكون الأوب فيه بالنماء
وإن ترم الحجامه فالثلثا	ففي ساعاته درك الشفاء
وإن شرب امرء يوماً دواء	فنعم اليوم يوم الأربعاء
وفي يوم الخميس قضاء حاج	ففيه الله أذن بالقضاء
ويوم الجمعة التزويج فيه	ولذات الرجال مع النساء

قال: ولما قبل ابن معروف شهادته، عاتبه على ذلك بعض المختصين به وقال: أيها الشيخ، إنك إمام الوقت وعين الزمان، والمنظور إليه والصدر، وإذا حضرت محفلاً كنت البدر، قد اشتهر ذكرك في الأقطار والبلاد، وانتشر علمك في كل محفل وناد، والألسنة مقرة بفضلك، فما الذي حملك على الانقياد لاب معروف واختلافك إلى مجلسه، وصرت تابعاً بعد أن كنت منبوعاً، ومؤتمراً بعد أن كنت أمراً، وضعت من قدرك، وضيعت كثيراً من حرمتك، وأنزلت نفسك منزلة غيرك، وما فكرت في عاقبة أمرك، ولا شاورت أحداً من أصحابك. فقال: اعلّموا أن هذا القاضي سبب اكتساب ذكر جميل، وصيت حسن، ومباهاة ومنافسة لأقرانه وإخوانه، ومع ذلك له من السلطان منزلة. وبلغني أنه يستضيء برأيه، ويعده من جملة ثقاته وأوليائه، وعرض بي، وصرح في الأمر مرة بعد أخرى، وثانية عقب أولى، فلم أجب إليه، ولم أسلس قيادي له، فخفت مع كثرة الخلاف اعتماداً بما أستضر به وينتفع به غيري. وإذا اتفق أمران، فاتباع ما هو أسلم جانباً وأقل غائلة أولى. وقد كان الآن ما كان، والكلام فيه ضرب من الهذيان. فلما كان بعد هذا بأيام، ورد عليه من أمد صاحب لأبي العباس بن ماهان بكتاب يهنئه فيه بما تلبس به من العدالة، وكان الكتاب يشتمل على كلمات وجيزة، وألفاظ حسنة، ومعان منتقاة. وكان أبو العباس هذا من أصحاب أبي سعيد، ومم لازمه سنين عدة، وعلق عنه على ما ذكره الشاشي، زهاء عشرة آلاف ورقة من شرحه لكتاب سيبويه وغيره، درساً ومذاكرة. وكانت له أيضاً بضاعة قوية في علم الهيئة، وبصر تام بمذهب الكوفيين في النحو، حتى ما كان يطاق وكان من أصدر الكتاب على يده رجلاً كردياً، عليه جبة ثقيلة فوقها صناعة عظيمة، قد أضرت به شمس الهواجر، ومقاساة السفر، وقطع المهامه والمفاوز. وكان الشيخ يبين لبعض أصحابه الفرق في قوله تعالى: (مثل ما أنكم تتظفون). والاحتجاج عمن نصبه ورفع، والكردي ما يفهم منه القليل ولا الكثير، ثم التفت إلى أبي سعيد وقال: يا شيخ، في أي شيء أنت؟ وفي ماذا تتكلم؟ فقال: أتكلم في شيء لا يعرفه كل أحد، ولا يتصوره كثير من الناس. قال: ففسره لي لعلني أفهمه. قال: لا يكو ذلك أبداً. قال: أنت عالم، ومن اقتبس منك علماً لزمك الجواب. فقال له: عليك بمجلس يجري فيه حديث الفرض والنفل والسنن وظواهر أمر الشريعة لتستفيد منه، وتنتفع به. فأخذ الكردي في المطاولة، وإيراد الهذيان وما لا محصول له. وسكت عنه أبو سعيد، وصمت هو أيضاً. وجعل أبو سعيد على عادته، يبين ويوضح ويتكلم، وينثر الدر ولا يهدأ ولا يفتر لسانه، ولا يجف ريقه. والكردي ملازمه، وكأنه كالمتبرم به، والمستثقل لجلوسه، وملازمته إياه إلى أن قام ومضى. ثم قال أبو سعيد: ما ظننت أن ثقلاً تمكن من أحد تمكن هذا منا اليوم، وإن ألم ثقله خلص إلى الروح والبدن كما خلص إلي، لقد هممت تارة بضربه فقلت: ربما ضربني أيضاً، ثم هممت بالقيام فقلت: ضرب من الخرق، ثم كدت أصيح فقلت: نوع من الجنون، ثم بقيت أدعو سراً، وأرغب إلى الله تعالى في صرفه، فتفضل الله الكريم علي بذلك، ومع هذه الحالة، لم تزل أبيات محمد بن المرزبان تتردد بين لهاتي ولساني. فقلنا له: وما الأبيات؟ فقال:

يا شقيق الرصاص والجبل	وقريع الأيام في الثل
أرح حياتي فقد هجمت على	نفسي وأشرفت بي على أجلي
والله لو كنت والدأ حدياً	وكننت تحيي الأموات في المثل
وتمزج الثلج في العساس لدى ال	قيظ وعند الشتاء بالعسل
رحلت عن ذاك عند آخره	واخترت ألا أراك في الرحل
فخذ طريفي وتالدي فإذا	لم يبق شيء فخذ إذا سملتي

وارحل إلى الظلمة التي ذكرت
من خلف قاف يا شر مرتحل

قال: وكان قد ظهر بالعراق رجل من الجراد، فأضرت بالزروع والأثمار، وغلت الأشعار، وأثر في أحوال الاس. فحضرنا مجلس أبي سعيد السيرافي، وكل منا شكاً حاله، وذكر خلته، وكان فينا رجل مزارع، ذكر أنه زرع بنواحي النهروان أربعة آلاف جريب ملكاً وضمناً وإجارة رجاء الفائدة، وقد أتى عليها الجراد، وهلك ذلك الرجل لأجله.

ثم قال أبو سعيد: لا يهولنك أمرها، فإنها جند من جنود الله مأمور. بلغنا أن جرادة سقطت بين يدي عبد الله بن عباس، فأخذها ونشر جناحها وقال: أتعلمو ما هو مكتوب عليها؟ قالوا لا، قال: مكتوب عليها: أنا مغلي الأسعار، مع تدفق الأنهار. وأورد في ذكر الجراد ما حير الناظري، ثم قال: ومن أحسن ما وصف به الجراد، قول بعض الخطباء حيث يقول: إن الله سبحانه وتعالى خلق خلقاً وسماها جراداً، وألبسها أجلاًداً، وجندها أجناداً، وأدمجها إدمجاً، وكساها من الوشي ديباجاً، وجعل لها ذرية وأزواجاً، إذا أقبلت خلقتها سحاباً أو عجاجاً، وإذا أدبرت حسبتها قوافل وحجاجاً، مزخرفة المقادير، مزبجة المآخير، مزقة الأطراف، منقطعة الأخفاف، منمنمة الحواشي، منمقة الغواشي، ذات أردية مزعفرة، وأكسية معصفرة، وأخفية مخططة. معتدلة قامتها، مؤتلفة خلقتها، مختلفة حليتها، موصولة المفاصل، مدرجة الحواصل، تسعى وتحتال، وتميس وتختال، وتطوف وتجتال، فتبارك خالقها، وتعالى رازقها، من غير حاجة منه إليها، رحمة منه عليها، أوسعها رزقاً، وأتقنها خلقاً، وفتق منها رتقاً. ووشج أعراقها، وألجم أعناقها، وطوقها أطواقها، وقسم معاشها وأرزاقها، تنظر شزراً من ورائها، وترقب النازل من سمائها، وتحرس الدائر من حولها. سلاحها عتيد، وبأسها شديد، ومضررتها تعديد تدب على ست وتطير، فسبحان من خلقها خلقاً عجيباً، وجعل لها من كل ثمر وشجر نصيباً، وجعل لها إدياراً وإقبالاً، وطلباً واحتيالاً، حتى دبّت ودرجت، وخرجت ودخلت، ونزلت وعرجت، مع المنظر الأنيق، والعصب الدقيق، والبدن الرقيق (هذا خلق الله، فأروني ماذا خلق الذين من دونه).

ثم قال: وماذا تقولون في طير؟ إذا طار بسط، وإذا دنا من الأرض لطم، رجلاه كالمنشار، وعينه كالزجاج. عينه في جنبه، ورجله أطول من قامته، ألا وهي الجرادة. ثم قال: وأحسن منه: جيدها كجيد البقر، ورأسها ك رأس الفرس، وقرنها كقرن الوعل، ورجلها كرجل الحمل، وبطنها كبطن الحية، تطير بأربعة أجنحة، وتأكل بلسانها، فتبارك الله ما أحسنها! وأحس ما فيها: أنها طعام طاهر حياً وميتاً، ونقل تجذب أقواماً وتخصب آخرين. فقلنا له: ما معنى قولك تجذب أقواماً وتخصب آخرين؟ قال: إنها إذا حلت البوادي والفيافي ومواضع الرمال، فهي خصب لهم وميرة، وإذا حلت بمأوى الزرع والأشجار فهي تجذب، لأنها تأتي على الشوك والشجر، والرطب واليابس، فلا تبقى ولا تذر.

قال: وقال أيضاً في تضاعيف كلامه: خادم الملك لا يتقدم في رضاه خطوة، إلا استفاد بها قدمة وحظوة. قال: وما رأيت أحداً من المشايخ كان أذكر لحال الشباب، وأكثر تأسفاً على ذهابه منه، فإنه إذا رأى أحداً من أقرانه قد عالج الشيب تسلى به، ولم يزل يسأله عن حاله، كانت في أيام الشباب وزمن الصبا. وإذا ذكر بين يديه ما يتعلق بالشيب والشباب، بكى وجداً وحن، وشكا وأن، وتذكر عهد الشباب. وكان كثيراً ما ينشد مقطعات محمود الوراق في الشيب ويكي عليها. وأنشد يوماً:

فإن يكن المشيب طرا علينا
فإني لا أعاقبه بشيء
يكون على أهون من خضاب
فينتقم العذاب من العذاب

قال: وأنشدنا لمحمود الوراق في الشيب وعينه تدمعان:

ولو أن دار الشيب قرت بصاحب
ولكن هذا الشيب للموت رائد
على ضيقها لم نبغ داراً بداره
يخبرنا عنه بقرب مزاره

قال أبو حيان: وكان أبو سعيد يفتي على مذهب أبي حنيفة وينصره، فجرى حديث تحليل اتلنبيذ عنده، فقال له بعض الخراسانيين: أيها الشيخ، دعنا من حديث أبي حنيفة وقول الشافعي. ما ترى أنت في شرب النبيذ والقدر الذي لا يسكر ويسكر؟ فقال: أما المذهب فمعروف لا عدول عنه، وأما الذي يقتضيه الرأي ويجبه العقل، ويلزم من حيث الاحتياط، والأخذ بالأحسن والأولى، فتركه والعدول عنه.

فقال له: بين لنا - عافاك الله - . فقال: العم أنه لو كان المسكر حلالاً في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لكان يجب على العاقل رفضه وتركه، بحجة العقل والاستحسان. فإن شاربه محمول على كل معصية، مدفوع إلى كل بلية، مذموم عند كل ذي عقل ومروءة، يحيله عن مراتب العقلاء والفضلاء والأدباء، ويجعله من جملة السفهاء، ومع ذلك فيضر بالدماع والعقل، والكبد والذهن، ويولد القروح في الجوف، ويسلب شاربه ثوب الصلاح والمروءة والمهابة، حتى يصير بمنزلة المخبط المخريق والمئبج، يقول بغير فهم، ويأمر بغير علم، ويضحك من غير عجب، ويبيكي من غير سبب، ويخضع لعدوه، ويصول

على ولية، ويعطي من لا يستحق العطية، ويمنع من يستوجب الصلة، ويذر في الموضع الذي يحتاج فيه أن يمسه، ويمسك في الموضع الذي يحتاج فيه أن يبذر، يصير حامده ذاماً، وأفعاله ملاماً، عبده لا يوقره، وأهله لا تقربه، وولده يهرب منه، وأخوه يفرع عنه، يتمرغ في فينه، وينقلب في سلحه، ويبول في ثيابه، وربما قتل قريبه، وشتّم نسيبه، وطلق امرأته وكسر آلة البيت، ولفظ بالخنى، وقال كل غليظة وفحش، يدعو عليه جاره، ويزرى به أصحابه، عند الله ملوم، وعند الناس مذموم، وربما يستولي عليه في حال سكره مخايل الهموم، فيبكي دماً، ويشق جبينه حزناً، وينسى القريب، ويتذكر البعيد، والصبيان يضحكون منه، والنسوان يفتعلن النوادر عليه. ومع ذلك فبعيد من الله، قريب من الشيطان، قد خالف الرحمن في طاعة الشيطان، وتمكن من ناصيته، وزى في عينه إتيان الكبائر، وركوب الفواحش، واستحلال الحرام، وإضاعة الصلاة، والحنث في الأيمان، سوى ما حل به عند الإفافة من الندامة، ويستوجب من عذاب الله يوم القيامة.

فقال الرجل: والله إن قولك ووصفك له أعلق بالقلب من كل واضح وبرهان لائح، وحجة وأثر، وقول وخبر. فقال له: لولا ذهاب الوقت لا عوض له، لاستدللت لكل خصلة ذكرتها، ولقطة أوردتها بأية من كتاب الله، أو خبر مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قلت: إن الألفاظ مشتقة من ذاك مستنبطة منه، ولك الأمر في هذا أظهر وأشهر من أن يبين ويوضح. ولأبي حنيفة مسائل لا أرتضيها له، وقد خالفه فيها أعيان أصحابه، والناقلة لمذهبه، ولكن لكل أريب هفوة، ولكل جواد كبوة، والكلام إذا كثّر لا يخلو من الخطأ، والقول إذا تتابع لا يعرى من التناقض، - والله المعين على أمر الدنيا والدين - قال أبو حيان: قال أبو سعيد: دخلت مسجداً بباب الشام يوماً أنظر أبا المنصور العمري فرأيت عربياً قد استلقى ومخلاته تحت رأسه، وهو يترنم بهذه الأبيات بحلق أطيّب ما يكون، وصوت أندى ما يسمع:

سماء الحب تهطل بالصدود
وعين الحب تأتي بالمنايا
وأول من عشقت عشقت ظيباً
له في الصدر قلب من حديد

فقلت له: أعد الأبيات. فقال لي: دخلت علي وشغلتي عما كنت عليه، خلوت بنفسي في هذا المسجد أتمنى أمانى دونها خרט القتاد، فأفسدتها علي. فحفظت الأبيات من قوله، وانصرفت وتركته. قال أبو حيان: وأنشدنا أبو سعيد السيرافي:

فكرت في شيب الفتى وشبابه
يصاحبين شرح الشباب فيقضي
فأيقنت أن الحق للشيب واجب
وشيبي إلى حين الممات مصاحب

ثم قال: ما رأيت أحداً كان أحفظ لجوامع الزهد نظماً ونثراً، وما ورد في الشيب ولا شباب، من شيخنا أبي سعيد. وذلك أنه كان ديناً، ورعاً تقياً، زاهداً عابداً خاشعاً، له دأب بالنهار من القراءة والخشوع، وورد بالليل من القيام والخضوع، صام أربعين سنة الدهر كله. قال: وقال لي أبو إسحاق المدائني. ما قرأت عليه خبراً ولا شيئاً قط فيه ذكر الموت والقبر، والبعث والنشور، والحساب والجنة والنار، والوعد والوعيد والعقاب، والمجازاة والثواب، والإنذار، والإعذار، وذم الدنيا وتقلبها بأهلها، وتغيرها على أبنائها، إلا وبكى منها، وجزع عندها، وربما نغص عليه يومه وليلته، وامتنع من عاداته في الأكل والشرب. وكان ينشدنا ويورد علينا من أمثاله، ما كنا نستعين به ونستفيد منه، وما نجعله حظ يومنا. ورأيت يوماً ينشد ويبكي:

حتى الدهر من بعد استقامته ظهري
ودب البلى في كل عضو ومفصل
وأفضى إلى تنغيص عيشته عمري
ومن ذا الذي يقى سليماً على الدهر؟

قال: ووصى يوماً بعض أصحابه وكان يقرأ عليه شرح الفصيح لابن درستويه: كن كما قال الخليل بن أحمد: اجعل ما في كتبك رأس مالك، وما في صدرك للتعقّه. قال: وأنشدنا:

وذي حيلة للشيب ظل يحوطه
وما لطفت للشيب حيلة عالم
يقرضه حيناً وحيناً ينتف
من الناس إلا حيلة الشيب ألطف

قال أبو حيان: شكّا أبو الفتح القواس إليه طول عطلته، وكساد سوقه، ووقوف أمره، وذهاب ماله، ورقة حاله، وكثرة ديونه وعياله، وتجلف صبيانه، وسوء عشرة أهله معه، وقلة رضاهم به، ومطالبتهم له بما لا يقوم به، وأنه يقع ويقوم، ويدخل كل مدخل، حتى يحصل لنفسه وعياله بعض كفايتهم. فقال له: ثق بالله خالك، وكل أمرك إلى رازقك وأقل من شنبك وأجمل في طلبك، واعلم أنك بمرأى من الله ومسمع، قد تكفل برزقك، فيأتيك من حيث لا تحتسبه، وضمن لك ولعياذك قوتهم، فيدر عليك من حيث لا ترتقبه، وعلى حسب الثقة بالله يكون حسن المعونة، وبمقدار عدولك عن الله إلى خلقه يكون كل المثونة. وأنشد وذكر أنه لبعض المحدثين:

يا طالب الرزق إن الرزق في طلبك
لا يملكك لا حرص ولا تعب
والرزق يأتي وإن أقللت من تعبك
فيسلماك ولا تدري إلى عطبك

إن تخف أسباب هذا الرزق عنك فكم
بل إن تكن في أعز العز ذا أرب
لا تعرضن لزاد لست تملكه
ولست تحمد أن تعزى إلى نشب
هب جاهل القوم غرته جهالته
لا تكلب على عرض الكرام تعش
ولا تعب عرض من في عرضه جرب
وإنما الناس في الدنيا ذوو رتب

للرزق من سبب يغنيك عن سببك
فلا يكن زاد من لم تبل من أربك
واقنع بزادك أو فاصبر على سغبك
إذا عزيت إلى بخل على نشبك
ألست ذا أدب فاعمل على أدبك؟
والكلب أحسن حالاً منك في كلبك
إلا وأنت نقي العرض من جربك
فانهض إلى الرتبة العليا من رتبك

قال أبو حيان: وكان يختلف إلى مجلس أبي سعيد علي ابن المستنير، وكان هذا اب بنت قطرب، وكان أبو سعيد يعرف له تقدمه على كثير من أصحابه، وكان يرجع إلى وطأة خلق وحسن عشرة، وحلاوة كلام وفقر مدقع، وضر ظاهر وحالة سيئة، وأمر مختل ومعيشة ضيقة، وكثرة عيال ومثونة مع نشاط القلب، وثبات النفس وطلاقة الوجه، وكثرة المرح والطرب والارتياح.

وقرأ يوماً على أبي سعيد ديوان المرقش وأخذ خطه بذلك، وعجل الانصراف من عنده. فقال له أبو سعيد: أين عزمت؟ قال: أذهب لأصلح أمر العيال، وأتمحل وأحتال، فدعا له بالرزق والسعة والمعونة والكفاية، وهو مع ذلك ضاحك السن، قرير العين، فلما انصرف قلنا له: هذا الرجل مع ما فيه، لا يعرف الحزن في وجهه، ولا يشتد همه، ويقدر على دفعه. فالتفت بعضهم فقال: أيها الشيخ: وراءه حال يخفيها عنا، ويطيها منا؟ قال: ما أظن الأمر على ذلك، لكن الرجل عاقل، والعاقل يعلو على همه وحزنه، فيقهرهما بعقله وعلمه، والجاهل يشتد همه وحزنه، ويرى ذلك في وجهه، ولا يقدر على دفعه لجهله. فاستحسننا ذلك وأثبتناه. قال في كتاب الإمتاع: فقال لي الوزير: أين أبو سعيد من أبي علي؟ وأين علي بن عيسى منهما؟ وأين ابن المارغي أيضاً من الجماعة؟ وكذلك المرزباني وابن شاذ، وابن الوراق واب حيويه. فكان من الجواب: أبو سعيد أجمع لشمل العلم، وأنظم لمذاهب العرب وأدخل في كل باب، وأخرج من كل طريق، وألزم للجادة الوسطى في الدين والخلق، وأروى للحديث، وأقضى في الأحكام، وأفقه في الفتوى، وأحضر بركة على المختلفين، وأظهر أثراً في المقتبسة. ولقد كتب إليه نوح بن نصر وكان من أدباء ملوك آل سامان، سنة أربعين وثلاثمائة كتاباً خاطبه فيه بالإمام، وسأله عن مسائل تزيد على أربعمائة مسألة الغالب عليها الحرا وما أشبهه الحران. وبقي ذلك أمثال مصنوعة على العرب شك فيها فسأله عنها. وكان هذا الكتاب مقروناً بكتاب الوزير البلعمي خاطبه فيه بإمام المسلمين، ضمنه مسائل القرآن وأمثالا للعرب مشكلة.

وكتب إليه المرزبان بن محمد ملك الديلم من أذربيجان كتاباً خاطبه فيه بشيخ الإسلام، سأل عن مائة وعشرين مسألة أكثرها في القرآن، وبقي ذلك في الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة.

وكتب إليه ابن حنزاب من مصر كتاباً خاطبه فيه بالشيخ الجليل، وسأله فيه عن ثلاثمائة كلمة من فنون الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف. وقال لي الدارقطني سنة سبعين: أنا جمعت ذلك لابن حنزاب على طريق المعونة.

وكتب إليه أبو جعفر ملك سجستان على يد شيخنا أبي سليمان كتاباً خاطبه فيه بالشيخ الفرد. سأل عن سبعين مسألة في القرآن. ومائة كلمة في العربية، وثلاثمائة بيت من الشعر، هكذا حدثني به أبو سليمان، وأربعين مسألة في الأحكام، وثلاثين مسألة في الأصول على طريق المتكلمين.

قال الوزير: وهذه المسائل والجوابات عندك؟ قلت نعم: قال: في كم تقع؟ قلت لعلها تقع في الأف وخمسمائة ورقة، لا أكثرها في الظهور. قال: ما أحوجنا إلى النظر إليها، والاستمتاع بها، والاستفادة منها، وأين الفراغ وأين السكوة؟؟ ونحن في كل يوم ندفع إلى طامة تنسى ما سلف، وتوعد بالداهية ثم قال: صل حديثك. قلت: وأما أبو علي: فأشد تفرداً بالكتاب وأكثر إكباباً عليه، وأبعد من كل ما عداه مما هو علم الكوفيين، وما تجاوز في اللغة كتب أبي زيد وأطرافاً لغيره، وهو متقد بالعظ على أبي سعيد وبالحسد له. كيف تم له تفسير كتاب سيويه من أوله إلى آخره؟ بغريبه وأمثاله، وشواهد وأبياته. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، لأن هذا شيء ما تم للمبرد ولا للزجاج، ولا لابن السراج ولا لابن درستويه، مع سعة علمهم، وقبض بنانهم.

ولأبي علي أطراف من الكلام في مسائل أجاد فيها ولم يأتل، ولكنه قعد عن الكتاب على النظم المعروف. وحدثني أصحابنا: أن أبا علي اشتري شرح أبي سعيد بالأهواز - في توجهه إلى بغداد سنة ثمان وستين، لاحقاً بالخدمة الموسومة به والندامة الموقوفة عليه - بألفي درهم، وهذا حديث مشهور وإن كان أصحابه يأبون الإقرار به، إلا من يزعم أنه أراد النقض عليه وإظهار الخطأ.

وقد كان الملك السعيد هم بالجمع بينهما فلم يقض له ذلك، لأن أبا سعيد مات في رجب سنة ثمان وستين وثلاثمائة. وأبو علي يشرب ويخالع، وما هذي سجية أهل العلم وطريقة الديانين. وأبو سعيد يصوم الدهر كله، ولا يصلي إلا في الجماعة، ويفتي على مذهب أبي حنيفة، ويلي القضاء سنين، ويتأله ويتحرج، وغيره بمعزل عن هذا، ولولا الإبقاء لأهل العلم لكان القلم يجري بما هو خاف، ويخير بما هو مجمم ولكن الأخذ بحكم المروءة أولى، والإعراض عما يوجب اللائمة أحرى، وكان أبو سعيد حسن الخط، ولقد أراده الصيمري أبو جعفر على الإنشاء والتحرير فاستعفى وقال: هذا يحتاج فيه إلى دربة وأنا عار منها، وسياسة وأنا غريب فيها. ومن العناء رياضة الهرم. وحدثنا النصري أبو عبد الله وكان يكتب النوبة للمهلبى قال: كنت أخط بين يدي الصيمري أبي جعفر محمد بن أحمد بن محمد، فالتمستي يوماً لأجيب ابن العميد أبا الفضل عن كتاب فلم يجدني، وكان أبو سعيد السيرافي بحضرته، فظن أنه لفضل العلم أقوم بالجواب من غيره، فتقدم إليه أن يكتب ويجيب، فأطال في عمل نسخة كثر فيها الضرب والإصلاح، ثم أخذ يحرر والصيمري يقرأ ما يكتبه، فوجده مخلفاً لجاري العادة لفظاً، مبايلاً لمأثوره ترتيباً. قال: ودخلت في تلك الحال فتمثل الصيمري بقول الشاعر:

يا باري القوس برئاً ليس يصلحه لا تظلم القوس أعط القوس باريها

ثم قال لأبي سعيد: خفف عنك أيها الشيخ، وادفع الكتاب إلى أبي عبد الله تلميذك ليحبيب عنه، فخلج من هذا القول. فلما ابتدأت الجواب من غير نسخة تحير مني أبو سعيد.

ثم قال للصيمري أيها الأستاذ: ليس بمستنكر ما كان مني، ولا بمستكبر ما كان منه، إن مال الغني لا يصح في بيت المال إلا بين مستخرج وجهبذ، والكتاب جهابذة الكلام، والعلماء مستخرجوه. فتبسم الصيمري وأعجبه ما سمع وقال: على كل حال ما أخلينا من فائدة.

وكان أبو سعيد بعيد القرين، لأنه كان يقرأ عليه القرآن والتفسير، والفقه والفرائض، والشروط والنحو، واللغة والعروض، والقوافي والحساب، والهندسة والشعر، والحديث والأخبار، وهو في كل هذا، إما في الغاية وإما في الوسط.

وأما علي بن عيسى: فعلى الرتب في النحو واللغة، والكلام والمطوق، ولا عيب به إلا أنه لم يسلك طريق واضع المنطق، بل أفرد له صناعة وأظهر براعة، وقد عمل في القرآن كتاباً نفيساً، هذا مع الدين الثخين، والعقل الرزين.

وأما ابن المراغي: فلا يلحق بهؤلاء مع براعة اللفظ، وسعة الحفظ وقوة النفس، وغازاة النفط، وكثرة الرواية، ومن نظر له في كتاب البهجة عرف ما أقول، واعتقد فوق ما وصفت.

وأما المرزباني وابن شاذان، والقرميسيني وابن الخلال، وابن حيويه: فلهم رواية وجمع، ليس لهم في شيء من ذلك نقط ولا إعجام، ولا إسراج ولا إجام.

وحدثني الشيخ الإمام علم الدين لا قاسم بن أحمد الأندلسي شيخنا قال: حدثني تاج الدين أبو اليمان زيد ابن الحسن الكدي شيخنا قال: بلغني أن أبا سعيد دخل على ابن دريد وهو يقول: أول من أقوى في الشعر أبونا آدم عليه السلام في قوله:

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذي طعم ولون وقل بشاشة الوجه المليح

فقال أبو سعيد: يمكن إنشاده على وجه لا يكون فيه إقواء. فقال: وكيف ذلك؟ قال: بأن تنصب بشاشة على التمييز، وترفع الوجه المليح بقل، ويكون قد حذف التنوين لالتقاء الساكنين كما حذف في قوله:

فألفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله إلا قليلاً

وقال أبو حيان: جرى ليلة ذكر أبي سعيد السيرافي في مجلس ابن عباد، وكان ابن عباد يتعصب له ويقدمه على أهل زمانه، ويزعم أنه حضر مجلسه وأبان عن نفسه، وصادف من أبي سعيد بحر علم وطود حلم. فقال أبو موسى الخشكي: إلا أنه لم يعمل في كتاب شرح سيبويه شيئاً، فنظر إليه ابن عباد متمراً ولم يقل حرفاً، فعجبت من ذلك. ثم إنني توصلت ببعض أصحابه، حتى سألت عن حلمه عن أبي موسى مع ذبه عن أبي سعيد فقال: والله لقد ملكي الغيظ عن ذلك الجاهل حتى عذب عي رأيي، ولم أجد في الحال شيئاً يشفي غيظي وغلتي منه، فصار ذلك سبباً لسكوتي عنه، فشابهت الحال الحلم وما كان ذلك حلماً، ولكن طلباً لنوع من الاستخفاف لائق به. فوالله ما يدري ذلك الكلب ولا أحد ممن خرج من قريته ورقة من ذلك الكتاب. وهل سبق أحد إلى مثله من أول الكتاب إلى آخره، مع كثرة فنونه، وخوافي أسرارته؟ وكان أبو موسى هذا

من طبرستان، فعد هذا التعصب من مناقب ابن عباد، وحجب أبا موسى بعد ذلك. ومن عجيب ما مر بي: ما قرأته في كتاب الانتصار المنبئ عن فضائل المتنبي، لأبي الحسين بن محمد بن أحمد بن محمد المغربي راوية المتنبي، وكان قد رد فيه على بعض من زعم أن شعر المتنبي مسروق من أبي تمام والبحري. وله قصيدة عارض بها بعض قصائد المتنبي، وأخذ المغربي يرد عليه فقال: ورأيت قود استشهد بأبي سعيد السيرافي مؤدب الأمير أبي إسحاق بن معز الدولة أبي الحسن بن بويه، وذكر أنه أعطاه خطه بأن قصيدته خير من قصيدة أبي الطيب. قال: ومن جعل الحكم في هذا إلى أبي سعيد؟ إنما يحكم في الشعر الشعراء لا المؤدبة. وبمثل هذا جرت سنة العرب في القديم، كانت تضرب للناطقة خيمة من آدم بسوق عكاظ، وتأتي الشعراء من سائر الآفاق فتعرض أشعارها عليه، فيحكم لمن أجاد، وخبره مع حسان وغيره معروف. ولو كان أعلم الناس بالنحو أشعرهم، لكان أبو علي الفسوي أشعر الناس. وما عرف له من ظم بيت ولا أبيات ولا سمع ذلك منه.

وأما إعطاء أبي سعيد خطه، فيوشك أن يكون من جنب ما حدثني به المعروف بابن الخزاز الوراق ببغداد، وأبو بكر القنطري، وأبو الحسين بن الخراساني، وهما وراقان أيضاً من جلة أهل هذه الصنعة: أن أبا سعيد إذا أراد بيع كتاب - استكتبه بعض تلامذته - حرصاً على النفع منه، ونظراً في رق المعيشة. كتب في آخره وإن لم ينظر في حرف منه.

قال الحسن بن عبد الله: قد قرئ هذا الكتاب علي وصح، ليشترى بأكثر من ثمن مثله. قلت: وهذا ضد ما وصفه به الخطيب من متانة الدين، وتأبيه من أخذ رزق على القضاء، وقناعتة بما يحصل من نسخه هذه، والله أعلم بما كان.

مناظرة جرت بين متى بن يونس القناني الفيلسوف وبين أبي سعيد السيرافي - رحمة الله عليه -

قال أبو حيان: ذكرت للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات، بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر متى. واختصرتها فقال لي: اكتب هذه المناظرة على التمام، فإن شيئاً يجري في ذلك المجلس النبهي، وبين هذين الشخصين بحضرة أولئك الأعلام، ينبغي أن يغتنم سماعه، وتوعى فوائده، ولا يتهاون بشيء منه. فكتبت: حدثني أبو سعيد بلعم من هذه القصة، فأما علي ابن عيسى النحوي الشيخ الصالح، فإنه رواها مشروحة قال: لما انعقد المجلس سنة عشرين وثلثمائة، قال الوزير ابن الفرات للجماعة وفيهم الخالدي، وابن الإخشيد، والكندي، وابن أبي بشر، وابن رباح، وابن كعب، وأبو عمرو قدامة بن جعفر، والزهرري، وعلي بن عيسى ابن الجراح، وأبو فراس، وابن رشيد، وابن عبد العزيز الهاشمي، وابن يحيى العلوي، ورسول بن طنح من مصر، والمرزباني صاحب بني سامان: أريد أن ينتدب منكم إنسان لمناظرة متى في حديث المنطق فإنه يقول: لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل، والصدق من الكذب، والخير من الشر، والحجة من الشبهة، والشك من اليقين، إلا بما حوينا من المنطق، وملكانه من القيام عليه، واستفدناه من مواضعه على مراتبه وحدوده، واطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه، فأحجم القوم وأطرقوا فقال ابن الفرات: والله إن فيكم لمن يفي بكلامه ومناظرته، وكسر ما يذهب إليه، وإنني لأعكم في العلم بحاراً، ولدي وأهله أنصاراً، وللحق وطلابه مناراً، فما هذا التغامز والتلازم اللذان تجلون عنهما؟ فرفع أبو سعيد السيرافي رأسه وقال: اعذر أيها الوزير، فإن العلم المصو في الصدور، غير العلم المعروف في هذا المجلس على الأسماع المصيعة، والعيون المحدقة، والعقول الجامدة، والألباب الناقدة، لأن هذا يستصحب الهيبة والهيبة مكسرة، ويجتلب الحياء، والحياء مغلبة، وليس البراز في معركة غاصة، كالصراع في بقعة خاصة.

فقال ابن الفرات: أنت لها يا أبا سعيد، فاعتذارك عن غيرك، يوجب عليك الانتصار لنفسك، والانتصار لنفسك راجع على الجماعة بفضلك. فقال أبو سعيد: مخالفة الوزير فيما يأمر به هجنة، والاحتجان عن رأيه إخلاد إلى التقصير، - ونعوذ بالله من زلة القدم، وإياه نسأل حسن التوفيق والمعونة في الحرب والسلام - ثم واجه متى فقال: حدثني عن المنطق ما تعنى به؟ فإنا إذا فهمنا مرادك فيه، كان كلامنا معك في قبول صوابه، ورد خطئه على سنن مرضي، وعلى طريقة معروفة. قال متى: أعني به أنه آلة من الآلات، يعرف به صحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه كالميزان، فإني أعرف به لارجحان من نقصان، والشائل من

فقال أبو سعيد: أخطأت، لأن صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالعقل إن كنا نبحث بالعقل. هيك عرفت الراجح من الناقص من طريق الوزن، من لك بمعرفة الموزون؟ أهو حديد أم ذهب، أم شبه أم رصاص؟ وأراك بعد معرفة الوزن فقيراً إلى معرفة جوهر الموزون وإلى معرفة قيمته، وسائر صفاته التي يطول عدها. فعلى هذا لم ينفك الوز الذي كان عليه اعتمادك، وفي تحقيقه كان اجتهداك إلا نفعاً يسيراً من وجه واحد، وبقيت عليك وجوه، فأنت كما قال الأول: حفظت شيئاً وضاعت منك أشياء وبعد: فقد ذهب عليك شيء ههنا، ليس كل ما في الدنيا يوزن، بل فيها ما يكال، وفيها ما يوزن، وما يذرع، وفيها ما يسمح، وفيها ما يحزر.

وهذا، وإن كان هكذا في الأجسام المرئية، فإنه أيضاً على ذلك في المعقولات المقروعة، والأجسام ظلال العقول، وهي تحكيها بالتبديد والتقريب مع الشبه المحفوظ، والمماثلة الظاهرة، ودع هذا إذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها، وما يتعارفونه بها من رسومها وصفاتها، من أين يلزم الترك، والهند، والفرس، والعرب أن ينظروا فيه، ويتخذوه حكماً لهم وعليهم، وقاضياً بينهم، ما شهد له قبلوه، وما أنكروه رفضوه؟ قال متى: إنما لزم ذلك، لأن المنطق بحق عن الأغراض المعقولة، والمعاني المدركة، وتصفح للخواطر السانحة، والسوانح الهاجسة، والناس في المعقولات سواء.

ألا ترى أن أربعة وأربعة ثمانية عند جميع الأمم، وكذلك ما أشبهه.

قال أبو سعيد: لو كانت المطبوعات بالعقل، والمذكورات باللفظ ترجع مع شعبها المختلفة، وطرائقها المتباينة إلى هذه المرتبة البينة، في أربعة وأربعة أنهما ثمانية، زال الاختلاف وحضر الاتفاق، ولكن ليس الأمر هكذا. ولقد موهت بهذا المثال، ولكم عادة في مثل هذا التمويه، ولكن ندع هذا أيضاً إذا كانت الأغراض المعقولة والمعاني المدركة، لا يوصل إليها إلا باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف، أفليس قد لزمنا الحاجة إلى معرفة اللغة؟ قال نعم. قال: أخطأت، قل في هذا الموضع بلى. قال متى: بلى، أنا أقفلك في مثل هذا. قال أبو سعيد: فأنت إذا لست تدعونا إلى علم المنطق، بل إلى تعلم اللغة اليونانية، وأنت لا تعرف لغة يونان، فكيف صرت تدعونا إلى لغة لا تقي بها، وقد عفت منذ زمان طويل وباد أهلها، وانقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها، ويتفاهمون أغراضهم بتصرفها، على أنك تنتقل من السريانية، فما تقول في معان متحولة بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانية، ثم من هذه إلى لغة أخرى عربية؟ قال متى: يونان وإن بادت مع لغتها، فإن الترجمة قد حفظت الأغراض وأدت المعاني، وأخلصت الحقائق.

قال أبو سعيد: إذا سلمنا لك أن الترجمة صدقت وما كذبت، وقومت وما حرفت، ووزنت وما جزفت، وأنها ما لاتأثت ولا حافت، ولا نقصت ولا زادت، ولا قنمت ولا أخرت، ولا أخلت بمعنى الخاص والعام، ولا بأخص الخاص، ولا بأعم العام، وإن كان هذا لا يكون، وليس في طبائع اللغات ولا مقادير المعاني، فكأنك تقول بعد هذا: لا حجة إلا عقول يونان، ولا برهان إلا ما وضعوه، ولا حقيقة إلا ما أبرزوه. قال متى: لا، ولكنهم من بين الأمم أصحاب عناية بالحكمة، والبحث عن ظاهر هذا العالم وباطنه، وعن كل ما يتصل به ويفصل عنه، وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر، وانتشر ما انتشر، وفشا ما فشا، ونشأ ما نشأ من أنواع العلم، وأصناف الصناعة، ولم نجد هذا لغيرهم.

قال أبو سعيد: أخطأت وتعصبت، وملت مع الهوى، فإن العلم مبنوث في العالم، ولهذا قال القائل:

أعلم في العالم مبنوث ونحوه العاقل محثوث

وكذلك الصناعات مفوضه على جميع من على جديد الأرض، ولهذا غلب علم في مكان دون مكان، وكثرت صناعة في بقعة دون صناعة. وهذا واضح والزيادة عليه مشغلة، ومع هذا فإنما كان يصح قولك وتسلم دعواك، لو كانت يونان معروفة بين جميع الأمم بالعصمة الغالبة، والفطرة الظاهرة، والبنية لامتثالها، وأنهم لو أرادوا أن يخطئوا ما قدروا، ولو قصدوا أن يكذبوا ما استطاعوا وأن السكينة نزلت عليهم، والحق تكفل بهم، والخطأ تبرأ منهم، والفضائل لصقت بأصولهم وفروعهم، والردائل بعدت عن جواهرهم وعروقهم، وهذا جهل ممن يظنه بهم، وعناد ممن يدعيه عليهم، بل كانوا كغيرهم من الأمم، يصيبون في أشياء ويخطئون في أشياء، ويصدقون في أمور ويكذبون في أمور، ويحسنون في أحوال ويسينون في أحوال. وليس واضع المنطق يونان بأسرها، إنما هو رجل منهم، وقد أخذ عم قبله، كما أخذ عنه من بعده، وليس هو حجة على هذا الخلق الكثير والجم الغفير. وله مخالفون منهم ومن غيرهم، ومع هذا: فالاختلاف في الرأي والنظر، والبحث والمسألة والجواب سنخ وطبيعة، فكيف يجوز أن يأتي رجل بشيء يرفع به هذا الخلاف أو يحلله أو يؤثر فيه، هيهات هذا محال. ولقد بقي العالم بعد منطقه على ما كان قبل منطقه، فامسح وجهك بالسلة عن شيء لا يستطيع، لأنه مفتقد بالفطرة والطباع، وأنت فلو فرغت بالك، وصرفت عنايتك إلى معرفة هذه اللغة التي تحاورنا بها، وتجارينا فيها، وتدرس أصحابك بمفهوم أهلها، وتشرح كتب يونان بعادة أصحابها، لعلمت أنك غني عن معاني يونان، كما أنك غني عن لغة يونان وههنا مسألة: أقول إن الناس عقولهم مختلفة وأنصباؤهم منها متفاوتة؟ قال متى: نعم. قال: وهذا التفاوت والاختلاف بالطبيعة أو الاكتساب؟ قال: بالطبيعة. قال: فكيف يجوز أن يكون ههنا شيء يرتفع به الاختلاف الطبيعي، والتفاوت الأصلي؟ قال متى: هذا قد مر في جملة كلامك آنفاً.

قال أبو سعيد: فهل وصلته بجواب قاطع، وبيان ناصع؟ ودع هذا، أسألك عن حرف واحد هو دائر في كلام العرب، ومعانيه متميزة عند أهل العقل، فاستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطاطاليس الذي تدل به، وتباهى بتفخيمه، وهو الواو، وما

أحكامه؟ وكيف مواقعه؟ وهل هو على وجه واحد أو وجوه؟ فبهت متى وقال: هذا نحو، والنحو لم أنظر فيه، لأنه لا حاجة بالمنطقي إلى النحو، وبالنحوي حاجة إلى المنطق، لأن المنطق يبحث عن المعنى، والنحو يبحث عن اللفظ، فإن مر المنطقي باللفظ فبالعرض، وإن عبر النحوي بالمعنى فبالعرض، والمعنى أشرف من اللفظ، واللفظ أوضع من المعنى.

قال أبو سعيد: أخطأت، لأن المنطق والنحو، واللفظ والإفصاح، والإعراب والبناء، والحديث والإخبار والاستخبار، والعرض والتمني، والحض والدعاء، والنداء والطلب، كلها من واد واحد بالمشاكلة والمماثلة. ألا ترى أن رجلاً لو قال: نطق زيد بالحق ولكن ما تكلم بالحق، وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفحش، وأعرب عن نفسه ولكن ما أفصح، وأبان المراد ولكن ما أوضح أو فاه بحاجته ولكن ما لفظ، أو أخبر ولكن ما أنبأ، لكان في جميع هذا مخرفاً ومناقضاً، وواضعاً للكلام في غير حقه، ومستعملاً للفظ على غير شهادة من عقله وعقل غيره، والنحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية، والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة، وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى، أن اللفظ طبيعي والمعنى عقلي، ولهذا كان اللفظ باندأ على الزمان، يقفو أثر الطبيعة بأثر آخر من الطبيعة، ولهذا كان المعنى ثابتاً على الزمان، لا مستملي المعنى عقل، والعقل إلهي، ومادة اللفظ طينية، وكل طيني متهافت، وقد بقيت أنت بلا اسم لصناعتك التي تنتحلها، وأنتك التي تزهي بها، إلا أن تستعير من العربية لها اسماً فتعار، ويسلم لك بمقدار، وإن لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة، واجتلاب الثقة، والتوقي من الخلطة اللاحقة لك. قال متى: يكفيني من لغتك هذه: الاسم والفعل والحرف، فإني أتبلغ بهذا القدر إلى أغراض قد هذبتها لي يونان. قال أبو سعيد أخطأت: لأنك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وضعها وبنائها، على الترتيب الواقع في غرائز أهلها، وكذلك أنت محتاج بعد هذا، إلى حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف، فإن الخطأ والتحريف في الحركات، كالخطأ والفساد في المتحركات. وهذا باب أنت وأصحابك ورهطك عنه في غفلة، على أن ههنا سراً ما علق بك، ولا أسفر لعقلك، وهو: أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها، بحدود صفاتها في أسمائها وأفعالها، وحروفها وتأليفها، وتقديمها وتأخيرها، واستعارتها وتحقيقها، وتشديدها وتخفيفها، وسعته وضيقها، ونظمها ونثرها، وسجعها ووزنها وميلها، وغير ذلك مما يطول ذكره، وما أظن أحداً يدفع هذا الحكم أو يسأل في صوابه ممن يرجع إلى مسكة من عقل، أو نصيب من إنصاف، فمن أين يجب أن نثق بشيء ترجم لك على هذا الوصف، بل أنت إلى أن تعرف اللغة العربية أحوج منك إلى أن تعرف المعاني اليونانية، على أن المعاني لا تكون يونانية ولا هندية، كما أن الأغراض لا تكون فارسية ولا عربية ولا تركية. ومع هذا، فإنك تزعم أن المعاني حاصلة بالعقل والفحص والفكر، فلم يبق إلا أحكام اللغة، فلم تزرى على العربية؟ وأنت تشرح كتب أرسطاطليس بها مع جهلك بحقيقتها.

وحدثني عن قائل قال لك: حالي في معرفة الحقائق والتصفح لها والبحث عنها، حال قوم كانوا قبل واضع المنطق، أنظر كما نظروا، وأتدبر كما تدبروا، لأن اللغة قد عرفتها بالمنشأ والوراثه، والمعاني نقرت عنها بالنظر والرأي، والاعتقاب والاجتهاد، ما تقول له؟ لا يصح له هذا الحكم، ولا يستتب هذا الأمر، لأنه لم يعرف هذه الموجودات من الطريقة التي عرفتها أنت، ولعلك تفرح بتقليدك وإن كان على باطل، أكثر مما يفرح باستبداده وإكراه على حق، وهذا هو الجهل المبين، والحكم غير المستبين، ومع هذا فحدثني عن الواو ما حكمه؟ فإني أريد أن أبين أن تفخيمك للمنطق لا يغني عنك شيئاً، وأن تجهل حرفاً واحداً من اللغة التي تدعو بها إلى الحكمة اليونانية، ومن جهل حرفاً واحداً أمكن أن يجهل آخر أو اللغة بكمالها، وإن كان لا يجهل كلها وإنما يجهل بعضها، فله يجهل ما يحتاج إليه ولا ينفعه فيه علم بما لا يحتاج. وهذه رتبة العامة، أو هي رتبة من هو فوق العامة بقدر يسير؟ فلم يتأبى على هذا وينكر؟ ويتوهم أنه من الخاصة وخاصة الخاصة، وأنه يعرف سر الكلام وغامض الحكمة، وخفي القياس وصحيح البرهان. وإنما سألتك عن معاني حرف واحد. فكيف لو نثرت عليك الحروف كلها وطالبتك بمعانيها ومواقعها التي لها بالحق، والتي لها بالتجوز؟ وسمعتكم تقولون في لا يعلم النحويون مواقعها، وإنما يقولون: هي للوعاء، كما يقولون: إن الباء للإصاق. وإن في تقال على وجوه، يقال: الشيء في الوعاء، والإناء في المكان، والسائس في السياسة، والسياسة في السائس. ألا ترى هذا التشقيق هو من عقول يونان، ومن ناحية لغتها، ولا يجوز أن يعقل هذا بعقول الهند، والترك، والعرب، فهذا جهل من كل من يدعيه، وخطأ من القول الذي أفاض النحوي إذا قال: في للوعاء فقد أفصح في الجملة عن المعنى الصحيح، وكفى مع ذلك عن الوجوه التي تظهر بالتفصيل، ومثل هذا كثير، وهو كاف في موضع السكيت.

فقال ابن الفرات: أيها الشيخ الموفق، أجبه بالبيان عن مواقع الواو، حتى تكو أشد في إفحامه، وحقق عند الجماعة ما هو عاجز عنه، ومع ذلك فهو متشيع له.

فقال أبو سعيد: للواو وجوه ومواقع: منها معنى العطف في قولك: أكرمت زيدا وعمروا. ومنها القسم في قولك: والله لقد كان كذا وكذا. ومنها الإستئناف كقولك: خرجت وزيد قائم، لا الكلام بعده ابتداء وخبر، ومنها معنى رب التي هي للتقليل، نحو قوله: وقائم الأعماق خاوي المخترق. ومنها: أن تكون أصلية في الاسم كقولك: واد، واصل، وافد. وفي الفعل كقولك: وجل يوجل. ومنها أن تكون مقحمة نحو قول الله تعالى: (فلما أسلما وتله للجبين وناديناه)، أي ناديناه. ومثله قول الشاعر:

بنا بطن خبت ذي حفاف عققل

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحي

المعنى انتحي بها. ومنها معنى الحال في قوله عز وجل: (ويكلم الناس في المهد وكهلاً)، أي يكلم الناس حال صغره بكلام الكهل في حال كهولته. ومنها أن تكون بمعنى حرف الجر كقولك: استوى الماء والخشبة، أي مع خشبة. فقال ابن الفرات لمتي. يابا بشر، أكان هذا في نحوك؟ ثم قال أبو سعيد: دع هذا، ههنا مسألة علاقتها بالمعنى العقلي أكثر من علاقتها بالشكل اللفظي، ما تقول في قول القائل: زيد أفضل الإخوة؟ قال صحيح. قال: فما تقول إن قال زيد أفضل إخوته؟ قال صحيح. قال: فما الفرق بينهما مع الصحة؟ فبلح وجنح وعصب وريقه. فقال أبو سعيد: أفتيت على غير بصيرة ولا استبانة. المسألة الأولى: جوابك عنها صحيح، وإن كنت غافلاً عن وجه صحتها. والمسألة الثانية: جوابك عنها غير صحيح، وإن كنت أيضاً ذاهلاً عن وجه بطلانها. قال متي: بين، ما هذا التهجين؟ قال أبو سعيد: إذا حضرت المختلفة استفتت، ليس هذا مكان التدريس، بل هو مجلس إزالة التلبيس، مع من عادته التمويه والتشبيه. والجماعة تعلم أنك أخطأت، فلم تدعى أن النحوي إنما ينظر في اللفظ لا في المعنى؟ والمنطقي ينظر في المعنى لا في اللفظ. هذا كان يصح لو كان المنطقي يسكت ويجبل فكره في المعاني، ويرتب ما يريد في الوهم السياح، والخطر العارضي، والحدس الطارئ.

وأما وهو يريد أن يبرز ما صح له بالاعتبار والتصفح إلى المتعلم والمناظر، فلا بد له من اللفظ الذي يشتمل على مراده، ويكون طباقاً لغرضه، وموافقاً لقصده.

قال ابن الفرات: يا أبا سعيد، تم لنا كلامك في شرح المسألة، حتى تكون الفائدة ظاهرة لأهل المجلس، والتبكييت عاملاً في نفس أبي بشر. فقال: ما أكره من إيضاح الجواب عن هذه المسألة إلا ملل الوزير، فإن الكلام إذا طال مل.

قال ابن الفرات: ما رغبت في سماع كلامك، وبينني وبين الملل علاقة، فأما الجماعة فحرصها على ذلك ظاهر. فقال أبو سعيد: إذا قلت: زيد أفضل إخوته لم يجز، وإذا قلت: زيد أفضل الإخوة جاز، والفصل بينهما: أن إخوة زيد هم غير زيد، وزيد خارج من جملتهم، دليل ذلك، أنه لو سألت سائل فقال: من إخوة زيد؟ لم يجز أن تقول: زيد وعمرو وبكر وخاله، وإنما تقول: بكر وعمرو وخاله، ولا يدخل زيد في جملتهم فإذا كان زيد خارجاً عن إخوته صار غيرهم، فلم يجز أن يكون أفضل إخوته، كما لم يجز أن يكون حمارك أفضل البغال، لأن الحمار غير البغال. كما أن زيدا غير إخوته. فإذا قلت: زيد أفضل الإخوة جاز. لأنه أحد الإخوة، والاسم يقع عليه وعلى غيره، فهو بعض الإخوة. ألا ترى أنه لو قيل من الإخوة؟ عدته فيهم، فقلت زيد وعمرو وبكر وخاله، فيكون بمنزلة قولك: حمارك أفره الحمير. فلما كان على ما وصفنا، جاز أن يضاف إلى واحد منكور يدل على الجنس فتقول: زيد أفضل رجل، وحمارك أفره حمار، فيدل رجل على الجنس كما دل الرجال، وكما في عشرين درهماً ومائة درهم.

فقال ابن الفرات: ما بعد هذا البيان مزيد، ولقد جل علم النحو عندي بهذا الاعتبار وهذا الانقياد.

فقال أبو سعيد: معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقترضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخي الصواب في ذلك، وتجنب الخطأ في ذلك وإن زاغ شيء عن النعت، فإنه لا يخلو من أن يكون سائغاً بالاستعمال النادر والتأويل البعيد، أو مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم. فأما ما يتعلق باختلاف لغات القبائل، فذلك شيء مسلم لهم ومأخوذ عليهم، وكل ذلك محصور بالتتبع والرواية والسماع، والقياس المطرد على الأصل المعروف من غير تحريف، وإنما دخل العجب على المنطقيين لأنهم أن المعاني لا تعرف ولا تستوضح إلا بطريقهم ونظرهم وتكلفهم. فترجموا لغة هم فيها ضعفاء ناقصون، بترجمة أخرى هم فيها ضعفاء ناقصون وجعلوا تلك الترجمة صناعة، وادعوا على النحويين أنهم مع اللفظ لا مع المعنى.

ثم أقبل أبو سعيد على متي فقال: ألا تعلم يا أبا بشر أن الكلام اسم واقع على أشياء قد ائتلفت بمراتب؟ مثال ذلك أنك تقول: هذا ثوب، والثوب يقع على أشياء بها صار ثوباً، ثم به نسج بعد أن غزل، فسداته لا تكفي دون لحمته، ولحمته لا تكفي دون سداته، ثم تأليفه كنسجه، وبلاغته كقصارته، ودقة سلكه كرقعة لفظه، وغلظ غزله ككثافة حروفه، ومجموع هذا كله ثوب، ولكن بعد مقدمة كل ما يحتاج إليه فيه. قال ابن الفرات: سل يا أبا سعيد عن مسألة أخرى، فإن هذا كلما توالى عليه بان انقطاعه، وانخفاض ارتفاعه في المنطق الذي ينصره، والحق الذي لا ينصره. قال أبو سعيد: ما تقول في رجل قال: لهذا علي درهم غير قيراط؟ قال متي: مالي علم بهذا النمط. قال: لست ازعاً عنك حتى يصح عند الحاضرين أنك صاحب مخرقة وزرق، ههنا ما هو أخف من هذا.

قال رجل لصاحبه: بكم الثوبان المصبوغان؟ وقال آخر: بكم ثوبان مصبوغين؟ بين هذه المعاني التي تضمنها لفظاً لفظاً. قال متى: لو نثرت أنا أيضاً عليك من مسائل المنطق شيئاً لكان حالك كحالي.

قال أبو سعيد: أخطأت، لأنك إذا سألتني عن شيء أنظر فيه، فإن كان له علاقة بالمعنى وصح لفظه على العادة الجارية أجبت، ثم لا أبالي أن يكون موافقاً أو مخالفاً، وإن كان غير متعلق بالمعنى رددته عليك، وإن كان متصلاً باللفظ ولكن على موضع لكم في الفساد على ما حشوتكم به كتبكم رددته أيضاً، لأنه لا سبيل إلى إحداث لغة مقررة بين أهلها، ما وجدنا لكم إلا ما استعرت من لغة العرب، كالسبب والآلة، والموضوع والمحمول، والكون والفساد، والعموم والخصوص، وأمثلة لا تتفح ولا تجدي، وهي إلى العي أقرب، وفي الفهامة أذهب. ثم أنتم هؤلاء في منطقكم على نقص ظاهر، لأنكم لا تفون بالكتب ولا هي مشروحة، وتدعون الشعر ولا تعرفونه، وتدعو الخطابة وأنتم عنها في منقطع التراب، وقد سمعت قائلكم يقول: الحاجة ماسة إلى كتاب البرهان، فإن كان كما قال، فلم قطع الزمان بما قبله من الكتب؟ وإن كانت الحاجة قد مست إلى ما قبل البرهان، فهي أيضاً ماسة إلى ما بعد البرهان، وإلا فلم صنف ما لا يحتاج إليه ويستغنى عنه؟ هذا كله تخليط وزرق، وتهويل ورعد وبرق. وإنما بؤدكم أن تشغلوا جاهلاً، وتستندلوا عزيزاً. وغايتكم أن تهولوا بالجنس والنوع، والخاصة والفصل، والعرض والشخص، وتقولوا: الهلية والأية، والماهية والكيفية والكمية، والذاتية والعرضية، والجوهرية والهيولية، والصورية والإنسية، والكسبية والنفسية ثم تتمطون وتقولون: جئنا بالسحر في قولنا: لا شيء من باء وواو وجيم، في بعض باء وفاء في بعض جيم، وإلا في كل ب و ج في كل ب، فاء، إذا لا في كل ج، وهذا بطريق الخلف، وهذا بطريق الاختصاص، وهذه كلها جزافات وترهات، ومغالق، وشبكات، ومن جاد عقله وحسن تمييزه، ولطف نظره، وثقوب رأيه، وأنارت نفسه، استغنى عن هذا كله، بعون الله وفضله. وجودة العقل وحسن التمييز، ولطف النظر وثقوب الرأي، وإنارة النفس من منائح الله الهنية، ومواهبه السنية، يختص بها من يشاء من عباده. وما أعرف لاستطالكم بالمنطق وجهاً، وهذا الناشئ أبو العباس قد نقض عليكم، وتتبع طريقكم، وبين خطاكم، وأبرز ضعفكم، ولم تقدرنا إلى اليوم أ تردوا عليه كلمة واحدة مما قال، وما زدتم على قولكم: لم يعرف أغراضنا، ولا وقف على مرادنا، وإنما تكلم على وهم، وهذا منكم لاجابة ونكول، ورضى بالعجز والكلول، وكل ما ذكرتم في الموجودات فعليكم فيه اعتراض. هذا قولكم في فعل وينفعل، ولم تستوضحوا فيهما مراتبهما ومواقعهما، ولم تقفوا على مقاسمهما، لأنكم قنعتم فيهما بوقوع الفعل من يفعل، وقبول الفعل من ينفعل، ومن وراء ذلك غايات خفيت عليكم، ومعارف ذهبت عنكم، وهذا حالكم في الإضافة. فأما البذل ووجهه، والمعرفة وأقسامها، والنكرة ومراتبها، وغير ذلك مما يطول ذكره، فليس لكم فيه قال ولا مجال، وأنت إذا قلت لإنسان: كن منطقياً فإنما تريد: كن عقلياً أو عاقلاً، أو اعقل ما تقول، لأن أصحابك يزعمون أن المنطق هو العقل، وهذا قول مدخول، لأن المنطق على وجوه أنتم منها في سهو. وإذا قال لك آخر: كن نحوياً لغوياً فصيحاً، فإنما يريد: أفهم عن نفسك ما تقول، ثم رم أن يفهم عنك غيرك، وقدّر اللفظ على المعنى فلا ينقص عنه. هذا إذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به، فأما إذا حاولت فرش المعنى وبسط المراد، فاجل اللفظ بالروادف الموضحة، والأشياء المقربة، والاستعارات الممتعة، وسدد المعاني بالبلاغة، أعني لوح منها شيئاً حتى لا تصاب إلا بالبحث عنها والشوق إليها، لأن المطلوب إذا ظفر به على هذا الوجه، عز وجل، وكرم وعلا، وشرح منها شيئاً حتى لا يمكن أن يمتري فيه، أو يتعب في فهمه، أو ينزح عنه لاغتماضه، فبهذا المعنى يكون جامعاً لحقائق الأشياء ولأشياء الحقائق، وهذا باب إن استقصيته خرج عن نمط ما نحن عليه في هذا المجلس، على أنني لا أدري، أيؤثر ما أقول أم لا؟ ثم قال: حدثنا، هل فصلتم قط بالمنطق بين مختلفين، أم رفعتم الخلاف بين اثنين؟؟ أترك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت أن الله ثالث ثلاثة، وأن الواحد أكثر من واحد، وأن الذي هو أكثر من واحد هو واحد، وأن الشرع ما تذهب إليه، والحق ما نقوله؟ هيهات، ههنا أمور ترفع عن دعوى أصحابك وهذيانهم، وتدق عن عقولهم وأذهانهم، ودع هذا. ههنا مسألة قد أوقعت خلافاً، فارفع ذلك الخلاف بمنطقك. قال قائل: لفلان من الحائط إلى الحائط. ما الحكم فيه وما قدر المشهود به لفلان؟ فقد قال ناس: له الحائطان معاً وما بينهما. وقال آخرون: له النصف من كل منهما. وقال آخرون: له أحدهما. هات الآن آيتك الباهرة، ومعجزتك القاهرة، وأني لك بهما؟ وهذا قد بان بغير نظرك ونظر أصحابك. ودع هذا أيضاً. قال قائل: من الكلام ما هو مستقيم حسن، ومنه ما هو مستقيم كذب، ومنه ما هو خطأ، فسر هذه الجملة. واعترض عليه عالم آخر فاحكم أنت بين القائل والمعترض، وأرنا قوة صناعتك التي تميز بها بين الخطأ والصواب، وبين الحق والباطل. فإن قلت: كيف أحكم بين اثنين أحدهما قد سمعت مقالته، والآخر لم أحصل على اعتراضه؟ قيل لك: استخرج بنظرك الاعتراض إن كان ما قاله محتماً له، ثم أوضح الحق منهما، لأ الأصل مسموع لك حاصل عندك. وما يصح به أو يطرد عليه يجب أن يظهر منك، فلا تتعاسر علينا، فإن هذا لا يخفى على أحد من الجماعة، فقد بان الآن أن مركب اللفظ لا يجوز مبسوط العقل. والمعاني معقولة ولها اتصال شديد وبساطة تامة، وليس في قوة اللفظ من أي لغة كان، أن يملك ذلك المبسوط ويحيط به وينصب عليه سوراً، ولا يدع شيئاً من داخله أن يخرج، ولا شيناً من خارجه أن يدخل، خوفاً من الاختلاط الجالب للفساد، أعني أن ذلك يخلط الحق بالباطل، ويشبه الباطل بالحق، وهذا الذي وقع الصحيح منه في الأول قبل وضع المنطق، وقد عاد ذلك الصحيح في الثاني بهذا المنطق، وأنت لو عرفت العلماء والفقهاء ومسائلهم، ووقفت على غورهم في فكرهم، وغوصهم في استنباطهم، وحسن تأويلهم لما يرد عليهم، وسعة تشفيهم للوجوه المحتملة، والكنائيات المفيدة، والجهات القريبة والبعيدة، لحققت نفسك، وازدريت أصحابك، وكان ما

ذهبوا إليه وتتابعوا عليه، أقل في عينك من السها عند القمر، ومن الحسا عند الجبل. أليس الكندي وهو علم من أصحابكم، يقول في جواب مسألة: هذا من باب عدة. فعد الوجوه بحسب الاستطاعة على طريق الإمكان من ناحية الوهم بلا ترتيب، حتى وضعوا له مسائل من هذا، وغالطوه بها، وأروه من الفلسفة الداخلة، فذهب عليه ذلك الوضع، فاعتقد أنه مريض العقل، فاسد المزاج، حائل الغريزة، مشوش اللب، قالوا له: أخبرنا عن اصطكاك الأجرام وتضاغط الأركان، هل يدخل في باب وجوب الإمكان، أو يخرج من باب فقدان إلى ما يخفى عن الأذهان؟ وقالوا له أيضاً: ما تشبيه الحركات الطبيعية إلى الصور الهيولانية؟ وهل هي ملابسة للكيان في حدود النظر والبيان، أو مزيلة له على غاية الأحكام؟ ما تأثير فقدان الوجدان في عدم الإمكان، عند امتناع الواجب من وجوبه، في ظاهر ما لا وجوب له لاستحالته في إمكان أصله. وعلى هذا، فقد حفظ جوابه عن جميع هذا على غاية الركاكة، والضعف والفساد، والفسالة والسخف، ولولا التوقي من التطويل، لسردت ذلك كله. ولقد مر بي في خطة: التفاوت في تلاشي الأشياء غير محاط به، لأنه يلاقي الاختلاف في الأصول، والاتفاق في الفروع. وكل ما يكون على هذا النهج، فالنكرة تزاحم عليه المعرفة، والمعرفة تناقض النكرة، على أن النكرة والمعرفة من باب الألسنة العارية من ملابس الأسرار الإلهية، لا من باب الإلهية العارضة في أحوال السرية. ولقد حدثني أصحابنا الصابئون عنه بما يضحك الثكلى، ويشمت العدو، ويغم الصديق، وما ورث هذا كله إلا من بركات اليونان وفوائد الفلسفة والمنطق. ونسأل الله عصمة وتوفيقاً نهتدي بهما إلى القول الراجع إلى التحصيل، والفعل الجاري على التعديل - إنه سميع مجيب -.

قال أبو حيان: هذا آخر ما كتبت عن علي بن عيسى الشيخ الصالح بإملائه، وكان أبو سعيد روى لمعاً من هذه القصة، وكان يقول: لم أحفظ على نفسي كل ما قلت، ولكن كتب ذلك القوم الذي حضروا في ألواح كانت معهم ومحابر أيضاً، وقد اختلف كثير منه.

قال علي بن عيسى: وتقوض المجلس، وأهله يتعجبون من جأش أبي سعيد ولسانه المتصرف، ووجهه المتهلل، وفوائده المتتابعة. وقال له الوزير ابن الفرات: عين الله عليك أيها الشيخ، فقد نديت أكباداً، وأقررت عيوناً، وبيضت وجوهاً، وحكت طرازاً لا تبليه الأزمان، ولا يتطرقه الحدثنان.

قال: قلت لعلي بن عيسى: وكم كان سن أبي سعيد يومئذ؟ قال: مولده سنة ثمانين ومائتين، وكان له يوم المناظرة أربعون سنة، وقد عبث الشيب بلهازمه، هذا مع السمات والوقار، والدين والجد، وهذا شعار أهل الفضل والتقدم، وقل من تظاهر وتحلى بحليته إلا جل في العيون، وعظم في الصدور والنفوس، وأحبته القلوب، وجرت بمدحه الألسنة. وقلت لعلي بن عيسى، أكان أبو علي الفسوي حاضراً في المجلس؟ قال: لا، كان غائباً وحدث بما كان. وكان الحمد لأبي سعيد على ما فاز به من هذا الخبر المشهور، والثناء المذكور.

قال أبو حيان: وقال لي الوزير عند منقطع هذا الحديث: ذكرتني شيئاً كان في نفسي، وأحببت أن أسألك عنه وأقف عليه، أين أبو سعيد من أبي علي؟ وأين علي بن عيسى منهما؟ وأين المراغي أيضاً من الجماعة؟ وكذلك المرزباني وابن شاذان؟ وابن الوراق وابن حيويه؟ فكان من الجواب ما تقدم ذكره.

ونظير خبر أبي سعيد مع متى، خبره أيضاً مع أبي الحسن العامري الفيلسوف النيسابوري، ذكره أبو حيان أيضاً قال: لما ورد أبو الفتح بن العميد إلى بغداد، وأكرم العلماء استحضرهم إلى مجلسه، ووصل أبا سعيد السيرافي، وأبا الحسن علي بن عيسى الرماني بمال، كما ذكرنا في باب أبي الفتح علي بن محمد ابن العميد.

قال أبو حيان: انعقد المجلس في جمادى الأولى سنة أربع وستين وثلاثمائة، وغص بأهله، فرأيت العامري وقد انتدب فسأل أبا سعيد السيرافي فقال: ما طبيعة الباء من بسم الله؟ فعجب الناس من هذه المطالبة، ونزل بأبي سعيد ما كاد به يشك فيه، فأنطقه الله بالسحر الحلال، وذلك أنه قال: ما أحسن ما أدبنا به بعض الموفقين المتقدمي!. فقال:

وإذا خطبت على الرجال فلا تكن
وإعلم بأن مع السكوت لبابة
ومن التكلم ما يكون خبالاً

والله يا شيخ، لعينك أكبر من فرارك، ولمرأك أوفى من دخلتك، ولمنتورك أبين من منظومك، فما هذا الذي طوعت له نفسك، وسدد عليه رأيك؟ إني أظن أن السلامة بالسكوت تعافك، والغنيمة بالقول ترغب عنك، والله المستعان. فقال ابن العميد، وقد أعجب بما قال أبو سعيد:

فتى كان يعلو مفرق الحق قوله
إذا الخطباء الصيد عضل قيلها

جهير وممتد العنان مناقد

بصير بعورات الكلام خبيرها

وقوله:

القائل القول الرفيع الذي

يمرع منمه البلد الماحل

والتفت إلى العامري فقال:

وإن لساناً لم يعنه لبابه

كحاطب ليل يجمع الرذل حاطبه

وذي خلل بالقول يحسب أنه

مصيب فما يلزم به فهو قائله

وفي الصمت ستر للغبي وإنما

صحيفة لب المرء أن يتكلما

وفي الصمت ستر وهو أولى بذى الحجي

إذا لم يكن للنطق وجه ومذهب

ثم أقبل على ابن فارس معلمه فقال: لسنا من كلام أصحابك في الفريضة.

قال أبو حيان: فلما خرجنا قلت لأبي سعيد: رأيت أيها الشيخ ما كان من هذا الرجل الخطير عندنا؟ الكبير في أنفسنا، قال: ما دهيت قط بمثل ما دهيت به اليوم، لقد جرى بيني وبين أبي بشر صاحب شرح كتاب المنطق سنة عشرين وثلاثمائة، في مجلس أبي جعفر ابن الفرات مناظرة، كانت هذه أشوس وأشرس منها.

الحسن بن عبد الله بن سعيد،

ابن زيد بن حكيم العسكري، أبو أحمد اللغوي العلامة. مولده يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال، سنة ثلاث وتسعين ومائتين، ومات سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة. قال السلفي الحافظ: على ما سمعت أبا عامر غالب بن علي بن غالب الفقيه الأسترابادي بقصر روناش يقول: رأيت بخط أبي حكيم أحمد بن إسماعيل بن فضالان اللغوي العسكري مكتوباً: توفي أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري يوم الجمعة، لسبع خلون من ذي الحجة، سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة.

قال مؤلف الكتاب: وطال تطوافي وكثر تسالي عن العسكريين، أبي أحمد وأبي هلال، فلم ألق من يخبرني عنهما بجلية خير، حتى وردت دمشق في سنة اثنتي عشرة وستمائة في جمادى الآخرة، ففاوضت الحافظ تقي الدين إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن بن الأنماطي، النضاري المصري، - أسعده الله بطاعته فيهما - فذكر لي أن الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم السلفي الأصبهاني لما ورد إلى دمشق، سئل عنهما فأجاب فيهما بجواب لا يقوم به إلا مثله من أئمة العلم، وأولي الفضل والفهم، فسألته أن يفيدني في ذلك ففعل متفضلاً، فكتبته على صورة ما أورده السلفي غير المولد والوفاء، فإنه كان في آخر أخبار أبي أحمد، فقدّمته على عادتي. وأخبرني بذلك عن السلفي جماعة: منهم الأسعد محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الله العامري المقدسي، والنبیه أبو طاهر إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاعري، وغيرهما إجازة: قال أبو طاهر السلفي: دخل إلى الشيخ الأمين أبو محمد هبة الله بن أحمد بن الأكفاني بدمشق، سنة عشرة وخمسمائة، وجرى ذكر أبي أحمد العسكري، فذكرت فيه ما يحتمل الوقت، وبعد خروجه كتبت إليه بعد البسملة: أما بعد حمد الله العلي، والصلاة على المصطفى النبي، فقد جرى اليوم ذكر الشيخ المرضي، أبي أحمد العسكري، وأنشدت للصاحب الكافي لله شعراً، خاله سيدي سحرأ، ورام - حرس الله نمته، وكبت بالذل عندته - إثباته بتمامه، فاشتغلت به بعد نهوضه وقيامه، وأضفت إليه وإلى ذكر الشيخ أبي أحمد زيادة تعريف ليقف على جليلة حاله، كأنه ينظر إليه نم وراء ستر لطيف. فليعلم - أطال الله لكافة الأنام بقاءه، ولا سلبهم ظله وبهائه - أن الشيخ أبا أحمد هذا، كان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع الفنون، والتبحر في فنو الفهوم، ومن المشهورين بجودة التأليف وحسن التصنيف. ومن جملته: كتاب صناعة الشعر رأيت، كتاب الحكم والأمثال، كتاب راحة الأرواح، كتاب الزواجر والمواعظ، كتاب تصحيح الوجه والنظائر. وكان قد سمع ببغداد والبصرة وأصبهان وغيرها من شيخته، وفي عدادهم أبو القاسم البغوي، وابن أبي داود السجستاني، وأكثر عنهم وبالغ في الكتابة، وبقي حتى علا به السن، واشتهر في الآفاق بالدراية والإتقان، وانتهت إليه رئاسة التحديث، والإملاء للأدب والتدريس، بقطر خوزستان. ورحل الأجلاء إليه للأخذ عنه، والقراءة عليه. وكان يملئ بالعسكر، وتستر ومدن ناحيته: ما يختاره من عالي روايته عن متقدمي شيوخه. ومنهم أبو محمد عبدان الأهوازي، وأبو بكر بن دريد، ونفطويه، وأبو جعفر ابن زهير ونظراؤهم. ومن متأخري أصحابه الذين روي عنه الحديث ومتقدميهم أيضاً فإنني ذكرتهم على غير رتبهم كما جاء لا كما يجب: أبو عباد الصائغ التستري، وذو النون بن محمد، والحسين بن أحمد الجهرمي، وابن العطار الشروطي الأصبهاني، وأبو بكر أحمد بن محمد بن جعفر الأصبهاني المعروف باليزدي، وأبو الحسين علي بن أحمد بن الحسن البصري المعروف بالنعيمي الفقيه الحافظ، وأبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم المقرئ الأهوازي نزيل دمشق، إلا أنه قد انقلب عليه اسمه فيقول في تصانيفه: أخبرنا أبو أحمد عبد الله بن الحسن بن سعيد النحوي بعسكر مكرم قال: أخبرنا محمد بن جرير الطبري ونميره، وهو الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري لا عبد الله

بن الحسن: وقد روى عنه أبو سعد أحمد بن محمد بن عبد الله بن الخليل الماليني، وأبو الحسين محمد ابن الحسن بن أحمد الأهوازي شيخاً أبي بكر الخطيب الحافظ البغدادي، وخلق سواهم لا يحصون كثرة، لم أثبت اسماءهم احترازاً من وهم ما، واحتياطاً لبعد العهد بروايات تلك الديار. والنعمي والأهوازي روى عنهما الخطيب أيضاً، وكذلك روى عن أبي نعيم الأصفهاني الحافظ. وقد روى أبو نعيم عن أبي أحمد وممن روى عن أبي أحمد من أقران أبي نعيم: أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الوادعي، وعبد الواحد بن أحمد ابن محمد الباطرقاني، وأبو الحسن أحمد بن محمد بن زنجويه الأصفهانيون، وأبو عبد الله محمد بن منصور بن جيكان التستري، والقاضي أبو الحسن علي بن عمر بن موسى الأينجي، وأبو سعيد الحسن بن علي بن بحر السقطي التستري.

وروى عنه ممن هو أكبر من هؤلاء سناً وأقدم موتاً: أبو محمد خلف بن محمد بن علي الواسطي، وأبو حاتم محمد بن عبد الواحد الرازي المعروف باللبان، وهما من حفاظ الحديث.

وقد روى عنه الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي بخراسان بالأجازة، وكذلك القاضي أبو بكر بن الباقلاني المتكلم بالعراق، وقد وقع حديثه لي عالياً من طرق عدة. فمن ذلك حكاية رأيته الآن معي في جزء من تخريجي بخطي وهي: أخبرنا الشيخ أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار ابن أحمد الصيرفي ببغداد، حدثنا الحسن بن علي بن أحمد التستري من لفظه بالبصرة، حدثنا أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري إملاء بتستري، حدثنا العباس ابن الوليد بن شجاع بأصبهان، حدثنا محمد بن يحيى النيسابوري حدثنا محمد بن عمرو بن مكرم، حدثني عتبة بن حميد قال: قال بشر بن الحارث لما ماتت أخته: إذا قصر العبد في طاعة ربه سلبه أنيسه. قال أبو أحمد العسكري في كتاب شرح التصحيح من تصنيفه، وقد ذكر ما يشكل ويصحف من أسماء الشعراء فقال: وهذا باب صعب لا يكاد يضبطه إلا كثير الرواية، غزير الدراية.

وقال أبو الحسن علي بن عبدوس الأرجاني - رحمه الله - وكان فاضلاً متقدماً وقد نظر في كتابي هذا، فلما بلغ إلى هذا الباب قال لي: كم عدة أسماء الشعراء الذين ذكرتهم. قلت: مائة ونيف. فقال: إني لأعجب كيف استتب لك هذا؟! فقد كنا ببغداد والعلماء بها متوفرون. وذكر أبا إسحاق الزجاج، وأبا موسى الحامض، وأبا بكر الأنباري، واليزيدي، وغيرهم. فاختلنا في اسم شاعر واحد وهو حريث بن مخفض، وكتبنا أربع رفاع إلى أربعة من العلماء، فأجاب كل واحد منهم بما يخالف الآخر. فقال بعضهم: مخفض بالخاء والصاد المعجمتين. وقال بعضهم: مخفض بالحاء والصاد غير معجمتين، وقال آخر: ابن مخفض. فقلنا: ليس لهذا إلا أبو بكر بن دريد، فقصدناه في منزله وعرفناه ما جرى.

فقال ابن دريد: أين يذهب بكم؟ هذا مشهور، هو حريث بن مخفض بالحاء غير معجمة مفتوحة والفاء مشددة والصاد منقوطة، هو من بني تميم، ثم من بني مازن بن عمرو بن تميم وهو القائل:

ألم تر قومي إن دعوا لملمة
هم حفظوا غيبي كما كنت حافظاً
أجابوا، وإن أغضب على القوم يغضبوا
لقومي أخرى مثلها إن تغيبوا
بنو الحرب لم تقعد بهم أمهاتهم
وأباؤهم أباء صدق فأنجبوا

وتمثل الحجاج بهذه الأبيات على منتزه فقال: أنتم ياهل الشام كما قال حريث بن مخفض - وذكر هذه الأبيات - فقام حريث بن مخفض فقال: أنا والله حريث ابن مخفض. قال: فما حملك أن سابقتني؟ قال: لم أتمالك إذ تمثل الأمير بشعري حتى أعلمته مكاني. ثم قال أبو الحسن بن عبدوس: فلم يفرج عنا غيره. قال أبو أحمد: واجتمع يوماً في منزلي بالبصرة أبو رياش وأبو الحسين بن لنكك - رحمهما الله - فتقاولا، فكان فيما قال أبو رياش لأبي الحسين: أنت كيف تحكم على الشعر والشعراء وليس تفرق بين الزفيان والرقبان؟ فأجاب أبو الحسين ولم يقنع ذلك أبا رياش، وقاما على شغب وجدال.

قال أبو أحمد: فأما الرقبان بالراء والقاف وتحت الباء نقطة: فشاعر جاهلي قديم يقال له أشعر الرقبان وأما الزفيان بالزاي والفاء وتحت الياء نقطتان: فهو من بني تميم من بني سعد بن زيد مناة بن تميم يعرف بالزفيان السعدي، راجز كثير الشعر، وكان على عهد جعفر بن سليمان، وهو الزفيان بن مالك بن عوافة القائل:

وصاحبي ذات هباب دمشق
كأنها بعد الكلال زورق

قال: وذكر أبو حاتم آخر يقال له الزفيان، وأنه كان مع خالد بن الوليد حين أقبل من البحرين، فقال:

تهدى إذا خوت النجوم صدورها
بينات نعش أو بضوء الفرقد

فقد أخبرنا به أبو الحسين بن الطيوري ببغداد قال: حدثنا أبو سعيد السقطي بالبصرة قال: أخبرنا أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل بن زيد بن حكيم العسكري إملاء سنة ثمانين وثلاثمائة بتستري، فذكر مجالس من أماليه هي عندي، وقرأت

على أبي علي أحمد بن الفضل بن شهر يار بأصبيها عن السقطي: هذه فوائد عن أبي أحمد وغيره. وأما الأبيات المقصودة فعندي في أجزاء أذربيجان على نسق لا أذكر موضعها، إلا أن فيها قصة معناها: أن صاحب أبا القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس الوزير، كان يتمنى لقاء أبي أحمد العسكري، ويكتبه على ممر الأوقات، ويستميل قلبه فيعتل عليه بالشيخوخة والكبر، إذ عرف أنه يعرض بالقصد إليه والوفود عليه. فلما ينس منه احتال في جذب السلطان إلى ذلك الصوب وكتب إليه حين قرب من عسكر مكرم كتاباً يتضمن علوماً نظماً ونثراً، ومما ضمنه من المنظوم قوله:

ولما أبيتم أن تزوروا وقلتم
أتيناكم من بعد أرض نزوركم
ضعفنا فما نقوى على الوخدان
وكم منزل بكر لنا وعوان
نسا لكم هل من قرئ لنزلكم؟
بملء جفون لا بملء جفان

فلما قرأ أبو أحمد الكتاب، أهدى تلميذاً له فأملى عليه الجواب عن النثر نثراً، وعن النظم نظماً، وبعث به إليه في الحال، وكان في آخر جواب أبياته التي ذكر على الحال: وقد حيل بين العير والنزوان وهو تضمين، إلا أن صاحب استحسنته ووقع ذلك منه موقعاً عظيماً وقال: لو عرفت أن هذا المصراع يقع في هذه القافية لم أتعرض لها، وكنت قد ذهلت عنه وذهب علي. ثم إن أبا أحمد قصده وقت حوله بعسكر مكرم بلده ومعه أعيان أصحابه وتلامذته في ساعة لا يمكن الوصول إليه إلا لمثله، وأقبل عليه بالكلية بعد أن أفعده في أرفع موضع من مجلسه، وتفاوضا في مسائل فزادت منزلته عنده، وأخذ أبو أحمد منه بالحظ الأوفر، وأدر على المتصلين به إدراكاً كانوا يأخذونه إلى أن توفي. - وبعد وفاته أيضاً فيما أظن -، ولما نعي إليه أنشد فيه:

قالوا مضى الشيخ أبو أحمد
فقلت: ما من فقد شيخ مضى
وقد رثوه بضروب الندب
لكنه فقد فنون الأدب

ثم ذكر السلفي وفاته كما تقدم، هذا آخر ما ذكره من خبر أبي أحمد، هذا كله من كتاب السلفي، ثم وجدت ما أنبأني به أبو الفرج بن الجوزي عن ابن ناصر ع أبي زكريا التبريزي، وعن أبي عبد الله بن الحسن الحلواني، عن أبي الحسن علي بن المظفر البندنجي قال: كنت أقرأ بالبصرة على الشيوخ، فلما دخلت سنة تسع وسبعين وثلاثمائة إلى الأهواز، بلغني حال أبي أحمد العسكري، فقصدته وقرأت عليه، فوصل فخر الدولة والصاحب بن عباد، فبينما نحن جلوس نقرأ عليه وصل إليه ركابي ومعه رقعة فضها وقرأها وكتب على ظهرها جوابها، فقلت أيها الشيخ: ما هذه الرقعة؟ فقال: رقعة الصاحب كتب إلي:

ولما أبيتم أن تزوروا وقلتم
الأبيات الثلاثة المتقدمة. قلت: فما كتبت إليه في الجواب؟ قال قلت:

أروم نهوضاً ثم يثني عزيمتي
فضمنت بيت ابن الشريد كأنما
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه
وقد حيل بين العير والنزوان

قال: ثم نهض وقال: لابد من الحمل على النفس، فإن الصاحب لا يقنعه هذا، وركب بغلة وقصده، فلم يتمكن من الوصول إلى الصاحب لاستيلاء الحشم، فصعد تلعة ورفع صوته بقول أبي تمام.

مالي أرى القبة الفيحاء مقفلة
دونى وقد طال ما استفتحت مقفلها
كانها جنة الفردوس معرضة
وليس لي عمل زاك فأدخلها

قال: فناده الصاحب: ادخلها يا أبا أحمد فلك السابقة الأولى، فتبادر إليه أصحابه فحملوه حتى جلس بين يديه، فسأله عن مسألة فقال أبو أحمد: الخبير صادفت، فقال الصاحب يا أبا أحمد: تغرب في كل شيء حتى في المثل السائر؟ فقال: تفاعلت عن السقوط بحضرة مولانا وإنما كلام العرب سقطت، ووجدت بعد ذلك أنه توفي في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

وحدث ابن نصر قال: حدثني أبو أحمد العسكري بالبصرة، قال: كان أبو جعفر المجوسي عامل البصرة رجلاً واسع النفس، وكان يتعاهد الشعراء ويراعيه، مثل العصفري والنهرجوري وغيرهم وهم بهجونه، وكان هذا - وهذان خصوصاً - من أوضاعهم، وقد رأيت النهرجوري قال: فلما مات أبو الفرج رثاه النهرجوري بقوله:

يا ليت شعري وليت ربما
هل أرين شوثناً وأمته
يقدمهم أربعون لبسهم
وأنت فيهم قد ابتزرت لنا
صحت فكانت لنا من العبر
رابكة حوله على البقر
مع حلية الحرب حلة النمر
كالشمس في نروها أو القمر
على عقيق الأبوال في الطهر
قد نكحوا الأمهات واتكلوا

وشارفوا والنساء قد ولدت
وأصبحوا أشبه البرية بالظ
غسل مضاريطها من الوضر
ظرف وأولى بكل مفتخر

شوثن عند المجوس، يجري مجرى المهدي، ويزعمون أنه يخرج وقدامه أربعون نفساً، على كل منهم جلد النمر، فيعيدون دين النور. قال: فقلت يا أبا أحمد، هذه بالهجاء أشبه منها بالمرثية بكثير. قال: هكذا قصد النهرجوري - لا برك الله فيه - وقد عاتبته وقلت له: ما استحق أبو جعفر هذا منك. فقال: ما تعديت مذهبه الذي يعترف به. ووجدت في تاريخ أصفهان من تأليف الحافظ أبي نعيم قال: الحسن بن عبد الله بن سعيد بن الحسين، أبو أحمد العسكري الأديب أخو أبي علي قدم أصبهان قديماً، وسمع من الفضل بن الخصيب وسمع عنه أبي وابن زهير وغيرهما، تأخر موته توفي في صفر سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة.

الحسن بن عبد الله بن سهل

ابن سعيد بن يحيى، بن مهران، أبو هلال اللغوي العسكري. قال أبو طاهر السلفي: وكان لأبي أحمد تلميذ وافق اسمه اسمه، واسم أبيه اسم أبيه، وهو عسكري أيضاً، وربما اشتبه ذكره بذكره إذا قيل الحسن بن عبد الله العسكري الأديب، فهو أبو هلال الحسن بن عبد الله ابن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوي العسكري، سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباس الأبيوردي - رحمه الله - بهمدان عنه، فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفقه معاً وقال: كان يبرز احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل، وذلك فيه فصلاً هو في سؤالاتي عنه، وكان الغالب عليه الأدب والشعر. وله في اللغة: كتاب سماه بالتلخيص وهو كتاب مفيد، وكتاب صناعتي النظم والنثر وهو أيضاً كتاب مفيد جداً، ومن جملة من روى عنه أبو سعد السمان الحافظ بالري، وأبو الغنائم بن حماد المقرئ إملأه.

وأنشدني أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري لنفسه:

قد تخطاك شباب	وتغشاك مشيب
فأتى ما ليس يمضي	ومضى ما لا يثوب
فتأهب لسقام	ليس يشفيه طبيب
لا توهمه بعيداً	إنما الآتي قريب

ومما أنشدنا القاضي أبو أحمد الموحّد بن محمد بن عبد الواحد الحنفي بتستّر قال: أنشدنا أبو حكيم أحمد ابن إسماعيل العسكري قال: أنشدناه أبو هلال الحسن ابن عبد الله بن سهل اللغوي لنفسه بالعسكر:

إذا كان مالي مال من يلقط العجم	وحالي فيكم حال من حاك أو حجم
فأين انتفاعي بالأصالة والحجى	وما ربحت كفي من العلم والحكم؟
ومن ذا الذي في الناس يبصر حالتي	فلا يلعن القرطاس والحبر والقلم
ومما أنشدنا القاضي أبو أحمد الحنفي بتستّر قال: أنشدنا أبو حكيم اللغوي قال: أنشدنا أبو هلال العسكري لنفسه:	
جلوسي في سوق أبيع وأشتري	دليل على أن الأنام قرود
ولا خير في قوم تذلل كرامهم	ويعظم فيهم نذلهم ويسود
ويهجوهم عني رثاة كسوتي	هجا قبيحاً ما عليه مزيد

ومما أنشدناه أبو غالب الحسين بن أحمد بن الحسين القاضي بالسوس قال: أنشدنا المظفر بن طاهر بن الجراح الأستراباذي قال: أنشدني أبو هلال الحسن بن عبد الله ابن سهل اللغوي العسكري لنفسه:

يا هلالاً من القصور تدلى	صام وجهي لمقلتيه وصلّى
لست أدري أطل ليلي أم لا	كيف يدري بذاك من يتقلّى؟؟
لو تفرغت لاستطالة ليلي	ولرعي النجوم كنت مخلّا
هذا آخر ما ذكره السلفي من حال أبي هلال. قال مؤلف الكتاب: وهذه الأبيات الأخيرة التي منها:	
لست أدري أطل ليلي أم لا	

والبيت الذي بعده رأيته في بعض الكتب منسوباً إلى خالد الكاتب والله أعلم. هذا عن السلفي. وذكر غيره: أن أبا هلال كان ابن أخت أبي أحمد، وله من الكتب بعد ما ذكره السلفي: كتاب جمهرة الأمثال، كتاب معاني الأدب، كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة، كتاب التبصرة وهو كتاب مفيد، كتاب شرح الحماسة، كتاب الدرهم والدينار، كتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس

مجلدات، كتاب العمدة، كتاب فضل العطاء على العسر، كتاب ما تحلن فيه الخاصة، كتاب أعلام المعاني في معاني الشعر، كتاب الأوائل، كتاب ديوان شعره، كتاب الفرق بين المعاني، كتاب نواذر الواحد والجمع. قال المؤلف: وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء، غير أنني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه: وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة. ولبعضهم:

وأحسن ما قرأت على كتاب
فلو أنني جعلت أمير جيش
فإن الناس ينهزمون منه
بخط العسكري أبي هلال
لما قاتلت إلا بالسؤال
وقد ثبتوا لأطراف العوالي

وقال أبو هلال العسكري في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمنة:

فترت صبوتي وأقصر شجوي
إن روح الشتاء خلص روحي
برد الماء والهوا وكأن قد
ريحه تلمس الصدور فتشفي
لست أنسى منه دماثة دجن
وجنوباً يبشر الأرض بالقط
وغيوماً مطر زات الحواشي
كلما أرخت السماء عراها
وهي تعطيك حين هبت شمالاً
وترى الأرض في ملاءة ثلج
فاستعار العرار منها لباساً
فكأن الكافور موضع ترب
وليال أطلن مدة درسي
مر لي بعضها بفقّه وبعض
وحديث كأنه عقد ريا
في حديث الرجال روضة أنس

وأتاني السرور من كل نحو
من حرور تشوي الوجوه وتكوي
سرق البرد من جوانح خلو
وغماماته تصوب فتروي
ثم من بعده نضارة صحو
ر كما بشر العليل ببرو
بوميض من البروق وخفو
جمع القطر بين سفلى وعلو
برد ماء فيها ورقة جو
مثل ريط لبيسته فوق فرو
سوف يمني من الرياح بنضو
وكان الجمان موضع فرو
مثلاً قد مدد في عمر لهوي
بين شعر أخذت فيه ونحو
بت أرويه للرجال وتروى
بات يرعى بأهل نبل وسرو

الحسن بن عبد الله العثماني

أبو علي النيسابوري. ذكره عبد الغافر في كتاب السياق وقال: إنه مات في شهر سنة نيف وسبعين وأربعمائة. ووصفه فقال: هو الإمام الكامل البارع في فنه، المعجز في نكته، له التصانيف المشهورة في التذكير والخطب وطرف الأشعار والرسائل والموشحات الغريبة، والصناعات البديعة، والترصيعات الرشيقة في النظم والنثر، بحيث يستفيد منها الأكابر والأمثال، ويستضيء بنورها البلغاء في المحافل. تفقه على الجويني، ثم انتقل إلى ناحية بشت وسكنها، ووافى بها قبلاً بالغاً، فصار مشاراً إليه في عصره تحترمه الصدور. قال: وافيت الناحية فرأيت ازدحاماً على قبره في الموسم وتناحراً عليه، وكان أكثر ميله إلى مقولاته في تصانيفه ومجموعاته نظماً ونثراً دون المنقول.

الجزء التاسع

الحسن بن عبد الرحمن بن خالد الرامهرمزي

أبو محمد القاضي. ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: هو حسن التصنيف مليح التأليف، سلك طريقة الجاحظ وكان شاعراً، وقد سمع الحديث ورواه.

مات في حدود سنة ستين وثلاثمائة. قال: وله من الكتب: كتاب ربيع المتيم في أخبار العشاق. كتاب الفلك في مختار الأخبار

والأشعار. كتاب أمثال النبي صلى الله عليه وسلم. كتاب الريحانتين الحسن والحسين. كتاب إمام التنزيل في علم القرآن. كتاب النوادر والشوارد. كتاب أدب الناطق. كتاب المرائي والتعازي. كتاب رسالة السفر. كتاب مباسطة الوزراء. كتاب المناهل والأعطان والحنين إلى الأوطان. كتاب الفاصل بين الراوي والواعي. وكان القاضي الخلافي من أقران القاضي التنوخي، وقد مدح عضد الدولة أبا شجاع بمدائح، وبينه وبين الوزير المهلب وأبي الفضل بن العميد مكاتبات ومجاولات، منها ما نقلته من مزيد التاريخ لأبي الحسن محمد بن سليمان بن محمد، الذي زاده على تاريخ السلامي في ولاية خراسان.

قال: حدثني عبد الله بن إبراهيم قال: لما استوزر أبو محمد المهلب كتب إليه أبو محمد الخلافي في التهنية: " بسم الله الرحمن الرحيم " الحمد لله مانح الجزيل، ومعود الجميل، ذي المن العظيم، والبلاء الجسيم:

الآن حين تعاطى القوس باريها
الآن عاد إلى الدنيا مهلبها
أضحى الوزرة تزهى في مواكبها
تاهت علينا بميمون نقيبته
موفق الرأي مقرون بغرته
معز دولتها هنتتها فلقد

تهنية مثلى من أولياء الوزير - أطال الله بقاءه - الدعاء أفضل ما صدر عن نية لا يرتاب بها ولا يخشى مذقها، وكان غيب صاحبه أفضل من مشهده، فهنا الله الوزير كرامته، وأحلى له ثمرة ما منحه، وأحمد بدأه وعاقبته، ومفتحه وخاتمته، حتى تتصل المواهب عنده اتصالاً في مستقبله ومستأنفه يوفى على مقدمه بمنه.

وكتابي هذا - أيد الله الوزير - من المنزل برامهرمز، وأنا عقيب علة ومنحة، ولولا ذلك لم أتأخر عن حضرته - أجلها الله - مهنناً ومسلماً، فإن رأى الوزير شرفني بجواب هذا الكتاب. فكتب إليه المهلب جوابه: بسم الله الرحمن الرحيم، وصل كتابك يا أخي - أطال الله بقاءك، وأدام عزك وتأييدك ونعمك - المتضمن نفيس الجواهر من بحار الخواطر، الحاوي ثمار الصفاء من منبت الوفاء وفهمته، ووقع ما أهديته من نظم ونثر وخطاب وشعر، موقع الري من ذي الغلة، والشفاء من ذي العلة، والفوز من ذي الخيبة، والأدب من ذي الغيبة، وما ضاعت حال إلا وأنت الأولى بسرورها، والأغبط بحبورها، إذ كنت شريك النفس في السراء وماسيها في الضراء، وتكلفت الإجابة عما نظمت على كثرة من الشغل ألا عنك، وزهد في المطولة إلا فيك. والعذر في تقصيرها عن الغاية واضح، ودليل العجلة فيها لائح، وأنت بمواصلتي بكتبك وأخبارك وأوطارك مسؤول، والجرى على عادتك الماثورة وسيرتك المشكورة مأمول، وأنا والله على أفضل عهدك، وأحسن ظنك، وأؤكد ثقتك، ومشتاق إليك:

مواهب الله عندي لا يوازيها
لكن أقصى المدى شكري لأنعمه
والله أسأل توفيقاً لطاعته
وقد أنتنتي أبيات مهذبة
ضمنتها حسن أوصاف وتهنية
ودعوة صدرت عن نية خلصت
وأنت أوثق موثوق بنيته
فثق بنيل المني في كل منزلة

وكتب أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد إلى القاضي أبي محمد الخلافي: بسم الله الرحمن الرحيم: أيها القاضي الفاضل - أطال الله بقاءك، وأدام عزك ونعمك - من أسر داءه وستر ظمائه، بعد عليه أن يبيل من غلته، وقد غمرني منذ قرأت كتابك إلى الشريف - أيده الله - شوق استجذب نفسي واستفزها، ومد جوانحي وهزها، ولا شفاء إلا قربك ومجالستك، ولا دواء إلا طاعتك وموانستك، ولا وصول إلى ذلك إلا بزيارتك أو استزارتك، فإن رأيت أن تؤثر أخفهما عليك، وتعلمني أثرهما لديك، وتقوم ما ألبسته في ذلك فعلت، فإنني أراعيه أشد المراعاة، وأتطلع في كل الأوقات، وأعد على الفوز به الساعات. فأجابه الخلافي: "بسم الله الرحمن الرحيم": قرأت التوقيع - أطال الله الأستاذ الرئيس - فشذ الفطنة وأنس الوحدة، وألبس العزة وأفاد البهجة، وقلت كما قال رؤية، لما استزاره أبو مسلم صاحب الدعوة:

ليبك إذا دعوتني لبيكا
أحمد ربي سابقاً إليك

فأما الإجابة عن أفصح بيان خط بأكرم بنان، وأوضح للزهر المؤنق لمالك رقاب المنطق، فما أنا منها بقريب وهيهات وأنى لي التناوش من مكان بعيدٍ لكني على الأثر، ولا أتأخر عن الوقت المنتظر، إن شاء الله تعالى. قال: وكان أبو محمد الخلامي ملازماً لمنزله، قليل البروز لحاجته. وقيل له في ذلك: فروى عن أبي الدرداء: نعم صومعة الرجل بيته، يكف فيه سمعه وبصره. وروى عن ابن سيرين أنه قال: العزلة عبادة. وقال: خلاؤك أقتى لحياتك. وقال: عز الرجل في استغنائه عن الناس، والوحدة خير من جليس لبسوء. وأنشد لابن قيس الرقيات:

أهرب بنفسك واستأنس بوحديثها
تلق السعود إذا ما كنت منفرداً
ليت السباع لنا كانت معاشرة
وإننا لا نرى ممن نرى أحداً
إن السباع لتهدا في مراتبها
والناس ليس بهادٍ شرم أبداً

ثم صار الخلامي إلى أبي الفضل بن العميد، فلما فتشه شاهد منه علماً غزيراً، وقبس أدباً كثيراً. وقال الخلامي: إن أعجب الأستاذ معرفتي صحبته، وتعلقت به وأقمت عنده وبين يديه. وكتب الخلامي إلى منزله برامهرمز: "بسم الله الرحمن الرحيم": قد وردت من الأستاذ الرئيس على ضياء باهر، وربيع زاهر، ومجلس قد استغرق جميع المحاسن، وحف بالأشراف والأكارم، وجلساء أقران أعداد عام، كأنهم نجوم السماء، ومن طالبي أرج المعاطف، وصلب المكاسر، جامع إلى شرف الحسب ديناً وظرفاً، وإلى كرم المحند رحمةً وفضلاً، وكتابتٍ حصيفٍ، وشاعرٍ مفلقٍ، وسميرٍ أنقٍ وقيقٍ جدلٍ، وشجاعٍ بطلٍ:

كرام المساعي لا يخاف جليسه
إذا حدثوا لم تخش سوء استماعهم
إذا نطق العوراء غرب لسان
وإن حدثوا أدوا بحسن بيان

ووضعنا الزيارة حيث لا يزرى بنا كرم المزور ولا يعاب الزور. يجد الأستاذ عندي كل يوم مكرمةً وميرةً تطويان مسافة الرجاء، وتتجاوزان غايات الشكر والثناء، والبشر والدعاء، فزاد الله في تبصيره حقوق زواره، وتيسيري لشكري مباره.

قال الثعالبي: ومن ملح ما قيل في ابن خلادٍ قوله:

قل لابن خلادٍ إذا جنَّته
ها زمان ليس يحظى به
ومن ملحه قوله وقد طولب بالخراج:
يا أيها المكثّر فينا الزمجرة
قد أبطل الديوان كتب الشجرة
هيهات لن يعبر تلم القنطرة
ودغفل وابن لسان الحمرة
مستنداً في المسجد الجامع
حدثنا الأعمش عن نافع
ناموسه دفتره والمحبرة
والجامعين كتاب الجمهرة
نحو الكسائي وشعر عنتره
ليس سوى المنقوشة المدورة

ذكر السمعاني في كتاب النسب، قال القاضي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلادٍ الرامهرمزي: كان فاضلاً مكثراً من الحديث، ولي القضاء ببلاد الخوز ورحل قبل التسعي ومائتين، وكتب عن جماعة من أهل شيراز، ذكره أو عبد الله محمد بن عبد العزيز الشيرازي القصار في تاريخ فارس وقال: بلغني أنه عاش برامهرمز إلى قرب الستين وثلاثمائة.

الحسن بن عثمان بن حماد

بن حسان بن عبد الرحمن ابن يزيد، أبو حسان الزياتي البغدادي القاضي، من أعيان أصحاب الواقدي، وروى عن الهيثم بن عدي، وهشيم بن بشير وغيرهما، وكان أديباً فاضلاً نساباً، أخبارياً جواداً كريماً سمحاً. مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين، أو ثلاثٍ وأربعين ومائتين عن تسعٍ وثمانين سنة، مات هو والحسن بن علي بن الجعد في وقتٍ واحدٍ، وكان الزياتي حينئذٍ على قضائه مدينة المنصور، وكان الزياتي يصنف الكتب ويصنف له، وكانت له خزانة كتبٍ حسنةٍ كثيرةٍ، وله من الكتب على ما ذكر محمد بن إسحاق: كتاب عروة بن الزبير. كتاب طبقات الشعراء. كتاب الأبناء والأمهات. وقال الحافظ أبو القاسم: سمع بدمشق الوليد بن مسلم، وشعيب بن إسحاق، وعمر بن عبد الواحد، وعمر بن سعيد، والوليد بن محمد الموقري، ومعروف بن عبد الله الخياط، وهارون بن عمر الدمشقي، ومحمد بن إسحاق بن بلال بن أبي الدرداء، وسعيد بن عيينة، وشعيب بن صفوان، وابن عيينة، ومعتمر بن سليمان، وجريز بن عبد الحميد، وحماد بن زيد، وكيع بن الجراح، وأبا داود الطيالسي. روى عنه أبو العباس الكديمي، وإسحاق بن الحسن الحربي، ومحمد بن محمد الباغدني، وأبو بكر بن أبي الدنيا، وذكر الجهشباري في كتاب الوزراء: أن رجلاً من أهل خراسان أودع أبا حسان الريادي القاضي عشرة آلاف درهم، وأنها صادفت منه خلة فأنفقها، وقدّر أن يأتي ما يرد على الخراساني مكانها إلى أن ينصرف الخراساني من الحج، فحدث للخراساني أمر قطعه عن الحج وعزم على الانصراف إلى بلده، فصار إلى أبي حسان يلتبس ماله، فتعلل عليه ودافعه وتحير، وضافت الحيلة عليه، وعاد الخراساني

مراراً فدافعه، ثم وعده في يوم بعينه، واشتد غمه وقلقه، وأجنع على بذل وجهه إلى بعض إخوانه، فلما كان في ليلة اليوم الذي وعد الرجل فيه، امتنع عليه النوم من شدة قلقه، فقام في بعض الليل فقصد دينار بن عبد الله، فلما صار في بعض الطريق تلقاه رسول لدينار يسأل عن أبي حسان، فلما سمع ذكره سأله عن سببه، وتعرف إليه فقال له: أبو علي دينار يقرأ عليك السلام ويقول لك: قسمت شيئاً على عيالنا، وذكرت من في منزلك منهم، فوجهت إليهم بعشرة آلاف درهم، فقبلها وحمد الله وصار إلى منزله فسلمها إلى الخراساني، وصار إلى دينار بن عبد الله شاكراً له وعرفه خبره. فقال له دينار: فأرانا إنما وجهنا بمال الخراساني، فعلى ماذا يعتمد العيال؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى.

وفي سنة ثمان عشرة ومائتين: كتب المأمون من الثغر إلى إسحاق بن إبراهيم المصعبي وإلى بغداد، في امتحان القضاة والشهود والمحدثين بالقرآن، فمن أقر أنه خلوق محدث خلى سبيله، ومن أبى عليه أعلمه به ليأمر فيه برأيه، فأحضر إسحاق أبا حسان الزيادي، وبشر بن الوليد الكندي، وعلي بن أبي مقاتل، والفضل بن غانم، والذبال بن هيثم وسجادة، والقواريري، وأحمد بن حنبل، وقتيبة، وسعدويه الواسطي، وعلي بن الجعد، وسعد بن أبي إسرائيل، وابن الهرش، وابن علي الأكبر، ويحيى بن عبد الرحمن الرياشي، وشيخاً آخر من ولد عمر بن الخطاب كان قاضي الرقة، وأبا نصير التمار وأبا معمر القطيعي، ومحمد بن حاتم بن ميمون ومحمد بن نوح المضروب، وابن فرحان وجماعة، ومنهم النضر ابن شميل، وأبو علي عاصم، وأبو العوام اليزاز، وابن شجاع، وعبد الرحمن بن إسحاق، فأدخلوا على إسحاق فقرأ عليهم كتاب المأمون مرتين حتى فهموه، ثم كلم رجلاً رجلاً منهم، فيجيب بما يغالط به أو يصرح، حتى قال لأبي حسان الزيادي: ما عندك؟ وقرأ عليه كتاب المأمون فأقر بما فيه ثم قال: من لم يقل هذا القول فهو كافر. فقال له إسحاق: القرآن مخلوق هو؟ قال: القرآن كلام الله، والله خالق كل شيء، وأمير المؤمنين إمامنا، وبسببه سمعنا عامة العلم، وقد سمع ما لم نسمع، وعلم ما لم نعلم، وقد قلده الله أمرنا، فصار يقيم حجنا وصلاتنا، ونؤدي إليه زكوات أموالنا، ونجاهد معه، ونرى إمامته، فإن أمرنا انتمرن، وإن نهانا انتهينا. قال: القرآن مخلوق؟ فأعاد مقالته. قال إسحاق: فإن هذه مقالة أمير المؤمنين. قال: قد تكون مقالته ولا يأمر بها الناس، وإن أخبرتني أن أمير المؤمنين أمرك أن أقول: قلت ما أمرتني به، فإنك الثقة فيما أبلغتني عنه. قال: ما أمرني أن أبلغك شيئاً. قال أبو حسان: وما عندي إلا السمع والطاعة، فأمرني أتمر. قال: ما أمرني أن أمركم، وإنما أمرني أن أمتحنكم، فتركه والتفت إلى أحمد بن حنبل فسأله. قال الحافظ أبو القاسم: وليس كما يظنه الناس من ولد زياد بن أبيه، وإنما تزوج أجداده أم ولد لزياد، فقليل له الزيادي، قال ذلك أحمد بن أبي طاهر صاحب كتاب بغداد.

الحسن بن علي بن الحرمازي

أبو علي، هو مولى لبني هاشم، ثم مولى آل سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، وإنما نزل بالبصرة في بني حرماز فنسب إليهم، والحرماز لقب واسمه الحارث بن مالك بن عمرو بن تميم بن مرّ بالبادية، نأ ثم قدم البصرة فأقام بها.

وحدث المبرد قال: كان التوزي والحرمازي والحرمي يأخذون عن أبي عبيدة وأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري والأصمعي، وكان هؤلاء الثلاثة أكبر أصحابه، وكان من هؤلاء في السن: إبراهيم الزيادي والمازني والرياشي. قال أبو الطيب اللغوي صاحب كتاب مراتب النحويين: كان الحرمازي في ناحية همرو بن مسعدة، فخرج عمرو إلى الشام فقال الحرمازي:

ومطلبه بالشام غير قريب

أقام بأرض الشام فاختل جانبي

أما نقر في مفلس بعجيب

ولا سيما من مفلس حلف نقرس

وحدث أبو العيناء قال: اعتل الحرمازي وكان له صديق من الهاشميين، فمل يعه فكتب إليه:

إذا كان اللقاء على الطريق؟

متى تشفيك واجبة الحقوق

فما يرجو الصديق من الصديق؟

إذا ما لم يكن إلا سلام

وليس ذاك فعل أخ شقيق

مرضت ولم تعدني عمر شهر

وقال الحرمازي وكتب بها إلى محمد بن عبيد الله العتبي:

لك ما عندي من كتبك

بنفسي أنت قد جاء

ل ما نرجوه من قربك

فلا تبعد من الإفضا

وإفضال على صحبتك

فما زلت أخا جود

لك في قلبي من حبك

وسل قلبك عمال

بما قد حل في قلبك

فقد أخبرني القلب

فها إني لك الراضي
وكان بعض الهاشميين قد وعد الحرمازي وعداً فأخره، فكتب إليه:
وأيت الناس قد صدقوا ومانوا
ووعدت فما وفيت لنا بوعدٍ
ألا يا ليتني استبقيت وجهي
فإن بقاء وجه الحر زين
وموعدك كله خلف ومين

الحسن بن علي المدائني النحوي

قال أبو إسحاق بن إبراهيم بن سعيد الحبال: مات لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وثلاثمائة. وكان إماماً فاضلاً تخرج به جماعة وافرة في العدد.

الحسن بن علي بن عمر ويقال عمار

المعروف بابن المصحح، أبو محمد التيمي النحوي، سمع أبا بكر عبد الله الجناني، وأبا بكر بن أبي الحديد. وأبا نصر حديد بن جعفر الرماني. روى عنه عبد العزيز الكتاني، ونجاء بن أحمد، وأبو القاسم النسيب، وسئل عنه فقال: ثقة. ومات لسبع بقين من رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة. ذكر ذلك كله أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر في تاريخ دمشق.

الحسن بن علي بن مقلة

بن الحسن بن عبد الله بن مقلة أبو عبد الله، ومقلة اسم أم لهم كان أبوها يرقصها. فيقول يا مقلة أبيها فغلب عليها، وأبو عبد الله هو أخو الوزير أبي علي محمد بن علي، وهو المعروف بجودة الخط الذي يضرب به المثل. كان الوزير أوحده الدنيا في كتبه فلم الرقاع والتوقيعات، لا ينازع في ذلك منازع، ولا يسمو إلى مساماته ذو فضل بارع، وكان أبو عبد الله هذا أكتب من أخيه في قلم الدفاتر والنسخ، مسلماً له فضله غير مفاضل في كتبه. ومولد أبي عبد الله في سلخ رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين، ومات في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة. ومات أبوه أبو العباس علي بن الحسن في ذي الحجة سنة تسع وثلاثمائة. وله يوم مات سبع وستون سنة وأشهر. وصلى عليه ابنه أبو علي.

ولأخيه أبي علي ترجمة في باب مفردة، لما اشترطنا في ذكر أرباب الخطوط المنسوبة وكان أبوها الملقب بمقلة أيضاً كاتباً مليح الخط. وقد كتب في زمانهما وبعدهما، جماعة من أهلها وولدخما ولم يقاربوهما وإنما يندر الواحد منهم الحرف بعد الحرف، والكلمة بعد الكلمة، وإنما كان الكمال لأبي علي وأبي عبد الله أخيه. فممن كتب من أولادهما: أبو محمد عبد الله، وأبو الحسن ابنا أبي علي، وأبو أحمد سليمان بن أبي الحسن، وأبو الحسين علي بن أبو علي، وأبو الفرج العباس بن علي بن مقلة. ومات أبو الحسن علي بالفالج والسكتة، في سنة ست وأربعين وثلاثمائة، ومولده سنة خمس وثلاثمائة.

حدث ابن نصر قال: وجدت بخط أبي عبد الله بن مقلة على ظهر جزء، وغنتني ابنة الحفار:

إلى سامع الأصوات من أبعد المسرى
شكوت الذي ألقاه من ألم الذكرى
فيا ليت شعري والأمانى ضلّة
أيشعر بي من بت أرعى له الشعري؟

قال ابن نصر: فقلت كفى ابنة الحفار هذا الصوت أن يذكرها ويكتبها أبو عبد الله بن مقلة بخطه. وحدث أبو نصر قال: حدثني أبو القاسم بن الرقي منج سيف الدولة قال: كنت في صحبة سيف الدولة في غداة المصيبة المعروفة، وكان سيف الدولة قد انكسر يومئذ كسرة قبيحة، ونجا بحشاشته بعد أن قتلت عساكره قال: فسمعت سيف الدولة يقول وقد عاد إلى حلب: هلك مني من عرض ما كان في صحبتي خمسة آلاف ورقة بخط أبي علي بن مقلة. قال: فاستعظمت ذلك وسألت بعض شيوخ خدمه الخاصة عن ذلك. فقال لي: كان أبو عبد الله منقطعاً إلى بني حمدان سنين كثيرة يقومون بأمره أحسن القيام، وكان ينزل في دار قوراء حسنة، وفيها فرش تشاكلها ومجلس دست، وله شيء للنسخ وحوض فيه محابر وأقلام، فيقوم ويتمشى في الدار إذا ضاق صدره، ثم يعود فيجلس في بعض تلك المجالس وينسخ ما يخف عليه، ثم ينهض ويطوف على جوانب البستان، ثم يجلس في مجلس آخر وينسخ أوراقاً آخر على هذا، فاجتمع في خزائنهم من خطه ما لا يحصى.

وجدت بعض أهل الفضل عن بعضهم قال: حضرت مجلس أبي علي محمد بن علي بن مقلة في أيام وزارته وقد عرضت عليه

رقاع، وتوقعات وتسببات قد رد عليها بخطه أخوه أبو عبد الله، ثم رفعت إلى أبي علي فكان ينظر فيها ويمضيها وقد عرف صورتها. وكان أبو عبد الله حاضراً، فلما فرغ منها التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله قد خفت عنا حتى أثقلت، وخشينا أن ننقل عليك، فأرح نفسك من هذا التعب. فضحك أبو عبد الله وقال: السمع والطاعة.

وقال ثابت بن سنان: لما ولي أبو علي بن مقله الوزارة للمقتدر في سنة ست عشرة وثلاثمائة، قلد أخاه أبا عبد الله الحسن بن علي ديوان الضياع الخاصة، وديوان الضياع المستحدثة، وديوان الدار الصغيرة. وصودر أبو عبد الله في أيام القاهرة على خمسين ألف دينار بعد أن حلف أنه لا يملك إلا بساتين وما ورثه من زوجته، وقيمة الجميع نحو مائة ألف درهم.

الحسين يزداد بن هرمز

ابن شاهوه، أبو علي الأهوازي المقرئ، صاحب التصانيف المشهورة. قال ابن عساكر: قدم دمشق في ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة وسكنها، وقرأ القرآن بروايات كثيرة وأقرأه، وصنف كتاباً في القرآن، وحدث عن خلق كثير، منهم نصر بن أحمد المري، وأبو حفص الكتاني، والمعافا بن زكريا بن طرار، وروى عنه الخطيب أبو بكر ثابت وغيره. قال ابن عساكر: أنبأنا أبو طاهر بن الحنائي، أنبأنا أبو علي الأهوازي، حدثنا أبو زرعة أحمد بن محمد بن عبد الله بن سعيد القشيري، حدثني جدي لأمي الحسن بن سعيد، حدثنا أبو علي الحسين بن إسحاق الديققي، حدثنا أبو زيد حماد بن دليل عن سفيان الثوري، عن قيس بن مسلم، عن عبد الرحمن بن سابط، عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كانت عشية عرفة هبط الله عز وجل إلى السماء الدنيا فيطلع إلى أهل الموقف فيقول: مرحباً بزوّاري الوافدين إلى بيتي، وعزتي لأنزلن إليكم، ولأساوي منزلكم بنفسي، فينزل إلى عرفة فيعممه بمغفرته، ويعطيهم ما يسألون إلا المظالم ويقول: يا ملائكتي، لنشهدكم أني قد غفرت لهم، ولا يزال كذلك إلى أن تغيب الشمس، ويكون أمامهم إلى المزدلفة، ولا يعرج إلى السماء تلك الليلة، فإذا أسفر الصبح ووقفوا عند المشعر الحرام غفر لهم حتى المظالم، ثم يعرج إلى السماء إلى منى". هذا حديث منكر، وفي إسناده غير واحد من المجهولين. ولالأهوازي أمثاله في كتاب جمعه في الصفات سماه كتاب البيان، في شرح عقود أهل الإيمان، وأدعه أحاديث منكرة، كحديث: "إن الله تعالى لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل فأجراها حتى عرقت، ثم خلق نفسه من ذلك العرق" مما لا يجوز أن يروى ولا يحل أن يعتقد، وكان مذهبه مذهب السالمية، يقول بالظاهر، ويتمسك بالأحاديث الضعيفة التي تقوي له رأيه، وحديث إجراء الخيل موضوع، وضعه بعض الزنادقة ليشنع به على أصحاب الحديث في رواياتهم المستحيلة، فيقبله بعض من لا عقل له ويراه، وهو مما يقطع ببطلانه شرعاً وعقلاً. قال الأهوازي: ولدت في سابع عشر من المحرم سنة اثنتين وستين وثلاثمائة. ومات في رابع ذي الحجة سنة ست وأربعين وأربعمائة.

قال ابن عساكر: وسمعت أبا الحسن علي بن أحمد بن منصور يحكي عن أبيه قال: لما ظهر من الأهوازي الإكثار من الروايات في القراءات اتهم في ذلك، فسار رشاء بن نظيف، وأبو القاسم بن الفرات، وابن القماح إلى العراق لكشف ما وقع في نفوسهم منه، ووصلوا إلى بغداد وقرؤوا على بعض الشيوخ الذين روى عنهم الأهوازي، وجاءوا بالإجازات عنهم وبخطوطهم، فمضى الأهوازي إليهم وسألهم أن يروه تلك الخطوط التي معهم، ففعلوا ودفعوها إليه، فأخذها وغير أسماء من سمى ليستر دعواه فعادت عليه بركة القرآن فلم يفتضح. وبلغني أنهم سألوا عنه بعض المقرئين الذي ذكر أنه قرأ عليهم وحكوه له، فقال: هذا الذي تذكرونه قد قرأ علي جزءاً أو نحوه. قال: وقال حدثني أبي قال: عاتبت أو عوتب أبو طاهر الواسطي المقرئ في القراءة على الأهوازي فقال: أقرأ عليه العلم ولا أصدق في حرف واحد. قال وحدثني أبو طاهر محمد بن الحسن بن علي بن المليحي قال: كنت عند رشاء بن نظيف في داره على باب الجامع، - وله طاقة إلى الطريق - فاطلع فيها وقال: قد عبر رجل كذاب، فاطلعت فوجدت الأهوازي. قال: وقال ابن الأكفاني قال لنا الكتاني: كان الأهوازي مكثراً من الحديث، وصنف الكثير في القراءات، وكان حسن التصنيف، وجمع في ذلك شيئاً كثيراً، وفي أسانيد القراءات غرائب كان يذكر في مصنفاته أنه أخذها رواية وتلاوة، وأن سيوخته أخذوها رواية وتلاوة. ولما توفي كانت له جنازة عظيمة.

الحسن بن علي بن بركة بن عبيدة

أبو محمد المقرئ النحوي الفرضي، من ساكني الكرخ بدرب رباح، مات في ثامن عشر شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسائة. وكان فاضلاً قارئاً نحويّاً لغويّاً فرضياً. قرأ القرآن بالروايات على الشيخ أبي محمد بن بنت الشيخ، وبالكوفة على عمر بن إبراهيم العلوي، وقرأ النحو على أبي السعادات بن الشجري، ولازمه حتى برع في فنه، وتصدر مدة طويلة لإقراء القرآن والنحو واللغة والفرائض، وأنشد له العماد في الخريدة شعراً قاله في المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين، وهو:

يا خير مستخلفٍ عمت نوافله
وطبق الأرض بعد المحل نائله

أحيت لنا سيرة المهدي سيرته
إمام حق بعهد الله محتفظ
خير الخلائق أضحى لا ينازعه
فالمصطفى جاء بعد الأنبياء وما
وله في المستضيء أيضاً:

هذه دولة تخيرها الل
دونة روضة رباها وجادت
واستعادت صعب المقادة بالعد
وأضاءت بالمستضيء بأمر الل
ملك عم بره كل بر
وأغات الأنام منه سجال
طبق الأرض منهم فضل عدل
جعل الله وذكهم يا نبي العب
وعليكم صلاتنا في التحيا
يا بني عم أحمد طاب محيا

عدلاً وبذلاً فما تحصي فواضله
وكل شيء حواه فهو بأذله
منهم إمام وإن جلت أوائله
فيهم على فضلهم خلق يعادله

ه فدامت لنا سجيس الليالي
من لهاها بوابل متوالي
ل ودانت لها قلوب الرجال
ه لا زال ملكه في اتصال
وأباح الآمال في الأحوال
بعد إمحالهم عقيب سجال
وكفاها بوائق الزلزال
باس فرضاً من أشرف الأعمال
ت توالى لأنكم خير آل
كم ومن قبل طبتم في الظلال

الحسن بن علي الجويني الكاتب

أبو علي صاحب الخط المنسوب، كان مقيماً ببغداد، ولا أدري أولد بها أم انتقل إليها، لأنه لما انتقل إلى مصر كان يعرف بها بالبغدادي، وكان يلقب فخر الكتاب. مات بمصر لعشر خلون من صفر سنة ست وثمانين وخمسائة. سمعت جماعة من أهل الكتابة المتحققين بها يقولون: لم يكتب أحد بعد أبي الحسن علي بن هلال بن البواب أجود من الجويني، وكان أستاذه في الكتابة، يعقوب الغزنوي، كتب عليه ببغداد إلا أنه أبر عليه، وزاد حتى لا تناسب بين خطيهما، وكان من شيمة الجويني أنه ما كتب شيئاً قط بخطه كثر أو قل، دق أو جل، إلا ويكتب في آخره: "كتبه علي بن الحسن الجويني" وكتب عليه جماعة من الكتاب وافتخروا بأستاذيته، كابن القيسراني وغيره، وكان ينتقل في البلاد حتى حط بركه بالديار المصرية، ونفق بها سوقه، وعلا على أبناء جنسه قدره، وعظم شأنه، وارتفع مكانه، وكان مع ذلك لا يترك هينته وسمته، فإنه كان يتزيا زي أهل التصوف، وبلغ من علو قدره بالديار المصرية إلى أن ولي ولده عز الدين إبراهيم ولاية القاهرة، بعد ما ولي ولاية الإسكندرية مدة، وكان محمود السيرة رأيت أهل مصر ممن شاهد ولايته يحسن الثناء عليه، وكان ملوكي الهمه، شريف النفس - أعني ولده عز الدين إبراهيم - وكان فخر الكتاب يقول الشعر ويتعانه، إلا أنه لم يكن فيه بذاك. ومن شعره يمدح القاضي الفاضل وهو من أجود شعره:

في الفاضل بن علي البيساني
أفعاله المرضية للملكان

بزخارف الدنيا عن الله
يقطعن عقل الغافل اللاهي

لولا انقطاع الوحي كان منزلاً
ننتي عليه بمثل ما ننتي على

ومن شعره في الزهد:

كم كادت الأوطان تشغلنا
حتى تغربنا فكم غير

الحسن بن علي بن إبراهيم بن الزبير

أبو محمد المصري، أخو الرشيد أحمد بن علي وقد تقدم ذكره، وكان من أهل أسوان من غسان، وكان الحسن هذا يلقب القاضي المذهب. مات في ربيع الآخر سنة إحدى وستين وخمسائة بمصر، وكان كاتباً مليح الحظ فصيحاً جيد العبارة، وكان أشعر من أخيه الرشيد، وكان قد اختص بالصالح بن رزيق وزير المصريين، وقيل: إن أكثر الشعر الذي في ديوان الصالح إنما هو عمل المذهب بن الزبير، وحصل له من الصالح مال جم، ولم ينفق عنده أحد مثله وكان القاضي عبد العزيز بن الحباب المعروف بالجليل هو الذي قرظه عند الصالح حتى قدمه، فلما مات الجليل شمت به ابن الزبير ولبس في جنازته ثياباً مذهبة، فنقص بهذا

السبب واستقبحوا فعله، ولم يعيش بعد الجليس إلا شهر واحداً. وصنف المذهب كتاب الأنساب، وهو كتاب كبير أكثر من عشرين مجلداً، كل مجلد عشرون كراساً، رأيت بعضه فوجدته مع تحقيقي هذا العلم وبحثي عن كتبه غاية في معناه لا مزيد عليه، يدل على جودة قريحة مؤلفه، وكثرة اطلاعه، إلا أنه حذا فيه حذو أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، وأوجز في بعض أخباره عن البلاذري، إلا أنه إذا ذكر رجلاً ممن يقتضي الكتاب ذكره، لا يتركه حتى يعرفه بجده من إيرادشيء من شعره وخبره. وكان المذهب قد مضى إلى بلاد اليمن في رسالة من بعض ملوك مصر، واجتهد هناك في تحصيل كتب النسب، وجمع منها ما لم يجتمع عند أحد، حتى صح له تأليف هذا الكتاب.

وكان أخوه الرشيد لما مضى إلى اليمن وادعى الخلافة كما ذكرناه في ترجمته نمي خبره إلى المعروف بالداعي، فقبض عليه قبضاً لا نعلم كيفيته وهم بقتله، فكتب المذهب هذا إلى الداعي بقصيدته المشهورة يمدحه ويستعطفه حتى أطلقه. والقصيدة:

يا ربع أين ترى الأحبة يمموا
رحلوا وقد لاح الصباح وإنما
وتعوضت بالأنس روعي وحشة
لولا هم ما قمت بين ديارهم
أمنازل الأحباب أين هم وأي
يا ساكني البلد الحرام وإنما
يا ليتني في النازلين عشية
فأفوز إن غفل الرقيب بنظرة
لإني لأذكركم إذا ما أشرقت
لا تبعثوا لي في النسيم تحية
إني امرؤ قد بعث حظي راضياً
فسلوت إلا عنكم وقنعت إل
ورأيت كل العالمين بمقلة
ما كان بعد أخي الذي فارقه
هو ذاك لم يملك علاه مالك
أفوت مغانيه وعطل ربه
ورمت به الأهوال همة ماجد
يا راحلاً بالمجد عنا والعل
يفديك قوم كنت واسط عقدهم
لك في رقابهم وإن هم أنكروا
جهلوا فظنوا أن بعدك مغنم
فلقد أقر العين أن عداك قد
لم يعصم الله ابن معصوم من ال
واعترضت بعدهم بأكرم معشر
فلعمر مجدك إن كرمت عليهم
أقوال بأس خير من حملوا القنا
متواضعون ولو ترى ناديتهم
وكفاهم شرفاً ومجداً أنهم
هو بدر تم في سماء علاهم
ملك حماه جنة لعفاته
أنثي عليك بما مننت وأنت من

هل أنجدوا من بعدنا أم اتهموا؟
يسري إذا جن الظلام الأنجم
لا أوحش الله النازل منهم
حيران أستاف الديار وألثم
ن الصبر من بعد التفرق عنهم؟
في الصدر مع شحط المزار سكنتم
بمنى وقد جمع الرفاق الموسم
منكم إذ لى الحجيج وأحرموا
شمس الضحى من نحوكم فأسلم
إني أغار من النسيم عليكم
من هذه الدنيا بحظي منكم
ا منكم وزهدت إلا فيكم
لو ينظر الحساد ما نظرت عموا
ليبوح إلا بالشكاية لي فم
كلا ولا وجدي عليه متيم
ولربما هجر العرين الضيغم
كالسيف يمضي عزمه ويصمم
أترى يمون لكم إلينا مقدم؟
ما إن لهم مذ غبت شمل ينظم
منن كأطواق الحمام وأنعم
لما رحلت وإنما هو مغرم
هلكوا ببغيهم وأنت مسلم
آفات واخترم اللعين الأخرم
بدووا لك الفعل الجميل وتمموا
إن الكريم على الكرام مكرم
وملوك قحطان الذين هم هم
ما اسطعت من إجلالهم تتكلم
قد أصبح الداعي المتوج منهم
وبنو أبيه بنو ربيع أنجم
لكنه للحاسدين جهنم
أوصاف مجدك يا مليكاً أعظم

فاغفر لي التقصير فيه وعده
مع أنني سירת فيك شوارداً
تغدو وهوج الذاريات رواكد
وإذا المآثر عددت في مشهدٍ
وإذ تلا الراوون محكم أيها
وكفى برأي إمام عصرك ناقضاً

مع ما تجود به علي وتنعم
كالدر بل أبهى لدى من يفهم
وتبيت تسري والكواكب نوم
فبذكرها يبدد المقال ويختم
صلى عليك السامعون وسلموا
ما أحكم الأعداء فيك وأبرموا
وأنشدني أبو طاهر إسماعيل بن عبد الرحمن الأنصاري المصري بمصر في سنة اثنتي عشرة وستمائة، قال: أنشدني أبو محمد
الحسن بن علي بن الزبير مطلع قصيدة:

أعلمت حين تجاور الحيان
وعلمت أن صدورنا قد أصبحت
وعيوننا عوض العيون أمدّها
ما الوجد هز قناتهم بل هزها
وتراه يكره أن يرى أظعانهم

أن القلوب مواعد النيران
في القوم وهي مرابض الغزلان
ما غادروا فيها من الغدران
قلبي لما فيه من الخفقان
فكأنما أصبحت في الأظعان

وكان لما جرى لأخيه الرشيد ما جرى من اتصاله بالملك صلاح الدين يوسف بن أيوب عند كونه محاصراً للإسكندرية كما
ذكرنا في باب، قبض شاور على المهذب وحبسه، فكتب إلى شاور شعراً كثيراً ليستعطفه فلم ينجع حتى التجأ إلى ولده الكامل
أبي الفوارس شجاع بن شاور مدحه بأشعار كثيرة وهو في الحبس حتى قام بأمره واستخرجه من حبسه، وضمه إليه واصطنعه
فمن ذلك قوله من قصيدة:

أيا صاحبي سجن الخزانة خليا
فإن تحبساني في النجوم تجبراً

نسيم الصبا يرسل إلى كبدي نفحا
فلن تحبس مني له الشكر والمدحا

وكتب إليه:

وما كنت أخشى قبل سجنكما على
وما لي من أشكو إليه أذاكما
ومما قاله فيه وهو لعمرى من رائق الشعر وجيده:

دموعي أن يقطرن خوف المقاطر
سوى ملك الدنيا شجاع بن شاور

إذا أحرقت في القلب موضع سكنها
وإن نزلت ماء العيون بهجرها
وما الدمع يوم البين إلا لآلى
وما أطلع الزهر الربيع وإنما
ولما أبان البين سر صدورنا
عددنا دموع العين لما تحدرت
ولما وقفنا للوداع وترجمت
بدت صورة في هيكلي فلو أننا
وما طرباً صغنا القريض وإنما
وليالي كانت في ظلام شبيبتي
تأرج أرواح الصبا كلما سرى
ومهما أدركنا الكأس باتت جفونه

فمن ذا الذي من بعد يكرم مثواها؟
فمن أي عين تأمل العيس سقياها؟
على الرسم في رسم الديار نثرناها
رأى الدمع أجياد الغصون فحلاها
وأمكن فيها العين النجل مرماها
دروعاً من الصبر الجميل نز عناها
لعيني عما في الضمائر عيناها
ندين بأديان النصارى عبدناها
جلا اليوم مرآة القرائح مرآها
سراي وفي ليل الذوائب مسراها
بأنفاس ريا آخر الليل رياها
من الراح تسقيننا الذي قد سقيناها

ومنها:

ولو لم يجد يوم الندى في يمينه
فيا ملك الدنيا وسائس أهلها
ومن كلف الأيام ضد طباعها

لسائله غير الشبيبة أعطها
سياسة من قاس الأمور وقاسها
فعاين أهوال الخطوب فعانها

عسى نظرة تجلو بقلبي وناظري
وحدثني الشريف أبو جعفر محمد بن عبد العزيز الإدريسي أن السبب في حبسه كان: أنه كاتب شيركوه الملقب بأسد الدين وهو
نازل على بلبيس بعساكره في محاربة شاور، فلما رحل أسد الدين عن بلبيس، ومن شعره:
يجور على العشاق والعدل دأبه
ومن شعره أيضاً:
ولئن تفرق دمه يوم النوى
فالسيف أقطع ما يكون إذا غدا
ومنه أيضاً:
لقد طال هذا الليل بعد فراقه
فكيف أرجي الصبح بعدهم وقد
ومنه أيضاً:
يعنفني من لو تحقق ما الهوى
بنفسي بدر لو رآه عواذلي
ومنه أيضاً:
أقصر فديتك عن لومي وعن عدلي
من كل طرفٍ مريض الجفن ينشدني
إن كان فيه لنا وهو السقيم شفا
وقال يرثي صديقاً له وقد وقع المطر يوم موته:
بنفسي من أبكى السموات فقده
فما استعبرت إلا أسيء وتأسفاً
وله أيضاً:
لا ترج ذا نقص ولو أصبحت
كيوان أعلى كوكبٍ موضعاً
وله أيضاً:
فدع التمدحبالقديم فكم عفا
لإيوان كسرى اليوم عند خرابه
في هذه الآكام قصر دائر
خير لعمرك منه قصر عامر

الحسن بن علي بن أبي مسلم

المعمر بن عبد الملك بن ناهوج الإسكافي الأصل، البغدادي المولد والدار، أبو البدر بن أبي منصور، من أهل باب الأزج، أحد
الكتاب المتصرفين في خدمة الديوان الإمامي هو وأبوه، وكان فيه فضل وأدب بارع، وعربية وتصرف في فنونها، ويكتب خطاً
على طريقة أبي علي بن مقلة قل نظيره فيه، وله خصائص، ولقي المشايخ، وصنف عدة تصانيف في الأدب حسنة، وتنقل في
الولايات إلى أن رتب مشرفاً بالديوان العزيز في سادس شهر رمضان سنة ست وثمانين وخمسائة، فكان على ذلك إلى أن
عزل في سابع ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وخمسائة، وكان صاحب أبا محمد بن الخشاب النحوي وقرأ عليه وبحث معه،
وعلق عنه تعاليق ووقت على بعضها فوجدتها منبئة عن يدٍ باسطة في هذا الفن من العلم، ورأيت بخطه في حلب تعاليق وكتباً
واختيارات ونظماً ونثرأ تدل على قريحة سالمة، ونفس عالمة، تقلل النظر، وتؤذن بالعلم الغزير. ومما بلغني من شعره:
وعلى الكئيب مخمر من تيهه
حجبه بالبيض الفواصل ما دروا
رشأ كأن لحاظه مطرورة
وكان سحر بلاغة في لفظه
كالبر من حسن وليس بأفل
من حسنه وسيوفهم كالقاصل
قذفت بها غرضاً حنية نابل
أخذ يعقدها نوافث بابل

وكان خرج من بغداد حاجاً سنة تسع وثمانين وخمسائة أو نحوها فجاور بمكة، ثم صار منها إلى الشام وأقام بحلب مدة، ثم انتقل إلى مصر فسكنها إلى أن مات بها في ثامن عشر رمضان سنة ست وتسعين وخمسائة، عن سبع وستين سنة، ودفن بالقرافة، وحدث بذلك ابنه أبو منصور علي. وقرأت بخط ابن أبي سالم الذي لا أرتاب به ما صورته: نسخة كتاب كتبتة إلى القاضي الفاضل عند قدومي من الحجاز إلى مصر في جمادى الآخرة، سنة اثنتين وتسعين وخمسائة: لو كانت المودات - أطال الله بقاء المجلس السامي - في نعمة خصيبة المرتع، وعيشة عذبة المنبع - وأدام علاه في سعادة لا تتطرق إلى صافي بردها السابغ حوادث الأقدار - و لا يتطرق صافي وردها السابغ بحوادث الأقدار، وحرسموا به لديه ما لزم السكون أول المشددين، ولا زالت ثاوية بجناحه حتى يلتقي المخففان من كلمتن، ولا فتنت منح التوفيق مصاحبة له ما اشتبه الذاتي بالعرض اللازم، وذم المفرط في أمره وأحمد الحازم، لا تفرع أبوابها، ولا تتدرع زينة لبوسها وأثوابها إلا عن معرفة في المشاهد سابقة، أو مائة قائدة، أو ذريعة سائقة والتعاضد والتضافر سابق للصفة، وإنما للنفوس سرائر أهواء تحن إلى التداني إن تباعدت الشعوب وتتازحت الديار، كما لتباينها أسباب تتناثر من أجلها وإن تقاربت الأنساب، وتتازحت المقار، والفضائل الفاضلية القريبة، والمناقب الشهيرة التي قد سار ذكرها في الأفاق سير القمر، وعطلت مزيتها مروى السير، وتليت محاسنها كما تتلى السور، وصار الفوز بمناسمة رباها من أفضل ما أسفر عنه سفر، ولو عاينها الصدر الأول لمدح في دراستها السهر، وما جذب السمر، فلا غرو أن تحن النفوس إلى محل كمالها، ومأوى تضافر أصدادها التي انفرد بجمالها ومثوى مواهبها التي هبطت إليه من المحل الأرفع لما سمي لها وسما لها، ومن هو أمينها المصدق لظنونها، ويمينها إذا كان غيره يمينها وشمالها، وقد زادها إفراط حسن التبيان، فله در ذلك البيان، فلكم استفادت حجتة إلى أمر الله من اطوائف والفرق، وكم قص كتابه من كتائب الضلال وفرق.

ثم ذكر وصف بلاغته بما أطال فيه، ووصف البحر ركه حتى خلص إلى مصر، ثم قال: وقد أرسل هذه الخدمة مستخرجة للإذن في الحضور والتشرف بميمون اللقاء، وإن زاحم به أوقات الطاعات ومواقيت الأذكار. وشغل على اختصاره عن شيء من المهام والأوطار. وللمتوكل لنفسه أن يدعي أن في ذلك ضرباً من ضروب البر، فإنه قد أصبح والله الحمد في هذا الطرف لقاطنيه وطارقته كالأب البر. والمنشود من الأريحية الكريمة إكرام مثوى خدمته، وتلقيها بما يزيل عنها انقباض الغريب ووحشته، وحيرة القادم ودهشته، فعنده حياء طبيعى لعل متجاوزة للقدر المحمود غذيت به طفلاً، فإن رمت غيره عصاني وأعرتني به ألفه المهدي. وكتب إليه بعد الحضور عنده رقعة منها: وحضر الشيخ النفيس وصحبته ما قابل كريم الاهتمام الذي صدر عنه من الأدعية والاثنية بما لا يزال يواليه ويرفعه ويهديه، ولق أخجله أن يرى نفسه في صورة منقل، أو يرى بعين غير موحد في دين هواه منتقل. ومقترحه أن يخص من حسن الرأي العالي بشعار يبهج ولا ينهج، ويشرع له سبيلاً في الفخر وينهج، وأن يشير بأسطر بالخط الكريم يفوق المال، ويبقى الجمال، فأبقى السمات ما خطته يمينه، وأثبت الصفات ما دل عليه تزيينه، وأزكى الشهادات ما تطوع به كرمه، وأعطى رياض الحمد ما أنبتته ديمه. وقد حصل الخادم بين نزاع يحضه على حضور الخدمة وينشطه، وخوف إبرام يقبضه ويثبطه. وقد ترجم عن حاله هذه أبيات الشاعر أبي عبد الله وهي:

حالة قد حصلت للخوف منها	حول دار الأستاذ في عشواء
لأن تأخرت أو تقدمت فيها	ساء ظني في الموضعين برائي
لست أدري من الضلال أقدا	مي خير في ذاك أم من ورائي؟
أوثر الخدمة التي تؤثر اسمي	عندكم في جريدة الأولياء
ثم أخشى أنني أعد إذاجي	ت من المبرمين والثقلين
قد تحيرت فاجعلوا أنتم اسمي	حيث شئتم من هذه الأسماء

ومن خطه: ومن عبث خاطر وهوسه أبيات تشوفت فيها الحجاز بعد مجاورتي بالحلم الشريف بمكة - قدسها الله - سنة اثنتين أو ثلاث وسبعين وهي:

خليلي هل يشفي من الوجد وقفة	بخيف مني والسامرون هجوع؟
وهل لليليات المحصب عودة	وعيش مضى بالمأزمين رجوع؟
وهل سرحة بالسفح من أيمن الصفا	رعت من عهودي ما أضاع مضيع؟
وهل قوضت خيم على أبرق الحما	وما ذاك من غدر الزمان بديع؟
وهل تردن ماءً بشعب ابن عامر	حوائم لو يقضى لهن شروغ؟
وما ذاك إلا عارض من طماعة	له بقلوب العاشقين ولوع
وإني متى أعص التجلد والأسى	فللشوق مني والغرام مطيع

فيا جيرتي إذ للزمان نضارة
بنعمان والأيام فينا حميدة
وما أزمع الحي اليمانون نية
كفى حزناً أني أبيت وبيننا
أعالج نفساً قد تولى بها الأسى
ومن خطه أيضاً بيتان صدرت بهما كتاباً في هذه الرقعة إلى بعض الخوان بمكة - حرسها الله تعالى :-
ألا قل لجيران الصفا ليت داعي الت
لعمري لقد ودعت يوم وداعكم
فرق أعمي يوم راح مناديا
بشعب المنقى شعبة من فؤاديا

ومن خطه رسالة كتبها إلى الفضل أيضاً يسأله شيئاً من رسائله، قال في آخرها: فصار العوارف التي اقتصر في ذكرها على الإيماء وقوفاً مع محدث سيدنا - أطال الله بقاءه - مبسوط اليد في عباد الله بالفرض، مقرضاً له عناء همه فيهم أحسن القرض، منجزاً لهم ما وعد. "وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض" عند الخادم. ومثله كالبيت من القريض قبل القافية، والمريض الذي مطلته الأيام بالعافية، فلا يكمل ذاك ولا يتطرب به المشوق، ولا يترنم به الكئيب، ولا يتسلى به الغريب دون تمامه، وتكافؤ أجزاء نظامه، وعبقه بمسك ختامه، ولا يحس هذا بلذة على الحقيقة - وإن شرفت - حتى يجد روحه روح الشفاء فيدرك مزيتها بطرق الصحة، ومروءتها بحلوسة سمعها، وتساعفه الأقدار بتكميلها لك وجمعها.

وما أسفي إلا عليها فإنني
فجد لي بما أهواه منها فإنني
بقرطاسها لا بالدنانير أكلف
سألح في استيهابها وأكلف
وما هذه الأهواء إلا غرائز
قبيح لدى نقادها المتكلف

وإن كان الخادم عن حال من شرف بهذا من أفناء الناس، ولم يكمل بعدته الإستئناس، فليس له أن يكون معترضاً، ولا أن يتلقى ذلك بغير التسليم والرضا، فإن الخدمة السامية هي التي تبين لديها الأقدار، وبأفعالها تترتب المنازل وتتقات الأخطار.

وكننت عند كوني بمرور عرض علي شيخنا فخر الدين أبو المظفر عبد الرحيم بن تاج الإسلام أبي سعد السمعاني - تغمده الله برحمته - جزءاً يشتمل على رسائل للحسن القطان إلى الرشيد الوطواط محشوة بالسب له والتلب تصريحاً لا تعريضاً، ويلزمه الحجة في أنه نهب كتبه وسلبه نتيجة عمره، ويستحسب الله عليه. وضاق نطاق الزمان من تحصيلها وكتبتها، وقلت:

وكم منية خلفت خلفي وبغية
إذا ذكرت تانفس حنت وأرزمتم
ومن حاج نفس حال من دونها الترك
وودت لفراط الوجد أدركها الفتك
نفس بملها ثوى العلم والنسك
سلام على تلك الديار وقدست

وبقيت نفسي إليها متطلعة، وإلى مكنونها متلفئة، فظفرت برسائل الرشيد محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري البلخي المعروف بالوطواط، متضمنة لأجوبة يدل آخرها على إضراب القطان عن تهمته، والإذعان بإبراء ساحته: نسخة الرسالة الأولى: "بسم الله الرحمن الرحيم" قرع سمعي من أفواه الواردين وألسنة الطارئين على خوارزم أن سيدنا - أدام الله فضله - كلما تفرغ من مهمات نفسه، ووظائف درسه أقبل بمجامعه على أكل لحمي، والإطباب في سبي وشتمي، وينسبني إلى الإغارة على كتبه، وبيالغ في هتك أستار الكرم وحجبه. أهذا يليق بالفضل والمروءة؟ أو يجمل بالكرم والفتوة أن يفترى على أخيه الميلم بمثل هذا الكذب المقلق، والبهتان المؤلم، والله إذا نفخ في الصور يوم النشور، وبعثت هذه الرمم البالية، من الأحداث متدرة ملابس الحياة الثانية، وجمعت عباد الله في مواقف العرصات، وتطايرت صحائف الأعمال إلى أربابها، وسنلت كل نفس عما كسبت، فمن مسيء يسحب على وجهه إلى النار، ومن محسن يحمل على أعطاف الملائكة إلى الجنة، لم يتعلق في ذلك المقام الهائل أحد بذيلي طالباً مني ملكاً غصبت، ولا مالاً نهبت، أو دمماً سفكت، أو سترأ هتكته، أو شخصاً قتلته، أو حقاً أبطلته، وهأنذا قد آتاني الله من الوجه الحلال قريباً من ألف مجلد من الكتب النفيسة، والدفاتر الفائقة، والنسخ الشريفة، ووقفت كلها على خزائن الكتب المبينة في بلاد الإسلام - عمرها الله - لينتفع المسلمون بها، ومن كانت عقيدته هكذا كيف يستجيز من نفسه أن يغير على كتب إمام من شيوخ العلم، أنفق جميع عمره حتى حصل أوراقاً يسيرة، لو بيعت في الأسواق لما أحضر بثمنها مائدة لنعيم، الله، لا يفترين سيدنا - أدام الله فضله -، فافتراء الكذب على مثلي ذنب يتعثر في أذياله يوم القيامة، وليخافن الله الذي لا إله إلا هو، ولينذكرن يوماً يثاب الصادق فيه على صدقه، ويعاقب الكاذب على كذبه، والسلام. فورد على الرشيد جواب عن هذه الرسالة يكون في نحو كراستين يغلظ له في القول، ويصرح فيه بالسب والتهمة، فكتب الرشيد: "بسم الله الرحمن الرحيم" ورد كتاب سيدنا - أطال الله بقاءه في دولة مفترية المباسم، ونعمة متجددة المراسيم - مشتتلاً من الإيذاء والإيحاء، والإفحاش والإفحاش على كلمات، بل على ظلمات، لو أطفأ - أدام الله علوه - بعض لهبه، وسكن نائرة غضبه، ثم عاد إليه متصفحاً لألفاظه

ومبانيه، لما ارتضى ذلك من دينه وعقله، ولما استحسنته من كرمه وفضله، إلا أنني أعذره فيما قال، قصر كلامه أو طال، لعلمي أنه - أدام الله علوه - مسلوب مغلوب، جريح أسنة القهر، طريح صدمات الدهر، عضته أنياب النوائب، وخدشته أظفار المصائب، نهبت كتبه وأمواله، وغصبت رحاله وأنقاله، وطالب الثأر يقصد كل راجل وفارس، وصاحب الضالة يتهم كل قائم وجالس، ولقد علم سيدنا - أدام الله علوه - أن وقعة مرو عمرها الله كانت واقعة عامة، شملت كل جبهة وحافر، وطبقت كل صائح وصافر، وكان قد لحقت في ذلك الوقت بعسكر خوارزمشاه من طبقات الناس أوزاع وأخفاف، ومن حشرات الأرض أنواع وأصناف، قصارى همهم القتل والإغارة، ومنتهى أربهم الإحراق والإبارة وأوباش مرو أيضاً كانوا يخرجون من مكائهم في الليالي، ويتعرضون لبيوت السادات والموالي، فليسس بمستبعد أن يكون قد ظفر بكتبه من أولئك الأقوام أحد لا يعرف شأنه، ولا يعلم مكانه، أما أنا فالله تعالى يعلم - وقد خاب من استشهده باطلاً - أنني ما فتحت للإغارة بابه، ولا نهبت كتابه، بل ذهبت يوماً على مقتضى إشارته الكريمة لأحمل كتبه إلى المعسكر، فلما دخلت داره الرفيعة، ورأيت كتباً كثيرة فوق ما يحيط به عد، أو يشتمل عليه حد، فقلت: تقل هذه أمر مشكل، وحمل هذه خطب معضل، فتركها بحالها في أماكنها، وخليتها برمتها في معاندنها، وخرجت كما دخلت خالي الحقائق، فارغ الزكائب، فإن كنت غصبت يوم وقعة مرو أو قبلها أو بعدها من كتبه - أدام الله علوه - كتاباً أو جزءاً أو دفترأ أو من سائر أمواله شيئاً صغر أو جل، كثر أو قل، أو رضيت أن يغصبه أحد من أتباعي والمنتمين إلي، أو عرفت غاصباً غصبه، أو ناهباً نهبه، فأخفيت ذلك عنه، أو كتمته منه، فأنا بريء من الله وهو بريء مني، وإن كنت فعلت بنفسى شيئاً مما ذكرت، أو رضيت أن يفعله أحد من المتعلقين بي، أو عرفت فاعلاً فعله، فعلي الله أن أحج بيته المعظم المكرم راجلاً راجلاً حافياً، وعلى عاتقي الزاد والمزادة عشر مرات، وإن كنت فعلت شيئاً من ذلك، أو رضيت أن يفعله أحد من المتعلقين بي، أو عرفت فاعلاً فعله، فكل عبد ملكته أو أملكه فهو حر، وإن كنت فعلت شيئاً من ذلك، أو رضيت أن يفعله أحد من المتعلقين بي أو عرفت فاعلاً فعله، فكل امرأة تزوجتها أو أتزوجها فهي طالق مني ثلاث طلاقات، هذه الأيمان والنذور كتبتها ببناني، وأجريتها على لساني، لا خوفاً من غوائله، ولا هرباً من حباله، فإن الصلح آمن أهله، والإسلام جب ما قبله، ولكن إظهاراً لخلو راحتي، وبراءة ساحتي، وشفقة عليه - أدام الله علوه - وصيانة لفاضل مثله لا مثيل له في أقطار الشرق والغرب، وأقاصي البر والبحر، أن يسلك طريقة غير مستصوبة ويختار شريعة غير مستعذبة. - عصمنا الله وإياه - مما يورث ذماً، ويعقب إثماً.

وقد بعث في قران هذه الخدمة خدمة أخرى مفرطة في الطول، مجررة للذيول، منسوجة على منوال آخر، كالكي للداء إذا استحكمت شدته، وتناولت مدته، وعجز الأساة عن معالجته، والأطباء عن مداواته، وهديته - أدام الله علوه - فيها النجدين، وأريته الطريقين، ودفعت عنان الاختيار إليه، ووضعت زمام الإسرار في يديه، ليسلك منهما ما يشاء، إما ما يسر به وإما ما يساء. - وفقه الله للصواب والأصلح، وأسعد بالارشاد والأنجح، وجعله من الصالحين المصلحين، والفائزين المعلمين - إن شاء الله تعالى والسلام.

وكتب إليه مع الكتاب المتقدم ذكره: " بسم الله الرحمن الرحيم " : صادفني - أطال الله بقاءك في دولة مشرقة الكواكب، ونعمة هائلة السحاب، وسلامة طيبة المشارع والمشارب - خطابه الكريم وكتابه الشريف بخوارزم، وأنا ناعم بالبال منتظم الحال، ومنة النفس في دعة، ومن العيش في سعة، والحمد لله على ذلك، وبه الثقة والحول، وله المنة والطول، وحين تنسمت من يد حامله رياه، وثبت من مكاني مستقبلاً إياه، ومددت إليه يميني مد معز مكرم. وأخذته بطرف كمي أخذ مجل معظم، وقلت في نفسي: كرامة ساقها الله تعالى إلي، وسعادة ألفت أنوارها علي، وأرسلت في الحال قاصداً ذروات الأشراف، وسروات الأطراف، وبعثت في الساعة مرعاً إلى رجالات الأخبية والأبنية، وساكنة الأباطح والأودية، ودعوت من كل حلة رئيسها وزعيمها، ومن كل خطبة كبيرها وعظيمها، حتى اجتمع عندي البدوي والحضري، واحتشد في ربعي الربعي والمضري، ثم عرضت عليهم كتاباً شريفاً بختمه، وحنيت ظهري لتقبيله ولثمه، وطلبت خطيباً مصقفاً من بلغاء بني معدّ صحيح اللسان، فصيح البيان، ووضعت له في منزلي منبراً من الساج، مغشى بالدرر والديباج، ليصعد به ذرا الأعواد، ويقراه على رؤوس الأشهاد، فرفع الكل أصواتهم يميناً ويسرة، وسألوني خفية وجهره، ما هذا الذي تظهره لنا وتعرضه؟ وتوجب علينا سماعه وتفرضه؟ فقلت: كتاب إمام لم تلمح عين الزمان لمثله، ولم تسمح يد الليالي بشكله، كتاب إمام هو في العلم صاحب آيات، وفي الفضل سابق غايات، إمام تطلع نجوم الجو دون قدره، وتحسد رياض الخلد أطايب صدره، كتاب إمام تم به حساب العلماء، كما تم برسول الله صلى الله عليه وسلم حساب الأنبياء، صحيفة فخر حررتها يد بيضاء، وقلادة مجد رصعتها همة روعاء، ونشرت من معالي سيدنا - أدام الله علوه ومفاخره - وذكرت من مناقبه ومآثره، ما امتلأ بنشره النادي، وسال من ذكره الوادي، فسكنوا وسكنوا، وأصغوا وأنصتوا، فلما فضضت ختامه، وحدرت لثامه، وشاهدت في أثناؤه من الفزع الأكبر، وعابنت في أدراجه من أهوال يوم المحشر، ما أطال السهاد، وأطار الرقاد، وشق جلباب الصبر ومريطاء الجلد، وجرح سواد العين وسويداء الخلد، حسبتة حلة خسروانية، فوجدته حربة هندوانية، كتاب لا بل كتائب تقل كل جيش، وخطاب لا بل خطوط تكدر كل عيش، وكلام

لا بل في الأضالع كلام، وفصول لا بل في الجوانح نصول، وأسجاع مؤنفة لا بل أوجاع موبقة، كله كأنه نازلة الدهر، وقاصمة الظهر، كأنما ألفاظه أنياب الأراقم، ومعانيه أظفار الضراغم، وهو - أدام الله علوه - دفاع الأمراض بطبه، فلم أمرضني بفضائح سبه؟ ونطاسي الجراح بعلمه، فلم جرحني بقبائح ظلمه؟

وممن أرجى شفاء السقام

ومسقمتي جفوات الطبيب

ما هذا الإنذار والإيعاد؟ وما هذا الإبراق والإرعاد؟ كأنه صاحب دلدل وفارس ليليل، أو كأنه من أقيال اليمن، وأبطال الزمن، أو كأنه ثعبان الحرب، وشيطان الطعن والضرب، وذكر البول، أولى به من ذكر الهول. وحديث البراز أولى به من حديث البراز:

ورجالاً للوصال

إن للهجر رجالاً

قال - أدام الله علوه -: مصصت دمي من عرقي، أوليس يدري أن امتصاص الدماء من خصائص بضاعته، والتصرف في اللحوم والعظام من لوازم صناعته؟ - رحم الله - امرأ عرف قدره، ولم يتعد طوره، وشر ما في بني آدم من الخصال الذميمة، والأفعال اللثيمة، إيذاء الصغار والكبار، وإيحاش العبيد والأحرار. وهذا له - أدام الله فضله - جبلة فطر عليها، وطبيعة استرسل معها، وسجية شهر بين العامة والخاصة بها، يشتم كل يوم في منزله ومكانه، وعلى سدة داره وطرف دكانه، خلفاً كثيراً، وجماً غفيراً، من الرافعين قصصاً إليه، والعارضين عللهم عليه، فيرجعون وجفونهم تنصبو عبراتها، وقلوبهم تتصعد زفراتها، لما يلاقون من سوء خلقه، ويقاسون من خشونة نطقه، ويقفلون وألم ذلك التهجم والإعراض، والوقبة في الأحشاب والأعراض، أشد عليهم من ألم الأسقام والأمراض ولهذا جعل شخصه وصير نفسه، - مع أنه أفضل زمانه، وأعلم أولاد قرانه - ضحكة الأداني والأقاصي، وسخره للأذنان والنواصي، حتى صار بحيث إذا مشى في الأسواق تعادى صبيان البلد حوله فيسخرون منه، ويضحكون عليه، وينعرون في قفاه، ولا أقول فيه - أدام الله علوه - إلا ما قال الخليل بن أحمد الفراهيدي في ابن المقفع حين رأى كمال فضله، ونقصان عقله: علم وافر، وعقل قاصر. ومن قصور عقل ابن المقفع: أنه مر ببيت النار وكان من أولاد كسرى، فتنفس الصعداء، وتمثل ببيت الأحوص بن محمد الأنصاري:

حذر العدى وبه الفؤاد موكل

يا بيت عاتكة الذي أتعزل

فاتهم بالمجوسية، فألقى في تنور مسجور فأحرق، وما أصدق من قال: قيراط عقل، خير من قنطار فضل ومتقال حلم، أنفع من مكيال علم. أنكر - أدام الله علوه - رشاد مذهبي وإنكاره ضلال، وجدد سداد سيرتي وجوده باطل محال، فيا طير الله جمجمة فرخت فيها الأضاليل وباضت، ويا أسكت الله شقشقة دفعت منها الأباطيل وفاضت، ولا أعني بهذه الجمجمة إلا جمجمته التي لا عقل فيها، ولا أريد بهذه الشقشقة إلا شقشقته التي يباينها الصدق وينافيه. حتى متى يتهمني بظنه؟ وإلى كم يجرعني دردي دنه؟ أحسب - أدام الله علوه - أن ظنه الباطل، وخياله الفاسد، ووهمه الكاذب، وحي من السماء إلهي، أو إلهام في الحقيقة رباني، أو آية نفث بها روح القدس في روعه، لا بل هو واحد من أبناء زماننا، وهذا شر الأزمنة، عجم الشيطان عوده فاستلانه، فصير خزانة خياله مكانه، فهذه الخطرات التي تختلج في جنانه وتدور حول حسبانته من تلك الخيالات الشيطانية، لا من الإلهامات الربانية. ولقد بلغني من أفواه الرواة وألسنة الثقات، أنه - أدام الله علوه - أخذ بعين هذه التهمة الكاذبة قبل هذا واحداً من أعيان جلدته، وسكان بلدته، وهو مسعود بن المنتخب، - رحمه الله - فأغار على أهله وبيته، وتعرض لحيه وميته، وخرب دوره ورباعه، وغصب أثاثه وباعه، من غير حجة صححها، ولا بينة أوضحها، - اللهم اصرع الظالم على الهامة، وخذ منه للمظلوم حتى يرضى عنه يوم القيامة - ومما أقضى منه العجب أن عهدي به - أدام الله عزه - قد كان يخرب الأبدان، فما هو الآن يخرب الأوطان، وما أسرع الدهر إلى تغير البشر، وما أقدره على تبديل الصور والسير. قرأت في بعض الكتب أن خليفة من الخلفاء رأى في منامه أن واحداً من ندمائه وثب عليه ليقتله، فلما أصبح استدعى النديم وأمر بقتله، فقال له النديم: ماذا فعلت من الذنب حتى استوجبت هذه العقوبة؟ قال الخليفة: ما فعلت شيئاً، ولكني رأيت في المنام أنك تقتلني، فقال له النديم: إن يوسف بن يعقوب - صلوات الله وسلامه عليهما - مع كونه صديقاً نبياً احتاجت رؤياه إلى تعبيره، وافتقرت أحاديثه إلى تأويل وتفسير. أفستغني رؤياك عن مثل ذلك؟ فضحك الخليفة وخلاه. وأنا أقول: هكذا ظنون جميع ذوي الألباب، معرضة للخطأ والصواب، كأنه - أدام الله علوه - تفرد بينهم بذاته، وتوحد بعظمة صفاته، فتتزهت ظنونه عن السهو، وتقدس أحاديثه عن اللغو، عصمنا الله من الكبر البائن والعجب الشائن، أما حان أن ينتبه - أدام الله علوه - من غفلته ويستيقظ من رقدته، وقد بلغ غاية شيبه، وأخذ الموت بلحيته وجيبه، يقرع كل ساعة منادى الفناء في أذنه الصماء، أن أترك أوطانك، واهجر أهلك وجيرانك، وارحل إلى جهنم بخيلك ورجلك، فإنها قد أوقدت نيرانها لأجلك، وما حرص جهنم على شيء كحرصها على إحراق شيخ غوي، وهم غبي، سيئ الخليفة، مذموم الطريقة، يتظاهر بالإثم والعدوان، ويتبع خطوات الشيطان، وهو - أدام الله علوه - بلغ ساحل الحياة، ووقف على ثنية الوداع، وهم بحر عمره بالنضوب ومال نجم بقاءه للغروب، فما ظنه؟ هل في الحياة طمع وقد بليت جدته وفنيت مدته، وتراجع أمره، وأربي على الثمانين عمره؟:

وقد جاوزت رأس الثمانين سنة

أيرجو الفتى عوداً إلى طبيباته

كتبت هذه الأحرف على سبيل النموذج والجواب بعد في الجراب، والسيف لم يسلم من القراب فإن انزجر - أدام الله علوه - واتعظ، وترك الفضاظة والغلظ، وعاد إلى كرم العهد، وصفاء الود فأنا خادم مخلص، وعبد مطيع، وتلميذ معتقد:

وإلا فعندي للعدو وقائع

تريه المنايا لا ينادي وليدها

الحسن بن محمد المهلبى أبو محمد

قد سقطت من نسختنا أوائل الترجمة قصيدة يخاطب فيها أبا جعفر الصيمري، ويذكر المهلبى - وكان في صحبته -:

ماذا لقينا من القاطول لا هطلت
فقد سدناه وارتدت غواديه
وقد دعمنا له سكرأ سما وطما
واستفرغ الوسع حتى طم خادمك ال
نجاه منه بأراءٍ مثقفة
رميت بحراً بطودٍ فاستكانه
وما تقابل بالإقبال ممتنعاً
إلا تبدل بالعصيان إذعانا

ثم خرج معز الدولة والصيمري إلى الموصل لقتال ناصر الدولة، فاستخلف الصيمري المهلبى وأبا الحسن طازاد بن عيسى على الأمور بمدينة السلام إلى أن عاد، ثم خرج الصيمري إلى البطحاء لطلب عمران بن شاهين، واستتاب بحضرة معز الدولة أبا محمد وحده في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، فخدم أبو محمد معز الدولة خدمة خفف بها عنه وخف على قلبه، فقبله ومال إليه، وبلغ أبا جعفر ذلك فنقل عليه، فتطلب لأبي محمد الذنوب وتحمل ما أنكره عليه، وأطلق فيه لسانه بالوقية والتهدد، وبلغ أبا محمد ذلك، ففلق واستشعر النكبة والهلكة، لأنه لم طمع من معز الدولة في نصرته عليه، وعصمته منه، فما راعه إلا ورود كتاب الطائر ب وفاة الصيمري، فجلس له في العزاء، وأظهر له الحزن الشديد ولزم منزله، واستدعاه معز الدولة وأمره بالحضور وتمشية الأمور، إلى أن يقلد من يرى تقليده الوزارة وترشح للوزارة جماعة، منهم أبو علي الحسن بن هارون بن نصر، وأبو علي الحسن بن محمد الطبري، وأبو الحسن محمد بن أحمد المافروخي، وأبو عبد الله محمد بن أحمد الخوميني وبذلوا البذل، وضمنوا الأموال، ووسط أبو علي الطبري في أمره والده معز الدولة، وبذل مائتي ألف درهم عاجلة على سبيل الهدية بمطالبه معز الدولة، فحمل منه مائة وثمانين ألف درهم وقال: قد بقي بقية يسيرة إذا ظهر أمرى حملتها، فقال معز الدولة: لا أفعل إلا بعد استيفاء المال، فعلم الطبري أنه خدع، وندم على ما حمله. ثم حضر الجماعة المترشحون الخاطبون وكل منه يعتقد أنه المختار المقلد، وجلسوا في خراكة ينتظرون الإذن، ثم وصل القوم ووقفوا على مراتبهم، ودخل أبو محمد بعدهم وقام في أحيائهم، فلما تكامل الناس أسر معز الدولة إلى أبي علي الحسن بن إبراهيم الخازن قولاً لم يسمع، فمشى إلى أبي محمد المهلبى وقبل يده، وخاطبه بالأستاذية على ما كان أبو جعفر يخاطب به، وحمله إلى الخزانة فخلع عليه القباء والسيف والمنطقة.

قال هلال: قال جدي: فوالله يا بني لقد رأيت الناس على طباقاتهم ممن أسميناه ومن يتلوهم من الجند وغيرهم، والسعيد من وصل إلى يده فقبلها. وعاد أبو محمد إلى حضرة معز الدولة فخاطبه بالتعويل عليه ف تقلد وزارته وتدير دولته، وشكره أبو محمد شكراً أطال فيه، وخرج منصرفاً إلى داره، فقدم له شهري بمركب ذهب، وسار أبو محمد سبكتكين الحاجب بين يديه والقواد والناس في موكبه، وذلك لثلاث بقين من جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة، ثم جددت له الخلع من دار الخلافة بالسواد والسيف والمنطقة، فأثقلته هذه الخلع - وكان ذا جثة و الزمان صيف - وقد مشى في تلك الصحون الكثيرة، فسقط عند دخوله إلى حضرة المطيع لله ووقع على ظهره فأقيم، وظن أنه يحصر لما جرى، فقال: يا أمير المؤمنين:

خرسنوه وما درى ما خراسا
ن بلبس القباء والمزجين

ثم أكثر الشكر وأطال فيه، فاستحسن منه هذه البديهة على تلك الصورة، وركب إلى داره وجميع الجيش معه وحجاب الخلافة ومعز الدولة بين يديه، فلما كانت سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، لهج معز الدولة بذكر عمان، وحدث نفسه بأخذها، وأغراه بذلك المعروف بكرك أحد النقباء الأصاغر، فأمر المهلبى بالخروج بالخروج إليها فدافعه ووضع عليه من يزهد فيها فلم يزد إلا لجاباً، وكان أبو محمد يؤذي حاشية معز الدولة فإنه ألزمهم تقسيطاً في نفقة البناء الذي استحدثه من غير أن يخرج بأحد منهم إلى عسف، فأحفظهم فعله، فبعثوا معز الدولة على إخراجهم، فما ألح عليه ضمن له أن يستخرج من هؤلاء جملة كبيرة يستعين بها في هذا الوجه، فمكنه من ذلك بعد أن شرط عليه أخذ العفو تجنب الإحجاف، فقبض على جماعة وأخذ منهم ألفي درهم، منها خمسمائة ألف درهم من أبي علي الحسن بن إبراهيم النصراني الخازن، ومعز الدولة على غاية العناية بأمره والثقة بأنه لا مال له، وأظهر أبو علي الفقر وسوء الحال، وأنه اقترض المال الذي أداه من الناس، فشق ذلك على معز الدولة وظنه حقاً، واعتل أبو علي عقيب ذلك ومات، فاعتقد معز الدولة أن أبا محمد قتله لما عامله به، وأقبل عليه يلومه ويحلف له أنه يقيده به، فلم يلتفت أبو محمد إلى ذلك، وبادر إلى دار أبي علي وقبض على خادم له صغير كان يختصه ويثق به، ومناه ووعده، فدلّه على

دفين كان لأبي علي في الدار فاستخرج منه عدة قماقم فيها نيف وتسعون ألف دينار، وحملها إلى معز الدولة وقال له: هذا قدر أمانة خازنك الذي ظننت أنني قد قتلته باليسير الذي أخذته لك منه، وما فيه درهم من مالك، وإنما اقترضه من أولادك وحرملك وغلماذك وشنع عليك. ثم تتبع أسبابه وأخذ منهم تمام مائتي ألف دينار، وقدر أبو محمد أن معز الدولة يمكنه من الحاشية الباقين ويعفيه من الخروج فلم يفعل، وجد به جداً شديداً في الإنحدر، فأنحدر في جمادى الآخرة من سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، وتمادت أيامه بالبصرة للتأهب والاستعداد، وامتنع العسكر المجرى من ركوب البحر، فبلغ معز الدولة ذلك، فاتهمه بأنه بعث العسكر على الشغب، فكاتبه بالجد والإنكار عليه في توقفه وإلزام المسير، ووجد أعداؤه طريقاً للطعن عليه، واغتموا تنكر معز الدولة عليه، وأقاموا في نفسه أنه انحدر من مدينة السلام وهو لا يعتقد العود إليها، وأنه سيغلب على البصرة كما تغلب البريديون، وأن العسكر الذي معه والعشائر هناك على طاعة له، وعظموا عنده أحواله، فتدوخ معز الدولة بأقوالهم، وعرف أبو محمد ذلك فأطلق لسانه فيهم، وخرق الستر بينه وبينهم، وتطابقت الجماعة في المشورة على معز الدولة بالقبض عليه والإعتياض بأمواله عما يقدر حصوله من عمان، وجعلوه على ثقة من أنهم يسدون مسده، فمال إلى قولهم وكتب إلى أبي محمد يعفيه من الإتمام إلى عمان، ويرسم له الإنكفاء إلى مدينة السلام، وعلم أبو محمد بالحال، ووطن نفسه على الصبر وركوب أصعب المراكب فيه، وأن يدخل فيما دخل فيه القوم، ويتولى هو مصادرة نفسه وأصحابه وخصومه وأعدائه، وكان ملياً بذلك، فهجمت عليه علة التي مات منها، وتردد بين إفاقة ونكسة إلى أن وردت الكتب باليأس منه، فأنفذ معز الدولة حينئذ أحد ثقاته على ظاهر العيادة له، وباطب الاستظهار على ماله وحاشيته، فآلقاه في طريقه محمولاً في محفة كبيرة مملوءة بالفرش الوثيرة، ومعه فيها من يخدمه ويعله، ويتناوب في حملها جماعة من الحمالين، فلما انتهى إلى زواطا قضى نحبه ومضى لسبيله، وسقط الطائر بمدينة السلام بذلك، فقبض على أسبابه وحرمه وولده، فصودرت الجماعة، ووقع السرف في الاستقصاء عليهم، فلم يظهر لأبي محمد مال صامت ولا ذخيرة باطنة، وبانت لمعز الدولة نصيحته، وبطلان النكير عليه، وقد كان يصل إليه من حقوق الرقاب في ضياعه وما يأخذه من إقطاعه، ويستثني به على عماله مال كثير يستوفيه جهراً من غير أن توقع فيه أمانة، وبصرف جميعه في مؤنثته ونفقاته وصلاته وهباته، وإلى هدايا جلييلة كان يتكلفها لمعز الدولة في أيام النوايرز والمهاريح. وعطف معز لدولة على الجماعة يطالبهم بالضمانات التي ضمنوها فاحتجوا بوفاته، ووعدوا بالبحث عن دأئعه، وتدافعت الأيام واندرج الأمر، فكان الذي صح من مال أبي محمد ومال حرمه وأولاده وأسبابه خمسة آلاف درهم، فيها الصامت والناطق والباطن، وأثمان الغلات وارتفاق الأملاك والأموال، وأموال جماعة من التجار أخذت بالتأويلات، وكانت وفاته سبباً لصيانتها عن عاجل ابتذالهم له، وصيانتهم عن أجل بلواهم به، وكانت مدة وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر، ووفاته في يوم السبت ثلاث ليالٍ بقين من سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة. ولأبي محمد:

حمقى لهم غفلة ونوم
وليس للشامتين يوم

قضيت نحبي فسر قوم
كان يومي على حتم

قال هلال: وحدثني أبو إسحاق جدي قال: صاغ أبو محمد دواة ومرفعاً وحلاهما حلية كثيرة مشرقة وكانت ذراعاً وكسراً في عرض شبر، وكذلك كانت آلاته عظماً، حتى إن آلة دسسته مثل مخاده مساند الدسوت إلى ما يجري هذا المجرى من آلات الاستعمال، وقدمت الدواة بين يديه في مرفعها وأبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي وأنا إلى جانبه، فتذكرنا سرّاً حسن الدواة وجلالته وعظمتها، ثم قال لي: ما كان أحوجني إليها لأبيعها وأتسع بثمنها، فقلت: وأي شيء يعمل الوزير؟ قال: يدخل في حر أمه وسمع أبو محمد ما جرى بيننا بالإصغاء منه إلينا، وذهب ذاك علينا، فاجتمعت مع أبي أحمد من غد فقال لي: عرفت خبر الدواة؟ قلت: لا. قال: جاءني البارحة رسول الوزير ومعه الدواة ومرفعها، ومندبل فيه عشر قطع ثياباً حسناً وخمسة آلاف درهم وقال: الوزير يقول لك: أنا عارف بأمرك في قصور المواد عنك، وتضاعف المؤن عليك، وأنت تعرف شغلي وانقطاعي به عن كل حق يلزمي، وقد أثرتك بهذه الدواة لما ظننته من استحسانك إياها اليوم عند مشاهدتك، وحملت معها ما تجدد به كسوتك وتصرفه في بعض نفقتك، وانصرف الرسول، وبقيت متحيراً متعجباً من اتفاق ما تجارينا به أمس زحذوث هذا على أثره، وتقدم أبو محمد بصباغة دواة أخرى على شكلها ومرفع مثل مرفعها، فصيغت في أقرب مدة، ودخلنا إلى مجلسه وقد فرغ منها وتركت بين يديه وهو يوقع منها.

ونظر أبو محمد إلى وإلى أبي أحمد ونحن نلحظها فقال: هيه من منكما يريد بها بشرط الإعفاء من الدخول فجلنا وعلمنا أنه كان قد سمع قولنا. وقلنا: بل يمتع الله مولانا وسيدنا الوزير بها، ويبقيه حتى يهب ألفاً مثلها، اللهم أنت جدد الرحمة والرضوان عليه في كل ساعة، بل لحظة بل لحظة، وعلى كل نفس شريفة وهمة عالية، إنك العلي تحب معالي الأمور وأشرفها، وتبغض سفاسفها.

قال: وحدث إبراهيم بن هلال قال: كان أبو محمد المهلبى ينافس العشرة أوقات خلوته، ويبسطنا في المزح إلى أبعد غاية، فإذا جلس للعمل كان امرأ وقوراً، ومهيباً ومحذوراً، أخذاً في الجد الذي لا يتخونه نقص، ولا يتداخله ضعف، فاتفق أن صعد يوماً

من طيارة إلى داره - وقد حقنه البول وما كان يعتريه من سلسه - فقصد بعض الأخلية فوجده مقفلاً - وكذاك كانت عادته جارية في أخلية داره حفاظاً لها عن الابتذال - فأبى أن يدعو الفراش ويحضر، فقال لي متبادراً على نفسه:

فهبك طعامك استوثقت منه
فما بال الكنيف عليه قفل؟

فقلت: لعمرى إنه موضع عجب، وإذا وقع الاجتياط في الأصل فقد استغنى عنه في الفرع، فضحك وقال: أوسعتنا هجاءً. فقلت: وجدت مقالاً. فقال: اسكت يا فاعل يا صانع.

قال أبو إسحق: وأجلسني معز الدولة لأكتب بين يديه وأبو محمد المهلبى قائم فحجبنى عن الشمس، فقال: كيف ترى هذا الظل؟ فقلت: تخين. فقال: واعجباً! أحسن وتسى. وضحك! ومن شعر المهلبى:

يا هلالاً يبدوا لتهتاج نفسي
ز عم الناس أن رقك ملكي
وهزاراً يشدو فيزداد عشقي
كذب الناس أنت مالك رقي

وحدث أبو محمد المهلبى قال: كنت أيام حدثتي وقصر حالي، وصغر تصرفي أسكن داراً لطيفة - ونفسي مع ذلك تنازع في الأمور العظيمة، إلا أن الجد قاعد، والمقدور غير مساعد - فأصبحت يوماً وقد جاء المطر وازدادت الحجرة إظلاماً، وصدري بها ضيقاً، فقلت:

أنا في حجرة تجل عن الوص
هي في الصبح كالظلام وفي اللي
ل يولي الأنام عنها فرارا
أتقي عقرباً وأحذر فارا
وإذا ما الرياح هبت رخاءً
ورب عجل خرابها وأرحني
اف ويعمى البصير فيها نهارا
خلت حيطانها تميد انهيارا
من حذاري فقد مللت الحذارا

تحدث أبو الحسين هلال بن المحسن قال: حدث القاضي أبو بكر بن عند الرحمن بن خزيمة قال: كنت مع الوزير المهلبى بالأهواز، فاتفق أن حضرت عنده في يوم من شهر رمضان، والزمان صائف والحر شديد، ونحن في خيش بارد، فسمع صوت رجل ينادي على الناطف فقال: أما تسمع أيها القاضي صوت هذا البائس في مثل هذا الوقت؟ والشمس على رأسه، وحرها تحت قدميه، ونحن نقاسي في مكاننا هذا البارد ما يقاسيه من الحر؟ وأمر بإحضاره فأحضر، فرأه شيخاً ضعيفاً عليه قميص رث وهو بغير سراويل وفي رجله تاسومة مخلقة، وعلى رأسه منزر، ومعه نبيخة فيها ناطف لا تساوي خمسة دراهم، فقال له: ألم يكن لك أيها الشيخ في طرفي النهار مندوحة عن مثل هذا الوقت؟ فتنفس الرجل وقال: ما أهون على الراقد سهر الساهد! وقال:

ما كنت بائع ناطف فيما مضى
وإذا المعيل تعذرت طلباته
لكن قضيت لي ذاك أسباب القضا
رام المعاش ولو على جمر الغضا

فقال له الوزير: أراك متأدياً، فمن أين لك ذلك؟ فقال: إني أيها الوزير من أهل بيت لم يكن فيهم من صناعته ما ترى - وأسر إليه أنه من ولد معن بن زائدة - فأعطاه مائة دينار وخمسة أثواب، وجعل ذلك رسماً له في كل سنة.

وحدث القاضي أبو علي التنوخي قال: شاهدت أبا محمد المهلبى قد ابتاع له في ثلاثة أيام ورد بألف دينار فرش به مجالس وطرحة في بركة عظيمة كانت في داره، ولها فوارات عجيبة بطرح الورد في مائها وينفضه، وبعد شرايه عليه وبلوغه ما أراده منه أنهبه، ولأبي عبيد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج يرثي أبا محمد:

يا معشر اللشعراء دعوة موجه
عزوا القوافي بالوزير فإنها
مات الذي أمسى التناء وراءه
هدم الزمان بموته الحصن الذي
وتضاءلت همم المكارم والعللا
عمري لئن قادته أسباب الردى
فليعلمن بنو بويه أنما
لا يرتجى فرح السلو لديه
تبكي دماً بعد الدموع عليه
وجميل عفو الله بين يديه
كنا نفر من الزمان إليه
وانبت حبل المجد من طرفيه
مثل الجواد يقاد في شطنيه
فجعت به أيام آل بويه

ولأبي محمد المهلبى:

أمثلي يا أخي وقسيم نفسي
ويسلو سلوة من بعد بعد
يفارق عهده عند الفراق؟
وينسبه الشقيق إلى الشقاق

فأقسم بالعناق وتلك أشقى

لقد ألصقت بي طلباً قبيحاً

واوفى من يميني بالعناق

تجافى جانباه عن التصاق

وحدث أبو النجيب شداد بن إبراهيم الجزري الشاعر الملقب بالظاهر قال: كنت كثير الملازمة للوزير محمد المهلبى، فاتفق أنى غسلت ثيابي وأنفذ إلي يدعوني، فاعتذرت بعذر فلم يقبله وألح في استدعائي، فكتبت إليه:

عبدك تحت الحبل عريان

يغسل أثواباً كأن البلى

أرق من ديني إن كان لي

كأنها حالي من قبل أن

يقول من يبصرني معرضاً

هذا الذي قد نسجت فوقه

كأنه لا كان شيطان

فيها خليط وهي أوطان

دين كما للناس أديان

يصبح عندي لك إحسان

فيها ولأقوال برهان

عناكب الحيطان إنسان؟

فأنفذ لي جبة وقميصاً وعمامة وسراويل وكيساً فيه خمسمائة درهم وقال: قد أنفذت لك ما تلبسه وتدفعه إلى الخياط ليصلح لك الثياب على ما تريده، فإن كنت غسلت التكة واللالكة فعرفني لأنفذ لك عوضها. ولأبي محمد المهلبى:

ويوم كأن الشمس والغيم دونها

عروس بدت في زرقة من ثيابها

قرأت بخط المحسن بن إبراهيم الصابى: أنشدني والدي قال: أنشدني الوزير أبو محمد المهلبى لنفسه:

إذا تكامل لي ما قد ظفرت به

وقهوة لو تراها خلت رقتها

فما أبالي بما لاقى الخليفة من

وقال الصاحب بن عباد: أنشدني الأستاذ أبو محمد المهلبى لنفسه:

قال لي من أحب والبين قد جد

ما الذي في الطريق تصنع بعدي

د وفي مهجتي لهيب الحريق

قلت أبكي عليك طول الطريق؟

حدث أبو علي التنوخي قال: كان أبو محمد المهلبى يكثر الحديث على طعامه وكان طيب الحديث، وأكثره مذاكرة بالأدب وضروب الحديث على المائدة لكثرة من يجمعهم عليها من العلماء والكتاب والندماء، وكنت كثيراً ما أحضر، فقدم إليه في بعض الأيام حل قال لي: أذكرني هذا حديثاً طريفاً، وهو ما أخبرني به بعض من كان يعاشر الراسبي الأمير قال: كنت أكل معه يوماً وعلى المائدة خلق عظيم فيهم رجل من رؤساء الأكراد المجاورين لعمله، وكان ممن يقطع الطريق، ثم استأمن إليه فأمنه واختصه، وطالت أيامه معه وكان في ذلك اليوم على مائدته إذ قدم حل فألقى الراسبي منه واحدة إلى الكردي كما تلاطف الرؤساء مؤاكليهم، فأخذها الكردي فجعل يضحك، فتعجب الراسبي من ذلك وقال: ما سبب هذا الضحك وما جرى ما يوجب؟ فقال: خبر كان لي، فقال: أخبرني به، فقال: شيء ظريف ذكرته لما رأيت هذه. قال: فما هو؟ قال: كنت أيام قطع الطريق قد اجتزت في المحجة الفلانية في الجبل الفلاني وأنا وحدي في طلب من أخذ ثيابه، فاستقبلني رجل وحده، فاعترضته وصحن عليه فاستسلم إلي ووقف، فأخذت ما كان معه وطالبته أن يتعري ففعل ومضى لينصرف، فخفت أن يلقاه في الطريق من يستفزه علي فأطلب وأنا وحدي فأؤخذ، فقبضت عليه وعلوته بالسيف لأقتله، فقال: يا هذا أي شيء بيني وبينك؟ أخذت ثيابي ولا فائدة لك في قتلي، فكثفته ولم ألثفت إلى قوله، وأقبلت أقنعه بالسيف، فالتفت كأنه يطلب شيئاً فرأى حجلة قائمة على الجبل فصاح: يا حجلة أشهدي لي عند الله تعالى أني أقتل مظلوماً، فما زلت أضربه حتى قتلتته، وسرت فما دطرت هذا الحديث حتى رأيت هذه الحجلة، فذكرت حماقة هذا الرجل فضحكت، فانقلب عليه الراسبي في رأسه حرد وقال: لا جرم والله إن شهادة الحجلة عليك لا تضيع اليوم في الدنيا قبل الآخرة، وما أمنتك إلا على ما كان منك من إفساد السبيل، فاما الدماء فمعاذ الله أن أسقطها عنك يابن الفاعلة بالأمان، وقد أجرى الله على لسانك الإقرار عندي. يا غلمان اضربوا عنقه، قال: فبادر الغلمان إليه بسيوفهم يخطونه حتى تدرج رأسه بين أيديهم على المائدة وجرت جنته، ومضى الراسبي حتى أتم غداه.

قال قال أبو علي: حضرت أبا محمد في وزارته، وقد دفع إليه شاعر رقعة صغيرة فقرأها وضحك وأمر له بألف درهم، وطرح الرقعة فقرأتها وإذا فيها:

يا من إليه النفع والضر

لا تترك الدهر يظلمني

قد مس حال عبيدك الضر

ما دام يقبل قولك الدهر

قال إبراهيم بن هلال الصابي: كان أبو محمد يخطب بالأستاذية. قال أبو علي: كنت في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة ببغداد، فحضر أول يوم من شهر رمضان، فاصطحبت أنا وأبو الفتح عبد الواحد بن أبي علي الحسين بن هارون الكاتب في دار أبي الغنائم الفضل بن الوزير أبي محمد المهلبى لنهنته بالشهر عند نوجه أبيه إلى عمان، وبلغ أبو محمد إلى موضع من أنهار البصرة يعرف بعلياباذ، ففترت نيته عن الخروج إلى عمان، واستوحش معز الدولة منه وفسد رأيه فيه، واعتل المهلبى هناك، ثم أمره معز الدولة بالرجوع من علياباذ، وألا يتجاوز، وقد اشتدت علته والناس بين مرجف بأنه يقبض عليه إذا حصل بواسط أو عند دخوله إلى بغداد، وقوم يرجفون بوفاته، وخليفته إذ ذاك على الوزارة ببغداد: أبو الفضل العباس بن الحسين بن عبد الله، وأبو الفرج محمد بن العباس بن الحسين، فجئنا إلى أبي الغنائم، ودخلنا إليه وهو جالس في عرسي داره التي كانت لأبيه على دحلة على الصراة عند شباك على دجلة، وهو في دست كبير عال جالس وبين يديه الناس على طبقاتهم، فهناؤه بالشهر وجلسنا، وهو إذا ذاك صبي غير بالغ إلا أنه محصل، فلم يلبث أن جاءه أبو الفضل وأبو الفرج فدخلا إليه وهنأه بالشهر، فأجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره على طرف دسته في الموضع الذي فيه فضلة المخاد إلى الدست، ما تحرك لأحدهما ولا انزعج ولا شاركاه في الدست، وأخذا معه في الحديث، وزادت مطاولتهما، وأبو الفضل يستدعي خادم الحرم فيساره فيمضي ويعود ويخاطبه سرا، إلى أن جاءه بعد ساعة فساره فنهض، فقال له أبو الفرج: إلى أين يا سيدي؟ فقال: أهني من يجب تهنته واعدود إليك، فكن مكانك، وكان أبو الفضل زوج زينة ابنة أخت أبي الغنائم من أبيه وأمه تجني، فحين دخل واطمان قليلاً وقع الصراخ وتبادر الخدم والغلمان، ودعي الصبي وكان يتوقع أن يرد عليه خبر موت أبيه، لأنه كان عالماً بشدة علته، فقام فأمسكه أبو الفرج وقال: اجلس - وقبض عليه - وخرج أبو الفضل وقد قبض على تجني أم الصبي ووكل بها خدماً وختم الأبواب، ثم قال للصبي: قم يا أبا الغنائم إلى مولانا - يعني معز الدولة - فقد طلبك، وقد مات أبوك، فبكى الصبي وسعى إليه وعلق بدراعه وقال: يا عم الله الله في - يكررها - فضمه أبو الفضل إليه واستعبره وقال: ليس عليك بأس ولا خوف، وانحدروا إلى زبازبهم، فجلس أبو الفرج في زبزه، وجلس أبو أبو الفرج في زبزه وأجلس الغلام بين يديه، وأصعدت الزبازب تريد معز الدولة بباب الشماسية.

فقال أبو الفتح بن الحسين بن هارون: ما رأيت مثل هذا قط ولا سمعت، لعن الله الدنيا، أليس الساعة كان هذا الغلام في الصدر معظماً وخليفاً أبيه بين يديه، وما افترقا حتى صار بين أيديهما ذليلاً حقيراً، ثم جرى من المصادرات على أهله وحاشيته ما لم يجر على أحد.

قال أبو علي محمد بن وشاح الكاتب: قال لي أبو الحسن محمد بن عبيد الله بن سكرة الهاشمي من ولد المهدي: خرجت إلى الأهواز قاصداً للوزير أبي محمد الحسن بن محمد المهلبى مادحاً له، فلما وصلت إليه أنشدته:

قفي حيث انتهيت من الصدود	ولا تتعمدي قتل العميد
فقد وهواك أجل حلفي	حميت نظيرتيك من الهجوم
هجرت مقيمة وظعنت غضبي	فخربت الحديد على الحديد
فراق طعينة وفراق رأي	يكرهما علي فراق جود
ثلاث ما اجتمعن على ابن حب	صدود في صدود في صدود

قال وانصرفت، فلما كان من الغد استدعاني وقال: اسمع وأنشدني لنفسه:

أتاني في قميص اللاد يمشي	عدو لي يلقب بالحبيب
فقلت له فديتك كيف هذا	بلاواش أتيت ولا رقيب؟
فقال الشمس أهدت لي قميصاً	رقيق الجسم من شفق الغروب
فتوي والمدام ولون خدي	قريب من قريب من قريب

الحسن بن محمد بن أبي الشخباء

بن عبد الصمد بن أبي الشخباء أبو علي العسقلاني صاحب الرسائل، مات فيما ذكره علي بن بسام في كتاب الذخيرة في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة معتقلاً بمصر في خزانة البنود. وكان يلقب بالمجيد ذي الفضيلتين، أحد البلغاء الفصحاء الشعراء، له رسائل مدونة مشهورة، قيل: إن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن البيساني منها استمد، وبها اعتد، وأظنه كتب في ديوان الرسائل للمستنصر صاحب مصر، لأن في رسائله جوابات إلى الفاسييري، إلا أن أكثر رسائله أخوانيات، وما كتبه عن نفسه

إلى أصدقائه ووزراء أمراء زمانه، وها أنا أكتب منها ما سنج لتعرف قدر بضاعته، ومغزى صناعته نظماً ونثراً. قال من قصيدة:

أخذت لحاظي من جنا خديك
هيهات، إني وزنت بمهجتي
غضي جفونك وانظري تأثير ما
وهو ويك نضح دمي وعز علي أن
فسلكت في فيض الدموع مسالكاً
صانوك بالسمر اللدان وصنتهم
لو يشهرون سيوف لحظك في الوغى

وقد كتب إلى صديق له: لما حديث ركاب مولاي أخذ صبري معه، وصحبه فلبى وتبعه:

فجبت من جسم مقيم سائر
كمسير بيت الشعر وهو مقيد

وبقيت أفاقي أموراً تخف الحليم، وترعي الهشيم، إن رجوت منها غفلة اقتحمت، وإن رمت منها فرجة تضايقت والتحمت، وأما الوحشة فقد اصطحبت منها كأساً مترعة، وتجرت من صابها أم جرعة، ورأيت فؤادي إذا مر ذكر مولاي، يكاد يخرج من خدره، ويرغب في مفارقة صدره، حينئذ يجدده السماع، وصدوداً ينتفض منه الأضلاع وزفرة يدمي في غرارها، وبطلع في الترائب شرارها:

أداري شجاها كي تخلي مكانها
وهيهات ألقت رحلها واطمأنت

وأما ما أعاني بعد مسيره فأشياء: منها عيب الألم مرةً، وزوال الاستمتاع بما يعرفه من تلك المسرة، ومنها اضطراري إلى كثرة مكابرة من أعلم دخل سرائره، واختلاف باطنه وظاهره، وتكلف اللقاء له بصفحة مستبشرة، وأخلاق غير متوعدة، والله يعلم نفور طباعي ممن رآه أهل الأدب من الأدب غفلاً، ومن ذخائره مقلداً، لكن السياسة تقتضي اعتماد ما ذكرت ما ذكرت وتوجب قصد ما شرحت، وإن كان مورداً غير عذب، وثقيلاً على العين والقلب:

ولربما ابتسم الفتى وفؤاده
لشرق الضلوع برنة وعويل

ومنها انعكاس كثير من الآمال، وارتشاف الصبابة الباقية من الحال، بجوانح مصرية وشامية، وفواح أرضية وسماوية، ولا أشكو بل أسلم له مدعناً، وأرى فعله كيف تصرفت الأحوال جميلاً حسناً:

ومن لم يسلم للنوائب أصبحت
خلائقه طراً عليه نوائب

والله تعالى المسؤول أن يهب لي من قرب مولاي ما يأسو هذه الكلام، ويجد من المسرة عافى الرسوم، فجميع الحوادث، وسائر النوائب الكوارث، إذا قربت الخطوة، واستجيبت هذه الدعوة، تسمي غير مذكورة، وبجناح التجاوز مكفورة.

وكتب إلى أبي الفرج الموفقي جواباً عن رقعة: وصلت رقعة مولاي والصبح قد سل على الأفق مقضبه، وأزال بأنوار الغزالة غيبيه، فكانت بشهادة الله صبح الآداب ونهارها، وثمار البلاغة وأزهارها، قد توشحت بضروب من الفضل تقصر قاصية المدى، ويجري به في مضمار الأدب مفرداً:

فكان روض الحسن تنتثره الصبا
فأطلت من قرطاسها أتصفح

فأما ما تضمنته من وصفي، فقد صارت حضرته السامية تتسمح في الشهادة بذلك مع مناقشتها في هذه الطريقة، وإنها لا توقع ألفاظها إلا مواقع الحقيقة. فإن كنت قد بهرجت عليها فلترجع نقدها تجدني لا أستحق من ذلك الإسهاب فصلاً، ولا أعد لكلمة واحدة منه أهلاً، وبالجملة فالله ينهضني بشكر هذا الإنعام الذي يقف عنده الثناء، ويضلع، ويحصر دونه الخطيب المصقع:

هيهات تعيي الشمس كل مرامق
ويعوق دون منالها العيوق

وأما الفضل الذي أودعه الرقعة الكريمة من قوله: " فأما فلان فيحل في قومه، ويفرح بالضيوف فرح حنيفة بابن الوليد، قدوره عمارية، وعطسات جواريه أسدية، ويهوين لو خلق الرجال خلق الضباب، يتضوعن النشر العيقي، ويرضعن مراضع ثعالة المجاشعي " وما أمرت حضرته السامية من ذكر ما عندي فيه فقد تأملت طويلاً، وعثر الخادم فيه بما أنا ذاكره، رغباً في الرضا بما بلغت إليه المقدره، وتجليل ذلك بسجوف الصفح.

أما قوله: " يفرح بالضيوف فرح حنيفة بابن الوليد " فيقع لي أنه أراد خالد بن الوليد المخزومي، وذلك أن مسيلمة الحنفي كان قد تنبأ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وحديثه المشهور - فبعث إليه أبو بكر - رضي الله عنه - خالد بن الوليد المقدم ذكره

في جيش كثيف من المسلمين، ففتح اليمامة وقتل مسيلمة وأباد جماعة كثيرة من بني حنيفة. وأما قوله " قدوره عمارية " فإن هذا الفصل أما كان مبنياً على الذم وجب أن يتطلب لهذا السبب معنى يجب حمله عليه، ولم نجد ما ينسب إليه إلا قول الفرزدق:

لو أن قدراً بكت من طول ما حبست

عن الحقوق بكت قدر ابن عمار

ما مسها دسم مذ فض معدنها

ولا رأيت بعد نار اليقين من نار

وأما قوله: " عطسات جواريه أسدية " فيقوى وهمي أنه أراد قول الأول في هجائه:

إذا أسدية عطست فنكها

فإن عطاسها طرق الوداق

وأما قوله: " يهوين لو خلق الرجل خلق الضباب فإن الجاحظ ذكر في كتاب الحيوان، أن للضب أيرين وللضبة حرين، وحكى أن أير الضب أصله واحد، وإنما تفرق فيصير أعلاه اثنين، واستشهد على ذلك بقول الفرزدق:

رعين الدبا والبقل حتى كأنما

كساهن سلطان ثياب مراحل

سبحل له نركان كانا فضيلة

على كل حاف في البلاد وناعل

والنرك: اسم أير الضب. وأنشد الأصمعي لابن دزماء فيما رواه أبو خالد النميري:

تفرقتم لا زلتم قرن واحد

تفرق أير الضب والصل واحد

ومن هنا قالت حبي المدنية لما عدلها أبوها في تزوجها ابن أم كلاب:

وددت بأنه ضب وأنني

ضبيبة كدية وجدت خلاء

وأما قوله " يتضوع عن النشر " فمن أمثال العرب: هو أخسر صفقة من شيخ مهو، وهو بطن من عبد القيس بن أفسى بن دهمي بن جديلة بن أسد بن زار بن معد بن عدنان، وكان من خبره أن إياها كانت أفسى العرب، فوفد وافدهم إلى الموسم بسوق عكاظ ومعه حلة نفيسة فقال: يا معشر العرب، من يشتري مني مثلبة قوم لا تضره بحتلي هذه؟ فقال الشيخ المهوي: أنا أشتريها. فقال الإيادي: أشهدكم يا معشر العرب أنني قد بعثت فساء إياها لوافد عبد القيس بحتلي هذه، وتضافحاً متراضين وقد شهد عليهما أهل الموسم، فصارت عبد القيس أفسى العرب. وقيل لابن منذر: كيف الطريق إلى عبد القيس؟ فقال شم وم:

فإن عبد القيس من لؤمها

تفسو فساء ريحه تعبق

من كان لا يدري لها منزلاً

فقل له يمشي ويستنشق

وأما قوله: أعطش من ثعالة المجاشعي، فمن أمثال العرب فيما ذكره الكلبي قال: هما رجلان من بني مجاشع عطشا فالتقم كل واحد منهما أير صاحبه يشرب بوله، فلم يغن عنهما شيئاً، وماتتا عطشاً ووجداً على تلك الحال. قال جرير يهجو بني دارم:

رضعتم ثم بال على لحاكم

ثعالة حين لم يجدا الشرابا

هذا ما وقع لي في هذا الفصل، وأرجو أن أكون قد ذهبت إلى ما قصده قائله.

ومن كلامه يهنئ بكسر أتنز بن أوق الغزي، وكان ذلك لثمان ساعاتٍ مضين من يوم الاثنين في العشر الأخيرة من جمادى الآخرة، سنة تسع وستين وأربعمائة: " الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمة من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضلٍ عظيم " قد ارتفع الخلاف بين الكافة أن الله دخر للدولة الفاطمية - ثبت الله أركانها، من الحضرة العلية المنصورة الجبوشية - خلد الله سلطانها، من حمى سوادها، ونصر أعلامها، وضم نشرها، وحفظ سريرها ومنبرها، بعد أن كان العداء الذين ارتضعوا در أنعامها، وتوسموا بشرف أيامها، فطردت يد الاصطناع إملاقهم، وأثقلت قلائد الإحسان أعناقهم، فخفروا ذمم الولاء، وكفروا سوابغ الآلاء، ففجأتهم الحوادث من كل طريق، زنع بهم غراب الشتات والتفريق، واستباحتهم يد الشدائد " وأتى الله بنيانهم من القواعد "، ولم تزل النفوس منذ طرق أتنز اللعين هذه البلاد، وأنجم فيها الفساد، وتعدى حدود الله وكلماته، وتعرض لمساخطته ونقماته. عالمة بأن إملاء الحضرة العلية - مد الله ظلها على الكافة - لم يكن عن استعمال رخصة في هذه الحال، ولا سكون إلى عوارض من الإغفال والإهمال، بل هو أمر ركب فيه متن التدبير، وجرت بمثله المقادير، واتباع فيه قوله تعالى: " فأملت للذين كفروا، ثم أخذتهم فكيف كان نكير " وحين خدعته المطامع المردية إلى الأعمال القاهرة مؤملاً انقسام عروة الله المثينة، وأقول ما توقد من شجرة مباركة زيتونة، سكنت النفوس إلى أن الحضرة العلية - ثبت الله مجدها - ستجرد له من عزماتها الماضية ما يعجل دماره، وتنتضي له من آرائها الكاملة ما يعفي آثاره، وحين اصطدمت الرجال، وتوالت الأنباء بانكسار اللعين، وما منحته الحضرة من النصر المبين، حتى نهبت الأموال وتحكمت السيوف بحكم القاد الغالب. وأكلتهم الحرب أكل الغرثان الساغب، وأنشبت فيهم أظفارها المنية، وكسيت الأرض من دمائم حلة عسجدية، وولى المخذول على أدياره، ونكص على أعقابها بوبيل أوزارها، يخاف من نجوم الليل أن ترجمه، ومن شمس النهار أن تصطلمه، وترك ما معه يقسم يميناً وشمالاً، ومن حشده يقتل ركبناً ورجالاً، علم أن الله تعالى عناية بالدولة الزاهرة، وتحقق أن له سبحانه رعاية بالملة الطاهرة، تحوط أقطارها، وتضاعف أنوارها، ولطفاً خفياً بهذه الرعاية، ومشينة نافذة في هذه البرية، التي لولا مقام الحضرة العلية لمزق أديمها، واستبيح حريمها،

والله المحمود على ما منح من هذه النعمة، والمسؤول أن يشد ببقاء الحضرة العلية قواعد الإسلام والأقلام، ويسم بحامدها أغفال الأيام، ويستخدم لها السيوف والأقلام، حتى لا يبقى على وجه الأرض مفحص قطاة إلا وقد دوخها سنابك خيولها، ولا مسقط نواة إلا وقد ركزت فيه صدور رماحها ونصولها، فقد دفعت - أدام الله جمال الدنيا ببقائها، وأعز كمال الدين ببأسها وأصالة رأيها - خطباً جسيماً، واستلقت من السياسة أمراً عقيماً، وأعادت شمل الأمة ملموماً نظيماً " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وكان فضل الله عليك عظيماً " فأما العبد المملوك فقد تلاعبت به أيدي الأقدار، وقذفت العطلة في هوة بعيدة الأقطار، وهو يعد نفسه ويوقئها، ويسوقها ويمنيها، أن مراحم، الحضرة نصر الله أعلامها، تعيد كساد بضاعته نفاقاً، واضطرب حاله انتظاماً واتساقاً، وسكون ريحه خفوقاً، وغروب حظه شروقاً، إن شاء الله تعالى.

زكتب إلى بعض إخوانه: أغب كتاب مولاي حتى أضرم ناراً في الفؤاد، وحالف بين جفني والسهاد:
ثم وافى بلفظه الرائق العذ
وقوله أيضاً:

وقرائه متنزهاً
جمع البلاغة كلها
فالدر في منظومه
في روضه وغديره
تختال بين سطوره
والسحر في منثور

وعرفت ذكر الشوق الذي هيج أحزاناً، ونكأ قرحاً لا يندمل زماناً، وإن عندي بشهادة الله ما يضرم ناره، ويشب أواره، والله تعالى، يسهل من ألطافه الخفية ما يجمع الشمل، ويصل الحبل، ويقرب الدار، ويدني المزار، بمحمد وآله والأئمة الأطهار. وأما حالي بعده، وارتياحي إلى ما عنده، وتأسفي على الفائت من أخلاقه التي هي من الحسن أدق، ومن الماء أصفى وأرق: فحال صلب أخذ ما في فؤاده، وحولف بين طرفه وسهلاذه، فحرم لذلك لذيق رقاذه، وأما عتبه علي لتأخر كتبي عنه، وبعدها منه: فهو يعلم - حرس الله مدته - أنني إذا واصلت أو أغبيت أنه سميع لخطري، وإن غاب عن ناظري، وهو نازل بضمايري، وإن بان من بين مخالطي ومعاشري:

يا غائباً عن ناظري
لا تخش مني جفوة
وحاضراً في خاطري
فباطني كالظاهر

والله يعلم أنني لم أغفل كتابه صرماً وهجراً، ولا أهملت مجاوبته نقضاً لمودته الكريمة ولا غدراً، فإنه من العين بمكان من السواد، ومن الصدر بموضع الفؤاد، وبسبب هذا الاعتقاد وما ذكرت من محض الوداد، أثبتة أشجاناً، وأطلعته على أسراري إسراراً وإعلاناً، ثقة بوده، وتمسكاً بوثيق عهده وعقده، لو رأي فسح الله مدته، وضاعف علي مودته، لرأى صلباً قلبه خفيق، ودمعه طليق:

قلق الضمير بظبية وهنانة
الوجه طلق والوشاح مهفهف
وتبسمت عن واضح فضحت به
سطة البروق ونم منه رحيق
فلها بقلبي هزة وعلوق
والردف دعص والقوام رشيق

هذه الأبيات تغني عما أردت أن أشرحه، وتنبيء عن مكنون ما سبيلي أن أثبتته وأوضحه، والله المسؤول أن يقضي مأربي بسعادة جده، ويزيل عني ما أخشاه بتمام إقباله ومجده، وكتابه هو فسحة للصدر، ومنية ما يطلب من الدهر، ولرأيه علوه في إ مضائه إلي ووفوده علي.

وكتب إلى ابن المغربي يهنئه بالفتوح، - أدام الله بقاء سيدنا الوزير الأجل، وما سطع الصبح بعموده، وهمهم السحاب برعوده، وطلعت في الأفق أنجم سعوده -:

الدهر يضحك من بشاشة بشره
نعتده دخر العلا وعتادها
والعيش يطرب من نصارة عوده
ونراه من كرم الزمان وجوده

فقد ألبس الله الدهر من مناقب الحضرة السامية ما أخرج الأئمة، وأفاض على الكلفة من آلائها ما تملك به رق المآثر، ويعجز عنه كل ناظم ونائر، يقصر عنه لسان البليغ ويفضل عن مقلة الناظر، فما ينفك - خلد الله أيامه - يذود عن الدولة برأي صائب، وحسام قاضب يتحاسد عليه الدرع والدراعة، ويتنافس فيه الصمصامة واليراعة، والملك بين هذين متين العماد، مستبجر الثماد:

ما زال قائد كتيبة وكتيبة
شبهان من قلم ومن صمصامة
بأصيل رأي منصل وفؤاد
شهوراً ليوم ندى ويوم جلال

وما وقفت في هذا المقام موقفاً وحشياً، ولا وقع عندها موقعاً أجنياً، بل اقتفت آثار أسلاف خفقت عليهم ألوية المعالي وبنودها، ووسمت بأسمائهم جباه الممالك وخدودها، وتحيف الكرم أموالهم وهي أثينة الجناح، وذلت عزائم النوب وهي شديدة الجمال:

كتاب ملكٍ يستقيم برأيهم

أود الخلافة أو أسود الصباح

بصدور أقلام ترد إليهم

سرف الرياسة أو صدور رماح

كان العبد خدم المجلس السامي بخدمة قصدها التهنية بما فتح الله تعالى من الظفر بالعدو الذي أطاع شيطانه، ومد في مضمار الغي أشطانه، واتبع ما أسخط الله وكره رضوانه، وجرى الله على جميل عادته في زلزلة أطواده، واستئصال أحزابه وأجناده، الذين غدت الرماح تستقي مياه نحورهم، والسيوف تنتهب ودائع صدورهم، والحمام يجول عليهم كل مجال، ويستندى إليهم نوازع الأجال:

ما طال بغي قط إلا غادرت

فعلاته الأعمار غير طوال

فتح أضواء به الزمان وفتحت

فيه الأسنة زهرة الآمال

وأرجو أن يكون التوفيق قضى بوصولها، وأذن في قبولها، فيمتد ظل، ويثري مقل، ويصوب عارض مستهل.

أيعجز فضلك عن خادمٍ

وأنت بأمر الورى مستقل؟

وبحكم ما العبد عليه من تطلع الأمل القوي، وتوقع الإنعام الكسروي، عززها بهذه المناجاة، وإن كان على ثقة أن رشاه قد ألقى في الغدير القريب، ورائده قد خيم بالمرتع الخصيب:

لو رأينا التوكيد خطة عجز

ما شفطنا الأذان بالثنيب

ولع - أدام الله عزه - الرأي العالي فيه، إن شاء الله تعالى. وكتب إلى صارم الدولة بن معروف: - أدام الله بقاء الحضرة الصارمية - يجري القدر على حسب أهويتها، ويعقد الظفر بعزائم ألويتها، ويحلى بذكرها ترائب الأيام العاطلة، وينجز بكرمها عدات الحظوظ المماثلة، ما أصحب الجامح، وأضاء السماء الرامح، وعافت الماء الإبل الطوامح.

وما سحبت في مفرق الأرض ذيلها

خوافق ريح للسحاب لواقح

إذا رفض الناس المديح وطلقوا

بنات العلا زفت إليه المدائح

أيام الناس شهود مختلفة في الأقوال، وصنوف متباينة الأحوال، فيوم تؤرخ السير بسودده وسنائه، وينطق بمحامد قوم السنة أبنائه، ويوم يخبو في موقف الجد شهابه، ويعبق بمسك المدام إهابه، فالحمد لله الذي جعل الحضرة سامية عقل الخطوب العوارم، ونظام المحاسن والمكارم، يعتدها الزمن نسيم أصائله، وزهر خمائله، وشموس مشارقه، وتيجان مفارقه، فيجب على كل من ضم البراعة بنانه، وأطلق في ميدان البراعة عنانه، ألا يخلي مجلسه من مدح معروضة، وخدم مفروضة، يسهب فيها الواصف ويوجبها الإنعام المتراصف:

عسى منة تقوى على شكر منه

وهيئات أعيا البحر من هو راشف

ولو كنت لا تولي يداً مستجدةً

إلى أن توفى شكر ما هو سالف

حميت حريم المال من سطوة الندى

وغاضت وحاشاها لديك العوارف

وكم عزيمة في الشكر كانت قوية

فأضعفها إحسانك المتضاعف

رعى الله من عم البرية عدله

فأنصف مظلوم وأومن خائف

له ممن في حرب خطب عواطف

دماث وفي صدر الخطوب عواصف

فكم أهل هدته نصر الله عزائمها بعد الضلال، وحر استنقذته من حبال الإقلال، ومرهق خفقت عنه وطأة الزمن المتثاقل، وطريد بوائته من حرمها أمنع المعائل:

منازل عز لو يحل ابن مزنة

بها لسلا عما له من منازل

فيا صارماً يعطي وينسى عطاءه

ولم نر سيفاً ذا وفاء ونائل

يكاد يفيض البرق من وجناته

إذا ما أتاه سائل بوسائل

إذا هو عرى سيفه من عموده

وأفضي بفضاض من السرد ذابل

وقد صبغ النقع النهار بصيغته

ترى ناصلاً منها بياض المناصل

رأيت متون الخيل تحمل ضيغماً

مرير مذاق الكيد حلو الشمائل

يلذ له طعم الكماة كأنما

جرى الشنب المعسول فوق العواسل

وكم أخرست أطرافها من غماغم

لأقرباه واستنطقت من ثواكل

من القوم تترك لهم عند كاشح
إذا ما سروا خلف العدو وهجروا
وما ذبلت يوماً خميلة عزّة
أوائل مجدٍ لم يزل فاخراً بها
طوال ردينياتهم من طوائل
تظلل من أرماحهم في ضلائل
إذا زرعت فيها كعوب الذوايل
تميم بن مرٍّ أو كليب بن وائل

ثم جاءت مناقب الحضرة العلية، فتم بها مناقب تميم، وحكم لآل القعقاع أمر حكيم، ونصر لواء بني نصر، وأبدرت أهلة بني بدر، ونبه منبه هوازن، وظهرت مزينة ومازن، وضحك لعبس عابس الدهر، وراحت الكلمة كاملة الفخر، وزادت مغايط الأزد، وقشرت قشيراً عن بلوغ المجد، وأغمدت سيوف بني غامد، وصارت همدان كالجمر كالجمر الهامد، ومذحج كالعنس منذلة، وحمير بالراية الحمراء متظلة، وطوت طيئ عملها استخداً، وغصت جفنة جفونها استحياء - فحرس الله محاسن الحضرة السامية - التي جباه الأنام بها موسومة، وتم نعمها التي هي بينها وبين الناس مقسومة، ولا زالت الدولة الفاطمية تحمد عزائمها التي شهدت لها بمداومة الكفاءة وأنشرت من النصائح كل رميم رفات:

كأنك حين ضل الناس عنها
مزيل المال من ملك الأعادي
سبينطق بالثناء على علي
فقد له إلى بغداد قوداً
عليها كل داني الحلم ثبت
كأنهم إذا التحموا المنايا
هديت إلى رضا هادي الرعاة
وناظم شمله بعد الشتات
وعترته المناير صامتات
تجلى لحمها جنب الفرات
سفيه السيف من بعد الثبات
يقيدون الحياة من الممات

يسابقون إلى العدو الأعنة، فتطعن عزائمهم قبل الأسنة، ويقتدون بالحضرة السامية في خوض الرهج، وإرخاص المهج، وتحكل الأعباء، في موالاة أصحاب العباء - ولا سلب الله هذا الثغر وأهله -: ما وهب لهم من إنعامه الذي يتهافت إليهم متناسقاً، ويعيد غصن مجدهم ناصراً باسقاً:

إذا ما فلي الناس السماح عشقته
حمى الله من كيد الزمان خلائقاً
إذا ظلموا كانت شموساً طوالعاً
وقد زاد شهر الصوم ربعك صابحاً
تنور بالقرآن أسداف ليله
تأرج من تقواك فيه لطائم
فحش أبداً ما شوهد الأفق أورقا
إذا عد قوم للمعالي أخامصاً
وأحسن ما تسدى المكارم عاشقاً
وسعت بها يا بن الكرام خلائقاً
وإن أجدبوا كانت غيوثاً دوافعاً
له بأفاويق السعود وغابقاً
فبييض منها كل ما كان غاسقاً
يظل لها عرنين عامك ناشقاً
وراح قضيب الأيك أخضر أورقا
عددناك تيجاناً لها ومفارقاً

الحسن بن محمد بن حمدون

بن الحسن بن محمد بن حمدون أبو سعد بن أبي المعالي بن أبي سعد الكاتب. قد تقدم ذكر أبيه صاحب الديوان بهاء الدين أبي المعالي، وذكر عمه أبي نصر محمد بن الحسن كاتب الإنشاء، وكان أبو سعد هذا في حادي عشر المحرم سنة ثمان وستمئة كما نذكره فيما بعد. ومولده في صفر سنة سبع وأربعين وخمسمئة. وكان - رحمه الله - من الأدباء العلماء الذين شاهدناهم، زكي النفس، طاهر الأخلاق، عالي الهمة، حسن الصورة، مليح الشبهة، ضخم الجثة، كث اللحية طويلاً، طويل القامة، نظيف اللبسة، ظريف الشكل، وهو ممن صحبته فحمدت صحبته، وشكرت أخلاقه، وكان قد ولي عدة ولايات عاينت منها النظر في اليمارستان العسدي، وكانت هيئته فيه ومكانته منه أعظم من مكانة أرباب الولايات الكبار، لأن الناس يرونه بعين العلم والبيت القديم في الرياسة، ثم ولي عند الضرورة كتابة السكة بالديوان العزيز ببغداد، يرزق عشرة دنائير في الشهر، وسألته: فقلت حمدون الذي تنسبون إليه، أهو حمدون نديم المتوكل ومن بعده من الخلفاء؟ فقال: لا، نحن من آل سيف الدولة بن حمدان بن حمدون من بين تغلب، هذا صورة لفظه.

وكان من المحبين للكتب واقتنائها، والمبالغين في تحصيلها وشرائها، وحصل له من أصولها المتقنة وأمهاتها المعينة، ما لم يحصل أحد للكثير، ثم تقاعد به الدهر وبطل عن العمل، فرأته يخرجها ويبيعها وعيناه تذرفان بالدموع كالمفارق لأهله العزاء،

والمفجوع بأحبابه الأوداء. فقلت له: هون عليك - أدام الله أيامك - فإن الدهر ذو دول، وقد يسعف الزمان ويساعد وترجع دولة العز وتعاود، فتستخلف ما هو أحسن منها وأجود. فقال: حسبك يا بني: هذه نتيجة خمسين سنة من العمر أنفقتها في تحصيلها، وهب أن المال يتيسر. والأجل يتأخر - وهيهات - فحينئذ لا أحصل من جمعها بعد ذلك إلا على الفراق، الذي ليس بعده تلاق، وأنشد بلسان الحال:

هب الدهر أَرْضَانِي وأَعْتَبَ صَرْفَهُ وَأَعْقَبَ بِالْحَسَنِي وَفَكَ مِنَ الْأَسْرِ

فمن لي بأيام الشباب التي مضت ومن قبل بما قد مر في البؤس من عمري؟؟

ثم أدركته منيته ولم ينل أمنيته، وكان حرصاً على العلم، فجمع من أخبار العلماء، وصنف من أخبار الشعراء وألف كتباً كان لا يجسر على إظهارها خوفاً مما طرق أباه مع شدة احتراز، وبالجمل: فعاش في زمن سوء وخليفة غشوم جائر، كان إذا تنفس خاف أن يكون على نفسه رقيب يؤدي به إلى العطب، وهو كان آخر من بقي من هذا البيت القديم، والركن الدعيم، ولم يخلف إلا ابنة مزوجة من ابن الدوامي، وما أظنها معقبة أيضاً، وكان مع اغتباطه بالكتب ومناقشته فيها جواداً بإعارتها، ولقد قال لي يوماً - وقد عجبت من مسارعه إلى إعارتها للطلبة -: ما بخلت بإعارة كتاب قط ولا أخذت عليه رهناً. ولا أعلم أنه مع ذلك فقد كتباً في عارية قط. فقلت: الأعمال بالنيات، وخلوص نيتك في إعارتها لله حفظها عليك. وكتب بخطه الرائق طرائف الكتب الكثيرة الكبار والصغار المروية، وقابلها وصححها وسمعها على المشايخ. فكان ممن لقي من المشايخ: أبو بكر محمد بن عبيد الله الزاغوني، والنقيب أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العباسي المكي، وأبو حامد محمد بن الربيع الغرناطي مغربي قدم عليهم، وأبو المعالي محمد بن محمد بن النحاس العطار، ووالده أبو المعالي بن حمدون، وأبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن سليمان المعروف بابن البطي، وجماعة بعدهم كثيرة كابن كليب الحراني، وابن بوش وغيرهم.

وروى شيئاً من مسموعاته يسيراً، وكان مؤيد الدين محمد بن محمد القمي نائب الوزارة ببغداد: قد خرج إلى ناحية خوزستان حيث عصى سنجر مملوك الخليفة بها حتى قبض عليه وعاد به وفي صحبته عز الدين نجاح الشراي، فخرج الناس لتلقيه عند عوده في المحرم سنة ثمان وستمائة، وكان تاج الدين فيمن يخرج خرج لتلقيه عند عوده في المحرم سنة ثمان وستمائة، وكان عبلاً ترفاً معتاداً للدعة والراحة، ملازماً لعقر داره، وكان الحر شديداً والوقت صائفاً، فلما انتهى إلى المدائن اشتد عليه الحر وتكاثف، حتى أفضى به إلى التلف، فمات - رحمه الله - في الوقت المتقدم ذكره بالمدائن، بينه وبين بغداد سبعة فراسخ، فحمل إلى بغداد ودفن بمقبرة موسى بن جعفر بباب التين رحمه الله، ورضي عنه.

الحسن بن محمد الصغاني النحوي

ويقال صاغان - من بلاد ما وراء النهر - قدم العراق وحج، ثم دخل اليمن ونفق له بها سوق، وكان وروده إلى عدن سنة عشر وستمائة، وله تصانيف في الأدب، منها: تكملة العريزي، وكتاب في التصريف ومناسك الحج ختمه بأبيات قالها وهي:

شوقي إلى الكعبة الغراء قد زادا فاستحمل القلص الوخادة الزادا
أراقك الحنظل العامي منتجعاً وغيرك انتجع السعدان وارتادا
أتعبت سرحك حتى أض عن كتب نياقها رزحاً والصعب منقادا
فاقطع علائق ما ترجوه من نشب استودع الله أموالاً وأولادا

وكان يقرأ عليه بعدن معالم السنن للخطابي، وكان معجباً بهذا الكتاب وبكلام مصنفه ويقول: إن الخطابي جمع لهذا الكتاب جراميزه، وقال لأصحابه: احفظوا غريب أبي عبيد القاسم بن سلام، فمن حفظه ملك ألف دينار، فإني حفظته فملكته، وأشرت على بعض أصحابي بحفظه وملكها. وفي سنة ثلاث عشرة وستمائة كان بمكة، وقد رجع من اليمن وهو آخر العهد به.

الحسن بن المظفر النيسابوري

أبو علي، أديب نبيل، شاعر مصنف، ذكره أبو أحمد بن أرسلان في تاريخ خوارزم فقال: مات أبو علي الحسن بن المظفر الأديب الضرير النيسابوري ثم الخوارزمي في الرابع من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وأثنى عليه ثناء طويلاً زعم فيه أنه كان مؤدب أهل خوارزم في عصره، ومخرجهم وشاعرهم ومقدمهم والمشار إليهم منهم، وهو شيخ أبي القاسم الزمخشري قبل أبي مضر، وله نظم ونثر. وذكر أن له ولداً اسمه عمر وكنيته أبو حفص، أديب فقيه فاضل، وله شعر منه:

سبحان من ليس في السماء ولا في الأرض ند له وأشباه
أحاط بالعالمين مقتدراً أشهد أن لا إله إلا هو

وخاتم المرسلين سيدنا
أشرق الأرض بعد بعثته

أحمد رب السماء سماه
وحصص الحق من محياه

ومات أبو حفص هذا في شعبان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ووجدت للحسن بن المظفر من التصانيف: كتاب تهذيب ديوان الأدب، وكتاب تهذيب إصلاح المنطق، وكتاب ذيله على تنمة اليتيمة لم أقف على اسمه، كتاب ديوان شعره مجلدتان، كتاب ديوان رسائله، كتاب محاسن من اسمه الحسن، كتاب زيادات أخبار خوارزم. نقلت من الكتاب الذي وصل به تنمة اليتيمة، وذكر فيه أشياء من شعره ورسائله ختم بها كتابه، وهو أنه قال: الحسن بن المظفر النيسابوري مؤلف الكتاب: نيسابوري المحتد، خوارزمي المولد، وممن كان عارفاً بنفسه، غير مفتون بنظمه ونثره، فإنه سلك طريق أبي منصور الثعالبي - رحمه الله - فيما أورده من شعره في آخر كتاب تنمة اليتيمة، فأورد نبذاً مما يستحسن من كلامه، ويستبدع منظمه، فمن نثره الساذج رقعة له: عرف الله الشيخ الرئيس بركة شهر رمضان، ووفقه من طاعته لما يكتسب به من العفو، ولولا العذر الواقع من الوصول لقصدت مجلسه - أعلاه الله - بالتهنئة والتسليم وقضاء حقه العظيم، هذا - أدام الله تمكينه - وعهدي به يعدني من جملة عياله، ويخصني كل وقت بأفضاله، فليت شعري لم عدل إلى الفطام من ذلك الإنعام؟ فإن كان نسيان فقد جاءه ذكرى، وإن كان هجران فحاشاه من هجري. وله من أخرى: الشيخ يسترق الأحرار بعوائد فضله وبواديه، حتى لا حر بواديه. ومن نظمه:

أهلاً بعيش كان جد موات
أيام سرب الأنس غير منفرد
عيش تحسر ظله عنا فما
ولقد سقاني الدهر ماء حياته
لهفي لأحرار منيت ببعدهم
قد زالت البركات غنى كلها
ركن العلا والمجد والكرم الذي
فارقت طلعه المنيرة مكرهاً
أضحى وأمسي صاعداً زفراتي
وأشدد فيه لنفسه:

جبينك الشمس في الأضواء والقمر
وظلك الحرم المحفوظ ساكنه
وسيبك الرزق مضمون لكل فم
أنت الهمام بل البدر التمام بل الس
وأنت غيث الأنام المستغاث به
وأشدد نفسه:

أرى شمالاً أم نسيم من الصبا
أم الطالع المسعود طالع أرضنا
قال أبو علي الضرير: رأيت ابن هودار في المنام بعد موته فقلت له: لقد تحولت من دار إلى دار، فهل رأيت قراراً يا بن هودار؟ قال: فأجابني:

لا بل وجدت عذاباً لا انقطاع له
ومنزلاً مظلماً في قعر هاوية
فقل لأهلي موتوا مسلمين فما
مدى الليل ورباً غير غفار
قرنت فيها بكفار وفجار
للكافرين لدي الباري سوى النار

الحسن بن ميمون النصري

أحد بني نصر بن قعين بن طريف بن أسد بن خزيمة. روى عنه محمد بن النطاح، وكان أخيارياً عارفاً، ذكره محمد بن إسحاق وقال: له من الكتب كتاب الدولة، كتاب المأثر.

الحسن بن أبي المعالي

ابن مسعود بن الحسين أبو علي الحلبي المعروف بابن الباقلائي النحوي. ولد سنة ثمان وستين وخمسائة، وهو أحد أئمة العربية في العصر، سمع من أبي الفرج بن كليب وغيره، وقرأ العربية على أبي اليقاة العكبري، واللغة على أبي محمد بن المأمون، وقرأ الكلام والحكمة على الإمام نصير الدين الطوسي، وانتهت إليه الرياسة في هذه الفنون وفي علم النحو، وأخذ فقه الحنفية عن أبي المحاسن بن إسماعيل الدانغاني الحنفي، ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي، وكان ذا فهم ثاقب وحرص على العلم، وكان كثير المحفوظ - وكتب الكثير بخطه - ذا وقار مع التواضع ولين الجانب، لقيته ببغداد سنة سبع وثلاثين وستمائة، وكان آخر العهد به.

أبو الحسن البوراني النحوي

ذكره محمد بن إسحاق في نحاة المعتزلة ووصفه بالتدقيق في مسائل الكتاب لسببويه، وكان من طبقة أبي علي الفارسي.

الحسين بن أحمد بن بطويه

أبو عبد الله النحوي لا أعلم من أمره شيئاً، ومن شعره:

وماذا عليهم لو أقاموا فسلموا
سروا ونجوم الليل زهر طوالع
وأخفوا على تلك المطايا مسرهم
وقال:

وإذا الدر زان حسن وجوه
وتريدين أطيب الطيب طيباً
كان للدر حسن وجهك زينا
إن تمسيه أين مثلك أيناً؟

الحسين بن أحمد بن خالويه

ابن حمدان أبو عبد الله اللغوي النحوي من كبار أهل اللغة والعربية أصله من همدان، ودخل بغداد طالباً للعلم سنة أربع عشرة وثلثمائة، فلقى فيها أكابر العلماء وأخذ عنهم، فقرأ القرآن على الإمام ابن مجاهد، والنحو والأدب على أبي بكر بن دريد وأبي بكر بن الأنباري ونفطويه، وأخذ اللغة عن أبي عمر الزاهد، وسمع من محمد بن مخلد العطار وغيره.

وقرأ على أبي سعيد السيرافي، وأخذ عنه المعافا بن زكريا النهرواني وآخرون، وانتقل إلى الشام ثم إلى حلب فاستوطنها، وتقدم في العلوم حتى كان أحد أفراد عصره، وكانت الرحلة إليه من الآفاق، واختص بسيف الدولة بن حمدان وبنيه، وقرأ عليه آل حمدان، وكانوا يجلسونه ويكرمونه، فانتشر علمه وذاع صيته وله مع أبي الطيب المتنبي مناظرات. ودخل يوماً على سيف الدولة فلما مثل بين يديه قال له: اقعد ولم يقل اجلس. قال ابن خالويه: فعلت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب، وإطلاعه على أسرار كلام العرب. قلت " قال ابن خالويه ذلك هذا، " لأنه يقال للقائم اقعد، وللنائم والساجد اجلس ".

وقال أبو عمرو الداني في طبقات القراء: كان ابن خالويه عالماً بالعربية، حافظاً للغة، بصيراً بالقراءة ثقة مشهوراً، روى عنه غير واحد من شيوخنا عند المنعم بن غلبون، والحسن بن سليمان وغيرهما. وروى أن رجلاً جاء إلى ابن خالويه وقال له: أريد أن أتعلم من العربية ما أقيم به لساني، فقال: أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو فما تعلمت ما أقيم به لساني.

وذكر ابن خالويه في أماليه: أن سيف الدولة سأل جماعة من العلماء بحضرته ذات ليلة: هل تعرفون اسماً ممدوداً وجمعه مقصور؟ فقالوا: لا، فقال لي: ما تقول أنت؟ قلت: أنا أعرف اسمين، قال: ما هما؟ قلت: لا أقول لك إلا بألف درهم لئلا تؤخذ بلا شكر، وهما الصحراء وصحارى، وعذراء وعذارى. قال: سمعت ابن الأنباري يقول: اللثيم الراضع الذي يتخلل ويأكل خللته.

وقال: حدثنا نفطويه عن أبي الجهم عن الفراء أنه سمع أعرابياً يقول: قضت علينا السلطان. قلت: السلطان يذكر ويؤنث والتذكير

أعلى، ومن أنثه ذهب به إلى الحجة، وحكي عن أبي عمر الزاهد أنه قال في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: " إذا أكلتم فرازموا " أي افصلوا بين اللقمة والطعام باسم الله تعالى.

وحكى عنه أبو بكر الخوارزمي وهو من تلامذته أنه قال: كل عطر مائع فهو الملب، وكل عطر يابس فهو الكباء، وكل عطر يذق فهو الألنوج. ولابن خالويه من التصانيف: كتاب أسماء الأسد ذكر له فيه خمسمائة اسم، وإعراب ثلاثين سورة، والبديع في القراءات، وكتاب اشتقاق خالويه، وكتاب " ليس " وهو كتاب نفيس، وكتاب الاشتقاق، وكتاب الحمل في النحو، وكتاب المقصود والممدود، وكتاب المذكر والمؤنث، وشرح مقصورة ابن دريد، وكتاب الألفات، وكتاب الآل، ذكر في أوله أن الآل ينقسم إلى خمسة وعشرين قسماً، وذكر فيه الأئمة الاثني عشر ومواليدهم ووفياتهم وغير ذلك. مات ابن خالويه في حلب سنة سبعين وثلاثمائة. ومن شعره:

ألجود طبعي وليس لي مال
فهاك حظي فخذ اليوم تذكرةً
ككيف يبذل من القرض يحتال؟
إلى اتساعي فلي في الغيب آمال

وقال:

إذا لم يكن صدر المجالس سيداً
وكم قائل مالي رأيك راجلاً
فلا خير فيمن صدرته المجالس
فقلت له من أجل أنك فارس

وقال:

أيا سائلي عن قد محبوبتي الذي
أبى قصر الأغصان ثم رأى القنا
كلفته به وجداً وهجت غراما
طوالاً فأضحى بين ذاك قواما

الحسين بن أحمد بن محمد

ابن جعفر بن محمد المعروف بابن الحجاج الكاتب الشاعر أبو عبد الله شاعر مفلق قالوا إنه في درجة امرئ القيس، لم يكن بينهما مثلهما وإن كان جل شعره مجون وسخف، وقد أجمع أهل الأدب على أنه مخترع طريقته في الخلاعة والمجون لم يسبقه إليها أحد، ولم يلحق شأوه فيها لاحق، قدير على ما يريده من المعاني الغاية في المجون مع عذوبة الألفاظ وسلاستها، وله مع ذلك في الجد أشياء حسنة لكنها قليلة، ويدخل شعره في عشر مجلدات أكثره هزل مشوب بألفاظ المكدين والخلبيين والسطار ولكنه يسمعه أهل الأدب على علاقته، ويتفكهون بثمراته، ويستملحون بنات صدره المتهتكات، ولا يستنقلون حركاتهن لخفتها وإن بلغت في الخفة غاية الغايات.

وإني لأقول كما قال أبو منصور: لولا قول إبراهيم بن المهدي: إن جد الأدب جد وهزله هزل، لصنت كتابي هذا عن مثل هذا المجون. وحديث كله ذو شجون.

ولقد مدح الملوك والمراء والوزراء والرؤساء، فلم يخل شعره فيهم من هيبة المقام من هزل وخلاعة. فلم يعدوه مع ذلك من الشناعة، وكان عندهم مقبولاً مسموعاً غالي المهر والسعر، وكان يتحكم على الأكابر والرؤساء بخلاعته، ولا يحجب عن المراء والوزراء مع سخافته، يستقبلونه بالبشاشة والإكرام، ويقابلون إساءته بالإحسان والإنعام، وناهيك برجل يصف نفسه بمثل قوله:

رجل يدعي النبوة في السخ
جاء بالمعجزات يدعو إليها
حدث السن لم يزل يتلقى
خاطر يصفع الفرزدق في الشع
غير أنني أصبحت أضيع في القو
ف ومن ذا يشك في الأنباء
فأجيبوا يا معشر السخفاء
علمه بالمشايخ الكبراء
ر ونحو ينيك أم الكسائي
م من البدر في ليالي الشتاء

وقوله في وصف شعره:

بالله يا أحمد بن عمرو
شعر يفيض الكنيف منه
فلفظه منتن المعاني
تعرف للناس مثل شعري؟
من جانبي خاطري وفطري
كأنه فلتة بجحر

لو جد شعري رأيت فيه
وإنما هزله مجون

وقال:

فإن شعري ظريف
ألذ معنى وأشهى

وقال:

إن عاب ثعلب شعري
خرئت في باب أفعل

وقال في الأمير عز الدولة بختيار:

فديت وجه الأمير من قمر
فديت من وجهه يشككني
إن زليخا لو أبصرتك لما
ولم تقس يوسفًا إليك كما
وكان يا سيدي قميصك إن
بل وحياتي لو كنت يوسفها
لأنني عالم بأنك لو
سنقتها وانزلت تتبعها
وقد علمنا بأن سيدناال
ولم تكن تلك تشتكي أبدًا
طبعك كالماء في سهولته
إن الملوك الشباب ما خلقوا

وقال يشكو سوء وابعث بها إلى ابن العميد:

فداؤك نفس عبد أنت مولى
حديثي منذ عهدك بي طويل
فإني بين قوم ليس فيهم
فلحمني ليس تطبخه قدوري
وماء قد خلت منه جبابي
وكيسي الفارغ المطروح خلفي
أفكر في مقامي وهو صعب
فبي رمضان مختلفان حالي ال
إذا عالجت هذا جف كبدي

وقال في مثل ذلك أيضًا:

يا سيد عشت في نعم
بديهتي في الخصام حاضرة
والخط خطي كما تراه ولا ال
هذا وخيزي حاف بلا مرق
مالي ولحم إن شهوته
وما لحقي والخبز يجرحه

وقال في مثل ذلك:

كواكب الليل كيف نتسري
يمشي به في المعاش أمري

من بابة الظرفاء
من أسماع الغناء

أو عاب خفة روعي
ت من كتاب الفصيح

يجلو القذى نوره عن البصر
في أنه من سلالة البشر
ملت إلى الحشر لذة النظر
نجم السهى لا يقاس بالقمر
هربت منها ينقد من دبر
لم تك من تهمة العزيز بري
شممت ريا نسيمها العطر
ما بين تلك البيوت و الحجر
أمير ممن يقول بالبظر
ما كان من يوسف من الحذر
لكن أبو الزبرقان من حجر
إلا صلاب الفياش والكمرا

له يرجوك يا خير الموالي
فهل لك في الأحاديث الطوال؟
فتى ينهي إلى الملك اختلالي
وحوتي ليس تقليه المقالي
وخيزي قد خلت منه سلالي
بعيد العهد بالقطع الحلال
وأصعب منه عن وطني ارتحالي
عليلة منهما تمسي بحال
وإن عالجت ذلك ربا طحالي

تأوي إليها موايد العجم
أشهر في الخافقين من علم
زهرة بين القرطاس والقلم
فكيف لو ذقت لذة الدسم؟
قد تركتني لحمًا على وضم
بالملاح يشكو مرارة اللقم

خليلي قد اتسعت محنتي
عذرت عذاري في شيبه
إلى كم يخاسسني دائماً
تحيفني ظالماً غاشماً
وكننت تماسكت فيما مضى
إلى منزل لا يوارى إذا
مقيماً أروح إلى حجرة
إذا ما لم ألم صديقي به
فرشت لع فيه بسط الحدي
ومعدته في خلال الكلا
وقد فت في عضدي ما به
وأغدو غدواً خليقاً بأن
فأية دار تيممتها
وإن أنا زاحمت حتى أموت
فيرفعني الناس عند الوصول
وإن نهضوا بعد للإنصرا
وإن قدموا خيلهم للركوب
وفي جمل الناس غلمانهم
ولا لي غلام فأدعو به
وكننت مليحاً أروق العيو
وقوسني الهم حتى انطويت
وكان المزين فيما مضى
وكننت برأس كلون الغداف
ويا رب ببيضاء رود الشبا
فصارت تصد إذا أبصرت
على أنني قلت يوماً لها
دعي عنك ما فوقه عمتي
هناك سيء يسر العيو

وقال:

ويحكم يا كهول أو يا شيوخ ال
إشربوها حمراء مما اقتناها
بكؤوس كأنها ورق النس
إشربوها وكل إثم عليكم
في ليالٍ لو أنها دفعتني
وقال يستهدي أبا تغلب بن حمدان فرساً:
اسمع المدح الذي لو قيل في
جاء بهديك مهراً أدهماً
كالدجى تبصر من غرته

علي وضافت بها حيلتي
وما لمت إذ شمطت لمتي
زماني المقبح في عشرتي
وكدر بعد الصفا عيشتي
فقد خانني الدهر في مسكتي
تربعت فيه سوى سوءتي
كقبري وما حضرت ميتتي
على رغبة منه في زورتي
ث من باب بيتي إلى صفتي
م تشكو خواها إلى معدتي
ولكن به غلبت علتي
يزيد به الله في شقوتي
تيمم بوابها حجتي
دخلت وقد زهقت مهجتي
إليهم وقد سقطت عمتي
ف أسرعت في إثرهم نهضتي
خرجت فقدمت لي ركبتني
وليس سوائي في جملتي
سوى من أبوه أخو عمتي
ن قبلاً فقد قبحت خلقتي
فصرت كأني أبو جدتي
تكسر أمشاطه طرتي
فقد صرت أطلع من فيشتي
ب كانت تحن إلى وصلتي
مشيبي وتغضبت من صلعتي
وقد أمضت العزم في هجرتي
فإن جمالي ورا تكتي
ن طويل عريض على دقتي

فسق أو يا معشر الفتيان
آل دير العاقول للقربان
رين فيها شقائق النعمان
إن شربتم بالرطل في ميزاني
وسط ظهري وقعت في رمضان
أحد غيرك قالوا سرقا
يركب الفارس منه غسقا
فوق أطباق دجاء فلقا

جل أن يلحق مطلوباً ومن

فتراه واقفاً في سرجه

فإذا طاب به المشي مضى

كالسحاب الجون إلا أنه

جمع الأمرين يعدو المرطي

واستدعاه الوزير للخروج معه إلى القتال فقال من قصيدة:

يا سائلي عن بكاي حين أرى

ساعة قيل الوزير منحدر

وقلت يا نفس تصبرين وهل

شاورتها والهوى يفتتها

أهوى انحداري والحزم يكرهه

لأنني عاقل ويعجبني

الخيض نصف النهار يعجبني

والشرب في روشني أقول به

ولا أقود الخيل العتاق بلى

من كل جاموسة لعنبلها

قد نفخ الشحم جوفها فغدا

تركض مثل الحصان نافرة

أحسن في الحرب من صفوفكم

هيهات أن أحضر القتال وأن

بل الذي لا يزال يعجبني ال

الدف عند الصباح دببتي

هذا اعتقادي وهكذا أبداً

ومن مقطعاته:

ملك لو لم يكن من ملكه

لو رمى شداد فيها طرفه

وقال:

صنعت في دارك فواره

فاض على نجم السهى مأوها

وقال:

واستوفعمر الدهر في نعمة

مصيبة الحاسد في مكثها

وقال:

هذا حديثي تنمي عجائبه

أعجزني دفنه فشاع كما

وقال:

قد رفع الصلح على غلتي

لا يفلس البقال إلا إذا

وقال:

طلب الريح عليه لحقا

يتلظى من ذكاه قلعا

وهو كالريح يشق الطرقا

ليس يسفي الأرض إلا عرقا

في مدى السبق ويمشي العنقا

دموع عيني تسابق المطرا

أسرع دمعي وفاض منحدر

يعيش بعد الفراق من صبرا؟

والرأي رأي الصواب قد حضرا

وتارك الحزم يركب الغررا

لزوم بيتي وأكره السفرا

والماء بالثلج بارداً خصر

كيما أرى منه والقمر

أسوق بين الأزقة البقرا

رأس بقرنيه يفلق الحجر

كأنه بطن ناقة عشر

ومن يرد الحصان إن نفرا؟

غداً قعودي أصف الطررا

ترى بعينيك فيه لي أثرا

دبيب بالليل خاءفاً حذرا

وبوقي الناي كلما زمرا

أرى لنفسى وأنت كيف ترى؟

غير دار وشحت بالنعيم

زهده بعدها في إرم

أغرقتني الأرض بها الأنجما

فأصبحت أرضك تسقي السما

دون مداها موقف الحشر

مصيبة الخنساء في صخر

بكثرة القال فيه والقليل

أعجز قابيل دفن هابيل

واققسموها كارة كارة

تصالح السنور والفارة

عجبت من الزمان وأي شيء
يصادر قوت جردان عجاج

وقال:

عجيب لا أراه من الزمان
فيجعله لأوعال سمان

يا رائحاً في داره غادياً
قد جن أضيافك من جوعهم

وقال:

بغير معنى وبلا فائدة
فاقرأ عليهم سورة المائدة

فديت من لقنني مثل ما
إن قلت يا عرقوب خادعتني

وقال:

لقبته والحق لا يغضب
يقول لم نفسك يا أشعب

قد قلت لما غدا مدحي فما شكروا
علي نحت القوافي من معادنها

وقال:

وراح ذمي فما بالوا ولا شعروا
وما علي إذ لم تفهم البقر

الصبح مثل البصير نوراً
فليت شعري بأي رأي

وقال:

والليل في صورة الضرير
يختار أعمى على بصير؟

إن بني برمك لو شاهدوا
ما اعترف الفضل بيحيى أباً

وقال:

فعلك بالغايب والشاهد
ولا انتمى يحيى إلى خالد

مولاي يا من كل شيء سوى
إن كنت أذنبت بجهلي فقد

نظيره في الحسن موجود
أذنب واستغفر داود

ولطائف ابن الحجاج كثيرة، وفيما أوردناه منها كفاية. توفي يوم سابع عشر جمادى الآخرة، سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، ودفن في بغداد عند مشهد موسى الكاظم بن جعفر الصادق - رضي الله عنهما - وكان أوصى أن يدفن عند رجليه ويكتب على قبره: "وكلبهم بأسط ذراعيه بالوصيد". وكان من كبار شعراء الشيعة وقد رآه بعض أصحابه في المنام بعد موته فقال له: ما حالك فأنشد:

أفسد سوء مذهبي

لم يرض مولاي على

ورثاه الشريف الرضي الموسوي بقصيدة ارتجلها حين أتاه نعيه فقال:

نعوه على صن قلبي به

رضيع صفاء له شعبة

بكيك للشرد السائرا

مواسم ينهل منها الحيا

جوائف تبقى أخا ديها

تبض إلى اليوم آثارها

قعاقعهن تشن الحتوف

وما كنت أحسب أن المنون

لسان هو الأزرق القعضبى

له شفتا مبرد الهالكى

إذا لز بالعرض مبراته

يرى الموت أن قد طوى مضغة

في الشعر حسن مذهبي

سبي لأصحاب النبي

فله ماذا نعى الناعيان

من القلب مثل رصيعة اللبان

ت تعبت ألفاظها بالمعاني

بأشهر من مطلع الزبرقان

عماقاً وتعفو ندوب الطعان

بأحمر من عائد الطعن قاني

إذا هن أوعدن لا بالشنان

تقل مضارب ذاك اللسان

تمضمض في ريقه الأفعواني

أنحى بجانبه غير واني

تصدع صدع الرداء اليماني

ولم يطو إلا غرار السنان

فأين تسرعه للنضال
يشل الجوائح شل السياط
فإن شاء كان حران الجماع
يهاب الشجاع غداميره
وتعزو الملوك له خيفة
وكم صاحب كمناط الفواد
قد انتزعت يدي من المنون
فزال زيال الشباب الرطيب
ليبك الزمان طويلاً عليك

وهباته للطزال اللدان
ويلوي الجوانح لي العنان
وإن شاء كان جماع الحران
على البعد منه مهاب الجبان
إذا راع قبل اللظى بالدخان
عناني من يومه ما عناني
ولم يغن ضمي عليه بناني
وخانك يوم لقاء الغواني
فقد كنت خفة روح الزمان

الحسين بن الحسن بن واسان

ابن محمد أبو القاسم الواساني الدمشقي توفي سنة أربع وتسعين وثلاثمائة، شاعر مجيد برع وبرز في الهجاء، له فيه نفس طويل، فهو في عصره كابن الرومي في زمانه، وله أهاج كثيرة في ابن القزاز لعداوة تأصلت بينهما، وكان هجاؤه له سبباً لعزل الواساني عن عمله، ومن أجود شعره قصيدته النونية التي وصف بها دعوة عملها في خمرايا من قرى دمشق قال:

من لعين تجود بالهملان
يا خليلي أقصرا عن ملامي
ومتى ما ذكرت دعوة أبنا
فانتفا لحييتي وجزا سبالي
ما الذي ساقني لحييني إلى حت
من عذيري من دعوة أو هنت عظ
كنت في منظر ومستمع من
فترت فطنتي وهجت على نف
كان عيشي صاف فكدره أه
فارثوا لي معاشر الناس من ض
ضرب البوق في دمشق ونادوا
النفير النفير بالخيول والرج
جمعوا لي الجموع من جيل جيل
ومن الروم والصقالب والتر
ومن الهند والأعاجم والبر
لم يحاشوا ممن عدت من الآ
والبوادي من الحجاز إلى نج
كل شكل ما بين حدب وحول
وشيوخ قب البطون وشبا
كل ذي معدة تققع جوعاً
كل ذي اسم مستغرب أعجمي
كمرندي وطغتكين وطرخا
وخمار وزيرك وخوندي
وطراد وجهيل وزباد

ولقلب مدله حيران؟
وارثيا لي في نكبتني ورحماني
ء البغايا والعاهرات الزواني
وبنعلي الكثيف فاستقبلاني
في وما غالني وماذا دهاني؟
مي وهدت بوقعها أركاني؟
ها ومن ذا ينجو من الحدثان؟
سي بلاء ما كان في حساني
ل صفائي بنو أبي صفوان
ري ومن طول محنتي وامتحاني
لشقائي في سائر البلدان
ل إلى قفر ذا الفتى الواساني
ن وفرغانة ومن ديلمان
ك وبعض البلغار واليونان
بر والكيلجوج والبلقان
فاق من مسلم ولا نصراني
د معديها مع القحطاني
وأصم والعمى والعوران
ن رحاب الأثداق والمصران
وهو شاكي السلاح بالأسنان
منعت صرف اسمه علتان
ن وكسرى وخرم وطغاني
ومميش وطشلم وجوان
وشهاب وعامر وسنان

غمر جمعوا بغير عقول
هل سمعتم بمعشر جمعوا الخي
رحلوا من بيوتهم ليلة المر
شره بارد وحرص على ال
لست أنسى مصيبتني يوم جاؤو
وردوا ليلة الخميس علينا
متوال كالسيل لا يلتقي من
أشرفوا بي على زروع وأحطا
لبن فارس وخبز طري
وشواء من الجراء ومعل
وشراب ألد من زورة المع
يخلج الورد في الروائح والطع
أذكرتني جيوشهم يوم جاؤو
يقدم القوم أرحبي هريت الش
هو نمس الدجاج والبط والوز
بسواد من عظمه طبق الأر
وأبو القاسم الكبير على طر
وأخوه الصغير يعترض الخي
وهما يهويان بالساق والرج
والسري الذي سرى في جيوش
بغم واسع وشدق رحيب
وأخوه الفضل الذي بان للعا
والشمولي حلقه حلق حما
لست أنساه جاثياً جاحظ ال
كالعقاب الغرثان يقتنص اللح
والأديب الذي به كنت أعت
وكذا الكاتب الذي كان جاري
وصديق الأشراف أخنى على خم
كلما شقق الفراريح شقق
وهو من أمره مجر رخی الب
مجرهد كالسوس في الصوف في الص
قلت قل لي يابن المبشر ما شأ
ليس هذا من شهوة الأكل هذا
قلت للفيلسوف لما غدا في ال
وأستحث الكؤوس صرفاً بلا مز
ليت شعري أذاك من طب بقرا
وبهذا تزدد بالعالم الجس
ثم لا تنس ما لقيت وما سم

وازعاتٍ عني ولا أديان
يل وساروا بالرجل والفرسان
فع من أجل أكلة مجان
كل فويلي من معشر مجان
ني وقد ضاق عنهم الواديان
في خميس ملء الربا والمغاني
ه لفرط انتشاره الطرفان
ب وبیت بخيره ملآن
وقدور تغلي على الداركان
ف دجاج وفائق الحملان
شوق بعد الصدود والهجران
م ويحكي شقائق النعمان
ني بيوم الكلاب والرحرحان
شدق رحب المعى طويل اللسان
ز وذنب النعاج والخرفان
ض وخيل يهوين كالظلمان
ف كميته أقب كالسرحان
ل على قارج عريض اللبان
ل إلى ما يسوؤني مسرعان
أضعفتني وقصرت من عناني
وبكف تجول كالصولجان
لم من فضله شفا النقصان
ل عريض الأكتاف عبل الجران
عين عبوساً في صورة الغضببان
م ويهوى إلى طيور الخوان
د غزاني في الحين فيمن غزاني
وصديقي ومشتكى أحزاني
ري وأفنى بالكرع ما في دناني
ت لغيطي من فعله قمصاني
ال لم يعنه الذي قد عناني
يف بقلب خال من الإيمان
نك من بين من غزاني وشأني؟
من طريق البغضاء والشنآن
أكل أعني فتى أبي عدنان
ج ولأء كالهائم الظمان
ط تعلمته وسمع الكيان؟
مي علماً والعالم الروحاني
ت هواناً من عسكر الفرغان

أعجمي اللسان أفصح من ق
قال: قم فأتنا بخبز ولحم
و غلام مهفهف حسن الوج
لم توكل فرغان إلا بتفري
إن من أعظم المصائب ياق
رجل كالغنيق قدم بلال
بقفاً كالحديد يصمد للصف
واسع الحلق ناقص الخلق والذي
يبلغ المطجنات بلعاً بلا مض
وأتوني بزامر زمره يح
ومغن عناؤه يجشيء النف
قصدت هذه الطوائف خمرا
قلت ما شأنكم فقالوا أغثنا
وأناخوا بنا فيالك من يو
نزلوا ساحتني وأطلقت الخي
أفقروني وغادروني بلا دا
أدهشوني وحبروني وقد صر
أسمع اللفظ كالطنين فهم أل
تركوني يا قوم أجرد من فر
أكلوا لي من الجرادق ألفي
أكلوا لي ما حولها ثم مالوا
أكلوا لي من الجداء ثلاثي
أكلوا ضعفها شواءً وضعفي
أكلوا لي تبالة تبلت عق
أكلوا لي مضيرةً ضاعفت ضر
أكلوا لي كشكية كشكت قل
أكلوا لي سبعين حوتاً من النع
أكلوا لي عدلاً من المالح المق
أكلوا لي من القريشاء والبر
ألف عدلٍ سوى المصغر والبر
أكلوا لي من الكرامخ والجو
ومن البيض والمخلل ما تع
فتتوا لي من السفرجل والتف
والرياحين ما رهننت عليه
أدبلوا لي من البنفسج والنر
ذبخوا لي بالرغم يا معشر النا
ما كفاه تذيبحهم غنم الر
أكلوا كل ما حوته يميني

س إذا ما انتشى ومن سحبان
ونبيذٍ معتق في الدنان
ه يحاكي جماله غصن بان
غ دناني وصبها في القناني
م بلاني بذلك الطرمذان
ب طويل في صورة الشيطان
ع ورأس أصم كالسندان
ن غليظ القذال كالفلتان
غ ويحثو النبيذ كالعطشان
كي ضراط العبيد والرعيان
س ويأتي بالقيء والغثيان
يا ابتلاءً ونكبةً لامتحاني
ما طعمنا الطعام منذ ثمان
م عصيب من حادثات الزمان
ل بزرع الحقول والبستان
ر ولا ضيعة ولا صيوان
ت ذهولاً أهيم كالسكران
فاظهم ما لها لدى معاني
خ وأعرى ظهراً من الأفعوان
ن بدبس يسيل كالقطران
كذئاب إلى سميد الفران
ن وسبعاً بالخل والزعفران
ها طبيعاً من سائر الألوان
لي بعشر من الدجاج سمان
ري بروس الجداء والحملان
بي وهاجت بفقدها أشجاني
ر طرياً من أعظم الحيتان
لو ملقى في الخل والأذنن
ني والمعقلي والصرفان
دي واللؤلؤي والصيخاني
ز معاً والخلاط والأجبان
جز عن جمعه قرى حوران
اح والرازقي والرمان
جبتي عند أحمد الفاكهاني
جس ما ليس مثله في الجنان
س ثمانين رأس معز وضان
ية حتى أتوا على الثيران
وشمالي وما حوى جيرياني

ثم قالوا هلم شيئاً فنادي
لم تدع لي بطونكم يا بني البط
فتمالوا علي شتماً ولعناً
ثم جاء المعقبون من السا
فرايت الصراع والدفع واللط
ثم لما أتوا على كل شيء
ثم قاموا مثل البزاة إلى العص
فرايت الطيور بعضاً على بع
أكلوا ما ذكرت ثم أراقوا
ومن المحلب المطيب بالبا
شربوا لي عشرين ظرفاً من الرا
فأقاموا سواسهم والمكارو
يجمعون الأخطاب من حيث وافو

ومنها:

قطعوا اللوز والسفرجل أخطا
والنواطير مددوا وعلوهم
طالبوني " بالشيء " في آخر اللي،
قم فأسرع فبعضنا يطلب المر
فتوهمته مزاحاً فجدوا
ليس يبقى على أرامل خمرا
لو سمعتم يا قوم في غسق اللي
يتنادون بالعويل وباليوي
ومنها:

ثم راحوا بعد العشاء إلى دا
كان لي مفرش وكل مليح
وبساط من أحسن البسط مذخو
غرقوه بالبصق والقيء والبو
أوقدوا زيتنا جزافاً بلا كي
خلت داري يا إختوتي المسجد الجا
ثم لما انتهت بهم شدة الكظ
هوموا ساعة كتهويمة الخا
ثم قاموا ليلاً وقد جنح النس
يصرخون الصبح يا صاحب البي
سحبوني من عقر داري على وج

ومنها:

هل سمعتم فيما سمعتم بإنسا
أسعدوني يا إختوتي وثقتاتي
إختوتي من لواكف الدمع محزو

ت غلامي قم وبك فاخبأ حصاني
ر سواه وذا شطوب يمانى
واستباحوا عرضي بكل لسانى
سة والشاكري والعبدان
م وخرم النوف والأذان
ختموا محنتي بكسر الأواني
فور والعصفري والزربطان
ض وبعضاً ملقى على الأغصان
يا صحابي كرا من الأشنان
ن وماء الكافور سبع براني
ح لذيق المذاق أحمر قاني
ن إلى أن سمعت صوت الأذان
ها فللظهر ضاع لي غيظتان

بأ ومالوا بها على غلماني
حنقاً بالعصي والقضبان
ل وجمع النساء والمردان
د وبعض مستهتر بالغواني
قلت هذا ضرب من الهذيان
يا سوى بذلهن للضيفان
ل بكاء النسوان والولدان
ل وراء الأبواب والجدران

ري فلم يتركوا سوى الحيطان
فوقه مطرح من الميساني
ر لعرس أو دعوة أو ختان
ل فأضحى وقدره بعرتان
ل يكيلونه ولا ميزان
مع ليلاً للنصف من شعبان
ظة خروا صرعى إلى الأذقان
ئف في غير أرضه الفزعان
ر ومال السماك والفرقدان
ت فأبكوا عيني وراعوا جناني
هي كأني أدعى إلى السلطان

ن عراه في دعوة ما عراني
بدموع يجري في الأجفان
ن كئيب موله حيران؟

هائم العقل ساهر الليل باكي ال
لم يكن ذا القران إلا على شؤ
عين واهي القوى ضعيف الجنان
مي فويلي من نحس ذاك القران
والقصيدة كلها غرر ولطائف، أجاد وأحسن فيها كل الإحسان، وأبان عن مقاصده بها أحسن بيان. ومن شعر أبي القاسم أيضاً قوله:

لا تصغ للوم إن اللوم تضليل
فقد مضى القيظ واحتنت رواحله
واشرب ففي الشرب للأحزان تحويل
وطابت الراح لما آل أيلول
إلا وناظره بالطل مكحول

وقال:

ولما نضا وجه الربيع نقابه
فطارت عقول الطير لما رأيته
وفاحت بأطراف الرياض النسائم
وقد بهتت من بينهن الحمام
صدحن وفي أعناقهن التمام

وقال:

أنلني بالذي استقرضت خطأ
فإن الله خلاق البرايا
يقول: إذا تدانيتم بدين
وأشهد معشراً قد شاهدوه
عنت لجلال هيبتة الوجوه
إلى أجل مسمى فاكتبوه

وقال:

إذا دنت السحب الثقال وحثها
أحاديثه مستهولات وصوته
من الرعد حادٍ ليس يبصر أكمه
إذا انخفضت أصواتهن مقهقه
يجابوه من خلفه صاحب له

وقال يهجو منشأ بن إبراهيم القزاز:

إن منشأ قد زاد في التيه
فلا ابن هندٍ ولا ابن ذي يزن
وهو مغبط على الوصي ومن
يذكر أيام خيرير بهم
وقد حكى أن فاه أطيب من
ومن يقول القبيح فيه ومن
فسوكوه بكل طيبة الر
ومضمضوه بالخل واجتهدوا
وأطعموه من الجوارش ما
وأنهلوه من خمر معتقةٍ
واستفحقوني واستنكهوه ثروا
وأحملوا الكلب والحمار على

وقال يهجو أبا الفضل يوسف بن علي، ويعرض فيها أيضاً بمنشأ بن إبراهيم القزاز، وكانت هذه القصيدة سبب عزله عن عمله:

يا أهل جيرون هل أسامركم
بمالح كالرياض باكرها
أو مثل نظم الجمان ينظم في ال
يلذ للسامع الغناء بها
كنت على باب منزلي سحراً
وطال ليلى لحاجةٍ عرضت
إذا استقلت كواكب الحمل؟
نوء الثريا بعارض هطل
عقد ووشي البرود والحلل
على خفيف الثقل والرمل
أنتظر الشاكري يسرج لي
باكرتها والنجوم لم تنزل

فمر بي في الظلام أسود كال
أشغي له منخر ككوة
ومشفر مسبل كخر رحي
مشقق الكعب أقدع اليد والر
فأهدت الريح منه لي أرجاً
مسكاً وقفصية معتقة
فقلت ما هكذا يكون إذا انفض
أسود غادٍ من الأتون له
هذا ورب السماء أعجب من
أردده يا نصر كي أسائله
فقال يخشى فوات حاجتنا
فقلت ترك الفضول نصر وإن
بادره من قلب أن يفوتك في
فصد عني تغافلاً ومضى
وصاح من خلفه رويدك يا
إرجع إلى ذلك الرقيع وإن
أجب إذا ما سئلت مقتصداً
وهو بترك الفضول أجدر لو
فكر نحوي عجلان يعثر في
وقد مذى والمذى يقطر من
وظن أني صيد فأبرز لي
وقال لج داركم لأولجها

ومنها:

قلت له لا عدمت برك قد
لكنني والذي يمد لك ال
ما شق دبري مذ كنت فيشلة
ولا لهذا دعيت فابغ لمي
وهات قل لي من أين جئت ومن
فقال لي: بت عند عاملكم
فصاك بي طيبه وصكت به
تركته في النهار أخفش لا
قلت تطاولت واقتريت على
أبوه قسطاً وجده صمع
لعل ذا غيره فصفه فما
فإن تكن صادقاً نجوت وأنحي
وإن تكن كاذباً صفعتك بالن
فقال يا سيدي عجلت بمك
هذا الذي بت عنده نصف

أقيل عريض الأكتاف والعضل
تنور وعين كمقلة الجمل
على نيوبٍ مثل المدى عضل
رجل طويل الساقين كالسبل
مثل جني الروض في ندى خضل
شيبا بيان وعنبر شمل
ض الندامى روائح السفلى
عرف أمير نشوان ذي ثمل
حمار وحش في البر منتعل
فشأنه عضلة من العضل
وليس هذا من أكبر الشغل
أنجأك عين الخمول والكسل
مسيره بين هذه السبل
يعجب من عقله ومن خللي
أسود مالي بالعدو من قبل
أطال في هذره فلا تطل
في القول واسكت إن أنت لم تسل
سلم من خفة ومن خطل
مرط كسيه مبر غث قمل
غرموله في الذبول كالوشل
فيشلة مثل ركبة الجمل
فيك وإن كنت لم تبل قبل

بذلت ما لم يكن بمبتذل
عمر ويعطيك غاية الأمل
ولا انتخاب الأيور من عملي
لوخك من يستلذه بدلي
أين أقبلت يا أبا جعل؟
هذا أبي الفضل يوسف بن علي
مني صنناً في حدة البصل
ينظر في خدمة ولا عمل
شيخ نبيل ينمى إلى نبل
يدعى حنيناً وعمه الصملي
يخدع مثلي بهذه الحيل
ت عليه باللوم والعذل
عل فإن كنت قائلاً فقل
روهي وكان الإنسان من عجل
دون عجوز وفوق مكتهل

في فيه نتن وتحت عصعصه
 أنتن من كل ما يقال إذا
 وهو على ذاك مولع أبداً
 له إذا ما علوته نفس
 والقصيدة طويلة نحو مائة وأربعين بيتاً، وفيها من الفحش ما لا يجمل بالأديب ذكره، وفيما أوردناه كفاية، ومن شعره:

ومفهف يز هو علي بجيده
 وافي إلي وقلبه متخوف
 حتى إذا مددته وحللت عن
 فاحت على أصنة من ردفه
 فسألته ماذا فقال بحرقة
 هذا ابن بسطام أتاني طارقاً
 وعلا على ظهري ويلقم مثقي
 فبقي صنان رضابه في فقحتي
 فالله يحرمه معيشتة كما

عين تمج الصديد في دغل
 بالغ في الوصف ضارب المثل
 لشؤم بختي بالعض والقبيل
 أمضى من السيف في يدي بطل
 وبخصره وبردفه وبساقه
 كتخوف المعشوق من عشاقه
 كفّل مباح الحل بعد وثاقه
 بخلاف ما قد فاحمن أطواقه
 ودموعه تنهل من آماقه
 بلطيف حيلته وحسن نفاقه
 برياله المنهل من أشداقه
 زمناً لحاه الله بعد فراقه
 قد سد مكسب مثقي ببصاقه

الحسين بن سعد بن الحسين بن محمد

أبو علي الآمدي اللغوي الشاعر الأديب، توفي ليلة الخميس خامس ربيع الآخر سنة أربع وأربعين وأربعمائة. ولد بآمد ونشأ بها، ثم قدم بغداد فأخذ بها عن أبي يعلى الفراء، وأبي طالب بن غيلان، وأخذ بالشام عن جماعة. ودخل أصبهان فاستوطنها ومات ودفن بها، وله مؤلفات. ومن شعره:

وأهيف مهزوز القوام إذا انتنى
 بثغر كما يبدو لك الصبح باسم
 مليح الرضا والسخط تلقاه عاتباً
 ومما شجاني أنني يوم بينه
 وحملت أثقال الهوى غير حامل
 وأبرح ما لاقيته أن متلفي
 ولو أنني فيه سهرت لساهر

وقال:

أنتسب لي ذنباً ولم أك مذنباً
 وما طلبي للوصول حرص على البقا

وقال:

نوهم واشينا بليل مزاره
 فعانقته حتى اتحدنا تعانقاً

وقال:

بنفسي وروحي ذلك العارض الذي
 درى خده أني أجن من الهوى

وقال:

تصدر للتدريس كل مهوس
 فحق لأهل العلم أن يتمثلوا

بليد تسمى بالفقيه المدرس
 بببيت قديم شاع في كل مجلس

لقد هزلت حتى بدا من هزالها

كلاها وحتى سامها كل مفلس

الجزء العاشر

الحسين بن الضحاك

ابن ياسر البصري المعروف بالخليع أبو علي، أصله من خراسان، وهو مولد لولد سلمان بن ربيعة الباهلي الصحابي، فهو مولد لا باهلي النسب كما زعم ابن الجراح، بصري المولد والمنشأ، وهو شاعر ماجن، ولذلك لقب بالخليع، وعداده في الطبقة الأولى من شعراء الدولة العباسية المجيدين، ولد سنة اثنتين وستين ومائة، وتوفي في بغداد سنة خمسين ومائتين، وقد ناهز المائة، وكان شاعراً مطبوعاً حسن التصرف في الشعر، وكان أبو نواس يغير على معانيه في الخمر، فإذا قال شيئاً فيها نسبته الناس إلى أبو نواس، وله غزل كثير أجاد فيه، وهو أحد الشعراء المطبوعين الذين أغناهم عفو فرائحهم عن التكلف، وقد اتصل الحسين بن الضحاك بالخلفاء من بني العباس وندامهم، وأول من جالس منهم: محمد الأمين بن هارون الرشيد، وكان اتصاله به سنة ثمان وتسعين ومائة، وهي السنة التي قتل فيها الأمين، وتنقل بعده في مجالس الخلفاء وندامهم إلى الحين الذي مات فيه في زمن المستعين، وقيل في زمن المنتصر.

حدث الصولي عن عبد الله بن محمد الفارسي عن ثمامة بن أشرس قال: لما قدم المأمون من خراسان وصار إلى بغداد، وأمر بأن يسمى له قوم من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه، فذكر له جماعة فيهم الحسين بن الضحاك، فقرأ أسماءهم حتى بلغ إلى اسم الحسين فقال: أليس هو الذي يقول في الأمين يعني أخاه:

أبدأ وكان لغيرك التلف

هلا بقيت لسد فاقتنا

ولسوف يعوز بعدك الخلف

فلقد خلفت خلائفاً سلفوا

لا حاجة لي فيه، والله لا يراني أبداً إلا في الطريق، ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتعريضه به. قال: وانحدر إلى البصرة فاقام بها طول أيام المأمون، واستقدمه المعتصم من البصرة حين ولي الخلافة بعد موت المأمون، فلما دخل عليه استأذن في الإنشاد فأذن له، فأنشده يمدحه:

ومننت قبل فراقه بتلاق

هلا سألت تلد المشتاق

صعدا إليك وظاهر الإقلاق

إن الرقيب ليستريب تنفس الص

عبري عليك سخينة الآماق

ولئن أربت لقد نظرت بمقلة

جعل الوداع إشارة بعناق

نفسي الفداء لخائف مترقب

إلا الدموع تصان بالإطراق

إذ لا جواب لمفحم متحير

ومنها:

خصت ببهجتها أبا إسحاق

خير الوفود مبشر بخلافة

من كل مشكلة وكل شقاق

وافته في الشهر الحرام سليمة

قبل الأكف بأوكد الميثاق

أعطته صفقتها الضمان طاعة

عف الضمير مهذب الأخلاق

سكن الأنام إلى إمام سلامة

وأجار مملقها من الإملاق

فحمي رعيته ودافع دونها

متعسفين تعسف المراق

قل للألى صرفوا الوجوه عن الهدى

درب بخطم موائل الأعناق

إني أحذركم بواذر ضيغم

زجل الرعود ولا مع الإبراق

متأهب لا يستفز جنانه

بالشام غير جماجم أفلاق

لم يبق من متعزمين توثبوا

علق الأخادع أو أسير وثاق

من بين منجلد تمج عروقه

تختال بين أجرّة ودفاق

وثنى الخيول إلى معاقل قيصر

ليث هزير أهرت الأشداق

يحملن كل مشمر متعشم

والموت بين ترائب وتراق

حتى إذا أم الحصون منازل

هـرت بطارقها هـرير ثـعالـب
ثم استكانت للحصار ملوكهم
هـربت وأسلمت البلاد عشية
لم تبق غير حشاشة الأرماق
فلمّا أتمها قال له المعتصم، ادن مني، فدنا منه فملأفمه جوهراً من جواهر كان بين يديه، ثم أمره بأن يخرج من فيه، فأخرجه فأمر بأن ينظم ويدفع إليه ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه منه ويعرفوا له فضله. وحدث الصولي عن عون بن محمد الكندي قال: لما ولي المنتصر الخلافة دخل عليه الحسين بن الضحاك فهناك بالخلافة وأنشده:
تجددت الدنيا بملك محمد
هي الدولة الغراء راحت وبكرت
لعمري لقد شدت عرى الدين بيعة
هنتك أمير المؤمنين خلافة
فأظهر إكرامه والسرور به وقال له: إن في بقائك بهاءً للملك، وقد ضعفت عن الحركة، فكاتبني بحاجتك ولا تحمل على نفسك بكثرة الحركة، ووصله بثلاثة آلاف دينار ليقضي بها ديناً بلغه أنه عليه، وقال في المنتصر أيضاً وهو آخر شعر قاله:
ألا ليت شعري أبدر بدا
إمام تضمن أثوابه
حمى الله دولة سلطانه
فلا زال ما بقيت مدة
واصطبج عند عبد الله بن العباس بن الفضل وخادم له قائم بين يديه يسقيه، فقال عبد الله: يا أبا علي قد استحسنت سقي هذا الخادم، فإن حضرك شيء في هذا فقل، فقال:
أحييت صبوحى فكاهة اللاهي
فأثر الله في مكانه
بابنة كرم من كف منتطق
يسقيك من طرفه ومن يده
كأساً وكأساً كأن شاربها
وذكر الصولي في نوادره قال: حدثني علي بن محمد بن نصر قال: حدثني خالي أحمد بن حمدون قال: قال الحسين بن الضحاك من أبيات وقد عمر:
أما في ثمانين وفيتها
وقد رفع الله أقلامه
وإني لمن أسراء الإله
فإن يقض لي عملاً صالحاً
وقال:
أصبحت من أسراء الله محتسباً
إن الثمانين إذ وفيت عدتها
قلت: والأصل في قول الحسين بن الضحاك هذا، الحديث الذي رواه ابن قتيبة في غريب الحديث. قال: حدثنا أبو سفيان الغنوي، حدثنا معقل بن مالك عن عبد الرحمن بن سليمان، عن عبيد الله بن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا بلغ العبد ثمانين سنة فإنه أسير الله في الأرض، تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيئات). وقال:
وصف البدر حسن وجهك حتى
وإذا ما تنفس النرجس الغض
خدع للمنى تعللني في
وقال:
لا وحبك لا أصا
فح بالدمع مدمعا

من بكى شجوه استرا
كبدى في هواك أس
لم تدع صورة الضنى

وقال:

ألا إنما الدنيا وصال حبيب
ولم أر في الدنيا كخلوة عاشق
وقال يمدح الوزير الحسن بن سهل:
أرى الآمال غير معرجاتٍ
يباري يومه غده سماحاً
أرى حسناً تقدم مستبداً
فإن حضرتك مشكلة بشكٍ
سليل مرازبٍ ترعوا حلوماً
ملوك إن جريت بهم أبروا
ليهنك أن ما أرجيرشد
وأنتك مؤثر للحق فيما
وأنتك للجميع حيا ربيع
وقال يمدح الواثق لما ولي الخلافة:

أكتم وجدي فما ينكتم
وإني على حسن ظني به
ولي عند لحظته روعة
وقد علم الناس أنني له
وإني لمغض على لوعة
وعشية ودعت عن مدمع
فما كان عند النوى مسعد
سيذكر من بان أوطانه

ومنها في المديح:

إلى خازن الله في خلقه
ركبنا غرابيب زفافةٍ
إذا ما قصدنا لقاطولها
وصرنا إلى خير مسكونةٍ
مباركةٍ شاد بنيانها
كان بها نشر كافورةٍ
كظهر الأديم إذا ما السحا
ميراً من وحول الشتاء
فما إن يزال بها راجل
ويمشي على رسله آمناً
وللنون والضب في بطنها

ومنهم:

يضيق الفضاء به إن عدا

ح وإن كان موجعا
قم من أن تقطعا
في للسقم موضعا

وأخذك من مشمولةٍ بنصيب
وبذلة معشوق ونوم رقيب

على أحد سوى الحسن بن سهل
كلا اليومين بان بكل فضل
بيعد من رياسته وقبل
شفاك بحكمةٍ وخطاب فصل
وراح صغيرهم بسداد كهل
وعزوا أن توازيهم بعدل
وما أمضيت من قول وفعل
أراك الله في قطع ووصل
يصوب على قرارة كل محل

بمن لو شكوت إليه رحم
لأحذر إن بحت أن يحتشم
تحقق ما ظنه المتهم
محب وأحسبه قد علم
من الشوق في كبدى تضطرم
سفوح وزفرة قلب سدم
سوى الدمع يغسل طرفاً كلم
ويكي المقيمين من لم يقم

سراج النهار وبدر الظلم
بدجلة في موجهها الملتطم
ودهم قراقيرها تصطدم
تيممها راغب أو ملم
بخير المواطن خير المم
لبرد نداها وطيب النسَم
ب صاب على متنها وانسجم
إذا ما طمى وحله وارنكم
يمر الهوينا ولا يلتطم
سليم الشراك نقي القدم
مراتع مسكونة والنعم

بطودي أعاريبه والعجم

ترى النصر يقدم راياته
وفي الله دوح أعداءه
وفي الله يكظم من غيظه
رأى شيم الجود محموداً
فراح على نعم واعتدى

وقال:

إذا ما خفقن أمام العلم
وجرد فهم سيوف النقم
وفي الله يصفح عن ظلم
وما شيم الجود إلا قسم
كأن ليس يحسن إلا نعم

أتاني منك ما ليس
فأغضيت على عمدٍ
وأدبتك بالهجر
ولا ردك عما كا
فلما اضطرني المكر
تناولتك من ضري
فحركت جناح الذل
إذا لم يصلح الخير ام

على مكروهه صبر
وقد يغضي الفتى الحر
فما أدبك الهجر
ن منك النصح والزجر
ه واشتد بي الأمر
بما ليس له قدر
ل لما مسك الضر
رأ أصلحه الشر

و غضب عليه المعتصم لشيء جرى منه على النبيذ، فكتب إليه يسترضيه:

غضب الإمام أشد من أدبه
أصبحت معتصماً بمعتصم
لا والذي لم يبق لي سباً
مالي شفيع غير حرمة

وقد استجرت وعذت من غضبه
أثنى الإله عليه في كتبه
أرجو النجاة به سوى سببه
ولكل من أشفى على عطبه

الحسين بن عبد الله بن يوسف

ابن أحمد بن شبل أبو علي البغدادي. ولد في بغداد وبها نشأ، وبها توفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة. كان متميزاً بالحكمة والفلسفة، خبيراً بصناعة الطب، أديباً فاضلاً وشاعراً مجيداً، أخذ عن أبي نصر يحيى بن جرير التكريتي وغيره. وهو صاحب القصيدة الرائية التي نسبت للشيخ الرئيس ابن سينا وليست له، وقد دلت هذه القصيدة على علو كعبه في الحكمة والاطلاع على مكنوناتها، وقد سارت بها الركبان وتداولها الرواة، وهي:

بربك أيها الفلك المدار
مدارك قل لنا في أي شيء
وفيك نرى الفضاء وهل فضاء
وعندك ترفع الأرواح أم هل
وموج ذي المجرة أم فرند
وفيك الشمس رافعة شعاعاً
وطوق النجوم إذا تبدى
وأفلاذ نجومك أم حباب
وتنشر في الفضاء ليلاً وتطوى
فكم بصقالها صدئ البرايا
تبادي ثم تخنس راجعاتٍ
فبينما الشرق يقدمها صعوداً
على ذا قد مضى وعليه يمضي

أقص ذا المسير أم اضطرار؟؟
ففي أفهامنا منك انبهار؟
سوى هذا الفضاء به تدار؟
مع الأجساد يدركها البوار؟
على لجج الذراع لها مدار
بأجنحة قوادمها قصار
هلالك أم يد فيها سوار
تؤلف بينه لجج غزار
نهاراً مثلاً يطوى الإزار
وما يصدأ لها أبداً غرار
وتكنس مثلاً كنس الصوار
تلقاها من الغرب انحدار
طوال منى وأجال قصار

وأيام تعرفنا مداها
ودهر ينثر الأعمار نثراً
ودنيا كلما وضعت جنيناً
هي العشواء ما خبطت هشيم
فمن يوم بلا أمس ويوم
ومن نفسين في أخذ ورد
وكم من بعد ما كانت نفوس
ألم تك بالجوارح أنسات
فإن يك آدم أشقى بنيه
ولم ينفعه بالأسماء علم
فأخرج ثم أهبط ثم أودى
فأدركه بعلم الله فيه
ولكن بعد غفران وعفو
لقد بلغ العدو بنا مناه
وتهنا ضائعين كقوم موسى
فيا لك أكلة لا زال منها
نعاقب في الظهور وما ولدنا
وتنتظر البلايا والرزايا
ونخرج كارهين كما دخلنا
فماذا الإمتنان على وجود
وكان وجودنا خيراً لو أنا
أهذا الداء ليس له دواء
تحير فيه كل دقيق فهم
إذا التكوير غال الشمس عنا
وبدلنا بهذي الأرض أرضاً
وأذهلت المراضع عن بنيها
وغشي البدر من فرق وذعر
وسيرت الجبال فكن كتباً
فأين ثبات ذي الألباب منا
وأين عقول ذي الأفهام مما
وأين يغيب لب كان فينا
ولا أرض عصته ولا سماء
وقد وافته طائعة وكانت
قضاها سبعة والأرض مهداً
فما لسمو ما أعلى انتهاء
ولكن ذا التهويل فيه

وقال:

بنا إلى الدير كوئاً صبايات

لها أنفاسنا أبداً سفار
كما للورد في الروض انتشار
غذته من نوائبها ظوار
هي العجماء ما جرحت جبار
بغير غدٍ إليه بنا يسار
لروح المرء في الجسم انتشار
إلى أجسامها طارت وطاروا
فأعقب ذلك الأنس النفار
بذنب ماله منه اعتذار
وما نفع السجود ولا الجوار
فترب الساقيات له شعار
من الكلمات للذنب اغتفار
يعير ما تلا ليلاً نهار
وحل بآدم وبنا الصغار
ولا عجل أضل ولا خوار
علينا نقمة وعليه عار
ويذبح في حشا الأم الحوار
وبعد فلو عيد لنا انتظار
خروج الضب أخرجه الوجار
لغير الموجدین به الخيار
نخير قبله أو نستشار
وهذا الكسر ليس له انجبار؟
وليس لعمق جرحهم انسبار
وغال كواكب الأفق انتشار
وطوح بالسموات انفطار
لدهشتها وعطلت العشار
خسوف ليس يجلى أو سرار
مهيلاتٍ وسجرت البحار
وأين مع الرجوم لنا اصطبار
يراد بنا وأين الإعتبار؟
ضياؤك من سناه مستعار؟
ففيما يغول أنجمها انكدار
دخاناً ما لقاتره شرار
دحاها فهي للأموات دار
وما لعلو ما أرسى فرار
لمن يخشى اتعاط وازدجار

فلا تلمني فما تغني الملامات

لا تبعدن وإن طال الزمان بها
فكم قضينا لبانات الشباب بها
ما مكنت دولة الأيام مقبلة
قبل ارتجاع الليالي فهي عارية
قم فاجل في فلك البستان شمس ضحى
لعله إن دعا داعي الحمام بنا
بم التعلل لولا الراح في زمن
بدت تحيي فقابلنا تحيتها
مدت أشعة برق من أبارقها
فلاح في ساق ساقها خلاخل من
قد وقع الصفو سطرًا من فواقعها
خذ ما تعجل واترك ما وعدت به
وللسعادة أوقات مقدرة

وقال:

أيا جبلي نعمان بالله خليا
أجد بردها أو تشف مني حرارة
فإن الصبا ريح إذا ما تنفست

وقال:

ليكفكم ما فيكم من جوى نلقى
وحرمة وجدي لا سلوت هواكم
سأزجر قلباً رام في الحب سلوة
صحبت الهوى يا صاح حتى ألقته
فلا الصبر موجود ولا الشوق بارح
أخاف إذا ما الليل أخى سدوله
أيجمل أن أجزي من الوصل بالجفا
أحظي هذا أم كذا كل عاشق
سل الدهر عل الدهر يجمع شملنا

وقال:

إذا كان دوني من بليت بجهله
وإن كنت أدنى منه في الحلم والحجا
وإن كان مثلي في الفطنة والحجا

وقال:

وفي اليأس إحدى راحتين لذي الهوى
أعف وبني وجد وأسلو وبني جوى
وأنف أن تصطاد قلبي كاعب
فلا تنكروا عن الكريم على الأذى

وقال:

وكأنما الإنسان منا غيره
متصرف وله القضاء مصرف

أيام لهو عهدناها وليلات
غنماً وكم بقيت عندي لبانات
فانعم ولذ فإن العيش تارات
فإنما منح الدنيا غرامات
بروجها الزهر والجامات دارات
نقضي وأنفسنا منها رويات
أحياؤه في سبات الهم أموات؟
وقد عراها لخوف المزج روعات
على مقابلها منها شعاعات
تير وفي أوجه الندمان شارات
لا فارقت شارب الراح المسرات
وكن لبيباً فلملتأخير آفات
فيها السرور وللأحزان أوقات

نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها
على كبدٍ لم يبق إلا صميمها
على كبدٍ حراء قلت همومها

فمهلاً بنا مهلاً ورفقاً بنا رفقاً
ولا رمت منه لا فكاكاً ولا عتقاً
وأهجره إن لم يمت بكم عشقاً
فأضناه لي أشفى وأفناه أي لأبقى
ولا أدمعي تطفي لهيبي ولا ترقاً
على كبدي حرقاً ومن مقلتي غرقاً
فينعم طرفي والفؤاد بكم يشقي؟
يموت ولا يحيا ويظمي فلا يسقي
فلم أر ذا حالٍ على حاله يبقى

أبيت لنفسي أن أقابل بالجهل
عرفت له حق التقدم والفضل
أردت لنفسي أن أجل عن المثل

على أن إحدى راحتين عذاب
ولو ذاب مني أعظم وإهاب
بلحظٍ وأن يروي صداي رضاب
فحين تجوع الضاريات تهاب

متكون والحس منه معار
ومسير وكأنه مختار

طراً تصوبه الحظوظ وتارةً
تعمى بصيرته ويبصر بعدما
وتراه يؤخذ قلبه من صدره
فيظل يوسع بالملامة نفسه
لا يعرف الإفراط في إirاده

وقال:

تلق بالصبر ضيف الهم حيث أتى
فالخطب إن زاد يوماً فهو منتقص
فروح النفس بالتعليل ترض به

وقال:

إحفظ لسانك لا تبج بثلاثة
فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثة

وقال:

وعلى قدر عقله فاعتب المر
كم صديق بالعتب صار عدواً

وقال:

ثقلت زجاجات أتننا فرغاً
خفت فكادت أن تطير بما حوت

وقال:

تسل عن كل شيء بالحياة فقد
يعوض الله مالاً أنت متلفه

وقال:

قالوا اقناعه عز والكفاف غنىً
صدقتم من رضاه سد جوعته

وقال:

إن لم تكن تجزع من دم
أو تكن مجدت يوماً
أنا لا أصبر عمن
كل ذنب في الهوى يغ

وقال يرثي أخاه أحمد بن عبد الله بن يوسف:

غاية الحزن والسرور انقضاء
لا ليبد بأربد مات حزناً
مثل ما في التراب يبلى الفتى فال
غير أن الأموات زالوا وأبقوا
إنما نحن بين ظفر وناب
وتتمنى وفي المنى قصر العم
صحة المرء للسقام طريق
بالذي تغتذي نموت ونحيا
ما لقينا من غدر دبيا فلا كا

خطأ تحيل صوابه الأقدار
لا يسترد الفائت استبصار
ويرد فيه وقد جرى المقدار
ندماً إذا عبثت به الأفكار
حتى يبينه له الإصدار

إن الهموم ضيوف أكلها المهج
والأمر إن ضاق يوماً فهو منفرج
واعلم إلى ساعة من ساعة فرج

سر ومال ما استطعت ومذهب
بمعكر وبحاسد ومكذب

ء وحاذر برأ يصير عقوقاً
وعدو بالحلم صار صديقاً

حتى إذا مثلت بصرف الراح
وكذا الجسوم تخف بالأرواح

يهون بعد بقاء الجوهر العرض
وما عن النفس إن أتلقتها عوض

والذل والعار حرص المرء والطمع
إن لم يصبه فماذا منه يقتنع؟

عي إذا فاض فسنه
سيداً يعفو فكنه
لا يجوز الصبر عنه
فر لي ما لم أخنه

ما لحي من بعد ميت بقاء
وسلت صخر الفتى الخنساء
حزن يبلى من بعده والبيكاء
غصصاً لا يسيغها الأحياء
من خطوب أسودهن ضراء
ر فنغدو بما نسر نساء
وطريق الفناء هذا البقاء
أقتل الداء للنفوس الدواء
نت ولا كان أخذها والعطاء

يهب الصبح يسترد المساء
يام أم ليس تعقل الأشياء
ن فما للنفوس منه اتقاء
نالها الأمهات والآباء
ر فيجادنا علينا بلاء
م فقيم الأسى وقيم العناء؟
حجة العود عندها الإبداء
أنكرته الجلود والأعضاء
كيف في الغيب يستبين الخفاء؟
ظلمات وما استبان ضياء
وسموماً ذاك النسيم الرخاء
فاس ناراً تثيرها الصعداء
نت حياة يرضى بها الأعداء
عزم أين السناء أين البهلاء؟
ل وشيكاً وزال ذاك الغناء؟
في مقامٍ ما للمواضي انتضاء؟
دون سكاني في ثراك شفاء
ل وأين الحياء أين الإباء؟
دمع يوماً من صحن خدي انمحاء
أو تمت لم يمت عليك الثناء
يتمنى ومن مناه الفناء
فإلى السابقين تمضي البطء
فته عنه في برجها الجوزاء
ق بماذا تميز الأنبياء؟
ق وذو العجمة البهيم سواء
ض ولا للثقي تبكي السماء
تحت أطباق تربها البيداء
واد مجدٍ أمست عليها العفاء
ثم أخفت ضياءها الأنواء
بدء قومٍ للآخرين انتهاء

وفي الصبا وأرادوا عنه سلواني
من أين لي في الهوى الثاني صباً ثاني

وما كل من يعطي المنى بمسدد
وقلت لأيام أتين ألا ابعدني

راجع جودها عليها فمهما
ليت شعري حلماً تمر بنا الأبي
من فسادٍ يجنيه للعالم الكو
قبح الله لذة لشقانا
نحن لولا الوجود لم نألم الفق
و قليلاً ما تصحب المهجة الجس
ولقد أيد الإله عقولاً
غير دعوى قوم على الميت شيئاً
وإذا كان في العيان خلاف
ما دهانا من يوم أحمد إلا
يا أخي عاد بعذك الماء سماً
والدموع الغزار عادت من الآن
وأعد الحياة غدراً ولو كا
أين تلك الخلال والحزم أين ال
كيف أودى النعيم من ذلك الظل
أين ما كنت تنتنضي من لسان
كيف أرجو شفاء ما بي؟ وما بي
أين ذاك الرواء والمنطق الجز
إن محاسنك التراب فما للد
أو تبين لم بين قديم ودادي
شطر نفسي دفنت والشطر باق
إن تكن قدمته أيدي المنايا
يدرك الموت كل حي ولو أخ
ليت شعري وللبلال كل مخلو
موت ذي الحكمة المفضل بالنط
لا غوى لفقده تبسم الأر
كم مصابيح أوجهٍ أطفأتها
كم بدور وشموس وكم أط
كم محازة الكواكب غيم
إنما الناس قادم إثر ماض

وقال:

قالوا وقد مات محبوب فجعت به
ثانيه في الحسن موجود فقلت لهم

وقال:

ولو أنني أعطيت من دهري المنى
لقلت لأيام مضين ألا ارجعي

الحسين بع عبد الله بن رواحة

ابن إبراهيم بن عبد الله بن رواحة أبو علي الأنصاري الحموي، الأديب الفقيه الشاعر المجيد، ولد بحماة ونشأ بها، ورحل إلى دمشق فأقام بها مدة واشتغل بالفقه، وسمع الحديث من الحافظ أبي القاسم بن عساكر ومن عمه وآخرين.

ورحل إلى مصر فسمع بها وبالإسكندرية. ثم عاد إلى دمشق فشهد واقعة مرج عكا فقتل فيها شهيداً يوم الأربعاء من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسائة. وله من قصيدة مهنناً بها الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب بعيد النحر سنة اثنتين وسبعين وخمسائة، وكان السلطان مخيماً بمرج فافوس:

لقد خبر التجارب منه حزم	وقلب دهره ظهراً لبطن
فساق إلى الفرنج الخيل برأ	وأدركهم على بحر بسفن
وقد جلب الجواري بالجواري	يمدن بكل قد مرجحن
يزيدهم اجتماع الشمل بؤساً	فمرنان ينوح على مرن
ز هت إسكندرية يوم سيقوا	ودمياط إلى المينا بغبن
يرون خياله كالطيف يسري	فلو هجعوا أتاها بعد وهن
أبادهم تخوفه فأمسى	مناهم لو يبيتهم بأمن
تملك جيشاً شرقاً وغرباً	فصاروا بين مملوك ورهن
أقام بآل أيوب رباطاً	رأت منه الفرنجة ضيق سجن
رجا أقصى الملوك السلم منهم	ولم ير جهده في الحرب يغني
فألقى السلم بعد الحرب كرهاً	ولم ير من مناه سوى التمني
وقال يرثي الحافظ أبا القاسم بن عساكر، وأنشدها بجامع دمشق سنة إحدى وسبعين وخمسائة:	
ذرا السعي في نيل العلا والفضائل	مضى من إليه كان شد الرواحل
فقولا لساري البرق إنني معينه	بنار أسي أو سحب دمع هواطل
وتمزيق جلباب العزاء لفقده	بزفرة بالك أو بحسرة ثاكل
فأعلن به للركب واستوقف السرى	لقصاده من قبل طي المراحل
وقل غاب بدر التم عن أنجم الدجى	وأشرق منهم بعده كل آفل
وما كان إلا البحر غار ومن يرد	سواحل لم يلق غير الجداول
وهبكم رويتم علمه من رواته	فليس عوالي صحبه بنوازل
فقد فاتكم نور الهدى بوفاته	ونور التقى منه ونجح الوسائل
وما حظ من قد غره نصل صارم	رجا نصره من غمده والحمائل
ليبك عليه من رآه ومن حوى	هداه بأيام لديه قلائل
ويقض أسي من فاته الفضل عاجلاً	برؤيته والفوز في كل عاجل
أسفت لإرجائي قدوم أعزة	عليه وتسويف إلى عام قابل
ولو أنهم فازوا بإدراك مثله	لأزروا على سن الصبا بالأمائل
فيا لمصائب عم سنة أحمد	وأحرم منها كل راو وناقل
خلا الشام من خير خلت كل بلدة	بها من نظير للإمام ممائل
وأصبح بعد الحافظ العلم شاغراً	بلا حافظ يهذي به كل باقل
وكم من نبيه ضل مذ مات جاهه	وقدم لما أن مضى كل خامل
خلت سنة المختار من ذب ناصر	فأبسر ما لاقت بدعة جاهل
نمي للإمام الشافعي مقالة	فأصبح يثني عنه كل مجادل
وأيد قول الأشعري بسنة	فكانت عليه من أدل الدلائل
وكم قد أبان الحق في كل محفل	فأورى بما يروي ظماء المحافل

وسد من التجسيم باب ضلالة
وإن يك قد أودى فكم من أسنة
وإن مال قوم واستمالوا رعاعهم
أرى الأجر في نوحى عليه ولا أرى
وليس الذي يبكي إماماً لدينه
فيا قلب واصله بأعظم رحمة
وحى تراه الدهر أهنى تحية
أعني على نوحى عليه فإنه
ولو لم يكن بالدمع سيل لحبه
مضى من حديث المصطفى كان شاغلاً
لقد شمل الإسلام فيه رزية
وفضل بين السالفين اطلاعه
وأصبح في نقد الرجال مميزاً
وأكمل تاريخاً لخلق جامعاً
فأزرى بتاريخ الخطيب وقد عدا

ومنها:

طوى الموت منه العلم والزهد والنهي
وأفجع فيه العالمين بمقدم
وكان غيوراً ذب عن دين أحمد
وأحرم منه الدين أشرف صائن
ولم أر نقص الأرض يوماً كتنقصها
أبا القاسم الأيام قسمة حاكم
بماذا أعزى المسلمين ولا أرى
عليك سلام الله ما انتفع الورى

وقال:

إن كان يحلو لديك قتلي
عسى يطيل الوقوف بيني

وقال:

لاموا عليك وما دروا
إن كان وصل فالمنى

وعكسه فقال:

يا قلب دع عنك الهوى قسراً
أضعت دنياك بهجرانه

وقال:

وللزنبور والبازي جميعاً
ولكن بين ما يصطاد باز

الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد

ورد من التشبيه شبهة باطل
مركبة من قوله في عوامل
باضلالهم عنه فلسست بمائل
سوى الإثم في نوح البواكي الثواكل
كباك لدنياه على فقد راحل
ويا عين فاسقيه بأغزر وابل
مكررة عند الضحى والأصائل
قريب ثواء في الثرى والجنادل
لضن على لحد به كل باخل
له باجتهاد فيه عن كل شاغل
وكان له بالنصح أفضل شامل
عليهم فذب النقص عن كل فاضل
بغير نظير في الورى ومساجل
لمن جلها من كل شهم وكامل
بخطيته في الكتب أخطب قائل

وكسب المعالي واجتناب الرذائل
صبور على حرب الضلال حلال
وأدفع عنه من شجاع مقاتل
له ولدفع الزيف أعظم صائل
بموت إمام عالم ذي فضائل
قضى بالفنا فينا قضية عادل
عزاء سوى من قد مضى من أفاضل
بعلمك واستعلى على المتطاول

فزد من الهجر في عذابي
وبينك الله في الحساب

أن الهوى سبب السعادة
أو كان هجر فالشهادة

ما أنت منه حامد أمرا
إن نلت وصلاً ضاعت الأخرى

لدى الطيران أجنحة وخفق
وما يصطاده الزنبور فرق

الأستاذ مؤيد الدين أبو إسماعيل الأصبهاني المعروف بالطغراني نسبته إلى من يكتب الطغراء، وهي الطرة التي تكتب ف أعلى المناشير فوق البسمة بالقلم الجلي تتضمن اسم الملك وألقابه، وهي كلمة أعجمية محرقة من الطرة، كان آية في الكتابة والشعر، خبيراً بصناعة الكيمياء، له فيها تصانيف أضاع الناس بمزاوتها أموالاً لا تحصى، وخدم السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان، وكان منشيء السلطان محمد مدة ملكه متولي ديوان الطغراء، وصاحب ديوان الإنشاء. تشرفت به الدولة السلجوقية، وتشوقت إليه المملكة الأيوبية، وتنقل في المناصب والمراتب، وتولى الاستيفاء وترشح للوزارة، ولم يكن في الدولتين السلجوقية والإمامية من يماثله في الإنشاء سوى أمين الملك أبي نصر العتبي. وله في العربية والعلوم قدر راسخ، وله البلاغة والمعجزة في النظم والنثر. قال الإمام محمد بن الهيثم الأصفهاني: كشف الأستاذ أبو إسماعيل بذكائه سر الكيمياء، وفك رموزها واستخرج كنوزها، وله فيها تصانيف منها: جامع الأسرار وكتاب تراكيب الأنوار، وكتاب حقائق الاستشهادات وكتاب ذات الفوائد، وكتاب الرد على ابن سينا في إبطال الكيمياء، ومصابيح الحكمة، وكتاب مفاتيح الرحمة. وله ديوان شعر وغير ذلك. ولد سنة ثلاث وخمسين وأربع مائة، وقتل في الواقعة التي كانت بين السلطان مسعود بن محمود وأخيه السلطان محمود سنة خمس عشرة وخمس مائة، وقد جاوز الستين، وروي أنه لما عزم السلطان محمود على قتل الطغراني أمر به أن يشد إلى شجرة وأن يقف تجاهه جماعة بالسهم، وأن يقف إنسان خلف الشجرة يكتب ما يقول. وقال لأصحاب السهام لا ترموه حتى أشير إليكم، فوقفوا والسهم مفوقه لرميه فأنشد الطغراني في تلك الحالة:

وقد أقول لمن يسدد سهمه
والموت في لحظات أحور طرفه
بالله فتش عن فؤادي هل يرى
أهون به لو لم يكن في طيه
فرق له وأمر بإطلاقه، ثم إن الوزير أغراه بقتله بعد حين فقتله. ومن شعر مؤيد الدين الطغراني قصيدته التي تداولها الرواة وتناقلتها الألسن المعروفة بلامية العجم، وقد رأيت أن أوردتها بتمامها إعجاباً بها قال:

أصالة الرأي صاننتني عن الخطل
مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع
فيم الإقامة بالزوراء لا سكني
ناءً عن الأهل صفر الكف منفرد
فلا صديق إليه مشتكى حزني
طال اغترابي حتى حن راحلتي
وضج من لغبٍ نضوى وعج لما
أريد بسطة كفٍ أستعين بها
والدهر يعكس آمالي ويقنعني
وذي شطاطٍ كصدر الرمح معتقل
حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت
طردت سرح الكرى عن ورد مقلته
والركب ميل على الأكوار من طرب
فقلت أدعوك للجلى لتنصرني
تنام عيني وعين النجم ساهرة
فهل تعين على غي هممت به
إني أريد طروق الحي من إضيم
يحمون بالببيض والسمر اللدان به
فسر بنا في ذمام الليل معتسفاً
فالحب حيث العدا والأسد رابضة
نوم ناشئة بالجزع قد سقيت
قد زاد طيب أحاديث الكرام بها

وحلية الفضل زاننتي لدى العطل
والشمس راد الضحى كالشمس في الطفل
بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
كالسيف عري متناه عن الخلل
ولا أنيس إليه منتهى جذلي
ورحلها وقرأ العسالة الذبل
يلقى ركابي ولج الركب في عذلي
على قضاء حقوق للعلا قبلي
من الغنيمة بعد الجد بالقفل
لمثله غير هيابٍ ولا وكل
بشدة البأس منه رقة الغزل
والليل أغرى سوام النوم بالمقل
صاح وآخر من خمر الهوى ثمل
وأنت تخذلني في الحادث الجلل
وتستحيل وصبغ الليل لم تحل
والغي يزجر أحياناً عن الفشل
وقد حماه رماة من بني ثعل
سود الغدائر حمر الحلبي والحلل
فنفخة الطيب تهدينا إلى الحلل
حول الكناس لها غاب من الأسل
نصالحا بمياه الغنج والكحل
ما بالكرائم من جبن ومن بخل

تبيت نار الهوى منهن في كبدٍ
يقتلن أنضاء حبٍ لا حراك به
يشفى لدغ العوالي في بيوتهم
لعل إمامة بالجزع ثانية
لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت
ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني
ولا أحل بغز لان تغازلني
حب السلامة يثني هم صاحبه
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقاً
ودع غمار العلا للمقدمين على
يرضى الذليل بخفض العيش مسكنه
فادراً بها في نحر البيد جافلة
إن العلا حدثني وهي صادقة
لو أن في شرف المأوى بلوغ منى
أهبت بالحظ لو ناديت مستمعاً
لعله إن بدا فضلي ونقصه
أعلل النفس بالآمال أرقبها
لم أرض بالعيش والأيام مقبلة
غالى بنفسى عرفاني بقيمتها
وعادة النصل أن يزهى بجوهره
ما كنت أؤثر أن يمتد بي زماني
تقدمتني أناس كان شوطهم
هذا جزاء امرئ لأقرانه درجوا
وإن علاني من دوني فلا عجب
فاصبرلها غير محتال ولا ضجر
أعدى عدوك أدنى من وثقت به
وإنما رجل الدنيا وواحد
وحسن ظنك بالأيام معجزة
غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت
وشان صدقك عند الناس كذبهم
إن كان ينجع شيء في ثباتهم
يا وارداً سور عيش كله كدر
فيم اقتحامك لج البحر تركبه
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا
ترجو البقاء بدار لا ثبات لها
ويا خبيراً على الأسرار مطلعاً
قد رشحك لأمر لو فطنت له

وقال يسلي معين الملك فضل الله في نكبتة ويحضه على الصبر :

حرى ونار القرى منهم على القلل
ويحتوين كرام الخيل والإبل
بنهلة من غدير الخمر والعسل
يدب منها نسيم البرء في عللي
برشقة من نبال الأعين النجل
باللمح من خلل الأستار والكلل
ولو دهنتي أسود الغيل بالغيل
عن المعالي ويغري المرء بالكسل
في الأرض أو سلماً في الجو فاعتزل
ركوبها واقتنع منهن بالبلل
والعز تحت رسيم الأينق الذلل
معارضاتٍ مثاني اللحم بالجدل
فيما تحدث أن العز في التنقل
لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل
والحظ عني بالجهال في شغل
لعينه نام عنهم أو تنبه لي
ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل
فكيف أرضى وقد ولت على عجل؟
فصنتها عن رخيص القدر مبتذلي
وليس يعمل إلا في يدي بطل
حتى أرى دولة الأوغاد والسفل
وراء خطوي إذ أمشي على مهل
من قبله فتمنى فسحة الأجل
لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل
في حادث الدهر ما يغني عن الحيل
فحاذر الناس واصحبهم على دخل
من لا يعول في الدنيا على رجل
فظن شراً وكن منها على وجل
مسافة الخلف بين القول والعمل
وهل يطابق معوج بمعتدل
على العهود فسبق السيف للعذل
أنفقت صفوك في أيامك الأول
وأنت يكفيك منه مصة الوشل؟
يحتاج فيه إلى الأنصار والخول
فهل سمعت بظلٍ غير منتقل؟
اصمت ففي الصمت منجاة من الزلل
فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

تصدى وللحي المنيع
تصدى وأمر البين قد جد جده
وفي الصدر من نار الصبابة جاحم
غزال له مرعى من القلب مخصب
تنأصف فيه الحسن أما قوامه
قريب من الرائن يطمع قربه
إذا سار لحظ المرء في وجناته
ولما استقل الحي وانصدعت به
ترأى لنا وجه من الخد نير
فصبراً معين الملك إن عن حادث
ولا تيأس من صنع ربك إنه
فإن الليالي إذ يزول نعيمها
ألم تر أن الشمس بعد كسوفها
وأن الهلال النضو يغمر بعدما
ولا تحسبن السيف يقصر كلما
ولا تحسبن الدوح يقلع كلما
فقد يعطف الدهر الأبى عنانه
ويرتاش مقصوص الجناحين بعدما
ويستأنف الغصن السليب نضاراً
وللنجم من بعد الرجوع استقامة
وبعض الرزايا يوجب الشكر وقعها
ولا غرو إن أختك عليك فإنما
وأي قنائة لم ترنج كعوبها
أسأت إلى الأيام حتى وترتها
وصارفتها فيما أرادت صروفها
وما أنت السيف يسكن غمده
أمالك بالصديق يوسف أسوة
وما غض منك الحبس والذكر سائر
فلا تذعن للخطب أدك ثقله
ولا تجز عن للكلب مسك وقعه
وصنع الليالي ما عدتك سهامها
وإن امرأ تعدو الحوادث عرضه

وقال:

غزال أحم المقلتين كحيل
وزمت جمال واستقل حمول
وفي الخد من ماء الجفون مسيل
وظل صفيق الجانبين ظليل
فشطب وأما خصره فنحيل
وليس إليه للمحب سبيل
تضائل عند الطرف وهو كليل
نوى عن وداع الطاعنين عجول
وضاءت علينا نضرة وقبول
فعاقبة الصبر الجميل جميل
ضمين بأن الله سوف يديل
تبشر أن النائبات تزول
لها منظر يغشي العيون صقيل
بدا وهو شخت الجانبين ضئيل
تعاوده بعد المضاء كلول
يمر به نفح الصبا فيميل
فيشفي عليل أو يبيل غليل
تساقط ريش واستطار نسيل
فيورق ما لم يعتوره ذبول
وللحظ من بعد الذهاب قفول
عليك وأحداث الزمان شكول
يصادم بالخطب الجليل جليل
وأي حسام لم يصبه فلول؟
فعندك أضغان بها وذحول
ولولاك كانت تنتحي وتصول
ليردى به يوم النزال قتيل
فتحمل وطء الدهر وهو ثقليل؟
طليق له في الخافقين زميل
فمئلك للأمر العظيم حمول
فإن خلاخيل الرجال كبول
وإن أجحفت بالعالمين جميل
ويأسى لما يأخذنه لبخيل

منها فما أحتاج أن أتعلما
علماً أنار لي البهيم المظلم
ما زال ظناً ف الغيوب مرجما
كشفت لي السر الخفي المبهما
من حكمتي تشفي القلوب من العمى

أما العلوم فقد ظفرت ببغيته
وعرفت أسرار الخليفة كلها
وورثت هرمس سر حكمته الذي
وملكت مفتاح الكنوز بحكمة
لولا التقية كنت أظهر معجزاً

أهوى التكرم والتظاهر بالذي
وأريد لا ألقى غيباً موسراً
والناس إما جاهل أو ظالم

وقال:

علمته والعقل ينهي عنهما
في العالمين ولا لبيباً معدماً
فمتى أطيق تكراً وتكلماً؟

فأشعلت ما خبا من نار أشجاني
فذكرتني أوطاري وأوطاني
أضحت تجدد وجد الموثق العاني
هيهات ما نحن في الحاليين سيان
من نار قلبي ولا من ماء أجفاني
خضراء تلتف أغصاناً بأغصان
ناءً عن الهل ممني بهجران
وجداً بوجدٍ وسلواناً بسلوان
مني اللبالي ولا تدرين ما شاني
دمعاً كدمعي وإرناناً كإرنائي

أيكية صدحت شجواً على فنن
ناحت وما فقدت إنساً ولا فجعت
طليقة من إसार الهم ناعمة
تشبهت بي في وجدٍ وفي طربٍ
ما في حشاها ولا في جفنها أثر
يا ربة البانة الغناء تحضنها
إن كان نوحك إسعاداً لمغترب
فقارضيني إذا ما اعتادني طرب
ما أنت مني ولا يعنيك ما أخذت
كلي إلى السحب إسعادي فإن لها

وقال:

حنانك قد أدميت كلمي يا نضو
بأنك مما تشتهي كبدي خلو
وما يستوي الريف العراقي والبدو
ومثلي ماء المزن مورده صفو
إليها المهاري بالعوالي ولم يلوا
فحتام؟ أصبو نحو من لا له نحو
وشجو قديم ليس يشبهه شجو
وسقم ولا برء وسكر ولا صحو
وسم زعاف طعمه في فمي حلو
ولا هدني شجو ولا هزني شدو

أقول لنضوي وهي من شجني خلو
تعالى أفاسمك الهموم لتعلمي
تريدين مرعى الريف والبدو أبتغي
هناك هبوب الريح مثلك لا عب
ومحجوبة لو هبت الريح أرقلت
صوت إليها وهي ممنوعة الحمى
هوى ليس يسلى القرب عنه ولا النوى
فأسر ولا فك ووجد ولا أسى
عناء معن وهو عندي راحة
ولولا الهوى ما شاقني لمع بارق

وقال:

أضنى طارفاً شكا أم تليداً؟
فأبت وهي تشتهي أن تعودا
رقبة الحي والمزار البعيدا
أن أمالت علي عطفاً وجيداً
ويح هذا الشباب غضا جديدا
زيدت جمرة الفؤاد وقودا
زفرات أبين إلا صعودا

خبروها أنني مرضت فقالت
وأشاروا بأن تعود وسادي
وأنتني في خفية وهي تشكو
ورأتني كذا فلم تتمالك
ثم قالت لتربها وهي تبكي
زورة ما شفت عليلاً ولكن
وتولت بحسرة البين تخفي

وقال:

لا ريب في ذاك ولا شك
ختامه من خاله مسك

أنظر ترى الجنة في وجهه
أما ترى فيه الرحيق الذي

الحسين بن علي بن الحسن

ابن محمد بن يوسف بن بحر بن بهرام بن المرزبان بن ماهان بن بإذام بن ساسان بن الحرون من ولد بهرام جور ملك فارس، أبو القاسم المعروف بالوزير المغربي الأديب اللغوي الكاتب الشاعر، ولد فجر يوم الأحد ثالث عشر ذي الحجة، سنة سبعين وثلاثمائة. وحفظ القرآن وعدة كتب في النحو واللغة وكثيراً من الشعر، وأتقن الحساب والجبر والمقابلة، ولم يبلغ العمر أربعة عشر ربيعاً، وكان حسن الخط سريع البديهة في النظم والنثر. ولما قتل الحاكم العبيدي أباه وعمه وأخويه هرب من مصر، فلما بلغ الرملة استجار بصاحبها حسان بن الحسن بن مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي ومدحه فأجاره، وسكن جأشه وأزال خوفه ووحشته، فأقام عنده مدة في خلالها نيته على الحاكم صاحب مصر، ثم رحل عنه متوجهاً إلى الحجاز مجتازاً بالبلقاء من أعمال دمشق، فلما وصل إلى مكة أطمع صاحبها بالحاكم ومملكة الديار المصرية، وجد في ذلك حتى أفلق الحاكم وخاف على ملكه، فاضطر إلى إرضاء ابن الجراح صاحب الرملة واستمالته ببذل الأموال، حيث بايع صاحب مكة أبا الفتوح الحسن بن جعفر بالخلافة، فلما استمال الحاكم ابن الجراح هرب أبو الفتوح إلى مكة، وهرب الوزير أبو القاسم إلى العراق، وقصد فخر الملك أبا غالب بن خلف الوزير فأقام عنده بواسطة مكرماً بعد أن رفع عنه طلب القادر بالله له، حيث اتهم أنه ورد لإفساد الدولة العباسية، فلما توفي فخر الملك مقتولاً عاد الوزير المغربي إلى بغداد، ثم شخص إلى الموصل فاتفق وفاة أبي الحسن كاتب قرواش بن هانئ بني عقيل، فتولى الكتابة مكانه ووزر لقرواش، ثم وزر بعد حين لمشرف الدولة بن بويه مكان مؤيد المكل أبي علي، ثم فارق مشرف الدولة وعاد إلى خدمة مخدومه الأول قرواش، ثم تجدد للقادر سوء رأي فيه، ففارق قرواشاً متوجهاً إلى ديار بكر، فوزر فيها لسلطانها أحمد بن مروان، وأقام عنده إلى أن توفي في ثالث عشر من شهر رمضان سنة ثمان مائة عشرة وأربعمائة، وكانت وفاته بميفارقين، وحمل بوصية منه إلى الكوفة ودفن بها في تربة مجاورة لمشهد علي - رضي الله عنه - وأوصى أن يكتب على قبره:

كنت في سفرة الغواية والجه
تبت من كل مآثم فعسى يم
بعد خمس وأربعين لقد ما
ل مقيماً فخان مني قدوم
حي بهذا الحديث ذاك القديم
طلت إلا أن الغريم كريم

وللوزير أبي القاسم رواية عن الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن حنزاب، حكى عنه بسنده إلى المدائني أنه قال: كان رجل بالمدينة من بني سليم يقال له جعدة، كان يتحدث إليه النساء بظهر المدينة فيأخذ المرأة فيعقلها إلى الحيطان ويثبت العقل، فإذا أرادت أن تثب سقطت وتكشفت، فبلغ ذلك قوماً في بعض المغازي فكتب رجل منهم إلى عمر - رضي الله عنه - بهذه الأبيات:

ألا أبلغ أبا حفص رسولا
قلانصنا هداك الله إنا
لئن قلص تركن معقلات
يعقلهن جعدة من سليم
يعقلهن لأبيض شيطمي
فدا لك من أخني ثقة إزاري
شغلنا عنكم زمن الحصار
قفا سلع بمختلف البحار
وبئس معقل الذود الطوار
معر بيتغي بسط العرار

فلما قرأ عمر الأبيات قال: علي بجعدة من سليم فأتوه به، فكان سعيد يقول: إني لفي الأغيلة إذا جروا جعدة إلى عمر، فلما رآه قال: أشهد أنك شيطمي كما وصفت، فضربه مائة ونفاه إلى عمان. ومن شعر الوزير المغربي:

خف الله واستدفع سطاؤه وسخطه
فما تقبض الأيلم في نيل حاجة
زكن بالذي قد خط باللوح راضياً
وإن مع الرزق اشتراط التماسه
ولو شاء ألقى في فم الطير قوته
إذ ما احتملت العباء فانظر قبيل أن
وأفضل أخلاق الفتى العلم والحجا
فما رفع الدهر امراً عن محله
وسائله فيما تسأل الله تعطه
بنان فتى أبدى إلى الله بسطه
فلا مهرب ممما قضاه وخطه
وقد يتعدى إن تعديت شرطه
ولكنه أوحى إلى الطير لقطه
تنوء به ألا تروم محطه
إذا ما صروف الدهر أخلقن مرطه
بغير التقى والعلم إلا وحطه

وقال:

حلقوا شعره ليكسوه قبحاً
كان صبحاً عليه ليل بهيم
غيره منهم عليه وشحا
فنحرا ليله وأبقوه صبحا

وقال:

لي كلما ابتسم النهار تعلقة فإذا الدجى وافى وأقبل جنحه	بمحدثٍ ما شاء قلبي شأنه فهناك يدري الهم أين مكانه؟
وقال:	
إذا ما الأمور اضطربن اعتلى كذا الماء إن حركته يد	سفيه يضام العلا باعتلائه طفا عكر راسب في إنائه
وقال:	
أرى الناس في الدنيا كراغ تنكرت فماء بلا مرعى ومرعٌ بغير ماء	مراعيه حتى ليس فيهن مرتع وحيث ترى ماءً ومرعً فمسبع
وقال:	
سأعرض كل منزلةٍ فإن أسلم رجعت وقد وإن أعطب فلا عجب	تعرض دونها العطب ظفرت وأنجح الطلب لكل منيةٍ سبب
وقال:	
لو كنت أعرف فوق الشكر منزلة إذا منحتكما مني مهذبة	أعلى من الشكر عند الله في الثمن حذوا على حذو ما واليت من حسن
وقال:	
أقول لها والعيس تحجج للسرى سأنفق ريعان الشببية أنفاً أليس من الخسران أن ليالياً	عدي لفقدي ما استطعت من الصبر على طلب العلياء أو طلب الأجر تمر بلا نفع وتحسب من عمري
وقال:	
الدهر سهل وصعب فاكسب بمالك حمداً وما يدوم سرور	والعيش مر وعذب فليس كالحمد كسب فاغنم وقلبك رطب
وقال:	
من بعد ملكي ومتم أن تغدروا ردوا الفؤاد كما عهدتم للحشا	ما بعد فرقة ما ملكت تخير ولطرفي الساهي الكرى ثم اهجروا
وقال:	
لا تشاور من ليس يصفيك وداً واستشر في الأمور كل لبيبٍ	إنه غير سالك بك قصداً ليس يأتوك في النصيحة جهداً
وقال:	
تأمل من أهواه صفرة خاتمي فقلت: لعمري كان أحمر لونه	فقال بلطفٍ لم تجنبت أحمره؟ ولكن سقامي حل فيه فغيره
وقال:	
إنني أبثك من حديث فارقت موضع مرقي قل لي فأول ليلةٍ	ي و الحديث له شجون ليلاً ففارقتي السكون في القبر كيف ترى أكون؟

الحسين بن عبد الله بن أحمد

ابن عبد الجبار الأمير أبو الفتح المعروف بابن أبي حصينة المعري، الأديب الشاعر، توفي بسروج في منتصف شعبان سنة سبع وخمسين وأربعمائة وكان سبب تقدمه ونواله الإمارة: أن الأمير تاج الدولة بن مرداس إلى حضرة المستنصر العبيدي رسولا سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، فمدح المستنصر بقصيدة قال فيها:

ظهر الهدى وتجلت الإسلام
مستنصر بالله ليس يفوته
حاط العباد وبات يسهر عينه
قصر الإمام أبي تميم كعبة
لولا بنو الزهراء ما عرف التقى
يا آل أحمد ثبتت أقدامكم
لستم وغيركم سواء، أنتم
يا آل طه حبكم وولاءكم

وهي طويلة. ثم مدحه سنة خمسين وأربعمائة، فوعده بالإمارة، وأنجز له وعده سنة إحدى وخمسين، فتسلم سجل الإمارة من بين يدي الخليفة في ربيع الآخر من السنة، فمدحه بقصيدة منها:

أما الإمام فقد وفى بمقالة
لذنا بجانبه فعم بفضلله
لا خلق أكرم من معد شيمه
فاقصد أمير المؤمنين فما ترى
زاد الإمام على البحور بفضلله
وعلا سرير الملك من آل الهدى
النصر والتأييد في أعلامه
مستنصر بالله ضاق زمانه

وكان الذي سعى في تأميره وكتب له سجل الإمارة أبو علي صدقة بن إسماعيل بن فهد الكاتب، فمدحه الأمير أبو الفتح بقصيدة منها:

قد كان صبري عيل في طلب العلا
فظفرت بالخطر الجليل ولم يزل
لولا الوزير أبو علي لم أجد
إن كان ريب الدهر قبح ما مضى
وأجل ما فعل الرجال صلاتهم
اليوم أدركت الذي أنا طالب

وقال يمدح أسد الدولة عطية بن صالح بن مرداس:

سرى الطيف هند والمطي بنا تسري
خليلي فكانني من الهم واركبا
إلى ملك من عامر لو تمثلت
إذا نحن أثينا عليه تلفتت
وفوق سرير الملك من آل صالح
فتى وجهه أبهى من البدر منظراً
أبا صالح أشكو إليك نوائباً
لتنظر نحوي نظرة إن نظرتها
وفي الدار خلفي صبية قد تركتهم

فأخفى دجى ليل وأبدى سنا فجر
فجاج البوادي الغير في النوب الغمر
مناقبه أغنت عن الأنجم الزهر
إلينا المطايا مصغيات إلى الشكر
فتى ولدته أمه ليلة القدر
وأخلاقه أشهى من الماء والخمر
عدتني كما يشكو النبات إلى القطر
إلى الصخر فجرت العيون من الصخر
يطلون إطلال الفراخ من الوكر

جنيت على روعي بروحي جناية

فهب هبة يبقى عليك ثناؤها

فأثقلت ظهري بالذي خف من ظهري

بقاء النجوم الطالعات التي تسري

قال المير أسامة بن منقذ: فلما فرغ من إنشاده أحضر الأمير أسد الدولة القاضي والشهود، وأشهد على نفسه بتمليك الأمير أبي الفتح بن أبي حصينة ضيعة من ضياعه لها ارتفاق كبير، وأجازه فأحسن جائزته فأثرى وتمول، ولما ملك محمود بن نصر بن صالح بن مرداس حلب سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة، مدحه بقصيدة منها:

كفي ملامك فالتبريح يكفيني

برمل يبرين أصبتم فهل علمت

أهوى الحسان وخوف الله يردعني

ما بال أسماء تلويني مواعدها

كان الشباب إلى هند يقربني

يا هند إن سواد الرأس يصلح للد

لست امرأة غيبة الأحرار من شيمي

دعني وحيداً أعاني العيش منفرداً

ما ضرني ودفاع الله يعصمني

وما أبالي وصرف الدهر يسخطني

أبا سلامة عش واسلم حليف علا

أشنا عداكم وأهوى أن أدين لكم

أو جربي بعض ما ألقى ولوميني

رمال يبرين أن الشوق يبريني

عن الهوى والعيون النجل تغويني

أكل ذات جمال ذات تلوين؟

وشاب رأسي فصار اليوم يقصيني

دنيا وإن بياض الرأس للدين

ولا النميمة من طبعي ولا ديني

فبعض معرفتي بالناس تكفيني

من بات يهدمني فالله بينيني

وسيب نعماك يا ابن الصيد يرضيني

وسؤدد بشعاع الشمس مقرون

فللعدى دينهم فيكم ولي ديني

فلما أتم إنشادها قال له تمن، قال: أتمنى أن أكون أميراً، فجعله أميراً يجلس مع الأمير، ويخاطب بالأمير وقربه، وقد تقدم أن الإمارة وجهت إليه سنة إحدى وخمسين من ديوان المستنصر بمصر، ولا منافاة بين الروايتين، إذ يُمون توجيه الإمارة إليه من الأمير محمود بن نصر تالياً لتوجيهها إليه من جانب المستنصر ومؤكداً مؤكداً له، ووهبه صاحب حلب محمود أيضاً مكاناً بحلب تجاه حمام الواساني فجعله داراً وزخرفها، فلما تم بناؤها نقش على دائرة الذرابزين فيها:

دار بنيناها وعشنا بها

قوم محوا بؤسي ولم يتركوا

قل لبني الدنيا ألا هكذا

في دعة من آل مرداس

علي في الأيام من باس

فليحسن الناس إلى الناس

ولما تكامل البناء عمل دعوة حضرها الأمير محمود بن نصر، فلما رأى حسن الدار وقرأ الأبيات المتقدمة قال: يا أبا الفتح كم صرفت على بناء الدار؟ قال: يا مولاي هذا الرجل تولى عمارتها. ولا أدري كم صرف عليها؟ فسأل المعمار فقال: غرم عليها ألفاً ديناراً مصرية، فأمر بإحضار ألفي دينار وثوب أطلس وعمامة مذهب وحصان بطوق مذهب وسرفسار ذهب فسلمها إلى ابن أبي حصينة وقال له:

قل لبني الدنيا ألا هكذا

وحضر بعد أيام رجل من أهل المعرفة يقال له الزقوم من رعاك الناس وأسافلهم، فطلب رزق جندي فأعطى ذلك وجعل من أجناد المعرفة، فقال أحمد بن محمد المعروف بابن الزريدة المعري في ذلك:

أهل المعرفة تحت أقبح خطبة

لم يكفهم تأمير ابن حصينة

يا قوم قد سئمت لذلك نفوسنا

وبهم أناخ الخطب وهو جسيم

حتى تجند بعده الزقوم

يا قوم أين الترك أين الروم؟

فشاعت الأبيات وسمعتها الأمير أبو الفتح، فذهب إلى بيت ابن الزريدة فلما دخل عليه قال له ابن الزريدة: الآن والله كان عندي الزقوم وقال لي: والله ما بي من الهجو ما بي من أنك قرنتني بابن أبي حصينة، فقال له ابن حصينة: قبحك الله وهذا وهذا هجو ثان وقال يمدح قريش بن بدران بن المقلد بن المسيب صاحب نصيبين:

أبت عبراته إلا انهمالاً

أجدك كلما هموا بنأي

تقاضينا مواعد أم عمرو

غشية أزمع الحي ارتحالاً

ترقرق ماء عينك ثم سالا

فضنت أن تنيل وأن تنالا

وسار خيالها الساري إلينا

ومنها:

فلو علمت لعاقبت الخيالاً

فقد بلغت بنا الماء الزلالاً
وهم بأن ينال الشهب نالاً
مناسبه الملية لا تعالى
وتكسب كل قيسي جمالاً
يحكم اعتقاداً لا انتحالاً
وجدت فلم تكلفني سؤالاً
أتاح الله للدنيا وبالا

إذا بلغت ركائبنا قريشاً
فتى لو مد نحو الجو باعاً
إذا انتسب ابن بدران وجدنا
تنيه بها إذا ذكرت معد
أيا علن الهدى نجوى محب
مننت فلم تجشمني عناء
إذا عدم الزمان مسيباً

وهي طويلة اكتفينا منها بما ذكرناه.

وقال يرثي زعيم الدولة أبا كامل بركة بن المقلد بن المسيب. وتوفي بتكريت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة:

ليتني مت قبل موت الزعيم
صحن خدي بعبرة كالحميم
ما زمان أودى به بكريم
وة في الفخر والصميم الصميم
ك سكنى التراب بعد النعيم
ك ومن وجهك الوضيء الوسيم
ر ومن عادة الزمان اللئيم
وشكت فقده بنات الرسم

من عظيم البلاء موت العظيم
يا جفوني سحي دماً أو فحمي
بعد خرق من الملوك كريم
جعفري النصاب من صفوة الصف
يا أبا كامل برغمي أن يشقي
أو تبيت القصور خالية من
وانقراض الكرام من شيم الده
قد بكت حسرة عليه المذاكي

وهي قصيدة طويلة، وقال يرثي أبا العلاء المعري:

والأرض خالية الجوانب بلقع
تسري كما تسري النجوم الطلع
أن الثرى فيه الكواكب تودع
أن الجبال الراسيات تزعر
ويضيّق بطن الأرض عنه الأوسع
ما استكثرت فيه فكيف الأدمع؟
أمم وأنت بمثله لا تسمع
من قبل تركك كل شيء تجمع
تأمن خديعة من يضر ويخدع
متطوعاً بأبز ما يتطوع
أبدأ وقلب للمهيمن يخشع
تاج ولكن بالثناء يرصع
كندی يديك ومزنة لا تقلع
إن البكاء على سواك مضيع
للعلم باباً بعد بابك يقرع
وقضى العلا والعلم بعدك أجمع

العلم بعد أبي العلاء مضيع
أودى وقد ملأ البلاد غرائباً
ما كنت أعلم وهو يودع في الثرى
جبل ظننت وقد تزعر ركنه
وعجبت أن تسع المعرة قبره
لو فاضت المهجات يوم وفاته
تتصرم الدنيا ويأتي بعده
لا تجمع المال العتيد وجد به
وإن استطعت فسر بسيرة أحمد
رفض الحياة ومات قبل مماته
عين تشهد للعفا فوللتقى
شيم تجمله فهن لمجده
جادت ثراك أبا العلاء غمامة
ما ضيع الباكي عليك دموعه
قصدتك طلاب العلوم ولا أرى
مات النهى وتعطلت أسبابه

وقال يرثي أبا يعلى حمزة بن الحسين بن العباس الحسيني الدمشقي، وكان يوم وفاته بدمشق:

ولا غرو أن جلت رزية من جلى

هو الشرف العالي بموت أبي يعلى

سيصلى بنار الحزن من كان آمناً
تحلت به الدنيا فحل به الردى
فقدناه فقد الغيث أقلع وبله
لقد فل منه الدهر حد مهند
فلست أبالي بعده أي عابر
تقل دموعي والهموم كثيرة
وأنف أن أبكي عليك بعبرة

به أنه في الحشر بالنار لا يصلى
فعطلها من ذلك الحلي من حلى
عن الأرض لما أنفدت ذلك الوبلا
تركنا به كل حد له فلا
من الناس أملى الله مدته أم لا
كذاك دخان النار إن كثرت فلا
إذا لم يكن غرباً من الدمع أو سجلا

وقال يرثي معتمد الدولة قرواش بن المقلد بن المسيب العقيلي صاحب الموصل، توفي مسجوناً بقلعة الجراحية. وقيل: قتله ابن أخيه قريش في مستهل رجب سنة أربع وأربعين وأربعمائة، ودفن بثل توبة من مدينة نينوى:

أمثل قرواش يذوق الردى
حاشا لذاك الوجه أن يعرف ال
وللجبين الصلت أن يسلب ال
يا أسف الناس على ماجد
غير بعيد يا بعيد الندى
زلت فلا القصر بهي ولا
ولا الخيام البيض منصوبة
قبلاً لدنيا حطمت أهلها
تأخذ ما تعطي فما بالناس
يا قبر قرواش سقيت اليا
قضى ولم أقض على إثره
أنظم شعراً والجوى شاغلي

يا صاح ما أوقح وجه الحمام
بؤس وأن يحثى عليه الرغام
بهجة أو يعدم حسن الوسام
مات فقال الناس مات الكرام
ولا ذميم يا وفي الذمام
بابك معمور كثير الزحام
بوركت يا ناصب تلك الخيام
وآخذتهم باكتساب الحطام
نكثر فيما لا يدوم الخصام
ولا تعدتك غواصي الغمام
إني لمن ترك الوفا ذو احتشام
يا عجباً كيق استقام الكلام

ولما وصل أرمانوس ملك الروم إلى حلب سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، ومعه ملك الروس وملك البلغار والألمان و البلجيكو والخزر والأرمن في ستمائة ألف من الفرنج، قاتلهم شبل الدولة نصربن صالح صاحب حلب. فهزمهم وتبعهم إلى عزاز وأسر جماعة من أولاد ملوكهم، وغنم المسلمون منهم غنائم عظيمة، فقال ابن أبي حصينة في ذلك وأنشدها شبل الدولة بظاهر قنسرين:

ديار الحي مقفرة بيباب
نأت عنها الرباب وبات يهمي
تعاتبني أمامة في التصابي
نضا مني الصبا ونضوت منه

كأن رسوم دمنتها كتاب
عليها بعد ساكنها الرباب
وكيف به وقد فات الشباب؟
كما ينضو من الكف الخضاب

زمنها:

إلى نصر وأي فتى كنصر
أمنتك الفرنج غداة ظلت
جنودك لا يحيط بهن وصف
وذكرك كله ذكر جميل
وأرمانوس كان أشد بأساً
أتاك يجر بحراً من حديد
إذا سارت كتائبه بأرض
فعدا وقد سلبت الملك عنه
فما أدناه من خير مجيء

إذا حلت بمغناه الركاب
حطاماً فيهم السمر الصلاب؟
وجودك لا يحصله حساب
وفعلك كله فعل عجاب
وحل به على يدك العذاب
له في كل ناحية عتاب
تزلزلت الأباطح والهضاب
كما سلبت عن الميت الثياب
ولا أقصاه عن شر ذهاب

فلا تسمع لطنطنة الأعادي
ولا ترفع لمن عاداك رأساً

وقال:

فإنهم إذا طننوا ذباب
فإن الليث تنبجه الكلاب

أشد من فاقة الزمان
فاسترزق الله واستعنه
وإن نبا منزل بحر

وقال:

مقام حر على هوان
فإنه خير مستعان
فمن مكان إلى مكان

بكت على غداة البين حين رأيت
قدمي ذوب ياقوتٍ على ذهبٍ

وقال:

دمعي يفيض وحالي حال مبهوت
ودمعي ذوب در فوق ياقوت

لا تخذعك بعد طول تجاربٍ
أحلام نومٍ أو كطل زائلٍ

وقال يمدح ثابت بن شمال بن صالح بن مرداس:

لو أن داراً أخبرت عن ناسها
بل كيف تخبر دمنة ما عندها
محموة العرصات يشملها البلى

ومنها:

لسألت رامة عن ظباء كناسها
علم بوحشتها ولا إيناسها؟
عن ساحبات المرط فوق دهاسها

وزمان لهو بالمعرة مونق
أيام قلت لذي المودة اسقني
حمراء تغنينا بساطع لونها
وكأنما حبيب المزاج إذا طفا
رقت فما أدري زجاجها
وكأنما زرجونة جاءت بها
فأنت مشعشة كجذوة قابس
لله أيام الصبا ونعيمها
مالي تعيب البيض بيض مفارقي
نور الصباح إذا الدجنة أظلمت
إن الهوى دنس النفوس فليتنني
ومطامع الدنيا ولا أرى
من عف لم يذمم ومن تبع الخنا
زين خصالك بالسماح ولا ترد
ومتى رأيت يد امرئ ممدودةً
خير الأكف السابقات بجودها

ومنها في المدح:

أما نزار فكلها لكريمة

وقال:

لكن أكرمها بنو مرداسها

إذا المرء لم يرض ما أمكنه
فدعه فقد ساء تدبيره

وقال:

ولم يأت من أمره أحسنه
سيضحك يوماً ويبيكي سنه

وصفوه بالفذى مشوب
فبرقها خلب كذوب
قوالب مالها قلوب

الدهر خداعة خلوب
فلا تغرنك الليالي
وأكثر الناس فاعتزلهم

الحسين بن عبد الرحيم بن الوليد

ابن عثمان بن جعفر، أبو عبد الله الكلابي المعروف بابن الزلازل من بني جعفر بن كلاب اللغوي الأديب الكاتب الشاعر. أخذ عن أبي القاسم الزجاجي وأبي بكر الخرائطي وغيرهما. توفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.

وله مصنفات منها: كتاب أنواع الأسجاع، ابتدأ بتأليفه في دمشق سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة، وروى فيه عن شيوخه وغيرهم، وهو كتاب ممتع أجاد وضعه وتأليفه.

ومن شعر ابن أبي الزلازل:

وقد أدبت إن كان ينفعك الأدب
دوام الذي يخشى لأعياء ما طلب

لقد عرفتك الحادثات نفوسها
ولو طلب الإنسان من صرف دهره

وقال:

وإكليان من خزر وشزر
بكا الخنساء إذ فجعت بصخر

فتى لرغيفه قرط وشنف
إذا كسر الرغيف بكى عليه
وقال مهنئاً بعض الأمراء بالعيد:

من تصاريف طارق الحدثن
خير عيدٍ وذاك خير التهاني
و ومن شرب صرفه في أمان
فر معقودة بأوفى ضمان
د المساعي مؤيد السلطان

عيد يمن مؤكد بأمان
جعل الله عيد عامك هذا
ثم لا زلت من زمانك في صف
أخذاً ذمة من الدهر لا تخ
نافذ الأمر عالي القدر محمو

وقال:

ترى من محيص للورى عن ثمانيه؟
وعسر ويسر ثم سقم وعافيه
فهل من رأى أحوالهم متساويه؟

ثمانية قام الوجود بها فهل
سرور وحزن واجتماع وفرقة
بهن انقضت أعمار أولاد آدم

الحسين بن عبد السلام

أبو عبد الله المصري المعروف بالجمل، الشاعر المشهور، كان شاعراً مقلداً مدح الخلفاء والأمراء. توفي في ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ومائتين. قدم دمشق وافداً على أحمد بن المديبر، وكان أحمد يقصده الشعراء، فمن مدحه بشعر جيد أجزل صلته، ومن مدحه بشعر رديء وجه به مع خادم له إلى الجامع فلا يفارقه حتى يصلي مائة ركعة ثم يصرفه. فدخل عليه الجمل وأنشده:

كما بالمدح تنتجع الولاة
ومن جدواه دجلة والفرات
أجل صلات مادحه الصلاة
صلاتي؟ إنما الشأن الزكاة
فتصبح لي الصلاة هي الصلات

أردنا في أبي حسن مديحاً
فقالوا أكرم الثقلين طراً
وقالوا يقبل الشعراء لكن
فقلت لهم وما يغني عيالي
فيأمر لي بكسر الصاد منها

وروى الجمل عن بشر بن بكر عن الأوزاعي أنه قال: كان قوم كسالى ينامون تحت شجرة كمثرى يقولون: إن سقط في أفواهنا شيء أكلنا وإلا فلا، فسقطت كمثراة إلى جانب أحدهم، فقال له الذي يليه: ضعها في فمي. قال: لو استطعت أن أضعها في فمك وضعتها في فمي. قال ابن يونس في تاريخ مصر: كان الجمل شرها في الطعام دنى النفس وسخ الثوب هجاء، ولد قبل سنة سبعين ومائة، وعلت سنه، ومدح المأمون بمصر لما ورد إليها لجوب البيمارستان، ومدح الأمراء مثل عبد الله بن طاهر وغيرهم، وتوفي في ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ومائتين، ومن شعر الجمل أيضاً:

إذا أظمأتك أكف اللئام
فكن رجلاً رجله في الثرى
وأبياً لنائل ذي ثروة
فإن إراقة ماء الحيا
كفتك القناعة شيعاً ورياً
وهامة همته في الثريا
تراه بما في يديه أبياً
ة دون إراقة ماء المحيا

الحسين بن عقيل بن محمد

ابن عبد المنعمين هاشم البزار الواسطي القرشي. كان أديباً شاعراً وله عناية بالحديث، روى عنه الخطيب البغدادي، والحافظ أبو القاسم بن عساكر. توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، ومن شعره:

لقد كمل الرحمن شخصك في الورى
ومن جمع الآفاق في العين قادر
فلا شاب شيئاً من كمالك بالنقص
على جمع أشتات الفضائل في شخص

وقال:

ولما حدا البين المشت بشلنا
ولم نستطع عند الوداع تصبراً
وقفنا لوديع فكادت نفوسنا
فباك لما يلقاه من فقد إلفه
ولم يبق إلا أن تثار الأيانق
وقد غالنا دمع عن الوجد ناطق
لأجسادنا قبل الوداع تفارق
وشاك له قلب به الوجد عالق

وقال:

أقلي النهار إذا أضاء صباحه
فالصبح يشمت بي فيقبل ضاحكاً
وأظل أنتنظر الظلام الدامسا
والليل يرثي لي فيدبر عابسا

وقال:

على لام العذار رأيت خالاً
فقلت لصاحبي هذا عجيب
كنقطة عنبر بالمسك أفرط
متى قالوا بأن اللام تنقط؟

الحسين بن علي بن أحمد

ابن عبد الواحد بن بكر بن شبيب النصيبى النديم، نديم المستنجد بالله، ولد سنة خمسمائة، وتوفي سنة ثمانين وخمسمائة، كان أديباً كاتباً شاعراً له اليد الطولى في حل الألغاز العويصة، تفاوض أبو منصور محمد بن سليمان بن قتلمش وأبو غالب بن الحصين في سرعة خاطر ابن شبيب وتقدمه في حل الألغاز، فعمل ابن قتلمش أبياتاً على صورة الألغاز، ولم يلغز فيها بشيء وأسلاها إلى ابن شبيب يمتحنانه بها وهي:

وما شيء له في الرأس رجل
إذا أغمضت عينك أبصرته
وموضع وجهه منه قفاه؟
وإن فتحت عينك لا تراه

ونظم أيضاً:

وجار وهو تيار
بلا لحم ولا ريش
بطبع بارد جداً
ضعيف العقل خوار
وهو في الرمز طيار
ولكن كله نار

فكتب ابن شبيب على الأول: هو طيف الخيال، وكتب على الثاني: هو الزئبق. فجاء أبو غالب وأبو منصور إليه وقالاً: هب اللغز الأول طيف الخيال، والبيت الثاني يساعدك على ما قلت، فكيف تعمل بالبيت الأول؟ فقال: لأن المنام يفسر بالعكس، لأن من بكى يفسر بكأوه بالضحك والسرور، ومن مات يفسر موته بطول العمر.

وأما اللغز الثاني: فغن أصحاب صناعة الكيمياء يرمزون للزئبق بالطيار والفرار والأبق وما أشبه ذلك، لأنه يناسب صفته، وأما برده فظاهر، ولإفراط برده ثقل جسمه وجرمه، وكله نار لسرعة حركته وتشكله في افتراقه والتناميه، وعلى كل حال ففي ذلك تسامح يجوز في مثل هذه الصور الباطلة إذا طبقت على الحقيقة.

ودخل ابن شبيب يوماً على الخليفة المستنجد بالله فقال الخليفة: أأين شبيب؟ فقال: عبدك يا أمير المؤمنين، فأعجبه هذا التصحيف منه. ومن شعر ابن شبيب في المستنجد:

أنت الإمام الذي يحكي بسيرته	من ناب بعد رسول الله أو خلفا
أصبحت لب بني العباس كلهم	إن عدت بحروف الجمل الخلفا
فإن جمل حروف لب اثنان وثلاثون، والمستنجد هو الثاني والثلاثون من الخلفاء. ومن شعره أيضاً:	
ومحترس من نفسه خوف زلة	تكون عليه حجة هي ما هيا
يصون عن الفحشاء نفساً كريمة	أبت شرفاً إلا العلا والمعاليا
صبور على ريب الزمان وصرفه	كتوم لأسرار الفؤاد مداريا
له همة تعلو على كل همة	كما قد علا البدر النجوم الدراريا

وقال:

أغصان ورد زينت درر الندى	أجياها بمخانيق وعقود
فتوهجت كمسارج وتأرجت	كنوافج وتدبجت كبرود
وتبلجت ككواكب وتبرجت	ككواكب وتضرجت كخدود

وقال:

تبوح بسرك ضيقاً به	وتبغى لسرك من يكتم
وكتمانك السر ممن تخاف	ومن لاتخاف هو الأحزم
وإن ذاع سرك من صاحب	فأنت وإن لمته ألوم

الحسين بن علي بن محمد

ابن ممويه أبو عبد الله المعروف بابن قم الزبيدي اليمني، ولد سنة ثلاثين وخمسائة، وتوفي سنة إحدى وثمانين وخمسائة، كان أديباً كاتباً شاعراً من أفاضل اليمن المبرزين في النظم والنثر والكتابة، ومن شعره:

أأحبابنا من بالقطيعة أغراكم	وعن مستهام في المحبة ألهاكم
صددتم وأنتم تعلمون بأننا	لغير التجني والصدود وددناكم
كشفت لكم سري على ثقة بكم	فصرت بذاك السر من بعض أسراكم
جعلناكم للنائبات ذخيرة	فحين طلبناكم لها ما وجدناكم
قطعتم وصلناكم نسيتم ذكرناكم	عققتم بررناكم أضعتكم حفظناكم
وفي النفس سر لا تبوح بذكره	ولو تلفت وجداً إلى يوم لقياكم
فإن تجمع الأيام بيني وبينكم	غفرت خطاياكم لحرمة رؤياكم

وقال:

خير ما ورث الرجال بنيتهم	أدب صالح وحسن ثناه
ذاك خير من الدنانير والأو	راق في يوم شدة ورخاء
تلك تفنى والدين والأدب الص	صالح لا يفنيان حتى اللقاء

ولابن قم رسالة كتب بها إلى أبي حمير سبأ بن أبي السعود أحمد بن المظفر بن علي الصليحي اليماني بعد انفصاله عن اليمن، ورواها الحافظ أبو طاهر السلفي سنة ثمان وستين وخمسائة وهي: كتب عبد حضرة السلطان الأجل مولاي ربيع المجديين، وفريع المتأديين، جلوة الملتبس، وجذوة المقتبس، شهاب المجد الثاقب، ونقيب ذوي الرشيد والمناقب، - أطال الله بقاءه، وأدام علوه وارتقاءه، ما قدمت العارية للمستعير، ولزمت الباء للتصغير، - وجعل رتبته في الأولوية عالية المقام كحرف الاستفهام، وكالمبتدأ إن تأخر في البنية فإنه مقدم في النية، ولا زالت حضرته من الحادثات حمى، وللوفود مزدحماً وملتزماً، حتى يكون في العلا بمنزلة حرف الاستعلاء وهو من حروف اللين في حصون، وما جاورها من الإمامة مصون، ولا زال عدوه كالآلف حالها يختلف، تسقط في صلة الكلام ولاسيما مع اللام، فإنه - أدام الله علوه - أحسن من إلى ابتداء، ونشر علي من فضله رداءً، أراد أن يخفى وكيف يخفى؟ لأن من شرف الإحسان، سقوط ذكره عن اللسان، كالمفعول رفع رفع الفاعل الكامل، لما حذف من الكلام ذكر الفاعل، يهدي إليه سلاماً ما الروض ضاحكه النوض، غرس وحرس وسقي ووفي وغيب وصيب، فأخذ من كل نوء بنصيب، زهاه الزهر، وسقاه النهر، جاور الأضياء، فحسن وأضياء، رتع فيه الشحرور ومرح العصفور، فنظر إلى أقاحيه فتفر في نواحيه وإلى البهار، يضاحك شمس النهار، فجعل فجعل يلثم من ورده خدوداً، ويضم من أغصانه قدوداً، ويقتبس النار من الجنار ويلتمس العقيق من الشقيق، فتنتى ثملاً، وغنى خفيفاً ورملاً، بأطيب من نفحة المسكية، وأعطر من رائحة الذكية، وإنني وإن أهديته في كل أوان، من أداء ما يجب غير وان، أعد نفسي السكيت في السبق لتقصيري لما علي من الحق، أثرت فعثرت، وجهدت فما سعدت، فأنا بحمد الله بخنوع وقنوع، وجناب عن غين العين ممنوع، فارقت المثل ولا أزال، ولزمت الخمول والاعتزال، سعبي سعي الجاهد، وعيشي عيش الزاهد، ببلد الأديب فيه غريب، والأريب مريب، إن تكلم استنقل، وإن سكت استنقل، منزله كبيوت العناكب، ومعيشته كعجالة الراكب، فهو كما قال أبو تمام:

أرض الفلاحة لو أتاها جرول
أعني الحطيئة لا غتدى حراثا
ما جنتها من أي باب جنتها
إلا حسبت بيوتها أجداثا
تصدأ بها الأفهام بعد صفالها
وترد ذكران العقول إناثا
أرض خلعت اللهو خلعي خاتمي
فيها وطلقت السرور ثلاثا

وأما حال عبده بعد فراقه في الجلد. فما حال أم تسعة من الولد ذكور، كأنهم عقبان وصقور، كنوا في وكور، اخترم منهم ثمانية، وهي على التاسع حانية، نادى النذير: العربان في البادية للعداية، فلما سمعت الداعي، ورأت الخيل وهي سراع، جعلت تنادي ولدها الأناة الأناة، وهو ينادي العياة العياة:

بطل كأن ثيابه في سرحة
يخذى نعال السبت ليس بتوأم
فحين رآته يختال في غصون الزرد المصون. أنشأت تقول:

نشدت أضبطاً يميل
بين طرفاء وغيل
لباسه من نسج دا
ود كضحضاح يسيل

فعرض له في البادية أسد هصور. كأن ذرعه مسد مضفور:

فتطاعنا وتوافقت خيلاهما
وكلاهما بطل اللقاء مقتنع

فلما سمعت صياح الرعيل، برزت من الخدر بصبر قد عيل. فسألت عن الواحد. فقيل لها لحداه اللحد.

فكرت تبتغيه فصادفته
على دمه ومصرعه السباعا

عبن به فلم يتركن إلا
أديماً قد تمزق أو كراعا

بأشد من عبدك تأسفاً. ولا أعظم كمداً ولا تلهفاً، وإنه ليعنف نفسه دائماً، ويقول لها لائماً، لو فطنت لقطنت. ولو عقلت لما انتقلت. ولو قنعت لرجعت وما هجعت.

يقيم الرجال الموسرون بأرضهم
وترمي النوى بالمقترين المراميا

وما تركوا أوطانهم عن ملالة
ولكن حذاراً من شملتي الأعاديا

أيها السيد: أمن العدل والإنصاف. ومحاسن الشيم والأوصاف. إكرام المهان. وإذلال جواد الرهان يشبع في ساجوره كلب الزبل ويسغب في خيسه أبو الشبل:

إذا حل ذو نقص مكانة فاضل
وأصبح رب الجاه غير وجيه

فإن حياة الحر غير شهية
إليه وطعم الموت غير كرية

أقول لنفسي الدنية هبي طال نومك، واستيقظي لا عز قومك، أرضيت بالعطاء المنزور؟ وقنعت بالمواعيد الزور، يقظة فإن الجد قد هجع، ونجعة فمن أجذب انتجع. أعجزت في الأدباء عن خلق الحرباء؟ ولي لسان كالرشاء. تنسم أعلى السماء. ناط همته بالشمس، مع نعداها عن اللمس، أنف من ضيق الوجار، ففرخ في الأشجار، فهو كالخطيب على الغصن الرطيب.

وإن صريح الرأي والحزم لمرئ
وقد أصحب عبده هذه الأسطر شعراً يقصر فيه عن واجب الحمد، وإن بنيت قافيته على المد، وما يعد نفسه إلا كمهدي جلد
السبتي الأسمر إلى الديباج الأحمر. أين ذو الحباب من ثغور الأحباب؟ وأين السراب من الشراب؟. والركي البكي من الواد ذي
المواد. أطلب الفصاحة من الغنم؟ والصباحة من المغتم؟ غلط من رأى الال في القي فشبهه بهلهال الدبيقي. هيهات مناسج
الرياط. تسبق تنيس ودمياط. ولا أقول كما قال القائل:

من يساجلني يساجل ماجداً
بل أضع نفسي في أقل المواضع، وأقول لمولاي قول الخاضع:
فأسبل عليها ستر معروفك الذي
و ما هي هذه:

فيك برحت بالعذول إباء
فاننتى العاذلون أخيب مني
من مجيري من فاطر اللحظ ألمي
فيه لليل والنهار صفات
لازم شيمة الخلاف فإن لذ
يا غريب الصفات حق لمن كا
من صدودٍ ولو عتي وتجني
وإذا ما كتمت ما بي من وج
كعطايا سبأ بن أحمد يخفي
نرتجيه بهذه المدح الجو
ألمعي يكاد ينبيك عما
وإذا أخلف السماء بأرض
بندى يخجل الغيوث انهمالاً
ما أبالي إذ أحسن الدهر فيه
أيها المجدب الضريك انتجعه
تلق منه المهذب الماجد الند
راحة في الندى تتيل نضاراً
يا أبا حمير دعوتك للده
فأبى البخل أن يكون أماماً
أنا أشكو إليك جور زمان
أهملتني صروفه وكأني
إن سطا أرب الضراغم في الـ
شيم من أبيه أحمد لا ين
قد تعاطى في المجد شأوك قوم
شرفاً شامخاً ومجداً منيفاً
مال عني بما أومل فيه
رهن بيتٍ لو استقر به البر
نفضتني نفص المرجم حتى
منعتني من التصرف منع الـ
يا أبا حمير وحرمة إحسا

وعصيت اللوام والنصحاء
يوم أزمعتم الرحيل رخاء
جمع النار خده والماء؟
فلهذا سر القلوب وساء
ت قسا أو دنوت منه تناءى
ن غريباً أن يرحم الغرباء
ه وإشماته بي الأعداء
ب إذا عته مقلناي بكاء
ها فترداد شهرة ونماء
د وإن لم نمدحه جاد ابتداء
كان في الغيب فطنة وذكاء
أخلفت راحتاه ذاك السماء
وجدى ينهل الرماح الظماء
أحسن الدهر للورى أم أساء
فعطايه تسبق الأنواء
ب الكريم السميزع الأباء
وحسام في الروع بهمي دماء
ر فكنت امرأ يجيب الدعاء
وأبى الجود أن يكون وراء
دأبه أن يعاند الأدباء
ألف الوصل ألغيت إلغاء
جام أو جاد بخل الكرماء
فك عنها تتبعاً واقتفاء
عجزوا واحتملت فيه العناء
حميرياً وغيره قعساء
كلما قلت سوف يأسو أساء
بوع لم يرضه له نافقاء
خلتني في فم الزامن نداء
تعلل التسع صرفها الأسماء
نك عندي ما كان حبي رياء

ما ظننت الزمان يبعدني عن
غير أني فدتك نفسي من السو
ضاع سعيي وخبت خابت أعا
واحتملت الزمان والنقص وال
وتجملت واضطربت فما أب
أعلى هذه المصيبة صبر
ولو أني لم أعتد دون غيري
غير أن التصريح ليس بخافٍ
غير أني متن عليك وما لم
وسياتيك في البعاد وفي القر
فبشكر رحلت عنك وألقا
ليس يبقى في الدهر غير ثناء

وقال:

تشكي المحبون الصبابة ليتني
فكانت لنفسي لذة الحب كلها

وقال:

هدايا الناس بعضهم لبعض
وتزرع في النفوس هوىً وحباً
وتصطاد القلوب بلا شراكٍ

الحسين بن محمد بن عبد الوهاب

ابن محمد نب الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبد الله ابن الوزير سليمان بن وهب الحارثي البكري الدباس المعروف بالبارع البغدادي، كان لغويًا نحوياً مقرئاً قرأ القرآن على أبي علي بن البناء وغيره، وأقرأ خلقاً كثيراً. وسمع القاضي أبي يعلى الموصلي وغيره وروى عنه الحافظ أبو القاسم بن عساكر، وكان حسن المعرفة بصنوف الآداب فاضلاً، وله مصنفات حسان في القراءات وغيرها، وله ديوان شعر جيد. وهو من بيت الوزارة، فإن جده القاسم بن عبيد الله كان وزير المعتضد والمكتفي بعده، وعبيد الله بن القاسم كان وزير المعتضد أيضاً قبل ابنه القاسم. وكان بين البارع وابن الهبارية الأديب الشاعر مداعبات، فإنهما كانا رفيقين منذ نشأ، وأضر البارع في آخر حياته، وسمع منه الحافظ أبو الفرج بن الجوزي، وأبو عبد الله الحسيني بن علي بن مهجل الضرير الباقدرائي، وقرأ عليه بالروايات أبو جعفر عبد الله بن أحمد بن جعفر الواسطي المقرئ الضرير وغيره. وكان مولده سنة ثلاثٍ وأربعين وأربعمائة ببغداد، وتوفي صبيحة يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وخمسائة، ومن شعره:

لم لا أهيم إلى الرياض وحسنا
والزهر حياني بثغرٍ باسم

وقال:

وأظل منها تحت ظلٍ ضافي؟
والباء وافاني بقلبٍ صافي

عليه ثوب الضباب مزرور
وأرضه فرشها قوارير
ليس لها من ضبابه نور

يوم من الزمهرير مقرر
كأنما حشو جوه إبر
وشمسه حرة مخدرة

وحج البارع بن الدباس، فلما رجع من الحج ذهب إليه الشريف أبو يعلى بن الهبارية مرة فلم يجده، فكتب إليه بقصيدة طويلة يعاتبه بها مطلعها:

غيرت طبعه الرياسة بعدي؟

يابن ودي وأين مني ابن ودي

وفيهها مداعبة بلغت حد السخف، فأجابه البارع بقصيدة طويلة أيضاً مطلعها:

وصلت وقعة الشريف أبي يع
فتلقيتها بأهلاً وسهلاً
وفضضت الختام عنها فما ظن
بين حلو من العتاب ومر
وتجنى علي من غير جرم
يدعي أنني احتجبت وقد زأ
دعك من ذمك الرياسة والحج
فبماذا علمت بالله أني
من تراني أعامل أم وزير
أنا ذاك الخل الخليع الذي تع
وإذا صح لي نديم فذاك ال
أتراني لو كنت في النار مع ها
أو لو أتى عصبت بالتاج أسلو
أنا أضعاف ما عهدت على العه

وفي القصيدة أبيات تتضمن سخفاً فاحشاً ضربنا عن ذكرها صفحاً. ومنها:

لى فحلت محل لقياء عندي
ثم ألصقتها بعيني وخدي
نك بالصاب إذ يشاب بشهد
هو أولى به وهزل وجد
بملاهم يكاد يحرق جلدي
ر مراراً حاشاه من قبح رد
ج وقل لي بغير حل وعقد
قد تنكرت أو تغير عهدي؟
لأمير أم قائد جيش جند؟
رف أرضي ولو بخبز ودردي
يوم عيدي وصاحب الدست عيدي
مان أنساك أو بجنة خلد؟
ك ولو كنت غائباً عن رشدي
د وإن كنت لا تكافي بود

س بفرد بين الأكارم فرد
ني جميلاً منه إلى غير حد
ت بقتعي نسيج دهري ووحد
ية أين الكرام قل لي لأكدي؟

ولم ينهها تاقت إلى كل باطل
دعته إليه من حلاوة عاجل

أسأل من لا ماء في وجهه
يا ليتني مت ولم أنهه
ولم أكد أسلم من جبهه
قد مد أيديه إلى بلهه

ولست من العجز لا أنشط
يكون هبوط الذي يسقط

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتته
وساقت إليه الإثم والعار بالذي

وقال:

وقال أيضاً:

أفنيث ماء الوجه من طول ما
أنهي إليه حالي الذي
فلم ينلني أبداً رفده
والدهر إذ مات مماريده

وقال:

تناز عني النفس أعلى مقام
ولكن بقدر علو المكان

الحسين بن محمد بن جعفر

ابن محمد بن الحسين الرافقي المعروف بالخالع، أحد كبار النحاة، كان إماماً في النحو واللغة والأدب، وله شعر. توفي سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، أخذ عن أبي علي الفارسي وأبي الحسن السيرافي وغيرهما. ويقال إنه من ذرية معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - وله من التصانيف: كتاب الأودية والجمال والرمال، وكتاب الأمثال، وكتاب تخیلات العرب، وشرح شعر أبي تمام، وكتاب صناعة الشعر وغير ذلك. ومن شعره:

ولم يقسم على قدر السنين
خوى الآباء أنصبه البنينا

رأيت العقل لم يكن انتهاباً
فلو أن السنين تقسمته

وقال:

خطرت فقلت لها مقالة مغرم
قالت بمن تعنى؟ فحبك بين
فتبسمت فيكيت قالت لا ترع
قلت اتفقنا في الهوى فزيارة
فتضاحكت عجباً وقالت يا فتى

وقال:

ماذا عليك من السلا؟ فسلمي
من سقم جسمك قلت بالمتكلم
فلعل مثل هواك بالمتبسم
أو موعداً قبل الزيارة قدمي
لو لم أدعك تنام بي لم تحلم

أما لظلام ليلي من صباح
كأن الأفق سد فليس يرجى
كأن الشمس قد مسخت نجوماً
كأن الصبح مهجور طريد
كأن بنات نعش متن حزناً

وقال:

أما للنجم فيه من براح
به نهج إلى كل النواحي
تسير مسير روادٍ طلاح
كأن الليل مات صريع راح
كأن النسر مكسور الجناح

خير المواهب أن ترى مسؤولاً
فبقاء عزك أن ترى مأمولاً
ويرى العبوس على اللئيم دليلاً
خبيراً فكن خبيراً يروق جميلاً

لا تعبس بوجه عافٍ سائل
لا تجبهن بالرد وجه مؤمل
يلقى الكريم فيستدل ببشره
واعلم بأنك لا محالة صائر

الحسين بن محمد

ابن الحسين بن حي التجيبي القرطبي. كان أديباً فاضلاً عالماً بالهندسة والهيئة، كلفاً بصناعة التعديل، أخذ علم العدد والهندسة والهيئة عن أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن برغوث الرياضي الفلكي المتوفى سنة أربع وأربعين وأربعمائة. ولحق بمصر بعد أن نالته بالأندلس وفي طريقه بالبحر محن شديدة، ثم رحل من القاهرة إلى اليمن واتصل بأمرها الصليحي القائم بالدعوة للمنتصر بالله معد بن الظاهر علي، فحظي عنده وبعثه رسولا إلى أمير المؤمنين القائم بأمر الله الخليفة العباسي في هيئة فخمة، فنال إقبالاً ودنيا عريضة. وتوفي باليمن بعد انصرافه من بغداد إليها سنة ست وخمسين وأربعمائة. وله من التصانيف: زيج مختصر على طريقة السند هند وغير ذلك. ومن شعره:

تأمل صورة العدد
كما الأعداد راجعة
كذلك الخلق مرجعهم
فمن ينظر إليه هدى
وإن كثرت إلى الأحد
لرب واحد صمد

وقال:

تحفظ من لسانك فهو عضو
فلا والله ما في الخلق خلق
أشد عليك من وقع السنان
أحق بطول سجن من لسان

وقال:

ورأيت السماء كالبحر إلا
فيه ما يملأ العيون كبير
أشده من الدر طافي
وصغير ما بين ذلك صافي

وقال:

ودعته حيث لا تودعه
ثم تولى وفي العيون له
ضيق مجال وفي القلوب سعه
وحي ولكنها تسير معه

وقال:

إذا ما كثرت عى صاحب
فلا بد من ملل واقع
وقد كان يدنيك من نفسه
يغير ما كان من أنسه

الحسين بن محمد

أبو علي السهواجي أديب شاعر لبيب مشهور وسهواجمن قرى مصر، صنف كتاب القوافي، وتوفي بمصر سنة أربع مائة - رحمه الله تعالى -، ومن شعره:

وقد كنت أخشى الحب لو كان نافعي
كما حذر الإنسان من نوم عينيه

وقال:

كرام المساعي في اكتساب محامد
وأبوابهم معمورة بعفاتهم
ومن شعره أيضاً:

وهتوف أيكية ذات شجو
ذكرت إلفها فحننت إليه

ومنه أيضاً:

قوم كرام إذا سلوا سيوفهم
إذا دجا الخطب أو ضاقت مذاهبه

وقال:

شخص الفتى عن منزل الضيم واجب
وللحر أهل إن نأى عنه أهله
ومن يرض دار الضيم داراً لنفسه

وقال:

توخ من الطرق أوساطها
وسمعك صن عن سماع القبيح
فإنك عند سماع القبيح

وعد عن الجانب المشتبه
كصون اللسان عن النطق به
شريك لقائله فانتبه

الحسين بن محمد أبو الفرج

النجوي المعروف بالمستور، كان نحوياً لغوياً أديباً شاعراً. توفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، ومن شعره:

أمسى يحن لوجهه قمر الدجا
فإذا بداف كأنما هو يوسف

وقال:

فكأنما الشمس المنيرة إذ بدت
متحاربان لذا مجن صاغه

وله مزدوجة أنشدها بعض الدمشقيين سنة خمس وثمانين وثلاثمائة:

الحب بحر زاهر
جنوده المحاجر
ركبته على غرر
في واضح يحكي القمر
حلفته لما بدا
ريان بالحسن ارتدى
بحق بيت المقدس

راكبه مخاطر
والحدق السواحر
وخطر على خطر
وكان حتفي في النظر
كغصن غب ندى
وبالبحر تفردا
والبلد المقدس

وبالتني لم تدنس
بحق قدس مريم
بعادل لم يظلم
بالدير بالرهبان
ببولص ذي الشان
بالطور بالزبور
بشاهد مشهور
بحرمة المسيح
بالفصح بالتسبيح
بليلة الميلاد
ولابسي السواد

لا تك منك مؤيسي
وبطرس المعظم
رق لصب مغرم
بحرمة القربان
كن حسن الإحسان
بساكن القبور
إعطف على المهجور
وبالفتى الذبيح
أبق علي روعي
وحرمة الأعياد
إجعل رضاك زادي

وهي طويلة اكتفينا منها بهذا المقدار. ومن شعره أيضاً:
كانت بلهنية الشببية سكرة
وقعدت أنتظر الفناء كراكب

فصحوت واستبدلت سيرة مجمل
عرف المجل فيات دون المنزل

الحسين بن مطير بن مكل

الأسدي مولى بني أسد بن خزيمة، وكان جده مكل عبداً فعتق وقيل كوتب. وابن مطير من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، فصيح متقدم في الرجز والقصيد يعد من فحول المحدثين، يشبه كلامه كلام الأعراب وأهل البادية، وقد على الأمير معن بن زائدة الشيباني لما ولي اليمن، فلما دخل عليه أنشده:

أتيتك إذ لم يبق غيرك جابر
فقال له: يا أخا بني ليس أسد هذا بمدح، إنما المدح قول نهار بن توسعة في مسمع بن مالك:
قلدته عرى الأمور نزار
قيل أن يهلك السراة البحور

فغدا إليه بأرجوزة يمدحه بها فاستحسنها وأجزل صلته. وحدث جعفر بن منصور قال: حدثني أبي قال: حج المهدي فنزل زباله فدخل الحسين بن مطير الأسدي عليه فقال:

أضحت يمينك من جود مصورة
من حسن وجهك تضحى الأرض مشرقة
فقال المهدي كذبت، قال ولم يا أمير المؤمنين؟ قال: هل تركت في شعرك موضعاً لأحد بعد قولك في معن بن زائدة:
ألما على معن وقولا لقبره
فيا قبر معن أنت أول حفرة
ويا قبر معن كيف وارىت جوده
بلى قد وسعت الجود والجود ميت
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى
وما كان إلا الجود صورة وجهه
وكننت لدار الجود يا معن عامراً
فتى عيش في معروفه بعد موته
تمنى أناس شأوه من ضلالهم
تعز أبا العباس عنه ولا يكن
أبى ذكر معن أن يميمت فعالة
فما مات من كنت ابنه لا ولا الذي

لا بل يمينك منها صورة الجود
ومن بنائك يجري الماء في العود
سقتك الغواصي مربعا ثم مربعا
من الأرض خطت للمكارم وضجعا
وقد كان من البر والبحر مترعا؟
ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا
وأصبح عرنين المكارم أجدعا
فعاش ربيعاً ثم ولى وودعا
وقد أصبحت قفراً من الجود بلقعا
كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
فأضحوا على الأذقان صرعى وظلما
جزأوك من معن بأن تتضعضعا
وإن كان قد لاقى حماماً ومصرعها
له مثل ما أبقي أبوك وما سعى

فقال: يا أمير المؤمنين إنما معن حسنة من حسناتك، وفعلة من فعلاتك، فأمر لع بألف دينار ثم قال: سل حاجتك فقال:
 بيضاء تسحب من قيام فرعها
 وتغيب فيه وهو جعد أسحم
 فكأنها منه نهار مشرق
 وكانه ليل عليها مظلم
 قال: خذ بيدها لجارية كانت على رأسه فأولدها مطير بن الحسين بن مطير.

وقال الرياشي: حدثني أبو العالية عن أبي عمران المخزومي قال: أتيت مع أبي والياً كان بالمدينة من قريش، وعنده ابن مطير،
 وإذا بمطر جرد، فقال له الوالي: صف لي هذا المطر، قال: دعني أشرف عليه، فأشرف عليه ثم نزل فقال:

كثرت لكثرة قطره أطباؤه
 وله رباب هيدب لدفيقه
 وكان ريقه ولما يحتفل
 وكان بارقه حريق تلتقي
 مستضحك بلوامع مستبصر
 فله بلا حزن ولا بمسرة
 حيران متبع صباه تقوده
 غدق ينتج في الأباطح فرقاً
 غر محجلة دوالج ضمنت
 سحم فهن إذا كظمن سواجم
 لو كان من لجج السواحل ماؤه
 لو كان من لجج السواحل ماء

وقال ابن دريد: أنشدنا أبو حاتم السجستاني، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه للحسين بن مطير الأسدي، وقال عبد
 الرحمن قال عمي: لو كان شعر العرب هكذا ما أثم منشده:

ألا حبذا البيت الذي أنت هاجره
 لأنك من بيتٍ لعيني معجب
 أصد حياء أن يلم بي الهوى
 وفيك حبيب النفس لو تستطيعه
 فإن آته لم أنج إلا بظنة
 وكان حبيب النفس للقلب واتراً
 فإن يكن الأعداء أحموا كلامه
 أحبك يا سلمى على غير ريبة
 ويا عاذلي لولا نفاسة حبها
 بنفسي من لا بد أني هاجره
 ومن قد لحاه الناس حتى اتقاهم
 أحبك حباً لن أعنف بعده
 لقد مات فبلي أول الحب فانقضى
 كلامك يا سلمى وإن قل نافعي
 ألا ل أبالي أي حي تحملوا
 وحدث المرزباني عن الأخفش قال: أنشدنا أبو العباس ثعلب عن ابن الأعرابي لحسين بن مطير الأسدي:
 لقد كنت جلدأ قبل أن توقد النوى
 ولو تتركت نار الهوى لتصرمت
 وقد كنت أرجو أن تموت صبابتي
 وأنت بتلماح من الطرف ناظره
 وأملح في عيني من البيت عامره
 وفيك المنى لولا عدو أحذره
 لمات الهوى والشوق حين تجاوره
 وإن يأتته غيري تنطبي جزائره
 وكيف يحب القلب من هو وائره
 علينا فلن يحمي علينا مناظره
 ولا بأس في حبٍ تعف سرائره
 عليك لما باليت أنك خائره
 وما أنا في الميسور والعسر ذاكره
 ببغضي إلا ما تجن ضمائره
 محباً ولكني إذا ليم عاذره
 ولو مت أضحي الحب قد مات آخره
 فلا تحسبي أني وإن قل حاقره
 إذا أتمد البرقاء لم يخل حاضره
 على كيدي ناراً بطيئاً خمودها
 ولكن شوقاً كل يوم وقودها
 إذا قدمت أيامها وعهودها

فقد جعلت في حبة القلب والحشا
بمرجة الأرداف هيف خصورها
وصفر تراقيها وحمر أكفها
محصرة الأوساط زانت عقودها
يمينا حتى ترف قلوبنا
وفيهن مقلق الوشاح كأنها
وكننت أذود العين أن ترد البكا
هل الله عافٍ عن ذنوبٍ تسلفت

وقال:

رأت رجلاً أودى بوافر لحمه
خفيف الحشا ضرباً كأن ثيابه
فقلت لها لا تعجبين فإنني

وأنشد له ابن قتيبة:

يضعفني حلمي وكثرة جهلهم
دفعتم عني وما دفع راحة

وأنشد له المبرد:

ولي كبد مقروحة من يبيعي
أباها على الناس لا يشترونها

الحسين بن هبة الله ضياء الدين

أبو علي بن زاهر الموصللي الملقب بدهن الخصاء، أحد نحاة العصر، تصدر لإقراء العربية في بلده، وتقدم عند صاحب الموصل، ثم تغير عليه فرحل إلى الملك الناصر صلاح الدين، ثم وفد على ابنه في حلب فقربه ورتب له معلوماً على إقراء العربية، وكان أديباً شاعراً متفنناً لقيته بحلب وبها مات سنة ثمان وستمائة. ومن شعره:

مرضت ولي جيرة كلهم
فأصبحت في النقص مثل الذي

وقال:

يبتهج الناس بأعيادهم
وإنما عظم سروري بها
أرقبها حولاً إلى قابلٍ

وقال:

وإني وإن أخرت عنكم زيارتي
فما الود تكيري الزيارة دائماً

الحسين بن هدا بن محمد

ابن ثابت الديري الأصل، نسبة إلى الدير، قرية من قرى النعمانية، ويعرف بالنوري، والنورية قرية من قرى الحلة السيفية من سيف الفرات، نزل بها أبو عبد الله الضرير. توفي يوم الأربعاء ثاني عشر رجب سنة اثنتين وستين وخمسائة، كان نحوياً لغوياً مقراً فقيهاً شاعراً متفنناً، قرأ بالروايات على أبي العز محمد بن الحسين بن بندار الواسطي، وأبي بكر محمد بن الحسين بن علي المزرفي. سكن بغداد منعكفاً على نشر العلم والإقراء، فكان يقرئ النحو واللغة والقراءات، وكان يحفظ عدة دواوين من شعر العرب، وكان كثير الإفادة والعبادة، عفيفاً ديناً، وله شعر جيد منه:

فيك يا أغلوطة الفكر
سافرت فيك العقول فما
رجعت حسرى وما وقفت

وقال:

تاه عقلي وانقضى عمري
ربحت إلا عنا السفر
لا على عين ولا أثر

بأبي رئم تبلج لي
وأراني صبح طلعتة
وسقى بالكأس مترعة
فهى شمس في يدي قمر
ولها من ذاتها طرب

وقال:

عن شمال من لمتي ويمين؟
ليل شك محاه صبح يقين

قال لي من رأى صباح مشيبي
أي شيء هذا فقلت مجيباً

الحسين بن الوليد بن نصر

أبو القاسم المعروف بابن العريف، النحوي الأديب الشاعر، له شرح كتاب الجمل في النحو للزجاج، وكتاب الرد على أبي جعفر النحاس في كتابه الكافي، وغير ذلك، وكان مقدماً في العربية إماماً فيها، عارفاً بصنوف الآداب، أخذ العربية عن ابن القوطية وغيره، ورحل إلى المشرق فأقام بمصر مدة طويلة، وسمع فيها من الحافظ بن رشيق، وأبي طاهر الذهلي وغيرهما، ثم عاد إلى الأندلس فاختره المنصور محمد بن أبي عامر صاحب الأندلس مؤدياً لأولاده، وكان يحضر مجالسه، ومناظرته مع أبي العلاء صاعد اللغوي البغدادي مشهورة، فمن ذلك أن المنصور جلس يوماً وعنده أعيان مملكته من أهل العلم، كالزبيدي صاحب الطبقات، والعاصمي وابن العريف صاحب الترجمة وغيرهم فقال لهم المنصور: هذا الرجل الوافد علينا يزعم أنه متقدم في هذه العلوم، وأحب أن يمتحن، فوجه إليه، فلما مثل بين يديه والمجلس قد غص بالعلماء والأشراف، خجل صاعد واحتشم، فأدناه المنصور ورفع محله، وأقبل عليه وسأله عن أبي سعيد السيرافي، فزعم أنه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه، فبادره العاصمي بالسؤال عن مسألة من الكتاب فلم يحضره جوابها، واعتذر بأن النحو ليس جل بضاعته، فقال له الزبيدي: فما تحسن أيها الشيخ؟ فقال: حفظ الغريب. قال: فما وزن أولق؟ فضحك صاعد وقال: أمثلي يسأل عن هذا، إنما يسأل عنه صبيان المكتب. قال الزبيدي: قد سألتك ولا نشك أنك تجهله، فتغير لونه فقال: وزنه أفعل. فقال الزبيدي: صاحبكم ممخرق فقال له صاعد: إخال الشيخ صناعته الأبنية، فقال له: أجل، فقال صاعد: وبضاعتي أنا حفظ الأشعار ورواية الأخبار وفك المعنى وعلم الموسيقى. قال فناظره ابن العريف - صاحب الترجمة - فظهر عليه صاعد وجعل لا يجري في المجلس كلمة إلا أنشد عليها شعراً شاهداً وأتى بحكاية تناسبها، فأعجب المنصور فقربه وقدمه، وكان يوماً بمجلس المنصور أيضاً فأحضرت إليه وردة في غير أوانها لم يكمل فتح وراقها، فقال فيها صاعد مرتجلاً:

يذكرك المسك أنفاسها

أتتك أبا عامر وردة

فغطت بأكمامها رأسها

كعذراء أبصرها مبصر

فسر بذلك المنصور، وكان ابن العريف حاضراً فحسده وجرى إلى مناقضته، وقال للمنصور هذا البيتان لغيره، وقد أنشدنيهما بعض البغداديين لنفسه بمصر وهما عندي على ظهر كتاب بخطه، فقال له المنصور: أرنيه، فخرج ابن العريف وركب وحرك دابته حتى أتى مجلس ابن بدر، وكان أحسن أهل زمانه بديهة فوصف له ما جرى، فقال ابن بدر هذا لأبيات ودس فيها بيتي صاعد:

وقد جدل النوم حراسها

غدوت إلى قصر عباسية

وقد صدع السكر أناسها

فألفيتها وهي في خدرها

فقلت بلى فرمت كاسها

فقال أسرت على هجعة

يحاكي لك الطيب أنفاسها

ومدت يديها إلى وردة

فغطت بأكمامها رأسها

كعذراء أبصرها مبصر

ن في ابنة عمك عباسها

وقالت خف الله لا تفضح

فوليت عنها على خجلة

وما خنت ناسي ولا ناسها

فطار ابن العريف بها وعلقها على ظهر كتابٍ بخطٍ مصري ومدادٍ أشقر ودخل بها على المنصور، فلما رآها اشتد غيظه وقال للحاضرين غداً أمتحنه، فإن فضحه الامتحان أخرجته من البلاد ولم يبق في موضع لي عليه سلطان. فلما أصبح أرسل إليه فأحضر وحضر جميع الندماء والجلساء فدخل بهم إلى مجلس قد أعد فيه طبقاً عظيماً فيه سقائف مصنوعة من جميع النواوير ووضع على السقائف لعب من ياسمين في شكل الجواري وتحت السقائف بركة ماء قد ألقى فيها اللآلئ مثل الحصباء وفي البركة حية تسبح، فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور: إن هذا يوم إما أن تسعد فيه معنا وإما أن تشقى، لأنه قد زعم هؤلاء القوم أن كل ما تأتي به دعوى، وهذا طبق ما توهمت أنه حضر بين يدي ملكٍ قبلي شكله، فصفه بجميع ما فيه، فقال له صاعد على البديهة:

أبا عامر هل غير جدواك واكف

وهل غير من عاداك في الأرض خائف

يسوق إليك الدهر كل غريبة

وأعجب ما يلقيها عندك واصف

وشائع نور صاغها هامر الحي

على حافتيها عبقر ورفارف

ولما تناهى الحسن فيها تقابلت

عليها بأنواع الملاهي وصائف

كمثل الظباء المستكنة كنساً

تظللها بالياسمين السقائف

وأعجب منها أنهن نواظر

إلى بركة ضمت إليها الطرائف

حصاها اللآلئ سابح في عابها

من الرقش مسموم الثعابين زواحف

ترى ما تراه العين في جنباتها

من الوحش حتى يبينه السلاحف

فاستغربوا له تلك البديهة في مثل ذلك الموضع، وكتبها المنصور بخطه، وكان إلى ناحيته نت تلك السقائف سفينة فيها جارية من النوار تجذف بمجاديف من ذهب لم يرها صاعد، فقال له المنصور: أحسنت إلا أنك أغفلت ذكر السفينة والجارية، فقال للوقت:

وأعجب منها عادة في سفينة

مكللة تصبو إليها الهواتف

إذا راعها موج من الماء تتقي

بسكانها ما هيجه العواصف

متى كانت الحسناء ربان مركب

تصرف في يمين يديه المجاذف

ولم تر عيني في البلاد حديقة

تقلها في راحتن الوصائف

ولا غرو أن أنشت معاليك روضة

وشتها أزهير الربا والزخارف

فأنت امرؤ لو رمت نقل متالع

ورضوى ذرتها من سطاك نواسف

إذا قلت قولاً أو بدهت بديهة

فكلني له لمجدك واصف

فأمر له المنصور بألف دينار ومائة ثوب، ورتب له في كل شهر ثلاثين ديناراً وألحقه بندمائه. توفي أبو القاسم ابن العريف بطليطلة في رجب سنة تسعين وثلاثمائة.

حرمة بن المنذر بن معد يكرب

ابن حنظلة بن النعمان بن حبة بن سعة بن الحارث بن ربيعة، ويتصل نسبه بيعرب بن قحطان أبو زبيد الطائي شاعر معمر عاش خمسين ومائة سنة، وعادته في المخضرمين، أدرك الإسلام ولم يسلم ومات نصرانياً. وكان أبو زبيد طزلاً من الرجال ينتهي إلى ثلاثة عشر شبراً، وكان حسن الصورة فكان إذا دخل مكة دخلها متكرراً لجماله. وكان أبو زبيد يزور الملوك وملوك العجم خاصة، وكان عالماً بسيرهم، ووفد على الحارث بن أبي شمر الغساني والنعمان بن المنذر. حدثهم أبو قابوس قال: لقيت أبو زبيد الطائي فقلت له: يا أبا زبيد هل أتيت النعمان بن المنذر؟ قال: إي والله لقد أتيت وجالسته. قلت: فصفه لي فقال: كان أحمر أزرق أبرش قصيراً. فقلت له: أيسرك أنه سمع مقالتك هذه وأن لك حمر النعم؟ قال: لا والله ولا سودها، فقد رأيت ملوك حمير في ملكها، ورأيت ملوك غسان في ملكها، فما رأيت أشد عزاً منه. كان ظهر الكوفة منبت الشقائق فحمت ذلك المكان فنسب إليه، ففيل سقائق النعمان. فجلس ذات يوم هناك وجلسنا بين يديه كأن على رؤوسنا الطير، فقام رجل من الناس فقال له: أبيت اللعن، أعطني فإني محتاج، فتأمله طويلاً ثم أمر به فأداني حتى قعد بين يديه، ثم دعا بكنانة فاستخرج منها مشاقص فجعل يجأها وجهه حتى سمعنا قرع العظام وخضب بالدم، ثم أمر به فحني. ومكثنا ملياً فنهض رجل آخر فقال له: أبيت اللعن، أعطني فتأمله ساعة ثم قال: أعطوه ألف درهم فأخذها وانصرف، ثم التفت النعمان عن يمينه ويساره وخلفه فقال: ما قولكم في رجلٍ أزرق أحمر يذبح على هذه الأكمة؟ أترون دمه سائلاً حتى يجري في هذا الوادي؟ فقلنا له: أنت - أبيت اللعن - أعلى برأيك فدعا برجلٍ على هذه الصفة فأمر به فدبح ثم قال: ألا تسألوني عما صنعت؟ فقلنا: ومن يسألك عن أمرك وما تصنع؟

فقال: أما الأول فإني خرجت مع أبي نتصيد فممرنا به وهو بفناء بابه وبين يديه عس من لبن فتناولته لأشرب منه، فثار إلي فهراق الإناء فملاً وجهي وصدري فأعطيت الله عهداً لنن أمكنني من لأخضبن لحينه وصدره من دم وجهه. وأما الآخر فكانت له عندي يد فكافأته بها. وأما الذي ذبحته فإن عينا لي بالشام كيب علي: أن جبلة بن الأيهم بعث إليك برجل صفته كذا وكذا ليقتلك، فطلبت له فلم أقدر عليه حتى كان اليوم فرأيت بين القوم فأخذته. وكان عثمان بن عفان - رضي الله عنه - يقرب أبا زبيد ويدني مجلسه لمعرفته بسير من أدركهم من ملوك العرب والعجم، فدخل عليه يوماً وعنده المهاجرون والنصارى، فتذكروا ماثر العرب وأخبارها وأشعارها، فالتفت إليه عثمان وقال له: يا أبا تبع المسيح أسمعنا بعض قولك، فقد أنبئت أنك تجيد الشعر، فأنشده قصيدته التي أولها:

من مبلغ قومنا النائن إذ شحطوا أن الفؤاد إليهم شقيق ولع

ووصف فيها الأسد فقال له عثمان: تالله تفتأ تذكر الأسد ما حييت، والله إنني لأحسبك جباناً هذان. قال: كلا يا أمير المؤمنين، ولكني رأيت منه منظراً وشهدت مشهداً لا يبرح يتجدد في قلبي، ومعذور أنا بذلك يا أمير المؤمنين غير ملوم. فقال له عثمان: وأين كان ذلك وأنى؟ فقال: خرجت في صيابة من أشراف العرب وفتيانهم ذوي هيبَةٍ وشارَةٍ حسنةٍ ترمي بنا المهري بأكسائها والقيروانات على قنو البغال تسوقها العبدان، ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام، فاخروط بنا السير في حمارة القيظ، حتى إذا عصبت الأفواه وذبلت الشفاه وشالت المياه، وذكت الجوان والمعرءاء، وذاب الصيهب وصر الجندب، وضاف العصفور الضب في جوره وجاوره في جحره. قال قائل: أيها الركب تغوروا بنا في ضوح هذا الوادي، وإذا وادٍ قد بدا لنا كثير الدغل، دائم الغلال، صحراؤه مغنة، وأطياريه مرنة، فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهيلاتٍ، وأصبنا من فضلات المزاد وأتبعناها الماء البارد. فلما انتصف حر يومنا ذلك، وبينما نحن كذلك إذ صر أقصى الخيل أذنيه، وفحص الأرض بيديه، فوالله ما لبث أن حال، ثم حمحم فبال، ثم فعل فعله الذي يليه واحداً فواحداً، فتضعضعت الخيل، وتكعكت الإبل، وتقهقرت البغال، فمن نافر بشكاله، وشارد بعقاله، فعلمنا أنه السبع، ففزع كل منا إلى سيفه فسله من قرابه، ثم وقفنا رزداً فأقبل أبو الحارث من أجمته يتظالع في مشيته كأنه مجنون، أو في وجار مسجون، لطره وميض ولصدره شحيط، ولبلعومه غطيظ، ولأرساغه قضيض كأنما يخطب هشيماً، أو يطأ رميماً، له هامة كالمجن، وخد كالمسن، وعينان سجروان كأنهما سراجان يتقدان، وقصرة ربله، ولهزمة رهلة، وكند مبط، وزند مفرط، وساعد مجدول، وعضد مقتول، وكف شتنة البرائن، إلى مخالاب كالمحاجن، فضرب بيديه فأرهج، وكشر فأفرج عن أنياب كالمعاول مصقولةٍ غير مفلولة، وفم أشدق كالغار الأخرق، ثم تمطى بيديه وحفز بوركيه حتى صار ظله مثيله، ثم ألقى فاقشعر، ثم أقبل فاكفهر، ثم تجهم فازبار، فلا وذو بيته في السماء، ما اتقيناه إلا بأخ لنا من فزارة، كان ضخم الجزارة، فوقصه فوقصه ثم نفذه نفضةً ففققض متنيه وجعل يلغ في دمه فذمرت أصحابي، فبعد لأي ما استقدموا فجهجنا به، فكر مقشعراً بزيرته كان به نهماً حولياً فاختلج رجلاً أعرج ذا حوايا، فنفضه نفضةً تزايلت بها مفاصله، ثم همهم ففر فر وزفر فبربر، ثم زار فجرجر، ثم لحظ فأشزر، فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه من شماله ومن يمينه، فأرعشت الأيدي واصطكلت الأرجل وأطت الأضلاع، وارتجت الأسماع وشخصت العيون، وساءت الظنون، فظنت المنون فقال له عثمان: اسكت قطع الله لسانك، فقد أرعبت قلوب المسلمين. وقال يصف الأسد:

فباتوا يدلجون وبات يسري	بصير بالدجي هادٍ هموس
إلى أن عرسوا وأغب عنهم	قريباً ما يحس له حسييس
خلا أن العتاق من المطايا	حسين به فهن إليه شوس
فلما أن رأهم قد تدانوا	أتاهم بين رحلهم يريس
فثار الزاجرون فزاد قرباً	إليهم ثم واجهه ضبييس
بنصل السيف ليس له مجن	فصد ولم يصادفه جسييس
فيضرب بالشمال إلى حشاه	وقد نادى وأخلفه النيس
يشتر كالمحملق في عيون	تقيه الأرض الربيس
فخر السيف واختلجت يده	وكان بنفسه وقيت نفوس
وطار القوم شتىً والمطايا	وغودر في مكرهم الرسييس
وجال كأنه فرس صنيع	يجر جلاله ذيل شموس
كأن بنحره و بساعديه	عبيراً بات تعبؤه عروس
فذلك إن تلاقوه تفادوا	ويحدث عنكم أمر شكييس

وقال ابن الأعرابي: كان لأبي زبيد كلب يقال له الأكر، وكان له سلاح يلبسه إياه فكان لا يقوم له الأسد، فخرج ليلة ولم يلبسه سلاحه فلقى الأسد فقتله، فقال أبو زبيد:

أجال أكر مشياً لا كعادته
لاقي لدى ثل الأطاواة داهية
حفت به شيمة ورهاء تطرده
إلى مقابل فتل الساعدين له
ريبال غاب فلا قحم ولا ضرع

وهي قصيدة طويلة، فلامه قومه على كثرة وصفه للأسد وقالوا: قد خفنا أن تسبنا العرب بوصفك له. فقال: لو رأيتم منه ما رأيتم، أو لقيتم منه ما لقي أكر لما لمتموني، ثم أمسك عن وصفه حتى مات. وقال ابن الأعرابي: مان أبو زبيد يقيم أكثر أيامه في أخواله بني تغلب، وكان له غلام يرعى إبله فغزت بهراء وهم من قضاة بني تغلب، فمروا بغلامه فدفع إليهم إبل أبي زبيد وانطلق معهم يدلهم على عورة القوم ويقاثل معهم، فهزمت تغلب بهراء وقتل الغلام. فقال أبو زبيد في ذلك:

هل كنت في منظر ومستمع
تسعى إلى فتية الأراقم واس
في عارض من جبال بهرائها ال
فبهرة إذ لقوا حسبتهم
لا ترة عندهم فتطلبها
جود كرام إذا هم ندبوا
صمت عظام الحلوم إن سكتوا
تقود أفراسهم نساؤهم
صادقت لما خرجت منطلقاً
تخال في كفه مثقفة
بكف حران ثائر بدم
إما تقاذفبك الرماح فلا
حمدت أمري ولمت إذ
وقد تصليت حر نارهم
تذب عنه كف بها رمق
عما قليل علون جثته

فلما بلغ شعره بني تغلب بعثوا إليه بديعة غلامه وما نهب من إبله. فقال في ذلك:

ألا بلغ بني عمرو رسولا
فما أنا بالضعيف فتظلموني
أفي حق مواساتي أخاكم
فإني في مودتكم نفيس
ولا حقي للقاء ولا خسيس
بمالي ثم يظلمني السريس

وحدث ابن الأعرابي قال: كان أبو زبيد الطائي نديماً للوليد بن عقبة والي الكوفة من قبل عثمان، فلما شهدوا عليه بشرب الخمر وعزل عن عمله وخرمن الكوفة قال أبو زبيد:

من يرى العير لابن أروى على ظه
مصعداتٍ والبيت بيت أبو وه
يغرف الجاهل المضلل أن الد
ليت شعري كذاكم العهد أم كا
بعد ما تعلمين يا أم زيد
ووجوه بوندنا مشرقات
أصبح البيت قد تبدل بالحي
كل شيء يختال فيه الرجال

حتى إذا كان بين البئر والطعن
سرت وأكر تحت الليل في قرن
حتى تناهى إلى الجولان في سنن
فوق السراة كذفرى الفالج القمن
كالفيل يختطم الفحلين في شطن

في نصر بهراء غير ذي فرس
تعجلت قبل الجمان والقبس
ألى مرين الحرون عن درس
أحلى وأشهى من بارد الدبس
ولا هم نهزة لمختلس
غير لئام ضجر ولا خسس
من غير عي بهم ولا خرس
يزجون أجمالهم مع الغلس
جهم المحيا كباسل شرس
تلمع فيها كشعلة القبس
طلاب وتر في الموت منغمس
أبكيك إلا للدلو والمرس
أمسك جرز السنان بالنفس
كما تتصلى المقرور من قرس
طيراً عكوفاً كزور العرس
فهن من والغ ومنتهس

ر المرورى حداتهن عجال
بب خلاء تحن فيه الشمال
دهر فيه النكراء والزلال
نوا أناساً ممن يزول فزالوا؟
كان فيهم عز لنا وجمال
ونوال إذا أريد النوال
ي وجوهاً كأنها الأفتال
غير أن ليس للمنايا احتيال

ولعمر الإله لو كان للسي
ما تناسيتك الصفاء ولا الود
ولحرمتم لحملك المتصي
قولهم شربك الحرام وقد كا
وأبى الظاهر العداوة إلا
من رجالٍ تقارضوا منكراتٍ
غير ما طالبين ذحلاً ولكن
من يخنك الصفاء أو يتبدل
فاعلمن أنني أخوك أخو الد
ليس بخل عليك عندي بمال
ولك النصر باللسان وبالكف

ف مصال أو للسان مقال
د ولا حال دونك الأشغال
ضلة ضل حلمهم ما اقتالوا
ن شرباً سوى الحرام حلال
شنناً وقول ما لا يقال
لينالوا الذي أرادوا فنالوا
مال دهر على أناس فمالوا
أو يزل مثل ما تزول الظلال
د حياتي ختى تزول الجبال
أبدأ ما أقل نعلأ قبال
ف إذا كان لليدين مصال

ولأبي زبيد في مدح الوليد بن عقبة شعر كثير تركناه خوف الإطالة، ومن جيد شعره:

إن نيل الحياة غير سعود
علل المرء بالأمانى ويضحى
كل يوم ترميه منها برشق
كل ميت قد اغتفرت فلا وا
غير أن الجلاح هذا جناحي

وضلال تأميل نيل الخلود
غرضاً للمنون نصباً لعود
فمصيب أوصال غير بعيد
جع من والدٍ ومن مولود
يوم فارقت به أعلى الصعيد

وكان أبو زبيد يحمل في كل أحدٍ إلى البيع مع النصارى، فبينما هو يوم أحدٍ يشرب والنصارى حوله رفع بصره إلى السماء فنظر نظراً طويلاً، ثم رمى الكأس من يده فقال:

إذا جعل المرء الذي كان حازماً
فليس له في العيش خير يريده
أتاني رسول الموت يا مرحباً به

يحل به حل الحوار ويحمل
وتكفيه ميتاً أعف وأجمل
وإني لآتيه أما سوف أفعل

حفص الأموي مولاهم

شاعر من شعراء الدولة الأموية، عاش حتى ادرك دولة بني العباس، ولحق بعبد الله بن علي فاستأنه، فهو من مخضرمي الدولتين، وكان يختلف إلى كثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة الشاعر يروي عنه شعره، وكان حجاجاً لبني هاشم، فطلبه عبد الله بن علي فلم يقدر عليه، ثم جاءه حفص مستأناً فقال: أنا عائد بالأمير، فقال له: ومن أنت؟ قال: حفص الأموي، فقال: أنت الهجاج لبني هاشم؟ فقال: أنا الذي أقول - أعز الله الأمير -:

وكانت أمية في ملكها
فلما رأى الله أن قد طغت
زماها بسفاح آل الرسول
ولو أمنت قبل وقع العذاب

تجور وتكثر عدوانها
ولم يحمل الناس طغيانها
فجذب بكفيه أعيانها
لقد يقبل الله إيمانها

فلما أتم الإنشاد، قال له عبد الله بن علي: اجلس، فجلس فتعدى بين يديه، ثم دعا عبد الله خادماً له فسار به بشيء ففزع حفص وقال: أيها الأمير، قد تحرمت بك وبطعامك وفي أقل من هذا كانت العرب تهب الدماء. فقال له عبد الله: ليس شيء مما ظننت، فجاء الخادم بخمسائة دينار فقال: خذها ولا تقطعنا، وأصلح ما شعنت منا. وروى ابن السائب الكلبي أن هشام بن عبد الملك قال يوماً لقوامه على خيله: كم أكثر ما ضمت حلبة من الخيل في الجاهلية والإسلام؟ قالوا: ألف فرس وقيل ألفان، فأمر أن يؤذن بالناس بحلبة تضم أربعة آلاف فرس، فقيل له: يا أمير المؤمنين يحطم بعضها بعضاً فلا يتسع لها طريق، فقال: نطلقها ونتوكل على الله، والله الصانع. فجعل الغاية خمسين ومائتي غلوة، والقصب مائة، والمقوس ستة أسهم، وقاد إليه الناس من كل أوب، ثم برز هشام إلى دهناء الرصافة قبيل الحلبة بأيام، فأصلح طريقاً واسعاً لا يضيق بها، فأرسلت يوم الحلبة بين يديه وهو ينظر إليها

تدور حتى ترجع، وجعل الناس يترأؤونها حتى أقبل الزابد كأنه ريح لا يتعلق به شيء حتى دخل سابقاً وأخذ القصبة، ثم جاءت الخيل بعد ذلك أفضداً وأفواجاً، ووثب الرجاز يرتجزون، منهم المادح للزابد، ومنهم المادح لفرسه، ومنهم المادح لخيّل قومه، فوثب حفص الأموي مولاهم وقام مرتجزاً يقول:

إن الجواد السابق الإمام	خليفة الله الرضي الهمام
أنجبه السوابق الكرام	من منجباتٍ ما لهن ذام
كرائم يجلى بها الظلام	أم هشام جدها القمقام
وعائش يسمو بها الأقوام	خلائف من نجلها أعلام
إن هشاماً جده هشام	مقابل مدابر هشام
جرى به الأخوان والأعمام	فحل كفحل كلهم قدام
سنوا له السبق وما استقاموا	حتى استقام حيث استقاموا
وأحرز المجد الذي أقاموا	أطلق وهو يفع غلام
في حلبة تم لها التمام	من آل فهر وهم السنام
فبذها سبقاً وما ألاموا	كذلك الزابد يوم قاموا
أتى ببده الخيل ما يرام	مجلياً كأنه حسام
سباق غايات لها ضرام	لا يقبل العفو ولا يضام
ويل الجياد منهما إذا راموا	سهم تفر دونه السهام

فأعطاه هشام يومئذ ثلاثة آلاف درهم، خلع عليه ثلاث حللٍ من جيد وشي اليمن، وحمله على فرس من خيله السوابق، وانصرف معه ينشده الرجز حتى قعد في مجلسه، وأمره بملازمته. فكان أثيراً عنده، وقال حفص أيضاً:

لا خير في الشيخ إذا ما اجلخا	وسال غرب دمه فلخا
وكان أكلاً كله وشخاً	تحت رواق البيت يخشى الدخا

حفص بن سليمان بن المغيرة

أبو عمر بن أبي داود الأسدي الكوفي الفخري البزاز نسبته لبني البر، وهو الإمام القارئ راوي عاصم بن أبي النجود، كان ربيب عاصم - ابن زوجته - فأخذ عنه القراءة عرضاً وتلقيناً. قال حفص: قال لي عاصم: القراءة التي أقرأتك بها فهي التي قرأتها عرضاً على أبي عبد الرحمن السلمي عن عيسى، والتي أقرأتها أبا بكر بن عياش فهي التي كنت أعرضها على زر بن حبيش عن ابن مسعود. ولد حفص سنة تسعين، ونزل بغداد فأقرأ بها وأخذ عنه الناس قراءة عاصم تلاوةً، وجاور بمكة فأقرأ بها أيضاً. قال يحيى بن معين: الرواية الصحيحة من قراءة عاصم رواية حفص، وكان أعلمهم بقراءة عاصم، وكان مرجحاً على شعبة بضبط القراءة، وتوفي حفص بن سليمان سنة ثمانين ومائة.

حفص بن عمر بن عبد العزيز

ابن صهبان بن عيسى بن صهبان، ويقال صهيب أبو عمر الدوري الأزدي البغدادي المقرئ النحوي الضرير نزيل سامراً، راوي الإمامين أبي عمرو والكسائي، إمام القراء وشيخ العراق في زمانه، ثقة ثبت كبير ضابط، رحل في طلب القراءات، وقرأ بالحروف السبعة و بالشواذ وسمع من ذلك شيئاً كثيراً، وقرأ على أبي عمرو بن العلاء والكسائي وروى عنهما، وقرأ العربية على أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي. قال أبو داود: رأيت أحمد بن حنبل يكتب عن عمر الدوري. وصنف كتاب: ما اتفقت ألفاظه ومعانيه من القرآن، وكتاب أجزاء القرآن وغير ذلك. والدوري نسبته إلى أبو عمر الدوري سنة ست وأربعين ومائتين.

أبو حفص الزكري العروضي

الأديب الشاعر، قال الحافظ أبو طاهر السلفي في معجم الشعراء: أنشدني أبو القاسم دربان ابن عتيق بن تميم الكاتب قال: أنشدني أبو حفص الزكري بإفريقية مما له بالأندلس وقد طوّل بمكس يتولاه يهودي:

يا أهل دانية لقد خالفتكم	حكم الشريعة والمروءة فينا
--------------------------	---------------------------

مالي أراكم تأمرون بضد ما
 كنا نطالب لليهود بجزية
 ما إن سمعنا مالكا أفتى بذا
 لا هؤلاء ولا الأئمة كلهم
 أيجوز مثلي أن يمكس عدله
 ولقد رجونا أن ننال بعدلكم
 فالآن تقنع بالسلامة منكم

أمرت ترى نسخ الإله الدينا
 وأرى اليهود بجزية طلبونا
 كلا ولا من بعده سحنونا
 حاشاهم بالمكس قد أمرونا
 لو كان يعدل وزنه قاعونا
 رفقاً يكون على الزمان معينا
 لا تأخذوا منا ولا تعطونا

حفصة بنت الحاج الركوني

شاعرة أديبة من أهل غرناطة، مشهورة بالحسب والأدب والجمال والمال. جيدة البديهة رقيقة الشعر أستاذة. وليت تعليم النساء في دار المنصور أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي، وسألها يوماً أن تنشده فقالت ارتجالاً:

يا سيد الناس يا من
 أمنتني على بطرس
 تخط يمينك فيه
 يؤمل الناس رفته
 يكون للدهر عده
 الحمد لله وحده

أشارت بذلك إلى العلامة السلطانية، فإن السلطان كان يكتب بيده في رأس المنشور بخط غليظ (الحمد لله وحده) فمن عليها وكتب لها بيده ما طلبت، وتولع بها أمير المؤمنين عبد المؤمن المذكور، وتغير بسببها على أبي جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي، وكان عاشقاً لها متصلاً بها يتبادلان رسائل الغرام، ويتجاوبان تجاؤ بالحمام، وقد أدى ولع عبد المؤمن بها إلى قتل أبي جعفر. ومما كتبه حفصة إلى أبي جعفر:

رأست فما زال العداة بظلمهم
 ومل منكر أن ساد أهل زمانه
 وبات معها أبو جعفر في بستان بحوز مؤمل، فلما حان وقت الفراق قال:

رعى الله ليلاً لم يرع بمذمم
 وقد خفقت من نحو نجد أريجة
 وغرد قمري على الدوح وانثنى
 يرى الروض مسروراً بما قد بدا له

عشبة واراناً بحوز مؤمل
 إذا نفحت جاءت برياً القرنفل
 قضيب من الريحان من فوق جدول
 عناق وضم وار تشاف مقبل

فقالت:

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا
 ولا صفق النهر ارتياحاً لقربنا
 فلا تحسن الظن الذي أنت أهله
 فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه

ولكنه أبدى لنا الغل والحسد
 ولا غرد القمري إلا لما وجد
 فما هو في كل المواطن بالرشد
 لأمر سوى كيما يكون لنا رصد

وقالت:

سلوا البرق الخفاق والليل ساكن
 لعمري لقد أهدى لقلبي خفوقه
 وبلغها أن أبا جعفر بن سعيد علق بجارية سوداء فأقام معها أياماً فكتبت إليه:

يا أظرف الناس قبل حال
 عشقت سوداء مثل ليل
 لا يظهر البشر في دجاها
 بالله قل لي وأنت أدرى
 من الذي حب قبل روضاً

أظل بأحبابي يذكرني وهنا
 وأمطر كالمنهل من مزنه الجفنا
 أوقعه وسطه القدر
 بدائع الحسن قد ستر
 كلا ولا يبصر الخفر
 بكل من هام في الصور
 لا نور فيه ولا زهر؟

فكتب إليها معتذراً:

لا حكم إلا لأمر ناهٍ
له محيا به حياتي
كضحية العيد في ابتهاج
بسعده لم أمل إليه
عدمت صبحي فاسود عشقي
إن لم تلح يا نعيم روعي
وكتبت إلى بعض أصحابها:

أزورك أم تزور فإن قلبي
فتغري مورد عذب زلال
وهل تخشى بأن تظما وتضحى
فعجل بالجواب فما جميل

وكان أبو جعفر بن سعيد يوماً في منزله، وقد خلا ببعض أصحابه وجلسائه، فضرب الباب فخرجت جاريته تنظر من الباب؟ فوجدت امرأة فقالت لها: ما تريدين؟ فقالت: ادفعي لسيدك هذه البطاقة، فإذا فيها:

زائر قد أتى بجيد غزالٍ
بلحاضٍ من سحر بابل صيغت
يفضح الورد ما حوى منه خد
أتراكم بإذنكم مسعفيه

فلما قرأ الرقعة قال: ورب الكعبة ما صاحب هذه الرقعة إلا حفصة، فبادر إلى الباب فلم يجدها فكتب إليها:

أي شغل عن المحب يعوق
صل وواصل فأنت أشهى إلينا
لا وحبيك لا يطيب صبوح
لا وذل الجفا وعز التلاقي

وقالت:

أغار عليك من عيني وقلبي
ولو أني جعلتك في عيوني

ماتت حفصة بمراكش سنة ست وثمانين وخمسمائة.

الحكم بن عبد بن جبلة

ابن عمرو بن ثعلب بن عقال بن بلال بن سعد بن حبال بن نصر بن غاضرة، وينتهي نسبه إلى خزيمة بن مدركة، الأسدي الفخاري الكوفي، شاعر مجيد هجاء من شعراء الدولة الأموية، كان ممن نفاه ابن الزبير من العراق كما نفى منها عمال بني أمية، فقدم دمشق ونال من عبد الملك بن مروان حظوةً فكان يدخل عليه ويسمر عنده، فقال ليلة لعبد الملك:

يا ليت شعري وليت ربما نفعت
بالذل والأسر والتشريد إنهم
أم هل أراك بأكناف العراق وقد
ذلت لعزك أقوام وقد نكلوا؟

فقال عبد الملك:

إن يمكن الله من قيس ومن جدس
نضرب جماجم أقوام على حنق
ومن جذام ويقتل صاحب الحرم
ضرباً ينكل عنا غابر الأمم

ودخل يوماً على عبد الملك فقعده بين السماطين وقال: - أصلح الله الأمير -، رؤيا رأيته بالمنام أقصها عليك؟ فقال: هات، فأنشأ يقول:

طلعت الشمس بعد غضارة
فرأيت أنك جدت لي بوليدة
وببرة حملت إلي وبغلة
فسألت ربي أن يثيبك جنة
في نومة ما كنت قبل أنامها
مغنوجة حسن علي قيامها
شهباء ناجية يصل لجامها
يلقاك فيها روحها وسلامها

فقال: كل ما رأيت عندنا إلا البغلة فإنها دهماء فارهة فقال: امرأته طالق إن كان رآها إلا دهماء، ولكنه نسي فأمر عبد الملك أن يحمل إليه كل ما ذكر في شعره. ودخل ابن عبدل على محمد بن حسان بن سعد وكان على خراج الكوفة، فكلمه في رجل من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهماً من خراجه، فقال محمد بن حسان: أمانتي الله إن كنت أقدر أن أضع من خراج أمير المؤمنين شيئاً، فأنصرف ابن عبدل وهو يقول:

دع الثلاثين لا تعرض لصاحبها
لما علا صوته في الدار مبتكراً
أحسن فإنك قد أعطيت مملكة
لا يعطك الله خيراً مثلاً أبداً
لا بارك الله في تلك الثلاثين
كاشتقان يرى قوماً يدوسونا
إمارة صرت فيها اليوم مفتونا
أقسمت بالله إلا قلت آمينا

ولما لم يضع من خراج الرجل شيئاً، قال ابن عبدل فيه:

رأيت محمداً شراً ظلوماً
يقول أمانتي ربي خداعاً
ركبت إليه في رجل أتانني
فقلت له وبعض القول نصح
توق كرائم البكري إنني
فما صادفت في قحطان مثلي
أقل براعة وأشد بخلًا
فقدت محمداً ودخان فيه
فأقسم غير مستن يميناً
فلو كنت المهذب من تميم
نكحت علي نكحة أخدري
فما يدنو إلى فمه ذئاب
فإن أهديت لي من فيك حتفاً
ولولا ما وليت لكنت فسلاً

وخطب محمد بن حسان هذا بنتاً لطلبة بن قيس بن عاصم المنقري فقال ابن عبدل:

لعمري ما زوجتها لكفاءة
وما كان حسان بن سعد ولا ابنه
ولكنه رد الزمان على استه
له ريقة بخراء تصرع من دنا
خذي دية منه تكوني غنية
ولكنما زوجتها للدراهم
أبو البخر من أكفاء قيس بن عاصم
وضيع أمر المحصنات الكرائم
وتنتن خيشوم الضجيع الملازم
وروحني إلى باب الأمير فخاصمي

وكان بالكوفة امرأة موسرة لها على الناس ديون كثيرة بالسواد، فأنت الحكم بن عبدل وعرضت له بأنها تتزوجه إذا اقتضى لها ديونها، فقام ابن عبدل بدينها حتى اقتضاه ثم طالبها بالوفاء فكتبت إليه:

سيخطبك الذي حاولت مني
كما أخطاك معروف ابن بشر
فقطع حبل وصلك من حبالني
وكننت تعد ذلك رأس مال

وكان ابن عبدل يأتي ابن بشر بن مروان بالكوفة فيسأله فيقول له: أخمسائة أحب إليك العام أم ألف في قابل؟ فيقول ألف في قابل، فإذا أتاه من قابل قال له: ألف إليك العام أم ألفان في قابل؟ فيقول ألفان، فلم يزل كذلك حتى مات ابن بشر ولم يعطه شيئاً. فدخل ابن عبدل على عبد الملك بن مروان بعد ما جرى من المرأة، فقال له عبد الملك: ما أحدثت بعدي، قال: خطبت امرأة من قومي فردت علي ببيتي شعر، قال: وما هما؟ قال: قالت:

سيخيطك الذي حاولت مني

البيتان، فضحك عبد الملك وقال له: - لحاك الله - أذكرت بنفسك، وأمر له بألفي درهم. وعن ابن الكلبي قال: كان الحكم بن عبدل منقطعاً إلى بشر بن مروان وكان يأنس به ويقربه، وأخرجه معه إلى البصرة لما وليها، فرأى منه الحكم جفاءً لشغل عرض له فانقطع عنه شهراً ثم أتاه، فلما دخل عليه قال له بشر: يابن عبدل ما لك انقطعت عنا وقد كنت لنا زواراً، فقال ابن عبدل:

كنت أثني عليك خيراً فلما
كنت ذا منصبٍ قنيت حيائي
لم أطق ما أردت بي يابن مروا
يقبلون الخسيس منك ويثنو

فقال له: لا نسومك الخسي ولا نريد منك ثناءً مدخماً ووصله وكساه، ولما مات بشر جزع ابن عبدل فقال يرثيه:

أصبحت جم البلبال الصدر
ما زلت أطلب في البلاد فتىً
ويظل يسعدني وأسعده
حتى إذا ظفرت يداي به
إني لفي هم يباكرني
فلأصبرن وما رأيت دوا
والله ما استعظمت فرقتة

وعن النضر بن شميل قال: دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمرور فقال: أنشدني أقنع بيت للعرب، فأنشدته قول الحكم بن عبدل:

إني امرؤ لم أزل وذاك من ال
أقيم بالدار ما اطمأنت بي الد
لا أحتوي خلة الصديق ولا
أطلب ما يطلب الكريم من الر
وأحلب الثرة الصفي ولا
إني رأيت الفتى الكريم إذا
والعبد لا يحسن العطاء ولا
مثل الحمار الموقع السوء لا
ولم أجد عزة الخلاق إل
قد يرزق الخافض المقيم وما
ويحرم الرزق ذو المطية والر

وكان الحكم بن عبدل أعرج، فدخل على عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو أعرج أيضاً وكان صاحب شرطته أعرج كذلك فقال:

ألق العصا ودع التعارج والتمس
لأميرنا وأمير شرطتنا معاً
فإذا يكون أميرنا ووزيرنا

وقال في بشر بن مروان:

عملاً فهذي دولة العرجان
لكليهما يا قومنا رجلاً
وأنا فجئ بالرابع الشيطان

ولو شاء بشر كان من دون بابيه
ولكن بشراً سهل الباب للتي
بعيد مراد العين ما رد طرفه

طماطم سود أو صقالبة حمر
يكون لبشر بعدها الحمد والأجر
حذار الغواشي باب دار ولا ستر

الحكم بن معمر بن قنبر

ابن جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن محارب الخضري شاعر إسلامي، وكان مع تقدمه في الشعر سجاعاً كثير السجع، وكان هجاءً خبيث اللسان، وكان بينه وبين الرماح بن أبرد المعروف بابن ميادة مهاجرة ومواقف كان الغلب في أكثرها على الرماح فتهاجيا زماناً طويلاً، ثم كف ابن ميادة وسلاًله الصلح، فصالحه الحكم. وكان أول ما بدأ الهجاء بينهما أن ابن ميادة مر بالحكم وهو ينشد في مصلى النبي صلى الله عليه وسلم في جماعة من الناس قوله:

لمن الديار كأنها لم تعمر
حتى انتهى إلى قوله:

يا صاحبي ألم تشما بارقاً
قد بت أرقبه وبات مصعداً
نضح الصراد به فهضب المنحر
نهض المقيد في الدهاس الموقر

فقال له ابن ميادة: ارفع إلى رأسك أيها المنشد، فرفع الحكم رأسه فقال له: من أنت؟ قال: أنا الحكم ابن معمر الخضري، قال: فوالله ما أنت في بيت حسب ولا في أرومة الشعر، فقال له الحكم: وماذا عبت في شعري؟ قال: عبت أنك أدهست وأوقرت. قال له الحكم: ومن أنت؟ قال: أنا ابن ميادة. قال: ويحك فلم رغبت عن أبيك وانتسب إلى أمك راعية الضأن، وأما إدهاسي وإيقاري، فإني لم أت خير لا ممتاراً ولا متحاملاً وما عدوت أن حكيت حالك وحال قومك، فلو سكت عن هذا كان خيراً لك وأبقى عليك، فلم يفترقا

وقال الحكم يهجو أم جحدر بنت حسان المريّة وكانت فضلت ابن ميادة عليه:

ألا عوقبت في قبرها أم جحدر
كما حادثت عبداً لثيماً وخلته
فيا ليت شعري هل رأيت أم جحدر
وهل أبصرت أرساغ أبرد أو رأيت
وبالغمر قد صرت لقاحاً وحادثت
ومما قاله الحكم في ابن ميادة:

خليلي عوجاً حبياً الدار بالجفر
وماذا تحيي من رسوم تلاعبت
إذا يبست عيدان قوم وجدتنا
إذا الناس جاؤوا بالقروم أتيتهم
لنا الغور والأنجاد والخيّل والقنا
فيامر قد أخزأك في كل موطن
فمنهن أن العبد حامي دماركم
ومنهن أن لم تمسحوا وجه سابق
ومنهن أن الميت يدفن منكم
ومنهن أن الجار يسكن وسطكم
ومنهن أن عذتم بأرقط كودن
ومنهن أن الشيخ يوجد منكم
يبيت ضباب الضغن يخشى احتراشها
وقولا لها سقياً لعصرك من عصر
بها حرجف تنزي بأذيالها الكدر
وعيداننا تغشى على الورق الخضر
بقرم يساوي رأسه غرة البدر
عليكم وأيام المكارم والفخر
من اللؤم خلات يزدن على العشر
وبئس المحامي العبد عن حوزة الثغر
جوادٍ ولم تأتوا حصاناً على طهر
فيقسو على دفانه وهو في القبر
برئياً فيرمي بالخيانة والغدر
وبئس المحامي أنت يا شرط الجفر
يدب إلى الجارت محدودب الظهر
وإن هي أمست دونها ساحل البحر

أبو الحكم بن غلندو الإشبيلي

ولد بإشبيلية وبها نشأ، وكان أديباً شاعراً جيد الشعر متفنناً بصناعة الطب، خدم بها المنصور أمير المؤمنين عبد المؤمن بن سعيد فحظي عنده وقدم، وكان أبوه أيضاً في خدمة أبي يعقوب والد المنصور، وكان أبو الحكم حسن الحظ يكتب الخطين الأندلسي والمشرقي، وتوفي بمراكش سنة سبع وثمانين وخمسائة. ومن شعره:

ماست فأزرت بالغصون الميس	وأنتك تخطر في غلالة سندس
وتبرجت جنح الظلام كأنها	شمس تجلت في دياجي الحندس
تختال بين لداتها فتخالها	بدرأ بدا بين الجواري الكنس
أرجت بريها الصبا فتضوعت	أنفاسها والصبح لم يتنفس
وسرت إلينا في ملاءة	سندس بترفل وتدلل وتيهنس
وتزلفت والليل مسبل جنحه	والجو داج من ظلام الحندس

وله:

لئن غبت عن عيني وشط بك النوى	فأنت بقلبي حاضر وقريب
خيالك في وهمي وذكرك في فمي	ومثواك في قلبي فأين تغيب؟

حكيم بن عياش المعروف بالأعور الكلبي

شاعر مجيد كان منقطعاً إلى بني أمية بدمشق وسكن المزة بها ثم انتقل إلى الكوفة، وكان بينه وبين الكميث بن زيد مفاخرة. وقدم أسامة خال الأعور على معاوية فقال له: اختر لك منزلاً فاختر المزة واقتطع فيها هبة وعترته، فقال الأعور:

إذا ذكرت أرض لقوم بنعمة	فبلدة قومي تزدهي وتطيب
بها الدين والإفضال والخير والندى	فمن ينتجها للرشاد يصيب
ومن ينتجع أرضاً سواها فإنه	سيندم يوماً بعدها ويخيب
تأتي بها خالي أسامة منزلاً	وكان لخير العالمين حبيب
حبيب رسول الله وابن رديفه	له ألفة معروفة ونصيب
فأسكنها كلباً فأضحت بليدة	بها منزل رحب الجناح خصيب
فنصف على بر فسيح رحابه	ونصف على بحر أغر يطيب

وكان الأعور يتعصب لليمن على مضر فقال:

ما سرني أن أُمي من بني أسدٍ	وأن ربي نجاني من النار
وأنهم زوجوني من بناتهم	وأن لي كل يوم ألف دينار

وجاء رجل إلى عبد الله بن جعفر فقال له: يابن رسول الله هذا حكيم الكلبي ينشد الناس هجاءكم بالكوفة فقال: هل حفظت منه شيئاً؟ قال: نعم وأنشده:

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلةٍ	ولم نر مهدياً على الجذع يصلب
وقستم بعثمان علياً سفاهةً	وعثمان خير من علي وأطيب

فرفع عبد الله يديه إلى السماء وهما ينتفضان رعدةً فقال: اللهم إن كان كاذباً فسلط عليه كلباً، فخرج حكيم من الكوفة فأدلى فافترسه الأسد فأكله، وأتى البشير عبد الله وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخر الله تعالى ساجداً وقال: الحمد لله الذي صدقنا وعده.

حماد بن عمر بن يونس بن كليب

الكوفي المعروف بحماد عجرد مولى بني سوء بن عامر بن صعصعة، شاعر مجيد من طبقة بشار، وكان بينهما مهاجاة، وهو أحد الحمادين الثلاثة، قال إبراهيم العامري: كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم الحمادون: حماد عجرد، وحماد الراوية، وحماد بن الزبرقان، يتنادمون ويتعاضرون معاشرة جميلة ويتناشدون الأشعار، وكانوا كأنهم نفس واحدة، وكان يرمون بالزندقة جميعاً، وحماد عجرد من مخضرمي الدولتين، نادم الوليد بن يزيد ولم يشتهر إلا في الدولة العباسية، قدم بغداد في أيام المهدي هو

ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد فاشتهروا بها، وكان حماد ماجناً ظريفاً متهماً في دينه، وكان أحد الأئمة ينتقصه فلما بلغه ذلك كتب إليه:

إن كان نسكك لا يتم بغير شتمي وانتقاصي
فاقعد وقم بي حيث شئت لدى الأداني والأقاصي
فلطالما زكيتني وأنا المقيم على المعاصي
أيام تأخذها وتعطي في أباريق الرصاص

وسبب تسميته بعجرج أن إعرابياً مر به وهو غلام يلعب مع الصبيان في يوم شديد البرد وهو عريان فقال له الأعرابي: تعجرت يا غلام فسمي عجرجاً، والمتعجرج: المتعري. وكتب لأبو النضير الجمحي الشاعر إلى حماد يسأله عن حاله في الشراب ومن يعاشر عليه، فكتب إليه حماد:

أبا النضير اسمع كلامي ولا
سألت ما حالي وما حال من
يظهر نسكاً ومتى يفترص
ومرض حماد فعاده أصدقاؤه جميعاً إلا مطيع بن إياس، فكتب إليه حماد:
كفاك عيادتي من كان يرجو
فإن تحدث لك الأيام سقماً
تجعل سوى الإنصاف في بالكا
لم يلق إلا عابداً ناسكاً؟
يكن علي عادياً فاتكنا
ثواب الله في صلة المريض
يحول جريضه دون القريض

يكن طول التأوه منك عندي
ومن شعر حماد عجرج:

إني أجحك فاعلمي
حبا أقل قليله

وقال:

فأقسمت لو أصبحت في قبضة الهوى
ولكن بلائي منك أنك ناصح
وقال في أبي العباس الطوسي:

أرجوك بعد أبي العباس إذ بانا
فأنت أكرم من يمشي على قدم
لو مج عود على قوم عصارته
يا أكرم الناس أعزاقاً وعيدانا
وأضر الناس عند المحل أغصانا
لمج عودك فينا المسك والبان

وكان بين حماد وبشار بن برد ومطيع بن إياس أهاج كثيرة أعرضنا عن ذكرها لما فيها من السخف والمجون وتوفي حماد عجرج بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة في أصح الروايات.

حماد بن سلمة بن دينار

الإمام أبو سلمة البصري، شيخ أهل البصرة في الحديث والعربية والفقه، أخذ عنه يونس بن حبيب النحوي، وسئل أيما أسن أننت أم حماد؟ فقال: حماد أسن مني، ومنه تعلمت العربية. وكان سيبويه يستملي على حماد فقال حماد: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من أحد من أصحابي إلا من لو شئت لأخذت عنه علماً ليس أبا الدرداء). فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء. فقال له حماد: لحننت يا سيبويه، ليس أبا الدرداء. فقال: لا جرم لأطلبن علماً لا تلحنني فيه أبداً، فطلب النحو ولزم الخليل بن أحمد، وكان أبو عمرو الجرمي يقول: ما رأيت فقيهاً قط أفصح من عبد الوارث إلا حماد بن سلمة. وكان حماد يقول: من لحن في حديثي فقد كذب علي. وكان يمر بالحسن البصري في الجامع فيدعه ويذهب إلى أصحاب العربية يتعلم منهم. وكان مع تقدمه في العربية إماماً في الحديث ثقة، ثبتاً حتى قالوا: إذا رأيت الرجل يقع في حماد فاتهمه على الإسلام.

روى حماد عن ثابت وأبي عمران الجوني وعبد الله بن كثير وابن مليك وخلق. وروى عنه مالك وسفيان وشعبة وابن مهدي وعفان وأمم. وقال عمرو بن سلمة: كتبت عند حماد بن سلمة بضعة عشر ألف حديث. وقال ابن المديني: كان عند يحيى بن

الضرير عن حماد عشرة آلاف حديث. وقال يحيى بن معين: هو أعلم الناس بثابت. وقال أحمد بن حنبل: حماد أعلم الناس بحديث خاله حميد الطويل وأثبتهم فيه. وقال أحمد ويحيى: هو ثقة الناس. وقال رجل لعفان: أحدثك عن حماد؟ قال: من حماد ويملك؟ قال: ابن سلمة، قال: هلا هلا قلت أمير المؤمنين. وقال ابن عدي: حماد إمام جليل، وهو مفتي أهل البصرة مع سعيد بن أبي عروبة.

وقال إسحاق بن الطباع: قال لي سفيان بن عيينة: العلماء ثلاثة: عالم بالله وبالعالم، وعالم بالله ليس بعالم بالعالم، وعالم بالعالم ليس بعالم بالله. قال ابن الطباع: الأول كحماد بن سلمة، والثاني مثل أبي الحجاج والثالث كأبي يوسف.

وقال ابن المديني: من سمعتموه يتكلم في حماد فاتهموه. واحتج مسلم بحماد بن سلمة في أحاديث عدة في الأصول من حديثه عن ثابت، وأخرج له الأربعة إلا البخاري، فنكت ابن حبان على البخاري، ولم يسمه، حيث احتج بابن دينار وابن عياش وابن أخي الزهري وترك حماداً فقال: لم ينصف من جانب حديث حماد، واحتج بأبي بكر بن عياش وعبد الرحمن بن دينار وابن أخي الزهري. وقال حماد بن زيد: ما كنا نرى أحداً يتعلم بنية غير حماد، وما نرى اليوم من يعلم بنية غيره. وقال وهيب: كان حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا، وكان إماماً في العربية فصيحاً مفوهاً، مقرباً فقيهاً، شديداً على المبتدعة، وله تأليف، ولم يكن له كتاب غير كتاب قيس بن سعد، يعني كان يحفظ علمه. مات حماد في ذي الحجة سنة سبع وستين ومائة، وقيل سنة تسع وستين في خلافة المهدي، ورثاه اليزيدي بأبيات أولها:

بعد أبي عمرو وحماد

يا طالب النحر ألا فابكه

يعني حماد بن سلمة وأبا عمرو بن العلاء.

حماد بن ميسرة بن المبارك

ابن عبيد الديلمي، مولى بني بكر بن وائل، وقيل مولى مكلف بن زيد الخيل، الكوفي المعروف بالرواية. قال المدائني: كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها، وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره وتستزيره، فيفد عليهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها، ويجزلون صلته وعن الهيثم بن عدي صاحبه وروايته قال: قال الوليد بن يزيد لحماد الرواية: بم استحققت هذا اللقب فقيل لك الرواية؟ فقال: بأني أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به، ثم أروي لأكثر منهم ممن أعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به، ثم لا أنشد شعراً قديماً ولا محدثاً إلا ميزت القديم منه من المحدث. فقال: إن هذا لعلم وأبيك كبير، فكم مقدار ما تحفظ من الشعر؟ قال: كثيراً، ولكني أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة، سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام. قال: سأمتحك في هذا وأمره بالإنشاد، فأنشد حتى ضجر الوليد، ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلين وأخبر الوليد بذلك، فأمر له بمائة ألف درهم.

وروى عن حماد الرواية أنه قال: كنت منقطعاً إلى يزيد بن عبد الملك، وكان أخوه هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية، فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إليه إلى هشام خفته، فمكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سرّاً، فلما لم أسمع أحد يذكرني أمنت فخرجت وصليت الجمعة في الرصافة، ثم جلست عند باب الفيل، فإذا شرطيان قد وقفا علي فقالا: يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر، فقلت في نفسي: هذا الذي كنت أحذره، ثم قلت لهما: هل لكما أن تدعاني حتى آتي أهلي فأودعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما إلى الأمير؟ فقالا: ما إلى ذلك سبيل، فاستسلمت إليهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر فسلمت عليه، فرمى إلي كتاباً فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم" من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر، أما بعد: فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الرواية من يأتيك به غير مروع ولا متعنع وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مهرياً يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق، فأخذت الدنانير ونظرت فإذا جمل مرحول، فركبته وسرت اثنتي عشرة ليلة حتى وافيت باب هشام، فاستأذنت فأذن لي فدخلت عليه في دار قوراء مفروشة بالرخام. وهو في مجلس مفروش بالرخام بين كل رخامتين قضيب ذهب، وهشام جالس على طنفسة حمراء، وعليه ثياب خز حمر وقد تضمخ بالمسك والعنبر، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يلقبه بيده فيفوح، فسلمت عليه بالخلافة فرد علي السلام واستدناني فدنوت منه حتى قبلت رجله، فإذا جاريتان لم أر مثلهما قط وفي أذني كل واحدة منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان تتقدان، فقال لي: كيف أنت يا حماد وكيف حالك؟ فقلت: بخير يا أمير المؤمنين. قال: أتدري فيم بعثت إليك؟ قلت: لا، قال: بعثت إليك بسبب بيت خطر ببالي لا أعرف قائله. قلت: وما هو؟ قال:

قينة في يمينها إبريق

ودعوا بالصباح يوماً

فقلت: هذا يقوله عدي بن زيد المبادي في قصيدة له، قال: فأنشديها فأنشدته:

بكر العاذلون في وضح الب
ويلومون فيك يا ابنة عبد الل
لست أدري إذ أكثروا العذل فيها
زائنها حسننها وفرع عميم
وثنايا مفلجات عذاب
ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت
قدمته على عقار كعين الد
مرة قبل مزجها فإذا ما
وطفا فوقها فقاقيع كالد
ثم كان المزاج ماء سحاب

ح يقولون لي ألا تستفيق؟
ه و القلب عندكم موهوق
أعدو يلومني أم صديق؟
وأثيت صلت الجبين أنيق
لا قصار ترى ولا هن روق
قينة في يمينها إبريق
ديك صفى سلافها الراووق
مزجت لذ طعمها من يذوق
در صغار يثيرها التصفيق
لا صرئ آجن ولا مطروق

قال: فطرب هشام ثم قال: أحسنت يا حماد. يا جارية اسقيه، فسقتني شربة ذهب بثلث عقلي وقال: أعد فأعدت فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه، ثم قال للجارية الأخرى: اسقيه، فسقتني شربة ذهب بثلث عقلي الثاني، فقلت: إن سقتني الثالثة افتضحت، فقال لي هشام: سل حاجتك، قلت: كائنة ما كانت؟ قال: نعم، قلت: إحدى الجاريتين، فقال: هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما، ثم قال للأولى: اسقيه، فسقتني شربة لم أعقل بعدها حتى أصبحت، فإذا بالجارتين عند رأسي وعدة من الخدم مع كل واحد منهم بدرة، فقال لي أحدهم: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: خذ هذه فأصلح بها شأنك، فأخذتها والجارتين وانصرفت إلى أهلي. قال الهيثم بن عدي: ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حماد، وقال الأصمعي: كان حماد أعلم الناس إذا نصح يعني إذا لم يزد وينقص في الأشعار والأخبار، فإنه كان متهماً بأنه يقول الشعر وينحله شعراء العرب، وقال المفضل الضبي: قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً، فقليل له: وكيف ذلك؟ أخطئ في رواية أم يلحن؟ قال: ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل، ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الأفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد وأين ذلك؟ وذكر أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس أن حماداً هو الذي جمع السبع الطوال ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقة على الكعبة.

ولحماد أخبار طوال اقتصرنا على ما ذكرناه منها، وكانت ولادته في سنة خمس وتسعين، وتوفي سنة خمس وخمسين ومائة. رثاه ابن كناسة الشاعر بقوله:

لو كان ينجي من الردى حذر
يرحمك الله من أخي ثقة
فهكذا يفسد الزمان ويف

نجاك مما أصابك الحذر
لم يك فس صفو وده كدر
نى فيه ويدرس الأثر

حماس بن ثامل مولى عثمان بن عفان

شاعر إسلامي من مخضرمي الدولتين أدرك أيام السفاح، وكان يوماً في مجلسه فذكر إسماعيل بن عبد الله القسري بني أمية فذمهم وسبهم، فقال حماس للسفاح: يا أمير المؤمنين، أيسب هذا بني عمك وعمالهم وهو رجل اجتمع والخريت في نسب؟ إن بني أمية لحمك ودمك فكلهم ولا تأكلهم، فقال له: صدقت، وأمسك إسماعيل فلم يجر جواباً. ومن شعر حماس:

الله نجى قلوصي بعد ما علقت
بحلفة من يمين غير صادقة
إحلف يميناً ما خفت مضلعة

من الأمير ومن عمرو بن سيار
حلفتها ثم لم تلحق بالنار
وتب إلى غافر للذنب غفار

حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب

الخطابي، من ولد زيد بن الخطاب أبو سليمان البستي، نسبة إلى مدينة بستان في بلاد كابل، كان محدثاً فقيهاً أديباً شاعراً لغوياً، أخذ اللغة والأدب عن أبي عمر الراهد، وأبي علي إسماعيل الصفار، وأبي جعفر الزاز وغيرهم من علماء العراق، وتفقّه بالقفال

الشاشي، وروى عنه الحافظ أبو عبد الله بن البيع المعروف بالحاكم النيسابوري، والحافظ المؤرخ عبد الغفار بن محمد الفارسي صاحب السياق لتاريخ نيسابور، وأبو القاسم عبد الوهاب الخطابي وخلق.

قال الحافظ أبو المظفر السمعاني: كان حجة صدوقاً رحل إلى العراق والحجاز، وجال في خراسان وخرج إلى ما وراء النهر. وقال الثعالبي: كان يشبه في عصرنا بأبي عبيد القاسم في عصره علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتديساً وتأليفاً، إلا أنه كان يقول شعراً حسناً. وكان أبو عبيد مفهماً. ولأبي سليمان كتب من تأليفه أشهرها وأسيرها: كتاب غريب الحديث، وهو غاية الحسن والبلاغة، وله أعلام السنن في شرح صحيح البخاري، ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود، وكتاب إصلاح غلط المحدثين، وكتاب العزلة، وكتاب شأن الدعاء، وكتاب الشجاج وغير ذلك. ولد في رجب سنة تسع عشرة وثلاثمائة، وتوفي ببغداد سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، وقيل سنة ست وثمانين، والأول أصح. ومن شعره:

إذا خلوت صفا ذهني وعارضني خواطر كطراز البرق في الظلم
وإن توالى صياح الناعقين على أذني عرتني منه لكنة العجم

وقال:

لعمرك ما الحياة وإن حرصنا عليها غير ربح مستعاره
وما للريح دائمة هبوب ولكن تارة تجري وتاره

وقال:

وما غمة الإنسان من شقة النوى ولكنها والله من عدم الشكل
وإني غريب بين بست وأهلها وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

وقال:

تسامح ولا تستوف حقاك كله وأبق فلم يستقص قط كريم
ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد كلا طرفي قصد الأمور نميم

وقال:

قد أولع الناس بالتلاقي والمرء صب إلى هواه
وإنما منهم صديقي من لا يراني ولا أراه

وقال:

شر السباع الضواري دونه وزر والناس شرهم ما دونه وزر
كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع وما ترى بشراً لم يؤذه بشر

وقال:

ما دمت حياً فدار الناس كلهم فإنما أنت في دار المداراة
من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى عما قليل نديماً للندامات

حمدان بن عبد الرحيم الأثاري

كان طبيباً أديباً شاعراً دائباً في طلب العلم، يحضر مجالس العلماء وأهل الأدب ويصحب من لقيه منهم ويلزمه. مات بعد سنة أربع وخمسين وخمسمائة. ومن شعره:

لا جلق رغن لي معالمها ولا أطبتني أنهار بطنان
ولا ازدهتني بمنيج فرص راقت لغيري من آل حمدان
لكن زمانني بالجزر ذكرني طيب زمانني وفيه ألكاني
يا حبذا الجزر كم نعمت به بين جنان ذوات أفنان

واجتاز بحمدان في بعض السنين الأمير مهتد الدولة ابن الخشيني فأنزله في الأثارب وأقام عنده أشهراً، فلما وافى هلال رمضان قال الأمير:

لله من قمر رأني معرضاً عنه وإعراضي حذار وشاته

طلع الهلال فقلت أعمل حيلة
فمضى وقال تصدين قمر الهوى
فأنا وحق هواك أبعد مرتقى
أنا كامل أبداً وذلك ناقص

في قبلة أجنبي جنى وجناته
لترى الهلال رقي إلى درجاته
منه وتأثيري كتأثيراته
فاجهد بوصفي ممعناً وصفاته

حمدة ويقال حمدونة

بنت زياد بن تقي من قرية بادي من أعمال وادي آش، كان أبوها زياد مؤدباً وكانت أديبة نبيلة شاعرة ذات جمال ومال مع العفاف والصون، إلا أن حب الأدب كان يحملها على مخالطة أهله مع نزاهة موثوق بها، وكانت تلقب بخنساء المغرب وشاعرة الأندلس. وروى عنها أبو القاسم بن البراق قال: أنشدتنا حمدة العوفية لنفسها وقد خرجت متنزهة بالرملة من نواحي وادي آش، فرأت ذات وجهٍ وسيم أعجبها فقالت:

أباح الدمع أسرار بوادي
فمن نهر يطوف بكل روض
ومن بين الأطباء مهة إنس
لها لحظ ترقده لأمر
إذا سدلّت ذوائبها عليها
كأن الصبح مات له شقيق

له في الحسن آثار بوادي
ومن روض يرف بكل وادي
سبت لبيّ وقد ملكت فؤادي
وذاك الأمر يمنعي رقاد
رأيت البدر في أفق السواد
فمن حزن تسربل بالسواد

وقد نسب إليها أهل المغرب الأبيات الشهيرة المنسوبة للمنازي الشاعر وهي:

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ
حللنا دوحه فحنا علينا
وأرشفنا على ظمإ زلالاً
يصد الشمس أنى واجهتنا
يروع حصاه حالية العذارى

سقاه مضاعف الغيث العميم
حنو المرضعات على الفطيم
ألذ من المدامة للنديم
فيحجبها ويأذن للنسيم
فتلمس جانب العقد النظيم

أجمع أدباء المشرق على نسبة هذه الأبيات للمنازي وهو أحمد بن يوسف المنازي المتوفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة، وأنه عرضها على أبي العلاء المعري فجعل المنازي كلما أنشده المصراع الأول من كل بيت سبقه أبو العلاء إلى المصراع الثاني كما نظمته المنازي، ونسبها أدباء الأندلس ومؤرخوها إلى حمدة وجزم بذلك طائفة منهم، وفيهم من رواها لها قبل أن يخلق المنازي والله تعالى أعلم. ومن شعر حمدة أيضاً:

ولما أبى الواشون إلا فراقنا
وشنوا على أسماعنا كل غارة
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي

وما لهم عندي وعندك من ثار
وقل حماتي عند ذاك وأنصاري
ومن نفسي بالسيف والسيول والنار

حمزة بن أسد بن علي بن محمد

أبو يعلى المعروف بابن القلانسي التميمي الأديب الشاعر المؤرخ، كان من أعيان دمشق ومن أفاضلها المبرزين ولي رئاسة ديوانها مرتين، وبها توفي سنة خمس وخمسين وخمسمائة. وله تاريخ للحوادث ابتداءً به من سنة إحدى وأربعين وأربعمائة إلى حين وفاته، وكانت له عناية بالحديث، وله كتب عليها سماعه، ومن شعره:

إياك تقنط عند كل شديدة
وانظر أوائل كل أمر حادثٍ

فشدائد الأيام سوف تهون
أبدأً فما هو كائن سيكون

وقال أيضاً:

يا من تملك قلبي طرفه فغدا
أمنن بوصلٍ لعلّي أستجير به

معذباً بين أشواق وأشجان
من سطوة النين في صدٍ وهجران

مالي منيت بممنوع يعذبني
لا برد الله قلبي من تحرقه
إذا ترنم قمري على فنن
وكم أسر غرامي ثم أعلنه
لا برد الله شوقي إن نويت لكم
تغيراً ما بأشكال وألوان

وقال:

يا نفس لا تجزعي من شدة عظمت
كم شدة عرضت ثم انجلت ومضت
وأيقني من إله الخلق بالفرج
من بعد تأثيرها في المال والمهج

حمزة بن بيض الحنفي الكوفي

أحد بني بكر بن وائل، شاعر مقدم مجيد من شهباء الدولة الأموية، كان منقطعاً إلى المهلب وولده، ثم انقطع إلى الأمير بلال بن أبي بردة، ووفد على سليمان بن عبد الملك وامتدحه قبل الخلافة فقال:

أتينا سليمان الأمير نزوره
إذا كنت بالنجوى به متفرداً
كفى سائليه سؤلهم من ضميره
ودخل عليه وعنده يزيد بن المهلب فقال:

حاز الخلافة والذاك كلاهما
أبواك ثم أخوك أصبح ثالثاً
سريت خوف بني المهلب بعدما
ليس الذي أولاك ربك منهم
فأمر له بخمسين ألف درهم، وقال في سليمان أيضاً:

لم تدر ما لا فلسيت قائلها
ولم تؤامر بتلك ممترياً
وهي على أنها الخفيفة أث
لما تعودت من نعم فنعم
إلا يكن عاجل تعجله
وما تعد في غد يكن غدك ال

ودخل على يزيد بن المهلب يوم جمعة وهو يتأهب للمضي إلى المسجد وجاريته تعممه فضحك، فقال له يزيد: مم تضحك؟ قال: من رؤيا رأيته، إن أذن الأمير قصصتها، قال قل: فأنشأ يقول:

رأيتك في المنام سننت خزاً
فصدق يا هديت اليوم رؤيا
على بنفسجاً وقضيت ديني
رأتها في المنام كذا عيني

قال: كم دينك؟ قال: ثلاثون ألفاً، قال: قد أمرنا لك بها ومثلها، ثم قال: يا غلمان فتنشوا الخزائن فجيئوه بكل جبة خز بنفسج تجدونها فجاءوا بثلاثين جبة، فنظر إليه يلاحظ الجارية فقال: يا جارية عاوني عمك على قبض الجباب، فإذا وصلت إلى منزله فأنت له، فأخذها والجباب وانصرف، وقال في يزيد بن المهلب أيضاً:

ومتى يؤامر نفسه مستخلياً
أه أن يعود لنا بنفحة نائل
أو في الزيادة بعد جزل عطائه
أو في الوفود على فقير موبق
بالمشرفية والرماح تقول رد
بالمشرفية والرماح تقول رد

ونعم بفيه ألد حين يقولها
ولما خرج زيد بن علي على هشام منع أهل مكة والمدينة أعطيّاتهم سنة، فقال حمزة بن بيض في ذلك:

وصلت سماء الضر بالضر بعد ما
زعمت سماء الضر عنا ستقلع

فليت هشاماً كان حياً يسوسنا
وكنا كما كنا نرجى ونطمع

ولما ولي أبو ليبيد البجلي - ابن أخت خالد القسري - أصبهان، وكان رجلاً متنسكاً خرج حمزة بن بيض في صحبته فقيل له: إن مثل حمزة لا يصحب مثلك، لأنه صاحب كلابٍ ولهو، فبعث إليه ثلاثة آلاف درهم وأمره بالانصراف فقال:

يا بن الوليد المرتجى سييه
ومن بجلي الحنّس الحالكا

سبيل معروفك مني على
بال فما بالي على بالكا؟

حشو قميصي شاعر مفلق
والجود أمسى حشو سربالكا

يلومك الناس على صحبتي
والمسك قد يستصحب الرامكا

إن كنت لا تصحب إلا فتىً
مهلك لن تؤتى بأمثالكا

إني امرؤ حيث يريد الهوى
فعد عن جهلي بإسلامكا

قال له أبو ليبيد: صدقت وقرب منزلته. وقال النضر بن شميل دخلت على المأمون بمرو فقال: يا نضر أنشدني أخلب بيت للعرب، قلت هو قول ابن بيض في الحكم بن مروان:

تقول لي والعيون هاجعة
أقم علينا يوماً فلم أقم

أي الوجوه انتجعت؟ قلت لها
وأي وجهٍ إلا إلأى الحكم؟

متى يقل حاجباً سرادقه
هذا ابن بيض بالباب بيتسم

قد كنت أسلمت قبل مقتبلاً
والآن إذ حل فاعطني سلمي

فقال المأمون: لله درك! فكانما شق لك عن قلبي. وأودع حمزة عند ناسكٍ ثلاثين ألفاً، ومثلهما عند نباد، فأما الناسك فبني بها داراً وزوج بناته فانفقها وجدها، وأما النباد فأدى إليه ماله، فقال في ذلك:

ألا لا يغرك ذو سجدة
يظل بها دائماً يخدع

كان بجبهته حبة
تسبح طوراً وتسترجع

وما لللقى لزمت وجهه
ولكن ليغتر مستودع؟

ولا تنفرن من أهل النبذ
وإن قيل يشرب لا يقلع

فعندك علم بما قد خبر
ت إن كان علمي بها ينفع

ثلاثون ألفاً حواها السجود
فليست إلى أهلها ترجع

بنى الدار من غير أمواله
فأصبح في بيته يرتع

مهائر من مالهم قد حرم
ن ظلماً فهم سغب جوع

وأدى أخو الكأس ما عنده
وما كنت في رده أطمع

ونزل يقوم فأسأوا لبغلته وطرحوا لبغلته تبناً رديئاً فعافته، فأشرف عليها فشجبت حين رآته فقال:

إحسبها ليلة أدلجتها
فكلي إن شئت تبناً أو ذري

قد أتى مولاك خبز يابس
فتغدي فتغدي واصبري

ولحمزة بن بيض أخبار حسان مع عبد الملك بن مروان وابنه وآل المهلب يطول ذكرها. توفي سنة ست عشرة ومائة، وقيل عشرين ومائة، والأول أصح.

حمزة بن حبيب بن عمارة

ابن إسماعيل الإمام أبو عمارة التيمي تيم الله ولاءً وقيل نسباً، الكوفي المعروف بالزيات، وقيل له الزيات لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان، ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة: وهو الإمام الحبر شيخ القراء وأحد السبعة الأئمة، ولد سنة ثمانين وأدرك الصحابة بالسن، فيحتمل أن يكون رأى بعضهم. أخذ القراءة عرضاً عن الأعمش والإمام جعفر بن محمد الصادق وابن أبي ليلى، وحرمان بن أعين. وروى عن الحكم وعدي ابن ثابت وحبيب بن أبي ثابت وطلحة بن مطرف. وأخذ القراءة عنه

إبراهيم بن أدهم، وسفيان الثوري، وشريك بن عبد الله، وعلي بن حمزة الكسائي وغيرهم. وروى عنه يحيى ابن آدم، وحسين الجعفي وخلق، وإليه المنتهى في الصدق والورع والتقوى، وإليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصم والأعمش، وكان إماماً حجة ثقة ثباتاً رصياً قيماً بكتاب الله، بصيراً بالفرائض، خبيراً بالعربية، حافظاً للحديث، عابداً زاهداً خاشعاً قانتاً لله ورعاً عديم النظير. قال الأعمش يوماً وقد رأى حمزة مقبلاً: (ويشر المحسنين) وقال ابن فضيل: ما أحسب أن الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة. وعن شعيب بن حرب أنه قال: ألا تسألوني عن الدر يعني قراءة حمزة؟ وكان شيخه إذا رآه مقبلاً يقول: هذا حبر القرآن. وقال سفيان الثوري: غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض. وقال له أبو حنيفة: شيطان غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما: القرآن والفرائض. وقد وثقه يحيى بن معين وقال: حسن الحديث عن ابن إسحاق يعني ابن أبي ليلى، ووثقه آخرون. وقال النسائي: ليس به بأس. وأما ما ذكر عن أحمد بن حنبل وأبي بكر بن عياش ويزيد بن هارون وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الله بن إدريس وحماد بن زيد من كراهم لقراءة حمزة لما فيها من المد المفرط والسكت واعتبار الهمزة في الوقف والإمالة ونحو ذلك من التكلف، فإن حمزة أيضاً كان يكره ذلك وينهى عنه، وروي أنه كان يقول لمن يفرط في المد والهمز لا تفعل، أما علمت أن ما فوق البياض فهو برص، وما فوق الجعودة فهو قشط، وما فوق القراءة فهو ليس بقراءة. وبعد: فقد انعقد الإجماع على تلقي قراءة حمزة بالقبول والإنكار على من تكلم فيها. توفي حمزة بخلوان مدينته في آخر سواود العراق سنة ست وخمسين ومائة، وقيل سنة ثمان وخمسين ومائة، وله ست وسبعون سنة.

الجزء الحادي عشر

حمزة بن علي أبو يعلى

ابن العين زربي نسبة إلى عين زربي، الأديب الشاعر. قتل في الوقعة التي كسر فيها أوتسز بن أوق سنة ست وخمسين وخمسائة، ومن شعره هذه القصيدة وهي من بحر السلسلة قال:

هل تأمنُ ببقى لك الخليط إذا بان	لهم فؤاداً وللمدامع أجفان؟
أتطمع في سلوة وجسمك حالٍ	بالسقم ومن حبههم فؤاده ملآن؟
تبغي أملاً دونه حشاشة نفس	وفي الحشى منى هوى تضاعف أشجان
اعتل لأجفاني القريحة أجفان	إذ بان ركابٌ من العقيق إلى البان
فالدمع إذا ما استمر فاض نجيعاً	والحب إذا ما استمر ضاعف أشجان
لله وجوه بدت لنا كبذور	حسناً وقدودٌ غدت تميز كأغصان
إذا عزموا عزيمة الفراق أعاروا	للقلب هموماً تحل فهي وأحزان
سقياً لزمان مضى ففرق شمالاً	أيام حلا لي العيش والوصال بخلوان
يا ساكنة في الحشا ملكت فؤاداً	أضحت حرق الوجد فهي تضرم نيران
حاتم تمنى الفؤاد منك بوعدٍ؟	هل ينقع لمع السراب غلة عطشان؟
حاتم أرى راجياً وصال حبيب	قد أسرف في هجره وأصبح خوان

وقال:

تناسيتم عهد الوفا بعد تذكار	فأجرى حديثي فيكم دمعي الجاري
وأنكرتموني بعد عرفان صبوني	فهيجتم وجدي وأضرمت نار
وهل دام في الأيام وصلٌ لهاجر	وود لخوان وعهد لغدار؟
ألا حاكم لي في الغرام يقللني	ألا أخذ لي بعد سفك دمي ثاري؟؟
وإني لصبار على ما ينويني	ولكن على هجرانكم غير صبار

وقال:

يا راكباً عرض الفلاة ألا	بلغ أحباي الذي تسمع
وقل لهم ما جف لي مدمع	ولم يطب لي بعد كم مضجع
ولا لقيت الطيف مذ غبتم	وإنما يلقيه من يهجع

وقال:

والود يعطف ما لا يعطف النسب
والعقل آفته الإعجاب والغضب

ألمال يرفع ما لا يرفع الحسب
والحلم آفته الجهل المضرب به

حميد بن ثور بن عبد الله

وقيل ابن حزن بن عامر بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال الهلالي، ويتصل نسبه بنزار بن معد أبو المثنى أحد المخضرمين من الشعراء، أدرك الجاهلية والإسلام، وقيل إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن مندة لما أسلم حميد أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأنشده:

أصبح قلبي من سليمى مقصداً
فحمل الهم كنازاً جلعداً
وبين نسعيه خدباً ملبداً
ونجد الماء الذي توردنا
حتى أراد ربنا محمداً

وقيل إن حميداً قال الشعر في أيام عمر رضي الله عنه. حدث محمد بن فضالة النحوي قال: عمر بن الخطاب إلى الشعراء ألا يشيب أحد بامرأة، فقال حميد بن ثور:

أبي الله إلا أن سرحة مالك
فقد ذهبت عرضاً وما فوق طولها
فلا الظل من برد الضحى تستطيعه
فهل أنا إن عللت نفس بسرحة
كنى عن المرأة التي أرادها بالسرحة، والعرب تكنى عن النساء بها. وقال:

لقد أمرت بالبخل أم محمد
فإني امرؤ عودت نفسي عادةً
أحين بدا في الرأس شيب وأقبلت
رجوت سقاطي واعتلالي ونبوتي

وقال:

فلا يبعد الله الشباب وقولنا
ليالي سمع الغانيات وطرفها

وقال:

لو لم يوكل بالفتى
وتناوباه لأوشكا

وقال:

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة
بكت مثل تكلّى قد أصيب حميمها
فلم أر مثلي شاقه صوت مثلها

وقال أيضاً لما حضر عمر على الشعراء ذكر النساء:

تجرم أهلوها لأن كنت مشعراً
ومالي من ذنب إليهم علمته
بلى فاسلمي ثمت اسملي

وقال لزوجته:

فاقسم لولا أن خدباً تتابعن
على ولم أبرح بدين مطردا

تجن غزالاً بالخميلة أغيدا
مداكاً لها من زعفران وإنمدا

لزامت مكسلاً كأن ثيابها
إذا أنت باكرت المنية باكرت
مات حميد بن ثور في خلافة عثمان - رضي الله عنه - .

حميد بن مالك الأرقط

ولقب بالأرقط لآثار كانت بوجهه، وهو شاعر إسلامي مجيد وكان بخيلاً. قال أبو عبيدة: بخلاء العرب أربعة: الحطيئة، وحميد الأرقط، وأبو الأسود الدؤلي، وخالد بن صفوان. ومن شعر حميد:

وقد اغتدى والصبح محمر الطرر
وفي تواليه نجوم كالشرر
كأنه يوم الرهان المحتضر
دون أثابي من الخيل زمر
عن زف ملحاح بعيد المنكر
يلذن منه تحت أفنان الشجر
بعيد توهيم الوقاع والنظر
بين مآق لم تخرق بالإبر
وقال في وصف أفعى:

سار طمور بالدجنات
من طول إطراق وإخبات
نفخ ونقب في المغارات
منهت الشدق رقود الضحى
وتارة تحسبه ميتاً
يسبته الصبح وطوراً له

حميد بن مالك بن مغيث

ابن نصر بن منقذ بن محمد بن منقذ مكنى الدولة أبو الغنائم الكناني. ولد بشيذر سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وبها نشأ، ثم انتقل إلى دمشق وسكنها وكتب في الجيش وكان يحفظ القرآن، وكان أديباً شاعراً. توفي بجلب في شعبان سنة أربع وسنين وخمسائة.

ومن شعره:

أدنو بودي وحظي منك يبعدي
وإن توخيتني يوماً بلائمة
وحسن ظني موقوف عليك فهل
هذا لعمر ك عين الغبن والغبن
رجعت باللوم إبقاءً على الزمن
عدلت في الظن بي عن رأيك الحسن؟

وقال:

وقهوة كدموع الصب صافية
يطفو الحباب عليها وهي راسبة
تكاد في الكأس عند الشرب تلتهب
كأنه فضة من تحتها ذهب

وقال:

وسلامة أزرى احمرار شعاعها
جاءت مع الساقى تنير بكأسها
بالورد والوجنات والياقوت
فكأنها اللاهوت في الناسوت

وقال:

ما بعد جلق للمرتاد منزلة
فكلها لمجال الطرف منتزه
ولا كسكانها في الأرض سكان
وكلهم لصروف الدهر أقران
إذا بلوتهم بالود إخوان

وقال:

فما يقوت لمرتادٍ بها وطر
وكل مشترفٍ من أققها قمر

وبلدةٍ جمعت من كل مبهجة
بكل مشترفٍ من ربعها أفق

حميدة بنت النعمان بن بشير الأنصاري

شاعرة ابنة شاعر، كانت تحت خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد، تزوج بها بدمشق لما قدم علي عبد الملك ابن مروان فقالت فيه:

فيا لك من نكحةٍ غالية
أحب إلينا من الجالية
س أعي على المسك والغالية

نكحت المدني إذ جاءني
كهولُ دمشق وشبانها
صنان لهم كصنان التيو

فقال يجيبها:

رأبصرت أم سنا ضوء برق؟ !
بي من ساكنات دور دمشق
لك صناناً كأنه ريح مرق
ثم طلقها فخلفه عليها روح بن زنباع فنظر إليها يوماً تنتظر إلى قومه جذام وقد اجتمعوا عنده فلامها فقالت: وهل أرى إلا جذاماً،
فو الله ما أحب الحلال منهم فكيف بالحرام؟ وقالت تهجوه:

وعجت عجيجاً من جذام المطارف
وأكسية كردية وقطائف

أسنا ضوء نار ضمرة بالقف
قاطنات الحجون أشهى إلى قل
يتضوعن لو تضمخن بالمس

بكي الخز من روح وأنكر جلده
وقال العبا قد كنت حيناً لباسهم

فقال روح يجيبها:

وما صانها إلا اللنام المقارف

فإن تبك منا تبك ممن يصونها

وقال لها:

مثن عليك لبئس حشو المنطق

أثني علي بما علمت فإنني

فقالت:

وبأن أصلك في جذام ملصق

أثني عليك بأن باعك ضيق

فقال روح:

مثن عليك بنتن ريح الجورب

أثني علي بما علمت فإنني

باب الخاء

خالد الزبيدي اليمني

شاعر إسلامي مقل. قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: قدم خالد الزبيدي في جماعة معه من زبيد إلى سنجار ومعه ابنا عم له يقال لأحدهما ضابيء وللآخر عويد، فشربوا يوماً من شراب سنجار فحنوا إلى بلادهم فقال خالد:

مصيفاً ولا مشتى ولا متربعا
لداعي الهوى منا شتيتين أدمعا
جرت عبرات منهما أو تصدعا
وألهي عويداً بثه ققتنعا

أيا جبلي سنجار ما كنتما لنا
ويا جبلي سنجار هلا بكيتما
فلو جبلا عوج شكونا إليهما
بكي يوم تل المحلبة ضابيء

فانبرى له رجل من النمر بن قاسط يقال له دثار أحد بني حيي فقال:

بركنيكما أنف الزبيدي أجمعا
ولكنها كانت أرامل جوعا
جرائب خمساً في جدال فأربعا

أيا جبلي سنجار هلا دقتما
لعمرك ما جاءت زبيد لهجرة
تبكي علي أرض الحجاز وقد رأت

فأجابه خالد يقول:

وسنجر تبكي سوقها كلما رأت
إذا نمري طالب الوتر غره
إذا نمري ضاق بيتك فاقره
أمن أجل مد من شعير قريته
بكي نمري أرغم الله أنفه

بها نمرياً ذا كساوين أيهما
من الوتر أن يبقى طعاماً فيشبع
مع الكلب زاد الكلب واجرها معا
بكي وناحت أمك الحول أجمعاً؟
بسنجر حتى تنفذ العين أدمعاً

خالد بن صفوان بن عبد الله

ابن عمرو بن الأهم بن صفوان التميمي المنقري، أحد فصحاء العرب وخطبائهم، كان رواية للأخبار خطيباً مفوهاً بليغاً، وكان يجالس هشام بن عبد الملك وخالد القسري.

حدث العتبي قال: قال هشام بن عبد الملك لسبه ابن عقال وعنده الفرزدق وجريز والأخطل وهو يومئذ أمير: ألا تخبرني عن هؤلاء الذين قد مزقوا أعراضهم، وهتكوا أستارهم، وأغروا بين عشائهم في غير خير ولا بر ولا نفع أيهم أشعر؟ فقال سبه: أما جريز فيغرف من بحر، وأما الفرزدق فينحت من صخر، وأما الأخطل فيجيد المدح والفخر. فقال هشام: ما فسرنا لنا شيئاً نحصله. فقال: ما عندي يغز ما قلت. فقال لخالد بن صفوان: صفهم لنا يا بن الأهم، فقال: أما أعظمهم فخراً وأبعدهم ذكراً وأحسنهم عذراً وأشدهم ميلاً وأقلهم غزلاً وأحلامهم عللاً، الطامي إذا زخر، والحامي إذا زار، والسامي إذا خطر، الذي إن هدر قال، وإن خطر صال، الفصيح اللسان، الطويل العنان، الفرزدق، وأما أحسنهم نعتاً وأمدحهم بيتاً وأقلهم فوناً، الذي إن هجا وضع، وإن مدح رفع، فالأخطل، وأما أغزرهم بحراً وأرقهم شعراً وأهتكم لعدوه سترأ، الأغر الأبلق الذي إن طلب لم يسبق، وإن طلب لم يلحق، جريز، وكلهم ذكي الفؤاد، رفيع العماء، وارى الزناد. فقال له مسلمة بن عبد الملك: ما سمعنا بمثلك يا خالد في الأولين، ولا رأينا في الآخرين. وأشهد أنك أحسنهم وصفاً، وألينهم عطاءً، وأعفهم مقالاً، وأكرمهم فعلاً. فقال خالد: - أتم الله عليكم نعمه وأجزل لديكم قسمه وأنس بكم الغربية وفرج بكم الكربة -، وأنت والله ما علمت أيها الأمر كريم الغراس، عالم بالناس، جواد في المحل، بسام عند البذل، حليم عند الطيش، في ذروة قريش، ولباب عبد شمس، ويومك خير من أمس. فضحك هشام وقال: ما رأيت كتحلصك يا بن صفوان في مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعاً.

وعن عمر بن شبه قال: مر خالد بن صفوان بابي نخيلة الشاعر الراجز وقد بني داراً فقال له أبو نخيلة: يا أبا صفوان، كيف ترى داري؟ قال رأيتك سألت فيها إلحافاً، وأنفقت ما جمعت لها إسرافاً، جعلت إحدى يديك سطحاً وملاّت الأخرى سلاحاً. فقلت: من وضع في سطحي وإلا ملأته بسلحي، ثم ولي وتركه فقيل له: ألا تهجو؟ فقال: إذن والله يركب بغلته ويطوف في مجالس البصرة ويصف ابنتي بما يعيها.

عن يونس بن حبيب النحوي قال: قال رجل لخالد بن صفوان: كان عبدة بن الطبيب لا يحسن أن يهجو فقال: لا تقل ذاك، فو الله ما أبي عن عي ولكنه كان يترفع عن الجاء ويراه ضعة كما يرى تركه مروءة وشرفاً، ثم قال:

وأجراً من رأيت بظهر غيب
على عيب الرجال أولو العيوب

حدث شبيب بن شبيب عن خالد بن صفوان قال: أوفدني يوسف بن عمر الثقفي إلى هشام بن عبد الملك في وفد العراق فقدمت عليه وقد خرج متبدياً بأهله وقرايته وحشمه وجلسائه وغاشيته، فنزل في أرض قاع صحصح تنائف أفيح في عام قد بكر وسميه، وتتابع عليه، وأخذت الأرض فيه زينتها من اختلاف ألوان نبتتها من نور ربيع مونق، فهو في أحسن منظر ومخير وأحسن مستمطر، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور، حتى لو أن قطعة ألقيت فيه لم تترب، وقد ضرب له سراق من حبر كان صنعه له يوسف بن عمر باليمن، في فسطاط فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مرافقها وعليه دراعه من خز مثلها عمامتها، وقد أخذ الناس مجالسهم فاخرجت رأسي من ناحية السماط فنظر إلى مثل المستنطق لي، فقلت: - أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمه، وسوغكها بشكره، وجعل ما قلدك من هذا الأمر رشداً، وعاقبة ما تتول إليه خمداً، وأخلصه لك بالتقي، وكثره لك بالنما، ولا كدر عليك منه ما صفا، ولا خلط سروره بالردى -، فلقد أصبحت للمسلمين ثقةً ومستراحاً، إليك يفزعون في مظالمهم، وإياك يقصدون في أمورهم، وما أجد يا أمير المؤمنين - جعلني الله فداك - شيئاً هو أبلغ في قضا حقك وتوقيع مجلسك، وما من الله به علي من مجالستك والنظر إلى وجهك، من أن أذكرك نعمة الله عليك فأنبهك على شكرها. وما أجد في ذلك شيئاً هو أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك، فإن أذن لي أمير المؤمنين أخبرته. وكان متكئاً فاستوى قاعداً وقال: هات يا بن الأهم، فقلت يا أمير المؤمنين: إن ملكاً من الملوك قبلك خرج في عام مثل عامنا هذا إلى الخورنق والسدير في عام قد بكر وسميه

وتتابع وليه، وأخذت الأرض زينتها من اختلاف ألوان نبتتها من نور ربيع مونق في أحسن منظر وأحسن مخبر، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور، وقد كان أعطى فتاء السن مع الكثيرة والغلبة والقهر، فنظر فأبعد النظر، فقال لمن حوله: هل رأيتم مثل ما أنا فيه؟ وهل أعطى أحد مثل ما أعطيت؟ فكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة والمضي على أدب الحق ومناهجه، ولم تخل الأرض من قائم لله بالحجة في عباده، فقال: أيها الملك، إنك سألت عن أمر، أفأذن لي في الجواب عنه؟ قال نعم: قال: رأيت هذا الذي أنت فيه؟ شيء لم تنزل فهي أم شيء صار إليك ميراثاً؟ وهو زائل عنك، وصائر إلى غيرك كما صار إليك ميراثاً من لدن غيرك؟ قال: كذلك هو. قال: فلا أراك إلا أعجبت بشيء يسير تكون فيه قليلاً، وتغيب عنه طويلاً وتكون غداً بحسابه مرتهاً. قال: ويحك، فأين المهرب وأين المطلب؟؟ قال: فإما أن تقيم في ملكك وتعمل فيه بطاعة ربك على ما ساءك وسرك ومضك وأرمضك، وإما أن تضع تاجك وتخلع أطمارك وتلبس مسوحك وتعبد ربك في جبل حتى يأتيك أجلك. قال: فإذا كان السحر فاقرع علي بابي، فإني مختار أحد الرأيين، فإن اخترت ما أنا فيه كنت وزيراً لا يعصى، وإن اخترت خلوات الأرض وقفر البلاد كنت رفقاء لا يخالف. فلما كان السحر قرع عليه بابه، فإذا قد وضع تاجه وخلع أطماره ولبس المسوح وتهياً للسياحة، فلزما والله الجبل حتى أتاهما أجلهما، فذلك حيث يقول أخو بني تميم عدي بن زيد العبادي:

أيتها الشامت الميعر بالده	رأنت المبرأ الموفور؟
أم لديك العهد الوثيق من الأي	أم بل أنت جاهل مغرور؟
من رأيت المنون خلدن أم من	ذا عليه من أن يضام خفير؟
أين كسرى كسرى الملوك	أنوشروان أم أين قبله سابور؟
وبنو الأصفر الكرام ملوك ال	روم لم يبق منهم مذكور
وأخو الخضر إذ نباه وإذ دج	له تجبى إليه والخابور
شاده مرمراً وجلله كل	سأ فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد ال	ملك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق إذ أش	رف يوماً وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يم	لك وأبحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غب	طه حي إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والنع	مة وارثهم هناك قبور
ثم صاروا كأنهم ورق ج	ف فألوت به الصبا والدبور

قال: فيكي هشام حتى اخضلت لحيته وبلت عمامته، وأمر بنزع أبنيته ونقل قرايته وأهله وحشمه وجلسائه وغاشيته ولزم قصره. فأقبلت الموالي والحشم على خالد بن صفوان فقالوا: ما أردت بأمر المؤمنين؟ نغصت عليه لذاته وأفسدت مآدبته. فقال لهم: إليكم عني فإني عاهدت الله عز وجل ألا أخلو بملك إلا ذكرته الله عز وجل.

وتقدم في ترجمة حميد الأرقط من كلام أبي عبيدة أن خالد بن صفوان مع فضله وجلالته أحد بخلاء العرب الأربعة. وروى أنه أكل يوماً خبزاً وجبناً فرأه أعرابي فسلم عليه، فقال له خالد: هلم إلى الخبز والجبن فإنه حمض العرب، وهو يسيغ اللقمة، ويفتق الشهوة، وتطيب عليه الشربة، فأنحط الأعرابي فلم يبق شيئاً منهما. فقال خالد: يا جارية زينا خبزاً وجبناً، فقالت: ما بقي عندنا منه شيء. فقال خالد: الحمد لله الذي صرف عنا معرفته وكفانا مؤنثته، والله إنه لم علمته ليقح في السن، ويخشن الحلق، ويربو في المعدة، ويعسر في المخرج، فقال الأعرابي: والله ما رأيت قط قرب مدح من ذم أقرب من هذا.

ومن حكم خالد بن صفوان: إن جعلك الأمر أحملاً فاجعله سيئاً، ولا يحدثن لك الاستئناس به غفلة عنه ولا تهاوناً. وقال: ابذل لصديقك مالك، ولمعرفتك بشرك وتحيتك. وللعمامة رفدك وحسن محضرك، ولعدوك عدلك، واصنن بدنيك وعرضك عن كل أحد. وقال: إن أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه. وقال لا تطلبوا الحوائج في غير حينها، ولا تطلبوها إلى غير أهلها، ولا تطلبوا ما لستم له بأهل فتكونوا للمنع أهلاً. توفي خالد بن صفوان سنة خمس وثلاثين ومائة.

خالد بن يزيد بن معاوية

ابن أبي سفيان. الأمير أبو هاشم الأموي: كان من رجالات قريش المتميزين بالفصاحة والسماحة وقوة المارضة، علامة خبيراً بالطب والكيمياء شاعراً. قال الزبير بن مصعب: كان خالد بن يزيد بن معاوية موصوفاً بالعلم حكيماً شاعراً. وقال ابن أبي حاتم: كان خالد من الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام. وقيل عنه: قد علم علم العرب والعجم. روى خالد الحديث عن أبيه وعن دحية بن خليفة الكلبي - رضي الله عنه - وروى عنه الزهري وغيره. وأخرج البيهقي والخطيب البغدادي والعسكري والحافظ بن عساكر عنه عدة أحاديث. وكان إذا لم يجد أحداً يحدثه حدث جواريه، وكان من صالحه القوم، وكان يصوم الجمعة والسبت والأحد. وكان يقول: كنت معنياً بالكتب، وما أنا من العلماء ولا من الجمال. وكان خالد جواداً ممدحاً جاءه رجل فقال له: إني قد قلت فيك بيتين ولست أنشدكما إلا بحكمي، فقال له قل، فقال:

سألت الندى والجود حران أنتما؟
فقالا بلى عبدان بين عبيد
فقلت ومن مولاكما فقتاولا
علي وقال خالد بن يزيد

فقال له تحكم. فقال: مائة ألف درهم، فأمر له بها. وكان خالد شجاعاً جريئاً وكان بينه وبين عبد الملك ابن مروان مناظرات، تهدده عبد الملك مرةً بالسوط والحرمان فقال له: أتهددني ويد الله فوقك مانعة، وعطاؤه دونك مبذول؟ وأجرى أخوه عبد الله بن يزيد الخيل مع الوليد بن عبد الملك فسبقه عبد الله، فدخل الوليد على خيل عبد الله فنقرها ولعب بها فجاء عبد الله إلى أخيه خالد فقال: لقد هممت اليوم بقتل الوليد بن عبد الملك، فقال له خالد: بنس ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين، قال: إنه لقي خيلي فنفرها وتلاعب بها، فقال له خالد: أنا أكفيكه فدخل خالد على عبد الملك وعنده الوليد وقال له أمير المؤمنين: إن الوليد بن أمير المؤمنين لقي خيل ابن عمه عبد الله فنفرها وتلاعب بها فشق ذلك على عبد الله. فقال عبد الملك: إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوا وجعلوا أعزة أهلها أذلة، وكذلك يفعلون. فقال له خالد: وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً. فقال له عبد الملك: أما والله لنعم المرء عبد الله على لحن فيه. فقال له خالد: أفعلى الوليد تعول مع اللحن. فقال عبد الملك إن يكن الوليد لحناً فأخوه سليمان. قال خالد: وإن يكن عبد الله لحناً فأخوه خالد. فقال عبد الملك: مدحت والله نفسك يا خالد. قال: وقبلني والله مدحت نفسك يا أمير المؤمنين، قال: ومتى؟ قال: حين قلت أنا قاتل عمرو بن سعيد، حق والله لمن قتل عمرًا أن يفخر بقتله، قال: أما والله لمروان كان أطولنا باعاً، قال: أما إني أرى ثاري في مروان صباح مساء، ولو أشاء أن أدليه لأدلته؟ قال ما أجراك علي يا خالد خلني عنك. قال لا والله، قال الشاعر:

ويجر اللسان من أسلات ال
حرب ما لا يجر منها البنان

فقال عبد الملك: يا وليد أكرم ابن عمك، فقد رأيت أباه يكرم أباك، وجده يكرم جدك. وقيل لخالد: ما أقرب شيء؟ قال: الأجل. قيل: فما أرجى شيء؟ قال: العمل. قيل فما أوحش شيء؟ قال الميت. قيل فما أنس شيء؟ قال صاحب المؤاتي. وقيل له: ما الدنيا؟ قال ميراث. قيل: فالأيام؟ قال دول.

قيل: فالدهر؟ قال أطباق والموت يكمل سبيله، فليحذر العزيز الذل، والغنى الفقر، فكم عزيز قد ذل، وكم من غنى قد افتقر. وقال: إذا كان الرجل مमारياً لجوجاً معجباً برأيه فقد تمت خسارته. ولما لزم بيته قيل له: كيف تركت الناس ولزمت بيتك؟ فقال: هل بقي إلا حاسد نعمة أو شامت بنكبة؟ ومن شعر خالد بن يزيد:

أتعجب أن كنت ذا نعمة
فكم ورد الموت من ناعم
سفته ذنوباً من أنفاسها
وأنتك فيها شريف مهيب؟
وحب الحياة إليه عجيب
ويذخر للحي منها ذنوب

وقال في رملة بنت الزبير بن العوام:

أليس يزيد السير في كل ليلة
أحن إلى بنت الزبير وقد عدت
إذا نزلت أرضاً تحب أهلها
وإن نزلت ماء وإن كان قبلها
تجول خلاخيل الناء ولا أرى
أقلوا علي اللوم فيها فإنني
أحب بني العوام طرا لحبها
وفي كل يوم من أحببتنا قربا
بنا العيس خرقاً من تهامة أو نقبا
إلينا وإن كانت منازلها حربا
مليحاً وجدنا ماء بارداً عذبا
لرملة خلخالاً يجول ولا قلبا
تخيرتها منهم زبيرية قلبا
ومن حبها أحببت أخوالها كلبا

وقال:

إن شرك الشرف العظيم مع الغنى
يوم الحساب إذا النفوس تفاضلت
وتكون يوم أشد خوف وائلا
في الوزن إذ غبط الأخف الأثقالا

عن حظ نفسك في حياتك غافلا

فاعمل لما بعد الممات ولا تكن

ومما نسبوا إليه من التصانيف في الكيمياء. السر البديع في فك الرمز المنيع، وكتاب الفردوس ورسائل أخرى. توفي خالد بن يزيد سنة تسعين، وقيل سنة خمس وثمانين، وشهده الوليد بن عبد الملك وقال: لتلق بنو أمية الأردنية على خالدٍ فلن يتحسروا على مثله أبداً.

خالد بن يزيد

مولى بني المهلب، ويقال له خالويه المكدي، كان أدبياً ظريفاً بلغ في البخل والتكديّة وكثرة المال المبلغ الذي لم يبلغه أحد، وكان متكلماً بليغاً قاصاً داهياً، وكان أبو سليمان الأعور وأبو سعيد المدائني القاصان من غلمانه، وله أخبار حسان، ومن لطائفه وصيته لابنه عند موته، وفيها لطائف وغرائب قال فيها: إني قد تركت لك ما تأكله إن حفظته، وما لا تأكله إن ضيعته، ولما أورتك من العرف الصالح وأشهدتك من صواب التدبير، وعودتك من عيش المقتصدين خير لك من هذا المال، وقد دفعت إليك آلة لحفظ المال عليك بكل حيلة، ثم إن لم يكن لك معين من نفسك فما انتفعت بشيء من ذلك، بل يعود ذلك النهي كله اعتزلاً لك، وذلك المنع تهجيناً لطاعتك، وقد بلغت في البر منقطع العمران، وفي البحر أقصى مبلغ السفن، فلا عليك إذ رأيتني ألا ترى ذا القرنين، ودع عنك مذاهب ابن شربة فإنه لا يعرف إلا ظاهر الخبر، ولو رأيتم تميم الداري لأخذ عني صفة الروم، ولأنا أهدى من القطا، ومن دميميص ومن رافع المخش، إني قد بت في القفر مع الغول، وتزوجت السعلاة، وجاوبت الهاتف، ورغت عن الجن إلى الجن، واصطدت الشق وجاورت النسناس، وصحبني الرئي وعرفت خدع الكاهن وتدسيس العراف، وإلى م يذهب الخطاط والعياف، وما يقول أصحاب الأكناف، وعرفت التنجيم والزجر، والطرق والفكر. إن هذا المال لم أجمعه إلا من القص والتكديّة ومن احتيال النهار ومكابدة الليل، ولا يجمع مثله أبداً إلا من معاناة ركوب البحر، ومن عمل السلطان أو من كيمياء الذهب والفضة، قد عرفت الأس حق معرفته، وفهمت سر الإكسير على حقيقته، ولولا علمي بضيق صدرك، ولولا أن أكون سبباً لتلف نفسك لعلمتك الساعة الشيء الذي بلغ به قارون ما بلغ، وبه تبنتك خاتون، والله ما يتسع صدرك عندي لسر صديق فكيف ما لا يحتمله عزم ولا يتسع له صدر، وخزن سر الحديث وحبس كنوز الجواهر أهون من خزن العلم، ولو كنت عندي مأموناً على نفسك لأجريت الأرواح في الأجساد، وأنت تبصر ما كنت لا تفهمه بالوصف ولا تحقه بالذكر، ولكني سألقي عليك علم الإدراك وسبك الرخام وصناعة الفسيفساء وأسرار السيوف القلعية وعقاقير السيوف اليمانية وعمل الفرعوني وصناعة التلطيف على وجهه إن أقامني الله من صرعتي هذه، ولست أرضاك وإن كنت فوق البنين ولا أثق بك وإن كنت لاحقاً بالأباء لأنني لم أبلغ في محبتك، إني قد لا يست السلاطين والمساكين، وخدمت الخلفاء والمكدين، وخالطت النساء والفتاك، وعمرت السجون كما عمرت مجالس الذكر، وحلبت الدهر أشطره، وصادفت دهرأ كثير الأعاجيب، فلولا أنني دخلت من كل باب وجريت مع كل ربح في السراء والضراء حتى مثلت لي التجارب عواقب الأمور، وقربتني من غوامض التدبير، لما أمكنتني جمع ما أخلفه لك، ولا حفظ ما حبسته عليك، ولم أحمد نفسي على جمعه كما حمدتها على حفظه، لأن بعض هذا المال لم أنله بالحزم والكيس وإنما حفظته لك من فتنة الأبناء ومن فتنة النساء ومن فتنة الثناء ومن فتنة الرياء ومن أيدي الوكلاء فإنهم الداء العياء. والوصية كلها على هذا النمط وفيها غرائب وهي طويلة تقع في كراسة.

خالد بن زيد الكاتب

أبو الهيثم من أهل بغداد، وأصله من خراسان، شاعر مشهور رقيق الشعر. كان من كتاب الجيش ثم ولاه الوزير محمد بن عبد الملك الزيادات عملاً ببعض الثغور، فخرج فسمع في طريقه مغنية تغني:

من كان ذا شجن بالشام يطلبه
ففي سوى الشام أمسى الأهل والشجن

فبكي حتى سقط على وجهه مغشياً عليه فأفاق مختلطاً ووسوس. وقال قوم: كان يهوى جارية لبعض الوجوه ببغداد فلم يقدر عليها فاختلف، وقيل إن السوداء غلبت عليه، وقيل كان خالد مغرمًا بالغلمان ينفق عليهم كل ما يستفيد، فهوى غلاماً يقال له عبد الله، وكان أبو تمام الطائي الشاعر يهواه. فقال فيه خالد:

قضيّب بان جنّاه ورد	تحمله وجنة وخذ
لم أثن طرفي إليه إلا	مات عزاء وعاش وجد
ملك طوع النفوس حتى	علمه الزهو حين يبدو
واجتمع الصد فيه حتى	ليس لخلق سواه صد
فبلغ ذلك أبا تمام فقال فيه أبياتاً منها:	

شعرك هذا كله مفرط

فعلمها الصبيان فما زالوا يصيحون به يا خالد البارد حتى وسوس: وهجا أبا تمام في هذه القصة فقال:

يا معشر المرد إني ناصح لكم

والمرء في القول بين الصدق والكذب

لا ينكحن حبيباً منك كم أحد

فإن وجعاه أعدى من الجرب

لا تأمنوا أن تعودوا بعد ثالثة

فتركبوا عمداً ليست من الخشب

وحدث ابن أبي سلاله الشاعر قال: دخلت بغداد في بعض السنين فينا أنا مار في طريق إذا أنا برجل عليه مبطنه وعلى رأسه قلنسوة سوداء وهو راكب على قصبية والصبيان خلفه يصيحون: يا خالد البارد، فإذا آذوه حمل عليهم بالقصبية، فلم أزل أطردهم عنه حتى تفرقوا وأدخلته بستاناً هناك فجلس واستراح، واشتريت له رطباً فأكل واستشددته فأنشدني:

قد حاز قلبي فصار يملكه

كيف أسلو وكيف أتركه؟؟

رطيب جسم كالماء تحسبه

يخطر في القلب منه مسكه

يكاد يجري من القميص من الن

نعمة لولا القميص يمسكه

ومن شعر خالد أيضاً:

كبد شفها غليل التصابي

بين عتب وجفوة وعذاب

كل يوم تدمي بجرح من الشو

ق ونوع مجد من عتاب

يا سقيم الجفون أسقمت جسمي

فاشفني كيف شئت لأبك ما بي

إن أكن مذنباً فكن حسن العف

و أو اجعل سوى للصدود عتابي

وقال:

يا تارك الجسم بلا قلب

إن كنت أهواك فما ذنبي؟

يا مفرداً بالحسن أفردتني

منك بطول الشوق والحب

إن تك عيني أبصرت فتنة

فهل على قلبي من عتب؟

فحسبك الله لما بي كما

أنك في فعلك بي حسبي

توفي خالد الكاتب ستة وتسعين ومائتين ببغداد.

خداش بن بشر بن خالد

ابن الحارث أبو زيد التميمي المعروف بالبعيث البصري، وكان خطيباً شاعراً مجيداً، وكان بينه وبين جرير مهاجرة، فلج الهجاء بينهما نحواً من أربعين سنة ولم يتغلب واحد منها على صاحبه، ولم يتهاج شاعران في العرب في جاهلية ولا إسلام بمثل ما تهاجيا به، وكان الفرزدق يعين البعيث، والبعيث، يعين ابن أم غسان على جرير. فمما قاله البعيث لجرير:

إذا طلع العيوق أول كوكب

كفى اللؤم عند النازحين جرير

ألست كليباً ثم أمك كلبة

لها بين أطناب البيوت هرير

ولو عند غسان السليطي عرست

رغا قرن منها وكاس عقير

أتنسى نساءً باليمامة منكم

نكح عبيداً ما لهن مهور؟

وقال له أيضاً:

كليب لئام الناس قد يعلمونها

وأنت إذا عدت كليب ليئمها

أترجو كليب أن يجيء حديثها

بخير وقد أعيا كليباً قديمها

وقال له أيضاً:

أأن أمرعت معزى عطية وارتعت

تلاعاً من المروت أحوى جميعها

تعرضت لي حتى صككتك صكة

على الوجه يكبو للدين أميمها

أليست كلب ألأم الناس كلهم

وأنت إذا عدت كليب لئيمها؟

وقال له أيضاً:

أشاركتني في ثعلبٍ قد أكلته
فدونك خصبه وما ضمت استه
وقال جرير له:

قلم يبق إلا رأسه وأكارعه
فإنك رمام خبيث مراتعه
بصماء لا يرجو الحياة أميمها
إذا فرط الأحساب عد قديمها
وأهاجيهما ونقائضهما كثيرة اكتفينا بما أوردناه منها. توفي البعيث سنة أربع وثلاثين ومائة بالبصرة في خلافة الوليد بن عبد الملك.

خرقة بن نباتة

ابن الزيد، عمرو بن عبد مناة الكلبي. شاعر إسلامي، قدم على حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية في دمشق، فجفاه حرب ولم يصله شيء، فهجاه فقال:

كأنني ونضوى عند حرب بن خالدٍ
وبانت علينا جفوة ما نحبها
من الجوع ذئبا قفرةٍ علزان
وبتتنا نقاسي ليلة كثمان
وقال:

أجيري يا جميل دمي وهزي
لتعلم عامر الأجواد أنا
سناناً تطعين به ونابا
إذا غضبت نببت لها غضاباً
وقال:

وأرهبنا الخليفة واستمرت
وقتلنا القبائل من عليم
وجوه الأرض تغتصب اغتصابا
وبيحنا قنافة والربابا
وقال:

كسع الشتاء بسبعةٍ غير
فإذا انقضت أيام شهلته
ويأمر وأخيه مؤتمر
ذهب الشتاء مولياً عاجلاً
وقال:

إلى الله أشكو عبرةً قد أطلت
تحن إلى أرض العراق ودونها
ونفساً إذا ما عزها الشوق ذلت
تناف لو تسري بها الريح ضلت
وقال:

يا عارم بن عقيل كيف كفر كم
أفنيتم الحر من سعدٍ ببارقةٍ
كعباً ومنكم إليه ينتهي الشرف؟
يوم الغرابة ما في برقها خلف
مات سنة خمس عشرة ومائة.

الخضر بن مروان

ابن أحمد بن أبي عبد الله الثعلبي أبو العباس الضرير التوماني، بضم التاء المثناة وسكون الواو بعدها ميم وألف ثم ثاء مثلثة: بلد من بلاد الجزيرة، التارقي الجزري. ولد بالجزيرة ونشأ بميفارقين، وأصله من توماثا. وكان عالماً بالنحو مقرئاً فاضلاً أديباً عارفاً حسن الشعر كثير المحفوظ، قرأ اللغة على ابن الجواليقي والنحو على ابن الشجري، والفقه على أبي الحسن الأبنوسي، وكان ببغداد، وله محفوظات كثيرة منها: المجمل، وشعر الهذليين، وشعر رؤبة وذي الرمة. لقينته بمرور وسرخس وينسابور في سنة أربع وأربعين وخمسائة، وسألته عن مولده فقال سنة خمس وخمسمائة، وأنشدني لنفسه:

كتبته وقد أودى بمقلتي البكا
وقد ذاب من شوق إليك سوادها

فما وردت لي نحوكم من رسالة
وقال أيضاً:

وحقكم إلا وذاك سوداها

لست تدري بأن لا يدوم
همدوا فالعظام منهم رميم؟
ص شقاء فهل يدوم النعيم؟
فحميد به ومنهم ذميم

أنت في غمرة النعيم تعون
كم رأينا من الملوك قديماً
ما رأينا الزمان أبقي على شخ
والغني عند أهله مستعار

وقال:

وإنما يوعظ الأديب
إلا ولى فيهما نصيب

مواعظ الدهر أدبتي
لم يمض بؤس ولا نعيم
بلغتنا وفاته ببخارى سنة ثمانين وخمسمائة.

الخضر بن هبة الله الطائي

ابن أبي الهمام الطائي الشاعر البغدادي، دخل مصر وحضر بين يدي أمير المؤمنين الراشد بالله ابن المسترشد بالله، فأنشده على البديهة:

رفيع تزل العصم دون مرماه
شفى غلتي من بشره وسلامه
وصلت على كيد العدا بانتقامه

ولما شأوت الحاسدين إلى مدى
ورفعت الأستار لي دون سيد
سطوت على صرف الزمان ببأسه
ودخل علي الأمير علي بن صدقة فقال على البديهة أيضاً:

زمني وإن كنت العبي المقصرا
إذا انتسبت كانت أسوداً وأبحرا
وكل قديم غادرته مؤخرا

سأسكر ما أوليتني من منائح
نمتك قروم في الملاحم والندى
فكل كريم غادرته مبخلاً

وقدم الطائي إلى دمشق وامتدح بها واليها محمد بن بوري بن طغتكين، ومدح أبا الفتح نصر الله بن صالح الهاشمي، ودخل عليه يوماً وقد افتصد فقال بديهة:

من شأنها الإعطاء والإعدام
لا ساعدت أعداءه الأيام
من فعله التغرير والإقدام
في مدحه تتفاخر الأوهام
يوماً لذاب بغمده الصمام
وله بكل رواجب إنعام
وتباشرت بقدمك الأيتام
وتنهأت بك جلق والشام
صنف وأنت مقدم وإمام

لما مددت إليه راحة راحة
وحسرت ردن ملاءة عن ساعد
أكبرت ما فعل الطبيب وهالني
وعجبت كيف جرى الحديد بمفصل
لكن أمرت ولو أشرت بنقمة
يا من له في كل قلب هيبة
أغنيت زين الدين طلاب الندى
مض العراق فراق ظلك عنهم
فبنو المكارم في البرية كلها

ولد الخضر البغدادي سنة تسع وتسعين وأربعمائة ومات سنة أربع وستين وخمسمائة.

خلف بن أحمد

القيرواني الشاعر. قال ابن رشيق في النموذج: شاعر مطبوع بأدب إفريقية ودخل مصر وله شعر معروف جيد. مات بزويله المهديّة سنة أربع عشرة وأربعمائة ومن شعره.

وأيامنا باللوى هل تعود؟
بنفسي والله تلك العهود

هل الدهر يوماً بليلي وجود
عهود تقضت وعيش مضى

هنيئاً لكم في الجنان الخلود
فنحن عطاش وأنتم ورود

ألا قل لسكان وادي الحمى
أفيضوا علينا من الماء فيضاً

خلف بن حيان

أبو محرز البصري المعروف بالأحمر، مولى أبي بردة بلا لبن أبي موسى الأشعري أعنق بلال أبوية وكانا فرغانيين. قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: خلف الأحمر معلم الأصمعي ومعلم أهل البصرة. وقال الأخفش: لم أدرك أحداً أعلم بالشعر من خلف الأحمر والأصمعي.

وقال ابن سلام: أجمع أصحابنا أن الأحمر كان أفرس الناس ببيت شعر وأصدق لساناً وكنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً ألا نسمعه من صاحبه. وقال شمر: خلف الأحمر أول من أحدث السماع بالبصرة، وذلك أنه جاء إلى حماد الراوية فسمع منه وكان ضئيلاً بأدبه. وقال أبو الطيب عبد الواحد اللغوي: كان خلف يضع الشعر وينسبه إلى العرب فلا يعرف، ثم نسك، وكان يختم القرآن كل ليلة، وبذل له بعض الملوك مالا عظيماً على أن يتكلم في بيت شعر شكوا فيه فأبى. ولخلف ديوان شعر حمله عنه أبو نواس، وكتاب جبال العرب. توفي في حدود الثمانين ومائة.

حدث الأصمعي قال: حضرنا مأدبة ومعنا أبو محرز خلف الأحمر وحضرها ابن منذر الشاعر فقال لخلف الأحمر: يا أبا محرز، إن يكن النابغة وأمر القيس وزهير قد ماتوا فهذه أشعارهم مخلدة، فقس شعري إلى شعرهم، واحكم فيها بالحق، فغضب خلف ثم أخذ صحيفة مملوءة مرقاً فرمى بها عليه، فقام ابن منذر مغضباً وأظنه هجاه بعد ذلك.

وحدث ابن سلام قال: قال لي خلف الأحمر: كنت أسمع ببشار بن برد أن أراه، فذكروه لي يوماً وذكروا بيانه وسرعة جوابه وجودة شعره، فاستنشدتهم شيئاً من شعره فأنشدوني شيئاً لم أحمدته فقلت: والله لأتبنه ولأطأطنن منه، فأتيتيه وهو جالس على بابهِ فرأيتُه أعمى قبيح المنظر عظيم الجثة. فقلت: - لعن الله - من يبالي بهذا، فوقفت أتأمله طويلاً فبينما أنا كذلك إذ جاءه رجل فقال: إن فلاناً سبك عند الأمير محمد بن سليمان ووضع منك. فقال: أو قد فعل؟ قال: نعم. فأطرق وجلس الرجل عنده وجلس، وجاء قوم فسلموا عليه فلم يردد عليهم، فجعلوا ينظرون إليه وقد درت أوداجه، فلم يلبث إلا ساعة حتى أنشدنا بأعلى صوته وأفجمه فقال:

نبتت نائك أمه يغتابني
ناري محرقة وبيتتي واسع
ولي المهابة في الأحبة والعدا
غرثت حليلته وأخطأ صيده
عند الأمر وهل علي أمير؟
للمعتفين ومجلسي معمور
وكأنني أسد له تامور
فله على لقم الطريق زئير

قال: فارتعدت والله فرائصي، واقشعر جلدي، وعظم في عيني جداً حتى قلت في نفسي: الحمد لله الذي أبعدني من شرك. وكان بين خلفي الأحمر وبينابي محمد اليزيدي مهاجاة، فقال أبو محمد فيه:

زعم الأحمر المقيت لدينا
أنه علم الكسائي نحواً
وهجا خلف أبا محمد اليزيدي بقصيدة فائية تداولها الأفواه والأسماع، نسبه فيها إلى اللواطة مطلعها:
إني ومن وسج المطي له
والمحرمين لصوتهم زجل
مني إليه غير ذي كذب
في غابر الناس الذين بقوا
أحداً كيحيى في الطعان إذا اف
في معرك يلقى الكمي به
وإذا أكب القرن يتبعه
والذي أمه تفر بمقتته
فلئن كان ذا كذاك فباسته
حذب الذري إرقالها رجف
بفناء كعبته إذا هتفوا
ما إن رأى قوم ولا عرفوا
والفرط الماضين من سلفوا
ترش القنا وتضعضع الحجف
للوجه منبطحاً وينحرف
طعناً دوين صلاه ينخسف

وهي طويلة نحو أربعين بيتاً اكتفينا بهذا المقدار منها؟ الخليل بن أحمد

ابن عمر بن تميم أبو عبد الرحمن الفراهيدي، ويقال: الفرهودي نسبة إلى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله ابن مالك بن مضر الأزدي البصري، سيد الأدباء في علمه وزهده.

قال السيرافي: كان الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليقه. أخذ عن أبي عمرو بن العلاء وروى عن أيوب وعاصم الأحول وغيرهما، وأخذ عنه الأصمعي، وسيبويه، والنضر بن شميل، وأبو فيد مؤرج السدوسي، وعلي بن نصر الجهضمي وغيرهم، وهو أول من استخرج العروض وضبط اللغة وحصر أشعار العرب، يقال إنه دعا بمكة أن يرزقه الله تعالى علماً لم يسبق به، فرجع وفتح عليه بالعروض وكانت معرفته بالإيقاع هو الذي أحدث له علم العروض، وكان يقول الشعر فينظم البيتين والثلاثة ونحوها.

وكان سفيان النوري يقول: من أحب أن ينظر إلى رجل خلق من الذهب والمسك فليتنظر إلى الخليل بن أحمد، ويروي عن النضر بن شميل أنه قال: كنا نمثل بين ابن عون والخليل بن أحمد أيهما نقدم في الزهد والعبادة، فلا ندري أيهما نقدم؟ وكان يقول: ما رأيت رجلاً أعلم بالسنة بعد ابن عون من الخليل بن أحمد. وكان يقول: أكلت الدنيا بعلم الخليل وكتبه وهو في خص لا يشعر به، وكان يحج سنة ويغزو سنة، وكان من الزهاد المنقطعين إلى الله تعالى، وكان يقول: إن لم تكن هذه الطائفة أولياء الله تعالى فليس لله ولي. وللخليل من التصانيف: كتاب الإيقاع، وكتاب الجمل، وكتاب الشواهد، وكتاب العروض، وكتاب العين في اللغة، ويقال: إنه لليت بن نصر بن سيار عمل الخليل منه قطعة وأكملة الليث. وله كتاب فائت العين، وكتاب النغم، وكتاب النقط والشكل وغير ذلك. وروى أنه كان يقطع بيتاً من الشعر فدخل عليه ولده في تلك الحالة فخرج إلى الناس وقال: إنأبي قد جن فدخل الناس عليه وهو يقطع البيت فأخبروه بما قال ابنه فقال له:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

وجه إليه سليمان بن علي وإلى الأهواز لتأديب ولده، فأخرج الخليل لرسوله سليمان خيزراً يابساً وقال: ما دمت أجدّه فلا حاجة بي إلى سليمان، فقال الرسول: فما أبلغه عنك؟ فقال:

أبلغ سليمان أنني عنه في سعة وفي غنى غير أنني لست ذا مال
سخرى بنفسى أنني لا أرى أحداً يموت هزلاً ولا يبقى على حال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال
فالرزق عن قدر لا العجز ينقصه ولا يزيدك فيه حول محتال

ومن شعره أيضاً:

وقبك داوى الطبيب المريض فعلاش المريض ومات الطبيب
فكن مستعداً لدار الفناء فإن الذي هو آت قريب

توفي سنة ستين ومائة وقيل سبعين ومائة، وله أربع وسبعون سنة.

الخليل بن أحمد بن محمد

ابن الخليل بن موسى السجزي. كان فقيهاً شاعراً محدثاً رحل في طلب الحديث إلى نيسابور ودمشق. قال الحاكم أبو عبد الله في تاريخ نيسابور: كان الخليل شيخ أهل الرأي في عصره، وكان من أحسن الناس كلاماً في الوعظ والذكر مع تقدمه في الفقه والأدب، وكان ورد نيسابور قديماً مع محمد بن إسحق بن خزيمة وأقرانه، وسمع بالري والعراق والحجاز، وورد نيسابور محدثاً ومفيداً سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وسكن سجستان ثم انتقل إلى بلخ وسكنها، ومن شعره في مدح أبي حنيفة النعمان بن ثابت وصاحبيه والأئمة القراء:

سأجعل لي النعمان في الفقه قدوة وسفيان في نقل الأحاديث سيدياً
وفي ترك ما لم يعنني من عقيدة سأتابع يعقوب العلاء ومحمداً
وأجعل حزبي من قراءة عاصم وحزمة بالتحقيق درساً مؤكداً
وأجعل في النحو الكسائي عمدي ومن بعده الفراء ما عشت سرمداً
وإن عدت للحج المبارك مرة جعلت لنفسي كوفة الخير مشهداً
فهذا اعتقادي وهو ديني ومذهبي فمن شاء فليبرز ليلقى موحداً

ويلقي لساناً مثل سيفٍ مهندٍ

وقال:

إذا ضاق باب الرزق عنك ببلدٍ
وياك والسكنى بدار مذلّةٍ
فما ضاقت الدنيا عليك برحبها

وقال:

ليس التطاول رافعاً من جاهلٍ
لكن يزداد إذا تواضع رفعةً

وقال:

رضيت من الدنيا بقوتٍ يقيمني
ولست أروم القوت إلا لأنه
فما هذه الدنيا يكون نعيمها

وقال:

الله يجمع بيننا في غبطةٍ
ما طاب لي عيش فديتك بعدما
إن الإله لقد قضى في خلقه
توفي القاضي السجزي بسمرقند وهو قاض بها سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة، وقال أبو بكر الخوارزمي يرثيه:
ولما رأينا الناس حيرى لهديةٍ
أفضنا دموعاً بالدماء مشوبةً

خمس بن علي

ابن أحمد بن علي بن إبراهيم بن الحسن أبو الكرم الواسطي الحوزي الحافظ النحوي الأديب الشاعر المحدث، حدث عن أبي القاسم عبد العزيز بن علي الأنماطي، وأبي منصور محمد النديم العكبري، وأبي القاسم علي بن أحمد البشري وغيرهم من البغداديين والواسطيين، قال الحافظ أبو طاهر السلفي: كان خمس من حفاظ الحديث المحققين بمعرفة رجاله، ومن أهل الأدب البار، وله شعر غاية في الجودة، وفي شيوخه كثرة، وقد عقلت عنه فوائد وسألته عن رجال من الرواة فأجاب بما أثبتته في جزء ضخم وهو عندي وقد أملي علي نسبه وهو: خمس بن علي ابن أحمد بن علي بن إبراهيم بن الحسن بن سلامويه الحوزي، ومولده سنة سبع وأربعين وأربعمائة، وكان إتقانه مما يعول عليه. وفي كتاب ابن نقطة مولده سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة في شعبان، ومات في شعبان أيضاً بواسط سنة عشرين وخمسمائة. ومن شعره:

تركت مقالات الكلام جميعها
ولازمت أصحاب الحديث لأنهم
وهل ترك الإنسان في الدين غاية

وقال:

من كان يرجو أن يرى
فلقد رجا أن يجتنى
من ساقطٍ أمراً سنيا
من عوسجٍ رطباً جنيا

خويلد بن خالد

ابن محرز بن زبيد بن أسد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن غنم بن سعد بن هذيل الهذلي أو ذؤيب شاعر مجيد مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، قدم المدينة عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه. روى عنه أنه قال: قدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج أهلوا بالإحرام فقلت: مه؟ فقالوا توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم،

وفي رواية أنه قال: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل وقع ذلك إلينا عن رجل من الحي قدم معتماً فأوجس أهل الحي خيفة وأشعرنا حزناً، فبت بليلةٍ باتت النجوم بها طويلة الأناة لا ينجاب ديجورها، ولا يطلع نورها، فظلمت أقاسي طولها وأقارع غولها حتى إذ كان دوين السمر وقرب السحر، خفت فهتف هاتف وهو يقول:

خطب أجل أناخ بالإسلام بين النخيل ومعقد الأظام

قبض النبي محمد فعيوننا تذري الدموع عليه بالتسجام

قال أبو ذؤيب: فوثبت من نومي فزعا فنظرت إلى السماء فلم أر إلا سعداً الذابح، فتفاءلت به ذبحاً يقع في العرب، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض، أو أنه ميت فركبت ناقتي فسررت، فلما أصبحت طلبت شيئاً أزجزه فعن لي القنفذ قد قبض على صلي - يعني حية - فهي تلتوي عليه والقنفذ يقضمه حتى أكله، فزجرت ذلك وقلت تلوي الصل انقتال الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله، ثم أولت أكل القنفذ له غلبة القائم على الأمر. والحديث طويل ذكر فيه حضوره في سقيفة بني ساعدة، ومبايعة أبي بكر - رضي الله عنه - وروى ابن سلام عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: سئل حسان بن ثابت من أشعر الناس؟ قال: أحياء؟ قالوا: حياء، قال: أشعر الناس حياءً هذيل، غير مدافع أبو ذؤيب. وقال ابن شبة: تقدم أبو ذؤيب جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التي يرثي فيها بنية، ومطلعها:

أمن المنون وريبه تتوجع
قالت أميمة ما لجسمك شاحباً
أم ما لجسمك لا يلائم مضجعاً
فأجبتها أما لجسمي إنه
أودي نبي فأعقبوني حسرةً
والدهر ليس بمعتبٍ من يجزع
منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع؟
إلا أقض عليك ذاك المضجع
أودي بني من البلاد فودعوا
بعد السرور وعبرةً ما تقلع

ومنها:

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم
وإذا المنية أنشبت أظفارها
وتجلدي للشامتين أريهم
لابد من تلفٍ مقيم فانتظر
وإذا المنية أقبلت لا تدفع
ألفيت كل تميمةٍ لا تنفع
أني لريب الدهر لا أتضعض
أبارض قومك أم بأخرى المضجع؟

ومنها:

والنفس راغبة إذا رغبتها
كم من جميعي الشمل ملتئمي الهوى
وهي نحو سبعين بيتاً أورد ابن رشيقي أبياتاً منها في العمدة، وعدها في المطبوع من شعر العرب. ومن شعره ما أنشده له ثعلب:
وعيرها الواشون أني أحبها
فإن أعتذر منها فإني مكذب
وشعر أبي ذؤيب كله على نمطٍ في الجودة وحسن السبك، وتوفي في غزوة إفريقية مع ابن الزبير، وقال وهو يجود بنفسه مخاطباً ابن أخيه أبا عبيد:

أبا عبيد وقع الكتاب

وعند رحلي جملٌ منجابه

ثم قضى نحبه ودلاه ابن الزبير في حفرته.

خيار بن أوفى النهدي

شاعر إسلامي دخل على معاوية فقال له: ما صنع بك الدهر؟ فقال يا أمير المؤمنين. صدع قناتي، وشيب سوادي، وأفنى لذاتي، وجرأ علي أعدائي، ولقد بقيت زماناً أنس بالأصحاب. وأسبل الثياب. وآلف الأحباب. فبادوا عني، ودنا الموت مني. فقال له أنشدني ما قلت في الخمر والنهي عنها، فقال:

أنهد بن زيدٍ ليس في الخمر رفعة
فأني وجدت الخمر شيئاً ولم يزل
فلا تقربوها إنني غير فاعل
أخو الخمر حلالاً شرار المنازل

فكم قد رأينا من فتى ذي جهالة
ومن سيد قد قنعتة مذلة
فله أقوام تبادوا بشربها
فأضحوا وهم أحوثة في القوافل
فقال معاوية: صدقت والله لكم من سيد أدمنها فتركته ضحكة وأحوثه، ومن ذي رغبة فيها قد صحا عنها فصار سيد قومه، والله ما وضع شيء الرجل كما وضعه الشراب، والله لهي الداء العياء. مات خيار النهدي في خلافة يزيد بن معاوية.

باب الدال

داود بن القاضي

أحمد بن أبي داود. كان أديباً شاعراً فاضلاً، وكان صديقاً لمحمد بن بشير الرياضي الشاعر المشهور، وكان ابن بشير كثير التردد عليه، ففقد ابن بشير يوماً أهله، وطلبوه فلم يجده، وكان مع أصحاب له خرج معهم للنزهة فجاءوا إلى القاضي داود بن أحمد يسألونه عنه، فقال لهم اطلبوه في منزل حسن المغنية، فإن وجدتموه وإلا فهو في حبس أبي شجاع صاحب شرطة خمار التركي. فلما كان بعد أيام جاء ابن بشير إليه فقال له: إيه أيها القاضي، كيف دلت على أهلي؟ قال: كما بلغك، وقد قلت في ذلك أبياتاً، قال: أو فعلت ذلك أيضاً؟ زدني من برك، هات، أي شيء قلت؟ فأنشده:

ومرسلة توجه كل يوم
إلى وما دعا للصباح داع
تسألني وقد فقدوه حتى
أرادوا بعده قسم المتاع
إذا لم تلقه في بيت حسن
مقيماً للشراب وللسماع
ولم ير في طريق بني سدوس
يخط الأرض منه بالكراع
يدف حزونها بالوجه طورا
وطورا باليدين وبالذراع
فقد أعيك مطلبه وأمسى
بلا شك بحبس أبي شجاع
فجعل ابن بشير يضحك ويقول: أيها القاضي لو غيرك يقول لي هذا لعرف مصيره، ثم يبرح حتى أعطاه داود مائتي درهم وخلع عليه.

داود بن أحمد بن يحيى

ابن الخضر أبو سليمان الداوودي الضرير الملهمي البغدادي المقرئ الأديب. قرأ القرآن بالروايات على أبي الحسن علي بن عساكر البطائحي، وأبي الفضل أحمد بن محمد بن شفيق، وبرع في الأدب وكان مولعاً بشعر أبي العلاء المعري يحفظ منه جملة صالحة، ولذلك كان الناس يرمونه بسوء العقيدة، توفي أبو سليمان ببغداد سنة خمس عشرة وستمائة، ومن شعره:

أعل القلب بذكراكم
حللت قلبي وبنتم فما
يا حبذا ريح الصبا إنها
والقلب يأبى غير لقاكم
أدناكم كم مني وأقصاكم؟
تروح القلب برياكم

وقال:

إلى الرحمن أشكو ما ألقى
نشدتكم بمن زم المطايا
وهل داء أمر من التناثي
غداة غد على هوج النياق
أمر بكم أمر من الفراق؟
وهل عيش ألد من التلاقي؟

داود بن سلم

مولى بني تميم بن مرة شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان يسكن المدينة، وكان يقال له: الأدم لشدة سواده، وكان من أقبح الناس وجهاً وأشدهم بخلاً، طرده قوم بالعقيق فصاحوا به العشاء والقرى يا بن سلم، فقال لهم: لا عشاء لكم عندي ولا قرى، قالوا: فأين قولك إذ تقول؟

لم أقض منك لباناتي وأوطاري
عقر العشار على يسر وإعسار

يا دار هندٍ ألا حبيبت من دار
عودت فيها إذا ما الضيف نبهني
قال: لستم من أولئك الذين عنيت.

وقدم داود دمشق فنزل على حرب بن خالد بن يزيد ابن معاوية، فلما دخل داره قام غلمانه إلى متاعه فأدخلوه وحطوا عن راحلته، ثم دخل على حرب فأنشده:

فلما دفعت لأبوابهم
وجدناه يحمده المجتدو
يغشون حتى ترى كلبهم
ن، ويابي على العسر إلا سماحا
يهاب الهيرير وينسى النياحا

فأنزله وأكرمه وأجازته بجائزة عظيمة، ثم استأذنه للخروج فأذن له وأعطاه ألف دينار وقال له: لا إذن لك علي متى جئت، فوده وخرج من عنده وغلمانه جلوس فلم يقم إليه منهم أحد، فظن أن حرباً ساخط فرجع فقال له: إنك على مودة؟ قال: لا وما ذاك؟ فأخبره أن غلمانه لم يعينوه على رحله، فقال له: ارجع إليهم فسلهم، فرجع إليهم فقالوا له: إنا ننزل من جاءنا ولا نخرج من خرج من عندنا. وكان داود منقطعاً إلى قثم بن العباس وفيه يقول:

نجوت من حلٍ ومن رحلةٍ
إنك إن بلغتنيه غداً
لم يدر ما لا وبلى قد درى
أصم عن قيل الخنا سمعه
يا ناق إن قربتني من قثم
حالفني اليسر ومات العدم
فعافها واعتاض منها نعم
وما عن الخير به من صمم

توفي داود بن سلم في حدود سنة عشرين ومائة.

داود بن الهيثم

ابن إسحاق بن البهلول بن حسان بن حسان بن سنان أبو سعد التتوخي الأنباري. قال الخطيب البغدادي في تاريخ مدينة السلام: كان نحويًا لغويًا حسن المعرفة بالعروض واستخراج المعنى، فصيحاً كثير الحفظ للنحو واللغة والأدب والأشعار، وله شعر جيد، أخذ عن ابن السكيت وثلعب، وسمع من جده إسحق وابن شبة، وأخذ عنه ابن الأزرقي وجماعة، وله كتاب في النحو على مذهب ابن الأزرقي وجماعة، وله كتاب في النحو على مذهب الكوفيين، وكتاب خلق الإنسان في اللغة وغير ذلك. مات بالأنبار سنة ست عشرة وثلاثمائة، وله ثمان وثمانون سنة. ومن شعره:

بساتيتها للمسك فيها روائح
كأن هزير الريح بين غصونها
كان القباب الغر فيها مواكب
كأن فتيت المسك بين ترابها
ومن تحتها الأنهار تجري مياهها
كأن مجاريها سبائك فضةٍ
وأشجارها للريح فيها ملاعب
ضرائر أضحى بينهن تعاتب
تضيء كما أمست تضيء الكواكب
إذا ما تهادته الصبا والجنايب
ففائضة منها ومنها سواكب
تذاب وأسياف تهز قواضب

دعبل بن علي

ابن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل بن خداح بن خالد بن عبد بن دعبل بن أنس بن أنس بن خزيمه. كذا قال أبو الفرج، وقال آخرون: دعبل بن علي بن رزين بن عثمان ابن عبد الله بن بديل بن ورقاء يتصل نسبه بمضر، أبو علي الخزاعي، وعلى هذا الأكثر. شاعر مطبوع مفلح يقال: إن أصله من الكوفة وقيل من قرقيسيا وكان أكثر مقامه ببغداد، وسافر إلى غيرها من البلاد فدخل دمشق ومصر، وكان هجاءً خبيث اللسان لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من الوزراء ولا من أولادهم، ولا ذو نباهة أحسن إليه أو لم يحسن، وكان بينه وبين الكميت بن زيد وأبي سعد المخزومي مناقضات، وكان من مشاهير الشيعة، وقصيدته الثائية في أهل البيت من أحسن الشعر، وأسنى المدائح قصد بها أبا علي بن موسى الرضا بخراسان، فأعطاه عشرة آلاف درهم وخلع عليه برده من ثيابه، فأعطاه بها أهل قم ثلاثين ألف درهم فلم يبيعها، فقطعوا عليه الطريق ليأخذوها فقال لهم: إنها تراد لله عز وجل وهي محرمة عليكم، فدفعوا له ثلاثين ألف درهم فحلف كما واحداً فكان في أكفانه، ويقال: إنه كتب القصيدة في ثوب

وأحرم فيه وأوصى بأن يكون في أكفانه، ونسخ هذه القصيدة مختلفة، في بعضها زيادات يظن أنها مصنوعة ألحقها بها أناس من الشيعة، وإنا موردون هنا ما صح منها، قال:

مدارس آياتٍ خلت من تلاوةٍ
لآل رسول الله بالخيف من منى
ديار علي والحسين وجعفر
ديار عفاها كل جون مبكر
قفا نسأل الدار التي خف أهلها
وأين الأولى شطت بهم غربة النوى
هم أهل ميراث النبيا إذا اعتزوا
وما الناس إلا حاسد ومكذب
إذا ذكروا قتلى بيدر وخبير
قبور بكوفاتٍ وأخرى بطيبة
وقبر بيغداد لنفس زكية
فأما المصمات التي لست بالغأ
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً
نفوس لدى النهرين من أرض كربلا
تقسمهم ريب الزمان كما ترى
سوى أن منهم بالمدينة عصابة
قليلة زوار سوى بعض زور
لهم كل حين نومة بمضاجع
وقد كان منهم بالحجاز وأهلها
تنكب لاواء السنين جوارهم
إذا وردوا خيلاً تشمس بالقنا
وإن فخرُوا يوماً أتوا بمحمدٍ
ملاذك في أهل النبينا فيهم
تخيرتهم رشداً لأمرى فإنهم
فيا رب زدني من يقيني بصيرةً
بنفسي أنتم من كهول وفتية
أحب قصي الرحم من أجل حبكم
وأكتم حبيكم مخافة كاشح
لقد حفت الأيام حولي بشرها
ألم تر أني من ثلاثين حجة
أرى فيهم في غيرهم متقسماً
فأل رسول الله نحف جسومهم
بنات زياد في القصور مصونة
إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ
خروج لا محالة خارج

ومنزل وحي مقفر العرصات
وبالركن والتعريف والجمرات
وحزمة والسجاد ذي الثفنات
ولم تعف للأيام والسنوات
متى عهدا بالصوم والصلوات؟
أفانين في الأفاق مفترقات
وهم خر قاداتٍ وخير حماة
ومضطغن ذو إحنة وترات
ويوم حنين أسبلوا العبرات
وأخرى بفتح نالها صلواتي
تضمنها الرحمن في الغرفات
مبالغها مني بكنه صفات
يفرج منها الهم والكربات
معرسهم فيها بشط فرات
لهم عمرة مغشية الحجرات
مدى الدهر أنضاء من الأزمان
من الضيع والعقبان والرخمات
لهم في نواحي الأرض مختلفات
مغاوير يختارون في السروات
فلا تصطليهم جمرة الجمرات
مساعر جمر الموت والغمرات
وجبريل والفرقان ذي السورات
أحباي ما عاشوا وأهل ثقاتي
على كل حال خيرة الخيرات
وزد حبهم يا رب في حسناتي
لفك عنايةً أو لحمل ديات
وأهجر فيكم أسرتي وبناتي
عني لأهل الحق غير موات
وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي
أروح وأغدو دائم الحسرات
وأيديهم من فيهم صفرات
وآل زياد حفل القصرات
وآل رسول الله في الفلوات
أكفاً عن الأوتار منقبضات
لقطع قلبي إثرهم حسراتي
يقوم علي اسم الله والبركات

يميز فينا كل حق وباطل
سأقصر نفسي جاهداً عن جدالهم
فيا نفس طيبي ثم يا نفس أبشري
فإن قرب الرحمن من تلك مدتي
شفيت ولم أترك لنفسي رزية
أحاول نقل الشمس من مستقرها
فمن عارف لم ينتفع ومعاند
قصارى منهم أن أموت بغصة
كأنك بالأضلاع قد ضاق رحبها
ومما يختار من شعر دعلج قصيدته العينية التي رثي بها الحسين عليه السلام قال:

رأس ابن بنت محمدٍ ووصيه
والمسلمون بمنظر وبمسمع
أيقظت أجفاناً وكنت لها كرى
كحلت بمنظر العيون عماية
ما روضة إلا تمننت أنها
ومن مختاراته أيضاً قوله:

خليلي ماذا أرتجي من غد امري
وإن أمراً قد ضن منه بمنطق
ومن مختار شعره قوله:

أين الشباب وأية سلكا؟
لا تعجبي يا سلم من رجل
لا تأخذوا بظلامتي أحداً
ولد عبل كتاب طبقات الشعراء. وديوان شعر. مات سنة ست وأربعين ومائتين.

دعوان بن علي

ابن حماد بن صدقة الجبائي أبو محمد الضرير المقرئ، كان من أعيان القراء ببغداد متميزاً بالقراءة، بصيراً بالعربية، حسن الطريقة والسمت. قرأ القرآن بالروايات على أبي طاهر أحمد بن علي بن سوار، وأبي الخطاب علي ابن عبد الرحمن، وأبي القاسم يحيى بن أحمد السبي، وسمع عن الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة النعالي، والحسين بن علي بن أحمد بن اليسري، وأبي المعالي ثابت بن بندار. وقرأ عليه القرآن خلق كثير، وروى عن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي، توفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة.

دكين بن رجاء الفقيمي

راجز مشهور، وفد على الوليد بن عبد الملك وكان الوليد متأهباً لسباق الخيل فقاد دكين فرسه للسباق، فلما رآه الوليد وكان الفرد دميماً قال: أخرجوه من الحلية، قبح الله هذا، فقال دكين يا أمير المؤمنين: والله مالي مال غيره، فإن لم يسبق خيلك فهو حبيس في سبيل الله. فضحك الوليد وأمر بختمه وأرسلت الخيل فجاء سابقاً فقال دكين:

قد أغتدي والطير في أكنات
والليل لم يحسر عن القناة
بذي شنيبٍ سابغ الصلعات
من قارح وأمن وآت
بخدوني الشمال في الفلاة
وللندى لم على لماتي
ناتي المعد مشرف القطاة
ومن رباع ورباعيات

ومن ثني ومثنيات
بتن على الجبل مسطرات
ووضع الخيل على اللبات
من كل ذي قرطٍ مقزعات
يسرى دوين الشمس ملخصات
حتى إذا كن بمهويات
عضبن أبيه على الشبات
مثل السراحين مصليات
منهن من عرض للذمات
وقال يمدح مصعب بن الزبير:

يا ناق خبي بالقيود خببا
قد علم الأنام إذ ينتخبا
وفي الأمور عقله المؤدبا
وأذانا للفلك تجري خببا
يعيد خلقاً بعد خلق عجبا
خالاً وعماً وابن عم وأبا
واجعل له من سلسيل مشربا
قلباً دهيأً ولساناً قصعبا
جوارياً وفضةً وذهباً
فوراً تلجلجن أبا زيم الشبا
مات دكين بن رجاء سنة خمس ومائة.

دكين بن سعيد الدارمي

التميمي الراجز، وهو غير دكين بن رجا المتقدم واشتبها على ابن قتيبة في طبقات الشعراء فجعلهما واحداً، ودكين بن سعيد هذا هو الذي كان منقطعاً إلى عمر بن عبد العزيز حين كان والياً بالمدينة يسامزه معاًبي عون وسالم بن عبد الله، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة قصده، فلما استأذن عليه قال له الحاجب: إنه في شغل برد المظالم، فترقب خروج عمر للصلاة فلما خرج ناداة فقال:

يا عمر الخيرات والكمات
إني امرؤ من قطن بن دارم
بيع يمين بالإخاء الدائم
ونحن في ظلمة ليلٍ عاتم
فدخل عمر على أمهات أولاده فما زال يجمع من عندهن العشرة والعشرين حتى جمع له ثلاثمائة فأعطاه إياها. مات دكين هذا سنة تسع ومائة.

باب الذال

ذو القرنين بن ناصر الدولة

أبي محمد الحسن بن عبد الله، أبو المطاع بن حمدان التغلي المعروف بوجيه الدولة. كان أديباً فاضلاً شاعراً ولي إمرة دمشق سنة اثنتي عشرة وأربعمائة. ثم عزل ثم وليها سنة خمس عشرة وأربعمائة، وبقي إلى سنة تسع عشرة وأربعمائة. ومن شعره:

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا
أيقنت أن من الدموع محدثا

وقال:

وشهدت حين نكرر التوديعا
وعلمت أن من الحديث دموعا

يا غانياً عن خلتي
إن التقاطع والعقو
وأظن أن لن يتركا
يفنى الذي وقع التنا

وقال:

وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
كان تسليمه علي وداعا

بأبي من هويته فافترقنا
فافترقنا حولا ص فلما التقينا

وقال:

ولحظ عينيه أمضى من مضاربه
حتى لبست نجادا من ذوائبه
من كان في الحب أشقانا بصاحبه

أفدي الذي زرته بالسيف مشتملاً
فما خلغت نجادى للعناق له
فإن أسعدنا في نيل بغيته

وقال:

خوف الزوال فإني لست بالراضى
تحت الصليب ولا في موكب القاضي

من كان يرضى بذل في ولايته
قالوا فتركب أحياناً فقلت لهم

توفي أبو المطاع بمصر في صفر سنة ثمان وعشرين وأربعمائة.

باب الرائ

راشد بن إسحاق بن راشد

أبو حليلة الكاتب، كان أديباً كاتباً شاعراً، ذكره ابن المرزبان في طبقات الشعراء وقال: كان أكثر شعره في رثاء متاعه، وإنما كان يقول ذلك لتهمته لحقته من الأمير عبد الله بن طاهر - أيام كتابته له - في خادم لعبد الله، واتصل راشد بالوزير محمد بن عبد الله الزيات، وله معه أخبار حسان.

حدث يحيى بن عباد قال: حج محمد بن عبد الملك في آخر أيام المأمون، فلما قدم من الحج كتب إليه راشد الكاتب يقول:

واشتق إلى طلعتي ورؤيتيه
عصب فذاك المأمول منك ليه

لا تنسى عهدي ولا مودتيه
فإن تجاوزت ما أقول إلى ال

فأجابه محمد بن عبد الملك.

اظر من تحت ماء دمعتيه
على صحابي بفضل غيبتيه
تريد مني وماتقول ليه!
يوم دعائي ولا هديتيه
ه لك الله رافعاً يديه

إنك مني بحيث يطرد الن
ولا ومن زادني تودده
ما أحسن الترك والخلاف لما
يابأبي أنت ما نسيتك في

قادر أن قد أجاب دعوتي
أقمت عشرين صاحباً معيه
نعلاً ولو من جلود راحتيه
قال الذي اختارها بشارتيه

ناجيت بالذكر والدعاء لك ال
حتى إذا ما ظننت بالملك ال
قمت إلى وضع النعال وقد
وقلت لي صاحب أريد له
فانقطع القول عند واحدة

فقلت عندي البشارة والش
ثم تخيرت بعد ذاك من ال
موشية لم أزل ببائعها
يرفع في سومه وأرغبه
وقد أتاك الذي امرت به
وقال راشد الكاتب وهو يوجد بنفسه في مرضه الذي مات فيه بطريق مكة. ولم أقف له على شعر خالٍ من الفحش والمجون غيرها:

أطبقت للنوم جفناً ليس ينطبق
لم يسترح من له عين مؤرقة
وددت لو تم لي حجي ففزت به
وبت والدمع في خدي يستبق
وكيف يعرف طعم الراحة الأرق؟
ما كل ما تشتهي النفس يتفق

ربيعة بن عامر

ابن أنيف بن شريح بن عمرو بن زيد بن عبد الله ابن عدس بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، الملقب بمسكين، قال أبو عمر الشيباني: وإنما لقب مسكيناً لقوله:

أنا مسكين لمن أنكرني
لا أبيع الناس عرضي إنني
وقال ابن قتيبة: وسمي المسكين لقوله:

وسميت مسكيناً وكانت لجاجه
وكان مسكين شاعراً مجيداً سيداً شريفاً، وكان بينه وبين الفرزدق مهاجاةً، فدخل بينهما شيوخ بني عبد الله وبني مجاشع فتكافأ، واتقاه الفرزدق خشية أن يستعين عليه بجريز، واتقى مسكين الفرزدق خوفاً من أن يعينه عليه عبد الرحمن بن حسان.

وقال الفرزدق: نجوت من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئاً: نجوت من زياد حين طلبني، ونجوت من ابني رميلة وقد نذرا دمي، وما فاتهما أحد طلباه، ونجوت من مهاجاة مسكين الدارمي، لأنه لو هجاني اضطرني أن أهدم شطر حسبي، لأنه من بحبوة نسبي وأشرف عشيرتي، فكان جرير حينئذٍ ينتصف مني بيدي ولساني. ومن مختارات شعر مسكين الدارمي قوله:

ولست إذا ما سرني الدهر ضاحكاً
ولا جاعلاً عضي لمالي وقايةً
أعف لدي عسري وأبدى تجملاً
وإني لأستحي إذا كنت معسراً
وأقطع إخواني وما حال عهدهم
ومن يفتقر يعلم مكان صديقه
ولا خاشعاً ما عشت من حادث الدهر
ولكن أقي عرضي فيحرزه وفري
ولا خر في من لا يعف لدى العسر
صديقي وإخواني بأن يعلموا فقري
حياءً وإعراضاً وما بي من كبر
ومن يحيى لا يعدم بلاء من الدهر

ومن مستحسن شعره:

إتق الأحمق أن تصحبه
كلما رقت منه جانباً
أو كصدع في زجاج بين
وإذا جالسته في مجلس
وإذا نهته كي يرعوى
وإذا الفاحش لاقى فاحشاً
إنما الفحش ومن يعتاده
إنما الأحمق كالثوب الخلق
حركته الريح وهناً فانخرق
أو كفتق وهو يعيى من رتق
أفسد المجلس منه بالخرق
زاد جهلاً وتمادى في الحمق
فهنا كم وافق الشن الطبق
كغراب السوء ما شاء نعق

أو حمار السوء إن اشبعته
أو كعبد السوء إن جوعته
أو كغیری رفعت من ذيلها
أيها السائل عما قد مضى
وقدم على معاوية فسأله أن يفرض له فأبى، فخرج من عنده وهو يقول.
أخاك أخاك إن من لا أخا له
وإن ابن عم المر فاعلم جناحه
وقال:

رمح الناس وإن جاع نهق
سرق الجار وإن يشبع فسق
ثم أرخته ضراراً فانخرق
هل جديد مثل ملبوس خلق
كساع إلى الهيجا بغير سلاح
وهل ينهض البازي بغير جناح؟

ناري ونار الجار واحدة
ماضر جاراً لي أجاوره
أغضى إذا ما جارتني برزت
ويصم عما كان بينهما
وإليه قبلي تنزل القدر
ألا يكون لبيته ستر
حتى يوارى جارتني الخدر
سمعي وما بي غيره وقر

ربيعه بن يحيى

ابن معاوية بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب المعروف بأعشى بني تغلب، شاعر من شعراء الدولة الأموية، كان نصرانياً وعلى النصرانية مات سنة اثنتين وتسعين، وكان يتردد بين البداوة والحضارة، فإذا حضر سكن الشام، وإذا بدا نزل بنواحي الموصل ودار ربيعة حيث منازل قومه. ومن شعره قوله يمدح بني عبد المدان الحارثيين:

فكعبة نجران حتم علي
نزور يزيد وعبد المسيح
يبادرنا الورد والياسم
ويربطنا دائم معمل
ولما التقينا على آله
إذا الخير أت فلوت بهم
ك حتى تناخى بأبوابها
وقيساً همو خير أربابها
بين والمسمعات بأقصابها
فأبي الثلاثة أزرى بها؟
ومدت إلى بأسبابها
وجروا أسافل هداها

وقال:

ما روضة من رياض الحزن معشبة
يضاحك الشمس فيها كوكب شرق
يوماً بأطيب منها نشر رائحة
خضراء جاد عليها مسبل هطل
موزر بعيم النبت مشتمل
ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

ربيعه بن ثابت

ابن لجأ بن العيزار بن لجأ الأسدي أبو ثابت الرقي الشاعر، استقدمه أمير المؤمنين المهدي فمدحه بعدة قصائد مشهورة فأجازه وأجزل صلتته، وهو الذي قال في يزيد بن حاتم المهلبى ويزيد بن أسيد السلمى:

لشتان ما بين اليزيديين في الندى
يزيد سليم سالم المال والغنى
فهم الفتى الأزدي إتلاف ماله
وهو الذي يقول في العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس قصيدته المشهورة التي لم يسبق إليها إجادة ومنها:
لو قيل للعباس يا بن محمد
ما إن أعد من المكارم خصلة
وإذا الملوك تسايروا في بلدة
يزيد سليم والأغر ابن حاتم
أخو الأزد للأموال غير مسالم
وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
قل لا وأنت مخلد ما قالها
إلا وجدتك عمها أو خالها
كانوا كواكبها وكنت هلالها

حتى حللت براحتيك عقالها

إن المكارم لم تزل معقولة

فبعت إليه العباس بدينارين فقال:

لتجري في الكرام كما جريت

مدحتك مدحة السيف المحلى

كذبت عليك فيها وافتريت

فهبها مدحة ذهبت ضياعاً

كأنني إذ مدحتك قد رثيت

فأنت المرء ليس له وفاء

فلما بلغت العباس غضب وتوجه إلى الرشيد فقال: إن ربيعة الرقي قد هجاني فأحضره وهم بقتله: فقال يا أمير المؤمنين: مره بإحضار القصيدة فأحضرها، فلما سمعها استحسناها وقال: والله ما قال أحد في الخلفاء مثلها فكم أثابك؟ قال: دينارين، فغضب الرشيد بن العباس وقال: يا غلام أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخلعة واحمله على بغلة. وقال له: بحياتي لا تذكره في شعرك لا تعريضاً ولا تصريحاً. وكان الرشيد قد هم بأن يزوج العباس ابنته ففتر عنه لذلك. توفي ربيعة الرقي سنة ثمان وتسعين ومائة.

رزق الله بن عبد الوهاب

التميمي البغدادي. أديب شاعر مجيد لا أعرف من أمره غير هذا، توفي ببغداد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة. ومن شعره:

فبدا الوشاة له فولي معرضاً

بأبي حبيب زارني متنكراً

أمل ونيل حال بينهما القضا

فكأنني وكأنه وكأنهم

وقال:

فليت دار الرقيق لم تكن

شارع دار الرقيق أرقني

أنا فداء لوجهها الحسن

به فتاة للقلب فاتنة

رزين العروضي الشاعر

أخذ عن عبد الله بن هارون بن السמידع البصري العروضي مؤدب آل سليمان، وكان عبد الله بن هارون يقول أوزاناً غريبة من العروض، فنحا رزين نحوه في ذلك، فأتى فيه ببدائع جمّة، وكان رزين من أصحاب دعلج الخزاعي الشاعر. حدث دعلج أنه نزل هو ورزين بقوم من بني مخزوم فلم يقرّوها ولا أحسنوا ضيافتهما، قال دعلج فقلت فيهم:

بحيث لا تطمع المسحاة في الطين

عصابة من بني مخزوم بت بهم

ثم قلت لرزين أجز، فقال:

بني النفاق وأبناء الملاعين

في مضغ أعراضهم من خبزهن عوض

ومن شعر رزين أيضاً:

على الخائف المطلوب كفة حابل

كأن بلاد الله وهي عريضة

تيممها ترمي عليه بقاتل

تؤدي إليه أن كل ثنية

وقال:

وكذاك شرهم المنون الأكذب

خير الصديق هو الصدوق مقالة

بالوعد راغ كما يروغ الثعلب

فإذا غدوت له تريد نجاهه

توفي رزين العروضي سنة سبع وأربعين ومائتين

رسته بن أبي الأبيض الأصبهاني

الضرير الشاعر. ذكره حمزة بن الحسن الأصبهاني في تاريخ أصبهان فقال: كان مليح الشعر أشبه الناس شعراً ببشار بن برد، حمل من أصبهان إلى بغداد وأدخل على زبيدة بنت جعفر زوج الرشيد وكان دميماً فلما رآته قالت: تسمع بالمعدي خير من أن تراه. فقال رسته: أيتها السيدة، إنما المرء بأصغريه، ثم أنشدها وأخذ جائزتها. وله شعر كثير ومنه قوله:

من قديم الزمان عنهم كليل

أيها الإخوة الذين لسانني

صحت شهراً كما يصيح الدليل
قلت مالي إذا إليهم سبيل

جئتمكم للسلام حتى إذا ما
قيل قد أدخل الخوان عليهم

وقال:

ومات كل نبيه
وفاضلٍ وفقيه
كل الخلائق فيه

قد مات كل نبيلٍ
وما كل أديبٍ
لا يوحشك طريق
مات رسته سنة خمس وسبعين ومائة

رمضان بن رستم

ابن محمد بن علي بن رستم بن هردوز، فخر الدين ابن الساعاتي الخراساني الأصل الدمشقي، وهو أخو بهاء الدين أبي الحسن علي بن رستم بن الساعاتي الشاعر المشهور، وكان فخر الدين هذا طبيباً فاضلاً أديباً شاعراً. وله معرفة تامة بالمنطق والعلوم الحكمية، وكان يكتب خطاً منسوباً في غاية الجودة، وتلقى صناعة الطب عن رضي الدين أبي الحجاج يوسف بن حيدر الرحبي الموجود الآن في دمشق، ولازمه زماناً طويلاً، والعلوم الأدبية عن تاج الدين زيد الكندي، وكان خبيراً بعلم الموسيقى ويحسن الضرب بالعود، لفقته بدمشق وحضرت مجالسه غير مرة، وبلغتنا وفاته سنة ثمان مائة وستة وستين. وله من التصانيف: حواش على القانون لابن سينا، وتكملة كتاب القولنج له، والمختار من الأشعار، وغير ذلك، ومن شعره:

في صفرة اللون يحكي لون مسكين
من فرقة الغصن أم من خوف سكين؟؟

وروضة زاد بالأترج بهجتها
عجبت منه فما أدرى أصفرته

وقال:

لأنني بينهم فارس
لن يستوي الدارس والناعس

يحسدني قومي على صنعتي
سهرت في ليلي واستنصوا

وقال:

من كل ما يهوي وما يتحجب
من كان في شئ سواها يرغب

حسب المحب تلذذ بغرامه
راح المحبة لا تريخ بروحها

الرماح بن أبرد

أبن ثوبان بن سراقبة بن قيس بن سلمى بن ظالم بن جذيمة بن يربوع أو شريحيل المري المعروف بابن ميادة وهي أمه وكانت صقلبية، وكان يزعم أنها فارسية. وهو شاعر مجيد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. مات في خلافة المنصور سنة تسع وأربعين ومائة، ومن شعره يفخر بنسب أبيه في العرب ونسب أمه في العجم:

بأكرم من نيطت عليه التمام؟
وجئت بجدي ظالم وابن ظالم
سجوداً على أقدامنا بالجمام

أليس غلام بين كسرى وظالم
لو أن جميع الناس كانوا بتلعة
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا

ومن مختار شعره قصيدته البائية التي مدح بها الوليد ابن يزيد ومطلعها:

سافي الرياح ومستن له طنب
كأنها ظبية ترعى وتنتصب
فقلبا شفقاً من حوله يجب
وألمح الناس عيناً حين تنتقب
ولست عند خلاء اللهو أغتصب
على الضجيج وفي أنيابها شنب
مثل القناديل فيها الزيت والذهب

هل تعرف الدار بالعلياء غيرها
دار لبيضاء مسود مسائحها
تحنو لأكل ألقته بمضيعة
يا أطيب الناس ريقاً بعد هجعتها
ليست تجود بنيل حين أسألها
في مرفقيها إذا ما عولجت حجم
وليلة ذات أهوال كواكبها

قد جبتها جوب ذي المقراض ممطرة
بعنتريس كان الدبر يلسعها
إلى الوليد أبي العباس قد عجلت
أعطيتني مائة صفراً مدامعها
يسوقها يافع جعد مفارقه
وذا سبيب صهيبياً له عرف
لما أتيتك من نجد وساكنه
إني امرؤ أعتقي الحاجات أطلبها
ولا ألح على الخلان أسألهم
ولا أخادع ندماني لأخدعه

وأنت وابناك لم يوجد لكم مثل
الطبيون إذا طابت نفوسهم
قسني إلى شعراء الناس كلهم
إني وإن قال أقوام مديحهم
أجري أمامهم جري امرئ فلج

وقال أيضاً:

لقد سبقتك اليوم عيناك سبقة
وتذكار عيش قد مضى ليس راجعاً
كان فؤادي في يد خبيثت به
وأشفق من وشك الفراق وإنني
فو الله ما أدري أيغلبني الهوى
فإن أستطيع أغلب وإن يغلب الهوى
وشعر ابن ميادة كثير اكتفينا بما ذكرناه منه

روبة بن العجاج

واسم العجاج عبد الله بن روبة بن أسد بن صخر بن كنيف بن عميرة يتصل نسبة يزيد بن مناة، الراجز المشهور من مخضرمي الدولتين ومن أعراب البصرة. سمع من أبي هريرة - رضي الله عنه - والنسابة البكري، وعداده في التابعين. وروى عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى، والنضر بن شميل وخلف الأحمر وغيرهم. وله رجز مشهور مات في زمن المصور سنة خمس وأربعين ومائة. ومن رجزه:

ولا ترضاها ولا تملق
لينة المس كمس الخرنق

مقيظ مصيف مشتى

ب أقلن بالشباب افتخارا
فوجدت الشباب ثوباً معارفا

إذا العجوز غضبت فطلق
واعمد لأخرى ذات دلٍ مونق
إذا مضت مثل السياط المشق

ومنه وهو مشهور:

من يك ذا بتٍ فهذا بتى
أخذته من نعجات ست

وله شعر قليل منه:

أيها الشامت المعير الشي
قد لبست الشباب غصاً طريفاً

باب الزاء

زكي بن كامل بن علي

أبو الفضائل المعروف بالمهذب الهبتي القطيفي الملقب بأسير الهوى. كان أديباً فاضلاً شاعراً رقيق الشعر. مات سنة ست وأربعين وخمسمائة. ومن شعره:

عيناك لحظهما أمضى من القدر
يا أحسن الناس لولا أنت أبخلهم
جد بالخيال وإن ضنت يداك به
يا من تمكن في قلبي الغرام به
زود بتوديعه أو وقفة فعسى

وقال:

أفعال الحافظه المرضى الصالح بنا
عجبت من جفنة بالضعف منتصراً
ومن لهيب حدود كلما سقيت
إن مج في الشرق من فيه الرضاب ترى
شهود صدق غرامي فيك أربعة

وقال:

سيدي ما عنك لي عوض
كم بلا ذنب تهددني
أبغير الهجر تقتلني؟
ورضائي في رضاك فقل
أنت لي داء أموت به

زائدة بن نعمة بن نعيم

أبو نعمة النتري المعروف بالمحفف، كان شاعراً جيد الشعر نقي الألفاظ مختارها، رقيق المعاني، يمدح السادات وأهل البيوتات، لقيته بحلب سنة ثمانين وخمسمائة، وتوفي سنة ست وثمانين وخمسمائة، ومن شعره:

أصبح الربع من سمية خالي
وثلث كأنهن حمام

هللته الرياح مما توالى
من قبول ومن دبور سنوج
يجلب الغيث غير سيب حياه
كل نبت من الربيع وزهر
وكذاك الذي عهدنا لديه
كل براقة الثنايا تراها
وكان الغمام من بعد وهن
كنت في عينها كمروء كحل
حيث صار السواد مني بياضاً

نسجها بالغدو والأصال
وجنوب ومن صباً وشمال
برسوم الديار والأطلال
مثل جيد من العرائس حالي
في ظلال الخيام أو في الحجال
برقيق الغروب عذب زلال
مازجته بقرقف جريال
صرت في عينها كشوك السبال
وتبدلت أرذل الإبدال

زبان بن العلاء

ابن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين بن الحارث ابن جلهمة بن حجر بن خزاعة بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر بن معد بن عدنان، الإمام أبو عمرو بن العلاء التميمي المازني البصري أحد القراء السبعة. واختلف في اسمه على أحدٍ وعشرين قولاً، والصحيح أنه زبان لما روي أن الفرزدق جاء معتذراً إليه من أجل هجو بلغه عنه، فقال له أبو عمرو:

هجوت زبان ثم جئت معتذراً
من هجو زبان لم تهجو ولم تدع

ولد أبو عمرو بمكة سنة ثمان أو خمس وستين، ومات بالكوفة سنة أربع وخمسين ومائة، أخذ بمكة: والمدينة والكوفة والبصرة عن شيوخ كثيرة منهم أنس بن مالك، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد. وأخذ النحو عن نصر بن عاصم الليثي، وأخذ عنه القراءة عرضاً وسماعاً جماعة كثيرون منهم: عبد الله ابن المبارك واليزيدي، وأخذ عنه النحو الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب البصري، وأبو محمد اليزيدي، وأخذ عنه الأدب وغيره طائفة منهم: أبو عبيدة معمر ابن المثنى، والأصمعي، ومعاذ بن مسلم النحوي وغيرهم. وروى عنه الحروف سيبويه، وكان أعلم الناس بالعربية والقرآن، وأيام العرب والشعر. وكان يونس بن حبيب يقول: لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شيء كان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء، وقال أبو عبيدة: أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات العربية وأيام العرب والشعر، وكانت دفاثره ملء بيته إلى السقف ثم تنسك فأحرقها، وأما حاله في أهل الحديث فقد وثقه يحيى بن معين وغيره وقالوا: صدوق حدة في القراءة وله أخبار حسان، وروى عنه فوائد كثيرة يطول ذكرها.

الزبير بن كبار بن عبد الله

ابن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، أبو عبد الله القرشي لأسدي، كان علامة نسابة أخبارياً وعلى كتابه في أنساب قريش الاعتماد في معرفة نساب القرشيين، أخذ عن سفيان بن عيينة وغيره، وروى عنه ابن ماجة وابن أبي الدنيا وغيرهما. وكان ثقة من أوعية العلم ولا يلتفت لقول أحمد بن علي السلماني فيه: إنه منكر الحديث حدث موسى بن هارون قال: كنت بحضرة الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر فاستأذن عليه الزبير بن بكار، فلما دخل عليه أكرمه وعظمه وقال له: إن باعدت بيننا الأنساب فقد قربت بيننا الآداب، وإن أمير المؤمنين أمرني أن أدعوك وأقلدك القضاء، فقال له الزبير بن بكار: أبعد ما بلغت هذا السن ورويت أن من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين أتولى القضاء؟ فقال له: فتلق بأمير المؤمنين بسر من رأى فقال له: أفعل، فأرم له بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت ثياب وظهر حمله ويحمل ثقله إلى حضرة سر من رأى، فلما أراد الانصراف قال له: إن رأيت يا أبا عبد الله أن تفيدنا شيئاً نرويه عنك ونذكرك به، قال نعم. انصرفت من عمرة المحرم فبينما أنا بآثية العرج إذ أنا بجماعة مجتمعة فأقبلت إليهم، وإذا برجل كان يقتص الظباء وقد وقع ظبي في حبالته، فذبحه فانتقض في يده فضرب بقرته صدره فنشب القرن فيه فمات، وإذا بفتاة أقبلت كأنها الملهاة. فلما رأت زوجها ميتاً شهقت ثم قالت:

يا خشن لو بطل لكنه أجل
يا خشن جمع أحشائي وأقلقها
أضحت فتاة بني نهجٍ علانية
وبعلها في أكف القوم محتمل

وكننت راغبة فيه أضن به
فحال من دون ظبي الريمة الأجل

ثم شهقت فماتت، فما رأيت أعجب به من الثلاثة: الظبي مذبوح، والرجل جريح ميت، والفتاة ميتة. فلما خرج قال الأمير محمد بن عبد الله: أي شيء أفدنا من الشيخ؟ قالوا: الأمير أعلم، قال: قوله:

أضحت فتاة بني نهجٍ علانية

أي ظاهرة وهذا حرف لم أسمعه في كلام العرب قبل اليوم. ثم ولي الزبير بن بكار قضاء مكة، ومات بها وهو قاض عليها ليلة الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ست وخمسين ومائتين، وللزبير بن بكار من التصانيف: كتاب أنساب قريش وأخبارها. وكتاب أخبار العرب وأيامها. وكتاب نوادر أخبار النسب. وكتاب الموفقيات في الأخبار، ألفه للموفق بالله، وكتاب مزاح النبي صلى الله عليه وسلم. وكتاب وفود النعمان على كسرى. وكتاب الأوس والخزرج. وكتاب النخل. قال ابن النديم: رأيت بخط ابن السكري، وكتاب نوادر المدنيين: وكتاب الاختلاف. وكتاب العقيق وأخباره. وكتاب إغارة كثير على الشعراء. وأخبار ابن ميادة. وأخبار ابن الدمينية. وأخبار ابن قيس الرقيات. وأخبار أبي دعلب الجمحي. وأخبار أبي السائب. وأخبار الأشعث. وأخبار الأحوص. وأخبار ابن هرمة. وأخبار توبة بن الحمير وليلى الأخیلية وأخبار أمية بن أبي الصلت. وأخبار حاتم. وأخبار حسان،

وأخبار جميل، وأخبار عبد الرحمن بن حسان وأخبار العرجي، وأخبار عمر بن أبي ربيعة، وأخبار كثير، وأخبار المجنون، وأخبار نصيب، وأخبار هبة ابن الخشم، وأخبار زياد وغير ذلك.

زند بن الجون

المعروف بأبي دلامة الكوفي، أسود، من موالى بني أسد، أدرك آخر أيام بني أمية، ونبغ في أيام بني العباس، وانقطع إلى السفاح والمنصور والمهدي، ومات في خلافة المهدي سنة إحدى وستين ومائتين. وله مع الخلفاء والأمراء أخبار كثيرة ونوادر جمة، فمن ذلك أنا أبا جعفر المنصور أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال، ودراربع كتب عليها: (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم). وأن يعلقوا السيوف في المناطق، فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزي، فقال له المنصور: كيف أصبحت يا أبا دلامة؟ قال: بشر حال يا أمير المؤمنين، قال: كيف ذلك ويليكَ؟ قال: وما ظنك يا أمير المؤمنين بمن أصبح وجهه في وسطه، وسيفه على استه، ونبذ كتاب الله وراء ظهره، وصيغ بالسواد ثيابه، فضحك المنصور ووصله، وأمر بتغيير ذلك الزي، وفي ذلك يقول أبو دلامة:

وكنا نرجى من إمام زيادة
نراها على هام الرجال كأنها
وخرج أبو دلامة مع روح بن حاتم المهلب في بعث لقتال الشراة، فلما نشبت الحرب أمره روح بمبارزة فارس من الشراة يدعو إلى البراز، فقال أبو دلامة:

أني أعوذ بروح أن يقدمني
إن البراز إلى الأقران أعلمه
قد خالفتك المنايا إن صمدت لها
إن المهلب حب الموت أورثكم
لو أن لي مهجة أخرى لجدت بها
فضحك منه روح وأعفاه. ولأبي دلامة شعر كثير كله جيد وفيما أوردناه منه كفاية.

زياد بن سلمى

أبن عبد القيس، أبو أمامة العبدي، المعروف بزياد الأعجم، مولى عبد القيس، قيل له الأعجم للكنية كانت فيه. أدرك أبا موسى الأشعري وعثمان بن أبي العاص، وشهد معهما فتح إصطخر. عده ابن سلام في الطبقة السادسة من شعراء الإسلام، وهم الفرزدق بهجاء عبد القيس، فأرسل إليه زياد: لا تعجل حتى أهدي إليك هدية، فبعث إليه:

فما ترك الهاجون لي إن هجوته
وما تركوا عظماً يرى تحت لحمه
سأكسر ما أبقوه لي من عظامه
وإنما وما تهدي لنا إن هجوتنا
فلما بلغ الفرزدق الشعر قال: ما إلى هجاء هؤلاء من سبيل ما عاش هذا العيد. ودخل زياد على عبد الله بن جعفر فسأله في خمس ديات فأعطاه، ثم عاد فسأله في خمس ديات أخر فأعطاه، ثم عاد فسأله في عشر ديات فأعطاه، فأنشأ يقول:

سألناه الجزيل فما تلكا
وأحسن ثم أحسن ثم عدنا
مراراً لا أعود إليه إلا
وقال يرثي المغيرة بن المهلب:

إن السماحة والمروءة ضمنا
مات المغيرة بعد طول تعرض
فإذا مررت بقبره فاعقر به
وانضح جوانب قبره بدمائها

قبراً بمرور على الطريق الواضح
للموت بين أسنة وصفائح
كوم الهجان وكل طرفٍ سابح
فلقد يكون أخا دم وذبائح

وهي من أحسن المراثي. توفي زياد في حدود المائة.

زيد بن الحسن

ابن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير بن الحارث ذي رعين، تاج الدين أبو اليمن الكندي البغدادي ثم الدمشقي النحوي، اللغوي المقرئ المحدث. ولد ببغداد سنة عشرين وخمسائة. وتوفي بدمشق سنة سبع وتسعين وخمسائة. قرأ النحو على أبي محمد سبط أبي منصور الخياط، وعلى أبي السعادات هبة الله بن الشجري وابن الخشاب، واللغة على أبي منصور موهوب الجواليقي، ومع الحديث من ابن عبد الباقي وآخرين. قدم دمشق فتقدم فيها وتصدر وازدحم عليه الطلاب، وانتقل من مذهب الحنابلة إلى مذهب الحنفية، فتوغل فيه وأفتى واستوزره فروخ شاه، ثم اتصل بأخيه صاحب حماة. واختص به وقرأ عليه الملك المعظم عيسى العربية، فأقرأه كتاب سيبويه والإيضاح لأبي علي الفارسي، وشرح سيبويه لابن درستويه. وقرأ عليه جماعة القراءة والنحو واللغة. وكتب الخط المنسوب وكانت له خزانة كتب جليلة في جامع بني أمية. وله تعليقات على ديوان المتنبي وأخرى على خطب ابن نبانة وكتاب ننف اللحية من ابن دحية رد فيه على ابن دحية الكلبي في كتابه الذي سماه الصارم الهندي في الرد على الكندي، وكتاب في الفرق بين قول القائل طلقك إن دخلت الدار وبين إن دخلت الدار طلقك، ألفه جواباً لسؤال ورد عليه، وله غير ذلك: ومن شعره:

لامني في اختصار كتبي حبيب
ليتني قد أطلت لكن عذري
فرقت بينه الليالي وبيني
فيه أن المداد إنسان عيني

زيد بن الحسن

الأحاطي التميمي، أديب شاعر كان بعد الخمسمائة، ومن شعره قوله في سلطان شاحط من بلاد اليمن:

قالوا لنا السلطان في شاحط
قلت هل السلطان من فوقه
يأتي الزما من موضع الغائط
قالوا بل السلطان من هابط؟

زيد بن علي

ابن عبد الله أبو القاسم الفارسي الفسوي، كان علامة فاضلاً نحوياً لغوياً مشاركاً في عدة علوم، أخذ النحو عن أبي الحسين ابن أخت أبي علي الفارسي، وروى عنه الإيضاح لخاله، وقرأ على الشريف أبي البركات عمر بن إبراهيم الكوفي، وأخذ الحديث عن أبي زر الهروي وغيره، وأقرأ العربية بحلب ودمشق، وله شرح الإيضاح في النحو لأبي علي الفارسي، وشرح الحماسة لأبي تمام وغير ذلك. مات بطرابلس في ذي الحجة سنة سبع وستين وأربعمائة.

باب السنين

سالم بن أحمد

ابن سالم شيخنا أبو المرجي بن أبي الصقر التميمي الحاجب المعروف بالمنتخب، النحوي العروضي البغدادي، كان أديباً فاضلاً نحوياً منفرداً بالعروض، سمع صحيح مسلم من المؤيد الطوسي، وكان محبوباً حسن الأخلاق. قرأت عليه العربية والعروض ببغداد، وله أرجوزة في النحو، وكتاب في العروض، وكتاب في القوافي، وكتاب في صناعة الشعر وغير ذلك. مات ببغداد يوم الأحد خامس ذي القعدة سنة إحدى عشرة وستمائة.

السانب بن فروخ

أبو العباس الضرير المكي الشاعر، مولى بني جذيمة ابن عدي بن الديل. سمع عبد الله بن عمرو بن العاص، وروى عنه عطاء وحبيب بن أبي ثابت وعمرو بن دينار ووثقه أحمد، وروى له البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه، وكان منحرفاً عن آل أبي طالب مائلاً إلى بني أمية مادحاً لهم، وهو القائل لأبي الطفيل عامر بن واثلة وكان شيعياً:

لعمرك إنني وأبا طفيل
لمختلفان والله الشهيد

كما ضلت عن الحق اليهود

وبناتهم بمضيعة أيتام
والنجم يسقط والجدود تنام
فعليهم حتى الممات سلام

لقد ضلوا بحب أبي تراب
وهو القال رثى بني أمية عند انقضاء دولتهم:
أمست نساء بني أمية أيتاماً
نامت جدودهم وأسقط نجمهم
خلت المنابر والأسرة منهم
توفي أبو العباس الأعمى بعد سنة ست وثلاثين ومائة.

سحيم بن حفص

أبو اليقظان الأخباري النسابة. توفي سنة تسعين ومائة، ذكره ابن النديم وذكر له من المصنفات: كتاب أخبار تميم، كتاب حلق تميم بعضها بعضاً، كتاب نسب خندف وأخبارها، كتاب النسب الكثير كتاب النواذر.

سراج بن عبد الملك بن سراج

أبو الحسين بن أبي مروان النحوي اللغوي الأخباري الأديب الشاعر، كان عالم الأندلس في وقته، كان يجتمع إليه مهرة النحاة كابن الأبرش وابن البادش ومن في طبقتهم يتلقون عنه لوقوفه على دقائق النحو ولغات العرب وأشعارها وأخبارها، روى عنه القاضي عياض وابن خيرة وغيرهما. ومن شعره:

بث الصنائع لا تحفل بموقعها
كالغيث ليس يبالى حينما انكسبت
مات ابن أبي مروان سنة ثمان وخمسمائة.

السري بن أحمد بن السري

أبو الحسن الكندي المعروف بالسري الرفاء الموصلي الشاعر المشهور. أسلمه أبوه صبياً للرفائين بالوصل فكان يرفو ويطرز، وكان مع ذلك ينظم الشعر ويجيد فيه. كتب إليه في ذلك الحال صديق له يسأل عن خبره وحاله في حرفته فكتب إليه:

يكفيك من جملة أخباري
في سوقة أفضلهم مرتدٍ
وكانت الإبرة فيما مضى
فأصبح الرزق بها ضيقاً

فلما جاد شعره انتقل من حرفة الرفو إلى حرفة الأدب، واشتغل بالوراقة فكان ينسخ ديوان شعر كشاجم وكان مغري به، وكان يدس فيما يكتبه منه أحسن شعر الخالدين ليزيد في حجم ما ينسخه وينفق سوقه، ويشنع بذلك على الخالدين لعداوة كانت بينه وبينهما فكان يدعى عليهما سرقة شعره وشعر غره، فكان فيما يدسه من شعرهما في ديوان كشاجم، يتوخى اثبات مدعاة، ولم يزل السري في ضنك من العيش إلى أن خرج إلى حلب واتصل بسيف الدولة ومدحه وأقام بحضرته فاشتهر وبعد صيته، ونفق سوق شعره عند أمراء بني حمدان ورؤساء الشام والعراق، ولما مات سيف الدولة انتقل السري إلى بغداد ومدح الوزير المهلبى وغيره من الأعيان والصدور فارتفق وارتزق، وحسنت حاله وسار شعره في الآفاق، وللسري تصانيف منها: كتاب الديرة، وكتاب المحب والمحبوب. والمشموم والمشروب وديوان شعر يدخل في مجلدين. وكانت وفاته ببغداد سنة اثنتين وستين وثلاثمائة. ومن مدائحه لسيف الدولة قوله:

أعزمتك الشهاب أم النهار
خلقت نيةً ومنىً وتضحى
تحلى الدين أو تحمى حماء

ومنها:

حضرنا والملوك له قيام
وزرنا منه ليث الغاب طلقاً

تغض نواظراً فيها انكسار
ولم نر قبله ليثاً يزار

فعشت مخيراً لك في الأماني
وضيفك للحيا المنهل ضف
ومن غرر شعره في الغزل قوله.

بلاني الحب فيك بما بلاني
أبيت الليل مرتقباً أناجي
فتشهد لي على الأرق الثريا
إذا دنت الخيام به فأهلاً
فبين سجوفها أقمار تم
ومذهبة الخود بجلنار
سقانا الله من رياك ريا

وكان على العدو لك الخيار
وجارك للربيع الطلق جار

فشأني أن تفيض غروب شاني
بصدق الوجد كاذبة ذ
ويلعلم ما أجن الفرقدان
بذاك الخيم والخيم الدواني
وبين عمادها أغصان بان
مفضضة الثغور بأقحوان
وحيانا بأوجهك الحسان

ستصرف طاعتي عمن نهاني
ولم أجهل نصيحته ولكن
فيا ولع العواذل خل عنى

وقال في الورد:

لو رحبت كأس بذي زورة
جاء فخلناها خوداً بدت
وعطر الدنيا فطابت به

وقال:

وروضة بات ظل الغيث ينسجها
إذا تنفس فيه ريح نرجسها
أقول فيها لساقينا وفي يده
لا تمزجها بغير الريق منك وإن
أقل ما بي من حبيبك أن يدي

حتى إذا نسجت أضحى يديجها
ناغى جنى خزامها بنفسجها
كأس كشلة نار إذ يؤججها
تبخل بذاك قدمي سوف يمزجها
إذا دنت من فؤادي كان ينضجها

سعدان بن المبارك

أبو عثمان الضرير النحوي الراوية مولى عاتكة مولاة المهدي امرأة المعلى بن طريف الذي ينسب إليه نهر المعلى ببغداد. كان من رواة العلم والأدب كوفي المذهب. روى عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، وروى عنه محمد بن الحسن بن دينار الهاشمي. وله من المصنفات: كتاب النقائص، وكتاب الأمثال. مات سنة عشرين ومائتين.

سعد بن أحمد بن مكي

النيلي المؤدب الشيعي. كان نحويًا فاضلاً عالماً بالأدب مغالياً في التشيع، له شعر جيد أكثره في مديح أهل البيت، وله غزل رقيق. مات سنة خمس وستين وخمسمائة وقد ناهز المائة. ومن شعره:

قمر أقام قيامتي بقوامه
ملكته كبدي فأتلف مهجتي
وبمبسم عذب كأن رضابة
وبناظر غنج وطرف أحور
وكان خط عذاره في خده
لم لا يجود لمهجتي بزمame
بجمال بهجته وحسن كلامه
شهد مذاب في عبير مدامه
صمى القلوب إذا رمى بسهامه
شمس تجلت وهي تحت لئامه

والليل يقبل من أثيث ظلامه
والغصن ليس قوامه كقوامه
بعضاً فساعده على قسامه
ويمينه وشماله وأمامه
ينقد بالأرداف عند قيامه

فالصبح يسفر من ضياء جبينه
والظبي ليس لحاظه كالحاظه
قمر كان الحسن يعشق بعضه
فالحسن من تلقائه وورائه
ويكاد من ترفٍ لرقّة خصره

سعد بن الحسن بن سليمان

أبو محمد النوراني الحراني النحوي الأديب الشاعر، كان تاجراً يسافر إلى الشام والعراق ومصر وخراسان، وسكن بغداد مرةً وأخذ فيها عن أبي منصور موهوب الجواليقي وغيره، وكان عارفاً بالنحو جيد النظم والنثر. مات سنة ثمانين وخمسمائةٍ ومن شعره.

فظل على أحداثه يتعتب
شفاءً كما يلتذ بالحك أجرب

ولست كمن أخنى عليه زمانه
تلد له الشكوى وإن لم يجد بها

وقال:

وصورة الهم تمحو صورة الجذل
إن بنت طال وإن واصلت لم يطل

جاءت تسائل عن ليلي فقلت لها
ليلى بكفك بأغنى عن سؤالك لي

سعد بن الحسن بن شداد

أبو عثمان المعروف بالناجم، كان أديباً فاضلاً شاعراً مجيداً، وكان بينه وبين ابن الرومي صحبة ومودة ومخاطبات توفي سنة أربع عشرة وثلاثمائةٍ ومن شعره:

ء العين في إغائها
نفس ونيل رجائها

شدو ألد من ابتدا
أحلى وأشهى من منى

وقال:

هو جنة لك من غيايبي
لى منك أبلغ من عتابي
بل بالسكوت عن الجواب
ب الناس فعل أخي اجتتاب
كيف عن كلب الكلاب؟

علمي بأنك جاهل
والصمت عنك وصرم حب
وجواب مثلك أن يقا
ما زلت أعلم عن كلا
وأبيحهم صفح الذنوب

وقال:

فما هو عن عين الضمير بغائب
ولم تتخطفها أكف النوائب
وضاقت علي في نواه مذاهبي
محلتة بين الحشا والترائب

لئن كان عن عيني أحمد غائباً
له صورة في القلب لم يقصها النوى
إذا ساءني منه نزوح دياره
عطفت على شخص له غير نازح

وقال:

قلت لهم أحسن ما كان
والصبيغ قد ينفذ أحياناً

قالوا اشتكت وجنتنا وجهه
حمة ورد الخد أعدتهما

سعد بن علي بن القاسم

ابن علي بن القاسم، أبو المعالي الأنصاري الحظيري ثم البغدادي المعروف بالوراق دلال الكتب، كان أديباً فاضلاً شاعراً رقيق الشعر، وله مصنوعات منها: زينة الدهر وعصرة أهل العصر في ذكر لطائف شعراء العصر، ذيل به دمية القصر للباخرزي الذي جعله ذيلاً على يتيمة الدهر للثعالبي، وله كتاب لمح الملح، وديوان الشعر توفي ببغداد يوم الاثنين خامس عشر من صفر سنة ثمان وستين وخمسمائة، ومن شعره:

أشرب على طرب من كف ذي طربٍ قد قام في طربٍ يسعى إلى طرب
من خندريس كعين الديك صافيةٍ و ما تخيرها كسرى من العنب
فالراح من ذهبٍ والكأس من ذهبٍ يا من رأى ذهباً يسقي على ذهب!

وقال:

ومعذر في خده ورد وفي فمه مدام
ما لان لي حتى تغ شى صبح طلعتة ظلام
كالمهر يجمع تحت را كبه ويعطفه اللجام

وقال:

وددت من الشوق المبرح أنني أعار جناحي طائر فأطير
فما لنعيم لست يه لذاعة ولا لسرور لست فيه سرور

وقال:

قل لمن عاب شامة لحبيبي دون فيه دع الملامة فيه
إنما الشامة التي قلت عنها فص فيروزج بخاتم فيه

سعد بن محمد بن علي

ابن الحسن بن سعيد بن مطر بن مالك بن الحارث ابن سنان الأزدي أبو طالب المعروف بالوحيد البغدادي، كان عالماً بالنحو واللغة والعروض بارعاً في الأدب، أخذ عنه أبو غالب بن بشران النجوى وغيره، وله شرح ديوان المتنبي. مات سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. ومن شعره:

ليس الأديب أخا الروا بة للنوادر والغريب
ولشعر شيخ المحدثي ن أبي نواس أو حبيب
بل ذو التفضل والمرو ءة والعفاف هو الأديب

وقال:

لو تجلى لي الزمان لللقى مسميه مني عتاب طويل
إنما نكث الملامة للده ر لأن الكرام فيه قليل

سعد بن محمد بن سعد

ابن الصفي التميمي، شهاب الدين أبو الفوارس، المعروف بحيص ببيص، الفقيه الأديب الشاعر، كان من أعلم الناس بأخبار العرب ولغاتهم وأشعارهم، أخذ عنه الحافظ أبو سعد السمعاني وقرأ عليه ديوان شعره وديوان رسائله، وذكره في ذيل مدينة السلام وأثنى عليه، وأخذ الناس عنه علماً وأدباً كثيراً، وكان لا يخاطب أحداً إلا بكلام مغرب، وإنما قيل له حيص ببيص، لأنه رأى الناس يوماً في أمر شديد، فقال: ما للناس في حيص ببيص، فبقي عليه هذا اللقب.

مات ليلة الأربعاء سادس شعبان سنة أربع وسبعين وخمسمائة ببغداد، ومن تقعر الحيص ببيص في كتابته: ما حدث به بعض أصحابه أنه نقه من مرض فوصف له صاحبه هبة الله البغدادي الطبيب أكل الدراج فمضى غلامه واشترى دراجاً واجتاز علي باب أمير وغلmannه بالعيون، فخطف أحدهم الدراج فأتى الغلام الحيص ببيص وأخبره الخبر فقال له: انتني بدواة وقرطاس فأتاه

بهما فكتب إلى ذلك الأمير: لو كان مبرز دراجة فتخاء كاسر وقف بها السغب بين التدويم والتمطر فهي تعقى وتسف وكان بحيث تنقل أخفاف الإبل لوجب الإغذاء إلى نصرته، فكيف وهو ببجوحة كرمك والسلام. ثم قال لعلامه: امض بها وأحسن السفارة بإيصالها للأمير، فمضى بها ودفعها للحاجب فدعا الأمير بكتابه وناولته الرقعة فقرأها ثم فكر ليعبر له عن المعنى فقال له الأمير: ما هو؟ فقال: مضمون الكلام أن غلاماً من غلمان الأمر أخذ دراجاً من غلامه. فقال: اشتر له قفصاً مملوءاً دراجاً واحمله إليه ففعل. وكتب إلى أمين الدولة ابن التلميذ يطلب منه شياف أبار. أركنك أيها الطب اللب الآسى النطاسي النفيس النقريس، أرجنت عندك أم خنور، وسكعت عنك أم هوبر، أني مستأخذ أشعر في حنادري رطباً ليس كلب شوبة ولا كنخر المنصحة ولا كنكز الحضب بل كسفع الزخيخ، فأنا من التباشير إلى الغياشير، لا أعرف ابن سمير من ابن جمير، ولا أحس صفوان من همام، بل أونة أرجن شاصباً وفينة أحنبطي مقلولياً وتارة أعرنزم، وطوراً أسلنقي، كل ذلك مع أخ وأخ، وتهم قرونتي أن أرفع عقيرتي بعاط عطى إلى هياط، ومياط وهالى أول وأهون، وجبار ودبار ومؤنس وعروبة وشيار، ولا أحيص ولا أليص، ولا أغر ندي ولا أسرندي، فبادرني بشياف الأبار، النافع لعلتي النافع لغلتي.

فلما قرأ أمين الدولة رقعة نهض لوقته وأخذ حفنة شياف أبار، وقال لبعض أصحابه: أوصلها إليه عاجلاً ولا تتكلف قراءة ورقة ثانية.

ومن شعره يمدح المقتفي لأمر الله:

ماذا أقول إذا الرواة ترنموا
واستحسن الفصحاء شأن قصيدة
وترنحت أعطافهم فكأنما
ثم انتنوا غب القريض وصنعه
هب يا أمير المؤمنين بأننى
ودخل ابن القطان يوماً على الوزير الزينبي وعنده الحيص بيص فقال: قد عملت بيتين هما نسيج وحده، وأنشد:
زار الخيال بخيلاً مثل مرسله
ما زارني قط إلا كي يوافيني
فقال الوزير للحيص بيص ما: تقول في دعواه؟ هذه فقال: إن أنشدتهما ثانية سمع لهما ثالثاً، فأنشدتهما فقال الحيص بيص:
وما درى أن نومي حيلة نصبت
لطيفه حين أعيأ اليقظة الحيل؟

وحدث نصر الله بن مجلي قال: رأيت في المنام علي ابن أبي طالب - رضي الله عنه - فقلت له يا أمير المؤمنين: تفتحون مكة فتقولون: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ثم يتم على ولدك الحسين يوم الطف ماتم؟ فقال: أما سمعت أبيات ابن الصيفي في هذا؟ فقلت لا، فقال اسمع منه. فلما استيقظت بادرت إلى دار الحيص بيص، فخرج إلى فذكرت له الرؤيا فأجهش بالبكاء وحلف بالله أنه ما سمعها منه أحد وأنه نظمها في ليلته هذه ثم أنشدني:

ملكننا فكان العفو منا سجية
وحلتم قتل الأسارى وطالما
فحسبكم هذا التفاوت بيننا
ومن شعره أيضاً:

ألعين تبدي الذي في قلب صاحبها
إن البغيض له عين تكشفه
فألعين تنطق والأفواه صامتة
من الشنأة أو حب إذا كانا
لا تستطيع لما في القلب كتماناً
حتى ترى من ضمير القلب تبياناً

سعد بن هاشم بن سعيد

وينتهي نسبه إلى عبد القيس، أبو عثمان الخالدي البصري، كان وأخوه أبو بكر أدبي البصرة وشاعريها في وقتها، وكان بينهما وبين السري الرفاء الموصلي ما يكون بين المتعاصرين من التغاير والتضامن، فكان يدعي عليهما سرقة شعره وشعر غيره ويدس شعرهما في ديوان كشاجم ليثبت مدعاه كما بينا ذلك في ترجمة السري. وقال ابن النديم: قال لي الخالدي وقد تعجبت من كثرة حفظه: أنا أحفظ ألف سفر كل سفر مائة ورقة، وكان هو وأخوه مع ذلك إذا استحسن شيئاً غصباه صاحبه حياً

كان أو ميتاً لا عجزاً منهما عن قول الشعر، ولكن كذا كان طبعهما، وكلام ابن النديم هذا فيه موافقة للسري الرفاء أو مجارة له والله أعلم. ثم قال ابن النديم: وقد عمل أبو عثمان شعره وشعر أخيه قبل موته، وله تصانيف: منها حماسة شعر المحدثين وغير ذلك. توفي أبو عثمان سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، ومن شعره:

يا قضيباً يميمس تحت هلال
س منك يا شمسنا تعلمت الشم
وهللاً يرنو يعيني غزال
س دنو السنا وبعد المنال

وقال:

هتف الصبح بالدجى فاسقنيها
لست تدري لرقّة وصفاء
فهوة تترك الحليم سفيها
هي في كأسها أم الكأس فيها؟

وقال:

بغداد قد صار خيرها شراً
أطلب وفتش واحرص فلست ترى
صيرها الله مثل سامرا
في أهلها حرّة ولا حرا

وقال:

فهايتها كالعروس قانية ال
كادت تكون الهواء في أرج ال
رأيت شيئاً من أعجب العجب
ماء ودر يدور في لهب
نار حواها الزجاج يلهبها ال

وقال:

يا راقداً عارياً من ثوب أسقامي
لا خلص الله قلبي من يدي رشياً
هب الرقاد لعين جفنها دامي
رؤيا رجائي له أضغاث أحلام

وقال:

أما ترى الغيم يا من قلبه قاسى
قطر كدمعي وبرق مثل نار جوى
كأنه أنا مقياساً بمقياس
في القلب مني وريح مثل أنفاسي

سعيد بن الحكم

أبو عبد الله بن أبي مريم النسابة: ذكره ابن النديم وقال: له من التصانيف كتاب المآثر. وكتاب النسب. وكتاب نواقل العرب.

سعيد بن أوس بن ثابت

ابن بشير بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج أبو زيد الأنصاري الخزرجي البصري النحوي اللغوي الإمام الأديب، وإنما غلبت عليه اللغة والغريب والنوادر فانفرد بذلك. أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام وعمرو بن عبيد وأبو العيلاء، وأبو حاتم السجستاني وعمر ابن شبة، ورؤية بن العجاج وغيرهم، وروى الحديث عن ابن عون وجماعة، وكان ثقة ثبتاً، قرأ عليه خلف البزار وكان يرمي بالقدر، ولكن دفع ذلك عنه أبو حاتم وقال: هو صدوق، وروى الحسين بن الحسن الرازي عن ابن معين أنه صدوق، وثقه خزيمة وغيره. وليه ابن حيان لأنه وهم في سند حديث (أسفروا بالفجر)، وروى له أبو داود في سننه والترمذي في جامعه.

وكان سفيان الثوري يقول: قال لي ابن مناذر: أصف لك أصحابك؟ أما الأصمعي فأحفظ الناس، وأما أبو عبيدة فأجمعهم، وأما أبو زيد الأنصاري فأوثقهم، وقال صالح بن محمد: أبو زيد النحوي ثقة.

ويروى عن أبي عبيدة والأصمعي أنهما سئلا عن أبي زيد الأنصاري فقالا: ما شئت من عفاف وتقوى وإسلام، وكان سيبويه إذا قال سمعت الثقة يريد به أبا زيد الأنصاري، وقال المبرد: كان أبو زيد عالماً بالنحو ولم يكن مثل الخليل وسيبويه، وكان يونس من باب أبي زيد في العلم واللغات، وكان أعلم من أبي زيد بالنحو، وأبو زيد أعلم من الأصمعي وأبي عبيدة بالنحو.

وقال أبو عثمان المازني: كنا عند أبي زيد فجاء الأصمعي وأكب على رأسه يقبلها وجلس وقال: هذا عالمنا ومعلمنا منذ عشرين سنة. توفي أبو زيد بالبصرة سنة خمس عشرة ومائتين في خلافة المأمون وقد جاوز التسعين. وله من التصانيف: كتاب الإبل والشاء، وكتاب إيمان عثمان، وكتاب بيوتات العرب، وكتاب تجفيف الهزة، وكتاب الجمع والتثنية، وكتاب حيلة ومحالة، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب الجود والبخل، وكتاب الأمثال، وكتاب الحلبة، وكتاب التضارب، وكتاب التثليث، وكتاب الغرائز، وكتاب غريب الأسماء، وكتاب الفرق، وكتاب فعلت وأفعلت، وكتاب قراءة أبي عمر، وكتاب القوس والترس، وكتاب اللامات، وكتاب اللغات، وكتاب اللين، وكتاب المطر، وكتاب المياه، وكتاب المقتضب وكتاب المصادر، وكتاب المكتوم، وكتاب المنطق، وكتاب النبات والشجر، وكتاب النوادر، وكتاب الهمزة، وكتاب الوحوش وغير ذلك.

سعيد بن سعيد

الفارقي أبو القاسم النحوي. أخذ عن الربيعي وابن خالويه، وكان بارعاً في العربية أديباً فاضلاً، له تصانيف منها: كتاب تقسيمات العوامل وعللها، وكتاب تفسير المسائل المشككة في أول المقتضب للمبرد وغير ذلك. مات مقتولاً بالقاهرة عند بستان الخندق يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة. ومن شعره:

من أنسته البلاد لم يرم منها ومن أوحشته لم يقم
ومن يبيت والهموم قاذحة في صدره بالزناد لم ينم

سعيد بن عبد العزيز

ابن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد المؤمن بن طيفور أبو سهل النيلي. كان أديباً شاعراً نحويّاً فقيهاً طبيباً عالماً بصناعة الطب. وله من التصانيف: اختصار كتاب المسائل لحنين، وتلخيص شرح فصول بقراط لجالينوس مع نكت من شرح أبي بكر الرازي وغير ذلك. مات سنة عشرين وأربعمائة ومن شعره:

يا مفدي العذار والجد والقدر بنفسي وما أراها كثيراً
ومعيري من سقم عينيه سقماً دمت مضنيّ به ودمت معيراً
اسقني الراح تشف لوعة قلب بات مذ بنت للهموم سميراً
هي في الكأس خمرة فإذا ما أفرغت في الحشا استحالت سروراً

سعيد بن الفرّج

أبو عثمان الرشاشي مولى بني أمية، كان أديباً فاضلاً عالماً باللغة والشعر، وكان يحفظ أربعة آلاف أرجوزة للعرب، ويضرب المثل بفصاحته، إلا أنه كان كثير التعر في كلامه، رحل إلى المشرق ودخل بغداد ومصر فأقام بها مدة. توفي سنة اثنتين وسبعين ومائتين.

سعيد بن المبارك

ابن علي بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن نصر ابن عاصم بن عباد بن عاصم، وينتهي نسبه إلى كعب ابن عمرو الأنصاري أبو محمد المعروف بابن الدهان النحوي، كان من أعيان النحاة وأفاضل اللغويين، أخذ عن الرمانى اللغة والعربية، وسمع الحديث من أبي غالب أحمد بن البناء، وأبي القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين وغيرهما، وأخذ عنه الخطيب التبريزي وجماعته، ولد سنة أربع وتسعين وأربعمائة، بنهر طابق، وتوفي بالموصل ليلة عيد الفطر سنة تسع وستين وخمسمائة، وله تصانيف منها: تفسير القرآن أربع مجلدات، وشرح الإيضاح لأبي علي الفارسي في أربعين مجلد، وشرح اللمع في العربية لابن جني سماه الغزوة، وكتاب الأضداد وإزالة المراء في الغين والراء، وكتاب الدروس في النحو، وكتاب الدروس في العروض، وكتاب الرياضة، وكتاب الضاد والطاء وسماه الغنية، وكتاب المعقود في المقصور والممدود، وتفسير الفاتحة، وتفسير سورة الإخلاص، والفصول في النحو، والمختصر في القوافي، وشرح بيت من شعر الملك الصالح بن رزيك في عشرين كراسة، والنكت والإشارات على ألسنة الحيوانات، وديوان شعر، وديوان رسائل.

وكان مع سعة علمه سقيم الحظ كبير الغلط، وهذا عجيب منه، وخرج من بغداد إلى دمشق فاجتاز على الموصل وبها وزيرها الجواد المشهور فارتبطه وصدرة وغرقت كتبه في بغداد وهو غائب فحملت إليه فبخرها بالبلادن ليقطع الرائحة الرديئة عنها إلى أن بخرها بنحو ثلاثين رطلاً، فطلع ذلك إلى رأسه وعينه فأحدث له العمى. ومن شعره:

ب مثلنا ستصير
لكنها لا تطير

لا تحسبن أن بالك
فللدجاجة ريش

وقال:

والشيء مملول إذا ما يرخص
إن رمته إلا صديق مخلص

وأخ رخصت عليه حتى ملني
ما في زمانك من يعز وجوده

سعيد بن محمد بن جريح

أبو عقال القيرواني الكاتب الأديب. كاتب القاضي سليمان بن عمران قاضي إفريقية. مات سنة تسع وسبعين ومائتين، ومن شعره أبيات رثي بها القاضي سليمان المذكور قال:

للعلم والعرفان كيف توسعا؟
في باب سلم لا يزال ممنعا
خمسين عاماً واثنين وأربعاً

عجباً لموضع لحدّه في قبره
رجع الخصوم وخلفوا علم الهدى
أنت المنية من تلبب قاضياً

سعيد بن مسعدة

أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط البصري مولى بني مجاشع ابن دارم بطن من تميم. أحد أئمة النحاة من البصريين، أخذ عن سيبويه وهو أعلم من أخذ عنه وكان أخذ عن أخذ عن سيبويه لأنه أسن منه، ثم أخذ عن سيبويه أيضاً وهو الطريق إلى كتاب سيبويه، فإنه لم يقرأ الكتاب على سيبويه أحد ولم يقرأه سيبويه على أحد، وإنما قرئ على الأخفش بعد موت سيبويه. وكان ممن قرأه عليه أبو عمر الجرمي وأبو عثمان المازني، وكان الأخفش يستحسن كتاب سيبويه كل الاستحسان، فتوهم الجرمي والمازني أن الأخفش قد هم أن يدعي الكتاب لنفسه، فتشاوروا في منع الأخفش من ادعائه فقالوا نقروه عليه، فإذا قرأناه عليه أظهرناه وأشعنا أنه لسيبويه فلا يمكنه أن يدعيه، فأرغبا الأخفش، وبذلاً له شيئاً من المال على أن يقرأه عليه فأجاب وشرع في القراءة، وأخذ الكتاب عنه وأظهره للناس. وكان الأخفش يقول: ما وضع سيبويه في كتابه شيئاً إلا وعرضه علي، وكان يرى أنه أعلم به مني وأنا اليوم أعلم به منه. وحكى ثعلب أن الفراء دخل على سعيد بن سالم فقال: قد جاءكم سيد أهل اللغة وسيد أهل العربية، فقال الفراء: أما ما دام الأخفش يعيش فلا. وحكى الأخفش قال: لما ناظر سيبويه الكسائي ورجع وجهه إلى فعرف خبره معه ومضى إلى الأهواز، فوردت بغداد فرأيت مسجد الكسائي فصليت خلفه الغداة، فلما انفتل من صلاته وقعد وبين يديه الفراء والأحمر وابن سعدان، سلمت وسألته عن مائة مسألة فأجاب بجوابات خطأته في جميعها، فأراد أصحابه الوثوب علي فمنعهم ولم يقطعني ما رأيتهم عليه عما كنت فيه، فلما فرغت قال لي: بالله أما أنت أبو الحسن سعيد بن مسعدة؟ قلت نعم، فقام إلي وعانقني وأجلسني إلى جنبه ثم قال: لي أولاد أحب أن يتأدبوا بك، ويتخرجوا عليك، وتكون معي غير مفارق لي فأجبت به إلى ذلك، فلما اتصلت الأيام بالاجتماع سألتني أن أولف له كتاباً في معاني القرآن فألفته، فجعله إمامه وعمل عليه كتاباً في المعاني. وقرأ علي كتاب سيبويه سرّاً ووهب لي سبعين ديناراً. وكان أبو العباس ثعلب يفضل الأخفش ويقول: هو أوسع الناس علماً. وقال المبرد: احفظ من أخذ عن سيبويه الأخفش ثم الناشئ ثم قطرب، كان الأخفش أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل. توفي سنة خمس عشرة ومائتين، وقيل سنة إحدى وعشرين. وله من التصانيف: كتاب الأربعة، كتاب الاشتقاق، كتاب الأصوات، كتاب الأوسط في النحو، كتاب تفسير معاني القرآن، كتاب صفات الغنم والوانها وعلاجها وأسبابها، كتاب العروض، كتاب القوافي، كتاب المسائل الكبير، كتاب المسائل الصغير، كتاب معنى الشعر، كتاب المقاييس، كتاب الملوك، كتاب وقف التمام.

سعيد بن هارن

أبو عثمان الاشنانداني، كان نحوياً لغوياً من أئمة اللغة، أخذ عن أبي محمد التوزي، وأخذ عنه أبو بكر ابن دريد.

قال ابن دريد: سألت أبا حاتم السجستاني عن اشتقاق ثاق اسم فرس، فقال لا أدري: وسألت الرياشي فقال: يا معشر الصبيان إنكم تتعمقون بالعلم وقال: سألت أبا عثمان الأشناداني فقال: هو من ثاق المطر بالسحاب: إذا خرج خروجاً سريعاً نحو الودق.

وحكى ابن دريد أيضاً قال: سألت أبا حاتم السجستاني عن قول الشاعر:

وجفر الفحل فأضحى قد هجف
واصفر ما اخضر من البقل وجف

فقلت ما هجف؟ فقال لا أدري، فسألت الأشناداني فقال: هجف: إذا التحقت خاصرته من التعب وغيره. وله من التصانيف: كتاب معاني الشعر يرويه عنه ابن دريد. وكتاب الأبيات وغير ذلك. مات سنة ثمان وثمانين ومائتين. والأشناداني نسبة إلى أشنان محلة ببغداد وزادوا الدال فيها كما زادوا الهاء في الأشنهي نسبة إلى أشنا.

سلامة بن عبد الباقي بن سلامة

أبو الخير الأنباري المقرئ النحوي الضرير، كان عالماً بالقراءات والعربية وفنون الأدب. قرأ علي ابن طائوس المقرئ، وحدث عنه بجزء هلال الحفار عن طراد الزبيني عن هلال. ثم رحل إلى مصر وسكن بها وتصدر بجامع عمرو بن العاص يقرأ القرآن والنحو، وله مصنفات منها: شرح علي مقامات الحريري. ولد سنة ثلاث وخمسمائة، ومات بمصر في ذي الحجة سنة تسعين وخمسمائة.

سلامة بن غياض بن أحمد

أبو الخير الكفرتابي النحوي، ذكره صاحبنا ابن النجار في تاريخه فقال: قدم بغداد سنة ست وعشرين وخمسمائة، وكتب عنه أبو محمد بن الخشاب، وقرأ الأدب بمصر على أبي القاسم علي بن جعفر بن القطاع السعدي. وله مصنفات في النحو منها: التذكرة عشر مجلدات، وكتاب ما تلحن فيه العامة في زمانه، ورسالة في الحض على تعليم العربية، مات سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، ومن شعره:

إقنع لنفسك فالقنعة ملبس
فلرب مغرور غدا تغريقه
لا يطمع الأشرار في تخريقه
في حرصه سبباً إلى تغريقه

سلمان بن عبد الله بن محمد

أبو عبد الله بن أبي طالب الحلواني النهرواني، قال صاحبنا ابن النجار: قدم بغداد وقرأ بها النحو على الثماني واللسان على ابن الدهان وغيره، وبرع في النحو وكان إماماً فيه وفي اللغة، وسمع الحديث من القاضي أبي الطيب الطبري وغيره، وجال في العراق ونشر بها النحو واستوطن أصبهان، وروى عنه السلفي وصنف تفسير القرآن، وكتاباً في القراءات، والقانون في اللغة عشر مجلدات لم يصنف مثله، وشرح الإيضاح لأبي علي الفارسي، وشرح ديوان المتنبي، والأمال وغير ذلك. مات في ثاني عشر من صفر سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة. وقيل سنة أربع وتسعين وأربعمائة. ومن شعره:

إن خاتك الدهر فكن عانداً
ولا تكن عبد المني إنها
بالبيض والإدلاج والعيس
رؤوس أموال المفاليس

وقال:

تقول بنيتي أبتني تقنع
ورض باليأس نفسك فهو أحرى
ولا تطمح إلى الأطماع تعتد
وأزين في الورى عليك أعود
فلو كنت الخليل وسييويه
لما ساويت في حي رغيماً
أفراء أو كنت المبرد
ولا تبتاع بالماء المبرد

سلم بن عمرو بن حماد

مولى بني تيم بن مرة، شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية، كان منقطعاً إلى البرامكة وكان يلقب بالخاسر، لأن أباه خلف له مالا فأنفقته على الأدب فقال: له بعض أهله: إنك الخاسر الصفقة فلقب بذلك. ثم مدح الرشيد فأمر له بمائة ألف درهم وقال له: كذب بهذا المال من لقبك بالخاسر، فجاءهم بها وقال: هذا ما أنفقته على الأدب ثم ربحته الأدب، فأنا سلم الراجح لا سلم الخاسر. وقيل في تلقيه بهذا غير ما ذكر. وكان سلم تلميذاً لبشار بن بردٍ وصديقاً لأبي العتاهية، فلما قال بشار قصيدته التي يقول فيها:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته
قال سلم أبيتاً أدخل فيها معنى هذا البيت:

من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور

فبلغ بيته بشاراً فغضب وقال: سار والله بيت سلم وخمل بيتنا، وكان الأمر كذلك. لهج الناس ببيت سلم ولم ينشد بيت بشار أحد فكان لذلك سبباً للنفور بينهما، فكان سلم بعد ذلك يقدم أبا العتاهية ويقول: هو أشعر الجن والإنس إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلماً:

تعالى الله يا سلم بن عمرو
هب الدنيا تصير إليك عفواً
أذل الحرص أعناق الرجال
أليس مصير ذلك للزوال؟

فلما بلغ ذلك سلماً غضب على أبي العتاهية وقال: ويلي على الجرار ابن الفاعلة الزنديق، زعم أنني حريص وقد كنز البدر وهو لا يزال يطلب وأنا في ثوبي هذين لا أملك غيرهما ثم كتب إليه:

ما أقبح التزهيد من واعظٍ
لو كان في تزيده صادقاً
ورفض الدنيا ولم يلقها
فخاف أن تنفد أرزاقه
الرزق مقسوم على من ترى
كل يوفي رزقه كاملاً
يزهد الناس ولا يزهد
أضحى وأمسى بيته المسجد
ولم يكن يسعى ويسترفد
والرزق عند الله لا ينفد
يناله الأبيض والأسود
من كف عن جهده ومن يجهد

وذكر من اقتدار سلم الخاسر على الشعر أنه اخترع شعراً على حرفٍ واحدٍ ولم يسبق إلى مثل ذلك، لأن أقل شعر العرب على حرفين نحو قول دريد بن الصمة:

يا ليتني فيها جذع
أخب فيها وأقع

فقال سلم الخاسر لأمير المؤمنين موسى الهادي شعراً على ضربٍ واحدٍ منه:

موسى المطر غيث بكر
ثم غفر لما قدر
ثم انهمر لما اغتفر
ثم اقتصر عدل السير
بأقي الأثر خير البشر
لمن نظر هو الوزر
قرع مضر بدر بدر
لمن حضر والمفتخر

ولما بويع الهادي بالخلافة وهو بجرحان دخل عليه سلم الخاسر وأنشده:

لما أنت خير بني هاشم
شمر للحزم سراويله
خلافة الله بجرحان
برأي لا غمر ولا وان
لم يدخل الشورى على رأيه
والحزم لا يمضيه رأيان

وقال لهارون الرشيد حين ولي الخلافة:

ياهارون قر الملك في مستقره
وليس لأيام المكارم غاية
وأشرقت الدنيا وأينع نورها
تتم بها إلا وأنت أميرها

وقال في يحيى بن خالد بن برمك:

وقتي خلا من ماله
وإذا وأى لك موعداً
ومن المروءة غير خال
كان الفعال مع المقال
لله درك من فتى
كافيك من كرم الخلال
أعطاك قبل سؤاله
فكفاك مكروه السؤال

سلمة بن عاصم

أبو محمد النحوي، أخذ عن أبي زكريا يحيى الفراء وروى عنه كتبه، وأخذ عن خلف الأحمر وسمع منه كتاب العدد، وأخذ عن سلمة أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب وكان يقول: كان سلمة حافظاً لتأدية ما في الكتب والطوال حاذقاً بالعربية، وابن قادم حسن النظر في العلل. ولسلمة من التصانيف: كتاب معاني القرآن، وكتاب المسلك في العربية، وكتاب غريب الحديث وغير ذلك.

سليمان بن أيوب بن محمد

أبو أيوب المديني. من أهل المدينة المنورة، كان أديباً أخبارياً فاضلاً ذكره ابن النديم وقال: له من المصنفات. أخبار عزة الميلاء، طبقات المغنين، كتاب النغم والإيقاع، كتاب المنادمين، كتاب الاتفاق، كتاب قيان الحجاز، كتاب قيان مكة، أخبار ظرفاء المدينة، أخبار بن عائشة، أخبار حنين الحيري.

سليمان بن بنين

ابن خلف بن عوض، تقي الدين الدقيقي المصري النحوي الأديب الفرضي العروضي العلامة، اجتمعت به في عدة مجالس بحضرة القاضي الأكرم وأجازني برواية مصنفاته، وهي: الأحكام الشوافي في أحكام القوافي، أخلاق الكرام وأخلاق اللئام، أعذب العمل في شرح أبيات الجمل، الأفلاك السوائر في انفكك الدوائر، الأقوال العربية في الأمثال النبوية، آلات الجهاد وأدوات الصانفات الجياد، تحبير الأفكار في تحرير الأشعار، الإعجاز والإيجاز في المعاني والألغاز، البسط في أحكام الخط، بذل الاستطاعة في الكرم والشجاعة، أنوار الأزهار في معاني الأشعار، استتجاز المحامد في إنجاز المواعد، اتفاق المباني وافتراق المعاني، التنبيه على الفرق والتشبيه، الحل الكافي في خلل القوافي، الدرة الأدبية في نصرة العربية، الديم الوابلية في الشيم العادلية، الدرر الفردية في الغرر الطردية، دلائل الأفكار في فضائل الأشعار، الروض الأريض في أوزان القريض، سلوان الجلد عند فقدان الولد، الشامل في فضائل الكامل، فراند الآداب وقواعد الإعراب، فضائل البذل مع العشر وذرائل البخل مع اليسر، عنوان السلوان، كمال المزية في احتمال الرزية، الكواكب الدرية في المناقب الصدرية، لباب الألباب في شرح الكتاب "كتاب سيبويه"، منتهى الأدب في منتهى كلام العرب، محض النصائح وفحص القرائح، معادن التبر في محاسن الشعر، مكارم الأخلاق وطيب الأعراق، الوافي في علم القوافي، الوضاح في شرح أبيات الإيضاح.

توفي تقي الدين الدقيقي بالقاهرة سنة ثلاث عشرة وستمائة:

سليمان بن خلف

ابن سعد بن أيوب بن وارث القاضي، أبو الوليد الباجي الفقيه المتكلم المحدث المفسر الأدب الشاعر، أصل آبائه من بطليوس انتقلوا إلى باجة الأندلس. وثم باجة أخرى بإفريقية وأرى بأصبهان، ولد أبو الوليد سنة ثلاث وأربعمائة، وأخذ بالأندلس عن أبي الأصبغ ومحمد بن إسماعيل وأبي محمد مكي بن حموش وأبي شاعر وغيرهم. ورحل سنة ست وعشرين وأربعمائة إلى المشرق فأقام في الحجاز مجاوراً ثلاثة أعوام ملازماً للحافظ أبي ذر المحدث يخدمه ويسمع منه، وحج أربع حجج، وسمع هناك من ابن سحنويه وابن محرر والمطوعي، ورحل إلى بغداد فأخذ فيها عن أبي الطب الطبري وأبي إسحاق الشيرازي والدامغاني وابن عمرو، وأخذ عن الخطيب البغدادي، وأخذ الخطيب عنه، ورحل إلى الشام فأخذ فيها عن السمسار ودخل الموصل فأخذ بها علم الكلام عن السمناني ثم رجع إلى الأندلس فخاز الرياسة فيها وسمع منه خلق كثير منهم الحافظان الصديقي والجباني والمعارفي والسبتي والمرسي وغيرهم، وولى القضاء بمواضع من الأندلس، وله مصنفات منها: الاستيفاء شرح الموطأ، والمنققي مختصر الاستيفاء، والإيماء مختصر المنققي، والسراج في ترتيب الحجاج، والتعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الصحيح، وإحكام الفصول في أحكام الأصول، والتسديد إلى معرفة التوحيد، والمعاني في شرح الموطأ عشرون مجلداً، وكتاب اختلاف الموطأ، وتفسير القرآن، والمقتبس في علم مالك بن أنس، والمهذب في اختصار المدونة، وكتاب مسائل الخلاف، والحدود في الأصول، والإشارة في الأصول، وكتاب فرق الفقهاء، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب السنن في الدقائق والزهد، وكتاب النصيحة لولده وغير ذلك. مات بالمرية سنة أربع وتسعين وأربعمائة. ومن شعره:

ما طال عهدي بالديار وإنما
لو كنت أنبأت الديار صبابتي
أنسى معاهدها أسى وتبلد
رق الصفا بفنائها والجلد
وله في المعتضد بالله عباد:

عباد استعبد البرايا
مديحه ضمن كل قلب

وقال:

بأنعم فاقت النعائم
حتى تغنت به الحمائم

إذا كنت أعلم علم اليقين
فلم لا أكن ضنيناً بها

وقال:

بأن جميع حياتي كساعة
فأجعلها في صلاح وطاعة؟

ليس عندي شخص النوى لا بعظيم
إن فيه اعتناقة لوداع

وقال رثى ولديه وقد ماتا مقبرين:

فيه غم وفيه كشف غموم
وانتظار اعتناقه لقدم

رعى الله قبرين استكانا ببلدة
لئن غيبا عن ناظري وتبوءا
يقر بعيني أن أزور ثراهما
وأبكى وأبكى ساكنيها لعلي
ولا استعذبت عيناى بعدهما كرى
أحن ويثني اليأس نفسي عن الأسى

هما أسكناها في السواد من القلب
فؤادي لقد زاد التباعد في القرب
وألصق مكنون الترائب بالترب
سأنجد من صحبٍ وأسعد من سحب
ولا ظمئت نفسي إلى البارد العذب
كما اضطر محمول على المركب الصعب

سليمان بن عبد الله

أبو عبيد الله بن الفتى، النحوي اللغوي الأديب، نشأ بالري، وحصل ونبع في المدرسة النظامية ببغداد حين دخلها سنة ثلاث وأربعمائة، فأخذ بها العلوم الأدبية والعربية عن الثماني وغيره، ثم رحل إلى أصبهان فاستوطن بها إلى أن مات سنة خمس وسبعين وأربعمائة: ومن شعره:

تذلل لمن إن تذلل له
وجانب صداقة من لم يزل

وقال:

رأى ذاك للفضل لا للبله
على الأصدقاء يرى الفضل له

لم أقل للشباب في دعة الل
زائر زارنا أقام قليلاً

ه ولا حفظه غداة استقلا
سود الصحف بالذنوب وولى

سليمان بن محمد بن أحمد

أبو موسى المعروف بالحامض البغدادي أحد أئمة النحاة الكوفيين، أخذ عن أبي العباس ثعلب وخلفه في مقامه وتصدر بعده، وروى عنه أبو عمر الزاهد المعروف بـ غلام ثعلب، وأبو جعفر الأصبهاني برزويه، وقرأ عليه أبو علي النقار كتاب الإدغام للفراء، فقال له أبو علي: أراك يا أبا موسى تلخص البيان تلخيصاً لا أجده في الكتب، فقال: هذا ثمرة صحبة أبي العباس ثعلب أربعين سنة. وقال أبو الحسن بن هارون: أبو موسى أوجد الناس في البيان والمعرفة بالعربية واللغة والشعر وكان جامعاً بين المذهبين: الكوفي والبصري، وكان يتعصب للكوفيين، وكان شرس الأخلاق ولذا قيل له الحامض، مات في خلافة المقتدر لسبع وقيل لست بقتين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثمائة، وله من التصانيف: كتاب خلق الإنسان، كتاب السبق والنضال، كتاب المختصر في النحو، كتاب النبات، كتاب الوحوش وغير ذلك.

سليمان بن مسلم بن الوليد

الشاعر الضريع، وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني الشاعر المشهور، كان كأبيه شاعراً مجيداً وكان ملازماً لبشار بن برد يأخذ عنه، ولذا كان متهماً دينه: مات سنة تسع وسبعين ومائة، ومن شعره:

إن في ذا الجسم معتبراً
لمريد العلم ملتتمسه

عرقه والصوت من نفسه
عدمته كف مغترسه
أقرب الأشياء من عرسه

هيك للروح ينطقه
رب مغروس يعاش به
وكذاك الدهر مأتته

وقال:

والعجز مطرح والفحش مسبوب
بأرخص السوم جذلات مناجيب
كالعاج صفرها الأكتان والطيب

جلدي عميرة فيه العار والحب
وبالعراق نساء كالمها خطف
وما عميرة من ثدياء حالية؟

وله:

هم كما قيل في بعض الأقاويل
غسل القدور ولا غسل المناديل

تبارك الله ما أسخى بنو مطر
بيض المطايخ لا تشكو ولا ندهم
وله شعر غير هذا اكتفينا بهذا المقدار منه.

سليمان بن معبد

أبو داود السنجي المروى المحدث الحافظ النحوي، دخل بغداد فأخذ عن الأصمعي والنضر بن شميل وغيرهما، ورحل إلى مصر والحجاز واليمن. وخرج له مسلم بن الحجاج في صحيحه، وكان ثقة ثباتاً، له معرفة تامة بالعربية واللغة مات في ذي الحجة سنة سبع وخمسين ومائتين: وقيل ثمان وخمسين ومائتين.

سليمان بن موسى

برهان الدين أبو الفضل بن شرف الدين المعروف بالشريف الكحال، المصري، كان أديباً فاضلاً بارعاً في العربية وفنون الأدب، عارفاً بصناعة الكحل، خدم بها الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب، وتقدم عنده وحظي لديه ونال عنده منزلة عالية وقبولاً تاماً. وكان بينه وبين القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني وبين شرف الدين محمد بن نصر المعروف بابن عنين الشاعر المشهور صحبة ومودة ومزاح ومداعبة، فأهدى الشريف الكحال إلى ابن عنين خروفاً وكان مهزولاً، فكتب إليه ابن عنين يداعبه:

فغير عجيب أن يكون لك الفضل
لكثرتها لا كفر نعمي ولا جهل
تروك ما وافى لها قبلها مثل
حليف هوئ قد شفه الهجر والعذل
خيالاً سرى في ظلمة ما له ظل
وقاسمته ما شفه؟ قال لي الأكل
مسلمة ما حص أوراقها الفتل
وينشدها والدمع في العين منهل
وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

أبو الفضل وابن الفضل أنت وأهله
أتنتي أيديك التي لا أعدها
ولكنني أنبيك عنها بطرفة
أتاني خروف ما شككت بأنه
إذا قام في شمس الظهيرة خلته
فناشدته ما تشتهى؟ قال فتة
فأحضرتها خضراء مجاجة الثرى
فظل يراعيها بعين ضعيفة
أنت وحياض الموت بيني وبينها
وكتب إليه القاضي الفاضل يداعبه وكان قد كحله:
رجل توكل بي وكحلني
وخشيت تنقل نقط كحلته
ومن شعر الشريف الكحال:

فدهيت في عيني وفي عيني
عيني من عين إلى عين
على حبه يا ليت عيني لها رقداً
سيوف وشرط السيف أن يحمل الصدا

ومز رمدت أجفانه لا منى العدا
فقلت لهم كفوا فإن لحاظه

وقال:

وقد رماني بسقم في الهوى وكمد
نيران وجنته أومي لها وسجد

كأن لحظ حبيبي في تناعسه
من المجوس تراه كلما قدحت
توفي الشريف الكحال سنة تسعين وخمسمائة.

سنان بن ثابت بن قره

أبو سعيد، كان أديباً فاضلاً مؤرخاً عارفاً بعلم الهيئة ماهراً بصناعة الطب، كان في خدمة المقتدر ثم القاهرة والراضي. قال ابن النديم: إن القاهر بالله أراد سنان ابن ثابت بن قره على الإسلام فهرب ثم أسلم وخاف القاهرة فمضى إلى خراسان ثم عاد، وتوفي ببغداد مسلماً صبيحة يوم الجمعة مستهل ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وله من التصانيف: التاجي في أخبار آل بويه ومفاخر الديلم وأنسابهم ألفه لعضد الدولة بن بويه، رسالة في أخبار آبائه وأجداده وسلفه، إصلاح كتاب إقليدس في الأصول الهندسية. وكتاب تاريخ ملوك الريان، الرسائل السلطانيات والإخوانيات، رسالة في شرح مذهب الصابئة، رسالة في الأشكال ذوات الخطوط المستقيمة التي تقع في الدائرة صنفها لعضد الدولة، إصلاح كتب أبي سهل القوهي، رسالة في الفرق بين المترسل والشاعر، رسالة في الاستواء، رسالة في النجوم رسالة في سهيل، رسالة في قسمة أيام الجمعة على الكواكب السبعة ألفها لأبي إسحاق الصابي وغير ذلك.

سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم

أبو حاتم السجستاني البصري، كان إماماً في غريب القرآن واللغة والشعر، أخذ عن أبي زيد الأنصاري الأصمعي وأبي عبيدة وعمر بن كركرة وروح بن عباد، وقرأ كتاب سيبويه مرتين على الأخفش أبي الحسن سعيد بن مسعدة، وأخذ عنه المبرد وابن دريد وغيرهما. وتوفي على ما حققه ابن دريد سنة خمس وخمسين ومائتين. وله من المصنفات: إعراب القرآن، وكتاب الإدغام، وكتاب القراءات، وكتاب ما تلحن فيه العامة، وكتاب الفصاحة، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب الطير، وكتاب الوحوش، وكتاب الهجاء، وكتاب النخلة، وكتاب المقصور والممدود وغير ذلك.

سهل بن هارون بن راهبون

أبو محمد الفارسي الأصل الدستميساني، دخل البصرة واتصل بالمأمون فولاه خزانة الحكمة. وكان أديباً كاتباً شاعراً حكيماً شعوبياً، يتعصب للعجم على العرب شديداً في ذلك، وكان مشهوراً بالبخل، وله في ذلك أخبار كثيرة، وله رسالة في مدح البخل أرسلها إلى بني عمه من آل راهبون، وأرسل نسخة منها إلى الوزير الحسن بن سهل فوقع عليها الوزير: لقد مدحت ما لام الله وحسنت ما قبح، وما يقوم صلاح لفظك بفساد معنك، وقد جعلنا ثواب عملك سماع قولك، فما نعطيك شيئاً. وقد أورد هذه الرسالة الجاحظ في كتاب البخل، وقد تجنبنا الإطالة بذكرها. توفي سهل بن هارون سنة خمس عشرة ومائتين، وله من التصانيف: كتاب ثعلة وغفراء، كتاب الهبلية والمخزومي، كتاب النمر والثعلب، كتاب الوامق والعدار، كتاب ندود وودود ولدود، كتاب الضربين، كتاب أسباسيوس في اتحاد الإخوان، كتاب الغزالين، كتاب أدب أسل بن أسل وغير ذلك.

سهم بن إبراهيم الوراق

من شعراء القرن الثاني ومن أدباء القيروان، قال في حصار أبي يزيد مخلص الخارجي لسوسة:
منا طعان السمر والإقدام
في النقع دون المحصنات الهام
إن الخوارج صدها عن سوسة
وجلاذ أسياف تطاير دونها

باب الشين

شبيب بن شبة

الأخباري الأديب الشاعر صاحب خالد بن صفوان الذي تقدمت ترجمته في حرف الخاء، ولهما أخبار ومواقف مشهورة عند الخلفاء والأمراء، وكان بين شبيب وأبي نخيلة الراجز الشاعر صلبة ومودة. حدث الأصمعي قال: رأى أبو نخيلة على شبيب حلة فأعجبته فسأله إياها فوعده فقال فيه:

ألخائن ابن الخائن الكذوبا

يا قوم لا تسودوا شبيباً

هل تلد الذئبة إلا ذيباً؟

فلما بلغ ذلك شبيباً بعث إليه بالحلة وكتب إليه:

على فتاها وعلى خطيبها

إذا غدت سعد على شبيبها

عجبت من كثرتها وطيبها

من مطلع الشمس إلى مغيبها

مات شبيب بعد المائتين.

شبيب بن يزيد

ابن جمرة بن عوف بن أبي حارثة المعروف بابن البرصاء المرى، والبرصاء أمه واسمها قرصافة بنت الحارث وهو ابن خالة عقيل بن علفة الآتية ترجمته في حرف العين، وهو شاعر مجيد من شعراء الدولة الأموية، وكان بينه وبين ابن خالته عقيل منافرة ومهاجاة، وكان من سادات قومه وأشرفهم، وله أخبار وأشعار كثيرة ذكرها أبو الفرج في كتابه منها:

إذا أحزن القاذورة المتعيس

وإني لسهل الوجه يعرف مجلسي

وقد حال دون النار ظلماء حندس

يضيء سناجودي لمن يبتغي القرى

بأعناق أعدائي حبال فتمرس

ألين لذي القربي مراراً وتلتوي

شداد بن إبراهيم بن حسن

أبو النحيب الملقب بالطاهر الجزري، شاعر من شعراء عضد الدولة بن بويه، ومدح الوزير المهدي. كان دقيق الشعر لطيف الأسلوب، مات سنة إحدى وأربعمئة ومن شعره:

ولم يأت من أمره أحسنه

إذا المرء لم يرض ما أمكنه

سيضحك يوماً ويبكي سنة

فدعه فقد ساء تدبيره

ومنه:

لقد جنتم بأمر مستحيل

أيا جيل التصوف شر جيل

كلوا مثل البهائم وارقصوا لي

أفي القرآن قال لكم إلهي

وقال:

قال لي بائع الفراني فراني

قلت للقلب ما دهاك أين لي

أودعاني أمت بما أودعاني

ناظره فيما جنت ناظره

وقال:

ورزق الله في الدنيا فسيح

بلاد الله واسعة فضاها

إذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

فقل للقاعدين على هوان

وقال:

مذ غبتم حسناً إلى أن تقدموا

أفسدتم نظري علي فما أرى

عين الرضا والسخط أحسن منك

فدعوا غرامي ليس يمكن أن ترى

شفهفيروز بن شعيب بن عبد السيد

أبو الهيجاء الأصبهاني، كان أديباً فاضلاً شاعراً مجيداً في النظم والنثر، له مقامات أنشأها سنة تسعين وأربعمئة، وأخذ عن أبي جعفر محمد بن أحمد بن مسلمة وغيره، مات سنة ثلاثين وخمسائة. ومن شعره:

طلباً وسعياً في الهواجر والغلس
حتى يحاول بالعناء ويلتمس
فالليث ليس يسبق إلا ما افترس

لا أستأذ العيش لم أدأب له
وأرى حراماً أن يواتيني الغنى
فاحبس نوالك عن أخيك موفراً

وقال:

مشعشة بلون كالنجيع
ونور الكأس في نور الشموع
بديع في بديع في بديع

وسارق بت أشرب من يديه
فحمرتها وحمرة وجنتيه
ضياء حارت الأبصار فيه

شمر بن حدويه

أبو عمر الهروي، كان عالماً فاضلاً ثقة نحويّاً لغويّاً راويةً للأخبار والأشعار، رحل في شببته إلى العراق وأخذ عن ابن الأعرابي والأصمعيّ وسلمة بن عاصم والفراء وأبي حات السجستاني وأبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والرياشي وغيرهم، ثم رجع إلى خراسان وأخذ عن أصحاب النضر بن شميل والليث، وصنف كتاباً كبيراً رتبته على العجم ابتداءً فيه بحرف الجيم لم يسبق إلى مثله، أودعه تفسير القرآن وغريب الحديث، وكان ضنيناً به فلم ينسخه أحد وخزنه بعد وفاته بعض أقاربه فلم ينتفع به. وقيل: اتصل أبو عمرو ببيعوب ابن الليث الأمير فخرج معه إلى نواحي فارس وحمل معه كتاب الجيم فطغى الماء من النهر وان على معسكر يعقوب فما غرق من المتاع، ولأبي عمرو من التصانيف غير كتاب الجيم: كتاب غريب الحديث كبير جداً، وكتاب السلاح وكتاب الجبال والأودية وغير ذلك. مات سنة خمس وخمسين ومائتين:

شبيان بن عبد الرحمن

أبو معاوية التميمي مولى بني تميم، كان من أكابر القراء والمحدثين والنحاة، كان مقيماً بالكوفة فانتقل عنها إلى بغداد، وأخذ عن الحسن البصري وحدث عنه وعن ابن أبي كثير وحدث عن شبيان الحافظ الثقة عبد الرحمن بن مهدي وغيره. سئل ابن عيين عن شبيان فوثقه وقال ثقة في كل شيء، وسئل عنه أحمد بن حنبل وعن الدستوائي وحرب بن شداد فقال: شبيان أرفع عندي شبيان صاحب كتاب صحيح، وقال ابن عمار: أبو معاوية شبيان النحوي ثقة ثبت. توفي شبيان ببغداد سنة أربع وستين ومائة، وقيل سنة سبعين ومائة، ودفن في مقابر قريش بباب التنين قاله ابن سعد كاتب الواقدي في طبقاته.

شيث بن إبراهيم بن محمد

ابن حيدرة ضياء الدين المعروف بابن الحاج القناوي القفطي النحوي اللغوي العروضي أبو الحسن، أحد أكابر الأدباء المعاصرين، برع في العربية واللغة وفنون الأدب وتقدم فيها وسمع من الحافظ أبي طاهر السلفي وغيره، وحدث ودرس وكان ذا هبة ووقار، وله مقامات معروفة ومواقف بين يدي السلاطين والأمراء، وكانوا يحترمونه ويوقرونه، ومن تصانيفه: كتاب الإشارة في تسهيل العبارة، والمعتصر من المختصر، وتهذيب ذهن الواعي في إصلاح الرعية والراعي صنفه للملك الناصر صلاح الدين يوسف، وحز الغلاصم وإفحام المخاصيم، وتعاليق في الفقه على مذهب الإمام مالك، واللؤلؤ المكنونة والبيتية المصونة وهي قصيدة في الأسماء المذكورة، أبياتها سبعون بيتاً منها:

يخبرني بما يعلم
من الإعراب ما الدهثم
د والتهنيد والأهثم
م والأسمال والعيهم
د والأقرا د والأكدم
س والفداس والأعلم
ص والقراص والأثرم
يد والتدمين والأرقم
ث والأعلا والقضم

وصغت الشعر من يفهم
يخبرني بالفاظ
وما الإقليد والتقلي
وما النهاد والأهدا
وما الألعاد والإخرا
وما الدقراس والمردا
وما الأواخص والأدرا
وما اليعضيد واليعق
وما الأنكار والأنكا

وما الأوغال والأوغا
ومضى على هذا النمط إلى أن قال:

د والأوغاب والأقضم

ألا فاسمع لألفاظ

جرت علماً لمن يعلم

فقد أنبأت في شعري

بالفاظي لمن يفهم

وعارضت السجس

تاني في قولي ولم أعلم

فضعفت قوافيه

على المثل الذي نظم

فهذا الشعر لا يدر

يه إلا عالم همهم

توفي أبو الحسن بن الحاج سنة ثمان وتسعين وخمسائة وقيل سنة تسع وتسعين وخمسائة، ومن شعره:

إجهد لنفسك إن الحرص متعبة

للقلب والجسم والإيمان يمنعه

فإن رزقك مقسوم سترزقه

وكل خلق تراه ليس يدفعه

فإن شككت بأن الله يقسمه

فإن ذلك باب الكفر تقرعه

باب الصاد

صاعد بن الحسن بن عيسى

الرابع، الموصلي الأصل البغدادي اللغوي الأديب أبو العلاء، أخذ عن السيرافي وأبي علي الفارسي والخطابي وغيرهم، وكان عارفاً باللغة وفنون الأدب والأخبار، سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة ممتع المجالسة، دخل الأندلس واتصل بالمنصور بن أبي عامر فأكرمه وأفرط في الإحسان إليه والإقبال عليه، ثم استوزره وألف للمنصور كتباً منها: كتاب سماه الفصوص على نحو كتاب النوادر لأبي علي القالي. واتفق لهذا الكتاب حادثة غريبة وهي: أن أبا العلاء لما أتمه دفعه لغلام له يحمله بين يديه وعبر نهر قرطبة فزلت قدم الغلام فسقط في النهر هو والكتاب، فقال في ذلك ابن العريف وكان بينه وبين أبي العلاء شحناء ومناظراتك:

قد غاص في البحر كتاب الفصوص

وهكذا كل ثقل يغوص

فضحك المنصور والحاضرون فلم يرع ذلك صاعداً وقال على البديهة مجيباً لابن العريف:

عاد إلى معدنه إنما

توجد في قعر البحار الفصوص

وصنف له أيضاً كتاب الجواس بن قعطل المذحجي مع ابنة عمه عفراء، وهو كتاب لطيف ممتع جداً، انخرم في الفتن التي كانت بالأندلس فسقطت منه أوراق لم توجد بعد، وكان المنصور كثير الشغف بهذا الكتاب حتى رتب له من يقرؤه بحضرته كل ليلة، وصنف له أيضاً كتاب الهججف بن غيدفان بن يثربي مع الخنوت بنت محرمة بن أنيف وهو على طراز كتاب أبي السري سهل ابن أبي غالب الخزرجي، ولم يحضر صاعد بعد موت المنصور مجلس أحد ممن ولي الأمر بعده، وإلى ذلك يشير في قصيدته التي قالها للمظفر بن المنصور الذي ولي بعد أبيه وأولها:

إليك حدث ناجية الركاب

محملة أمانني كالهضاب

وبعث ملوك أهل الشرق طرا

بواحدها وسيدها اللباب

ومنها يشير إلى مرض لحق بساقه فمنعه من حضور جالس، وهو وجع ادعاه فقال:

إلى الله الشكية من شكاة

رمت ساقني فجلبها مصابي

وأقصنتني عن الملك المرجى

وكننت أرم حالي باقترابي

ومنها:

حسبت المنعمين على البرايا

فألفيت اسمه صدر الحساب

وما قدمته إلا كأي

أقدم تالياً أم الكتاب

وأنشد هذه القصيدة بين يدي المظفر في عيد الفطر سنة ست وتسعين وثلاثمائة، ولصاعد مع المنصور أخبار ولطائف يطول ذكرها، توفي بصقلية سنة سبع عشرة وأربعمائة.

الجزء الثاني عشر

صالح بن إسحاق

أبو عمر الجرمي، فهو مولى لجرم بن زبان، وجرم من قبائل اليمن وقيل هو مولى لبجيلة بن أنمار، كان عالماً بالعربية واللغة، فقيهاً ورعاً وهو بصري قدم بغداد فأخذ عن يونس بن حبيب العربية، وعن أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، وقرأ عليه كتاب سيويه وأخذ اللغة عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي ومن في طبقتهم، وكان رقيقاً لأبي عثمان المازني، وأخذ منه المبرد والمازني وغيرهما، وناظر الفراء، وانتهى إليه علم العربية في وقته، وصنف كتباً كثيرة منها: مختصره في النحو، كان كما صنف منه باباً صلى ركعتين بالمقام ودعا بأن ينتفع به. وله كتاب التنبيه، وكتاب السير، وكتاب الأبنية، وكتاب العروض وغير ذلك: توفي سنة خمس وعشرين ومائتين في خلافة المعتصم.

صالح بن عبد القدوس

ابن عبد الله، كان حكيماً أديباً فاضلاً شاعراً مجيداً كان يجلس للوعظ في مسجد البصرة ويقص عليهم، وله أخبار يطول ذكرها، اتهم بالزندقة فقتله المهدي بيده، ضربه بالسيف فشطره شطرين، وعلق بضعة أيام للناس ثم دفن، وأشهر شعره قصيدته البائية التي مطلعها:

صرمت حبالك بعد وصلك زينب	والدهر فيه تصرم وتقلب
وكذاك ذكر الغانيات فإنه	آل ببلقة وبرق خلب
فدع الصبا فلقد عداك زمانه	واجهد فعمرك مر منه الأطيب
ومنها:	
واحذر معاشره الدنى فإنها	تعدي كما يعدي الصحيح الأجرب
يلفك يحلف إنه بك واثق	وإذا توارى عنك فهو العقرب
ومن شعره أيضاً:	
ليس من مات فاستراح بميت	إنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من يعيش كنيباً	كاسفاً باله قليل الرجاء
وقال:	
إذا قلت قدر أن قولك عرضة	لبادرة أو حجة لمخاصم
وإن امرء لم يخش قبل كلامه ال	جواب فينهى نفسه غير حازم
وقال:	
لا أخون الخليل في السر حتى	ينقل البحر في الغرابيل نقلا
أو تمور الجبال مور سحاب	مقلاتٍ وعت من الماء حملا

صفوان بن إدريس

ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى النجيب أبو بحر، كان أديباً كاتباً شاعراً سريع الخاطر، أخذ عن أبيه والقاضي ابن إدريس وابن غليون وأبي الوليد، وهو أحد أفاضل الأدباء المعاصرين بالأندلس. وله سنة ستين وخمسائة، وتوفي بمرسية سنة ثمان وتسعين وخمسائة ولم يبلغ الأربعين وله تصانيف منها: كتاب زاد المسافر وراحلته، وكتاب العجالة مجلدان يتضمنان طرفاً من نثره ونظمه، وديوان شعر، ومن شعره:

قد كان لي قلباً فلما فارقوا	سوى جناحاً للغرام وطارا
وجرت سحاب للدموع فأوقدت	بين الجوانح لوعة وأوارا
ومن العجائب أن فيض مدامعي	ماء يمر وفي ضلوعي نارا
وقال في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:	
تحية الله وطيب السلام	على رسول الله خير الأنام
على الذي فتح باب الهدى	وقال للناس ادخلوها بسلام

بدر الهدى سحب الندى والجدا
تحية تهزأ أنفاسها
تخصه منى ولا تنثني
وقدرهم أرفع لكنني

وقال:

أحمي الهوى قلبه وأوقد
وقال عنه العذول سال
وباللوى شادن عليه
أسكره ريقه بخمر
لا تعجبوا لأنهزام صبري
أنا له كالذي تمنى
له على امتثال أمر
إن سلمت عينه لقتلي

وقال:

يا قمرأ مطلعاه أضلعي
وربما استوقد نار الهوى
ملكنتي بدولة من صبا
عندي من حبك ما لو سرت

وقال:

يقولون لي لما ركبت بطالتي
أعندك ما ترجو الخلاص به غداً

وما عسى أن يتنامى الكلام
بالمسك لا أرضى بمسك الختام
عن آله الصيد السراة الكرام
لم ألف أعلى لفظة من كرام

فهو على أن يموت أوقد
قلده الله ما تقلد
جيد غزال ووجه فرق
حتى انثني قده وعربد
فجيش أجفانه مؤيد
عبد نعم عبده وأزيد
ولي عليه الجفاء والصد
صلى فؤادي على محمد

له سواد القلب فيها غسق
فناب فيها لونها عن شفق
وصدنتي بشرك من حدق
في البحر منه شعلة لاحترق

ركوب فتى جم الغواية معتدي
فقلت نعم عندي شفاعة أحمد؟

باب الضاد

الضحاك بن سليمان

ابن سالم بن دهاية أبو الأزهر المرئي الأوسي منسوب إلى امرئ القيس بن مالك، نزل بغداد وله معرفة بالنحو واللغة، وله شعر جيد. مات سنة سبع وأربعين وخمسمائة. ومن شعره.

ما أنعم الله على عبده
وكل من عوفي في جسمه
والمال حلو حسن جيد
وأسعد العالم بالمال من
ما أحسن الدنيا ولكنها
بنعمة أوفى من المافيه
فإنه في عيشة راضيه
على الفتى لكنه عاريه
أعطاه للأخرة الباقية
مع حسنها غدارة فانيه

الضحاك بن مخلد

ابن مسلم أبو عاصم النبيل لشيبياني البصري الحافظ الثبت النحوي اللغوي، كان إماماً في الحديث، سمع من جعفر الصادق وابن جريج والأوزاعي وابن أبي عروبة. وأخرج له البخاري في صحيحه وأجمعوا على توثيقه. قيل له يحيى بن سعيد يتكلم فيك، فقال: لست بحي ولا ميت إذا لم أذكر، مات أبو عاصم سنة اثنتي عشرة ومائتين.

الضحاك بن مزاحم

أبو القاسم البلخي المفسر المحدث النحوي. كان يؤدب الأطفال فيقال: كان في مكتبه ثلاثة آلاف صبي وكان يطوف عليهم على حمار. لقي الضحاك ابن عباس وأبا هريرة، وأخذ عن سعيد بن جبير التفسير، وكان عبد الملك بن ميسرة يقول: لم يلق الضحاك ابن عباس وإنما لقي سعيد بن جبير بالري فأخذ عنه التفسير. وقال شعبة: قلت لمشاش هل سمع الضحاك من ابن عباس؟ قال: ما رأيته قط. ووثقه أحمد بن حنبل وابن معين وأبو زرعة، وضعفه يحيى بن سعيد، مات الضحاك سنة خمس ومائة وقيل ست ومائة.

باب الطاء

طالب بن عثمان بن محمد

أبو أحمد بن أبي غالب الأزدي النحوي البصري. أخذ عن أبي بكر بن الأنباري، وكان بارعاً في العربية عارفاً باللغة وكف بصره في آخر عمره، ولد سنة تسع عشرة وثلاثمائة. توفي في خلافة القادر بالله سنة ست وتسعين وثلاثمائة.

طالب بن محمد بن قشيط

أبو أحمد المعروف بابن السراج النحوي. كان عارفاً بالعربية قيماً بها، أخذ عن أبي بكر بن الأنباري. وله مختصر في النحو وكتاب عيون الأخبار وفنون الأشعار. مات سنة إحدى وأربعمائة.

ظاهر بن أحمد

ابن بابشاذ بن داود بن سليمان بن إبراهيم أبو الحسن المصري المعروف بابن بابشاذ النحوي اللغوي. ولى متاملاً في ديوان الإنشاء بالقاهرة، يتأمل ما يصدر منه من السجلات والرسائل فيصلح ما فيها من خطأ. تزهد في آخر عمره ولزم منارة الجامع بمصر، فخرج في بعض الليالي والنوم في عينيه فسقط من المنارة إلى سطح الجامع فمات، وذلك صبيحة اليوم الرابع من رجب، سنة تسع وستين وأربعمائة، وله من التصانيف، شرح الجمل للزجاجي، وشرح النخبة، والتعليق في النحو خمسة عشر مجلداً سماه تلامذته من بعده تعلق الغرفة، والمحتسب في النحو وغير ذلك.

طراد بن علي بن عبد العزيز

أبو فراس السلمي الدمشقي المعروف بالبيديع. كان نحويًا كاتباً أديباً بارعاً في النظم والنثر. ومن شعره:
قيل لي لم جلست في آخر القو
قلت أثرته لأن المنادي
م وأنت البيديع رب القوافي؟
ل يرى طرزها على الأطراف

وقال:

يا صاح أنسني دهري وأوحشني
قد قلت: أرض بأرض بعد فرقتهما
منهم وأضحكني دهري وأبكاني
فلا تقل لي: جبران بجبران

وقال:

يا نسيماً هب مسكاً عبقاً
كف عني والهوى ما زادني
ليت شعري نقضوا أحبابنا
يا رياح الشوق سوقي نحوهم
هذه أنفاس ريا جلقا
برد أنفاسك إلا حرفا
يا حبيب النفس ذاك المونقا
عارضاً من سحب دمع غدا
كان منظوماً بأيام اللقا

وقال:

هكذا في حبكم أستوجب؟
وجزا من سهرت أجفانه
كبدأ حرى وقلباً يجب
حجة تمضي وأخرى تعقب؟

زفرات في الحشا محرقة
قاتل الله عدولي ماردى
لا أرى لي عن حبيبي سلوة

وقال:

وجفون دمعها ينسكب
أن في الأعين أسداً تثب
فدعوني وغرامي واذهبوا

لئن كنت عني في العيان مغيباً
إذا اشتاقت العيان منك بنظرة
مات البديع الدمشقي سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

فما أنت عن سمعي وقلبي بغائب
تمثلت لي في القلب من كل جانب

طريح بن إسماعيل

ابن عبيد بن أسيد بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزي النقي، وأمه خزاعية بنت عبد الله بن سباع أبو الصلت الشاعر المشهور، نشأ في دولة بني أمية واستنفذ شعره في الوليد بن يزيد، وأدرك دولة بني العباس، ومات في أيام المهدي سنة خمس وستين ومائة، ومن مختار شعره قوله:

ألم تر المرء نصباً للحوادث ما
إن يعجل الموت يحمله على وضح
وإن تمادت به الأيام في عمر
ويستمر إلى أن يستقل به
والدهر ليس بناج من دأوره
ولا دفين غيابة له نفق
بل كل شيء سبيلي الدهر جدته

وقال:

تنفك فيه سهام الدهر تنتضل
لجب موارد مسلوكة ذل
يخلق كما رث بعد الجدة الحل
ريب المنون ولو طالت به الطيل
حي جبان ولا مستاسد بطل
تحت التراب ولا حوت ولا وعل
حتى يبيد ويبقى الله والعمل

وترى المشيب بدا وأقبل زائراً
والشيب للحكام من سفه الصبا
والشيب زين بني المروءة والحجا
والبر تصحبه المروءة والتقى
أشهى إلي من الشباب مع المنى
إن الشباب عمى لأكثر أهله

وقال:

بعد الشباب فنازل ومودع
بدل تنال به الفضيلة مقنع
فيه لهم شرف ومجد يرفع
تبدو بأشيب جسمه متضعع
والغي يتبعه القوي المهرع
وتعرض لمهالك تتوقع

حل المشيب ففرق الرأس مشتعل
فحل هذا مقيماً لا يريد لنا
هذا له عندنا نور ورائحة
وجدة وقبول لا يزال له
والشيب يطوي الفتى حتى معارفه
يبلي بلي البرد فيه بعد قوته

وبان بالكره منا اللهو والغزل
تركاً وهذا الذي نهواه مرتحل
كنشر روض سقاه عارض هطل
من كل خلق هوى أو خلة نفل
نكر ومن كان يهواه به ملل
وهن وبعد تناهى خطوه رمل

طلحة بن محمد

وقل أحمد بن طلحة أبو محمد النعماني، كان فاضلاً عارفاً باللغة والأدب والشعر، ورد بغداد وخراسان وكتبه الحرير يصاحب المقامات، وكان كثير الحفظ جيد الشعر سريع البديهة. مات سنة عشرين وخمسمائة، ومن شعره:
إذا نالك الدهر بالحادثات
فكن رابط الجأش صعب الشكيمه

إذا كان عندك للنفس قيمه
بأحسن من صبر نفس كريمه

ولا تهن النفس عند الخطوب
فوالله ما لقي الشامتون

باب الظاء

ظافر بن القاسم

ابن منصور بن عبد الله بن خلف الجذامي الإسكندري المعروف بالحداد الشاعر الأديب، روى عنه الحافظ السلفي وطائفة من الأعيان، وتوفي بمصر في المحرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة ومن شعره:

حكم العيون على القلوب يجوز
كم نظرة نالت بطرف ذابل
فحذار من تلك اللواظ غيرة
وكتب إلى أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي بعد أن توجه من مصر إلى المهديّة يتشوق إليه:

و دواؤها من دائهن عزيز
ما لا ينال الذابل المهزوز
فالسحر بين جفونها مكنوز
هم السم لكن لي لقاءك درياق
على كل قطر بالمشارق إشراق
بقلي عهداً لا يضيع وميثاق
وريقاء كنتها من الأيك أوراق
وأكثر أخلاق الخليقة أخلاق
ديارك عن داري هموم وأشواق
جرت ولها ما بين جفني إحراق
خلال التراقي والترائب تشهاق
ولي منه في صعب النوائب إنفاق
لجيش خطوب صدها منه إرهاب
غرور وأن الكنز فقر وإملاق
وليس له من رق ودك إعناق
ومطرّد طامي الغوارب خفاق
طلانح أنصاها زميل وإعناق
يلازم أعناق الحمام أطواق
وهي طويلة نحو ثلاثين بيتاً، ومن لطائفه وغرر قصائده أيضاً قوله:

لو كان بالصبر الجميل ملاذه
ما زال جيش الحب يغزو قلبه
لم بق فيه مع الغرام بقية
من كان يرغب في السلامة فليكن
لا تخدعك بالفتور فإنه
يأيها الرشأ الذي من طرفه
در يلوح بفيك من نظامه
وقناة ذاك القد، كيف تقوم
هاروت يعجز عن مواقع سحره
تالله ما علقت محاسنك امرأ

ماسح وابل دمعته ورذاذه
حتى وهي وتقطعت أفلاذه
إلا رسيس يحتويه جذاده
أبداً من الحدق المراض عياده
نظر يضرب بقلبك استلذاذه
سهم إلى حب القلوب نفاذه
خمر به قد جال، من نباذه؟؟
وسنان ذاك اللحظ، ما فولاذه؟
وهو الإمام فمن ترى أستاذه؟
إلا وعز على الوري استنفاده

أغرّيت حبك بالقلوب فأذعنت
وهي نحو عشرين بيتاً كلها غرر، ومن مقطعاته قوله في الأفيان:
أنظر فقد أبدى الأفيان مبسماً
كفصوص در لطف أجرامه
وقال في كرسي النسخ و يكتب عليه.
أنظر بعينك في بديع صنائعي
فكأنني كفا محب شبيكت

طوعاً وقد أودى به استحواذه
يفتر ضحكاً فوق قد أمد
وتنظمت من حول شمس عسجد
وعجيب تراكيبي وحكمة صانعي
يوم الفراق أصاباً بأصابعي

ظالم بن عمرو

ابن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثة ابن عدي بن الدئل بن بكر بن كنانة الدؤلي أبو الأسود، وفي اسمه ونسبه خلاف، أحد سادات التابعين والمحدثين والفقهاء والشعراء والفرسان والأمراء والأشراف والدهاء والحاضري الجواب والصلع الأشراف والبخر الأشراف، ومن مشاهير البخلاء. والأكثر على أنه أول من وضع العربية ونقط المصحف، روى عن عر وعلي وأبي ذر وابن عباس وغيرهم. وعنه أمية ويحيى بن يعمر، وصحبه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وشهد معه صفين، ومات بالطاعون الجارف سنة سبع وستين على الأصح. روى عاصم قال: جاء أبو الأسود الدؤلي إلى زياد بن أبيه وكان يعلم أولاده وقال: إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وفسدت ألسنتها، أفتأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون به كلامهم؟ فقال له زياد: لا تفعل. قال: فجاء رجل إلى زياد فقال: أصلح الله الأمير، توفي أبانا وترك بنون، فقال زياد: توفي أبانا وترك بنون! ادعوا لي أبا الأسود، فلما جاءه قال له: ضع للعناس ما كنت نهيتك عنه ففعل. وروى في وضع العربية غير ذلك، ولأبي الأسود أخبار كثيرة مع الخلفاء والأمراء، ولطائف في البخل والإمساك، وقد استقصى أخباره أبو الفرج في كتابه، ومن شعره يعتب ابنه أبا حرب وقد انقطع عن العمل وطلب الرزق:

وما طلب المعيشة بالتمنى
تجنك بملئها يوماً يوماً
ولا تقعد على كسل التمني
فإن مقادر الرحمن تجري
مقدرةً بقبض أو ببسط
ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجئ بحمأة وقليل ماء
تحيل على المقادر والقضاء
بأرزاق الرجال من السماء
وعجز المرء أسباب البلاء

وقال:

أعلم زين وتشريف لصاحبه
كم سيد بطل أباه نجب
ومقرف حامل الآباء ذي أدب
ألعل دخر وكنز لا نفاد له
قد يجمع المال شخص ثم يحرمه
وجامع العلم مغبوط به أبداً
يا جامع العلم نعم الدخر تجمعه

وقال:

فلا تشعرن النفس يأساً فإنما
ولا تطمعن في مال جار لقربه

وقال:

تعودت مس الضر حتى ألفتها
ووسع صدري للأذى كثرة الأذى
إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما

وقال:

وأسلمني طول البلاء إلى الصبر
وكان قديماً قد يضيق به صدري
ألاقيه منه طال عتبي على الدهر

والمنكرون لكل أمر منكر
بعضاً ليدفع معور عن معود
وإذا أصيب بعرضه لم يشعر

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم
وبقيت في خلف يزكى بعضهم
فطن لكل مصيبة في ماله

باب العين

عالي بن عثمان بن جنى

أبو سعد البغدادي. كان نحويًا أديبًا حسن الخط، أخذ عن أبي الفتح بن جني والوزير عيسى بن علي، وأخذ عنه الأمير أبو نصر بن ماکولا وغيره. مات سنة سبع أو ثمان وخمسين وأربعمائة.

عامر بن عمران بن زياد

أبو عكرمة الضبي السرمدي من أهل سر من رأى، كان نحويًا لغويًا أخباريًا، أخذ عن ابن الأعرابي، وعنه القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، وكان أعلم الناس بأشعار العرب وأرواهم لها، وكان في أخلاقه شراسة، وصنف كتاب الخيل، وكتاب الإبل والغنم، مات سنة خمسين ومائتين.

العباس بن الأحنف

ابن الأسود بن طلح، أبو الفضل الحنفي البمامي، شاعر مجيد رقيق الشعر من شعراء الدولة العباسية، إلا أن كل شعره غزل لا مديح فيه ولا هجاء ولا شيئاً من ضروب الشعر. توفي سنة اثنتين وتسعين ومائة ببغداد، ومن شعره:

تكون بين الصد والصرم
راجع من يهوى على رغب

لا بد للعاشق من وقفة
حتى إذا الهجر تمادى به

وقال:

يكثر أشجاني وأوجاعي
كان عدوي بين أضلاعي

قلبي إلى ما ضرني داعي
كيف احتراسي من عدوي إذا

وقال:

وإن كنت لا أرضى لكم بقليل
من الود إلا عدتم بجميل

وإني ليرضيني قليل نوالكم
بحرمة ما قد كان بيني وبينكم

وقال:

قلبي يفدى قلبك القاسي
والحزم سوء الظن بالناس
والقلب مملوء من الياس

يا فوز يا منية عباس
أسأت إذ أحسنت ظني بكم
يقلقني الشوق فآتيكم

وقال:

حتى إذا أيقظوني في الهوى رقدوا
بنقل ما حملوني منهم فعدوا

أبكى الذين أذاقوني مودتهم
واستنهضوا فلما قمت منتصباً

وشعره كله غاية في الجودة والانسجام والرقّة، وله ديوان لطيف يتداوله الناس وفي بعض نسخه اختلاف.

العباس بن الفرّج

أبو الفضل الرياشي مولى محمد بن سليمان الهاشمي وإنما قيل له الرياشي: لأن أباه كان عند رجل يقال له رياش فبقي عليه نسبه. وكان من كبار النحاة وأهل اللغة، راوية للشعر أخذ عن الأصمعي، وكان يحفظ كتبه وكتب أبي زيد. وقرأ عليه المازني النحو، وقرأ عليه المازني اللغة. قال المبرد: سمعت المازني يقول: قرأ الرياشي علي كتاب سيبويه فاستفدت منه أكثر مما استفاد مني، يعني أنه أفادني لغته وشعره وأفاده هو النحو. وأخذ عنه أبو العباس المبرد وأبو بكر محمد بن دريد. وكان الرياشي ثقة فيما يرويه. وله تصانيف منها: كتاب الخيل، وكتاب الإبل، وكتاب ما اختلفت أسماؤه من كلام العرب وغير ذلك. مات مقتولا في واقعة الزنج بالبصرة في خلافة المعتمد سنة سبع وخمسين ومائتين.

عبد الله بن إبراهيم

ابن عبد الله بن حكيم أبو حكيم الحبري، بفتح المعجمة وسكون الموحدة. قال القاضي الأكرم - أبقى الله مهجته - في أخبار النحاة: كان متمكناً من علم العربية، ويكتب الخط الحسن. نفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وبرع في الفرائض والحساب، وصنف فيهما، وشرح الحاشية وديوان الحماسة وديوان البحترى وعدة دواوين، وسمع الحديث من أبي محمد الجوهري وجماعة، وحدث باليسير. وكان مرضى الطريقة ديناً صدوقاً، روى عنه سبطه أبو الفضل بن ناصر أنه كان يكتب يوماً وهو مستند فوضع القلم من يده وقال: إن هذا موت مهنا طيب ثم مات. وكان ذلك يوم الثلاثاء ثاني عشرين ذي الحجة سنة ست وسبعين وأربعمائة.

عبد الله بن أحمد

ابن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر أبو محمد ابن الخشاب. قال القاضي الأكرم أيضاً: كان أعلم أهل زمانه بالنحو، حتى يقال: إنه كان في درجة أبي علي الفارسي. وكانت له معرفة بالحديث والتفسير واللغة والنطق والفلسفة والحساب والهندسة، وما من علم من العلوم إلا وكانت له فيه يد حسنة. وقرأ الأدب على أبي منصور موهوب الجواليقي وغيره، والحساب والهندسة على أبي بكر بن عبد الباقي الأنصاري، والفرائض على أبي بكر المرزوقي، وسمع الحديث من أبي الغنائم النرسي وأبي القاسم بن الحصين وأبي العز ابن كادش وجماعة، ولم يزل يقرأ حتى علا على أقرانه، وقرأ العالي والنازل، وكان يكتب خطأ مليحاً، وجمع كتباً كثيرة جداً، وقرأ عليه الناس وانتفعوا به وتخرج به جماعة، وروى كثيراً من الحديث. سمع منه الحافظ أبو سعد السمعاني وأبو أحمد بن سكين وأبو محمد بن الأخضر وكان ثقة في الحديث صدوقاً نبيلاً حجة إلا أنه لم يكن في دينه بذلك، وكان بخيلاً متبذلاً في ملبسه وعيشه قليل المبالاة يحفظ ناموس العلم، يلعب بالشطرنج مع العوام على قارة الطريق، ويقف في الشوارع على حلق المشعذين واللاعبين بالفروود والدباب، كثير المزاح واللعب طيب الأخلاق، سأله شخص وعنده جماعة من الحنابلة: أعندك كتاب الجبال؟ فقال له: يا أبله أما تراهم حولي، وسأله آخر عن القفا يمد أو يقصر؟ فقال له: يمد ثم يقصر. وقرأ عليه بعض المعلمين قول العجاج:

وإنا يأتي الصبا الصبي

أطرباً وأنت قنصرى

فقال: وإنما يأتي الصبي الصبي، فقال له ابن الخشاب هذا عندك في المكتب، وأما عندنا فلا، فخجل المعلم وقام. وكان يتعمم بالعمامة فتبقى مدة على حالها حتى تسود مما يلي رأسه وتقطع من الوسخ. وترمى عليها الطيور ذرقها. ولم يتزوج قط ولا تسرى، وكان إذا حضر سوق الكتب وأراد شراء كتاب غافل الناس وقطع منه ورقة وقال: إنه مقطوع ليأخذه بثمان بخت، وإذا استعار من أحد كتاباً وطالبه به قال: دخل بين الكتب فلا أقدر عليه. وصنف شرح الجمل للزجاجي. وشرح اللمع لابن جني لم يتم. والرد على ابن بابشاذ في شرح الجمل، والرد على الخطيب التبريزي في تهذيب إصلاح المنطق: وشرح مقدمة الوزير ابن هبيرة في النحو. يقال: إنه وصله عليها بألف دينار، والرد على الحريري في مقاماته: توفي عشية يوم الجمعة ثالث رمضان سنة سبع وستين وخمسمائة، ووقف كتبه على أهل العلم. ورأى بعد موته بمدة في النوم على هيئة حسنة فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قيل: ودخلت الجنة؟ قال: نعم إلا أن الله أعرض عني. قيل: أعرض عنك؟ قال: نعم وعن كثير من العلاء ممن لا يعمل بعلمه. ومن شعره:

إذ ضانني عن كل مخلوق

لذ خمولي وحلا مره

تمتني من بذل معشوقي

نفس معشوقي ولي غيره

وقال ملغزاً في كتاب:

بسر وذو الوجهين للسر مظهر

وذو أوجهٍ لكنه غير بائح

تتاجيك بالأسرار أسرار وجهه
وله في شمعة:

فتفهمها ما دمت بالعين تنظر

صفراء لا من سقم مسها
عريانة باطنها مكتس

كيف وكانت أمها الشافيه
فاعجب لها كاسية عاريه

وقال:

إذا عن أمر فاستشر فيه صاحباً
فإني رأيت العين تجهل نفسها

وإن كنت ذا رأي يشير على الصحب
وتدرك ما قد حل في موضع الشهب

عبد الله بن أحمد

ابن حرب بن خالد أبو هفان المهزني اللغوي الشاعر، أخذ عن الأصمعي وروى عنه يموت بن المزرع، وكان متهمًا مقترًا ضيق الحال شراً للنبذ، وله كتاب أخبار الشعراء، وكتاب صناعة الشعر. مات سنة خمس وتسعين ومائة، ومن شعره في وصف سيف:

فإذا ما سللته بهر الشم
وكان الفرند والرونق السا
ما ييالي من انتضاه لحرب

س ضياء فلم تكذب تستبين
تل في صفحته ماء معين
أشمال سطت به أم يمين؟؟

وقال:

أيا رب قد ركب الأردلو
فإن كنت حاملنا مثلهم

ن ورجلي من رحلتي داميه
وإلا فأرحلني الثانيه

عبد الله بن بري بن عبد الجبار

أبو محمد المصري، عرف بابن بري النحوي الأديب. قال القاضي الأكرم في أخبار النحاة: شاع ذكره واشتهر ولم يكن في الديار المصرية مثله، قرأ كتاب سيبويه على محمد بن عبد الملك الشنتريني، وتصدر للإقراء بجامع عمرو بن العاص، وكان مع علمه وغزارة فهمه ذا غفلة، يحكي عنه حكايات عجيبة منها: أنه جعل في كفه عنباً فجعل يعبث به ويحدث شخصاً معه حتى نطق على رجليه فقال:

عبيد الله بن محمد بن أبي بردة

أبو محمد القصري، من قصر الزيت بالبصرة، قاضي فارس، نحوي لغوي معتزلي، ذكره أبو الفتح منصور ابن المقدر النحوي المعتزلي، محتجاً به وبأمثاله على أبي بكر الباقلاني لأنه قال: إن الكلابية تقول: إن النظر إذا قرن بالي لم يحتمل إلا الرؤية، وإن المعتزلة تبطل ذلك بقول الشاعر:

إني إليك لما وعدت لناظر

نظر الفقير إلى الغني الموسر

قال: هذا اعتراض باطل، لأن الشاعر قال إليك، والله قال إلى ربها، وأحدهما غير الآخر، لأن أحدهما بالياء والآخر بالألف، قال: من يخاصم المعتزلة الذين هم ذوو اللسان والفصاحة بهذا الكلام لا يكون غيباً بل أنقص حالة من الأغبياء، وقد كان يحضر منهم في زمن أمراء المؤمنين المطيع والطائع والقادر نحو من مائة المجالس، كل منهم أو جمهورهم قد قرأ كتاب سيبويه وإليه انتهى، كعلي ابن عيسى الرماني وأبي سعيد السيرافي، وذكر جماعة ثم قال: وأبو محمد عبد الله ابن محمد بن أبي بردة القصري من قصر الزيت بالبصرة قاضي فارس، وله الانتصار لسيبويه على أبي العباس في كتاب الغلط، وله مسائل سألها الشيخ أبا عبد الله البصري في إعجاز القرى، وغير ذلك.

عبيد الله بن محمد بن أبي محم الزبيدي

واسم أبي محمد بن المبارك بن المغيرة، وكنية عبيد الله أبو القاسم، يعرف بابن اليزيدي، ذكره الخطيب فقال: مات في سنة أربع وثمانين ومائتين، قال: وسمع محمد بن منصور الطوسي وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي، روى عن عمه إبراهيم بن يحيى وأخيه أحمد بن محمد عن جده أبي محمد اليزيدي عن أبي عمرو ابن العلاء حروفه في القرآن. حدث عنه ابن أخيه محمد بن العباس وأحد بن عثمان الأدمي، وكان ثقة. حدث عبيد الله عن عمه إبراهيم قال: حدثني أبي قال: كنت مع أبي عمرو بن العلاء في مجلس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فسأل عن رجل من أصحابه فقده، فقال لبعض من حضره: اذهب فسل عنه، فرجع فقال: تركته يريد أن يموت، قال: فضحك منه بعض القوم وقال: في الدنيا إنسان يريد أن يموت؟ فقال إبراهيم: لقد ضحكتم منها عريضة، إن يريد في معنى يكاد، قال الله تعالى: (جداراً يريد أن ينقض)، أي يكاد، قال: فقال أبو عمرو: ولا نزال بخير ما كان فينا مثلك. قال أبو القاسم الزجاجي: أنشدني أبو عبد الله اليزيدي لعمه عبيد الله بن محمد:

قد ضقت ذرعاً بك مستصلاً
من لي بأن تعقل؟ حتى ترى
وأنت مزور عن الواجب
كم لك في العالم من عائب؟

عبيد الله بن محمد الأزدي

بن جعفر ابن محمد بن عبد الله الأزدي أبو القاسم النحوي. ذكره الخطيب فقال: مات في سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة في أيام المطيع قال: وحدث عن محمد بن الجهم السمرى بكتاب المعاني للقراء عن مسلم بن عيسى الصفار وأبي بكر بن أبي الدنيا، وابن قتيبة. روى عنه المعافي بن زكرياء الحريري، وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري وغيرهما. حدثنا عنه ابن رزقويه قال: وسألت أبا يعلى محمد بن الحسن السراج المقرئ عن الأزدي فقال: ضعيف، وقال غير الخطيب: له كتاب الاختلاف، وكتاب النطق.

عبيد الله بن محمد بن جرو الأسدي

أبو القاسم النحوي العروضي المعتزلي. ذكره ابن المقدر في المعتزلة من أهل الموصل. قدم بغداد وقرأ على شيوخها، فأخذ علم الأدب عن أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيراقي وغيرهما، وكان ذكياً حاذقاً جيد الخط صحيح الضبط صنف كتباً ومات فيما ذكره هلال بن المحسن في يوم الثلاثاء لأربع بقين من رجب سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، وكان يقول الشعر فوجدت له في بعض الكتب:

قطعت من السنين مدى طويلاً
فسرت على الغرور ولست تدري
ولم تعرف عدوك من صديقك
أماء أم سراب في طريقك؟

قرأت في كتاب الموضح في العروض من تصنيف ابن جرو أخباراً أوردها عن نفسه فيه ومناظرات جرت له مع الشيوخ في العروض منها: قرأت على شيخنا أبي سعيد - رحمه الله - كتاب الوقف والابتداء عن القراء روايته عن أبي بكر بن مجاهد عن ابن الجهم عنه، فمضى فيه بيت أنشده القراء:

بأبي امرؤ والشام بيني وبينه
أنتني ببشرى برده ورسائله

فقلت: هذا البيت لا يستقيم، فقال أبو سعيد: كذا أنشده ابن مجاهد عن القراء وهو كما قال: أنشدناه غيره من شيوخنا عن أبي بكر وعن ابن بكير عن ابن الجهم و عن ابن الأنباري عن أحمد بن يحيى عن سلمة عن القراء هكذا. فقال أبو سعيد: ما عندك فيه؟ فقلت: رأيت هذا البيت بخط أبي سهل النحوي في هذا الكتاب بأبوي امرؤ وقال: رد الأب إلى أصله، لأنه في الأصل عند الكوفيين أبو علي فعل مثل نحو وغزو، فقال له أبو سعيد: لا ينبغي أن تلتفت إلى هذا، لأن الرواة والناقلين أجمعوا على أنه مكتوب بأبي، وكذلك لفظوا به، ولكن إصلاحه أن يكون بأبي امرؤ، فيكون بأبي، فعولن وسكن كسرة الباء من أبي لأنه قدره تقدير فخذ، وهذا لعمرى تشبيه حسن لأنهم قد أجروا هذا في المنفصل مجرى المتصل فقالوا: اشتر لنا. جعل ترل بمنزلة فخذ، وأشد من هذا قراءة حمزة ومكر السيء ولا جعل شيئاً بمنزلة فخذ ثم اسكن كما يقال: فخذ والحركة في السيء حركة إعراب، ففي هذا ضربان من التجوز: جعله المنفصل بمنزلة المتصل، وتشبيهه حركة الإعراب بحركة البناء. وله من التصانيف: كتاب الموضح في العروض: جود في تصنيفه، وكتاب المفصح في القوافي، وكتاب الأمد في علوم القرآن لا أدري هل تم أم لا؟ لأنه قال في كتاب الموضح في العروض: وقد شرعنا في كتاب الأمد في علوم القرآن ثم وجدت في فوائد نقلت عن أبي القاسم المغربي أن كتابه في تفسير القرآن لم يتم، وأنه ذكر في "بسم الله الرحمن الرحيم" مائة وعشرين وجهاً. قال: ومات قبل الأربعمائة. ذكر الشيخ أبو محمد بن الخشاب في بعض كتبه في معرض كلام: وحكى بعض الأشياخ من أهل صناعة النحو أن عضد الدولة الديلمي التمس من أبي علي الفارسي إماماً صلى به واقترح عليه أن يكون جامعاً إلى العلم

بالقراءة العلم بالعربية، فقال: ما أعرف من قد اجتمعت فيه مطلوبات الملك إلا ابن جرو أحد أصحاب أبي علي، وهو أبو القاسم عبيد الله بن جرو الأسدي، فقال: ابعته إلينا، فجاء به وصلى بعضد الدولة. فلما كان الغد وأتى أبو علي وسألك الملك عنه فقال: هو كما وصفت إلا أنه لا يقيم الرأ أي يجعلها غيناً كعادة.

البغداديين في الأغلب، فقال البغداديين في الأغلب، فقال أبو علي لابن جرو وراه كما قال عضد الدولة: لم لا تقيم الرأ؟ فقال: هي عادة للساني لا أستطيع تغييرها، فقال له أبو علي: ضع ذبابة القلم تحت لسانك لترفعه به وأكثر مع ذلك ترديد اللفظ بالرأ، ففعل واستقام له إخراج الرأ من مخرجها.

قال: هذا معنى الحكاية التي حكيت لي في هذا. فقلت للشيخ الحاكي لي - رحمه الله - وأنا إذ ذاك حدث: ما أحسن ما تطف أبو علي في طبه هذا، فما الذي دل على هذه المعالجة؟ ومن أين استنبط هذه المداوة؟ وكيف احتال لهذا البرء؟ فقال: هذا الذي حكى لنا فما عندك فيه، فأجبت بما استحسنته الشيخ وحاضروه فقلت: لا شبهة بأن الغين حرف حلقي لا عمل للسان فيه، والرأ حرف من حروف اللسان وله فيه عملن فمن نطق بالغين مكان الرأ لم يكن للسان فيه عمل بل هو قار في فجوته، والحرف الحلقي منطوق به مع سكون اللسان واستقراره، فإذا رفعه بطرف القلم أو غيره مما يقوم مقامه في رفعه ولفظ بالحرف جعل له عملاً في الحرف، فبطل أن يكون حلقياً أي غيناً، لأن حروف الحلق لا عمل للسان فيها، وإذا بطل أن يكون غيناً كان رأء وهو الحرف الذي تلفظ بالغين بدلاً منه، فافهمه ودأبه ما جرى هذا المجرى من الحروف، فلو كان واصل بن عطاء الغزال حاذقاً حذق أبي علي - رحمه الله - فداوى رأأته ولتغته بهذا الدواء لأراحه من تكلفه إخراج الرأ من كلامه حتى شاع عنه من إبدال بعض الكلم ما شاع. قال: وقد حكى أن الزجاج أبا إسحاق كان بهذه الصفة أعنى رأأه وذلك فيما قرأته بخط ابن برهان النحوي.

عبيد الله أبو بكر الخياط الأصبهاني

ذكره حمزة فقال: هو واحد زمانه في علم النحو ورواية الشعر، أتقن كتاب سيبويه صغيراً، ثم كتاب مسائل الأخفش، ثم كتاب حدود الفراء، وهو في الأخبار والأيام وسائر الآداب متقدم على كل من تفرد بفن منها، وله كتابان في النحو أحدهما بسيط والآخر لطيف لم يصنف مثلهما في الزمان، ولما مات أبو بكر الخياط وثته الشعراء، فمن ذلك قول أبي مسلم بن حجا الكوفاني:

سأني باكياً شط الفرات
لعيبي أستمد مدى حياتي
فأبكي ثم أبكي ثم أبكي
على قمر الزمان وزين علم

وله يرثيه:

ودعت بعد أبي بكر ودنياه
طوى الثرى معه كل العلوم فلا
ديوان شعر ونحو ملك يمناه
نشر يرجى له من بعد مثواه
من لي بمثل عبيد الله يوم ثوى
رهن الحمام وهل في الناس شرواه

ومن كتاب الوزراء لهلال بن المحسن: حدثني أبو سري الأصبهاني ابن أخت أبي بكر الخياط الأصبهاني قال: كان أبو بكر خالي يحفظ دواوين العرب، ويقوم عليها قياماً تاماً، ويتصرف في كتاب سيبويه ومسائل الأخفش تصرفاً قوياً، فحدثني أن أبا الفضل بن العميد كان يقرأ عليه كتاب الطبائع لأبي عثمان الجاحظ، فانفق أن كان في بعض الأيام عنده وقد نزع نعله فأخذه كلب زنئ في الدار وأبعده عن موضعه وأراد أبو بكر الطهارة، فقام ولم يره، وطلبه فلم يجده، فتقدم أبو الفضل أن يقدم إليه نعل نفسه فاستسرف ذلك من فعله استسرافاً بلغه فقال: ألام على تعظيم رجل ما قرأت عليه شيئاً من الطبائع إلا عرف ديوان قائله وقرأ القصيدة من أولها حتى ينتهي إليه؟ ولقد كنت وغيري نتهم أبا عثمان الجاحظ فيما يستشهد به من غريب الشعر حتى دلنا على مواضعه، وأنشد القصيدة حتى انتزع منها فمن حفظه، أما يستحق من هذه الصفة صفته هذه الكرامة اليسيرة في جنب هذه الفضيلة الكبيرة؟ وذكر ابن العميد يوماً أبا بكر الخياط النحوي فقال: أفادني في نقد الشعر ما لم يكن عندي، وذلك أنه جاءني يوماً باختيارات له فكنت أرى المقطوعة بعد المقطوعة لا ندخل في مرتضى الشعر، فأعجب من إيراده لها واختياره إياها، فسألته عنها فقال: لم يقل في معناها غيرها فاخترتها لانفرادها في بابها.

عبيد الله بن محمد بن علي بن شاهمردان

أبو محمد، لا أعرف من حاله شيئاً إلا أنني وجدت له كتاباً في اللغة في مجلد سماه حدائق الأداب.

عبيد بن سرية، ابن سارية

ويقال ابن سارية، ويقال ابن شرية الجرهمي ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق وقال: وفد على معاوية وقيل: إنه لم يفد عليه، وأنه لقيه بالحيرة لما توجه معاوية إلى العراق، ثم حدث بإسناد رفعه إلى أبي حاتم السجستاني قال: وعاش عبيد بن سارية الجرهمي ثلاثمائة سنة، وقال بعضهم: مائتين وعشرين سنة إلا أننا نظن أنه عاشها في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم، وقدم على معاوية بن أبي سفيان فبلغنا أن معاوية قال له: كم أتى عليك؟ قال: مائتان وعشرون سنة، قال: ومن أين علمت ذلك؟ قال: من كتاب الله، قال ومن أي كتاب الله؟ قال: من قول سبحانه: (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرةً لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب). فقال له معاوية: وما أدركت؟ قال أدركت يوماً في إثر يوم، وليلة في إثر ليلة متشابهة كتشابه الحذف يحدوان يقوم في ديار قوم، يكدحون فيما يبديد عنهم، ولا يعتبرون بما بمضى منهم، حيهم يتلف ومولودهم يخلف، في دهر يصرف، أيامه تقلب بأهلها كتقلبها بدهرها، بينا أخوها في الرخاء إذ صار في البلاء، وبيننا هو في الزيادة إذ أدركه النقصان وبيننا هو حر إذ أصبح قنأ لا يدوم على حال، بين مسرور بمولود، ومحزون بمفقود، فلولا أن الحي يتلف لم يسعهم بلد، ولولا أن المولود يخلف لم يبق أحد. قال معاوية: أخبرني عن المال أيه أحسن في عينيك؟ قال: أحسن المال في عيني وأنفعه غناء وأقله عناء، وأجداده على العامة عين خسارة في أرض خوار إذا استودعت أدت، وإذا استحليتها درت وأفعمت، تعول ولا تعال. قال معاوية: ثم ماذا؟ قال: فرس في بطنها فرس تتبعها فرس، قد ارتبطت منها فرساً: قال معاوية: وأي النعم أحب إليك؟ قال: النعم لغيرك يا أمير المؤمنين. قال لمن؟ قال: لمن فلاها بيده وباشرها بنفسه، قال معاوية: حدثني عن الذهب والفضة، قال: حجران إن أخرجتها نفداً، وإن خزنهما لم يزيدا. قال معاوية: فأخبرني عن قيامك وقعودك، وأكلك وشربك، ونومك وشهوتك للباه. قال: أما قيامي: فإن قمت فالسما تبتعد، وإن قعدت فالأرض تقرب، وأما أكلي وشربي: فإن جعت كلبت، وإن شبعت بهرت، وأما نومي: فإن حضرت مجلساً حالفني، وإن خلوت أطلبه فارقتي، وأنا الباه: فإن بذل لي عجزت، وإن منعت غصبت، قال معاوية: فأخبرني عن أعجب شيء رأيته. قال: إني نزلت بحي من قضاة، فخرجوا بجنابة رجل من عذرة يقال له حريث بن جبلة، فخرجت معهم حتى إذا واروه انتبذت جانباً عن القوم وعيناي تدمعان، ثم تمثلت بأبيات شعر كنت رويتها قبل ذلك:

يا قلب إنك من أسماء مغرور	فانكر وهل ينفعنك اليوم تذكير؟
قد بحث بالحب ما نخفيه من أحدٍ	حتى جرت بك أطلافاً محاضير
تبغي أموراً فما تدري أعالجها	خير لنفسك أم ما فيه تأخير؟
فاستقدر الله خيراً وارضين به	فبينما العسر إذ دارت مياسير
وبينما المرء في الأخياء مغتبطاً	إذ صار في الرمس تغفوه الأعاصير
حتى كان لم يكن إلا تذكره	والدهر أيتما حال دهارير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه	وذو قرابته في الحي مسرور
وذاك آخر عهدٍ من أخيك إذا	ما المرء ضمنه اللحد الخناشير

الواحد خنشير، والجمع الخناشير، ويقال: الخناشرة وهم الذين يتبعون الجنابة. فقال رجل إلى جانيبي يسمع ما أقول: يا عبد الله من قائل هذه الأبيات؟ قلت: والذي أحلف به ما أدري، إلا أنني قد رويتها منذ زمان. قال: قائلها الذي دفناه آنفاً، وإن هذا ذا قرابته أسر الناس بموته، وإنك للغريب الذي وصف تبكي عليه. قال: فعجبت لما ذكر في شعره، والذي صار إليه من قوله كأنه كان ينظر إلى موضع قبره. فقلت: إن البلاء موكل بالمنطق. قال المؤلف: وذكر محمد بن إسحاق النديم في كتاب الفهرست فقال: عبيد بن شرية الجرهمي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئاً، ووفد على معاوية بن أبي سفيان فسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم، وسبب تبليبل الألسنة، وأمر افتراق الناس في البلاد، وكان استحضره من صنعاء اليم، فأجابه بما أمر به معاوية أن يدون وينسب إلى عبيد بن شرية، ثم عاش عبيد إلى أيام عبد الملك ابن مروان. وله من الكتب:

كتاب الأمثال، كتاب الملوك وأخبار الماضين. وقال غير النديم: كان عبيد بن شربة يروى عن الكيس النمري وابنه يزيد بن الكيس، وعن الكسير الجرهي وعبد ود الجرهي.

عبيد بن مسعدة

يعرف بابن أبي الجليد. قال المرزباني: أبو الجليد الفزاري المنظوري الذي اسمه مسعدة، وابنه ابن أبي الجليد نحوي أهل المدينة اسمه عبيد بن مسعدة، وكان أبو الجليد أعرابياً بدوياً علامة، وكان الضحاك بن عثمان يروى عنه. وأبو الجليد هو القائل ورأى جارية سوداء غليظة الجسم:

إن لم يصيني أجلي فاخترم	أشتر من مالي صناعاً كالصنم
عريضة المعطس خشناء القدم	تكون أم ولدٍ وتختدم
إذا أبناها جاء بشر لم يلم	يقتل الناس ولا يوفى الذمم

عنا بن ورقاء لشيباني

نقلت من خط أبي سعد السمعاني: أنبأنا إبراهيم بن نيهان الغنوي: حدثنا أبو عبد الله الحميدي: عن أبي العباس أحمد بن عمر العذري بالمغرب، عن أبي البركات محمد بن عبد الواحد الزبيري بالأندلس، عن أبي سعيد السيرافي عن أبي إسحاق الزجاج بالأندلس، عن أبي سعيد السيرافي عن أبي إسحاق الزجاج عن المبرد قال: لما وصل المأمون إلى بغداد وقر بها قال ليحيى بن أكثم: وددت لو أني وجدت رجلاً مثل الأصمعي ممن عرف أخبار العرب وأيامها وأشعارها فيصحبني كما صحب الأصمعي الرشيد. فقال له يحيى: ههنا شيخ يعرف هذه الأخبار يقال له عتاب بن ورقاء من بني شيبان. قال: فابعث لنا فيه مخضر فقال له يحيى: إن أمير المؤمنين يرغب في حضورك مجلسه وفي محادثته. فقال: أنا شيخ كبير ولا طاقة لي، لأنه ذهب مني الأطيان. فقال له المأمون: لا بد من ذلك. فقال الشيخ: فاسمع ما حضرني، فقال اقتضاباً

أبعد ستين أصبو	والشيب للمرء حرب
شيب وسن وإثم	أمر لعمر ك صعب
يا بن الإمام فهلا	أيام عودي رطب
وإذ مشيبي قليل	ومنهل العيش عذب
فالآن لما رأى بي	عوادلي ما أحبوا
آليت أشرب راحاً	ما حج لله ركب

فقال المأمون: ينبغي أن تكتب بالذهب وأعفى لشيخ وأمر له بجائزة.

عثمان بن جني أبو الفتح النحوي

وكان جني أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد الأزدي الموصلية، من أحق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وصنف في ذلك كتباً أبر بها على المتقدمين، وأعجز المتأخرين، ولم يكن في شيء من علومه أكمل منه في التصريف، ولم يتكلم أحد في التصريف أدق كلاماً منه، ومات لليلتين بقيتا من صفر سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة في خلافة القادر، ومولده قبل الثلاثين وثلاثمائة وهو القائل:

فإن أصبح بلا نسب	فعلمي في الورى نسبي
على أنني أقول إلى	قروم سادة نجب
قياصرة إذا نطقوا	ارم الدهر في الخطب
أولئك دعا النبي لهم	كفى شرفاً دعاء نبي

وحدث غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن قال: حدثني أبي قال: كان من كتاب الإنشاء في أيام عضد الدولة وبعدها في أيام صمصام الدولة ابنه كاتب يعرف بأبي الحسين القمي قال: وشاهدته في ديوان الإنشاء يكتب بين يدي جدي أبي

إسحاق لما ولّاه صمصام الدولة، فاتفق أنه حضر يوماً عند جدي أبي إسحاق أبو الفتح عثمان بن جني النحوي في الديوان وجلس يتحدث مع جدي تارةً ومعني إذا اشتغل جدي أخرى، وكانت له عادة في حديثه بأن يميل بشفته ويشير بيده، فبقي أبو الحسين القمي شاخصاً ببصره تعجب منه، فقال له ابن جني: ما بك يا أبا الحسين تحديق إلى النظر، وتكثر من التعجب؟ قال: شيء ظريف، قال: ما هو؟ قال: شبهت مولاي الشيخ وهو يتحدث ويقول ببوزه كذا وبيده كذا بقدر رأيت اليوم عند صعودي إلى دار المملكة وهو على شاطئ دجلة يفعل مثل ما يفعل مولاي الشيخ، فامتعض أبو الفتح وقال: ما هذا القول يا أبا الحسين - فأعزك الله - ومتى رأيتني أمزح فتمزح معي أو أمجن فمجن بي، فلما رآه أبو الحسين قد حرد واستشاط وغضب قال: المعذرة أيها الشيخ وإلى الله تعالى عن أن أشبهك بالقرد، وإنما شبهت القرد بك، فضحك أبو الفتح وقال: ما أحسن ما اعتذرت، وعلم أبو الفتح أنها نادرة تشيع، فكان يتحدث بها هو دائماً.

قال: واجتاز أبو الفتح يوماً وأبو الحسين في الديوان وبين يديه كانون فيه نار والبرد شديد. فقال له أبو الحسين: تعال أيها الشيخ إلى النير، فقال: أعوذ بالله، النير: هو صماد البقر.

وذكره أبو الحسن علي بن الحسن الباخري في دمية القصر فقال: ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ماله، فقد وقع عليها من ثمرات الإعراب ولاسيما في علم الإعراب، ومن تأمل مصنفاته وقف على بعض صفاته، فوري إنه كشف الغطاء عن شعره وما كنت أعلم أنه ينظم القريض أو يسبق ذلك الجريض حتى قرأت مرثية في المتنبي أولها:

غاض القريض وأدوت نضرة الأدب	وصوحت بعد رى دوحة الكتب
سلبت ثوب بهاء كنت تلبسه	كما تخطف بالخطية السلب
ما زلت تصحب في الجلي إذا انشعبت	قلباً جميعاً وعزماً غير منشعب
وقد حلبت لعمرى الدهر أشطره	تمطو بهمة لاوان ولا نصب
من للهو أجل يحيي ميت أرسما	بكل جانلة التصدير والحقب
قباء خوصاء محمودٍ علالتها	تنبو عريكتها بالحلس والقتب
أم من البيض الظبا توكافهن دم	أم من لسمر القنا والزغف واليلب
أم للجحافل يذكى جمر جاحمها	حتى يقربها من جاحم اللهب
أم للمحافل إذ تبدو لتعمرها	بالنظم والنثر والأمثال والخطب
أم للصواهل محمرا سربلها	من بعد ما غربت معروفة الشهب
أم للمناهل والظلماء عاطفة	يواصل السكر بين الورد والقرب
أم للقساطل تعتم الحزون بها	أم من لضغم الهزبر الضيغم الحرب
أم للملوك يحليها ويلبسها	حتى تمايس في أبرارها القشب
باتت وسادى أطراب تورقني	لما غدوت لقي في قبضة الثوب
عمرت خدن المساعي غير مضطهد	كالنصل لم يندس يوماً ولم يعب
فاذهب عليك سلام المجد ما قلقت	خوص الركائب بالأكوار والشعب

وحدث أبو الحسن الطراني قال: كان أبو الفتح عثمان بن جني يحضر بحلب عند المتنبي كثيراً وينظره في شيء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئاً من شعره أنفة وإكباراً لنفسه. وكان المتنبي يقول في أبي الفتح: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس، وسئل المتنبي بشيراز عن قوله:

وكان ابنا عدو كائراه

فقال: لو كان صديقنا أبو الفتح حاضراً لفسره. وحدث أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري في كتاب النورين: وقال بعض أهل العصر، وهو أبو الفتح عثمان ابن جني النحوي:

غزال غير وحشى	حكى الوحشى مقلته
رأه الورد يجني الور	د فاستكساه حلتته

وشم بأنفه الريحا

ن فاستهداه زهرته

وذاقت ريحه الصهباً ء فاختلسته نكهته

وكان أبو الفتح بن جني ممتعاً بإحدى عينيه، فلذلك يقول في صديق له:

صدودك عني ولا ذنب لي دليل على نية فاسده
فقد وحياتك مما بكيته خشيت على عيني الواحد
ولولا مخافة ألا أراك لما كان في تركها فائده

وحدث أنه صحب أبا علي الفارسي أربعين سنة وكان السبب في صحبته له: أنا أبا علي اجتاز بالموصل فمر بالجامع وأبو الفتح في حلقة يقرئ النحو وهو شاب فسأله أبو علي عن مسألة في التصريف فقصر فيها، فقال له أبو علي: زبيت وأنت حصرم، فسأل عنه فقيل له: هذا أبو علي الفارسي فلزمه من يومئذ واعتنى بالتصريف فما أحد أعلم منه به ولا أقوم بأصوله وفروعه، ولا أحسن أحد إحسانه في تصنيفه. فلما مات أبو علي تصدر أبو الفتح في مجلسه ببغداد بأخذ عنه الثمانيني وعبد السلام البصري وأبو الحسن السهمي. وكان لابن جني من الولد علي وعال وعلاء وكلهم أدباء فضلاء قد خرجهم والدهم وحسن خطوطهم، فهم معدودون في الصحيح الضبط، وحسني الخط. ومن كتاب سر السرور لأبي الفتح بن جني:

رأيت محاسن ضحك الربيع أطال عليها بكاء السحاب
وقد ضحك الشيب في لمتي فلم لا أبكي ربيع الشباب؟
أشرب في الكأس كلا وحاشا لأبصره في صفاء الشراب؟

وأنشد له:

تحبب أو تذرع أو تأبى فلا والله لا أزداد حبا
أخذت ببعض حبك كل قلبي فإن رمت المزيد فهات قلبا

قرأت بخط أبي علي بن إبراهيم الصابي: ولأبي نصر بشر بن هارون في ابن جني النحوي وقد جرى بينه وبينه في معنى شيطان يقال: إنه يظهر بالراية اسمه العدار، وإذا لقي إنساناً وطأه، فقال له ابن جني: بودك لو لقيك فإنه كان لأمنتك، فقال أبو نصر:

زعمت أن العدار خدني وليس خدناً لي العدار
عفر من الجن أنت أولى به وفيه لك افتخار
فالجن جن ونحن إنس شتان هذان يا حمار
ونحن من طينة خلقنا ما خلق الجن منه نار
العر والعار فيك تما والعور التام والعوار

ونقل عن خط أبي الفتح بن جني خطبة نكاح من أنشأته: الحمد لله فاطر السماء والأرض، ومالك الإبرام والنقض، ذي العزة والعلاء، والعظمة الكبرياء، مبتدع الخلق على غير مثال، والمشهود بحقيقته في كل حال، الذي ملأت حكمته القلوب نورا، فاستودع علم الأشياء كتاباً مسطوراً، وأشرق في غياهب الشبه خصائص نعوته، واغترقت أرجاء الفكر بسطبية ملكوته، أحمد حمد معترف بجزيل نعمه وأحاطيه، ملتبساً بسني قسمه وأعاطيه. وأؤمن به في السر والعلن، وأستدفع بقدرته ملمات الزمن، وأستعينه على نوازل الأمور، وأدرئه في نحر كل محذور، وأشهد شهادة تخضع لعلوها السموات وما أظلت، وتعجز عن حملها الأرضون وما أقلت، أنه مالك يوم البعث والمعاد والقائم على كل نفس بالمرصاد، وأن لا معبود سواه، ولا إله إلا هو، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم، - وبخل وكرم -، عبده المنتخب، وحجته على العجم والعرب، ابتعته بالحق إلى أوليائه ضياءً لامعاً، وعلى المراق من أعدائه شهاباً ساطعاً، فابتدل في ذات الله نفسه وجهدها، وانتحى مناهج الرشد وقصدها، مستسهلاً ما يراه الأنام صعباً، ومستخصباً ما يرعونه بينهم جذباً، يغمس أهل الكفر والنفاق، ويمارس البغاة وأولى الشقاق، بقلب غير مذهب، وعزم غير مفلول يستنجز الله صادق وعده، ويسعى في خلود الحق من بعده، إلى أن وطد بوانى الدين وأرسلها، وشاد شرف الإسلام وأسماءها، فصرم مدته التي أوتيتها في طاعة الله موفقاً حميداً، ثم انكفأ إلى خالقه مطمئناً به فقيداً، صلى الله عليه وسلم ما ومض في الظلام برق، أو نبض في الأنام عرق، وعلى الخرة المصطفين من آله، والمقتدين بشرف فعاله، وإن مما أفرط الله تعالى به سابق حكمه، وأجرى بكونه قلم علمه، ليضم بوقوعه متباين الشمل، ويضم به شارد الفرع إلى الأصل، أن فلان بن فلان وهو كما يعلم من حضر من ذوي الستر وصدق المختبر، مشجوح الخليفة، مأمون الطريقة، متمسك بعصام الدين، أخذ بسنة المسلمين، خطب للأمر المحموم، والقدر المحتوم. من فلان بن فلان الظاهر العدالة والإنصاف، أهل البر وحسن الكفالة والكفاف، عقيلته فلانة بنت فلان خيرة نسائها وصفوة آبائها في زكاء منصبها وطيب مركبها، وقد بذل لها من الصداق كذا وكذا، فليشهد على ذلك أهل مجلسنا، (وكفى بالله شهيداً) ثم يقرهما ثم يقال: لاعم الله على التقوى كلمتيكما، وأدام بالحسنى بينكما، وخار لكما فيما قضى. ولا أبتر كما صالح ما كسا وهو حسبنا وكفى.

قرأت بخط الشيخ أبي منصور موهوب بن الخضر، الجواليقي - رحمه الله - أنشدنا الشيخ الإمام أبو زكرياء يحيى بن علي التبريزي قال: أنشدنا عالي بن عثمان بن جني قال: أنشدنا أبي لنفسه:

منيف مراتب الحسب	وحلو شمائل الأدب
عقائل عقلة الأدب	أخي فخر مفاخره
به العلماء م العرب	له كلف بما كلفت
ب عن أسرارها الغيب	ببيت يفتش الأنقا
إلى صعد إلى صعب	فمن جدد إلى جلد
بضيض رواشح الثغب	ويسرب في معانيها
ر منها من حمى الحجب	ويفرع فكره الأبكا
وإن خفيت سنا لهب	فيبردها وكان بها
غزال الخرد العرب	يغازل من تأملها
للطف الفكر في لعب	يجد بها وتحسبه
عليه ماء الذهب	بساطة مذهب سبكت
بغلظة كل منتخب	ورقة مأخذ شهدت
أصول وطدرتب	وطرداً للفروع على
سما فرعاً على الرتب	إذا ما انحط غاثرها
بليلى برزة الشهب	قياساً مثل ما وقدت
شي ثرة السحب	وألفاظاً مهذبة الحوا
وطوراً من ذرى طنب	فطوراً من ذرى علم
فعد عن القنا السلب	إذا حازت لنا سلباً
طوال الدهر في تعب	تركمت مساجلي أدبي
فقل في هافة لغب	إذا أجروا إلى أمد
سبقت وأوطنوا عقبى	وإن راموا مبادهتي
نزىل خبائث الترب؟	وكيف يروم منزلتي
خفيض الخد ذو حدب	وهل يسمو لقارعتي
ضعيف مقاعد السبب	وهل ينتاط بي سبباً
تقاس بشعله الذنب؟	أغرة وجه سابقها
وما أولاه من أرب	شكرت الله نعمته
فوفقتي وأحسن بي	زكت عندي صنائعه
ونولني ونوه بي	تخولني وخولني
وأعلاني وأرغم بي	وأخر من يقادمني
وقل لهن يا بأبي	فيا بأبي منائحه
برفل جد منشعب	ضفون على عطف علا
فعلى في الورى نسبي	فإن أصبح بلا نسب
قروم سادة نجب	على أني أوول إلى
أرم الدهر ذو الخطب	قياصرة إذا نطقوا
كفى شرفاً دعاء نبي	أولاك دعا النبي لهم
كفاني ذاك من نشبي	وإما فاتني نسب

مجد الورد والقرب
يضاحي الشمس من كئيب
أقامت خير ما عقب
لئل الغاي من كئيب
ويخرق أطرق الركب
هفت خفاقة العذب
على الأيام والحقب
على الأجفان من حدب
ملوك العجم والعرب
إلى مثل إلى طرب
بها الدولة اقتربي
وعند الله مطلبي
ومتجهي ومنقلبي
وما راعيت من قربي
ومحتالي ومضطربي
نحور أوابد النوب
لواتي بعضها سببي
م مأثرتي بلا ندب
نزت بك بطنة الكلب
وخالطت الأمائل بي
معاطف تائه حرب
أواخر نزقة العجب
ومن مثلي وحسبك بي؟
وأدنانني ورحب بي
ووسطني وصدر بي
فتق بطوارق العقب
ر مثلك جارحاً حسب
كراهته شفا الوصب

وإن أركب مطا سفر
فإني مخدل خلفاً
إذا لم يبق لي عقب
موشحة مرشحة
يصم صدى الحسود لها
إذا اهتزت كتائبها
أزول وذكرها باق
تنقلها الرواة لها
فيرتع في أزهرها
فمن مغن إلى مدن
كفاها أن يقول لها
إلى الله المصير غداً
له ظهري وعتملي
فقل للغامطي نعي
وتتميري وتنشئتي
ونهضي عنك أطعن في
ورفعني من رذائلك ال
ولولا أنت كان أدي
ألها أشرت وأن
وأكرمك الأكابر لي
ورفعت الدلائل عن
وأنسيت الأوائل بال
وقلت أنا وأين أنا
وقال لي الوزير هنا
وقدمني ولقبني
أسأت جوار عارفتي
وحسبي أن ألم بكب
ولكن الدواء على

حدث أبو الحسن الطراني ببغداد قال: كان أبو الفتح عثمان بن جني في حلب يحضر عند المتنبي الكثير، وينظره في شيء من النحو من غير أن يقرأ عليه ديوان شعره إكباراً لنفسه عن ذلك وكان المتنبي يعجب بأبي الفتح وذكائه وحذقه، ويقول: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس، وسئل أبو الطيب بشيراز عن قوله:

وكان ابنا عدو كائرا
له يأتي حروف أنيسيان

فقال: لو كان صديقنا أبو الفتح بن جني حاضراً فسرره. قلت: وتفسيره أن لفظة إنسان خمسة أحرف إذا كانت مكبرة، فإذا صغر قيل أنيسيان فزاد عدد حروفه وصغر معناه، فيقول للممدوح: إن عدوك الذي له إنسان فيكأثرك بهما كانا زاندين في عدده ناقصين من فضله وفخره، لأنهما ساقطان خسيان كيائي أنيسيان تزيدان في عدد الحروف وتنقصان من معناه. قرأت بخط الشيخ أبي منصور بن الجواليقي قال لنا أبو زكرياء: رأيت بخط ابن جني: أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد القرميسيني عن أبي بكر محمد بن هارون أرويان عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني قال: قرأ على أعراب (طبيبي لهم وحسن مأب)، فقلت: طوبى، فقال: طبيبي، فقلت ثانياً: طوبى، فقال: طبيبي، فلما طال علي قلت: طوطو، فقال الأعرابي: طي طي أما ترى إلى هذه النحيزة ما أبقاها وأشد محافظة هذا البدوي عليها، حتى إنه استسكره علي تركها فأبى إلا إخلاصاً إليها. ونحو ذلك قال عمرو الكلبى: وقد أنشد بعض أهل الأدب:

بانة نعيمة والدنيا مفارقة
فقل له: لا يقال مزعوج، إنما يقال مزعج فجفا ذلك عليه، وقال يهجو النحويين:
قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا
وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وبين زيد فطال الضرب والوجع
وبين قوم على إعرابهم طبعوا
ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
نار المجوس ولا تبني بها البيع

قال ابن جنى: وعلى نحو ذلك، فحضرني قديماً بالموصل أعرابي عليلي جوني تميمي، يقال له محمد بن العساف الشجري،
وقلما رأيت بدوياً أفصح منه، فقلت له يوماً شغفاً بفصاحته، والتذاذاً بمطاولته، وجرياً على العادة معه في إيقاظ طبعه واقتراح
زند فطنته: كيف تقول أكرم أخوك أباك، فقال: كذاك، فقلت له: أفنتقول أكرم أخوك أبوك؟ فقال: لا أقول أبوك أبداً. فقلت: فكيف
تقول أكرمني أبوك؟ فقال: كذاك، قلت: ألسنت تزعم أنك لا تقول أبوك أبداً؟ فقال: إيش هذا اختلقت جهتا الكلام، فهل قوله اختلقت
جهتا الكلام إلا كقولنا نحن هو الآن فاعل، وكان في الأول مفعولاً، فانظر إلى قيام معاني هذا الأمر في أنفسهم وإن لم تقطع به
عبارتهم.

أخبرني أبو علي عن أبي بكر عن أبي العباس قال: سمعت عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقرأ (ولا الليل سابق النهار)،
فقلت لك ما أردت؟ قال: أردت سابق النهار، فقلت له: فهلا قلته، فقال: لو قلته لكان أوزن أي أقوى وأفصح، ففي هذه الحكاية من
فقه العربية ثلاثة أشياء: أحدها أنهم قد يراعون من معانيهم ما ننسبه إليهم ونحمله عليهم. والثاني أنهم قد ينطقون بالشيء وفي
أنفسهم غيره، ألا ترى أنه لما نص أبو العباس عليه واستوضح ما عنده قال: أردت كذا، وهو خلاف ما لفظ به. والثالث أنهم قد
ينطقون بالشيء وغيره أقوى منه استلانة وتخفيفاً، ألا تراه كيف قال: لو قلته لكان أوزن أي أقوى وأعرب.

قال ابن جنى: وسألت الشجري صاحبنا هذا الذي قد مضى ذكره قلت له: كيف يا أبا عبد الله تقول: اليوم كان زيد قائماً، فقال:
كذلك، فقلت: فكيف تقول اليوم إن زيدا قائم، فإياها ألبته، وذلك أن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها، لأنها إنما تأتي أبداً مستقبلة
قاطعة لما قبلها عما بعدها، وما بعدها عما قبلها. قلت له يوماً ولابن عم له يقال له غصن، وكان أصغر منه سنًا وألين لسانًا،
كيف تحقران حمراء؟ فقالا: حمراء قلت: فصفراء، قالوا: صفراء، قلت: فسوداء، قالوا: سوداء، واستمرت بها في نحو هذا
فلما استويا عليه دست بين ذلك علباء فقلت: فعلباء فأسرع ابن عمه على طريقته فقال: علباء، وكان الشجري يقولها معه، فلما
هم بفتح الباء استرجع مستكراً فقال: أه علباء، وأشم الفتحة دائماً للحركة في الوقف وتلك عادة. قال ابن جنى: فسألته يوماً يا أبا
عبد الله، كيف تجمع محرجمات، وكان غرضي من ذلك أن أعلم ما يقوله، أيكسر فيقول حراجم، أم يصح فيقول محرجمات؟؟
فذهب هو مذهباً غير ذين فقال: وإيش فرقه حتى أجمعه وصدق، وذلك أن المحرجم هو المجتمع يقولها ماراً على شكيمة غير
محس لما أريده منه، والجماعة معي على غاية الاستغراب لفصاحته، قلت له: فدع هذا، إذا أنت مررت بابل محر نعمة و
أخرى محر نعمة وأخرى محر نعمة تقول مررت بابل ماذا؟ فقال وقد أحس الموضع: يا هذا هكذا أقول: مررت بابل محر نجمات
وأقام على التصحيح ألبة استبحاشاً من تكسير ذوات الأربعة لمصاقيها ذوات الخمسة التي لا سبيل إلى تكسيرها، لاسيما إذا كان
فيها زيادة، والزيادة قد تعند في كثير من المواضع اعتداد الأصول، حتى أنها لتلزم لزومها نحو كوكب وحوشب وضيون وهز
نيران ودودي وقرنفل، وهذا وضع يحتاج إلى إصغاء إليه وإرعاء عليه والوقت لتلاحمه وتقارب أجزائه مانع منه، ويعين الله
فيما يليه على المعتقد المنوي فيه بقدرته. وسألته يوماً كيف تجع سرحاناً؟ فقال: سراحين، قلت: فدكانا، قال: دكاكين: قلت:
فقرطانا؟ قال: قرططين، قلت: فعثمان قال: عثمانون، قلت: هلا قلت عثمانين كما قلت سراحين وقرططين، فأبأها البتة وقال: إيش
ذا؟ أريت إنساناً يتكلم بما ليس من لغته؟ والله لا أقولها أبداً. استوحش من تكسير العلم إكثاراً له لاسيما وفيه الألف والنون اللتان
بابهما فعلان الذي لا يجوز وفيه فعالين نحو سكران وغضبان.

فهرست كتب ابن جنى، كتب ابن جنى إجازة بما صورته: "بسم الله الرحمن الرحيم": قد أجزت للشيخ أبي عبد الله الحسين بن
أحمد بن نصر - أدام الله عزه - أن يروي عني مصنفاتي وكتبي مما صححه وضبطه عليه أبو أحد عبد السلام بن الحسين
البيصري - أيد الله عزه -: عنده منها كتابي الموسوم بالخصائص وحجمه ألف ورقة، وكتابي التام في تفسير أشعار هذيل مما
أغفله أبو سعيد الحسن ابن الحسين السكري - رحمه الله - وحجمه خمسمائة ورقة بل يزيد على ذلك، وكتابي في سر الصناعة
وهو ستمائة ورقة، وكتابي في تفسير تصريف أبي عثمان بكر بن محمد ابن بقة المازني وحجمه خمسمائة ورقة، وكتابي في

شرح المقصور والممدود عن يعقوب بن إسحاق السكيت وحجمه أربعمئة ورقة، وكتابي في تعاقب العربية وأطراف به وحجمه مائتا ورقة، وكتابي في تفسير ديوان المتنبي الكبير وهو ألف ورقة ونيف، وكتابي في تفسير معاني هذا الديوان وحجمه مائة ورقة وخمسمون ورقة، وكتابي اللمع في العربية وإن كان لطيفاً، وكذلك كتابي مختصر التصريف على إجماعه، وكتابي مختصر العروض والقوافي، وكتاب الألفاظ المهموزة، وكتابي في اسم المفعول المعتل العين من الثلاثي على إعرابه في معناه وهو المتقضب، وما بدأت بعمله من كتاب تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب أيضاً - أعانه الله - على إتمامه، وكتاب ما خرج عني من تأييد المذكرة عن الشيخ أبي علي - أدام الله عزه - وكتابي في المحاسن في العربية وإن كان ما جرى أزال يدي عنه حتى شذ عنها ومقداره ستمائة ورقة، وكتابي النواذر الممتعة في العربية وحجمه ألف ورقة وقد شذ أيضاً أصله عني، فإن وقعا كلاهما أو شئ منهما فهو لاحق بما أجزت روايته هنا، وكتاب ما أحضرني الخاطر من المسائل المنثورة مما أملتته أو حصل في آخر تعاليقي عن نفسي وغير ذلك مما هذه حاله وصورته، فليرو - أدام الله عزه - ذلك عني أجمع إذا أصبح عنده وأنس بنتقيفه وتسديده، وما صح عنده - أيده الله - من جميع رواياتي مما سمعته من شيوخي - رحمهم الله - وقرأته عليهم بالعراق والموصل والشام وغير هذه البلاد التي أتيتها وأقمت بها مباركاً له فيه منفوعاً به بإذن الله، وكتب عثمان بن جني بيده حامداً سبحانه في آخر جمادى الآخرة من سنة أربع وثمانين وثلاثمائة: والحمد لله حق حمده عوداً على بدء. ومن كتبه ما لم تتضمنه هذه الإجازة: كتاب المحتسب في شرح الشواذ، وكتاب تفسير أرجوزة أبي نواس، وكتاب تفسير العلويات وهي أربع قصائد للشريف الرضي كل واحدة في مجلد، وهي قصيدة رثى بها أبا طاهر إبراهيم ابن نصر الدولة أولها.

ألقى الرماح ربيعة بن نزار أودى الردى بقريعك المغوار

ومنها قصيدته التي رثى بها صاحب بن عباد وأولها:

أكذا المنون تقطر الأبطالاً أكذا الزان يضعضع الأجيالا

وقصيدته التي رثى بها الصابئ أولها:

أعلمت من حملوا على الأعواد أرايت كيف خبا زناد النادي

وكتاب البشرى والظفر صنعه لعضد الدولة ومقداره خمسون ورقة في تفسير بيت من شعر عضد الدولة.

أهلاً وسهلاً بذى البشرى ونوبتها وباشمال سرايانا على الظفر

وكتاب رسالة في مد الأصوات ومقادير المدات كتبها إلى أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري مقدارها ست عشرة ورقة بخط ولده علي: كتاب المذكر والمؤنث، كتاب المنتصف، كتاب مقدسات أبواب التصريف، وكتاب النقض على ابن وكيع في شعر المتنبي وتخطئته، كتاب المغرب في شرح القوافي، كتاب الفصل بين الكلام الخاص والكلام العام، كتاب الوقف والابتداء كتاب الفرق، كتاب المعاني المجردة، كتاب الفائق، كتاب الخطيب، كتاب الأراجيز، كتاب ذي القد في النحو، وكتاب شرح الفصيح، وكتاب شرح الكافي في القوافي وجد على ظهر نسخة ذكر ناسخها أنه وجده بخط أبي الفتح عثمان بن جني - رحمه الله - على ظهر نسخة كتاب المحتسب في علل شواذ القراءات.

أخبرني بعض من يعتادني للقراءة علي والأخذ قال: رأيتك في منامي جالساً في مجلس لك على حال كذا وبصورة كذا، وذكر من الجلسة والشارة جميلاً، وإذا رجل له رواء ومنظر وظاهر نبيل وقد قد أذاك، فحين رأيت أنه أعظمت مورده وأسرعت القيام له فجلس في مجلسك وقال لك: اجلس، فجلست فقال: كذا شيئاً ذكره، ثم قال لك: أتمم كتاب الشواذ الذي عملته فإنه كتاب يصل إلينا ثم نهض، فلما ولى سألت بعض من كان معه عنه فقال: علي ابن أبي طالب عليه السلام، ذكر هذا الرأي لهذه الرؤيا لي، وقد بقيت من نواحي هذا الكتاب أميكنة تحتاج إلى معاودة نظر وأنا على الفراغ منها. وبعده ملحق في الحاشية بخطه أيضاً، ثم عاودتها فصحت بلطف الله ومشينته، تمت الحكاية. وقرأت بخط الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الرحي السلمي: أنشدني الرئيس أبو منصور ابن دلال قال: أنشدنا أبو زكرياء يحيى بن علي التبريزي قال: أنشدني أبو العباس محمد بن الفضل بن محمد القصباني النحوي البصري بها لابن الزملمد الموصلي يهجو أبا الفتح ابن جني:

يا أبا الفتح قد أتيناك للتمد ريس والعلم في فنائك رحب

فوجدنا فتاة بينك أنحى منك والنحو مؤثر مستحب

قدماها مرفوعة وهي خفض قلم الأير فاعل وهو نصب

مذهب خالفت شيوخك فيه فهي تصبى به الحليم وتصبو

عثمان بن ربيعة الأندلسي

ذكره الحميدي فقال: هو مؤلف كتاب طبقات الشعراء بالأندلس، مات قريباً من سنة عشر وثلاثمائة.

عثمان بن سعيد بن عدي بن غزوان

ابن داود بن سابق المصري القفطي المعروف بورش المقرئ، وقيل: هو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو ابن سليمان بن إبراهيم القرشي مولى لآل الزبير بن العوام وقفط بلد بصعيد مصر وأصله من القيروان، وقيل من ناحية إفريقية والأول أشهر، وأما كنيته فقيل: أبو سعيد، وقيل: أبو القاسم، وقيل: أبو عمر، وأشهرها أبو سعيد، وقيل: أبو القاسم، وقيل: أبو عمرو، وأشهرها أبو سعيد، مات فيما نقلناه من كتاب الحافظ أبي العلاء الهمداني عن أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الأعلى الصدفي المصري وأبي علي الحسن بن علي الأهوازي في سنة سبع وتسعين ومائة في أيام المأمون الأهوازي خاصة ومولده بمصر سنة عشرة ومائة في أيام هشام ابن عبد الملك، وقرأ على نافع في سنة خمس وخمسين ومائة في أيام المنصور، ومات وعمره سبع وثمانون سنة، وأما تلقيه بورش فقيل: إنما لقب به لأنه كان في حادثة سنة رأساً ثم إنه اشتغل بقراءة القرآن وتعلم العربية، ورحل إلى المدينة فقراً بها على نافع القرآن، وكان أزرق أبيض اللون قصيراً ذا كدنة، وكان نافع يلقيه بالورشان وهو طائر معروف، لأنه كان على قصره بلبس ثياباً قصاراً فكان إذ مشى بدت رجلاه مع اختلاف ألوانه، وكان نافع يقول له: اقرأ يا ورشان وابن الورشان، ثم خفف فقيل: ورش، ولزمه ذلك حتى صار لا يعرف إلا به، وقيل: إن الورش شيء يصنع من اللبن لقب به لبياضه: وحدث الحافظ بإسناده ورفعته إلى محمد بن سلمة العثماني قال: قلت لأبي سلمة، أكان بينك وبين ورش مودة؟ قال: نعم؟ قلت: كيف كان يقرأ ورش على نافع؟ قال: قال لي ورش خرجت من مصر إلى المدينة لأقرأ على نافع فإذا هو لا يطاق القراءة عليه من كثرة أبناء المهاجرين والأنصار، وإنما يقرأ ثلاثين آية، فجلست خلف الحلقة فقلت لإنسان: من أكبر الناس عند نافع؟ فقال: كبير الجعفرين قال: قلت فكيف لي به؟ وقال: أنا أجيء معك إلى منزله، فقام الرجل معي حتى جاء إلى منزل الجعفري فدق الباب، فخرج إلينا شيخ تام من الرجال، قال: فقلت - أعزك الله - أنا رجل من مصر جئت لأقرأ على نافع فلم أصل إليه، وأخبرت أنك من أصدق الناس له، وأنا أريد أن تكون الوسيلة إليه، فقال: نعم وكرامة، وأخذ طيلسانه ومضى معنا إلى منزل نافع، وكان نافع له كنيستان، كان يكنى بأبي رويم وأبي عبد الله، فبأيتهما نودي أجاب، فقال له الجعفري: إن هذا وسلني إليك، جاءك من مصر ليقرأ عليك، ليس معه تجارة ولا جاء لحج إنما جاء للقراءة خاصة، فقال لصديقه الجعفري: أفلا ترى ما ألقى من ولد المهاجرين والأنصار؟ قال: فقال له صديقه تحтал له، فقال لي نافع: يمكنك أن تبيت في المسجد؟ قال: قلت: نعم، إنما أنا إنسان غريب، قال: فبت في المسجد، فلما كان الفجر تقاطر الناس ثم قالوا: قد جاء نافع، فلما أن قعد قال: ما فعل الغريب؟ قال: قلت هاأنا - رحمك الله - قال: أبت في المسجد؟ قلت: نعم، قال: فأنت أولى بالقراءة، قال: وكنت مع ذلك حسن الصوت مداداً به، قال: فاستفتحت فملاً صوتي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأت ثلاثين آية فأشار لي بيده أن اسكت، فقام إليه شاب من الحلقة فقال: يا معلم - أعزك الله - نحن معك وهذا رجل غريب، وإنما رحل للقراءة عليك، وأنت تقرئ ثلاثين آية وأنا أحب - أعزك الله - أن نجعل لي فيه نصيباً، فقد وهبت له عشرأ وأقتصر أنا على عشرين، وكان ذلك ابن كبير المهاجرين فقال له: نعم وكرامة ثم قال: اقرأ فقرأت عشرأ، ثم أوماً إلي بيده بالسكوت فسكت، فقام إليه فتى آخر فقال: يا معلم - أعزك الله - إني أحب أن أهب لهذا الرجل الغريب عشرأ وأقتصر على عشرين، فقد تفضل عليه ابن كبير المهاجرين وأنت تعلم أني ابن كبير الأنصار، فأحببت أن يكون له أيضاً مثل ماله من الثواب، قال لي: اقرأ، فلما أن قرأت خمسين آية، قعدت حتى لم يبق أحد ممن له قراءة إلا قال لي اقرأ، فأقرأ في خمسين، فما زلت أقرأ عليه خمسين في خمسين حتى قرأت عليه ختمات قيل أن أخرج من المدينة.

عثمان بن سعيد بن عثمان الأندلسي

أبو عمرو المقرئ، يعرف بابن الصيرفي، ذكره الحميدي فقال: محدث كثير، ومقرئ مقدم. سمع بالأندلس محمد بن عبد الله بن أبي زمنين الإلبيري وغيره. ورحل إلى المشرق قبل الأربعمائة فسمع خلفاً، وطلب علم القراءات، وقرأ وسمع الكثير، وعاد إلى الأندلس فتصدر للقراءات، وألف بها تواليف معروفة، ونظمها في أرجوزة مشهورة، ومات في شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة بدانية من بلاد الأندلس، ومن مذكور شعره:

قد قلت إذ ذكروا حال الزمان وما
لا شيء أبلغ من ذلٍ يجرحه
القائمين بما جاء الرسول به
وله كتب منها: كتاب التيسير في القراءات السبع، وكتاب الاقتصاد في القراءات السبع.

عثمان بن سعيد بن عثمان

أبو عمرو الداني المقرئ. قرأت في فوائد أحمد بن سلفة المنقولة من الداني بالإسكندرية من خطه ما صورته: قرأت على أبي عبد الله محمد بن الحسن بن سعيد المقرئ الداني بالإسكندرية، عن أبي داود سليمان بن نجاح المقرئ المؤيدي قال: كتبت من خط أستاذي أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان المقرئ بعد سؤالي عن مولده يقول: عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي القرطبي الصيرفي: أخبرني أبي أنني ولدت في سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، وابتدأت في طلب العلم سنة ست وثمانين، وتوفي أبي في سنة ثلاث وتسعين في جمادى الأولى، فرحلت إلى المشرق في اليوم الثاني من المحرم يوم الأحد في سنة سبع وتسعين ومكثت بالقيروان أربعة أشهر، ولقيت جماعة وكتبت عنهم، ثم توجهت إلى مصر ودخلتها اليوم الثاني من الفطر من العام المؤرخ، ومكثت بها باقي العام والثاني، وهو عام ثمانية إلى حين خروج الناس إلى مكة، وقرأت بها القرآن، وكتبت الحديث والفقه والقراءات وغير ذلك عن جماعة من المصريين والبغداديين والشاميين وغيرهم، ثم توجهت إلى مكة وحجبت وكتبت بها عن أبي العباس أحمد البخاري، وعن أبي الحسن بن فراس ثم انصرفت إلى مصر ومكثت بها شهراً، ثم انصرفت إلى المغرب ومكثت بالقيروان شهراً، ووصلت إلى الأندلس أول الفتنة بعد قيام البرابر على ابن عبد الجبار بستة أيام في ذي القعدة سنة إحدى وتسعين، ومكثت بقرطبة إلى سنة ثلاث وأربعمائة، وخرجت منها إلى الثغر فسكنت سرقسطة سبعة أعوام، ثم خرجت منها إلى الوطة، ودخلت دانية سنة تسع وأربعمائة، ومضيت منها إلى ميورقة في تلك السنة نفسها فسكنتها ثمانية أعوام، ثم انصرفت إلى دانية سنة سبعة عشر وأربعمائة، وقال أبو داود: وتوفي - رضي الله عنه - يوم الاثنين للنصف من شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة، ودفن بالمقبرة عند باب إندارة وقد بلغ اثنتين وسبعين سنة.

عثمان بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد

أبو عمرو الطرسوسي الكاتب القاضي، كان من الأدباء الفضلاء، رأيت بخطه الكثير من كتب الأدب والشعر وجمع شعر جماعة من أهل عصره، منهم أبو العباس الصقري وأبو العباس الناشئ وغيرهما من شعراء سيف الدولة وابنه شريف، وصنف كتباً منها: كتاب في أخبار الحجاب وكان متقن الخط سريع الكتابة، وولي القضاء بمعرة النعمان، وسمع الحديث الكثير ورواه، فسمع بدمشق أبا علي محمد بن أحمد بن آدم الفزاري وأبا هاشم عبد الجبار ابن عبد الصمد السلمي، وبطرابلس خشيمة بن سليمان وبطرسوس أبا عبد الله محمد بن عيسى التميمي البغدادي المعروف بابن العلاف، وأبا بكر بن محمد بن سعيد ابن الشوق، وأبا الحسن أحمد بن محمد بن سلام الطرسوسي، والقاضيين أبا عران موسى بن القاسم الأشيب، وأبا العباس أحمد بن أبي بكر الطبري المعروف بالقاص، وأبا الفرج ابن أحمد بن القاسم البغدادي الخشاب الحافظ، وجماعة غير هؤلاء كثيرة. وسمع منه أبو حصين عبد الله بن محسن ابن عبد الله بن حسن بن عمرو المعري، وعبد الرحمن بن محمد بن الحسين الكفرطابي، وأبو علي الأهوازي والقاضي أبو الفضل بن السعدي.

قال أبو القاسم الدمشقي: قرأت على أبي القاسم نصر ابن أحمد بن مقاتل عن سهل بن بشر قال: سمعت القاضي أبا الفضل محمد بن أحمد بن عيسى السعدي يقول: توفي شيخنا أبو الحسين بن جميع في رجب سنة اثنتين وأربعمائة، وتوفي شيخنا عثمان الطرسوسي القاضي بكفر طاب قبله بسنة أو نحوها.

عثمان بن علي بن عمر السرقوسي

النحوي الصقلي أبو عمرو. قال السلفي: كان من العلم بمكان، نحو أو لغة، وقرأ القرآن على ابن الفحام وابن بليمة وغيرهما. وله تواليف في القراءات والنحو والعروض، وصارت له في جامع مصر حلقة للإقراء وانتفع به، ولا زمني مدة مقامي بمصر، وقرأ علي كثيراً وعلى من كنت أقرأ عليه كأبي صادق وابن بركات والفراء الموصلي وأنشد لنفسه:

إن المشيب من الخطوب خطيب ألا هو بعد الشباب يطيب

أبيات غير جيدة. قال أحمد بن سلفة: كتبت إلى المقرئ أبي عمرو عثمان بن علي بن عمر الصقلي الأنصاري بالإسكندرية كتاباً يشتمل على نظم ونثر من جملته:

ما وقعت عيني على مثله في فضله الوافي وفي نبذه
وليس بدعاً مثل أخلاقه منه وممن كان في شكله

فإنه من عنصر طيب ويرجع الفرع إلى أصله

فأجاب بهذه الورقة: وقفت على ما تفضلت به حضرته وانتهت إليه من الآداب همته، فمن نثر رأيت العلم مضمونه، والدر مكنونه، والحكمة قربنه. ومن نظم كانت الفصاحة يمينه، وفصل الخطاب عرينه. وود فصيح الكلام أن يكونه، وأحيا القلوب

وكشف لها المحجوب، من كل حكمة لم تكن لتصل إليه لولاه، وسحر بلاغة له منحه إياها الله. فقلت والخاطر لسفري خاطر، وماء مزني بعد شأبيبه قاطر:

توجني مولاي من قوله	تاجاً علا التيجان من قبله
لأنها تبلى وهذا إذا	مرت به الأيام لم تبلى
فنثره الإكليل في فرعه	ونظمه الجوهر من أصله
وهو فقيه حافظ في الوري	مهذب يجري على رسله
كلا وأما إن جرى فالوري	عذارهم ما كان من سيله
فعلمه يشتق من لفظه	ولفظه يشتق من فضله
تكاملت أوصافه كلها	ومثله من كان من مثله
وما أنا إلا كمهدٍ إلى	بغداد والبصرة من نخله

وأما ما ذكرت - حرسها الله تعالى - من كتاب الهدى لأولي النهى في المشهور من القراءات وما تضمن من الروايات:

فلو تفرغت إلى نقله	أو كان عندي الأم من شكله
عذري إلى مولاي أني امرؤ	مسافر والشغل من فعله
لكل من بعضه شاغل	وبعضه المشغول من كله

وأما ما يتعلق ببیت الأحوص من كلام، وما قلت فيه من نثر ونظام، فأنا آتي إليها، وأتلوه لديها، والله يديم النعمة عليها.

عثمان بن علي بن عمر الخزرجي الصقلي

أبو عمرو النحوي، روى عنه الحافظ، أبو طاهر أحمد ابن محمد بن أحمد السلفي، وأبو محمد بن بري النحوي، وأبو البقي صالح بن عادي العذري الأنماطي المصري نزيل فقط وقال: أنشدني أبو عمرو عثمان بن علي الصقلي لنفسه:

هين عليها أن ترى الصبا	يتجرع الأوصاب والكربا
من لم يصد بتكلفٍ قنصاً	وتعمدٍ للصيد لم يعبا
لا تعتني يا هذه بفتى	أخذت جفونك قلبه غصبا
أو ما علمت بأنه رجل	لما دعاه هواكم لباً؟

وقال في مختصر العمدة وقد ذكر قول الشماخ:

إذا بلغتني وحملت رحلى
وما ناقضه به أبو نواس من قوله:

أقول لناقتي إذ بلغتني

فلم أجعلك للغربان نحلاً

وذكر غير ذلك من هذا الباب ثم قال: ولي قصيدة أولها:

رحلت فعلمت الفؤاد رحيلاً

وحدا بها حادٍ حداً بي للنوى

وإذا الحبيب أراد قتل محبه

أذكر فيها خطابي الناقه، واحتست مما يؤخذ على الشماخ بأخذ من مذهب أبي نواس:

وإذا بلغت المرتضى فتسبى

إذ ليس يحوجني أسوم رحيلاً

والمرتضى يحيى بن تميم بن المعز بن باديس، وله كتاب مختصر في القوافي، رواه عنه السلفي في سنة سبع عشرة وخمسائة، وله كتاب مخارج الحروف مختصر أيضاً، وكتاب مختصر العمدة لابن رشيق، وكتاب شرح الإيضاح. وقال عثمان الصقلي في مختصره للعمدة وقد ذكر السرقات فقال لي من قصيدة أولها: نقلتها من خطه، وقد أعلم عليه، وهي علامة لنفسه:

وجوى ذكرت له الحمى فتسعرا

أنا أشتي من هاجري أن يهجرا

دمع رأى برق الحمى فتحدرا

لو لم يكن هجر لما عذب الهوى

فمتى وصلت وصلت ذاك العنصر

بيني وبين الحب نسبة عنصر

قال: ثم وجدت للموصلي:

فأين حلاوات الرسائل والكتب

إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضا

قال: والله در القائل:

أنصف المحبوب فيه لمسح

بنى الحب على الجوز فلو

عاشق يحسن تلفيق الحجج

ليس يستحسن في دين الهوى

ومما ذكره الصقلي لنفسه في هذا الكتاب أيضاً وقد ذكر الموارد قال: وهو ما ادعى في شعر امرئ القيس وطرفة من كونهما لم يفرق بين بيتيهما إلا بالقافية قال امرؤ القيس تجمل، وقال طرفة تجلد. قال الصقلي: وأعجب من ذلك أني صنعت قصيدة أولها:

وأصبح مخزوناً وأضحى مغرماً

يهون عليها أن أبيت متيماً

ومنها:

فقد يترجى الآل من شفه الظما

صلى مدنفاً أو واعدية وأخلفي

ضمان على عيني أن تيكيا دما

ضمان على عينيك قتلي وإنما

حشاشة صب أزمعت أن تصرماً

ليفدك ما أسارت مني فإنها

قال: ثم قرأت بعد ديوان البحرني فوجدت معظم هذه الألفاظ مبددة فيه قال: فإذا كانت أكثر المعاني يشترك فيها الناس حتى قطع ابن قتيبة أن قوله تعالى: (يريد أن ينقض)، لا يعبر عنه إلا بهذه العبارة ونحوها فغير مستنكر أن يشتركوا وتتفق ألفاظهم في العبارة عنها، ولكن أبي المولدون إلا أنها سرقة. قلت: لو قال في موضع أضحى من البيت الأول أمسى كان أجود ليقابل به أصبح ولو قال في البيت الثاني وقد يشتفي بالآل من شفه الظما كان أحسن في الصنعة وأجود.

عثمان بن عيسى البلطي

بن منصور، ابن محمد البلطي أبو الفتح النحوي هكذا ينسبونه، وهو من بلط التي تقارب الموصل، ذكره العماد في كتاب الخريدة فقال: انتقل إلى الشام وأقام بدمشق برهة تردد إلى الزيداني للتعليم، فلما فتحت مصر انتقل إليها فحظي بها، ورتب له صلاح الدين يوسف بن أيوب على جامع مصر جارية يقرئ به النحو والقرآن حتى مات بها لعشر بقين من صفر سنة تسع وتسعين وخمسائة، وهي آخر سني الغلا الشديد بمصر، لأن أولها كان في أواخر سنة ست وأشدها في سنة سبع وأخفها سنة تسع، وبقي البلطي في بيته ميتاً ثلاثة أيام لا يعلم به أحد لاشتغالهم بأنفسهم عنه وعن غيره، وكان يحب الانفراد والوحدة، ولم يكن له من يخبر بوفاته، وكان قد أخذ النحو عن أبي نزار وأبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان.

وقال المؤلف: لم يذكر العماد وفاته، وإنما أخبرني بوفاته وما بعده الشريف أبو جعفر محمد بن عبد العزيز بن أبي القاسم بن عمر بن سليمان بن الحسن ابن إدريس بن يحيى العالي بن علي المعتلي - وهو الخارج بالمغرب، والمستولي على بلاد الأندلس - ابن حمود بن سيمون بن أحمد بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله ابن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأخبرني الشريف المذكور وكان من تلامذته قال: كان البلطي رجلاً طوالاً جسيماً طويل اللحية واسع الجبهة أحمر اللون، يعتم بعملة كبيرة جداً ويتطلس بطيلسان لا على زي المصريين، بل يلقيه على عمامته ويرسله من غير أن يديره على رقبته، وكان يلبس في الصيف المبطنة والثياب الكثيرة، حتى يرى كأنه عدل عظيم، وكان إذا دخل فصل الشتاء اختفى حتى لا يكاد يظهر، وكان يقال له: أنت في الشتاء من حشرات الأرض، وكان إذا دخل الحمام يدخل إلى داخله وعلى رأسه مزدوجة مبطنة بقطن، فإذا حصل عند الحوض الذي فيه الماء الحار كشف رأسه بيده الواحدة وصب على رأسه الماء الحار الشديد الحرارة بيده الأخرى، ثم يغطيه إلى أن يملأ السطل ثم يكشفه ويصب عليه ثم يغطيه يفعل ذلك مراراً، فإذا قيل له في ذلك قال: أخاف من الهواء. قال الإدريسي: هذه كانت حاله في هيئته وسمته، فأما علمه: فكان عالماً إماماً نحوياً لغوياً أخبارياً مؤرخاً شاعراً عروبياً، قلما سئل عن شيء من العلوم الأدبية إلا وأحسن القيام بها، وكان يخط المذهبين في النحو، وحسن القيام بأصولهما وفروعهما، وكان مع ذلك خليعاً ماجناً شريباً للخمر منهمكاً في اللذات.

قال الشريف الإدريسي: فحدثني الفقيه ابن أبي المالك قال: خرجت إلى بعض المتنزهات بضواحي مصر، فلقيت البلطي مع جماعة من أهل الخلاعة، ومطرب يغنيهم ببعض الملاهي، وهو ثمل يتمايل سكرأ، فتقدمت إليه وكانت بيني وبينه مباسطة،

تقضي ذلك، فقلت له: يا شيخ، أما أن لك أن ترعوى، وتقلع عن هذه الرذائل مع تقدمك في العلم وفضلك، فنظر إلى شزراً ولم يكثر بقولي، وأنشدني بعد ما نثر يده من يدي شعر أبي نواس:

كفيت الصبي من لا يهش إلى الصبي
لعمرك ما فرطت في جنب لذة
وجمعت منه ما أضاع مضيع
ولا قلت للخمار كيف تبيع؟

وحدثني الإدريسي. قال: ومن نوادره ما أخبرني به صاحبنا الفقيه أبو الجود ندى بن عبد الغني الحنفي الأنصاري قال: حضر يوماً عند البلطي بعض المطربين المحسنين فغناه صوتاً أطربه به، فبكى البلطي فبكى المطرب، فقال له البلطي: أما أنا فأبكي من استقزاز الطرب، وأنت ما أبكاك؟ فقال له: تذكرت والدي فإن كان إذا سمع هذا الصوت بكى؟ فقال له البلطي: فأنت والله إذا ابن أخي، وخرج فاشهد على نفسه جماعة من عدول مصر بأنه ابن أخيه ولا وارث له سواه، ولم يزل يعرف بابن أخي البلطي إلى أن فرق الدهر بينهما، وللبلطي من التصانيف: كتاب العروض الكبير في نحو ثلاثمائة ورقة، كتاب العروض الصغير، كتاب العظاات الموقظات، كتاب النير في العربية، كتاب أخبار المتنبي، كتاب المستزاد على المستجاد من فعلاات الأجواد، كتاب علم أشكال الخط، كتاب التصحيف والتحريف، كتاب تعليل المبادات. قال العماد في كتاب الخريدة: وللبلطي موشحة عملها في القاضي الفاضل بديعة مليحة، سلك فيها طريق المغاربة وحافظ فيها على أحرف الغين والضاد والذال والطاء، وصرع التوشيح وهى:

ويلاه من رواغ	بجوره يقضي
طبي بني يزداد	منه الجفا حظي
قد زاد وسواسي	مذ زاد في التيه
لم يلق في الناس	ما أنا لاقيه
من قيم قاسي؟	بالهجر يغريه
أروم إيناسي	به ويثنيه
إذا وصال ساغ	بقربه يرضى
أبعده الأستاذ	لا حيط بالحفظ
وكل ذا الوجد	بطول إبراقه
مضرج الخد	من دم عشاقه
مصارع الأسد	فى لحظ أحداقه
لو كان ذا ودٍ	رق لعشاقه
شيطانه الناغ	علمه بغضي
واستحوذ استحواذ	بقلبه القظ
دع ذكره واذكر	خلاصة المجد
الفاضل الأشهر	بالعلم والزهد
والطاهر المنرر	والصادق الوعد
وكيف لا أشكر	مولى له عندي
نعمى لها إسباغ	صائنة عرضي
من كف كاس غاذ	والدهر ذو عظ
منة مستبقى	ضاق به ذرعي
قد أفحمت نطقى	واستنفدت وسعى
وملكت رقى	مكمل الصنع
دافع عن رزقي	في موطن الدفع
لما سعى إيتاغ	دهري في دحضي
أنقذني إنقاذ	من همه حفظي
ذو المنطق الصائب	في حومة الفصل

ذكاؤه التاقب
فهو الفتى الغالب
من عمرو والصاحب
لا يستوي الأفراغ
أين من الأزاد
يا أيها الصدر
قد مسني الضر
وعبدك الدهر
وليس لي عذر
من صرف دهر طاغ
من بك أمسى عاذ
قد كنت ذا إنفاق
فعيل لما ضاق
والعسر بي حاق
يا قاسم الأرزاق
لا زلت كهف الباغ
أمرك للإنفاذ

ومن جيد شعر البلطي:

دعوه على ضعفي يجور ويشنط
ولا تعتبوه فالعتاب يزيده
فما الوعظ فيه والعتاب بنافع
ولما تولى معرضاً بجنابة
بكيت دماً لو كان ينفعي البكا
تنازعت الأرام والدر والمها
فللرئ منه اللحظ واللون والظلى
وللغصن منه القد والبدر وجهه
وللسقط منه ردفه فإذا مشى
قال العماد الكاتب: وأنشدني البلطي لنفسه:
حكمته ظالماً في مهجتي فسطا
هلا تجنبته والظلم شيمته
ومن أضل هدى ممن رأى لهياً
ويلاه من تائه أفعاله صلف
أبته ولهأ صدقاً ويكذبني

وله في القاضي الفاضل وكان قد أسدى إليه معروفاً من قصيدة:

لله عبد رحيم
على سراطٍ سوي
نسك ابن مريم عيسى
رأى التهجّد أنسا

يجل عن مثل
كان ذوي النبل
ومن أبو الفضل؟
بواحد الأرض
نفاية المظ
فت الورى وصفا
والحال ما تخفى
يسومني الخسفا
ما دمت لي كهفا
أنى له أغضى؟
لم يخشى من بهظ
أيام ميسوري
رزقي تدبيري
عقيب تبذيري
فارث لتفتيري
ودمت في حفظ
والسعد في لظ

فما بيدي حل لذاك ولا ربط
ملالاً وأنى لي اضطبار إذا يسطو
وإن يشرط الإنسان لا ينفع الشرط
وبان لنا منه الإساءة والسخط
ومزقت ثوب الصبر لو نفع العط
لها شبيهاً والغصن والبدر والسقط
وللدر منه اللفظ والثغر والخط
وعين المها عين بها أبداً يسطو
بدا خلقه كالموج يعلو وينحط

وكان ذلك جهلاً شبته بخطا
ولا أ سأم به خسفاً ولا شططا
فخاض فيه وألقى نفسه وسطاً؟
ملون كلما أرضيته سخطا
وعداً وأقسط عدلاً كلما قسطا

يدعى بعبد الرحيم
من الهدى المستقيم
وهدى موسى الكليم
في جنح ليلٍ بهيم

مسهد الطرف يتلو
ومن أطبع ما قاله في طبيبٍ وكان ابن عمه:
لي ابن عم حوى الجهالة لل
قد اقتفى مذ نشأ به ملك ال
يجس نبض المريض منه يد
يقول لي الناس خله عضداً
ومن شعره في غلام أعرج:
أنا يا مشتكي القزل
أصبح الجسم ناحلاً
دلني قد عدمت صب
أن أن تجفو الجفا
وقال عثمان بن عيسى بن منصور البلطي وسئل أن يعمل على وزن بيتي الحريري اللذين وصفهما فقال:
أسكتا كل نافثٍ،

وهو:

أي القرآن العظيم
حكمة أضحى يطب في البلد
موت فما إن يبقى على أحد
أسلم منها برائن الأسد
يا ليتني أبقي بلا عضد
منك في قلبي الشعل
بك والقلب مشتغل
ري وضافت بي الحيل
ء وأن تملل الملل
وقال عثمان بن عيسى بن منصور البلطي وسئل أن يعمل على وزن بيتي الحريري اللذين وصفهما فقال:
وأما أن يعززا بثالثٍ

فقال:

سم سمة نحمد آثارها
واشكر لمن أعطى ولو سمسمة
محلمة العاقل عن ذي الخنا
مكلمة الخائض في جهله
مهدمة العمر لحر إذا
محرمة الملحف أولى به
مسلمة يمنعها غاصب
مظلمة يفعلها صامداً
أعلمه الحسن فيا ليت من
من دمه أهدره الحب لا
أسلمه الحب إلى هلكه
أشأمة البين وقد أعرقوا
مكتمة الأحزان في أدمعي
محرمة الدهر أفيقي ففي
مقسمة الأرزاق في كفه
وهي خمسون بيتاً هذا نموذجها، وقال على أمثال أبيات الحريري التي أولها:
أس أرملاً إذا عرا

فقال:

إسع لإبقاء سنا
أنسأ قباً لعسا
النساء: الشرف وقصره ضرورة. أنسأ: أخر. القب: الضواير البطون. والعس: العذبات الأرياق. أي أخر عن محبة هذا الشرف
هذه النسوة الموصوفات.
أسخ بمولى عرد
المولى ابن العم
أسد ندى عف فما
أسد: أعط، والندس: الجميل الأخلاق.
درعاه لؤم بخسا
من يعود ندسا

إسمح بصدد ناعم
 يقول: إذا كان لك حبيب ناعم حسن وكان كثير الخلاف فلتسمح نفسك به وبالبعد عنه.
 أسمر تيمك أيئس
 إياس ميت رمسا
 يقول: بلغ من حالك أن تترك الأسمر إذ لو كان غير الأسمر كنت معذوراً كأنه يستبجح السمر، أي أيئس منه إياساً وعده ميتاً في
 رمسه وسكن تيمك ضرورة كقوله:
 شكونا إليه خراب القرى
 فحرم علينا لحوم البقر
 وله أبيات يحسن في قوافيها الرفع والنصب والخفض:
 إني امرؤ لا يصطبي
 نى الشادن الحسن القوام ما
 رفع القوام بالحسن لأنه صفة مشبهة باسم الفاعل والتقدير الحسن قوامه، كما يقول: مررت بالرجل الحسن وجهه ونصبه على
 الشبه بالمفعول به، وخفضه بالإضافة:
 فارقنت شرة عيشتي
 أن فارقنتي والعرام ما
 رفع العرام لأنه عطف على الضمير في فارقنتي، ونصبه عطفاً على شرة، وخفضه عطفاً على عيشتي:
 لا أستلذ بقينة
 تشدو لدي ولا غلام ما
 رفعة عطفاً على الضمير في تشدو، ونصبه بلاد، وخفضه عطفاً على قينة
 ذو الحزن ليس يسره
 طيب الأغاني والمدام ما
 رفعه عطفاً على طيب، ونصبه بأن نجعل الواو بمعنى مع، وخفضه عطفاً على الأغاني:
 أمسى بدمع سافح
 في الخد منسكب سجام ما
 رفع بإضممار هو، ونصبه بإضممار فعل، وجره نعتاً للدمع:
 ثم أرى في بثة
 ذلاً وملء لجام ما
 ملء فمي لجام مبتدأ وخبر، ونصبه بإضممار أرى، دلت عليه أرى الأولى، وجره بالإضافة:
 قدر علي محتم
 من فوق يأتي أو أمام ما
 مبني علي الضم، ونصبه بجعله نكرة ويكون ظرفاً، وجره بالإضافة:
 لا يستقيق القلب من
 كمد لاقى أو غرام ما
 غرام خبر مبتدأ محذوف، والنصب جعله مفعولاً، ليلافي، وخفضه عطفاً على كمد:
 كم حاسدين معاندي
 ن عدوا على وكم لئام ما
 كم تنصب وتخفض، ورفع كأنه قال: مر وعدا على لئام:
 إني أرى العيش الخمو
 ل، وصحبة الأشرار ذام ما
 صحبة الأشرار ذام مبتدأ وخبر، ويجوز نصبها عطفاً على ما تقدم:
 في غفلة أيقاظهم
 عن سؤدد بله النيام ما
 بله لفظة معناها دع، ويكون بمعنى كيف، ويرتفع ما بعدها ويكون كالمصدر فيخفض بها، والنصب لأنها بمعنى دع:
 رب امرئ عاينته
 لهجاً بسبي مستهام ما
 مستهام منصوب بعائنته، ورفع على موضع رب، لأن رب وما يدخل عليه في موضع رفع، وخفضه تبعاً لامرئ:
 عين العدو غدوت مض
 سطرراً بصحبته أسام ما
 أسامي: أفاعل من المساماة، وأسام: أتكلف من قوله: سمته الخسف، وأسام أفاعل من المساماة أيضاً
 مالي وللحمق الأتي
 م الجاهل القدم ألبان ما
 رفعه بإضممار مبدأ، ونصبه بإضممار أعنى:
 إن المموه عند قد
 م الناس يعلو والطغاة ما
 رفعه عطفاً على موضع إن، ونصبه عطفاً على المملوء، وخفضه عطفاً على قدم:
 وأعيش فيهم إذ بلو
 تهم وقد جهلوا الأنام ما

الرفع على البذل من الواو في جهلوا، ويكون فاعلاً في لغة من قال أكلوني البراغيث، ونصبه على البذل من الضمير في بلوتهم، وجره بدلاً من الهاء في فيهم:

حتى متى شكوى أخي الل
رفعه بتقدير أن يشكو المستضام لأن شكوى مصدر وأخي البث في موضع رفع المستضام، ورفع أخي البث على الموضع، ونصبه على أن يكون مشكواً، وخفضه نعتاً للكثير:

ما من جوى إلا تض
رفعه عطفًا على موضع من جوى، وجره على لفظة جوى، ونصبه عطفًا على الضمير في تضمنه:
ليس الحياة شهية
رفعه بلا، ونصبه بلا أيضاً، وجره بالعطف على شهية بتقدير الباء، كأنه قال بشهية كما أنشد سيبويه:
مشائم ليسوا مصلحين عشيرة
وكرهت في الدنيا البقا
رفع على الضمير في تنكد، ونصبه عطفًا على البقاء، وجره بالقسم:
ما في الورى من مكرم
جره على لفظ مكرم:

إني وددت وقد سئم
رفعه بالفاعل، ونصبه بوددت، وجره بالإضافة. وقال أيضاً أبياتاً حصر فيها قوافيها ومنه أن يزداد فيها:
بأبي من تهتكى فيه صون
بين ذل المحب في طاعة الحب
أين مضنى يحكى البهارة لونا
لي حبيب ساجي اللواظ أحوى
يلبس الوشي والقباطي جون
إن رمانى دهري فإن جمال ال
عنده للمسيء صفح وللأس
زانه نائل وحلم وعدل
أنا في ربه الخصيب مقيم
لا أزال الإله عنه نعيماً

ت العيش لو يدنو حمام ما
رب وافٍ لغادر فيه خون
ب وعز الحبيب يا قوم بون
من غرير له من الورد لون؟
مترف زانه جمال وصون
فوق جون ولون حالي جون
دين ركني وجوده لي عون
رار مستودع وللمال هون
ووفاء جم ورفق وأون
لي من جوده لباس وصون
وسروراً ما دام للخق كون

عرب بن محمد بن مصرف

ابن عريب القرطبي أبو مروان، له سماع بالمشرق على أبي الحسن بن جهضم بمكة، وكان من أهل الأدب والشعر وحسن الإبراد للأخبار، وقتل خطأ على باب داره في ربيع الآخر سنة تسع وأربعمائة، ذكر وفاته ابن حيان.

عزير بن الفضل بن فضالة بن مخراق

ابن عبد الرحمن بن عبيد الله بن مخراق الهذلي يعرف بابن الأشعث، أخباري راوية لغوي نحوي ذكره محمد بن إسحاق النديم ولم يذكر تاريخ وفاته، وله من الكتب كتاب صفات الجبال والأودية وأسمائها بمكة وما والاها، قال الأزهرى في مقدمة كتابه: وله كتاب لغات هذيل.

عسل بن ذكوان العسكري

من أهل عسكر مكرم، ويكنى أبا علي، روى عن المازني والرياشي ودماء، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: كان في أيام المبرد، ولم يذكر تاريخ وفاته، وله من الكتب: كتاب الجواب المسكت، وكتاب أقسام العربية.

عطاء بن مصعب، الملقب

قرأت بخط أبي منصور الأزهرى في كتاب نظم الجمان، حدثنا أبو جعفر بن محمد بن الفرّج الغساني قال: حدثنا أحمد بن عيسى مؤدّب ولد إسحاق بن إبراهيم قال: كان أستاذ الأصمعي وأبي عبيدة عطاء الملقب رجل من أهل البصرة، وكانوا يعتقدون إليه ويتعلمون منه، فبلغه أن الأصمعي اتخذ حلقة واجتمعت إليه جماعة فغاضة ذلك، فلما انصرف من حلقة استتبّع أصحابه فقال: مروا بنا إلى ظاهر البصرة، فخرجنا حتى مررنا بشيخ معه أعزّ يرعاهن وعليه جبة صوف فقال له: يا قريب، فقال: لبيك قال: ما فعل الأصمعي ابنك؟ فقال: هو عندكم بالبصرة، فقال: هذا أبو الأصمعي لئلا يقول غداً إنه من بني هاشم.

عطاء بن يعقوب بن ناكل

أحد أعيان فضلاء غزنة، وهو من أولاد الثناء، وكان ابن عمه الكوثال، وهو مستحفظ القلعة، تلقب بهذا وهو بالهندية وإليه مصادر الأمور ومواردها عند غيبة سلطان البلاد. قال صاحب سر السورور: إذا اجتمع الأفاضل في مضممار التفاضل، واتزنوا بمعيار التساجل، كان هذا الشيخ هو الأبعد إحضاراً، والأرجح مقداراً. أقر له بالتقدم رجالات الآفاق، وأذعن له بالترجيح فضلاء خراسان والعراق. حتى أشرق شمساً وهم بين كوكب وشهاب، وأعذب بحراً وهم ما بين نهر وسراب، يجلو عليه الفضل نفسه في معرض الإحسان، ويناغيه أهل الفضل بلسان القصور والإذعان، وتشرّب إلى قلانده أجياد الأنام، وتتباهى برسانله مواقع الأقلام. ولم يزل منذ شب إلى أن اشتعل الشيب برأسه، ورسب قذى العمر في آخر كأسه. بين اقتباس يسطاد به وجوش الشوارد، وإقباس ينثر منه لآلى القلائد، وإبداع صنعة في الشعر ما جمش الأديب بأطرف من بدائعها، واختراع نادرة ما تحف الفضل بأطرف من روائعها، واختراع نادرة ما تحف الفضل بأطرف روائعها، وقد سافر كلامه من غزنة إلى العراق، ومن ثم إلى سائر الآفاق. حتى إنني حدثت أن ديوان شعره بمصر يشترى بمائتين من الحمر الراقصات على الظفر والمشهور أن ديوان شعره العربي والفارسي يشترى بخراسان بأوفر الأثمان. وكيف لا، ما من سمة من كلماته إلا وحققها أن تملك بالأنف وتقتنى، وتباع بالأنف وتشتري. وهذا نموذج من نثره مردف بما وقع عليه الاختيار من شعره: صدر كتاب صدر منه إلى بعض الصدور أطال الله بقاء الشيخ في عز مرفوع كلسم كان وأخواتها إلى فلك الأفلاك، منصوب كلسم إن وذواتها إلى سمك السمك، موصوف بصفة التماء، موصول بصلة البقاء، مقصور على قضية المراد، ممدود إلى يوم التناد، معرف به، مضاف إليه، مفعول له، موقوف عليه، صحيح سالم من حروف العلة، غير معتل ولا مهموز همز الذلة، يثني ويجمع دائماً جمع السلامة والكثرة، لا جمع التفسير والقلّة، ساكن لا تغيره يد الحركة مبني على اليمين والبركة، مضاعف مكرر على تناوب الأحوال، زائد غير ناقص على تعاقب الأحوال، مبتدأ به خبره الزيادة، فاعل مفعوله الكرامة، مستقبلة خير من ماضيه حالا، وغده أكثر من يومه وأمسه جلّالاً، له الاسم المتمكن من إعراب الأمانى، والفعل المضارع للسيف اليماني، لازم لربعه لا يتعدى، ولا ينصرف عنه إلى المدى، ولا يدخله الكسر والتنوين أبداً، يقرأ باب التعجب من يراه منصوباً على الحال إلى أعلى ذراه، متحركاً بالدولة، والتمكين، منصرفاً إلى ربوة ذات قرار ومعين.

وهذا دعاء دعوت له على لسان النحو، وأنا داع له بكل لسان على هذا النحو، ولولا الاحتراز العظيم من أن يمل الأستاذ الكريم لسردت أفراده سرداً، وجعلت أوراده ورداً، وجمعت أعداده عقداً، ونظمت أباداه عقداً ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين. فصل من كتاب: منذ توردت هذه الناحية لم يرد على سحاحة أروي بها كبدي الصادية وأجلو حالي الصادية وأستظهر بها على دهر يقصدني حيثما قصدت، ويضربني أينما ضربت ولم أخلص بعد من ألسنة أبنائه في ذلك الحي حتى ابتليت بألسنة بناته في هذا الفي، وطلت علينا عارضة داجية الجو باكية النوء، وأمطرتنا مطر السوء، بوفاة العينة المسكينة، فتضاعف سقم برح بي فلا يبرح، وترادف ألم ألح علي فلا لحاح وما حال أفق أقل نهاره، وروض ذبلت أهاره، وقلب زال قراره، وخب زاد أواره، وكثير فارق عزته ثم فقد عزته، والمصيبة في الغربة أقطع، ونك القرح بالقرح أوجع، وأكثر ما جر علي هذه الفادحة تطيري بفلان، فإنه بكر على يوم النوروز متأبطاً طوماراً أطول من يوم الحشر قد أربى ذراعاً على العشر، يضيق عن نطاق النشر، ملأه نظماً ونثراً في مرثية جارية له قد ماتت منذ خمسين سنة ذكر فيه غرثها ونعرتها وطرتها ودرتها وعمرتها وخمرتها وسرتها وصرتها فتشفعت إله، وتضرعت بين يديه، وقلت له: أنشدك الله إلا طويته وأدرجته، وأدخلته من حيث أخرجته، فأبى إلا جماعاً في المسجد، وسل مقولاً كالمعول، وجعل يكيل من تلك الأهواس، إذا قرأ سطرأ أعاد إلى الراس، وحكى أساطير الأولين، ورفع العويل والأنين، وأرسل المخاط والذنين، كلما قال لفظة سعل، وأخرج من قعر حلقة جعل، وأنا أنزوي كما تنزوي الجلدة في النار، وألتوي كما تلتوي الحية على الأوار، لا يمكنني أن أقرأ، ولا تركني حتى أقرأ، إلى نصف النهار، ولم ينصف بعد الطومار، وقمنا إلى المفروض. ولما انفصلت من ذلك المكان وصل كتاب التحول إلى الموتان، وحمت المسكينة في الحال، ووقعنا في الأوجال، والله نصيري على الزمان والإخوان وحسبي، وقد قل منه ومنهم حظي ونصيب. فصل من كتاب: الصحبة نسبة في شرع الكرم والمعرفة عند أهل النهى أوفى الذمم، والأخوة لحمه دانية، والمصافاة قرابة ثانية،

ولو كان ما بين ذات البين ما بين القطبين لوجب أن يقطعا عرض السما كالمجرة مواصلّة، ويتصلا اتصال الكواكب مراسلة، ولكن الأقوام في العقوق سواسية، والقلوب في رعاية الحقوق قاسية، ومن شعره:

أحلب من دنائي جداء ما بها
وأسبح في بحر السراب ضلالة
على كثرة الإيساس در ولا جدى
وأترك صداء وبى حرق الصدى

وله:

قريض تجلى مثل ما ابتسمت أروى
تجلى كأروى في حجال سطوره
كغصن الشباب الغض غاض بهائه
إذ الدهر غض ناضر العود ناظر
قريض به زادت لقلبي غلة
ترشفت من فيه الرضاب فما أروى
وأنزل من شم الجبال لنا أروى
وعهد اللوى ألوى به زمن ألوى
إلينا بما يهوى ولم يلق في المهوى
وغيري به يروي الغليل إذا يروى

وله:

يا ظبية سلت ظبياً من جفنها
ما كنت أدري قبل جفئك أن أج
تفرى بها أعناق آساد الورى
فان الطباء تكون أجفان الطبي

وله:

إذا ما نبا حد الأسنة والطبي
قصف رمح الخط وسط كتائب
فما نابه في الحادّات بناب
إذا هز رمح الخط وسط كتاب

وله:

وكم حل عقداً للحوادث عقده
كمخلب ليث الغاب حداً وحده
إذا صاد ليث العنكبوت ذبابة
وكم فل ناباً للنوائب نابيه
ومخلب ليث الفضل والعلم غابه
فهذا حسام صاد ليثاً ذبابيه

وله أيضاً مما أورده ابن عبد الرحيم عن العميد أبي سعد عبد الغفار بن فاخر البستي:

أيا من إن رآه البد
ويا من غيم نائله
ويا من فضله يدنو
أتذكرني إذا أخلو
ر ظل لوجهه يسجد
يجود لنا ولا يرعد
ولكن وصفه يبعد
ومالي لا أرى الهدهد

وله:

الله حار عصابة ودعتهم
قد كان دهري جنة في ظلمهم
كانوا غيوث سماحة وتكرم
رحلوا على رغمي ولكن حبهم
قد خانهم صرف الزمان لأنهم
طلقت لذاتي ثلاثاً بعدهم
الله حيث تحملوا جار لهم
والعيش غض والمناهل عذبة
والدمع يهمى والفؤاد يهيم
ساروا فأضحى الدهر وهو جحيم
فالיום بعدهم الجفون غيوم
بين الفؤاد المستهام مقيم
كانوا كراماً والزمان لئيم
حتى يعود العقد وهو نظيم
والأمن دار والسرور نديم
والجو طلق والرياح نسيم

عكرمة مولى ابن عباس

يكى أبا عبد الله. سمع عبدالله بن عباس وعائشة وأبا هريرة وعبد الله بن عمر. وروى عنه جماعة من التابعين، منهم الشعبي وإبراهيم النخعي ومحمد بن سيرين وجابر بن زيد. ومات فيما قرأت بخط الصولي من كتاب البلاذري سنة خمس ومائة، وقيل ست ومائة، وهو ابن ثمانين سنة قال: وكان موته وموت كثير عزة في يوم واحد فوضعا جميعاً وصلى عليهما، وكان كثير

شيعياً، وعكرمة يرى رأي الخوارج، ذكره الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن البيع في تاريخ نيسابور، وقال بإسناده: كان جوالاً وفاداً على الملوك، أتى خراسان فنزل مرو زماناً، وأتى اليمن ومات بالمدينة، وورد خراسان مع يزيد بن المهلب.

وحدث بإسناد رفعه إلى عبد الله بن أبي رواد قال: رأيت عكرمة بنيسابور فقلت له: تركت الحرمين وجئت إلى خراسان؟ قال: جئت أسعى إلى بنياتي.

وحدث بإسناد رفعه إلى أبي خالد بعد المؤمن بن خالد الحنفي قال: رأيت عكرمة يخرج من البيت وقد جاء الثلج فعال: اللهم أرحني من بلدة رزقها في عذابها.

قال الحاكم: وقد حدث عكرمة بالحرمين ومصر واليمن والشام والعراق وخراسان، وحدث بإسناد رفعه إلى يزيد النحوي عن عكرمة قال: قال لي ابن عباس أنطاق فأفت الناس فأنا لك عون. قال: قلت لو أن هذا الناس مثلهم بين لأفتيتهم. قال: انطلق فأفت الناس فمن جاءك يسألك عما يعنيه فأفته، ومن سألك عما يعنيه فلا تفته، فإنك تطرح عنك ثلثي مئونة الناس.

وذكر القاضي أبو بكر محمد بن عمر الجعابي في كتاب الموالي عن ابن الكلبي قال: وعكرمة هلك بالمغرب وكان قد دخل في رأي الحرورية الخوارج فخرج يدعو بالمغرب إلى الحرورية.

حدث أبو علي الأهوازي قال: لما توفي عبد الله بن عباس كان عكرمة عبداً مملوكاً فباعه علي بن عبد الله ابن عباس من خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار، فأتى عكرمة علياً فقال له: ما خير لك؟ أتبيع علم أبيك؟ فاستقال خالداً فأقاله وأعتقه، وكان يرى رأي الخوارج، ويميل إلى استماع الغناء، وقيل عنه: إنه كان يكذب على مولاه والله أعلم.

وقال عبد الله بن الحارث، دخلت على علي بن عبد الله بن عباس - وعكرمة موثق على باب الكثيف - فقلت: أتفعلون هذا بمولاكم؟ فقال: إن هذا يكذب على أبي وقد قال ابن المسيب لمولاه: لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس.

وقال يزيد بن هارون: قدم عكرمة مولى ابن عباس البصرة فأتاه أيوب السختياني وسليمان التميمي ويونس ابن عبيد فبينما هو يحدثهم إذ سمع غناء فقال عكرمة: اسكتوا فنسمع ثم قال: قاتله الله فلقد أجاد، أو قال: ما أجود ما قال: فأما سليمان ويونس فلم يعودا إليه وعاد إليه أيوب، فقال يزيد بن هارون: لقد أحسن أيوب. الرياشي عن الأصمعي عن نافع المدني قال: مات كثير الشاعر وعكرمة في يوم واحد.

قال الرياشي: فحدثنا ابن سلام: أن أكثر الناس كانوا في جنازة كثير لأن عكرمة كان يرى رأي الخوارج، وتطلبه بعض الولاة فتغيب عند داود بن الحصين حتى مات عنده سنة سبع ومائة في أيام هشام ابن عبد الملك، وهو يومئذ ابن ثمانين سنة.

وعن أبي عبد الله المقدمي: كان عكرمة مولى بن عباس يكنى أبا عبد الله، وكان لحصين بن أبي الحر العنبري جد عبيد الله بن الحسين العنبري قاضي البصرة فوهبه لابن عباس حين جاء والياً على البصرة بعلي بن أبي طالب عليه السلام.

وقال أبو أحمد الحافظ: عكرمة، ولى ابن عباس أصله بربري من أهل المغرب احتج بحديثه عامة الأئمة القدماء، لكن بعض المتأخرين أخرج حديثه من حيز الصحاح، وعن عكرمة قال: طلبت العلم أربعين سنة وكنت أفتى بالباب وابن عباس في الدار.

وعن إسماعيل بن أبي خالد: سمعت الشعبي يقول: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة. وعن زيد بن الحباب: سمعت سفيان الثوري يقول بالكوفة: خذوا التفسير عن أربعة: سعيد بن جبيرة وعكرمة ومجاهد والضحاك، قال علي بن المدائني: لم يكن في موالى ابن عباس أغزر من عكرمة، كان عكرمة من أهل العلم.

وعن هشام بن عبد الله بن عكرمة المخزومي: سمعت ابن أبي ذئب يقول: كان عكرمة مولى ابن عباس ثقة. وقال المروزي: قلت لأحمد بن حنبل: تحتج بحديث عكرمة؟ فقال: نعم نحتج به. عثمان بن سعيد الدارمي: قلت ليحيى بن معين: فعكرمة أحب إليك عن ابن عباس أو عبيد الله عن عبد الله؟ فقال: كلاهما ولم يختر فقلت: وعكرمة أو سعيد بن جبيرة، فقال: ثقة وثقة ولم يختر، قال عثمان بن سعيد: عبيد الله أجل من عكرمة. قال: وسألته عن عكرمة بن خالد فقال: ثقة. قلت: هو أصح حديثاً أو عكرمة مولى ابن عباس؟ فقال: كلاهما ثقتان، وقال يحيى بن معين: إذا رأيت إنساناً يقع في عكرمة وفي حماد بن سلمة فاتهمه على

الإسلام. حماد بن زائد: حدثنا عثمان بن مرة: قلت للقاسم إن عكرمة مولى ابن عباس قال: حدثنا ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المزفت والمقير والدباء والحنثم والحرار فقال: يا بن أخي إن عكرمة كذاب يحدث غدوة حديثاً يخالفه عشياً. يحيى بن البكاء: سمعت ابن عمر يقول لنافع: اتق الله ويحك يا نافع، ولا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس، كما أحل الصرغ وأسلم ابنه صيرفياً. يزيد بن زناد قال: دخلت على علي بن عبد الله ابن مسعود وعكرمة مقيد على باب الحش، قلت: ما لهذا كذا، قال: إنه يكذب.

علاقة بن كرسم الكلابي

أحد بني عامر بن كلاب، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: كان في أيام يزيد بن معاوية وله علم بالأنساب والأخبار وأحاديث العرب القديمة، وقد أخذ عنه من ذلك شيء كثير، وكان يزيد بن معاوية قد أدخله في سماره. مات ولم يعلم تاريخ وفاته. وله كتاب الأمثال في نحو خمسين ورقة، قال محمد بن إسحاق: رأيت هذا الكتاب.

علان الوراق الشعبي

أخلى موضع اسم أبيه، ذكره محمد بن إسحاق فقال: أصله من الفرس وكان علامة بالأنساب والمثالب والمنافرات، منقطعاً إلى البرامكة، وينسخ في بيت الحكمة للرشد والمأمون والبرامكة مات. قال: وعمل كتاب الميدان في المثالب الذي هتك فيه العرب وأظهر مثالبها، وكان قد عمل كتاباً لم يتمه سماه الحلية انقضى أثره، قال: كذا قال ابن شاهين الأخباري، وله من الكتب: كتاب الميدان في المثالب يحتوي على جميع مثالب العرب ابتداءً ببني هاشم قبيلة بعد قبيلة على الترتيب إلى آخر قبائل اليمن على ترتيب كتاب ابن الكلبي، وله أيضاً كتاب فضائل كنانة كتاب النمر بن قاسط، كتاب نسب تغلب بن وائل، كتاب فضائل ربيعة، كتاب المنافرة، وذكر محمد بن أبي الأزهر: كان في جوارنا بباب الشام فتى يعرف بالفيرزان وكان يورق في دكان علان الشعبي وأورد خبراً دل به على أن علاناً كان وراقاً له دكان يبيع فيه الكتب وينسخ، وحدث أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى في كتاب الوزراء والكتاب من تصنيفه قال: كان بعض أصحاب أحمد بن أبي خالد الأحول قد وصف له علاناً الشعبي الوراق فأمر بإحضاره وبأن يستكتب له، فأقام في داره فدخلها أحمد بن أبي خالد يوماً فقام إليه جميع من فيها غير علان الوراق فإنه لم يبق له؟ فقال أحمد: ما أسوأ أدب هذا الوراق فإنه لم يبق له. فقال أحمد: ما أسوأ أدب هذا الوراق وسمعه علان فقال: كيف أنسب أنا إلى سوء الأدب ومني تتعلم الآداب وأنا معدنها، ولماذا أردت مني القيام لك، ولم أتك مستمياً لك، ولا راغباً إليك، ولا طالباً منك وإنما رغبت إلي في أن أتيتك فأكتب عندك فجئت لك حاجتي إلى ما أخذه من الأجرة، وقد كنت بغير هذا منك أولى، ثم حلف أيماناً مؤكدة ألا يكتب عد يومه حرفاً في منزل أحد من خلق الله تعالى، وجدت في بعض الكتب قال علان - وكان قبيحاً - مررت بمخنث يغزل على حائط فقال لي: من أين؟ قلت: من البصرة قال لا إله إلا الله، تغير كل شيء حتى هذا، كانت القروء تجلب من كمة واليمن والآن تجيء من العراق. قال المؤلف: هكذا وجدت هذا الخبر قال فيه علان ولم يقل الشعبي. قال: فإن كان هو فهو المراد، وإن كان غيره فقد مرت بك حكاية ممتعة فإله بها، وإن تحقق عندك أن هو هو فأصلحه مأجوراً مثباً. وذكره المرزباني في المعجم فقال: علان الوراق المعروف بعلان الشعبي وكان شعوبياً، وله في المثالب كتاب سوء وهو مأموني لما قال عبد الله بن طاهر قصيدته التي أولها:

ومدم الإغضاء موصول ومديم العتب مملول

وفخر فيها بقتل أبيه طاهر محمداً الأمين، فأجابه محمد بن يزيد الحصري بقصيدته التي أولها:

لا يركك القال والقيـل كل ما بلغت تحمـيل

ورد عليه فيها وهجاء قبيحاً. قال علان الشعبي قصيدة رد فيها على المسلمي وهجاه ومدح عبد الله بن طاهر وفضل العجم على العرب يقول فيها:

أيها اللاطي بحفرته في قرار الأرض مجعول

قد تجاللت على دخل واستخفتك التهاويل

وأبو العباس غادية لعزاليه الأهاليل

تمطر العقيان راحته وله بالجود تهطيل

رستمي في ذري شرف زانه تاج وإكليل

وعليه من جلالته كرم عد وتبجيل

وله لي فخراً مباءته في قرار النجم مأهول

هم لما حازوا مباديل
غرر زهر مقاول

ورجالاً شربهم غدق
كسرويات أبوتنا

العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا

أبو سعدٍ من أهل الكرخ، أحد الكتاب المعروفين ومن يضرب به المثل في الفصاحة وحسن العبارة، وكان نصرانياً فأسلم في زمان الوزير أبي شجاع وحسن إسلامه. قال الهمذاني: في رابع عشر صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة، خرج توقيع الخليفة بإلزام أهل الذمة لبس الغيار والتزام ما شرطه عليهم عمر بن الخطاب، فهربوا كل مهربٍ وأسلم بعضهم وأسلم أبو غالب بن الأصباغي، وفي ثاني هذا اليوم أسلم الرئيسان أبو سعدٍ العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا صاحب ديوان الإنشاء وابن أخته أبو نصر صاحب الخبر على يدي الخليفة بحيث يريانه ويسمعان كلامه، وكان يتولى ديوان الرسائل منذ أيام القائم بأمر الله، وناب في الوزارة وأضر في آخر عمره، وكان ابتداء خدمته لدار الخلافة القائمة في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، فخدمها خمساً وستين سنة يزداد في كل يوم من أيامها جاهاً وحظوةً، وناب عن الوزارة عدة نوب مع ذهاب بصره، وكان أبو نصر هبة الله بن الحسن بن أخته يكتب الإنهاءات عنه إذا حضر، وكان كثير الصدقة والخير. ورسائله وأشعاره مدونة يتداول بها ويرغب فيها، أخذ عنه الشيخ أبو منصور موهوب بن الخضر الجواليقي وأنشده عنه:

أحن إلى روض التصابي وأرتاح	وأمتح من حوض التصافي وأمتاح
واشتاق رنماً كلما رمت صيده	تصد يدي عنه سيوف وأرماح
غزال إذا ما لاح أو فاح نشره	تعذب أرواح وتعذب أرواح
بنفسي وإن عزت وأهلي أهلة	لها غرر في الحسن تبدو وأوضاع
نجوم أعاروا النور للبدر عندما	أغاروا على سرب الملاحه واجتاحوا
فتتضح الأعدار فيهم إذا بدوا	ويقتضح اللاحون فيهم إذا لاحوا
وكرخية عذراء يعذر حبها	ومن زندها في الدهر تقدح أقداح
إذا جليت في الكأس والليل ما انجلي	تقابل إصباح لديك ومصباح
يطوف بها ساق لسوق جماله	نفاق لإفساد الهوى فيه إصلاح
به عجمة في اللفظ تغرى بوصله	وإن كان منه بالقطيعه إفصاح
وغرته صبح وطرته دجى	ومبسمة در وريقته راح
أباح دمي مذبحت في الحب باسمه	وبالشجو من قبلي المحبون قد باحو
وأودعني بالسوء ظمأً ولم يكن	لإشكال ما يفضي إلى الضيم إيضاح
وكيف أخاف الضيم أو أخطر الردى	وعوني على الأيام أبلج وضاح
وظل نظام الملك للكسر جابر	وللضر مناع وللنفع مناح

ومن شعره:

يا خليلي خليلاني ووجدي	فلام المحب ما ليس يجدي
ودعاني فقد دعاني إلى الحك	م غريم الغرام للدين عندي
فعساه يرق إذ ملك ال	رق بنقد من عدله أو بوعد
ثم من ذا يجبر منه إذا جا	ر ومن لي على تعديه يعدى

ومات العلاء في الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وأربعمائة، ومولده سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، ودفن في تربة الطانع.

قال أبو الفرج في المنظم: نال أبو سعد بن الموصلايا من الرفعة في الدنيا ما لم ينله أبناء جنسه، فإنه ابتداء في خدمة دار الخلافة في أيام القائم سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، فخدمها خمساً وستين سنة، وأسلم في سنة أربع وثمانين، وناب عن الوزارة في أيام المقتدي وأيام المستظهر نوباً كثيرة، وكان كثير الصدقة كريم الفعال حسن الفصاحة، ويدل على فصاحته وغازاة علمه ما كان ينشئه من كتابات الديوان والعهود. وحكى بعض أصحابه قال: شتمت يوماً غلاماً لي فوبخني وقال: أنت قادر على تأديب الغلام أو صرفه، فأما الخنا والقذف فأياك والمعودة له، فإن الطبع يسرق والصاحب يستدل به على المصحوب، وكانت وفاته فجأة.

وقال محمد بن عبد الملك الهمداني: لما عزل المقتدي الوزير أبا شجاع خلع علي الأجل أبي سعد بن الموصلايا وكانت الخلعة دراعة وعمامة وحمل على فرس بمركب ذهب ووسم بنبابة الوزارة، وخلع على ابن أخته تاج الرؤساء أبي نصر هبة الله صاحب الخبر بن الحسن بن علي جبة وعمامة وحمل على فرس.

ومدح الأديب أبو المظفر الأبيوردي الأجل أبا سعد وقد لقبه الخليفة بأميناً لدولة بقصيدة منها:

وزعزع الصبح سلك النجم فانتثرت منه كما تستطير النار بالشعل

قال: ومن علم السير علم أن الخليفة والملوك لم ينقوا بأحد ثقتهم بأمين الدولة، ولا نصحبهم أحد نصحه، وتولى ديوان الإنشاء بعد سنة ثلاثين وأربعمائة، والناظر إذ ذاك عميد الرؤساء أبو طالب بن أيوب، وناب عن الوزارة المقتدرية والمستظهرية، ومن شعره:

يا هند رقي لفتى مدنف يحسن فيه طلب الأجر

يرعى نجوم الليل حتى يرى حل عراها بيد الفجر

ضاق نطاق الصبر عن قلبه عند اتساع الخرق في الهجر

قال العماد - وقد ذكر هذه الأبيات الثلاثة - قد أرقى هذه الأبيات برقها وحلاوة الاستعارة في معناها مع دقتها وقد ساعده التوفيق في هذا التطبيق، وما كل شاعر يتخلص من هذا المضيق، وهكذا شعر الكتاب يجمع إلى اللطافة ظرافة، وإلى الحلاوة طلاوة: وله:

وكأس كساها الحسن ثوب ملاحه فحارت ضياء يشبه الحسن والشمسا

أضاءت له كف المدبر وما درى وقد دجت الظلماء أصبح أو أمسى

وله:

أقول للأنمي في حب ليلي وقد ساوى نهار منه ليلا

أقل فما أقلت قط أرض محباً جر في الهجران ذيلا

ولو ممن أحب ملأت عينا لكننت إلى هواه أشد ميلا

أبو علقمة النحوي النميري

وأراه من أهل واسط، حدث أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني قال: أتى أبو علقمة الأعرابي أبا زلازل الحذاء فقال: يا حذاء أهدأ لي هذا النعل، قال: وكيف تريد أن أهدوها؟ فقال: خصر نطقها، وغضف معقبها، وأقب مقدمها وعرج ونية الذوابة بحزم دون بلوغ الرصاف، وأنحل مخازم خزامها وأوشك في العمل. فقام أبو زلازل فتأبط متاعه، فقال أبو علقمة: إلى أين؟ قال: إلى ابن القية ليفسر لي ما خفي علي من كلامك. وقال أبو أحمد بن خليفة الجمحي قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: قال أبو علقمة لغلام له: خذ من غريمنا هذا كفيلاً، ومن الكفيل أميناً، ومن الأمين زعيماً، ومن الزعيم عزيزاً، فقال الغلام للغريم: مولاي كثير الكلام فمعك شيء؟ فأرضاه وخلاه فلما انصرف قال يا غلام: ما فعل غريمنا؟ قال: سقع قال ويلك ما بقع؟ قال بقع. قال ويلك وما يقع؟ قال استقلع؟ قال انقلع، قال ويلك لم طولت علي؟ قال منك تعلمت. الهيثم بن عدي. ركب أبو علقمة النميري بغلاً فوقف على أبي عبد الرحمن القرشي فقال: يا أبا علقمة إن لبغلك هذا منظرأ، فهل مع حسن هذا المنظر من خير؟ قال سبحان الله أو ما بلغك خبره؟ قال لا، قال: خرجت عليه مرة من مصر فقفز بي قفزة إلى فلسطين. والثانية إلى الأردن. والثالثة إلى دمشق. فقال له أبو عبد الرحمن: تقدم إلى أهلك يدفنه معك في قبرك، فلعله يقفز بك الصراط.

ذكر أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان في كتاب الثقلاء من تصنيفه: أخبرنا إسحاق بن محمد ابن أبان الكوفي، حدثني بشر بن حجر قال: انقطع إلى أبي علقمة النحوي غلام يخدمه، فأراد أبو علقمة الدخول في بعض حوائجه فقال له: يا غلام أصقعت العتاريف؟ فقال له الغلام: زققيلم، قال أبو علقمة: وما زققيلم؟ قال له وما معنى صقعت العتاريف؟ قال: قلت لك أصاحت الديوك؟ قال: وأنا قلت لك لم يصح منها شيء.

قال محمد بن خلف: حدثنا أبو بكر القرشي، حدثني جعفر بن نصير قال: بينما أبو علقمة النحوي في طريق من طرق البصرة إذ

ثار به مرار. وظن من رآه أنه مجنون، واقبل رجل يعض أصل أذنه ويؤذن فيها، فأفاق فنظر إلى الجماعة حوله فقال: ما لكم تكأتم على كما تتكأئون على ذي جنة، افرنقوا عني. قال: فقال بعضهم لبعض: دعوه فإن شيطانه يتكلم بالهندية.

قال ابن المرزبان: حدثني عبد الله بن مسلم: دخل أبو علقمة النحوي على أعين الطبيب فقال له: أمتع الله بك، إني أكلت من لحوم هذه الجوازل فطسأة طسأة، فأصابني وجع بين الوابلة إلى داية العنق فلم يزل ينمي حتى خالط الخلب وألمت له الشراسيف فهل عندك دواء؟ قال أعين: خذ حرقفاً وسلقفاً وشرقفاً مزهزقه وورقرقه واغسله بماء روثٍ واشربه بماء الماء. فقال له أعين: لعن الله أقلنا إلهاماً لصاحبه، ويحك، وهل فهمت عنك شيئاً مما قلت؟ قرأت في كتاب النوادر الممتعة جمع ابن جني عن محمد ابن المرزبان قال: حدثني عبد الله بن أحمد بن عبد الصمد قال: حدثني محمد بن معاذ البصري قال: بينا أبو علقمة النحوي يسير على بغلةٍ إذ نظر إلى عبيدين أحدهما حبشي والآخر صقلي، فإذا الحبشي قد ضرب بالصقلي الأرض وأدخل ركبتيه في بطنه، وأصابه في عينيه، وعض أذنيه، وضربه بعضاً كانت معه فشجه وأسأل دمه، فجعل الصقلي يستغيث فلا يغاث، فقال لأبي علقمة: أشهد لي فقال: قدمه إلى الأمير حتى أشهد لك، فمضيا إلى الأمير فقال الصقلي: إذن هذا ضربني وشجني واعتدى علي فجحد الحبشي. فقال الصقلي: هذا يشهد لي، فنزل أبو علقمة عن بغلته وجلس بين يدي الأمير فقال له الأمير: بم تشهد يا أبا علقمة؟ فقال: أصلح الله الأمير، بينا أنا أسير على كودني هذا إذ مررت بهذين العبيدين، فرأيت هذا الاسم قد مال علي هذا الأبقع فمطاه على فدفد، ثم ضغطه برصفتيه في أحشائه حتى ظننت أنه تدمج جوفه، وجعل يلج بشناتره في جحمتيه يكاد ينفأهما، وقبض على صنارتيه بمبرمه، وكان يجذهما جذاً ثم علاه بمنسأةٍ كانت معه فعفجه بها، وهذا أثر الجريال عليه بيننا وأنت أمير عادل، فقال الأمير: والله ما أفهم مما قلت شيئاً، فقال أبو علقمة قد فهمناك إن فهمت، وعلمناك إن علمت، وأديت إليك ما علمت، وما أقدر أن أتكلم بالفارسية، فجعل الأمير يجهد أن يكشف الكلام فلا يفعل حتى ضاق صدره، فقال للصقلي: أعطني خنجرًا فأعطاه وهو يظن أنه يريد أن يستفيد له من الحبشي، فكشف الأمير رأسه وقال للصقلي: شجني خمساً وأعفني من شهادة هذا الصنارتان: الأذنان بلغة سمير. الكودن: الغليظ من الدواب، مطاه: صرعه، والفدفد: الغليظ من الأرض، ورضفتاه: ركبتاه، وشناتره، أصابعه، والجحمتان: العينان لغة يمانية، والمنسأة: العصا، عفجه أي ضربه بها، والجريال الأحمر: فاستعارة للدم. قال ابن جني: وأخبرنا عثمان بن محمد، حدثنا محمد ابن القاسم قال: حدثني محمد بن المرزبان وأبو الحسين علي بن محمد المقرئ قال: تبغ بأبي علقمة الدم وهو في بعض القرى فقال لابنه: جئني بحجام فأتاه به فقال له: لا تعجل حتى أصف لك، ولا تكن كامرئ خالف ما أمر به ومال إلى غيره. اشدد قصب المحاجم، وأرهف ظبة المشارط، وأسرع الوضع، وعجل النزع، وليكن شرطك زخراً، وركك نهزاً، لا تردن أتياً، ولا تكرهن أبيعاً. فوضع الحجام محاجمه في ففته وقال: كلامك يقطع الدم، وقام وفي رواية علي بن إبراهيم قال: فلما سمع الحجام الكلام قال يا قوم: هذا رجل قد ثار به المرار ولا ينبغي أن يخرج دمه في هذا الوقت وانصرف.

قال أبو بكر: العصب: الموضع الذي يجتمع فيه الدم، وتبغ: هاج، وهو من البغي، أصله تبغي فقدمت الياء وأخرت الغين، كان أبو علقمة النحوي لا يدع الإغراب في كلامه، فقال للطبيب: أجد رسيماً في أسنابي، وأحس وجعاً فيما بين الوابلة إلى الأطرة من دايات العنق، فقال له الطبيب: خذ خزاناً وسلقفاً وشرقفاً، فزهزقه وورقرقه، واغسله بماء روثٍ واشربه، فقال له أبو علقمة: أعد فإنني لم أفهم فقال: أخزى الله أقلنا إلهاماً لصاحبه، وجشم امرأة كان يهواها فقال: يا خريدة قد كنت إخالك عرباً فإذا أنت ثوار مالي أمك فتستئينني فقالت يا رقيع ما رأيت أحداً يحب أحداً فيشتمه سواك، وقال لحجام حجه اشد قصب الملازم، وأرهف ظبات المشارط، وأمر المسح، واستنجل الرشح، وخفف الوطء، وعجل النزع، ولا تكرهن أبيعاً، ولا تمنعن أتياً، ورأى رجل أبا علقمة على بغلٍ مصري حسن فقال له: إن كان مخبر هذا البغل كمن ظهره فقد كمل، فقال أبو علقمة: والله لقد خرجت عليه من مصر فتكبت الطريق مخافة السراق وجور السلطان، فبينما أنا أسر في ليلةٍ ظلماء فتماء طخياء مدلهمة حندس داجيةٍ في ضحضح أملس، وإذا جلس نبأةٍ من صوت قعر، أو طيروان صوع، أو نفص سيد، فحاص عن الطريق متنكباً بعزة نفسه وفضل قوته، فبعثته باللجام فعسل، وحركته بالركاب فنسل، وانتعل الطريق يغتاله معتزماً، والتحف الليل لا يهابه مظلماً، فو الله ما شبهته إلا ببظبية نافرةٍ تحفزها فنحاء شاغبة فقال الرجل، يا هذا، ادع الله واسأله أن يحشر هذا البغل معك يوم القيامة، قال ولم؟ قال: ليجيزك الصراط يطفر.

علي بن إبراهيم بن هاشم القمي

ذكره ابن النديم، وذكره أبو جعفر في مصنفه الإمامية وقال: له كتب منها: كتاب التفسير، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب المغازي، وكتاب الشرائع، وكتاب الإسناد، وكتاب المناقب، وكتاب أخبار القرآن ورواياته.

علي بن إبراهيم بن محمد بن إسحاق

الكاتب، كان من أهل المعرفة، وله كتاب في نسب بني عقيل جوده، صنفه للأمير أبي حسان المقلد بن المسيب بن رافع العبدي في شهر رمضان سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

علي بن إبراهيم بن محمد الدهكي

هكذا وجدته بخط عبد السلام مكسور الدال، والمحدثون يفتحونها، وهي نسبة إلى قرية من قرى الري يقال لها دهك. ويكنى أبا القاسم، أحد رواة الأخبار وجماعي الأشعار. وجدت بخط عبد السلام البصري كتاب أشعار بني ربيعة الجوع، وقد قرأه عليه، وكان الدهكي قد قرأ علي أبي الفرج علي بن الحسين الأصبهاني كتاب الأغاني، وقعت لنا إجازة متصلة إليه عنه، وهي ما أخبرنا الشيخ ذو النسبتين بين دحية والحسين عليه السلام، أبو الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية المغربي السبتي بمصر سنة اثنتي عشرة وستمائة إجازة قال: أخبرنا شيخنا أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن عميرة المرزوي قال: أخبرنا أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث ويعرف بابن الصفار، عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن بشير، عن أبي الوليد هشام بن عبد الرحمن الصابوني، عن أبي القاسم علي بن إبراهيم الدهكي، عن أبي الفرج الأصبهاني، وقد وقعت لنا بهذا الكتاب إجازة أحسن من هذه. وقد كان أبوه أبو الفرج إبراهيم من أعيان الكتاب من أهل شيراز، وكان صهرًا لأبي الفضل العباس بن الحسين الشيرازي وزير بختيار. قال إبراهيم بن هلال الصابي: خلع علي أبي الفرج محمد ابن العباس، للوزارة ثلاث خلون من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وسلم إليه أبو الفضل وجميع أصحابه وأسيابه، فاستصفى أموالهم وجد في مطالبة كتابه وأسبابه على ضروب من رفق وعسف حين حصلوا في يده، وتوفي منهم صهر كان لأبي الفضل من أهل شيراز يقال له أبو الفرج إبراهيم بن محمد الدهسكي، وكان أبو الفضل يدعي عليه أنه اعتمد قتله.

علي بن إبراهيم بن سلمة بن بحر

القطان القزويني أبو الحسن، أديب فاضل ومحدث حافظ، لقي المبرد وثعلبًا وابن أبي الدنيا. وهو شيخ أي الحسين أحمد بن فارس القزويني وكتبه محشوة بالرواية عنه، وكان يصفه بالدراية. وذكره أبو يعلى الخليل بن أحمد الخليلي في كتاب الإرشاد في طبقات البلاد فقال: أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة بن بحر الفقيه. عالم بجميع العلوم والتفسير والنحو واللغة والفقه القديم، لم يكن له نظير دينًا وديانة وعبادة، سمع أبا حاتم الرازي، ارتحل إليه ثلاث سنين، ومحمد بن الفرج الأزرق، والحارث بن أبي أسامة، والقاسم بن محمد الدلال، وذكر جماعة ثم قال: وخلقًا من القزوينيين والرازيين والبغداديين والكوفة ومكة وصنعاء اليمن وهمذان ونهاوند.

سمع منه من القدماء أبو الحسين النحوي، والزبير بن عبد الواحد الحافظ، ثم عمر حتى أدركه الأحداث، ولد سنة أربع وخمسين ومائتين، ومات سنة خمس وأربعين وثلاثمائة. سمعت جماعة من شيوخ قزوين يقولون: لم ير ألو الحسين مثله في القضاء والزهد، أدام الصيام ثلاثين سنة، وكان يفطر على الخبز والملح، وفضائله أكثر من أن تعد، وكان له بنون ثلاثة: محمد أبو إبراهيم، والحسن والحسين، سمعوا أبا علي الطوسي والقدماء، وماتوا ولم يبلغوا الرواية، ولأبي إبراهيم ابنان سمعا جدهما ولم يسمع منهما، وبقي له أسباط ليسوا من أهل العلم، وأما الحسن والحسين فقد انقطع نسلهما، وقرأت في أمالي أين فارس: قال: سمعت أبا الحسن القطان بعد ما علت سنه وضعف يقول: كنت حين خرجت إلى الرحلة أحفظ مائة ألف حديث، وأنا اليوم لا أقوم على حفظ مائة حديث. قال: وسمعتة يقول: أصبت ببصري وأظن أنني عوفيت بكثرة بكاء أمي أيام فراقها في طلب الحديث والعلم.

قال ابن فارس: حدثني أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان رحمه الله بقزوين في مسجدهم يوم الأحد منتصف رجب سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة. وذكر تمام الإسناد.

علي بن إبراهيم الحوفي

بن سعيد بن الحوفي، يوسف الحوفي أصله من قرية تسمى شبرا النخلة من خوف بلبيس من الديار المصرية، أخذ عن أبي بكر محمد بن علي الإدفي صاحب النحاس، وكان نحوياً قارئاً، مات في مستهل ذي الحجة سنة ثلاثين وأربعمائة، وله من التصانيف: كتاب الموضح في النحو وهو كتاب كبير حسن، وكتاب البرهان في تفسير القرآن، بلغني أنه في ثلاثين مجلدًا بخط دقيق:

علي بن أحمد العقيقي العلوي

ذكره أبو جعفر الطوسي في مصنف الإمامية وقال: له من الكتب: كتاب المدينة، كتاب بين المسجدين، كتاب المسجد، كتاب النسب.

علي بن أحمد بن أبي دجانة المصري

أبو الحسن الكاتب الوراق جيد الخط كثير الضبط إلا أنه مع ذلك لا يخلو خلطه من السقط وإن قل، وهو من أهل مصر ومقامه ببغداد وبها كتب ونسخ الكثير وجدت بخطه زحر سور الذنب، وقد كتبه ببغداد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

علي بن أحمد الدريدي

يكنى أبا الحسن، ذكره الزبيدي فقال: أصله من فارس، وكان رواق بن دريد وإليه صارت كتب ابن دريد بعد موته. مات - أخلي موضع وفاته -.

علي بن أحمد المهلب اللغوي

أبو الحسن، كان إماماً في النحو واللغة ورواية الأخبار وتفسير الأشعار، أخذ عن أبي إسحاق إبراهيم النجيري، وأخذ عنه أبو يعقوب يوسف بن يعقوب النجيري وابنه بهزاد وخلق كثير. ومات بمصر في سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. وذكر علي بن حمزة البصري النحوي في كتاب الرد على ابن ولاد في المقصور والممدود: أن أبا الحسين المهلب كان لقيطاً، وكان له اختصاص بالمتلقب بالمعز والعزير المستولين على الديار المصرية ومن جلساتها الخواص، وأدرك دولة كافور الإخشيدي، وله مع أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبي قصة حدث بها أبو جعفر الجرجاني قال: قال أبو الحسن المهلب النحوي: وقع بيني وبين المتنبي في قول العدوان،

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي
أضربك حتى تقول الهامة استقوني

وذلك أن المتنبي قال: إن الناس يغلطون في هذا البيت، والصواب: أشقوني من شقات رأسه بالمشقة وهو المشط، قال المهلب فقلت له: أخطأت في وجوه: أحدها أنه لم يرو كذلك، والآخر أنه يقال: شقاه بالهمزة، وأيضاً فإني أظنك لا تعرف الخبر فيه، وما كانت العرب تقول في الهامة: إنها إذا لم يثار بصاحبها لا تزال تقول اسقوني، فإذا تأثروا به سكن كأنه شرب ذلك الدم، قال: وكان المهلب من جلساء العزيز وخواصه.

علي بن أحمد بن سلك الفالي

بالفاء، وليس بأبي علي الفالي بالقاف، ذلك آخر اسمه إسماعيل له ترجمة في بابه، وكنية هذا أبو الحسن يعرف بالمؤدب من أهل بلدة قالة موضع قريب من أيدج، انتقل إلى البصرة فأقام بها مدة وسمع بها من عمر ابن عبد الواحد الهاشمي وغيره، وقدم بغداد فاستوطنها، وكان ثقة له معرفة بالأدب والشعر، ومات فيما ذكره الخطيب في ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ودفن بمقبرة جامع المنصور، وكان يقول الشعر ومنه:

تصدر للتدريس كل مهوس	بليد يسمى بالفقيه المدرس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا	بببيت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها	كلاهما وحتى سامها كل مفلس
وكتب عنه الخطيب، قال أبو زكرياء يحيى بن علي الخطيب التبريزي أنشدنا أبو الحسن الفالي لنفسه:	غير الذين عهدت من علمائها
لما تبدلت المنازل أوجها	كانوا ولاية صدورها وفنائها
ورأيته محفوفة بسوى الألى	والعين قد شرقت بجاري مائها
أنشدت بيتاً سائراً متقدماً	وأرى نساء الحي غير نساها
أما الخيام فإنها كخيامهم	

وحدث أبو زكرياء التبريزي قال: رأيت نسخة لكتاب الجهرة لابن دريدٍ باعها أبو الحسن الفالي بخمسة دنانير من القاضي أبي بكر بن بديل التبريزي وحملها إلى تبريز، فنسخت أنا منها نسخة فوجدت في بعض المجلدات رقعة بخط الفالي فيها:

أنست بها عشرين حولا وبعيتها
فقد طال شوقي بعدها وحنيني
وما كان ظني أنني سأبيعها
ولو خلدتني في السجون ديوني
ولكن لضعفٍ واقتفارٍ وصبيةٍ
صغار عليهم تستهل شئوني
فقلت ولم أملك سوابق عبرةٍ
مقالة مشوي الفؤاد حزين
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك
كرائم من دريس بهن صنين
فأريت القاضي أبا بكر الرقعة والأبيات فتوجع وقال: لو رأيته قبل هذا لرددتها عليه، وكان الفالي قد مات.
قال المؤلف: والبيت الأخير من هذه الأبيات تضمنين قاله أعرابي فيما ذكره الزبير بن بكار عن يوسف بن عياش قال: ابتاع حمزة بن عبد الله بن الزبير جملاً من أعرابي بخمسين ديناراً ثم نقده ثمنه، فجعل الأعرابي ينظر إلى الجمل ويقول:
وقد تخرج الحاجات يا أم مالك
كرائم من رب بهن ضنين
فقال له حمزة: خذ جملك والدنانير لك، فانصرف بجمله وبالدنانير، وله أرجوزة في عدد أي القرآن أولها:
قال علي مذ أتى من قاله
قصيدة واضحة مقاله

وأنشد السمعاني في المذيل بإسناد له لأبي الحسن الفالي:

فرجت صبياني ببستانكم
فقلت يا صبيان لا تفرحوا
لو قدم الليث على نخلهم
فبسرهم في نخلهم يحصى
لكن من ساعته يحصا
جعلتها في خاتمي فصا
وأنشد أبو القاسم الدمشقي الحافظ بإسناد له لأبي الحسن الفالي:
رمى رمضان شملنا بالتفرق
فيا ليتنا عنا تقضي لنلتقي

لئن سر أهل الأرض طراً قدومه
فإن سروري بانسلاخ الذي بقي

علي بن أحمد بن سيدة اللغوي الأندلسي

أبو الحسن الضرير، وكان أبوه أيضاً ضريراً من أهل الأندلس، هكذا قال الحميدي علي بن أحمد وفي كتاب ابن بشكوال علي ابن إسماعيل وفي كتاب القاضي صاعد الجباني علي بن محمد في نسخة، وفي نسخة علي بن إسماعيل فاعتمدنا على ما ذكره الحميدي لأن كتابه أشهر، مات ابن سيدة بالأندلس سنة ثمان وخمسين وأربعمائة عن ستين سنة أو نحوها.

قال القاضي الجباني: كان مع إتقانه لعلم الأدب والعربية متوفراً على علوم الحكمة وألف فيها تأليفات كثيرة ولم يكن في زمنه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بعلومها وكان حافظاً، وله في اللغة مصنفات: منها كتاب المحكم والمحيط الأعظم رتبته على حروف المعجم اثنا عشر مجلداً، وكتاب المخصص مرتب على الأبواب كغريب المصنف، وكتاب شرح إصلاح المنطق، وكتاب الأنيق في شرح الحماسة عشرة أسفار، وكتاب العلام في اللغة على الأجناس في غاية الإيعاب نحو مائة سفر بدأ بالفلك وختم بالذرة، وكتاب العالم والمتعلم على المسألة والواب، وكتاب الوافي في علم أحكام القوافي، وكتاب شاذ اللغة في خمس مجلدات، وكتاب العويص في شرح إصلاح المنطق، وكتاب شرح كتاب الأخفش وعبر ذلك؟ قال الحميدي وابن بشكوال: روى ابن سيدة عن أبيه وعن صاعد بن الحسن البغدادي. قال الطلمنكي: دخلت مرسية فتشبت بي أهلها ليسمعوا عني غريب المصنف فقلت لهم: انظروا من يقرأ لكم وأمسك كتابي، فأتوني برجل أعمى يعرف بابن سيدة، فقرأه علي من أوله إلى آخره من حفظه فعجبت منه.

وقال الحميدي: كان ابن سيدة منقطعاً إلى الأمير أبي الجيش مجاهد بن عبد الله العامري، ثم حدثت له نبوة بعد وفاته في أيام إقبال الدولة بن الموفق فهرب منه ثم قال يستعطفه:

ألا هل إلى تقبيل راحتك اليميني
سبيل فإن الأمن في ذاك واليمينا

ضحيت فهل في برد ظلك نومة
ونضو زمان طلحته طبائته
غريب نأى أهله عنه وشفه
فيا ملك الأملاك إنني محلاء
تحيفني دهري فأقبلت شاكياً
فإن تتأكد في دمي لك نية
إذا ما غدا من حر سيفك بارداً
وهل هي إلا ساعة ثم بعدها
ومالي من دهري حياة ألذها
إذا ميتة أرضتك منا فهاتها
وهي طويلة وقع عنه الرضا مع وصولها إليه فرجع.

علي بن أحمد بن سعيد بن حزن بن غالب

ابن صالح بن خلف بن سفيان بن يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأندلسي الإمام العلامة لكني أبا محمد، مات فيما ذكره صاعد بن أحمد الحياتي في كتاب أخبار الحكماء في سلخ شعبان سنة ست وخمسين وأربعمائة، قال: وكتب إلي بخط يده: إنه ولد بعد صلاة الصبح من آخر يوم في شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة إلا شهراً، قال: وأصل آبائه من قرية منت ليشم من إقليم الزاوية من عمل أونبة من كورة ليلة من غرب الأندلس، وسكن هو وآبؤه قرطبة ونالوا فيها جاهاً عريضاً، وكان أبو عمرو أحمد بن سعيد بن حزم أحد العلماء من وزراء المنصور محمد بن أبي عامر ووزراء ابن المظفر بعده والمديرين لدولتيهما، وكان ابنه الفقيه أبو محمد وزيراً لعبد الرحمن المستظهر بالله، ابن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ثم لهشام المعتد بالله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، ثم نبذ هذه الطريقة وأقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن، فعنى بعلم المنطق وألف فيه كتاباً سماه كتاب التقريب لحدود المنطق بسط فيه القول على تبين طرق المعارف، واستعمل فيه مثلاً فقيهة وجوامع شرعية، وخالف أرسطاليس واضع هذا العلم في بعض أصوله مخالفة من لم يفهم غرضه ولا ارتاض في كتبه، فكتابه من أجل هذا كثير الغلط بين السقط، وأوغل بعد هذا في الاستكثار من علوم الشريعة حتى نال منها ما لم ينله أحد قط بالأندلس قبله، وصنف فيها مصنفاً كثيرة العدد شرعية المقصد، معظمها في أصول الفقه وفروعه على مذهبه الذي ينتحله، وطريقه الذي يسلكه، وهو مذهب داود بن علي بن خلف الأصبهاني ومن قال بقوله من أهل الطاهر ونفاة القياس والتعليل.

قال: ولقد أخبرني ابنه الفضل المكنى أبا رافع: أن مبلغ تواليفه في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والرد على المعارض نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة، وهذا شيء ما علمناه لأحد ممن كان في دولة الإسلام قبله، إلا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، فإنه أكثر أهل الإسلام تصنيفاً، فذكر ما ذكرناه في ترجمة ابن جرير من أن أيام حياته حسبت وتصانيفه، وكان لكل يوم أربع عشرة ورقة ثم قال: ولأبي محمد بن حزم بعد هذا نصيب وافر من علم النحو واللغة، وقسم صالح من قرض الشعر وصناعة الخطابة.

ذكر أن ابن حزم اجتمع يوماً مع الفقيه أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب الباجي صاحب كتابي المننقي والاستغناء وغيرهما من التواليف، وجرت بينهما مناظرة فلما انقضت قال الفقيه أبو الوليد: تعذرني فإن أكثر مطالعتي كان على سرج الحراس. قال ابن حزم: وتعذرني أيضاً فإن أكثر مطالعتي كانت على منابر الذهب والفضة، أراد أن الغني أضيع لطلب العلم من الفقر.

قرأت بخط أبي بكر محمد بن طرخان بن يلتكين ابن يحكم قال الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد ابن العربي الأندلسي: توفي الشيخ الإمام أبو محمد علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم بقرية وهي من غرب الأندلس على خليج البحر الأعظم في شهر جمادى الأولى من سنة سبع وخمسين وأربعمائة، والقرية التي له على بعد نصف فرسخ من أونبة يقال لها متلجتم وهي ملكه ومل سلف من قبله قال: وقال لي أبو محمد بن العربي: إن أبا محمد بن حزم ولد بقرطبة، وجده سعيد ولد بأونبة ثم انتقل إلى

قرطبة وولى فيها الوزارة ثم ابنه على الإمام أقام في الوزارة من وقت بلوغه إلى انتهاء سنه ستاً وعشرين سنة وقال: إنني بلغت إلى هذا السن وأنا لا أدري كيف أجبر صلاة من الصلوات قال:

قال لي الوزير أبو محمد بن العربي: أخرنى الشيخ الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم أن سبب تعلمه الفقه أنه شهد جنازة لرجل كبير من إخوان أبيه، فدخل المسجد قبل صلاة العصر والخلق فيه فجلس ولم يركع، فقال له أستاذة يعني الذي رباه بإشارة أن قم فصل تحية المسجد فلم يفهم، فقال له بعض المجاورين له: أبلغت هذه ولا تعلم أن تحية المسجد واجبة؟ وكان قد بلغ حينئذ ستة وعشرين عاماً قال: فقممت وركعت وفهمت إذا إشارة الأستاذ إلى بذلك. قال: فلما انصرفنا من الصلاة على الجنازة إلى المسجد مشاركة للأحباء من أقرباء الميت، دخلت المسجد فبادرت بالركوع فقبل لي: اجلس اجلس، ليس هذا وقت صلاة، فانصرفت عن الميت وقد خزيت ولحقني ما هانت علي به نفسي وقلت للأستاذ: دلني على دار الشيخ الفقيه المشاور أبي عبد الله بن دحون، فدلني فقصدته من ذلك المشهد وأعلمته بما جرى فيه، وسألت الابتداء بقراءة العلم واسترشدته، فدلني على كتاب الموطأ لمالك بن أنس - رضي الله عنه - فبدأت به عليه قراءة من اليوم التالي لذلك اليوم، ثم تتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحو ثلاثة أعوام، وبدأت بالمناظرة قال: وقال لي الوزير الإمام أبو محمد بن العربي: صحبت الشيخ الإمام أبا محمد علي بن حزم سبعة أعوام، وسمعت منه جميع مصنفاته حاشا المجلد الأخير من كتاب الفصل وهو يشتمل على ست مجلدات من الأصل الذي قرأنا منه، فيكون الفائت نحواً لصدس، وقرأنا من كتاب الإيصال أربع مجلدات من كتاب الإمام أبي محمد بن حزم في سنة ست وخمسين وأربعمائه، ولم يفتني من تأليفاته شيء سوى مذكراته من الناقص وما لم أقرأه من كتاب الإيصال. وكان عند الإمام أبي محمد بن حزم كتاب الإيصال في أربع وعشرين مجلداً بخط يده، وكان في غاية الإدماج قال: وقال لي الوزير أبو محمد بن العربي: وربما كان للإمام أبي محمد بن حزم شيء من تواليفه ألفه في غير بلده في المدة التي تجول فيها بشرق الأندلس فلم أسمعه، ولي بجميع مصنفاته ومسموعاته إجازة منه مرات عدة كثيرة. آخر ما كان بخط اليجمكي - رحمه الله - وأورد له صاحب المطمح أشعاراً منها:

وذي عدل فيمن سباني حسنه
أمن حسن وجه لاح لم تر غيره
فقلت له أسرفت في اللوم فأتد
ألم ترى أنني ظاهري وأنني

وأنشد له:

هل الدهر إلا ما عرفنا وأدركنا
إذا أمكنت فيه مسرة ساعة
إلى تبعات في المعاد وموقف
حصلنا على هم وإثم وحسرة
حين لما ولى وشغل بما أنى
كان الذي كنا نسر بكونه

وله:

ولى نحو أكتاف العراق صباية
فإن ينزل الرحمن رحلي بينهم
هنالك تدري أن للبعد قصة

وله:

لا تشمتن حاسدي إن نكبة عرضت
ذو الفضل كالتبر طوراً تحت ميفعة

وله:

لئن أصبحت مرتحلاً بشخصي
ولكن للعيان لطيف معنى
ومن شعر أبي محمد بن حزم:
أنا العلق الذي لا عيب فيه
فروحي عندكم دوماً مقيم
له سأل المعاينة الكلیم
سوى بلدي وأني غير طارى

وأهل الأرض إلا أهل داري
وعلم ما يشق له غباري
فما سطع الدخان بغير نار

تقر لي العراق ومن يليها
طووا حسداً على أدب وفهم
فمهما طار في الآفاق ذكري

قال أبو مروان بن حيان: كان أبو محمد حامل فنون من حديث وفقه وجدل ونسب وما يتعلق بأذيال الأدب مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة، وله في بعض تلك الفنون كتب كثيرة غير أنه لم يخل فيها من غلط وسقط لجراءته على التسور على الفنون ولا سيما المنطق، فإنهم زعموا أنه زل هنالك وضل في شكول المسالك، وخالف أرسطاطا ليس واضعه مخالفة من لم يفهم غرضه ولا ارتاض، ومال أولاً النظر به في الفقه إلى رأي محمد بن إدريس الشافعي - رحمه الله - وناضل عن مذهبه، وانحرف عن مذهب سواه حتى وسم به ونسب إليه، فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء وعيب بالشذوذ، ثم عدل في الآخر إلى قول أصحاب الظاهر مذهب داود بن علي ومن اتبعه من فقهاء الأمصار، فنقحه ونهجه وجادل عنه، ووضع الكتب في بسطه وثبت عليه إلى أن مضى لسبيله - رحمه الله - وكان يحمل علمه هذا ويجادل من خالفه فيه على استرسال في طباعه، وبذل بأسراره، واستناد على العهد الذي أخذه الله على العلماء من عياده: (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) فلم يك يلفظ صدعه بما عنده بتعريض ولا برقه بتدريج، بل يصك معارضه صك الجندل، وينشقه متلقمه إنشاق الخردل، فففر عنه القلوب، وتوقع به الندوب، حتى استهدف إلى فقهاء وقته، فمالوا على بغضه ورد أقواله، فأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عنا الدنو إليه والأخذ عنه، وطفق الملوك يقصونه عن قريبهم، ويسيرونه عن بلادهم، إلى أن انتهوا به منطق أثره بتربة بلده من بادية ليلة، وبها توفي - رحمه الله - سنة ست وخمسين وأربع مائة، وهو في ذلك غير مرتدع: ولا راجع إلى ما أرادوا به، يبيت علمه فيمن ينتابه من بادية بلده من عامة المقتبسين منهم من أصاغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة، يحدثهم ويفقههم ويدرسهم، ولا يدع المثابرة على العلم والمواظبة على التأليف، والإكثار من التصنيف، حتى كمل من مصنفاته في فنون من العلم وقر بعير، لم تعد أكثرها عتية باديته لتزهد الفقهاء طلاب العلم فيها، حتى لأحرق بعضها بإشبيلية ومزقت علانية لا يزيد مؤلفها في ذلك إلا بصيرة في نشرها، وجدالاً للمعاند فيها، إلى أن مضى لسبيله، وأكثر معاييه - زعموا - عند المنصف له جهله بسياسة العلم التي هي أوص من إتيانه، ومخلفه عن ذلك على قوة شيخه عمارة، وعلى ذلك كله فلم يكن بالسلم من اضطراب رايه، ومغيب شاهد علمه عنه عند لقائه، إلى أن يحرك بالسؤال: فيفتجر منه بحر علم لا تكرر الدلاء، ولا يقصر عنه الرشاء، له على كل ما ذكرنا دلائل مائلة، وأخبار مأثورة، وكان مما يزيد في شأنه تشييعه لأمرأ بني أمية ماضيهم وباقيهم بالشرق والأندلس، واعتقاده لصحة إمامتهم وانحرافه عن سواهم من قریش حتى نسب إلى التعصب لغيرهم. وقد كان من غرائبه انتمائه في فارس واتباع أهل بيته له في ذلك بعد حقبة من الدهر تولى فيها أبوه الوزير المعقل في زمانه، الراجح في ميزانه، أحمد بن سعيد بن حزم لبني أمية أولياء نعمه، لا عن صحة ولاية لهم عليه، فقد عهده الناس حامل الأبوة. مولد الأرومة من عجم ليلة، جده الأدنى حديث الإسلام، ولم يتقدم لسلفه نباهة، فأبوه أحمد - على الحقيقة - هو الذي بنى بيت نفسه في آخر الدهر براس رابية، وعمده بالخلال الفاضلة من الرجاحة والمعرفة والدهاء والرجولة والرأي، فاغتنى جرثومة سلف لمن نماهم أغنتهم عن الرسوخ في أول السابقة، فما من شرف إلا مسوق عن خارجية، ولم يكن غلا كلا ولا حي تخطى على هذا رابية ليلة، فارتقى قلعة إصطخر من أرض فارس، فالله أعلم كيف ترقاها، إذ لم يكن يؤتى من خطل ولا جهالة، بل وصله بها وسع علم وشجته رحم معقومة، بلها بمستأخر الصلة رحمه الله، ففتناها حاله مع فقهاء عصره إلى ما وصفته، وحسابه وحسابهم على الله الذي لا يظلم الناس مثقال ذرة عز وجهه. ولهذا الشيخ أبي محمد مع يهود لعنهم الله ومع غيرهم من أولى المذاهب المرفوضة من أهل الإسلام مجالس محفوظة، وأخبار مكتوبة، وله مصنفات في ذلك معروفة، من أشهرها في علم الجدل كتابه المسمى كتاب الفصل بين أهل الآراء والنحل، كتاب الصادع والرد على من كفر أهل التأويل من فرق المسلمين والرد على من قال بالتقليد، وله كتاب في شرح حديث الموطأ والكلام على مسائله، وله كتاب لجامع في صحيح الحديث باختصار الأسانيد والاقتصار على أصحها واجتلاب أكمل ألفاظها وأصح معانيها، وكتاب التلخيص والتخليص في المسائل النظرية وفروعها التي لا نص عليها في الكتاب ولا الحديث، وكتاب منتقى الإجماع وبيانه من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف، وكتاب الإمامة والسياسة في قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها، وكتاب أخلاق النفس، وكتابه الكبير المعروف بالإبصار إلى فهم كتاب الخصال، وكتاب كشف الإلباس ما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس، إلى تواليه غيرها ورسائل في معان شتى كثير عددها.

ومن شعره يصف ما أحرق له من كتبه ابن عباد قوله:

تضمنه القرطاس بل هو في صدري
وينزل إن أنزل ويدفن في قبري
وقولوا بعلم كي يرى الناس من يدري

وإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي
يسير معي حيث استقلت ركائبي
دعوني من إحراق رق وكاغد

والإ فعودوا في المكاتب بدءاً

وله:

فكم دون ما تبغون لله من ستر

وقيل لهم أودى على بن أحمد
وكم أدمع تدرى وخذ مخدد
عن الأهل محمولاً إلى ضيق ملحد
والقى الذي أنست منه بمرصد
ويا نصبي إن كنت لم أتزود

كأنك بالزوار لي قد تبادروا
فيا رب محزون هناك وضاحك
عفا الله عني يوم أرحل ظاعناً
وأترك ما قد كنت معتبطاً به
فوارا حتى إن كان زادي مقدماً

وبالبدائع، هذا الخبر على وعورة ما أوضحنا على كثرة الدافنين لها والطامسين لمحاسنها، وعلى ذلك فليس ببديع فيما أضيع منه، فأزهد الناس في عالم أهله وقبيله رزئ العلماء بتزهدهم على من يقصر عنهم، والحسد داء ولا دواء له - آخر كلام ابن حيان - ولأبى محمد قصيدة يخاطب بها قاضي الجماعة بقرطبة عبد الرحمن بن بشير يفخر فيها بالعلم، ويذكر أصناف ما علم يقول فيها:

ولكن عيبي أن مطلعي الغرب
لجد على ما ضاع من ذكرى النهب
ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب
فحينئذ يبدو التأسف والكرب
فأطلب ما عنه يجيء به الكتب
وأن كساد العلم آفته القرب
له ودنو المرء من دارهم ذنب
على أنه فيح مذاهبه سهب
وإن زماناً لم أنل خصبه جدد.
وليس على من بالنبي انتسي ذنب
حفيظ عليم ما على صادق عتب

أنا الشمس في جو السماء منيرة
ولو أنني من جانب الشرق طالع
ولى نحو أكناف العراق صباية
فإن نزل الرحمن رحلي فيهم
فكم قائل أغفلته وهو حاضر
هنالك تدرى أن للعبد غصة
فواعجبا من غاب عنهم تشوقوا
وإن مكاناً ضاق عني لضيق
وإن رجلاً ضيعوني لضيع
ولكن لي في يوسف خير أسوة
يقول مقال الحق والصدق إننى

وله مثله:

وروحك ماله عنا رحيل
لذا طلب المعاينة الخليل

ثم دعه بروضة إبليس

ودعه فنور الحق يسرى ويشرق
كما نسي القيد الموثق مطلق

يقول أخي: شباك رحيل جسم
فقلت له: المعاین مطمئن
قال الحميدي وأنشدته قول لأبي نواس:
عرضن للذي تحب بحب
فقال: أنت في طريق التحقيق فقال:

أبن قول وجه الحق في نفس سامع
سيؤنسه رفقا وينسى نفا ره

علي بن أحمد بن محمد الواحدي

وقال أبو الحسن الواحدي في مقدمة البسيط: وأظنني لم آل جهداً في إحكام أصول هذا العلم حسب ما يليق بزماننا هذا وتسعة سنو عمري على قلة أعدادها فقد وفق الله وله الحمد، حتى اقتبست كل ما احتجت إليه في هذا الباب من مظانه وأخذته من معادنه، أما اللغة فقد درستها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي رحمه الله، وكان قد حنق التسعين في خدمة الأدب، وأدرك المشايخ الكبار وقرأ عليهم وروي عنهم كأبي منصور الأزهري، روي عنه كتاب التهذيب وغيره من الكتب، وأدرك أبا العباس العامري، وأبا القاسم الأسدي، وأبا نصر ظاهر بن محمد الوزيري، وأبا الحسن الرخجي، وهؤلاء كانوا فرسان البلاغة وأئمة اللغة، وسمع أبا العباس الاسم وروي عنه، واستخلفه الأستاذ أبو بكر الخوارزمي على درسه عند غيبته، وله المنصفات الكبار والاستدراكات على الفحول من العلماء باللغة والنحو، وكنت قد لازمته سنين أدخل عليه عند طلوع الشمس وأخرج لغروبها، أسمع وأقرأ وأعلق وأحفظ وأبحث وأذكر أصحابه ما بين طرفي النهار، وقرأت عليه الكثير من

الدواوين واللغة حتى عابني شيعي - رحمه الله - يوماً وقال: إنك لم تبق ديواناً من الشعر إلا قضيت حقه، أما أن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز تقرأه على هذا الرجل الذي تأتبه البعداء من أقصى البلاد وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار، يعني الأستاذ الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، فقلت: يا أبت إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذي تريد، وإذا لم أحكم الأدب بجد وتعب لم أرم في غرض التفسير من كتب، ثم لم أغب زيارته في يوم من الأيام حتى حال بيننا قدر الحمام.

وأما النحو فإني لما كنت في ميمة صباي وشرخ شبيبتي وقعت إلى الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الضرير، وكان من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه، وأعلمهم بمضاييق طرق العربية وحقائقها، ولعله تفرس في وتوسم الخير لدي، تجرد لتخريجي وصرف وكده إلى تأديبي ولم يدخر عني شيئاً من مكنون ما عنده حتى استأثرني بأفلاذه، وسعدت به أفضل ما سعد تلميذ بأستاذه، وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني، وعلقت عنه قريباً من مائة جزء في المسائل المشكلة، وسمعت منه أكثر مصنفاته في النحو والعروض والعلل، وخضني بكتابه الكبير في علل القراءة المرتبة في كتاب الغاية لابن مهران، ثم ورد علينا الشيخ أبو عمران المغربي المالكي وكان واحد دهره وباقعة عصره في علم النحو، لم يلحق أحد ممن سمعناه شأوه في معرفة الإعراب، ولقد صحبتته مدّة في مقامه عندنا حتى استنزفت غرر ما عنده، وأما القرآن وقرآيات أهل الأمصار واختيارات الأئمة فإني اختلفت إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي رحمه الله وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصى، حتى قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران، ثم ذهبت إلى الإمامين أبي عثمان سعيد بن محمد الحيري وأبي الحسن علي بن محمد الفارسي، وكنا قد انتهت إليهما الرئاسة في هذا العلم، وأشير إليهما بالأصابع في علو السن ورؤية المشايخ وكثرة التلامذة ووزارة العلوم وارتفاع الأسانيد والوثوق بهما، فقرأت عليهما وأخذت من كل واحد منهما حظاً وافراً بعون الله وحسن توفيقه، وقرأت على الأستاذ سعيد مصنفات ابن مهران، وروى لنا كتب أبي علي، الفسوي عنه، وقرأت عليه لفظي كتاب الزجاج بحق روايته عن ابن مقسم عنه، وسمع بقراءتي الخلق الكثير، ثم فرغت للأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله، وكان خير العلماء بل بحرهم، ونجم الفضلاء بل يدرهم، وزين الأئمة بل فخرهم، وأوحد الأمة بل صدرهم، وله التفسير الملقب بالكشف والبيان عن تفسير القرآن، الذي رفعت به المطايا في السهل والأوعار، وسارت به الفلك في البحار، وهبت هبوب الريح في الأقطار:

فسار مسير الشمس في كل بلدة هب هبوب الريح في البر والبحر

وأصفت عليه كافة الأمة على اختلاف نحلهم، وأقروا له بالفضيلة في تصنيفه ما لم يسبق إلى مثله، فمن أدركه وصحبه علم أن منقطع القرنين، ومن لم يدركه فلينظر في مصنفاته ليستدل بها على أنه كان بحراً لا ينزف، وغمرأ لا يسبر، وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء، منها تفسيره الكبير وكتابه المعنون بالكامل في علم القرآن وغيرهما، ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم واقتبست عنهم هذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التي وطأتها طال الخطب ومل الناظر، وقد استخرت الله العظيم في جمع كتاب أرجو أن يمدني الله فيه بتوفيقه مشتمل على ما نقت على غيري إهماله، ونعيت عليه إغفاله، لا يدع لمن تأمله حارة في صدره حتى يخرج من ظلمة الريب والتخمين، إلى نور العلم واليقين، هذا بعد أن يكون المتأمل مرتاضاً في صنعة الأدب والنحو، مهتدياً بطرق الحجاج قارحاً في سلوك المنهاج، فأما الجذع المرخي من المتقسين، والريض الكز من المبتدئين، فإنه مع هذا الكتاب كمزاول غلقاً ضاع عنه المفتاح، ومتخبط في ظلمات ليل خانه المصباح:

يحاول فتق غيم وهو يأبى كعين يريد نكاح بكر

ثم قال بعد كلام: إن هذا الكتاب عجالة الوقت، وقبسة العجلان، وتذكرة يستصحبها الرجل حيث حل وارتحل، وإن أنسى الأجل وأرخى الطول، وأنظرني الليل والنهار، حتى يتلفع بالمشيب العذار، أردفته بكتاب أنضجه بنار الروية، وأردده على رواق الفكرة، وأضمنه عجائب ما كتبت، ولطائف ما جمعت، وعلى الله المعول في تيسير ما رمت، وله الحمد كلما قعدت أو قمت.

علي بن أحمد الفنجركدي

وفنجركرد قرية من قرى نيسابور على حد الدرب، كان أديباً فاضلاً، ذكره الميداني في خطبة كتاب السامي وأثنى عليه، ومات سنة اثنتي عشرة وخمسمائة عن ثمانين سنة، وذكره البيهقي في الوشاح فقال: الإمام علي بن أحمد الفنجركدي الملقب بشيخ الأفاضل أعجوبة زمانه، وآية أقرانه، وشيخ الصناعة، والممطي غوارب البراعة. وذكره عبد الغفار الفارسي فقال: علي بن أحمد الفنجركدي الأديب البارع صاحب النظم والنثر الجارئين في سلك السلاسة، قرأ اللغة على يعقوب ابن أحمد الأديب وغيره، وأحكمها وتخرج فيها، وأصابته علة لزمته في آخر عمره، ومات بنيسابور في ثالث عشر رمضان سنة ثلاث عشرة وخمسمائة. قال البيهقي: وأنشدني لنفسه:

زماننا ذا زمان سوء لا خير فيه ولا صلاحا
هل يبصر المبلسون فيه ليل أحزانهم صباحا

وكلهم منه في عناءٍ

طوبى لمن مات فاستراحا

وله:

ولى الشباب بحسنه وبهائه

وأتى المشيب بنوره وضيائه

الشبب نور للفتى لكنه

نور مهيب مؤذن بفنائه

فالهج يذكر الله وارض بحكمه

لا روح للفقراء دون لقائه

وله:

الحكم لله ما للعبد منقلب

إلا إليه ولا عن حكمه هرب

والمرء ماعاش في الدنيا أخو محن

تصيبه الحادثات السود والنوب

فإن يساعده في أثنائها فرج

تسارعت نحوه في إثره كرب

حتى إذا مل من دنياه فاجأه

في أرضه كان أو في غيرها المطب

علي بن أحمد النيسابوري

بن محمد بن الغزال النيسابوري أبو الحسن، ذكره عيد الفافر في السياق فقال: مات في شعبان سنة ست عشرة وخمسمائة، ووصفه فقال: الإمام المقرئ الزاهد العامل، من وجوه أئمة القراءة المشهورون بخراسان والعراق، العارف بوجوه القراءات واختلاف الروايات، الإمام في النحو وما يتعلق به من العلل، وإليه الفتوى فيه، عهدناه شاباً كثير الإجتهد مقبلاً على التحصيل، ملازماً لأستاذه أبي نصر الرامشي المقرئ حتى تخرج به، فزاد عليه في الفقه والورع وقصر اليد عن الدنيا، ولزم طريق العبادة وطريق التصوف والزهد، حتى كان يقصد من البلاد ويستفاد منه، وقلما كان يخرج من بيته إلا في الجنائز، ثم اختل بصره في آخر عمره، ثم أصابه مرض طويل فبقي فيه مدة إلى أن سقطت قوته وضعف، وأدركه قضاء الله عديم النظير فمات. وله تصانيف مفيدة في النحو والقراءات، سمع الحفصي وأحمد بن منصور بن خلف المغربي.

علي بن أحمد بن بكري

وقيل علي بن عمر بن عبد الباقي بن بكري، أبو الحسن خازن دار الكتب بالنظامية، مات في ثامن عشرة من شهر رمضان سنة خمس وسبعين وخمسمائة ودفن في الوردية ولم يعقب، وكان من أهل باب الأزج، له معرفة جيدة بالأدب، قرأ النحو على أبي منصور الجواليقي وغيره، وكان فاضلاً عارفاً حسن الأمر مليح الخط جيد الضبط، قد كتب من كتب الأدب الكثير الذي يفوق الحصر.

علي بن بريد

أبو دعامة القيسي أبو الحسن، أحد الكبراء من الأدباء الرواة النبلاء، مات - أخطي موضعه -، ذكره الأمير أبو نصر فقال: وعلي بن بريد أبو دعامة القيسي صاحب أدب وهو بكنيته مشهور، وله أخبار كثيرة، روى عن أبي نواس وأبي العتاهية، روى عنه ابن أبي طاهر وعون بن محمد الكندي وغيرهما.

علي بن بسام

أبو الحسن من أهل الأندلس، له كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - يعني جزيرة الأندلس - في سبعة أسفار.

علي بن ثروان بن الحسن الكندي

أبو الحسن، وهو ابن عم تاج الدين أبي اليمان زيد ابن الحسن الكندي شيخنا، ذكره العماد في الخريدة قال: واصله من الخابور قال: ورأيت به دمشق شهيداً لفضله بالوفور، مشهوراً بالمعرفة بين الجمهور، موثقاً بقوله، مصبوحاً مغبوقاً من نور الدين بطوله، وكان أديباً فاضلاً أديباً كاملاً، قد أتقن اللغة وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي وغيره من معاصريه، وله شعر كثير قال: ولم يقع إلى ما أشد يد الانتقاد عليه، ومات بدمشق بعد سنة خمس وستين وخمسمائة. وكتب على بابه هذين البيتين:

يركم من بعد كدٍ وتعب
ونثني عنكم بحسن المنقلب

كل ما أضمرت من سر خفي
تتقون الله في حث المطي

حضر الكندي مغناكم فلم
لو راكم لتجلى همه
وله من قصيدة:

هناك الدمع بصوب الهتن
يا أخلائي على الخيف أما

علي بن جعفر الكاتب

أبو الحسن الفارسي الكاتب النحوي الشاعر، قال الحاكم في كتاب نيسابور: وكان من أعيان الأدباء ومن أهل العلم، علقت عنه من كلامه ولم أعرفه بالرؤية سكن نيسابور. قال الحاكم: سمعت أبا الحسن الفارسي يقول: إن الليم إذا لم يصطنع تجنى، كما أنشدونا لعلني بن الجهم:

وخابوا أن يقال لهم خذلتهم
قال: سمعت أبا الحسن الكاتب يقول: كتب حميد ابن مهران إلى أبي أيوب الهاشمي يستزيره:
أفئك الردي يا قريع الوري
ومن حل من هاشم في الذرى
ويغديك من وده في المغيب
إذا امتحن الود واهي القوى
وصالك يعدل صدق الرجاء
وفصفو المدام وطعم الكرى
فقد تآقت النفس من وامق
إلى أن يراك فماذا ترى؟

علي بن جعفر بن علي السعدي

يعرف بابن القطاع الصقلي، وكان مقيماً بالقاهرة من مصر، يعلم ولد الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي وزير الملقب بالأمر بالله الذي كان بمصر متغلباً، ومات ابن القطاع سنة أربع عشرة وخمسمائة بمصر، ومولده سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وكان إمام وقته ببلده وبمصر في علم العربية وفنون الأدب. قرأ على أبي بكر محمد بن البر الصقلي.

وكان مما روي عنه كتاب الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري، ومن طريقة اشتهرت رواية هذا الكتاب في جميع الآفاق، ولابن القطاع عدة تصانيف منها: كتاب الجوهرة الخطيرة في شعراء الجزيرة - يعني جزيرة صقلية - اشتملت على مائة وسبعين شاعراً وعشرين ألف بيت شعر، وكتاب الأسماء في اللغة جمع فيه أبنية الأسماء كلها، وكتاب الأفعال هذب فيه أفعال ابن القوطية وأفعال ابن طريف وغيرهما في ثلاث مجلدات، وله حواش على كتاب الصحاح نفيسة وعليها اعتمد أبو محمد بن بري النحوي المصري فيما تكلم عليه من حواشي الصحاح، وكتاب فرائد الشذور وقلائد النحور في الأشعار، وكتاب العروض والقوافي، وكتاب ذكر تاريخ صقلية، وكتاب أبنية الأسماء والأفعال. ولابن القطاع أشعار ليست على قدر علمه ومن أجودها قوله:

إياك أن تدنو من روضة
واحذر على نفسك من قربها

ومنه:

ألا إن قلبي قد تضعضع للهجر
تصارمت الأجفان منذ صرمتني

ومنه:

يا رب قافية بكر نظمت بها
يود سامعها لو كان يسمعها

في الجيد عقداً بدر المجد قد رصفا
بكل أعضائه من حسنهما شغفا

الجزء الثالث عشر

علي بن الحسن الأحمر صاحب الكسائي

قال الجعابي: قال محمد بن يحيى الصولي: الأحمر أبو الحسن علي بن الحسن مؤدب الأمين لم يصر إلى أحد قط من التأديب ما صار إليه. وقال محمد بن داود: الأحمر اسمه علي بن المبارك، ومات الأحمر فيما ذكره الصولي عن أحمد بن فرج قال: سمعت أبا سعيد الطوال يقول: مات الأحمر قبل الفراء بمدة، قال: أحسبه سنة أربع وتسعين ومائة، ومات الفراء سنة مائتين وأربع.

وحدث المرزباني قال: روى عبد الله بن جعفر عن علي بن مهدي الكسروي، عن ابن قادم صاحب الكسائي قال: كان الأحمر صاحب الكسائي رجلاً من الجند من رجال النوبة على باب الرشيد، وكان يحب علم العربية ولا يقدر على مجالس الكسائي إلا في أيام غير نوبته، وكان يرصد مصير الكسائي إلى الرشيد ويعرض له في طريقه كل يوم، فإذا أقبل تلقاه وأخذ بركابه ثم أخذ بيده ومأناه إلى أن يبلغ الستر، وسأله في طريقه عن المسألة بعد المسألة، فإذا دخل الكسائي رجع إلى مكانه، فإذا خرج الكسائي من الدار تلقاه من الستر وأخذ بيده ومشاه يسأله حتى يركب ويجاوز المضارب ثم ينصرف إلى الباب، فلم يزل كذلك يتعلم المسألة بعد المسألة حتى قوى وتمكن وكان فطناً حريصاً، فلما أصاب الكسائي الوضح في وجهه وبدنه كره الرشيد ملازمته أولاده، فأمر إن يرتاد لهم من ينوب عنه ممن يرتضى به، وقال: إنك كبرت ونحن نحب إن نودعك ولسنا نقطع عنك جاريتك، فجعل يدافع بذلك ويتوقى إن يأتيهم برجل فيغلب على موضعه، إلى إن ضيق عليه الأمر وشد وقيل له: إن لم تأتنا أنت من أصحابك برجل ارتدنا نحن لهم من يصلح، وكان قد بلغه إن سيبويه يريد الشخص إلى بغداد والأخفش، فقلق لذلك ثم عزم على إن يدخل إلى أولاد الرشيد من لا يخشى ناحيته ومن ليس ممن اشدت من أصحابه، فقال للأحمر: هل فيك خير؟ قال: نعم، قال: قد عزمت إن أستخلفك على أولاد الرشيد، فقال الأحمر: لعلي لا أفي بما يحتاجون إليه، فقال الكسائي: إنما يحتاجون في كل يوم إلى مسألتين في النحو واثنين من معاني الشعر وأحرف من اللغة، وأنا ألقنك في كل يوم قبل إن تأتيهم ذلك فتحفظه وتعلمهم، فقال: نعم.

فلما ألحوا عليه قال: قد وجدت من أرضاه، وإنما أخرت ذلك حتى وجدته وأسماء لهم. فقالوا: إنما اخترت لنا رجلاً من رجال النوبة ولم تأت بأحد متقدم في العلم، فقال: ما أعرف أحداً في أصحابي مثله في الفهم والصيانة، ولست أرضى لكم غيره، فأدخل الأحمر إلى الدار وفرش له البيت الذي فيه بفرش حسن، وكان الخلفاء إذا أدخلوا مؤدياً إلى أولادهم فجلس أول يوم أمروا بعد قيامه بحمل كل ما في المجلس إلى منزله مع ما يوصل به ويوهب له. فلما أراد الأحمر الانصراف إلى منزله دعى له بحمالين فحمل معه ذلك كله مع بز كثير، فقال الأحمر: والله ما يسع بيتي هذا، ومالنا إلا غرفة ضيقة في بعض الخانات ليس فيها من تحفظه غيري، وإنما يصلح مثل هذا لمن له دار وأهل. وكل شيء وما يشاكله، فأمر بشراء دار له وجارية وحمل على دابة ووهب له غلام وأقيم له جار ولمن عنده، فجعل يختلف إلى الكسائي كل عشية ويتلقن ما يحتاج إليه أولاد الرشيد ويغدو عليهم فيلقنهم، وكان الكسائي يأتيهم في الشهر مرة أو مرتين فيعرضون عليه بحضرة الرشيد ما علمهم الأحمر ويرضاه، فلم يزل الأحمر كذلك حتى صار نحوياً وجلت حاله، وعرف بالأدب حتى قدم على سائر أصحاب الكسائي، ولم يكن قبل ذلك له ذكر ولا يعرف.

وحدث محمد بن الجهم السمرقي قال: كنا إذا أتينا الأحمر تلقانا الخدم فندخل قصرًا من قصور الملوك فيه من فرش الشتاء في وقته ما لم يكن مثله إلا دار أمير المؤمنين، ويدفع إلينا دفاتر الكاغد والجلود قد صقلت، والمحابر المخروطة والأقلام والسكاكين ويخرج إلينا وعليه ثياب الملوك ينفخ منها رائحة المسك والبخور فيلقانا بوجه منطلق وبشر حسن حتى ننصرف. ونصير إلى الفراء فيخرج إلينا معبساً قد اشتمل بكسائه فيجلس لنا على بابه ونجلس في التراب بين يديه فيكون أحلى في قلوبنا من الأحمر وجميل فعله. وحدث سلمة قال: كان الأحمر قد أملى على الناس شواهد النحو، فأراد الفراء إن يتممها فلم يجتمع له أصحاب الكسائي كما اجتمعوا للأحمر، فقطع ولم يعرض له. قال عبد الله بن جعفر: أخبرنا غير واحد عن سلمة ابن عاصم صاحب الفراء قال: كان بين الفراء والأحمر تباعد وجفاء، فحج الأحمر فمات في طريق مكة فقيل للفراء: إن الأحمر قد نعى إلى أهله فاسترجع وتوجع وترحم عليه وجعل يقول: أما والله لقد علمته صدوقاً سخياً ذكياً عالماً ذا مروءة ومودة - رضي الله عنه - فقيل له: أين هذا مما كنت تقول فيه بالأمس؟ قال: والله ما ينعني ما كان بيني وبينه إن أقول فيه الحق، وما تعديت فيه قط في قول، ولا تحريت فيه إلا الصدق قبل والآن.

وأنشد إسحاق الموصلي قال: أنشدني الأحمر غلام الكسائي لنفسه:

وفتيان صدق عوا للندى

وفتيان صدق عوا للندى

وهي أربعة أبيات قال: وقرأت له أيضاً أبياتاً يسيرة ضعيفة.

وقال أبو محمد اليزيدي يهجو الكسائي والأحمر:

أفسد النحو الكسائي
وأرى الأحمر تيساً
ي وثنى ابن غزاله
فاعلفوا التيس النخالة

قال ثعلب: كان الأحمر يحفظ الأربعين ألف بيت شاهد في النحو سوى ما كان يحفظ من القصائد، وكان مقدماً على الفراء في حياة الكسائي، وله من التصانيف: كتاب التصريف، كتاب تفنن البلغاء.

على بن الحسن الهنائي

المعروف بكراع النمل. منسوب إلى هناة بن مالك ابن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد أبو الحسن اللغوي مات - أخلى موضعه - . وجدت خطه على المنضد من تصنيفه، وقد كتبه في سنة سبع وثلاثمائة. متقدم العصر في أيام ابن دريد، ذكره محمد ابن إسحاق النديم فقال: هو من أهل مصر وكان كوفياً وأخذ عن البصريين ويعرف بالرواسي قبيلة من الأزد، وكتبه مصر موجودة مرغوب فيها. وقال غيره: له من التصانيف: كتاب المنضد أورد فيه لغة كثيرة مستعملة وحوشية، ورتبه على حروف ألف ياء تاء ثاء إلى آخر الحروف، ثم اختصره في كتاب المجرد، ثم اختصره في كتاب المنجد. وله كتاب أمثلة الغريب على أوزان الأفعال فيه غريب اللغة، وكتاب المصحف، وكتاب المنظم.

على بن الحسن بن فضيل بن مروان

فارسي الأصل، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: له من الكتب: كتاب الأصنام وما كانت العرب والعجم تعبد من دون الله عز وجل.

على بن الحسن بن عبد الرحمن المقرئ

ذكره محمد بن جعفر التميمي المعروف بابن النجار في تاريخ الكوفة فقال: وانتهى تاريخ قراءة عاصم إلى الطبقة الثامنة، وهو على بن الحسن بن عبد الرحمن المقرئ، وكان شيخاً مباركاً تلقن عليه خلق عظيم، وحدثني أبو الحسن بن سعيد قال: كان يحضر مجلسه فوق ألف نفس في كل يوم، وكان السبق من العصر يبيت الناس للدرس، وحفظ خلقاً عظيماً القرآن، وآخر من شاهدنا منهم أبو العباس محمد بن الحسن بن يونس الهذلي، وكان عجيب المنى لفاظاً بالقران متمكناً من اللسان، وقد قرأ بالسبعة من عدة وجوه، وقرأ بالشواذ أبو الحسين بن أبي بلال البندار، وهو ألف قراءة على بن حسن أحسن تأليف وصنفها أتقن تصنيف. ومن رجال على بن الحسن أبو العباس المعروف بابن المزرفي المخزومي الخراز وكان أحد الأبدال الزهاد، وختم عليه خلق عظيم منهم أبو الحسن السمساني المعدل.

على بن الحسن يلقب بابن الماشطة

الكاتب، يكنى أبا الحسن، ذكره محمد بن إسحاق وقال: يلقب بابن الماشطة ظملاً، كان في أيام المقتدر، وله صناعة في الخراج وتقدم في الحساب، وله من التصانيف: كتاب جواب المعنت، كتاب الخراج لطيف كتاب تعليم نقض المؤامرات.

قال المرزباني: أبو الحسن على بن الحسن بن الماشطة الكاتب، أحد الكتاب المتصرفين في أعمال السلطان العالمين بأمور الكتبة والخراج، ورأيت شيخاً كبيراً بعد العشر والثلاثمائة، وجاوز التسعين وقال:

إذا عمر الإنسان تسعين حجة
فأبلغ به عمراً وأجدر به شكراً
لأن رسول الله قد قال معلننا:

وقال: وكان قد عزل عن عمل كان إليه وحبس:

قالوا حبست فقلت: الحبس لا عجب

حبس الكرامة لا حبس الجنايات

ربيت التتبع أو رفع الجماعات

وله:

إلى الأخ والإخوان كي أجد الرشد
وإن أظهره لم أكن لهم عهداً
فألزمت نفسي لأن لها المبدأ

إذا ضاق صدري بالحديث أفضته
فإن كتموه كان حزماً مؤيداً
وقلت اشتكرنا في الخطايا بذكره

قال أبو علي التنوخي: حدثني أبو الحسن علي بن هشام: سمعت علي بن الحسن الكاتب المعروف بابن الماشطة، وهو صاحب الكتاب المعروف بجواب المعنى في الكتابة، وعاش حتى بلغ مائة سنة، وكان قد تقلد مكان أبي في أيام حامد لما غلب علي بن عيسى على الأمور قال: سمعت الفضل بن مروان وزير المنتصر بالله بن المتوكل وذكر خبراً وقال في موضع آخر: حدثني أبو الحسن الكاتب المعروف بابن الماشطة وكان يتقلد قديماً العمالات ثم صار من شيوخ الكتاب، وتقلد في أيام حامد بن عباس ديوان بيت المال.

علي بن الحسن بن محمد بن يحيى

يعرف بعلمه المصري، ذكره أبو بكر الزبيدي في كتابه فقال: كان نحويًا من ذوي النظر والتدقيق في المعاني، وكان قليل الحفظ لأصول النحو، فإذا حفظ الأصل تكلم عليه فأحسن وجود في التعليل ودقق القول ماشاء، مات في شوال سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة.

علي بن الحسن بن حبيب اللغوي

أبو الحسن الصقلي. ذكره ابن القطاع فقال: أحد رجال اللغة المعدودين والعلماء بها المبرزين وممن تناول الرمي البعيد بقرب فهم، وأوضح المبهمات بنور علم، وكان مضطلعاً بنقد الشعر ومعانيه، ناهضاً بأعباء الغريب ومبانيه، فمن شعره قوله:

أهاب الكأس أشربها وإنى
أرأوها مراوغة كائني
لأجرأ من أسامة في النزال
ألاقي عند ذاك شبا العوالي

علي بن الحسن بن حسول

أبو القاسم، من كلام ابن حسول رقة كتبها إلى الصاحب بن عباد يسترضيه في شيء وجدته عليه: مولانا الصاحب الأجل كافي الكفا كالبحر يتدفق، والعارض يتألق، فلا عتب علي من لا يرويه سيب غوايه إن يستشرف للرائحات الرواعد من طوله، فيشيم بوارقها ويستمطر سحابها، والله تعالى يديم أحياء الخلق بصوب حياته، وديم إنوائه المنهلة من فتوق سمائه. وكان غاية مارجاه خادمه وتمناه إن يسلم على بلال أحذقت به، ومنايا حذقت إليه، وأجل نازل أمه، وسيف صقيل تلمظ له، وحين كفاه مولانا من ذلك ما كفاه آخذاً ببديده، وباسط جناح رحمته عليه، طالبتة نفسه بتوقيعه العالي، ليتوقى به وقائع الليالي. فتصدق أدام الله تمكينه عليه بتوقيعين في مدة أسبوعين أنقذه مغموراً، وأنشراه مقبوراً، وقد أبطرتة الآن النعمة، ونزت به البطنة، وأطمعته في توقيع ثالث، فطمع وأصدر كتابه هذا وانتظر، فإن رأى مولاي إن يحقق رجاءه ويستغنم دعاءه ودعاء من وراءه فعل إن شاء الله عز وجل، فوقع الصاحب على ظهرها: سيدي أبو القاسم - أيده الله -، قدم حرمة، وأتبع عثرة، وأظهر أنابة، فاستحق إقالة، فعاد حقه طرياً كان لم يخلق، وظنه قوياً كان لم يخفق، ولو حضر لأظهرت ميسم الرضا عليه، بما أصرفه من مزيد البسطة إليه، وإذا قد غبت فأنت لي يد حق ولسان صدق، فنب في ذلك مناباً يمحو آثار السخط كان لم تشهد، ويرخص أخبار العتب كان لم تعهد، هذا وأحسب توقيعاً كافياً فيما أمه، ومغنياً فيما أناله أمه إن شاء الله عز وجل.

علي بن الحسن القهستاني

أبو بكر العميد، أحد من أشرق بنور الآداب شمس، وتقدم وإن تأخر زمانه بالفضل يومه وأمس، وسما بفضل أدبه كل أفاضل جنسه، مشهور في أهل خراسان، مذكور معروف بينهم لاجهله قدره، ولا يطمس بدره. وكان قد اتصل في أيام السلطان محمود ابن سيكتكين بولده محمد بن محمود في أيام أبيه لما قلده الخوزستان، وكان يميل إلى علوم الأوائل، ويدمن النظر في الفلسفة، ففدح في دينه ومقت لذلك. وكان كريماً جواداً ممدحاً، ولّى الولايات الجليلة. وله أشعار فائقة ورسائل راقية، وكان كثير المزاح، راغباً في اللهو والمزاح، له في ذلك خاطر وقاد، وحكايات متداولة. وقد دونت رسائله، وشاعت فضائله، وكان يدمن المزاح حتى في مجلس نظره، وكان يعاتب على ذلك فلا يدعه لغلبة طبعه عليه. وكان قد تولى العرض فجرى يوماً بين يديه في مجلس

العرض ذكر المعمي فقال: قد كان عندي البارحة جماعة - سماهم - من أهل الأدب، فألقيت عليهم مثالا يصعب استخراج مثله، فوقفوا فيه وهو:

مليحة القد والأعطاف قد جعلت
قد ضيقت منه أنفاس الخناق بلا
فتسمع الصوت منه حين تضربه
كأنه خارج من ماضغ الأسد
في الحجر طفلا له رأسان في جسد
جرم وتضربه ضرباً بلا حرد

ثم قال: لقد ساءني والله فلان - لرجل أسماه - إذ لم يفهم هذا القدر. فقال له غلام أمرد من أولاد الكتاب كان يتعلم في ديوانه: قد عرفت - أطال الله - بقاء الشيخ العميد هذا المعمي وهو الطبل: فقال له مبادراً كأنه كان قد أعد له ذلك: عهدي بك تستدخل الأعور، فكيف صرت تستخرج الأعمى؟ فخلج الغلام وضحك الحاضرون. قال ابن عبد الرحيم: وحدثني أبو الفضل قال: بلغني إن القهستاني أنشد مرة بحضرة السلطان محمد بن محمود بيتاً من المعمي فلم يعرفه هو ولا ندماؤه وهو:

دقيقة الساق لاعروق لها
تدوس رزق الوري بهامتها

فقال له محمد: مانفهم هذا ولا نعرف شيئاً يشبهه ففسره. قال: هو مغرفة الباقلائي يغرف بها الماء ويهشم برأسها الخبز والثريد وهو رزق الوري، فاستبرده وثقل عليه عدم فهمه له، وهو لعمرى مستبرد حقيقة. قال: وحدثني إن هذا الرجل كان يتميز على أهل خراسان بحسن الأخلاق والسخاء وكثرة المعروف والعطاء، وكان الشعراء يقصدونه دائماً لما اشتهر من سماحته وفائض مروءته، فأنشده بعض الشعراء قصيدة باردة غير مرضية فغفل عنه وأخر صلته، فكتب بيتين في رقعة وسأل الدواتي إن يتركها في دواته، ففعل وكان البيتان:

أبا بكر هجوتك لالطبعي
ولكني بلوت الطبع فيه
فطبعي عن هجاء الناس ناب
فإن السيف يبلى في الكلاب

فوقعت بيد العميد بعد أيام، فلما وقف عليها استحسناها وسأل الدواتي عن الرجل فعرفه إياه فأمر بطلبه، فقيل له إنه سافر، فأرسل خلفه من استعاده من عدة فراسخ، فلما دخل إليه قام له وأكرمه وتلقاه بالإجلال وقال: لو كان مديحك كهجائك لقاسمتك نعمتي، فإني ما سمعت بأحسن من هذين البيتين، ووصله وأحسن جائزته، فاستجراً الناس عليه وقالوا: إنه لا يثيب إلا على الهجاء. قال: وكان أبو بكر القهستاني لهجاً بالغلما شديداً الميل إليهم، وكان لمحمد بن محمود سبعمائة غلام في خيله فعلق العميد أحدهم وأحبه حباً مفرطاً ولم يستجري أن يبدي ذلك لما فيه من سوء العاقبة، فاتفق أن عاد الغلمان يوماً من بعض التصيدات فلقبهم العميد في صحن الدار فسلموا عليه وقرب ذلك الغلام منه وكان قد عرف ميله إليه فقرص فخذ، وكان محمد مشرفاً عليهم ينظر إلى ذلك، فنزل واستدعى الخدم وأمرهم بضربه فضربوه ضرباً مسرفاً ثم أنفذه إلى العميد وقال له: قد وهبناه منك وصفحنا عن ذنبك، فلو لم يساعدك هذا ألفاً جر على ذلك لما أمكنك فعله، ولكن لاتعد إلى مثل هذا، فاستحيا العميد وقال: هذا أعظم من الضرب والأدب وتأخر عن داره حياءً فانفذ محمد واستدعاه وبسطه حتى زال إنقباضه، وكان محمد لا رأى له في الغلمان ولا ميل عنده إليهم، وكان لمعرفته بمحبة العميد لهم لا يزال يهب منه واحداً بعد واحد، وشكا الخدم إلى محمد إن بعض الغلمان الدارية يمكن باقي الغلمان من وطنه ولا يمتنع عليهم من الغشيان فقال: أيفعل هذا طبعاً أم يستجعل عليه؟ فقالوا: بل يستجعل عليه، فتقدم بإخراجه وإنفاذه إلى العميد وقال: قولوا له هذا بك أشبه لابناء، فخذ مباركاً لك فيه، وقال أبو بكر العميد في الميمندي وزير محمود:

ولقد سئمت من الوزري
وغسلت من معروفهم
وضربتهم عرض الجدا
ر ومن ذويه زائدة
كلتا يدي بواحدة
ر فليس فيهم فائدة

ومن مشهور قوله:

ومعقرب الأصداغ في
لاعبته بالكعبتي
فازداد حسناً وجهه
قمر القمر قمر القمر
خديه ورد ينتثر
ن مسامحاً حتى قمر
لما رأى حسن الظفر
قمر القمر قمر القمر

وله:

ومقرطق في صحن غرة وجهه
عاقرتة أسكرته قبلته
متصرف صرف الجمال وتحتة
جدلته فقحته سرحته

وله من أبيات كان يغني بها في حضرة الأمير محمد بن محمود:

قم يا خليلي فاسقني
فلقد يمر العيش من
فانعم بعيشك ما استطع
فلکم أضعت من الشبا

كشعاع خدك من شراب
قرضاً ولامر السحاب
ت ولا تضع شرخ الشباب
ب وما استقدى سوى اكتئاب

قال ابن عبد الرحيم: ثم ورد العميد إلى بغداد في أوائل سني نيفٍ وعشرين وأربعمائه، ومدح أمير المؤمنين القادر بالله والأجل عميد الرؤساء أبا طالب بن أيوب كاتبه، ثم خرج من بغداد، وبلغني الآن في سنة إحدى وثلاثين إنه اتصل بالملوك السلجوقية الغز المتملكين على خراسان وخوارزم والجبل، وإنهم عرضوا عليه الخدم الجليلة فاختر منها ما يظن معه سلامة العاقبة والخلاص من التبعة، ومن قصيدته في القادر:

ولم يرني ذو منة غير خالقي
غنيا بلا دنيا عن الخلق كلهم

وغير أمير المؤمنين ببابه
وإن ما الغنى إلا عن الشيء لابه

ومما بلغني من شعره:

رأيت عماراً وليتي لم أره
لأحمد الله على خلقه

حاز لتلك الطلعة المنكرة
فلو أراد الحمد ما صوره

وله يهجو ابن كثير العارض:

فلسنا نرجى الخير من ابن واحدٍ

فكيف نرجيه من ابن كثير

وله فيه:

وطول بلا طولٍ

وعرض بلا عرض

وهجاه بأبيات تصحف:

مالي وهذا العارض بن كثير

شيخ العميد وماله يشناني

وهو الفؤاد بروحه وأحبه

ويتيه أين رأيته وراني

ويغض من قدري ويحمل جاهداً

ذكرني ويخفي في الجنان جناني

يريد في الخنان خناني.

على بن الحسن بن الوحشي،

النحوي الموصلي أبو الفتح. قال السلفي: أنشدني أبو الفرج هبة الله ابن محمد بن المظفر بن الحداد الكاتب بثغر آمد قال: أنشدني ابن الوحشي النحوي لنفسه:

أبكي على الربع قد أقوى كأني من
لا تلحنني في بكائي فساكنه

سكانه أو كان مازلت أعمره
لم ألفه هاجري يوماً فأهجره

على بن الحسن السنخي

بن علي بن أبي الطيب، الباخري السنخي أبو الحسن، - وقال: أبو الحسن البيهقي كنية الباخري أبو القاسم وهو الصحيح -. وباخرز من نواحي نيسابور، ذكره العماد الكاتب في الخريدة فقال: وهو الذي صنف كتاب دمية القصر في شعراء العصر، قال: وطالعت هذا الكتاب بأصفهان في دار الكتاب التي لتاج الملك بجامعها، وبعثني ذلك على تأليف كتابي هذا، - يعني كتابه الذي نقلت هذا منه، وسماه خريدة القصر في شعراء العصر -. قال: ومات في سنة سبع وستين وأربعمائه. قال: قتل في مجلس إنس بباخري وذهب دمه هدرأ قال: وكان واحد دهره في فنه، وساحر زمانه في قريحته وذهنه، صاحب الشعر البديع، والمعنى الرفيع، وأثنى عليه قال: ولقد رأيت أبناء العصر بأصفهان مشغوفين بشعره، متيمين بسحره، وورد إلى بغداد مع الوزير الكندري، وأقام بالبصرة برهة ثم شرع في الكتابة معه مدة، واختلف إلى ديوان الرسائل وتنتقلت به الأحوال في المراتب والمنازل، وله ديوان كبير ومما أورده في دمية القصر لنفسه:

ولقد جذبت إلى عقرب صدغها
وكشفت ليلة جلوة عن ساقها

فوجدتها جرارة مجرورة
فرايتها مكاراً ممكورة

قال: ومما أنشدت من شعره قوله:

زكاة رؤس الناس في عيد فطرهم
ورأسك أعلى قيمة فتصدقني
وقال في عذار غلام يكتب خطأ مليحاً:
وقد قلت لما فاق خط عذاره
من يكتب الخط المليح لغيره
وله:

قالوا التحى ومحا الإله حماله
كتب الزمان على محاسن خده
وله:

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما
فاليوم حاجتنا إليك وإنما
وله:

يروك بشراً وهو جذلان مثلما
كذا السيف في أطرافه الموت كامن
وله:

قالت وقد ساءلت عنها كل من
أنا في فؤادك فارم طرفك نحوه
وقال يصف الشتاء والبرد:

لبس الشتاء من الجليد جلودا
كم مؤمن قرصته أظفار الشتاء
وترى طيور الماء في أرجائها
فاذا رميت بسور كأسك في الهوا
يا صاحب العودين لا تهملهما
ومن غير كتاب الخريدة مما روى له:

إنسان عيني قط ما يرتوى
كذلك الإنسان ما يرتوى

قال السمعاني: ولما ورد إلى بغداد مدح القائم بأمر الله بقصيدته التي صدرها ديوانه وهي:

عشنا إلى إن رأينا في الهوى عجا
أليس من عجب إنى ضحى ارتحلوا
وإن أجفان عيني أمطرت ورقاً
وإن تلهب برق من جوانبهم

قال: فاستهجن البغداديون شعره وقالوا: فيه برودة العجم، فأنقل إلى الكرخ وسكنها وخالط فضلاءها وسوقتها مدةً وتخلق بأخلاقهم، واقتبس من اصطلاحاتهم ثم أنشأ قصيدته التي أولها:

هبت على صبا تكاد تقول
سكرى تجشمت الربى لتزورني

فاستحسنوها وقالوا: تغير شعره ورق طبعه، ومن شعره:

حمل العصا للمبتلى
وصف المسافر إنه

يقول رسول الله صاع من البر
بفك علينا فهو صاع من الدر
في الحسن خط يمينه المستملحا
فلنفسه لاشك يكتب أملحا

وكساه ثوب مذلة ومحاق
هذا جزاء معذب العشاق

نجح الأمور بقوة الأسباب
يدعى الطبيب لكثرة الأوصاب

تخاف شباه وهو غضبان محنق
وفي متنه ضوء يروق ورونق

لاقيته من حاضر أو بادي
ترني فقلت لها وأين فؤادي

فالبس فقد برد الزمان برودا
فغدا لأصحاب الجحيم حسودا
تختار حر النار والسفودا
عادت عليك من العقيق عقودا
حرق لنا عوداً وحرك عوداً

من ماء وجه ملحت عينه
من شرب ماء ملحت عينه

كل الشهور وفي الأمثال عش رجا
أوقدت من ماء دمعي في الحشا لهبا
وإن ساحة خدى أنبتت ذهباً
توقد الشوق في جنبي والتهبا

إني إليك من الحبيب رسول
من علتني وهوبها تعليل

بالشيب عنوان البلى
ألقى العصا كي ينزلا

فعلى القياس سبيل من

حمل العصا إن يرحلا

وذكر أبو الحسن بن أبي القاسم زيد البيهقي في كتاب مشارب التجارب، وأخبار الوزير أبي نصر الكندري - وكندر قرية من أعمال طريثيث - قال: كان الشيخ على بن الحسن الباخري شريكه في مجلس الإفادة من الإمام الموفق النيسابوري في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، فجاءه الشيخ على بن الحسن فقال مداعباً:

أقبل من كندر مسيخرة

للنحس في وجهه علامات

يحضر دور الأمير وهو فتى

موضع أمثاله الخرابات

فهو جحيم ودبره سعة

كجنة عرضها السموات

قال: وكان أول عمل الكندري حجة الباب ثم تمكن في أيام السلطان طغرل بك وصار وزيراً محكماً فورده عليه الشيخ على بن الحسن وهو ببغداد في صدر الوزارة في ديوان السلطان، فلما رآه الوزير قال له: أنت صاحب أقبل؟ فقال له: نعم، فقال الوزير: مرحباً وأهلاً فإني قد تفاعلت بقولك أقبل، ثم خلع عليه قبل إنشاده وقال له: عد غداً وأنشد، فعاد في اليوم الثاني وأنشد هذه القصيدة:

أقوت معاهدم بشط الوادى

فبقيت مقتولاً وشط الوادى

وسكرت من خمر الفراق ورقصت

عيني الدموع على غناء الحادي

ومنها:

في ليلة من هجره شتوية

مدودة مخصوبة بمداد

عقمت بميلاد الصباح وإنها

في الامتداد كليلة الميلاد

ومنها:

غر الأعادي منه رونق بشره

وأفادهم برداً على الأكباد

هيهات لا يخذعهم إيماضه

فالغيظ تحت تبسم الأساد

فالبهو منه بالبهاء موشح

والسرح منه مورك الأعواد

وإذا شياطين الضلال تمردوا

خلاهم قرناء في الأصفا

فلما فرغ من إنشاد هذه القصيدة قال عميد الملك لأمرء العرب: لنا مثله في العجم، فهل لكم مثله في العرب؟ ثم أمر له بألف دينار مغربية قال: وكان السلطان طغرل بك قد بعث وزيره الكندري وكيلاً في العقد على بنت خوارزمشاه فوق إرجاف ورفع إلى السلطان إن عميد الملك زوجها من نفسه وخان، وكان من أمرهما ماكان، فتغير رأس السلطان عليه فخلق عميد الملك لحيته وجب مذاكيره حتى سلم من سياسة السلطان، فمدحه الشيخ على بن الحسن بهذا النقصان وما سبقه بهذا المعنى أحد حيث قال:

قالوا محا السلطان عنه بعدكم

سمة الفحول وكان قرماً صائلاً

قلت استكثروا فالآن زاد فحولة

لما اعتدى عن إنثييه عاطلاً

فالفحل يأنف إن يسمى بعضه

إنثى لذلك جذه مستأصلاً

ولما قتل السلطان البرسلان الوزير أبا نصر الكندري قال الباخري يخاطب السلطان:

وعمك أدناه وأعلى محله

وبوأه من ملكه كنفاً رحباً

قضى كل مولى منكم حق عبده

فخوله الدنيا وخولته العقبي

قال المؤلف: وهذا المعنى لطيف ومقصد ظريف، فله در الشعراء وقرائهم والأدباء ومناجهم قال البيهقي: ومن العجائب إن الآت تناسل الكندري مدفونة بخوارزم، ودمه مصبوب بمرور الرود، وجسده مقبور بقرية كندر من طريثيث، وجمجمته ودماعه مدفونان بنيسابور، وشواته محشوة بالتبن وقد نقلت إلى كرمان فدفنت هناك. وقال على بن الحسن الباخري في ذلك:

مفتقراً في الأرض أجزاءه

بين قرى شتى وبلدان

جب خوارزم مذاكيره

طغرل بك ذاك الملك الفاني

ومص مرو الرود من جيده

معصفاً يخضبها قاني

فالشخص في كندر مستبطن

وراء أرما س وأكفان

ورأسه طار ولهفي على

مجثمه في خير جثمان

خلوا بنيسابور مضمونه

وقحفه الخالي بكرمان

والحكم للجبار فيما مضى
وقال في قصيدة له فائقة يمدح فقيها الشريف ذا المجدين أبا القاسم على بن موسى بن إسحاق بن الحسين بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي ابن أبي طالب عليهم السلام، نقيب الطالبين بمرؤ - وفيها ما يدل على إن كنية الباخرزي أبو القاسم - أولها:

حيالك من تحت ذيل الحبي

ويقول فيها:

وسقت الركائب حتى أنخن
على بن موسى مواسى العفاة

ومنها:

نماه الفخار إلى جده
ولايتأشب عيص السرى
أبا القاسم ياقسيم السخاء
وفدت إليك مع الوافدين
وزارك منى سمي كي
فهذي القصيدة بكر تصل
جعلت هواك جهازاً لها
سحرت بها ألسن السامرين
ولما نشرت أفويقها

وقرأت بخط أبي سعد لأبي القاسم الباخرزي وكناه أبا الحسن:

يا فالق الصبح من لألاً غرته
لاغرو إن أحرقت نار الهوى كبدى

وأنشد له وكناه أبا القاسم:

كتبت وخطى حاش وجهك شاهد
ونفسي إن تأمر تعش في سلامة

على بن الحسن بن علي بن صدقة

الوزير ابن الوزير أبو الحسن، لم يستقل بالوزارة إنما ناب عن أبيه، وكان أبوه وزير المسترشد، وكان في أبيه كفاية وشهامة، وهو أول من تولى الوزارة من بين صدقة، وكان أبوه يلقب جلال الدولة، وهو يلقب شرف الدولة، ولما مات جلال الدولة دخل الأقفاسى الشاعر الموصلى إلى قبره وقال وهو يبكى:

نزورك في ثوبي خشوع وذلة
ونلثم ترباً من رفيع محجب
وترثى بما قد كنت ممتدحاً به

ومات جلال الدولة في جمادى الآخرة سنة ثلاث و ثلاثين وخمسائة. وأما شرف الدولة فقال السمعاني في تاريخه: هو غزير الفضل وافر العقل، له معرفة باللغة، حسن الخط مليحه، دين خير مشغول بالعبادة والعزلة، سمع بقراءتي بمكة والمدينة وبغداد على المشايخ، وسمع أبا القاسم الربيعي، كتبت عنه وسألته عن مولده فقال: في محرم سنة تسع وتسعين وأربعمئة. قلت أنا وهو الذي بنى الرباط المعروف برباط الدرجة على دجلة بالجانب الغربي، واعتزل فيه مع جماعة من الفقهاء وترك الولايات إلى إن مات، وهو صاحب الخط المليح المنسوب على طريقة على بن هلال بن البواب، ومات في سابع صفر سنة أربع وخمسين وخمسائة.

على بن الحسن بن عنتر بن ثابت

المعروف بشميم الحلي، أبو الحسن النحوي اللغوي الشاعر، مات في ربيع الآخر سنة إحدى وستمئة. أخبرني به العماد بن الحدوس العدل، وبمنزله مات بالموصل عن سن عالية، وهو من أهل الحلة المزبيدة. قدم بغداد وبها تأدب، ثم توجه تلقاء الموصل والشام وديار بكر، وأظنه قرأ على أبي نزار ملك النحاة. فقال: كيف أرضى عنهم وليس لهم ما يرضيني؟ قلت: فما فيهم قط أحد بما يرضيك؟ فقال: لا أعلمه إلا أن يكون المتنبي في مديحه خاصة، وابن نباتة في خطبه، وابن الحريري في مقاماته فهو لاء لم يقصروا. قلت له: يا مولانا قد عجبت إذ لم تصنف مقامات تدحض بها مقامات الحريري، فقال لي: بابني اعلم إن الرجوع إلى الحق خير من التماسي على الباطل. عملت مقامات مرتين فلم ترضى فغسلتها، وما أعلم إن الله خلقتني إلا لأظهر فضل ابن الحريري، ثم سطح في الكلام وقال: ليس في الوجود إلا خالقان: فأحد في السماء وأحد في الأرض، فالذي في السماء هو الله، والذي في الأرض أنا، ثم التفت إلي وقال: هذا كلام لا يحتمله العامة لكونهم لا يفهمونه، أنا لا أقدر على خلق شيء إلا خلق الكلام فأنا أخلقه، ثم ذكر اشتقاق هذه اللفظة، فقلت له: أيا مولانا؟ أنا رجل محدث وإن لم تكن في المحدث جراءة مات بغصته، وأحب أن أسأل مولانا عن شيء إن أذن، فتبسم وقال: ما أراك تسأل إلا عن معضلة هات ما عندك. قلت: لم سميت بالشميم؟ فشتمني ثم ضحك وقال: اعلم إنني بقيت مدة من عمري - ذكرها هو ونسيتها أنا - لا أكل في تلك المدة إلا الطيب فحسب قصداً لتتشفى الرطوبة وحدة الحفظ، وكنت أبقى أياماً لا يجيئني الغائط، فإذا جاء كان شبه البندقة من الطين وكنت آخذه وأقول لمن انبسط إليه شمه فإنه لا رائحة له، فكثرت ذلك حتى لقيت به، أرضيت يا بن الفاعلة.

هذا آخر ما جرى بيني وبينه، ثم أنشدت له من حماسته:

لا تسرحن الطرف في بقر المها	فمصارع الأجال في الأجال
كم نظرة أردت وما أخذت يد ال	مصمى لمن قتلت أداة قتال
سنحت وما سمحت بتسليم واق	لال التحية فعلة المغتال
أضللت قلبي عندهن ورحت إن	شده بذات الضال ضل ضلالي
ألوى بالوبة العقيق على الطلو	ل مسائلا من لا يجيب سؤالي
تربت يدي في مقصدي من لا يدي	قودي وأولى لي بها أولى لي
يا قاتل الله الدمى كم من دم	أجرين حلا كان غير حلال
أشلين ذل اليتيم في الأشبال	وفتك بالأجساد في الأغيال
ونفرن حين نكرن إقبالي ولو	إني نفرت لكان من إقبالي
لكن أبي رعى ذمام الحب إن	أولى الوفاء قطيعة من قالي

وأنشدني تقي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي محمد المعروف بابن الحجاج، وأبو محمد هو الحجاج من شرقي واسط قال: أنشدني أبو الحسن علي بن عنتر ابن ثابت الحلوى المعروف بشميم وقد قلت: لا أراك تدم أحداً من أهل العصر فقال لي: ليس لأحد منهم عندي قيمة، فإنه لا يصلح للدم إلا من يصلح للمدح، أما سمعت قلبي في الحماسة:

أصخ إنما مدح الفتى وهجاؤه	لدى الطين النقريس ذا توءم لذا
فحيث أنتوى ملقى المديح عصا الثوى	تراح بها من أينها قلص الهجا
ومن ليس أهلاً للمديح ولا الهجا	فعيناه في عين الرضا ظلمة العمى
ويزرى بضر غام الغريف زئيره	على ذبح عنو هر أو أغضف عوى

وأنشدني أيضاً له:

قالوا نراك بكل فن عالماً	فعلام حظك من دنالك خسيس؟
فأجبتهم لاتعجبوا وتفهموا	كم زاد نهزة ليث خيس خيس

حدثني ابن الحجاج تقي الدين قال: اجتمع جماعة من التجار الواسطيين بالموصل على زيارة شميم وتوافقوا على ألا يتكلموا بين يديه خوفاً من زلل يكون منهم، فلما حصلوا بين يديه قال أحدهم: أدام الله أيامك فالتفت إلي وقال: إيش هؤلاء؟ فإني أرى عمائم كباراً ظننتها على آدميين فسكتوا، فلما قاموا قال له آخر منهم: يا سيدي ادع لنا بشمل الجميع، فغضب وقال: إيش هؤلاء وكيف خلقهم الله؟ ثم حلف بخالفه وقال: لو قدرت على خلقه مثل هؤلاء إنفث من خلق مثلهم. قال المؤلف: حدثني محمد بن حامد بن محمد بن جبريل بن محمد بن منعة بن مالك الموصل الفقيه فخر الدين بمرور سنة خمس عشرة وستمئة، في ربيع الأول منها قال: لما ورد شميم الحلي إلى الموصل بلغني فضله فقصدته لأقتبس من علومه، فدخلت عليه فجرى أمرى على ما هو معروف به من قلة الاحتفال بكل أحد، وجرت خطوب ومذاكرات إلى إن قال: ومن العجائب استحسان الناس قول عمرو بن كلثوم:

مشعشة كان الحص فيها

إذا ما الماء خالطها خرينا

- كذا قال تهكمًا - إلا قال كما قلت:

وسالت نطاف الراح في الراح فاغتنى الس

سماح إلى راحتنا فسخينا

ثم أخرج رقعة من تحت مصلاه وقال لي: ما معنى قولي: قلب شطر أعاديك حظ من كفر أياديك؟ فقلت: أكتبها وأفسرها؟ فقال: اكتب، فكتبتها وقلت نعم: شطر أعاديك: ديك وقلبه: كيد، أردت إن الكيد حظ من كفر أياديك، فقال: أحسنت، وكان ذلك سبب إقباله على بعد ما تقدم من إهماله إياي، وأنشدني أبو حامد المذكور قال: أنشدني أبو الحسن على بن الحسن بن عنتر الحلي لنفسه:

أقيلي عثرة الشاكي أقيلي

فسولى في سماع نثا رسولى

وإن لم تأذني بفكاك أسري

فدليني على صبر جميل

حدثني الأمدى الفقيه قال: بلغني إنه لما قدم الحلي إلى الموصل إنتال إليه الناس يزورونه، وأراد نقيب الموصل - وهو ذو الجلالة المشهورة بحيث لا يخفى أمره على أحد - زيارته فقبل له: إنه لا يعبا بأحد ولا يقوم من مجلسه لزاثر أبداً، فجاءه رجل وعرفه ما يجب من احترام النقيب لحسبه ونسبه وعلو منزلته من الملوك، فلم يرد جواباً، وجاءه النقيب ودخل وجرى على عادته من ترك الاحتفال له ولم يقم عن مجلسه، فجلس النقيب ساعة ثم انصرف مغضباً، فعاتبه ذلك الرجل الذي كان أشار عليه بإكرامه، فلم يرد عليه جواباً، فلما كان من الغد جاءه وفي يد الحلي كسرة خبز يابسة وهو يعرض من جنبها ويأكل، فلما دخل الرجل عليه قال له: بسم الله، فقال له: وأي شيء هاهنا حتى أكل؟ فقال له: يا رقيب من يقنع من الدنيا بهذه الكسرة اليابسة لأي معنى يذل للناس مع غناه عنهم واحتياجهم إليه.

حدثني الفقيه قال: بلغني إن الحلي قدم إلى أسعرت فتسامع به أهلها فقصدوه من كل فج، وكان فيهم رجل شاعر فأنشده الرجل شعراً استجاده الحلي فقال لقائله: إني أرفع هذا الشعر عن طبقتك، فإن كنت في دعواك صادقاً فقل في معناه الآن شيئاً آخر، ففكر ساعة فقال:

وماكل وقت فيه يسمح خاطري

بنظم قريض يقتضي لفظه معنى

ولم يبح الشرع المبين تيمماً

بترب وبحر الأرض في ساحة معنا

فقال له الحلي: ويحك اسجد، ويلك اسجد، فإن هذا موضع من مواضع سجدات الشعر، وأنا أعرف الناس بها. ومما سمعته من قلق فيه وهو من إنشاء خطبة له وهي: الحمد لله فائق قمم حب الحصيد بحسام السحب، صابغ خد الأرض بقاني رشيق يانع العشب، نافخ روح الحياة في صور تصاويرها بسائح القراح العذب، يحي ميت الأرض باماتة كالجذب، لا يتسام ثغر نسيم إنفاح الخصب، محيل جسم طبيعة الماء المبارك في أشكال الحب والعنب والزيتون والقضب، جاعلة للأنام والأنعام، ذات الحمل والحب، محلى جيد الأفلاك بقلائد دراري النجوم الشهب، ومجلى جند الأملاك عن مباشرة التصرف والكسب، وللقيام بالواجب وأصل التسبيح والتقدس للرب، قابل التوبة من المذنب المنيب وغافر الذنب، الواحد المنفرد بوحدانيتها عن ملازمة قسمة أعداد الحساب والضرب، المستغنى بصمديته عن مسيس الحاجى إلى دواعي الأكل والشرب، الشاهد على خلقه بما يفيضون فيه لألا تصاف بعد ولاقرب، المهيمن على سر اجتراح كل جارحة وخاطر خاطر وتقلب قلب، أحمدته على مامن من موضح بيان بما ألب في سويداء لب، وأشكره على ماجلا من مظلم ظلم جهل، وكشف من كثيف ركام كرب، وأشهد إن لاإله إلا الله وحده لا شريك له شهادة سالمة من شوائب النفاق والخب، مؤمنة قائلها يوم الفزع الأكبر من إيحاش الرهب والرعب، وأشهد إن محمدا عبده المحبو بعقد حبا، خاتم الأنبياء من جميع أصحاب الصحف والكتب، وصفية المنتخب لنصر الدين وإقامة دعوى الإسلام بالبيض القضب والجرد القب والأسد الغلب. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما سحت الغزاة بأفق شرق وحجبت بغارب غرب، صلاة بفتى تكرار عديدها صم الحصا الصلب، ويبيد أريد الترب. عباد الله: من اختلف عليه الأباد باد، ومن تمكنت يد المنون من عنقه إنقاد، ومن تزود التقوى استفاد خير الزاد، ومن بدأ ببره وعاد للمعاد فاز بالأحماد، (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء تود لو إن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد). اللهم نول آمالنا مناها، وكفل أعمالنا تقاه، وخول أطماعنا رضاها، ولا تشرب قلوبنا هوى دنياها، فإن المعاطب في حياها، وشين المعاييب مزر بها، فلا تجعل اللهم مهامنا فيها المنى، وأما بأمنا من كيد أمنا الدنا، برحمتك يا أرحم الراحمين، استغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين ولوالدي وللمن علمني

أسماء تصانيف الشيخ علي بن الحسن الشميم الحلي

كتاب النكت المعجمات في شرح المقامات، وكتاب أرى المشتارفي القريض المختار، وكتاب الحماسة من نظمه مجلد، وكتاب مناح المنى في إيضاح الكنى أربع كراريس، وكتاب درة التأميل في عيون المجالس والفصول مجلدان، وكتاب نتائج الإخلاص

في الخطب مجلد، وكتاب إنس الجليس في التجليس مجلد، وكتاب أنواع الرقاع في الأسجاع، وكتاب التعازي في المزارى مجلد، وكتاب خطب نسق حروف المعجم كراسان، وكتاب الأمانى في التهاني مجلد، وكتاب المفاتيح في الوعظ كراسان، وكتاب معاينة العقل في معاناة النقل مجلد، وكتاب الإشارات المعرية مجلد، وكتاب المرتجلات في المسجلات أربع كراسان، وكتاب المخترع في شرح اللمع مجلد، وكتاب المحتسب في شرح الخطب مجلد، وكتاب المهتصر في شرح المختصر مجلد، وكتاب التحميص في التغميض كراسان، وكتاب بداية الفكر في بدائع النظم والنثر مجلدان، وكتاب خلق آدمي كراسان، وكتاب رسائل لزوم مالا يلزم كراسان، وكتاب اللزوم مجلدان، وكتاب لهنة الضيف المصحح في الليل المسحر كراسان، وكتاب منتزه القلوب في التصحيف كراسان، وكتاب المنايح في المدائح مجلدان، وكتاب نزهة الراح في صفات الأفراح كراسان، وكتاب الخطب المستضيئة، كتاب حرز النافث من عيث العائث، كتاب الخطب الناصرية، كتاب الركوبات مجلدان، كتاب شعر الصبي مجلد، كتاب إقام الأحلام في تفسير الأحلام، كتاب سمط الملك المفضل في مدح الملوك الأفضل، كتاب مناقب الحكم في مثالب الأمم مجلدان، كتاب اللامسة في شرح الحماسة، كتاب الفصول الموكبية يشتمل على أربعين فصلاً، وكتاب مجتنب ربحانة الهم في استئناف المدح والذم، كتاب المناجاة.

علي بن الحسن بن عساكر،

الحافظ الدمشقي نقلت من جزء عمله ولده أبو محمد القاسم بن علي في أخبار والده فقال: هو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ابن الحسين، أبو القاسم بن أبي محمد بن أبي الحسن بن أبي محمد بن أبي علي الشافعي الحافظ، أحد أئمة الحديث المشهورين والعلماء المذكورين، ولد في المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة، ومات في الحادي عشر من رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، وقد بلغ من السن اثنتين وسبعين سنة وستة أشهر وعشرة أيام، وحضر جنازته بالميدان والصلاة عليه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب - رحمه الله -.

قال العماد: وكان الغيث قد احتبس في هذه السنة فدر وسج عند ارتفاع نعشه، فكان السماء يكت عليه بدمع وبله وطشة. وسمعه أخوه سنة خمس وخمسمائة، وسمع هو بنفسه من والداه وأبي محمد الأكفاني وذكر خلفاً من شيوخ دمشق، ورحل إلى العراق في سنة عشرين وخمسمائة، وأقام بها خمس سنين، وسمع ببغداد من أبي القاسم بن الحصين وغيره، وحج في سنة إحدى وعشرين، وسمع بمكة ومنى والمدينة وبالكوفة وأصبهان القديمة واليهودية ومرو والشاهجان ونيسابور وهراة وسرخس وأبيورد ويطان والري وزنجان، وذكر بلاداً كثيرة يطول على ذكرها من العراق وخراسان والجزيرة والشام والحجاز. قال: وعدة شيوخه ألف وثلاثمائة شيخ، ومن النساء بضع وثمانون امرأة، وحدث ببغداد ومكة ونيسابور وأصبهان وسمع منه جماعة من الحفاظ ممن هو أسن منه.

وروى عنه أبو سعد بن السمعاني فأكثر، وروى هو عنه. ولما دخل بغداد سمع الدرس بالنظامية مدة مقامه بها، وعلق مسائل الخلاف على الشيخ أبي سعد اسماعيل بن أبي صالح الكرمانى، وأنتفع بصحبة جده أبي الفضل في النحو والعربية، وجمع وصنف، فمن ذلك: كتاب تاريخ مدينة دمشق وأخبارها وأخبار من حلها، أوردها في خمسمائة وسبعين جزءاً كم تجزئة الأصل، والنسخة الجديدة ثمانمائة جزء، كتاب الموافقات على شيوخ الأئمة الثقات اثنان وسبعون جزءاً، كتاب الأشراف على معرفة الأطراف ثمانية وأربعون جزءاً، كتاب تهذيب المتلمس من عوالي مالك ابن إنس أحد وثلاثون جزءاً، كتاب التلخيص لحديث مالك العالي تسعة عشر جزءاً، كتاب مجموع الرغائب مما وقع من أحاديث مالك الغرائب عشرة أجزاء، كتاب المعجم لمن سمع منه أو أجاز له اثنا عشر جزءاً، كتاب من سمع منه من النسوان جزء واحد، كتاب معجم أسماء القرى والأمصار التي سمع بها جزء واحد، كتاب مناقب الشبان خمسة عشر جزءاً، كتاب فضل أصحاب الحديث أحد عشر جزءاً، كتاب تبیین كذب المفترى على الأشعري عشرة أجزاء، كتاب المسلسلات عشرة أجزاء، كتاب تشریف يوم الجمعة سبعة أجزاء، كتاب المستفيد في الأحاديث السباعية الأسانيد أربعة أجزاء، كتاب السداسيات جزء واحد، كتاب الأحاديث الخماسيات وأخبار أبي الدنيا جزء واحد، كتاب تقوية المنة على إنشاء دار السنة ثلاثة أجزاء، كتاب الأحاديث المتخيرة في فضائل العشرة، كتاب من وافقت كنيته كنية زوجته أربعة أجزاء، كتاب الأربعين الطوال ثلاثة أجزاء، كتاب أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً من أربعين مدينة جزءان، كتاب الأربعين في الجهاد جزء واحد، كتاب الجواهر واللالى في الأبدال العوالي ثلاثة أجزاء: كتاب فضل عاشوراء والمحرم ثلاثة أجزاء، كتاب الاعتزاز بالهجرة جزء واحد، كتاب المقالة الفاضحة للرسالة الواضحة جزء واحد، كتاب رفع التخليط عن حديث الأطيب جزء واحد، كتاب الجواب المبسوط لمن ذكر حديث الهبوط جزء واحد، كتاب القول في جملة الأسانيد في حديث المؤيد ثلاثة أجزاء، كتاب طرق حديث عبد الله بن عمر جزء، كتاب من لا يكون مؤتمناً لا يكون مؤذناً جزء واحد، كتاب ذكر البيان عن فضل كتابة القرآن جزء واحد، كتاب دفع التنزيه على من فسر معنى التنزيه جزء، كتاب فضل الكرم على أهل الحرم جزء واحد، كتاب الإقتداء بالصادق في حفر الخندق جزء واحد، كتاب الإنذار بحدوث الزلازل ثلاثة أجزاء، كتاب ثواب الصبر على المصائب بالولد جزان، كتاب معنى قول عثمان: ما تعنيت ولا تمنيت جزء، كتاب مسلسل العيدين جزء واحد، كتاب حلول

المحنة بحصول الابنة جزء واحد، كتاب ترتيب الصحابة في مسند أحمد جزء واحد، كتاب ترتيب الصحابة في مسند أبي يعلى جزء، كتاب معجم الشيوخ النبلاء جزء واحد، كتاب أخبار أبي عمر الأوزاعي وفضائله جزء، كتاب ما وقع للأوزاعي من العوالي جزء، كتاب أخبار أبي محمد سعد بن عبد العزيز وعواليه جزء، كتاب عوالي حديث سفيان الثوري وخبره أربعة أجزاء، كتاب إجابة السؤال في أحاديث شعبة جزء واحد، كتاب روايات ساكني داريا ستة أجزاء، كتاب من نزل المزة وحدث بها جزء واحد، كتاب أحاديث جماعة من كفر سوسيه جزء واحد، كتاب أحاديث صنعاء الشام جزءان، كتاب أحاديث أبي الأشعث الصنعاني ثلاثة أجزاء، كتاب أحاديث حنش والمطعم وحفص الصنعانيين جزء، وكتاب فضل الربوة والنيرب ومن حدث بها جزء، كتاب حديث أهل قرية الحمريين وقبيبات جزء واحد، كتاب حديث أهل فذايا وبيت أرناس وبيت قوفا جزء، كتاب حديث أهل قرية البلاط جزء، كتاب حديث سلمة ابن على الحسني البلاطي جزءان ومن حديث يسرة بن صفوان وابنه وابن ابنه جزء واحد، ومن حديث سعد ابن عبادة جزء، ومن حديث أهل رندين وجبرين جزء واحد. ومن حديث أهل بيت سواى جزء، ومن حديث رومة ومسرابة والقصر جزء، ومن حديث جماعة من أهل حرسنا جزء، ومن حديث أهل كفر بطنا جزء، ومن حديث أهل دقانية وجخراء وعين توما وجديا وطرميس جزء واحد، ومن حديث جماعة من أهل جوير جزء واحد، ومن حديث جماعة من أهل بيت لهيا جزء واحد، ومن حديث يحيى بن حمزة البتليهي وعواليه جزء، ومجموع من حديث محمد بن يحيى بن حمزة الحضرمي البتليهي جزءان، وفضائل مقام إبراهيم، ومن حديث أهل برزة جزء، ومن حديث أبي بكر بن محمد بن رزق الله المنيني المقرئ جزء، ومجموع من أحاديث جماعة أهل بعلبك جزءان. قال: وأملى رحمه الله أربعمئة مجلس وثمانية مجالس في فن واحد، وخرج لشيخه أبي غالب بن البنائى أحد عشر مشيخة، ومشيخة لشيخه أبي المعالي عبد الله بن أحمد الحلواني الأصولي جزأين، وخرج أربعين حديثاً مساواة الإمام أبي عبد الله القراوي في جزء، ومصافحة لأبي سعد السمعاني وأربعين حديثاً في جزء، وخرج لشيخه الإمام أبي الحسن السلمي سبعة مجالس وتكلم عليها، وآخر ماصنعه جزء في تكميل الأنصاف والعدل بتعجيل الإسعاف بالعزل، وكتاب فيه ذكر ما وجدت في سماع مما يلتحق بالجزء الرابعي. ووجدت في أصوله علامات له على مصنفات عدة منها: كتاب الإبدال ولو تم كان مقداره مائتي جزء أو أكثر، وكتاب فضل الجهاد، ومسند مكحول وأبي حنيفة. وكتاب فضل مكة. وكتاب فضل المدينة. وكتاب فضل البيت المقدس. وكتاب فضل قریش وأهل البيت والأنصار والأشعريين وذم الرافضة. وكتاب كبير في الصفات وأشياء غير ذلك تبلغ عدتها أربعين مصنفاً. ولما أملى رحمه الله في فضائل الصديق رضي الله عنه سبعة مجالس ثم قطعها بإملاء مجالس في ذم اليهود وتخليدهم في النار، جاء إليه صديقنا أبو علي بن رواحة وقال له: رأيت الصديق في النوم وهو راكب على راحلة فقلت: يا خليفة رسول الله قد أملى علينا الحافظ أبو القاسم سبعة مجالس في فضائلك، فأشار إلي بأصابعه الأربع، فقال له والدي: قد بقي عندي مما خرجت ولم أمله أربعة مجالس فأملأها، ثم أملى في كل واحد من الخلفاء أحد عشر مجلساً، وكان رحمه الله مواظباً على صلاة الجمعة ملازماً لقراءة القرآن، وكان يختم في رمضان والعشر كل يوم ختمة، ولم ير الأ في الاشتغال بعلم وعبادة يحاسب نفسه على كل لحظة، وكنت أسمع والدي يحكي إن أباه رأى في منامه رؤيا ووالدي حمل إنه يولد لك مولود يحيي الله به السنة، ولما قدم إلى بغداد أعجب به البغداديون وقالوا: قدم علينا من دمشق ثلاثة ما رأينا مثله: الشيخ يوسف الدمشقي، والصائن أبو الحسين هبة الله بن الحسن، وأخوه أبو القاسم. وحدثني أبي رحمة الله قال: كنت يوماً أقرأ على شيخنا أبي الفتح المختار بن عبد الحميد وهو يتحدث مع جماعة بالعجمية فقال: قدم علينا الوزير أبو علي فقلنا: ما رأينا مثله، ثم قدم علينا أبو سعد بن السمعاني فقلنا: ما رأينا مثله، حتى قدم علينا هذا فلم نر مثله، وقال لنا صاحبه الحافظ أبو المواهب الحسن بن هبة الله بن صصري قال: الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد المقرئ الأديب اللغوي إمام همدان وتلك الديار غير مدافع، أنا أعلم إنه لايساجل الحافظ أبا القاسم في شأنه أحد، فلو خالط الناس وما زجهم كما أصنع إذا لاجتمع عليه المخالف والمؤلف، وقال لي يوماً آخر: أي شيء فتح له؟ وكيف بر الناس له؟ فقلت: هو بعيد من هذا كله، لم يشتغل منذ أربعين سنة إلا بالجمع والتصنيف والمطالعة والتسميع حتى في نزهة وخلواته. فقال: الحمد لله، هذا ثمرة العلم، إلا أنا قد فتح لنا مما حصلنا به الدار والكتب وبناء المسجد ما يقرب من اثني عشر ألف دينار، وهذا يدل على قلة حظوظ العلماء في بلادكم. ثم قال لي: ما كنا نسمة الشيخ أبا القاسم ببغداد الأ شعله نار من توقده وذكائه وحسن إدراكه. قال: وقال لي والدي لم أر بدمشق أفهم للحديث من أبي محمد بن الأكفاني، ولا ببغداد مثل أبي الفضل محمد بن ناصر وأبي عامر العبدري، وكان العبدري أحفظهما، ولم أر بخراسان مثل أبي القاسم الشحامى، ولا بأصفهان مثل أبي القاسم التميمي الحافظ، وأبي نصر البويري فقلت له: ما أخالك إلا أفضل منهما، فسكت، هذا آخر ما نقلت من هذا الجزء الذي ألفه ابنه وتركت منه ما اختصرته. وكان الحافظ أبو القاسم بن عساكر يقول شعراً ليس بالقوى، وسمعه تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي النحوي اللغوي فقال. هذا شعر أضاع فيه صاحبه شيطانه، فقال السمعاني في المذيل: وأنشدني الحافظ أبو القاسم بالمزة من أرض دمشق:

فماذا التصابي وماذا الغزل
وجاء مشيبي كان لم يزل
وما قدر الله لي في الأزل

أيا نفس ويحك جاء المشيب
تولى شبابي كان لم يكن
فيا ليت شعري فيمن أكون
قال السمعاني وأنشدني لنفسه ببغداد:

مالا يليق بأرباب الديانات
وذاك والله من أوفى الجنيات
إن المجالس تغشى بالأمانات

ما فيه من صاحب يسلى ولا سكن
لفرقه الأهل والأحباب والوطن
آثار شدته في ظاهر البدن
إني على العهد لم أغدر ولم أخن
إلا تمتل بيتاً قيل من زمن
وإن أمت فقتيل الهم والحزن

وصاحب خان ما استودعته وأتى
وأظهر السر مختاراً بلا سبب
أما أتاه عن المختار في خبر
قال السمعاني وأنشدني لنفسه بنيسابور:
لا قدس الله نيسابور من بلد
لولا الجحيم الذي في القلب من حرق
لمت من شدة البرد الذي ظهرت
يا قوم دوموا على عهد الهوى وثقوا
ولا تدبرت عيشي بعد بعدكم
فإن أعش فلعل الله يجمعنا

على بن الحسن بن إسماعيل

ابن أحمد بن جعفر بن محمد بن صالح بن حسان ابن حصن بن معلى بن أسد بن عمرو بن مالك بن عامر بن معاوية بن عبد الله بن مالك بن عامر بن الحارث بن إنمار بن وديعة بن الكيدي بن أقصى بن عبد القيس ابن أقصى بن دهمى بن جديلة بن لبد بن ربيعة بن نزار ابن معد بن عدنان، أبو الحسن العبدي من أهل البصرة يعرف بابن المقلّة، هكذا أملى نسبه على جماعة، وهو شيخ فاضل له معرفة بالأدب والعروض، وله كتب وتصانيف في ذلك، ويقول الشعر ويترسل. مات بالبصرة في رابع عشر شعبان سنة تسع وتسعين وخمسائة، ومولده سنة أربع وعشرين وخمسائة، سمع بالبصرة أبا محمد جابر بن محمد الأنصاري، وأبا العز طلحة بن علي بن عمر المالكي، وأبا الحسن على بن عبد الله بن عبد الملك الواعظ، وأبا إسحاق إبراهيم بن عطية الشافعي إمام الجامع بالبصرة وغيره، وقرأ بها الأدب على أبي علي الأحمر، وأبي العباس بن الحريري، وأبي العز بن أبي الدنيا، وقدم بغداد مراراً وسمع بها من أبي الكرم المبارك بن الحسن الشهرزوري، وأبي الفضل محمد بن ناصر السلامي، وأبي بكر الزاغوني وغيرهم، وعاد إلى بلده وخرج لنفسه فوائد في عدة أجزاء عن شيخه، وأقرأ الناس الأدب، وكان متحققاً بعلم العروض ونعم الشيخ، وكان محمود الطريقة.

قال أبو عبد الله: أنشدني أبو الحسن على بن الحسن العبدي لنفسه:

شيمتي إن أغض طرفي في ال
وأصون الحديث أودعه صو
قال: وأنشدني أيضاً لنفسه:

لا تسلك الطرق إذا أخطرت
قد أنزل الله تعالى: ولا
لو إنها تقضي إلى المملكة
تلقوا بأيديكم إلى التهلكة

علي بن الحسين المسعودي المؤرخ

أبو الحسن، من ولد عبد الله بن مسعود صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: هو من أهل المغرب، مات فيما بلغني في سنة ست وأربعين وثلاثمائة بمصر، قال مؤلف الكتاب: وقول محمد بن إسحاق: إنه من أهل المغرب غلط، لأن المسعودي ذكر في السفر الثاني من كتابه المعروف بمروج الذهب وقد عدد فضائل الأقاليم، ووصف هواها واعتدالها ثم قال: وأوسط الأقاليم إقليم بابل الذي مولدنا به، وإن كانت ريب الأيام أنات بيننا وبينه، وساحت مسافتنا عنه، وولدت في قلوبنا الحنين إليه إذ كان وطننا ومسقطنا، وقد كان هذا الإقليم عند ملوك الفرس جليلاً، وكانوا يشنون بالعراق، ويصيفون بالجلال. فقال أبو دلف العجلي:

إني أمرؤ كسروي الفعال
أصيف الجبال وأشتو العراق

وقد كانت الأوائل تشبیهه بالقلب في الجسد، لأن أرضه هي التي كشفت الآراء عن أهله بحكمة الأمور كما يرتفع ذلك عن القلب، ولذلك اعتدلت ألوان أهله وامتدت أجسامهم، فسلموا من شقرة الروم والصقالبة وسواد الحبشة وغلظ البربر، واجتمعت فيهم محاسن جميع الأقطار، وكما اعتدلوا في الخلقة لطفوا في الفطنة، وأشرف هذه الأقاليم مدينة السلام ويعز على ما أصارتني إليه الأقدار من فراق هذا المصر الذي عن بقعته فصلنا، لكنه الدهر الذي من شيمته التشتيت، والزمن الذي من شريطته الآفات، ولقد أحسن أبو دلف في قوله:

أيا نكبة الدهر التي طوحت بنا أيادي سبا في شرقها والمغرب

ومن علامة وفاء المرء: دوام عهده وحنينه إلى إخوانه، وشوقه إلى أوطانه، ومن علامة الرشد: أن تكون النفس إلى مولدها تائقة، وإلى مسقط رأسها شائقة.

فهذا يدل على إن الرجل بغدادي الأصل، وإنما أنتقل إلى ديار مصر فأقام فيها. وهو يحكي في كتبه كثيراً ويقول: رأيت أيام كوني بمصر كيت وكيت، وله من الكتب: كتاب مروج الذهب ومعادن الجواهر في تحف الأشراف والملوك، كتاب ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور، كتاب الرسائل، كتاب الاستذكار لما مر في سالف الإعصار، كتاب التاريخ في أخبار الأمم من العرب والعجم، كتاب التنبيه والأشراف، كتاب خزائن الملك وسر العالمين، كتاب المقالات في أصول الديانات، كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، كتاب البيان في أسماء الأئمة، كتاب أخبار الخوارج.

علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم

ابن عبد الرحمن بن مر وان بن عبد الله بن مر وان بن محمد بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف أبو الفرج الأصبهاني العلامة النسابة الأخباري الحفظة، الجامع بين سعة الرواية والحق في الدراسة، لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه في فنها وحسن استيعاب ما يتصدى لجمعه، وكان مع ذلك شاعراً جيداً، مات في رابع ذي الحجة سنة ست وخمسين وثلاثمائة في خلافة المطيع لله، ومولده سنة أربع وثمانين ومائتين. روى عن أبي بكر بن دريد وأبي بكر بن الأنباري. والفضل بن الحباب الجمحي، وعلى بن سليمان الأخفش، وإبراهيم نبطوية.

وجدت على الهامش بخط المؤلف تجاه وفاته ما صورته: وفاته هذه فيها نظر وتفتقر إلى التأمل، لأنه ذكر في كتاب أدب الغرباء من تأليفه: حدثني صديق قال: قرأت على قصر معز الدولة بالشماسية يقول فلان بن فلان الهروي، حضرت هذا الموضع في سمط معز الدولة والدنيا عليه مقبلة، وهيبة الملك عليه مشتملة، ثم عدت إليه في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، فرأيت ما يعتبر به اللبيب يعني من الخراب. وذكر في موضع آخر من كتابه هذا قصة له مع صبي كان يحبه ذكرتها بعد هذا يذكر فيه موت معز الدولة وولاية ابنه بختيار، وكان ذلك في سنة ست وخمسين وثلاثمائة، ويزعم في تلك الحكاية إنه كان في عصر شبابه فلا أدري ما هذا الاختلاف؟ - آخر ما كان على الهامش -.

وقال الوزير أبو القاسم الحسن بن الحسن المغربي، في مقدمة ما أنتخبه من كتاب الأغاني إلى سيف الدولة ابن حمدان فأعطاه ألف دينار، وبلغ ذلك الصاحب أبا القاسم بن عباد فقال: لقد قصر سيف الدولة وإنه يستأهل أضعافها، ووصف الكتاب فأنطب ثم قال: ولقد اشتملت خزائني على مائتين وستة آلاف مجلد ما منها ما هو سميري غيره، ولا راقي منها سواه.

قال: وقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف كاتب عضد الدولة: لم يكن كتاب الأغاني يفارق عضد الدولة في سفره ولا حضره، وإنه كان جلسه الذي يأنس إليه وخدينه الذي يرتاح نحوه.

قال: وقال أبو محمد المهلبی. سألت أبا الفرج في كم جمعت هذا الكتاب؟ فقال: في خمسين سنة، قال: وإنه كتبه مرة واحدة في عمره، وهي النسخة التي أهداها إلى سيف الدولة.

قال المؤلف: لعمري إن هذا الكتاب لجليل القدر، شائع الذكر، جم الفوائد، عظيم العلم، جامع بين الجد البحث والهزل النحت، وقد تأملت هذا الكتاب وعنيت به، وطالعت مراراً وكتبت به نسخة بخطي في عشر مجلدات، ونقلت منه إلى كتابي الموسوم بأخبار الشعراء فأكثررت وجمعت تراجمه فوجدته يعد بشيء ولا يفي به في غير موضع منه، كقوله في أخبار أبي العتاهية: وقد طالت أخباره ها هنا وسنذكر خبره مع عتبة في موضع آخر. ولم يفعل، وقال في موضع آخر: أخبار أبي النواس مع جنان إذا كانت سائر أخباره قد تقدمت. ولم يتقدم شيء إلى أشباه لذلك، والأصوات المائة هي تسع وتسعون، وما أظن إلا أن الكتاب قد سقط منه شيء، أو يكون النسيان قد غلب عليه والله أعلم. قال المؤلف: وتصانيفه كثيرة وهذا الذي يحضرنى منها: كتاب

الأغاني الكبير، كتاب مجرد الأغاني، كتاب التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وإنسابها لم أره، وبودي لو رأيته ذكره هو في كتاب الأغاني، كتاب مقاتل الطالبين، كتاب أخبار القيان، كتاب الإماء الشواعر، كتاب الممالك الشعراء، كتاب أدباء الغرباء، كتاب الديانات، كتاب تقصيل ذي الحجة، كتاب الأخبار والنوادر، كتاب أدب السماع، كتاب أخبار الطفيليين، كتاب مجموع الأخبار والآثار، كتاب الخمارين والخمارات، كتاب الفرق والمعيار في الأوغاد والأحرار، وهي رسالة عملها في هارون بن المنجم، كتاب دعوة النجار، كتاب أخبار جحظة البرمكي، كتاب جمهرة النسب، كتاب نسب بني عبد شمس، كتاب نسب بني شيبان، كتاب نسب المهالبة، كتاب نسب بني تغلب، كتاب الغلمان المغنين، كتاب مناجيب الخصيان عمله للوزير المهلب في خصيين مغنيين كانا له. وله بعد تصانيف جواد فيما بلغني كان يصنفها ويرسلها إلى المستولين على بلاد المغرب من بني أمية، وكانوا يحسنون جائزته، ولم يعد منها إلى الشرق إلا القليل والله أعلم.

حدث الرئيس أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابي في الكتاب الذي ألفه في أخبار الوزير المهلب واسمه الحسن بن محمد بن هارون ابن إبراهيم بن عبد الله بن زيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة وزير معز الدولة بن بويه الديلمي قال: وكان أبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني من ندماء الوزير أبي محمد الخصيصين به، وكان وسخاً قذراً لم يغسل له ثوباً منذ فصله إلى أن قطعه، وكان المهلب شديد التقشف عظيم التنطس، وكان يحتمل له ذلك لموضعه من العلم. فقال فيه: كان أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، أموي النسب عزيز الأدب، عالي الرواية حسن الدراية، وله تصنيفات منها: كتاب الأغاني، وقد أورد فيه ما دل به على اتساع علمه وكثرة حفظه، وله شعر جيد إلا إنه في الهجاء أجود، وإن كان في غيره غير متأخر، وكان الناس في ذلك العهد يحذرون لسانه، ويتقون هجاءه ويصبرون في مجالسته ومعاشرته ومواكلته ومشاربته على كل صعب من أمره، لأنه كان وسخاً في نفسه، ثم في ثوبه ونعله، حتى إنه لم يكن ينزع دراعة إلا بعد إبلائها وتقطيعها، ولا يعرف لشيء من ثيابه غسل، ولا يطلب منه في مدة بقائه عوضاً.

فحدثني جدي وسمعت هذا الخبر من غيره لأنه متفاوض متعاود: إن أبا الفرج كان جالساً في بعض لأيام على مائدة أبي محمد المهلب فقدمت سكباجه وافقت من أبي الفرج سعة فبدرت من فمه قطعة من بلغم فسقطت وسط الغضارة، فتقدم أبو محمد برفعه وقال: هاتوا من هذا اللون في غير الصحفة، ولم يبين في وجهه إنكار ولا استكراه، ولا داخل أبا الفرج في هذا الحال استحياء ولا إنقباض. هذا إلى ما يجري هذا المجرى على مضى الأيام، وكان أبو محمد عزوف النفس بعيداً من الصبر على مثل هذه الأسباب، إلا إنه كان يتكلف احتمالها لورودها من أبي الفرج، وكان من ظرفه في فعله ونظافته في مأكله، إنه كان إذا أراد أكل شيء بملقة كالأرز واللبن وأمثاله وقف من جانبه الأيمن غلام معه نحو ثلاثين ملقة زجاجاً مجروداً، وكان يستعمله كثيراً فيأخذ منه ملقة يأكل بها من ذلك اللون لقمة واحدة، ثم يدفعها إلى غلام آخر قام من الجانب الأيسر، ثم يأخذ أخرى فيفعل بها فعل الأولى حتى ينال الكفاية، لئلا يعيد الملقة إلى فيه دفعة ثانية، فلما كثر على المهلب استمرار ما قدمنا ذكره، جعل له مائدتين: إحدهما كبيرة عامة، وأخرى لطيفة خاصة، وكان يواكله عليها من بدعوه إليها.

قال مؤلف الكتاب: وقد ذكر مثل هذا عن أبي ريش أحمد بن إبراهيم اللغوي وقد ذكرناه في بابيه. قال هلال: وعلى صنع أبي محمد بأبي الفرج وما كان يصنعه فما خلا من هجوه حيث قال فيه:

أبعين مفقتر إليك رأيتني
لست الملموم أنا الملموم لأنني
بعد الغنى فرميت بي من حالق
أملت للإحسان غير الخالق

قال ابن الصابي: وحدثني جدي أيضاً قال: قصدت أنا وأبو علي الأنباري وأبو العلاء صاعد دار أبي الفرج لقضاء حقه وتعرف خبره من شيء وجدته، وموقعها على دجلة في المكان المتوسط بين درب سليمان ودرب دجلة، وملاصقة لدار أبي الفتح البريدي، وصعد بعض غلماننا لإيذانه بحضورنا، فشق الباب دقاً عنيقاً حتى ضجر من الدق وضجرنا من الصبر، قال: وكان له سنور أبيض بسميه بققا، ومن رسمه إذا قرع الباب قارع إن يخرج ويصيح إلى إن يتبعه غلام أبي الفرج لفتح الباب أو هو نفسه، فلم نر السنور في ذلك اليوم، فأنكرنا الأمر وازددنا تشوقاً إلى معرفة الخبر، فلما كان بعد أمدٍ طويلٍ صاح صائح إن نعم، ثم خرج أبو الفرج ويده متلوثة بما ظنناه شيئاً كان يأكله فقلنا له: عققاك بأن قطعناك عما كان أهم من قصدنا إليك. فقال: لا والله يا سادتي، ما كنت ما تظنون، وإنما لحق بققا يعني سنورة قولنج. فاحتجت إلى حقنه فأنا مشغول بذلك، فلما سمعنا قوله ورأينا الفعل في يده ورد علينا أعظم مورد من أمره لتناهيه في القذارة إلا ما لا غاية بعده وقلنا: ما يجوز إن نصعد إلى عندك فنعوقك عن استتمام هأنت فيه، وإنما جئناك لتعرف خبرك، وقد بلغنا ما أردناه وانصرفنا.

قال: واختاره في كل شيء مريح، وكانت صحبتته له قبل الوزارة وبعدها إلى إن فرق بينهما الموت. وكتب أبو الفرج إلى المهلب يشكر الفأر ويصف الهر:

يا لحدب الظهور قعص الرقاب
لدقاق الأنياب والأذنان

خلقت للفساد مذ خلق الخل
 ناقيات في الأرض والسقف والحي
 أكلات كل المأكّل لاتاً
 ألفات قرص الثياب وقد يع
 زال همي منهن أزرق تركي
 ليث غاب خلقاً وخلقاً فمن لا
 ناصب طرفه إزاء الزوايا
 ينتضي الظفر حين يطفر للصي
 لا يرى أخبثيه عينا ولا يع
 قرطقوه وشنفوه وحلو
 فهو طوراً يمشي بحلي عروس
 حبذا ذاك صاحباً وهو في الصبح
 ق وللعيث والأذى والخراب
 طان نقياً أعياء على النقاب
 منها شاربات كل الشراب
 دلقرص القلوب قرص الثياب
 ي السبالين إنمر الجلباب
 ح لعينه خاله ليث غاب
 وإزاء السقوف والأبواب
 د ولا فظفـره في قراب
 لم ما جنتاه غير التراب
 ه أخيراً وأولاً بالخضاب
 وهو طوراً يخطو على عناب
 بة أوفى من أكثر الأصحاب

وحدث القاضي أبو علي الحسن بن علي التتوخي في كتاب نشوار المحاضرة قال: ومن طريف أخبار العادات إنني كنت أرى أبا الفرج علي بن الحسن الأصفهاني الكاتب نديم أبي محمد المهلب صاحب الكتب المصنفة في الأغاني والقيان، وغير ذلك دائماً إذا ثقل الطعام في معدته، وكان أكلهما، يتناول خمسة دراهم فلفلاً مدقوقاً فلا تؤذيه ولا تدمعه، وأراه يأكل حمصة واحدة أو يصطبغ بمزقة قدر فيها حمص فيسرهج بدنه كله من ذلك، وبعد ساعة أو ساعتين يفصد، وربما فصد لذلك دفعيتين، وأسأله عن سبب ذلك فلا يكون عنده علم منه، وقال لي غير مرة: إنه لم يدع طبيياً حادقاً على مرور السنين إلا سأله عن سببه، فلا يجد عنده علماً ولا دواءً، فلما كان قبل فالحه بسنوات ذهبت عنه العادة في الحمص فصار يأكله فلا يضره وبقيت عليه عادة الفلفل. ومن كتاب الوزراء لهلال بن المحسن: وحدث أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني قال: سكر الوزير أبو محمد المهلب ليلة ولم يبق بحضرته من ندمائه غيري فقال لي: يا أبا الفرج، أنا أعلم إنك تهجوني سرا فاهجني الساعة جهراً. فقلت: الله الله أيها الوزير في، إن كنت قد مللتني انقطعت، وإن كنت تؤثر قتلي فبالسيف إذا شئت. فقال: دع ذا لا بد إن تهجوني وكنت قد سكرت فقلت:

أير بغل بلولب

فقال في الحال مجيزاً:

في حر أم المهلب

هات مصراعاً آخر: فقلت: الطلاق لازم للأصفهاني إن زاد على هذا وإن كان عنده زيادة، قرأت بخط أبي علي المحسن بن هلال الصابى صاحب الشامة لأبي الفرج الأصفهاني يهجو أبا الحسن طازاد النصراني الكاتب:

طازاد مشتق من الطيز

فعد عن ذكر فتى الحوز

مخنت يلعب بالشيز

كان رجليه إذا مامشى

قرأت بخط هلال بن المظفر الكاتب الزنجاني: حدثني الأستاذ أبو المظفر عبد الغفار بن غنيمه قال: كان أبو الفرج الكاتب الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني كاتباً لركن الدولة حظياً عنده محتشماً لديه، وكان يتوقع من الرئيس أبي الفضل بن العميد إن يكرمه ويبجله ويتوفر عليه في دخوله وخروجه، وعدم ذلك منه فقل:

مالك موفور فما باله

ولم إذا جئت نهضنا وإن

وإن خرجنا لم تقل مثل ما

إن كنت ذا علم فمن ذا الذي

ولست في الغارب من دولة

وقد ولينا وعزلنا كما

تكافأت أحوالنا كلها

فصل على الأنصاف أو فاصرم

وقد روى أبو حيان في كتاب الوزيرين من تصنيفه من خبر هذه الأبيات غير هذا، وقد ذكرناها في أخبار ابن العميد من هذا الكتاب: قرأت في بعض المجاميع لأبي الفرج الأصبهاني:

فما أذن البواب لي في لقائكم

فما حالكم تالله يوم عطائكم؟

حضرتمكم دهرأ وفي الكم تحفة

إذا كان هذا حالكم يوم أخذكم

قال ابن عبد الرحيم: حدثني أبو نصر الزجاج قال: كنت جالساً مع أبي الفرج الأصبهاني في دكان في سوق الوراقين، وكان أبو الحسن علي بن يوسف بن البقال الشاعر جالساً عند أبي الفتح بن الحراز الوراق وهو ينشد أبيات إبراهيم بن العباس الصولي التي يقول فيها:

فكانت قذى عينيه حتى تجلت

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها

فلما بلغ إليه استحسنة وكرره ورأه أبو الفرج فقال لي: قم إليه فقل له: قد أسرفت في استحسان هذا البيت، وهو كذاك فأين موضع الصنعة فيه، فقلت له ذاك فقال قوله: وكانت قذى عينيه، فعدت إليه وعرفته. فقال: عد إليه فقل له: أخطأت، الصنعة في قوله: من حيث يخفى مكانها. قال عبيد الله الفقير إليه مؤلف هذا الكتاب: وقد أصاب كل واحد منهما حافة من الغرض فإن الموضوعين معاً غاية في الحسن وإن كان ما ذهب إليه أبو الفرج أحسن. قال أبو الفرج في كتاب الغرباء: وخرجت أنا وأبو الفتح أحمد بن إبراهيم بن علي بن عيسى - رحمه الله - ماضييين إلى دير الثعالب في يوم ذكر إنه من سنة خمس وخمسين وثلاثمائة للنزهة ومشاهدة اجتماع النصاري هناك والشرب على نهر يزجرد الذي يجري على باب هذا الدير ومعه جماعة من أولاد كتاب النصاري من أحداثهم، وإذا بفتاة كأنها الدينار المنقوش تتمايل وتتننى كغصن الريحان في نسيم الشمال، فضربت بيدها إلى يد أبي الفتح وقالت يا سيدي: تعال أقرأ هذا الشعر المكتوب على حائط هذا الشاهد، فمضينا معها وبنا من السرور بها وبظرفها وملاحه منطقتها ما الله به عليم، فلما دخلنا البيت كشفت عن ذراع كأنه الفضة، وأومأت إلى الموضوع فإذا فيه مكتوب:

في ثياب الرواهب

كل جاء وذاهب

يوم دير الثعالب

كاعب في كواعب

بدر بين الكواكب

خرجت يوم عيدها

فتنتت باختيالها

لشقاوي رأيتها

تتهادى بنسوة

هي فيهم كأنها ال

فقلت لها: أنت والله المقصودة بهذه الأبيات، ولم نشك أنها كتبت الأبيات ولم نفارقها بقية يومنا وقلت لها هذه الأبيات وأنشدتها إياها ففرحت:

ساحرة الناظر فتانة

تعظم الدير ورهبانه

:إنما قامتها بانه

كما تننى غصن ريحانه

أحزانه قدماً وأشجانه

مرت بنا في الدير خمصانة

أبرزها الذكران من خدرها

مرت بنا تخطر في مشيها

هبت لنا ريح فمالت بها

فتيمت قلبي وهاجت له

وحصلت بينها وبين أبي الفتح عشرة بعد ذلك، ثم خرج إلى الشام وتوفى بها ولا أعرف لها خبراً بعد ذلك. قال أبو الفرج: وكنت انحدرت إلى البصرة منذ سنين فلما وردتها أصعدت من الفيض إلى سكة قريش أطلب منزلاً أسكنه، لأنني كنت غريباً لا أعرف أحداً من أهلها إلا من كنت أسمع بذكره، فدلني رجل على خان فصرت إليه واستأجرت فيه بيتاً وأقمت بالبصرة أياماً، ثم خرجت عنها طالباً حصن مهدي وكتبت هذه الأبيات على حائط البيت الذي أسكنه:

من صنعتني من بين هذا الورى

يعدم فيها الضيف عندي القرى

إلى كلاب يلبسون الفرا

وصار خبز البيت خبز الشرا

سكنت بيتاً من بيوت الكرى

وكيف أحظى بلذيت الكرى؟

وبين أيدينا وتحت الثرى

وانقطع الخطب وزال المرا

الحمد لله على ما أرى

أصارني الدهر إلى حالة

بدلت من بعد الغنى حاجة

أصبح آدم السوق لي مأكلاً

وبعد ملكي منزلاً مبهجاً

كفيف ألفى لاهياً ضاحكاً

سبحان من يعلم ما خلفنا

والحمد لله على ما أرى

قال أبو الفرج: وكنت في أيام الشبيبة والصبا ألف فتىً من أولاد الجند في السنة التي توفي فيها معز الدولة وولى بختيار، وكانت لأبيه حال كبيرة ومنزلة من الدولة ورتبة، وكان الفتى في نهاية حسن الوجه وسلامة الخلق وكرم الطبع، ممن يحب الأدب ويميل إلى أهله، ولم يترك قريحته حتى عرف صدرًا من العلم، وجمع خزانة من الكتب حسنة، فمضت لي معه سير لو حفظت لكنت في كتاب مفرد، من مكاتباتٍ ومعاتباتٍ وغير ذلك مما يطول شرحه. منها ما يشبه ما نحن فيه: إنني جئته يوم جمعةً غدوةً فوجدته قد ركب إلى الحلبة، وكانت عادته إن يركب إليها في كل يوم ثلاثاء ويوم جمعة، فجلست على دكةٍ على باب أبيه في موضع فسيح كان عمرها وفرشها، فكنا نجلس عليها للمحادثة إلى ارتفاع النهار، ثم يدخل إذا أقمت عنده إلى حجرة لطيفة كانت مفردة له، لنجتمع على الشرب والشطرنج وما أشبههما، فطال جلوسي في ذلك اليوم منتظرًا له، فأبطأ وتصبح من أجل رهان كان بين فرسين لبختيار، فعرض لي لقاء صديق لي فقمتم لأمضى ثم أعود إليه، فهجس لي إن كتبت على الحائط الذي كنا نستند إليه هذه الأبيات:

يا من أطل بباب داره ويطول حبسي لانتظاره
وحياة طرفك واحوراره وجمال صدغك في مداره
لاحلت عمري عن هوا ك ولو صليت بحر ناره

وقمت فلما عاد قرأ الأبيات وغضب من فعلي، لئلا يقف عليه من يحتشمه، وكان شديد الكتمان لما بيني وبينه، ومطالبًا بمثل ذلك مراقبةً لأبيه، الأ إن ظرفه ووكيد محبته لي، وميله إلي لم يدعه حتى أجاب عنها لما كتب تحتها، ورجعت من ساعتى فوجدته في دار أبيه، فاستأذنت عليه، فخرج إلى خادم لهم فقال: يقول لك لا التقينا حتى تقف على الجواب عن الأبيات فإنه تحتها، فصعدت الدكة فإذا تحت الأبيات بخطه: ما هذه الشناعة؟ ومن فسح لك في هذه الإذاعة؟ وما أوجب خروجك عن الطاعة؟ ولكن أنا جنيت على نفسي وعليك، ملكتك فطغيت. وأطعتك فتعديت. وما أحشتم إن أقول هذا تعرض للإعراض عنك والسلام. فعلمت إنني قد أخطأت وسقطت شهد الله قوتي وحركتي، فأخذتني الندامة والحيرة، ثم أذن لي فدخلت فقبلت يده فمنعني وقلت: يا سيدي غلطة غلطتها وهفوة هفوتها، فإن لم تتجاوز عنها وتعف هلكت، فقال لي: أنت في أوسع العذر بعد إن لا يكون لها أخت، وعاتبني على ذلك عتابا عرفت صحته، ولم تمض إلا مديدة حتى قبض على أبيه وهرب فاحتاج إلى الاستتار، فلم يأنس هو وأهله إلا بكونه عندي، فانا على غفلة إذ دخل في خفة وازار وكادت مرارتي تنفطر فرحا، فلقية أقبل رجله وهو يضحك ويقول: يأتيها رزقها وهي نائمة، هذا يا حبيبي بخت من لا يصوم ولا يصلي في الحقيقة، وكان أخف الناس روحا، وأقلعهم لبادرة، وبتنا في تلك الليلة عروسين لانقل سكرًا واصطحبنا وقلت هذه الأبيات:

بت وبات الحبيب ندماني من بعد نأي وطول هجران
نشرب قفصية معتقة بحانة الشط منذ أزمان
وكلما دارت الكنوس لنا ألثمني فاه ثم غناني
الحمد لله لا شريك له أطاعني الدهر بعد عصيان

ولم يزل مقيما عندي نحو الشهر حتى استقام أمر أبيه، ثم عاد إلى داره.

وحدث الحسن بن الحسين النعال قال: قال أبو الفرج الأصبهاني: بلغ أبا الحسن لحظة إن مدرك بن محمد الشيباني الشاعر ذكره بسوء في مجلس كنت حاضره وكتب إلى:

أبا فرج أهجي لديك ويعتدى علي فلا تحمي لذاك وتغضب
لعمرك ما أنصفتني في مودتي فكن معتبًا إن الأكارم تعتب

قال أبو الفرج: فكتبت إليه:

عجبت لما بلغت عني باطلا وظنك بي فيه لعمرك أعجب
تكلت إذا نفسي وعزي وأسررتي بفقدي ولا أدركت ما كنت أطلب
فكيف بمن لاحظ لي في لقائه وسيان عندي وصله والتجنب
فتق بأخ أصفاك محض مودة تشاكل منها ما بدا والتغيب

قال غرس النعمة: حدثني أبي قال: حدثني جدي قال: كان أبو القاسم الجهني القاضي - وأظنه من أهل البصرة وتقلد الحسبة بها ومنها عرف أبا محمد المهلي وصحبه - يشتمل على آداب يتميز بها إلا إنه كان فاحش الكذب، يورد من الحكايات مالا يتعلق بقبول ولا يدخل في معقول، وكان أبو محمد قد ألف ذلك منه وقد سلك مسلك الاحتمال، وكنا لا نخلو عن حديثه من التعجب والاستطراف والاستبعاد، وكان ذلك لا يزيده إلا إغراقًا في قوله وتماديًا في فعله، فلما كان في بعض الأيام جرى حديث النعنع وإلى أي حد يطول، فقال الجهني: في البلد الفلاني يتشجر حتى يعمل من خشبه السلاليم، فاغتاظ أبو الفرج الأصبهاني من ذاك

وقال: نعم عجائب الدنيا كثيرة، ولا يدفع مثل هذا وليس بمستبدع، وعندي ما هو أعجب من هذا وأغرب، وهو زوج حمام راعبي يبيض في نيف وعشرين يوماً بيضتين فانترعتهما من تحته وأضع مكانهما صنجة مائة وصنجة خمسين، فإذا انتهى مدة الحضان تفقس الصنجتان عن طست وإبريق، أو سطل وكرنيب. فعنما الضحك وفطن الجهني لما قصده أبو الفرج من الطنز، وانقبض عن كثير مما كان يحكيه ويتسمح فيه، وإن لم يخل من الأيام من الشيء بعد الشيء منه. ومن عجب مامر بي من الكذب حكاية أوردتها غرس النعمة عقيب هذه قال: كان لوالدي تاجر يعرف بأبي طالب، وكان معروفاً بالكذب، فأذكر وقد حكى في مجلسه والناس حضور عنده: إنه كان في معسكر محمود بن سبكتكين صاحب خراسان ببخارى معه وقد جاء من البرد أمر عظيم جمد منه المرى حتى قد وفى وعملت منه خفاف، وإن الناس كانوا ينزلون في المعسكر فلا يسمع لهم صوت ولا حديث ولا حركة حتى ضرب الطبل في أوقات الصلوات، فإذا أصبح الناس وطلعت الشمس وحملت ذاب الكلام فسمعت الأصوات الجامدة منذ أمس من أصوات الطبول والبوقات وحديث الناس، وصهيل الخيول، ونهيق الحمير ورغاء الإبل. قرأت على ظهر جزء من نسخة بكتاب الأغاني لأبي الفرج: حدث ابن عرس الموصلي وكان المترسل بين عز الدولة وبين أبي تغلب بن ناصر الدولة، وكان يخلف أبا تغلب بالحضرة قال: كتب إلى أبو تغلب يأمرني بابتياح كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني فابتعته له بعشرة آلاف درهم من صرف ثمانية عشر درهماً بدينار، فلما حملته إليه ووقف عليه ورأى عظمة وجلالة ما حوى قال: لقد ظلم وراقه المسكين، وإنه ليساوي عندي عشرة آلاف دينار، ولو فقد لما قدرت عليه الملوك إلا بالراغب، وأمر أن يكتب له نسخة أخرى ويخلد عليها اسمه فابتدأ بذلك، فما أدري أتمت النسخة أم لا؟ قال أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد: اتصل بي أن مسودة كتاب الأغاني وهي أصل أبي الفرج أخرجت إلى سوق الوراقين لتبتاع، فأنفذت إلى ابن قرابة وسألته إنفاذ صاحبها لأبتاعها منه لي، فجاءني وعرفني إنها بيعت في النداء بأربعة آلاف درهم، وإن أكثرها في طروس وبخط التعليق وأنها اشتريت لأبي أحمد بن محمد بن حفص فراسلت أبا أحمد فأذكر أنه يعرف شيئاً من هذا فبحثت كل البحث فما قدرت عليها. كان الراضي بالله في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة قد ولى أبا عبد الله البريدي، وكان قد خرج عليه بنواحي البصرة الوزارة، فحدث الناس أن الراضي إنما قصد بتقليد أبي عبد الله الوزارة طمعاً في إيقاع الحيلة عليه في تحصيله، فقال أبو الفرج على بن الحسين الأصبهاني في ذلك قصيدة طويلة تزيد على مائة بيت يهجو فيها أبا عبد الله، ويؤنب الراضي في توليته وطمعه فيه أولها:

يا سماء اسقطني ويا أرض ميدي
جل خطب وحل أمر عضال
هد ركن الإسلام وأنتهك المل
أخلقت بهجة الزمان كما أن
قد تولى الوزارة ابن البريدي
وبلاء أشاب رأس الوليد
ك ومحيت آثاره فهو مودي
هج طول اللباس وشتى البرود

يقول فيها:

وتوهمت أن سيخذه ذا
هو أرنى مما تقدر أما
ك فيغثاله اصطياد الصيود
ليس مما يصاد بالتقليد

فانتهت هذه القصيدة إلى أبي عبد الله البريدي، فلما بلغ البيت الأخير ضحك وضرب ببديه ورجليه وقال: لو عرف أبو الفرج ما في نفسي وأزال الوحشة وصار إلي، لبالغت في صلته والأفضال عليه من أجل هذا البيت. قال الحميدي: وقد ذكر صاحب كتاب النشوار أبو علي المحسن بن علي القاضي: أنه حضر مجلس أبي الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني، فتذكروا موت الفجاءة، فقال أبو الفرج: أخبرني شيوخننا أن جميع أحوال العالم قد اعترت من مات فجاءة، إلا أنني لم أسمع من مات على منبر.

قال أبو علي المحسن: وكان معنا في مجلس أبي الفرج شيخ أندلسي قدم من هناك لطلب العلم، ولزم أبا الفرج يقال له أبو زكريا يحيى بن مالك بن عائذ، وكنت أرى أبا الفرج يعظمه ويكرمه ويذكر ثقته، فأخبرنا أبو زكريا أنه شاهد في المسجد الجامع ببلدة من الأندلس خطيب البلد وقد صعد يوم الجمعة ليخطب، فلما بلغ يسيراً من خطبته خر ميتاً فوق المنبر حتى أنزل به، وطلب في الحال من رقى المنبر فخطب وصلى الجمعة بناء، إلا أن أبا علي قلب نسبة زكريا فقال: يحيى بن عائذ بن مالك الأندلسي: والصواب ما قلنا.

قال الثعالبي: ومن قوله في المهلب:

ولما انتجعنا عائدين بظله
وردنا عليه مقترين فراشنا
أعان وماعنى ومن وما منى
وردنا نداه مجدين فأخصبنا

وقوله من قصيدة يهنئه بمولود من سرية رومية:

أسعد بمولودٍ أتاك مباركاً
كالبدر أشرق جنح ليلٍ مقمر

سعد لوقت سعادةٍ جاءت به
متبجح في ذروتي شرف العلا
شمس الضحى قرنت إلى بدر الدجى
وأنشد له في عيدية:

إذا ما علا في الصدر والنهى والأمر
وأجرى ظبا أعلامه وتدفقت
رأيت نظام الدر في نظم قوله
ويقتضب المعنى الكثير بلفظةٍ
أيا غرة الدهر انتفت غرة الشهر
بأيمن إقبالٍ وأسعد طائرٍ
مضى عنك شهر الصوم يشهد صادقاً
فأكرم بما خط الحفيظان منهما
وزكك أوراق المصاحف وانتهى
وقبضك كف البطش عن كل مجرمٍ
وقد جاء شوال فشالت نعامة ال
وضجت حبيس الدن من طول حبسها
وأبرزها من قعر أسود مظلم
إذا ضمها والورد فوه وكفه
وتحسبه إذ سلسل الكأس ناظماً
وله فيه يهنئه بإبلاله من مرض:

أبا محمدٍ المحمود يا حسن ال
حاشاك من عود عواد إليك ومن

وله:

يا فرجة الهم بعد اليأس من فرج
أسلم ودم وابق واملك وانم واسم وزد
وله في القاضي الأيذجي وكان التمس منه عكازةً فيم يعطه إياها:

اسمع حديثي تسمع قصةً عجباً
طلبت عكازةً للوحد تحملني
وكننت أحسبه يهوي عصا عصبٍ

وله في قصيدة يستميح المهلب:

رهنت ثيابي وحال القضا
وهذا الشتاء كما قد ترى
يغادي بصر من العاصفا
وسكان دارك ممن أعو
فهذي تحن وهذي تنن
إذا ما تملطن تحت الظلام
ولاحظن ريعك كالمحملي
يؤملن عودى بما ينتظرن

أم حصان من نبات الأصفر
بين المهلب منتماه وقيصر
حتى إذا اجتمعا أتت بالمشتري

وبثهما في النفع منه وفي الضر
بديته كالمستمد من البحر
ومنشوره الرقراق في ذلك النثر
ويأتي بما تحوي الطوامير في سطر
وقابل هلال الفطر في ليلة الفطر
وأفضل ما ترجوه من أفسح العمر
بطهرك فيه واجتنابك للوزر
وأثنى به المثني وأطرى به المطري
إلى الله منهما طول درسك والذكر
وبطشكها بالعرف والخير والبر
صيام النعيم من الضر
ولامت على طول التجنب والهجر
كإشراق بدر مشرق اللون كاليدر
فلا فرق بين اللون والطعم والنشر
على الكوكب الدري سمطاً من الدر

إحسان والجود يا بحر الندى الطامي
دواء داءٍ ومن إمام الأم

يا فرجة الأمن بعد الروع من وهل
وأعط وامنع وضر وأنفع وصل وصل

لا شيء أظرف منها تبهر القصصا
ورمتها عند من يخبا العصا فعصا
ولم أكن خلته صباً بكل عصا

ء دون القضاء وصد القدر
عسوف على قبيح الأثر
ت أو دمق مثل وخز الإبر
ل يلقي من برده كل شر
وأدمع هاتيك تجري درر
يعلن منك بحسن النظر
ين شاموا البروق رجاء المطر
كما يرتجى أنب من سفر

علي بن الحسين بن هندو

أبو الفرج الكاتب الأديب المنشئ الشاعر من البراعة، ومستخدمي البراعة، وأعيان أهل البلاغة، له رسائل مدونه وفضائل متعينة مختاره، بفضل أهل بلده على كثير من أقرانه. قال أبو علي التنوخي: كان أحد كتاب الإنشاء في ديوان عضد الدولة قال: وشاهدت عدة كتب كتبها عنه بخطه. وقال أبو الفضل البندنجي الشاعر: هو من أهل الرى قال: وشاهدته بجرجان في سني بضع عشرة وأربعمئة كاتباً بها، وأنه مشهور في تلك البلاد بجودة الشعر وكثرة الأدب والفضل.

قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن سهل الهروي: كان أبو الفرج ابن هندو صاحب أبوة في بلده، ولسلفه نباهة بالنيابة وخدمة السلطان هناك، وكان متقلساً قرأ كتب الأوائل على أبي الحسن الوائلي بنيسابور، ثم على أبي الخير أبن الخمار، وورد بغداد في أيام أبي غالب بن خلف الوزير فخر الملك ومدحه واتفق اجتماعي معه وأنسى به، وكان يلبس الدراعة على رسم الكتاب، وأنشدني لنفسه:

لا يؤيسنك من مجد تباعده

إن القناة التي شاهدت رفعتها

قال أبو الفضل البندنجي: سمعته ينشد لنفسه:

يا سيف إن تدرك بحاشية اللوى

أجعل قرابك فضة مسبوكه

ما أرضعتك صياقلي ماء الردى

قال: وحضرت معه في مجلس أبي غانم القصري الناظر، - كان في الدواوين بجرجان على البريد - فعمل بديها ما دفعه إلى المغنى فغنى به:

يا هاجراً لي بغير جرم

أضنيت جسمي فلم تغادر

وله أيضاً:

كل مالي فهو رهن ماله

ففؤادي أبداً رهن هوى

فدع التنفيد يا صاح لنا

لو ترى ثوبي مصبوغاً بها

ولقد أمرح في شرخ الصبا

وله أيضاً:

ضعت بأهل الرى في أهلها

صرت بها بعد بلوغ المنى

وله أيضاً:

إذا ما عقدنا نعمة عند جاحدٍ

رجعنا فغفينا الجميل بضده

هذا عكس قول ابن الرومي

أحسن إليه إذا أساء فأنتما

وله أيضاً:

وكافر بالمعاد أمسى

قال اغتنم لذة الليالي

ضل هذه وجاء يهدي

أأخطأ العالمون طراً

وله أيضاً:

يخلبني، قوله الخلوب

وعد عن أجل يريب

طب لعينيك يا طبيب

وأنت من بينهم مصيب؟

كدأبك كل لا يرى غير نفسه
زمان تجافى أهله فكأنهم

وله أيضاً:

فعش واحداً واضربهم بفراق
سياة قسى مالهن تلاقى

تعانقنا لتوديع عشاء

وضيقنا العناق لفرط شوق

وقد شرقت بمدمعها الحداق

فما ندري عناق أم خناق؟

وتحدث أبو الفضل البندنجي الشاعر قال: كان بابن هند ضرب من السوداء، وكان قليل القدرة على شرب النبيذ لأجل ذلك، واتفق إنه كان يوماً عند أبي الفتح بن أبي علي حمد كاتب قابوس بن وشمكير وأنا معه على عادة كانت لنا في الاجتماع، فدخل أبو علي إلى الموضع ونظر إلى ما كان بأيدينا من الكتب وتناشد هو وابن هندو الشعر، وحضر الطعام فأكلنا انتقلنا إلى مجلس الشراب، ولم يطق ابن هندو المساعدة على ذلك، فكتب في رقعة كتبها إليه:

قد كفاني من المدام شميم

هي جهد العقول سمى راحاً

إن تكن جنة النعيم ففيها

فلما قرأها ضحك وأعفاه من الشرب. وأنشد أبو الفضل له:

قالوا اشتغل عنهم يوماً بغيرهم

قد صيغ قلبي على مقدار حبهم

وحدث أبو الفضل البندنجي قال: أنشدت يوماً أبا الفتح بن أبي علي حمد قول ابن المعتز:

سعى إلى الدن بالمبزال يبقره

لما وجاها بدت صهباء صافية

ومثله قول ابن سكرة:

ثم وجاها بشبا مبزل

فقال: قول ابن هندو أحسن:

وساق تقلد لما أتى

قله درك من فارس

فاستل منها وتراً مذهباً

حمائل زق ملاه شمو لا

تقلد سيفاً بقدر العقولا

قال: فجاذبت ابن هندو من بعد وقد اجتمعت معه الأبيات وقلت له: إن قولك حمائل الزق فيه بشاعة، وما رأيت أحداً تقلد زقاً فقال: أهل العراق يصرفون الكلام ونحن نورده على أصله.

وحدث أبو الفضل البندنجي قال: كان ابن هندو يشرب يوماً عند أبي غانم القصري واقتصر على أقداح يسيرة ثم أمسك، فسأله الزيادة فلم يفعل وقال:

أرى الخمر ناراً والنفوس جواهر

فلا تفضحن النفس يوماً بشربها

وله أيضاً:

فإن شربت أبدت طباع الجواهر

إذا لم تنق منها بحسن السرائر

تعرض لي الدنيا بلذة مطعم

أرادت سفاهاً إن تموه قبحها

فلا تخذعينا بالسراب فإننا

وزخرف موشى من اللبس رائق

على فكر خاضت بحار الدقائق

قتلنا نهانا في طلاب الحقائق

وحدث البندنجي قال: كان الناس يظنون بمنوجهر أين قابوس ما كان في أبيه من الأدب والفضل ولم يكن كذلك، فلما أنتقل الأمر إليه قصد بما يقصد به مثله، وكان لا يوصل إليه إلا القليل، ولا يتقبل ما يمدح به، ولا يهش من هذا الجنس لتباعده عنه، وكان مع هذه الحالة فروقة قليل البطش، فمدحه ابن هندو بقصيدة وتائق فيها، وأنشده إياها فلم يفهمها ولم يثبه عليها فقال:

يا ويح فضلي أما في الناس من رجل

لأكرمك يا فضلي بتركهم

فقيل لمنوجهر: إنه قد هجاك، لأن لقبه كان فلك المعالي، فطلبه ليقتله فهرب إلى نيسابور وانفلت منه، وله:

حللت وقاري في شادن

يحنو على أما في الأرض من ملك؟

وأستهين بالأيام والفلك

عيون الأنام به تعقد

علي بن الحسين بن موسى

ابن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، نقيب العلويين أبو القاسم الملقب بالمرتضى، علم الهدى، السيد المشهور بالعلم، المعروف بالفهم، ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة، ومات سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وهو أكبر من أخيه الرضي وقال أبو جعفر الطوسي: توحد المرتضى في علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدم في العلوم مثل علم الكلام والفقه، وأصول الفقه، والأدب، والنحو، والشعر، ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك، وله ديوان شعر يزيد على عشرة آلاف بيت، وله من التصانيف ومسائل البلدان شيء كثير يشتمل على ذلك فهرسته غير أني أذكر أعيان كتبه وكبارها منها: كتاب الشافي في الإمامة، كتاب المغني لعبد الجبار بن أحمد وهو كتاب لم يصنف مثله في الإمامة، كتاب الملخص في الأصول لم يتمه، كتاب الذخيرة في الأصول تام، وكتاب جمل العلم والعمل تام، وكتاب الغرر، وكتاب التنزيه، وكتاب المسائل الموصلية الأولى، وكتاب المسائل الموصلية الثانية، كتاب المسائل الموصلية الثالثة، وكتاب المقنع في الغيبة، وكتاب مسائل الخلاف في الفقه لم يتم، كتاب الانتصار فيما انفردت به الإمامية، كتاب مسائل مفردات أصول الفقه، كتاب المصباح في الفقه لم يتم، كتاب المسائل الطرابلسية الأولى، وكتاب المسائل الطرابلسية الأخيرة، وكتاب مسائل أهل مصر الأولى، وكتاب مسائلهم الأخيرة، وكتاب المسائل الحلبية الأولى، وكتاب المسائل الحلبية الأخيرة، كتاب المسائل الناصرية في الفقه، وكتاب المسائل الجرجانية، وكتاب المسائل الطوسية لم يتم، وكتاب البرق، وكتاب طيف الخيال، وكتاب الشيب والشباب، كتاب تتبع أبيات المعاني للمتنبى التي تكلم عليها ابن جني في الحكاية والمحكي، وكتاب النقض على ابن جني في الحكاية والمحكي، وكتاب نص الرواية وإبطال القول بالعدد، وكتاب الذريعة في أصول الفقه، وكتاب تفسير قصيدة السيد، وله مسائل مفردات نحو مائة مسألة في فنون شتى، وكتاب المسائل الصيداوية. قال أبو جعفر الطوسي: قرأت أكثر هذه الكتب عليه وسمعت سائرها. ومن شعره المذكور في تنمة اليتيمة:

يا خليلي من ذؤابة بكر

غنياني بذكرهم تطرباني

وخذا النوم عن جفوني فإني

وله في ذم المشيب:

يقولون لا تجزع من الشيب ضلة

وما سرني حلم يفي إلى الردى

إذا كان ما يعطيني الحزم سالباً

وقد جربت نفسي الغداة وقاره

وإني مذ أضحي عذارى قراره

وله في مرثية:

كم تطيش سهام الموت مخطئة

ولو فطنت وقد أردى الزمان أخي

سود وبيض من الأيام لونهما

هيهات: حكم فينا أزلم جدع

ذكر غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن الصابي في كتاب الهفوات قال: اجتاز المرتضى أبو القاسم يوم جمعة

على باب جامع المنصور بحيث يباع الغنم، فسمع المنادي يقول: نبيع هذا التيس العلوي بدينار، فظن أنه قصده بذلك، فعاد إلى

داره وتألم إلى الوزير مما جرى عليه، فكشف فوجد أن التيس إذا كان في رقبته حلمتان متدلّيتان سمى علويّاً تشبيهاً بضميرتي

العلوي المسبلتين على رقبته. نقلت من خط الحافظ الإمام أبي نصر عبد الرحيم ابن النفيس بن وهبان - وفقه الله - قال: نقلت من

خط الإمام أبي بكر محمد بن منصور السمعاني - رحمه الله - قال: سمعت أبا الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي يقول:

سمعت أبا القاسم بن برهان يقول: دخلت على الشريف المرتضى أبي القاسم العلوي في مرضه الذي توفي فيه، فإذا قد حول

وجهه إلى الجدار فسمعت يقول: أبو بكر وعمر وليا فعديلاً، واسترحماً فرحماً، فأنا أقول: ارتدا بعد إن أسلمنا، قال: فقامت

وخرجت فما بلغت عتبة الباب حتى سمعت الزعقة عليه، ومن شعره ما نقلته من خط تاج الإسلام في المذيل:

أراها الكرى عيني ولست أراها

يا خليلي من ذؤابة بكر

غنياني بذكرهم تطرباني

وخذا النوم عن جفوني فإني

وله في ذم المشيب:

يقولون لا تجزع من الشيب ضلة

وما سرني حلم يفي إلى الردى

إذا كان ما يعطيني الحزم سالباً

وقد جربت نفسي الغداة وقاره

وإني مذ أضحي عذارى قراره

وله في مرثية:

كم تطيش سهام الموت مخطئة

ولو فطنت وقد أردى الزمان أخي

سود وبيض من الأيام لونهما

هيهات: حكم فينا أزلم جدع

ذكر غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن الصابي في كتاب الهفوات قال: اجتاز المرتضى أبو القاسم يوم جمعة

على باب جامع المنصور بحيث يباع الغنم، فسمع المنادي يقول: نبيع هذا التيس العلوي بدينار، فظن أنه قصده بذلك، فعاد إلى

داره وتألم إلى الوزير مما جرى عليه، فكشف فوجد أن التيس إذا كان في رقبته حلمتان متدلّيتان سمى علويّاً تشبيهاً بضميرتي

العلوي المسبلتين على رقبته. نقلت من خط الحافظ الإمام أبي نصر عبد الرحيم ابن النفيس بن وهبان - وفقه الله - قال: نقلت من

خط الإمام أبي بكر محمد بن منصور السمعاني - رحمه الله - قال: سمعت أبا الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي يقول:

سمعت أبا القاسم بن برهان يقول: دخلت على الشريف المرتضى أبي القاسم العلوي في مرضه الذي توفي فيه، فإذا قد حول

وجهه إلى الجدار فسمعت يقول: أبو بكر وعمر وليا فعديلاً، واسترحماً فرحماً، فأنا أقول: ارتدا بعد إن أسلمنا، قال: فقامت

وخرجت فما بلغت عتبة الباب حتى سمعت الزعقة عليه، ومن شعره ما نقلته من خط تاج الإسلام في المذيل:

أراها الكرى عيني ولست أراها

تَمَانَعُ صَبْحاً أَنْ أَرَاهَا بِنَازِرِي
وَلَمَّا سَرَتْ لَمْ تَخْشْ وَهَنًا ضَلَالَةً
فَمَاذَا الَّذِي مِنْ غَيْرٍ وَعَدَّ أَتَى بِهَا
وَقَالُوا عَسَاهَا بَعْدَ زُورَةٍ بَاطِلٍ
وَأُنْشِدْ لَهُ فِيهِ.

وَطَرَقْتَنِي وَهَنًا بِأَجَوَازِ الْفَلَاحِ
فِي لَيْلَةٍ وَافَى بِهَا مَتَمَنَعٍ
يَا لَيْتَ زَانِرُنَا بِفَاحِمَةِ الدَّجَى
فَقَلِيلَةٌ وَضَحَ الضُّحَى مُسْتَكْثَرٍ
مَاعَابِهِ وَبِهِ السَّرُورُ زَوَالِهِ
وَطَرَوْقُهُنَّ عَلَى الْفَلَاحِ تَخِيلُ
وَدَنْتُ بِعَعِيدَاتٍ وَجَادَ بِخِيلٍ
لَمْ يَأْتِ إِلَّا وَالصَّبَاحُ رَسُولُ
وَكَثِيرَةٍ غَبَشَ الظَّلَامُ قَلِيلُ
فَجَمِيعُ مَا سَرَّ الْقُلُوبَ يَزُولُ

ومن خطبه: سمعت أبا العلاء أحمد بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان يقول: ذكر شيخنا أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي الحافظ، ونقلت من خطبه. سمعت الكيا أبا الحسين يحيى بن الحسين العلوي الزيدي وكان من نبلاء أهل البيت ومن المحمودين في صناعة الحديث وغيره من الأصول والفروع يقول: وقد دخل عليه بعض الشعراء فمدحه بقصيدة، فلما خرج قال: يا أبا الفضل، الناس ينظرون إلى وإلى المرتضى ولا يفرقون بين الرجلين، المرتضى يدخل عليه من أملاكه كل سنة أربعة وعشرون ألف دينار، وأنا أكل من طاحونة لأختي ليس لي معيشة غيرها.

قال أبو الفضل المقدسي، وذكر بين يديه يوماً الإمامية فذكرهم بأقبح ذكر وقال: لو كانوا من الدواب لكانوا الحمير، ولو كانوا من الطيور لكانوا الرخم وأطنب في ذمهم، وبعد مدة دخلت على المرتضى وجرى ذكر الزيدية والصالحية أيهما أفضل؟ فقال يا أبا الفضل: تقول أيهما خير ولا تقول أيهما شر، فتعجبت من إمامي الشيعة في وقتها ومن قول كل واحدٍ منهما في مذهب الآخر فقلت: قد كفى أهل السنة الوقعة فيكما. قرأت بخط الشيخ أبي محمد بن الخشاب: حدثني الشيخ الصالح أبو صالح قرطاس بن الطنطاش الظفري الصوفي التركي من لفظه قال: سمعت أبا الرملي يقول وكان مسناً: حضرت مجلس أبي القاسم المرتضى وأنا إذ ذاك صبي، فدخل عليه بعض أكابر الديلم فتزحزح له وأجلسه معه على سريرته، وأقبل عليه مسائلاً فساره الديلمي بشيء لم نعلم ما هو؟ فقال متضجراً نعم: وأخذ معه في كلام كأنه يدافعه، فنهض الديلمي فقال المرتضى بعد نهوضه: هؤلاء يريدون منا أن نزيل الجبال بالريش، وأقبل على من في مجلسه فقال: أتدرون ما قال هذا الديلمي؟ فقالوا لا يا سيدي، فقال: قال: بين لي هل صح إسلام أبي بكر وعمر؟ قلت أنا: - رضي الله عنهما -، قرأت في بعض كتب الحسن بن جعفر بن عبد الصمد بن المتوكل بخطه.

حدثني الفصيح النحوي قال: اطلع المرتضى من روشنه فرأى المطرز الشاعر وقد انقطع شراك نعله وهو يصلحه فقال له: فدبت ركانبك وأشار إلى قصيدته التي أولها:

سرى مغرماً بالعيش ينتجع الركبا
على عذبات الجزع من ماء تغلب
يسائل عن بدر الدجى الشرق والغربا
غزال يرى ماء القلوب له شربا

إلى قوله:

إذا لم تبلغني إليك ركاني
فقال مسرعاً: أترأها ما تشبه مجلسك وخلعك؟ أشار بذلك إلى أبياته التي أولها:

يا خليلي من ذؤابة قيس

مذكورة في أول ترجمته قبل، وأنه لما خلع وهب النوم. وللمرتضى:

تجاف عن الأعداء بغياً فربما
ولا تبر منهم كل عود تخافه
كفيت فلم تجرح بنابٍ ولا ظفر
فإن الأعادي ينبئون مع الدهر

على بن الحسين بن علي العباسي

يعرف بابن كوجك الوراق، كان أديباً فاضلاً يورق سمع بمصر من أبي مسلم محمد بن أحمد كاتب أبي الفضل بن حنزابة الوزير. صنف كتباً منها: كتاب الطنبوريين كتاب أعز المطالب إلى أعلى المراتب في الزهد كتب به إلى الشابستي صاحب كتاب الديارات، ومات في أيام الحاكم فرأيت سنة أربع وتسعين وثلاثمائة، وكان بالشام والساحل، ومدح سيف الدولة لما فتح الحدث فقال:

رام هدم الإسلام بالحدث المؤ
نكلت عنك منه نفس ضعيف
فتوقى الحمام بالنفس والمأ
ترك الطير والوحوش سغباً
ولكم وقعة قريت عفاة الطي
ذن بنيانها بهدم الضلال
سلبته القوى رؤس العوالي
ل وباع المقام بالارتحال
بين تلك السهول والأجبال
ر فيها جماجم الأبطال

وكان أبوه الحسين بن علي من أهل الأدب والشعر. قال الحافظ أبو القاسم الدمشقي: الحسين بن علي بن كوجك أبو القاسم الكوجكي حدث بطرابلس سنة تسع وخمسين وثلاثمائة عن أبي مسعود كاتب حسنون المصري، وعن أبيه علي وأبي القاسم بن المنتاب العراقي. كتب عنه بعض أهل الأدب وأنشد له هذه الأبيات:

وما ذات بعل مات عنها فجاءة
بأرض نأت عن والديها كليهما
فلما استبان الحمل منها تنهنهوا
فجاءت بمولود غلام فحوزت
فلما غدا للمال ربا ونافست
وأصبح مأمولاً يخاف ويرتجى
أتيج له عبل الذراعين مخدر
فلم يبق منه غير عظم مجزر
بأوجع مني يوم ولت حدوجهم
وقد وجدت حملاً دوين الترائب
تعاورها الوراثة من كل جانب
قليلاً وقد دبوا دبيب العقارب
تراث أبيه الميت دون الأقارب
لإعجابها فيه عيون الكواعب
جميل المحيا ذا عذار وشارب
جري على أقرانه غير هائب
وجمجة ليست بذات ذوائب
يؤم بها الحادون وادي غباغب

علي بن الحسين بن بلبل العسقلاني

أبو الحسين. من شعره في محبوب أزرق العينين:

تدل بالذابل حسناً وفي
أزرق كالأزرق يوم الوغى

وله أيضاً:

شعر الذؤابة والعذار
بأبي الذي في خده
سكرت لوا حظه وقل
عابوا امتهاني في هوا
ومن الصواب وها عذا

وله أيضاً:

تعرف في وجهه إذا ما
كأنما خده حباب
ولي غريم لوى ديوني
رأيت نضرة النعيم
بت به ليلة السليم
ليت غرامي على غريمي

علي بن الحسين الأمدي النحوي

أبو الحسن، ذكره محمد بن إسحاق النديم، وذكر أنه خرج إلى مصر فأقام بها منقطعاً إلى أبي الفضل بن حنزابة الوزير، وخطه صحيح مليح، ولم يثبت له مصنف. قلت أنا: وهو من مشايخ عبد السلام ابن الحسين البصري، وجدت بخطه وقد أنشد عنه بيتاً لأبي الهيثم كلاب بن حمزة العقيلي - وهو مذكور في بابيه - وقال: أنشدناه جماعة من مشايخنا منهم: أبو الحسن علي بن الحسن الأمدي.

وحدث ابن نصر قال: حدثني أبو الحسن المبدع وكنت أعرفه قديماً، ودخل إلى بغداد خضيباً فأنكرته ثم عرفته، فجرى ذكر شعراء المصريين فقلت له: ما رأيت لهم شيئاً ناصعاً فقال لي: كان الأمدي يتولى أرزاق الشعراء والمتعطلين والأشراف والكتاب وكان خضيباً، ولم يسمه لي ولاكناه، ولأعلم هل هو النحوي صاحب كتاب الموازنة أو غيره؟ إلا أنني أذكر ما حكاه قال: منع الحسين بن بشر الكاتب المصري أرزاقه فعمل فيه قطعة أولها:

إن طغى الأمدى طغيان مثر	راشه الدهر فالمريش يحص
أيها الأمدى عقلك قد د	ل على أن أمد اليوم حمص
إن حرصاً يدعو إلى قطعك الأر	زاق فينا على هلاكك حرص
بسواد السماد تخضب ياشي	خ فمن ذا سواده ماييـص
ألق فيه عفصاً فإنك تحتا	ج إلى العفص حين يعكس عفص

فقلت: تتشد هذا وأنت خضيب؟ فقال: الجيد يروي وإن كان على الراوي فيه دق الباب

علي بن الحسن بن علي الضرير، الأصفهاني النحوي

أبو الحسن الباقولي المعروف بالجامع، ذكره أبو الحسن البيهقي في كتاب الوشاح فقال: هو في النحو و الإعراب كعبة لها أفاضل العصر سدنة، وللفضل فيه بعد خفائه أسوة حسنة، وقد بعث إلى خراسان بيت الفرزدق المشهور في شهور سنة خمس وثلاثين وخمسائة وهو:

فليست خراسان التي كان خالد	بها أسداً إذ كان سيفاً أميرها
وكتب كل فاضل من فضلاء خراسان لهذا البيت شرحاً ثم قال: وهذا الإمام استدرك على أبي علي الفسوى وعبدج القاهر وله هذه الرتبة، ومن نظر في تصانيفه علم أنه لاحق سبق السابقين، وقيل من منظومه:	

أحـبـب النـحو من العـلم فـقد	يدرك المرء به أعلى الشرف
إنما النحوى في مجلسه	كشهاب ثاقب بين السدف
يخرج القرآن من فيه كما	تخرج الدرة من جوف الصدف

قال البيهقي: وبعد ذلك تحقق أن هذه الأبيات من إنشاده لا من إنشائه. له من التصانيف: كتاب شرح اللمع، وكتاب كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في علل القرآن، قرأت في خاتمة كتاب المشكلات للجامع هذا ماصورته: وقد أملته بعد تصنيف كتاب الجوهر، وكتاب المجمل كتاب الاستدراك على أبي علي، وكتاب البيان في شواهد القرآن، وسأجمع لك كتاباً أذكر فيه الأفاويل في معنى الآية دون الإعراب وما يتعلق بالصناعة منها.

علي بن حمزة الكسائي

هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان من ولد بهمن بن فيروز مولى بني أسد النحوي. أحد الأئمة في القراءة والنحو واللغة، وأحد السبعة القراء المشهورين، وهو من أهل الكوفة، استوطن بغداد وروى الحديث وصنف الكتب، ومات بالري صاحبه الرشي على ما نذكره فيما بعد سنة اثنتين وثمانين ومائة أو ثلاث وثمانين ومائة، وقيل بعد ذلك في سنة تسع وثمانين، وقال مهدي بن سابق: في سنة اثنتين وتسعين ومائة هو محمد بن الحسن الفقيه صاحب أبي حنيفة، فقال الرشيد: اليوم ذهب الفقه والعربية، قال الخطيب: إن عمر الكسائي بلغ سبعين سنة.

وكان الكسائي مؤدباً لولد الرشيد، وكان أثيراً عند الخليفة حتى أخرجه من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين، وكان الكسائي قد قرأ على حمزة الزيات ثم اختار لنفسه قراءة. وسمع من سليمان ابن أرقم وأبي بكر بن عياش. وفي القراء آخر يقال له الكسائي الصغير، واسمه محمد بن يحيى، روى عنه ابن مجاهد عن خلف بن هشام النراز.

حدث الخطيب قال: قال الفراء: إنما تعلم الكسائي النحوي على كبر، وسببه أنه جاء إلى قوم من الهباريين وقد أعيا فقال لهم: قد عيبت. فقالوا له: أئجالنا وأنت تلحن؟ فقال: كيف لحننت؟ قالوا: إن كنت أردت من انقطاع الحيلة والتحير في الأمر فقل عيبت مخففاً، وإن كنت أردت من التعب فقل أعيبت، فأنف من هذه الكلمة، ثم قام من فورهِ ذلك فسأل من يعلم النحو؟ فأرشدوه إلى معاذ الهراء فلزمه حتى أنفد ما عنده، ثم خرج إلى البصرة فلقى الخليل وجلس في حلقة، فقال له رجل من الأعراب: تركت أسد الكوفة وتميمها وعندها الفصاحة وجئت إلى البصرة، فقال لل خليل: من أين أخذت علمك هذا؟ قال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة، فخرج ورجع. وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ، فلم يكن له هم غير البصرة وال خليل، فوجد الخليل قد مات وجلس في موضعه يونس النحوي، فمرت بينهما مسائل أقر له يونس فيها، وصدره موضعه. وحدث الخطيب أيضاً بإسنادٍ رفعه إلى عبد الرحيم ابن موسى قال: قلت للكسائي: لم سميت الكسائي؟ قال: لأنني أحرمت في كساء. قال: وقيل فيه قول آخر، وذكر إسناداً رفعه إلى محمد بن يحيى المروزي قال: سألت خلف بن هشام لم سمى الكسائي كسائياً؟ فقال: دخل الكسائي الكوفة فجاء إلى مسجد السبيع وكان حمزة بن حبيب الزيات يقرئ فيه، فتقدم الكسائي مع أذان الفجر، فجلس وهو ملتف بكساء من البرد كان أسود، فلا صلى حمزة قال: من تقدم الوقت يقرأ؟ قيل له الكسائي أول من تقدم يعنون صاحب الكساء، فرمقه القوم بأبصارهم فقال: إن كان حانكاً فسيقرأ سورة يوسف، وإن كان ملاحاً فسيقرأ سورة طه، فسمعهم فابتدأ بسورة يوسف، فلما بلغ إلى قصة الذئب قرأ فأكله الذئب بغير همز، فقال له الزيات: بالهمز، فقال له الكسائي: وكذلك أ همز الحوت في قوله تعالى: (فالتقمه الحوت)، قال: لا قال، فلم همزت الذئب ولم تهمز الحوت؟ وهذا فأكله الذئب، وهذا فالتقمه الحوت. فرفع حمزة بصره إلى خلاد الأحوال وكان أجمل غلمانه فتقدم إليه في جماعة من أهل المجلس، فناظروا فلم يصيبوا شيئاً فقال: أفدنا - رحمك الله -، فقال لهم الكسائي: تفهموا عن الحانك، تقول: إذا نسبت الرجل إلى الذئب قد استذاب الرجل، ولو قلت: قد استذاب بغير همز لكنت إنما نسبته إلى الهزال، تقول: استذاب الرجل: إذا استذاب شحمه بغير همز. وإذا نسبته إلى الحوت تقول: قد استحات الرجل أي كثر أكله، لأن الحوت يأكل كثيراً ولا يجوز فيه الهمز، فلتلك العلة همز الذئب ولم يهمز الحوت، وفيه معنى آخر لا تسقط الهمزة من مفردة ولا من جمعه وأنشدهم:

أيها الذئب وابنه وأبوه أنت عندي من أذوب ضاريات

قال: فسمى الكسائي من ذلك اليوم. وحدث المرزباني فيما رفعه إلى ابن الأعرابي قال: كان الكسائي أعلم الناس على رفق فيه، كان يديم شرب النبيذ ويجاهر باتخاذ الغلمان الروقة إلا أنه كان ضابطاً قارئاً عالماً بالعربية صدوقاً.

وحدث المرزباني فيما رفعه إلى الكسائي قال: أحضرني الرشيد سنة اثنتين وثمانين ومائة في السنة الثالثة من خلافته، فأخرج إلى محمداً الأمين وبعدد الله المأمون كأنهما بدران فقال: امتحنهما بشيء، فما سألتهما عن شيء إلا أحسنا الجواب فيه، فقال لي كيف تراهما؟ فقلت:

أرى قمري أفق وفرعي بشامة
يسدان آفاق السماء بهمة
سليبي أمير المؤمنين وحائزي
حياة وخصب للولي ورحمة
يزينهما عرق كريم ومحتد
يؤيدها حزم ورأى وسؤدد
مواريث ما أبقي النبي محمد
وحرب لأعداء وسيف مهند

ثم قلت: فرع زكا أصله، وطاب مغرسه، وتمكنت فروعه، وعذبت مشاربه، آواهما ملك أغر، نافذ الأمر، عظيم الحلم، أعلاهما فعلوا، وسما بهما فسموا، فهما يتطاولان بطوله، ويستضيئان بنوره، وينطقان بلسانه، - فأمتع الله - أمير المؤمنين بهما، وبلغه الأمل فيهما، فقال: تفقدتهما، فكنت أختلف إليهما في الأسبوع طرفي نهارهما. وحدث الخطيب بإسنادٍ رفعه إلى سلمة قال: كان عند المهدي مؤدب يؤدب الرشيد، فدعاه المهدي يوماً وهو يستاك فقال له: كيف الأمر من السواك؟ قال: استك يا أمير المؤمنين، فقال المهدي: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم قال: التمسوا لنا من هو أفهم من ذا، فقالوا: رجل يقال له علي بن حمزة الكسائي من أهل الكوفة، قدم من البادية قريباً فكتب بإزعاجه من الكوفة، فساعة دخل عليه قال: يا علي بن حمزة، قال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: كيف تأمر من السواك؟ قال: سك يا أمير المؤمنين، قال: أحسنت وأصبت، وأمر له بعشرة آلاف درهم. وحدث المرزباني عن عبد الله بن جعفر عن ابن قادم عن الكسائي قال: حجبت مع الرشيد فقدمت لبعض الصلوات فصليت فقرأت: (ذرية ضعافاً خافوا عليهم)، فأملت ضعافاً، فلما سملت ضربوني بالنعال والأيدي وغير ذلك حتى غشي علي، واتصل الخبر بالرشيد فوجه بمن استنفذني، فلما جئته قال لي: ما شأنك؟ فقلت له: قرأت لهم ببعض قراءة حمزة الرديئة ففعلوا بي ما بلغ أمير المؤمنين، فقال: بنس ما صنعت، ثم ترك الكسائي كثيراً من قراءة حمزة وحدث فيما رفعه إلى الأحمر النحوي قال: دخل أبو يوسف القاضي - وقال عبد الله بن جعفر محمد بن الحسن - على الرشيد وعنده الكسائي يحدثه فقال: يا أمير المؤمنين: قد سعد بك هذا الكوفي وشغلك، فقال الرشيد: النحو يستفرغني، لأنني أستدل به على القرآن والشعر، فقال محمد بن الحسن، أو أبو يوسف: إن علم النحو إذا بلغ فيه الرجل الغاية صار معلماً. والفقهاء إذا عرف

الرجل منه جملة صار قاضياً. فقال الكسائي: أنا أفضل منك، لأنني أحسن ما تحسن، وأحسن ما لا تحسن، ثم التفت إلى الرشيد وقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن له في جوابي عن مسألة من الفقه، فضحك الرشيد وقال: أبلغت يا كسائي إلى هذا؟ ثم قال لأبي يوسف: أجب، فقال الكسائي: ما تقول لرجل قال لامرأته أنت طالق إن دخلت الدار؟ فقال أبو يوسف: خطأ، إذا فتحت أن فقد وجب الأمر، وإذا كسرت فإنه لم يقع الطلاق بعد. فنظر أبو يوسف بعد ذلك في النحو.

وحدث أيضاً عن سمع الكسائي يقول: اجتمعت أنا وأبو يوسف القاضي عند هارون الرشيد، فجعل أبو يوسف يذم النحو ويقول: وما النحو؟ فقلت - وأردت أن أعلمه فضل النحو -: ما تقول في رجل قال لرجل: أنا قاتل غلامك؟ وقال له آخر: أنا قاتل غلامك، أيهما كنت تأخذ به؟ قال أخذهما جميعاً، فقال له هارون: أخطأت، وكان له علم بالعربية، فاستحيا وقال: كيف ذلك؟ قال: الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال: أنا قاتل غلامك بالإضافة، لأنه فعل ماضٍ، وأما الذي قال: أنا قاتل غلامك بالنصب فلا يؤخذ، لأنه مستقبل لم يكن بعد، كما قال الله عز وجل: (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله). فلولاً التثوين مستقبل ما جاز فيه غداً، فكان أبو يوسف بعد ذلك يمدح العربية والنحو.

وحدث فيما رفعه إلى إبراهيم بن إسماعيل الكاتب قال: سأل اليزيدي الكسائي بحضرة الرشيد قال: انظر، في هذا الشعر عيب؟ وأنشده:

ما رأينا خرباً نق
ر عنه البيض صقر
لا يكون العير مهراً
لا يكون، المهر مهر

فقال الكسائي: قد أقوى الشاعر، فقال له اليزيدي انظر فيه، فقال: أقوى لابد ينصب المهر الثاني على أنه خير كان، قال: فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض وقال: أنا أبو محمد الشعر صواب، وإنما ابتداءً فقال: المهر مهر، فقال له يحيى بن خالد: أتكنتي بحضرة أمير المؤمنين وتكشف رأسك؟ والله لخطأ الكسائي مع أدبه، أحب إلينا من صوابك مع سوء فعلك، فقال: لذة الغلبة أنستني من هذا ما أحسن.

حدث المرزباني، حدث محمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق، حدثنا النعمان بن هارون الشيباني قال: كان أبو نواس يختلف إلى محمد بن زبيدة، وكان الكسائي يعلمه النحو فقال أبو نواس: إني أريد إن أقبل محمداً قبله، فقال له الكسائي: إن علي في هذا وصمة، وأكره أن يبلغ هذا أمير المؤمنين، فقال أبو نواس: إنك إن تركتني أقبلك وإلا قلت فيك أبياتاً أرفعها إلى أمير المؤمنين، فأبى عليه الكسائي وظن أنه لا يفعل، فكتب أبو نواس رقعة:

قل للإمام جزاك الله صالحة
لا يجمع الدهر بين السخل والذيب
فالسخل غر وهم الذئب غفلته
والذئب يعلم ما بالسخل من طيب

ودفعها إلى بعض الخدم ليوصلها إلى الرشيد، فجاء بها الخادم إلى الكسائي، فلما قرأها علم أنه شعر أبي نواس فقال له: وبحك، هذا أمر عظيم سألتطف لك، فغيب أياماً ثم احضر وسلم علي وعلى محمد فستبلغ حاجتك، فغاب وتحدث الكسائي إن أبا نواس غائب ثم جاء فقام إليه الكسائي فسلم عليه وعانقه، وسلم أبو نواس على محمد وقبله، فقال أبو نواس:

قد أحدث الناس ظرفاً
يزهو على كل ظرف
كانوا إذا ماتلاقوا
تصافحوا بالأكف
فاظهروا اليوم رشف ال
خود والرشف يشفى
فصرت تلثم من شيء
ت من طريق التخفي

قال: وقال ابن أبي طاهر: وهذا الحديث عندي باطل مصنوع من قيل من حدث به ابن أبي سعد عنه لأمه، لأن أبناء الخلفاء كانوا في مثل حال الممنوع أجل مكاناً من أن يعانقوا أحداً من الرعية، ومن قبل أن هذا الشعر الأخير أنشدني غير واحد لعبد الصمد ابن المعدل حتى خبرني أبو علي الفضل بن جعفر بن الفضل بن يوسف المعروف بالبصير أنه له، وأنه قاله بالكوفة في حادثة من سنه، وكان بعيداً من الكذب في ادعاء مثل هذا من الشعر والله أعلم.

حدث عبد الله بن جعفر عن محمد بن يزيد عن المازني عن الأصمعي قال: كان الكسائي يأخذ اللغة من أعراب من أعراب الحطمية ينزلون بقطر بل وغيرها من قرى سواد بغداد، فلما ناظر الكسائي سيبويه استشهد بكلامهم، واحتج بهم وبلغتهم على سيبويه. فقال أبو محمد اليزيدي: كنا نقيس النحو فيما مضى - الأبيات - والأبيات في أخبار اليزيدي. ولليزيدي أشعار في الكسائي ذكرت في أخباره، ومن قول اليزيدي فيه:

أفسد النحو الكسائي
ي وثنى ابن غزالة

وأرى الأحمر تيساً

فاعلفوا التيس النخالة

وحدث المرزباني عن عبد الله بن جعفر عن محمد بن يزيد عن المازني والرياشي عن أبي زيد قال: لما ورد نعي الكسائي من الري قال أبو زيد: لقد دفن بها علم كثير بالكسائي ثم قال: قدم علينا الكسائي البصرة فلقى عيسى والخليل وغيرهما، وأخذ منهم نحواً كثيراً، ثم صار إلى بغداد فلقى أعراب الحطمية فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن، فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة كله. قال عبد الله: وذلك إن الكسائي كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز من الخطأ واللحن وشعر غير أهل الفصاحة والضرورات، فيجعل ذلك أصلاً ويقيس عليه حتى أفسد النحو. قال أبو عبد الله بن مقلة: حدثني أبو العباس أحمد ابن يحيى قال: اجتمع الكسائي والأصمعي عند الرشيد وكانا معه يقيمان بمقامه، ويظعنان بظعنه، فأنشد الكسائي:

رئمان أنفٍ إذ ماضن باللبن؟

أم كيف ينفع ما تعطي العلوق به

فقال الأصمعي: رئمان بالرفع، فقال له الكسائي: اسكت ما أنت وهذا؟ يجوز رئماناً ورئمان ورئمان، ولم يكن الأصمعي بصاحب عربية، فسألت أبا العباس كيف جاز ذلك؟ فقال: إذا رفع رفع بينفع، أي أم كيف ينفع رئمان أنفٍ، وإذا نصب نصب بينعطي، وإذا خفض رده على الهاء في به. قال: والمعنى وما ينفعني إذا وعدتني بلسانك ثم لم تصدقه بفعلك، يقال ذلك للذي يبر ولا يكون منه نفع كهذه الناقة التي تشم بأنفها مع تمنع درها، والعلوق: التي قد علق قلبها بولدها، وذلك أنه نحر عنها ثم حشى جلده تبناً أو حشيشاً وجعل بين يديها حتى تشمه وتدر عليه، فهي تسكن إليه مرة ثم تنفر عنه ثانية تشمه بأنفها ثم تأباه مقلتها فيقول: فما ينفع من هذا البو إذا تشمته ثم منعت درها؟ قال أبو العباس: حدثني سلمة قال: قال الفراء: مات الكسائي وهو لا يحسن حد نعم وبس، ولاحد أن المفتوحة، ولاحد الحكاية، قال: فقلت لسلمة فكيف لم ينظره في ذلك؟ فقال: قد سألته ذلك فقال: أشفقت أن أحادثه فيقول في كلمة تسقطي فأمسكت قال الفراء: ولم يكن الخليل يحسن النداء، ولا كان سيبويه يدري حد التعجب. وحدث المرزباني في ما رفعه إلى الفراء قال: قدم سيبويه على البرامكة فعزم يحيى بن خالد أن يجمع بينه وبين الكسائي وجعل لذلك يوماً، فلما حضر تقدمت والأحمر فدخل فإذا بمثال في صدر المجلس، فقعده عليه يحيى وقعد إلى جانب المثال جعفر والفضل ومن حضر بحضورهم، وحضر سيبويه فأقبل عليه الأحمر فسأله عن مسألة فأجابها فيها سيبويه فقال له: أخطأت، ثم سأله عن ثانية فأجاب فقال له: أخطأت، ثم سأله عن ثالثة فأجابها فيها فقال له: أخطأت، فقال له سيبويه: هذا سوء أدب. قال الفراء: فأقبلت عليه فقلت: إن في هذا الرجل حدةً وعجلة، ولكن ماتقول فيمن قال: هؤلاء أبون، ومررت بأبين، كيف تقول على مثال ذلك، وأيت أو أويت؟ قال: فقد فأتخطأ فقلت له: أعد النظر ثلاث مرات تجيب ولا تصيب، فلما كثر عليه ذلك قال: لست أكلمكما أو يحضر صاحبكما حتى أناظره، قال: فحضر الكسائي فأقبل على سيبويه فقال: أتسألني أم أسألك؟ فقال: بل سلني أنت، فقال له الكسائي: كيف تقول: قد كنت أظن إن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها؟ فقال سيبويه: فإذا هو هي ولايجوز النصب، فقال له الكسائي: لحن، ثم سأله عن مسائل من هذا النوع خرجت فإذا عبد الله القائم أو القائم، فقال سيبويه: في ذلك كله بالرفع دون النصب، فقال الكسائي: ليس هذا من كلام العرب، العرب ترفع في ذلك كله وتنصب، فدفع سيبويه قوله، فقال يحيى بن خالد: قد اختلفتما وأنتما رئيساً بديكما، فمن ذا يحكم بينكما؟ فقال له الكسائي: هذه العرب في بابك قد جمعتهم من كل أوب. ووفدت عليك من كل صقع، وهم فصحاء الناس وقد قنع بهم أهل المصريين، وسمع أهل الكوفة وأهل البصرة منهم فيحضرون ويسألون، فقال يحيى وجعفر. قد أنصفت، فأمر بإحضارهم فدخلوا، فهم: أبو فقحس، وأبودثار، وأبو الجراح، وأبو ثروان، فسئلوا عن المسائل التي جرت بين الكسائي وسيبويه، فتابعوا الكسائي وقالوا بقوله. فقال: فأقبل يحيى على سيبويه فقال: قد تسمع أيها الرجل؟ فاستكان سيبويه وأقبل الكسائي على يحيى فقال: - أصلح الله الوزير -، إنه قد وفد عليك من بلده مؤملاً، فإن رأيت ألا ترده خائباً، فأمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج وصير وجهه نحو فارس، فأقام هناك حتى مات ولم يعد إلى البصرة.

قال ثعلب: وإنما أدخل ألفاء في قوله: فإذا هو إياها، لأن فإذا مفاجأة، أي فوجدته ورأيت، ووجدت ورأيت ينصب شيئين ويكون معه خبر، فلذلك نصبت العرب.

قال المؤلف: وقد ذكرنا هذا الخبر في باب سيبويه برواية أخرى، وذكرنا الاحتجاج للبصريين على تصويب قول سيبويه هناك إن شاء الله.

روى الزبير عن إسحاق الموصلي قال: ما رأيت رجلاً منسوباً إلى العلم أجهل بالشعر من الكسائي وبالإسناد قال: كان الكسائي من أشد خلق الله تسكعاً في تفسير شعر، وما رأيت أعلم بالنحو قط منه، ولا أحسن تفسيراً، ولا أحقق بالمسائل، المسألة تشق من المسألة، والمسألة تدخل على المسألة.

وقرأت في نوادر ابن الأعرابي التي كتبها عنه ثعلب سمعت الكسائي يقول: قلت لأبي زيد وآذاني باللزم يا هذا، قد أملتني، كم

تلازمني؟ فقال له أبو زيد: إنما ألزمتك لأعلمك، قال: فقلت له فاجلس في بيتك حتى آتيك. قال: وما جربت على الكسائي كذبة قط. قال أبو عبد الله بن الأعرابي: ولئن كان أبو زيد قال هذا، ما في الأرض أحد قط أدخل عقلاً منه.

قال: وكان الكسائي أعلم من أبي زيد بكثير بالعربية واللغات والنوادر، ولو كان نظر في الأشعار ما سبقه أحد ولا أدركه أحد حده. وقال أبو الطيب اللغوي في كتاب مراتب النحويين عن أبي حاتم قال: لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقران ولا كلام العرب، ولولا أن الكسائي دنا من الخلفاء فرفعوا ذكره لم يكن شيئاً، وعلمه مختلط بلا حجج ولا علل إلا حكايات الأعراب مطروحة، لأنه كان يلقتهم ما يريد، وهو على ذلك أعلم الكوفيين بالعربية والقران، وهو قدوتهم وإليه يرجعون.

وحدث المرزباني في كتابه قال: كتب الكسائي إلى الرشيد وهو يؤدب محمداً الأمين:

قل للخليفة ما تقول لمن	أمسى إليك بحرمة يدلي؟
مازلت منصار الأمين معي	عبيدي يدي ومطيتي رجلي
وعلى فراشي ما ينهني	من نومتي بقيامه قبلي
أسعى برجلي منه ثالثة	نقصت زيادتها عن الرجل
فامنن على بما يسكنه	عني وأهد الغمد للنصل

قال: فضحك الرشيد وأمر له ببرذون بسرجه ولجامه وبجارية حسناء بآلتها وخادم وعشرة آلاف درهم. قيل للكسائي: قد أبحت علمك الناس؟ فقال يعين الله عليهم بالنسيان.

من مجالسات ثعلب: وصف ابن الأعرابي الكسائي فقال: كان أعلم الناس على رهق فيه، يريد إثبات ما يكره، لأنه كان يشرب الشراب ويأتي الغلمان. قال: ومن شعر الكسائي:

إنما النحو قياس يتبع	وبه في كل أمر ينتفع
فإذا ما نصر النحو الفتى	مر في المنطق مرأ فأتسع
فاتقاه جل من جالسه	من جليس ناطق أو مستمع
وإذا لم ينصر النحو الفتى	هاب أن ينطق جبناً فانقطع
فتراه يرفع النصب وما	كان من خفض ومن نصب رفع
يقرأ القران ولا يعرف ما	صرف الإعراب فيه وصنع
والذي يعرفه يقرؤه	فإذا ما شك في حرف رجع
ناظراً فيه وفي إعرابه	فإذا ما عرف اللحن صدع
كم وضع رفع النحو وكم	من شريف قد رأيناه وضع
فهما فيه سواء عندكم	ليست السنة فينا كالبدع

وحدث هارون بن علي بن المنجم في أماليه عن أبي توبه قال: سمعت الفراء يقول: مدحني رجل من النحويين فقال لي: ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله في النحو؟ فأعجبني نفسي فأتيت فناظرته مناظرة الأكفاء، فكأنني كنت طائراً يغرف من البحر بمنقاره.

وحدث محمد بن إسحاق النديم قال: قرأت بخط أبي الطيب ابن أخي الشافعي قال: أشرف الرشيد على الكسائي وهو لا يراه، فقام الكسائي ليلبس نعله لحاجة يريد بها فابتدأها الأمين والمأمون، وكان مؤدبهما فوضعاها بين يديه، فقيل رؤوسهما وأيديهما ثم أقسم عليهما ألا يعاودا، فلما جلس الرشيد مجلسه قال: أي الناس أكرم خدماً؟ قال: أمير المؤمنين - أعزه الله - قال: بل الكسائي يخدمه الأمين والمأمون، وحدثهم الحديث.

حدث السلمي قال: حضر مجلس الكسائي أعرابي وهم يتحاورون في النحو فأعجبه ذلك، ثم تناظروا في التصريف فلم يهتد إلى ما يقولون، ففارقهم وأنشأ يقول:

ما زال أخذهم في النحو يعجبني	حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
بمفعول فعل لا طاب من كلم	كأنه زجل الغربان. واليوم

وقرأ بخط أبي سعيد عبد الرحمن بن علي اليزدادي اللغوي الكاتب في كتاب جلاء المعرفة من تصنيفه قيل: اجتمع إبراهيم النظام وضرار بين يدي الرشيد، فتناظرا في القدر حتى دقت منازرتهم فلم يفهمهما، فقال لبعض خدمه ومن يثق به ويرضى برأيه: اذهب بهذين إلى الكسائي حتى يتناظرا بين يديه ثم يخبرك لمن الفلاح منهما، فلما صارا في بعض الطريق قال إبراهيم النظام لضرار: أنت تعلم أن الكسائي لا يحسن شيئاً من النظر، وإنما معوله على النحو والحساب، ولكن تهيب له مسألة نحو، وأهيب له مسألة حساب فنشغله بهما، لأننا لا نأمن إن يسمع منا ما لم يسمعه ولم يبلغه فهمه أن ينسبنا إلى الزندقه، فلما صارا إليه سلما عليه، ثم بدأ ضرار فقال: أسألك - أصلحك الله - عن مسألة من النحو؟ قال: هاتها، قال: ماحد الفاعل والمفعول به؟ قال الكسائي: حد الفاعل الرفع أبداً، وحد المفعول به النصب أبداً، قال: فكيف تقول ضرب زيد؟ فقال: ضرب زيد. قال: فلم رفعت زيدا وقد شرطت أن المفعول به منصوب أبداً؟ قال لأنه لم يسم فاعله، قال له: فقد أخطأت في العبارة، إذ لم تقل إن المفعولين من إذا لم يسم فاعله كان مرفوعاً، ومن جعل لك الحكم بأن تجعل الرفع لمن لم يسم فاعله؟ قال: لأننا إذا لم نذكر الفاعل أقمنا المفعول به مقامه، لأن الفعل الواقع عليه غير مستحكم النقص، وعدم النقص مطابق للرفع، فإذا ذكرنا من فعل به وأفصحنا بذلك نصبناه. قال له: فإن كان النصب مطابقاً للنقص فمن لم يسم فاعله أولى به، لأننا إذا قلنا: ضرب زيد فقد يمكن إن يكون ضربه مائة رجل، وإذا قلنا ضرب عبد الله زيداً فلم يضره إلا رجل واحد، فالذي أمكن إن يضره مائة رجل أولى بالنصب والنقص ممن لم يضره إلا رجل واحد، فوقف الكسائي فلم يدر مايقول. ثم قال له إبراهيم: أسألك - أصلحك الله - عن مسألة من الحساب؟ قال: قل: قال: كم جذر عشرة. قال: اجتمع الحساب على أنه لا جذر لعشرة. قال: فهل علم الله جذرها؟ قال: الله عالم كل شيء ألقاه إلى نبي من أنبيائه؟ ثم ألقاه ذلك النبي إلى صفي من أصفائه، فلم يزل ذلك العلم ينمي حتى صار علم جذر عشرة عندي، وأكون أعلم جذرها ولا تعلمه أنت، وتكون مخطئاً فيما قلت، فالتفت الكسائي إلى الغلام وقال: اذهب بهذين إلى أمير المؤمنين فقل: إنهما زنديقان كافران بالله العظيم. قال: وكان الخادم لبيباً حسيماً فأحسن العبارة عنهما وحسن أمورهما، فأمر بهما بجائزة سنينة وصرفهما.

قال المؤلف: وهذه الحكاية عندي مصنوعة باردة، وإنما كتبته لكوني وجدتها بخط رجل عالم. وحدث سلمة بن عاصم قال: قال الكسائي: حلفت ألا أكلم عامياً إلا بما يوافقه ويشبه كلامه، وذلك أنني وقفت على نجار فقلت له: بكم ذاك البايان؟ فقال: بلحتان. فحلفت ألا أكلم عامياً إلا بما يصلحه. وحدث الحزنبل قال: أنشدنا يعقوب بن السكيت لأبي الجراح العقيلي يمدح الكسائي:

ضحوك إذا زف الخوان وزوره يحيا بأهلاً مرحباً ثم يجلس
أبا حسن ماجنتكم قط مطفئاً لظى الشوق إلا والزجاجة تقلس

قال يعقوب: يريد تمتلي حتى تفيض، ونصب قوله يحيا بأهلاً على الحكاية.

وحدث عبد الله بن جعفر بن علي بن مهدي عن أحمد بن الحارث الخراز قال: كان الكسائي ممن وسم بالتعليم، وكان كسب به مالا إلا أنه حكى عنه إنه أقام غلاماً ممن عنده في الكتاب وقام يفسق به وجاء بعض الكتاب ليسلم عليه فرأه الكسائي ولم يره الغلام، فجلس الكسائي في مكانه وبقي الغلام قائماً مبهوتاً، فلما دخل الكاتب قال للكسائي: ماشأن هذا الغلام قائماً؟ قال وقع الفعل عليه فأنصب. وحدث المرزباني فيما أسنده إلى سعدون القارئ قال: رأيت الكسائي وهو يسأل أبا الحسن المروزي وقد أقام أربعين سنة يختلف إلى الكسائي والمروزي يقول: كيف تقول مررت بدجاجة تنفرك أو تنفرك أو تنفرك؟ فقال له الكسائي: استحييت لك، بعد أربعين سنة لاتعرف حروف النعت؟ إنها تتبع الأسماء، قل تنفرك من نعت الدجاجة. قال: والكسائي يهزأ به ويعبث وينقر أنفه. وحدث أيضاً بإسناد رفعه إلى نصير الرازي النحوي رجل كان بالري قال: قدم الكسائي مع هارون فاعتل علة منكرة فأتاه هارون ماشياً متفرغاً فخرج من عنده وهو مغموم جداً فقال لأصحابه: ما أظن الكسائي إلا ميتاً وجعل يسترجع، فجعل القوم يعزونه ويطيّبون نفسه وهو يظهر حزناً فقالوا يا أمير المؤمنين: وماله قضيت عليه بهذا؟ قال: إنه حدثني أنه لقي رجلاً من الأعراب عالماً غزير العلم بموضع يقال له ذو النخيلة، قال الكسائي: فكنت أغدو عليه وأروح أمتاح ماعنده، فغدوت عليه غدوة من تلك الغدوات فإذا هو ثقيل ورأيت به علة منكرة قال: فألقى نفسه وجعل يتنفس ويقول:

قدر أحلك ذا النخيل وقد ترى وأبى مالك ذو النخيل بدار
ألا كداركم بذى بقر الحمى هيهات ذو بقر من المذار

قال الكسائي: فغدوت عليه صباحاً فإذا هو لما به: فدخلت الساعة على الكسائي فإذا هو ينشد هذين البيتين، فغمنى ذلك غماً شديداً، فكان كما قال: مات من يومه ودفن بمنزله في سكة حنظلة ابن نصر بالري سنة اثنتين وثمانين ومائة، وفي غير هذه الرواية زيادة في الشعر:

قالت جمال وكلهن جميلة ما تأمرون بهولاء السفار
قالوا بنو سفر ولم نشعر بهم وهم الذين نريد غير تمارى
لما اتكأت على الحشايا مضمضت بالنوم أعينهن بعد غرار

سقط الندى بجنوبهن كأنما
وكانت وفاته برنبوية، كورة من كور الري هو ومحمد بن الحسن الفقيه في وقت واحد، وكانا خرجا مع الرشيد إليها. فقال الرشيد: دفنت الفقه والنحو برنبوية، فقال أبو محمد اليزيدي يرثيهما:

تصرمت الدنيا فليس خلود
سيفنيك ما أفنى القرون التي مضت
أسيت على قاضي القضاة محمد
وقلت إذا ما الخطب أشكل من لنا
وأوجعني موت الكسائي بعده
وأذهلني عن كل عيش ولذة
هما عالمانا أوديا وتخرما
وماقد ترى من بهجة سيبيد
فكن مستعداً فالفناء عتيد
فأذريت دمعي والفؤاد عميد
بايضاحه يوما وأنت فقيد؟
وكادت بي الأرض الفضاء تميد
وأرق عيني والعيون هجود
ومالهما في العالمين نديد

وقد روى أن وفاة الكسائي كانت بطوس لا الري. ولما بلغت هذه الأبيات إلى الرشيد قال يابزيدي: لئن كنت تسيء الكسائي في حياته، لقد أحسنت بعد موته. وقيل بل قال له: أحسنت يابصري، لئن كنت تظلمه في حياته، لقد أنصفته بعد موته. ومات الكسائي وله من التصانيف: كتاب معاني القرآن، كتاب مختصر في النحو، كتاب القراءات. كتاب العدد. كتاب النوادر الكبير، كتاب النوادر الأوسط، كتاب النوادر الأصغر، كتاب اختلاف العدد، كتاب الهجاء، كتاب مقطوع القرآن وموصله، كتاب المصادر، كتاب الحروف، كتاب أشعار المعاينة وطرائقها، كتاب الهاءات المكنى بها في القرآن.

قرأت بخط الأزهرى في كتاب نظم القرآن للمنزري: أسمعني أبو بكر عن بعض مشايخه أن الكسائي كان يقوم في المحراب يوم فتشئت عليه القراءة حتى لا يقوم بقراءة (الحمد لله رب العالمين)، ثم يتحرف فيقبل عليهم فيملئ القرآن حفظاً ويفسره بمعانية وتفسيره

علي بن حمزة بن عمار بن حمزة

ابن يسار بن عثمان الأصبهاني أبو الحسن، وعثمان هذا الذي أنتهت نسبة هذا إليه: هو والد أبي مسلم الخراساني ويسار أخوه، قال ذلك حمزة وقال: كان اسم أبيه قبل أن يسلم بنداد هرمز، فلما أسلم تسمى بعثمان، قال: وأبو مسلم اسمه: بهزادان بن بنداد هرمز، وعلي بن حمزة هذا من أولاد أخيه يسار، وكان أحد أدباء أصبهان المشهورين بالعلم والسعر والفضل والتصنيف، شائع ذلك ذائع عنه، وصنف كتباً منها: كتاب الشعر، وكتاب فقر البلغاء يشتمل على الاختيار من شعر عامة الشعراء، وكتاب قلاند الشرف في مفاخر أصبهان وأخبارها وغير ذلك. قال حمزة في مقدمة كتابه: وقد كان رجل من كبار أهل الأدب ببلدنا تعاطى عمل كتاب في هذا الفن، وهو أبو الحسن علي بن حمزة بن عمار، وسماه قلاند الشرف، فشحنه بأخبار الفرس في السير والأبيات، نبذ بينهما جملاً من أخبار أصبهان تنقص عن السدس من كتابه، وحجمها يكون دون ثلاثين ورقة، وروى فيما بينها أخباراً كأنها من أحاديث الحكم.

ومن شعر علي بن حمزة يرثي أبا مسلم محمد ابن بحر:

وقالوا ألا ترثي ابن بحر محمداً
فلن يستطيع القول من طار قلبه
ومن بان عنه إلفه وخليله
ومن كان أوفى الأوفياء لمخلص
سجاياء كماء المزن شيب به الجنى
وغرب ذكاء واقد مثل جمرة
ومن كان من بيت الكتابة في الذرى
وله كتبه إلى أبي نجيب أخي أبي سعد الشاعر:
قد عزمنا على الصبوح فبادر
فلذا الدجن ياخليلي ذمام
فقلت لهم: ردوا فؤادي واسمعوا
جريحاً طريحاً بالمصائب يقرع
فليس له إلا إلى البعث مرجع
ومن حيز في سرباله الفضل أجمع
جنى الشهد في صفو المدام يشعشع
وطبع به العضب المهند يطبع
وذا منطق في الحفل لا يتتعتع
قبل إن تضحى السماء المخيلة
لم أزل مذعقلت أمري خليله

وهو يوم أغر أبلج يهمي
ودعاني إليه أدهم داج
شبه ليل متى استضيف ليل
مطفح مهمر بلوع به يس
راكب نازل يغطط وأب
يطرد الجذب كلما جاش أعطى
ولدينا من المعسل شيء
فتفضل بما سألت فقدماً
ولك الحكم إن تحكم في الشر
وقتر كأنهم قضب الهن

بحيا يستمد منه سيوله
قد رحمنا بكاءه وعويله
لم يسكن إلى الصباح صهيله
تلب المدقع الضنين صليله
قد سئنا ركوبه ونزوله
سانليه بضيفة ونشيله
يفتأ الدهر من فؤادي غليله
بؤت للخل بالأيادي الجليله
ب فلا تخف عن قلوب عليه
د لهم السن سلاط طويله

قال المؤلف: ولعل بن حمزة هذا مفاوضات طوال وجوا بات لجماعة من شعراء أصبهان، منهم أبو الحسن طباطبا العلوي وغيره، لم أذكر منها شيئاً لطولها ولقلة فائدتها عندي، فشعره على هذا النمط لا طائل فيه إلا أنه عند أهل أصبهان جليل نبيل.

علي بن حمزة البصري اللغوي

يكنى أبا النعيم. كان أحد أعيان أهل اللغة الفضلاء المتحقيقين العارفين بصحيحها من سقيمها، وله ردود على جماعة من أئمة أهل اللغة كابن دريد والأصمعي وابن الأعرابي وغيرهم. ولما ورد المتنبي إلى بغداد كان بها وفي داره نزل.

قال أبو علي الحسن بن يحيى الفقيه الصقلي يعرف بابن الخزاز في تاريخ صقلية من تصنيفه: وفي رمضان سنة خمس وسبعين وثلاثمائة مات على بن حمزة اللغوي البصري راوية المتنبي بصقلية، وصلى عليه القاضي إبراهيم ابن مالك القاضي صقلية وكبر خمساً في الجامع. وله من التصانيف: كتاب الرد على أبي زياد الكلابي، كتاب الرد على أبي عمرو الشيباني في نوادره، كتاب الرد على أبي حنيفة الدينوري في كتاب النبات، كتاب الرد على أبي عبيد القاسم بن سلام في المصنف، كتاب الرد على ابن السكيت في إصلاح المنطق، كتاب الرد على ابن ولاد في المقصور والممدود، كتاب الرد على الجاحظ في الحيوان، كتاب الرد على ثعلب في الفصيح. ورأيت هذه كلها بمصر.

ترجمة ثانية: علي بن حمزة البصري اللغوي أحد الأعلام الأئمة في الأدب، وله تصانيف وردود على أهل الأدب وفق فيها. وقد روى عنه أبو الفتح بن جني شيئاً من أخبار المتنبي وغيرها، لأن المتنبي لما ورد بغداد نزل عليه وكان ضيفه إلى أن رحل عنها. فحدث أبو عبد الله محمد بن نصر الحميدي في كتاب جذوة المقتبس في تاريخ الأندلس في ترجمة ثابت بن محمد الجرجاني قال: أخبرني أبو محمد علي بن أحمد عن أبي الفتح ثابت بن محمد الجرجاني قال: أخبرني علي بن حمزة مضيف المتنبي قال: - وعنده نزل المتنبي ببغداد - إن القصيدة التي أولها.

هذي برزت بنا فهجت رسياساها في محمد بن رزيق الناظر في زواميل ابن الزيات صاحب طرسوس، وأنه وصله عليها بعشرة دراهم فقيل له: إن شعره حسن فقال: ما أدرى أحسن هو أم قبيح؟ ولكن أزيده لقولك عشرة دراهم، فكانت صلته عليها عشرين درهماً.

علي بن حمزة الأديب

أبو الحسن مصنف الرسالة الحمارية، قدم دمشق ومدح بها أبا الفتح صالح بن أسد الكاتب في سنة ثلاثين وأربعمائة. روى عنه أبو الحسن علي بن عبد السلام الصوري، ومات باطرابلس ذكره ابن عساكر هكذا

علي بن حمزة بن علي بن طلحة

ابن علي الرزاي الأصل البغدادي المولد والدار، ويعرف بابن بقشلاق مات بمصر، أخبرني الحافظ أبو عبد الله محب الدين محمد بن النجار: إن علي بن حمزة بن طلحة مات في غرة شعبان سنة تسع وتسعين وخمسمائة، ويكنى أبا الحسين، وتلقب بعلم

الدين، ولي حجة الباب في أيام المستضي بالله ثم نياية المقام ببغداد، فسافر إلى الشام وتقل إلى إن حصل بمصر فمات بها، وعلم الدين هذا: هو صاحب الخط المليح الغاية على طريقة علي بن هلال بن البواب خصوصاً قلم المصاحف، فإنه لم يكتبه أحد مثله فيمن تقدم أو تأخر، ولذلك ذكرناه في هذا الكتاب، ولما ولي حجة الباب كان يتقعر في كلامه ويستعمل السجع وحوشى اللغة، فمن ذلك ماحدثني به جماعة أهل بغداد إلا أنني كتبت له من لفظ الصدر أبي محمد عبد الله بن الهروي الشاعر قال: لما ولي علم الدين حجة باب النوبي حذر على العامة سماع الملاهي وشرب الخمر وارتكاب الفواحش، وتشدد في ذلك تشدداً عظيماً، وأرد بعض العامة المثرين ختان ولد له فاستشفع إليه بمن يعز عليه في أن يمكنه من إحضار بعض الملاهي لذلك، فأذن فيه ثم قال: جيئوني به أشرط عليه، فلما مثل بين يديه قال له: قد أذن لك في ختان ولدك على ألا يكون عندك مزهر ولا مزمر ولا يربط ولادف ولا طنبور ولاعود ولا محطور ولا الشيء الملقب بالشنك، ولا من يجول الغناء له ببالي ولا يحظر في خيال. فقال له العامي: فيأذن لي مولانا أن أحضر وريدة المختن يلطم عندي دورين أو ثلاثة. قال: فعضب ابن طلحة وقال له: كأنك من الذين تشرئب نفوسهم إلى ما حرم الله، أيها العوام الجهلة، والوضعاء السفلة، يا أهالي الجهل والغواية. ويا أصحاب الضلالة والعمية: أما فيكم من له عقل يرده؟ ولادين يصده، فينبذ الأثام وراء ظهره، ويسعى إلى الخير بانشرار صدره، تتهافتون على الفواحش والمآثم، ولا تأخذكم في المعصية لومة لائم، بدلني الله بكم غيركم، وكفاني شركم وخيركم. فقال الرجل: الله أكبر، يريد تكبير الصلاة. فقال ابن طلحة: وهذا أيضاً من جهلك وقلة معرفتك وعقلك، ارجع إلى الله بقلبك، واستغفر لذنبك، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكان أبو حمزة بن علي وهو الملقب بكمال الدين ويكنى أبا الفتوح، من الأعيان الأمائل، ولي حجة الباب للمستترشد، ووكله وكالة مطلقة، فلما استخلف المقتضى لأمر الله ولأه صدريّة المخزن، وأكثر الحج وجاور بمكة، وهو الذي عمر المدرسة التي بباب العامة لأصحاب الشافعي، تعرف إلى الآن بالكلمالية، ووقف على المتفقيين بها ثلث ملكه، ومات في صفر سنة ست وخمسين وخمسمائة ودفن بالحربية

علي بن خليفة بن علي النحوي

يعرف بابن المنقّى أبو الحسن من أهل الموصل، كان إماماً فاضلاً تأدب عليه أكثر أهل عصره من أهل بلده، ومات في ربيع الأول سنة اثنتين وستين وخمسمائة، وكان يجلس بالمسجد المعروف بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالموصل، وصنف مقدمة في النحو سماها المعونة، وكان زاهداً ورعاً مقدماً ذا سورة وغضب. أنشدني أبو الفضل محمد ابن أحمد بن خميس المغربي الوكيل بباب القاضي بحلب، وهو موصلّي المولد - مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وستمائة - قال: أنشدني ابن المنقّى النحوي الموصلّي لنفسه ودخل إليه رجل فقال له: من أين جئت؟ فقال له: من عند علامة الدنيا، يعني سعيد بن الدهان. فقال ارتجالاً:

وقالوا: الأعور الدهان حبر

يفوق الناس في أدب وكيس

فقلت: بحيس خير منه علماً

وإن الكلب خير من بحيس

وأنشدني قال: أنشدني ابن المنقّى لنفسه وقد طلب منه ملك النحاة حلاوة بعد كلام جرى بينهما في مجلس تاج الدين بن الشهرزوري:

عندي للشيخ ملك النحاة

ريح شناج سكنت في خصاه

لا غسل عندي ولا سكر

فليعذر الشيخ ويأكل خراه

وأنشدني بزبان بن سنقر الموصلّي قال: أنشدني شيخنا أبو عبد الله الحسين بن علي بن خليفة النحوي الأديب. ومات بباشري من قرى البقعاء في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة قال: أنشدني والدي علي بن خليفة بن المنقّى - رحمه الله - لنفسه وقد عتب عليه جمال الدين الأصفهاني الوزير في ترك التردد إليه، ثم قصده بعد ذلك فمنعه البواب من غير أن يعرفه:

إني أتيتك زائراً ومسلماً

كيما أقوم ببعض حق الواجب

فإذا ببابك حاجب متبظرم

فعمود دارك في حرام الحاجب

ولئن رأيتك راضياً بفعاله

فجميع ذلك في حرام الصاحب

وأنشدني بزبان قال: أنشدني الحسين بن علي قال: أنشدني والدي لنفسه في بعض الشعراء وقد هجاه:

هجوت يا ابن اللثام فاستمع ال

هجو بلا خيفة ولا ملل

فأنت من معشر إذا لحظوا

تنخس منهم محاجر المقل

علي بن ديبس النحوي الموصلّي

أبو الحسين، قرأ النحو على ابن وحشي صاحب ابن جني، وأخذ عنه زيد مرزكة الموصلي وهو مذكور في بابيه. ولعلي بن دببش أشعار حسان منها في وصف قواد:

يسهل كل ممتنع شديد
فلو كلفته تحصيل طيف ال
ويأتي بالمراد على اقتصاد
خيال ضحى لزار بلا رقاد

علي بن زيد القاشاني النحوي

أحد أصحاب أبي الفتح بن جني. وجدت بخطه ما كتبه في سنة إحدى عشرة وأربعمئة. وهو صاحب الخط الكثير الضبط المعقد، سلك فيه طريقة شيخه أبي الفتح.

علي بن زيد

أبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي. مات سنة خمس وستين وخمسائة، قال هو في كتاب مشارب التجارب: أنا أبو الحسن علي بن الإمام أبي القاسم زيد بن الحاكم الإمام أميرك، محمد بن الحاكم أبي علي الحسين بن أبي سليمان الإمام فندق بن الإمام أيوب بن الحسن بن أحمد بن ابن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عمرو بن الحسن بن عثمان ابن أيوب بن خزيمة بن عمرو بن خزيمة بن عمرو بن خزيمة بن ثابت بن ذي الشهادتين صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ابن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن عنان بن عامر ابن خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس، ورفع نسبة إلى آدم وذلك بسير كما ذكرناه في عدة مواضع من كتبنا. قال: ومولدي يوم السبت سابع عشرين شعبان سنة تسع وتسعين وأربعمئة، في قصبة السابزوار من ناحية بيهق وهي بلدة بناها ساسان بن ساسان بن بابك ابن ساسان فأسلمني أبي بها إلى الكتاب، ثم رحلنا إلى ناحية ششمذ من قرى تلك الناحية، ولوالدي بها ضياع، فحفظت في عهد الصبا كتاب الهادي للشاري تصنيف الميداني، وكتاب السامي في الأسامي له، وكتاب المصادر للفاضل الزوزني، وكتاب غريب القرآن للعزيمي، وكتاب إصلاح المنطق، وكتاب المنتحل للميكالي، وأشعار المتنبي، والحماسة، والسبعيات، وكتاب التلخيص في النحو. ثم بعد ذلك حفظت كتاب المجمل في اللغة، وحضرت في شهور سنة أربع عشرة وخمسائة كتاب أبي جعفر المقرئ إمام الجامع القديم بنيسابور مصنف كتاب ينابيع اللغة وغير ذلك، وحفظت في كتابه كتاب تاج المصادر من تصنيفه، وقرأت عليه نحو ابن فضال، وفصلاً من كتاب المقتصد، والأمثال لأبي عبيد، والأمثال للأمير أبي الفضل الميكالي، ثم حضرت درس الإمام صدر الأفاضل أحمد بن محمد الميداني في محرم سنة ست عشرة وخمسائة، وصححت عليه كتاب السامي في الأسامي من تصنيفه، وكتاب المصادر للفاضل، وكتاب المنتحل، وكتاب غريب الحديث لأبي عبيد، وكتاب إصلاح المنطق ومجموع الأمثال من تصنيفه، وكتاب صحاح اللغة للجوهري. وفي أثناء ذلك كنت أختلف إلى الإمام إبراهيم الخراز المتكلم وأقتبس منه أنوار علوم الكلام، وإلى الإمام محمد الفزاري وسمعت منه غريب الحديث للخطابي وغيرهم، ثم مات والذي في سلخ جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وخمسائة، فانتقلت في ذي الحجة سنة ثمان عشرة إلى مرو، فقرأت على تاج القضاة أبي سعد يحيى بن عبد الملك بن عبيد الله بن صاعد، وكان ملكاً في صورة إنسان، وعلقت من لفظه كتاب الزكاة، والمسائل الخلاقية، ثم سائر المسائل على غير الترتيب، وخضت في المناظرة والمجادلة سنة جردة حتى رضيت عن نفسي فيه ورضي عني أستاذي، وكنت أعقد جلس الوعظ في تلك المدرسة وفي الجامع، ثم انصرفت عن مرو في ربيع الأول سنة إحدى وعشرين وخمسائة، واشتغلت بمرو بتزويج صديني عن التحصيل صداً، وعدت إلى نيسابور ثم عدت إلى مسقط الرأس وزيارة الوالدة بيهق، وأقمت بها ثلاثة أشهر وذلك في سنة إحدى وعشرين، ورجعت إلى نيسابور ثم رجعت إلى بيهق، واتفقت بيني وبين الأجل شهاب الدين محمد ابن مسعود المختار وإلى الري ثم مشرف المملكة مصاهرة، وصرت مشدوداً بوثاق الأهل والأولاد سنين، وفوض إلى قضاء بيهق في جمادى الأولى سنة ست وعشرين وخمسائة، فدخلت بزمانني وعمري على إنفاقه في مثل هذه الأمور التي قصارها ماقال شريح القاضي: أصبحت ونصف الناس علي غضبان، فضقت ذرعاً ولم أجد بداً من الانتقال حتى يتقلص عني ظل ذلك الأمر، فقصدت كورة الري ليلة العيد من شوال سنة ست وعشرين وخمسائة، والوالي بها شهاب الدين صهري، فتلقاني أكابرها وقضاتها وسائر الأجلاء، وأقمت بها إلى السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسائة، وكنت في تلك المدة أنظر في الحساب والجبر والمقابلة وطرفاً من الأحكام، فلما رجعت إلى خراسان أتممت تلك الصناعة على الحكيم أستاذ خراسان عثمان بن جاذوكار، وحصلت كتباً من الأحكام، وصرت في تلك الصناعة مشاراً إلى، وانتقلت إلى نيسابور في غرة ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وخمسائة، وكان علم الحكمة عندي غير نضيج وعدت إلى بيهق وفي العين قذى من نقصان الصناعة، فرأيت في المنام سنة ثلاثين قائلًا يقول: عليك بقطب الدين محمد المروزي الملقب بالطبسي النصيري، فمضيت إلى سرخس وأقمت عنده وأنفقت ما عندي من الدنانير والدرهم، وعالجت جروح الحرص بتلك المراهم، وعدت إلى نيسابور في السابع والعشرين من شوال سنة اثنتين وثلاثين، وأقمت معه بنيسابور حتى أصابه الفالج وذلك في رجب سنة ست وثلاثين، فعدت إلى بيهق في شعبانها فأزعجني عنها حسد الأقارب، فخرجت منها

خائفاً أترقب في رمضان سنة سبع وثلاثين إلى نيسابور، فأكرمني أكابرها، فكننت أعقد المجلس في يوم الجمعة بجامع نيسابور القديم، ويوم الأربعاء في مسجد المربع، ويوم الاثنين في مسجد الحاج، وتقعد على وفود إكرام الوزير ملك الوزراء طاهر بن فخر الملك، وإكرام أكابر الحضرة، فألقيت العصا بنيسابور وأقمت بها إلى غرة رجب سنة تسع وأربعين وخمسمائة، ثم ارتحلت عنها لزيارة والدتي، ومات ولدي أحمد ووالدتي في هذه السنة، وكانت حافظة للقران عالمة بوجوه تفاسيره. وهأنا أذكر تصانيفي في هذه المدة: كتاب أسئلة القران مع الأجوبة مجلد، كتاب إعجاز القران مجلد، كتاب الإفادة من كلمة الشهادة مجلد، كتاب المختصر من الفرائض مجلد، كتاب الفرائض بالجدول مجلد، كتاب أصول الفقه مجلد، كتاب قرائن آيات القران مجلد، كتاب معارج نهج البلاغة وهو شرح الكتاب مجلد، كتاب نهج الرشاد في الأصول مجلد، كتاب كنز الحجج في الأصول مجلد، كتاب جلاء صدأ الشك في الأصول، كتاب إيضاح البراهين في الأصول مجلد، كتاب الإفادة في إثبات الحشر والإعادة مجلد، كتاب تحفة السادة مجلد، كتاب التحرير في التذكير مجلدان، كتاب الوقعة في منكر الشريعة مجلد، كتاب تنبيه العلماء على تمويه المتشبهين بالعلماء، كتاب أزاهير الرياض المريضة وتفسير ألفاظ المحاورة والشريعة مجلد، كتاب أشعاره مجلد، كتاب درر السحاب ودرر السحاب في الرسائل مجلد، كتاب ملح البلاغة مجلد، كتاب البلاغة الخفية مجلد، كتاب طرائق الوسائل إلى حدائق الرسائل مجلد، كتاب الرسائل بالفارسي مجلد، كتاب رسائله المتفرقة مجلد، كتاب عقود اللآلئ مجلد، كتاب غرر الأمثال مجلدان، كتاب الانتصار من الأشرار مجلد، كتاب الاعتبار بالإقبال والإدبار مجلد، كتاب وشاح دمية القصر مجلد ضخم، كتاب أسرار الاعتذار مجلد، كتاب شرح مشكلات المقامات الحريية مجلد، كتاب درة الوشاح مجلد خفيف، كتاب العروض مجلد، كتاب أزهار أشجار الأشعار مجلد، كتاب عقود المضاحك بالفارسي مجلد، كتاب نصائح الكبراء بالفارسية مجلد، كتاب آداب السفر مجلد، كتاب مجامع الأمثال وبدائع الأقوال أربع مجلدات، كتاب مشارب التجارب أربع مجلدات، كتاب ذخائر الحكم مجلد، كتاب شرح الموجز المعجز مجلد، كتاب أسرار الحكم مجلد، كتاب عرائس النفاس مجلد، كتاب أطعمة المرضى مجلد، كتاب المعالجات الاعتبارية مجلد، كتاب تنمة صوان الحكمة مجلد، كتاب السموم مجلد، كتاب الحساب مجلد، كتاب خلاصة الزيجة مجلد، كتاب أسامي الأدوية وخواصها ومنافعها مجلد وهو معنون بتفاسير العقاقير مجلد ضخم، كتاب جوامع الأحكام ثلاث مجلدات، كتاب أمثلة الأعمال النجومية مجلد، كتاب مؤامرات الأعمال النجومية مجلد، كتاب غرر الأقيسة مجلد، كتاب معرفة ذات الحلق والكرة والأصطرلاب مجلد، كتاب أحكام القرانات مجلد، كتاب ربيع العارفين مجلد، كتاب رياحين العقول مجلد، كتاب الإراحة عن شدائد المساحة مجلد، كتاب حصص الأصفياء في قصص الأنبياء على طريق البلغاء بالفارسية مجلدان، كتاب المشتهر في نقض المعتبر الذي صنفه الحكيم أبو البركات مجلد، كتاب بساتين الأنس وديسانتين الحدس في براهين النفس مجلد، كتاب مناهج الدرجات في شرح كتاب النجاة ثلاث مجلدات، كتاب الأمانات في شرح الإشارات، كتاب رقيات التشبيهات على خفايا المختلطات بالجدول مجلد، كتاب شرح رسالة الطر مجلد، كتاب شرح الحماسة مجلد، كتاب رسالة العطرة في مدح بني الزنارة، كتاب تعليقات فصول بقراط، كتاب شرح شعر البحتري وأبي تمام مجلد، كتاب شرح شهاب الأخبار

قال المؤلف: هذا ما ذكره في كتاب مشارب التجارب، ووجدت له تاريخ بيهق بالفارسية، وكتاب لباب الأنساب. قال المؤلف: وقفت بنيسابور عند أول ورودي إليها في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وستمائة على كتاب وشاح الدمية فقال فيه: إن أبا القاسم الباهرزي فرغ من تصنيف كتاب دمية القصر في جمادى الآخرة سنة ست وستين وأربعمائة، وإنه هو بدأ بتصنيف الوشاح في غرة جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وفرغ منه في رمضان سنة خمس وثلاثين.

وأشدد لنفسه في كتاب الوشاح أشعاراً منها في مخلص الدين أبي الفضل محمد بن عاصم كاتب الإنشاء في ديوان السلطان سنجر قال: وهو ابن أخت أبي إسماعيل الطغراني:

كريم علا أوج النجوم علاه	وأيقظ نوام المديح نداه
سرى واهتدى طبعي بنجم كما له	وأحمد في وقت الصباح سراه
له روضة أبدت من الفضل نرجساً	وغصناً من الإقبال طاب جناه
أعاد رساخ القلب في حبل وده	وغادر قلبي في صراع هواه
يفرق أشجان الأفاضل يمنه	ويجمع كل الصيد جوف فراه
لقد زرت أشراف الزمان وإنما	أبى الفضل إلا أن أزور فناه

وذكره العماد الأصفهاني في كتاب الخريدة ووصفه بالرياسة والشرف وقال: حدثني والذي أنه لما مضى إلى الري عقيب النكبة أصبح ذات يوم وشرف الدين البيهقي قد قصده في مركبه وهو حينئذ والي الري ونقله إلى منزله وتكفل بتسديد خله، وكان حينئذ يترشح لوزارة السلطان وهو كبير الشأن، ومازالا بالري مقيمين متوانسين حتى فرق بينهما محتوم البين، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة.

قال: وأظنه نكب في وقعة السلطان سنجر مع الكفار الخطائية، وكان والدي يثني عليه أبدا ويقول: إنه ما نظر إلى نظيره، ولا مثلت لعينه عين مثله، صنف كتاب وشاح الدمية، ذيله على كتاب أبي الحسن الباخري وهو موجود بخراسان، وأورد فيه لنفسه:

تراجعت الأمور على قفاها
وتستبق الحوادث مقدماتٍ
كما يتراجع البغل الرموح
كما يتقدم الكبش النطوح

وقوله:

يشير بأطرافٍ لطافٍ كأنها
وتومي بلحظٍ فاتر الطرف فاتن
أنابيب مسكٍ أو أساريع إسحل
بمرود سحر بابلي مكحل
ينم على ما بيننا من تجاذبٍ
نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وله:

يا خالق العرش حملت الورى
وعبدك الآن طغى ماؤه
لما طغى الماء على جارية
في صلبه فاحمل على جارية
قال المؤلف: هكذا ذكر العماد في كتابه، وإذا عارضت قوله بما ذكره البيهقي عن نفسه في كتبه الذي نقلت لفظه منه من خطه، وجدت فيه اختلافاً في التاريخ وغيره والله أعلم.

ومن شعر أبي الحسن البيهقي الذي أورده لنفسه في كتاب الوشاح في عزيز الدين أبي الفتوح على بن فضل الله المستوفي الطغراني ونقلته من خطه:

شموسي في أفق الحياه هلال
وأطلب والمطلوب عز وجوده
وأمنى من صرف الزمان محال
وأرجو وتحقيق الرجاء محال
وقد شاب من رأس الزمان قذال
وعلم الفتى حقاً عليه وبال
وللجهل داء في الطباع عضال
وأخلاقهم للمخزيات عيال
وعندهم كسب الحرام حلال
وبينهم ذل المطامع عزة

وله:

ضجيعي في ليلي جوىً ونحيب
دجا ليل آمالي وأبطأ صبحه
وتلسعني الأيام فهي أراقم
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة
خليلي لا تركزن إلى الدهر آمناً
وكم جاهل قد قال لي أنت ناقص
وعيرني بالعلم والحلم والنهى
فقلت لهم: لاتعدلوني فإنني
وماضرنى أني عليم بمشكل
لئن عد علم المرء جرماً لديكم
كفى حزناً أني مقيم ببلدةٍ
والفى في نومي ضنىً ولغوب
وللمنذرات السود فيه نعيب
وتخدعني الآمال فهي كذوب
وباعي في ظل الوصال رحيب؟
فإحسانه بالسيئات مشوب
فهيج ليث الحقد وهو غضوب
قبائل من أهل الهوى وشعوب
لصفو زجاجات العلوم شروب
وقد مس أهل الدهر منه لغوب
فذلك جرم لست منه أتوب
بها صاحب العلم الرصين غريب

وذكر أيضاً في هذا الكتاب قال: دخلت على الأمير يعقوب بن اسحاق المظفر بن نظام الملك، فأكرمني وقابلني بالتعظيم والتفخيم فقلت بديهة:

يعقوب يظهر دائماً في لفظه
عسلاً لديه يطمه يعسوبه

و غدا بحمد الله صدرأ مكرماً
فسقى أنامله حدائق لفظه
قد غاب يوسف خاطري عن مصره
فأشار إلى وقال: هل لك أن تنسج على منوالي فيما قلت؟ فأنشدني لنفسه:

أعادل مهلاً ليس عدلك ينفع
وهل يصبر الصب المشوق على الجوى
يقولون: إن الهجر يشفي من الجوى
بكل تداوينا فلم يشف مابنا
تحن إلى ظل من العيش وارف
فقلت أيها الصدر: ليس للخل حلاوة العسل، وللتكحل طلاوة الكحل، ومن أين للسراج نور الشمس؟ وللكون سبق الخيل الشمس؟ ومن أين للضباب منفعة السحاب؟ فقال: لا بد من ذلك، فجمعت العجالة والبداهة هنالك، وقلت في الحال في مقام الارتحال، وكتبت بقلم الارتحال على قرطاس الاستعجال:

سرى طيفه وهناً ولى فيه مطعم
ويأبى حقين الهجر عذرة طيفه
لقد يحمد القوم السرى في صباحهم
وهانا أسرى في ظلامي وإنني
أقول لصبري أنت زخرى لدى النوى
وأسكن ماء العين نارى وإنما
رأيت معيدي الخيال فقال من
دعوت إلى جيش الهوى جندب الهوى
وقال لنفسى: لاتموتي صباية
ولم يبق مني غير ماقلت منشداً
فلاذ بشمس الدين يعقوب من له
أجلك يا يعقوب عن كنه مدحتي

قال: ثم شرفني بعد ذلك بقصيدة أولها: ألا أبلغ إلى سلمى السلام فأجبت وقلت بعد الجواب علاوةً للتصديق والإبرام، على طريق أداء شكر المنعم اللائق بأحوال الخدم:

يا صاحبي كسدت أسواق أشواقى
باليث شعري هل سعد يساعديني
أم هل سبيل إلى سلوان مكتئب
يا نجل اسحاق يا من ثوب سودده
فما تمهلت في يومي وغى وندى
وكل ذكر وإن طال الزمان به

وعلو نطاق المشتري عرقوبه
وجرى على نهج العلا يعقوبه
ويشم ريح قميصه يعقوبه
وقولك فينا دائماً ليس ينجع
وفي الوصل مشتاق وفي الهجر مجزع؟
وإن فؤاد الصب في القرب أجزع
على أن قرب الدار أجدى وأنفع
وعهد مضى منه مصيف ومربع

وبرق الأمانى في دجى الهجر يلمع
فلم أدر في مهوى الهوى كيف أصنع؟
زمان تلاق عنده الشمل يجمع
أذم صباحي والخلائق هجع
وذخر الفتى حقاً شفيح مشفع
هواء الهوى من تربة الطيف أنفع
جهينة أخبار المعيدي تسمع
فولى وطرف العين في النوم يرتع
لعل زماناً قد مضى لك يرجع
حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا
نجوم لها في مشرق المجد مطلع
لأنك عن مدحي أجل وأرفع

والتفت الساق يوم الهجر بالساق
أم هل لداء الهوى من الناس من راق؟
أم هل طريق إلى إيناس مشتاق؟
قد جل في الدهر عن وهي ابن اسحاق
إلا قضيت بأجال وأرزاق
فان وذكرك في نادي الندى باق

علي سليمان الأديب البغدادي

أبو الحسن، أحد الفضلاء المبرزين والظراف المشهورين قرأت بخط أبي سعد قال: ذكر أبو المظفر محمد بن العباس الأبيوردي في كتاب تلة المشتاق من تصنيفه قال فيه: وقد صممت العزم على معاودة الحضرة الرضوية بخراسان لأنها إليها ماقاسيته في التأخر عن الخدمة، وعلم الأديب أبو الحسن علي بن سليمان صرى عزمي، فجشم إلى قدمه، وجرى على عادته الرضوية في رعاية جانبي تمهيداً لما استمر بيننا من أواصر المودة، ولعمر الفضل إنني لم أجد في غربتي هذه فاضلاً يباريه، ولا ظريفاً يجاريه، ومن وصف البغدادي بالفضل والظرف فقد كساه الثناء المختصر، وحمل التمر إلى هجر، ومن مليح ماأسمعني أنه

قال: سألت أبا القاسم عبد العزيز بن أحمد بن نايقا البغدادي قلت هكذا، قال عبد العزيز، وصوابه عبد الله ذكرناه في بابيه من هذا الكتاب، عن المتنبي وابن نباته والرضي فقال: إن مثلهم عندي مثل رجل بنى أبنية شاهقة وقصوراً عالية وهو المتنبي، فجاء آخر وضرب حولها سرادقات وخيماً، وهو ابن نباته، ثم جاء الرضي ينزل تارة عند هذا، وتارة عند ذاك، قلت فأنشدني قال: أنشدني أسبه دوست بن محمد بن أسفار الديلمي قال: أنشدني أبو الفرج البيهقي لنفسه:

أشقيتني فرضيت أن أشقى
وزعمت أنك لا تكلمني
ليس الذي تبغيه من تلقى
متعذراً فاستعمل الرفقا

قال الأبيوردي: وبهذا الإسناد قال: أنشدني ابن الحجاج لنفسه:

يا صروف الدهر حسبي
علة عمت وخصت
أنا أشكو حر حبي
أي ذنب كان ذنبي؟
لحبيبٍ ومحب
وهو يشكو برد حبي

قال الأبيوردي: فقل في محبوبٍ حربٍ، وعاشقٍ طربٍ.

علي بن سليمان

يلقب حيدرة اليمنى النحوي التميمي، كان من وجوه أهل اليمن وأعيانهم علماً ونحواً وشعراً، وصنف كتباً منها: كتاب في النحو سماه كشف المشكل في مجلدين، وقال فيه يمدحه:

صنفت للمتأدبين مصنفاً
سبق الأوائل مع تأخر عصره
قيدت فيه كل ما قد أرسلوا
ومولده ببلاد بكيل من أعمال دمار، ومات سنة تسع وتسعين وخمسائة، ومن شعره يحصره جمع التكسير:

سميته بكتاب كشف المشكل
كم آخر أزرى بفضل الأول
ليس المقيد كال كلام المرسل
ثمانية أوزان جمع المكسر
وأربعة أوزان كل مكسر
وأفعلة منها وفعلات فانظر
 وتمثيلها إن كنت لما تصور
وأكسية حمر لفتيان حمير
من التغليبين الكرام ويشكر
فآخره فاحذف ولا تتعثر
به مسلك الجمع الرباعي المكسر

قلت أنا: هذا عجب ممن صنف كتاباً كبيراً في النحو يقول: جمع المكسر أربعة أوزان وهي على نحو من خمسين وزناً.

علي بن سليمان بن الفضل الأخفش

أبو الحسن، وهو الأخفش الصغير، وهناك الأخفش الأكبر، وهو أبو الخطاب عبد الحميد وقد ذكر، والأوسط وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة وقد مر في بابيه، وهناك أخفش آخر، وهو عبد العزيز بن أحمد المغربي الأندلسي، وقد ذكر في بابيه أيضاً وغيرهم. ومات علي بن سليمان هذا في شعبان سنة خمس عشرة وثلاثمائة، ودفن بمقبرة قنطرة البردان، وذكر ذلك المزرباني. قال المزرباني في كتاب المقتبس: ذكر جماعة لقيناهم من النحويين وأهل اللغة. منهم علي بن سليمان بن الفضل الأخفش، ولم يكن بالمتسع في الرواية للأخبار والعلم بالنحو، وما علمته صنف شيئاً ألبته ولا قال شعراً، وكان إذا سئل عن مسائل النحو ضجر وأنتهر كثيراً من يواصل مساءلته ويتابعها، ثم ذكر وفاته كما تقدم قال: وشهدته يوماً وصار إليه رجل من حلوان كان يلزمه فحين رآه قال له:

حياك ربك أيها الحلواني
ووقاك ما يأتي من الأزمان

لا تكرر لقباً شهرة به
قد كان لقب مرة رجل

فلرب محظوظ من اللقب
بالوائلي فعد في العرب

مضى النور واشتبهم الأعطش
وحال وحالت به شيمة
أبا حسن كنت لي مألفاً
وكنت لأعدائك الشانئيك
وكنت بقربك في روضة
إذا قلت قرطست في صاحب
وسيان عندي من عقني
أقول وماحلت عن عهده
وأخلفني وعده الأخفش
كما حال عن لونه البرقش
فمالك عن دعوتي تطرش
سماماً كما نفت الأرقش
فها أنا والبلد المعطش
نزعت كما ينزع المرعش
عقوقك والحية الحربش
رأيتك كالناس إذ فتشوا

قل لنحوينا أبي حسن
لاتحسن الهجاء يحفل بال
كانني بالشقي معتذرا
ينشدني العهد يوم ذاك ولل

إني حسام متى ضربت مضى
رفع ولاخفض خافض خفضا
إذا القوافي أدقنه مضضا
عهد خضاب أزاله فنضا

ألا قل لنحويك الأخفش
وماكنت عن غية مقصراً

أنست فأقصر ولا توحش
وأشلاء أمك لم تنبش

وأما والقريض ونقاده
ودعواك عرفان نقاده
لئن جئت ذا بشرٍ حالِكٍ
وما واحد جاء من أمه
كأن سنا الشتم في عرضه
أقول وقد جاءني أنه
إذا عكس الدهر أحكامه
وماكل من أفحشت أمه
ونجشك فيه مع النجش
بفضل النقي على الأنمش
لقد جئت ذا نسبٍ أبرش
بأعجب من ناقدٍ أخفش
سنا الفجر في السحر الأغيش
ينوش هجائي مع النوش
سطا أضعف القوم بالأبطش
تعرض للقدع الأفحش

561

ذكر الأخفش القديم فقلنا:

إن للأخفش الحديث لفضلاً

فإذا ما حكمت والروم قومي

في كلامٍ معربٍ كنت عدلاً

أنا بين الخصوم فيه غريب

لا أرى الزور للمحاباة أهلاً

ومتى قلت باطلاً لم ألقب

فيلسوفاً ولم أسمى هرقلًا

وذكر الزبيدي أن الأخفش كان يتحفظ هجاء ابن الرومي له ويمليه في جملة مايملي، فلما رأى ابن الرومي أنه لم يألم لهجائه ترك هجوه. وكان الأخفش قد قرأ على ثعلب والمبرد وأبي العيلاء واليزيدي.

وحدث الأخفش قال: استهدى إبراهيم بن المدبر المبرد جليساً يجمع إلى تأديب ولده الاستمتاع بإيناسه ومفاكهته، فندبني إليه وكتب معي: قد أنفذت إليك - أعزك الله - فلاناً وجملة أمره:

شفيعاً عندهم أن يخبروني

إذا زرت الملوك فإن حسبي

وقدم الأخفش هذا مصر في سنة سبع وثمانين ومائتين، وخرج منها سنة ثلاثمائة إلى حلب مع علي ابن أحمد بن بسطام صاحب الخراج فلم يعد إلى مصر.

وحدث أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي في كتابه كتاب الوزراء قال: حكى لي أبو الحسن ثابت بن سنان قال: كان أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش مواسل المقام عند أبي علي بن مقله ويراعيه أبو علي ويبره. فشكا إليه في بعض الأيام الإضاقة، وسأله أن يكلم أبا الحسن علي بن عيسى وهو يومئذ وزيره في أمره، وسأله إجراء رزق عليه في جملة من يرتزق من أمثاله، فخاطبه أبو علي وسأل أن يجري عليه رزقاً في جملة الفقهاء، فأنتهره علي بن عيسى انتهاراً شديداً وأجابه جواباً غليظاً، وكان ذلك في مجلس حافل، ومجمع كامل فشق على أبي علي وماعامله به، وقام من مجلسه وقد اسودت الدنيا في عينيه، وصار إلى منزله لائئماً لنفسه على سؤال علي بن عيسى ما سأله، وحلف أنه يجرد في السعي عليه، ووقف الأخفش على الصورة واغتم وانتبهت به الحال إلى أن أكل الشلجم النبيء، وقيل إنه قبض على قلبه فمات فجأة، وكان موته في شعبان سنة خمس عشرة وثلاثمائة.

علي بن سهل بن العباس

أبو الحسن النيسابوري المفسر العالم العابد الدين، ذكره عبد الغفار في السياق وقال: مات في ثالث عشر ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وأربعمائة، ووصفه فقال: نشأ في طلب العلم وتبحر في العربية، وكان من تلامذة أبي الحسن الواحدي

علي بن طاهر بن جعفر

أبو الحسن السلمي النحوي. نقلت من خط ابن اللبان قال: نقلت من خط السمعاني قال: أخبرني أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الحافظ الدمشقي أنه سمع عبد الله بن سلوان وغيره، وكان ثقةً ديناً وقلماً يكون النحوي ديناً، ذكر ابن الأكفاني أنه مات في الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمسماية، وذكر الحافظ في تاريخ دمشق قال: علي بن طاهر بن جعفر بن عبد الله أبو الحسن القيسي السلمي النحوي، سمع أبا عبد الله ابن سلوان وأبا القاسم بن الشمشاطي، وأبا نصر أحمد ابن علي بن الحسن الكفرطابي وذكر جماعة قال: وروى عنه غيث بن علي. وحديثنا عنه الفقيه أبو الحسن السلمي، وخالي القاضي أبو المعالي، وجميل بن تمام، وحفاظ بن الحسن، وكان ثقةً وكانت له حلقة في الجامع، وقف فيها خزانة فيها كتبه. ذكر أبو محمد بن صابر أنه سأله عن مولده فقال: سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة. وذكر ابن الأكفاني أن أبا الحسن بن طاهر النحوي مات يوم الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول سنة خمسماية.

علي بن طلحة بن كردان النحوي

أبو القاسم. قال أبو غالب بن بشران: كان ابن كردان يعرف بابن الصحناتي ولم يبع قط الصحناة، وإنما كان أعداؤه يلقبونه بذلك فغلب عليه قال: وهذا الشيخ أول الشيوخ الذين قرأت عليهم الأدب: قال السلفي الحافظ: سألت خميس بن علي الحوزي عن ابن كردان فقال: صحب أبا علي الفارسي وعلي بن عيسى الرمانى، وقرأ عليهما كتاب سيبويه، والواسطيون يفضلونه على ابن جنى والرابعي، صنف كتاباً كبيراً في إعراب القرآن، قال لي شيخنا أبو الفتح: كان يقارب خمسة عشر مجلداً، ثم بدا له فيه فغسله قبل موته، مات سنة أربع وعشرين وأربعمائة، وكان منتزهاً متصوناً، ركب إليه فخر الملك أبو غالب محمد بن علي ابن

خلف وزير ابن بهاء الدولة وهو سلطان الوقت، وبذل له فلم يقبل، وكان قد جرت بينه وبين القاضي أبي تغلب أحمد بن عبيد الله العاقولي صديق الوزير المغربي وخليفة السلطان والحكام على واسط في وقته خصومة، وكان معظماً مفخماً، فقال له ابن كردان: إن صلت علينا بمالك صلنا عليك بقناعتنا. وآخر من حدث عنه أبو المعالي محمد بن عبد السلام بن شائدة، وذكره أبو عبد الله محمد بن سعيد الدبيني في نحاة واسط فقال: علي بن طلحة بن كردان النحوي أبو القاسم الواسطي المولد والدار، أخذ النحو عن أبي علي الفارسي وأبي بكر بن الجراح صاحب ابن الأنباري، قال ابن بشران: هو أول شيخ قرأت عليه ووصفه بالفضل والمعرفة، وعنه أخذ النحو أبو الفتح محمد بن محمد ابن مختار وغيره من الواسطيين وكان شاعراً، ومن شعره ذم واسط:

سئم الأديب من المقام بواسطٍ	إن الأديب بواسطٍ مهجور
يابلاًء فيها الغنى مكرم	والعلم فيها ميت مقبور
لأجارك الغيث الهطول ولاجتلى	فيك الربيع ولاعلاك حبور
شر البلاد أرى فعالك سائراً	عني الجميل، وشرك المشهور

حدث أبو الجواز الحسن بن علي بن باري الكاتب الواسطي قال: اجتمع معنا في حلقة شيخنا أبي القاسم علي بن كردان النحوي سيدوك الشاعر ونحن في الجامع بواسط بعد صلاة الجمعة وجرى في عرض المذكرات ذكر من أحال على قلبه بالعشق، ومن أحال على ناظره به أيضاً ومضت أناشيد في ذلك، فقال أبو طاهر سيدوك: قد حضرني في هذا المعنى شيء وأنشدنا:

ياقلب من هذا حذرت عليك	ذق ما جنيت فكم نصحت اليك
إنضج بنارك لأأراحك حرها	فطالما ضاع العتاب لديك
لما أطعت الطرف ثم عصيتني	علق الهوى ياقلب من طرفيك

وسمعت أذان العصر فقلت لشيخنا: أكتبها قبل إقامة الصلاة أو إذا صلينا؟ قال: اكتبها ولو أن الإمام على المنبر، وأنشدنا حينئذ لنفسه:

أبصرت في المأتم مقدوداً	تقضى ذماماً بتكاليفها
تشير بالطم إلى وجنةٍ	ضرجها مبدع تأليفها
إذا تبدى الصبح من وجهها	جمشة ليل تطاريفها

وحدث أبو غالب بن بشران النحوي. قال: أنشدني أبو القاسم علي بن طلحة بن كردان النحوي قال: أنشدني أبو طاهر سيدوك لنفسه وكان يعرض على شعره، وقد ابتكر معنى غريباً وإن كان اللفظ قريباً:

إن دائي الغداة أبرح داء	وطبيبي سريرة ماتبوح
يحسبوني إذا تكلمت حياً	ربما طار طائر مذبوح

قال ابن كردان وأنشدني سيدوك أيضاً لنفسه:

أستودع الله من بانوا فلا نظري	مني ولاأذننى عندي ولابصري
عهدي بنا ورداء الوصل يشملنا	والليل أطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلي مذ غابوا فديتهم	ليل الضرير وصبحي غير منتظر

علي بن ظافر بن الحسين الأزدي

وكنية ظافر أبو المنصور، وهو مصري وزر للملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وكان نعم الرجل، له علوم جمة وفصائل كثيرة، ثم ترك الوزارة وعاد إلى مصر فتوفى بها في منتصف شعبان سنة ثلاث عشرة وستمائة عن ثمان وأربعين سنة.

وله من التصانيف: كتاب بدائع البدائة فيمن قال شعراً على البديهة، وكتاب مكرمات الكتاب، وكتاب أخبار الشجعان، وكتاب من أصيب بمن اسمه علي وابتدأ بعلي بن أبي طالب عليه السلام، وكتاب الدول المنقطعة، وكتاب التشبيهات، وكتاب أساس السياسة، وكتاب أخبار السلجوقية.

علي بن العباس النوبختي

أبو الحسن، أحد مشايخ الكتاب وأهل الأدب المشاهير والمروءة. روى من أخبار البحتري وابن الرومي قطعة حسنة، ومات سنة تسع وعشرين وثلاثمائة بعد سن عالية، وهو القائل لابن عمه أبي سهل اسماعيل بن علي النوبختي وشرب دواء:

يامحي العارفات والكرم	وقاتل الحادثات والعدم
كيف رأيت الدواء وأعقبك ال	له شفاءً به من السقم؟
لئن تخطت إليك نائبة	حطت بقلبي ثقلًا من الألم
شربت فيها الدواء مرتجياً	دفع أذى من عظامك العظم
والدهر لا بد محدث طبعاً	في صفحتي كل صارم خذم

علي بن عبد الله بن سنان الطوسي

أبو الحسن التيمي أحد أعيان علماء الكوفة، أخذ عن ابن الأعرابي، وكان عدواً لابن السكيت لأنهما أخذوا عن نصران الخراساني واختلفا في كتبه بعد موته، - أخلي في الأصل - ذكره المرزباني فقال: حدثنا محمد بن يحيى عن إبراهيم بن المعلى الباهلي قال: أكثرت يوماً سؤال الطوسي فقال متمثلاً:

يسر ويعطى كل شيء سألته	ومن يكثر التسأل لا بد يحرم
قال: ووجه بإنسان في حاجة فقصر فقال:	

نحلت وكلفناك مالم تقم به	وهل تحمل الفصلان أحمال بزل؟
قال محمد بن إسحاق: كان الطوسي راوية لأخبار القبائل وأشعار الفحول، ولقى مشايخ البصريين والكوفيين.	
قال: ولا مصنف له. وكان شاعراً ذكر له المزرباني قوله:	

هجم البرد ولأأم	لك إلا رواية العربية
وقميصاً لو هبت الريح لم يب	ق على عاتقي منه بقية
هل يقل الفناء عني فنون ال	علم إن أعصفت شمال عرية؟

قال: وقال أحمد بن أبي طاهر يرثي الطوسي الراوية بقصيدة طويلة منها:

من عاش لم يخل من هم ومن حزن	بين المصائب من دنياه والمحن
والموت قصد امرئ مد البقاء له	فكيف يسكن من عيش إلى سكن
وإنما نحن في الدنيا على سفر	فراحل خلف الباقي على الطعن
ولا أرى زمناً أردى أبا حسن	وخان فيه على حر بمؤتمن
لقد هوى جبل للمجد لو وزنت	به الجبال الرواسي الشم لم تزن
وأصبح الحبل حبل الدين منتثراً	وأدرج العلم والطوسي في كفن
من لم يكن مثله في سالف الزمن	ولم يكن مثله في غابر الزمن؟

علي بن عبد الله بن علي بن الحسين

ابن زيد بن علي بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، أبو القاسم العلوي المعروف بالشبيه. سمع محمد بن المظفر، وكتب عنه علي بن أحمد الحافظ وقال: كان ديناً حسن الاعتقاد يورق بأجرة ويأكل من كسب يده، ويواسي الفقراء من كسبه، سألته عن مولده فقال: ولدت في ليلة عيد الأضحى سنة ستين وثلاثمائة، ومات في العشر الأول من رجب سنة إحدى وأربعين وأربعمائة.

قال الشريف أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمد العلوي العمري النسابة في كتاب الشافي في النسب من تصنيفه: ومنهم - يعني من ولد الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام - زيد النسابة الجليل صاحب كتاب المبسوط، - ويلقب الشبيه - ابن علي بن الحسين بن زيد الشهيد عليه السلام، فمن ولده ببغداد أبو الفضل الحسن صاحب العوجاء، وأخوه أبو القاسم علي الموضح الناسخ، له خط مليح ابنا أبي محمد عبد الله ابن عبد الله الحسين النقيب بن علي بن

الحسين بن زيد الشيبه، به يعرفون، - وله بقية - . وجدت على ظهر ديوان عروة بن الورد بخط ابن الشيبه وكان الديوان كله بخطه:

خط امرئ زاده حسنا وتبيننا	ديوان عروة العيسي أوضحه
بجده ختم الله النبيينا	تجل الأكارم من آل الشيبه فتى
ويرحم الله عبدا قال آمينا	صلى الإله عليه مادجا غسق

علي عبد الله بن أحمد النيسابوري

المعروف بابن أبي الطيب، مولده بنيسابور، وموطنه قصبة سابزوار، وكان له معرفة تامة بالقران وبتفسيره، مات في ثامن شوال سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، ودفن في مقبرة سابزوار، وقد عمل أبو القاسم علي بن محمد أبين الحسين بن عمرو من دهاقين وميمولان مدرسة باسمه في محلة اسفريس في رمضان سنة عشر وأربعمائة، وأثرها إلى الآن باق، وكان له تلاميذ كثيرة منهم أبو القاسم علي بن محمد بن الحسن بن عمرو وغيره، وله عدة تصانيف في تفسير القران المجيد منها: كتاب التفسير الكبير في ثلاثين مجلدًا، وكتاب التفسير الأوسط أحد عشر مجلدًا، وكتاب التفسير الصغير ثلاث مجلدات. وكان يملئ ذلك من حفظه، ولما مات رحمه الله لم يوجد في خزانه كتبه إلا أربع مجلدات، أحدها فقهي، وآخر أدبي، ومجلدان في التاريخ، ودفن في مقبرة سابزوار، وعنده دعوة مستجابة مجربة، وحمل في سنة أربع عشرة وأربعمائة إلى السلطان محمود بن سبكتكين، فلما دخل عليه جلس بغير إذن وشرع في رواية خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم بغير أمر من السلطان، فقال السلطان لغلام: يا غلام ده رأسه، فلكمه على رأسه لكمة كانت سببًا إلى قلة سمعه وطرشه، ثم عرف السلطان منزلته من الدين والعلم والنزاهة والورع فاعتذر إليه وأمر له بمال فلم يقبله وقال: لا حاجة لي في المال، فإن استطعت أن ترد على مأخذته مني قبلته وهو سمعي، فقال له السلطان: أيها الرجل، إن للملك صولة وهو مفتقر إلى السياسة، ورأيتك قد تعديت الواجب فجرى مني ماجرى، والآن فأحب أن تجعلني في حل. فقال: الله بيني وبينك بالمرصاد، ثم قال له: إنما أحضرتني لسماع الواعظ وأخبار الرسول والخشوع، للإقامة قوانين الملك واستعمال السياسة، فإن ذلك يتعلق بالملوك وأمثالهم لبالعلماء، فخجل السلطان وجذب برأسه إليه وعانقه. ومن كلامه في خطبة التفسير: الزمان زمان سفهاء السفلى، والقران قران انقلاب النحل والفضل في أبنائه فضول، وطلوع التمييز فيهم أفل، والدين دين، والدنيا عين، وإن تحلى أحدهم بالعلوم، وادعى أنه في الخصوص من العموم، فغايبته أن يقرأ القران وهو غافل عن معانيه، ويتحلى بالفضل وهو لا يدانيه، ويجمع الأحاديث والأخبار، وهو فيها مثل الحمار يحمل الأسفار. وله ديوان شعر ومن شعره في دمية القصر:

مرسى الأنام وليس مرسى بور	فلك الأفاضل أرض نيسابور
قطب وسائرهما رسوم السور	دعيت أبرشهر البلاد لأنها
فكأنها الأقمار في الديجور	هي قبة الإسلام نائرة الصوى
زفت عليه بفضل الموفور	من تلق منهم تلقه بمهابة
ومدى سواهم رتبة المأمور	لهم الأوامر والنواهي كلها
نقلت جميع ذلك من تاريخ بيهق لأبي الحسن بن أبي القاسم البيهقي مصنف كتاب وشاح الدمية.	

علي بن عبد الله بن محمد بن الهيصم

الهروي الإمام صدر الإسلام مات - انقطع في الأصل - ذكره أبو الحسن البيهقي في كتاب الوشاح فقال: قد بلغ من العلم أطوريه، فلا فضل إلا وهو منسوب إليه، ورست بالفصاحة قواعده، واشتد بالزهادة ساعده، وقد اختلفت مدة مديده إليه، وقرأت ماشئت من دقائق العلوم عليه، ووجدته حالاً عقود المشكلات، فاتق رتوق المعضلات، ولعمري إنه - رحمه الله - كشف عن العلوم نقابها، ورفع عن الحقائق حجابها، فلم يكن في عصره فاضل إلا وقد اغترف من بحاره، واقتبس من أنواره، وتصانيفه كثيرة، وسعيه مشهور، وسعى الناظر فيه مشكور، ومن تصانيفه: كتاب مفتاح البلاغة، كتاب البسمة، كتاب نهج الرشاد، كتاب عقود الجواهر، كتاب لطائف النكت، كتاب تصفية القلوب، كتاب ديوان شعره، ومن منظومه:

ضحك الربيع بعبرة الأنداء	ومن العجائب ضاحك ببكاء
خرجت له نحو الشتاء كتيبة	ذعرت مواكبه عن الصحراء
ركبت فوارسه الهواء فجردت	سيف جلا جيش الدجى بضياء
رق الربيع لها فأرسل نحوها	بشرى بغيم في نسيم هواء

والغصن قرط أذنه بدراهم
والروض ألبس حلة موشية
قضبنا نخل أخرجت ذهباً لنا
وشقائق النعمان تشبه صارخاً
والزعران كأنما فرشت به
ساعاتها هلا برزت لناظر
فأبت وآلت لايحل نقابها

مضروبة من فضة بيضاء
أحسن بها من صنعة الأنداء
أعجب بها من صيرف معطاء
متظلماً متشطحاً بدماء
ديباجة نسجت من القمراء
صب كشيب هائم بكاء؟
إلا مجير الدولة الغراء

وله:

هنيئاً لك العيد المبارك ياصدر
إذا ما أعاد العيد للناس نضرة
وإن نشرت أعلام دين محمد
وإن أحرمت الحجاج عن جل حالهم
وإن كان لبي للزيارة محرم
وإن جمعوا فرضين ثم وقصروا
وإن طوفوا بالبيت سبعاً وأحرموا
وإن ضحت الأقوام بالبدن سنة

وساعدك الإقبال واليمن والنصر
فقد ألبس الأعياد من وجهك البشر
فذكرك في أقصى البلاد له نشر
فأحرم عمن دونك الفضل والفخر
فلبي إلى أوصافك النظم والنثر
فللدين والدنيا بك الجمع والقصر
فما طاف إلا بابك الأنجم الزهر
فضح بمن عاداك ما انفلق الفجر

علي بن عبد الله بن وصيف الناشئ

الحلاء، ويكنى أبا الحسين. قال ابن عبد الرحيم: حدثني أبو عبد الله الخالع قال: حدثني الناشئ قال: كان جدي وصيف مملوكاً، وكان عبد الله أبي عطاراً في الحضرة بالجانب الشرقي، وكنت لما نشأت معه في دكانه كان ابن الرومي يجلس عندنا وأنا لأعرفه، وكان يلبس الدراعة وثيابه وسخة، وانقطع عنا مدة فسألت عنه أبي وقلت: ما فعل ذلك الشيخ الوسخ الثياب الذي كان يجلس الينا؟ فقال: ويحك ذاك ابن الرومي وقد مات، فندمت إن لم أكن أخذت عنه شيئاً ولا عرفته في حال حضوره وتشاغلته بالصنعة عن طلب العلم، ثم لقيت ثعلباً ولم أخذ عنه إلا أبياتاً منها:

إن أبا الإخوان من يسعى معك
ومن يضر نفسه لينفعك

قال الخالع: وكان الناشئ قليل البضاعة في الأدب قنوماً بالكلام والجدل، يعتقد الإمامة وينظر عليها بأجود عبارة، فاستنفذ عمره في مديح أهل البيت حتى عرف بهم، وأشعاره فيهم لاتحصى كثرة، ومدح مع ذلك الراضي بالله وله معه أخبار، وقصد كافوراً الإخشيدي بمصر وامتدحه، وامتدح ابن حنزابه وكان ينادمه، وطرى إلى البريدي بالبصرة، وإلى أبي الفضل بن العميد، بأرجان، وعضد الدولة بفارس، وكان مولده على ماخبرني به سنة إحدى وسبعين ومائتين، ومات يوم الاثنين لخمس خلون من صفر سنة خمس وستين وثلاثمائة، وكنت حينئذ بالري فورد كتاب ابن بقية إلى ابن العميد بخبره، وقيل: إنه شيع جنازته ماشياً وأهل الدولة كلهم، ودفن في مقابر قريش وقبره هناك معروف.

قال الخالع: ولم يخلف عقباً ولا علمت أنه تزوج قط، وكان يميل إلى الأحداث ولا يشرب النبيذ، وله في المجون والولع طبقة عالية، وعنه أخذ مجان باب الطاق كلهم هذه الطريقة، وكان يخلط بجدله ومناظرته هزلاً مستلماً ومجوناً مستطاباً يعتمد به إخال خصمه وكسر حده، وله في ذلك أخبار مشهورة، وكانت له جارية سوداء تخدمه، فدخل يوماً إلى دارأخته وأنامعه، فرأى صبيّاً صغيراً أسود فقال لها: من هذا؟ فسكنت فآلح عليها فقال: ابن بشارة، فقال: ممن؟ فقالت من أجل هذا أمسكت، فاستدعى الجارية وقال لها: هذا الصبي من أبوه؟ فقالت ماله أب، فالتفت إلى فقال: سلم إذا على المسيح عليه السلام.

قال ابن عبد الرحيم: حدثني الخالع قال: حدثني الناشئ قال: أدخلني ابن رائق على الراضي بالله، وكنت مداحاً لابن رائق ونافقاً عليه، فلما وصلت إلى الراضي قال لي: أنت الناشئ الرافضي؟ فقلت خادم أمير المؤمنين الشيعي. فقال: من أي الشيعة؟ فقلت: شيعة بني هاشم. فقال: هذا خبث حيلة. فقلت: مع طهارة مولد. فقال هات مامعك. فأنشدته فأمر أن يخلع على عشر قطع ثياباً، وأعطى أربعة آلاف درهم، فأخرج إلى ذلك وتسلمته وعدت إلى حضرته فقبلت الأرض وشركته وقلت: أنا ممن يلبس

الطيلسان. فقال: هاهنا طيلالس عدنية، أعطوه منها طيلساناً، وأضيفوا إليها عمامة خزر ففعلوا. فقال: أنشدني من شعرك في بني هاشم فأنشدته:

بني العباس إن لكم دماءً
فليس بهاشمي من يوالي
أرقتها أمية بالدخول
أمية واللعين أبا زبيل

فقلت ما بينك وبين أبي زبيل؟ فقلت: أمير المؤمنين أعلم. فابتسم وقال: انصرف. قال الخالع: وشاهدت العمامة والطيلسان معه وبقياً عنده إلى أن مات. قال: وحدثني الخالع قال: كان أبو الحسن شيخاً طويلاً جسيماً عظيم الخلق، عريض الألواح، موفر القوة، جهوري الصوت، عمر نيفاً وتسعين سنة، لم تضطرم أسنانه، ولا قلع سنناً منها ولا من أضراره. وكان يعمل الصفر ويخرمه، وله فيه صنعة بديعة. قال: ومن عمله قنديل بالمشهد بمقابر قریش مربع غاية في حسنه.

قال الخالع: ومن مجونه في المناظرات وغيرها: أنه ناظر أبا الحسن على بن عيسى الرماني في مسألة فانقطع الرماني وقال: أعاود النظر، وربما كان في أصحابي من هو أعلم مني بهذه المسألة، فإن ثبت الحق معك وافقتك عليه، فأخذ يندد به. ودخل أبو الحسن علي بن كعب الأنصاري أحد المعتزلة فقال: في أي شيء أنتم يا أبا الحسن؟ فقال: في ثيابنا، فقال: دعنا من مجونك وأعد المسألة، فلعلنا أن نقدح فيها فقال: كيف نقدح وحراقك رطب؟ ومنه حكايته المشهورة مع الأشعري الذي ناظره فصفعه فقال: ما هذا يا أبا الحسن؟ فقال: هذا فعل الله بك، فلم تغضب مني؟ فقال: ما فعله غيرك، وهذا سوء أدب وخارج عن المناظرة، فقال: ناقضت. إن أقيمت على مذهبك فهو من فعل الله، وإن انتقلت فخذ العوض، فانقطع المجلس بالضحك وصارت نادرة.

قال عبيد الله الفقير إليه تعالى مؤلف هذا الكتاب: لو كان الأشعري ماهراً لقام إليه وصفه أشد من تلك ثم يقول له: صدقت، تلك من فعل الله بي، وهذه من فعل الله بك، فتصير النادرة عليه لا له.

قال الخالع: فأنشدني يوماً لنفسه من قصيدة:

تجاه الشظا جنب الحمى فالمشرف
حيال الربى فالشاهق المتشرف
فقلت له بم ارتفعت هذه الأسماء وهي ظروف؟ فقال بما يسوءك، وبعد هذا البيت:

طلول أطال الحزن لي حزن نهجها
وألزمني وجداً عليها التأسف
فإذا حمل ماقاله على أن يجعل تلك الظروف هي الطلول، وهي: ماشخص من الأرض، وجعلت شخصاً جاز الرفع على هذا التأويل، وإن جعلت محال للطلول فليس إلا النصب، ومن هذه القصيدة:

وقفت على أرجائها أسأل الربى
عن الخرد الأتراب والدار صفصف
وكيف يجيب السائلين مرابع
عفتها شأبيب من المزن وكف؟

ومنها وصف الخمر:

دنان كرهبان عليها برانس
ينظم منها المزج سلكاً كأنه
من الخزد كن يوم فصح تصصف
إذا ما بدا في الكأس در منصف

ومن مجون الناشئ: أنه ناظر بعض المجبرة فحرك الجبري يده فقال للناشئ: هذه من حركها؟ فقال الناشئ: من أمه زانية. فغضب الرجل فقال له: ناقضت، إذا كان المحرك غيرك فلم تغضب؟ قال عبيد الله الفقير إليه: وهذا أيضاً كفر وبهت، لأن المحرك لها على اعتقاد الناشئ مناظره، فيكون قد أساء العشرة مع جلسه، وعلى مذهب صاحبه الخالق، فيكون قد كفر، فعلى كل حال هو مسيء. وسمع يوماً رجلاً ينادي على لحم البقر: أين من حلف ألا يغبن؟ فقال له: إيش تريد منه؟ تريد أن تحنثه؟ ولقب رجلاً من باب الطاق بالأبعد، ولقب آخر بالآخر وهاتان لفظتان جامعتان لكل سب وقذف، لأن الناس مغرون بالحق كل قبيح فطبع بهما، على سبيل الكناية والاستراحة في الكلام إليهما.

قال الخالع: وحدثني الناشئ قال: لما وفدت على سيف الدولة وقع في أبو العباس النامي وقال: هذا يكتب التعاويذ. فقلت لسيف الدولة: يتأمل الأمير فإن كان يصلح أن يكتب مثله على المساجد بالربح فالقول كما قال: فأنشدته قصيدة أولها:

الدهر أيامه ماض ومرتقب

وقلت فيها:

فارحل إلى حلبٍ فالخير منقلب
من نيل كفك إن لاحت لنا حلب

فقال أبا الحسين: بيت جيد لكنه كثير اللب وأنشدته قصيدة أخرى أقول فيها:

كان مشيبي إذ يلوح عقارب
كان الثريا عوذة في تميمة
وحدث الخالع قال: حدثني أبو الحسن الناشئ قال: كنت بالكوفة في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وأنا أُملي شعري في المسجد الجامع بها والناس يكتبونه عني، وكان المتنبي إذ ذاك يحضر معهم وهو بعد لم يعرف ولم يلقب بالمتنبي، فأملت القصيدة التي أولها:

بأل محمد عرف الصواب وفي أبياتهم نزل الكتاب

وقلت فيها:

كأن سنان ذابله ضمير فليس عن القلوب له ذهاب
وصارمه كبيعته بخم مقاصدها من الخلق الرقاب
فلمحته يكتب هذين البيتين، ومنها أخذ ما أنشدتوني الآن من قوله:
كأن الهام في الهيجا عيون وقد طبعت سيوفك من رقاد
وقد صغت الأسنة من هموم فما يخطرن إلا في فؤاد
قال الخالع: وأصل هذا لأبي تمام:

من كل أزرق نظار بلا نظر إلى المقاتل مافي متنه أود
كأنه كان ترب الحب مذ زمن فليس يعجزه قلب ولا كيد
وعليه وقع المتنبي وسبق إلى ذلك ديك الجن أيضاً في قوله:

قتناً تنصب في ثغر التراقي كما ينصب في المقل الرقاد

وأبيات المتنبي أمثل من الجميع إذا تركت العصبية قال ابن عبد الرحيم: حدثني الخالع قال: كنت مع والدي في سنة ست وأربعين وثلاثمائة وأنا صبي في مجلس الكبوزي في المسجد الذي بين الوراقين والصاغة وهو غاص بالناس، وإذا رجل قد وافى وعليه مرقعة وفي يده سطيحة وركوة ومعه عكاز وهو شعث فسلم على الجماعة بصوت يرفعه ثم قال: أنا رسول فاطمة الزهراء صلوات الله عليها، فقالوا: مرحباً بك وأهلاً ورفعه فقال: أتعرفون لي أحمد المزوق النائح؟ فقالوا: هاهو جالس، فقال: أتعرفون لي أحمد المزوق النائح؟ فقالوا: هاهو جالس، فقال: رأيت مولاتنا عليها السلام في النوم فقالت لي: امض إلى بغداد واطلبه وقل له نح علي ابني بشعر الناشئ الذي يقول فيه:

بني أحمد قلبي لكم يتقطع بمثل مصابي فيكم ليس يسمع

وكان الناشئ حاضراً فطم لطمأ عظيم على وجهه وتبعه المزوق والناس كلهم. وكان أشد الناس في ذلك الناشئ ثم المزوق، ثم ناحوا بهذه القصيدة في ذلك اليوم إلى أن صلى الناس الظهر وتقوض المجلس، وجهدوا بالرجل أن يقبل شيئاً منهم فقال: والله لو أعطيت الدنيا ما أخذتها، فإنني لأرى أن أكون رسول مولاتي عليها السلام ثم أخذ عن ذلك عوضاً وانصرف ولم يقبل شيئاً. قال: ومن هذه القصيدة وهي بضعة عشر بيتاً:

عجبت لكم تفنون قتلاً بسيفكم ويسطو عليكم من لكم كان يخضع
كأن رسول الله أوصى بقتلكم وأجسامكم في كل أرض توزع

قال: وحدثني الخالع قال: اجتزت بالناشئ يوماً وهو جالس في السراجين فقال لي: قد عملت قصيدة وقد طلبت وأريد أن تكتبها بخطك حتى أخرجها فقلت: أمضى في حاجة وأعود، وقصدت المكان الذي أردته وجلست فيه فحملتني عيني فرأيت في منامي أبا القاسم عبد العزيز الشطرنجي النائح فقال لي: أحب أن تقوم فتكتب قصيدة الناشئ البائية فإننا قد نحنا بها البارحة بالمشهد، وكان هذا الرجل قد توفي وهو عائد من الزيارة، فقممت ورجعت إليه وقلت: هات البائية حتى أكتبها فقال: من أين علمت أنها بائية؟ وما ذكرت بها أحداً، فحدثته بالمنام فبكى وقال: لاشك أن الوقت قد دنا فكتبتها فكان أولها:

رجائي بعيد والممات قريب ويخطئ ظني والمنون تصيب

ومن شعر الناشئ:

وليل توارى النجم من طول مكثه كما ازور محبوب لخوف رقيبه
كأن الثريا فيه باقة نرجس يجيء بها ذو صبوحة لحبيبه

وله:

وكان عقرب صدغه وقفت لما دنت من نار وجنته

قرأت بخط بديع بن عبد الله الهمداني فيما قرأه علي ابن فارس اللغوي: سمعت أبا الحسين الناشئ علي بن عبد الله بن وصيف بمدينة السلام قال: حضرت مجلس أبي الحسين بن المغلس الفقيه فانقلبت محبرة لبعض من حضر علي ثيابي، فدخل أبو الحسين وحمل إلي قميصاً ديبقياً ورداءً حسناً. قال: فأخذتهما ورجعت إلي بيتي وغسلت ثيابي ولبستهما ورددت القميص والرداء إلي أبي الحسين. فلما رأهما غضب غضباً شديداً وقال: ألبسهما لولا أنك تتوشح بالأدب لجفوتك.

وهذه حكاية وجدتها بعد أخبار الناشئ بخط المصنف: قرأت في كتاب محمد بن أبي الأزهر في عقلاء المجانين: حدثني علي بن ابراهيم بن موسى الكاتب قال: كنت يوماً جالساً في صحن داري إذا حجارة قد سقطت بالقرب مني، فبادرت هارباً وأمرت الغلام بالصعود إلي السطوح والنظر من أين أتت الحجارة؟ فرجع إلي وقال لي: يامولاي امرأة من دار ابن الرومي الشاعر تقول: الله الله فينا، اسقونا ماء وإلا متنا عطشاً، فإن الباب علينا مقفل منذ ثلاثة أيام بسبب تطير صاحبنا، فإنه يلبس ثيابه في كل يوم ويتعوذ ويقرأ ثم يصير إلي الباب والمفتاح معه، فيضع عينه علي خلل من الباب فتقع علي جار له نازل بإزائه وكان أعور، فإذا بصر به رجع وخلع ثيابه وترك الباب علي حاله سائر يومه وليلته. فدفع إليها ماطليته، فلمامات كان من غدٍ وجهت بخادم لي اسمه طاهر، وكان ابن الرومي يعرف وأمرته أن يجلس علي بابه وتقدمت إلي بعض الغلمان في المصير إلي الأعور برسالتني ومسالته المصير إلي، فلما زال الرجل عن موضعه دق الخادم الباب علي ابن الرومي وخاطبه وسأله المصير إلي أيضاً. قال الخادم: فخرج فوضع عينه علي ذلك الموضع فوقعت عينه علي ولم ير جاره ففتح الباب وخرج لاتقلع عينه عن النظر إلي، ولا يصرف كلامه إلا إلي ناحيتي.

قال علي بن ابراهيم: فإني لجالس أنتظره، وقد انصرف الأعور إذ وافاني أبو خديجة الطرسوسي، وكان في ناحية اسماعيل بن اسحاق القاضي، وقد دفع إليهِ المعتضد برذعة ليوصله إلي الحسن ابنه ليتولى تسليمه إلي ابن راشد، فنحن نتحدث إذ دخل ابن الرومي مع الخادم علينا، فلما تخطى عتبة باب الصحن عثر فانقطع شسع نعله فأخذها بيده ودخل مذعوراً، فقلت له: أياك شيء يا أبا الحسن أحسن من خروجك من منزلك علي وجه خادمي؟ فقال: لقد لحقتني مارأيت من العثرة لأنني أفكرت إن به عاهة، قلت: وماهي؟ قال: هو محبوب، فقال برذعة الموسوس: وشيخنا يتطير؟ قلت: نعم ويفرط، قال: ومن هو؟ قلت: هذا علي بن الرومي الكاتب، قال: الشاعر؟ قلت: نعم، فأقبل عليه فقال:

ولما رأيت الدهر يؤذن صرفه	بتفريق ما بيني وبين الحبايب
رجعت إلي نفسي فوطنتها علي	ركوب جميل الصبر عند النوائب
ومن صحب الدنيا علي جور حكمها	فأيامه محفوفة بالمصائب
فخذ خلصة من كل يوم تعيشه	وكن حذراً من كامنات العواقب
ودع عنك ذكر ألفاً والزجر واطرح	تطير جار أو تفاؤل صاحب

فرايت ابن الرومي شبيهاً بالباهت ولم أدر أنه قد شغل قلبه بحفظ الأبيات، ثم نهض برذعه وأبو خديجة معه فقال له ابن الرومي: والله لاتطيرت بعد هذا، فأقام عندي وكتب هذه الأبيات من حفظه وزالت عنه الطيرة.

الجزء الرابع عشر

علي بن عبد الله بن موهب الجذامي

أبو الحسن. له تأليف عظيم في تفسير القرآن، روى عن ابن عبد البر وغيره، مات في سادس عشر جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، ومولده سنة إحدى وأربعين وأربعمائة.

علي بن عبد الله بن محمد

ابن عبد الباقي بن أبي جرادة العقيلي أبو الحسن الأنطاكي من أهل حلب يسكن باب أنطاكية، غزير الفضل، وافر العقل، دمث الأخلاق، حسن العشرة، له معرفة بالأدب واللغة والحساب والنجوم، ويكتب خطاً حسناً، وله أصول حسنة، ورد بغداد سنة سبع عشرة وخمسمائة وسمع بها وغيرها، وسمع بحلب أبا الفتح عبد الله بن اسماعيل بن أحمد بن أبي عيسى الحلبي، وأبا الفتيان محمد بن سلطان بن حبوس الغنوي.

قال ابن السمعاني: قرأت عليه بحلب وخرجت يوماً من عنده فراني بعض الصالحين فقال لي: أين كنت؟ قلت عند أبي الحسن بن أبي جريدة، قرأت عليه شيئاً من الحديث فأنكر علي وقال: ذاك يقرأ عليه الحديث؟ قلت: ولم؟ هل هو إلا متشيع يرى رأي الحليين؟ فقال لي: ليته اقتصر على هذا، بل يقول بالنجوم ويروى رأي الأوائل، وسمعت بعض الحليين يتهمة بذلك. وسألته عن مولده فقال: في محرم سنة إحدى وستين وأربعمائة بحلب، وأنشدني لنفسه:

يا ظباء البان قولاً بيناً
يشبه البدر بعداً وسناً
فتكت ألحظه في مهجتي
يصرع الأبطال في نجدته
دان أهل الدل والحسن له
مثل ما دأبت لمولانا الدنيا

قال: ومات سنة نيف وأربعين وخمسمائة. قلت: وكان لأبي الحسن هذا ابن فاضل أديب شاعر اسمه الحسن؟ وكنيته أبو علي، سافر إلى مصر في أيام ابن رزيك ومدحه وحطى عنده، ثم مات بمصر سنة إحدى وخمسين وخمسمائة وهو القائل:

يا صاحبي أطبلاً في مؤانستي
وحدثاني حديث الخيف إن به
ما ضر ريح الصبا لو ناسمت حرقى
داء تقادم عندي، من يعالجه؟
يفنى الزمان وآمالي مصرمة
واضيعة العمر لا الماضي أنتفعت به
وذكراني بخلان وعشاق
روحاً لقلبي وتسهيلاً لأخلاقى
واستتفتت مهجتي من أسر أشواقى
ونفته بلغت منى، من الراقى؟
ممن أحب على مطل وإملاق
ولاحصلت على أمر من الباقي

علي بن عبد الجبار بن سلامة

ابن عيذون الهذلي اللغوي أبو الحسن التونسي ذكره السلفي فقال: أنشدني أبو محمد الشوانلي القيرواني قال: أنشدني أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الحصري لنفسه بالقيروان:

قالوا اطرح أبداً كاف الخطاب ففي
فقلت من كان في نفسي تصوره
خط الكتاب بها حط من الرتب
فكيف أنزله في منزل الغيب؟

قال: وسألته عن مولده فقال: سنة ثمان وعشرين وأربعمائة يوم عيد النحر بتونس، وتوفي رحمه الله في ذي الحجة سنة تسع عشرة وخمسمائة بالإسكندرية، وكان إماماً في اللغة حافظاً لها حتى إنه لو قيل لم يكن في زمانه ألغى منه لما استبعد، وكانت له قدرة على نظم الشعر، وله إلى قصائد وقد أجبتة عنها.

ومن جملة شعره قصيدة في الرد على المرتد البغدادي، فيها أحد عشر ألف بيت على قافية واحدة، وفيها فوائد أدبية. وسمعه يقول: رأيت أبا بكر محمد بن علي ابن عبد البر اللغوي بمدينة مازر من جزيرة صقلية، وكنت عزمت على أن أقرأ عليه لما اشتهر من فضله وتبحره في اللغة، فاتصل بآب منكوذ صاحب البلد أنه يشرب وكان يكرمه، فشق عليه وصار يكرهه وأنفذ إليه وقال: المدينة أكبر والشراب بها أكثر، فأحوجته الضرورة إلى الخروج منها ولم أقرأ عليه شيئاً.

وأما أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي القيرواني، فقد رأيت أيضاً بمازر، وأنشدني شيئاً ولم أر قط أحفظ للعربية واللغة من أبي القاسم بن القطاع الصقلي، وقرأت عليه كثيراً.

علي بن عبد الرحمن الخزاز السوسي

أبو العلاء اللغوي من سوس خوزستان من أهل الأدب واللغة سمع المحامي أبا عبد الله، وروى عنه أبو نصر السجزي الحافظ، ولا أعلم من حاله غير هذا.

علي بن عبد الرحيم بن الحسن

ابن عبد الملك ابن ابراهيم السلمي المعروف بابن العصار اللغوي من أهل الرقة، ورد بغداد فقراً بها العلم وأقام بالمطابق من دار الخلافة المعظمة، ومات في ثالث المحرم سنة ست وسبعين وخمسائة، ومولده في سنة ثمان وخمسائة. انتهت إليه الرياسة في معرفة اللغة العربية. قرأ على أبي منصور الجواليقي ولازمه حتى برع في فنه، وسمع الحديث من أبي العز أحمد بن عبيد الله بن كادش، والقاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي قاضي اليمارستان، وأبي الوقت السجزي وغيرهم. وتخرج به جماعة منهم الشيخ أبو البقاء عبد الله بن الحسن العكبري الضريير، وكان تاجراً موسراً ضابطاً سافر الكثير إلى الديار المصرية وأخذ عن أهلها وروى عنهم، وخطه المرغوب فيه المتنافس في تحصيله، فإنه مليح الخط جيد الضبط، ولا أعرف له مصنفاً ولا سمعت له شعراً

علي بن عبد العزيز البغوي

بن المزريان بن سابور أبو الحسن البغوي الجوهري، عم أبي القاسم البغوي نزيل مكة، صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام وروى عنه غريب الحديث، وكتاب الحيض، وكتاب الطهور وغير ذلك. وحدث عن أبي نعيم، وحجاج بن المنهال، ومحمد بن كبير العبدى، وسلمة بن إبراهيم الأزدي، والقعنبى، وعاصم بن علي وغيرهم، وصنف المسند. حدث عنه ابن أخيه عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، ودعج السجزي، وسليمان بن أحمد الطبراني. وحدث بالمسند عنه أبو علي حامد بن محمد الرفاء الهروي. سئل عنه الدار قطني فقال: ثقة مأمون. وقال ابن أبي حاتم: وهو صدوق.

حدث أبو بكر السني سمعت أبا عبد الرحمن النسائي، وسئل عن علي بن عبد العزيز المكي فقال: قبح الله علي ابن عبد العزيز ثلاثاً، فقيل له يا أبا عبد الرحمن: أتروى عنه؟ فقال لا، فقيل له يا أبا عبد الرحمن: أتروى عنه؟ فقال لا، فقيل له: أكان كذاباً؟ فقال: لا، ولكن قوماً اجتمعوا ليقروا عليه وبروه بما سهل، وكان فيهم إنسان غريب فقير لم يكن في جملة من بره، فأبى أن يقرأ عليهم وهو حاضر حتى يخرج أو يدفع كما دفعوا، فذكر الغريب أن ليس معه إلا قصيعة فأمره بإحضارها، فلما أحضرها حدثهم.

وعن القاضي أبي نصر بن الكسار سمعت أبا بكر السني يقول: بلغني أن علي بن عبد العزيز كان يقرأ كتب أبي عبيد بمكة على الحاج بالأجر، فإذا عاتبوه على الأخذ قال: يا قوم أنا بين الأخشين، إذا خرج الحاج نادى أبو قبيس قعيقان من بقى؟ يقول: بقي المجاورون فيقول: أطبق.

وقال أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله ابن المنادى فيمن مات في سنة سبع وثمانين ومائتين. وجاءنا الخبر بموت علي بن عبد العزيز صاحب أبي عبيد من مكة مع الحاج، وأنه توفي قبل الموسم. وحدث أبو سعد السمعاني بإسناد رفعه إلى أبي الحسين محمد بن طالب النسفي قال: سمعت علي بن عبد العزيز بمكة في المسجد الحرام يقول: كنت عند مؤدبي الذي علمني الخط فجاء ببنية له صغيرة يقال لها وسناء وعليها ثوب حرير، فأجلسها في حجره وأنشأ يقول:

وما الوسناء إلا شبه در
فأحسن زيتها ثوب نظيف
ولا سيما إذا لبست حريرا
تهادى بين أربعة عجال
تكفن فيه ثم أرى سريرا
إلى قبر فتملؤنا سرورا

علي بن عبد العزيز الجرجاني

بن الحسن بن علي، ابن اسماعيل الجرجاني أبو الحسن قاضي الري في أيام صاحب بن عباد وكان أديباً أريباً كاملاً. مات بالري يوم الثلاثاء لست بقين من ذي الحجة، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة وهو قاضي القضاة بالري حينئذ، وذكره الحاكم في تاريخ نيسابور وقال: ورد نيسابور سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة مع أخيه أبي بكر، وأخوه إذ ذاك فقيه مناظر، وأبو الحسن قد ناهز الحلم، فسمعا معاً الحديث الكبير، ولم يزل أبو الحسن يتقدم إلى أن ذكر في الدنيا. وحمل تابوته إلى جرجان فدفن بها، وصلى عليه القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد، وحضر جنازته الوزير الخطير أبو علي القاسم بن علي بن القاسم وزير مجد الدولة، وأبو الفضل العارض راجلين، ووقع الاختيار بعد موته على أبي موسى عيسى بن أحمد الديلمي فاستدعى من قروين، وولى قضاء القضاة بالري وله يقول صاحب بن عباد: وقد أنشأ عهداً للقاضي عبد الجبار علي قاضي الري:

إذا نحن سلمنا لك العلم كله
فدعنا وهذي الكتب نحسن صدورنا

فإنهم لا يرتضون مجيئنا
وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه واعترف من بحره، وكان إذا ذكره في كتبه تبيخ به، وشمخ بانفه بالانتماء إليه. وطوف في صباه البلاد وخالط العباد، واقتبس العلوم والآداب، ولقى مشايخ وقته وعلماء عصره. وله رسائل مدونه وأشعار مفعنة، وكان جيد الخط مليحاً يشبه بخط ابن مقلة. ومن شعره:

أفدى الذي قال وفي كفه
الورد قد أئعن في وجنتي
مثل الذي أشرب من فيه
قلت: فمي باللثم يجنيه

ومنه:

يقولون لي فيك انقباض وإنما
أرى الناس من دانا هم هان عندهم
وما زلت منحازاً بعرضي جانباً
إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى
وما كل برق لاح لي يستفزني
ولم أقض حق العلم إن كان كلما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي
أشقى به غرساً وأجنيه ذلة
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم
ولكن أدلوه جهاراً ودنسوا

ومنه:

وقالوا: اضطرب في الأرض فالرزق واسع
إذا لم يكن في الأرض حر يعينني
فقلت: ولكن مطلب الرزق ضيق
ولم يك لي كسب فمن أين أرزق؟

ومنه:

أحب اسمه من أجله وسميه
ويجتاز بالقوم العدا، فأحبهم
ويتبعه في كل أخلاقه قلبي
وكلهم طاوى الضمير على حربي

ومنه:

قد برح الشوق بمشتاقك
لا تجفه وارع له حقه
وللقاضي عدة تصانيف منها: كتاب تفسير القرآن المجيد، كتاب تهذيب التاريخ. كتاب الوساطة بين المتنبى وخصومه، وفي هذا الكتاب يقول بعض أهل نيسابور:

أيا قاضياً قد دنت كتبه
كتاب الوساطة في حسنه
وإن أصبحت داره شاحطه
لعقد معاليك كالواسطة

ومن شعره:

ما تطعمت لذ العيش حتى
ليس شيء أعز عندي من العل
إنما الذل في مخالطة أتلن
ناس فدعهم وعش عزيزاً رئيساً

ومن سائر شعره قوله:

إذا شئت إن تستقرد المال منفقاً
فسل نفسك الأنفاق من كنز صبرها
فإن فعلت كنت الغنى وإن أبت
فكل منوع بعدها واسع العذر

وحدث الثعالبي عن أبي نصر التهذيبي قال: سمعت القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز يقول: انصرفت يوماً من دار صاحب وذلك قبيل العيد فجاءني رسوله بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذا البيتان:

يا أيها القاضي الذي نفسي له
أهديت عطراً مثل طيب ثنائه

مع قرب عهد لقائه مشتاقه
فكأنما أهدى له أخلاقه

قال: وسمعتة يقول: إن صاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه بجران أكثر مما يتلقاني به في سائر البلاد، وقد استعفيته يوماً من فرط تحفيه بي وتواضعه لي فأثدني:

أكرم أخاك بأرض مولده

وأمدته من فعلك الحسن

فالعز مطلوب وملتمس

وأعزه ما نيل في الوطن

ثم قال: قد فرغت من هذا المعنى في العينية، فقلت لعل مولانا يريد قولي:

وشيدت مجدى بين قومي فلم أقل

ألا ليت قومي يعلمون صنيعي؟

فقلت: ما أردت غيره، والأصل فيه قوله تعالى: (يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين). قال الثعالبي: القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز حسنة جرجان وفرد الزمان، ونادرة الفلك، وإنسان حدقة العلم، ودره تاج الأدب، وفارس عسكر الشعر، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ونظم البحتري: وينظم عقد الإتيان والإحسان في كل ما يتعاطاه، - وأنشد بيت صاحب المقدم ذكره - وقد كان في صباه خلف الخضر في قطع عرض الأرض وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرهما، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلماء علماء، وفي الكمال عالماً، ثم عرج على حضرة صاحب فألقى بها عصا المسافرين، فاشتد اختصاصه به وحل منه محلاً بعيداً في رفعتة، قريباً في أسرته، وسير فيه قصائد أخلصت على قصيد، وفرائد، أنت من فرد، وما منها إلا صوب العقل وذوب الفضل، وتقلد قضاء جرجان من يده، ثم تصرفت به أحوال في حياة صاحب وبعد وفاته من الولاية والعطلة، وترقى محله إلى قضاء القضاة بالرقي، فلم يعزله إلا موته رحمه الله تعالى. وعرض أبو نصر المصعبي كتاباً للصاحب بخطه إلى حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب، في معنى القاضي أبي الحسن نسخته بعد التصدير والتشبيب: قد تقدم من وصفي للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز فيما سبق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش - دام علوه - من كتبني ما أعلم إنني لم أؤد فيه بعض الحق وإن كنت دلتته على جملة تنطق بلسان الفضل، وتكشف عن أنه من أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم، فأما موقعه مني: فالموقع الذي تخطبه هذه المحاسن وتوجيه هذه المناقب، وعادته معي ألا يفارقني مقيماً وزائراً ومسافراً وقاطناً، وقد احتاج الآن إلى مطالعة جرجان بعد أن شرطت عليه تصبير المقام كالإمام فطالبنني مكانه بتعريف الأمير مصدره ومورده، فإن عن له ما يحتاج إلى عرضه وجد من شرف إسعافه ما هو المعتاد من فضله، ليتعجل إنكفائه إلي بما رسم - أدام الله أيامه - من مظاهرتة على ما يقدم الرحيل ويفسح السبيل من بذرة إن احتاج إلى الاستظهار بها، ومخاطبة لبعض من في الطريق بتعرف النهج فيها، فإن رأى الأمير أن يجعل من حظوظي الجسيمة عنده تعهد القاضي أبي الحسن بما يعجل رده فإني ما غاب كالمضل الناشد، وإذا عاد كالغانم الواجد، فعل إن شاء الله.

ولما عمل صاحب رسالته المعروفة في إظهار مساوئ المتنبي، عمل القاضي أبو الحسن كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره، فأحسن وأبدع، واطال وأطاب، وأصاب شاكلة الصواب، واستولى على الأمد في فصل الخطاب، وأعرب عن تبخره في الأدب وعلم العرب، وتمكنه من جودة الحفظ وقوة النقد، فسار الكتاب مسير الرياح، وطار في البلاد بغير جناح.

وقال فيه بعض النيسابوريين البيتين المقدم ذكرهما ومن شعره:

إنثر على خدى من وردك

أو دع فمى يقطفه من خدك

أرحم قضيب البان وارق به

قد خفت أن ينقد من قدك

وقل لعينيك بنفسي هما

يخففان السقم عن عبدك

وله:

وفارقت حتى ما أسر بمن دنا

مخافة نأى أو حذار صدود

فقد جعلت نفسي تقول لمقلتي

وقد قربوا خوف التباعد جودي

فليس قريباً من يخاف بعباده

ولا من يرجى قربه ببعيد

وله يستطرد:

من عاذري من زمن ظالم

ليس بمستحي ولا راحم؟

يفعل بالإخوان أحداثه

فعل الهوى بالدنف الهائم

كأنما أصبح يرميهم

عن جفن مولاي أبي القاسم

وقال يذكر بغداد ويتشوقها:

يا نسيم الجنوب بالله بلغ
قل لأحبابه فداكم فؤاد
بنتم فالرقاد عندي سهاد
فعلى الكرخ فالقطيعة فال
يا ديار السرور لازال يبكي
رب عيش صحبتته فيك غرض
في ليال كانهن أمان
وكان الأوقات فيها كئوس
زمن مسعد وإلف وصول
كل أنس ولذة وسرور

وله في ذلك:

سقى جانبي بغداد أخلاف مزنة
فلي منهما قلب شجاني اشتياقه
سأغفر للأيام كل عزيمة

وله في ذلك:

أراجعة تلك الليالي كعهدها
وصحبة أحباب لبست لفقدهم
إذا لاح لي من نحو بغداد بارق
وإن أخلفتها الغاديات رعوها؟
سق جانبي بغداد كل غمامة
معاهد من غزال أنس تحالفت
بها تسكن النفس النفور ويغتدى
يحن إليها كل قلب كأنما
فكل ليالي عيشها زمن الصبا

وله في ذلك:

بجانب الكرخ من بغداد لي سكن
وصاحب ما صحبت الصبر مذ بعدت
في كل يوم لعيني ما يؤرقها
ما زال يبعثني عنه وأتبعه
حتى أوت لي النوى من طول جفوته
وما البعاد دهاني بل خلانقه

وله في التخلص:

أو ما انتنيت عن الوداع بلوعة
ومدام تجري فتحسب أن في
وله من قصيدة في الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير:
ولما تداعت للغروب شمسهم
تلقين أطراف السجوف بمشرق
فما سرن إلا بين دمع مضيع

مايقول المقيم المستهام
ليس يسلو ومقلة لا تنام
مذ نأيتم والعيش عندي لمام
شط فياب الشعير منى السلام
بك في مضحك الرياض غمام
وجفون الخطوب عني نيام
من زمان كأنه أحلام
دائرات وأنسهن مدام
ومني يستلذها الأوهام
بعد ما بنتم على حرام

تحاكي دموعي صوبها وانحدارها
ومهجة نفس ما أمل ادكارها
لئن قربت بعد البعاد مزارها

إلى الوصل أم لا يرتجى لي رجوعها؟
ثياب حداد يستجد خليعها
تجافت جفوني واستطير هجوعها؟
تكلف تصديق الغمام دموعها
بحاكي دموع المستهام هموعها
لواظها ألا يداوى صريعها
بانس من قلب المقيم نزيعة
يشاد بحبات القلوب ربوعها
وكل فصول الدهر فيها ربيعها

لولا التجل لم أنفك أندبه
دياره وأراني لست أصحبه
من ذكره ولقلبي ما يعذبه
ويستمر على ظلمي وأعتبه
وسهلت لي سبيلا كنت أرهيه
ولا الفراق شجاني بل تجنبه

ملأت حشاك صباية وغليلة؟
أماقهن بنان اسماعيلة

وقمنا لتوديع الفريق المغرب
لهن وأعطاف الخدور بمغرب
ولا قمن إلا بين قلب معذب

كأن فؤادي قرن قابوس راعه
وله في صاحب من قصيدة:

وما بال هذا الدهر يطوي جوانحي
تقسمني الأيام قسمة جائر
كأنني في كف الوزير رغبة
وله من قصيدة في صاحب:

ولا ذنب للأفكار أنت تركتها
سبقت بأفراد المعاني وألفت
وإن نحن حاولنا اختراع بديعة
وله في صاحب من قصيدة يهنئه بالبرء من المرض:

بك الدهر يبدي ظله ويطيب
ونحمد آثار الزمان وربما
أفي كل يوم للمكارم روعة
تقسمت العليا جسمك كله
إذا ألمت نفس الوزير تألمت
ووالله لا لاحظت وجهاً أحبه
وليس شحوباً ما أراه بوجهه
فلا تجز عن تلك السماء تغيمت
تهلل وجه المجد وابتسم الندى
فلا زالت الدنيا بملكك طلقة

وله:

على مهجتي تجني الحوادث والدهر
كأنني ألقى كل يوم ينوبني
فإن لم يكن عند الزمان سوى الذي
وقالوا: توصل بالخضوع إلى الغنى
وبيني وبين المال بابان حرماً
إذا قيل: هذا اليسر عاينت دونه
إذا قدموا بالوفر قدمت قبلهم
وما إذا على مثلي إذا خضعت له

وله:

سقى الغيث أو دمعى وقل كلاهما
بحيث استرق الدعص وأنبسط النقى
أكثر من أوصافها وهي واحد
وفي ذلك الخدر المكلل ظبية
إذا خطر الریح بين سجوفها
تلقت بأثناء النصف لحاظنا
أفي مثل هذا اليوم يمرح طرفه
ومدت لإسبال السجوف بنانها

تلاعبه بالفيلق المتأشب

على نفس محزون وقلب كئيب
على نضرة من حالها وشحوب
تقسم في جدوى أغر وهوب

إذا احتشدت لم ينتفع باحتشادها
خواطرك الألفاظ بعد شرادها
حصلنا على مسروقها ومعادها

ويقلع عما ساءنا ويتوب
ظللنا وأوقات الزمان ذنوب
لها في قلوب المكرمات وجيب؟
فمن أين فيه للسقام نصيب؟
لها أنفس تحيا بها وقلوب
حياتي وفي وجه الوزير شحوب
ولكنه في المكرمات ندوب
وعما قليل تبتدي فتصوب
وأصبح غصن الفضل وهو رطيب
ولازال فيها من ظلالك طيب

فأما اصطباري فهو ممتع وعر
بذنبي وما ذنبي سوى أنني حر
أضيق به ذرعاً فعندي له الصبر
وما علموا أن الخضوع هو الفقر
على الغنى: نفسي الأبية والدهر
مواقف خير من وقوفي بها العسر
بنفس فقير كل أخلاقه وفر
مطامعه في كف من حصل التبر

لها أربعاً، جور الهوى بينها عدل
وحيث تناهت الحقف وانقطع الرمل
ولكن أرى أسماءها في فمي تحلو
لكل فؤادٍ عند أجفانها ذحل
أباحث لطرف العين ما حظر البخل
وقالت لأخرى: ما لمستهر عقل؟
وأعداؤنا حول وحسادنا قبل؟
فغازلنا عنها الشمائل والشكل

علي بن عبد العزيز بن إبراهيم

ابن بناء بن حاجب النعمان، أبو الحسن. قد ذكرت معنى تسميتهم بحاجب النعمان في ترجمة أبيه، وله ديوان شعر كبير الحجم، وكان أبوه يكتب لأبي محمد المهلب وزير معز الدولة، وكتب أبو الحسن للطائع لله، ثم للقادر بالله بعده في شوال سنة ست وثمانين وثلاثمائة، وخطب برئيس الرؤساء، وخدم خليفتين أربعين سنة، ومولده سنة أربعين وثلاثمائة، ومات في رجب سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، وولى ابنه أبو الفضل مكانه فلم يسد مسده فعزل بعد شهور.

وحدث ابن نصر قال: حدثني أبو الفتح أحمد بن عيسى الشاعر المعروف بحمدية قال: لما قبض القادر بالله على أبي الحسن بن حاجب النعمان واستكتب أبا العلاء ابن تريك وهي النظر وقل رونقه، واتفق أن دخل يوماً إلى الديوان فوجد على مخاضه قطعة من عذرة يابسة، فانخزل وتلاشى أمره فقبض عليه وأعيد أبو الحسن إلى رتبته، وكانت بيني وبين أبي العلاء من قبل مماظة في بعض الأمور، فامتدحت أبا الحسن بقصيدة أولها:

زمت ركائبهم فاستشعر التلف

حتى بلغت منها إلى قولي:

وظل معتذراً مما جنى وهفا

يا من إذا ما رآه الدهر سألته

فما استطاع له جرياً بلى وقفا

قد رام غيرك هذا الطرف يركبه

حتر رأينا على دستٍ له طرفا

لم يرجع الطرف عنه من تبظرمه

فدفع إلى صورة عنقاء فضة مذهب كانت بين يديه فيها طيب وقال: خذ هذه الطرفة فإنها أطرف من طرفتك. وقرأ في المفاوضة: حدثني الوزير أبو العباس عيسى ابن ماسرجيس قال: كنت أخلف الوزارة ببغداد مشاركاً لأبي الحسن علي بن عبد العزيز بن حاجب النعمان، فدعاني يوماً إلى داره ببركة زلزل وتجلد واحتشد ودعا بكل من يشار إليه بحق في الغناء من رجال وإماء مثل علية الخاقانية وغيرها من نظرائها في الوقت، وحضر القاضي أبو بكر بن الأزرق نسيبه وانتقلنا من الطعام إلى مجلس الشراب، فلما دارت الكأس أدواراً قال لي: ما أراك تحلف على القاضي ليشرب معنا ويساعدنا وإن كان لا يشرب إلا قارصاً. قلت: أنا غريب ومحتشم له وأمره بك أمس وأنت به أخص. قال: فاستدعي غلاماً وقال: امض إلى إسحاق الواسطي واستدع منه قارصاً وتول خدمة القاضي - أيده الله - فمضى الغلام وغاب ساعة ثم أتى ومعه خماسية فيها من الشراب الصريفي الذي بين أيدينا إلا أن على رأسها كاغداً وختماً وسطراً فيه مكتوب: قارص من دكان إسحاق الواسطي. قال: فتأمله القاضي وأبصر الخط والختم ثم أمر فسقى رطلاً، فلما شربه واستوفاه قال للغلام: ويلك ما هذا؟ قال: يا سيدي هذا قارص. قال لا، بل والله الخالص، ثم ثنى له وثلاث، فاضطرب أمر القاضي علينا وأنشأ يقول:

ولا تسقني خمرأ بعلمك أو علمي

ألا فاسقني الصهباء من حلب الكرم

ألا فاسقنيها واكن عن ذلك الإسم

أليست لها أسماء شتى كثيرة

فكان كلما أتاه بالقدح سألته عنه فيقول تارة: مدام، وتارة خندريس وهو يشرب، فإذا قال له: خمر حرد واستخف به فيتوارى بالقدح ساعة ثم يعيده ويقول: هذه قهوة فيشرب به، فلم يشرب القاضي إلا بمقدار ستة أسماء أو سبعة من أسماء الخمر حتى انبطح في المجلس ولف في طيلسان أزرق عليه وحمل إلى داره.

علي بن عبد الغني الأندلسي

القروي الحصري الأندلسي قال صاحب كتاب فرحة الأنفس: - وهو محمد بن أيوب بن غالب الغرناطي - يكنى أبا الحسن، كان من أهل العلم بالنحو وشاعراً مشهوراً وكان ضريباً، طاف الأندلس ومدح ملوكها، فمن ذلك قوله للمعتمد بن عباد عند موت أبيه المعتضد أبي عمرو وعباد بن محمد:

بقي النجل الكريم

مات عباد ولكن

غير أن الضاد ميم

فكان الميت حي

ومدح بعض الملوك الأندلس فغفل عنه إلى أن حفزه الرحيل فدخل عليه وأنشده:

وحالتي تقتضي الرحيل

محبتتي تقتضي ودادي

بينهما خوف أن أميلا

هذان خصمان لست أقضي

حتى ترى رأيك الجميلا

ولا يزالان في اختصام

ودخل على المعتصم محمد بن معن بن صمادح فأنشده قصيدةً، فلما انصرف تكلم المعتصم في أمره مع وزرائه وكتابه ليرى رأيهم فيه، ففعل إليه عن الكاتب أبي الأصبع بن أرقم كلام أحفظه، فانصرف ودخل علي ابن صمادح وأنشده:

ياأيها السيد المعظم	لأتطع الكاتب ابن أرقم
لأنه حية وتدري	مافعلت بأبيك آدم
وحكى أبو العباس البلنسي الأعمى أيضاً عنه وكان من تلاميذه، وهذان البيتان متنازعان بينهما لا أدري لمن منهما؟	وقالوا: قد عميت فقلت: كلا
سواد العين زاد سواد قلبي	وانني اليوم أبصر من بصير
وذكره الحميدي وقال: دخل الأندلس بعد الخمسين وأربعمائه وأنشدني بعضهم له:	ليجتمعاً على فهم الأمور
ولما تمايل من سكره	ونام دببت لأعجازه
فقال ومن ذا؟ فجوابته	عم يستدل بعكازه

علي بن أبي طالب

أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وسلامه - - واسم أبي طالب عبد مناف - بن عبد المطلب، - واسم عبد المطلب عامر وهو شبيه الحمد لقب له - بن هشام - واسمه عمرو - بن عبد مناف - وهو المغيرة - بن قصي - واسمه زيد - بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.

أخباره عليه السلام كثيرة، وفضائله شهيرة، إن تصدينا لاستيعابها وانتخاب محاسنها كانت أكبر حجماً من جميع كتابنا هذا. مات صلوات الله عليه يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر، ومدة عمره فيها خلاف على ما نذكره فيما بعد، ولا بد من ذكر جمل من أمره على سبيل التاريخ يستدل بها على مجاري أمور، ونتبعها بذكر ولده ومن أعقب منهم ومن لم يعقب، وذكر شيء مما صح من شعره وحكمه.

وكان عليه السلام أول من وضع النحو وسن العربية، وذلك أنه مر برجل يقرأ: (إن الله بريء من المشركين ورسوله) بكسر اللام في رسوله، فوضع النحو وألقاه إلى أبي الأسود الدؤلي، وقد استوفينا خبر ذلك في باب أبي الأسود.

قرأت بخط أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى اللغوي في كتاب التهذيب له: قال أبو عثمان المازني: لم يصح عندنا أن علي بن أبي طالب عليه السلام تكلم من الشعر بشيء غير هذين البيتين:

تلكم قریش تمناني لتقتلني	ولا وجدك ما بروا ولا ظفروا
فإن هلكت فرفهن ذمتي لهم	بذات روقين لا يعفو لها أثر

قال: ويقال: داهية ذات روقين، وذات ودقين: إذا كانت عظيمة. كان قد بويح له يوم قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم كانت وقعة الجمل بعد ذلك بخمسة أشهر وأحدٍ وعشرين يوماً، وعدة من قتل في وقعة الجمل ثمانية آلاف، منهم من الأزرد خاصة أربعة آلاف، ومن ضبة ألف ومائة، وباقيهم من سائر الناس وقيل: أقل من ذلك. ومن أصحاب علي صلوات الله عليه نحو ألف. وكانت الوقعة لعشر خلون من جمادى الأولى سنة ستٍ وثلاثين، وكان بين وقعة الجمل والتقاءه مع معاوية بصفين سبعة أشهر وثلاثة عشر يوماً، وكان أول يوم وقعت الحرب بينهم بصفين غرة صفر سنة سبعٍ وثلاثين، واختلف في عدة أصحابهما فقيل: كن علي في تسعين ألفاً، وكان معاوية في مائةٍ وعشرين ألفاً، وقيل: كان معاوية في تسعين ألفاً، وعلي عليه السلام في مائةٍ وعشرين ألفاً، منهم خمسة وعشرون من الصحابة، وقتل من أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً. وقيل: غير ذلك، وكان الماقيم بصفين مائة يومٍ وعشرة أيام، وكانت الوقائع تسعين وقعةً، وبين وقعة صفين والتقاء الحكمين وهما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص بدومة الجندل خمسة أشهر وأربعة وعشرون يوماً، وبين التقاتل وخروج علي عليه السلام إلى الخوارج بنهروان وقتله إياهم سنة وشهران، وكان الخوارج أربعة آلافٍ عليهم عبد الله بن وهب الراسبي من الأزرد، وليس براسب بن جرم بن ريان، وليس في العرب غيرهما، فلما نزل علي عليه السلام تفرقوا فبقي منهم ألف وثمانمائة، وقيل: ألف وخمسمائة، فقتلوا إلا نفرًا يسيرًا، وكان سبب تفرق الخوارج عنه، أنهم تنازعوا عند الإحاطة بهم فقالوا: أسرعوا الروحة إلى الجنة، فقال عبد الله بن وهب ولعلها إلى النار، فقال: من فارقه، ترانا نقاتل مع رجلٍ شاكٍ. وبين خروجه إلى الخوارج وقتل ابن ملجم له لعنه الله تعالى سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام.

واختلف في مدة عمره، فقال قوم: إنه استشهد وله ثمان وستون سنة في قول من يذهب إلى أنه أسلم وله خمس عشرة سنة، وقيل: ست وستون وهو قول من يذهب إلى أنه أسلم وله ثلاث عشرة سنة، وقيل: ثلاث وستون وهو قول من يرى أنه أسلم وله عشر سنين، وقيل: ثمان وخمسون وهو قول من زعم أنه أسلم وله خمس سنين، وهذا أقل ما قيل في مقدار عمره.

واختلف في موضع قبره، فقيل: بالفري وهو الموضع المشهور اليوم، وقيل: بمسجد الكوفة، وقيل: برحبة القصر بها وقيل: حمل إلى المدينة فدفن مع فاطمة صلوات الله عليها وسلامه، وكان أسمر عظيم البطن أصلع أبيض الرأس واللحية، أدعج عظيم العينين، ليس بالطويل ولا القصير، تملأ لحيته صدره، ولا يغير شيبه، وكان له من البنين أحد عشر، الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية - وأمه خولة بنت جعفر سبية - وعمر - أمه أم حبيب الصهباء بنت ربيعة تغلبية -، والعباس - أمه أم البنين بنت خزام بن خالد بن بني عامر بن صعصعة -، وعبد الله يكنى أبا بكر، وعثمان وجعفر ومحمد الأصغر، وقيل: هو الذي يكنى أبا بكر، وعبيد الله ويحيى. المعقبون منهم خمسة: الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعمر والعباس عليهم السلام. وله من البنات ست عشرة: منهن زينب وأم كلثوم التي تزوجها عمر بن الخطاب، وأمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالعقب للحسن بن علي عليهما السلام من زيد والحسن، والعقب لزيد من الحسن بن زيد، والعقب للحسن بن الحسن من جعفر وداود وعبد الله والحسن وإبراهيم. والعقب لمحمد بن الحنفية من جعفر وعلي وعون وإبراهيم، والعقب لجعفر بن محمد من عبد الله، ولعلي بن محمد من محمد بن عون، ولعون بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن محمد. فأما أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وهو أكبر ولده، فقد ظن قوم أنه أعقب وليس الأمر كذلك. والعقب لمحمد بن علي بن أبي طالب من محمد ابن عمر، والعقب لمحمد بن عمر لعمر وعبد الله وجعفر. والعقب للعباس من عبيد الله بن العباس، والعقب لعبيد الله من الحسين وعبد الله عليهم الصلاة والسلام أجمعين. ومما يروى أن معاوية كتب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: إن لي فضائل، كان أبي سيداً في الجاهلية، وصرت ملكاً في الإسلام، وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخال المؤمنين وكاتب الوحي. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أبا الفضائل تقتخر علي يا ابن أكلة الأكباد؟ اكتب إليه يا غلام:

محمد النبي أخي وصهري	وحزمة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يضحي ويمسي	يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي	مشوب لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها	فأيكم له سهم كسهمي؟
سبقتكم إلى الإسلام طراً	صغيراً ما بلغت أوان حلمي

فقال معاوية: أخفوا هذا الكتاب لا يقرؤه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبي طالب.

قرأت في كتاب الأمالي لأبي القاسم الزجاج قال: حدثنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن رستم الطبري صاحب أبي عثمان المازني قال: حدثنا أبو حاتم السجستاني عن يعقوب بن إسحاق الخضري قال: حدثنا سعيد بن سلم الباهلي قال: حدثني أبي عن جدي عن أبي الأسود الدؤلي، أو قال: عن جدي عن ابن أبي الأسود الدؤلي عن أبيه قال: دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فرأيت مطرقاً مفكراً فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن أضع كتاباً في أصول العربية. فقلت: إن فعلت هذا يا أمير المؤمنين أحبيتنا وبقيت فينا هذه اللغة، ثم أتيت بعد أيام فألقى إلى صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم: الكلام كله اسم وفعل وحرف، والاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل. ثم قال لي: تتبعته وزد فيه ما وقع لك، واعلم يا أبا الأسود أن الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر وشئ ليس بظاهر ولا مضمر. قال: فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه وكان من ذلك حروف النصب، فكان منها إن وأن وليت ولعل وكان ولم أذكر لكن. فقال لي: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها. فقال: بل هي منها فزدها فيها. قال: أبو القاسم: قوله عليه السلام: الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر وشئ ليس بظاهر ولا مضمر، فالظاهر رجل وفرس وزيد وعمر وما أشبه ذلك، والمضمر نحو، أنا وأنت والتاء في فعلت والياء في غلامي والكاف في ثوبك وما أشبه ذلك. وأما الشئ الذي ليس بظاهر ولا مضمر فالمبهم، نحو هذا وهذه وهاتتا وتا ومن وما والذي وأي وكم ومتى وأين وما أشبه ذلك.

علي بن عبد الملك بن العباس القزويني

أبو طالب النحوي، كان أبوه أبو علي عبد الملك من أهل العلم ورواة الحديث، وسمع أبو طالب جماعة منهم: مهروية، وأبو الحسن علي بن إبراهيم القطان. قال الخليلي: وهو إمام في شأنه قرأنا عليه وأخذ عنه الخلق، ومات في آخر سنة ثمان وتسعين

وثلاثمائة. وخلف أولاداً صغاراً اشتغلوا بما لا يعينهم فقتلوا. وأخوه أبو الحسن علي سمع الحديث لكنه كان كاتباً فلم يسمع منه. وأبو علي ابنه سمع الحديث وقرأ الفقه، ثم اشتغل بالكتابة فمات في الغربة وقد انقطع نسله.

علي بن عبيدة الريحاني

أحد البلغاء الفصحاء، من الناس من يفضل على الجاحظ، في البلاغة وحسن التصنيف مات - أجلي مكانه - وكان له اختصاص بالمأمون ويسلك في تأليفاته وتصنيفاته طريقة الحكمة، وكان يرمى بالزندقة، وله مع المأمون أخبار منها: أنه كان بحضرة المأمون فجمش غلاماً فرأهما المأمون فأحب أن يعلم هل علم علي أم لا؟ فقال له: أرايت؟ فأشار علي بيده وفرق أصابعه أي خمسة وتصحيف خمسة جمشة، وغير ذلك من الأخبار المتعلقة بالفتنة والزكاة.

وقال جحظة في أماليه: حدثني أبو حرملة قال: قال علي بن عبيدة الريحاني: حضرني ثلاثة تلاميذ لي فجرى لي كلام حسن فقال أحدهم: حق هذا الكلام أن يكتب بالغوالي على خدود الغواني. وقال الآخر: بل حقه إن يكتب بانامل الحور على النور. وقال الآخر: بل حقه أن يكتب بقلم الشكر في ورق النعم. ومن مستحسن أخباره المطربة أنه قال: أتيت باب الحسن ابن سهل فأقمت بيباه ثلاثة أشهر لا أحظى منه بطائل فكتبت إليه:

مدحت ابن سهل ذا الأيدي وماله
وما ذنبه والناس إلا أقلهم
سأحمده للناس حتى إذا بدا
له في رأي عاد لي ذلك الحمد

فبعث إلى: - باب السلطان يحتاج إلى ثلاث خلال: مال وعقل وصبر - فقلت للواسطة: تؤدي عني؟ قلت تقول له: ولو كان لي مالي لأغنائني عن الطلب منك، أو صبر لصبرت على الذل ببابك، أو عقل لاستدلت به على النزاهة عن رفدك، فأمر لي بثلاثين ألف درهم. قرأت بخط أبي الفضل العباس بن علي بن برد الخباز: أخبرني أبو الفضل أحمد بن طاهر قال: كنت في مجلس بعض أصدقائي يوماً وكان معي علي بن عبيدة الريحاني في المجلس، وفي المجلس جارية كان علي يحبها فجاء وقت الظهر فقمنا إلى الصلاة وعلي والجارية في الحديث فاطال حتى كادت الصلاة تقوت، فقلت له يا أبا الحسن: قم إلى الصلاة فأولماً بيده إلى الجارية وقال: حتى تغرب الشمس، أي حتى تقوم الجارية. قال: فجعلت أتعجب من حسن جوابه وسرعته وكنايته. وله من الكتب: كتاب المصون، كتاب التدرج، كتاب رائد الرد، كتاب المخاطب، كتاب الطارف، كتاب الهاشمي، كتاب الناشئ، كتاب الموشح، كتاب الجد، كتاب شمل الألفة، كتاب الزمام، كتاب المتحلي، كتاب الصبر، كتاب سيارها، كتاب مهرزاد خشيش، كتاب صفة الدنيا، كتاب روشنائدل، كتاب سفر الجنة، كتاب الأنواع، كتاب الوشيح، كتاب العقل والجمال، كتاب أديب جوانشير، كتاب شرح الهوى، كتاب الطارس، كتاب المسجي، كتاب أخلاق هارون، كتاب الأسنان، كتاب الخطب، كتاب الناجم، كتاب صفة الفرس، كتاب النبيه، كتاب المشاكل، كتاب فضائل إسحاق، كتاب صفة الموت، كتاب السمع والبصر، كتاب اليأس والرجاء، كتاب صفة العلماء، كتاب أنيس الملك، كتاب المؤمل والمهيب، كتاب ورود وودود الملكتين، كتاب النملة والبعوضة، كتاب المعاقبات، كتاب مدح النديم، كتاب الجمل، كتاب خطب المنابر، كتاب النكاح، كتاب الإيقاع، كتاب الأوصاف، كتاب امتحان الدهر، كتاب الأجواد، كتاب المجالسات، كتاب المناديات.

قال: سأل المأمون يحيى بن أكنم وثمامة بن أشرس وعلي بن عبيدة الريحاني عن العشق ما هو؟ فقال علي بن عبيدة الريحاني: العشق ارتياح في الخلقة، وفكرة تجول في الروح، وسرور منشؤه الخواطر، له مستقر غامض، ومحل لطيف المسالك، يتصل بأجزاء القوى، ينساب في الحركات. وقال يحيى: العشق سوانح تسنح للمرء فيهم لها ويؤثرها. قال ثمامة: يا يحيى، إنما عليك أن تجيب في مسألة في الطلاق أو عن محرم يصطاد طبيباً، وأما هذه فمسألتنا. قال له المأمون: فما العشق يا ثمامة؟ فقال: إذا تقادمت جواهر النفوس بوصف الشكالة أحدثت لمع برق ساطع تستضيء به نواظر العقول، وتشرق له طبائع الحياه فيتولد من ذلك البرق نور خاص بالنفس متصل بجوهريتها يسمى عشقاً. قال المأمون: يا ثمامة أحسنت، وأمر له بالآلاف دينار.

علي بن عبيد الله بن الدقاق

أبو القاسم الدقيقي النحوي. أحد الأئمة العلماء هذا الشأن، أخذ عن أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي وأبي الحسن الرماني، وكان مباركاً في التعليم، تخرج عليه خلق كثير لحسن خلقه وسجاجة سيرته، وكان مولده سنة خمس وأربعين وثلاثمائة، ومات فيما ذكره هلال ابن المحسن في تاريخه، في سنة خمس عشرة وأربعمائة. وله تصانيف منها: كتاب شرح الإيضاح رأيته منسوباً إليه، وأنا أظنه شرح علي بن عبيد الله السمسعي لأنه محشو بقوله: قال السمسعي. وما أدرى الدقاق ممن أخذ عن

السهماني وهو أكبر سنًا منه، ومشايخهما ووفاتهما واحدة، ولكن اشتبه الأسم فنسب إلى هذا لشهرته بالنحو. وللدقيقي أيضاً كتب شرح الجرمي كتاب العروض رأيت، كتاب المقدمات.

وذكر القاضي أبو المحاسن بن مسعر قال: أبو القاسم علي بن عبيد الله الدقيقي صاحب أبي الحسن علي بن عيسى الرماني، قرأ عليه كتاب سيبويه قراءة تفهم، وأخذ بذلك خطه عليه وأنتفع الناس به، وعنه أخذت، وعلى روايته عولت.

علي بن عبيد الله السهمي

أبو الحسن اللغوي النحوي. كان جيد المعرفة بفنون علم العربية، صحيح الخط غاية في إتقان الضبط، قرأ على أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي. وكان ثقة في روايته، مات في المحرم سنة خمس عشرة وأربعمئة في خلافة القادر بالله. حدث ابن نصر قال: حدثني الشيخ أبو القاسم بن برهان النحوي قال: قال لنا أبو الحسن السهمي - وقد سأله رجل مسألة من مسائل النوكي - وحضر مجلس أبي عبيدة رجل فقال: - رحمك الله - أبا عبيدة ما العنجد؟ قال: - رحمك الله - ما أعرف هذا، قال: سبحان الله أين يذهب عن قول الأعشى؟

يوم تبدى لنا قتيله عن جي
دِ تليع يزينه الأطواق

فقال: - عافاك الله - عن حرف جاء لمعنى. والجيد: العنق. ثم قام آخر في المجلس فقال: أبا عبيدة - رحمك الله - ما الأودع؟ قال: - عافاك الله - ما أعرفه. قال: سبحان الله أين أنت عن قول العرب زاحم يعود أودع؟ فقال: ويحك، هاتان كلمتان. والمعنى أو اترك أو ذر، ثم استغفر الله وجعل يدرس فقام رجل فقال: - رحمك الله - أخبرني عن كوفاء، أمن المهاجرين أم من الأنصار؟ قال: قد رويت أنساب الجميع وأسماءهم ولست أعرف فيهم كوفاً. قال: فأين أنت عن قوله تعالى؟ (والهدى معكوفاً). قال: فأخذ أبو عبيدة نعليه واشتد ساعياً في مسجد البصرة يصيح بأعلى صوته: من أين حشرت البهائم على اليوم؟ ورأيت جماعة من أهل العلم يزعمون أن النسبة إلى السهمي والسهماني واحد يقال هذا ويقال هذا. وكان أبو الحسن هذا مليح الخط صحيح الضبط حجة فيما يكتبه، ومن هذا البيت جماعة كتاب مجيدون نذكر منهم في مواضعهم من يقع إلينا حسب الطاقة.

وحدث غرس النعمة بن الصائب في كتاب الهفوات قال: كان أبو الحسن السهماني متطيراً فخرج يوم عيد من داره فلقبه بعض الناس فقال له مهناً: عرف الله سيدنا الشيخ بركة هذا اليوم فقال: وإياك يا سيدي، وعاد فأغلق بابيه ولم يخرج يومه. وجدت في بعض الكتب هذه الأبيات المنسوبة إلى أبي الحسن السهمي:

دع مقلتي تبكي عليك بأربع	إن البكاء شفاء قلب الموضع
ودع الدموع تكف جفني في الهوى	من غاب عنه حبيب لم يجمع
ولقد بكيت عليك حتى رق لي	من كان فيك يلومني وبكى معي
ووجدت بخط أبي الحسن السهماني على ظهر كتاب المزني صاحب الشافعي رحمهما الله أنه كان كثيراً ما يتمثل:	
يصون الفتى أثوابه حذر البلى	ونفسك أخرى يا فتى لو تصونها
فمن ذاك الذي يركاك بالغيب أو يرى	لنفسك إكراماً وأنت تهينها؟
قرأت بخط الشيخ أبي محمد بن الخشاب النحوي، أنشدنا أبو بكر الخطيب، أنشدنا علي بن عبيد الله السهمي النحوي:	
أترى الجيرة الذين تنادوا	بكرة للنزال قبل الزوال؟
علموا أنني مقيم وقلبي	معهم راحل أمام الجمال
مثل صاع العزيز في أرحل القو	م ولا يعلمون ما في الرحال

علي بن عساكر بن المرحب

أبو الحسن المقرئ النحوي، المعروف بالبطائحي الضرير. كان يزعم أنه من عبد القيس، وهو من قرية من قرى البطائح تعرف بالمحمدية قريبة من الصليق، مات ببغداد في ثامن عشر من شعبان سنة اثنتين وسبعين وخمسائة، ومولده سنة تسع وأربعمائة، وكان قد قدم بغداد واستوطنها إلى حين وفاته، وقرأ القرآن على أبي العز القلانسي الواسطي، وأبي عبد الله البارع بن الدباس، وأبي بكر بن المرزقي، وأبي محمد ابن بنت الشيخ. وقرأ النحو على البارع وغيره، وسمع الحديث من جماعة. وأقرأ الناس مدةً وحدث الكثير، وكان ثقة مأموناً. قال صدقة بن الحسين بن الحداد في تاريخه: كان سبب وفاة البطائحي أنه ظهر به باصور مما يلي تحت كتفه فبقي به مدةً طويلةً ينز إلى خارج البدن، ثم انفتح إلى باطنه فهلك به، وأوصى لطغندي صاحبه

الذي كان يقرأ عليه الحديث ويقربه من جهة النساء بثلاث ماله، ووقف كتبه على مدرسة الشيخ عبد القادر الجليلي، وخلف مقدار أربعمائة دينار وداراً في دار الخلافة

علي بن علي

أبو الحسن البرقي. قال الحافظ أبو الحسن علي بن الفضل المقدسي: في ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة مات علي بن علي أبو الحسن البرقي النحوي الشاعر، ولم يذكر غير ذلك

علي بن عراق الصناري

أبو الحسن الخوارزمي، مات سنة تسع وثلاثين وخمسمائة بمذانة قرية من قرى خوارزم، ذكر ذلك أبو محمد محمود بن محمد بن أرسلان في تاريخ خوارزم وقال: كان نحويًا لغويًا عروضيًا فقيهاً مفسراً مذكوراً، قرأ الأدب على الشيخ أبي علي الضرير النيسابوري، والفقه بخوارزم على الإمام أبي عبد الله الوبري، ثم ارتحل في الفقه إلى بخارى فتفقه بها على مشايخها، ثم عاد إلى جرجانية خوارزم فتكلم في مسائل مع أئمتها، ثم تحول إلى قرية مذانة وتوطنها، وكان يعظ في المسجد الجامع بها غداة الجمعة وكان يحفظ اللغات الغربية والأشعار العويصة، وصنف كتاب شماریخ الدرر في تفسير القرآن، ولما فرغ منه كتب في آخره:

فرغنا من كتابته عشياً وكان الله في عوني ولياً

وقد أدرجته نكتاً حسناً ومعنى يشبه الرطب الجنيا

قال: وقرأت بخط أبي عمرو البقال: كان من لطائف الصناري إذا نام واحد من أهل الرستاق في مجلسه ناداه من على المنبر بأعلى صوته: يا أيها التيس المذاني، أترك المنام واسمع الكلام، ثم ينشده:

وصاحب نيهته لينهضاً إذا الكرى في عينه تمضمضاً

فقام عجلان وما تأرضاً وثم بالكفين وجهاً أبيضاً

ثم يقول تمضمض من النعاس: إذا دب في عينيه، ومنه المضمضة في الوضوء، سميت بذلك لأن الغاسل يمضمض الماء في فمه: أي يديره ويجريه فيه

علي بن عيسى أبو الحسن الصانع

النحوي الرامهرمزي، قال القاضي أبو علي التنوخي: حدثني أبو عمر أحمد بن محمد بن حفص الخلال قال: كان أبو الحسن الصانع النحوي الرامهرمزي واسع العلم والأدب مليح الشعر، وهو صاحب القصيدة التي أولها - من الأصل - وفيها تجوز كثير وأمر بخلاف الجميل قالها على طريق التخالع والتطاييب، وكان صالحاً معتقداً للحق لا عن اتساع في العلم - يعني علم الكلام - ولكنه كان واسع المعرفة بالنحو واللغة والأدب، وأبو الحسن الصانع هذا هو أستاذ أبي هاشم بن أبي بكر المبرمان في النحو، قرأ عليه لما ورد باليصرة واستفاد منه حتى بلغ أعلى مراتب النحو حتى قال ابن درستوية: اجتمعت مع أبي هاشم فالتقى إلي بمائتي مسألة من غريب النحو ما سمعت بها قط ولا كنت أحفظ جوابها، وقد ذكرت قصته مع أبي هاشم بكمالها في ترجمة أبي هاشم

وقال أبو عمر الخلال: أنفذ بي الصيدلاني أبو عبد الرحمن المعتزلي غلام أبي علي الجبائي إلى أبي الحسن الرامهرمزي وقال لي: قل له: إني قرأت البارحة في كتاب شيخنا أبي علي في تفسير القرآن في قوله تعالى: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً) أي بينا لكل نبي عدوه، فجعل جعل بمعنى بين. ولست أعرف هذا في اللغة، فاحفظ جوابه وجنتي به. قال: فجئت إلى أبي الحسن فأخبرته بذلك عن عبد الرحمن فقال: نعم، هذا معروف في لغة العرب. وقد قال العريفي العنسي - بالنون -:

جعلنا لهم نهج الطريق فأصبحوا على ثبت من أمرهم حيث يمموا

قال: فعدت إلى عبد الرحمن فعرفته ذلك. - قلت هكذا وجدت هذا الخبر، والكلمة المسئول عنها غير مبينة، فمن عرفها وكان من أهل العلم فله أن يصلحها -.

وقال أبو محمد عبيد الله بن أبي القاسم عبد المجيد ابن بشران الخوزستاني: وفي سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة مات أبو الحسن علي بن عيسى الصانع الرامهرمزي الشاعر، وقد كان شخص إلى إبراهيم المسمعي، ثم عدل إلى درك بسيراف، فخرج مع درك في هيج كان من العامة بها، وقد رموه بالمقالب فأصاب علي بن عيسى حجر فهلك، وكان شاعراً عالماً. فمن شعره:

سهادى غير مفقود
وجرى الدمع في الخد
لفعل الشيب في اللم
لقد صار بي الشيب
وما المرء إذا شاب
وهي طويلة مدح فيها أهل البيت وكان لهم مداحاً.

ونومي غير موجود
كنظم الدر في الجيد
مة لا للخرد الغيد
إلى لوم وتفنيد
لديهن بمودود

علي بن عيسى بن داود بن الجراح

أبو الحسن الوزير. كانت منزلته من الرياسة ومعرفته بالعدل والسياسة تجل عن وصفها، ومن حسن الصناعة والكفاية ما هو مشهور مذكور، وزر للمقتدر بالله دفعتين، ومات في ليلة اليوم الذي عبر معز الدولة في صبيحته إلى بغداد، وهو يوم الجمعة انتصاف الليل من سلخ ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، ودفن في داره وعمره تسع وثمانون سنة ونصف، وحم يوماً واحداً، ومولده في جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائتين، وله كتاب جامع الدعاء، كتاب معاني القرآن وتفسيره، أعانه عليه أبو الحسين الواسطي وأبو بكر بن مجاهد، كتاب رسائله. كان تقلده للوزارة الأولى في المحرم سنة إحدى وثلاثمائة، وبقي فيها أربع سنين غير شهر، والآخرى في صفر سنة خمس عشرة وثلاثمائة، وبقي فيها سنة وأربعة أشهر ويومين، وكان يستغل ضياعة في السنة بسبعمائة ألف دينار، يخرج منها في وجوه البرستين وستمائة ألف دينار، وينفق أربعين ألف دينار على خاصته، وكانت غلته عند عطلته ولزومه بيته نيفاً وثمانين ألف دينار، يخرج منها في وجوه البر نيفاً وأربعين ألفاً، وينفق ثلاثين ألفاً على نفسه، وكان يرتفع لابن الفرات وهو متعطل ألف ألف دينار. قال: الصولي ولا أعلم أنه وزر لبني العباس وزير يشبهه في زهده وعفته وحفظه للقرآن وعلمه بمعانيه، وكان يصوم نهاره ويقوم ليله.

قال الصولي: ولا أعلم أنني خاطبت أحداً أعرف منه بالشعر، وكان يوقع بيده في جميع ما يحتاج إليه مما كان يوقع فيه أصحاب الدواوين في وزارته، فسألت أبا العباس أحمد بن طومار الهاشمي عن السبب فقال: قد اقتصر في نفقته وأجرى الفاضل على أولاد الصحابة بالمدينة، وجلس للمظالم أنصف الناس وأخذ للضعيف من القوي، وتناصف الناس بينهم، ولم يروا أعف بطناً ولساناً وفرجاً منه، ولما عزل في وزارته الثانية وولى ابن الفرات لم يقنع المحسن ابن أبي الحسن بن الفرات إلا بإخراجه عن بغداد، فخرج إلى مكة فأقام بها مهاجراً وقال في نكبتة:

ومن يك عني سائلاً لشماتة
فقد أبرزت مني الخطوب ابن حرة
لما نابني أو شامتاً غير سائل
صبوراً على أهوال تلك الزلازل
إذا نزلت بالخاشع المتضائل
إذا سر لم يبطر وليس لنكبة

ولما جلس كان يلبس ثيابه ويتوضأ للصلاة ويقوم ليخرج لصلاة الجمعة، فيرده المتوكلون فيرفع يده إلى السماء ويقول: اللهم أشهدك أنني أريد طاعتك ويمعني هؤلاء، وأشار على المقتدر أن يقف العقار ببغداد على الحرمين والثغور، وغلته ثلاث عشرة ألف دينار في كل شهر، والضيايع الموروثة بالسواد وارتفاعها نيف وثمانون ألف دينار سوى الغلة، ففعل ذلك وأشهد على نفسه الشهود، وأفرد لهذه الوقوف ديواناً سماه ديوان البر. ورأى آثار سعيه لآخرته في دنياه، فإنه سلم من جميع البلاء على كثرة من عاداه وقصده، ومنع حواشي المقتدر من المحالات وحملهم على السيرة الحميدة، فأفسدوا أمره حتى اعتقل ثمانية عشر شهراً، ثم نفى إلى مكة واليمن ومصر، ثم عاد ووزر بعد ذلك، واحتاج إلى المشي في بعض أسفاره فجعل يتمثل:

قد علمت إختوتنا كلاب
أنا على دقتنا صلاب

وكان الديلم عند دخولهم إلى بغداد إذا اجتازوا على محلته تجنبوها ويقولون: هاهنا دار الوزير الصالح، وكانت داره على دجلة وهي المعروفة بالسبطيني، واحتاجت مسناتها إلى مرمة ففقدوا لها صناعاتها ثلاثة آلاف دينار، فلما أحضر الدنانير قال: صرفها إلى الصدقة أولى، فليس اليوم على دجلة بين البلد والمعزية غيرها وهي مشهورة ببغداد إلى يومنا هذا. قد عمل عليها عدة دواليب لسقي مزارع الزاهر، ونزل يوماً في طيارة فاجتمع عليه قوم يسألونه توقيماً فقال: نعم وكرامة حتى أرجع وأوقع، ثم قال: ومن لي بان أرجع؟ ووقع لهم قائماً ثم قال: اقتديت في هذا الفعل بعمر بن عبد العزيز، فإنه وقف على متظلم وأطال الوقوف حتى قضى حاجته وقال: إن الخير سريع الذهاب، وخشيت إن أفوته نفسي.

ولما ورد البريدي إلى بغداد مستولياً عليها متغلباً خوف منه وقيل: الصواب أن تهرب إلى الموصل فقال: أيهرب مخلوق إلى مخلوق؟ أصرفوا ما أعدته لنفقة الطريق إلى الفقراء. فلما دخل البريدي لم يكرم أحداً غيره، وكثر الموتان ببغداد في أيام

البريدي، فكفن علي بن عيسى من الغرباء والفقراء ما لا يحصى كثرة، حتى نفذ ما كان عنده فاستدان لذلك أموالاً كثيرة، وكان يجري على خمسة وأربعين ألف إنسان جريات تكفيهم، وخدم السلطان سبعين سنة لم يزل فيها نعمة عن أحد، وأحصى له في أيام وزارته نيف وثلاثون ألف توقيع من الكلام السديد، ولم يقتل أحداً ولا سعى في دمه، فبقيت عليه نعمته وعلى ولده بعد أن شحذت له المدى مراراً، فدفع الله عنه وأهلك ظالمه، ولم يهلك حرمة قط لأحد فلم يهلك الله له حرمة مع كثرة نكباته، وكان على خاتمه مكتوب:

لله صنع خفي في كل أمر يخاف

وكان له ابن يكنى أبا نصر واسمه إبراهيم، وزر للمطيع في شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين، ومات في جمادى الأولى سنة خمسين وثلاثمائة فجأة. وابن يكنى أبا القاسم واسمه عيسى بن علي كتب اللطائف لله. ودخل علي بن عيسى على أبي نصر وأبي محمد ولدى القاضي أبي الحسن عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف يعزيهما بموت أبيهما، فلما أرد الانصراف التفت إليهما وقال: مصيبة قد وجب أجرها، خير من نعمة لا يؤدي شكرها. وهذا عندي من حر الكلام وفصل الخطاب.

علي بن عيسى الرماني

بن علي بن عبد الله الرماني أبو الحسن الزوراق، كذا قال الزبيدي. وقال التنوخي: وهو يعرف بالإخشيدي. قال التنوخي: وممن ذهب في زماننا إلى أن علياً عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعتزلة: أبو الحسن علي بن عيسى النحوي المعروف بابن الرماني الإخشيدي. قال المؤلف: أرى أنه كان تلميذ ابن الإخشيد المتكلم أو على مذهبه، لأنه كان متكلماً على مذهب المعتزلة، وله من ذلك تصانيف ماثورة، وكان إماماً في علم العربية علامة في الأدب، في طبقة أبي علي الفارسي وأبي سعيد السيرافي. وكان قد شهد عند أبي محمد بن معروف. مات في حادي عشر جمادى الأولى سنة أربع وثمانين وثلاثمائة في خلافة القادر بالله. ومولده في سنة ست وسبعين ومائتين. أخذ عن ابن السراج وابن دريد والزجاج. وله تصانيف في جميع العلوم من النحو واللغة والنجوم والفقه والكلام على رأي المعتزلة كما ذكرنا، وكان يمزج كلامه في النحو بالمنطق حتى قال أبو علي الفارسي: إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معه منه شيء، وكان يقال: النحويون في زماننا ثلاثة: واحد لا يفهم كلامه وهو الرماني، وواحد يفهم بعض كلامه وهو أبو علي الفارسي، وواحد يفهم جميع كلامه بلا أستاذ وهو السيرافي.

وللرماني من التصانيف الأدبية: كتاب تفسير القرآن المجيد، كتاب الحدود الأكبر، كتاب الحدود الأصغر، كتاب معاني الحروف، كتاب شرح الصفات، كتاب شرح الموجز لابن السراج، كتاب شرح الألف واللام للمازني، كتاب شرح مختصر الجرمي، كتاب إعجاز القرآن، كتاب شرح أصول ابن السراج، كتاب شرح سببويه، كتاب المسائل المفردات من كتاب سببويه، كتاب شرح المدخل للمبرد، كتاب التصريف، كتاب الهجاء، كتاب الإيجاز في النحو، كتاب الاشتقاق الكبير، كتاب الاشتقاق الصغير، كتاب الألفات في القرآن، كتاب شرح المقتضب، كتاب شرح معاني الزجاج.

قرأت بخط أبي حيان التوحيدي في كتابه الذي ألفه في تقييد الجاحظ - وقد ذكر العلماء الذين كانوا يفضلون الجاحظ - فقال: ومنهم علي بن عيسى الرماني فإنه لم ير مثله قط بلا تقييد ولا تحاش ولا اشمزاز ولا استيحاش علماً بالنحو، وغزارة في الكلام وبصراً بالمقالات، واستخراجاً للعويص وإيضاحاً للمشكل، مع تأله وتنزه ودين ويقين وفصاحة، وفقاهة وعفافة ونظافة.

وقرأت بخط أبي سعد: سمعت أبا طاهر السنجي، سمعت أبا الكرم بن الفاخر النحوي، سمعت القاضي أبا القاسم علي بن المحسن التنوخي، سمعت شيخنا أبا الحسن علي ابن عيسى الرماني النحوي يقول وقد سئل، فقيل له: لكل كتب ترجمه، فما ترجمة كتاب الله عز وجل؟ فقال: (هذا بلاغ للناس ولينذروا به).

وقال أبو حيان: سمعت علي بن عيسى يقول لبعض أصحابه: لا تعادبن أحداً وإن ظننت أنه لن ينفعك، فإنك لا تدري متى تخاف عدوك أو تحتاج إليه؟ ومتى ترجو صديقك أو تستغني عنه؟ وإذا اعتذر إليك عدوك فاقبل عذره، وليقل عيبه على لسانك. قال أبو حيان: ورأيت في مجلس علي بن عيسى النحوي رجلاً من مرو يسأله عن الفرق بين من وما، ومن ومم، فأوسع له الكلام وبين، وقسم وفرق، وخدم مثل، وعلق كل شيء منه بشرطه من غير أن فهم السائل أو تصور، وسأل إعادته عليه وإبانته له، ففعل ذلك مراراً من غير تصور حتى أضجره، ومن حد الحلم أخرجه. فقال له: أيها الرجل، يلزمني أن أبين للناس وأصور لمن ليس بناعس، وما علي أن أفهم البهم والشقر والدهم، مثلك لا يتصور هذه المسألة بهذه العبارة وهذه الأمثلة، فإن أرحتنا ونفسك فذاك، وإلا فقد حصلنا معك على الهلاك، قم إلى مجلس آخر ووقت غير هذا. فأسمعه الرجل ما ساء الجماعة، وعاد بالوهن والغضاضة، ووثب الناس لضربه وسحبته، فمنعهم من ذلك أشد منع بعد قيامه من صدر مجلسه ودفع الناس عنه وأخرجه

صاغراً ذليلاً مهيناً والتفت إلى أبي الحسن الدقاق وقال له: متى رأيت مثل هذا فلا يكونن منك إلا التؤدة والاحتمال؟ والإقتصير نظيراً لخصمك، وتعدم في الوسط فضل التمييز. وأنشأ يقول:

ولولا أن يقال هجا نميراً
ولم يسمع لشاعرها جواباً
رغبنا عن هجاء بني كليب
وكيف يشاتم الناس الكلاباً؟

علي بن عيسى الربيعي

بن الفرّج بن صالح الربيعي الزهيري أبو الحسن النحوي، أحد أئمة النحويين وحذاقهم، أجيد النظر الدقيق الفهم والقياس، أخذ عن أبي سعيد السير أفي وهاجر إلى شيراز فأخذ عن أبي علي الفارسي ولازمه عشرين سنة، فقال أبو علي: ابق شيء تحتاج إليه، ولو ثرت من الشرق إلى الغرب لم تجد أعرف منك بالنحو، ثم رجع إلى بغداد فأقام بها إلى أن مات سنة عشرين وأربعمائة عن نيف وتسعين سنة، وصنف تصانيف منها: كتاب شرح الإيضاح لأبي علي، كتاب شرح مختصر الجرمي، كتاب البديع في النحو، كتاب شرح البالغة، كتاب ما جاء من المبني على فعال، كتاب التنبيه على خطأ ابن جني في تفسير شعر المتنبي، كتاب شرح سيبويه إلا أنه غسله، وذلك أن أحد بني رضوان التاجر نازعه في مسألة فقام مغضباً وأخذ شرح سيبويه وجعله في إجانة وصب عليه الماء وغسله، وجعل يلطم به الحيطان ويقول: لا أجعل أولاد البقالين نحاةً. وكان مبتلياً يقتل الكلاب وكسر سوقهم ويقول: ما الذي يمنعهم من نزول الشط؟ فقل له: يمنعهم كلاب القصابين وسأل يوماً أولاد الأكابر الذين يحضرون مجلسه أن يمشوا معه إلى كلوادي فظنوا ذلك لحاجة عرضت له هناك، فركبوا خيولاً وجعل وهو يمشي بين أيديهم وسألوه الركوب فأبى عليهم، فلما صار بخرابها وقفهم على ثلم وأخذ كساء وعصا، وما زال يدعو إلى كلب هناك والكلب يثب عليه تارة ويهرب منه أخرى حتى أعياه، نوه حتى أمسكوه وعض على الكلب بأسنانه عضاً شديداً والكلب يستغيث ويزعق، فما تركه حتى اشتفى وقال: هذا عضني منذ أيام وأريد إن أخالف قول الأول:

شاتمني كلب بني مسمع
فصنت عنه النفس والعرض
ولم أجبه لاحتقاري له
من ذا يعض الكلب إن عضاً؟

وكان يوماً يمشي على شاطئ دجلة والرضى والمرضى العلويان في زيزي ومعهما أبو الفتح عثمان بن جني فقال لهما: من أعجب أحوال الشريفيين أن يكون عثمان بن جني فقال لهما: من أعجب أحوال الشريفيين أن يكون عثمان جالساً معهما في الزيزب وعلي يمشي على الشط بعيداً منهما. حدث أبو غالب محمد بن بشران النحوي الواسطي قال: قدم علينا علي بن عيسى الربيعي النحوي إلى واسط ونزل في حجرة في جوار شيخنا أبي إسحاق يوماً: قد انعكفت على هذا المجنون؟ فقلت له: إنه يحكي النحو عن أبي علي كما أنزل. فقال: صدقت، وهو يحكي النحو عن أبي علي كما أنزل. وحدث ابن بشكوال في كتاب الصلة في أخبار علماء الأندلس قال: قال الربيعي: كان عبد الله بن حمود الزبيدي الأندلسي قد قرأ يوماً على أبي علي في نوادر الأصمعي: أكأت الرجل: إذا رددته عنك، فقال أبو علي: ألحق هذه الكلمة بباب أجأ فإني لم أجد لها نظيراً غيرها، فسارع من حوله إلى كتابتها. وقال الربيعي: فقلت أيها الشيخ: ليس أكأت من أجأ في شيء. قال: وكيف ذلك؟ قال: قلت لأن إسحاق بن إبراهيم الموصلي وقطرباً النحوي حكياً إنه يقال: كيا الرجل: إذا جبن، فحجل الشيخ وقال: إذا كان كذا فليس منه، فضرب كل واحدٍ منهم على ما كتب. قرأت بخط هلال بن المظفر الريحاني في كتاب ألفه: ذكر غير واحدٍ من أهل زنجان أن رجلاً منها يعرف بجابر بن أحمد خرج إلى بغداد متادباً، فحين دخل قصد بن عيسى النحوي بعد أن لبس ثياباً فاخرةً عطرةً وتجميل وتزين ودخل عليه وسلم. فقال له علي بن عيسى: من أين الفتى؟ قال: من الزنجان بألفٍ ولامٍ، فعلم الربيعي أن الرجل خالٍ من الفضل فقال: متى وردت؟ قال: أمس. فقال: جئت رجلاً أم راكباً؟ فقال: بل راكباً. قال: المركوب مكترى أم مشترى؟ قال: بل مكترى. فقال الشيخ: مر واسترجع الكرى فإنه لم يحمل شيئاً، ثم أنشد الشيخ:

وما المرء إلا الأصغران لسانه
ومعقوله والجسم خلق مصور
فإن طرة رافتك فاخبر فرما
أمر مذاق العود والعود أخضر

قال علي بن عيسى الربيعي: استدعاني عضد الدولة وبين يديه الحماسة فوضع يده على باب الأضياف وقال: ما تقول في هذه الأبيات؟

ومستبج بات الصدى يستتبيه
إلى كل صوتٍ وهو في الرجل جانح
فقلت لأهلي: ما بغام مطية
وسار أضافته الكلاب النوايح؟

فقلت: هذا قول عقبة بن بجير الحارث، ومعناه: أن العرب كانت إذا ضلت في سفر وصارت بحيث تظن أنها قريبة من حلة نبحت لتسمعها الكلاب فتجيبها، فيعرفون به موضع القوم فيقصدهونه ويستضيفون فيضافون فقال: إن قوماً يشبهون بالكلاب حتى يضافوا لأدنياء النفوس، فوجمت بين يديه وأنا واقف وهو ينظر إلي، وكان من عاداتنا أنه ما دام ينظر إلى أحدنا لم يزل

واقفاً بين يديه حتى يرد طرفه. قال: ثم فكر فقال: لا بل إن أقواماً يستنبحون في هذا القفر والمكان الجذب فيستضيفون فيضافون مع الإقلال والعدم لقوم كرام وأمر لي بجائزة فدعوت له وانصرفت.

قرأت بخط أبي الكرم المبارك بن الفاخر بن محمد ابن يعقوب: قال لنا الرئيس أبو البركات جبر بن علي ابن عيسى الربعي: قال لي أبي: أخرج إلى عضد الدولة بيده مجلداً بأدم مبطن بدبياج أخضر في أنصاف السلطاني مذهبٍ مفصولٍ بالذهب بخطٍ أحسن، فيه شعر مدبر وحسن ليس له معنى. فقال لي: كيف ترى هذا الشعر؟ فقلت: شعر مدبر والذي قاله خرب البيت مسود الوجه، ثم يمضي على ذلك زمان، ودخلت إليه فأومأ إلى خادم وقال له: امض إلى مرقدنا وجئنا بشعرنا، فمضي وجاء بالمجلد بعينه وهو هو فأبilst فقال: كيف تراه؟ وتلجلج لساني ورباً في فمي، فقلت حسناً جيداً، ولم ير في ذلك شيئاً ألبته.

قرأت بخط الشيخ أبي محمد بن الخشاب: جازيت الشيخ أبا منصور موهوب بن الجواليقي ذكر أبي الحسن علي بن عيسى بن صالح بن الفرج الربعي صاحب أبي علي الفارسي، فأخذت في تقيظه وتفضيله وقال لي: كان يحفظ الكثير من أشعار العرب مما لم يكن غيره من نظرائه يقوم به، إلا أن جنونه لم يكن يدعه يتمكن منه أحد في الأخذ عنه والإفادة منه. قال: وقال لي الشيخ أبو زكرياء: سألت أبا القاسم بن برهان فقلت له: يا سيدنا، تترك الربعي والأخذ عنه مع إدراكك إياه وتأخذ عن أصحابه؟ فقال لي: كان مجنوناً وأنا كما ترى، فما كنا؟ قال: ولقد مر يوماً بسكران ملقي على قارعة الطريق فحل سرواله يعني سروال الربعي، وجلس على أنفه وجعل يضطرط ويشمه السكران ويقول له:

تمتع من شميم عرار نجد
فما بعد العشية من عرار

علي بن عيسى يعرف بابن وهاش

بن حمزة بن وهاس، أبي الطيب يعرف بابن وهاش، من ولد سليمان بن حسن بن علي ابن أبي طالب عليه السلام. وذكر العماد في موضع آخر عن دهمس بن وهاس بن عتود بن حازم بن وهاس الحسني: أن علي بن عيسى مات بمكة في سنة نيف وخمسمائة. وكان في عشر الثمانين، وكان أصله من اليمن من مخلاف ابن سليمان، وكان شريفاً جليلاً هماماً من أهل مكة وشرفائها وأمرائها، وكان ذا فضلٍ عزيز. وله تصانيف مفيدة وقريحة في النظم والنثر مجيدة، قرأ على الزمخشري بمكة وبرز عليه، وصرفت أجنة طلبة العلم إليه، وتوفي في أول ولاية الأمير عيسى بن فليته أمير مكة في سنة نيف وخمسين وخمسمائة، وكان الناس يقولون: ما جمع الله لنا بين ولاية عيسى وبقاء علي بن عيسى.

وله شعر منه في مرثية الأمير قاسم جد الأمير عيسى:

يا حادي العيس على بعدها	وخادة تسحب فضل النعال
رفه عليهن فلا قاسماً	لها على الأين وفرط الكلال
غاض النمير العذب يا وارداً	وحال عن عهدك ذاك الزلال
إن يمض لا يمض بطئ القرى	أو يود لا يود ذميم الفعال
وله مدح في الزمخشري ذكرته في ترجمته. ومن شعره:	
صلى حبل الملاءمة أو فبتى	وكفى من عتابك أو أشتى
هي الأنضاء عزمة ذي هموم	فحسبك والملام ولا هبلت
إليك فلست ممن يطبيه	ملام أو يريع إذا أهبت
حلفت بها تواءم كالحنايا	بقايا ما بها كئتمال قلت
سواهم كالحنايا زاحرات	تركع من وجى ودباً وعنت
جوازع بطن نخلة عابرات	تؤم البيت من خمس وست
أزال أديب أنضاء طلاحاً	بكل ملمع القفرات مرت
وأرغب عن محل فيه أضحت	حبال المجد تضعف عند متى
أما جربت يا أيام منى	فروك تجمع وحليف شت
أبي ما عجمت صفاه إلا	وأثر في نيوبك ما عجمت
ورب أخ كريم المجد محض	يراع لدعوتي كالسيف صلت

أبت نفسي فلم تسمح إليه
أقول لنفسي المشفاق مهلاً
لئن فارقت خير عراً لأهل
وكتب إلى عمته وقد أرسلت تقول له: كم هذا البعد عنا والتغرب؟

ومهدية عندي على نأى دراها
تقول: إلى كم يا بن عيسى تجنباً
فيوشك أن تودى وما من حفية
فقلت لها: في العيس والبعد راحة
وفي كاهل الليل الخدارى مركب
إذا لم تعادلِكَ الليالي بصاحب
فلا خير في أن ترأَم الضيم ثاوياً
ذريني فلي نفس أبي إن يدرها
إذا سيم ورداً بعد خمس تشمرت

رسائل مشتاق كريم وسائله
وبعداً وكم ذا عنك ركباً نسائله؟؟
عليك ولا بال بما أنت فاعله
لذي الهم إن أعيت عليه مقاتله
وكم مرة نجى من الضيم كاهله
ولاسمحت بالنجح عفواً أنامله
وغيضاً على طول الليالي تماطله
عصاب وقلب يشرب اليأس حامله
عن الماء خوف المقذعات ذلاله

علي بن فضال بن علي

بن غالب بن جابر بن عبد الرحمن ابن محمد بن عمرو بن عيسى بن حسن بن زمعة بن هميم بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم - هكذا وجدته هميم والمعروف همام، وهو الفرزدق الشاعر، لأن ابن فضال يعرف بالفرزدقي - القيرواني النحوي أبو الحسن المجاشعي، هجر مسقط رأسه ورفض مألوف نفسه، ووفق يدوخ بسيط الأرض ذات الطول والعرض، بشرق مرةً ويغرب أخرى، ويركب الفقار ويأوي إلى ظل الأمصار برهةً حتى ألم بغزنة فألقى عصاه بها، ودرت له أخلافها فلقى وجه الأمانى، وصنف عدة تصانيف بأسامي أكابر غزنة سارت في البلاد، ثم عاد إلى العراق وانخرط في سلك خدمة نظام الملك مع أفاضل العراق، ولم تطل أيامه حتى نزل به حمامة، وكان إماماً في النحو واللغة والتصنيف والتفسير والسير. صنف كتاب التفسير الكبير الذي سماه البرهان العميدي في عشرين مجلدًا، وكتاب النكت في القرآن، وكتاب شرح بسم الله الرحمن الرحيم وهو كتاب كبير، وكتاب إكسير الذهب في صناعة الأدب والنحو في خمسة مجلدات، وكتاب العوامل والهوامل في الحروف خاصة، وكتاب الفصول في معرفة الأصول، وكتاب الإشارة في تحسين العبارة، وكتاب شرح عنوان الأعراب، وكتاب المقدمة في النحو، وكتاب العروض، وكتاب شرح معاني الحروف، وكتاب الدول في التاريخ. رأيت في الوقف السلجوقي ببغداد منه ثلاثين مجلدًا ويعوزه شيء آخر، وكتاب شجرة الذهب في معرفة أئمة الأدب. وقيل إنه صنف كتابًا في تفسير القرآن في خمس وثلاثين مجلدًا سماه كتاب الإكسير في علم التفسير، وكتاب معارف الأدب كبير نحو ثمانية مجلدات. وله غير ذلك من الكتب في فنون من العلم، وأقام ببغداد مدةً وأقرأ بها النحو واللغة، وحدث بها عن جماعة من شيوخ المغرب. وذكر هبة الله السقطي أنه كتب عن ابن فضال أحاديث قال: فعرضتها على عبد الله بن سبعون القيرواني لمعرفته برجال الغرب فأنكرها وقال: أسانيدُها مركبة على متون موضوعة، واجتمع عبد الله بن سبعون في جماعة من المحدثين وأنكروا عليه فاعتذر وقال: إني وهمت فيها. وذكره عبد الغفار الفارسي فقال: ورد نيسابور واختلفت إليه فوجدته بحرًا في علمه. ما عهدت في البلديين ولا في الغرباء مثله في حفظه ومعرفته وتحقيقه، فأعرضت عن كل شيء وفارقت المكتب ولزمت بابه بكرةً وعشيةً وكان على وقار.

قال السمعاني: سمعت ابن ناصر يقول: مات ابن فضال في ثاني عشر ربيع الأول سنة تسع وسبعين وأربعمائة، ودفن بباب أبرز، قال شجاع الذهلي: أنشدنا ابن فضال لنفسه:

لا عذر للصب إذا لم يكن
يخلع في ذاك العذار العذار
كانه في خده إذ بدا
ليل تبدي طالعا من نهار
تخاله جنح الظلام وقد
صاح به ضوء صباح فحار
وقال أبو الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفي: أنشدنا ابن فضال لنفسه:

كان بهرام وقد عارضت
فيه الثريا نظر المبصر

ياقوته يعرضها بائع

ومن شعره:

أخذ العلم عن رواية واجتلب الهدى

فإن رواة العلم كالنخل يانعا

قال عبد الغفار بن اسماعيل: وأنشدني ابن فضال لنفسه:

يا يوسف الجمال عبدك لم

إن قد فيه القميص من دبر

وأنشد السمعاني بإسناده لعل بن فضال المجاشعي في ترجمة صاعد بن سيار الهروي:

وإخوان حسبتهم دروعا

وخلتهم سهاماً صائباتٍ

وقالوا: قد صفت منا قلوب

وأنشد له صاحب الوشاح في نظام الملك:

دوراس أي ما تكاد تبين

وقفنا بها مستلهمين فلم يزل

وما خفت أن تبدى خفي سرائري

على حين عاصيت الصبا وهو طائع

أرى المزن يهوى رسم من قد هويته

سقى الله حيث الظاعنون سحائباً

فكم ضمننت أحداجهم من جآذر

وأقمار تم لم ير الناس قبلها

يجردن من ألحاظهن صوارماً

وأنشد له:

والله إن الله رب العباد

ما زادني صدك إلا هوى

وإنني منك لفي لوعةٍ

فكن كما شئت فأنت المنى

وما عسى تبلغه طاقتي

ومما نقلته من السمعاني لابن فضال:

فتنتني أم عمرو

قلت: جودي لكئيب

فلوت عني وقالت:

ما رأى الناس جميعاً

لن تتالوا البر حتى

وفي كتاب سر السرور لابن فضال:

ما هذه الألف التي قد زدتما

وزادني الحافظ شمس الدين أبو نصر عبد الرحيم بن وهبان:

ما صح لي أحد فأجعله أخاً

إما مول عن ودادي ما له

في كفه والمشتري مشتري

وإن كان راوية أخا عمل زارى

كل التمر منه واترك العود للنار

يبق له حيلة من الحيل

قد قد فيه الفؤاد من قبل

وأنشد السمعاني بإسناده لعل بن فضال المجاشعي في ترجمة صاعد بن سيار الهروي:

فكانوها ولكن للأعادي

فكانوها ولكن في فؤادي

لقد صدقوا ولكن من ودادي

عفا هن دمع للسحاب هتون

لسان البلى عن عجمهن يبين

موائل أمثال الجماجم جون

وأرخصت علق اللهو وهو ثمين

فلي وله دمع به وحنين

فقلبي حيث الظاعنون رهين

أوانس ينضوها جآذر عين

بدوراً تنثى تحتهن غصون

مهندة: أجفانهن جفون

وخالص النية والإعتقاد

وسوء أفعالك إلا وداد

أقل ما فيها يذيب الجماد

واحكم كما شئت فأنت المراد

وإنما بين ضلوعي فؤاد

وكذاك الصب مفتون

مستهام بك محزون

أترى ذا المرء مجنون

في كتاب الله يتلون

تنفقوا مما تحبون؟

فدعوتم الخوان بالإخوان

في الله محضاً أو ففي الشيطان

وجه وإما من له وجهان

وحدث محمد بن طاهر المقدسي وكان كما علمت وقاعة في كل من انتسب إلى مذهب الشافعي لأنه كان حنبلياً. سمعت ابراهيم بن عثمان الأديب الغزي بنيسابور يقول: لما دخل أبو الحسن بن فضال النحوي نيسابور واقترح عليه الأستاذ أبو المعالي بن الجويني أن يصنف باسمه كتاباً في النحو وسماه الإكسير وعده إن يدفع إليه ألف دينار، فلما صنفه وفرغ منه ابتدأ بقراءته عليه، فلما فرغ من القراءة انتظر أياماً أن يدفع إليه ما وعده أو بعضه فلم يدفع شيئاً، فأنفذ إليه الأستاذ: عرضي فداؤك ولم يدفع إليه حبة واحدة. قلت أنا: وبلغني عقيب ذلك ورد بغداد وأقام بها ولم يتكلم بعد في النحو وصنف كتابه في التاريخ. ومن شعره الذي أورده السمعاني:

أحب النبي وأصحابه وأبغض مبغض أزواجه

ومهما ذهبت إلى مذهب فمالي سوى قصد منهاجه

قال السلفي: قال الرئيس أبو المظفر: أنشدني أبو القاسم ابن ناquia في ابن فضال المجاشعي المغربي قال: ودخلت دار العلم ببغداد وهو يدرس شيئاً من النحو في يوم بارد فقلت:

اليوم يوم قارس بارد كأنه نحو ابن فضال

لا تقرءوا النحو ولا شعره فيعتري الفالج في الحال

علي بن الفضل المزني

أبو الحسن النحوي نقلت من خط أبي سعيد عبد الرحمن بن علي اليزدادي في كتابه المسمى: جلاء المعرفة، تعرض فيه للمأخذ على العلماء قال: وكان قرئ كتاب الكرمان في النحو على أبي الحسن المزني، وقرأه هو على أبيه، وأبوه على الكرمان، وفضل أبي الحسن في عصره على من كانت تضرب إليه أباطل الأبل في العراق لاقتباس العلم منه. وكان ابن جرير يحثه أبداً على قصد العراق علماً منه بانه لو دخل بغداد لقبل فوق قبول غيره، وكان الأستاذ المقدم، وبلغ من فضل علمه أنه صنف كتاباً في علم بسم الله الرحمن الرحيم، وسماه البسمة ويقع في ثلاثمائة ورقة، وله في النحو والتصريف مصنفات لطيفة نافعة، وقد روى المزني عن اسحاق بن مسلم، عن أبي سعيد الضريير.

علي بن القاسم الفاشاني

الكاتب أبو الحسن ذكره الثعالبي فقال: بقية مشيخة الكتاب المتقدمين في البراعة، المالكن أزمة البلاغة، المتوقلين في هضبات المجد، المترقين في درجات الفضل والرسائل الجيدة، والأشعار الرائقة. فمن رسائله: كتابي - أطال الله بقاء مولاي - وأنا متردد بين جدل لتجدد بره في خطابه، وبين خجل من قوارع زجره وعتابه، فإذا خليت عنان أنسي في رياض مباررة فرنعت، جاذبيته لاجع الإشفاق من سوء ظنه ففرغت، ولو كنت جانباً لا عذرت، أو كان سوء ظنه بي صادقاً لا عترفت، ولعدت منه بحقوى كريم لا يبهضه اغتفار الجرائر، ولا يتعاضمه الصفح عن الكبائر.

فصل: علقت هذه المخاطبة والأشغال تكتنفي، وكذا خاطر بأسباب شتى يقتسمني، ووراء ذلك كلال الذهن بارتقاء السن، ونقصان الخواطر بزيادة الشواغل، واستمرار البلادة لمفارقة العادة، ومولاي - والله يعيده من سوء - مقتبل الشباب، زائد الأسباب، مؤتلف المخانل، متجدد الفضائل، إلى علم لا يدرك مضماره، ولا يشق غباره، فإذا حملني على مساجلته فقد عرضني للتكشف، وإن عرضني على محنة التتبع فقد سلبنى ثوب التجمل.

فصل: وصل كتاب مولاي:

فكم فرحة أدى وكم كربة جلى وكم بهجة أولى وكم غمة سلا

وسألت الله واهب خصال الفضل له، وجامع خلال النبل فيه، وحائز جمال المروءة للزمان ببقائه، ومناح كمال المزية للإخوان بمكانه، أن يتولى حفظ النعم النفيسة، ويديم حياة هذه المنائح الخطيرة بصيانة تلك الشيم العلية، حتى تستوفي المكارم أعلى حظها في أيامه، وتجاوز الفضائل أقصى غاياتها في مضماره:

فينجح ذو فضل ويكمد ناقص ويبهج ذو ود ويكبت حاسد

فصل: وما أرتضي نفسي لمخاطبة مولاي إلا إذا كنت منفي الشواغل فارغ الخواطر، مخلص الجوارح مطلق الإسار سليم الأفكار، فكيف بي مع كلال الحد وانغلاق الفهم، واستبهاق القريحة واستعجام الطبيعة، والموعول على النية وهي لمولاي بظهر الغيب مكشوفة، والمرجع إلى العقيدة وهي بالولاء المحض معروفة، ولا مجال للعتب بين هذه الأحوال، كما لا مجاز للعذر وراء هذه الخلال، وكتب إلى الصاحب أبي القاسم بن عباد قصيدة منها:

إذا الغيوم ارجحن باسقتها
وابتسمت فرحة لوامعها
وقيل: طوبى لبلدة نتجت
فليسق غيث الندى أبا القاسم ال

وحف أرجاءها بوارقها
واحتقلت عبرة حمالقها
بجو أكنافها بوارقها
قرم وزير الأنام وادقها

وهي طويلة ثم قال: هذه - أطال الله بقاء مولاي - نتائج أريحية أثارتها مخاطبات مولاي، التي هي أنفع لغلتي من برد الشراب، وأعجب إلى من برد الشباب، فجاش الصدر بما أبرأ إليه من عهده، وأسكنه ظل أمانته وذمته، ليسبل عليه ستر مودته، ويتأمله بعين محبته. نعم وقد محا الزمان آثار اساءته إلي، بما أسعفني به من إقبال مولاي علي، وتتابع بره في مخاطباته لدي، فكل ذنب لهذه النعمة مغفور، وكل جنائية بهذا الإحسان مغمور. وأجابه الصاحب بكتاب صدره بأبيات منها:

بدت عذارى مدت سرادقها
كواعب أخرست دمالجها
أم روضة أبرزت محاسنها
أم أشرفت فقرة بدائعها
لله حلف العلا أبو حسن
لله تلك الألفاظ حاملة
يكاد إعجازها يشككنا

وأقسم الحسن لا يفارقها؟
عنا وقد أقلت مناطقها؟
ومايني قطرها يعانقها؟
حديقة زانها طرائقها؟
وقد جرت للعلا سوابقها
غو معان تعيا دقائقها
في سور أنها توافقها

وهي طويلة، هذه - أطال الله عمر مولاي - أبيات علفتها والروية لم تعلقها، وأعنت فيها و الفكرة لم تعتنقها، لاثقة بالنفس ووفائها، وسكوناً إلى القريحة وصفائها، بل علماً باني وإن أعطيت الجهد عنانه، وفسحت للكمد ميدانه، لم أدان ما ورد من ألفاظٍ أيسر ما أصفها به الامتناع على الوصف أن يتقصاها، والبعد عن الإطناب أن يبلغ مداها، ولقد قرع سمعي منها ما أراني العجز يخطر بين أفكاري، والقصور يتبخر بين إقبالي وإدباري، إلى أن فكرت في أن فضيلة المولى تشتمل عبده، وتخيم وإن تصرف عندة، فثاب إلى خاطر نظمت به ما إن طالعه صفحاً وجوداً رجوت إن يحظى بطائل القبول، وإن تتبعه نقداً تراجع على أعقاب الخمول، هذا ولا عار على من سبقه سباق الأقران المستولى على قصب الرهان. ومن شعر القاشاني المشهور:

واني وإن أقصرت عن غير بغضة
وما زال يدعوني إلى الصد ما أرى
وأنتظر العتبي وأغضى على القذى

لراع لأسباب المودة حافظ
فأبى ويثيني إليك الحفاظ
الآلن طوراً في الهوى وأغالظ

علي بن القاسم السنجاني أبو الحسن

وسنجان قصبة خواف. ذكره الباخري فقال: هو صاحب كتاب مختصر العين، ومحلّه من الأدب محل العين من الإنسان، ومحل الإنسان من العين، وقد سهل طريق اللغة على طالبها، وأدنى قطوفها من متناولها باختصاره كتاب العين، ولا تكاد ترى جحور المتأدبين منه خالية، وله شعر الزهاد وقد جرى فيه على سمت العباد، ونسجه على منوال أولى الاجتهاد، فمما وقع إلى منه قوله:

خليلي قوما فاحملا لي رسالة
عرفناك يا خداعة الخلق فاعزبي
فلا تتحلى للعيون بزينة
نغطي بثوب اليأس منا عيوننا
وهل أنت لإمتعة مستعارة؟
فأنت خلوب كالغمامة كلما
طلوع قبوع كالمغازلة التي

وقولا لدنيا التي تتصنع
ألنا نرى ما تصنعين ونسمع؟
فإننا متى ما تسفرى نتقنع
إذا لاح يوماً من مخازيك مطعم
فلم يهننا مما رعيناه مرتع
رجاها مرجى الغيث ظلت تقشع
تطلع أحياناً وحيناً تقبع

وله يرثي نفسه:

دبت إلى بنات الأرض مسرعة
والعين من فويق الخد سائلة

حتى تمشين في قلبي وفي كبدي
وطالما كنت أحميها من الرمد

علي بن المبارك اللحياني

وقيل علي بن حازم ويكنى أبا الحسن، أخذ عن الكسائي، وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام. وله كتاب النوادر. قال أبو الطيب اللغوي في كتاب مراتب النحويين: وممن أخذ عن الكسائي أبو الحسن علي بن حازم الختلي اللحياني من بني الحيان بن هذيل بن مدركة ابن إلياس بن مضر صاحب كتاب النوادر، وقيل سمى اللحياني لعظم لحيته.

حدثني أبو عمر الزاهد عن أبي عمرو بن الطوسي عن أبيه عن اللحياني قال أبو عمر: وسمعت ثعلباً يقول: قال الأحمر: خرجت من عند الكسائي ذات يوم فإذا اللحياني جالس فقال لي: أحب أن تدخل فتشفع لي إلى الكسائي لأقرأ عليه هذه النوادر. قال: فدخلت إلى الكسائي فقلت له: فقال: هو بغيض ثقيل الروح. قال الأحمر: وكان اللحياني ورعاً. قال: فقلت له: أحب أن تفعل فأجابني فخرجت إلى اللحياني فقلت له: قد قال كذا وكذا فلم لا تنبسط معه؟ فقال: دعني وإياه. قال اللحياني: فدخلت عليه وهو جالس على كرسي ملوكي وعليه بغداديه مشهورة على رأسه بطيخية وبيده كسرة سميد وهو يفتها للحمام. قال ثعلب: وكان السلطان قد أفسده. قال: فقال لي: ما تقول في النبيذ؟ قلت أنا؟ قال: نعم، قلت أحسوه ثم أفسوه. قال: فضحك مني وقال: أنت ظريف فاكتم ما سمعت وأقرأ ما شئت، فقرأت عليه وخرجت فإذا الحجاره تأخذ كعبي فالتفت أقول من ذا؟ فإذا هو من منظر له يقول: من كنت تقرأ عليه حتى صدعته اليوم. قال أبو الطيب: وقد أخذ اللحياني عن أبي زيد وأبي عمرو الشيباني وأبي عبيدة والأصمعي وعمدته على الكسائي، وكذلك أهل الكوفة كلهم يأخذون عن البصريين، وأهل البصرة يمنعون من الأخذ عنهم، لأنهم لا يرون الأعراب الذي يحكون عنهم حجة.

قال ابن جنى في الخصائص: ذكرت يوماً أبا علي بنوادر اللحياني فقال: كناسة. قال: وكان أبو بكر محمد ابن الحسن بن مقسم يقول: إن كتابه لا يصله به رواية وقدحا فيه وغضا منه.

علي بن المبارك ابي المعالي بن علي

ابن المبارك بن عبد الباقي بن بانوية أبو الحسن المعروف بابن الزاهدة النحوي صاحب ابن الخشاب وليس بابن الزاهد، فإن في اصحاب ابن الخشاب آخر يعرف بابن الزاهد بغير هاء، وهو أحمد بن هبة الله مذكور في بابيه. والزاهدة هذه التي يعرف بها أمه، واسمها أمة السلام المباركة بنت ابراهيم بن علي بن أبي الحسن بن أبي الحريش، وكانت واعظاً مشهورة روت الحديث، مات ابن الزاهدة هذا في ثالث ذي الحجة سنة أربع وتسعين وخمسائة، ودفن عند والدته برباط لهم بدرب البقر بمحلة الظفريّة، وكان أيضاً يسكن بالظفريّة في حياته، وكانت له معرفة جيدة بالنحو، قرأ على الشريف أبي السعادات بن الشجري، ثم على الشيخ أبي محمد ابن الخشاب، وأقرأ العربية مدة وسمع منه الطلبة وأنشدت له:

إذا سام بمعنى الوقت يبنى لأنه
ويعمل فيه النصب معنى جوابه
وله في كتاب الخريدة من قصيدة كتبها إلى صلاح الدين:
ألا حيباً بالرقمتين المعالم
ومن مديحها:
إذا كانت الأعداء فعلاً مضارعاً
أصار مواضيه الحروف الجوازم

علي بن المحسن أبو القاسم التنوخي

قال السمعاني في كتاب النسب: هو أبو القاسم علي ابن المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم، واسم أبي الفهم داود بن ابراهيم بن تميم بن جابر بن هاني بن زيد بن عبيد بن مالك بن مريب بن شرح بن نزار بن عمرو بن الحارث بن عمرو بن فهم بن تميم بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاة. سمع أبا الحسن علي بن أحمد بن كيسان النحوي، واسحاق بن سعد بن الحسن بن سفيان النسوي، وروى عنه الخطيب فأكثر، وكان قد قبلت شهادته عند الحكام في حادثته، مات فيما ذكره عبد الله بن علي بن الأبنوسي في سنة سبع وأربعين وأربعمائة في محرمها. قال الخطيب: وسألته عن مولده فقال: ولدت بالبصرة في النصف من شعبان سنة سبعين وثلاثمائة. قال: وكان معتزلياً، قال: وكان عنده كتاب القدر لجعفر الفريابي، وكان أصحاب

الحديث يتحاشون من مطالبته بإخراجه، فطالبته به وقرأته عليه، وسمعوا أو كما قال. وكان التنوخي ساكتاً لم يعترض على شيء من تلك الأحاديث.

قال: وكان دخل التنوخي كل شهر من القضاء ودار الضرب وغيرهما ستين ديناراً، فيمر الشهر وليس له شيء، وكان ينفق على أصحاب الحديث، وكان الخطيب والصوري وغيرهما يبيتون عنده، وكان ثقة في الحديث متحفظاً في الشهادة محتاطاً صدوقاً، وتقلد قضاء عدة نواح منها المدائن وأعمالها ودرزيجان والبردان وقرميسين. وحدثنا الهمذاني في تاريخه بعد ذكر مولده ووفاته كما تقدم ثم قال: وكان ظريفاً نبيلاً فاضلاً جيد النادرة. قال القاضي أبو عبد الله بن الدامغاني: دخلت على القاضي أبي القاسم التنوخي قبل موته بقليل وقد علت سنه فأخرج إلى ولده من جاريته، فلما رآه بكى فقلت: تعيش إن شاء الله وتربيته وبقدر الله عينك به، فقال: هيهات والله ما يتربى إلا يتيماً وأنشد:

أرى ولد الفتى كلاً عليه لقد سعد الذي أمسى عقيماً

فأما أن يخلفه عدواً وأما أن يربيه يتيماً

ثم قال: أريد أن تزوجني من أمه - فإنني قد اعتقتها - على صداق عشرة دنانير ففعلت، وكان كما قال تربى يتيماً، وهو أبو الحسن محمد بن علي بن المحسن. قبل القاضي أبو عبد الله شهادته، ثم مات سنة أربع وتسعين وأربعمائة وانقرض بيته.

قال أبو الحسن بن أبي الحسين: ولد لأبي القاسم التنوخي ولد في سنة نيف وأربعين وأربعمائة. فقال له رئيس الرؤساء: أيها القاضي، كنت منذ شهر قريباً قلت لي: إنك لا تعرف هذا الشأن، الذي يكون منه الأولاد منذ سنين، وإنه لا حاسة بقيت لك ولا شهوة ولا قدرة على هذا الفن، وأنت اليوم تقرر عندي بولدٍ رزقته، ففي أي القولين أنت كاذب أيها القاضي؟ فقال: اللهم غفرأ، اللهم غفرأ، وخجل وقام. قال: واجتاز يوماً في بعض الدروب فسمع امرأة تقول لأخرى: كم عمر بنتك يا أختي؟ فقالت لها: رزقتها يوم شهر بالقاضي التنوخي وضرب بالسياط، فرفع رأسه إليها وقال: يا بطراء صار صفعي تاريخك وما وجدت تاريخاً غيره؟ وكان أعمش العينين لا تهدأ جفونه من الانخفاض والارتفاع والتغميض والانفتاح، فقال فيه أبو القاسم بن بابك الشاعر:

إذا التنوخي انتشأ وغاض ثم انتعشا

أخفى عليه إن مشي ت وهو يخفى إن مشا

فلا أراه قلة ولا يراني عمشا

وكان تولى دار الضرب فقال البصري فيه:

وفي أمض الأعمال قاض ليس بأعمى ولا بصير

يقضم ما يجتبى إليه قضم البراذين للشعير

قال غرس النعمة: حدثت أنه جاء رجل إلى التنوخي على الطريق وهو راكب حماره وأعطاه رقعة وبعد مسرعاً ففتحها وإذا فيها:

إن التنوخي به أبنه كأنه يسجد للفيش

له غلامان ينيكانه بعة التزويج في الخيش

فلما قرأها قال: ردوا ذلك زوج القحبة الذي أعطاني الرقعة، فعدوا وراءه فقال: هذه الرقعة منك؟ فقال: لا، أعطانيها بعض الناس وأمرني أن أوصلها إليك، قال: قل له: يا كشخان يا قرنان يا زوج ألف قحبة، هات زوجتك وأختك وأمك إلى داري، وانظر ما يكون مني إليهم، واحكم ذلك الوقت بما حكمت به في رقعتك أو بضده، قفاه قفاه، فصفعوه وافترقا.

قال غرس النعمة: حدثني أبو سعد الماندائي قال: دخلت يوماً على القاضي أبي القاسم التنوخي وكانت عينه رمدةً أتعرّف خبره فقال لي: حدثني من رأيت وما رأيت في طريقك؟ فقلت: رأيت منسفاً فيه نحو عشرين رطلاً رطباً أذاً لقاطاً ما رأيت مثله. فقال لغلامه: يا أحمد، علي بالمنسف الساعة، فمضى أحمد وابتاعه وجاء به فحل عينه وغسلها من الدواء الذي فيها وقال لي: كل حتى آكل، فقلت يا سيدي عينك رمدة فكيف تأكل رطباً؟ فقال: كل فعيني تهدأ والرطب يقني، فأكل والله منه حتى وقف. قال: وحدثني قال: كنت ليلةً بانئاً عنده فهبت ريح شديدة فما زال طرف النطع الذي تحته يصعد وينزل ويصفع رأسه فقال: هذا سقوط الساعة أم مصافعة؟ فقلت: ممن يا سيدنا؟ فقال: فضولك وضحكنا. قال: وحدثني قال: حدثني القاضي قال: كنت يوماً وقت القيلولة نائماً فاجتاز واحد غث يصيح صيحاً أزعجني وأيقظني: شراك النعال، شراك النعال. فقلت لأحمد الغلام: خذ كل نعل لي ولمن في داري وأخرجها إلى هذا الرجل ليرمها ويشغل بها ففعل، ونمت إلى إن اكتفيت ثم انتبهت وصليت العصر وأعطيته أجرته ومضى، فلما كان من غدٍ في مثل ذلك الوقت جاء وأنا نائم فصاح وأنبهني فقلت للغلام: أدخله، فأدخله فقلت: يا ماص كذا وكذا من أمه، أمس في هذا الوقت أصلحت كل نعل لنا. وعدت اليوم تصيح على بابنا، أبلغك أننا البارحة تصافعنا بالنعال

وقطعناها؟ وقد عدت اليوم لعملها وإصلاحها، قفاه. فقال يا سيدنا القاضي: أو أتوب إلا أدخل هذا الدرب؟ قلت: فما تتركني أنام ولا أهدأ ولا أستقر؟ فحلف ألا يعود إلى الدرب وأخرجته إلى لعنة الله. قال: ورأيت يوماً عند الرئيس الوالد - رضي الله عنهما - وهو يشكو إليه قبح أبي القاسم بن المسلمة رئيس الروساء وقصده له وغضبه منه، وتناهى غضبه إلى إن أخذ الدواء من بين يدي الرئيس ورفعها إلى فوق رأسه وقال: والله لقد بال في حجري وعلى ثيابي بعدد الرمل والحصا والتراب، وحط الدواء فضرِب بها الأرض فكسرت، فلما رأى ذلك قام وانصرف وقد استحيا وبقينا متعجبين منه.

قال: وحدثني أبو سعد الماندائي قال: كنت مع القاضي التنوخي وقد خرج يوماً من دار الخلافة ليعبر إلى داره بالجانب الغربي، فلما بلغنا مشرعة نهر معلى صاح به الملاحون: يا شيخ يا شيخ، تعال هنا تعال هنا، فوقف وقال لهم: كل مردى معكم ومجذاف في كذا وكذا من نسائكم، ما فيكم إلا من يعرفني ويعلم أنني القاضي التنوخي يا كذا وكذا، ثم نزل وهو يسبهم ويشتمهم والملاحون وأنا قد متنا بالضحك. وجاءه غلام قد تزوج وكتب كتاباً بمهر يشهده فيه واستحيا الغلام من ذلك فجذب طاقةً من حصير القاضي وجعل يقطعها لحياؤه وخجله، ولحظه القاضي فقال يا هذا: أنا أشهد لك في كتابٍ يقتضي أن يحمل به إليك القماش والجهاز للذان يعمران بيتك ويجملان أمرك، وأنت مشغول بقطع حصيري وتخيب بيتي؟ وشق الكتاب قطعاً ولم يشهد فيه ورمى به إليه، فأخذه وانصرف متعجباً.

قال: وحدثني الرئيس أبو الحسين والدي قال: شهد القاضي أبو القاسم - منذ سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، إلى أن توفي في المحرم سنة سبع وأربعين وأربعمائة، وكان مولده يوم الثلاثاء النصف من شعبان سنة خمس وستين وثلاثمائة، إلى أن توفي في المحرم سنة سبع وأربعين وأربعمائة، وكان مولده يوم الثلاثاء النصف من شعبان سنة خمس وستين وثلاثمائة -، نيافاً وستين سنة ما وقف له على زلة ولا غلطة. وأذكر له حكاية وهي: أنه شهد مع جماعة من اليهود على زوجة أبي الحسن بن أبي تمام الهاشمي نقيب النقباء في اقرار أقرت به، فلما سمعوا اقرارها من وراء الستارة لم يفتنعهم ذلك، وأردوا من يشهد عندهم أن المقررة هي المذكورة في الكتاب بعينها، وأن يشاهدوها حتى يسلموا له، ويصح أن يشهدوا عليها بالمعرفة، فلم يقدموا على ذلك وخطاب أبي تمام فيه، فخرج ولده منها فقام له التنوخي وأخذه إلى حجره وقبل رأسه وقال له: قليلاً قليلاً، من هذه التي تكلمنا من وراء الستارة وتحدثنا وتشهدنا عليه؟ فقال له: ستي، فالتفت إلى الجماعة وقال لهم: اشهدوا يا سادة، فأنا أشهد عندهم أن المقررة عندنا من وراء الستارة هي المذكورة في الكتاب بعينها، فشهدوا وشهد معهم. وقال من بعد: هذا صبي لا يعرف ما نحن فيه، ولو كان خلف الستارة غير ستة لقال، ولما كانت هي بعينها قال: هي ستي. ولعمري لقد كان أبو الحسن أجل من أن يفعل هذا معنا. قال أبو الحسن: كان لنا غلام يعرف بجميلة فابتاع ألف سابلٍ سرجيناً من ملاح يعرف بالدابة ليحمله إلى قراحنا المشجر في نهر عيسى ليطرح في أصول الشجر، فلما ذكر جميلة ذاك للرئيس رضي الله عنه قال له: اكتب عليه خطأ وأشهد فيه يعني المعلم في الدار ومن يجري مجراه، فكتب جميلة على الملاح رقعة ومضى بها لا يلوي على شيء إلى أن عاد التنوخي بين الصلاتين وهو جائع حاقن تعب والزمان صاف، فقام إليه ودعا له وقال له: من أنت؟ قال غلام فلان. قال: ما لك؟ قال: شهادة. قال له: اقعد ودخل فخلع ثيابه ودخل بيت الطهارة وأطال والغلام يصيح يا سيدنا أنا قاعد من ضحوة النهار إلى الساعة، فقال له: ويلك؟ أصبر حتى أخرا، أصبر حتى أخرا، اصبر حتى أخرا، ثم توضع ليصلي فلم يهنئه فقال: ادخل دخلت بطنك الشمس، فقد والله حيرتني وجننتني، فلما دخل أعطاه الرقعة فقرأها وقال: ويلك، ما اسم هذا الملاح؟ فقال: الدابة يا سيدي، فقال: وأي شيء يقربه؟ ويلك فما أفق عليه، أرى خمسة آلاف سابلٍ سرقين. فقال له: وما السرقين؟ فقال: خرب البقر والغنم.

قال: يا ماص بظر أمه، أنا شاهد الخرب؟ ونهض إليه وهو مغتاض فأخذ ينتف ذقنه ويضرب رأسه وفكه إلى إن جرى الدم من فيه وأخرجه، وجاء إلى الرئيس رحمه الله فحذقه بما جرى عليه فقال: يا هذا، الشهود يستشهدون في الخراب؟ أنت بالله أحقق. وجاءنا القاضي بعد العصر يشكو من جميلة أزه له وتوكله به، ويعتذر مما جرّه جنونه عليه، وما انتهى معه إليه، فضحكنا عليه ومرت لنا ساعة طيبة بما أورده عليه.

قال: وحدثني الرئيس أبو الحسن - رضي الله عنه - قال: حضر عندي القاضي أبو القاسم التنوخي يوماً وقد هرب الكافي أبو عبد الله إلقائي ببغداد، وخرج إلى الأنبار، ونظر أبا سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم وكان التنوخي مانئاً إلى بني عبد الرحيم ونابياً عن أصدادهم. فبدأ بذكر القنائي - وكان لي صديقاً - بقبيح وزاد وخشن وخبط، فغمض عيني واستلقيت على مخدتي لعله يكف ويقطع، فعلم ذلك مني فقفز إلى يحركني ويقول: والله ما أنت نائم، ولكنك ما تحب أن تسمع في القنائي قبيحاً. فقلت: ما أحب أن أسمع في القنائي ولا في غيره قبيحاً، وقد تناومت لتقطع فلم تفعل ومضى، وبلغ القنائي المجلس بعينه. وعاد القنائي إلى بغداد ناظراً، ودخل التنوخي إليه مسلماً وخادماً فقال له: يا قاضي، ما فعلت بك قبيحاً يقتضي ذكرك لي وطعنك في، فقال: يا مولانا أنا مجنون. قال: إذا كنت مجنوناً فالمارستان لمثلك عمل، وفي حملك إليه ومدائك فيه ثواب ومصلحة وكف لك عن الناس وأذاهم بجنونك وخباطك، يا أنصاري - للعريف على باب - احمله إلى المارستان واحبسه مع إخوانه المجانين، فأخذ

وحمل إلى المارستان وحبس فيه، قال الرئيس: وعرفت القصة فركبت إلى القتائي ولحقني المرتضى والرؤساء من الناس ولم نفارقه حتى أفرج عنه وأطلقه. واجتاز القاضي أبو القاسم يوماً فرأى في طريقه كلباً رابضاً فقال له: اخساً اخساً فلم يبرح، فقال اخساً، وعاد عنه ومضى. قال أبو الحسن: لقينته يوماً بنت ابن العلاف زوجة أبي منصور بن المزرع، وكانت عاهرة إلى الحد الذي تلبس الجبة المضربة، وتتعمم بالقياد وتأخذ السيف والدرقة، وتخرج ليلاً فتمشي مع العيارين وتشرب إلى أن تسكر وتعود سحراً إلى بيتها، وربما انتهى بها السكر إلى الحد الذي لا تملك معه أمر نفسها فيحملها العيارون إلى دار زوجها على تلك الحال. فقال له يا قاضي: ما معنى هذه التاء التي تكتبها على الدراهم؟ وكان إليه العيار في دار الضرب، فقال لها: هذا شيء يعملونه كالعلامة، أن التتوخي متولي العيار فيأخذون التاء من أول نسبتي، فقالت: كذبت وأثمت أيها القاضي، تريد أن أقول لك معناها؟ فقال لها: قولي تاست النساء، فقالت: معناها يا قاضي: تنيكها يا قاضي، فضرب حماره ومضى وهو يقول لها: لحيه زوجك في حجري، لحيه زوجك في حجري. قال: ولقيه إنسان ومعه كتاب في الطريق فأعطاه إياه وسأله أن يشهد فيه فقال: هات دواةً ومحرراً. فقال: ما معي، فقال ويحك ما صبرت أن أنزل إلى داري وأشهد عليك بدواتي؟ بل اعترضتني في الطريق وليس معك ما تكتب منه ويحك، من يريد أن ينيك في الدهليز يجب أن يكون أيره قائماً مثل دسك الهاون وتركه ومضى.

علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف

المدائني أبو الحسن مولى سمرة بن حبيب بن عبد شمس ابن عبد مناف، بصرى سكن المدائن ثم انتقل عنها إلى بغداد، فلم يزل بها إلى حين وفاته. روى عنه الزبير ابن بكار وأحمد بن أبي خيثمة، وأحمد بن الحارث الخزاز، والحارث ابن أبي أسامة وغيرهم.

حدث أبو قلابة قال: حدثت أبا عاصم النبيل لحدث قال: عن؟ فإنه حسن، فقلت: ليس له إسناد ولكن حديثه أبو الحسن المدائني. فقال لي: سبحان الله، أبو الحسن إسناد.

ولد المدائني سنة خمس وثلاثين ومائة، ومات سنة خمس وعشرين ومائتين.

قال الحارث بن أسامة: سرد المدائني الصوم قبل موته بثلاثين سنة، وإنه كان قد قارب المائة سنة فقيل له في مرضه: ما تشتهي؟ قال: أشتهي أن أعيش، وكان مولده ومنشؤه البصرة، ثم صار إلى المدائن بعد حين، ثم صار إلى بغداد فلم يزل بها إلى أن مات، واتصل بإسحاق بن إبراهيم الموصلي فكان لا يفارق منزله، وفي منزله كانت وفاته، وكان ثقة إذا حدث عن الثقات.

نقلت من خط عمر بن محمد بن سيف الكاتب البغدادي، حدثنا اليزيدي أبو عبد الله محمد بن العباس ابن محمد بن أبي محمد قال: حدثني أحمد بن زهير بن حرب قال: كان أبي ويحيى بن معين ومصعب الزبيدي يجلسون العشيات على باب مصعب قال: فمر عشية من العشيات على باب مصعب رجل على حمار فارٍ وبزة حسنة، فسلم وخص بمسائله يحيى ابن معين. فقال له يحيى: إلى أين يا أبا الحسن؟ فقال: إلى هذا الكريم الذي يملأ كمي من أعلاه إلى أسفله دنائير ودراهم. فقال: ومن هذا يا أبا الحسن؟ قال: أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي. قال: فلما ولي قال يحيى بن معين: ثقة ثقة ثقة. قال: فسألت أبي فقلت من هذا الرجل؟ فقال المدائني.

وحدث أبو أحمد العسكري في كتاب التصحيف له عن أحمد بن عمار عن بن أبي سعد الوراق قال: العباس بن ميمون قال: قال لي ابن عائشة: جاءني أبو الحسن المدائني فتحدث بحديث خالد بن الوليد حين أراد إن يغير على طرف من أطراف الشام، وقول الشاعر في دليله رافع:

لله در رافع أني اهتدى
فوز من قراقر إلى سوى

خمساً إذا ما سارها الجيش بكى

فقال: الجيش فقلت: لو كان الجيش لكان بكوا، وعلمت إن علمه من الصحف. قال العسكري: أما قول ابن عائشة إن الرواية: الجيش بكى، فهو كما قال، وهو صحيح، وأما قوله لو كان الجيش لكان بكوا فقد وهم في هذا، ويجوز للجيش بكى فيحمل على اللفظ، وقد قال طفيل الغنوي أو أوس بن حجر:

إن يك عار بالقنن أتيت
فراري فإن الجيش قد فر أجمع

وحدث محمد بن إسحاق النديم قال: قرأت بخط ابن الإخشيد: كان المدائني متكلماً من غلمان معمر بن الأشعث قال: وحفص الفرد وأبو شمر وأبو الحسن المدائني وأبو بكر الأصم وأبو عامر وعبد الكريم بن روح ستة كانوا غلمان معمر بن الأشعث.

حدث المدائني قال: أمر المأمون أحمد بن يوسف بإدخاله عليه، فلما دخلت ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام، فحدثته فيه بأحاديث إلى أن ذكر لعن بني أمية له، فقلت: حدثني أبو سلمة المثنى بن عبد الله أخو محمد بن عبد الله الأنصاري قال: قال لي رجل: كنت بالشام فجعلت لا أسمع أحداً يسمى علياً ولا حسناً ولا حسيناً، وإنما أسمع معاوية ويزيد والوليد، قال: فمررت برجل جالس على باب داره وقد عطشت فاستسقيته فقال: يا حسن اسقه، فقلت له: أسميت حسناً؟ فقال: أي والله، إن لي أولاداً أسماؤهم حسن وحسين وجعفر، فإن أهل الشام يسمون أولادهم بأسماء خلفاء الله ولا يزال أحداً يلحن ولده ويشتمه، وإنما سميت أولادي بأسماء أعداء الله، فإذا لعنت إنما لعن أعداء الله فقلت له: ظننتك خير أهل الشام، وإذا جهنم ليس فيها شر منك. فقال المأمون: لا جرم، قد ابتعث الله عليهم من يلحن أحياءهم وأمواتهم، ويلعن من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، يعني الشيعة. فهرست كتب المدائني نقلاً من كتاب ابن النديم.

وذكر أنه نقله من خط ابن الكوفيكتبه في أخبار النبي صلى الله عليه وسلم: كتاب أمهات النبي عليه الصلاة والسلام، كتاب صفة النبي عليه الصلاة والسلام، كتاب أخبار المنافقين، كتاب عهود النبي عليه الصلاة والسلام، كتاب تسمية المنافقين، ومن نزل فيه القرآن منهم ومن غيرهم، كتاب تسمية الذين يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم وتسمية المستهزئين، كتاب رسائل النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك، كتاب آيات النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب إقطاع النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب فتوح النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب صلح النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب خطب النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب عهود النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب المغازي. وزعم أبو الحسن بن الكوفي أنها عنده في ثمانية أجزاء جلود بخط ابن عباس اليباس، وزعم تحت هذا الفصل وأخرى في جزأين تأليف أحمد بن الحارث الخزاري. كتاب سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتاب الوفود يحتوي على وفود اليمن، وفود مضر، وفود ربيعة، كتاب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقات، كتاب خبر الإفك، كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب السرايا، كتاب عمال النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقات، كتاب ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتاب حجة أبي بكر رضي الله عنه، كتاب خطب النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب الخاتم والرسول، كتاب من كتب له النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً أو أماناً، كتاب أموال النبي صلى الله عليه وسلم وكتابه ومن كان يرد عليه الصدقة من العرب.

أخبار قريش: كتاب نسب قريش وأخبارها، كتاب العباس بن عبد المطلب، كتاب أخبار أبي طالب ولده، كتاب خطب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، كتاب عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما. كتاب علي بن عبد الله بن العباس، كتاب آل أبي العاص، كتاب أبي العيص، كتاب خبر الحكم بن أبي العاص، كتاب عبد الرحمن بن سمرة، كتاب ابن أبي عتيق، كتاب عمرو بن الزبير، كتاب فضائل محمد بن الحنفية، كتاب فضائل بن أبي جعفر بن أبي طالب، كتاب فضائل الحارث بن عبد المطلب، كتاب عبد الله ابن جعفر، كتاب معاوية بن عبد الله بن جعفر، كتاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، كتاب أمر محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، كتاب العاص بن أمية، كتاب عبد الله بن عامر بن كريز، كتاب بشر ابن مروان بن الحكم، كتاب عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، كتاب هجاء حسان لقريش، كتاب فضائل قريش، كتاب عمرو بن سعيد بن العاص، كتاب يحيى بن عبد الله ابن الحارث، كتاب أسماء من قتل من الطالبين، كتاب أخبار زياد ابن أبيه، كتاب مناكح زياد ولده ودعوته، كتاب الجوابات ويحتوي على جوابات قريش، وجوابات مضر، وجوابات ربيعة، وجوابات الموالي، وجوابات اليمن. كتبه في أخبار مناكح الأشراف وأخبار النساء: كتاب الصداق، كتاب الولائم، كتاب المناكح، كتاب النواكح، كتاب المغتربات، كتاب القينات، كتاب المرافات من قريش، كتاب من جمع بين أختين، ومن تزوج ابنه امرأته، ومن جمع أكثر من أربع، ومن تزوج مجوسية، كتاب من كرهت مناكحته، كتاب من قتل عنها زوجها، كتاب من نهيت عن تزويج رجل فتزوجته، كتاب من تزوج من الأشراف في كلف، كتاب من هجاها زوجها أو شكاهها، كتاب مناقضات الشعراء وأخبار النساء، كتاب من تزوج في ثقيف من قريش، كتاب الفاطميات، كتاب من وصف امرأة فأحسن، كتاب الكلبيات، كتاب العواتك.

كتبه في أخبار الخلفاء: كتاب من تزوج من نساء الخلفاء، كتاب تسمية الخلفاء وكناهم وأعمارهم، كتاب تاريخ أعمار الخلفاء، كتاب حلي الخلفاء، كتاب أخبار الخلفاء الكبير ابتداءً بأخبار أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وختمه بأخبار المعتصم. كتبه في الأحداث: كتاب الردة، كتاب الجمل، كتاب الغارات، كتاب النهروان، كتاب الخوارج، كتاب خبر ضائب بن الحارث البرجمي، كتاب توبه بن مضر، كتاب بني ناجيه ومصقلة ابن هبيرة، كتاب مختصر الخوارج، كتاب خطب علي كرم الله وجهه وكتبه إلى عماله، كتاب عبد الله بن عامر الحضرمي، كتاب اسماعيل بن هبار، كتاب عمرو ابن الزبير، كتاب مرج راهط، كتاب الربرة ومقتل خبيش، كتاب أخبار الحجاج ووفاته، كتاب عباد بن الحصين، كتاب حرة واقم، كتاب ابن الجارود برسنقباد، كتاب مقتل عمرو بن سعيد بن العاص، كتاب زياد بن عمرو بن الأشرف العتكي، كتاب خلاف عبد الجبار الأزدي ومقتله، كتاب سلم بن قتيبة وروح بن حاتم، كتاب المسور بن عمر بن عباد الحبطي وعمرو بن سهل، كتاب مقتل ابن هبيرة، كتاب يوم سنبل،

كتاب الدولة العباسية، وهو كتاب كبير يشتمل على عدة كتب لم يذكره ابن النديم، ووقع إلى بخط السكري بعضه وقد قرأه على الحارث بن أسامة.

كتبه في الفتوح: كتاب فتوح الشام منذ أيام أبي بكر وإلى أيام عثمان رضي الله عنهما، كتاب فتوح العراق منذ أيام أبي بكر وإلى آخر أيام عمر رضي الله عنهما، كتاب خبر البصرة وفتوحها وفتوح ما يقاربها من دهستان والأهواز وماسبدان وغير ذلك، كتاب فتوح خراسان وأخبار أمرائها كقتيبة ونصر بن سيار وغيرهما، كتاب نوادر قتيبة بن مسلم، كتاب ولاية أسد بن عبد الله القسري، كتاب ولاية نصر بن سيار، كتاب ثغر الهند، كتاب أعمال الهند، كتاب فتوح سجستان، كتاب فارس، كتاب فتح الأبله، كتاب أخبار أرمينية، كتاب كرمان، كتاب كابل وزابلستان، كتاب القلاع والأكراد، كتاب عمان، كتاب فتوح جبال طبرستان أيام الرشيد، كتاب فتوح مصر، كتاب الري وأمر العلوي، كتاب أخبار الحسن بن زيد وما مدح به من الشعر وعماله، كتاب فتوح الجزيرة، كتاب فتوح الباميان، كتاب فتوح الأهواز، كتاب أمر البحرين، كتاب فتح شهر كند، كتاب فتح برقة، كتاب فتح مكران، كتاب فتوح الحيرة، كتاب موادعة النبوة، كتاب خبر سارية بن زنيمة، كتاب فتوح الري، كتاب فتوح جرجان وطبرستان. كتبه في أخبار العرب: كتاب البيوتات، كتاب الجيران، كتاب أشراف عبد القيس، كتاب أخبار ثقيف، كتاب من نسب إلى أمه، كتاب من سمي باسم أمه، كتاب الخيل والرهان، كتاب بناء الكعبة، كتاب خبر خزاعة، كتاب المدينة وجبالها وأوديتها.

كتبه في أخبار الشعراء وغيرهم: كتاب أخبار الشعراء، كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء، كتاب العمائر، كتاب الشيوخ، كتاب الغرماء، كتاب من هادن أو غزا، كتاب من اقترض من الأعراب في الديوان فندم وقال شعراً، كتاب المتمثلين، كتاب من تمثل بشعر في مرضه، كتاب الأبيات التي جوابها كلام، كتاب النجاشي، كتاب من وقف على قبر فتمثل بشعر، كتاب من بلغه موت رجل فتمثل بشعر، كتاب من بلغه موت رجل فتمثل شعراً أو كلاماً، كتاب من تشبه من النساء بالرجال، كتاب من فضل الأعرابيات على الحضريات، كتاب من قال شعراً على البديهة، كتاب من قال شعراً في الأوابد، كتاب الاستعداد على الشعراء، كتاب من قال شعراً فسمى به، كتاب من قال في الحكومة من الشعراء، كتاب تفضيل الشعراء بعضهم على بعض، كتاب من ندم على المديح ومن ندم على الهجاء، كتاب من قال شعراً فأجيب بكلام، كتاب الأسود الدؤلي، كتاب خالد بن صفوان، كتاب مهاجرة عبد الرحمن بن حسان للنجاشي، كتاب قصيدة خالد بن يزيد في الملوك والأحداث، كتاب أخبار الفرزدق، كتاب قصيدة عبد الله بن اسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن، كتاب خبر عمران بن حطان. ومن كتبه المؤلفة: كتاب الأوائل، كتاب المتيمين، كتاب التعازي، كتاب المنافرات، كتاب الأكلة، كتاب المسيرين، كتاب اللواطين، كتاب القيافة والفأل والزجر، كتاب من جرد الأشراف، كتاب المروءة، كتاب الحمقى، كتاب اللواطين، كتاب الجواهر، كتاب المغنين، كتاب المسمومين، كتاب كان يقال، كتاب ذم الحسد، كتاب من وقف على قبر، كتاب الخيل، كتاب من استجيب دعوته، كتاب قضاة أهل المدينة، كتاب قضاة أهل البصرة، كتاب أخبار رقية بن مصقلة، كتاب مفاخرة العرب والعجم، كتاب مفاخرة أهل البصرة والكوفة، كتاب ضرب الدراهم والصرف، كتاب أخبار إياس بن معاوية، كتاب خبر أصحاب الكهف، كتاب خطبة واصل، كتاب إصلاح المال، كتاب آداب الإخوان، كتاب البخل، كتاب المقطعات المتخيرات، كتاب أخبار ابن سيرين، كتاب الرسالة إلى ابن داود، كتاب النوادر، كتاب المدينة، كتاب مكة، كتاب المخضرمين، كتاب المراعي والجراد ويحتوي على الكور والطساسيج وجباياتها.

علي بن محمد بن وهب المسعري

صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام. روى عن أبي عبيد أنه قال: هذا الكتاب - يعني غريب الحديث المصنف - أحب إلى من عشرة آلاف دينار، وعدد أبوابه على ما ذكره ألف باب، وفيه من شواهد الشعر ألف ومائتا بيت.

علي بن محمد بن نصر بن بسام

أبو الحسن العبرتي الكاتب. وأمه أخت أحمد بن حمدون بن إسماعيل النديم لأبيه وأمه. وقال المزرباني: أمه بنت النديم، وله مع خاله أبي عبد الله حمدون أخبار. وكان حسن البديهة شاعراً ماضياً أديباً لا يسلم من لسانه أحد، وهو معدود في العققة وكان يصنع الشعر في الرؤساء وينحله ابن الرومي وغيره. مات فيما ذكره ابن المزرباني بعد سنة ثلاثمائة بسنتين.

وقال ثابت بن سنان: مات علي بن محمد بن بسام في صفر سنة اثنتين وثلاثمائة عن نيف وسبعين سنة، واستفرغ شعره في هجاء والده محمد بن بسام والخلفاء والوزراء، وكان مع فصاحته وبيانه لاحظ له في التطويل، إنما تحسن مقطعاته وتندر أبياته، وهو من أهل بيت الكتابة، وكان جده نصر بن منصور يتولى ديوان الخاتم والنفقات والأزمة في أيام المعتصم، وكان هو السبب

في نكبة الفضل بن مروان، وكان قد هجا الوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح لما نفى إلى مكة، فلما ردت الوزارة جلس يوماً للمظالم فمرت في جملة القصص رقعة فيها مكتوب:

وإلى ابن عيسى وكنت أضغنه
أشد شيء على أهونه
ما قدر الله ليس يدفعه
وماسواه فليس يمكنه

فقال علي بن عيسى: صدق هذا ابن بسام، والله لا ناله مني مكروه أبداً، وكان الغالب على ابن بسام الشعر، ومن حقه أن يذكر مع الشعراء، وإنما حملنا على ذكره هاهنا رسائله وماله من التصانيف وهي: كتاب أخبار عمر بن أبي ربيعة تصنيف جيد بالغ في معناه، وجدت أخبار عمر بن أبي ربيعة تصنيف علي بن محمد ابن نصر بن منصور بن بسام وقد روى فيه عن الزبير ابن بكار، وعمر بن شبة، وحمام بن اسحاق، ويعقوب بن أبي شيبة، وأحمد بن الحارث الخزاز، ومحمد بن حبيب وسليمان بن أبي شيخ وخاله أحمد بن حمدون، كتاب المعاقرين كتاب ديوان رسائله. كتاب مناقضات الشعراء، كتاب أخبار الأحوص. ومن شعره الذي قاله ونحله ابن الرومي قوله يخاطب عبيد الله بن سليمان الوزير وقد مات ابنه أبو محمد في سنة أربع وثمانين:

قل لأبي القاسم المرجى
مات لك ابن وكان زيناً
قابلك الدهر بالعجائب
وعاش ذو الشين والمعائب
فلسنا تخلص من المصائب
حياة هذا كفقد هذا

فبلغت الأبيات عبيد الله فساءته، فدعا البسامي وقال: يا علي، كيف قلت؟ فعلم البسامي أنه مغضب فقال: قلت أيها الوزير:

قل لأبي القاسم المرجى
لئن تولى بمن تولى
لقد تخطت لك المنايا
لن يدفع الموت كف غالب
وفقده أعظم المصائب
عن حامل عنك للنوائب

يعني ابنه أبا الحسين، فسكت عبيد الله ولها عنه. وذكر الصولي في كتاب الوزراء قال: قال أبو الحارث النوفلي الشاعر: كنت أبغض القاسم بن عبيد الله لكفره، ولمكروه نالني منه، فلما قرأت شعر ابن المعتز، وهو شعر - رثى به الحسين أبا محمد - مذكور في أخباره، وشعر ابن بسام، وكان ابن بسام قد قال:

معاذ الله من كذب ومين
ولكن قد تنسينا الرزايا
لقد أبكت وفاتك كل عين
ويعضدنا بقاء أبي الحسين

قلت على لسان ابن بسام وأشعتها عليه وأنفذتها إليه: قل لأبي القاسم المرجى الأبيات.

وحدث السلامي عن أبي القاسم المجمع بن محمد بن المجمع قال: حدثني ابن حمدون النديم قال: كان المعتضد أمر بعمارة البحيرة واتخاذ رياض حواليتها، وإنفق على الأبنية بها ستمائة ألف دينار، وكان يخلو فيها مع جواريه، وفيه جارية يقال لها دريرة، فقال البسامي:

ترك الناس بحيرة
قاعداً يضرب بالز
وتخلى في البحيرة
رب على حر دريره

وبلغت الأبيات المعتضد، فلم يظهر لأحد أنه سمعها، وأمر بتخريب ما استعمره من تلك العمارات والأبنية. قال أحمد بن حمدون: فكنت ألاعب المعتضد بالشطرنج ذات يوم إذ دخل عليه القاسم بن عبيد الله وهو وزيره، فاستأمره في شيء وانصرف، فلما ولى أنشد المعتضد قول البسامي في القاسم:

حياة هذا كموت هذا
فلسنا تخلص من المصائب

وجعل يكرر هذا البيت، وعاد القاسم إليه في شغل والمعتضد مشغول باللعب، ولم يعلم بحضوره وهو يردد البيت، فاحتلت حتى أعلمته حضوره، فرفع رأسه إليه واستحيا منه حتى تبين ذلك في وجهه ثم قال: يا أبا الحسين: - وهو أول ما كناه للخجل الذي تداخله - لم لا تقطع لسان هذا الماجن وتدفع شره عنك؟ فانصرف القاسم مبادراً إلى مجلسه ومنتعزاً للفرصة في ابن بسام وأمر بطلبه.

قال ابن حمدون: فدهشت وارتعشت يدي في اللعب خوفاً مما يلحق ابن بسام للقرابة التي بيني وبينه: فقال المعتضد: ما لك؟ قلت: يا أمير المؤمنين، القاسم بن عبيد الله لا يصطلي بناره، وكأنني به وقد قطع لسان البسامي حقاً عليه، وهو أحد النبلاء الشعراء فيكون ذلك سبباً على أمير المؤمنين، فأمر بإحضار القاسم وسأله عما فعله في أمر ابن بسام فقال: قد تقدمت إلى مؤنس بإحضاره لأقطع لسانه، فقال: يا أبا الحسين، إننا أمرناك أن تقطع لسانه بالبر والصلوة والتكرمة ليعدل عن هجائك إلى مدحك. فقال يا أمير المؤمنين: لو عرفته حق المعرفة وعلمت ما قاله لاستجزت قطع رأسه، عرض بما قاله في المعتضد ودريرة، فنبسم

المعتضد وقال: يا أبا الحسين، إنما أمرنا بتخريب البحيرة لذلك، فتقدم أنت بإحضاره وأخرج ثلاثمائة دينار فإن ذلك أولى وأحسن من غيره. قال: فأحضره القاسم بعد ثلاثة وخلع عليه وولاه بريد الصيمرة وما والاها، فبقي في عمله إلى آخر أيام المعتضد، ثم جمع به طبعه إلى إعادة الإساءة فقال:

أبلغ وزير الإمامعني
يموت حلف الندى ويبقى
فأنت من ذاعميد قلب
حياة هذا كموت هذا

قال لحظة: كان ابن بسام يفخر بقوله في:

يا من هجونه فغننا

فقلت: هذا معنى لم يسبق إليه خاطر ابن بسام وإن كان قد أتى به مطبوعاً، وإنما أخذه من قول الرومي في هجائه شنطف:

وفي قبحها كافٍ لنا من كيادها
ولو علمت ما كابدتنا لقبها

وقال ابن بسام في الوزير الخاقاني:

وزير ما يفيق من الرقاعة

إذا أهل الرشاً صاروا إليه

فلا رحماً تقرب منه خلقاً

وليس بمنكر ذا الفعل منه

يولى ثم يعزل بعد ساعة
فأحظى القوم أوفرهم بضاعة
سوى الورق الصحاح ولا شفاعاة
لأن الشيخ أفلت من مجاعه

حدث أبو نصر أحمد بن العلاء الشيرازي الكاتب قال: لما تقلد أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات الوزارة كنت أجالسه وأوانسه، فحدثني يوماً أن أباه حدثه قال: تقلدت مصر وكان بيني وبين أبي الحسين بن بسام مودة ورضاع، ونحن مختلطون وأنا بمصر يوماً فما شعرت إلا بابن بسام قد دخل إلي متقلداً للبريد، فأفهمته أحوالي، وقاسمته أكثر مروءتي وأموالي، وتطلبت الخلاص من لسانه بكل شيء يمكن، وأوصيت حاجبي ألا يحجبه عني ولو كنت مع زوجتي، فجاء يوماً وأنا نائم فقال له الحاجب: ادخل، فدخل فوجدني نائماً فاستدعى دواءً وكتب شيئاً وتركه وانصرف. فلما انتبهت عرفني حاجبي ذلك، فأخذت الرقعة فإذا فيها:

محتجب دون من يلم به
لأن للخارجات منفعة
وليس للخارجات حجاب
تأنيه والداخلون طلاب

قال: فبعثت أعرف خبرة لأعاتبه فإذا هو تحمل وسار عن البلد، فكتبت إليه أدرايه وألاطفه ليرجع فلم يجب. قال التتوخي: حدثني ابن أبي قيراط علي بن هشام، حدثني أبو علي مقلّة قال: كنت أحقد ابن بسام لهجائه إياي، فخطب ابن الفرات في وزارته الأولى في تصريحه، فاعترضت وقلت: إذا صرف فلا يحتبس الناس على مجالسنا وقد افتقرت، فإذا لم يضره الوزير فلا أقل من ألا ينفعه، فامتنع من تصريحه قضاء لحقي، فبلغ ذلك ابن بسام فجاءني وخضع لي ثم لازمني نحو سنة حتى صار يختص بي ويعاشرني على البريد، ومدحني فقال:

يا زينة الدين والدنيا وما جمعا
إن ينسئ الله في عمري فسوف ترى
أبا علي لقد طوقتني منناً
فاسلم فليس يزيل الله نعمته

وحدث محمد بن يحيى الصولي أنه سمع علي بن محمد ابن بسام يقول: كنت أتعشق خادماً لخالي أحمد بن حمدون فقممت ليلة لأدب إليه، فلما قربت منه لسعتني عقرب فصرخت فقال خالي: ما تصنع هاهنا؟ فقلت: جئت لأبول. فقال: صدقت ولكن في است غلامي، فقلت لوقتي:

ولقد سریت مع الظلام لموعِد
فإذا على ظهر الطريق مغدة
لا بارك الرحمان فيها عقرباً

فقال خالي: قبحك الله، لو تركت المجون يوماً لتركته في هذه الحال. ولابن بسام في علي بن عيسى الوزير:

رجوت لك الوزارة طول عمري
تقدمني أناس لم يكونوا
فأحببت الممات وكل عيش
ومن شعر ابن بسام من خط السمعاني:

أقصرت عن طلب البطالة والصبا
لله أيام الشباب ولهوه
فدع الصبا يا قلب واسل عن الهوى
وانظر إلى الدنيا بعين مودع
فالحادثات موكلات بالفتى

ولما ولي حامد بن العباس وزارة المقتدر ورتب معه علي بن عيسى يدير الأمور بين يديه، قال ابن بسام:
يا بن الفرات تعزه
لما عزلت حصلنا
وعلى بن بسام القائل يمدح النحو:

رأيت لسان المرء وافد عقله
فلا تعد اصلاح اللسان فإنه
ويعجبني زي الفتى وجماله
على أن للأعراب حداً وربما
ولا خير في اللفظ الكريه استماعه

ومن قصيدة له يهجو فيها الكتاب:

وعبدون يحكم في المسلمين
ودهقان طي تولى العراق
وحامد يا قوم لو أمره
نعم ولأرجعته صاغراً
أيارب قد ركب الأرذلون
فإذا كنت حاملها مثلهم

قال أبو الحسين علي بن هشام بن أبي قيراط: سمعت ابن بسام ينشد في وزارة ابن الفرات:
إذا حكم النصارى في الفروج
فقل للأعور الدجال هذا

قال أبو الحسين بن هشام: حدثني زنجي الكاتب، حدثني ابن بسام قال: كنت أتقلد البريد بقلم في أيام عبيد الله بن سليمان والعامل بها أبو عيسى أحمد بن محمد ابن خالد المعروف بأخي أبي صخرة، فأهدى الي في ليلة عيد الأضحى بقرة للأضحى، فاستقلتها ورددتها وكتبت إليه:

كم من يد لي إليك سالفه
نفسك أهديتها لأذبحها
وأنت بالحق غير معترف
فصنتها عن مواقع التلف

علي بن محمد بن عبيد بن الزبير الأسدي

المعروف بابن الكوفي صاحب ثعلب والخصيص به. وهو من أسد قريش، وهو أسد بن عبد العزي بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب رهط الزبير ابن العوام، وهو صاحب الخط المعروف بالصحة المشهور باتقان الضبط وحسن الشكل، فإذا قيل: نقلت من خط ابن الكوفي فقد بالغ في الاحتياط، وكان من أجل أصحاب ثعلب. مات في ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، ومولده سنة أربع وخمسين ومائتين، وكان ثقة صادقاً في الرواية وحسن الدراية، وله من الكتب: كتاب الهمز رأيته

أنا بخطه، كتاب معاني الشعر واختلاف العلماء فيه، كتاب الفرائد والقلائد في اللغة. قال مؤلف الكتاب: ورأيت بخطه عدة كتب فلم أر أحسن ضبطاً وإتقاناً للكتابة منه، فإنه يجعل الإعراب على الحرف بمقدار الحرف احتياطاً، ويكتب على الكلمة المشكوك فيها عدة مرار: صح صح صح، فكان من جماعي الكتب وأرباب الهوى فيها. وذكره أبو الحسن محمد بن جعفر التميمي المعروف بابن النجار في كتاب الكوفة من تصنيفه قال: ومن أصحاب ثعلب أبو الحسن أحمد بن محمد الكوفي الأسدي الذي خطه اليوم يؤتم به، وبيع جزايات كتبه ورقاع سؤالاته العلماء، كل رقعة بدرهم، وأنفق على العلم ثلاثين ألف درهم على ثعلب وحده، هكذا قال أحمد بن محمد وأظنه سهواً منه، فإن ابن الكوفي المشهور بجودة الضبط اسمه بخطه على عدة من كتبه، وهو علي ابن محمد بن عبيد الكوفي الأسدي كما قدمنا، فإن صحت رواية ابن النجار فهو غير الذي نعرفه نحن، فإني لم أر لهذا المسمى ذكراً مع كثرة بحثي وتنقيري، ووجدت جزاةً من إملاء أبي الهيثم كلاب بن حمزة العجلي اللغوي - وله في هذا الكتاب ترجمة - ما صورته: ولأبي الهيثم إلى أبي الحسن بن الكوفي النحوي البغدادي رحمه الله:

أبا حسن أراك تمد حبلتي	لنقطعه وأرسله بجهدتي
وأتبعه إذا قصر احتياطاً	وأنت تشد حبلك أي شد
أخي فكم يكون بقاء حبل	ينتلل بين إرسال ومد
تعالى الله ما أجفى زماناً	بقيت له وأنكد فيه جدى
أظن الدهر يقصدني لأمر	يحاوله ويطلبني بحقد
إذا ذهبت بشكلي عن ودادي	مذاهبه كيف ألوم ضدي؟
سأصبر طائعاً وأغض طرفي	وأحفظ عهد مطرح لعهدي
وأقصد أن أحصل لي صديقاً	أعز به على خطئي وعمدي
فإن أظفر بذاك فأني كنز	ونيل غنيمته وتقوب زندي
وإلا كان حسن الصبر أخرى	بحسن مثوبة وبناء مجد
ألا لله ما أصبحت فيه	من الخلاء من تعب وكد
لقاء بالجميل وحسن بشر	وإنصاف يشاب بخلف وعد
وعلم لا يقاس إليه علم	بكل طريقة وبكل حد
وإغفال لما أولى وأجى	تفقدته بذى أدب وحشد
فيالله يا للناس يا لل	عجائب بين تقربة وبعد
ومن الأخلاق إذ مزجت فصارت	علاقمها مجدحة بشهد
أراني بين منزلتين ما لي	سوى أحدهما ثقة لقصد
فإن أرد الأنيس أعش ذليلاً	وإن أرد التعزز أبق وحدي

علي بن محمد بن الشاه الطاهري

من ولد الشاه بن ميكال وكان أديباً طيباً مفاكهاً في نهاية الظرف والنظافة، يسلك مسلك أبي العنيس الصيمري في تصنيفه، وله من التصانيف: كتاب دعوة التجار، كتاب فخر المشط على المرأة، كتاب حرب الجبن مع الزيتون، كتاب الرؤيا، كتاب اللحم والسمك، كتاب عجائب البحر، كتاب قصيدة: وخيار يا مكانس. ولما لم أجد له ما يكتب وجدت في كتاب الرياض للمرزباني: أنشدني أحمد بن إبراهيم بن الشاه الطاهري:

فؤادي غليل وجسمي نحيل	وليلي طويل ونومي قليل
وقلبي غليل ودائي دخيل	وسقمي دليل على ما أقول
وطرفي كليل فما لي مقيـل	وأمرني جليل فصبر جميل

علي بن محمد بن عبدوس الكوفي النحوي

ذكره محمد بن اسحاق، وله من الكتب: كتاب الشعر بالعروض. كتاب البرهان في علل النحو. كتاب معاني الشعر.

علي بن محمد أبو القاسم الإسكافي

من أهل نيسابور، ذكره الثعالبي فقال: هو لسان خراسان وعينها، وواحد في الكتابة والبلاغة، وممن لم يخرج مثله في الصناعة والبراعة، وكان تأدب بنيسابور عند مؤدبٍ بها يعرف بالحسن بن مهرجان من أعراف المؤدبين بأسرار التأديب والتدريس، وأعلمهم بطريق التدريج إلى التخريج، ثم حرر مديدةً في بعض الدواوين فخرج منقطع القرين، واسطة عقد الفضل، ونادرة الزمان، وبكر الفلك كما قال فيه الهزيمي:

سبق الناس بياناً فغدا
أصبح الملك به متسقاً
وهو بالإجماع بكر الفلك
لسليل الملك عبد الملك

ووقع في ريعان أمره وعنفوان عمره إلى أبي علي الصاغاني واستأثر به واستخلصه لنفسه، وقلده ديوان رسائله، فحسن خبره، وسافر أثره، وكانت كتبه ترد على الحضرة في نهاية الحسن والنضرة، فتقع المنافسة فيه، ويكتب أبو علي في إثارة الحضرة به، فيتعلل ويتسلل لواءاً، ولا يخرج عنه إلى أن كان من كشف أبي علي قناع العصيان، وإنهزامه في وقعة خرجك إلى الصغانين ما كان، وحصل أبو القاسم في جملة الأسرى من أصحاب أبي علي، فحبس في القهndز وقيد مع حسن الرأي فيه وشدة الميل إليه. ثم إن الأمير الحميد نوح بن نصر أراد أن يستكشفه عن سره ويقف على خبيته صدره، فأمر أن يكتب إليه رقعة على لسان بعض المشايخ ويقال له فيها: إن أبا العباس الصاغاني قد كتب إلى الحضرة يستوهدك من السلطان ويستدعيك إلى الشاس لتتولى له كتابة الكتب السلطانية، فما رأيك في ذلك؟ فوقع في الرقعة: رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه، فلما عرض توقيعه على الحميد حسن موقعه منه وأعجب به، وأمر بإطلاقه والخلع عليه، وإقاعده في ديوان الرسائل خليفة لأبي عبد الله بن الحسين بن العميد الملقب بـكله، وهو والد أبي الفضل بن العميد، وكان الاسم للعميد والعمل لأبي القاسم، وعند ذلك قال بعض مجان الحضرة:

تبظرم الشيخ كله
كانه لم ير من
والله إن دام على
فإنه أول من
وكان أبو القاسم يهجو فقال فيه وكان يحضر الديوان في محفةٍ لسوء أثر النقرس على قدمه:
يا ذا الذي ركب المحف
أترى الزمان يعيشني
ولست أَرْضَى ذاك له
قعد عنه بدله
هذا الجنون والبله
ينتف منه البسلة
فة جامعاً فيها جهازه
حتى يرينها جنازه؟

فلم تطل الأيام حتى أدركت العميد منيته، وبلغ أبو القاسم أمنيته، وتولى العمل برأسه، وعلا أمره وبعد صيته، وجمعت رسائله أقسام الحسن والجودة، وازداد على الأيام تبحراً في الصناعة، ويحكي أن الحميد أمره ذات يوم بكتب كتاب إلى بعض الأطراف وركب متصيلاً واشتغل أبو القاسم عن ذلك لمجلس إنس عقده بين إخوان جمعهم عنده، فحين رجع الحميد من متصيده استدعى أبا القاسم وأمره باستصحاب الكتاب الذي رسم له كتابته ليعرضه عليه ولم يكن كتبه، فأجاب داعيه وقد نال منه الشراب ومعه طومار بياض أو هم أنه مكتوب فيه الكتاب المرسوم له، وقعد بالبعد عنه فقرأ عليه كتاباً طويلاً سديداً بليغاً أنشأه في وقته وقرأه عن ظهر قلبه، وارتضاه الحميد وهو يحسب أنه قرأه من سواد مكتوبه وأمره بختمه، فرجع إلى منزله وحرر ما قرأه وأصدره على الرسم في أمثاله. ومن عجب أمره: إنه كان أكتب الناس في السلطانيات، فإذا تعاطى الإخوانيات كان قصير الباع، وكان يقال: إذا استعمل أبو القاسم نون الكبرياء تكلم من السماء، وكان في علو الرتبة في النثر وانحطاطه في النظم كالجاحظ، ورسائله كثيرة مدونة سائرة في الأفاق.

قال: ولما انتقل إلى جوار ربه أكمل ما كان شاباً وآداباً، وغدت الكتابة لفراقه شعثاء، والبلاغة غبراء أكبر فضلاء الحضرة رزيته، وأكثروا مرثيته، فمن ذلك قول الهزيمي الأبيوردي من قصيدة:

ألم تر ديوان الرسائل عطلت
كثغر مضى حاميه ليس لسده
ليبك عليه خطه وبيانه
فقدانه أقلامه ودفاتره
سواه وكالكسر الذي عز جابره
فذا مات واشيه وذا مات ساحره

علي بن محمد بن أبي الفهم، لتتوخي

داود بن ابراهيم التنوخي أبو القاسم القاضي، قد تقدم نسبه في ترجمة حفيده علي بن المحسن. قال السمعاني: ولد أبو القاسم هذا بأنطاكية في ذي الحجة سنة ثمان وسبعين ومائتين، وقدم بغداد في حياته في سنة ست وثلاثمائة، وتفقه بها على مذهب أبي حنيفة، وسمع الحديث ورواه، وولى القضاة بالأهواز وكورها، وتقلد قضاء إيج ووجد حمص من قبل المطيع لله، ومات بالبصرة في ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة ودفن بالمربد. أعرف من التنوخيين هؤلاء الثلاثة، فينبغي أن يذكروا في هذا الكتاب وهم: أبو القاسم وابنه أبو علي المحسن صاحب كتاب نشوار المحاضرة وكتب الفرج بعد الشدة، وحفيده أبو القاسم على الأخير شيخ الخطيب وتلك الطبقة، وقد ذكرت كل واحد منهم، وله تصانيف في الأدب منها: كتاب في العروض. قال الخالغ: ما عمل في العروض أجود منه. كتاب في علم القوافي، وكان بصيراً بعلم النجوم، قرأه على البناني المنجم صاحب الزيج ويقال: إنه كان يقوم بعشرة علوم، وتقلد القضاء بالأهواز وكورة واسط وأعمالها والكوفة، وسقى الفرات ووجد حمص وعدة نواح من الثغور الشامية وأرجان وكورة سابور مجتمعاً ومفتقراً، وأول ولايته القضاء رئاسة في أيام المقتدر بالله بعهد كُتبه له أبو علي بن مقلة الوزير، وشهد الشهود عنده فيما حكم بين أهل عمله بالحضرة في سنة أربعين وثلاثمائة وشهدوا على إنفاذه. وكان المطيع لله قد عول على صرف أبي السائب عن قضاء القضاة وتقليده إياه، فأفسد ذلك بعض أعدائه، وكان ابن مقلة قلده المظالم بالأهواز والأشراف على العيار بها، وكان أبو عبد الله البريدي قد استخلفه بواسط على بعض أمور النظر، ولم يزل نبياً متقدماً يمدحه الشعراء ويجيزهم، ويفضل على من قصده إفضالاً أثر في حاله، وتوفي في سنة اثنتين وأربعين، وصلى عليه الوزير أبو محمد المهلبى وقضى ما كان عليه من الدين وهو خمسون ألف درهم.

قال أبو علي التنوخي: كان أبي بحفظ للثانيين سبعمائة قصيدة ومقطوعة سوى ما يحفظ لغيرهم من المحدثين والمخضرمين والجاهليين، ولقد رأيت له دفترًا بخطه هو عندي يحتوي على رؤس ما يحفظه من القصائد مائتين وثلاثين ورقة أثمان منصورى لطاف. وكان يحفظ من النحو واللغة شيئاً عظيماً مع ذلك، وكان عظيماً في الفقه والفرائض. والشروط والمحاضر والسجلات رأس ماله، وكان يحفظ منه ما قد اشتهر من الكلام والمنطق والهندسة، وكان في النحو وحفظ الأحكام وعلم الهيئة قدوة وفي حفظ علم العروض. وله فيه وفي الفقه وغيرهما عدة كتب مصنفة، وكان مع ذلك يحفظ ويجيب فيما يفوق عشرين ألف حديث، وما رأيت أحداً أحفظ منه، ولولا أن حفظه افترق في جميع هذه العلوم لكان أمراً هائلاً. قال أبو منصور الثعالبي: هو من أعيان أهل العلم والأدب، وأفراد الكرم وحسن الشيم، وكان كما قرأته في فصل للصاحب: إن أردت فإني سبعة ناسك، أو أحببت فإني تفاحة فائز، أو اقترحت فإني مدرعة راهب، أو أثرت فإني تحية شارب. وكان يتقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين، وحين صرف عنه ورد حضرة سيف الدولة زائراً ومادحاً، فأكرم مثواه وأحسن قراه، وكتب في معناه إلى الحضرة ببغداد حتى أعيد إلى عمله، وزيد في رزقه ورتبته. وكان المهلبى الوزير وغيره من رؤساء العراق يميلون إليه جداً ويتعصبون له، ويعودونه ربحانة الندماء، وتاريخ الطرقات، ويعاشرهم منه من تطيب عشرته، وتكرم أخلاقه، وتحسن أخباره، وتسير أشعاره، ناظماً حاشيتي البر والبحر، وناحيتي الشرق والغرب. وبلغني أنه كان له غلام يسمى نسيماً في نهاية الملاحة واللباقة، وكان يؤثره على كافة غلمانه، ويختصه بتقريبه واستخدامه، فكتب إليه بعض يأنس به:

هل على من لأمه مدغم لا اضطرار الشعر في ميم نسيم؟

فوقع تحته نعم، ولملا؟ قال: ويحكى إنه كان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبى ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على أطراح الحشمة، والتبسط في القصص والخلاعة، وهم ابن قريعة، وابن معروف، والقاضي الإيجي وغيرهم، وما منهم إلا أبيض اللحية طويلاً، وكذلك كان المهلبى، فإذا تكامل الأنس وطاب المجلس، ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه، وهبوا ثوب الوقار للعقار، وتقلبوا في أعطاف العيش بين الخفة والطيش، ووضع في يد كلٍ منهم طاس ذهب من ألف مثقال مملوء شراباً قطربلياً وعكبرياً فيغمس لحيته فيه، بل ينقعها حتى تتشرب أكثره، ثم يرش بها بعضهم على بعض، ويرقصون بأجمعهم وعليهم المصبغات ومخائق البرم ويقولون كلما كثر شربهم: هرهر وإياهم عن السرى بقوله:

مجالس ترقص القضاة بها إذا أنتشوا في مخائق البرم

وصاحب يخلط المجون لنا بشيمة حلوة من الشيم

يخضب بالراح شبيهه عبثاً أنامل مثل حمرة العنم

حتى تخال العيون شيبته شبيبة قد مزجتها بدم

فإذا أصبحوا عادوا إلى عاداتهم في التزمت والتوقر والتحفظ بأبهة القضاء وحشمة المشايخ الكبراء ومن شعر التنوخي هذا:

وجاء لا جاء الدجى كأنه من طلعة الواشي ووجه المرتقب

وفعل الظلام بالضياء ما يفعله الحرف بأبناء الأدب

وله:

وليلة مشتاق كأن نجومه قد اغتصبت عيني الكرى فهي نوم

كأن عيون الساهرين لطولها
كان سواد الليل والفجر ضاحك

وله:

عهدي بها وضيء الصبح يطفئها
أعجب به حين وافى وهي نيرة

وله:

لم أنس دجلة والدجى متصوب
فكانها فيه بساط أزرق

وله:

كتبت وليلى بالسهاد نهار
ولي أدمع عزر تفيض كأنها
ولم أر مثل الدمع ماءً إذا جرى
رحلت وزادي لوعة ومطيتي
مسير دعاه الناس سيراً توسعاً
إذا رمت أن أنسى الأسى ذكرت به
لك الخير، عن غير اختياري ترحلي
وهذا كتابي والجفون كأنها

وله:

فحم كيوم الفراق يشعله
أسود قد صار تحت حمرتها

وله في محبوب جسيم:

من أين أستر وجدي وهو منهتك
قالوا: عشقت عظيم الجسم، قلت لهم:

وله:

رضاك شباب لا يليه مشيب
كأنك من كل القلوب مركب
قال: ومما أنشدته له ولم أجده في ديوانه:
قلت لأصحابي وقد مر بي
بالله يا أهل ودادي قفوا

وحدث السلامي قال: حدثني اللحام قال: خرج أبو أحمد بن ورقاء الشيباني في بعض الأسفار فكتب إليه أبو القاسم التتوخي الأنطاكي يتشوق إليه ويجزع على فراقه:

أسير وقلبي في ذراك أسير
ولي أدمع غرز تفيض كأنها
وطرف طريف بالسهاد كأنه
أبا أحمد إن المكارم منهل
سماح كمنز الجود فيه تسجم
شباب بني شيبان شيب إذا انتدوا
وجوه كأكباد المحبين رقة

إذا شخصت للأنجم الزهر أنجم
يلوح ويخفي أسود يتبسم

كالسرج تطفأ أو كالأعين العور
وظل يطمس منها النور بالنور

والبرد في أفق السماء مغرب
وكأنه فيها طراز مذهب

وصدري لوراد الهموم صدار
سحائب فاضت من يديك غزار
تلهب منه في المدامع نار
جوانح من حر الفراق حرار
ومعنى اسمه إن حققوه إسار
ديار بها بين الضلوع ديار
وهل بي على صرف الزمان خيار؟
تحكم في أشفار هن شفار

نار كنار الفراق في الكبد
مثل العيون اكتحلن بالرمد

ماللمتيم في تفك الهوى درك؟
كالشمس أعظم جسم حازه الفلك

وسخطك داء ليس منه طبيب
فأنت إلى كل القلوب حبيب

منتقياً بعد الضيا بالظلم
كي تبصروا كيف زوال النعم؟

وحدث السلامي قال: حدثني اللحام قال: خرج أبو أحمد بن ورقاء الشيباني في بعض الأسفار فكتب إليه أبو القاسم التتوخي الأنطاكي يتشوق إليه ويجزع على فراقه:

وحادي ركابي لوعة وزفير
جدى فاض في العافين منك غزير
نداك وجيش الجود فيه يغير
لكم أول من ورده وأخير
وغاب لأسد الموت فيه زئير
وقلهم يوم اللقاء كثير
على أنها يوم اللقاء صخور

وحدث أبو سعد السمعاني ومن خطه نقلت بإسنادٍ رفعه إلى منصور الخالدي قال: كنت ليلةً عند القاضي التنوخي في ضيافته فأغفى اغفاءً فخرجت منه ريح، فضحك بعض القوم فانتبه لضحكهم وقال: لعل ريحاً، فسكتنا فمكث هنيهةً ثم أنشأ يقول:

إذا نامت العينان من متيقظٍ
فمن كان ذا عقلٍ فيعذر نائماً
تراخت بلا شكٍ تشاريح فقحته
ومن كان ذا جهلٍ ففي جوف لحيته

ومن خط السمعاني بإسناده له، وهي من مشهور شعره:

لم أنس شمس الضحى تطالعني
وجفن عيني بدمعه شرق
ونحن من رقبةٍ على فرق
لما بدت في معصر شرق
كأنه أدمعي ووجنتها
ثم تغطت بكمها خجلاً
كالشمس غابت في حمرة الشفق

وله:

تخير إذا ما كنت في الأمر مرسلًا
وروى وفكر في الكتاب فإنما
فمبلغ آراء الرجال رسولها
بأطراف أقلام الرجال عقولها

وحدث أبو علي المحسن بن علي بن محمد التنوخي: جرى في مجلس أبي - رحمه الله - يوماً ذكر رجلٍ كان صغيراً فارتفع، فقال بعض الحاضرين: من ذاك الوضع؟ أمس كنا نراه بمرقعةٍ يشد، فقال أبي: وما يضعه من أن الزمان عضه ثم ساعده؟ كل كبير إنما كان صغيراً أولاً، والفقر ليس بعارٍ إذا كان الإنسان فاضلاً في نفسه، وأهل العلم خاصة لا يعيبهم ذلك، وأنا اعتقد أن من كان صغيراً فارتفع، أو فقيراً فاستغنى، أفضل ممن ولد في الغنى أو في الجلالة، لأن من ولد في ذلك إنما يحمد على فعل غيره، فلا حمد له هو خاصة فيه، ومن لم يكن له فكان، فكأنما بكده وصل إلى ذلك، فهو أفضل ممن وصل إليه ميراثاً أو بجد غيره وكد سواه.

حدث أبو علي المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد ابن داوود التنوخي: حدثني أبي قال: سمعت أبي - رحمه الله - يوماً ينشد وسنى إذا ذاك خمس عشرة سنةً قصيدةً دعي بن علي الطويلة التي يفخر فيها باليمن ويعدد مناقبهم، ويرد على الكمية فيها فخره بنزار وأولها:

أفيقي من ملامك يا طعينا
كفاك اللوم مر الأربعينا

وهي نحو ستمائة بيتٍ، فاشتبهت حفظها لما فيها من مفاخر اليمن لأنهم أهلي، فقلت يا سيدي: تخرجها إلي حتى أحفظها؟ فدافعني فألححت عليه فقال: كاني بك تأخذها فتحفظ منها خمسين بيتاً أو مائة بيتٍ، ثم ترمي بالكتاب وتخلقه على، فقلت: إدفعها إلي فأخرجها وسلمها لي وقد كان كلامه أثر في فدخلت حجره لي كانت برسمي من داره، فخلوت فيها ولم أتشغل يومي وليلتي بشيء غير حفظها، فلما كان السحر كنت قد فرغت منها جميعها وأتقنتها، فخرجت إليه غدوةً على رسمي فجلست بين يديه فقال لي: كم حفظت من القصيدة؟ فقلت: قد حفظتها بأسرها، فغضب وقدر أني قد كذبت وقال: هاتها، فأخرجت الدفتر من كمي فأخذه وفتحه ونظر فيه وأنا أنشد إلى إن مضيت في أكثر من مائة بيتٍ، فصفح منها عدة أوراق وقال: أنشد من هاهنا، فأنشدت مقدار مائة بيتٍ، فصفح إلى إن قارب آخرها بمائة بيتٍ وقال: أنشدني من هاهنا، فأنشدته من مائة بيتٍ فيها إلى آخرها فهاهنا ما رأى من حسن حفظي، فضمني إليه وقبل رأسي وعيني وقال: بالله يا ابني لا تخبر بهذا أحداً فإنني أخاف عليك من العين. قال أبو علي: قال لي أبي: حفظني أبي وحفظت بعده من شعر أبي تمام والبحتري سوى ما كنت أحفظ لغيرهما من المحدثين من الشعراء مائتي قصيدةٍ قال: وكان أبي وشيوخنا بالشام يقولون: من حفظ للطائيين أربعين قصيدةً ولم يقل الشعر فهو حمار في مسلاخ إنسان، فقلت الشعر وبدأت بمقصورتني التي أولها:

لولا التناهي لم أطع نهى النهي
أي مدى يطلب من جاز المدى؟

قال علي بن المحسن: وجدت في كتب أبي كتاباً من كتب أبي محمد المهلبى إليه قبل تقلده الوزارة بسنين أوله: كتابي أطال الله بقاء سيدنا القاضي عن سلامة لا زالت له ألفاً وعليه وقفاً:

وحمداً لمولى أستمد بحمده
وإن يسخط الأيام بالجمع بيننا
له الرتبة العلياء والعز دائماً
وترضى المنى حتى يرينيك سالماً

وصل كتابه أدام الله عزه فقامت معظماً له، وقعدت مشتملاً على السرور به:

وفضضته فوجدته
مثل السوالف والخدو
ليلاً على صفحات نور
د البيض زينت بالشعور

بنظام لفظ كالشعر

أنزلته في القلب منزلة القلوب من الصدور قال أبو علي في النشوار: حدثني أبو العلاء صاعد ابن ثابت قال: كتب إلى القاضي التنوخي جواب كتاب كتبت إليه، وصل كتابك:

فما شككت وقد جاء البشير به

وقلت: نفسي تقدي نفس مرسله

وكاد قلبي وقد قلبته قرماً

قال: والشعر له وأنشدني بعد ذلك لنفسه. قال أبو علي: ولست أعرف له ذلك ولا وجدته في كتبه منسوباً إليه، ويجوز أن يكون مما قاله ولم يثبت، أو ضاع فيما ضاع من شعره فإنه أكثر مما حفظ، ومن شعر أبي القاسم علي بن محمد التنوخي الأكبر:

يجود فيستحي الحيا عند جوده

عطايا تباري الريح وهي عواصف

أقام له سوقاً بضائعها الندى

له نسب لو كان للشمس ضوءه

وله:

يا واحد الناس لا مستثنيا أحداً

أما ترى الروض قد لاقاك مبتسماً

فاخضر ناضره في أبيض يقق

مثل الرقيب بدا للعاشقين ضحياً

وله:

إلق العدو بوجه لا قطوب به

فاحزم الناس من يلقي أعاديته

ألصبر خير وخير القول أصدقه

وله في الناعورة:

باتت تنن وما بها وجدي

فدموعها تحيا الرياض بها

وله:

فديت عينيك وإن كانتا

الأخيلاً لو تأملتته

لم تبقيا من جسدي شيئاً

في الشمس لم تبصر له شيئاً

وكان عبد الله بن المعتز قد قال قصيدةً يفخر فيها ببني العباس علي بن أبي طالب أولها:

غضابي على الأقدار يا آل طالب

فأجابه أبو القاسم التنوخي بقصيدةٍ نحلها بعض العلويين وهي مثبتة في ديوانه أولها:

إلى مدغلٍ في عقدة الدين ناصب

وفي حجر شادٍ أو على صدر ضارب

على شبهٍ في ملكها وشوائب

من ابن رسول الله وابن وصيه

نشا بين طنبور ودفٍ ومزهر

ومن ظهر سكران إلى بطن قينةٍ

يقول فيها:

وقلت: بنو حربٍ كسوكم عماماً

صدقت، منايانا السيوف وإنما

ونحن الألى لا يسرح الدم بيننا

إذا ما انتدوا كانوا شمس نديهم

وإن عبسوا يوم الوغى ضحك الردى

من الضرب في الهامات حمر الذوائب

تموتون فوق الفرش موت الكواعب

ولاتدري أعراضنا بالمعائب

وإن ركبوا كانوا بدور الركائب

وإن ضحكوا بكواعيون النوائب

وما للغواني والوعى؟ فتعوذوا
ويوم حنين قلت حزناً فخاره
أبوه منادٍ والوصي مضارب
وجنتم مع الأولاد تبغون إرثه
وقلتم نهضنا ثائرين شعارنا
فهلاً بإيراهيم كان شعاركم
وله في معز الدولة:

لله أيام مضين قطعته
حين الصبا لدن المهز قضيه
أجلو النهار على النهار وأنثني
حتى إذا ما الليل أقبل ضمنا
فعلى النحور من النحور قلائد
وبدت نجوم الليل من حلل الدجى
أقبلن والمريخ في أوساطها
فالجو مجلو النجوم على الدجى
وكانما الجوز اوشاح خريدة
ومنها في المدح:

ملك تتاجيه القلوب بما جنت
فيد مؤيدة وقلب قلب
حين العيون شواخص وكأنها
كل الورى أرض وأنت سماؤها
وله:

ما منهم إلا أمرؤ غمر الندى
يغريه بالخلق الرفيع وبالندى
فله رقيب من نداءه على الورى
وله:

وقفنا نجيل الرأي في ساكني الغضا
نشيم بأرض الشام برقاً كأنه
وله:

أما في جنابات النواظر ناظر
بنفسي من لم بيد قط لعاذل
ولا لحظت عيناه ناه عن الهوى
يؤثر فيه ناظر الفكر بالمنى

بقرع المثاني من قراع الكتائب
ولو كان يدري عدها في المثالب
فقل في منادٍ صيتٍ ومضارب
فأبعد بمحجوبٍ بحاجب حاجب
بثارات زيد الخير عند التجارب
فترجع دعواكم تعلقة خائب

وطوالها بالغانيات قصر
غض وإنواء السرور غزار
والشمس لي دون الشعار شعار
دون الإزار من العناق إزار
وعلى الخدود من الخدود خمار
تذكوا كما يتفتح النوار
مثل الدراهم وسطها دينار
في قمص وشي ما لها أزار
والنجم تاج والوشاح خمار

وتخافه الأوهام والأفكار
وشباً يشب وخاطر خطر
للخوف لم تخلق لها أبصار
وجميعهم ليل وأنت نهار

سمح اليدين مؤمل مرهوب
والمكرمات العذل والتأنيب
وعليه من كرم الطباع رقيب

وجمر الغضا بين الضلوع يجول
عقود نضاد ما لهن فصول

ولامنصف إن جار منهن جائر؟
فيرجع إلا وهو لي فيه عاذر
فأصبح إلا وهو بالحب أمر
وتجرحه باللمس منها الضمائر

حدث أبو علي المحسن بن علي بن محمد التنوخي في نشواره قصة لأبي معشر قد ذكرتها في مجموع الاختطاف عجيبة. ثم قال: وهذا بعيد جداً دقيق ولكن فيما شاهدناه من صحة بعض أحكام النجوم كفاية، هذا أبى حول مولد نفسه في السنة التي مات فيها وقال لنا: هذه سنة قطع على مذهب المنجمين، وكتب بذلك إلى بغداد إلى أبي الحسن البهلولى القاضي صهره ينعى نفسه ويوصيه، فلما اعتل أدنى علة وقبل أن تستحكم علته أخرج التحويل ونظر فيه طويلاً وأنا حاضر فبكى ثم أطبقه واستدعى كاتبه وأملى عليه وصيته التي مات عنها وأشهد فيها من يومه، فجاء أبو القاسم غلام زحل المنجم فأخذ يطيب نفسه ويورد عليه شكوكاً، فقال له يا أبا القاسم: لست ممن تخفى عليه فأنسبك إلى غلط، ولا أنا ممن يجوز عليه هذا فتستغفني، وجلس فوافقه على الموضع الذي خافه وأنا حاضر، فقال له: دعني من هذا. بيننا شك في أنه إذا كان يوم الثلاثاء العصر لسبع بقين من الشهر فهو

ساعة قطع عندهم؟ فأمسك أبو القاسم غلام زحل لأنه كان خادماً لأبي ويكي. طويلاً وقال: يا غلام طست فجاءوه به فغسل التحويل وقطعه وودع أبا القاسم توديع مفارق، فلما كان في ذلك اليوم العصر مات كما قال.

قال المحسن: وحدثني أبي قال: لما كنت أتقلد القضاء بالكرخ كان بوابي بها رجل من أهل الكرخ، وله ابن عمره حينئذ عشر سنين أو نحوها، وكان يدخل داري بلا إذن ويمتزج مع غلماني، وأهب له في بعض الأوقات الدراهم والثياب كما يفعل الناس بأولاد غلمانهم، ثم خرجت عن الكرخ ورحلت عنها ولم أعرف للبواب ولا لابنه خبراً، ومضت السنون وأنفذني أبو عبد الله البريدي من واسط برسالة إلى ابن رائق فلقيته بدير العاقول، ثم انحدرت أريد واسطاً فقبل لي: إن في الطريق لصاً يعرف بالكرخي مستفعل الأمر، وكنت خرجت بطالع اخترته على موجب تحويل مولدي لتلك السنة.

فلما عدت من دير العاقول خرج علينا اللصوص في سفن عدةٍ بسلاحٍ شاكٍ في نحو مائة رجلٍ وهو كالعسكر العظيم، وكان معي غلمان يرمون بالنشاب فخلفت أن من رمى منهم سهماً ضربته إذا رجعت إلى المدينة كأنني مفزعه، وذلك أنني خفت أن يقتل أحد منهم فلا يرضون إلا بقتلي، وبادرت فرميت بجميع ما كان معي ومع الغلمان من السلاح في دجلة واستسلمت طلباً لسلامة النفس، وجعلت أفكر في الطالع الذي أخرجت فإذا ليس مثله مما يوجب عندهم قطعاً، والناس قد أدبروا إلى واسط وأنا في جملتهم، وجعلوا يفرغون السفن وينقلون جميع ما فيها من الأمتعة إلى الشاطئ وهم يضربون ويقطعون بالسيوف، فلما انتهى الأمر إلى جعلت أعجب من حصولي في مثل ذلك والطالع لا يوجب، فبينما أنا كذلك وإذا بسفينة رئيسهم قد دنت وطرحت علي كما صنع في سائر السفن ليشرف على ما يؤخذ، فحين رأي زجر أصحابه عني ومنعهم من أخذ شيء من سفينتي، وصعد بمفرده إلي وجعل يتأملني، ثم أكب على يدي يقبلهما وهو مثلثم فارتعت وقلت: يا هذا، ما شأنك؟ فأسفر لثامه وقال: أما تعرفني يا سيدي؟ فتأملته فلجز عي لم أعرفه فقلت: لا والله فقال: بلى، أنا عبدك ابن فلان الكرخي بوابك هناك، وأنا الصبي الذي تربيت في دارك. قال: فتأملته فعرفته إلا أن اللحية قد غيرته في عيني، فسكن روعي قليلاً وقلت يا هذا: كيف بلغت إلى هذه الحال؟ فقال يا سيدي: نشأت فلم أتعلم غير معالجة السلاح وجئت إلى بغداد أطلب الديوان فما قبلني أحد، وانضاف إلى هؤلاء الرجال فطلبت قطع الطريق، ولو كان أنصفني السلطان وأنزلني بحيث استحق من الشجاعة وأنتفع بخدمتي ما فعلت بنفسي هذا. قال: فأقبلت أعظه وأخوفه الله ثم خشيت أن يشق ذلك عليه فيفسد رعايته لي فأقصررت، فقال لي يا سيدي: لا يكون بعض هؤلاء أخذ منك شيئاً؟ فقلت: لا، ما ذهب مني إلا سلاح رميته أنا إلى الماء وشرحت له الصورة فضحك وقال: قد والله أصاب القاضي، فمن في الكار ممن تعنتني به؟ فقلت: كلهم عندي بمنزلة واحدة في الغم بهم فلو أفرجت عن الجميع. فقال: والله لولا أن أصحابي قد تفرقوا ما أخذوه لفعلت ذلك، ولكنهم لا يطيعونني إلى رده، ولكني أمنعهم عن أخذ شيء آخر مما في السفن مما لم يؤخذ بعد، فجزيته الخير فصعد إلى الشاطئ وأصعد جميع أصحابه ومنعهم عن أخذ شيء آخر مما في السفن مما لم يؤخذ، ورد على قوم أشياء كثيرة كانت أخذت منهم، وأطلق الناس وسار معي إلى حيث آمن على وودعني وانصرف راجعاً.

حدث أبو القاسم قال: حدثني أبي قال: كان أول شيءٍ قلده القضاء بعسكر مكرم وتستر وجند يسابور وأعمال ذلك من قبل القاضي أبي جعفر أحمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي، وكنت في السنة الثانية والثلاثين من عمري، وذلك في شهور سنة عشرة وثلاثمائة، ومن شعره المشهور ما نقلته من ديوان شعره.

وراح من الشمس مخلوقة	بدت لك في قدح من نهار
هواء ولكنه ساكن	وماء ولكنه غير جاري
إذا ما تأملته وهو فيه	تأملت ماءً محيطاً بنار
فهذا النهاية في الابيضاض	وهذي النهاية في الاحمرار :
وما كان في الحكم أن يوجد	لفرط التنافي وفرط النفار
ولكن تجاور سطاحهما ال	بسيطان فاتفقا بالجوار
وكان المدير لها باليمين	إذا مال للسقي أوباليسار
تدرع ثوباً من الياسمين	له فرد كم من الجلنار

قلت: وقد تنوزعت هذه الأبيات ورويت لغيره فقليل: إنها لأبي النصر الأنطاكي النحوي وغيره.

علي بن محمد بن الحسين بن العميد

بن محمد، أبو الفتح بن العميد الملقب بذي الكفايتين، كفاية السيف وكفاية القلم، وزير ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه بعد أبيه، - وبذل مالا في ذلك -، ثم وزير ابنه مؤيد الدولة بويه بالري وأصفهان وتلك الأعمال. وورد إلى بغداد صحبة عضد الدولة

بن ركن الدولة لنصرة عز الدولة بختيار. قتل على ما يجيء شرحه - إن شاء الله تعالى - في سنة ست وستين وثلاثمائة، ومولده في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، كذا ذكر ابن الصابي. كان أديباً فاضلاً بليغاً، قد اقتدى بأبيه في علو الهمة وبعد الشأ في الكرم والفضل:

وابن السرى إذا سرى أسراهما

إن السرى إذا سرى فبنفسه

وكان أبوه قد أدبه فأحسن تأديبه، وهذبه أبو الحسين بن فارس اللغوي وأحسن تهذيبه. ولما مات أبوه في الوقت الذي ذكرناه في ترجمته، وهو سنة ثلاثين وثلاثمائة، قام مقامه في وزارة ركن الدولة وذلك قبل الاستكمال وفي بعد من الاكتهال، وعمره حينئذ اثنتان وعشرون سنة، وألقى ركن الدولة مقاليد إليه، وعول في تدبير السيف والقلم عليه، فلما جرى لعز الدولة بختيار بن معز الدولة ببغداد ما جرى مع غلامه سبكتكين، وأرسل إلى عمه ركن الدولة يستعين به، تقدم إلى أبي الفتح بالمضي إلى شيراز والمسير في صحبة ولده عضد الدولة لإنجاد عز الدولة، وورد إلى بغداد وجرى ما جرى من موت سبكتكين ومحاربة أصحابه حتى انجلوا عنها، وطمع عضد الدولة فيها، ومكاتبته أباه بمفارقتها وتسليمها إلى عز الدولة، وكتب ركن الدولة إلى أبي الفتح بالقيام بذلك والتكفل به، حتى يفارق عضد الدولة بغداد في قصة هي مذكورة في التواريخ، فتشدد ابن العميد على عضد الدولة في ذلك، وخاطبه فيه مخاطبات حقدتها عضد الدولة عليه، فلما رجع عضد الدولة قال لابن العميد: ما حظيت من ورودي إلى بغداد بفائدة، وقد أطلقت بسببها أموالاً صامتة لا تحصى. فقال له أبو الفتح: ما سلم من الأعطيات سلطان، ولا خلا من النفقات مكان، ولو استقصيت مقدار ما فرقته لكنت مبدراً. فقال له: عضد الدولة: أما أنت فقد شرف قدرك وعلا ذكرك، كذاك خليفة الله في أرضه ولقيك، فأنت ذو الكفائتين أبو الفتح، فأعظم بذلك من فخر يبقى بقاء النيرين ويدوم دوام العصرين، وكان عضد الدولة يقول: خرجت من بغداد وأنا زريق الشارب - لأن سفلة الناس والعامة كانوا يذكرونه بذلك - وخرج ابن العميد مكنى من الخليفة، ملقباً بذي الكفائتين. فلما مات ركن الدولة وقام مقامه بالري وتلك النواحي ابنه مؤيد الدولة بويه، كان صاحب بن عباد وزيره، فخلع علي أبي الفتح واستوزره والصاحب على جملته في الكتابة لمؤيد الدولة، فكره أبو الفتح موضعه فبعث الجند على الشغب وهموا بقتل الصاحب، فأمر مؤيد الدولة بالعود إلى أصبهان، وأسر مؤيد الدولة ذلك في نفسه إلى أشياء كان ينبسط فيها يحمله عليها نزع الشباب، وانضاف إلى ذلك تغير عضد الدولة وكثرة ميل القواد والعساكر إليه، فخيفت منه غائلة فكتب عضد الدولة إلى أخيه مؤيد الدولة يأمره بالقبض عليه واستصفاء أمواله وتهذيبه، فقبض عليه وحمله إلى بعض القلاع، وبدرت إليه منه كلمات في حق عضد الدولة نميت إليه فزادت من استبحاشه منه، فأنهض من حضرته من تكفل بتعذيبه واستخراج أمواله والتتكيل به فأول ما عمل به أن سمل إحدى عينيه، ثم نكل به وجز لحيته وجدع أنفه، وعذب بأنواع من العذاب. قال:

لكنه ما بدل المخبر

بدل من صورتي المنظر

لكن على من لي يستعير

وليس إشفافاً على هالك

مستخبر عني ولا يخبر

وواله القلب بما مسني

لا بد أن يسلك ذا المعبر

فقل لمن سر بما ساءني

ووجد على حائط مجلسه بعد قتله:

بأمان قد سار في آفاق

ملك شد لي عرا الميثاق

حال عن رأيه فشد وثاقي

لم يحل رأيه ولكن دهري

وسقى الأرض من دمي المهرق

فقرى الوحش من عظامي ولحمي

أو حبيب تحية المشتاق

فعلى من تركته من قريب

وفي بني العميد يقول بعضهم:

فألقيت السعادة في خمود

مررت على ديار بني العميد

فإنك لم تبشر بالخلود

فقل للشامت الباغي رويداً

قال: وكان أبو الفتح قد أغرم قبل القبض عليه بإنشاد هذين البيتين لا يجف لسانه عن ترديدهما:

رحلوا عنها وخلوها لنا

ملك الدنيا أناس قبلنا

ونخليها لقوم غيرنا

ونزلناها كما قد نزلوا

فلما حصل في الاعتقال وأيقن أن القوم يريدون دمه وأنه لا ينجو منهم وإن بذل ماله، مد يده إلى جيب جبة عليه ففتحة عن رقعة فيها ثبت ما لا يحصى من ودائع وكنوز أبيه وذخائره، فألقاها في كائون نار بين يديه وقال للموكل به: اصنع ما أنت صانع، فوالله لا يصل من أموال المستورة إلى صاحبك دينار واحد، فما زال يعرضه على العذاب إلى أن تلف، ولما أحس بالقتل قال:

كما تظنون والأيام تنتقل

راعوا قليلاً فليس الدهر عبدكم

وهذا شيء من خبره وشعره: قال: كان أبو الفضل أبوه قد جعل جماعة من ثقات أبي الفتح في صباه يشرفون عليه في منزله ومكتبه وينهون إليه إنفاسه، فرفع إليه بعضهم إن أبا الفتح اشتغل ليلة بما يشتغل به الأحداث من عقد مجلس مسرّة وإحضار الندماء في خفية شديدة واحتياطٍ من أبيه، وأنه كتب إلى من سماه يستهديه شراباً فحمل إليه ما يصلحهم من الشراب والنقل والمشموم، ففس أبوه إلى ذلك الإنسان من جاء بالرقعة الصادرة عن أبي الفتح، فإذا فيها بخطه: بسم الله الرحمن الرحيم، قد اغتنمت الليلة - أطال الله بقاء سيدي ومولاي - رقدةً من عين الدهر، وانتهزت فيها فرصة من فرص العمر، وانتظمت مع أصحابي في سمط الثريا، فإن لم تحفظ علينا النظام بإهداء المدام، عدنا كبنات نعش والسلام. فاستطير أبوه فرحاً وإعجاباً بهذه الرقعة البديعة وقال: الآن ظهر لي أثر براعته ووثقت بجريه في طريقي ونيايته منابي، ووقع لي بألفي دينار.

وحدث أبو الحسين بن فارس قال: جرى في بعض أيامنا ذكر أبياتٍ استحسّن أبو الفضل بن العميد وزنها واستحلى رويها، وأنشد جماعة من حضر ما حضرهم على ذلك الروي، وهو قول القائل:

لئن كفت وإلا
فأصغى إليه أبو الفتح، ثم أنشد في الوقت:

يا مولعاً بعذابي
تركت قلباً قريحاً
إن كنت تتكرمابي
فارفع قليلاً قليلاً
أما رحمت شبابي؟
نهب الأسى والتصابي
من ذلتي واكتنابي
عن العظام ثيابي

قال: فتأمل هذه الطريقة وانظر إلى هذا الطبع، فإنه أتى بمثل ما أنشده في رشاقته وخفته، ولم يعد الجنس ولم يقصد دونه، وبذلك يعرف قدر القادر على الخطابة والبلاغة ومن مستحسن شعره:

عودي وماء شيبتي في عودي
وصليه ما دامت أصائل عيشه
ما دام من ليل الصبا في فاحم
قتل الزمان فطارات جنوده
لا تعمد لمقاتل المعمود
تؤويه في فيء لها ممدود
رجل الذرا فينان كالعنقود
يبدلنه يقفاً بربدٍ سود

وله:

إذا أنا بلغت الذي كنت أشتهي
وقل لنديمي قم إلى الدهر فاقترح
وأضعافه ألفاً فكلني إلى الخمر
عليه الذي تهوى ودعني مع الدهر

وله:

أين لي من يفي بشكر الليالي
لم يكن بي على الزمان اقتراح
من مضيف خيالها وخيالي؟
غيرها منية فجاد بها لي

قرأت في كتاب أبي الحسن بن هلال بن المحسن: حدثني أبو إسحاق بن هلال جدي قال: لما سار عضد الدولة من بغداد عائداً إلى فارس أقام أبو الفتح ابن العميد بعده، ووصل إلى حضرة الطائع لله حتى خلع عليه وحمله وكناه ولقبه ذا الكفائتين، وتنجز منه خلعاً ولقباً لفخر الدولة أبي الحسن، وأقطع من نواحي السواد ضياعاً كثيرة رتب فيها نائباً يستوفي ارتفاعها ويحملة إليه، ودعاه أبو طاهر بن بقية عدة دعواتٍ وملا عينيه بالهدايا والملاطفات وقال في بعض الأيام: لا بد إن أخلع على ابن العميد في مجلسي ودعاه، فلما قعد وأكل وجلس على الشرب أخذ ابن بقية بيده فرجيه ورداء في غاية الحسن والجلالة ووافى بهما إلى ابن العميد وقال له: قد صرت أيها الأستاذ جامدارك فإنظر هل ترتضيني لخدمتك؟ وطرح الفرجية عليه، وقدم الرداء بين يديه، فأخذه ولبسه. ومن شعره في الحبس:

ما بال قومي يجفوني أكابرهم
أأن تقاصر عني الحال تقطعني
أغراهم أن هذا الدهر أسكتني
قدماً رميت فلم تبلغ سهامهم
أأن أطاعتهم الأيام والدول؟
عراهم؟ ساء ما شاءوا وما فعلوا
عنهم وتنتطق فيه الشاء والأبل
وأخطأ الناس من مرميه زحل

وله:

يقول لي الواشون: كيف تحبها؟
ولولا حذاري منهم لصدقتهم
فقلت لهم: بين المقصر والغالي
وقلت: هوئاً لم يهوه قط أمثالي

وكم من شفيق قال: ما لك واجماً؟

فقلت: أنا مالي وتساألني ما لي؟

قال أبو الحسين: وحدثني أبو الفتح منصور بن محمد بن المقدر الأصبهاني قال: حدث أحد أصحاب أبي الفضل بن العميد المختصين به قال: كان أبو الفتح ابن أبي الفضل يباكر أباه في كل يوم ويدخل إليه قبل كل أحد، فاتفق أن دخل يوماً وأنا جالس عنده، فلما رآه مقبلاً في الصحن وشاهد عمته وكانت ديلمياً ومشيته وهو يختال فيها ويسرف في تلويها، عجب من ذلك وقال لي: أمتري إلى هذه العمة وهذه المشية في مخالفتها لعادتنا ومفارقتها طريقتنا؟ فقلت: قد رأيت وأن رسم الأستاذ أن أخاطبه فيها وأنهاه عنها فقلت. فقال: لا تفعل فإنه قصير العمر، وما أحب أن أدخل على قلبه هما ولا أمنعه هوى. وقد روى أن أبا الفضل وجد له رقعة كتبها إلى بعض من ينبسط إليه وفيها:

أديبنا المعروف بالكردي

يولع بالغلان والمردي

أدخلني يوماً إلى داره

فناكني والأير من عندي

فلما وقف ابن العميد أبوه على ذلك غضب وقال: أمثل ولدي يكتب مثل هذا الفحش والفجور؟ ثم قال: أما والله لولا ولولا، ثم أمسك كأنه يشير إلى ما حكم له من سوء العاقبة وقصر العمر.

حكى أبو الحسين بن فارس مما أورده أبو منصور في اليتيمة قال: كنت عند الأستاذ أبي الفتح بن العميد في يوم شديد الحر، فرمت الشمس بجمرات الهاجرة فقال لي: ما قول الشيخ في قلبه، فلم أحر جواباً لأنني لم أفطن لما أراد، ولما كان بعد هنيهة أقبل رسول الأستاذ الرئيس يستدعيني إلى مجلسه فقممت إليه، فلما مثلت بين يديه تبسم إلي ضاحكاً وقال: ما قول الشيخ في قلبه؟ فبهت وسكت، وما زلت أفكر حتى انتبهت على أنه أراد الخيش، وكان من يشرف على أبي الفتح من جهة أبيه في تلك الساعة، فدعاني ولفرط اهتزازها لها أراد مجارتي فيها، وقرأت صحيفة السرور من وجهه إعجاباً بها، ثم أخذت تحفه بنكت نثره وملح نظمه، فكان مما أعجب به وتعجب منه واستضحك له حكايتي رقعة وردت له وعلى صدرها: وردت رقعة الشيخ أصغر من عنقفة بقعة، وأقصر من أنملة نملة.

وقرأت في تاريخ ذي المعالي زين الكفاة الوزير أبي سعد منصور بن الحسين الأبى قال: كان عضد الدولة ينقم على أبي الفتح بن العميد أشياء، وكان من أعظمها في نفسه: حديثه ببغداد لما خرج لنجدة بختيار فإنه جود القول والفعل في رد عضد الدولة عن بغداد، وأقام لنفسه بذلك ببغداد سوفاً تقدم بها عند أهل البلد والخليفة حتى لقبه الخليفة ذا الكفائتين، وكناه في مكتبته بأبي الفتح. ولما انصرف عضد الدولة عن بغداد وقد ظهرت له مخايل الغدر من بختيار من قيام أهل بغداد وتصريحهم بالشتم له ولقبوه زريقاً الشارب، وذلك إن عضد الدولة تقدم باتخاذ زملة في داره ليشرب منها الجند والعامه، ولم يكن عهد مثل ذلك في دور السلاطين قبل، وكان من نفسه أزرق العينين فلقبوه بذلك، فكان يقول: خرجت من بغداد وأنا زريق الشارب، وابن العميد الوزير ذو الكفائتين وأبو الفتح.

فلما مات ركن الدولة في سنة ست وستين وثلاثمائة لأربع بقين من المحرم، ضبط أبو الفتح ذو الكفائتين الأمر أحسن ضبط، وسكن العسكر وفرق فيهم مال البيعة، وكان مطاعاً في الديلم محبباً إليهم كثير الإفضال عليهم، وبادر بالخبر إلى مؤيد الدولة وهو بأصبهان، فورد الري ومعه وزيره صاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد يوم السبت لثلاث خلون من صفر، وجلس للتعزية ثم انتصب في مكان أبيه، وكانت له هبة وسياسة، وفيه سقاء وسماحة، وخلع على أبي الفتح بن العميد ذي الكفائتين خلع الوزارة، وفوض إليه الأمر يوم الأربعاء لخمس خلون من شهر ربيع الأول، وكان صاحب يرغب أن يقيم بالري ويخلفه فلم يأمن أبو الفتح جانبه وضرب الحجاب الشديد بينهما، وخوفوه منه لمحله من الصناعة ولمكانه من قلب مؤيد الدولة، فأراد إبعاده عن الحضرة ليتمكن من الإيقاع به إن أراد ذلك، وأشار على مؤيد الدولة بأن يرده إلى أصفهان ليدبر أعمالها والمقام بها، فخلع عليه على رسم الوزراء القباء والسيوف والمنطقة وما يجري مع ذلك، وخرج يوم الأحد لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة ست وستين وثلاثمائة. وأخذ مؤيد الدولة في التدبير على ابن العميد والاحتيايل للقبض عليه، ولم يكن يقدم على ذلك لمحل الرجل في قلوب الديلم وإنصباهم بمودتهم إليه، وإخلاصهم في الموالاته له، وكان ذلك أقوى الدواعي لمحتته، وأكد أسباب نكبته، فإنه كان مقتبل الشباب قليل التجارب غير مفكر في العواقب، وقد ولد في النعمة الضخمة ونشأ فيها، وخلف أباه وله دون خمس عشرة سنة، وتولى الوزارة وله إحدى وعشرون سنة، واعتاد خدمة الأمراء والقواد ومثلهم بين يديه وتنافسهم في خدمته، وكان يركب إلى الصيد وإلى الميدان لضرب الصوالة فيتبعه أكثر أكابر الحضرة فيترجلون له ويمشون بين يديه، ثم يضيف في أكثر أيامه جماعة منهم فيخلع عليهم أنواع الخلع النفيسة، ويحملهم على الدواب الفارحة بالمراكب الثقيلة، وكان ركن الدولة يرخص له في ذلك ويعجب منه، فإنه كان تربيته وابن من طالت له صحبته وخدمته، فلما انتقل الأمر إلى مؤيد الدولة لم يصبر عليه، وكانت الأمور أيضاً بعد على جانب من الاضطراب فلم يسكن إليه، وذلك أن فخر الدولة كان مداجياً لأخويه، وكان أحب إلى الديلم منهما فلم يأمنه، وكان عز الدولة مكاشفاً بالخلاف، وبينه وبين ابن العميد ما قدمنا ذكره من المصافاة فاسترابا به، واجتمع إلى هذه الأحوال ما ذكرناه من حنق عضد الدولة عليه مما قدمه في حقه عند كونه ببغداد، وامتدت العين إلى ضياعه وأمواله وخزائنه وأسبابه ودوره وعقاره وبساتينه، فإنه كان يملك من ذلك ما يملأ العين ويفوت الوهم، فراسل عضد الدولة أخاه

مؤيد الدولة على لسان أبي نصر خواشاده المجوسي، وكان من ثقافته وأمثال أصحابه بالقبض عليه بعد أن يوافق على بن كلمة على أمره ليؤمن ناحية العسكر ويوتبهم بمكانه، وجعلوا يجلبون الرأي أياماً، ويركب خواشاده إلى علي بن كلمة ليلاً ويجاريه في ذلك إلى أن اتفقوا يوم السبت سادس عشر شهر ربيع الآخر على القبض عليه عند بكوره من الغد إلى الدار، وكان خواشاده عشية هذا اليوم عند علي بن كلمة. ولابن العميد ضيافة قد اجتمع فيها جماعة من القواد، فارتاب مؤيد الدولة بالأمر، وقدر إنه قد أحس بالسر وجمع الديلم لتدبير عليه وامتناع منه، فلما عاد إلى عنده خواشاده أمره أن يلم بابن العميد ليتفرس فيه وفي المجتمعين عنده ما هو بصده، فدخل عليه والرجل مشغول بقصفه متوفر على طربه، فتأمله وعاد وأراد أن يحبسه عنده فامتنع ورجع إلى الدار فقال لمؤيد الدولة: الرجل غار غافل فلا يهمنك أمره، وبكر ابن العميد سحراً إلى دار الإمارة، وكان الرسم إذ ذاك أن يحضروها بالشموع والمشاعل قبل الصباح.

فلما وصل مؤيد الدولة تقدم إليه علي بن كلمة وكلمه في حاجة له فوعده بها فقال: قد وعدتني بها غير مرة ولم تقضها، وأخذ بيده فجذبته من مكانه، وكان قد كمن له في الممر جماعة من خواص الديلم وثقات مؤيد الدولة، فعانوه على إخراجهم من ذلك البيت وإدخاله إلى حجرة هناك وتقييده، وذلك في يوم الأحد سابع شهر ربيع الآخر، وأدخلت عليه الشهود فشهدوا عليه ببيع أملاكه جميعها وضياعه ومستغلاته من مؤيد الدولة، فلما حضر العدول أخرج إليهم كتاباً كان كتبه بطلاق امرأته ابنة جستان وأشهدهم طائعاً على نفسه بذلك. وقيل: إنه إنما فعل ذلك خوفاً من مؤيد الدولة أن يفضحه فيها، فأراد أن ينفصل منها وتبين منه لئلا يلزمه العار فيها، ولما حضروا للعقد بالبيع كشف للعدول عن قيده وأقر بالبيع، ثم اتفق أن أفرج عن محبوس كان في الدار، فعدا غلام له مستبشراً وقال: قد أفرج عن الأستاذ يريد أستاذ نفسه، وصكت الكلمة أسماح العامة فتباشروا وظنوا إنه قد أفرج عن أبي الفتح، وصاحت البلدة صيحة واحدة، واجتمع من أهل البلد على باب السلطان وميدانه وفي داره ما غصت به الأماكن، وامتلات منهم الشوارع والمساكن، وركب الديلم بأجمعهم مستبشرين، وتلقوه على زعمهم في الخدمة فرحين، ورأى مؤيد الدولة من ذلك ما هاله، وظن إن العسكر قد ركب لاستنقاذه، فلما عرف حقيقة الحال سكن وأمر بطرد العامة، وأركب الحجاب لطرده القواد والديلم، وأنفذ في تلك الليلة ابن العميد إلى قلعة استوناوند وقتل فيها بعد أيام وورد رأسه. قال الوزير أبو سعد: وسمعت صاحب كافي الكفاة رحمه الله يذكر أمره فقال في أثناء كلامه: إن مؤيد الدولة قال لي عند خروجي إلى أصبهان: إن ورد عليك كتاب بخطي أو جاءك أجل حجابي وثقاتي للاستدعاء فلا تبرح من أصفهان ولا تفارقها إلى أن يجيئك فلان الركابي فإنه إن اتجهت لي حيلة على هذا الرجل وأمكنني الله من القبض عليه بادرت به اليك، وهو العلامة ببني وبينك. قال: فاستعظمت لحدائث سني وغرة الصبا وقلة التجربة ما حكاها صاحب من قول مؤيد الدولة: إن اتجهت لي حيلة على هذا الرجل، وتعجبت منه وأردت الغض من أبي الفتح والتقرب بذلك إلى صاحب قلعت: وكان لأبي الفتح من القدر أن يصعب حبسه أويحتاج صاحبه إلى الاحتياط معه؟ فانتهرني صاحب وقال يا فلان: أنت صبي تحسب أن القبض على الوزراء سهل، ففطنت أنه يريد الرفع من شأن الوزارة وتقخير أمرها، فعدلت عن كلامي الأول إلى غيره.

قال أبو حيان: حدثني أبو الطبيب الكيمائي قال: قلت لأبي الفضل بعد أن سم الحاجب النيسابوري وبعد أن خطب على حميد ووس إلى ابن هند وغيرهم من أهل الكتابة والمروءة والنعم: لو كفت، فقد أسرفت، فقال يا أبا الطبيب: أنا مضطر. قال: فقلت وأي اضطراب هاهنا؟ والله إن مخادعتنا لأنفسنا في ضرنا ونفعنا لأعجب من مكابرة غيرنا لنا في خيرنا وشرنا، وهذا والله رين القلوب وصدا العقل وفساد الاختيار، وكدر النفس وسوء العادة، وعدم التوفيق. فقال يا أبا الطبيب: أنت تتكلم بالظاهر وأنا أحترق في الباطن. قال فقلت: إن كان عذرك في هذه السيرة المخالفة لأهل الديانة وأصحاب الحكمة قد بلغ هذا الوضوح والجلء فإنك معذور عندنا، ولعلك أيضاً مأجور عند الله ما لك الجزاء، وإن كنت تعلم حقيقة ما تراجعني عليه القول وتناقطني به الحجاج فإنك من الخاسرين الذين باءوا بغضب من الله على مذاهب الناس أجمعين، فيكى فقلت له: البكاء لا ينفع إن كان الإقلاع ممكناً، والندم لا يجدي متى كان الإصرار قائماً، هذا كله بسبب ابنك أبي الفتح، والله إن أيامه لا تطول، وإن عيشه لا يصفو وإن حاله لا يستقيم، وله أعداء لا يتخلص منهم وقد دل مولده على ذلك، وإنك لا تدفع عنه قضاء الله وهو لا يغني عنك شيئاً، فعليك بخويصة نفسك.

قال أبو حيان: وقد ذكر ابن عباد وأبا الفضل بن العميد ثم قال: وأما أبو الفتح ذو الكفائتين فإنه كان شاباً ذكياً متحرراً حسن الشعر مليح الكتابه كثير المحاسن، ولم يظهر كل ما كان من نفسه لقصر أيامه، واشتعال دولته وطفوها بسرعة. ومن شعره:

إني متى أهزقناتي تنتثر
أوصالها أنبوبة أنبوبا

أدعو بعاليها العلى فتجيبني
وأقد بحد سنانها المروها

وله كلام كثير نظم ونثر، وله في صفة الفرس ما يوفي على كل منظوم، ولو أبقته الأيام لظهر منه كل فضل كبير. ودخل بغداد فتكلف واحتفل وعقد مجالس مختلفة للفقهاء يوماً، وللأدباء يوماً، وللمتكلمين يوماً، وللمتفلسفين يوماً، وفرق أموالاً خطيرة وتفقد أبا سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرمانى وغيرهما وعرض عليهما المسير معه إلى الري ووعدهم ومناهم وأظهر المباهاة بهم، وكذلك خاطب أبا الحسن بن كعب الأنصاري وأبا سليمان السجستاني والمنطقي وابن البقال الشاعر وابن الأعرج النمري

وغيرهم. ودخل شهر رمضان فاحتشد وبالع ووصل ووهب فجرت في هذه المجالس غرائب العلم وبدائع الحكمة، وخاصة ما جرى مع أبي الحسن العامري، ولولا طول الرسالة لرسمت ذلك كله في هذا الكتاب، فمن ظريف ما جرى وفي سماعه فائدة واعتبار خبر أبي سعيد السيرافي مع أبي الحسن العامري، وقد ذكرته في أخبار السيرافي قال أبو حيان: وحضرت المجلس يوماً آخر مع أبي سعيد وقد غص بأعلام الدنيا وبيرد الأفاق، ف جرى حديث الصابي فقال ذو الكفائتين: ذاك رجل له في كل طراز نسج، وفي كل حومة رهج، وفي كل فلاة ركب، ومن كل غمامة سكب، الكتابة تدعيه بأكثر مما يدعيها، والبلاغة تتحلى به بأحسن مما يتحلى هو بها، وما أحلى قوله:

حمراء مصفرة الأحشاء باعثة
كان في وجهها تبراً يخلصه
طيباً تخال به في البيت عطارا
قين يضرهم في أفنائه النارا

وقوله:

ما زلت في سكري ألمع كفها
وذراعها بالقرص والأثار

حتى تركت أديمها وكأنما
غرس البنفسج في نقا الجمار

وبلغ المجلس أبا إسحاق فضضر وشكر وطوى ونشر وأورد وأصدر، وكان كاتب زمانه لساناً وقلماً وشمايلاً، وكان له مع ذلك يد طويلة في العلم الرياضي، وسمعت أبا إسحاق يقول: هو ابن أبيه الله دره، وأخذ في تعظيم أبيه. قال عبد الله الفقير إليه: وقد ذكر أبو حيان قصة أبي الفتح بن العميد وسبب القبض عليه ميسوطة مشروحة وقد نقلتها هاهنا عنه بكمالها فإني لم أجد أحداً ذكرها أكمل منه. قال: ولما مات ركن الدولة سنة ست وستين وثلاثمائة اجتمع ذو الكفائتين أبو الفتح وعلي بن كامة أحد أمراء الديلم والأعيان وتعاهدا وتوثقا وتحالفا وبذل كل واحد منهما الإخلاص لصاحبه والمودة في السر والعلانية، والذب والنوqير عند الصغير والكبير، واجتهدا في الأيمان الغامسة والعقود الموثقة، ودبرا أمر الجيش، ووعدا الأولياء، وردا النافر، وركبا الخطر الخاطر، وعانقا الخطب العاقر، وباشر كل ذلك أبو الفتح خاصة بجدٍ من نفسه، وصريمة من رأيهِ، وجودة فكرهِ، وصحة نيته، وتوفيق ربه. فلما ورد مؤيد الدولة الري من أصبهان وصادف الأمر متسقا ولقي كل فتق مرتقا بما تقدم من الحزم فيه، ونفذ من الرأي الصائب عنده أنكر الزيادة الموجبة للجند فكرها ودمدم بذكرها، فقال له أبو الفتح بها نظمت لك الملك، وحفظت لك الدولة، وصنت الحريم، فإن خالفت هذه الزيادة هواك فأسقطها فاليد الطولى لك.

وكان ابن عباد قد ورد وحطبه رطب وتنوره بارد وأمره غير نافذ، هذا في الظاهر، وأما في الباطن، فكان يخلو بصاحبه ويوثبه على أبي الفتح بما يجد السبيل إليه من الطعن والقذح، فأحس بذلك ابن العميد فألب الأولياء على ابن عباد حتى كثر الشغب وعظم الخطب وهم بقتله وقال للأمير: ليس من حق كفايتي في الدولة وقد انتكث حبلها، وقويت أطماع المفسدين فيها أن أسأم الخسف، والأحرار لا يصبرون على نظرات الذل وغمرات الهوان. فقال له في الجواب: كلامك مسموع ورضاك متبوع، فما الذي يبرد فورتك عنه؟ قال: ينصرف إلى أصفهان موفورا، فوالله لو طالبته منصفاً برفع الحساب لما نظر فيه ليعرقن جبينه، ولئن أحس الأولياء الذين أصطنعهم بمالي وإفضالي بكلامه في أمري، وسعيه في فساد حالي، ليكونن هلاكه على أيديهم أسرع من البرق إذا خطف، ومن المزن إذا نطف. فقال له: لا مخالف لرأيك، والنظر لك، والزمام بيدك.

وتلطف ابن عباد في خلال ذلك لأبي الفتح وقال له: أنا أتظلم منك اليك، وأتحمل بك عليك، وهذا الاستيحاش سهل الزوال إذا تألفت الشارد من حلمك، وعطفت على الشائع من كرمك، ولنى ديوان الإنشاء واستخدمني فيه ورتبني بين يديك، وأحضرني بين أمرك ونهيك، وسمني برضاك فإني صنيعة والدك، واتخذني بهذا صنيعة لك، وليس يجمل أن تكر على ما بنى ذلك الرئيس فتهدمه وتنقصه، ومتى أجبتني إلى هذا وأمنتني فإني أكون خادمك بحضرتك، وكاتباً يطلب الزلفة عندك في صغير أمرك وكبيره، وفي هذا إطفاء النائرة التي قد ثارت بسوء ظنك وتصديقك أعدائي علي. فقال في الجواب: والله لا تجاورني في بلد السرير، وبحضرة التدبير وخلوة الأمير، ولا يكون لك إذن على ولا عين عندي، وليس لك مني رضا إلا بالعود إلى مكانك من أصبهان، والسلو عما تحدث به نفسك.

فخرج ابن عباد من الري على صورة قبيحة متنكراً بالليل، وذلك أنه خاف الفتك والغلبة، وبلغ أصبهان وألقى عصاه بها، ونفسه تغلي وصدره يفر، والخوف شامل والوسواس غالب، وهم أبو الفتح بإنفاذ من يطالبه ويؤذيه ويهينه ويعسفه فأحس هو بالأمر.

فحدثني أبو النجم قال: عمل على ركوب المفازة إلى نيسابور لما ضاق عطنه، واختلف على نفسه ظنه، وإنه لفي هذا وما أشبهه، حتى بلغهم أن خراسان قد أزمنت الدلوف إليهم، وتشاورت في الإطلال عليهم. فقال الأمير لأبي الفتح: ما الرأي وقد نمتي

الينا ما تعلم من طمع خراسان في هذه الدولة بعد موت ركن الدولة؟ فقال أبو الفتح: ليس الرأي إلي ولا إليك، ولا الهه لي: أنت كاتب خليفتي، يدبر هذا بالمال والرجال وهو الملك عضد الدولة أخوك. قال: فاكتب إليه وأشعره وأشع ما قد منيها به وأشهره، وسله يداوي هذا الداء. فكتب أبو الفتح وتلطف. فصدر في الجواب: إن هذا لأمر عجاب، رجل مات وخلف مالا وله ابن فلم يحمل إليه من إرثه شيء زوياً عنه واستثنأاً دونه، ثم يخاطب بأن يغرم شيئاً آخر من عنده قد كسبه بجهد، وجمعه بسعيه وكدحه، هذا والله حديث لم نسمع بمثله، ولئن استفتى الفقهاء في هذا لم يكن عندهم منه بته إلا التعجب والاستطراف ورحمة هذا الوارث المظلوم من وجهين: أحدهما أنه حرم ماله بحق الإرث، والآخر أنه يطالب بإخراج ما ليس عليه، وإن شاء حاكمت كل من سام هذا إلى من يرضى به.

فلما سمع مؤيد الدولة هذا قال لأبي الفتح: ما ترى؟ قال: قد قلت وليس لي قول سواه، هذا الرجل هو الملك والمدير والمال كله ماله، والبلاد بلاده، والجند جنده والكل له، والاسم والجلالة عنده، وليس هاهنا إرث قد زوى عنه، ولا مال استوثر به دونه، والنادرة لا وجه لها في أمر الجد وفيما لا تعلق له باللعب، أما خراسان فكانت مذ عشرين سنة تطالبنا بالمال وتهددنا بالمسير والحرب، ونحن مرة نحارب ومرة نسال، وفي خلال ذلك تفرق المال بعد المال على وجوه مختلفة، فاحسب أن ركن الدولة حي باق، هل كان له إلا أن يدبر بماله ورجاله ونخاثره وكنوزه؟ أفليس هذا الحكم لازماً لمن قام مقامه وجلس مجلسه، وألقى إليه زمام الملك وأصدر عنه كل رأي؟ وهل علينا إلا الخدمة والنصرة والمناصرة في كل ما سهل وصعب؟ كما كان عليه ذلك بالأمس

فقال مؤيد الدولة: إن الخطب في هذه أراه يطول، والكلام يتردد، والمناظرة تربو، والفريضة تعول، والفرصة تفوت، والعدو يستمكن، وأرى في الوقت أ، نذكر وجهاً للمال حتى نحتج به، ثم نستمد في الثاني منه، ويرضى الجند في الحال ونحتزم في الأمر، ونظهر الممرارة والشكيمة بالاهتمام والاستعداد، حتى يطير الخبر إلى خراسان بجندا واجتهادنا، وحزمنا واعتمادنا، فيكون ذلك مكسرة لقلوبهم وحسماً لأطماعهم، وباعثاً على تجديد القول في الصلح ورد الحال إلى العادة المألوفة. فقال: نسأل الله بركة هذا الأمر فقد نشأت منه رائحة منكورة، ما أعرف للمال وجهاً، أما أنا فقد خرجت من جميع ما عندي مرة بما خدمت به الماضي تبرعاً حدثان موت أبي، ومرة بما طالبنى به سراً وأوعدني بالعزل والاستخفاف من أجله، ومرة بما غرمت في المسير إلى العراق في نصرة الدولة، وهذه وجوه استنفدت قلبي وكثرتي، وأنت على ظاهري وباطني، وقد غرمت إلى هذه الغاية ما إن ذكرته كنت كاني ممئن على أولياء نعمتي، وإن سكنت كنت كالمتهم عند من يتوقع عثرتي، فهذا هذا. وأما أموال النواحي فأحسن أحوالنا فيها أنا نرجئها في نواحيها مع النفقة الواسعة في الوظائف والمهمات التي تنوبنا، وأما العامة فلا أحوج الله إليها، ولا كانت دولة ولا تثبت إلا بها وبأوساخ أموالها. فقال مؤيد الدولة وكان ملقناً: هذا ابن كلمة وهو صاحب الذخائر والكنوز والجبال والحصون، وبيده بلاد وقد جمع هذا كله في دولتنا وحازه من مملكتنا وأيماننا وبدولتنا، وهو جام ماشيك، ومختم ما فض مذ كان ما نقول فيه، قال: ما لي فيه كلام فإن بيني وبينه عهداً ما أخيس به ولو ذهب نفسي. فقال: اطلب منه القرض. قال: إنه يستوحش ويراه باباً من الغضاضة، وقد القرض لا يبلغ قدر الحاجة، فإن الحاجة ماسة إلى خمسمائة ألف دينار على التقريب، ونفسه أنفع لنا وأرد علينا وأحصن لنا وإلينا من موقع ذلك المال، وبعد رأيه وتدبيره واسمه وصيته فوق المطلوب منه.

قال: واذ ليس ههنا وجه فليس بأس بان يطالع الملك بهذا الرأي ليكون نتيجته من ثم. قال: أنا لا أكتب بهذا فإنه غدر. قال يا هذا: فأنت كاتبتي وصاحب سري والزمم في جميع أمري، ولا سبيل إلى إخراج هذا الحديث إلى أحد من خلق الله، فإن أنت لم تتول حاره وقاره، وغثه وسمينه، ومحبوه ومكروهه فمن؟ قال يا أيها الأمير: لا تسمني الخيانة، فإني قد أعطيته عهداً يذر الديار بلافع، ومع اليوم غدن ولعن الله عاجلة تفسد الأجلة. فقال: إني لست أسومك أن تقبض عليه وأن تسيء إليه، أشر بهذا المعنى إلى الملك عضد الدولة وخلاك ذم، فإن رأى الصواب فيه تولاه دونك، وإن ضرب عنه أعاضنا رأياً غير ما رأينا، وأنت على حالك لا تنزل عنها ولا تبدلها، وإنما الذي يجب عليك في هذا الوقت بين يدي كتب حرفين: إنه لا وجه لهذا المال إلا من جهة فلان، ولست أتولى مخاطبته عليه، ولا مطالبته به وفاءً له بالعهد، وثباتاً على اليمين، وجرياً على الواجب، ولا أقل من أن تجيب إلى هذا القدر، وليس فيه شيء مما يدل على النكت والخلاف والتبديل. وما زال هذا وشبهه يتردد بينهما حتى أخذ خطه بهذا على أن يصدره إلى أخيه عضد الدولة بفارس. فلما حصل هذا الخط عنده وجن عليه الليل أحضر ابن كلمة وقال له: أما عندك حديث هذا المخنث فيما أشار به على الملك في شأنك؟ وأورد عليه في حقه وأمره، وأطماعه في مالك ونفسك، وتكثيره عنده ما تحت يدك وناحيتك. فقال ابن كلمة: هذا الفتى يرتفع عن هذا الحديث، ولعل عدواً قد كاده به، وبينى وبينه ما لا منفذ للسر فيه، ولا مساغ لظن سيء به. قال: ما قلت لك إلا بعد أن حققت ما قلت، ودع هذا كله في الريح، هذا كتابه إلى الملك بما عرفتك، وخطه بيده فيه. قال علي بن كلمة: أنا أعرف الخط ولكن هاتوا كاتبتي، فأحضر كاتبته الختيمي فشهد أن الخط خطه، فحال على بن كلمة عن سجيته، وخرج من مسكنه وقال: ما ظننت بعد الأيمان المغلظة التي بيننا إنه يستجيز مثل هذا. قال الأمير: أيها الرجل، إنما أطلعك الملك على سر هذا الغلام فيك، لتعرف فساد ضميره لك، وما هو عليه من هتات آخر، وأفات هي أكبر، فإنه هو الذي حرك من بخراسان، وكاتب صاحب جرجان، وألقى إلى أخينا بهمدان - يعني فخر الدولة - أخبارنا،

وهو عين لخبتيار هاهنا، وقد اعتقد أنه يعمل في تحصيل هذه البلاد، ويكون وزيراً بالعراق، فقد ذاق من بغداد ما لا يخرج من ضرسه إلا بنزع نفسه، وكان أبو نصر المجوسي قد قدم من عند الملك عضد الدولة وهويقتل الحبل ويبرم، ويهاب مرةً ويقدم، وكان الحديث قد بيت بليلٍ واهتم به قبل وقته بزمان. فقال علي بن كلفة: فما الرأي الآن؟ قال: لا أرى أمثلاً من طاعة الملك في القبض عليه وقد كنا على ذلك قادرين، ولكن كرهنا أن يظن بنا أننا هجمنا على ناصحنا، ومربب نعمتنا وناشئ دولتنا، فمهدنا عندك العذر، وأوضحنا لك الأمر. قال: فأنا أكفيكموه، ثم قبض عليه وكان منه ما كان، واستدعى ابن عبادٍ من أصفهان وولى الوزارة ودبرها برأي وثيق وجدٍ رتيق وذكر أبو علي مسكويه في بعض كتبه قال: كان حسنويه بن الحسين الكردي قد قوي واستفحل لما وقع منه من الشغل بالفتوح الكبار، لأنه كان إذا وقع حرب بين الخراسانية وبين ركن الدولة أظهر عصبية الديلم وصار في جملتهم، وخدم خدمةً يستحق بها الإحسان، إلا أنه كان - مع ما أقطع وأغضى عنه من الأعمال التي تبسط فيها والإضافات التي يستولي عليها، - ربما تعرض لأطراف الجبل وطالب أصحاب الضياع وأرباب النعم بالخفارة والرسوم التي يبدعها، فيضطر الناس إلى إجابته ولا يناقشه السلطان، فكان يزيد أمره على الأيام ويتشاغل الولاة عنه، إلى أن وقع بينه وبين سهلان ابن مسافر خلاف ومشاحة تلاجا فيها، إلى أن قصده ابن مسافر فهزمه حسنويه، وكان يظن ابن مسافر أنه لا يكاشفه، ولا يبلغ الحرب بينهما إلى ما بلغت إليه، فلم تقف الحرب بينهما حيث ظن، وانتهى الأمر بينهما إلى إن اجتماع الديلم وأصحاب السلطان بعد الهزيمة إلى موضع شبيه بالحصار، ونزل الأكراد حوالبيهم ومنعوه من الميرة وتفرقوا بآرائهم، ثم زاد الأمر وبلغ إلى أن أمر حسنويه الأكراد أن يحمل كل فارس منهم على رأس رمحه ما أطاق من الشوك والعرفج، ويقرب من معسكر سهلان ما استطاع ويطرحه هناك، ففعلوا ذلك وهم لا يدرون ما يريدون بذلك، فلما اجتمع حول عسكر سهلان شيء كثير في أيام كثيرة تقدم بطرح النار فيه من عدة مواضع فالتهب وكان الوقت صيفاً، وحميت الشمس عليهم مع حر النار فأخذ بكظمهم وأشرفوا على التلغ، فصاحوا وطلبوا الأمان ففرق بهم وأمسك عمامهم به، وبلغ ذلك ركن الدولة فلم يحتمل ذلك كله، وتقدم إلى وزيره أبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد، وهو الأستاذ الرئيس بقصده واستئصال شأفته، وأمره بالاستقصاء والمبالغة، فانتخب الأستاذ الرئيس الرجال وخرج في عدة وزينة، وخرج ركن الدولة مشيعاً له وخلع على القواد، ووقف حتى اجتاز به العسكر وعاد إلى الري، وسار الوزير ومعه ابنه أبو الفتح، وكان شاباً قد خلف أباه بحضرة ركن الدولة، وعرف تدبير المملكة وسياسة الجند، فهو بذكائه وحده وسرعة حركته، قد نفق نفاقاً شديداً على ركن الدولة، وهو مع ذلك لقلة حنكته ونزق شبابه وتهوره في الأمور يقدم على ما لا يقدم عليه أبوه، ويحب أن يسير في خواص الديلم وهو يمشون بين يديه ويختلط بهم اختلاط يستميل قلوبهم، ويخلع عليهم خلعاً كثيرة، ويحمل رؤساءهم وقوادهم على الخيول الفره بالمراكب الثقيل، ويريد بجميع ذلك أن يسلموا له الرياسة حتى لا يأنف أحد منهم من تقبيل الأرض بين يديه، والمشى قدامه إذا ركب، وكان جميع ذلك ما لا يؤثره الأستاذ الرئيس ولا يرضاه لسيرته، وكان يعظه وينهاه عن هذه السيرة ويعلمه أن ذلك لو كان مما يخصص فيه، لكان هو بنفسه قد سبق إليه.

قال مسكويه: ولقد سمعته في كثير من خلواته يشرح له صورة الديلم في الحسد والجشع، وأنه ما ملكهم أحد قط إلا بترك الزينة، وبذل ما لا يبطرهم ولا يخرجهم إلى التحاسد، ولا يتكبر عليهم ولا يكون إلا في مرتبة أوسطهم حالاً، وإن من دعاهم واحتشدهم وحمل على حالة فوق طاعته، لم يمنعهم ذلك من حسده على نعمه والسعي في إزالتها، وترقب أوقات الغرة في أمن ما يكون الإنسان على نفسه منهم فيفتكون به ذلك الوقت، وكان يورد عليه مثل هذا الكلام حتى ظن إنه قد ملأ قلبه رعباً، وإنه سيكف عن السيرة التي شرع فيها، فما هو إلا أن يفارق مجلسه ذلك حتى يعاود سيرته تلك، فأشفق الأستاذ في سفرته هذه إن يتركه بحضرة صاحبه، فيلج في هذه الأخلاق ويغتر بما يراه من احتمال ركن الدولة حتى ينتهي إلى ما لا يتلافاه، فسيره معه واستخلف بحضرة ركن الدولة أبا علي محمد بن أحمد المعروف بابن البيع، وكان فاضلاً أديباً ركيناً، حسن الصورة مقبول الجملة، حسن المخبر خلقاً وأدباً. فلما كان الرئيس في بعض الطريق - وكان يركب العماريات ولا يستقل على ظهور الدواب لإفراط علة النقرس وغيره عليه - التفت فلم ير في موكبه أحداً، وسأل عن الخبر فلم يجد حاجباً يخبره ولا من جرت العادة بمسايرته غيري، فسألني عن الخبر فقلت له: إن الجماعة بأسرها مالت مع أبي الفتح إلى الصيد، فأمسك حتى نزل في معسكره، ثم سأل عن جرت العادة باستدعائه للطعام، وكان يحضره في كل يوم عشرة من القواد على مائدته التي تخصه، وعدة من القواد على أطباق توضع لهم، وذلك على نوبة معروفة يسعى فيها نقبائهم، فلما كان في ذلك اليوم لم يحضر أحد واستقصى في السؤال فقبل: إن أبا الفتح أضافهم في الصحراء فاستشاط من ذلك وساء أن يجري مثل هذا ولا يستأذن فيه، وقد كان أنكر خلو موكبه وهو في وجه حرب ولم يأمن إن يستمر هذا التشنت من العسكر فتتم عليه حيلة، فدعا أكبر حجابه ووصاه أن يحجب عنه ابنه أبا الفتح، وأن يوصي النقباء بمنع الديلم من مسايرته ومخالطته، وظن أن هذا المبلغ من الإنكار سيغض منه وينهي العسكر عن اتباعه على هواه، فلم يؤثر كلامه هذا كبير أثر وعاد الفتى إلى عادته، واتبعه العسكر ومالوا معه إلى اللعب والصيد والأكل والشرب، وكان لا يخلبهم من الخلع والإلطاف، فشق ذلك على الأستاذ الرئيس جداً ولم يحب أن يخرق هيبة نفسه بإظهار ما في قلبه، ولا المبالغة في الإنكار وهو من مثل هذا الوجه، فيفسد عسكره ويطمع فيه عدوه. فدارى أمره وتجرع غيظه، وأداه ذلك إلى زيادة في مرضه حتى هلك بهمذان وهو يقول في خلواته: ما يهلك آل العميد ولا يمحو آثارهم من الأرض إلا هذا الصبي -

يعني ابنه - وهو يقول في مرضه: ما قتلني إلا جرع، الغيظ التي تجرعتها منه، فلما حصل بهذان اشتدت علته وتوفي بها - رحمه الله - في ليلة الخميس السادس من صفر سنة ستين وثلاثمائة. وانتصب ابنه أبو الفتح مكان أبيه، وكان العسكر كما ذكرت مانلاً إليه، فزاد في بسطهم وتأنيسهم ووعدهم ومناهم، وبذل لهم طعامه ومناذمته، وأكثر من الخلع عليهم، وراسل حسنويه وأرغبه وأرهبه وحضه على الطاعة، وأوماً إلى مصالحته على مال يحملهم يقوم بما انفق على العسكر، ويتوفر بعد ذلك بقية على خزانة السلطان، ويضمن إصلاح حاله - إذا فعل ذلك - مع ركن الدولة، وكان ذلك يشق على سهلان بن مسافر لما في نفسه من حسنويه، لأنه كان يحب الانتقام منه والتشفي به، وكان أبو الفتح يرى مفارقة حسنويه والعود إلى صاحبه بما به لم يثلم عسكره ولا خاطر بهم، وأن يلحق بمكانه من الوزارة قبل أن يطمع فيه أولى وأشبه بالصواب. وقد كان أبو علي محمد بن أحمد بن البيهق خليفة أبيه قد تمكن من ركن الدولة وقبل ذلك ما عرفه بالكفاية والسداد وأرجف له بالوزارة، فسفر المتوسطون بينه وبين حسنويه إلى أن تقرر أمره على خمسين ألف دينار، وجبا كورة الجبل وجمع من الدواب والبالغ وسائر التحف ما بلغ مقداره مائة ألف دينار، ووردت عليه كتب ركن الدولة بما قوى قلبه وشد منته، وأحمد جميع ما دبره وأمره بالعود إلى الحضرة بالري.

قال: وفي سنة إحدى وستين تمكن أبو الفتح ابن العميد من الوزارة بعد أبيه، وفوض إليه ركن الدولة تدبير ممالكه، ومكنه من أعنة الخيل، فصار وزيراً وصاحب جيش على رسم والده، إلا أن والده باشر هذه الأمور في كمال من أدواته وتما من آلاته، فدبرها بالحزم والحكمة. وأما أبو الفتح فكان فيه - مع رجاحته وفضله في أدب الكتابة وتيقظه وفراسته - نزق الحداثة، وسكر الشباب، وجرأة القدرة، فأجرى أمره على ما تقدم من إظهار الزينة الكثيرة، واستخدام الديلم والأتراك والاحتشاد في المواكب والدعوات، حتى خرج به عن حد القصد إلى الإسراف، فجلب ذلك عليه ضروب الحسد من ضروب السلاطين وأصحاب السيوف والأقلام. وكان صاحبه ركن الدولة قد شاخ وسئم ملابسة أمور الجند، وأحب الراحة والدعة ففوض إليه الأمور، ورآه شاباً قد استقبل الدنيا استقبالاً، فهو يحب التعب الذي قاساه ركن الدولة ثم مله، ويستلذ فيه الانتصاب للأمر والنهي ومخالطة الجند والركوب إلى الصيد ومشى خواص الديلم وكبار الجند بين يديه، ثم مشاربتهم ومؤانستهم والأحسان إليهم بالخلع والحملان. فأول من أنكر هذا الفعل عليه عضد الدولة ومؤيد الدولة ابنا ركن الدولة وكتابهما ثم سائر مشايخ الدولة، ورآه يركب في موكب عظيم ويغشى الدار، فإذا خرج تبعه الجميع وخلت دار الأمانة حتى لا يوجد فيها إلا المستخدمون من الأتباع والحاشية، ثم ترقى أمره إلا المستخدمون من الأتباع والحاشية، ثم ترقى أمره في قيادة الجيش والتحقوا به إلى ندب إلى الخروج إلى العراق في جيش كثيف من الري والأجتماع مع عضد الدولة لنصرة بختيار بن معز الدولة في الخلاف الذي وقع بينه وبين الأتراك المستعصين عليه، فأقام هناك وواطأ بختيار في أمور خالف فيها عضد الدولة، وذلك أن عضد الدولة لما عاد من بغداد إلى فارس شرط على ابن العميد ألا يقيم ببغداد بعده إلا ثلاثة أيام ثم يلحق بوالده بالري، فلما خرج عضد الدولة طابت لابن العميد بغداد، فاتبعه هوى صباه وأحب الخلاعة والدخول مع بختيار في أفانين لهوه ولعبه، ووجد خلواً من أشغاله. وراحة من تدبير أمر صاحبه ركن الدولة مدة. وحصلت له زبازب ودور على الشط وستارات غناء ومغنيات، وتمكن من اللذات وعرف بختيار له ما صنع من الجميل في شأنه، لأنه كان قد جرد من الفعل والقول في رد عضد الدولة عن بغداد بعد أن نشبت فيها مخالفته وتملكها، وقبض على بختيار واستظهر عليه، فخلصه وأعاد ملكه عليه، وصرف عضد الدولة عن بغداد، فكان يراه بختيار بصورة من خلصه من مخالف الأسد بعد أن افتقره، وأن سعيه بين ركن الدولة وعضد الدولة هو الذي رد عليه ملكه، فبسطه وعرض عليه وزارته وتمكينه من ممالكه على رسمه، وألا يعارضه في شيء يدبره ويراه، فلم يجبه إلى ذلك وقال: لي والدة وأهل وولد ونعمة قد رتبت منذ خمسين سنة، وهي كلها في يد ركن الدولة ولا أستطيع مفارقتها. ولا يحسن بي أن يتحدث عني بمخالفته، ولا يتم أيضاً لك مع ما عاملك به من الجميل، ولكني أعاهدك إن قضى الله عز وجل على ركن الدولة ما هو قاض على جميع خلقه، أن أصير إليك مع قطعة عظيمة من عسكره فإنهم لا يخالفونني، وركن الدولة مع ذلك هامة اليوم أو غد، وليس بتأخر أمره، واستقر بينهما ذلك سرا لم يطلع عليه إلا محمد بن عمر العلوي، فإنه توسط بينهما وأخذ عهد كل واحد منهما على صاحبه، ولم يظهر ذلك لأحد حتى حدثني به محمد بن عمر بعد هلاك أبي الفتح، ولكن الغلط العظيم كان من أبي الفتح كونه أقام ببغداد مدة طويلة، وحصل أملاكاً اقتناها هناك واقطاعات اكتتبها وأصولاً أصلها على العود إليها، ثم التمس لقباً من السلطان وخلعاً وأحوالاً لا تشبه ما فارقه عضد الدولة عليها، ثم استخلص ببغداد بعض أولاد التناء بشيراز يعرف بأبي الحسن بن أبي شجاع الأرجاني من غير اختبار له ولا خلطة قديمة تكشف له أمره، فلما خرج كانت تلك الأسرار التي بينه وبين بختيار - والتراجم بينهما تدور - كلها على يده ويتوسطها، ويهدي إلى عضد الدولة جميعها ويتقرب إليه بها، فلما عرف عضد الدولة حقيقة الأمر ومخالفة أبي الفتح بن العميد له، ودخوله مع بختيار فيما دخل فيه مع اللقب السلطاني الذي حصله وهو ذو الكفائيتين، ولبسه الخلع وركوبه ببغداد مع ابن بقية من هذه الخلع، عرف مكاشفته إياه بالعداوة، وكنم ذلك في نفسه إلى أن تمكن منه فأهلكه كما ذكرنا.

قال أبو سعد السمعاني: أنشدنا الحسن بن محمد الأصبهاني بها، أنشدنا أبو زيد صعلوك بن إميلوية بن أبي طاهر الجبلي: قدم علينا قال: أنشدت لعضد الدولة في ابن العميد ومودته:

ودادك لازم مكنون سرى
فإن واصلتني أزداد حباً
وخالك في عذارك في الليالي

فأجابه ابن العميد:

دعاني في انبلاج الليل صبح
فقلت له: ترفق يا منادى

وحبك جنتي والعشق زادي
وإن صارمتني يزدد سهادي
سواد في سواد في سواد

فنادى قم فحي على الفلاح
أليس الصبح مسود النواحي؟

فثغري والمدام وحسن وجهي

صباح في صباح في صباح

علي بن محمد الشمشاطي

العدوي أبو الحسن وشمشاط من بلاد إرمينية من الثغور. وكان معلم أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان وأخيه ثم نادمهما، وهو شاعر مجيد ومصنف مفيد، كثير الحفظ، واسع الرواية، وفيه تزيد.

قال محمد بن اسحاق النديم: إنني كنت أعرفه قديماً، وبلغني أنه قد ترك كثيراً من أخلاقه عند علو سنه. قال: وهو يحيا في عصر ما في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة.

قال المؤلف: وهو الذي روى الخبر الذي جرى بين الزجاج وثعلب في حق سيوبه واستدراكه على ثعلب في الفصح عدة مواضع، وقد ذكر ذلك في ترجمة الزجاج رحمه الله تعالى، وكان رافضياً دجالاً يأتي في كتبه بالأعاجيب من أحاديثهم. ولأبي القاسم الرقي المنجم فيه يهجو:

حف خديك دل يا شمشاطي
وإنبساط الغلام يعلمني إن
شروط صبرت كرهاً عليها
لأله بل للذة المشراط

قال محمد بن اسحاق: له كتاب النزه والابتهاج وهو مجموع يتضمن غرائب الأخبار ومحاسن الأشعار كالأمال، كتاب الأنوار محبوب يجري مجرى الملح والتشبيهات والأوصاف عمله قديماً ثم زاد فيه بعد ذلك، كتاب الديارات كبير، كتاب المثلث الصحيح، كتاب أخبار أبي تمام والمختار من شعره، كتاب القلم جيد، كتاب تفضيل أبي نواس على أبي تمام.

وحدث الشمشاطي في كتابه كتاب النزه والابتهاج قال: كنا ليلة عند أبي تغلب بن حمدان وعنده جماعة بعضهم يلعب النرد فطال الجلوس حتى مضى من الليل هزيع والسماء تهطل، فقال أبو البركات لفتح بن نظيف: يا فتح، كم قد مضى من الليل؟ فقلت له: هذا نصف بيت شعر. فقال: لبعض من في حضرته: أتمه، فقال: هذه قافية صعبة لا تطرد إلا أن نجعل بدل الباء واوً فعملت في الوقت، واستغلقت القافية حتى لا يزداد عليها بيت واحد إلا أن تكرر القافية بلفظٍ مؤنثٍ ومعنىٍ مختلفٍ، مثل الغيل: اللبن يرضع من المرأة وهي حامل، قد أتينا بهذه اللفظة ومثلها لفظاً ولم نأت به معنىً، وكالغيل: الساعد الريان. والغيل: ما جرى على وجه الأرض. والغيل: الشحم الملتف ومثل القيل نصف النهار وقد أتينا به. والقيل: الملك ونحو ذلك فقلت:

يا فتح كم قد مضى من الليل؟
فعارض النوم مسبل خمراً
والليل في البدر كالنهار إذا
يسكب دمعاً على الثرى فتر ال
والنرد تلهى عن المنام إذا ال
إذا لذيت الكرى تدافع عن
إن أمير الهيجاء في مأزق ال
من حربه السعد طالع لهم
نجيب أم لم تغذه سيء ال

قل وتجنب مقال ذي الميل
وعارض المزن مسبل الذيل
أضحى وهذا السحاب كالليل
ماء بكل الدروب كالسيل
فصوص جالت كجولة الخيل
وقت رقادٍ أضر بالحيل
حرب الهمام الجواد والقيل
وحربه موقنون بالويل
قسم ولا أرضعته من غيل

يحمل أعباء كل معضلة
أمواله والطعام قد بذلا
جاوز عمراً بأساً وقصر عن
لا زال في نعمةٍ مجددةٍ
وحدث الشمشاطي في كتابه هذا أيضاً قال: أخذت من بين يدي أبي عدنان محمد بن نصر بن حمدان رمانة فكسرتها ودفعت منها
إلى من حضر من الشعراء والأدباء وقلت:
يا حسن رمانةٍ تقاسمها
كانها قبل كسرها كرة
تجل إن تستقل بالشيل
لأمليه بالوزن والكيل
جود يديه السبحان والسيل
يشرب صفو الغبوق والقيـل
كل أدیب بالظرف منعوت
وبعد كسر حبات ياقوت

علي بن محمد بن الخلال

أبو الحسن، الأديب الناسخ صاحب الخط المليح والضبط الصحيح، معروف بذلك مشهور. مات في سنة إحدى وثمانين
وثلاثمائة.

علي بن محمد بن عمير النحوي الكتاني

يكنى أبا الحسن. كان أحد الفضلاء من أصحاب أبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم، روى عنه أمالي ثعلب في سنة ست عشرة
وأربعمئة، فسمعه منه الحسن بن أحمد بن البلاج وأبو الفتح بن المقدر.

علي بن محمد بن دينار

بن عبد الرحيم، ابن دينار الكاتب أبو الحسين، بصري الأصل واسطي المولد والمنشأ، قال الحافظ أبو طاهر السلفي: وسألته
يعني أبا الكرم خميس بن علي الحوزي عن ابن دينار فقال: سمع أبا بكر ابن مقسم، ولقي المتنبي فسمع منه ديوانه ومدحه
بقصيدة هي عندنا موجودة في ديوانه أولها:

رب القريض اليك الحل والرحل
تضائل الشعراء اليوم عند فتى
ضاققت على العلم إلا نحوك السبل
صعاب كل قريض عنده ذلل

وكان شاعراً مجيداً، شارك المتنبي في أكثر ممدوحيه كسيف الدولة بن حمدان وابن العميد وغيرهما، وكان حسن الخط يقال:
إنه على طريقة ابن مقلة. مات سنة تسع وأربعمئة. حمل الناس عنه الأدب فأكثرُوا بواسطه وغيرها، وكان سهل الخلّاق جميل
الطريقة، سألته الناس بواسطه بعد موت أبي محمد عبد الله العلوي أن يجلس لهم صدراً فيقرئهم فامتنع وقال: أنا أتعلم مدوراً
وكمى ضيق وليست هذه حلية أهل القرآن، أظنني سمعت ذلك من أبي الحسن المغازلي الشاهد، هذا آخر ما قاله خميس. قلت:
وقد سمع أبو غالب محمد بن بشران من ابن دينار كثيراً، فروى عنه كتب الزجاج عن أبي الحسن بن علي بن الجصاص عن
الزجاج، وروى عنه مصنفات ثعلب عن أبي بكر محمد بن الحسن بن مقسم عنه.

وروى له كتب ابن الأعرابي عن ابن مقسم عن ثعلب عنه، وروى له كتب ابن السكيت جميعها كالإصلاح والألفاظ والنبات
وغير ذلك عن ابن مقسم عن المعيني عن ابن السكيت، وروى له كتب ابن قتيبة: كتاب غريب الحديث، وكتاب أدب الكاتب،
وكتاب الأشربة وعيون الأخبار وعدد كتب كلها عن أبي القاسم الأمدي عن أبي جعفر بن محمد بن قتيبة عن أبيه، وروى له
كتب الأمدي جميعها عنه. وروى له كتاب أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني الأغاني الكبير وغيره عنه. وروى له كتاب
الجمهرة لابن دريد عن أبي الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي ججج عن ابن دريد وغير ذلك مما يطول شرحه، وأخذ ابن دينار
عن أبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي، ومولد ابن دينار سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، وذكر أبو عبد الله الحميدي في ثبته
قال: حدثني أبو غالب ابن بشران النحوي قال: حدثني أبو الحسين علي بن محمد ابن عبد الرحيم بن دينار الكاتب قال: قرأت
على أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني جميع كتاب الأغاني.

علي بن محمد النهاوندي النحوي

روى عن جنادة أبي أسامة وعن أبي يوسف أحمد ابن الحسين عن المبرد

علي بن محمد أبو الحسن الهروي

والد أبي سهل محمد بن علي الهروي الذي يكتب الصحاح وقد ذكر في بابيه، وكان أبو الحسن هذا عالماً بالنحو اماماً في الأدب، جيد القياس صحيح الفريضة حسن العناية بالأدب، وكان مقيماً بالديار المصرية. وله تصانيف منها: كتاب الذخائر في النحو نحو أربع مجلدات رأيتُه بمصر بخطه، وكتاب الأزهية شرح فيه العوامل والحروف، وهما كتابان جليلان أبان فيهما عن فضله.

علي بن محمد بن أبي الحسن الأندلسي

أبو الحسن الكاتب، مشهور بالأدب والشعر، وله كتاب في التشبيهات من أشعار أهل الأندلس. كان في أيام الدولة العامرية، وعاش إلى أيام الفتنة ذكره الحميدي.

الجزء الخامس عشر

علي بن محمد بن العباس أبو حيان

التوحيدي، شيرازي الأصل وقيل نيسابوري، ووجدت بعض الفضلاء يقول له الواسطي، صوفي السميت والهيئة، وكان يتأله والناس على ثقة من دينه، قدم بغداد فأقام بها مدة ومضى إلى الري، وصحب صاحب أبا القاسم إسماعيل بن عباد وقبله أبا الفضل بن العميد فلم يحدهما وعمل في مثاليهما كتاباً، وكان متقناً في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام على رأي المعتزلة، وكان جاحظاً يسلك في تصانيفه مسلكه ويشتهي أن ينتظم في سلكه، فهو شيخ في الصوفية وفيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، ومحقق الكلام ومتكلم المحققين، وإمام البلغاء، وعمدة لبني ساسان، سخيף اللسان، قليل الرضا عند الإساءة إليه والإحسان، الذم شأنه، والتلب دكانه، وهو مع ذلك فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة، وفصاحة ومكنة، كثير التحصيل للعلوم في كل فن حفظه، واسع الدراية والرواية، وكان مع ذلك محدوداً محارفاً يشتكي صرف زمانه، ويبكي في تصانيفه على حرمانه.

ولم أر أحداً من أهل العلم ذكره في كتاب، ولا دمج في ضمن خطاب، وهذا من العجب العجائب، غير أن أبا حيان ذكر نفسه في كتاب الصديق والصدقة وهو كتاب حسن نفيس بما قال فيه: كان سبب إنشاء هذا الكتاب الرسالة في الصديق والصدقة: أتى ذكرت منها شيئاً لزيد بن رفاعة أبي الجبر، فمناه إلى ابن سعدان أبي عبد الله سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة قبل تحمله أعباء الدولة وتدبيره أمر الوزارة فقال لي ابن سعدان: قال لي عنك زيد كذا وكذا، قلت: قد كان ذلك. فقال لي: دون هذا الكلام وصله بصلاته مما يصح عندك لمن تقدم، فإن حديث الصديق حلو، ووصف صاحب المساعد مطرب، فجمعت ما في هذه الرسالة وشغل عن رد القول فيها، وبطوت أنا عن تحريرها إلى أن كان من أمره ما كان، فلما كان هذا الوقت وهو رجب سنة أربعمائة، عثرت على المسودة وبيضتها، - وهذا دليل على بقائه إلى ما بعد الأربعمائة -.

وفي كتاب الهفوات لابن الصابي: وحكى أبو حيان قال: حضرت مائدة صاحب بن عباد فقدمت مضيرة فأمعنت فيها فقال لي: يا أبا حيان، إنها تضر بالمشايخ. فقلت: إن رأى صاحب أن يدع التطيب على طعامه فعل، فكأنني ألقمته حجراً وخجل واستحيا ولم ينطق إلى أن فرغنا، ولأبي حيان تصانيف كثيرة منها: كتاب رسالة الصديق والصدقة، كتاب الرد على ابن جني في شعر المتنبي، كتاب الامتناع والمؤانسة جزآن، كتاب الإشارات الإلهية جزآن، كتاب الزلفة جزء، كتاب المقابسة، كتاب رياض العارفين، كتاب تقرير الجاحظ، كتاب ذم الوزيرين، كتاب الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي، كتاب الرسالة في صلات الفقهاء في المناظرة، كتاب الرسالة البغدادية، كتاب الرسالة الصوفية أيضاً، كتاب الرسالة في الحنين إلى الأوطان، كتاب البصائر وهو عشر مجلدات كل مجلد له فاتحة وخاتمة، كتاب المحاضرات والمناظرات.

قال أبو حيان في كتاب المحاضرات: كنت بحضرة أبي سعيد السيرافي فوجدت بخطه على ظهر كتاب اللمع في شواذ التفسير - وكان بين يديه فأخذته ونظرت - قال: ذم أعرابي رجلاً فقال: ليس له أول يحمل عليه، ولا آخر يرجع إليه، ولا عقل يزكو به عاقل لديه، وأنشد:

فكشفت عن كلب أكب على عظم

حسبتك إنساناً على غير خبرة

لحى الله رأياً قاد نحوك همتي
فأعقبني طول المقام على الذم
فقال لي: يا أبا حيان، ما الذي كنت تكتب؟ قلت: الحكاية التي على ظهر هذا الكتاب، فأخذها وتأملها وقال: تأبى إلا الاشتغال بالقدح والذم وثلب الناس. فقلت: أدام الله الإمتاع، شغل كل ناس بما هو مبتلى به مدفوع إليه. قال أبو حيان: وقصدت مع أبي زيد المروزي دار أبي الفتح ذي الكفایتين فمنعنا من الدخول عليه أشد منع، وذكر حاجبه أنه يأكل الخبز فرجعنا بعد أن قال أبو زيد للحاجب: أجلسنا في الدهليز إلى أن يفرغ من الأكل فلم يفعل، فلما انصرفنا خزايا أنشأ يقول متمثلاً:

على خبز إسماعيل وإقية البخل
وما خبزه إلا كأوى يرى ابنه
وما خبزه إلا كعقواء مغرب
يحدث عنها الناس من غير رؤية
فقد حل في دار الأمان من الأكل
ولم ير أوى في الحزون ولا السهل
تصور في بسط الملوك وفي المثل
سوى صورة ما إن تمر ولا تحلى
قال أبو حيان: وأنشدنا أبو بكر القومسي الفيلسوف وكان بحراً عجاجاً، وسراجاً وهاجاً، وكان من الضر والفاقة، ومقاساة الشدة الإضاقة بمنزلة عظيمة، عظيم القدر عند ذوي الأخطار، منحوس الحظ منهم، متهماً في دينه عند العوام مقصوداً من جهتهم. فقال لي يوماً: ما ظننت أن الدنيا ونكدها تبلغ من إنسان نا بلغ مني، إن قصدت دجلة لأغتسل منها نضب ماؤها، وإن خرجت إلى القفار لأتيمم بالصعيد عاد صليداً أملس، وكأن العطوى ما أراد بقصيدته غيري، وما عنى بها سواي، ثم أنشدنا للعطوى:

من رماه الإله بالإقترار
هو في حيرة وضنك وإفلا
يا أبا القاسم الذي أوضح الجو
خذ حديثي فإن وجهي مذ با
وهو للسامعين أطيب من نف
هجم البرد مسرعاً ويدي صف
فتسترت منه طول التشاري
ونسجت الأطمار بالخيط والإب
وسعى القمل من دروز قميصي
يتساعون في ثيابي إلى رأ
ثم وافى كانون واسود وجهي
لو تأملت صورتني ورجوعي
أنا وحدي فيه وهل فيه فضل
والخلا لا يراد فيه فمالي
بل يراد الخلا لمنحدر النج
وإذا لم تدر على المطعم الأف
وقلت له يوماً: لو قصدت ابن العميد وابن عباد عسى تكون من جملة من ينفق عليهما وتحظى لذيهما، فأجابني بكلام منه: معاناة الضر والبؤس أولى من مقاساة الجهال والنيوس، والصبر على الوخم الوبيل أولى من النظر إلى محيا كل ثقل، ثم أنشأ يقول:

بيني وبين لئام الناس معتبة
إذا لقيت لئيم القوم عنفني
وما تنقضي وكرام الناس إخواني
وإن لقيت كريم القوم حياني

وقلت له: هل تعرف في معنى قصيدة العطوى أخرى؟ قال نعم، قصيدة الحراني صاحب المأمون. فقلت: لو تفضلت بإنشادها، فقال: خذ في حديث من أقبلت عليه دنياه وتمكن فيها من مناه، ودع حديث الحرف والعسر والشؤم والخسر تطيراً إن لم ترفضه تأدباً. فقلت له: ما أعرف لك شريكاً فيما أنت عليه وتتقلب فيه وتقاسيه سواي، ولقد استولى على الحرف وتمكن مني نكد الزمان إلى الحد الذي لا أسترزق مع صحة نقلي وتقييد خطي وتزويق نسخي وسلامته من التصحيف والتحريف بمثل ما يسترزق البلبد الذي ينسخ النسخ، ويمسخ الأصل والفرع، وقصدت ابن عباد بأمل فسيح وصدر رحيب، فقدم إلى رسائله في ثلاثين مجلدة على أن أنسخها له، فقلت: نسخ مثله يأتي على العمر والبصر، - والوراقة كانت موجودة ببغداد - فأخذ على نفسه على من ذلك، وما فزت بطائل من جهته. فقال: بلغني ذلك فقلت له: ولو كان شيئاً يرتفع من اليد بمدة قريبة لكننت لا أتعطل وأتوفر عليه، ولو قرر

معي أجرة مثله لكنت أصبر عليه، فليس لمن وقع في شر الشباك وعين الهلاك إلا الصبر. قال أبو حيان: ودخلت على الدلجي بشيراز وكنت قد تأخرت عنه أياماً، وهذا الكتاب يعني كتاب المحاضرات جمعه له بعد ذلك، ولأجله أتعبت نفسي، فقال لي: يا أبا حيان، من أين؟ قلت:

إذا شئت أن تقلى فزر متواتراً وإن شئت أن تزداد حباً فزر غياً

وهذا لملاك ظهر لي منه، وقليل إعراض عني في يوم. فقال لي: ما هذا البيت إلا بيت جيد يعرفه الخاص والعام، وهو موافق لما يذكر من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (زر غياً تزد حباً). فلو كان لهذا البيت أخوات كان أحسن من أن يكون فرداً. قلت فله أخوات. قال: فأنشدني. قلت لا أحفظها، قال: فأخرجها، قلت: لا أهتدي إليها. قال: فمن أين عرفت؟ قلت: مرت بي في جملة تعليقات. قال: فاطلبها لأقدم رسمك. قلت: فقدته الآن على شريطة أنه إذا جاء الوقت المعتاد لإطلاقه فيه كل سنة أطلقت أيضاً. قال: أفعل. قلت: فخذها الآن.

سمعت العروضي أبا محمد يقول: دخل بعض الشعراء على عيسى بن موسى الرافقي وبين يديه جارية يقال لها خلوب فقال لها اقترحي عليه، فقالت:

إذا شئت أن تقلى فزر متواتراً وإن شئت أن تزداد حباً فزر غياً

أجزه بأبيات تليق به فأنشد:

بقيت بلا قلب فإني هائم
حلفت برب البيت أنك منيتي
عسى الله يوماً أن يرينيك خالياً
إذا شئت أن تقلى فزر متواتراً
فهل من معير يا خلوب لكم قلباً؟
فكوني لعيني ما نظرت لها نصباً
فيزداد لحظي من محاسنكم عجباً
وإن شئت أن تزداد حباً فزر غياً

فأنجز لي ما وعد، ووفى بما شرط، وكان ينفق عليه سوق العلم مع جنون كان يعتريه، ويتخط في أكثر أوقاته فيه، وليت مع هذه الحالة خلف لنفسه شكلاً، أو نرى له في وقتنا هذا مثلاً، بارت البضائع، وغارت البدائع، وكسد سوق العلم، وخمد ذكر الكرم، وصار الناس عبيد الدرهم بعد الدرهم. وكان أبو حيان قد أحرق كتبه في آخره عمره لقلّة جدواها، وضنا بها على من لا يعرف قدرها بعد موته.

وكتب إليه القاضي أبو سهل علي بن محمد يعذله على صنيعه، ويعرفه قبح ما اعتمد من الفعل وشنيعه.

فكتب إليه أبو حيان يعتذر من ذلك: حرسك الله أيها الشيخ من سوء ظني بمودتك وطول جفائك، وأعاذني من مكافأتك على ذلك، وأجارنا جميعاً مما سود وجه عهد إن رعيناه كنا مستأسيين به، وإن أهملناه كنا مستوحشين من أجله، وأدام الله نعمته عندك، وجعلني على الحالات كلها فذاك. وأفاني كتابك غير محتسب ولا متوقع على ظمأ برح بي إليه، وشكرت الله تعالى على النعمة به علي، وسألته المزيد من أمثاله، الذي وصفت فيه بعد ذكر الشوق إلي، والصبابة نحو ما نال قلبك والتهب في صدرك من الخبر الذي نمي إليك فيما كان مني من إحراق كتبي النفيسة بالنار وغسلها بالماء، فعجبت من انزواء وجه العذر عنك في ذلك، كأنك لم تقرأ قوله جل وعز: (كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون)، وكأنك لم تأبه لقوله تعالى: (كل من عليها فان). وكأنك لم تعلم أنه لا ثبات لشيء من الدنيا وإن كان شريف الجوهر كريم العنصر، ما دام مقلباً بيد الليل والنهار، معروضاً على أحداث الدهر وتعاود الأيام، ثم إنني أقول: إن كان - أيدك الله - قد نقب خفك ما سمعت، فقد أدمى أظلي ما فعلت، فليهن عليك ذلك، فما انبريت له ولا اجتترأت عليه حتى استخرت الله عز وجل فيه أياماً وليالي، وحتى أوحى إلي في المنام بما بعث راقد العزم، وأجد فاتر النية، وأحيا ميت الرأي، وحث على تنفيذ ما وقع في الروع وتريع في خاطر، وأنا أجود عليك الآن بالحجة في ذلك إن طالبت، أو بالعذر إن استوضحت، لتثق بي فيما كان مني، وتعرف صنع الله تعالى في ثنيه لي: إن العلم - خاطك الله - يراد للعمل، كما أن العمل يراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصراً عن العلم كلاً على العالم، وأنا أعوذ بالله من علم عاد كلاً وأورث ذلاً، وصار في رقية صاحبه علماً - وهذا ضرب من الاحتجاج المخلوط بالاعتذار - ثم اعلم علمك الله الخير أن هذه الكتب حوت من أصناف العلم سره وعلايته، فأما ما كان سرّاً فلم أجد له من يتحلى بحقيقته راغباً، وأما ما كان علانية فلم أصب من يحرص عليه طالباً، على أنني جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة منهم ولعقد الرياسة بينهم ولمد الجاه عندهم فحزمت ذلك كله، - ولا شك في حسن ما اختاره الله لي وناطه بناصرتي، وربطه بأمري -، وكرهت مع هذا وغيره أن تكون حجة علي لا لي، ومما شذ العزم على ذلك ورقع الحجاب عنه، أني فقدت ولداً نجيباً، وصديقاً حبيباً، وصاحباً قريباً، وتابعاً أديباً، ورئيساً منيباً، فشق علي أن أدعها لقوم يتلاعبون بها، ويدنسوا عرضي إذا نظروا فيها، ويشتمون بسهوي وغلطي إذا تصفحوها، ويتراءون نقصي وعيبي من أجلها، فإن قلت ولم تسمهم بسوء الظن، ونقرع جماعتهم بهذا العيب؟ فجوابي لك أن عياني منهم في الحياة هو الذي يحقق ظني بهم بعد الممات، وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة فما صح لي من أحدهم وداد؟ ولا

ظهر لي من إنسان منهم حفاظ، ولقد اضطررت بينهم بعد الشهرة والمعرفة في أوقات كثيرة إلى أكل الخضر في الصحراء، وإلى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة، وإلى بيع الدين والمروءة، وإلى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق، وإلى ما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم، وبطرح في قلب صاحبه الألم، وأحوال الزمان بادية لعينك، بارزة بين مسائك وصباحك، وليس ما قلته بخاف عليك مع معرفتك وفطنتك، وشدة تتبعك وتفردك، وما كان يجب أن ترتاب في صواب ما فعلته وأتيت به بما قدمته ووصفته، وبما أمسكت عنه وطوبته إما هرباً من التطويل، وإما خوفاً من القال والقليل. وبعد فقد أصبحت هامة اليوم أو غد فأني في عشر التسعين، وهل لي بعد الكبرة والعجز أمل في حياة لذيدة؟ أو رجاء لحال جديدة، ألسنت زمرة من قال القائل فيهم:

نروح ونغدو كل يوم وليلة
وعما قليل لا نروح ولا نغدو

وكما قال الآخر:

تقوقت درات الصبا في ظلاله
إلى أن أتاني بالفطام مشيب

وهذا البيت للورد الجعدي وتمامه يضيق عنه هذا المكان، والله يا سيدي لو لم أتعظ إلا بمن فقدته من الإخوان والأخذان في هذا الصقع من الغرباء والأدباء والأحباء لكفى، فكيف بمن كانت العين تقر بهم، والنفوس تستنير بقرابهم، فقدنتهم بالعراق والحجاز والجبل والري، وما والى هذه المواضع، وتواتر إلى نعيمهم، واستدت الواعية بهم، فهل أنا إلا من عنصرهم؟ وهل لي محيد عن مصيرهم؟ أسأل الله تعالى رب الأولين أن يجعل اعترافي بما أعرفه موصولاً بنزوعي عما أقترفه، إنه قريب مجيب.

وبعد، فلي في إحراق هذه الكتب أسوة بأئمة يقتدى بهم، ويؤخذ بهديهم، ويعشى إلى نارهم، منهم: أبو عمرو بن العلاء، وكان من كبار العلماء مع زهد ظاهر وورع معروف، دفن كتبه في بطن الأرض فلم يوجد لها أثر. وهذا داود الطائي، وكان من خيار عباد الله زهداً وفقهاً وعبادة، ويقال له تاج الأمة، طرح كتبه في البحر وقال ينجيها: نعم الدليل كنت، والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول، وبلاء وخمول.

وهذا يوسف بن أسباط: حمل كتبه إلى غار في جبل وطرحه فيه وسد بابه، فلما عوتب على ذلك قال: دلنا العلم في الأول ثم كاد يضلنا في الثاني، فهجرتنا لوجه من وصلناه، وكرهناه من أجل ما أردناه.

وهذا أبو سليمان الداراني جمع كتبه في تنور وسجها بالنار ثم قال: والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك.

وهذا سفيان الثوري: مزق ألف جزء وطيرها في الريح وقال: ليت يدي قطعت من ها هنا ولم أكتب حرفاً.

وهذا شيخنا أبو سعيد السيرافي سيد العلماء قال لولده محمد: قد تركت لك هذه الكتب تكتسب بها خير الأجل، فإذا رأيته تخونك فاجعلها طعمة للنار. وماذا أقول وسامعي يصدق أن زماناً أحوج مثلي إلى ما بلغك، لزمان تدمغ له العين حزناً وأسى، ويتقطع عليه القلب غيظاً وجوىً وضنىً وشجىً، وما يصنع بما كان وحدث وبان، إن احتجت إلى العلم في خاصة نفسي فقليل، والله تعالى شافٍ كافٍ، وإن احتجت إليه للناس ففي الصدر منه ما يملأ القسطاس بعد القسطاس، إلى أن تفي الأنفاس بعد الأنفاس، (ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون). فلم تعنى عيني أيدك الله بعد هذا بالحبر والورق والجلد والقراءة والمقابلة والتصحيح وبالسواد والبياض، وهل أدرك السلف الصالح في الدين الدرجات العلى إلا بالعمل الصالح، وإخلاص المعتقد والزهد الغالب في كل ما راق من الدنيا وخدع بالزبرج، وهوى بصاحبه إلى الهبوط؟ وهل وصل الحكماء القدماء إلى السعادة العظمى إلا بالاقتصاد في السعي، وإلا بالرضا بالميسور، وإلا ببذل ما فضل عن الحاجة للسان والمحرور، فأين يذهب بنا وعلى أي باب نحط رحالنا؟؟ وهل جامع الكتب إلا كجامع الفضة والذهب؟ وهل المنهوم بها إلا كالحريص الجشع عليهما؟ وهل المغرم بحبها إلا كمكائرها؟ هيهات، الرحيل والله قريب، والثواء قليل، والمضجع مقض والمقام ممض، والطريق مخوف والمعين ضعيف، والاعتزاز غائب، والله من وراء هذا كله طالب، نسأل الله تعالى رحمة يظللنا جناحها، ويسهل علينا في هذه العاجلة غدوها ورواحها، فالويل كل الويل لمن بعد عن رحمته بعد أن حصل تحت قدره، فهذا هذا، ثم إنني - أيدك الله - ما أردت أن أجيبك عن كتابك لطول جفائك، وشدة التوائك عمن لم يزل على رأيك مجتهداً وفي محبتك على قربك ونأيك، مع ما أجده من انكسار النشاط وانطواء الانبساط لتعاود اللعل علي وتخاذل الأعضاء مني، فقد كل البصر وانعقد اللسان وجمد خاطر وذهب البيان، وملك الوسواس وغلب اليأس من جميع الناس، ولكني حرصت منك ما أضعته مني، ووفيت لك بما لم تف به لي، ويعز علي أن يكون لي الفضل عليك، أو أحرز المزية دونك، وما حداني على مكاتبتك إلا ما أتمثلته من تشوقك إلي وتحرقك علي، وأن الحديث الذي بلغك قد بدد فكرك، وأعظم تعجبك، وحشد عليك جزعك، والأول يقول:

وقد يجزع المرء الجليلد ويبتلى
عزيمة رأى المرء نائية الدهر
تعاوده الأيام فيما ينوبه
فيقوى على أمر ويضعف عن أمر

على أنني لو علمت في أي حال غلب علي ما فعلته، وعند أي مرض وعلى أية عسرة وفاقة لعرفت من عذري أضعاف ما أبديته، واحتججت لي بأكثر مما نشرته وطويته، وإذا أنعمت النظر تيقنت أن الله جل وعز في خلقه أحكاماً لا يعاز عليها ولا يغالب فيها، لأنه لا يبلغ كنهها ولا ينال غيبها، ولا يعرف قابها ولا يقرع بابها، وهو تعالى أملك لنواصينا، وأطلع على أداينا وأفاصينا، له الخلق والأمر، وبيده الكسر والجبر، وعلينا الصمت والصبر إلى أن يوارينا اللحد والقبر، والسلام. إن شرك جعلني الله فداك أن تواصلني بخبرك، وتعرفني مقر خطابي هذا من نفسك فافعل، فإني لا أدع جوابك إلى أن يقضي الله تعالى تلاقياً يسر النفس، ويذكر حديثنا بالأمس، أو بفراق نصير به إلى الرمس، ونفقد معه رؤية هذه الشمس، والسلام عليك خاصاً بحق الصفاء الذي بيني وبينك، وعلى جميع إخوانك، عاماً بحق الوفاء الذي يجب علي وعليك، والسلام.

وكتب هذا الكتاب في شهر رمضان سنة أربع مائة. قال أبو حيان في كتاب أخلاق الوزيرين في تصنيفه: طلع ابن عباد علي يوماً في داره وأنا قاعد في كسر إيوان أكتب شيئاً قد كان كادني به، فلما أبصرته قمت قائماً فصاح بحلق مشقوق: اقعد فالوراقون أحسن من أن يقوموا لنا، فهممت بكلام فقال لي الزعفراني الشاعر: اسكت فالرجل رفيع، فغلب علي الضحك واستحال الغيظ تعجباً من خفته وسخفه، لأنه كان قد قال هذا وقد لوى شذقه، وشنخ أنفه وأمال عنقه، واعترض على انتصابه وانتصب في اعتراضه، وخرج في تفكك مجنون قد أفلت من دير جنون، والوصف لا يأتي على كنه هذه الحال، لأن حقائقها لا تدرك إلا باللمحظ، ولا يؤتى عليها باللفظ، فهذا كله من شمائل الرؤساء وكلام الكبراء، وسيرة أهل العقل والرزانة لا والله، وترباً لمن يقول غير هذا.

وحدث أبو حيان قال: قال صاحب يوماً فعل وأفعال قليل، وزعم النحويون أنه ما جاء إلا زند وأزناد، وفرخ وأفراخ، وفرد وأفراد. فقلت له: أنا أحفظ ثلاثين حرفاً كلها فعل وأفعال، فقال: هات يا مدعي، فسررت الحروف ودلت على مواضعها من الكتب ثم قلت: ليس للنحوي أن يلزم مثل هذا الحكم إلا بعد التبحر والسماع الواسع، وليس للتقليد وجه إذا كانت الرواية شائعة والقياس مطرداً وهذا كقولهم: فعيل على عشرة أوجه، وقد وجدته أنا يزيد على أكثر من عشرين وجهاً وما انتهيت في التتبع إلى أقصاه. فقال: خروجك من دعوأك في فعل يدلنا على قيامك في فعيل ولكن لا نأذن لك في اقتصاصك، ولا نهب آذاننا لكلامك، ولم يف ما أتيت به بجرأتك في مجلسنا، وتبسطك في حضرتنا فهذا كما ترى.

قال أبو حيان: وأما حديثي معه يعني مع ابن عباد، فإنني حين وصلت إليه. قال لي: أبو من؟ قلت: أبو حيان. فقال: بلغني أنك تتأدب، فقلت: تأدب أهل الزمان. فقال: أبو حيان ينصرف أو لا ينصرف؟ قلت: إن قبله مولانا لا ينصرف، فلما سمع هذا تنمر وكأنه لم يعجبه، وأقبل على واحد إلى جانبه وقال له بالفارسية سفهاً على ما قيل لي ثم قال: الزم دارنا وانسخ هذا الكتاب. فقلت: أنا سامع مطيع، ثم إنني قلت لبعض الناس في الدار مسترسلاً: إنما توجهت من العراق إلى هذا الباب وزاحمت منتجعي هذا الربيع لاتخلص من حرفة الشؤم، فإن الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة، فتمى إليه هذا أو بعضه أو على غير وجهه فزاده تنكراً.

قال أبو حيان: وقال لي ابن عباد يوماً يا أبا حيان: من كذاك بأبي حيان؟ قلت: أجل الناس في زمانه، وأكرمهم في وقته، قال: ومن هو ويلك؟ قلت: أنت، قال: ومتى كان ذلك؟ قلت: حين قلت يا أبا حيان من كذاك أبا حيان، فأضرب عن هذا الحديث وأخذ في غيره على كراهة ظهرت عليه.

قال: وقال لي يوماً آخر - وهو قائم في صحن داره والجماعة قيام منهم الزعفراني وكان شيخاً كثير الفضل جيد الشعر ممتع الحديث، والتميمي المعروف بسطل وكان من مصر، والأقطع وصالح الوراق وابن ثابت وغيرهم من الكتاب والندماء -: يا أبا حيان: هل تعرف فيمن تقدم من يكنى بهذه الكنية؟ قلت: نعم من أقرب ذلك أبو حيان الدارمي.

حدثنا أبو بكر محمد بن محمد القاضي الدقاق قال: حدثنا ابن الأنباري قال: حدثنا أبي حدثنا ابن ناصح قال: دخل أبو الهذيل العلاف على الواثق فقال له الواثق: لمن تعرف هذا الشعر؟:

سباك من هذشم سليل	ليس إلى وصله سبيل
من يتعاط الصفات فيه	فالقول في صفه فضول
للحسن في وجهه هلال	لأعين الخلق لا يزول
وطرة ما يزال فيها	لنور بدر الدجى مقيل
ما اختال في صحن قصر أوس	إلا ليسجى له قتيل
فإن يقف فالعيون نصب	وإن تولى فهن حول

فقال أبو الهذيل: يا أمير المؤمنين، هذا لرجل من أهل البصرة يعرف بأبي حيان الدارمي، وكان يقول بإمامة المفضل، وله من كلمة يقول فيها:

أفضله والله قدمه على	صحابته بعد النبي المكرم
بلا بغضة والله مني لغيره	ولكنه أواههم بالتقدم
وجماعة من أصحابنا قالوا: أنشد أبو قلابة عبد الله ابن محمد الرقاشي لأبي حيان البصري:	
يا صاحبي دعا الملام وأقصرا	ترك الهوى يا صاحبي خساره
كم لمت قلبي كي يفيق فقال لي	لجت يمين ما لها كفاره
ألا أفيق ولا أفتر لحظة	إن أنت لم تعشق فأنت حجاره
أحب أول ما يكون بنظرة	وكذا الحريق بداؤه بشراره
يا من أحب ولا أسمى باسمها	إياك أعنى فاسمعي يا جاره

فلما وفيت الشعر ورويت الإسناد وريقي بليل ولساني طلق ووجهي متهلل، وقد تكلفت هذا وأنا في بقية من غرب الشباب وبعض ريعانه، وملأت الدار صياحاً بالرواية والقافية، فحين انتهيت أنكرت طرفه، وعلمت سوء موقع ما رويت عنده، قال: ومن تعرف أيضاً، قلت ابن الجعابي الحافظ، يكنى بأبي حيان، رجل صدق وهو يروي عن التابعين. قال: ومن تعرف أيضاً؟ قلت: روى الصولي فيما حدثنا عنه المرزباني أن معاوية لما احتضر أنشد يزيد عند رأسه متمثلاً:

لو أن حياناً لفات أبو	حيان لا عاجز ولا وكل
الحول القلب الأريب وهل	يدفع صرف المنية الحيل؟

قال الصولي: وهذا كان من المعمرين المغفلين، وانتهى الحديث من غير هشاشة ولا هزة ولا أريحية، بل على اكفهرار وجهه ونبو طرف وقلة تقبل، وجرت أشياء أخر كان عقباها أني فارقت بابه سنة سبعين وثلاثمائة راجعاً إلى مدينة السلام بغير زاد ولا راحلة، ولم يعطني في مدة ثلاث سنين درهماً واحداً ولا ما قيمته درهم واحد، أحمل هذا على ما أردت، ولما نال مني هذا الحرمان الذي قصدني به وأحفظني عليه، وجعلني من جميع غاشيته فرداً أخذت أُملي في ذلك بصدق القول عنه وسوء الثناء عليه، والبادئ أظلم، وللأمر أسباب، والأسباب أسرار، والغيب لا يطلع عليه ولا قارع لبابه.

قال أبو حيان: قال لي الصاحب يوماً - وهو يحدث عن رجل أعطاه شيئاً فتلكأ في قبوله -: ولا بد من شيء يعين على الدهر ثم قال: سألت جماعة عن صدر هذا البيت فما كان عندهم ذلك. فقلت: أنا أحفظ ذلك، فنظر بغضب فقال: ما هو؟ قلت: نسيت، فقال: ما أسرع ذكرك من نسيانك! قلت: ذكرته والحال سليمة، فلما استحالت عن السلامة نسيت. قال: وما حيلولتها؟ قلت: نظر الصاحب بغضب فوجب في حسن الأدب ألا يقال ما يثير الغضب. قال: ومن تكون حتى نغضب عليك؟ دع هذا وهات، قلت قول الشاعر:

ألام على أخذ القليل وإنما	أصادف أقواماً أقل من الذر
فإن أنا لم أخذ قليلاً حرمته	ولا بد من شيء يعين على الدهر

فسكت. قال أبو حيان عند قربيه من فراغ كتابه في ثلب الوزيرين وقد حكى عن ابن عباد حكايات وأسندها إلى من أخبره بها عنه ثم قال: فما ذنبي أكرمك الله إذا سألت عنه مشايخ الوقت وأعلام العصر؟ فوصفوه بما جمعت لك في هذا المكان، على أنني قد سترت شيئاً كثيراً من مخازيه إما هرباً من الإطالة، أو صيانة للقلم عن رسم الفواحش وبث الفضائح، وذكر ما يسمج مسموعه. ويكره التحدث به، وهذا سوى ما فاتني من حديثه فإني فارقت سنة سبعين وثلاثمائة. وما ذنبي أن ذكرت عنه ما جرّني من مرارة الخيبة بعد الأمل، وحملني عليه من الإخفاق بعد الطمع، مع الخدمة الطويلة والوعد المتصل والظن الحسن، حتى كآني خصصت بخساسته وحدي، أو وجب أن أعامل به دون غيري، قدم إلي نجاح الخادم وكان ينظر في خزانة كتبه ثلاثين مجلدة من رسائله وقال: يقول لك مولانا: انسخ هذا فإنه قد طلب منه بخراسان. فقلت بعد ارتبأء: هذا طويل، ولكن لو أذن لي لخرجت منه فقراً كالغمر، وشذوراً كالدرر، تدور في المجالس كالشممامات والدستنبوهات، لو رقي بها مجنون لأفاق، أو نفث على ذي عاهة لبرأ، لا تمل ولا تستغث، ولا تعاب ولا تسترك، فرفع ذلك إليه وأنا لا أعلم فقال: طعن في رسائلي وعابها، ورغب عن نسخها وأزرى بها، والله لينكرن مني ما عرف، وليعرفن حظه إذا انصرف، حتى كآني طعنت في القرآن، أو رميت الكعبة بخرق الحيض، أو عقرت ناقة صالح، أو سلحت في بئر زمزم، أو قلت كان النظام مأبوناً، أو مات أبو هاشم في بيت خمار، أو كان عباد معلم صبيان. وما ذنبي يا قوم إذا لم أستطع أن أنسخ ثلاثين مجلدة من هذا الذي يستحسن هذا الكلب؟ حتى أعذره في لومي على الامتناع، أينسخ إنسان هذا القدر وهو يرجو بعدها أن يتمتع الله ببصره؟ أو ينفعه ببذنه؟ وما ذنبي إذا قال لي: من أين لك هذا الكلام المفوف المشوف الذي تكتب به إلي في الوقت بعد الوقت؟ فقلت: وكيف لا يكون كما وصف مولانا؟ وأنا أقطف ثمار رسائله، وأسقي من قليب علمه، وأشيم بارقة أدبه، وأرد ساحل بحره، وأستوكف قطر مزنه، فيقول: كذبت وفجرت

لا أم لك، ومن أين في كلامي الكدية والشذ والتضرع والاسترحام؟ كلامي في السماء، وكلامك في السماد، هذا - أيدك الله - وإن كان دليلاً على سوء جدي، فإنه دليل أيضاً على انخلاقه وخرقه، وتسرع ولؤمه، وانظر كيف تستحيل معي عن مذهبه الذي كان هو عرقه النابض، وسوسه الثابت، وديدنه المألوف، وهذا أجرائي مجرى التاجر المصري والشاذباشي وفلان، بل ما ذنبي إذا قال لي: هل وصلت إلى ابن العميد أبي الفتوح؟ فأقول: نعم، رأيته وحضرت مجلسه وشاهدت ما جرى له، وكان من حديثه فيما مدح به كذا وكذا، وفيما تقدم منه كذا وكذا، وفيما تكلفه من تقديم أهل العلم واختصاص أرباب الأدب كذا وكذا، ووصل أبا سعيد السيرافي بكذا وكذا، وذهب لأبي سليمان المنطقي كذا وكذا فينزوي وجهه، وينكر حديثه، وينجذب إلى شيء آخر ليس مما شرع فيه ولا مما حرك له ثم يقول: أعلم أنك إنما انتجعت من العراق، فأقرأ علي رسالتك التي توسلت إليه بها وأسهبته مقرظاً له فيها، فأتمنع فيأمر ويشدد فأقرأها فيتغير ويذهل وأنا أكتبها لك ليكون زيادة في الفائدة: بسم الله الرحمن الرحيم: اللهم هيئ لي من أمري رشداً، ووقفني لمرضاتك أبداً، ولا تجعل الحرمان علي رسداً، أقول وخير القول ما انعقد بالصواب، وخير الصواب ما تضمن الصدق، وخير الصدق ما جلب النفع، وخير النفع، ما تعلق بالمزيد، وخير المزيد ما بدا عن الشكر، وخير الشكر، ما بدا عن إخلاص، وخير الإخلاص ما نشأ عن اتفاق، وخير الاتفاق ما صدر عن توفيق، لما رأيته شبابي هرماً بالفقر، وفقرني غنياً بالقناعة، وقناعتني عجزاً عند أهل التحصيل، عدلت إلى الزمان أطلب إليه مكاني فيه وموضعي منه، فرأيت طرفه نابياً، وعنانه عن رضاي منتبهاً، وجانبه في مرادي خشناً، وارتفائي في أسبابه نانياً، والشامت بي على الحدثان متمادياً، طمعت في السكوت تجلداً، وانتحلت القناعة رياضة، وتألفت شارد حرصي متوقفاً، وطويت منشور أملي متنزهاً، وجمعت شتيت رجائي سالياً، وادعيت الصبر مستمراً، ولبست العفاف ضناً، واتخذت الانقباض صناعة، وقمت بالعلاء مجتهداً، هذا بعد أن تصفحت الناس فوجدتهم أحد رجلين: رجل إن نطق عن غيظ ودمنة وإن سكت سكت عن ضغن وإحنة، ورجل إن بذل كدر بامتنانه بذله، وإن منع حسن باحتياله بخله، فلم يطل دهري في أثنائه، متبرحاً بطول الغربة وشطف العيش، وكلب الزمان وعجف المال، وجفاء الأهل وسوء الحال، وعادية العدو وكسوف البال، متحرقاً من الحنق على لنيم لا أجد مصرفاً عنه، متقطعاً من الشوق إلى كريم لا أجد سبيلاً إليه، حتى لاحت لي غرة الأستاذ فقلت: حل بي الويل، وسال بي السيل، أين أنا عن ملك الدنيا، والفلك الدائر بالنعمى؟ أين أنا من مشرق الخير ومغرب الجميل؟ أين أنا من بدر البدر وسعد السعد؟ أين أنا عمن يرى البخل كفرةً صريحاً، والإفضال ديناً صحيحاً؟ أين أنا عن سماء لا تقتر عن الهطلان، وعن بحر لا يقذف إلا باللولؤ والمرجان؟ أين أنا من فضاء لا يشق غباره، وعن حرم لا يضام جاره؟ أين أنا عن منهل لا صدر لفراطه، ولا منع لوراده؟ أين أنا عن ذوب لا شوب فيه، وعن صوب لا جدد دونه؟ بل أين أنا عمن أتى بنبو الكرم، وإمامة الإفضال، وشرعية الجود، وخلافة البذل، وسياسة المجد، وبشيمة مشيمة البوارق، ونفس نفيسة الخلائق؟ أين أنا عن الباع الطويل، والأنف الأشم، والمشرب العذب، والطريق الأمم؟ لم لا أقصد بلاده؟ لم لا أقتدح زناده؟ لم لا أنتجع جنباه وأرعى مزاده؟ لم لا أسكن ربعه؟ لم لا أستدعي نفعه؟ لم لا أخطب جوده وأهتصر عوده؟ لم لا أستمطر سحابه؟ لم لا أستسقي ربابه؟ لم لا أستميح نبيله وأستسحب ذيله؟ ولا أحج كعبته، وأستلم ركنه؟ لم لا أصلي إلى مقامه مؤتماً بإمامه؟ لم لا أسبح بينانه متقدساً؟

فتى صيغ من ماء الشبيبة وجهه

لم لا أقصد فتى للجود في كفه من البحر عيان نساختان؟ لم لا أمتري معروف

فتى لا يبالي أن يكون بجسمه

لم لا أمدح

فتى يشتري حسن المقال بروحه

ويعلم أعقاب الأحاديث في غد؟

نعم لم لا أنتهي من تقرير فتى لو كان من الملائكة لكان من المقربين، ولو كان من الأنبياء لكان من المرسلين، ولو كان من الخلفاء لكان نعتة اللاند بالله، أو المنصف في الله، أو المعتضد بالله، أو المنتصب لله، أو الغاضب لله أو الغالب بالله، أو المرضي لله، أو الكافي بالله، أو الطالب بحق الله، أو المحيي لدين الله. أيها المنتجع قرن كلنه، المختبئ ورق نعمته، ارفع عريض البطان، متفياً بظله ناعم البال، متعوذاً بعزه، وعش رخي لحال، معتصماً بحبله، ولذ بداره آمن السرب، وامحض وده بأنية القلب، وق نفسك من سطوته بحسن الحفاظ، وتخبر له لطف المدح، تفر منه بأيمن قدح، ولا تحرم نفسك بقولك: إني غريب المثلوى نازح الدار، بعيد النسب منسي المكان، فإنك قريب الدار بالأمل، داني النجح بالقصد، رحيب الساحة بالمنى، ملحوظ الحال بالجد، مشهور الحديث بالدرك. واعلم علماً يلتحم باليقين، وتدرأ من الشك أنه معروف الفخر بالمفاخر، مأثور الأثر بالمآثر، قد أصبح واحد الأنام تاريخ الأيام، أسد الغياض يوم الوعى، نور الرياض يوم الرضا، إن حرك عند مكرمة تحرك غصناً تحت بارح، وإن دعي إلى اللقاء دعي ليثاً فوق سابح، وقل إذا أتيت بلسان التحكم: أصلح أديمي فقد حلم، وجدد شبابي فقد هرم، وأنطق لساني في اصطناعي، فقد شردت صحائف النجح عند انتجاعى، ورش عظمي فقد براه الزمان، واكس جلدي فقد عراه الحدثان، وإياك أن تقول: يا مالك الدنيا جد لي ببعض الدنيا فإنه يحرمك، ولكن قل: يا مالك هب لي الدنيا، اللهم فأحي به بلادك، وأنعش برحمته عبادك، وبلغه مرضاتك، وأسكنه فردوسك، وأدم له العز النامي، والكعب العالي، والمجد التليد والجد السعيد، والحق الموروث، والخير المبعوث، والولي المنصور، والشأن المبتور، والدعوة الشاملة والسجية الفاضلة، والسرب المحروس، والربع المأنوس،

والجناب الخصيب، والعدو الحريب، والمنهل القريب، واجعل أوليائه بازلين لطاعته، ناصرين لأعزته، ذاببن عن حرمه، والقمر المنير بالجمال، والنجم الثاقب بالعلم، والكوكب الوقاد بالجد، والبحر الفيض بالمواهب، سقط العشاء بعبدك على سرحك، فافقره من نعمتك بما يضاهي قدرك وقدرتك، وزوج هبة ربها من الغنى، فطالما خطب كفؤها من المنى. ثم يقال لي من بعد: جنيت على نفسك حين ذكرت عدوه عنده بخير، وأثنت عليه وجعلته سيد الناس. فأقول: كرهت أن تراني متذرباً على عرض رجل عظيم الخطب، غير مكترث بالوقعة فيه والإنحاء عليه، وقد كان يجوز أن أشعث من ذلك شيئاً، وأبرى من أثلته جانباً، وأطير إلى جنبه شرارة، فيقال أيضاً: جنيت على نفسك، تركت الاحتياط في أمرك، فإنه مقتك وعافك، ورأى أنك في قولك عدوت طورك، وجهلت قدرك، ونسيت وزرك، وليس مثلك من هجم على ثلب من بلغ رتبة ذلك الرجل، وإنك متى جسرت على هذا وزنت به، وجعلت غيره في قرنه، فإذا كانت هذه الحالات ملتبسة، وهذه العواقب مجهولة، فهل يدور العمل بعدها إلا على الإحسان الذي هو علة المحبة؟ والمحبة التي هي علة الحمد، والإساءة التي هي علة البغض، والبغض الذي هو علة الذم، فهذا

وقال: كان ابن عباد شديد الحسد لمن أحسن القول وأجاد اللفظ، وكان الصواب غالباً عليه، وله رفق في سرد حديث، ونيقة في رواية، وله شمائل مخلوطة بالدماثة بين الإشارة والعبارة، وهذا شيء عام في البغداديين، وكالخاص في غيرهم.

حدثت ليلة بحديث فلم يملك نفسه حتى ضحك واستعاده ثم قيل لي بعده إنه كان يقول: قاتل الله ابن حيان فإنه نكد، وإنه وإنه وإنه - وأكره أن أروي نمي بقلم - وكان ذلك كله حسداً وغيظاً بحثاً، وأنا أروي لك الحديث فإنه في نهاية الطيب، وفيه فكاكة ظاهرة وعي عجيب، في معرض بلاغة طريفة في ملبس فهاهة. حدثني القاضي أبو الحسن الجراحي قال: لحقتي مرة علة صعبة فمن طريف ما مر على رأسي، ودخل في جملة من عادي، شيخ الشونيزية، ودوارة الحمار، والثوثة، وفتيها أبو الجعد الأنباري، وكان من كبار أصحاب الزنهاري فقال أول ما قعد: يقع لي فيما لا يقع لغيري، أو لمثلي فيمن كان كأنه مني، أو كأنه كان على سني، أو كان معروفاً بما لا يعرف به إلا، إلا أنني أنك لا تحتمي إلا حمية فوق ما يجب، ودون ما لا يجب، وبين فوق ما لا يجب، وبين دون ما لا يجب، فرق، الله يعلم أنه لا يعلم أحد ممن يعلم، أو لا يعلم الطب كله أن يحتمي حمية، بين حميتين، حمية كلا حمية، ولا حمية كحمية، وهذا هو الاعتدال والتعديل، والتعادل والمعادلة، قال الله تعالى: (وكان بين ذلك قواماً) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (خير الأمور أوسطها، وشرها أطرافها)، والعلة في الجملة والتفصيل إذا أدبرت لم تقبل، وإذا أقبلت لم تدبر، وأنت من إقبالها في خوف ومن إدبارها في التعجب، وما يصنع هذا كله؟ لا تنتظر إلى اضطراب الحمية عليك، ولكن انظر إلى جهل هؤلاء الأطباء الألباء الذين يشقون الشعر شقاً، ويدقون البعر دقاً، ويقولون ما يدرون وما لا يدرون زرقاً وحمقاً، وإلى قلة نصحتهم مع جهلهم، ولو لم يجهلوا إذا لم ينصحوا كان أحسن عند الله والملائكة، ولو نصحوا إذا جهلوا كان أولى عند الناس وأشباه الناس والله المستعان، وأنت في عافية ولكن عدوك ينظر إليك بعين الاستفهام: وجهه وجه من قد رجع من القبر بعد عدو على كل حال، فالرجوع من القبر خير من الرجوع إلى القبر، لعن الله القبر، لا خباز ولا بزاز ولا رزاز ولا كواز (إنا لله وإنا إليه راجعون) عن قريب إن شاء الله. (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت)، وقال جل شأنه: (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير، ومن الجبال جدد بيض وحمر). تأمر بشيء السنة في العيادة خاصة، عيادة الكبار والسادة التخفيف والتطفيف، وإنا إن شاء الله عندك بالعشي والحق، والحق أقوام ما يجب على مثلك لمثلي، كان ليس لك مثل ولا مثلي أيضاً مثل هكذا إلى باب الشام إلى قنطرة الشوك وإلى المنذفة أقول لك المستوي، لا أنا ولا أنت اليوم كمثلك كمثرائين إذا علقنا على رأس شجرة، وكدلون إذا خلقنا على رأس بئر، ودع ذا القارورة، اليوم لا إله إلا الله، وأمس كان سبحان الله، وغداً يكون شيئاً آخر، وبعد غد ترى من ربك العجب، والموت والحياة يعون الله، ليس هذا مما يباع في السوق، أو يوجد مطروحاً في الطريق، وذلك أن الإنسان - ولا قوة إلا بالله - طريف أعمى كأنه ما صح له منام قط، ولا خرج من السمارية إلى الشط، وكأنه ما رأى قدرة الله في البط، إذا لفظ كيف يقول قط قط، والكلام في الإنسان وعمى قلبه وسخنة عينه قل غفر له، ولا يسلم في هذه الدار إلا من عصر نفسه عصرة ينشق منها فيموت كأنه شهيد، وهذا صعب لا يكون إلا بتوفيق الله وبعض خذلانه الغريب، على الله توكلنا وإليه التفتنا ورضينا، وبه استجرنا، إن شاء الله، وإن شاء أطعمنا.

قال القاضي: فكدت أموت من الضحك على ضعفي وما زال كلامه بهذا إلى أن خرجت على الناس وكان مع هذا لا يعيا ولا يقف ولا يكل وكان من عجائب الزمان. وختم أبو حيان كتابه في أخلاق الوزيرين بعد أن اعتذر عن فعله ثم قال: وإني لأحسد الذي يقول:

أعد خمسين حولاً ما على يد	لأجنبي ولا فضل لذي رحم
أحمد الله شكراً قد قنعت فلا	أشكو لنبيماً ولا أطري أخا كرم
لأنني كنت أتمنى أن أكونه، ولكن العجز غالب لأنه مبذور في الطينة، ولقد أحسن الآخر حين قال:	لو قنعنا بقسمنا لكفانا
ضيق العذر في الضراعة إنا	

ما لنا نعبد العباد إذا كا

ن إلى الله فقرنا وغنانا؟

وأدعو ههنا بما دعا به بعض النساك: اللهم صن وجوهنا باليسار، ولا تبدلها بالإقتار، فنسترزق أهل رزقك، ونسأل شر خلقك، ونبتلى بحمد من أعطى، وذم من منع، وأنت من دونهم ولي الإعطاء، وببيدك خزائن الأرض والسماء يا ذا الجلال والإكرام. ومن كتاب المحاضرات لأبي حيان قال: قصدت أنا والنصيبي رجالاً من أبناء لنعم والموصوفين بالكرم، ولا يرد سائله، ولا يخيب أمل، والألسن متفقة على جوده وتطوله، والعيون شاخصة إلى عطايه وفضله، له في السنة مبار كثيرة على أهل العلم وأهل البيوتات، ومن قعد به الزمان وجفاه الإخوان، فلم نصادفه في منزله، وقصدناه ثانياً فمنعنا من الدخول إليه، وقصدناه ثالثاً فذكر أنه ركب، وقصدناه رابعاً ففعل هو في الحمام، وقصدناه خامساً ففعل هو نائم، وقصدناه سادساً ففعل عنده صاحب البريد وهو مشغول معه بهمهم، وقصدناه سابعاً فذكر أنه رسم ألا يؤذن لأحد، وقصدناه ثامناً فذكر أنه يأكل ولا يجوز الدخول إليه بوجه ولا سبب، وقصدناه تاسعاً فذكر أن أحد أولاده سقط من الدرجة وهو مشغول به عند رأسه وما يفارقه، وقصدناه العاشر فذكر أنه مستعد لشرب الدواء، وقصدناه الحادي عشر فذكر أنه تناول الدواء من يومين، وما عمل عملاً وقد قواه اليوم بما يحرك الطبيعة، وقصدناه الثاني عشر ففعل إلى الآن كان جالساً ونهض في هذه الساعة ودخل إلى الحجرة، وقصدناه الثالث عشر ففعل دعي إلى الدار لمهم، وقصدناه الرابع عشر فألفيناه في الطريق يمضي إلى دار الإمارة، وقصدناه الخامس عشر فسهل لنا الإذن ودخلنا في غمار الناس، والناس على طبقاتهم جلوس وجماعة قيام يرتبون الناس ويخدمونهم وقد اتفق له عزاء، وشغل بغيرنا وبقينا في صورة من احتقان البول والجوع والعطش وما أقمنا في جملة من يقام، فقال لي النصيبي: هذا اليوم الذي قد ظفرنا به وتمكنا من دخول داره صار عظيم المصيبة علينا، ليس لنا إلا مهاجرة بابه والإعراض عنه، وقمع النفس الدنية بالطمع في غيره، فقلت له: قد تعبنا وتبدلنا على بابه، والأسباب التي قد اتفقت فمنعنا من رؤيته كانت عذراً واضحاً ويتفق مثل هذا، فإذا انقضت أيام التعزية قصدناه، وربما نلنا من جهته ما نأمله، فقصدناه بعد ذلك أكثر من عشرين مرة، وقلما اتفق فيها رؤيته وخطابه حتى مل النصيبي فقال: لو علمت أن داره الفردوس، والحصول عنده الخلود فيها، وكلامه رضا الله تعالى وفوز الأبد لما قصدته بعد ذلك، وأنشأ يقول:

طلب الكريم ندى يد المنكود

كالغيث يستسقى من الجلود

فافزع إلى عز الفراغ ولذ به

إن السؤال يريد وجه حديد

فأجبتة أنا وعياني بالدموع تترقرق لما بان لي من حرقتي، ونبو الدهر بي وضياح سعيي، وخيبة أمني في كل من أرتجيه لملم أو مهم، أو حادثة أو نائبة:

دنيا دنت من عاجز وتباعدت

عن كل ذي لب له خطر

سلمت على أربابها حتى إذا

وصلت إلي أصابها الحصر

قال أبو حيان في كتاب الوزيرين: جرى بيني وبين أبي علي مسكويه شيء، قال مرة: أما ترى إلى خطأ صاحبنا - وهو يعني ابن العميد في إعطائه فلاناً ألف دينار ضربة واحدة - لقد أضاع هذا المال الخطير فيمن لا يستحق، فقلت بعد ما أطل الحديث وتقطع بالأسف. أيها الشيخ، أسألك عن شيء واحد، فاصدق فإنه لا مدب للكذب بيني وبينك: لو غلط صاحبك فيك بهذا العطاء وبأضعافه وأضعاف أضعافه، أكنت تخيله في نفسك مخطئاً ومبذراً ومفسداً، أو جاهلاً بحق المال؟ أو كنت تقول ما أحسن ما فعل وليته أربي عليه؟ فإن كان الذي تسمع على حقيقة، فاعلم أن الذي يرد ورد مقالك إنما هو الحسد أو شيء آخر من جنسه، وأنت تدعي الحكمة وتتكلف الأخلاق، وتزيف الزائف، وتختار منها المختار، فافطن لأمرك، واطلع على شرك وشرك.

علي بن محمد بن حبيب

الماوردي البصري، يكنى أبا الحسن، ويلقب أقضى القضاة، لقب به في سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وجرى من الفقهاء كأبي الطيب الطبري والصيمري إنكار لهذه التسمية وقالوا: لا يجوز أن يسمى به أحد، هذا بعد أن كتبوا خطوطهم بجواز تغليب جلال الدولة بن بهاء الدولة ابن غضد الدولة بملك الملوك الأعظم، فلم يلتفت إليهم، واستمر له هذا اللقب إلى أن مات، ثم تلقب به القضاة إلى أيامنا هذه، وشرط الملقب بهذا اللقب: أن يكون دون منزلة من تلقب بقاضي القضاة إلى أيامنا هذه على سبيل الاصطلاح، وإلا فالأولى أن يكون أقضى القضاة أعلى منزلة. ومات الماوردي في سنة خمسين وأربعمائة. وكان عالماً بارعاً متقناً شافعيّاً في الفروع، ومعتزليّاً في الأصول على مال بلغني والله أعلم. وكان ذا منزلة من ملوك بني بويه يرسلونه في التوسطات بينهم وبين من بناؤهم، ويرتضون بوساطته ويقفون بتقريراته. قرأت في كتاب سر السرور لمحمود النيسابوري هذين البيتين منسوبين إلى الماوردي هذا:

وفي الجهل قيل الموت موت لأهله

فأجسادهم دون القبور قبور

إن أمر لم يحيى بالعلم صدره

فليس له حتى النشور نشور

حدث محمد بن عبد الملك الهمداني، وحدثني أبي قال: سمعت الماوردي يقول: بسطت الفقه في أربعة آلاف ورقة، واختصرته في أربعين، يريد بالمبسوط كتاب الحلوى، وبالمختصر كتاب الإقناع، ودرس مكانه خمس سنين قال: ولم أر أوفر منه، ولم أسمع منه مضحكة قط، ولا رأيت ذراعه منذ صحبتته إلى أن فارق الدنيا. قلت: وله تصانيف حسان في كل فن، ومنها: كتاب تفسير القرآن، كتاب الأحكام السلطانية، كتاب في النحو رأيت في حجم الإيضاح أو أكبر، كتاب قوانين الوزارة، كتاب تعجيل النصر وتسهيل الظفر.

قرأت في مجموع لبعض أهل البصرة: تقدم القادر بالله إلى أربعة من أئمة المسلمين في أيامه في المذاهب الأربعة، أن يصنف له كل واحد منهم مختصراً على مذهبه، فصنف له الماوردي الإقناع، وصنف له أبو الحسين القدوري مختصره المعروف على مذهب أبي حنيفة، وصنف له القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن نصر المالكي مختصراً آخر، ولا أدري من صنف له على مذهب أحمد، وعرضت عليه فخرج الخادم إلى أقصى القضاة الماوردي وقال له: يقول لك أمير المؤمنين: حفظ الله عليك دينك، كما حفظت علينا ديننا. ومن هذا المجموع: كان أقصى القضاة - رحمه الله - قد سلك طريقه في ذوي الأرحام، يورث القريب والبعيد بالسوية، وهو مذهب بعض المتقدمين، فجاء يوماً الشينيزي في أصحاب القمام، فصعد إليه المسجد وصلى ركعتين والتفت إليه فقال له: أيها الشيخ، اتبع ولا تبتدع، فقال: بل أجتهد ولا أقلد، فلبس نعله وانصرف.

علي بن محمد بن الحسن بن دينار الديناري

النحوي أبو الحسن، من ولد دينار بن عبد الله. قال ابن طاهر المقدسي: مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة، وأبوه أبو الفتح محمد من أهل العلم والحديث.

علي بن محمد النحوي الأديب

أبو الحسن الأهوازي النحوي الأديب رأيت له كتاباً في علل العروض، نحو عشر كراريس ضيقة الخط، جيداً في بابها غاية، ولا أعرف من حاله غير هذا.

علي بن محمد الوزان النحوي الحلبي

أبو الحسن، سمع منه أبو القاسم علي بن المحسن التتوخي، وأظنه كان في أيام سيف الدولة بن حمدان، وله كتاب في العروض.

علي بن محمد البطلوسي

بن السيد النحوي البطلوسي أبو الحسن، ويعرف بالخيطل، وهو أخو أبي محمد عبد الله ابن السيد النحوي. روى عن أبي بكر بن الغراب، وأبي عبد الله محمد بن يونس وغيرهما، أخذ عنه أخوه أبو محمد كثيراً من كتب الآداب وغيرها، وكان مقدماً في علم اللغة وحفظها وضبطها، ومات بقلعة رباح معتقلاً من قبل ابن عكاشة قائدها سنة ثمان وثمانين وأربعمائة.

علي بن محمد الأخفش النحوي

لم أجد ذكره إلا على كتاب الفصيح بخط علي بن عبد الله ابن أخي الشبيه العلوي بما صورته: حذق على هذا الكتاب - وهو كتاب الفصيح - أبو القاسم سليمان بن المبارك الخاصة الضرفي - أدام الله أيامه - من أوله إلى آخره قراءة فهم وتصحيح. وقرأت أنا على علي بن عميرة - رحمه الله - في محلة باب البصرة ببغداد عند المسجد الجامع الكبير. وقرأ هو على أبي بكر ابن مقسم النحوي عن أبي العباس ثعلب - رحمه الله -، وكتب علي بن محمد الأخفش النحوي سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة.

علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله

القهنذري أبو الحسن الضرير النحوي الأديب النيسابوري من أصحاب أب عبد الله، شيخ فاضل من الأدباء، سمع الحديث من أبي العباس المناسكي المحاملي وغيره، وسمع منه الناس وقرأ عليه الأئمة وتخرجوا به. قال ذلك عبد الغافر في السياق، قرأ عليه أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي وعده في أعيان مشايخه. وقال الواحدي: كان من أبرع أهل زمانه.

علي بن محمد السعيد البياري

الأستاذ الأديب أبو الحسن، رجل فاضل من أهل بيت الفضل والأدب، وأما سماع الحديث فقلما يخلو عنه أهل الفضل، قاله عبد الغافر.

علي بن محمد بن علي بن منصور

الحوزي أبو الحسن، الأديب ابن الأديب السقاء، رجل فاضل شاعر كاتب، وسمع الحديث من متأخري الطبقة الثانية ثم من مشايخنا، ومات كهلاً في الثاني من شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وأربعمائة قال ذلك عبد الغافر.

علي بن محمد بن أرسلان بن محمد الكاتب

أبو الحسن بن أبي علي المنتجب من أهل مرو، كاتب مليح الخط فصيح العبارة، وله شعر وترسل وبلاغة في غاية الحسن، سافر إلى العراق وجال في بلاده، ولعله ما رأى مثل نفسه في فنه، سمع بمرو أبا علي إسماعيل بن أحمد ابن الحسين البيهقي وغيره. قال أبو سعد: اجتمعت معه ببغداد بالمقتدية وكتب لي شيئاً من شعره، وكان حفظة يسمع أربعين بيتاً فيحفظها، اجتمعت فيه أسباب المندامة والكتابة وصحبة الملوك، له هذا البيت الفرد:

وأما الحشا مني فإني امتحنتها
وأدنيته منها الجمر فاحترق الجمر
وله:

إذا المرء لم تغن العفاة صلاته
ولم يرض في الدنيا صديقاً ولم يكن
فإن شاء فليهلك وإن شاء فليعيش
ولم يرغم القوم العدى سطواته
شفيعاً له في الحشر منه نجاته
فسيان عندي موته وحياته

قتل في الوقعة الخوارزمية بمرو في ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وله كتاب تعلقة المشتاق إلى ساكني العراق. وكان أبوه محمد بن أرسلان أيضاً من الفضلاء النبلاء. وله شعر ورسائل ومدحه الزمخشري ورثاه، وكان يلقب منتجب الملك، فلا أدري أهذا تلقيب بلقب أبيه؟ أم يعرف بابن المنتجب. وذكر في تاريخ خوارزم أن منتجب الملك محمد بن أرسلان مات في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة أو قريباً منها.

وذكر الزمخشري في شرح مقاماته: أنشدني الكبير المنتجب أبو علي محمد بن أرسلان لنفسه بيتاً لو وقع في شعر المتقدمين لسيرته الرواة، وخلدته الأئمة في كتبهم، وكم من أخوات له ضيعت بضياح الأدب وقلة النقلة، واتضاع الهمم، وتراجع الأمور على أعقابها.

وبرداه مسجوران مثل هجير
قال: وما أظن البردين وقعا مثل هذا الموقع منذ نطق بهما واضع العربية، ومن شعر منتجب الملك محمد بن أرسلان:
قل للمليحة في الخمار الأحمر
لا تجهري بدمائنا وتستري
مكنت من حب القلوب ولاية
فملكها بتعسف وتجبر
إن تنصفي فلك القلوب رعية
أو تمثعي حق فمن ذا يجتري
سخرتني وسخرتني بنوافث
فترفتي بمسخر ومسحر

علي بن محمد بن علي بن أحمد بن مروان

العمرواني الخوارزمي أبو الحسن الأديب، يلقب حجة الأفاضل وفخر المشايخ، مات فيما يقارب سنة ستين وخمسمائة. ذكره أبو محمد بن أرسلان في تاريخ خوارزم من خطه فقال: العمرواني حجة الأفاضل سيد الأدباء، قدوة مشايخ الفضلاء، المحيط بأسرار الأدب، والمطلع على غوامض كلام العرب، قرأ الأدب على فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري فصار أكبر أصحابه، وأوفرهم حظاً من غرائب آدابه، لا يشق غباره في حسن الحظ واللفظ، ولا يسمح عذاره في كثرة السماع والحفظ، سمع الحديث من فخر خوارزم والإمام عمر الترمذاني ولد الإمام أبي الحسن علي بن أحمد المخي، والإمام الحسن بن سليمان الخجندي، والقاضي عبد الواحد الباقرجي وغيرهم، وكان ولوعاً بالسماع كتباً، وجعل في آخر عمره أيامه مقصورة وأوقاته موقوفة على

نشر العلم وإفادته لطالبه، وإفاضته على الراغبين فيه. فحول العلماء يرجعون إليه ويقرؤون عليه، ويفزعون في حل المشكلات وشرح المعضلات إليه، وهو مع العلم الغزير والفضل الكثير علم في الدين والصلاح المتين، وإنه في الزهادة والسداد وحسن الاعتقاد أظهر أقرانه ذيلاً من العيوب، وأنقاهم جيباً عن اقتتراف الذنوب، وكان يذهب مذهب الرأي والعدل، وله شعر حسن، فمن قوله في صباه في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين يعارض قصيدة كعب ابن زهير:

بانئت سعاد فقلبي اليوم متبول
أضاء برق وسجف الليل مسدول
فهاج وجدي بسعدي وهي نائية
لم يبق لي مذ تولى الظعن باكراً

كما يهز اليماني وهو مصقول
عني وقلبي بالأشواق متبول
صبر، ولم يبق لي قلب ومعقول

مهما تذكرتها فاض الجمان على
ما أنس لا أنس إذ تجلو عوارضها
ظمأى الموشح ريان مخلصها
كأنما هي إذ ترخى ذوائبها
كأنما ثغرها در إذا ابتسمت
يا حبذا زمن فيه نسر بها
ومنها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:
هدى إلى دين إبراهيم أمته
وكل أصحابه أهوى وأمنحهم
وصاحب المصطفى في الغار يتبعه
وتلوه عمر الفاروق أزهر، إن
وأفتدي بابن عفان الذي فريت
وبالوصي ابن عم المصطفى فله
وإن أقضاهم قد كان أفضلهم
محبتني لهم ديني ومعتقدي

خدي حتى نجاد السيف مبلول
والجفن بالإثمد الهندي مكحول
عيل مؤزرها والمتن مجدول
بدر عليها رواق الليل مسدول
وريقها سحراً بالراح معلول
والشعب ملتئم والحبل موصول

ولهذا الإمام أشعار من هذا النمط ترك الكاغد أبيض حير من تسويده بها، وله تصانيف حسان منها: كتاب المواضع والبلدان، كتاب في تفسير القرآن، كتاب اشتقاق الأسماء.

ومن شعره الذي أورده لنفسه في كتاب البلدان:

رأيتك تدعي علم العروض
فكم تزري بشعر مستقيم
كأنك لم تحط مذ كنت علماً

كأنك لست منها في عروض
صحيح في موازين العروض
بمخبون الضروب ولا العروض

علي بن محمد أبو الحسن السخاوي

وسخا قرية من قرى مصر، كان مبدؤه الاشتغال بالفقه على مذهب مالك بمصر، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي وسكن بمسجد بالقرافة يؤم فيه مدة طويلة، فلما وصل الشيخ أبو القاسم الشاطبي إلى تلك الديار واشتهر أمره، لازمه مدة وقرأ عليه القرآن بالروايات، وتلقن منه قصيدته المشهورة في القراءات، وكان يعلم أولاد الأمير ابن موسك، وانتقل معه إلى دمشق واشتهر بها بعلم القرآن، وعاد قراءة القرآن على تاج الدين أبي اليمن الكندي ولزمه، وقرأ عليه جملة وافرة من سماعاته في الأدب وغيره، وصار له حلقة بالجامع بدمشق، وتردد إليه الناس للتأديب وشرع في التصنيف، فله كتاب الوحيد في شرح القصيد يريد قصيدة الشاطبي، وبسط القول وطول في مجلدتين، كتاب شرح المفضل، كتاب في تفسير القرآن، وكتبت هذه الترجمة في سنة تسع عشرة وستمائة وهو بدمشق كهلاً يحيا.

علي بن محمد بن علي الفصيح

أبو الحسن، من أهل أستراباذ وهي مدينة من طبرستان ورأس قصبته، قرأ النحو على عبد القاهر الجرجاني، وأخذ عنه أبو نزار النحوي والحيص بيص الشاعر.

ومات فيما ذكره السلفي الحافظ يوم الأربعاء ثالث عشر ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة، وقدم بغداد واستوطنها إلى حين وفاته، ودرس النحو بالناظمية بعد الشيخ أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي، ثم اتهم بالتشيع فقيّل له في ذلك، فقال: لا أجد، أنا متشيع من الفرق إلى القدم فأخرج من النظامية، ورتب مكانه الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي، فكان المتعلمون يقصدون داره التي انتقل إليها للقراءة عليه فقال لهم يوماً: داري بكرا، وخبزي بشرا، وقد جئتم تتدحرجون إلي، فذهبوا إلى من عزلنا به.

وسمي بالفصيح لكثرة دراسته كتاب الفصح لثعلب وصار له به أنس، حتى أنه دخل يوماً على مريض يعوده، فقال شفاء، وسبق على لسانه: وأرخيت الستر، لاعتياده كثرة إعادته.

وقد روى الفصيح عن أبي الحسن الخطيب الأقطع إنشاداً سمعه منه ابن سلفة الأصفهاني الحافظ ببغداد وقال: جالسته وسألته عن أحرف من العربية. وروى عنه في مشيخة بغداد وهو الذي عرفنا أن اسم أبيه محمد، وإلا فلا يعرف إلا بعلي بن أبي زيد الفصيح فقط.

قرأت في كتاب سرعة الجواب ومداعبة الأحباب تصنيف الحسن بن جعفر بن عبد الصمد بن المتوكل بخطه: أنشدني الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن أبي زيد الفصيح وقد عاتبته على الوحدة فقال:

فبلاؤه حسن جميل	الله أحمد شاكرأ
في بين أنعمه أجول	أصبحت مستوراً معاً
ف الظهر يقنعني القليل	خلواً من الأحزان خف
لوق علي ولا سبيل	حراً فلا من لمخ
دنيا ولا أمل طويل	لم يشقني حرص على الد
متلاف والرجل البخيل	سيان عندي ذو الغنى ال
عني قطاب لي المقيّل	ونفيت باليأس المنى
خفت مؤنثه خليل	والناس كلهم لمن

ومن كتابه أنشدنا الإمام أبو الحسن علي بن أبي زيد في المذاكرة وقد رقي إليه كلام قبيح عن بعض أصدقائه فقال مستشهداً:

صرماً ومل الصفاء أو قطعاً	إني إذا ما الخليل أحدث لي
ولا يراني لبينه جزعاً	لا أحتسي ماءه على رنق
هجران عنا ولم أقل قذعاً	أهجره ثم ينقضي زمن ال
عضهاً إذا حبل ذكره انقطعاً	إحذر وصال اللئيم إن له

وقرأت بخط الشيخ أبي محمد بن الخشاب، قال الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد وقد جرى ذكر الشيخ أبي الحسن ابن أبي زيد الأستراباذي المعروف بالفصيح صاحب عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله -، قال لي الشيخ أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي - رحمه الله -: إنه حضر معه أعني الفصيح حلقة يباع فيها الكتب، فنودي على كتاب فيه شيء من مصنفات أبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم وراق الفراء وعليه اسم المفضل منسوباً إلى النحو، فقيّل النحوي، فأخذه الفصيح وناولنيه، يقوله أبو زكريا. وقال لي كلمته: النحوي، أي قد نسبته إلى النحو وهو عنده مقصر أي لا يستحق هذا الوصف. قال: فقلت: تكون أنت نحويًا ولا يكون المفضل منسوباً إلى النحو.

قال الشيخ أبو محمد: لا شبهة في أن الذي حمل الفصيح على الغض بهذا القول من المفضل: أنه قد وقف على شيء من كلامه في بعض مصنّفاته مما يتّسم به أهل الكوفة مما يراه أهل البصرة خطأ أو كالخطأ، وذاك مما لا يحتمله الفصيح ولا شبيهه عبد القاهر، ولا شيخه ابن عبد الوارث أبو الحسين فيغضوا عليه، لأن طريقتهم التي يسلكونها في الصناعة منحرفة عن طريقة المفضل ومن جرى في أسلوبه كل الانحراف.

قال الشيخ أبو محمد بن الخشاب: وعلي أنني قرأت أنا بخط المفضل في كتابه الذي سماه البارح في الرد على كتاب العين في اللغة أشياء تدل على قصوره في الصناعة وضعفه في قياسها، منها: أنه ذكر الحروف التي جاءت لمعان بعد أن ذكر أبنية الكلام فقال: والحد الثالث من الكلام الأحداث، وهي التي يسميها أهل البصرة حروف المعاني، فيها ما هو على ثلاثة أحرف نحو إن وليت وكيف وأين، فعد كما ترى كيف وأين في حروف المعاني وهذا سهل عندهم، ثم قال: ومنها ما هو على أربعة أحرف نحو حاشا ولولا، ومنها ما هو على خمسة أحرف نحو ما خلا وما عدا. وجعله الحرفين مع ما واحداً، وعده لهما فيما بني من أصول الكلم على خمسة أحرف من أفحش الخطأ وأنزله، ولو وفق لذكر لكن ومثل بها، فليس في حروف المعاني ما هو على خمسة أحرف سوى لكن. ومرت بي فيما قرأته بخطه أشياء غير هذا تجري في التسمح مجراه. قرأت بخط الشيخ أبي محمد بن الخشاب: كان أبو الحسن علي بن أبي زيد الأستراباذي المعروف بالفصيح يوقل في الشجة التي تعرف عندهم بالمنقلة، وهي التي تنقل منها العظام إنها المنقلة بكسر القاف، ويرى كونها على صيغة الفاعل لا المفعول هو الوجه، ولا يجيز غيره ويقول: الشجاج كلها إنما جاءت على صيغة الفاعل كالحارسة والدامية والدامعة والدامغة والبابضة والمتلاحمة والموضحة والمفرشة وأشباههن. قال: وكذا ينبغي أن تكون المنقلة بكسر القاف وكأنها عنده رواية عضدها قياس. قال: وكان شيخنا موهوب بن أحمد رضي الله عنه ينعي ذلك عليه ويعدّه تصحيحاً ويضبط اللفظة بفتح القاف على أنها صيغة مفعول ويكتب فوق القاف ما هذه صورته: فتح. ويقول: أي قياس مع الرواية هذا؟ وهي تنقل منها العظام فيتعلق أيضاً بالتفسير، ولعمري إن الأشهر فيها الفتح وهذا ذكره أبو عبيد وابن السكيت عن الأصمعي. قال: ثم المنقلة وهي التي يخرج منها العظام، وكان شيخنا موهوب رحمه الله يرى الكسر في قاف المنقلة تصحيحاً محضاً لا وجه له، على أن أبا محمد ابن درستويه قد حكى عنه الكسر كما قال الفصيح. قال: وقرأت بخط العبدري وأخبرني به في كتابه قال: سمعت محمد بن العال اللغوي يقول: رويت بالوجهين معاً. وحكى العبدري الكسر عن ابن درستويه أيضاً، ولست أدري هل تعلق الفصيح فيما ذهب إليه بقول ابن درستويه أو غيره ممن لعله حكى الكسر أم لا؟ وهل رغب شيخنا موهوب عن الكسر بعد أن علم أنه قد حكى ولم يعتد بمكانة من حكاه أم لا؟ والأشبه أنه لا يكون بلغه، فإنه قلما كان يدفع قولاً لمتقدم ولو ضعف. وأنا أقول: إن النزاع في هذه اللفظة وشبهها المرجع فيه إلى محض الرواية عنهم، والمعول في ذلك على ما بضبطه الإثبات فيها، وقد قدمت أن من المشهور فيها الفتح كما قال شيخنا موهوب، ولا حجة له في أنهم فسروها بأنها تخرج منها العظام وتنقل، فإننا لو خيلنا وهذا الحجاج ووكلنا في إثبات لغة الفتح إليه لكان للخصم أن يقول: إن الشجة وهي الضربة التي أدت إلى نقل العظام فهي المنقلة لأنها حملة على المنقل، ولا حجة لشيخنا الفصيح أيضاً مع اشتهاار الفتح فيها في حمله إياها على الفاعل من نظائرها، لأنهم قالوا في الأمة: المأمومة كما قال يصف ضربة:

يحج مأمومة في قعرها لجف فاست الطبيب قذاها كالماغاريد

على أنه يمكن أن يتأول المأمومة على معنى: يحج هامة مأمومة، وقد قالوا في المشجوج نفسه مأموم وأميم، والظاهر أنه أراد الشجة، وقد جاء في الشجاج ما ليس على صيغة فاعل ولا مفعول السمحاق، فهل هذه إلا محض رواية في التسمية؟ وإن كان منقولاً، فاعرف ما قال شيخنا - رحمهما الله - وقلناه، ومن الله عز وجل نستمد التوفيق.

ومن خط ابن المتوكل: حدثني الشيخ الإمام الفصيح قال: رأيت بعض الموسوسين في المارستان وفي إبهامه أثر الحناء دون أصابعه فقلت له: ما معنى الحناء في الإبهام دون سائر الأصابع؟ فأشدني:

وخاضبة إبهامها دون غيره
قلت لها: الإبهام ما اسم خضابه
رأنتي وقد أعيا علي تصبري
فقلت: يسمى عضه المتفكر

علي بن محمد بن علي بن السكون

الحلي أبو الحسن، من حلة بني مزيد بأرض بابل، كان عارفاً بالنحو واللغة، حسن الفهم جيد النقل، حريصاً على تصحيح الكتب، لم يضع قط في طرسه إلا ما وعاه قلبه، وفهمه ليه، وكان يجيد قول الشعر. وحكى لي عنه الفصيح ابن علي الشاعر أنه كان نصيرياً. قال لي: ومات في حدود سنة ستمائة، وله تصانيف.

علي بن محمد بن يوسف بن خروف

الأندلسي الرندي النحوي، مشهور في بلاده مذكور بالعلم والفهم، مات فيما أخبرني به الفقيه شمس الدين أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الغماري غيلة في سنة ست وستمائة بإشبيلية عن خمس وثمانين سنة، وكان قد تغير عقله حتى مشى في الأسواق مكشوف الرأس والعورة، وأخذ النحو عن الأستاذ أبي الحسن بن طاهر المعروف بالخدب صاحب الحواشي على كتاب سيبويه بمدينة فارس، وكان ابن خروف خياطاً إذا اكتسب منها شيئاً قسم ما يحصل له نصفين بينه وبين أستاذه، وكان في خلقه زعارة

وسوء عشرة، ولم يتزوج قط، وكان يسكن الخانات. قال: وحدثني ببدا اشتغاله أبو القاسم عبد الرحمن بن يـخلف السلاوي - مدينة بالعدوة من المغرب -، قال: إنه أول يوم دخل على أبي طاهر شكاً إليه الفقر وقال: إنك لتأخذ مني أكثر مما تأخذ من الأعيان. فقال: شرك أعظم من شرهم علي في المجلس، وكان يأمرني بنقل الماء إلى المسجد إذا احتاج إلى استعماله فأقول له في ذلك فيقول: لا أحب أن تجلس بغير شغل، ولم يتخذ بلدًا موطنًا بل كان ينتقل في البلاد في طلب التجارة، وله تصانيف منها: كتاب شرح سيبويه حمله إلى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار، وله كتاب شرح الجمل في جلد واحد.

علي بن معقل أبو الحسن

ذكره الحبال في كتاب الوفيات فقال: أبو الحسن بن معقل الأديب الكاتب صاحب أبي علي الفارسي ولم يذكر اسمه، فكتبته أنا كما ترى بالوهم إلى أن يصح، قال: مات في ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة.

علي بن المغيرة الأثرم أبو الحسن

كان صاحب كتب مصححة قد لقي بها العلماء وضبط ما ضمنها، ولك يكن له حفظ، لقي أبا عبيدة والأصمعي وأخذ عنهما، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وهي السنة التي مات فيها الواثق، وله من الكتب: كتاب النوادر، كتاب غريب الحديث.

وحدث أبو مسحل عبد الوهاب قال: كان إسماعيل بن صبيح الكاتب قد أقدم أبا عبيدة من البصرة في أيام الرشيد إلى بغداد، وأحضر الأثرم وهو يومئذ وراق وجعله في دار من دوره وأغلق عليه الباب ودفع إليه كتب أبي عبيدة وأمره بنسخها، فكنت أنا وجماعة من أصحابنا نصير إلى الأثرم فيدفع إلينا الكتاب والورق الأبيض من عنده، ويسألنا نسخه وتعجيله ويوافقنا على الوقت الذي نرده إليه فكننا نفعل ذلك، وكان الأثرم يقرأ على أبي عبيدة، وكان أبو عبيدة من أضن الناس بكتبه، ولو علم ما فعله الأثرم لمنعه من ذلك، وكان الأثرم يقول الشعر، فمن قوله:

كبرت وجاء الشيب والضعف والبلى	وكل امرئ يبلى إذا عاش ما عشت
أقول وقد جاوزت تسعين حجة:	كان لم أكن فيها وليداً وقد كنت
وأنكرت لما أن مضى جل قوتي	وتزداد ضعفاً قوتي كلما زدت
كأنني إذا أسرعت في المشي واقف	لقرب خطي ما مسها قصراً وقت
وصرت أخاف الشيء كان يخافني	أعد من الموتى لضعفي وما مت
وأسهر من برد الفراش ولبينه	وإن كنت بين القوم في مجلس نمت

علي بن منجب بن سليمان الصيرفي

أبو القاسم أحد فضلاء المصريين وبلغائهم، مسلم ذلك له غير منازع فيه، وكان أبوه صيرفياً واشتهى هو الكتابة فمهر فيها، مات في أيام الصالح بن رزيك بعد خمسين وخمسمائة وقد اشتهر ذكره وعلا شأنه في البلاغة والشعر والخط، فإنه كتب خطاً مليحاً وسلك فيه طريقة غريبة، واشتغل بكتابة الجيش والخراج مدة، ثم استخدمه الأفضل بن أمير الجيوش وزير المصريين في ديوان المكاتبات ورفع من قدره وشهره، ثم إنه أراد أن يعزل الشيخ ابن أبي أسامة عن ديوان الإنشاء ويفرد ابن الصيرفي به، واستشار في ذلك بعض خواصه ومن يأنس به فقال له: إن قدرت أن تفدي ابن أبي أسامة من الموت يوماً واحداً بنصف مملكتك فافعل ذلك، ولا تخل الدولة منه فإنه جمالها، فأضرب عن ابن الصيرفي ومات الأفضل، وخدم المسمى بالخلافة بمصر، ولابن الصيرفي من التصانيف: كتاب الإشارة فيمن نال رتبة الوزارة، كتاب عمدة المحادثة، كتاب عقائل الفضائل، كتاب استئزال الرحمة، كتاب منائح القرائح، كتاب رد المظالم، كتاب لمح الملح، كتاب في السكر، وله غير ذلك من التصانيف، وله اختيارات كثيرة لدواوين الشعراء كديوان ابن السراج، وأبي العلاء المعري وغيرهما. ومن شعره قوله:

لما غدوت ملك الأرض أفضل من	جلت مفاخره عن كل إطراء
تغايرت أدوات النطق فيك على	ما يصنع الناس من نظم وإنشاء

وله:

لا يبلغ الغاية القصوى بهيمته	إلا أخو الحرب والجرد السلاهيـب
------------------------------	--------------------------------

على وشيخ من الحظي مخضوب

يطوي حشاه إذا ما الليل عانقه

وله:

عن الذي شرعت آباؤه الأول
بحيث ينحط عنها الحوت والحمل

هذي مناقب قد أغناه أيسرها
قد جاوزت مطلع الجوزاء وارتفعت

ولابن الصيرفي رسائل أنشأها عن ملوك مصر تزيد على أربع مجلدات.

علي بن منصور بن عبيد الله الخطيبي

المعروف بالأجل اللغوي يكنى أبا علي، الأصبهاني الأصل بغدادي المولد والمنشأ، عالم فاضل لغوي فقيه كاتب مقيم بالنظامية، قرأ على ابن القصار وأبي البركات الأنباري وغيرهما، وتفقه على مذهب الشافعي بالنظامية ولا أعلم له في زمانه نظيراً في علم اللغة، فإنه حدثني أنه كان في صباه يكتب كل يوم نصف جزء خمس قوائم من كتاب مجمل اللغة لابن فارس ويحفظه ويقرؤه على علي بن عبد الرحيم السلمي المعروف بابن القصار، حتى أنهى الكتاب حفظاً وكتابة، وحفظ إصلاح المنطق في أيسر مدة، وحفظ غير ذلك من كتب اللغة والفقه والنحو، وطالع أكثر كتب الأدب، وهو حفظة لكثير من الأشعار والأخبار، ممتع المحاضرة إلا أنه لا يتصدى للإقراء، ولقد سألته في ذلك وخضعت إليه بكل وجه فلم ينقد لذلك، ولا يكاد أحد يراه جالساً وإنما هو في جميع أوقاته قائم على رجله في النظامية، ولو جلس للإقراء لأحيا علوم الأدب، ولضربت إليه أباط الإبل في الطلب، بلغني أن مولده سنة سبع وأربعين وخمسمائة.

أنشدني أبو الحسن علي بن الحسين بن علي السجاي يعرف بابن ذنابة قال: أنشدني الأجل علي بن منصور اللغوي لنفسه:

وصوبة باد مغرم بالحواضر
كراها وباتا عنده شر سامر

فؤاد معنى بالعيون الفواتر
سميران ذادا عن جفون مقيم

وأنشدني قال أنشدني لنفسه:

فعاود القلب سكر كان منه صحا
جنع وغرته في الجنع ضوء ضحا

لمن غزال بأعلى رامة سنحا؟
مقسم بين أضداد فطرته

علي بن منصور بن طالب الحلبي

الملقب دوخلة يعرف بابن القارح، وهو الذي كتب إلى أبي العلاء رسالة مشهورة تعرف برسالة ابن القارح، وأجابه عنها أبو العلاء برسالة الغفران، يكنى أبا الحسن. قال ابن عبد الرحيم: هو شيخ من أهل الأدب شاهدناه ببغداد، راوية للأخبار وحافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والأشعار قنوماً بالنحو، وكان ممن خدم أبا علي الفارسي في داره وهو صبي، ثم لازمه وقرأ عليه على زعمه جميع كتبه وسماعاته، وكانت معيشته من التعليم بالشام ومصر، وكان يحكي أنه كان مؤدباً لأبي القاسم المغربي الذي وزير ببغداد، لقاءه الله سيئ أفعاله كذا قال. وله فيه هجو كثير، وكان يذمه ويعدد معايبه، وشعره يجري مجرى شعر المعلمين، قليل الحلاوة خالياً من الطلاوة، وكان آخر عهدي به بتكريت في سنة إحدى وستين وأربعمائة فإنا كنا مقيمين بها، واجتاز بنا وأقام عندنا مدة ثم توجه إلى الموصل، وبلغتني وفاته من بعد، وكان يذكر أن مولده ب حلب سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة. ولم يتزوج ولا أعقب، وجميع ما أورده من شعره مما أنشدني لنفسه، فمنه في الشمعة:

وفي طول ما ألقى وما أتوقع
وتسهيد عين واصفرار وأدمع

لقد أشبهتني شمعة في صبابتي
نحول وحرقت في فناء ووحدة

ومنه في هجو المغربي:

نقصك كالباني على الخص
بيض أعلاهن بالجص
ويا طويس الشؤم والحرص
ت الله بالموصل تستعصي

لقبت بالكمال سترأ على
فصرت كالكنف إذا شيدت
ياعرة الدنيا بلا غرة
قتلت أهليك وأنهبت بي

وله في المداعبة:

لأعلى الرأس عنده ويباس؟
ر الأيور الكبار مات الناس؟

أين من كان موضع الأير إجلا
أين من كان عارفاً بمقادي

وله:

قصال نارك ليس تخبو
ب على الرقاب لهن سحب
والرب يشكر ما ترب

يا رمحها العسال بل يا سيفها ال
يا عاقد المنن الرغا
كفروك ما أوليتهم

وسئل أن يجيز قول الشاعر:

ويأتيك ما ترجوه من حيث لا ترجو

لعل الذي تخشاه يوماً به تنجو

فقال:

فما لك في المقدور دخل ولا خرج

فتق بحكيم لا مرد لحكمه

وكان بينه وبين الكسروي مهاترة ومهاجة ومماظة، فمن قوله:

وفي يده ذيل دراعته
يتيه ويختال في مشيته

إذا الكسروي بدا مقبلاً
وقد لبس العجب مستنوكاً

ضراطاً يقع في لحيته

فلا يمنعك بأواؤه

وله:

يقول كم عندكم لونا وكم وكم؟
نراه ذاك وما هاذاك من عدم
وذاك والله بخل ليس بالأمم

الصيمري دقيق الفكر في اللقم
يسعى إلى من يرى إكثاره وكذا
يلقى الوعيد بما يلقي البشوش به

قال: وحدثني قال: كنت أؤدب ولدي الحسين بن جوهر القائد بمصر، وكانا مختصين بالحاكم وأنسين به، فعملت قصيدة وسألت المسمى منهما جعفراً - وكان من أحسن الناس وجهاً ويقال: إن الحاكم كان يميل إليه - أن يوصلها ففعل وعرضها علي فقال: من هذا؟ فقال: مؤدبي. قال: يعطى ألف دينار. واتفق أن المعروف بابن مقشر الطبيب كان حاضراً فقال: لا تثقلوا على خزائن أمير المؤمنين، يكفيك النصف، فأعطيت خمسمائة دينار. وحدثني ابن جوهر بالحديث، وكانت القصيدة على وزن منهوكة؟ أبي نواس أقول فيها:

بالحاكم الملك الأغر
فقد عدا على القصر
يمضي كما يمضي القدر
أو السحاب المنهمر
بدر إذا لاح بهر

إن الزمان قد نضر
في كفه غضب ذكر
من غره على الغرر
في سرعة الطرف نظر
بدر إنفاق البدر

وهي طويلة، واتفق أن الطبيب المذكور لحقته بعد هذا بأيام شقفة وهي التي تسمى التراقي، ويقال لها قملة النسر، فمات منها وكان نصرانياً فقلت:

تيتها وكبراً لجهد ربه
عاجله قبل وقت نحبه
رشاؤها في قلبه

لما غدا يستخف رضوى
أصماه صرف الردى بسهم
بشقفة بين منكبيه

علي بن مهدي بن علي بن مهدي الكسروي

أبو الحسن الأصفهاني، معلم ولد أبي الحسن علي بن يحيى بن المنجم وأحد الرواة العلماء النحويين الشعراء، مات في أيام بدر المعتضدي على أصبهان. قال حمزة: علي بن مهدي الكسروي وهو ابن أخت علي بن عاصم بن الحريس، وكان متصلاً ببدر المعتضدي، وفي أيامه مات يعني أيامه على أصبهان، وكان قد ولي أصبهان. سنة ثلاث وثمانين ومائتين أيام المعتضد إلى أن ولي ابنه المكتفي سنة تسع وثمانين ومائتين، قال ابن أبي طاهر: وكان الكسروي أديباً ظريفاً حافظاً راوية شاعراً عالماً بكتاب

العين خاصة، وكان يؤدب هارون بن علي بن يحيى النديم، واتصل بأبي النجم المعتضدي مولى المعتضد وتوفي في خلافته، وذكره المرزباني فقال: حدثني علي بن هارون عن أبيه وعمه قالاً: كان أبو الحسن علي بن يحيى ابن المنجم جالساً يوماً وبحضرته من لا يخلو مجلسه منه من الشعراء كأحمد بن أبي طاهر، وأحمد بن أبي فتن وأبي علي البصير، وأبي هفان المهومي والهدادي، وهو ابن عمه أي أبي هفان، وابن العلاف، وأبي الطريف، وأحمد بن أبي كامل خال ولد أبي الحسن، وعلي بن مهدي الكسروي وكان معلم ولده، فأنشد الجماعة بيتاً ذكر أنه مر به مفرداً فاستحسنه وأحب أن يضاف إليه بيت آخر يصل معناه ويزيد في الإمتاع به وهو:

ليهنك أني لم أجد لك عائباً
فبدره علي بن مهدي من بين الجماعة وقال:

وإنك مثل الغيث أما وقوعه
فاستحسنه أبو الحسن وضمه إلى البيت الأول، وكان أبو العبيس بن حمدون حاضراً فقال له: الصنعة فيهما عليك، فطلب عوداً وانفرد فصنع فيه رمله المشهور. وحدث عن الصولي قال: كتب عبد الله بن المعتز إلى علي بن مهدي الأصبهاني:

وما نازح يالعين أدنى محله
يقصر عنه كل ماش وطائر
محا اليأس منه كل ذكر فلم تكدر
تصوره للقلب أيدي الخواطر
بأبعد عندي من أناس وإن دنوا
وما البعد إلا مثل طول التهاجر
ويشغل عني القصف والراح بعضهم
مباكرها أو ممسياً كمباكر
إذا طار بين العود والنأي طيرة
فليس لإخوان الصفا بذاكر
قال: فأجابه علي بن مهدي:

أيا سيدي عفواً وحسن إقالة
فلم يحو أقطار العلا مثل غافر
لعمري لو أن الصين أدنى محلتي
لما كنت إلا غائباً مثل حاضر
ثنائي لكم عمري ومحض مودتي
تؤثر آثار الغيوث البواكر
فوالله ما استبهجت بعدك مجلساً
ولا بقيت لذاته في ضمائري
ولست كمن ينسبه أهل صفائه
سماع الحسان واصطحاب المزاهر
وكيف تناسى سيد لي ثناؤه
منوط بأحشائي وسمعي وناظري

وحدث عن عبد الله بن يحيى العسكري عن أحمد بن سعيد الدمشقي قال: كتب عبد الله بن المعتز إلى علي بن مهدي الكسروي:
يا باخلاً بكتابه ورسوله
أأردت تجعل في الفراق فراقاً؟
إن العهود تموت إن لم تحيها
والنأي يحدث للفتى إخلالاً
قال: فكتب إليه علي بن مهدي:

لا والذي أنت أسنى من أمجده
عندي وأوفاهم عهداً وميثاقاً
ما حلت عن خير ما قد كنت تعهده
ولا تبدلت بعد النأي أخلاقاً
وحدث عن علي بن عبد الله بن المعتز قال: كتب إلى علي بن مهدي الكسروي في يوم مهرجان:
نعمت بما تهوى ونلت الذي ترضى
ولقيت ما ترضى ووقيت ما تخشى
ولست بما ألقى من الخير كله
أسر، وأحظى سيدي بالذي تلقى
ويعلم علام الخفيات أنني
أعدك ذخراً للممات وللمحيا
وأنني لو أهدي على قدر نيتي
لكان الذي أهديه حظي من الدنيا
وحدث عن العسكري عن ابن سعيد الدمشقي قال: كتب عبد الله بن المعتز إلى علي بن مهدي:

أبا حسن أنت ابن مهدي فارس
فرقاً بنا لست ابن مهدي هاشم
وأنت أخ في يوم لهو ولذة
ولست أخاً عند الأمور الأعظم
فأجابه علي:

أيا سيدي إن ابن نهدي فارس
فداء ومن يهوى لمهدي هاشم
بلوت أخاً في كل أمر تحبه
ولم تبله عند الأمور الأعظم

وانك لو نبهته لملمة
قال: وقال محمد بن داود: ان علي بن مهدي يودب وهو أحد الرواة للأخبار وهو القائل:
ولما أبى أن يستقيم وصلته
حذاراً عليه أن يميل بوده
فأصبح كالظمان يهريق ماءه
فلا الماء أبقي للحياة ولا أتى
وله:

ومودع يوم الفراق بلحظه
متقلب نحو الحبيب بطرفه
نطق الضمير بما أرادا عنهما
وقال علي بن مهدي يصف العود:

تجري أصابعها على
خرس أصم ونحن من
قدم صموت ليس يع
ميت ولكن الأكف
وكأنه في حجرها
يومي إليه بنانها
فيرى النفوس معلقا
فإذا لوت آذانه
قالت له: قل مطرباً
فأجابها من حجرها

وله من الكتب: كتاب الخصال وهو مجموع يشتمل على أخبار وحكم وأمثال وأشعار، كتاب مناقضات من زعم أنه لا ينبغي أن يقتدي القضاة في مطامعهم بالأئمة الخلفاء، وقد عزي هذا الكتاب إلى الكسروي الكاتب، كتاب الأعياد والنوازير، كتاب مراسلات الإخوان ومحاورات الخلان وقال الكسروي في ضرورة وهب بن سليمان:

إن وهب بن سليما
حمل الضرط إلى الر
في مهمات أمور
إسته ينطق يوم الحف
لم يجد في القول فاحتا

ومن كتاب أصبهان: قال هارون بن علي بن يحيى: اجتمعنا مع أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر عند علي بن مهدي، فلما أردنا الانصراف أنشأ أبو الفضل يقول:

لولا علي بن مهدي وخلته
إذا سقي مترع الكاسات أوهمنا
لما اهتدينا إلى ظرف ولا أدب
بأن غلماننا خير من العرب

علي بن نصر النصراني يعرف بابن الطبيب

أبو الحسن الكاتب، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: كان أديباً مصنفاً مات في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، وله عدة كتب قال: وكان يذاكرني بها وأحسبه لم يتمم أكثرها، فمن كتبه: كتاب البراعة، كتاب صحبة السلطان أكثر من ألف ورقة، كتاب إصلاح الأخلاق محو من ألف وخمسمائة ورقة يشتمل على حكم وأمثال.

علي بن نصر بن سليمان الزنبقي اللغوي

أبو الحسن أحد الأدباء، رأيت بخطه كتباً أدبية لغوية ونحوية فوجدته حسن الخط متقن الضبط، وكان مقامه بمصر ولعله من أهلها، قرئ عليه كتاب الهمز لأبي زيد الأنصاري بجامع مصر في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

علي بن نصر بن سعد بن محمد الكاتب

أبو تراب، ولد بعكبرا ونشأ بها، ثم انحدر بعد أن بلغ إلى بغداد، وقرأ الأدب والنحو على ابن برهان النحوي، ثم انحدر إلى البصرة وصار كاتباً لنقيب الطالبين بها، وأقام بالكرخ وولى الكتابة لنقيب الطالبين إلى أن مات، وكان من أهل الأدب والفضل، مولده في محرم سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، وتوفي في جمادى الآخرة سنة ثمان مائة وخمسة، وابنه علي بن نصر بن سعد أبو الحسن بن أبي تراب، وكان كاتب نقيب الطالبين أيضاً وكان شاعراً، ولد بالبصرة سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، ومن شعر أبي تراب هذا:

حالي بحمد الله حال جيده
ما قلت للأيام قول معاتب
إلا وقالت لي مقالة واعظ:
لكنه من كل خير عاطل
والرزق يدفع راحتي ويماطل
الرزق مقسوم وحرصك باطل

علي بن نصر الفندورجي

بن محمد بن عبد الصمد الفندورجي أبو الحسن الأسفرائيني، وفندورج قرية بنواحي نيسابور، سكن إسفرائين وكان يرجع إلى فضل وافر ومعرفة تامة باللغة والأدب وخط وبلاغة، وله شعر مليح رائق ويد بأسطة في الكتابة والرسائل، ورد بغداد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وأقام بها مدة واقتبس من فضلائها، ورجع إلى خراسان وصار ينشئ الكتب عن ديوان الوزارة، وسئل عن مولده فقال: ولدت سنة تسع وثمانين وأربعمائة بنيسابور. قال السمعاني ومات في حدود سنة خمسين وخمسمائة ومن شعره:

تحية مزن يتحف الروض سحرة
فجسمي معي لكن قلبي أكرمو
قال السمعاني: أنشدني الفندورجي لنفسه:
سقى الله في أرض اسفرائين عصبتي
وجربت كل الناس بعد فراقهم
قال السمعاني: وأنشدني لنفسه ببلخ إملاء ونقلته من خطه:
قد قص أجنحة الوفاء وطار من
والحر في شبك الجفاء وماله
كان في آخر جزء بخط السمعاني ما صورته لكاتبه أبي الحسن الفندورجي:

حم الحبيب وأذاه السقام ولم
بأي عين إذا ما الوصل يجمعنا
والجفن مني دام لا يصفاح إذ
وله أيضاً في المعنى نقلته من خطه:

حم الحبيب وما حم انفصالي عن
بأي وجه إذا ما الوصل يجمعنا

وقرأت بخط أبي سعد، سمعت علب بن نصر النيسابوري مذاكرة بمرؤ يقول: كنت ببغداد فرأيت أهلها تستحسن هذه الأبيات التي لأبي إسماعيل المنشي:

ذكرتكم عند الزلال على الظما
فأنشأت قصيدة في نقيب النقباء أبي القاسم علي بن طراد الزنبقي على هذا الروي أولها:

فقد ضاق في أرض العراق مجالي
ديار الندى والمكرمات حوالي
بلايل بعد الطاعنين ببالي

خليلي زمت للرحيل جمالي
وقوداً عتاقاً كالأهله، إنما
وما أوجبت بغداد حقي وغادرت

علي بن وصيف الملقب بخشكنانجة الكاتب

من أهل بغداد، وكان أكثر مقامه بالرقعة ثم انتقل إلى الموصل وكان من البلغاء، وألف عدة كتب ونحلها عبدان صاحب الإسماعيلية، قال محمد بن إسحق النديم: وكان لي صديقاً وأنيساً ومات بالموصل، وله من الكتب: كتاب الإفصاح والتنقيف في الخراج ورسومه.

علي بن هبة الله بن ماکولا

هو علي بن هبة الله بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف بن أبي دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمرو بن شيخ بن معاوية بن خزاعي بن عبد العزيز بن دلف بن جشم ابن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل بن قاسط بن هبت بن أفصى بن دغمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، أبو نصر المعروف بابن ماکولا، وهو ابن الوزير أبي القاسم هبة الله ابن ماکولا وزير جلال الدولة بن بويه، وكان عمه أبو عبد الله الحسن بن جعفر، قاضي القضاة ببغداد الحافظ - أصله من جرباذقان بلدة بين همدان وأصفهان - يلقب بالأمير من بيت الوزارة والقضاة والرياسة القديمة، كان لبيباً عارفاً عالماً، ترشح للحفظ حتى كان يقال له الخطيب الثاني. قال ابن الجوزي: سمعت شيخنا عبد الوهاب يمدح في دينه ويقول: العلم يحتاج إلى دين. صنف كتاب المختلف والمؤتلف، جمع فيه بين كتب الدارقطني وعبد الغني والخطيب، وزاد عليهم زيادات كثيرة، وكان نحويًا مجوداً، وشاعراً مبرزاً، جزل الشعر فصيح الكلام صحيح النقل، ما كان في البغداديين في زمانه مثله، سمع أبا طالب بن غيلان، وأبا بكر بن بشران، وأبا القاسم بن شاهين، وأبا الطيب الطبري، وسافر إلى الشام والسواحل وديار مصر، والجزيرة والثغور الجبال، ودخل بلاد خراسان وما وراء النهر، وطاف في الدنيا وجول في الأفاق.

قال محمد بن طاهر المقدسي: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال المصري يمدح ابن ماکولا ويثني عليه ويقول: دخل مصر في زي الكتبة فلم نرفع له رأساً، فلما عرفناه كان من العلماء بهذا الشأن، ورجع إلى بغداد فأقام بها، ثم خرج إلى خوزستان فقتل هناك. كان في صحبته جماعة من مماليكه الأتراك.

قال ابن ناصر: قتل أبو نصر بن ماکولا بالأهواز من نواحي خوزستان، إما في سنة خمس وثمانين وأربعمئة، ومولده بعكبرا في شعبان من سنة اثنتين وعشرين وأربعمئة، ومن مستحسن شعره في التجنيس:

ولما تفرقنا تباكت قلوبنا
فممسك دمع عند ذاك كساكبه
فيا نفسي الحرى البسي ثوب حسرة
فراق الذي تهوينه قد كساك به

ومنه:

ترى زمني يدني سليمي فملتقي؟
وهيهات ما بعد الذي قد طلبته
ونرجع بالشكوى الحديث المناهبا
ومن غير الأيام كان المناهبا

ومنه:

فؤاد ما يفيق من التصابي
وقالوا: لو تصبر كان يسلو
أطاع غرامه وعصى النواهي
وهل صبر يساعد والنواهي؟

ومنه:

أليس وقوفنا بديار هند
وهند قد غدت داء لقلبي
وقد رحل القطين من الدواهي؟
إذا صدت ولكن الدوا هي

ومنه:

وهيج أشواقى وما كنت سالياً
ببيرين برق من ذرى الغور أومضا

ولست بتناسيه وإن عاد أو مضى

ذكرت به عيش التصابي وطيبه

ومن شعره:

فهي مشكورة على التقبيل

علمتني بهجرها الصبر عنها

فعلته فكان عين المليلح

وأرادت بذاك قبح صنيع

أنشدني أبو عبد الله محمد بن سعيد بن الديبثي قال: أنشدنا عمر بن طبرزاد قال: أنشدني أبو الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام قال: أنشدنا الأمير أبو نصر علي بن هبة الله لنفسه:

وجانب الذل إن الذل مجتنب

قوض خيامك عن أرض تهان بها

فالمندل الرطب في أوطانه الحطب

وارحل إذا كانت الأوطان منقصة

قرأت بخط أبي سعيد: أنبأنا أبو نصر يحيى بن خلف الخلقاني: أنبأنا أبو ثابت بنحير بن علي: أنبأنا أبو نصر ابن مأكولا الحافظ، أنشدنا أبو الفرج هبة الله بن الحسن بن محمد العسقلاني بها: أنشدنا أبو علي الحسن بن أحمد بن أبي الناس العسقلاني في صورتين كانتا على كنيسة تعرف بكنيسة ابن مريم على شرقي محملها، والكنيسة عند باب الصوارف بعسقلان:

شخصيكما الدنيا بوشك فراق

لو ذقتما طعم العناق لغافست

عمداً لترفيه ولا إشفاق

لم تغفل الأيام حالكما بها

حجزت أوامرهما عن الطراق

بل للأمور نهاية علقت بها

تلك الوقاحة أضيق الأطواق

فإذا انقضت أيامها عادت لها

كبنيه تفريقاً بغير تلاقى

وكانني بالدهر قد أجراكما

قال: فما مضى لهذا الشعر إلا سنة أو نحوها حتى أمر الحاكم بهدم الكنائس فهدمت، وهدمت هذه الكنيسة وأزيل الشخصان، فأنشدني لنفسه أبياتاً في ذلك يرثيها بها:

وتفرقا من بعد طول عناق

طوبا كما من دميتين تعانقا

وكذاك ما ألما لوشك فراق

طال اعتناقهما فما نعماً به

بمثابة الأولاد في الإشفاق

أجرتهما الدنيا بها إذ مثلت

عند الغروب ومبتدا الإشراف

صانتهما عن كل طارق حادث

فلت عناقهما عن الأعناق

حتى إذا بلغا نهاية موعد

للناظرين مرامي الأحقاد

ومحت رسومهما كأن لم تمثلا

وتصرف الحدثان في الآفاق

حسبي من الأيام معرفتي بها

قال شجاع بن فارس الذهلي: أنشدني الأمير أبو نصر علي بن هبة الله بن مأكولا الحافظ لنفسه:

عاذ عاد عن فنه عن فيه

طالما ظالماً تجنى بحبي

هجر حب خب نبه بتيه

قال قال فاترك فأبرك هجر

ما خلا من بلية من يليه

صاد صاداً علا علا ماحلا

قال: وأنشدني الأمير لنفسه في الشمعة:

على طول ليلي ما تريد نزوعا

أقول وما لي مسعد غير شمعة

بنار أسالت من حشاه نجيعا

كلانا نحيل ذو اصفرار معذب

سنفنى إذا جاء الصباح جميعا

ألا ساعديني طول ليلك إننا

قال أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي: ما راجعت أبا بكر الخطيب في شيء إلا وأحالي على الكتاب وقال حتى أبصره، وما راجعت الأمير أبا نصر علي بن هبة الله بن مأكولا في شيء إلا وأجابني حفظاً كأنه يقرأ من كتاب.

قال: وبلغ أبا بكر الخطيب أن ابن مأكولا أخذ عليه في كتابه المؤتلف وصنف في ذلك تصنيفاً وحضر عنده ابن مأكولا وسأله الخطيب عن ذلك فأنكره ولم يتبره وقال: تنسبني الناس إلى ما لا أحسنه من الصنعة، واجتهد الشيخ أبو بكر أن يعترف بذلك، وحكى له ما كان من عبد الغني بن سعيد في تتبعه أو هام الحاكم أبي عبد الله في كتاب المدخل، وحكايات عدة من هذا المعنى. قال: أرني إياه، فإن يكن صواباً استفدت منه ولا أذكره إلا عنك، فأصر على الإنكار وقال: لم يخطر هذا ببالي قط ولم أبلغ هذه الدرجة، أو كما قال فلما مات الخطيب أظهر كتابه، وهو الذي سماه كتاب تهذيب مستقر الأوهام على ذوي التمني والأحلام، أبو

الحسن الدارقطني، وأبو بكر أحمد بن علي الخطيب، وهو في عشرة أجزاء لطاف، وله من التصانيف سوى ما ذكرناه: كتاب الوزراء، كتاب الإكمال في المؤلف والمختلف.

علي بن هارون بن نصر القرميسيني

النحوي أبو الحسن. أخذ عن علي بن سليمان الأخفش، وأخذا عنه عبد السلام البصري، ومات في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة في خلافة الطائع، ومولده في سنة تسعين ومائتين.

علي بن هارون بن علي

بن يحيى بن أبي منصور المنجم أبو الحسن. قد ذكرنا أباه هارون وأجداده في مواضعهم من الكتاب. قال محمد بن إسحاق النديم: رأيناه وسمعنا منه، وكان رواية شاعراً أديباً طريفاً متكلماً حبراً، نادم جماعة من الخلفاء وقال لي: مولدي سنة سبع وسبعين ومائتين. وقال ثابت: مولده في صفر سنة ست وسبعين، ومات سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة عن ست وسبعين سنة، وله من الكتب: كتاب النوروز والمهرجان، كتاب الرد على الخليل في العروض، كتاب الرسالة في الفرق بين إبراهيم بن المهدي وإسحاق بن الموصلي في الغناء، كتاب ابتدأ فيه بنسب أهله عمله للمهلب الوزير ولم يتم، كتاب اللفظ المحيط ببعض ما لفظ به اللقيط عارض به كتاب أبي الفرج الأصبهاني، كتاب الفرق والمعيان بين الأوغاد والأحرار، كتاب القوافي عمله لعضد الدولة.

وحدث أبو القاسم إسماعيل بن عباد في كتاب الروزنامة في مجلسه، وقد أعدوا قصيدتين في مدحه فمنعهما من الشيد لأحضره، فأنشدوا وجوداً بعد تشبيب كبير وحديث طويل قال المؤلف: أراه المهلب، كان لأبي الحسن رسم - أخشى تكذيب سيدنا إن شريحته، وعتابه إن طويته، ولأن أحصل عنده في صورة متزيد أحب إلي من أن أحصل عنده في رتبة مقصر - بيتي فيقول ببحة عجيبة بعد إرسال دموعه، وتردد الزفرات في حلقة واستدعائه من خود غلامه، منديل عبراته، والله والله وإلا فأيمان البيعة تلزمه بحلها وحرامها وطلاقها وعتاقها، وما ينقلب إليه حرام، وعبيده أحرار لوجه الله تعالى إن كان هذا الشعر في استطاعة أحد مثله، أو اتفق من عهد أبي داود الإيادي إلى زمان ابن الرومي لأحد شكله، بل عيبه أن محاسنه تتابعته، وبدائعه ترادفت.

وقد كان في الحق أن يكون كل بيت منه في ديوان يحمله، ويسود به شاعره ثم ينشد، فإذا بلغ بيتاً يعجب به ويتعجب منه. وقال أيها الوزير: من يستطيع هذا إلا عبدك علي بن هارون ابن علي بن يحيى بن أبي منصور بن المنجم جليس الخلفاء، وأنيس الوزراء؟ ثم ينشد الابن والأب يعوده ويهتز له، ويقول أبو عبد الله: أستودعه الله ولي عهدي، وخليفتي بعدي، ولو اشتجر اثنان من مصر وخراسان لما رضيت لفصل ما بينهما سواء، أمتعنا الله به ورعاه، وحديثه عذيب. وإن استوفيته ضاع الغرض الذي قصدته، على أنه أيد الله مولانا من سعة النفس والخلق، و وفور الأدب والفضل وتمام المروءة والظرف بحال أعجز عن وصفها، وأزل عن جملتها، إنه مع كثرة عياله واختلال أحواله، وطلب سيف الدولة جاريته المغنية بعشرين ألف درهم أحضرها صاحبه فامتنع من بيعها وأعتقها وتزوجها، ومن شعر علي بن هارون وكتب بها إلى أبي الحسن علي بن خلف بن طياب:

بيني وبين الدهر فيك عتاب	سيطول إن لم يمحه الإعتاب
يا غائباً بوصاله وكتابه	هل يرجي من غيبتيك إياب
لولا التعلل بالرجاء تقطعت	نفس عليك شعارها الأوصاب
لا يأس من روح الإله فربما	يصل القطوع ويحضر الغياب
وإذا دنوت مواصلاً فهو المنى	سعد المحب وساعد الأحباب
وإذا نأيت فليس لي متعلل	إلا رسول بالرضا وكتاب

وحدث أبو علي المحسن بن علي التنوخي القاضي في نشوار المحاضرة قال: حدثني أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون بن المنجم قال: حدثني أبي قال: كنت وأنا صبي لا أقيم الرأ في كلامي وأجعلها غنياً وكانت سني إذ ذاك أربع سنين، أقل أو أكبر، فدخل أبو طالب الفضل ابن سلمة، أو أبو بكر الدمشقي - شك أبو الفتح - إلى أبي وأنا بحضرته، فتكلمت بشيء فيه راء فلثغت فيها، فقال له الرجل: يا سيدي، لم تدع أبا الحسن يتكلم هكذا؟ فقال له: ما أصنع وهو ألثغ؟ فقال له: - وأنا أسمع وأحصل ما جرى وأضبطه - إن اللثغة لا تصح مع سلامة الجارحة، وإنما هي عادة سوء تسبق إلى الصبي أول ما يتكلم لجهله بتحقيق الألفاظ وسماعه شيئاً يحتذيه، فإن ترك على ما يستحبه من ذلك مرن عليه، فصار له طبعاً لا يمكنه التحول عنه، وإن أخذ

بتركه في أول نشوه استقام لسانه وزال عنه، وأنا أزيل هذا عن أبي الحسن ولا أرضى فيه بتركك له عليه، ثم قال لي: أخرج لسانك، فأخرجته فتأمله وقال: الجارحة صحيحة، قل يا بني را، واجعل لسانك في سقف حلقك، ففعلت ذلك فلم تستو لي، فما زال يرفق بي مرة ويخشى بي أخرى، وينقل لساني من موضع إلى موضع من فمي، ويأمرني أن أقول الراء فيه، فإن لم يستو لي نقل لساني إلى موضع آخر دفعات كثيرة في زمان طويل حتى قلت راء صحيحة في بعض تلك المواضع، وطالبني وأوصى معلمي بالزامي ذلك حتى مرن لساني عليه، وذهبت عني اللثغة.

ومن كتاب الروزنامة قال صاحب: وتوفرت على عشرة فضلاء البلد، فأول من كارثني أولاد المنجم لفضل أبي احسن علي بن هارون وغزارته، واستكثاري من روايته وطيب سماعه ولذيذ عشرته. فسمعت منه أخباراً عجيبة وحكايات غريبة، ومن ستارته أصواتاً نادرة مشنفة مقرطقة يقول في كل منها: الشعر لفلان، والصنعة لفلان، أخذته هذه عن فلان، أو فلانة، حتى يتصل النسب بإسحاق أو غيره من أبناء جنسه، وكان أكثر ما يعجب به مولاها أبيات له أولها:

ضل الفراق ولا اهتدى ونأت فلا دنت النوى

وهوى فلا وجد القرا ر معنف أهل الهوى

فاتفق أن سألت أول ما سمعت اللحن فيه عن قائله، فغضب واستشاط، وتنكر واستوفز، ونفر وتنمر وقال: تقول لمن هذا؟ أما يدل على قائله؟ أما يعرب عن جوهره؟ أما ترى أثر بني المنجم على صفحته؟ أما يحميه للأوّه أو لودعيته من أن يدال بمن؟ وممن هذا الرجل؟ وذكره المرزباني في المعجم فقال المنجم: وهو القائل:

وإني لأتني النفس عما يريها وأنزل من دار الهوان بمعزل

بهمة نيل لا يرام مكانها تحل من العلياء أشرف منزل

ولي منطق إن لجلج القول صائب بتكشيف إلياس وتطبيق مفصل

وله يمدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

وهل خصلة من سؤدد لم يكن لها

أبو حسن من بينهم ناهضاً قدماً؟

فما فاتهم منها به سلموا له

وما شاركوه كان أوفرهم قسماً

وفي كتاب أبي علي التنوخي: كان أبو أحمد الفضل ابن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب خصيصاً بالوزير أبي علي بن مقله وكان يعشق مغنية، وكان ينفق عليها جميع ما يتحصل له، وله معها أخبار، وكانت هذه الجارية صفراء واسمها لهجة فشرب معها ليلة وأصبح مخموراً فآثر الجلوس معها، وأراد الاعتذار إلى الوزير ابن مقله من التأخر عن الخدمة وأن يخفي خبره عنه. فكتب رقعة يعتذر فيها ويقول: إن الصفراء تحركت علي فتأخرت، فوقع على ظهر الرقعة بخطه: أنت تحركت على الصفراء، وليست الصفراء تحركت عليك. قال: وهذا التوقيع يشبه ما أنشدنا علي بن هارون المنجم لنفسه في جاريته صفراء، وقد شكا إلى الطبيب مرة صفراء، ولا أدري أيهما أخذه من صاحبه:

جس الطبيب يدي وقال مخبراً هذا الفتى أودت به الصفراء

فجبت منه إذ أصاب وما درى قولاً وظاهر ما أراد خطأ

قلت أنا: وقرئ من هذا قول الوزير المهلب:

وقالوا للطبيب أشرفنا

نعذك للعظيم من الأمور

فقال شفاؤه الرمان مما

تضمنه حشاه من السعير

فقلت: لهم أصاب بغير قصد

ولكن ذاك رمان الصدور

وكان لعلي بن هارون ولد يقال له أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون المنجم، كان أديباً فاضلاً إلا أنني لم أقف له على تصنيف فلم أفرده بترجمة والمقصود ذكره. وقد ذكرها هنا، وروى عنه أبو علي التنوخي في نشواره فأكثر وقال: أنشدني أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون لنفسه:

ما أنس منها لا أنس موقفها

وقولها إذ بدا الصباح لها

ما أطول الليل عند فرقنا

قال التنوخي: وأنشدني أبو الفتح لنفسه وكتب بها إلى أبي الفرج محمد بن العباس - فسانجس - في وزارته وقد حمل على الأعداء في الأهواز:

قل للوزير سليل المجد والكرم

ومن له قامت الدنيا على قدم

المعروف بابن البواب أبو الحسن، صاحب الخط المليح والإذهاب الفائق. وجدت بخط ابن الشيبه العلوي الكاتب صاحب الخط الفائق في آخر ديوان أبي الطمحن القيني بخطه ما صورته: وكتب في صفر سنة عشرين وأربعمائة من خط أبي الحسن علي بن هلال الستري مولى معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي، وهذا قد كان بغير شك معاصره. بلغني أنه كان في أول أمره مزوقاً بصور الدور ثم صور الكتب ثم تعانى الكتابة ففاق فيها المتقدمين وأعجز المتأخرين، وكان يعظ بجامع المنصور، ولما ورد فخر الملك أبو غالب محمد بن خلف الوزير والياً على العراق من قبل بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة جعله من ندمائه، وفي الجملة إنه لم يكن في عصره ذاك النفاق الذي له بعد وفاته، وذلك أنني وجدت رقعة بخطه قد كتبها إلى بعض الأعيان يسأله فيها مساعدة صاحبه ابن منصور، وإنجاز وعد وعده به لا يساوي دينارين، وقد بسط القول في ذلك استطلتها فإنها كانت نحو السبعين سطراً فألغيت إثباتها، وقد بيعت بسبعة عشر ديناراً إمامية، وبلغني أنها مرة أخرى بخمسة وعشرين ديناراً. مات فيما ذكره هلال بن المحسن بن الصبائي في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، ودفن في جوار قبر أحمد بن حنبل وذلك في خلافة القادر بالله، ورثاه المرتضى بشعر أذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى. وحدث في كتاب المفوضة قال: حدثني أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب قال: كنت أتصرف في خزانة الكتب لبهاء الدولة بن عضد الدولة بشيراز على اختياري وأراعيتها له وأمرها مردود إلي، فرأيت يوماً في جملة أجزاء منبودة جزءاً مجلداً بأسود قدر السكري ففتحته وإذا هو جزء من ثلاثين جزءاً من القرآن بخط أبي علي بن مقلة، فأعجبني وأفردته فلم أزل أظفر بجزء بعد جزء مختلط في جملة الكتب إلى أن اجتمع تسعة وعشرون جزءاً، وبقي جزء واحد استغرقت تفتيش الخزانة عليه مدة طويلة فلم أظفر به، فعلمت أن المصحف ناقص فأفردته ودخلت إلى بهاء الدولة وقلت: يا مولانا، ههنا رجل يسأل حاجة قريبة لا كلفة فيها، وهي مخاطبة أبي علي الموفق الوزير على معونته في منازعة بينه وبين خصم له، ومعه هدية طريفة تصلح لمولانا. قال: أي شيء هي؟ قلت مصحف بخط أبي علي بن مقلة. فقال: هاته وأنا أقدم بما يريد، فأحضرت الأجزاء فأخذ منها واحداً وقال: أذكر وكان في الخزانة ما يشبه هذا وقد ذهب عني، قلت: هذا مصحفك وقصصت عليه القصة في طلبتي له حتى جمعته إلا أنه ينقص جزءاً وقلت: هكذا يطرح مصحف بخط أبي علي؟ فقال: لي. فتممه لي. قلت: السمع والطاعة، ولكن على شريطة أنك إذا أبصرت الجزء الناقص منها ولا تعرفه أن تعطيني خلعة ومائة دينار. قال: أفعل. وأخذت المصحف من بين يديه وانصرفت إلى داري، ودخلت الخزانة أقلب الكاغد العتيق وما يشابه كاغد المصحف، وكان فيها من أنواع الكاغد السمرقندي والصيني والعتيق كل ظريف عجيب، فأخذت من الكاغد ما وافقتي، وكتبت الجزء وذهبتة وعتقت ذهبه، وقلعت جلداً من جزء من الأجزاء فجلدته به وجلدت الذي قلعت منه الجلد وعتقته، ونسي بهاء الدولة المصحف، ومضى على ذلك نحو السنة. فلما كان ذات يوم جرى ذكر أبي علي بن مقلة فقال لي: ما كتبت ذلك؟ قلت: بلى، قال: فأعطيني: فأحضرت المصحف كاملاً فلم يزل يقلبه جزءاً جزءاً وهو لا يقف على الجزء الذي بخطي ثم قال لي: أيما هو الجزء الذي بخطك؟ قلت له: لا تعرفه فيصغر في عينك، هذا مصحف كامل بخط أبي علي بن مقلة ونكتم سرنا؟ قال: أفعل: وتركه في ربعة عند رأسه ولم يعده إلى الخزانة، وأقمت مطالباً بالخلعة والدنانير وهو يطلني ويعدني، فلما كان يوماً قلت يا مولانا: في الخزانة بياض صيني وعتيق مقطوع وصحيح، فتعطيني المقطوع منه كله دون الصحيح بالخلعة والدنانير. قال مر وخذه فمضيت وأخذت جميع ما كان فيها من ذلك النوع فكتبت فيه سنين.

كان مزاحاً - وله في هذا الكتاب باب - وعلى بن هلال ووجدت في تاريخ أبي لبفرج بن الجوزي قال: اجتاز أبو الحسن البتي الكاتب و كان مزاحاً - وله في هذا الكتاب باب - وعي ابن هلال جالس على باب الوزير فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف ينتظر الإذن. فقال له البتي: جلوس الأستاذ على العتب رعاية للنسب. فغضب ابن البواب وقال: لو أن إلي أمراً ما مكنتك من دخول هذه الدار. فقال البتي: لا يترك الأستاذ صنعة الوالد بحال. ولبعضهم يهجو ابن البواب:

ماذا رأيتم من النساخ متخذاً

سبال لص على عثون محتال؟

هذا وأنت ابن بواب وذو عدم

كيف لو كنت رب الدار والمال؟

وكان ابن البواب يقول شعراً لينا. - ونقلته من خط الجويني أيضاً قال: ونقلت من خطه أيضاً في ضمن رسالة - منه:

ولو أني أهديت ما هو فرض

للرئيس الأجل من أمثالي

لنظمت النجوم عقداً إذا رص

صع غيري جواهرأ بلألي

ثم أهديتها إليه وأقرر

ت بعجزي في القول والأفعال

غير أني رأيت قدرك يعلو

عن نظير ومشبه ومثال

فتفاءلت في الهدية بالأق

لام علماً مني بصدق الفال

فاعتقدها مفاتيح الشرق والغر

ب صريعاً والسهل والأجبال

فهي تستن إن جرين على القر
فاختبرها موقعاً برسوم ال
واظ بالمهرجان وابل جديد الد
وابق للمجد صاعد الجد عزاً
في سرور وغبطة تدع ال
عصدها السعود واستوطن الإق
أيها الماجد الكريم الذي يب
إن آلاءك الجزيلة عندي
أمنتني لديك من هجنة الر
وحقوق العبيد فرض على الس
وحياة الثناء تبقى على الده

طاس بين الأرزاق والآجال
بر والمكرمات والإفضال
هر في نعمة بغير زوال
والرئيس الأجل نجم المعالي
حاسد منها مقطع الأوصال
بال فيها وسالمتها الليالي
دأ بالعارفات قبل السؤال
شرعت لي طريقة في المقال
رد وفرط الإضجار والإملال
سادة في كل موسم للمعالي
ر إذا ما انقضت حياة المال

وكان تحت هذا الشعر بخط الجويني ما صورته: هذا شعر ابن البواب، وهو عورة سترها ذلك الخط، ولولا أن الإجماع واقع في أن الرجل يفتن بشعره وولده، لكان صاحب تلك الفضيلة يرتفع عن هذه النقيصة. وكتب تلميذه حسن ابن علي الجويني: ولقد عجبت ممن يزري على ذلك الشعر وهو القائل، ونقلته من خطه فقال: كتبت إلى المولى القاضي الأجل شرف الدين السديد عبد الله بن علي - أمتع الله الدنيا وأهلها ببقائه - وقد أبللت من مرضة صعبة:

عبد الإله السديد حقاً
يا شرف الدين يا فريداً
يا تاج فخري وكنز فقري
قد كدت أقضي أسى وأمضي

بغير زور وغير مين
شرف بالفضل دولتين
ويا معيني ونور عيني
وكدت تبقى بلا جويني

وكتب حسن بن علي الجويني في ذي القعدة سنة ست وستين وخمسائة بالديار المصرية - عمرها الله تعالى بدوام العز -: وقال المعري وضرب علي بن هلال مثلاً:

طربت لضوء البارق المتعالي
فيا برق ليس الكرخ داري وإنما
فهل فيك من ماء المعرة نغبة
ولاح هلال مثل نون أجادها

ببغداد وهناً ما لهن ومالي؟
رمى بي إليه الدهر منذ ليالي
تغيث بها ظمآن ليس نسالي؟
بماء النضار الكاتب ابن هلال

ومنها:

إذا لآخ إيماض سترت وجوها

هذا بيت مشكل التفسير بعيد المرمى، وذلك أن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة ولد العنبر والهجيم ومازن، تقول العرب إن هؤلاء الأخوة الثلاثة أمهم السعلاة وهي الغولة، وإن عمرو بن تميم تزوجها فولدت له هؤلاء الثلاثة.

ويقولون: إن السعلاة إذا رأت البرق طلبته، وكان عمرو يحفظها من البرق إذا لاح فيغطي وجهها، فغفل عنها مرة فلاح البرق فطلبته وقالت: يا عمرو أوصيك بولدك خيراً، ومضت ولم تعد إليه، فهذا معنى بيت المعري، وقد ضربه بعض المتأخرين أيضاً مثلاً، فقال يمدح رجلاً يعرف بابن بدر بجودة الخط فقال:

يا ابن بدر علوت في الخط قدراً
ذاك يحكي أباه في النقص لما

حينما قايسوك بابن هلال
جئت تحكي أباك عند الكمال

قرأت بخط سلامة بن عياض: رأيت بالري بخط علي بن هلال كتاب من نسب من الشعراء إلى أمه لأبي عبد الله بن الأعرابي، وهم خمسون شاعراً، وعلى ظهره: كتبه علي بن هلال في شهر ربيع الأول سنة تسعين وثلاثمائة، وبعد البسملة: يرويه ابن عرفة عن ثعلب عن ابن الأعرابي، وفي آخره بخطه: نقلته من نسخة وجدت عليها بخط شيخنا أبي الفتح عثمان بن جني النحوي - أيده الله -: بلغ عثمان بن جني نسخاً من أوله وعرضاً.

وكان لابن البواب يد باسطة في الكتابة أعني الإنشاء وفصاحة وبراعة، ومن ذلك رسالة أنشأها في الكتابة وكتبها إلى بعض الرؤساء ونقلتها من خط الحسن بن علي الجويني الكاتب أولها:

حاسد منها مقطع الأوصال	في سرور وغبطة تدع ال
بال فيها وسالمتها الليالي	عضدتها السعود واستوطن الإق
دأ بالعارفات قبل السؤال	أيها الماجد الكريم الذي يب
شرعت لي طريقة في المقال	إن آلاءك الجزيلة عندي
رد وفرط الإضجار والإملال	أمنتني لديك من هجنة الر
سادة في كل موسم للمعالي	وحقوق العبيد فرض على الس
ر إذا ما انقضت حياة المال	وحياة الثناء تبقى على الده

وكان تحت هذا الشعر بخط الجويني ما صورته: هذا شعر ابن البواب، وهو عورة سترها ذلك الخط، ولولا أن الإجماع واقع في أن الرجل يفتن بشعره وولده، لكان صاحب تلك الفضيلة يرتفع عن هذه النقيصة. وكتب تلميذه حسن ابن علي الجويني: ولقد عجبت ممن يزرري على ذلك الشعر وهو القائل، ونقلته من خطه فقال: كتبت إلى المولى القاضي الأجل شرف الدين السديد عبد الله بن علي - أمتع الله الدنيا وأهلها ببقائه - وقد أبلت من مرضة صعبة:

عبد الإله السديد حقاً	بغير زور وغير مين
يا شرف الدين يا فريداً	شرف بالفضل دولتين
يا تاج فخري وكنز فقري	ويا معيني ونور عيني
قد كدت أقضي أسى وأمضي	وكدت تبقى بلا جويني

وكتب حسن بن علي الجويني في ذي القعدة سنة ست وستين وخمسائة بالديار المصرية - عمرها الله تعالى بدوام العز - : وقال المعري وضرب علي بن هلال مثلاً:

طربت لضوء البارق المتعالي	ببغداد وهناً ما لهن ومالي؟
فيا برق ليس الكرخ داري وإنما	رمى بي إليه الدهر منذ ليالي
فهل فيك من ماء المعرفة نغبة	تغيث بها ظمآن ليس نسالي؟
ولاح هلال مثل نون أجادها	بماء النضار الكاتب ابن هلال

ومنها:

إذا لاخ إيماض سترت وجوها	كأنني عمرو والمطي سعال
--------------------------	------------------------

هذا بيت مشكل التفسير بعيد المرمى، وذلك أن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة ولد العنبر والهجيم ومازن، تقول العرب إن هؤلاء الأخوة الثلاثة أهم السعلاة وهي الغولة، وإن عمرو بن تميم تزوجها فولدت له هؤلاء الثلاثة.

ويقولون: إن السعلاة إذا رأت البرق طلبته، وكان عمرو يحفظها من البرق إذا لاح فيغطي وجهها، فغفل عنها مرة فلاح البرق فطلبته وقالت: يا عمرو أوصيك بولدك خيراً، ومضت ولم تعد إليه، فهذا معنى بيت المعري، وقد ضربه بعض المتأخرين أيضاً مثلاً، فقال يمدح رجلاً يعرف بابن بدر بجودة الخط فقال:

يا ابن بدر علوت في الخط قدراً	حينما قايسوك بابن هلال
ذاك يحكي أباه في النقص لما	جئت تحكي أباك عند الكمال

قرأت بخط سلامة بن عياض: رأيت بالري بخط علي بن هلال كتاب من نسب من الشعراء إلى أمه لأبي عبد الله بن الأعرابي، وهم خمسون شاعراً، وعلى ظهره: كتبه علي بن هلال في شهر ربيع الأول سنة تسعين وثلاثمائة، وبعد البسملة: يرويه ابن عرفة عن ثعلب عن ابن الأعرابي، وفي آخره بخطه: نقلته من نسخة وجدت عليها بخط شيخنا أبي الفتح عثمان بن جني النحوي - أيده الله - : بلغ عثمان بن جني نسخاً من أوله وعرضاً.

وكان لابن البواب يد باسطة في الكتابة أعني الإنشاء وفصاحة وبراعة، ومن ذلك رسالة أنشأها في الكتابة وكتبها إلى بعض الرؤساء ونقلتها من خط الحسن بن علي الجويني الكاتب أولها: قد افتتحت خدمة سيدنا الأستاذ الجليل - أطال الله بقاءه وأدام تمكينه وقدرته وتمهيده وكتب عدوه - بالمثال المقترن بهذه الرقعة افتتاحاً يصحبه العذر إلى جليل حضرته من ظهور التقصير

فيه، والخلل البادي لم تأمل فيه، وقد كان من حقوق مجلسه الشريف أن يخدم بالغايات المرضية من كل صناعة، تأدياً لسؤدده وعلائه، وتصدياً للفوز بجميل رأيه، ولم يعد بي عن هذه القضية جهل بها، وقصور عن علمها، لكنني هاجر لهذه الصناعة منذ زمن طويل هجرة قد أورت يدي حبسة ووقفة، حائلتين بينها وبين التصرف والاقتتان والوفاء بشرط الإجابة والإحسان، ولا خفاء عليه - أدام الله تأييده - بفضل الحاجة ممن تعاطى هذه الصناعة إلى فرط التوفر عليها، والانصراف بجملته العناية إليها، والكلف الشديد بها، والولوع الدائم بمزاوالتها، فإنها شديدة النفار، بطيئة الاستقرار، مطمعة الخداع، وشيكة النزاع، عزيزة الوفاء، سريعة الغدر والجفاء، نوار قيدها الأعمال، شמוש قهرها الوصال، لا تسمح ببعضها إلا لمن أثرها بجملته، وأقيل عليها بكليته، ووقف على تألفها سائر زمنه، واعتاضها عن خله وسكنه، ولا يؤسبه حيادها، ولا يغره انقيادها، يقارعها بالشهوة والنشاط، ويودعها عند الكلال والملال، حتى يبلغ منها الغاية القصية، ويدرك المنزل العلية، وتتقاد الأنامل لتفتيح أزهارها، وجلاء أنوارها، وتظهر الحروف موصولة ومفصولة، ومعماة ومفتحة في أحسن صيغتها، وأبهج خلقتها، منخرطة المحاسن في سلك نظامها، متساوية الأجزاء في تجاورها والتيامها، لينة المعاطف والأرداف، متناسبة الأوساط والأطراف، ظاهرها وقور ساكن، ومفتشها بهج فائن، كأنما كاتبها وقد أرسل يده وحث بها قلمه، رجع فيها فكره ورويته، ووقف على تهذيبها قدرته وهمتها، القلب بها في حجر ناظره، والمعنى بها مظلوم بلفظه، وما ذهبت في هذه الخدمة مذهب المطرف المغرب بها، ولا المعول على شوافعها، لكن نهجت بها سبيلاً لأمثالها إقامة لرسم الخدمة المفروضة للسادة المنعمين على خدمهم وصنائعهم، فإن سعدت بنفاقها عليه وارتضاها لديه، سلمت من وصمة التضجيع والإهمال، وهجنة التقصير في شكر الإنعام والإفضال، ولسيدنا الجليل - أطال الله بقاءه - علو الرأي في الأمر بتسلم ما خدمت به، وتصريفه بين عالي أمره ونهيه إن شاء الله تعالى وحدث غرس النعمة محمد بن هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابي في كتاب الهفوات قال: كان في الديوان كاتب يعرف بأبي نصر بن مسعود فلقي يوماً أبا الحسن علي ابن هلال البواب الكاتب ذا الخط المليح في بعض الممرات فسلم عليه وقبل يده. فقال له ابن البواب: الله الله يا سيدي ما أنا وهذا؟ فقال له: لو قبلت الأرض بين يديك لكان قليلاً. قال: لم؟ ولم ذاك يا سيدي؟ وما الذي أوجبته واقتضاه؟ قال: لأنك تفردت بأشياء ما في بغداد كلها من يشاركك فيها، منها الخط الحسن وأنه لم أر من عمري كاتباً من طرف عمامته إلى لحيته ذراعان ونصف غيرك. فضحك أبو الحسن منه وجزاه خيراً وقال له: أسألك أن تكتب هذه الفضيحة علي ولا تكرمني لأجلها. قال له: ولم تكتب فضائلك ومناقبك؟ فقال له: أنا أسألك هذا فبعد جهد ما أمسك، وكانت لحية ابن البواب طويلة جداً.

قال المؤلف: وأما الشعر الذي رثاه به المرتضى فهو:

ريدت يا بن هلال والردى عرض	لم يحم منه على سخط له البشر
ما ضر فقدك؟ والأيام شاهدة	بأن فضلك فيه الأنجم الزهر؟
أغنيت في الأرض والأقوام كلهم	من المحاسن ما لم يغنه المطر
فللقلوب التي أبهجتها حزن	وللعيون التي أقررتها سهر
وما لعيش إذا ودعته أرج	ولا الليل إذا فارقتة سحر
وما لنا بعد أن أضحت مطالعنا	مسلوبة منك أوضاع ولا غرر

علي بن الهيثم الكاتب المعروف بجونقا

كان أحد الكتاب المستخدمين في ديوان المأمون وغيره من الخلفاء، وكان فاضلاً أديباً كثير الاستعمال للتقير والقصد لعويس اللغة، حتى قال المأمون فيما حدث به الفضل بن محمد اليزيدي عن أبيه قال: قال المأمون: أنا أتكلم مع الناس أجمعين على سجيبي إلا علي بن الهيثم فإني أتخفظ إذا كلمته، لأنه يغرق في الإغراب. ونقلت من خط الصولي في أخبار شعراء مصر قال: وممن دخل مصر خالد بن أبان الكاتب الأنباري أخو عبد الملك بن أبان، حدثني الحسين بن علي الباقطاني: أنه شخص إلى مصر فبلغه اتساع حال علي بن الهيثم وكانت بينهما حرمة وكيدة، فكتب إليه من مصر بشعر طويل منه وكتب بماء الذهب.

على الخالق الباري توكلت إنه	يدوم إذا الدنيا أبادت قرونها
فداؤك نفسي يا علي بن هيثم	إذا أكلت عصف السنين سمينها
رميتك من مصر بأمر قلاندي	تزان وقد أقسمت ألا تهينها
بأبيات شعر خط بالتبر وشيها	إليك قدماً حال حولان دونها

ويذكر فيه خبره مع غرمانه والقاضي، فبعث إليه سفتجة بألف دينار، وكتب إلى عامل مصر في استعماله فحسنت حاله.

وقال الجهشيري: كان لخالد بن أبان الكاتب الأنباري الشاعر حرمة بعلي بن الهيثم وبأبيه أيام مقامهم بالأنبار، وأضاق واختلت حاله وتدين من التجار ما أنفقه، فكثّر غرماؤه وقدموه إلى القاضي فحبسه، ثم فلسه وأطلقه، وأقام بمصر وساعات حاله، وبلغه أن علياً قد عظم قدره، وتقلد ديوان الخراج للفضل بن الربيع لما استوزره الرشيد بعد البرامكة وارتفع مع المأمون بعد ذلك، فكتب إليه قصيدة نحواً من سبعين بيتاً في رق بالذهب وبعث بها إليه أولها: على الخالق الباري. الأبيات، فوجه إليه بألف دينار.

قال أبو بكر محمد بن خلف بن المرزباني: حدثنا أبو علي الحسن بن بشر، حدثني أبي قال: دخل علي بن الهيثم إلى سوق الدواب فلقه نخاس فقال له: هل من حاجة؟ قال: نعم، الحاجة أناختنا بعقوتك، أردت فرساً قد انتهى صدره، وتقلقت عروقه، يشير بأذنيه، ويتعاهدني بطرف عينيه، ويتشوف برأسه، ويعقد عنقه، ويخطر بذنبه، ويناقل برجليه، حسن القميص جيد الفصوص وثيق القصب، تام العصب، كأنه موج لجة، أو سيل حدور. فقال له النخاس: هكذا كان صلى الله عليه وسلم.

وقال المرزباني في المعجم: علي بن الهيثم التغلبي كاتب الفضل بن الربيع كان لسناً فصيحاً شاعراً، عاتبه الفضل يوماً على تأخره عنه وزاد عليه فقال:

وعندي الفضل رخيصة جداً
وظن والظنون قد تعدا
فعتني وازور عني صدا
أني لا أصيب منه أبدا
أعد منه ألف بد عدا

وانصرف فلم يعمل للسلطان عملاً. حدثنا محمد اليزيدي قال: شهدت المأمون وهو جالس على دكة الشماسية، وعنده أحمد بن الجنيدي الإسكافي وجماعة من الخاصة، إذ دخل عليه علي بن الهيثم المعروف بجونفا، فلما قرب منه قال: يا عدو الله يا فاسق يا لص يا خبيث سرقت الأموال وانتهبتها، والله لأفرق بين لحمك وعظمك ولأفعلن، ثم سكن غضبه قليلاً، فقال أحمد بن الجنيدي: نعم والله يا أمير المؤمنين، إنه وإنه ولم يدع شيئاً من المكروه إلا قاله فيه، فقال له المأمون وقد هدأ غضبه: يا أحمد، ومتى اجترأت على هذه الجراءة؟ رأيتني وقد غضبت فأردت أن تزيد في غضبي، أما إنني سأؤدبك فأؤدب بك غيرك، يا علي بن الهيثم، قد صفحت عنك ووهبت لك كل ما كنت أقدر أن أطالبك به، ثم رفع رأسه إلى الحاجب وقال: لا يبرح ابن الجنيدي الدار حتى يحمل إلى علي بن الهيثم مائة ألف درهم ليكون له بذلك عقل، فلم يبرح حتى حملها. الجهشيري: أمر المأمون أن يؤذن للناس إذناً عاماً وأن يجلسوا على مراتبهم التي كانت قديماً إلى أن تعرض عليه فيأمر فيها بأمره ففعلوا ذلك، ودخل علي بن الهيثم فجلس في مجلس العرب وتغامز الكتاب عليه، وأقبل عبيد الله بن الحسن العلوي فقال إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب للكتاب: أطيعوني وقوموا معي، فمضوا بأجمعهم مستقبليين لعبيد الله بن الحسن، فسلموا عليه فرد عليهم. فقالوا لنا حاجة، فقال مقضية، قالوا: تجلس في مجلسنا. فقال: سبحان الله: ينكر ذلك أمير المؤمنين. قالوا: هي حاجة تقضيها لنا ونحتمل ما ينالك فيها. قال: أفعل لعلمي بموقع الكتاب من قلوب السلاطين وقدرتهم على إصلاح قلوبهم إذا فسدت، وإفسادها إذا صلحت، ومال إلى ناحيتهم فجلس معهم. وكتب صاحب المراتب إلى المأمون، فلما وقف على الموضع الذي جلس فيه عبيد الله أنكره وبعث إليه: ما هذا المجلس الذي جلست فيه؟ فقال إبراهيم بن إسماعيل للرسول: بلغ أمير المؤمنين عند السلام وقل له: خدمك وعبيدك الكتاب يقولون: العدل والإنصاف موجودان عندك وعند أهلك، أخذتم منا رجلاً من وجوه النبط فأخذنا مكانه وجهاً من وجوه أهلك، ذلك علي بن الهيثم جالس مع العرب، فردوا علينا رجلنا وخذوا رجلكم، فضحك جميع من في داره وتشوش علي بن الهيثم وضحك المأمون وقال: لقد مني علي بن الهيثم من إبراهيم بن إسماعيل ببلاء عظيم، وكان أبو يعقوب إسحاق بن حسان الخزيمي قد أغري بهجاء علي بن الهيثم الأنباري الكاتب، وكان السبب في ذلك أنه وقع لأبي يعقوب عنده ميراث فدافعه فهجاه، وكان علي بن الهيثم متشديداً متفبقها يدعي العربية ويقول: إنه تغلبي وكان من قرية يقال لها أنقوريا، ففي ذلك يقول الخزيمي:

أنقوريا قرية مباركة
تقلب فخارها إلى الذهب

محمد بن علي العباسي عن أبيه قال: شهدت علي بن الهيثم جونفاً، وقد حضره منارة صاحب الرشيد فقال له: يا منارة استلبت لوطي. فقال: - أصلحك الله - ما ظننتك تتلفاني بمثل هذا؟ شيخ مثلي يلعب بالصبيان، فضحك جميع من في المجلس، اللوط: الإزار. كأنه أراد أنك لم تحسن عشرتي وأنت أخذت ثيابي. وذكر حماد بن إسحاق عن بشر المريسي قال: حضرت المأمون أنا وثمامة ومحمد بن أبي العباس الطوسي وعلي بن الهيثم فناظروا في التشيع. فنصر محمد بن أبي العباس مذهب الإمامية، ونصر علي بن الهيثم مذهب الزيدية، وشرق الأمر بينهما، إلى أن قال محمد بن أبي العباس لعلي بن الهيثم: يا نبطي ما أنت والكلام؟ فقال المأمون وكان متكئاً فجلس: الشتم عي والبذاء لؤم، وقد أبحنا الكلام وأظهرنا المقالات، فمن قال بالحق حمدناه، ومن جهل وقفناه، ومن ذهب عن الأمر حكمنا فيه بما يجب، فاجعلا بينكما أصلاً، فإن الكلام الذي أنتم فيه من الفروع، فإذا افترعتما شيئاً رجعتما إلى الأصول، ثم عادا إلى المناظرة فأعاد محمد بن أبي العباس لعلي بن الهيثم مثل مقالته الأولى: فقال له علي: والله لولا جلالة المجلس وما وهب الله من رافة أمير المؤمنين وأنه قد نهانا لأعرفت جبينك، وحسبنا من جهلك غسلك المنبر بالمدينة.

فاستشاط المأمون غضباً على محمد وأمر بإخراجه، فعاذ بطاهر حتى شفع فيه، فرضي عنه. ميمون بن هارون بن مخلد ابن أبان حدثني أبي قال: أدخلني أبي مخلد بن أبان مع القاسم بن أحمد بن الجنيدي، وكان مخلد وأحمد متواخيين في شراء غلات السواد، فأشرفنا على ربح عشرة آلاف ألف درهم، ثم اتضع السعر فحصل علينا وضيعة ستة آلاف ألف درهم فطولبنا بها أشد مطالبة، واشتد كتاب المأمون علينا فيها، وكان المأمون يستاك في كل يومين ساعتين كاملتين. فدعاني المأمون يوماً وهو يستاك وكلمني بشيء ثم قال لي: ما معنى قول الخريمي في علي بن الهيثم؟ فدبتنا لذاك الحديث دبتنا. فقلت له: أنا أتكلم بالنبطية ولا أعلم ما معنى هذا، وأحمد بن الجنيدي أرطن بها مني، فأولماً إلي بمسواكه أن انصرف فانصرفت، فلما بلغت الستر حتى لقيني أحمد ابن الجنيدي داخلًا وكان ذا خرج من الدار قبلي انتظرتني، وإذا خرجت قبله انتظرتني، فوقفت منتظراً له فإذا به قد خرج فقلت له: ما كان خبرك؟ فأخرج إلى توقيع المأمون بخطه بترك ما كنا نطالب به من الستة آلاف ألف عن ابني وابنه. وقال: قال لي: ما معنى قول الخريمي فدبتنا لذاك الحديث دبتنا؟ فقلت: شرطاً لذا الحديث فضحك وقال لي: إني سألت مخلدًا عنها فلم يعرفها فاسأل حاجة، فقلت: ابتاع ابني وابن مخلد غلات السواد وقدرنا للربح فخرسنا ستة آلاف ألف درهم ولا حيلة لنا فيها وضيعتي بجلولاً تساوي ثلاثة آلاف ألف درهم، فيأمر أمير المؤمنين بأخذها عن ابن مخلد وتسبب ما علي ابني علي لأحتال له أولاً فأولاً، فقال: ويحك، تبذل نفسك وضيعتك عن ابن مخلد؟ فقلت: نعم، أنا غررتي وأملت الربح ومنعته أن يعقده على التجار ويتعجل فصله، وقد كانوا بذلوا لنا فيه ربحاً كبيراً. فقال لي: أي نبطي أنت؟ هات الدواة، فقدمتها إليه فوقع بابراننا جميعاً من المال وترك ضيعتي علي. وقال المأمون يوماً: ببابي رجلان: أحدهما يريد أن أضعه وهو يرفع نفسه، وهو علي ابن الهيثم، والآخر يريد أن أرفعه وهو يضع نفسه، وهو الفضل بن جعفر بن يحيى بن خالد برمك.

علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم

أبو الحسن. كان أبوه يحيى أول من خدم من آل المنجم، وأول من خدم المأمون وقد ذكر في بابيه، ونام ابنه علي هذا المتوكل، وكان من خواصه وندمائيه والمتقدمين عنده، وخص به وبمن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد على الله، وكان شاعراً راوية علامة أخبارياً مات سنة خمس وسبعين ومائتين ودفن بسر من رأى في آخر أيام المعتمد. وأخذ أبو الحسن هذا عن جماعة من العلماء منهم: إسحاق بن إبراهيم وشاهده، وكان يجلس بين يدي الخلفاء ويأمنونه على أسرارهم، وكان حسن المروءة ممدحاً فاتصل بمحمد بن إسحاق بن إبراهيم المصعبي. ثم اتصل بالفتح بن خاقان وعمل له خزانة نقل إليها من كتبه ومما استكتبه للفتح بن خاقان أكثر، ما اشتملت عليه خزانة حكمة فقط، وله تصانيف منها: كتاب الشعراء القدماء والإسلاميين، كتاب أخبار إسحاق بن إبراهيم، كتاب الطبخ. قال عبيد الله بن أبي طاهر: كان أبو الحسن علي بن يحيى مشتهراً بالأدب كله مائلاً إلى أهله معتنياً بأمورهم، وكان منزله مائلاً لهم، وكان يوصل كثيراً منهم إلى الخلفاء والأمراء، ويستخرج لهم منهم الصلات، وإن جرى على أحد منهم حرمان وصله من ماله.

وكان يبلغ من عنايته بهم ورغبته في نفعهم أنه كان ربما أهدى إلى الخلفاء والأمراء عنهم الهدايا الطريفة المليحة ليستخرج لهم بذلك ما يحبون.

قال: حدثني أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى قال: قدم علي بن إدريس بن أبي حفصة في أيام المتوكل وتوسل إليه، فأوصل شعره إليه وكلمه فيه، فاستخرج له منه عشرة آلاف درهم، فقال إدريس بن أبي حفصة:

أضحى علي بن يحيى وهو مشتهر بالصدق في الوعد والتصديق في الأمل

لو زيد بالجود في رزق وفي أجل لزاد جودك في رزقي وفي أجلي

ثم وصله من ماله - لما عزم إدريس على الانصراف إلى بلده - بجملة جليلة، ولم يزل إدريس مقيماً عنده في ضيافته إلى وقت ارتحاله، فقال إدريس عند وداعه إياه.

ما من دعوت ولباني بنائله كمن دعوت فلم يسمع ولم يجب

إني وجدت علياً إذ نزلت به خيراً من الفضة البيضاء والذهب

وحدث علي بن هارون بن يحيى بن المنجم في كتاب الأمالي له قال: حدثني عمي أبو أحمد يحيى بن علي، حدثني أبي علي بن يحيى قال: وفد علي عافية بن شبيب بن خاقان بن الأهم السعدي من البصرة فأنزله علي وأحسن ضيافته، ورعيت له حرمة الأدب الذي توسل به، فأقام معي مدة في كفاية وكرامة وحسن ضيافة، وحملته على فرس واستوصلت له جماعة من إخواني، فأخذت له منهم ما تأتئ به حاله وأصلح به شأنه، ثم ذكرته للمتوكل - رحمة الله عليه - ووصفت له أدبه، وأن معه ظرفاً يصلح به لمجالسته، فأمرني بإحضاره، ودخل عليه فوصله وأجرى عليه رزقاً وجالسه، فمكث مدة على ذلك ثم انفرجت الحال بيني وبينه، وكفر ما كان من إحساني إليه، وبسط لسانه يذكرني بما لم أستحقه منه، وكان المتوكل يغريه بي لما رأى منه، فيضحك

المتوكل مما يجري، ويجيئني ذلك فيه وهو لا يدري. قال أبو الحسن: فأهدى في يوم من أيام النوازير إلى المتوكل فرساً فنظر إليه المتوكل فاستحسنه، ثم أقبل على الفتح بن خاقان فقال: أما ترى إلى هذا الفرس الذي أهداه عافية، ما أحسنه وأعتقه؟! هذا خلاف ما يصفه به علي بن يحيى من صغر الهمة وضيق النفس والخساسة، من تبلغ همته إلى أن يهدي مثل هذا الفرس لا يوصف بالخساسة ولا بضيق النفس، وهو في ذلك كله ينظر إلي ويقصدي بالكلام ويريد العبث بي، فتركته حتى أطنب في هذا المعنى وبلغ منه ما أراد، ثم قلت له: يا أمير المؤمنين، أليس من أهدى مثل هذا الفرس عندك ذا همة وقدر؟ قال: بلى. قال: قلت: فأبعد همة وأرفع قدراً من حملة عليه. قال: ومن حملة عليه؟ قال: قلت أنا حملته عليه. قال: فقال: يا عافية ما يقول علي؟ قال: فقال: صدق يا أمير المؤمنين هو حملني عليه. قال: فانكسر عني ثم أقبل علي الفتح خجلاً فسريرت الحال بيني وبين عافية حتى هجاه من كان بطوف به من الشعراء، فقال فيه أبو عبد الله أحمد بن أبي فنن وكنت أدخلته على المتوكل، وجالسه وشكر لي ذلك إذ كفره عافية:

سيظهر منه للناس الخفي
ولكن ربما جر الدعي

ستعلم أن لؤم بني تميم
وما إن ذاك أنك من تميم

وقال فيه أبو هفان:

في العالمين كما تحب العافية

لو كنت عافية لكنت محبباً

وقال فيه أبو الحسن البلاذري:

عريباً مدلساً
أفساً أم تنفساً؟

من رآه فقد رأى
ليس يدري جليسه

وقال فيه أبو العنيس الصيمري:

أ أذن في السلاح على التميمي؟
لفارق روحه روح النسيم

أبا حسن بمنصبك الصميم
فوالرحمن لولا ألف سوط

وهجاه أبو الحسن علي بن يحيى المنجم فقال:

إليها دعي قد نفته قرومها؟
فأين نها قرومي وأين حلومها؟

أأهجو تميماً إن تعرض ملصق
فأخذها طرا بذنب دعيها

ولم تقترف ذنباً فيهجى صميمها
وشر خلال الأدياء قديمها

وما في دعي القوم ثأر لثائر
أعافي إلى اللوم منك سجية

قال أبو الحسن: وترقى به الأمر في منابذتي إلى أن ادعى في يوم من الأيام بحضرة المتوكل لأنه أحسن مروءة مني. فقال الفتح: محنة هذا سهلة، يوجه أمير المؤمنين إلى منزلهما من يحضر ما يجد من الطعام حاضراً، فدعا المتوكل بقائد من قواده وقال: امض إلى منزل علي ابن يحيى فانظر ما تجد فيه من الطعام حاضراً فأحضره، وامنعهم من أن يشتروا شيئاً أو يعملوه، وافعل مثل ذلك بمنزل عافية، فصار إلى منزل علي بن يحيى فوجد فيه طعاماً عتيباً فحمل جونة حسنة، وصار إلى منزل عافية فلم يجد فيه غير سفرة خلقة معلقة في مجلسه، فأمر فأنزلت فوجد فيها كسراً من خبز خشكار وملحاً من ملح السوق، وقطعة جبن يابس، وقطعة من سمك مالح، وقصعة مكسورة فيها ذلك الملح، وخرقة وسخة منقطة، فحمل السفرة بحالها وصار إلى المتوكل فعرض عليه الجونة فاستحسنها وقال للفتح: أما ترى ما أنظف هذا الطعام وأحسنه؟! وأحضر السفرة فقال: ما هذا؟ قال: هذا هو الذي وجدته في منزل عافية. قال: افتحوها، ففتحت فاستنقذ ما رأى فيها وعجب منه وقال: يا فتح، أظننت أن رجلاً يجالسني وقد وصلته بعدة صلات فيكون هذا مقدار مروءته؟ فقال: لا والله يا أمير المؤمنين ما له عذر، فدعا بخادم من خدمه وقال: امض إلى عبيد الله بن يحيى فقل له: أخرج إلى ما وصل إلى عافية من مالي من رزق وصلة منذ خدمني إلى هذا الوقت، فمضى الخادم ولم يكن بأسرع من أن وافى برقعة من عبيد الله وفيها مبلغ ما صار إلى عافية، فإذا هو ثلاثمائة ألف درهم. فقال المتوكل: يا فتح، أما كان يجب أن يتبين أثر النعمة على من وصل إليه هذا المال؟ ما في هذا خير ولا يصلح مثله لمجالستي؟ فأخرجه من الجالسة وأمر بنفيه إلى البصرة وهي بلده، فلما حضر خروجه طالبته صاحبة المنزل بأجرته، فدفع إليها ببقية مالها عليه حبا كان في الدار خلفاً، واتصل الخبر بابن المنجم قال: فصرت إلى المتوكل فعرفته ذلك فعجب منه وأمر بإحضار المرأة ومسالمتها فأخبرت به، فأمر لها بصلة وتقدم إلى عبيد الله في أخذ الحب وإنفاذه مع رسول فاصد خلف عافية يلحقه بالبصرة وأمره أن يكتب إلى صاحب المعونة وصاحب الصدقة والخراج والقاضي وصاحب البريد بحضور الجامع والتقدم إلى وجوه أهل البصرة في الحضور وإحضار عافية وتسليم الحب إليه بحضرتهم وإشهادهم عليه وتعريفهم ما كان من خبره مع المرأة صاحبة داره، ففعل ذلك وصار به عافية شهرة في بلده. وحدث هارون عن عمه عن أبيه علي بن يحيى قال: كنت أنادم المتوكل في كل ليلة من الليالي، فغلب على النبيذ فأطرقت كالمهموم وأنا منتصب قال: فدعا المتوكل بنصر سلهب وقال: امض إلى منزل علي بن يحيى فانظر ما تجد فيه من الطعام فاحمله إلي واعجلهم غاية الإعجال ولا تدعهم يهيئون شيئاً، قال: فمضى نصر

فامتثل أمره وحمل جونة مملوءة من ضروب الطعام وجاء بها إلى المتوكل، ففتحت بين يديه ففاحت برائحة شوقته إلى الطعام، واستحسن ما رأى فيها فأكل منها وافتح معه، ثم قال له: أما ترى ما أحسن هذا الطعام وما أطيبه وأنظفه؟! ولو كان علي أعد هذا لمثل ما كان منا ما زاد على حسن هذه الجونة وطيب ما فيها. قال: فقال له الفتح: هذا يا أمير المؤمنين يدل على مروءته، وإنه ليجب أن يعان عليها. قال: فصاح بي يا علي، فقمتم قائماً وقلت: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: تعال، فقربت منه فقال انظر: إلى هذه الجونة وما فيها، فنظرت إليها فقال: كيف تراه؟ قلت: أرى طعاماً حسناً، قال: فتدري من أين هو؟ فقال قلت: لا يعلم الغيب إلا الله. قال: فإنها من منزلك، وإنني فعلت كذا وكذا وقصص على القصة وقال: قد والله سرنني ما رأيت من مروءتك وسرورك، وكذا فليكن من خدم الملوك، قال لي: ما تحب أن أهب لك؟ قلت: قلت مائة ألف دينار، قال: أنت والله تستحقها وما هو أكثر منها، يمنعني من دفعها إليك إلا كراهة الشنعة وأن يقال: وصل جليساً من جلسائه في ليلة بمائة ألف دينار، ولكني أوصلها إليك متفرقة وأضمن فتحاً إذكاري بذلك حتى تستوفيها، وقد وصلتك بمائة ألف درهم على غير صرف فانصرف بها معك. قال: وأمر بإحضارها فأحضرت عشر بدر وحملت معي إلى منزلي، ثم لم يزل يتابع لي الصلوات حتى وفاني مائة ألف دينار. قال علي بن يحيى: وأحصيت ما وصل إلي من أمير المؤمنين المتوكل من رزق وصلة فكان مبلغه ثلاثمائة ألف دينار. قال: ولما مات علي بن يحيى قال ابن بسام يرثيه:

قد زرت قبرك يا علي مسلماً
ولو استطعت حملت عنك ترابه
وفي كتاب النورين للحصري: وقال علي بن المنجم: فلا أدري أهو هذا أم علي بن هارون بن علي بن يحيى بن المنجم؟:
ومن طاعتي إياه أمطر ناظري
كان جفوني تبصر الوصل هارباً
ولعلي هذا ابن يكنى أبا عيسى واسمه أحمد، كان أديباً وهو مذكور في بابيه. وقال علي بن يحيى يرثي المأمون ويمدح المعتصم:
من ذا على الدهر يعديني فقد كثرت
أخنى على الملك المأمون كلـكـله
قد كاد ينهد ركن الدين حين ثوى
حتى تداركهم بالله معتصم
ودخل أبو علي البصير على علي بن يحيى وقد أصيب ببعض أهله، وكان قد بعث إليه ببر قبل ذلك فقال له: بلغني مصابك، ووصل إلي ثوابك، فأحسن الله جزاءك وعزاءك. قال المرزباني وهو القائل في نفسه:
علي بن يحيى جامع لمحاسن
قلو قيل: هاتوا فيكم اليوم مثله
من العلم مشغوف بكسب المحامد
لعز عليكم أن تجيئوا بواحد

وله:

سيعلم دهري إذا تنكر أنني
وأني أسوس النفس في حال عسرها
كما كنت في حال اليسار أسوسها
وأمنعها الورد الذي لا يلبق بي

وله:

بأبي والله من طرفا
زادني شوقاً برؤيته
من لقلب هائم كلف
زارني طيف الحبيب فما

ولما مات علي بن يحيى قال علي بن سليمان أحد شعراء العسكر يرثيه:

قد زرت قبرك يا علي مسلماً
ولو استطعت حملت عنك ترابه
ودمي فلو علمت بأنه
لسفكته أسفاً عليك وحسرة
ولك الزيارة من أقل الواجب
فلطالما عني حملت نوائبي
يروى ثراك سقاء صوب الصائب
وجعلت ذاك مكان دمع ساكب

لجميل ما أبقيت ليس بذهاب

فلئن ذهبت بملء قبرك سودداً

وحدث أبو علي التنوخي في نشواره: حدثني أبو الحسن ابن أبي بكر الأزرق قال: حدثني أبي قال: كان بكركر من نواحي القفص ضبيعة نفيسة لعل بن يحيى بن المنجم وقصر جليل فيه خزانة الحكمة يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم، والكتب مبدولة في ذلك لهم، والصيانة مشتملة عليهم، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى، فقدم أبو معشر المنجم من خراسان يريد الحج وهو إذ ذاك لا يحسن كبير شيء من النجوم، فوصفت له الخزانة فمضى وراها فهاله أمرها، فأقام بها وأضرب عن الحج وتعلم فيها علم النجوم وأغرق فيه حتى ألد، وكان ذلك آخر عهده بالحج وبالدين والإسلام أيضاً. وذكر جحظة في أماليه: حدثنا ابن حميد قال: قال المتوكل لعل بن يحيى المنجم: اهج مروان بن أبي الجنوب. فقال: يا أمير المؤمنين، ومن مروان حتى أهجوه؟ قال: مروان مولى بني أمية ومولى القوم منهم، وبعد: فإنهم بنو عمي وأنت العداوة بيننا، فأنت من أنت؟ قال: أنا مولاك يا أمير المؤمنين. قال: دعنا من هذا البرود، اهج الرجل وإلا أمرته أن يهجوكم. فوقف ساعة متفكراً فاندفع مروان يقول:

وعرض علي لا يقاس إلى عرضي
إذا فخر الأشراف بعضاً على بعض
إليهم نفاها من بحكمهم يقضي
من السفلى الأرذال وللنبط المحض
وأدابكم ممزوجة المقت بالبغض
وسوقكم عند الروافض بالرفض
فلستم من الإبرام فيه ولا نقص
يطاخر وجهي وهو يمشي على الأرض

ألا إن يحيى لا يقاس إلى أبي
أناس من الأنباط أكثر فخرهم
تنحل أصلاً في المجوس ودعوة
أبى ذاك أنزباد فيكم فأنتم
حديثكم غث وقربكم أذى
تسوقتم عند الإمام بحبه
متى ما تعاطى المجد والفخر أهله
إخال علياً من تكامل مقته

قال أحمد بن أبي طاهر: كنت يوماً عند أبي الحسن يحيى المنجم في أيام المعتمد فدخل عليه ابنه هارون فقال له: يا أبت، رأيت في النوم أمير المؤمنين المعتمد وهو في داره على سريريه إذ بصر بي فقال: أقبل علي يا هارون، يزعم أبوك أنك تقول الشعر فأنشدني طريد هذا البيت:

من الدر عقد كان ذخراً من الذخر
فلم أرد عليه شيئاً وانتبهت. قال: فرجف عليه علي بن يحيى غضباً وقال: ويحك؟ فلم لم تقل؟
لفرقتها لذع أحر من الجمر
من الدر عقد كان ذخراً من الذخر

أسألت على الخدين دعماً لو أنه
فلم أرد عليه شيئاً وانتبهت. قال: فرجف عليه علي بن يحيى غضباً وقال: ويحك؟ فلم لم تقل؟
فلما دنا وقت الفراق وفي الحشا
أسألت على الخدين دعماً لو أنه

قال ابن أبي طاهر: فأنصرفنا متعجبين من حفظ هارون لما هجس في خاطره، ولمبادرة علي ابن يحيى وسرعه في القول. قال جحظة في أماليه: حدثت عن يزيد بن محمد المهلب قال: كنت أرى علي بن يحيى المنجم فأرى صورته وصغر خلقته ودقة وجهه وصغر عينيه وأسمع بمحله من الوائق والمتوكل، فأعجب من ذلك وأقول: بأي سبب يستظرفه الخليفة وبماذا حظي عنده؟ والقرء أملح منه قباجة. فلما جالست المتوكل رأيت علي بن يحيى قد دخل على المتوكل في غداة من الغدوات التي قد سهر في ليلتها بالشرب وهو مخمور يفور حرارة يستقل لكل أمر يخف دون ما يتقل، فوقف بين يديه وقال: يا مولاي، أما ترى إقبال هذا اليوم وحسنه وإطباق الغيم على شمسهِ وخضرة هذا البستان ورونقه؟ وهو يوم تعظمه الفرس وتشرب فيه لأنه هرمز روز، وتعظمه غلمانك وأكرتك مثلي من الدهاقين، ووافق ذلك يا سيدي أن القمر مع الزهرة، فهو يوم شرب وسرور وتجل بالفرح، فهش إليه وقال: ويلك يا علي، ما أقدر أن أفتح عيني خماراً. فقال: إن دعا سيدي بالسواك فاستعماه وغسل بماء الورد وجهه، وشرب شربة من رب الحصرم أو من متنة مطيبة مبرداً ذلك بالثلج انحل كل ما يجد، فأمر بإحضار كل ما أشار به. فقال علي: يا سيدي، وإلى أن تفعل ذلك تحضر عجلا نيتان بين يديك مما يلائم الخمار ويفيق الشهوة ويعين على تخفيفه. فقال: أحضروا علياً كل ما يريد، فأحضرت العجلانيتان بين يديه وفراريج كسكر قد صفتت على أطباق الخلاف وطبخ حماضية وحصرمية ومطجئة لها مريقة، فلما فاحت روائح القدور هش لها المتوكل فقال له يا علي: أدقني، فجعل يذيقه من كل قدر بجرف يشرب بها، فهش إلى الطعام وأمر بإحضاره. فالتفت علي إلى صاحب الشراب فقال له: ينبغي أن يختار لأمر المؤمنين شراب ريحاني ويزاد في مزاجه إلى أن يدخل في الشرب فيهنئه الله إياه إن شاء الله قال: فلما أكل المتوكل وأكلنا نهضنا فغسلنا أيدينا وعدنا إلى مجالسنا وغنى المغنون، فجعل علي يقول: هذا الصوت لفلان، والشعر لفلان، وجعل معهم وبعدهم غناء حسناً إلى أن قرب الزوال، فقال المتوكل: أين نحن من وقت الصلاة؟ فأخرج علي أسطراً لآباً من فضة في خفه، ففاس الشمس وأخبر عن الارتفاع وعن الطالع وعن الوقت، فلم يزل يعظم في عيني حتى صار كالجبل، وصار مقابح وجهه محاسن، فقلت: لأمر ما قدمت، فيك

ألف خصلة: طيب ومضحك، وأديب وجليس، وحذق طباح، وتصرف مغن، وفكر منجم، وفطنة شاعر، ما تركت شيئاً مما يحتاج إليه الملوك إلا ملكته.

قال لحظة: وحدثني رذاذ غلام المتوكل قال: شهدت علي بن يحيى المنجم وقد أمره المتوكل أن يغنيه وكنت جالساً إلى جانبه فقال لي: قد وقعت، وإن تمنعت جد بي حتى أغنى ثم لا يكون له موقع، والمبادرة إلى أمره وسرعة الطاعة له أصوب، اضرب علي فضربت عليه وغنى:

زار من سلمى خيال موهناً حبذا ذاك الخيال الطارق
جاد في النوم بما ضنت به ربما يغنى بذاك العاشق

فقال زه، أجدت والله يا علي، فقال له علي: قد فرحتك يا سيدي ففرحتني، فدعاه وحباه بمشمة عنبر كانت بين يديه في صينية ذهب عليها مكبة منها، وأمر له بألف دينار وتخوت ثياب. فقال لي: يا أبا شريك، أناصفك؟ فقلت: لا والله، لا قبلت من ذلك لا الكل ولا النصف، فبارك الله لك فيه.

قال لحظة: فحدثني علي بن يحيى المنجم قال: قلت مرة - وقد أخذ مني النبيذ بين يدي الوراق - لمن كان يسقيني: ويلك، أجهزت والله علي، سقيتني الكأس حية فألاقتلتها. فسمع الوراق فقال: لم يعد بك قول حسان:

إن التي ناولتني فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

ألا تراه أنكر عليه مزجها؟ قلت: حسان أعرابي لا يحسن شرب الخمر، وكان أيضاً يشربها تغنماً لبعد عهده بها، ولكن أردت من ساقى أن يأخذ يقول أفتى الخلق وأملحهم أدباً وأعلمهم بأدب الشرب، قال: ومن هو؟ قلت: أبو نواس، قال: حين يقول ماذا؟ قلت: حين يقول:

لا تجعل الماء لها قاهراً ولا تسلطها على مائها

ف قيل لي لما حضرت من الغد: إن الوراق قال: لله دره، ما أسرع جوابه وأحسن انتزاعه، لكنه أخرج عربدته كلها على حسان بن ثابت، فلما حضرت بين يديه قال لي: هيه يا علي سرت أمس؟ فقلت يا سيدي من شرب سكر، ومن كان أمره إلى نفسه في نبيذه رفق، ومن كان أمره إلى غيره خرق. قال: فعربدت على حسان وتلبته وما يستحق ذلك، وإنه لطب بشرب الكأس مداح لشاربيها، أليس هو الذي يصف ربعة بن مكرم؟ فبلغ من ذلك أحسن ما يكون الفتى عليه بقوله:

نفرت قلوصي من حجارة حرة بنيت على طلق اليمين وهوب
لا تنفري يا ناق منه فإنه شريب خمر مسعر لحروب

وهو أيضاً من المعدودين في وصاف الخمر وشرابها، أليس هو القائل؟:

إذا ما الأشربات ذكرن يوماً فهن لطيب الراح الفداء
نوليها الملامة إذ ألمنا إذا ما كان مغث أو لحاء
ونشربها فتنركنا ملوكاً وأسداً ما ينهنها اللقاء

ويلك، أليس هو الذي يقول؟:

وممسك بصداع الرأس من سكر ناديته وهو مغلوب ففداني
لما صحا وتراخى العيش قلت له: إن الحياة وإن الموت سيان
فاشرب الخمر ما وatak مشربه واعلم بأن كل عيش صالح فان

فقلت له: لو حضرك والله يا سيدي لأقر أنك أحفظ لعيون شعره منه، فالويل لجليسك، بماذا ينفق عندك وروايتك هذه الرواية. فقال: ويحك يا علي، إنما الويل لجليسي إذا جالس من لا يعرف قدر ما يحسن.

قال أحمد بن أبي طاهر: اجتمعنا عند أبي الحسن علي بن يحيى أنا وأبو هفان عبد الله بن أحمد العبدي وأبو يوسف يعقوب بن يزيد التمار على نبيذ فقال أبو هفان:

وقائل إذ رأى عزي عن الطلب: أتهت أم نلت ما ترجو من النشب؟؟
قلت: ابن يحيى علي قد تكفل لي وصان عرضي كصون الدين للحسب

فقال التمار:

يذكي لزواره ناراً منورة على يفاع ولا يذكي على صبيب

وفي الذوائب من جرثومة الحسب

من فارس الخير في أبيات مملكة

قال أحمد بن أبي طاهر: فقلت:

ونائل وصلت أسبابه سببي

له فلائق لم تطبع على طبع

وليس يعطيك ما يعطيك عن طلب

كالغيث يعطيك بعد الري وابله

قال: فوصلهم وخلع عليهم وحملهم. قال عبيد الله: حدثني أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى قال: اتصل أبي بأمير المؤمنين المتوكل على الله فغلب عليه وعلى الفتح بن خاقان بخدمته وأدبه وافتتانه وتصرفه في كل ما تشتهيحه الملوك، وكان الفتح بن خاقان هو الذي وصفه للمتوكل، وكان بعد موت محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، لأن أبي كان متصلاً به وشديد الاختصاص بخدمته، حتى لقد مات محمد بن إسحاق ويده في يده، فلما مات دخل على الفتح بن خاقان فأنشده يمدحه بقصيدة أولها:

لفتح بن خاقان تفوق القصائد

سأختار من حر الكلام قصيدة

ويشأن بها من كان للفتح حاسدا

يلذ بأفواه الرواة نشيدها

ليسمو إلى أعلى ذرى المجد صاعدا

لعمرك إن الفتح مذ كان يافعا

موالى بني العباس لم يبق واحدا

فربع المولى ساد في خمس عشرة

فألقوا إليه مدعين المقالدا

وبذهم طرا ندى وشجاعة

قال: فلم أر الفتح اهتز لشيء من الشعر اهتزازه لهذه القصيدة، ولا سر بأحد قدم عليه سروره بعلي بن يحيى، ثم قام الفتح من فوره فدخل على المتوكل فعرفه مكانه فأذن له واستجلسه، وأمر أن يخلع عليه فخلع عليه خلع المجالسة، فكان أنس خلق الله به وأغلبهم عليه وعلى الفتح، وتقدم الجلساء جميعاً عنده ووثق به حتى عزم على إدخاله معه إلى الحرام إذا جلس معهم. وذلك أنه شكا إلى الفتح أنه قعد مع الحرم لم يكن له من يستريح إليه ويأنس به وقال: قد عزمت أن أدخل علي بن يحيى فاستريح إليه، فقال له الفتح: ما يصلح لذلك غيره، فبلغ ذلك علي بن يحيى فقال للفتح: أنا قدرت أن أتخلص من هذا بك، فوكدت على الأمر فيه لست أفعل. فقال له الفتح: إن هذا الذي ندبك إليه أمير المؤمنين منزله ليس فوقها منزله في الخصوص، فقال: قد علمت ذلك وشكرت تفضل أمير المؤمنين وتسمعه، ثم يتفضل بالإعفاء منه. قال: ما هو؟ قال: قد علمت أن أمير المؤمنين أشد الناس غيرة، وأن النبيذ ربما أسرع إلي، ولست آمن بعض هذه الأحوال، وأن ينسى عند غلبة النبيذ ما كان منه فيقول: ما يصنع هذا معي عند حرمي؟ فيعجل علي بشيء لا يستدرك، وليس بيني وبين هذا عمل، قال: فقال المتوكل: تخلصت يا علي مني بالطف حيلة، وأعفاه. قال يحيى: وحدثني أبي قال: قال أمير المؤمنين المتوكل يوماً من الأيام: يا علي، لك عندي ذنب - قال هذا ونحن بدمشق - قال: فأكبرت ذلك وقمت قائماً بين يديه وقلت: أعوذ بالله من سخط أمير المؤمنين، ما الذنب يا أمير المؤمنين؟ فلعله كذب كاشح أو بغي حاسد، فقال: لا خير فيمن أثق به. قال فقلت: يتفضل علي أمير المؤمنين بتعريفي الذنب، فإن كان لي عذر اعتذرت، وإلا اعترفت وعدت بعفو أمير المؤمنين. فقال: أحتاج إلى شيء وتسلأ غيري؟ فقلت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: أخبرني بخنيشوع أنك وجهت إليه واستقرضت منه عشرين ألف درهم، فلم فعلت ذلك؟ وما ذلك، وما منعك أن تسألني فاصلك؟ تأنف من مسألتي؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، ما منعني ذلك، وإن صلات أمير المؤمنين متتابعة عندي من غير مسألة، ولكن بخنيشوع ممن أنس به، فاستعرت منه هذه الدراهم على ثقة مني بأن تفضل أمير المؤمنين غير متأخر عني فأردها من ماله، قال: فقال لي: قد عفوت لك عن هذه المرة فلا تعد إلى مثله، وإن احتجت فلا تسأل غيري أو تبذل وجهك له، ثم خدم علي بن يحيى المنتصر بن المتوكل فغلب عليه أيضاً، وقدمه المنتصر على جماعة جلسائه وقلده أعمال الحضرة كلها - العمارات والمستغلات والممرات والحظائر وكل ما على شاطئ دجلة إلى البطيحة من القرى - ثم خدم المستعين بالله فقدمه وأحبه وأحلّه محله من الخلفاء ممن كان قبله، وأقره المستعين على ما تقلده من أعمال الحضرة، ثم حدثت الفتنة وانحدر مع المستعين إلى مدينة السلام فلم يزل معه إلى أن خلع المستعين، فأقام علي بن يحيى يغزو ويروح إليه بعد الخلع إلى أن حله من البيعة التي كانت في عنقه، ولم يكن المستعين قبل الخلع بسنة يأكل إلا ما يحمل إليه من منزل علي بن يحيى في الجون إلى دار أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر فيفطر عليه، وكان يصوم في تلك الأيام.

قال يحيى بن علي: قال لي أبي: صرت إلى المستعين لما صير به إلى قصر الرصافة فوجدت عنه قرب داية المعتز وعيسى بن فرخان شاه وهم يسألونه عن جوهر الخلافة، فقالت لي قرب: يا أبا الحسن بس ما كان لنا منك نصيب؟ يا هذا، كاتبنا الناس كلهم غيرك. قال قلت: أما إن ذاك ليس لتقصير فيما يجب علي من حق أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله ومن حق ولده، ولكن كان في عنقي طوق يحظر علي ذلك، قال: قالت - بارك الله فيك - قال: ثم خلص الأمر للمعتز، فكان أول من طلبه للمنادمة علي بن يحيى فشخص إلى سر من رأى، فتلقاه أمير المؤمنين المعتز حين قدم عليه أجمل لقاء وخلع عليه ووصله، وقلده الأسواق والعمارات وما كان يتقلده قبل خلافته، وخص به وغلب عليه حتى تقدم عنه على الناس كلهم. قال: فأخبرني أبي أنه حسب ما

وصل إليه من المعتر من صلته ورزقه منذ خدمه إلى أن تصرمت أيامه، فكان مبلغه ثلاثة وثلاثين ألف دينار. وقلده المعتر القصر الكامل فبناه ووصله عند فراغه منه بخمسة آلاف دينار وأقطعه ضيعة. وفي المعتر يقول علي بن يحيى:

بدا لابسا برد النبي محمد
سمي النبي وابن وارثه الذي
فلما علا الأعواد قام بخطبة
وكل عزيز خشية منه خاشع

بأحسن ما أقبل البدر طالعا
به استشفعوا أكرم بذلك شافعا
تزيد هدى من كان للحق تابعا
وأنت تراه خشية الله خاشعا

فأما المهدي فإنه حقد عليه أشياء كانت تجري بينه وبينه في مجالس الخلفاء، فأنحرف عنه المهدي لميله إلى المتوكل، فكان المهدي يقول: لست أدري كيف يسلم مني علي بن يحيى؟ إني لأهم به فكأنني أصرف عنه، ووهب الله له السلامة من المهدي إلى أن مضى لسبيله، وكانت أيامه قصيرة، ثم أفضى الأمر إلى المعتمد على الله فحل منه محله ممن كان قبله من الخلفاء وقدمه على الناس جميعاً، ووصله وقلده ما كان يتقلد من أعمال الحضرة، وقلده بناء المعشوق فيني له أكثره، وكان الموفق من محبته وتقديمه وجميل الذكر له في مجلسه إذا ذكر على أفضل ما يكون نولي نعمة، وكان يذكره كثيراً في مجالسه، ويصف أيامه، مع أمير المؤمنين المتوكل وأحاديثه ويحكى لجلسائه ويعجبهم من ذكائه ومعرفته وفضله. وتوفي في آخر أيام المعتمد سنة خمس وسبعين ومائتين ودفن بسامرا، وشعره كثير ومشهور، رأيت العلماء القدماء يكثررون العجب به وليس عندي كذلك، فلذلك أقللت من الإتيان به إلا ما كان في ضمن خبر.

وله من الولد الذكور أحمد بن علي وكنيته أبو عيسى، وأبو القاسم عبد الله، وأبو أحمد يحيى، وأبو عبد الله هارون.

علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد

ابن موسى بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن محمد بن ربيعة بن الحارث بن قريش بن أبي أوفى بن عمرو بن عادية بن حيان بن معاوية بن تميم بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل، أبو الحسن القفطي يعرف بالقاضي الأكرم، أحد الكتاب المشهورين المبرزين في النظم والنثر، وكان أبوه القاضي الأشرف كاتباً أيضاً ومنشئاً، وكانت أمه من بادية العرب من قضاة، وأمها جارية حبشية كانت لأخت أبي عزيز قتادة الحسني أمير مكة، تزوجها أحد بني عمها العلويين وجاءت منه بأولاد، ثم مات عنها فتزوجها رجل من بلي فجاءت منه ببنتين وبنات منهم أم القاضي الأكرم - أدام الله علوه -، وكان والده الأشرف خرج يشتري فرساً من تلك البوادي، وقد قاربوا أرض مصر للنجعة فرأها فوقعت منه بموقع فتزوجها ونقلها إلى أهله، وكانت ربما خرجت في الأحيان إلى البادية استرواحاً على ما ألفتها ونشأت عليه، ويخرج ابنه معها مدة، قال: وكانت امرأة صالحة مصلية حسنة العبادة فصيحة اللهجة، وكانت إذا أردت سفراً اشتغلت بما يصلح أموري في السفر وهي تبكي وتقول:

أجهز زيدا للرحيل وإنني
بتجهيز زيد للرحيل ضنين

وحدثني - أطل الله بقاءه - قال: كنت أنا صبي قد قدمت من مصر واستصحبني سنورا أصبهانياً على ما تقتضيه الصبوة، وانفق أن ولدت عدة من الأولاد في دارنا، فنزل سنور ذكر فأكل بعض تلك الجراء فغمني ذلك، وأقسمت أن لا بد لي من قتل الذي أكلها، فصنعت شركاً ونصبته في عليّة في دارنا وجلست، فإذا بالسنور قد وقع في الحباله، فصعدت إليه وفي يدي عكاز وفي عزمي هلاكه، وكان لنا جيرة وقد خرب الحائط بيننا وبينهم ونصبوا فيه بارية إلى أن يحضر الصناع، وكان لرب تلك الدار بنتان لم يكن فيما أظن أحسن منهما صورة وجمالاً وشكلاً ودلالاً، وكانت معروفتين بذلك في بلدنا وكانتا بكرين، فلما هممت بقتله إذا قد انكشف جانب البارية فوقعت عيني على ما يبهر المشايخ، فكيف الشبان؟ حسناً وجمالاً، وإذا هما تومئان إلي بالأصابع تسألاني إطلاقه، قال: فأطلقته ونزلت وفي قلبي ما فيه لكوني كنت أول بلوغي والوالدة جالسة في الدار لمرض كان بها. فقالت لي: ما أراك قتلته كما كان عزمك. فقلت لها: ليس هو المطلوب، إنما هو سنور غيره. فقلت: ما أظن الأمر على ذلك، ولكن هل أومئ إليك بالأصابع حتى تركته؟ فقلت: من يومئ إلي؟ ولا أعرف معنى كلامك. فقلت على ذلك: يا بني اسمع مني ما أقول لك:

ثنتان لا أرضى انتهاكهما
عرس الخليل وجارة الجنب

وكان مع هذا البيت بيت آخر أنسيته. قال: فوالله لكأن ماء وقع على نار فأطفأها، فما صعدت بعد ذلك إلى سطح ولا غرفة إلى أن فارقت البلاد، ولقد جاء الصيف فاحتملت حره ولم أصعد إلى سطح في تلك الصيفية، ثم وجدت هذا البيت في أبيات الأحوص بن محمد منها:

قالت وقلت تخرجي وصلي
صاحب إذا بعلي فقلت بها:

حبل امرئ كلف بكم صب
الغدر أمر ليس من طبي

ثنتان لا أصبو لوصلهما
أما الخليل فلست خائنه
الشوق أقتله برؤيتكم

عرس الخليل وجارة الجنب
والجار أوصاني به ربي
قتل الظما بالبارد العذب

قال لي: ولدت في أحد ربيعي سنة ثمان وستين وخمسائة بمدينة فقط من الصعيد الأعلى إحدى الجزائر الخالدات حيث الرض
الأربعة وعشرون في أول الإقليم الثاني، وبها قبر قبط بن مصر بن سام بن نوح.

ونشأ بالقاهرة. اجتمعت بخدمته في حلب فوجدته جم الفضل، كثير النبل، عظيم القدر، سمح الكف، طلق الوجه حلو البشاشة،
وكنيت ألام منزله ويحضر أهل الفضل وأرباب العلم، فما رأيت أحداً فاتحه في فن من فنون العلم كالنحو واللغة والفقه والحديث
وعلم القرآن والأصول والمنطق والرياضة والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل وجميع فنون العلم على الإطلاق إلا
قام به أحسن قيام، وانتظم في وسط عقدهم أحسن انتظام. وله تصانيف أذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى. أنشدني لنفسه بحلب
في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة:

ضدان عندي قصرًا همتي

وجه حبي ولسان وقاح

إن رمث أمراً خانني ذو الحيا

ومقولي بطمعي في النجاح

فأنثني في حيرة منهما

لي مخلب ماض وما من جناح

شبه جبان فر من معرك

خوفاً وفي يمانه غضب الكفاح

وأنشدني - أدام الله علوه - في أعور لنفسه:

شيخ لنا يعزى إلى منذر

مستقبح الأخلاق والعين

من عجب الدهر، فحدث به

بفرد عين ولسانين

ومما أملاه علي - أدام الله علوه - من منثور كلامه من فصل: وأما سؤاله عن سبب التأخر والتجمع من التزامي قعر البيت،
وارتضائي بعد السبق بأن أكون السكيت، فلا تنسبني في ذلك إلى تقصير، وكيف؟ ولساني في اللسن غير ألكن، وبناني في البيان
غير قصير، ولقد أعددت للرياسة أسبابها، ولبست لكفاح أهلها جلابيها، وملكت من موادها نصابها، وتسلمت لأحلاسها،
وضاربت أضرابها، وباريتها في ميدان الفضائل، فكنت السابق وكانوا الفسكل، وظننت أنني قد حلت من الدولة أمكن مكانها،
وأصبحت إنسان عينها وعين إنسانها، وإذا الظنون مخلفة، وشفار عيون الأعداء مرهفة، والفرقة المظنونة بالإنصاف غير
منصفة، وصار ما اعتمدته من أسباب التقريب مبعداً، ومن اعتقدته لي مساعداً غداً علي مسعداً، ومن أعددته لمرادي مورداً
أصبح لمثالي مورداً، وجست مقاصد المرشد فوجدتها بهم مقفلة، ومتى ظهرت فضيلة اعتمدوا فيها تعطيل المشبهة وشبه
المعطلة، وإذا ركبت أشهب النهار لنيل مرام ركبوا أدهم الليل لنقض ذلك الإبرام، وإن سمعوا مني قولاً أذاعوا، وإن لم يسمعوا
اختلقوا من الكذب ما استطاعوا، وقد صرت كالمقيم وسط أفاع لا يأمن لسعها، وكالمجاور لنار يتي شرها ويستكفي لذعها. والله
المسئول توسيع الأمور إذا ضاقت مسالكها، وهو المرجو لإصلاح قلوب الملوك على ممالكهم، إذ هو رب المملكة ومالكها. وها
أنا جاثم جثوم الليث في عرينه، وكامن كمون الكمي في كمينه، وأعظم ما كانت النار لهياً إذا قل دخانها، وأشد ما كانت السفن
جرياً إذا سكن سكانها، والجياد تراض ليوم السباق، والسهام تكن في كنانها لإصابة الأحداق، والسيوف تبتغي منتضى من الأغمار
إلا ساعة الجلاء، واللائل لا تظهر من الأسفاط إلا للتلعل على الأجياد. وبينما أنا كالنهار الماتع طاب براده، إذ تراني كالسيف
القاطع خشن حداه، ولكل أقوام أقوال، ولكل مجال أبطال نزال، وسيكون نظري - بمشيئة الله - الدائم ونظرهم لمحة، وريحي في
هذه الدولة المنصورة عادية، وريحهم فيها نفحة، وها أنا مقيم تحت كف إنعامها، راج وابل إكرامها من هائل غمامها، منتظر
لعدوها أنكا سهامها من وبيل انتقامها، وأملى علي قال: كتبت إلى أبي القاييم بن أبي الحسن شيث - وكان قد انصرف عن الملك
الظاهر ثم رجع إليه بأمر من الملك الظاهر -: مقدم سعد مؤذن بسمو ومجد للمجلس الجماني لا زال غاديا في السعادة ورائحاً،
منوحاً من الله بالنعم ومانحاً، ميسراً له أرجح الأعمال كما لم يزل على الأمائل راجحاً، موضعاً له قصد السبيل كوجهه الذي ما
برح مسفراً واضحاً، قد رد الله بأوبته ما نزع من السرور، وأعاد بعودته الجبر إلى القلب المكسور، ولأم بالمامه صدوعاً في
الصدور، والواجب التفاؤل بالعود إذ العود أحمد، بل يقال: انقلب إلى أهله مسروراً، وتوطن من النعمة الظاهرية جنة
وحريراً، ودعا عدوه لعوده ثبوراً، وصلى من نار حسده سعيماً، أسعد الله مصادره وموارده، ووفر مكارمه ومحامده، وأيد ساعده
ومساعدته. وأنشدني لنفسه - أدام الله علوه - من قصيدة قالها في الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب صاحب حلب مطلعها:

لا مدح إلا لمليك الزمان

من المنى في بابه والأمان

غياث دين الله في أرضه

إن أخلف البرق وضن العنان

في كفه ملحمة للندى

مثل التي تعهد يوم الطعان

فالعسر مصروع بساحاته
وراحته راحة للورى
فكفه اليمنى لبسط الغنى

ومنها:

تعرب في الهيجاء أسيافه
كسر وفتح في بلاد العدى
ومنها في صفة ولديه:

بكران بل بدران ما يكسفان
لؤلؤتا بحر و غن شئت قل
فرعان في دوحة عز سمت
سيملكان الأرض حتى يرى

ومنها:

فأسلم على الدهر شديد القوى

واليسر سام في ظهور الرعان
على كريم الخلق مخلوقتان
وكفه اليسرى لقبض العنان

عن حركات مثل لفظ اللسان
وبعده ضم لمال مهان

روحان للملك وريحانتان
ياقوتتا نحر وعقدا لبان
غيثان بل بحران بل رحمتان
لي منهما حران والرقتان

ذا مرة ما شد كف بنان

وأخسس بغمدان وقبى لبان

فلا مانع إلا الذي منع العهد
بقلة جند إذ جميع الورى جند
وكم ناهد أودى بها فرس نهد
فسحقاً له قد جاءه الأسد الورد
وأعظم نار حيث لا لهب يبدو
فطوراً له سم وطوراً له شهد
وجند السخين العين جزر ولامد
فأعطت يد المخطوب وانتظم العقد
وأسهمكم تبر وسمر القنا نقد

واستوطن الشهباء في عزه
وأنشدني أذان الله علوه لنفسه من قصيدة:
إذا أوجفت منك الخيول لغارة
نزلت بأنطاكية غير حافل
فكيف أهيف حازته هيف رماحكم
لئن حل فيها ثعلب الغدر لاون
وقد كان اغتر اللعين بليكنكم
جنى النحل مغترأ وفي النحل آية
تمدك أجناد الملوك تقرباً
تهنا بها بكرة خطبت ملاكها
فجيشك مهر والبنود حموله

وله من التصانيف كتاب الضاد والطاء وهو ما اشتبه في اللفظ واختلف في الخط، كتاب الدر الثمين في أخباره المتيمن، كتاب من ألوت الأيام إليه فرفعته ثم التوت عليه فوضعت، كتاب أخبار المصنفين وما صنّفوه، كتاب أخبار النحويين كبي، كتاب تاريخ مصر من ابتدائها إلى ملك صلاح الدين إياها في ست مجلدات، كتاب تاريخ المغرب ومن تولاها من بني تومرت، كتاب تاريخ اليمن منذ اختطت إلى الآن، كتاب المجلى في استيعاب وجوه كلا، كتاب الإصلاح لما وقع من الخلل في كتاب الصحاح للجوهري، كتاب الكلام على الموطئ لم يتم إلى الآن، كتاب الكلام على الصحيح للبخاري لم يتم، تاريخ محمود بن سبكتكين وبنيه إلى حين انفصال الأمر عنهم، كتاب أخبار السلجوقية منذ ابتداء أمرهم إلى نهايته، كتاب الإيناس في أخبار آل مرداس، كتاب الرد على النصارى وذكر مجامعهم، كتاب مشيخة زيد بن الحسن الكندي، كتاب نهضة الخاطر ونزهة الناظر في أحسن ما نقل من على ظهور الكتب.

وكان الأكرم القاضي المذكور جماعة للكتب حريصاً عليها جداً، لم أر مع اشتغالي على الكتب وبيعي لها وتجارتي فيها أشد اهتماماً منه بها، ولا أكثر حرصاً منه على اقتنائها، وحصل له منها ما لم يحصل لأحد، وكان مقيماً بجلب، وذلك أنه نشأ بمصر وأخذ بها من كل علم بنصيب، ولي والده القاضي الأشرف النظر ببيت المقدس من قبل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين بن أيوب، وصحبه القاضي الأكرم وذلك في سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وأقام بها مع والده مدة فأنس ولاية المقدس الأكرم - أدام الله عزه - شرف نفس وعلو همة، فأحبوه واشتملوا عليه، وكانوا يسألونه أن يتسم بخدمة أحد منهم، فلم يكن يفعل ذلك مستقلاً، وإنما كان يسأم العمل ويعتمد على رأيه في تدبير الأحوال، وكان لا يدخل معهم إلا فيما لا يقوم غيره فيه مقامه، واتفق ما اتفق بين الملك العادل أبي بكر بن أيوب وبين أخيه الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب - والأكرم حينئذ ببيت المقدس - فاقتضت الحال - لاتسامه بخدمه في حيز الملك - أن خرج من القدس فيمن خرج منها من العساكر في سنة ثمان

وستمائه، وصحب فارس الدين ميمونا القصري والي القدس ونابلس، فالتحقا بالملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب بحلب في قصة يطول شرحها، فلما حصل بحلب كان مع ميمون القصري على سبيل الصداقة والمودة لا على سبيل الخدمة والكتابة، واتفق أن كاتب ميمون ووزيره قد مات، فألزمه ميمون خدمته والالتزام بكتابته، ففعل ذلك على مضض واستحياء، ودبر أمره أحسن تدبير، وساس جنده أحسن سياسة وتدبير، وفزع بال ميمون من كل ما يشغل به بال الأمراء، وأقطع الأجناد إقطاعات رضوا بها وانصرفوا شاكرين له، ولم يعرف منذ تولي أمره إلى أن مات ميمون جندي اشتكى أو تآلم، وكان وجيهاً عند ميمون المذكور يحترمه ويعظم شأنه، ويتبرك بأرائه إلى أن مات ميمون في ليلة صبيحتها ثالث عشر رمضان سنة عشر وستمائه، فأقر الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين خزانته عليه وهو ملازم لبيته متشاغل بالعلم وتصنيف الكتب إلى أن احتاج ديوانه إليه، فعول في إصلاحه عليه، وهو مع ذلك مجتنب غير راض، وحدثني أدام الله عزه قال: قال حدثني والدي قال: قدمت مع والدي إلى مصر أول قدمة ولم نستصحب دواب، لأننا انحدرنا في السفن وقلت لأبي: نأخذ معنا دواب؟ فقال: يعسر أمرها علينا فدعنا نمض بالراحة في المركب، وإذ وصلنا خرجنا نمشي إلى أن جاء بي إلى سوق وردان، وهناك تلك الحمير التي هي أحسن من البغال، فقال لي والدي: أركب أيها شئت لنمضي إلى القاهرة، فامتنعت وقلت: والله لا ركبت حماراً قط. فقال: لا بد من المضي إلى القاهرة فما تصنع؟ قلت لأبي: نؤخر المضي اليوم حتى نشترى مركوباً إما فرساً وإما بغلة أركبها أنا واصنع أنت بنفسك ما تشاء، فعذلني فلم أرعو فاجتاز بنا رجل له هيئة وشارة فتقدم والدي إليه وقال له: يا أخي، تعرف القاضي الأشرف أبا الحجاج يوسف بن القاضي الأمد أبي إسحاق إبراهيم الشيباني القفطي؟ فقال: لا أعرفه. قال: امض في أمان الله. ثم مر به آخر فسأله مثل ذلك السؤال حتى سأل جماعة فلم يكن منهم من يعرفه، فالتفت إلي وقال لي: ويلك، إذا كنت في مدينة لا يعرفك بها أحد فما تصنع بهذا التخرق والترتيب في المركوب؟ أركب ودع عنك الكبرياء والعظمة التي لا تجدي ههنا شيئاً. قال: فركبت حينئذ ومضينا إلى القاهرة، وكان لهذا السبب متفقد الخيول المشهورة بالجودة وكثرة الثمن حتى لقد حدثني: أنه سمع ابن دحية الحافظ وقد سئل عن القاضي الأشرف القفطي فقال: أليس هو صاحب الخيول المسومة والعبيد الروقة؟ فما أولاه إذن بقول عامر بن الطفيل:

إني وإن كنت ابن سيد عامر
فما سودنتي عامر عن وراثته
ولكنني أحمي حماها وأتقي
فارسها المشهور في كل موكب
أبي الله أن أسمو بأم ولا أب
أذاها وأرمي من رماها بمنكب

فصل: قال الأكرم من إنشائي من جملة كتاب أنشأت عن المقر الأشرف الملكي الظاهري عند رحيل عسكر الفرنج عن حصن الخوابي: ولما وردت الراية الباطنية صدرت في نجدتهم العساكر الظاهرية تحت الألوية الأمامية الناصرية وسار في المقدمة ألف فارس من أمجاد الأنجاد وأمثال الأطواد وهم الذين لا يثنون عن الطعن عناناً، ولا يسألون عند الانتداب إلى الكريهة عما قيل برهانا، ولما التقى الجمعان وتراءى الفريقان، قمع حزب الإنجيل حزب القرآن، وخفض صوت الناقوس صوت الأذان، وقل جيش ابن يوسف جمع بني إسحاق، وعلا علم الأحمر على بني الأصفر أهل الشقاق، وحركت الأهوية ألسن الألوية بأصوات النجح فقالت بلسان الحال: تعال على خير العمل من القتال، فقد جاء نصر الله والفتح، وما أودت من المناجزة قوة جانب ولا شدة محازة، وإنما منع جبل وعر ضاق مسلكه، وتعذر مجاله على الفرسان ومعتكره، وامتنعت منه أسباب النزال، (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال).

فقلعت القلعة من خناقها، وأفلتت من يد القابض بساقها، واشتغل العدو عنها بإعمال رأيه في الخلاص، وذلك لما تحققه من ترادف العساكر المنصورة ولات حين مناص، ولما اجتمعوا للمشاورة تناقضت منهم الآراء عند المحاورة، وأوجب ذلك اختلافاً من جميعهم قضى بافتراق جموعهم، وباتوا ليلة الاثنين ولهم ضوضاء، ثم أصبحوا وقد خلا منهم الفضاء، لم يلف منهم أحد، ولا وجد لمنزلهم إلا النوى والود، وذلك لرأي أجمعوا عليه لما تحققوا أن لا ملجأ من الهرب إلا إليه، وللوقت ندب مولانا السلطان خلد الله ملكه جماعة من الصناع لإصلاح مختلها، ورفع ما فرق من تلها، وحمل إليها ما عدمته من الآلة عند القتال. وتقدم إلى رئيس الإسماعيلية بحمل ما يحتاج إليه من الذخيرة والمال، وقد شرع والشروع ملزم بالإكمال. حدثني الصاحب الوزير الأكرم أدام الله تمكينه قال: خرجت يوم الجمعة خامس عشر ذي القعدة سنة ثمان عشرة وستمائه إلى طاهر مدينة حلب على سبيل التيسير، فرأيت على جانب قويق عدة مشايخ بيض اللحى، وقد سكروا من شرب الخمر وهم عراة يصفقون ويرقصون على صورة منكرة بشعة فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم، ورجعت مغموماً بذلك وبت تلك الليلة، فلما أصبحت وركبت للطلوع إلى القلعة استقبلني رجل صعلوك فقال: انظر إلى حالي نظر الله إليك يوم ينظر إليه المتقون، فقلت له: ما خبرك؟ قال: أنا رجل صعلوك وكان لي دابة أسترزق عليها للعائلة فاتهمني الوالي بالخيول بسرقة ملح، فأخذ دابتي ثم طالبني بجباية فقلت: خذ الدابة. فقال: قد أخذتها وأريد جباية أخرى. فقلت له: أبشر بما يسرك وطلعت إلى صاحب الأمر يومئذ، وهو الأمير الكبير أتابك طغرل الظاهري وقلت: روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ثلاثة أشياء مباحة، الناس مشتركون فيها: الكلاء، والماء، والملح). وقد جرى كيت وكيت ولا يليق بمثلك، وأنت عامة وقتك جالس على مصلاك مستقبل القبلة والسبحة في يدك أن تكون مثل هذه الأشياء في بلدك. فقال: اكتب الساعة إلى جميع النواحي برفع الجبايات ومحو اسمها أصلاً، وأمر الولاة أن يعملوا

بكتاب الله وسنة رسوله، ومن وجب عليه حد من الحدود الشرعية بquam فيه على الفور، ولا يلتمس منه شيء آخر، وممر الساعة بارقة كل خمر في المدينة، ورفع ضمانها، واكتب إلى جميع النواحي التي تحت حكمي بذلك، وأوعد من يخالف ذلك عقوبتنا في الدنيا عاجلاً، وعقوبة الخالق في الآخرة أجلاً، فخرجت وجلست في الديوان، وكتبت بيدي ولم أستعن بأحد من الكتاب في شيء من ذلك ثلاثة عشر كتاباً إلى ولاية الأطراف ثم أنشد:

ولا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

وكان محصوله من ضمان ما أطلق ما مقداره مائتا ألف درهم في السنة، وإن أضيف إليه ما يستقبل في السنة الآتية من رخص الكروم وتعطل ضماناتها وقلة دخلها بهذا السبب - كان ذلك - ألف ألف درهم أو ما يقاربها، وكان والده القاضي الأشرف أبو المحاسن يوسف بن إبراهيم من أهل الفضل البارع والبلاغة المشهورة، وكان ينوب بحضرة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب عن القاضي الفاضل في جماعة من الكتاب، وكان حسن الخط على طريقة ابن مقله، فاتفق أن طال مقامه بالشام في صحبة السلطان وأراد الرجوع إلى مصر طلباً للراحة ونظراً في مصالحه، فطلب من السلطان إنفاً فقال: يحتاج في ذلك إلى إذن صاحبك، فكتب العماد إلى القاضي: يلتمس غيره ليؤذن له فقد طال غيبته عن أهله، فكتب القاضي في الجواب كتاباً يقول فيه: وأما التماس العوض عن الأشرف القفطي فكيف لي بغيره؟ وهو ذو لسان صهليق منطيق، وخاطر ينفق عن سعة في كل مضيق. وكتب إلى القاضي الفاضل رقعة وضمنها البيت المشهور:

نميل إلى جوانبه كأننا إذا ملنا نميل على أبينا

فكتب القاضي الجواب وضمنه:

فديتك من مائل كالغصون إذا ملن أدنين مني الثمارا

وتزهد والده وترك العمل وأقام باليمن إلى أن مات بها في رجب سنة أربع وعشرين وستمائة. وحدثني أدام الله علوه قال: حجبت في موسم سنة ثمان وستمائة، وكان والدي في صحبتي فصادفت بمكة جماعة من أهل بلدنا، وكنت بعيد العهد بقاء أحد منهم، فرأني رجل فالتحق بي كما جرت العادة، ثم عاد إلى من في صحبتته من بلدنا فأخبرهم بنا فجاء وهم إلى منزلنا فقصوا حقنا بالسلام والسؤال والحرمة، ثم انصرفوا إلى رحالهم فجاء كل واحد منهم بما حضره لم يحتفلوا له، وكان فيما جاءونا به ظرف كبير مملوء عسلاً، وآخر سمناً على جمل وهو وقره، فألقاه في خيمتنا فأمرت الغلمان أن يعلموا منه حيساً فيكثروا على عادة تلك البلاد، وأكلنا وأكثرنا زيادة على ما جرت به عادتنا، ثم طفنا بالبيت وعدنا إلى رحالنا ونمت فرأيت في النوم كأنني في الحرم أطوف، وإذا رجل شديد الأدمة مشوه الخلقة، فأخذ بيدي وأخرجني من الحرم من باب إبراهيم فإذا به قد وقفني على الظرفين بعينهما لا أرتاب بهما فقال لي: أتعرف هذين؟ فقلت: نعم، هذان ظرفان جارنا بهما رجل على سبيل الهدية، أحدهما سمن والآخر عسل، فقال لي: ليس الأمر كذلك، ثم حط يده على بطنهما وعصر فخرج من فمهما نار أحسست بلقحها في وجهي، وجعلت أمسح فمي من شدة حرهما وانزعجت من هول ما رأيت، وقمت من فراشي خائفاً فما استطعت النوم إلى الغداة، واجتمعت بمهديهما وكان يعرف بابن الشجاع فقلت له: أخبرني عن هذين الطرفين ما خبرهما؟ فقال: اشتريتهما وجئت بهما، فقلت: يا هذا، هل فيهما شبهة؟ فتحلف أنهما من خالص ماله، فأخبرته بالحال فبكي حينئذ، ومد يده فأخذ بيدي وعاهدني أن يخرج من عهده وقال: والله ما أعرف أن في مالي شبهة، إلا أن لي أختين ما أنصفتهم في تركة أبيهما، وأنا أعاهد الله أنني أرجع من وجهي هذا وأعطيهما حتى أرضيهما.

قال الصاحب - أدام الله علوه: فعلمت أنها لي موعظة، فعاهدت الله ألا أكل بعدها من طعام لا أعرف من أين وجهه؟ فكان لا يأكل لأحد طعاماً ويقول: الناس لا يعرفون بواطن الأمور ويظنونني أفعل ذلك كبراً، ومن أين لي بما يقوم بعذري عندهم؟ ثم كنت بعد ذلك في حضرته بمنزله المعمور وقد عاد من القلعة بحلب فقال لي: جرت اليوم ظريفة، فقلت له: هات خبرها - أدام الله إمتاعنا بك -، فما زلت تأتي بالظرائف والطرف.

فقال: حضرت اليوم في مجلس الملك الرحيم أتابك طغرل الظاهري وحضرت المائدة وفيها طعام الملوك: شواء وشرائح وسنبوسك وحلاوات وغيرها كما جرت العادة، فتأملته ففرت نفسي منه ولم تقبله مع كوني قد قاربت الظهر ولم أتعد فلم أنبسط ولا مددت يدي إليه. فقال لي: مالك لا تأكل وكان قد عرف عادتي؟ فقلت له: إن نفسي لا تقبل هذا الطعام ولا تشتهييه. فقال: لعلك شبعان، فقلت: لا والله، إلا أنني أجد في نفسي نفوراً منه، فأشار إلى غلام فدخل داره وجاء بمائدة عليها عدة غصائر من الدجاج فلم تقبل نفسي إلا دجاجة واحدة معمولة تحت رمان فمددت يدي إليها وتناولت منها.

قال: فرأيت أتابك وهو يتعجب فقلت له: ما الخبر؟ فقال: أعلم أنه ليس في هذا الطعام شيء أعلم من أين وجهه وهو من عمل منزلي غير هذه الدجاجة؟ وأما الباقي فجاءنا من جهة ما نفسي بها طيبة، وتشاركنا أنا وهو في تلك الدجاجة مع بغضي لحب الرمان، وكان أتابك لا يأكل إلا من مال الجوالي فقط، فجعلت أعجب من ذلك. فقال أدام الله علوه: أعلم أنني لا أحسب هذا كرامة لي ولكنني أعده نعمة من الله في حقي، فإن امتناعي لم يكن عن شيء كرهته ولا ريب اطلعت عليه، ولكن كان انقباضاً ونفرة لا أعرف سببها، ولا الإبانة على معناها.

كان صفي الدين الأسود عند نزول الملك الأشرف بحلب قد عرض كتاباً له يعرف بال تذكرة لابن مسيلمة - وكان معروفاً بالبعاء - أحد كتاب مصر يشتمل على قوانين الكتابة وأئين الدولة العلوية، وأخبار ملوك مصر المتقدمين في اثني عشر مجلداً، ودفع له فيه ما سمح ببيعته، وعرض على صاحب الكبير جمال الدين الأكرم أدام الله علاه وكبت أعداءه، فأراد شراؤه واتفق رحيل الملك الأشرف إلى الجزيرة فأرسل إليه ثمنه وزيادة في مثله وافرة، فلما علم صفي الدين أن المشتري هو الوزير أدام الله علوه ضمن بالكتاب واغتبط، واحتج وخط، وزعم أنه قدمه للخزانة الأشرفية، فكتب صاحب الوزير إلى أبي علي القيلوي - وكان وسيطه في شرا الكتاب المذكور - ما هذه نسخته: العز لله وحده

أتاني كتاب من حبيب فشاقتني إليه وزاد القلب وجداً على وجد

وكنت لما أضمرت من لاجع الهوى ووجدت على ما فات أقصى من الوجد

وقف على الكتاب الكريم الصادر عن المجلس السامي القضائي العزي - لا زالت سيادته تتجدد، وسعادته تتأكد، وفواضله تتردد، وفضائله عن مجلسه تصدر، وفي المجالس تورد - وعلمت إشارته في التذكرة المسيلمية والنية في حملها إلى الخزانة الأشرفية، ولقد زفت إلى أجل خاطب، ورقيت بعد انحطاطها إلى أسمى المراتب، فإنها وإن كانت بكر فكر أكابر، فما هي إلا بنت عدة آباء، ولدت على فراش عواهر، كان عليه البعاء في العالمين علامة، أعني ابن مسيلمة ذا الداء، وأسأل الله السلامة، فجاءت ذات غرام لا يشفي قطمها إلا السودان، وأردت أن أكون ناكحها الثاني لاتفاق الألوان، وأبى الله لها إلا أن تهدى إلى المقر الأرفع، وأن يقع الابتداء بالبعي من الهمام الأروع، ولست يائساً على عدمها، ولا راجياً شفاء كلمي بكلمها:

تحمل أهلها عني فبانوا على آثار من ذهب العفاء

وكانني بساميه عرض هذا الكتاب على من لا أسميه، فقرن حاجبيه، ولوى شفتيه، ولمس عثونه تعجباً، وأمال عطفه نظراً وقال: أذكرني سجع الكهان، وأسمعني قعقة صعصة بن صوحان، والله المستعان على ما يصفون، وإنما هي نفثة مصدور، صدر ناقها بصفقة المغبون، وأما سؤاله عما حصل من الكتب في غيبته،

فما هي إلا البحر جاد بدره ومكنني من لجه وسواحه

حصل من نفائسها أعلق نفيسة، وأضحت على بغض المزاحم عليها موقوفة حبيسة، لو امتدت يد إليها لثلت، ولوسعت إليها قدم لما أقلت جنتها ولا استقلت، لا ابن العديم يعدمها، ولا القيلوي يقللها، ولا الصفي يصطفئها، ولا المجد يختزلها.

خلا لك الجو قبضي واصفري

وتعداد المجدد منها يقصر عنه الكتاب، ويقصر دونه الخطاب، والله الموفق.

أبو علي المنطقي

لم أظفر باسمه وهو مجيد. قال الخالع: هو من أهل البصرة وتنقل عنها في البلاد، ومدح عضد الدولة وابن عباد، وانقطع مدة من الزمان إلى نصر بن هارون، ثم إلى أبي القاسم العلاء بن الحسن الوزير، وكان جيد الطيقة في الشعر والأدب عالماً بالمنطق قوي الرتبة فيه، وجمع ديوانه وكان نحو ألفي بيت، ومولده سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، ومات بشيراز بعد سنة تسعين وثلاثمائة، وكان ضعيف الحال ضيق الرزق عارفاً - وجدت على حاشية الأصل ما هذا صورته: إنا لله وإنا إليه راجعون - ما يحتاج مستدل على أن الأرزاق ليست بالاستحقاق بأقوى من هذا الرجل، فإنه لو وفي حقه لكان أعظم قدراً من المتنبّي، لأنه ليس بدونه في الشعر جودة وصحة معنى ومثانة لفظ وحلاوة استعارة وسلاسة كلام، وكان مع ذلك مزاحاً طيب العشرة حاد النادرة، وأصيب بعينه في آخر عمره، وله في ذلك أشعار كثيرة. وهذا القدر حكاة الخالع من خبره ولم يعرف غير ذلك. ومن شعره:

يا ريم وجدي فيك ليس يريم بين الضلوع وإن رحلت مقيم

لا تحسبي قلبي كربك خالياً فيه وإن عفت الرسوم رسوم

تبلى المنزل والهوى متجدد وتبيد خيمات ويبقى الخيم

ومن شعره لما أصيب ببصره:

ما للهموم إذا ما هيمها وردت علي لم تقض من ورد إلى صدر

كأنما وافق الأعشاب رائدها لدى حماي فقد ألقى عصا السفر

إن يجرح الدهر مني غير جارحة ففي البصائر ما يغني عن البصر

وله في الخمر:

قهوة مثل رقرق السراب غدا
تختال إن بث فيها الماء لؤلؤه
للتها مثل سل الفجر صارمه
كأنها إذ بدت والكأس تحجبها
إذا تعاطيت محزوناً أبارقها
أمسي غنياً وقد أصبحت مفقراً
وله في نصر بن هارون:

ينال علاه ما السها عنه عاجز
ويصنع في الأعداء خوف انتقامه
لأعطيت حتى استنزر الغيث فعله
وله فيه أيضاً:

به تخضر أغصان الأمانى
وتبسم نائبات الدهر عنه
لقد سهلت بك الأيام حتى
وكيف أخاف دهر؟ أنت بيني
وله من قصيدة في ابن معروف:

في البرق لي شاغل عن لمعة البرق
منفراً سرب نومي عن مراتعه
أخو ثنايا التي بالقلب مذ طعنت
ما كان يسرق من حرز الجفون كرى
وله:

نوار وهي نوار من مساعفتي
تربان إن تك من جدواهما تربت
غض المحيا إذا لاحظت وجنته
وله يعاتب:

صافيت فضلك لا ما أنت باذله
إني أعيدك من قولي لسانله:
وقال في صمصام الدولة:

لا غضني الدهر الخئون فإنه
أنتم بحار جاريات بالندى
وله:

ليث أبو شبلين لم يسلمهما
للمجد سر لم يضيع فيهما
وله:

أكفكم تعطي ويمنعنا الحيا
وإن أبا العباس إن يك للعلا
مضى وبقيتم أبحراً وأهلة
وله:

قولي يقصر عن فعالك

حبب المزاج عليها جيب مزرور
ما بين عقدين منظوم ومنثور
وأحجم الليل في أثواب موزور
روح من النار في جسم من النور
لم يعدني كل مفروح ومسرور
كأنني الملك بين الناي والزير

ويسقي نداء من تجاوزه القطر
من القتل ما لا تصنع البيض والسمر
وأمنت حتى قيل لم يخلق الذعر

ويجبر عنده الأمل الكسير
كما ابتسمت عن الشنب الثغور
لقال الناس لم تكن الوعور
وبين صروفه أبداً سفير

بدا وكان متى ما بيد لي يشق
كأنما اشتق معناه من الأرق
أضعاف ما بوشاحيها من القلق
لو أنه من لماها غير مسترق

وهند وهي ببيض الهند تعتصم
يد المحب فوجدان الهوى عدم
كادت لحاظك في ديباجها تسم

وعاشق الفضل يغرى كلما عدلاً
لقد حدوث ولكن لم أجد جملاً

قد كان رقاك صلاً أرقماً
لكنها في الروع جارية دماً

كرم الجدود ولا سمو جدود
والراح سر في جنى العنقود

وأقلامكم تمضي وتنبو الصوارم
جناحاً فأنتم للجناح القوادم
وزهر الربا يبقى وتمضي الغمام

تقصير جدك عن كمالك

والحمد ينبت كلما

وله:

كأن دببها في كل عضو
صدعت بها رداء الهم عني
وله من قصيدة في عضد الدولة يذكر الصدق:
ما زلت تنصف في قضايك العلا
هديت رونقه إلى جنح الدجى
حتى كأن الليل صبح مشرق
هي ليلة لبست رضاك فأشرقت
ما كان في ظن امرئ من قبلها

وله:

أنام جفون الحقد والحقد ساهر
إذا أشكلت يوماً لغات انتقامه
ومن شاجر الأيام عن مآثراتها
وله من قصيدة:

وقفنا بها والشوق يفرى قلوبنا
سقيت رجوع الطاعنين فإننا
فجعنا بأبكار المنى يوم خاطبت

ومنها:

وخيل إذا كظ الطراد أراحها
تكاد ترى بالسمع حتى كأنما
إذا ما دجا ليل الكريهة أطلعت

وله:

على عجل ألم الخيال
فيات معانقاً والجيد وهم
لدى ليل كان النجم فيه
يضام الرمح ليس له مدار
طبعت على الوفاء المحض قدماً

ومنها:

توسمت الوابل فيه مجداً
وأطرب ما يكون إلى العطايا
مصاحب همة خفت عليها
كرمت فلو سألناك المساعي
وأكرم من قراك فتى عليه

وقال في الوزير ابن صالحان:

على الطيف أن يغشى العميد المتيما
خيال سرى يبغي خيالاً ومغرم
دنا والظلام الجون غص شبابه
أتلک اللآلى من ثنایاه ألفت

هطلت سماء من نوالك

دبيب النوم في أجفان سار
كما صدع الدجى وضح النهار

قل لي: فما بال الضحى يتظلم؟
فاعتن أشهب وهو طرف أدهم
وكأن ضوء الصبح ليل مظلم
من بعد ما كانت بسخطك تظلم
أن الملوك على الليالي تحكم

وأيقظ طرف المجد والمجد نائم
على معشر فالمرهفات تراجم
فأمضى لسانيه القنا والصوارم

لواعجه والصبر غير مطاوع
نجلك عن سقيا الغمام الهوامع
ربوعك أبكار الخطوب الفواجع

أصابت بحر الطعن برد الشرائع
نواظرها مخلوقة في المسامع
نجوم قنأ يغربن بين الأضالع

فإن كراه بعدكم محال
ومرتشفاً وأحلى الرقيق آل
على خد الظلام الجون خال
ويكبو الطرف ليس له مجال
كما طبعت على القطع النصال

فقال: أول البدر هلال
إذا غني فأسمعه السؤال
من الأيام أعباء ثقال
وهبت وغيرها تهب الرجال
بنو الدنيا وأمهم عيال

وليس عليه رد نوم تصرما
بليس قميص الليل يمم مغرما
فأهدى إليه الشيب لما تبسما
عليه عقوداً أم تقلد أنجما؟

أما والهما إن الكرى لسميه
لأشكل حتى ما يعود بنو الهوى
وليل أكلنا العيس تحت رواقه
بهيم نضونا برده وهو مخلق
هداها إلى مغنى الوزير نسيمه
يصوب على العافين مزن بنانه

وله:

غي الهوى للصب غاية رشده
قربت مراكب وعظه ولجابه
والليل تكحل مقلته بائمه
فكان زنجياً تبسم ثغره
تعب الفتى جسر إلى راحاته
وإذا ابن عزم لم يقم متجرداً
فالسيف سمي في النوائب عدة

ومن المدح:

تنثني عليه وإن تكرم غيره
علماً بأن بني السماح تعلموا

وله في عضد الدولة:

أربع الصبا غالتك بعدي يد الصبا
لئن رمقت عين النوى حور عينه
تأودن قضباناً ولحن أهله

ومنها:

رددت شباب الملك نضراً ولم يزل
فلو كانت الأيام قبلك رحبت
وله قصيدة إلى أبي بكر العلاف يتشوقه:
كان البين ترب الموت لكن
ولولا أن فرط الشوق واش
جمعت غرائب الآداب حتى
ظلمت منادياً في كل أفق

وله من قصيدة في العلاء بن الحسن الوزير:

أعاطي كنوس اللهو كل غريرة
تلاحظ عن سحر وتسجر عن دجى
إذا نثرت أيدي الصبا در لفظها
كما نظمت كفا أبي القاسم العلا
إذا اتصلت أقلامه بظباته
فلا يهنأ الأعداء ن أن مكانه

وله:

نعم لو أن الناس ورق حمائم
ومواهب تمضي ويبقى ذكرها

على مقلتي مذ أخلقت جدة الحما
معالمه الأنضاء إلا توهمها
بأيدي سرى تنثني الرواسم أرسما
وكنا لبسناه قشيباً مسهما
ومن شرف الأخلاق أن نتنسما
فيكبت حساد أو ينبت أنعما

فذريه من حل الملام وعقده
في الحب ينتج قربه من بعده
والأفق يزهر دره في عقده
إسفار ذاك اللون في مريده
يفضي ونهضة جده في جده
للحادثات فصارم في عمدته
لمضائه فيهن لا لفرنده

فتراه مشكوراً بما لم يسده
منه فكل صنعة من عنده

وصعد طرف البين فيك وصوباً؟؟
فبن لقد غادرن قلباً معذباً
وغازلن غزلاً نأ ولا حظن ربربا

بغيرك مغير المفارق أشيبا
بشخص لالقت إذ تراءيت مرحبا
يواري في الضنا لا في الثياب
بحبك لاستزدتك ضعف ما بي
إذا قرنت إلى النعم الرغاب
بصوت البذل حي على انتهاب

إذا ما انتثنت قدت فؤادك بالقدر
وتسفر عن صبح وتبسم عن عقد
نظم على الأحشاء عقداً من الوجد
نظام لآلي السمط بالانثر للرفد
تقطع ما بين الطوائل والحد
خفي فقد تخفى الشرارة في الزند

لغدت لهم بدلاً من الأطواق
سمة على وجه الزمان الباقي

وله:

أراعك صدق الطيف أم كذب الحلم
سرى والدجا قد حال صبغ قميصه
كأن نهوض الفجر في أخرياته
أمين على سر المعالي وسيفه
وله من قصيدة في الدلجي:

لأصبرن على ما سامني زمني
مدحت قوماً فإن حاض اللسان بهم
إذا المعمر ترب المجد ألثمني
يد هي الغيث أو فيها مواطنه
هناك أخطب والعليا منابرها

وله:

وأبناء حاجات أدارت عليهم
يميلون فوق العيس حتى كأنهم
أصاخوا وقد غنيتهم باسم ماجد
ولما بلغناه تهلل عارض

وقال في الوزير ابن صالحان:

هو البرق إلا زفرة تتضرم
تبسم حتى كاد يبكي وربما
ولما ألم الطيف شكك أينما
مزجت كنوس الريق منه بأدمعي
فليت فؤادي ذاب في جفن مزنة
وخرق رحيب الباع لو نيط طوله
رميت فما أشويت ثغرة نحره
بلغنا بها مغناه وهب أهلة

وله يمدح:

يصيخ إلى الليل حتى كأنما
وكم خامل أمطاه حارك رتبة
فأليت أن تقرر عيون ركانبي
مددت إلى طعن الكماة عزائماً
فما كرمتم كرمان حتى افتككتها
إذا صد وجد البحر عنها تيقنت

وله:

جذل بما يعطيهم فكأنما
عفو تسيل به الشعاب كأنما

وله:

ولما استرد الصبح عارية الدجى
ولم أر لابن الشوق كالليل سلماً
كريم تيقنت من سجاياه فضلة

وكم من خيال وشك إمامه لمم
وفي ذيله نار من الصبح تضطرم
بداء بياض الشيب في أسود اللمم
على مهج الأعداء في الروع متهم

صبر الكريم على الإقلال إكثار
فسوف يعقب ذاك الحيض أطبار
ركني يد ثمد ما تسديه تيار
فكل ما صافحته فهو نوار
منصوبة وجبين الدهر حوار

يد السير كأس الأين والليل دامس
شروب تساقى والرحال المجالس
لأقلامه تغنو الرياح المداعس
سقى صوبه الدنيا ومثواه فارس

وعبرة مشتاق تسح وتسجم
ترأى فأبكي البارق المبتسم
لدقة شخصينا الخيال المسلم؟
فبت أسقى قهوة مزجها دم
بها رويت دور ظماء وأرسم
بعروة عمر لم تكد تتصرم
وما كل ما ترمي به العيس يسهم
فلاحنا لنا أخلاقه وهي أنجم

سرى إبلي في مسمعيه سرار
حراك ويعلو الترب حين يثار
ولا غرو غايات السيول قرار
طوال العوالي بينهن قصار
ولا أصحرت حتى ارتجتك صحار
بأنك بدر في يديه بحار

أخذ المؤمل من نداه عطاء
فيه الذنوب وقد طفون غثاء

تولى بطيئاً والدموع عجال
إلى حاجة في الصبح ليس تتال
فأضحت على خديه وهي جمال

وله:

ودار وغي ثنتها مقربات
نزلت بعسكر للطير فيه
بحيث سرائر الأغمد تبدو
تصالحت الحتوف على الأعادي
إذا أوردتها صدرت رواء

براقعها شحوب أو سهوم
عساكر حول حومتها تحوم
وقلب النقع للساري كتوم
وبيضك للطلی منها خصوم
وخلت هام وهي هيم

وله:

إن كتم الليل حدث العبق
ردي على العين فهي طامعة

عنها وبعض الحديث ينتشق
كاس زقاد أراقها الأرق

وله:

علي إذا غنيت أن تطرب العلا
ويجهل قولي فيك قوم ولم يكن

فليت فوادي للسرور منادم
ليفهم أيك ما تقول الحمائم

وله:

غداة صدقت فكذبتي
وقد كن ما طللنا حقبة

ولولا الشقاوة لم أصدق
فليت المطال علينا بقي

وله:

دمن مرضن من البلى فكأنما
من كل مدنفه الرسوم كأنه
إن لم يطر شر السرى مني فلا
في كل ليل تاكل لصباحه
داج إذا زرت على جيو به
أحسن بأخلاق الظلام وإن جلا
جمل ولكن ما يلذ ركوبه
يلقاه نشوان الجفون وإنما

تأتي الرياح طولها عوادا
من قبل كانت للمحب فؤادا
قدحت يدي للمكرمات زنادا
وكأنما كسي الظلام حدادا
كنت الحسام وكانت الأغمادا
وجهاً تعوض بالشحوب سوادا
إلا امرؤ يجد المنى أفتادا
باتت مدامة مقلتيه سهادا

وله:

منازل ذات الوقف إني لواقف
بليت ولم يبل الجديد من الهوى
أترقا جفوني والحياء عنك ممسك
وقالوا انتشى من غير كاس ولو سقوا
ضعائف كرات اللحاظ إنما

عليك وماء القلب لا الدمع ذارف
وحلت وما حال الغرام المحالف
ويرفق وجدي والبللى بك عائف؟
هوى لدروا أن السلاف السوالف
تبرح بالجلد القوي الضعائف

وله:

ليت النوى تركتنا في يد العذل
صار الصدود لها أمنية معها
والقلب أول من شط الفراق به
وله في عضد الدولة:

فالسقم بؤس ولكن ليس كالأجل
ومن لذائق طعم الموت بالغلل؟
فأين مسرح هذا الخوف والوجل؟

لو أن بعض سماحها في مزنة
يا راقد الأسياف إلا عن وغي
ما بال خيلك ما تقات سوى السرى
عادات بيض الهند عندك أن ترى

يوماً لأورق من نداها الجلمد
جفن الورى في حومتيه مسهد
وظباك في غير الطلى ما تغمد
حمرأ كما مس اللجين العسجد

وله:

ولم أر مثل الدهر مسدى نعمة
إذا كنت عذر الدهر في سوء ما جنت

يجود بها عفواً ويأخذها
يداه فذنب أن تعد له ذنباً

وله:

مضيء فرند القول ماضي شباته
يفارق فاه وهو في الحسن جوهر

فلو لم يكن وشياً لقليل مهند
ويلقى عداه وهو في الوقع جلمد

وله:

خرق تصول يد الزمان فيتقى
معط على شكر الصنيع وكفره
دامت لك النعمة ودمت لآمل
وبقيت ما بقي القريض فإنه

ويجود أقوام سواه فيشكر
ما كل ما سقت الغمام يثمر
أرابه عن روض غيرك تذعر
علق على كر الخطوب معمر

وله:

قرم بخد الحيا من جوده خجل
في رأيه من غرارى معيفه عوض

كما بقلب الردى من بأسه وجل
وفي عطاياه من صوب الحيا بدل

وله:

ظلت تعض لتوديعي أناملها
يا رب لائمة في الحب لو علمت

فخلتها نظمت درا على عنم
أني ألد ملامي فيك لم تلم

وله:

إني إذا ما الخل خادعه
جانبته ولو أنه عمري

عني الزمان فحال عن عهدي
وقطعته ولو أنه زندي

وله:

أتيتك طوع الشوق أمس فردني
وقالوا ثنت أجفانه عنك غفوة
ولكن نسيم الراح نم وربما
ولو لم يكن ظرف العلا عدت منشداً:

على عقبي عذر له المجد لائم
ولا غرو قد تغفي الأسود الضراغم
أنتك بما لا ريب فيه النمام
وأنت إذا استيقظت أيضاً لنائم

وله:

يد موسى تدم صحبة فيه
يبعث النائل الجسيم فيقفو
ليت أن المشيب مهديه موسى
كأخيه الزمان يأخذ ما يع

هو يمحو سطور ما توليه
ه بمن على العفاة سفيه
وهو مسترجع لما يهديه
طي. وما ضل مقتد بأخيه

وله:

وما قلت إلا ما علمت ولم أكن
وذنب زمني أهله غير أنني

كحامد ورد لم يذق طعم غبه
أراك له عذراً محاشط ذنبه

علي بن يوسف يعرف بابن البقال

يكنى أبا الحسن، قال أبو عبد الله الخالع: هو من أهل بغداد وممن نادى المهلبى ونفق عليه، وكانت له محاضرة حسنة وبضاعة في الأدب صالحة، وطبقة في الشعر جيدة، يذهب مذهب النامي في التطبيق والتجنيس وطلب الصنعة، وكان بكثرة نواذره ومزاحه مستطاباً متقبلاً، وكان حسن اليسار جميل الزي يلبس الدراعة، وخلف لما مات ما يزيد على مائة ألف درهم، وكانت وفاته في أيام شرف الدولة بن عضد الدولة، ومنزله في مكة العجمي من الزبيدية بالجانب الغربي من مدينة السلام، وخلف ابنة

وزوجة فأحبت امرأته أحد بني المنجم وزوجت ابنتها به، فأنفقت المال عليه وماتت الزوجة ولازمته أمها تخدمه كما تخدم المنقطعات.

قال: وكان ابن البقال بخيلاً جشعاً وكان يتلقاني في أيام عضد الدولة فيقول: يا سيدي ما عندك من حديث الشعراء؟ فأقول: قد أمر لهم بمال ولك بجائزة سنوية منها كذا وكذا، ومنها كذا وكذا، وأكثر عليه فيقول:

منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى
ولقيني مرة والسلامي معي فسألني عن مثل ذلك فأجبته بمثل الجواب المقدم ذكره، فقال له السلامي: يكذب، والله ما أمر إلا بقطع أيديهم وأرجلهم، فقال: حوالينا الصدود ولا علينا. وأنشد الخالغ لابن البقال يعاتب بعض أصدقائه:

وإني في استعطاف رأي محمد
علي ومدي نو معروفة يدي
لكالمبتغي من بعد تسعين حجة
تقمصها رجع الشباب المجدد
سأشكو اعتداء منك لولاه ما درت
صروف الليالي في الهوى كيف تعتدي
فلله قلبي حين أدعو إلى الهوى
وأعلم حقاً أنه غير مهتدي

وله:

ولما وقفنا للوداع ودوننا
عيون ترامى بالظنون ضميرها
أماطت عن الشمس المنيرة برقاً
فغيبنا عن أعين الناس نورها

وله:

يا مذنّباً ويقول إني مذنّب
لك صورة ذل الجمال لحسنها
ما إن سمعت بظالم يتظلم
ومن العجائب أن طرفك مشعر
تقضي بجور في النفوس وتحكم
سقماً وأنت بسقمه لا تعلم

وله:

يا طرفها هب لطرفي لذة الوسن
عيني من الدمع أو قلبي من الحزن
ولا أقول ولو أتلفتني أسفاً
يا طرفها هب لطرفي لذة الوسن
عيني من الدمع أو قلبي من الحزن
يا ليت ما كان من حبيك لم يكن

وله:

لئن كان طرفي فاز منك بنظرة
جعلت الهوى ذنباً فإن كنت مذنّباً
لقد عاد طرفي بالبلاء على قلبي
ولما رأيت البعد منك مقربي
به فإليك العذر من ذلك الذنب
محمد لا تجمع إلى الهجر غدره
تباعدت كي أحظى على البعد بالقرب
فحسبي الذي بي من فراقك يا حسبي

وله يمدح المهلب:

أنوار أنت كما دعيت نوار؟
يا لحظة لحظ الحمام معيدها
لم تقض منك قضاءها الأوطار
وإذا تساقطك الحديث تخاله
ما كان منك لناظر إنظار
إني ذكرتكَ والغرام مواصل
كأساً عليك من العقار تدار
متوقد منه الضمير كأنما
نفساً عليك يهيج التذكار
نيرانه من وجنتيك تعار
هو في الجفون إذا مرته زفرة
ماء يمور وفي الجوانح نار
ولرب ليل من ذراك خماره
لنجم فيه من الغمام خمار
قد قلت حين طلعت فيه كبدرة
أرأيت كيف تشابه الأقمار؟
يا صاحبي قفا بنجد عبدة
حيث الدموع إذا ابتدرن بدار
في منزل لبست بما لبس البلى
مني المشيب عذائر وعذار
ولئن محتك يد الخطوب فما امحى
لهوى ديارك في الفؤاد ديار

ولربما اهتزت ربوعك بالندى
ومنها في المدح:

وإذا بدا يوم الكريهة ضاحكاً
حتى إذا بصروا بعقد لوائه
في شرب هيجاء إذا اصطبحوا القنا
لهم من البيض الرقاق تحية
نهضت بعبء الملك منك عزائم
لك هضبة في الملك قحطانية
بجبال أندية الوقار إذا احتبوا
عجباً لأبناء المهلب إنهم
لم يطوهم دهر مضى إلا لهم
فعطاؤك الرزق المقسم في الورى
وله أيضاً في المهلب:

لعينك إذ سار الخليط المغور
نعم إن رسماً بات يطوى به النوى
أرى وأنياً من عبرة كيف لا يني
وقفنا ومن ألحاظنا وقلوبنا
يحلّى ربى أرامه ونحورنا
فمن بين معقود يبين فرنده
وسرب رمين النجم في أخرياته
بدت ويمين الصبح يبدو لثامه
ومادت فقلنا الغصن جادت به النقى
أعاطل أجياد الأمانى من التي
لئن عد فخراً لبسك المجد من أب
وماينفع الممتاح يجلو موارد
ألا بادرا عون العوانى برحلة
أما تريان الليل يحدو ظلامه
فتى يمتري سجلى نداه وبأسه
وكالدهر لا يدري الذي هو رائم
ويوم رماه النقع منه بليلة
طلعن من الأغمد في كل مازق
دلفت كأن الموت كان مؤامراً
بمجر له في كل فج طليعة
سحبت رداء الموت فيه بوقعة
وأضحكت منه الجو والنقع كاتم
بحيث شفوف الأتحمي مفاضة
تفرق في تفريقها الهام والتقى
عزائم يرمين الخطوب كأنما

وتنفتت بنسيمك الأسحار

فهناك تسكب دمعها الأعمار
عقدت مهابتها به الأسرار
فالطعن سكر والحمام خمار
في حسوها ومن الدماء عقار
للدهر بين عثارهن عثار
طرق الحوادث نحوها أو عار
وليوث ملحمة الوغى إن ثاروا
لم يعدلوا في المجد حتى جاروا
بالجود في آثاره آثار
والدهر أنت وسيفك المقدار

على كل واد دمعة تتحدر
محاسن كانت بالأوانس تنشر
وعلم طرفاً راقداً كيف يسهر
لنا رائدا شوق مسر ومظهر
جفون بسمطيتها من الدمع جوهر
علينا ومحلول عليهن ينثر
بسافرة عن وجهها الشمس تسفر
فلم يدر ليل أي صبحيه أنور؟
بما آد من مجرى الوشاح المؤزر
بها الوفر أم ما استهلك العرض أوفر؟
فلبس الفتى من نفسه المجد أفخر
إذا كان ظمناً من الورد يصدر
يذل بها خد من العيس أصعر
بوجه القبيصي الصباح المنور
لهاذم تدمي أو غمائم تمطر
بخطب إذا ما أمه كيف يحذر
كواكبها فيه الأسنة تزهر
فلا خائن إلا لها منه مضمهر
سيوفك منه والنفوس تقطر
وفي كل أرض منه ذيل مجرر
رداء الفتى فيه من الطعن أقمر
به الشمس عن شمس بها البيض تشهر
إذا زعزع الخطى والتاج مغفر
على قدر فيها الحمام المقدر
يقارع منها عسكر الدهر عسكر

وله في المهلبى أيضاً:

بالصفح إن أعقب الإصرار بالندم
أيدي النحول عليها أيدي القدم
تكفكف المحل عنها أدمع الرحم
حللت ناحلة الأطلال لا ترم
من بات يأخذ رعباً منه باللقم
ويقذف الوهدات الجرد بالأكم
لو أنها في جفون الدهر لم ينم
ما بات يرسله ليلاً إلى الحلم
فهو يأكلن منها إكلة البشم

عندي لذا الدهر إغقابي إساءته
أُمسّت منازل من جنت مصافحة
ولو ملكت لها السقيا وهامتها
لقلت للسح من أيدي الوزير إذا
اليعربي الذي خلى الطريق له
يزاحم الليل ليل من جحافله
أطار منهم قذاة في عيونهم
أبقى له الخوف في أثناء يقظتهم
عافت سيوفك في الهيجا لحومهم

وله أيضاً فيه:

شرقت بالدموع منها المآقي
دمع منها إلى كرى غير باق
ض لأمسّت منه الحشا في احتراق
س دنو الأجفان للأحداق
خصر تبدلن خاتماً من نطاق
ق وتخفي الأجياد في الأطواق
مة إمضاؤها مع الإطراق
أطلع الجود شمسه بالعراق
سام بشراً والفتاق الرتاق
ماضياً في شقاقهم والنفاق
ض لها من غمائم الهام ساق
خطي يكرعن في الدماء الدفاق
ت ظباه ناراً بلا إحراق
يسم الأرض من حميم العتاق
ين إلى كل دارة من طراق
اب الغوالي منهن في الأشداق

روعة بالفراق قبل الفراق
جد جد البكا فأهدين باقي الد
فاض تندى به الخدود ولو غا
وعذارى تدنيك من سربها العي
مخطفات لو شئن من هيف ال
حاليات تبدي المعاصم والسو
لا يغرنك غفلة الدهر فالعز
قد أرانا ابتسامة الدهر لما
بالمصفى اللباب والأروع البس
ومعير معاندي الملك حدا
حين حر الهوى بحران والبي
بعد ما زعزع الجزيرة بال
وأطارت بجو سنجار المو
في غمام من العجاج ووبل
حين والى بها شواذب يفض
كالحات كأنما نفت الص

وكان ابن البقال يترفع عن الاختلاط بالشعراء ويتكبر عليهم، وكان الرؤساء يكرمونه ويقومون له إذا دخل إليهم، وكان ابن العميد يقدمه على الناس كلهم ويعظمه، وأحضره المهلبى فأنشده بحضرة المتنبي قصيدة فيه. قال: فحدثني الإمام الهاشمي قال: قال لي المتنبي: ما رأيت ببغداد من يجوز أن يقطع عليه اسم شاعر إلا ابن البقال. قال ابن عبد الرحيم: وحدثني الأستاذ أبو الحسين بن محفوظ وقد جرى ذكر ابن البقال فقال: كان أقل ما فيه الشعر، فغلب عليه وعرف به، وإنه كان يضطلع بعلوم كثيرة من جملتها الكلام، وكان قوياً فيه مقدماً في المعرفة به، وكان يقول بتكافؤ الأدلة وهو بنس المذهب.

عمارة بن حمزة الكاتب من ولد أبي لبابة

مولى عبد الله بن العباس رضي الله عنهما، مولى السفاح، ثم مولى أبي جعفر المنصور. وكان تياها معجباً، جواداً كريماً، معدوداً في سراة الناس، وكان فصيحاً بليغاً، وكان أعور دميماً، وكان المنصور والمهدي بعده يقدمانه ويحتملان أخلاقه، لفضله وبلاغته وكفايته ووجوب حقه، وولى لهما أعمالاً كباراً.

وله تصانيف: منها كتاب رسالة الخميس التي تقرأ لبني العباس، كتاب رسائله المجموعة، كتاب الرسالة الماهانية معدودة في

كتب الفصاحة الجيدة، وكان يقال: بلغاء الناس عشرة: عبد الله بن المقفع، وعمار بن حمزة، وخالد بن يزيد، وحجر بن محمد بن محمد بن حجر، وأنس بن أبي شيخ، وسالم بن عبد الله، ومسعدة، والهزبر بن صريح، وعبد الجبار بن عدي، وأحمد بن يوسف بن صبيح. قال أبو عبد الله محمد بن عبدوس: قلد أبو العباس السفاح عمار بن حمزة بن ميمون، من ولد أبي لبابة مولى عبد الله بن العباس صباغ مروان وآل مروان، خلا ضباغ لولد عمر بن عبد العزيز فإنها لم تقبض، وضباغ من والأهم وساعدهم. وقال الخطيب: عمار من ولد عكرمة مولى ابن عباس، جمع له بين ولاية البصرة، وفارس، والأهواز، واليمامة، والبحرين، والعرض، وهذه الأعمال جمعت للمعلّى بن طريف صاحب نهر المعلّى، ولمحمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس. وكان عمار سخياً سرياً جليل القدر، رفيع النفس، كثير المحاسن، وله أخبار حسان، وكان أبو العباس يعرف عماراً بالكبر وعلو القدر وشدة التنزه، فجرى بينه وبين أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة المخزومية كلام فاخرته فيه بأهلها، فقال لها أبو العباس: أنا أحضرك الساعة على غير أهبة مولى من موالي، ليس في أهلك مثله ثم أمر بإحضار عمار على الحال التي يكون عليها، فأتاه الرسول في الحضور فاجتهد في تغيير زيّه، فلم يدعه، فجاء به إلى أبي العباس، وأم سلمة خلف الستر، وإذا عمار في ثياب ممسكة قد لطخ لحيتّه بالغالية، حتى قامت واستتر شعره، فقال: يا أمير المؤمنين ما كنت أحب أن تراني على مثل هذه الحال، فرمى إليه بمدّ من كان بين يديه فيه غالية، فقال: يا أمير المؤمنين، أترى لها في لحيتي موضعاً؟ فأخرجت إليه أم سلمة عقداً وكان له قيمة جليّة، وقالت للخادم: أعلمه أنني أهديته إليه فأخذه بيده، وشكر أبا العباس ووضع بين يديه ونهض، فقالت أم سلمة لأبي العباس: إنما أنسيه، فقال أبو العباس للخادم: ألحقه به وقل له: هذا لك، فلم خلفته؟ فاتبعه الخادم فلما وصل إليه قال له: ما هو لي، فأرده، فلما أدى الرسالة قال له: إن كنت صادقاً فهو لك، وانصرف الخادم بالعقد، وعرف أبا العباس ما جرى، وامتنع من من رده على أم سلمة وقال: قد وهبه لي فاشتريه بعشرين ألف دينار: وكان عمار يقول: يخبز في داري ألفاً رغيف في كل يوم، يؤكل منها ألف وتسعمائة وتسعة وتسعون رغيفاً حلالاً، وأكل منها رغيفاً واحداً حراماً، وأستغفر الله، وكان يقول: ما أعجب قول الناس: فلان رب الدار، إنما هو كلب الدار وكانت نخرة عمار وتبيه يتواصفان ويستسرفان، فأراد أبو جعفر أن يعيث به، وخرج يوماً من عنده فأمر بعض خدمه أن يقطع حمائل سيفه لينظر أياخذه أم لا؟ وسقط السيف، ومضى عمار ولم يلتفت وحدث ميمون بن هارون عن يثقب به: أن عمار بن حمزة كان من تبيه إذا أخطأ يمضي على خطئه ويتكبر عن الرجوع ويقول: نقض وإبرام في ساعة واحدة، الخطأ أهون من ذلك. وكان عمار بن حمزة يوماً يمشي المهدي في أيام المنصور ويده في يده، فقال له رجل: من هذا أيها الأمير؟ فقال: أخي وابن عمي عمار بن حمزة، فلما ولى الرجل ذكر المهدي ذلك لعمار كالمزاح، فقال عمار: إنما انتظرت أن تقول: مولاي، فأنفض والله يدي من يدك، فضحك المهدي. وحكى عن عمار بن حمزة أنه قال: انصرفت يوماً من دار أبي جعفر المنصور بعد أن بايع للمهدي بالعهد إلى منزلي، فلما صرت إليه صار إلي المهدي فقال: قد بلغني أن أمير المؤمنين قد عزم على أن يبايع لأخي جعفر بالعهد بعدي، وأعطى الله عهداً لنن فعل لأقتلنه.

قال: فمضيت من فوري إلى أمير المؤمنين، فلما دخلت إليه قال: هيه يا عمار، ما جاء بك؟ قلت: أمر حدث، أنا ذاكره، قال: فأنا أخبرك به قبل أن تخبرني، جاءك المهدي فقال لك: كيت وكيت، قلت: والله يا أمير المؤمنين لكأنك كنت ثالثاً، قال: قل له: نحن أشفق عليه من أن نعرضه لك يا أبا عبد الله. وقال محمد بن يزيد: قلد المنصور عمار بن حمزة الخراج بكور دجلة، والأهواز وكور فارس، وتوفي المنصور سنة ثمان وخمسين ومائة وعمار يتقلد جميع هذه الكور، وبلغ موسى الهادي حال بنت لعمار جميلة فراسلها، فقالت لأبيها ذلك: فقال: ابعتي إليه في المصير إليك، وأعلميه أنك تقدرين على إيصاله إليك في موضع يخفي أثره، فأرسلت إليه بذلك، وحمل موسى نفسه على المصير إليها، فأدخلته قد فرشت وأعدت له، فلما حصل فيها دخل عليه عمار فقال له: السلام عليك أيها الأمير، ماذا تصنع ههنا؟ اتخذناك ولي عهد فينا، أو فحلاً لنسائنا؟ ثم أمر به فبطح في موضعه، وضربه عشرين درة خفيفة ورده إلى منزله، فحقد الهادي ذلك عليه، فلما ولي الخلافة دس عليه رجلاً يدعي عليه أنه غصبه الضيعة المعروفة بالبليضاء بالكوفة، وكانت قيمتها ألف ألف درهم، فبينما الهادي ذات يوم قد جلس للمظالم وعمار بن حمزة بحضرته إذ وثب الرجل فتظلم منه، فقال له الهادي: قم فاجلس مع خصمك، وإن كانت له فهي له، ولا أساوي هذا النذل في المجلس، ثم قام وانصرف مغضباً، وقلد المهدي عمار بن حمزة الخراج بالبصرة، فكتب إليه يسأله أن يضم إليه الأحداث مع الخراج ففعل ذلك، وقلده الأحداث مضافة إلى الخراج، وكان عمار أغور دميماً، فقال فيه بعض أهل البصرة:

أراك وما ترى إلا بعين	وعينك لا ترى إلا قليلا
وأنت إذا نظرت بملء عين	فخذ من عينك الأخرى كفيلا
كأنني قد رأيتك بعد شهر	ببطن الكف تلتمس السبيلا
ومدحه سلمة بن عباس فقال:	
بلوت وحربت الرجال بخبرة	وعلم ولا ينبيك عنهم كخابر
فلم أر أحرى من عمار فيهم	بود ولا أوفى بجار مجاور

إذا نزلت بالناس إحدى الدوائر
بركن وفي عهده غير غادر
يمت بقربي عنده وأواصر
كريم ومثوى كل عان وزائر

إن الغني في صحة الجسم
بغضارة الدنيا مع السقم؟

وأكرم عند النائبات بداهة
تمسك بحبل من عمارة واعتصم
كان الذي ينتابه عن جناية
فنعم معاذ المستجير ومنزل ال
ولعمارة شعر، منه ما أنشده الجهشيري:
لا تشكون دهرأ صححت به
هيك الإمام أكنت منتفعاً

وكرهه أهل البصرة لتيهه وعجبه، فذكر الأرقط: أنه رفع أهل البصرة على عمارة أنه أختان مالا كثيراً، فسأله المهدي عن ذلك فقال: والله يا أمير المؤمنين، لو كانت هذه الأموال التي يذكرونها في جانب بيتي ما نظرت إليها، فقال: أشهد إنك لصادق ولم يراجع فيها. ودخل صالح بن خليل الناسك على المهدي فوعظه وأبكاه طويلاً، وذكر له سيرة العمرين، فأجابه المهدي: بفساد الزمان وتغير أهله وما حدث له من العادات، وذكر له جماعة من أصحابه وما لهم من الأموال والنعمة، وذكر فيهم عمارة بن حمزة وقال: بلغني أن له ألف دواج بوبر، سوى مالا وبر فيه، وسوى غيرها من الأصناف التي يتدثر بها، وكان الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك شديد الكبر، عظيم التيه والعجب، فعوتب في ذلك فقال: هيهات، هذا شيء حملت عليه نفسي، لما رأيته من عمارة بن حمزة، فإن أبي كان يضمن فارس من المهدي، فحل عليه ألف ألف درهم، فأخرج ذلك كاتب الديوان، فأمر المهدي أبا عون عبد الله بن يزيد بمطالبتة وقال له: إن أدى إليك المال قبل أن تغرب الشمس من يومنا هذا وإلا فأتني برأسه، وكان متغضباً عليه، وكانت حيلته لا تبلغ عشر المال، فقال لي: يا بني إن كانت لنا حيلة فليس إلا من قبل عمارة بن حمزة وإلا فأنا هالك، فامض إليه فمضيت إليه، فلم يعرني الطرف، ثم تقدم من ساعته بحمل المال فحمل إلينا، فلما مضى شهران جمعنا المال فقال أبي: امض إلى الشريف الحر الكريم فأد إليه ماله، فلما عرفته خبره غضب وقال: ويحك! أكنت قسطاراً لأبيك؟ فقلت: لا، ولكنك أحييته ومننت عليه، وهذا المال قد استغنى عنه. فقال: هو لك. فعدت إلى أبي فقال: لا، والله ما تطيب نفسي لك به، ولكن لك منه مائتا ألف درهم، فتشبهت به حتى صار خلقاً لي لا أستطيع مفارقتة. وحدث أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني في كتاب له صنفه في السخاء: حدثنا القاضي الحسن بن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن سعد الوراق، حدثني هارون بن محمد بن إسماعيل القرشي قال: أخبرني عبد الله بن أبي أيوب المكي قال: بعث أبو أيوب المكي بعض ولده إلى عمارة بن حمزة، فأدخله الحاجب، قال: ثم أدناني إلى ستر مسيل فقال: ادخل، فدخلت فإذا هو مضطجع محول وجهه إلى الحائط، فقال لي الحاجب: سلم، فسلمت ولم يرد السلام، فقال الحاجب: اذكر حاجتك، فقلت له: - جعلني الله فداك - أخوك أبو أيوب يقرئك السلام، ويذكر ديناً بهضه وستر وجهه، ويقول: لولاه لكنت مكان رسولي، تسأل أمير المؤمنين قضاءه عني، فقال: وكم دين أبيك؟ فقلت: ثلاثمائة ألف درهم، فقال: وفي مثل هذا أكلم الأمير؟ يا غلام! احملها معه، وما التفت إلي ولا كلمني غير هذا.

قال الدارقطني: حدثنا حسين بن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن أبي سعيد، حدثنا إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان الهاشمي، حدثنا محمد بن سلام الجمحي، حدثنا الفضل بن الربيع قال: كان أبي يأمرني بملازمة عمارة بن حمزة، قال: فاعتل عمارة وكان المهدي سبى الرأي فيه، فقال له أبي يوماً: يا أمير المؤمنين، مولاك عمارة عيلي، وقد أفضى إلى بيع فرشه وكسوته. فقال: غفلنا عنه، وما كنت أظن أنه بلغ إلى هذه الحالة! أحمل إليه خمسمائة ألف درهم يا ربيع، وأعلمه أن له عندي بعدها ما يحب. قال: فحملها أبي من ساعته وقال لي: اذهب بها إلى عمك وقل له: أخوك يقرئك السلام ويقول: أذكرت أمير المؤمنين أمرك، فاعتذر من غفلته عنك، وأمر لك بهذه الدراهم وقال: لك عندي ما تحب. قال: فأتيته ووجهه إلى الحائط، فسلمت فقال لي: من أنت؟ فقلت له: ابن أخيك الفضل بن الربيع. فقال: مرحباً بك، وأبلغته الرسالة فقال: قد كان طال لزومك لنا، وقد كنا نحب أن نكافئك على ذلك ولم نتمكن قبل هذا الوقت، انصرف بها فهذه لك. قال: فهبته أن أرد عليه، فتركت البغال على بابه وانصرفت إلى أبي، فأعلمته الخبر فقال لي: يا بني، خذها - بارك الله لك فيها - فليس عمارة ممن يراجع، فكان أول مال ملكته.

قال ابن عبدوس: وكان الماء زائداً في أيام الرشيد، فركب يحيى بن خالد والقوا ليعرفوا المواضع المخوفة من الماء ليحفظوها، ففرق القواد، وأمر بإحكام المسنجات، وسار إلى الدور، فوقف ينظر إلى قوة الماء وكثرتة. فقال قوم: ما رأينا مثل هذا الماء! فقال يحيى: قد رأيت مثله في سنة من السنين، وكان أبو العباس خالد - يعني أباه - وجهني فيها إلى عمارة بن حمزة في أمر رجل كان يعني به من أهل جرجان، وكانت له ضياع بالري، فورد عليه كتابه يعلمه أن ضياعه تحيبت فخربت، وأن نعمته قد نقصت، وحاله قد تغيرت، وأن صلاح أمره في تأخيرته بخراجه سنة، وكان مبلغه مائة ألف درهم، ليتقوى به على عمارة ضيعته، ويؤديه في السنة المقبلة، فلما قرأ أبي كتابه غمه وبلغ منه، وكان بعقب ما ألزمه إياه أبو جعفر من المال الذي خرج عليه، فخرج به عن ملكه واستعان بجميع إخوانه فيه، فقال: يا بني: من ههنا نفرع إليه في أمر هذا الرجل؟ فقلت: لا أدري. فقال: بلى عمارة بن حمزة، فصر إليه وعرفه حال الرجل، فصرت إليه وقد أمدت دجلة، وكان ينزل في الجانب الغربي، فدخلت

إليه وهو مضطجع على فراشه فأعلمته ذلك، فقال: قف لي غداً بباب الجسر ولم يزد على ذلك، فنهضت ثقيل الرجلين، وعدت إلى أبي العباس والذي بالخبر، فقال لي: يا بني، تلك سجيته، فإذا أصبحت فاغد لو عده، فغدوت إلى باب الجسر، وقد جادت دجلة في تلك الليلة بمد عظيم قطع الجسور، وانتظم الناس من الجانبين جميعاً ينظرون إلى زيادة الماء، فبينما أنا واقف إذا بزورق قد أقبل والموج يخفيه مرة ويظهره أخرى، والناس يقولون: غرق، غرق، نجا، نجا، حتى دنا من الجرف، فإذا عمارة بن حمزة في الزورق بلا شيء معه، وقد خلف دوابه وغلماؤه في الموضع الذي ركب منه، فلما رأيته نبل في عيني وملاً صدري، فنزلت وغدوت إليه فقلت: - جعلت فداك - في مثل هذا اليوم؟ فأخذت بيده فقال: كنت أعدك وأخلف يا بن أخي؟ أطلب لي برزون كراء، قال: فقلت: برزوني، فقال: هات، فقدمت إليه برزوني فركب، وركبت برزوني غلامي، وتوجه يريد أبا عبيد الله وهو إذ ذاك على الخراج، والمهدي ببغداد خليفة للمنصور، والمنصور في بعض أسفاره. قال: فلما طلع على حاجب أبي عبيد الله، دخل بين يديه إلى نصف الدار ودخلت معه، فلما رآه أبو عبيد الله قام عن مجلسه وأجلسه فيه وجلس بين يديه، فأعلمه عمارة حال الرجل وسأله إسقاط خراجيه، وهو مائتا ألف دينار، وإسلافه من بيت المال مائتي ألف يردّها في العام المقبل فقال له أبو عبيد الله: هذا لا يمكنني، ولكنني أؤخره بخراجه إلى العام المقبل. فقال له: لست أقبل غير ما سألتك، فقال أبو عبيد الله فاقنع بدون ذلك لتوجد لي السبيل إلى قضاء حاجة الرجل. فأبى عمارة وتلوم عبيد الله قليلاً، فنهض عمارة فأخذ أبو عبيد الله بكفه وقال: أنا أحتمل ذلك في مالي، فعاد إلى مجلسه. وكتب أبو عبيد الله إلى عامل الخراج بإسقاط خراج الرجل لسنته، والاحتساب به على أبي عبيد الله وإسلافه مائتي ألف درهم ترتجع منه في العام المقبل، فأخذت الكتاب وخرجنا فقلت له: لو أقمت عند أخيك ولم تعبر في هذا المد؟ قال: لست أجد بداً من العبور، فصرت معه إلى الموضع ووقفت حتى عبر.

هذي المكارم لا قعيان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ودخل عمارة يوماً على المهدي فأعظمه، فلما قام قال له رجل من أهل المدينة من القرشيين: يا أمير المؤمنين، من هذا الذي أعظمته هذا الإعظام كله؟ فقال: هذا عمارة بن حمزة مولاي، فسمع عمارة كلامه، فرجع إليه فقال: يا أمير المؤمنين، جعلتني كبعض خبازيك وفراشيك، ألا قلت: عمارة بن حمزة بن ميمون، مولى عبد الله بن عباس ليعرف الناس مكاني؟.

عمر بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد

ابن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين ذي الدعة بن زيد الإمام الشهيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام، يكنى أبا البركات من أهل الكوفة، إمام من أئمة النحو واللغة والفقه والحديث، مات فيما ذكره السمعاني في شعبان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة في أيام المقتفي، ودفن في المسيلة التي للعلويين، وقدر من صلى عليه بثلاثين ألفاً، وكان مولده في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة، أخذ النحو عن أبي القاسم زيد بن علي الفارسي، عن أبي الحسين عبد الوارث، عن خاله أبي علي الفارسي، وأخذ عنه أبو السعادات بن الشجري، وأبو محمد بن بنت الشيخ.

قال السمعاني: وكان خشن العيش صابراً على الفقر، قانعاً باليسير، سمعته يقول: أنا زيدي المذهب، ولكنني أفتي على مذهب السلطان - يعني أبا حنيفة - سمع ببغداد أبا بكر الخطيب، وأبا الحسين بن الناقور، وبالكوفة أبا الفرج محمد بن علاء الخازن وغيره، ورحل إلى الشام وسمع من جماعة، وأقام بدمشق وحلب مدة قال: وحضرت عنده وسمعت منه، وكان حسن الإصغاء سليم الحواس، ويكتب خطأ مليحاً سريعاً على كبر سن، وكنت أألزمه طول مقامي بالكوفة في الكور الخمس، وما سمعت منه في طول ملازمتي له شيئاً في الاعتقاد أنكرته، غير أنني كنت يوماً قاعداً في باب داره وأخرج لي شذرة من مسموعاته، وجعلت أفنقد فيها حديث الكوفيين، فوجدت فيها جزءاً مترجماً بتصحيح الأذان بحي على خير العمل، فأخذته لأطالعه فأخذه من يدي وقال: هذا لا يصلح لك، وله طالب غيرك، ثم قال: ينبغي للعالم أن يكون عنده كل شيء، فإن لكل نوع طالباً.

وسمعت يوسف بن محمد بن مقلد يقول: كنت أقرأ على الشريف عمر جزءاً فمر بي حديث فيه ذكر عائشة فقلت: - رضي الله عنها - فقال لي الشريف: تدعو لعدة علي؟ أو تترضى على عدوة علي؟! فقلت: حاشا وكلا، ما كانت عدوة علي. وسمعت أبا الغنائم ابن النرسي يقول: كان الشريف عمر جارودي المذهب لا يرى الغسل من الجنابة، وسمعته يقول: دخل أبو عبد الله الصوري الكوفة فكتب بها عن أربعمائة شيخ، وقدم علينا هبة الله بن المبارك السقطي، فأفدته عن سبعين شيخاً من الكوفيين، وما بالكوفة اليوم أحد يروي الحديث غيري، ثم ينشد:

إني دخلت اليمنا
ففي حرام بلدة
لم أر فيها حسناً
أحسن من فيها أنا

قال المؤلف: وحكى أن أعرابيين مرا بالشريف عمر وهو يغرس فسبلاً، فقال أحدهما للآخر: أيطمع الشيخ مع كبره أن يأكل من جني هذا الفسيل؟! فقال الشريف: يا بني، كم من كبش في المرعى وخروف في التنور، ففهم أحدهما ولم يفهم الآخر، فقال الذي

لم يفهم لصاحبه: إيش، قال؟ قال: إنه يقول: كم من ناب يسقى في جلد حوار، فعاش حتى أكل من ثمر ذلك الفسيل. وللشريف تصانيف، منها: كتاب شرح الملح.

وكان إبراهيم بن محمد أبو الشيخ أبي البركات أيضاً شاعراً أديباً ذا حظ من النحو واللغة، وهو مذكور في بابيه. قال تاج الإسلام: سمعت عمر بن إبراهيم بن محمد الزبيدي يقول: لما خرجنا من طرابلس الشام متوجهين إلى العراق، خرج لوداعنا الشريف أبو البركات بن عبيد الله العلوي الحسني، وودع صديقاً لنا يركب البحر إلى الإسكندرية، فرأيت خالك يتفكر فقلت له: أقبل على صديقك، فقال لي: قد عملت أبياتاً اسمعها، فأتشدني في الحال:

قربوا للنوى القوارب كيما	يقتلونني ببينهم والفرار
شرعوا في دمي بتشديد شرع	تركوني من شدها في وثاق
قلعوا حين أقلعوا لفوادي	ثم لم يلبثوا لقدر الفواق
ليتهم حين ودعوني وساروا	رحموا عبرتي وطول اشتياقي
هذه وقفة الفراق فهل أح	يا ليوم يكون فيه التلاقي؟

قال في تاريخ الشام: حكى أبو طالب بن الهراس الدمشقي - وكان حج مع أبي البركات - أنه صرح له بالقول بالقدر وخلق القرآن، فاستعظم أبو طالب ذلك منه وقال: إن الأئمة على غير ذلك، فقال له: إن أهل الحق يعرفون بالحق، ولا يعرف الحق بأهله، قال: هذا معنى حكاية أبي طالب.

عمر بن بكير

كان صاحب الحسن بن سهل خصيصاً به ومكيناً عنده يسائله عن مشكلات الأدب، وكان رواية ناسباً أخبارياً نحوياً، وله عمل الفراء كتاب معاني القرآن، وذكر ذلك في أخبار الفراء.

قال محمد بن إسحاق: وله من الكتب: كتاب الأيام يتضمن يوم الغول، يوم الظهر، يوم أرماف، يوم الكوفة، غزوة بني سعد بن زيد مناة، يوم مبايض.

حدث ميمون بن هارون قال: حدثني أبو الحسن محمد بن عمر بن بكير قال: كان أبي بين يدي المنتصر وهو أمير، وأحمد بن الخصيب كاتب المنتصر فقال: دعنا من الرسوم الدائرة والعظام البالية، فوثب عمر بن بكير فقال: أيها الأمير: إن للحسن بن سهل علي نعماً عظيماً، وله في عنقي من جملة، فقال: ما هي يا عمر؟ قال: ملأ يأيها الأمير منزلي ذهباً وفضة، وأدنى مجلسي حتى زال عن مجلسه، وخلع علي فألحقني برؤساء أهل العلم، كأبي عبيدة والأصمعي، ووهب بن جرير وغيرهم، وقد أقدري الله بالأمر على مكافأته، وهذا من أوقاته، فإن رأى الأمير أن يسهل إذنه، ويجعل ذلك على يدي وحبوة لي وذريعة إلى مكافأة الحسن فعل، فقال: يا أبا حفص، بارك الله عليك، فمئلك يستودع المعروف، وعندك يتم البر، ومئلك يرغب الأشراف في اتخاذ الصنائع، وقد جعلت إذن الحسن إليك، فأدخله في أي وقت حضر من ليل أو نهار، ولا سبيل لأحد من الحجاب عليه، فقبل أبي البساط ووثب إلى الباب، فأدخل الحسن وأتكأ على يده، فلما سلم على المنتصر أمره بالجلوس فجلس وقال له: قد صبرت إذنك إلى أبي حفص، ورفعت يد الحاجب عنك، فاحضر إذا شئت من غدو أو رواح، وارفع حوائجك، وتكلم بكل ما في صدرك، فقال الحسن: أيها الأمير، والله ما أحضر طلباً للدنيا، ولا رغبة فيها ولا حرصاً عليها، ولكن عبد يشاق إلى سادته، وبلقائهم يشتد ظهوره، وينبسط أمله، وتتجدد نعم الله عنده، وما أحضر لغير ذلك، وأحمد بن الخطيب يتقد غيظاً، فقال له المنتصر: فاحضر الآن أي وقت شئت، فأكب الحسن على البساط فقبله شكراً ونهض. قال أبي: ونهضت معه، فلما بعدنا عن عين المنتصر بلغني أن المنتصر قال: هكذا فليكن الشاكرون، وعلى أمثال هذا فلينع المنعمون. وقال الحسن لعمر يا أبا حفص: والله ما أدري بأي لسان أثني عليك؟ فقال: سبحان الله، أنا أولى بالشكر والثناء عليك والدعاء لك، خولتني الغنى وألبستني النعمى في الزمان الصعب، وفي الحال التي كان يجفوني فيها الحميم، فجزاك الله عني وعن ولدي أفضل الجزاء.

فقال الحسن: وا لهفتا، ألا يكون ذلك المعروف أضعاف ما كان. لا در در الفتوت، وتعضاً للندم وأحواله، والله در الخزيمي حيث يقول:

ودون النوى في كل قلب ثنية	لها مصعد حزن ومنحدر سهل
وود الفتى في كل نيل ينيله	إذا ما انقضى لو أن نائله جذل

ثم قال لي أبي: يا محمد اخرج معه - أعزه الله - حتى تؤديه إلى منزله. قال أبو الحسن: فخرجت معه فلم أزل أحداثه حتى جرى ذكر رزين العروضي الشاعر، وكان قد امتدحه بقصيدة، فمات رزين قبل أن يوصلها إلى الحسن، فقلت: أيد الله الأمير، كان شاعر من أهل العلم والأدب مدح الأمير بقصيدة وهي في العسكر مثل، ومات قبل أن يسمعها الأمير، قال: فأسمعنيها، فأنشدته إياها وأولها:

قربوا جمالهم للرحيل
خلفوك ثم مضوا مدلجين

غدوة أحببتك الأقربون
منفرداً بهمك ما ودعوك

وفيها:

من مبلغ الأمير أخي المكرمات
تزدهي كواسطة في النظام

يابن سادة زهر كالنجوم
ذو الرياستين أخوك النجيب

ذو الرياستين وانت الذان
لم تزالا حياً للبلاد

أنتما إن أقط العالمون
يابن سهل الحسن المستغاث

يا لمن ألح عليه الزمان
لا ولا وراءك للراغبين

مدحة محبرة في ألوك؟
فوق نحر جارية تستبيك

محياً سيادة ما أولوك
فيه كل مكرمة وفيك

يحييان سنة غازي تبوك
والعباد ما لكما من شريك

منتهى الغياث ومأوى الضريك
وفي الوغى إذا اضطرب الفيك

مفرع لغيرك يا بن الملوك
مطلب سواك حاشا أخيك

والقصيدة غريبة العروض، قال أبو الحسن: وأنا والله أنشده وعيناه تهمي على خده فتقطر على نحره، ثم قال: والله ما أبكي إلا لقصور الأيام عما أريده لقاصدي، ثم جعل يتلهف ويقول: ما الذي منعه من اللقاء، تعذر الحجاب أم قعود الأسباب؟ فقلت: اعتل - جعلني الله فداك - على توفي فيها، فجعل يترحم عليه ثم قال: والله لا أكون أعجز من عاقمة بن علاثة حيث مات قبل وصول النابغة إليه بالقصيدة التي رحل بها إليه حيث يقول:

فما كان بيني لو لقيتك سالماً
وبين الغنى إلا ليال قلائل

الأبيات، فبلغت الأبيات علقمة فأوصى له بمثل نصيب ابن له، ولكن هل لهذا الشاعر وارث؟ قلت: نعم، بنية، قال: تعرف مكانها؟ قلت: نعم، قال: والله ما يتسع وقتي هذا لما أنويه ولكن القليل والعذر يسعنا، ثم دعا غلاماً وقال: هات، ما بقي من نفقة شهرنا. فأتى بألفي درهم في صرة فدفعها إلي وقال: يا أبا الحسن، خذ ألفاً وأعط الصبية ألفاً، فأخذت الألفين وانصرفت وعملت بما أمرني به. ومات الحسن بن سهل بسر من رأى في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائتين في أيام المتوكل.

قال المؤلف: ما نسب إلى علقمة في هذه الحكاية غلط. لأن الوارد عليه هو الخطيئة، وكان علقمة والياً على حوران، فلما قاربه مات علقمة، فقال الخطيئة الأبيات. لكن هكذا هذه الحكاية، ولا أدري كيف حالها؟ ^

الجزء السادس عشر

عمر بن أحمد يعرف بابن العديم

بن أبي جرادة، يعرف بابن العديم العقيلي يكنى أبا القاسم، ويلقب كمال الدين، من أعيان أهل حلب وأفاضلهم، وهو عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه. واسم أبي جرادة عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل أبي القبيلة ابن كعب بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وبيت أبي جرادة بيت مشهور من أهل حلب، أدباء شعراء فقهاء، عباد زهاد قضاة، يتوارثون الفضل كابراً عن كابر وتالياً عن غابر، وأنا أذكر قيل شروعي في ذكره شيئاً من مآثر هذا البيت، وجماعة من مشاهيرهم، ثم أتبعه بذكره ناقلاً ذلك كله من كتاب ألفه كمال الدين - أطال الله بقاءه -، وسماه الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة، وقرأته عليه فأقر به. سألته أولاً: لم سميتم ببني العديم؟ فقال: سألت جماعة من أهلي عن ذلك فلم يعرفوه وقال: هو اسم محدث لم يكن آبائي القدماء يعرفون بهذا ولا أحسب إلا أن جد جدي القاضي أبا الفضل هبة الله بن أحمد بن يحيى

بن زهير بن أبي جرادة - مع ثروة واسعة، ونعمة شاملة - كان يكثر في شعره من ذكر العدم، وشكوى الزمان فسمي بذلك، فإن لم يكن ذلك سببه فلا أدري ما سببه؟.

حدثني كمال الدين أبو القاسم قال: حدثني جمال الدين أبو غانم محمد بن هبة الله بن محمد بن أبي جرادة عمي قال: لما ختمت القرآن قبل والدي - رحمه الله - بين عيني وبكى وقال: الحمد لله يا ولدي، هذا الذي كنت أرجوه فيك.

حدثني جدك عن أبيه عن سلفه: أنه ما منا أحد إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من ختم القرآن.

قال المؤلف: وهذا منقبة جليلة لا أعرف لأحد من خلق الله شرواها، وسألت عنها قوماً من أهل حلب فصدقوها، وقال لي زين الدين محمد بن عبد القاهر بن النصيب: دع الماضي واستدل بالحاضر، فإنني أعد لك كل من هو موجود في وقتنا هذا، وهم خلق ليس فيهم أحد إلا وقد ختم القرآن، وجعل يتذكرهم واحداً واحداً فلم يخرم بواحد. حدثني كمال الدين - أطال الله بقاءه - قال: وكان عقب بني أبي جرادة من ساكني البصرة في محلة بني عقيل بها، فكان أول من انتقل منهم عنها موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عامر بن أبي جرادة إلى حلب بعد المائتين للهجرة، وكان وردها تاجراً وحدثني قال: حدثني عمي أبو غانم محمد بن هبة الله بن محمد بن أبي جرادة قال: سمعت والدي يذكر فيما تأثره عن سلفه: أن جدنا قدم إلى البصرة في تجارة إلى الشام فاستوطن حلب قال: وسمعت والدي يذكر أنه بلغه أنه وقع طاعون بالبصرة فخرج منها جماعة من بني عقيل وقدموا الشام فاستوطن جدنا حلب قال: وكان لموسى من الولد محمد وهارون وعبد الله. فأما محمد فله ولد اسمه عبد الله، ولا أدري أعقب أم لا؟ وأما العقب الموجود الآن فهارون وهو جدنا، ولعبد الله وهم أعمامنا. فمن ولد عبد الله: القاضي أبو طاهر عبد القاهر بن علي بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن أبي جرادة، وهو من سادات هذا البيت وأعيانهم، ومات في جمادى الأولى من سنة ثلاث وستين وأربعمائة، فقال القاضي أبو الفضل هبة الله بن أحمد بن أبي جرادة يرثيه - وكانت قد توفيت قبل وفاة القاضي أبي الفضل أخته بأيام قلائل، فتوجع للماضين -:

صبرت لا عن رضى مني وإيثار	وهل يرد بكائي حتم أقدار؟
أروم كف دموعي وهي في صبيب	وأبتغي برد قلبي وهو في نار
ما لليالي تعري جانبي أبداً	من أسرتي وأخلائي وأوزاري
تلد طعم مصيباتي فأحسبها	تظماً فيروي صداها ماء أشفاري
محاسن جدت الأرض الفضاء بها	وطالما صنتها عن لحظ أبصاري
وواضح كسنا الإصباح أنقله	من رأي عيني إلى سري وإضماري
إن الردى أقصدتني غير طائشة	سهامها في فتى كالكوكب الواري
رمته صائبة الأقدار من كئيب	وما رعت عذر أقدار وأخطار

وهي قصيدة غراء طويلة. ومنهم أبو المجد عبد الله بن محمد بن عبد الباقي بن محمد، شيخ فاضل أديب شاعر، له معرفة باللغة والعربية، سمع بحلب أستاذه أبا عبد الله الحسين بن عبد الواحد بن محمد بن عبد القادر القنسريني المقرئ مؤلف كتاب التهذيب في اختلاف القراء السبعة، وسمعه ولده الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله، وله أشعار حسان منها:

توسوس عن علي الزمان	ففي كل يوم له معضلة
فلو جعلوا أمره ليلة	إلي لأصبح في سلسلة

ومات الشيخ أبو المجد بحلب في حدود سنة ثمانين وأربعمائة. ومنهم ولده الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة صدر زمانه، وفرد أوانه، ذو فنون من العلوم، وخطه مليح جداً، على غاية من الرطوبة والحلاوة والصحة، وله شعر يكاد يختلط بالقلب، ويسلب اللب لطافة ورقة، تصدر بحلب لإفادة العلوم الدينية والأدبية متفرداً بذلك كله، ورتب غريب الحديث لأبي عبيد على حروف المعجم رأيته بخطه، وشرع في شرح أبياته شروفاً لم يقصر فيه، ظفرت منه بكراريس من مسوداته لأنه لم يتم. سمع بحلب والده أبا المجد وأبا الفتح عبد الله بن إسماعيل الحلبي وأبا الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس الشاعر وغيرهم. ورحل عن حلب قاصداً للحج في ثالث شعبان سنة ست عشرة وخمسمائة، ووصل إلى بغداد وسمع بها أبا محمد بن عبد الله بن علي المقرئ وغيره، ولم يتيسر للناس في هذا العام حج، فعاد من بغداد إلى حلب، ثم سافر إلى الموصل بعد ذلك في سنة إحدى وثلاثين وسمع بها، وأدركه تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني فسمع منه بحلب هو وجماعة وافرة، وذكره السمعاني في المذيل لتاريخ بغداد. قال المؤلف: وقد ذكرته في هذا الكتاب في موضعه بما ذكره السمعاني به.

حدثني كمال الدين قال: سمعت والدي - رحمه الله - يقول: كتب الشيخ أبو الحسن بن أبي جرادة بخطه ثلاث خزائن من الكتب

لنفسه، وخزانة لابنه أبي البركات، وخزانة لابنه أبي عبد الله. ومن شعره - أنبأنا به تاج الدين زيد بن الحسن الكندي من قصيدة يصف فيها طول الليل :-

فؤاد بالأحبة مستطار
وما أنفك من هجر وصد
وعين دمعها جم غزير
كأن جفونها عند التلاقي
وهذا حالها وهم حلول
أبيت الليل مرتقباً كئيباً
كأن كواكب الفلك اعترأها

وقلب لا يقر له قرار
وعتب لا يقوم له اعتذار
ولكن نومها نزر غرار
تلاقيها الأسنة والشفار
فكيف بها إذا خات الديار
لهم في الضلوع له أوار
فتور أو تخونها المدار

ومنها:

فيا لك ليلة طالت ودامت
أسائلها لأبلغ منتهاها

فليس لصبحها عنها انسفار
لعل الهم يذهب به النهار

ومات الشيخ أبو الحسن في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة عن ثمان وثمانين سنة. ومنهم ولده أبو علي الحسن بن علي بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة، وكان فاضلاً كاتباً شاعراً أديباً، يكتب النسخ على طريقة أبي عبد الله بن مقلة، والرقاع على طريقة علي بن هلال، وخطه حلو جيد جداً خال من التكلف والتعسف. سمع أباه بحلب. وكتب عنه السمعاني عند قدومه حلب. وسار في حياة أبيه إلى الديار المصرية، واتصل بالعدل أمير الجيوش وزير المصريين وأنس به، ثم نفق بعده على الصالح بن رزيق وخدمه في ديوان الجيش، ولم يزل بمصر إلى أن مات بها في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة. ومن شعره في صدر كتاب كتبه إلى أخيه عبد القاهر في سنة ست وأربعين وخمسمائة:

سرى من أقاصي الشام يسألني عني
تركت له قلبي وجسمي كليهما
وإني ليدنيني اشتياقي إليكم
وأبعث آمالي فترجع حسراً
فليت الصبا تسري بمكنون سرنا
وليت الليالي الخاليات عوائد

خيال إذا ما راد يسلبني مني
ولم يرض إلا أن يعرس في جفني
ووجدي بكم لو أن وجد الفتى يدني
وقوفاً على ضن من الوصل أو ظن
فتخبرني عنكم وتخبركم عني
علينا فتعتاض السرور من الحزن

ومن شعره:

ما ضرهم يوم جد البين لو وقفوا
تخلفوا عن وداعي ثمت ارتحلوا
واوصلوني بهجر بعد ما وصلوا
فليتهم عدلوا في الحكم إذ ملكوا
ما للمحب وللعدال ويحهم؟
أستودع الله أحباباً ألفتهم
عمري لئن نزحت بالبين دارهم
يا حبذا نظرة منهم على عجل
سقت عهودهم غداء واكفة
أحبابنا ذهلت ألبابنا ومحا
بعدتم فكان الشمس واجبة
يا ليت شعري هلى يحظى برؤيتكم
ومضمر في حشاه من محاسنكم
كنا كغصنين حال الدهر بينهما
فأقصدتنا صروف الدهر نابلة

وزودوا كلفاً أودى به الكلف
وأخلفوني وعوداً ما لها خلف
حبلي وما أنصفوني لكن انتصفوا
وليتهم أسعفوا بالطيف من شعفوا
خانوا ومانوا ولما عنفوا عنفوا
لكن على تلقي يوم النوى انتلفوا
عني فما نزحوا دمعني وما نزفوا
تكاد تنكرني طوراً وتعترف
تهمي ولو أنها من أدمعي تكف
عتابنا لكم الإشفاق والأسف
من بعدكم وكأن البدر منخسف
طرفي وهل يجمعن ما بيننا طرف؟
لفظاً هو الدر لا ما يضمّر الصدف
أو لفظتين لمعنى ليس يختلف
حتى كأن فؤادينا لها هدف

ويصبح الشمل منا وهو مؤتلف؟
كمثل ما يتلاقى اللام والألف
مني الضلوع ولا ما يقتضي اللهف
وإن عجزت فإن العذر منصرف

ومنهم: أخوه أبو البركات عبد القاهر بن علي بن عبد الله بن أبي جرادة، كان ظريفاً لطيفاً أديباً شاعراً كاتباً، وله الخط الرائع، والشعر الفائق، والتهذيب الذي تبحر في جودته ويلتحق بالنسبة إلى ابن البواب، والتأنق في الخط المحرر الذي يشهد بالتقدم في الفضل وإن تأخر. سمع بحلب أباه أبا الحسن وغيره، وكتب عنه جماعة من العلماء، وكان أميناً على خزائن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي وذا منزلة لطيفة منه، ومن شعره - وكتبه بليقة ذهب :-

خطأ أخذ منه في الكتب
ففرى محاسن صورة الأدب
إن لم يكن إله من حسب
حتى جرى فكتبت بالذهب

فهل تعود ليالي الوصل ثانية
ونلتقي بعد يأس من أحببتنا
وما كتبت على مقدار ما ضمنت
فإن أتيت بمكنوني فمن عجب

ما اخترت إلا أشرف الرتب
والخط كالمرأة ننظرها
هو وحده حسب يطال به
ما زلت أنفق فيه من ذهب

وقال أيضاً وهو بدمشق في سنة تسع وأربعين وخمسمائة:

إلى من سواء عنده المنع والبذل
بأنني من شغل الذي هو لي شغل
وإن شفاء الداء ممتنع سهل
تجنني فعاد الذنب لي وله الفضل
تبينت أن الرأي في غيره جهل
جميل بمثلي حب من ماله مثل
ضربت عليه بالغواية من قبل
عزيمة هم لا تكل ولا تألو
إلى حب من في حبه قبح العذل
إذا أرجف الواشون بي أنني أسلو

أمت ببذلي خالصاً من مودتي
وتحسب نفسي والأمانى ضلة
ألا إن هذا الحب داء موافق
عفى الله عمن إن حنى فاحتملته
ومن كلما أجمعت عنه تسلياً
سأعرض إلا عن هواه فإنه
وألقى مقال الناصحين بمسمع
فعندي وإن أخفيت ذاك عن العدى
ولي في حواشي كل عذل تلفت
وإني لأدنى ما أكون من الهوى

هذا لعمرى والله الغاية في الحسن والطلاوة، والرونق والحلاوة. وقال أيضاً:

ما محب بمنته عن حبيب
د خذي من غواية بنصيب
فاستعدي له بوجد غريب
ب فهزت عطفه هز القضيبي
نسب لو رعيت حق النسيب
ني وأوريت زند قلبي الكئيب
فعلى مقلتيك سيما مريب
إن حظي لديك حظ أديب

عاد قلبي إلى الهوى من قريب
طال يا همتي تماديك في الرش
وإذا ما رأيت حسناً غريباً
يا غزلاً مالت له نشوة العج
بين الحافظك المراض وبينني
أنت أجريت أعين الدمع من عي
لا تقل ليس لي بذلك علم
ما تعديك في الذي أنت فيه

ومات في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة. ومنهم ابن أخيه أبو الفتح عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي جرادة، وكان يجيد الكتابة وجمع مجاميع حسنة، وجمع شعر والده أبي عبد الله الحسن، وشعر عمه أبي البركات عبد القاهر، وله شعر لا بأس به منه:

مهفهف القد مليح العذار
أسطر مسك طرسها جنانار

من ذا مجيري من يدي شادن
قد كتب الشعر على وجهه

فهؤلاء من بني عبد الله بن موسى بن عيسى. وأما أخوه هارون بن موسى، فهو أول من اشترى بحلب ملكاً في قرية تعرف بأورم الكبرى، وكان له ولدان: زهير وأحمد، والعقب لزهير وهو الذي اشترى أكثر أملاك بني أبي جرادة، مثل أورم الكبرى، ويحمول، وأقذار ولؤلؤة والسين وهي قرى، ووقف وقفاً على شراء فرس يجاهد به في سبيل الله. وتوفي في حدود سنة أربعين

وثلاثمائة. فمن ولد زهير: أبو الفضل وهو أبو الفضل عبد الصمد بن زهير بن هارون بن موسى، ولادته في حدود سنة عشرين وثلاثمائة. سمع بحلب أبا بكر محمد بن الحسين الشيعي وغيره، وروى عنه ابن أخيه القاضي أبو الحسن أحمد، ومشرق العابد وجماعة، ولعله مات في حدود سنة تسعين وثلاثمائة وليس له عقب. ومنهم أبو جعفر يحيى بن زهير بن هارون بن موسى وهو العديم، إليه ينسبون. وقد ذكرنا أنهم لا يعرفون لم سموا ذلك؟ ومنهم: ولده القاضي أبو الحسن أحمد بن يحيى بن زهير، وهو أول من ولي القضاء بمدينة حلب من هذا البيت، وقد سمع الحديث ورواه، وقرأ الفقه على القاضي أبي جعفر محمد بن أحمد السمعاني، وكان السمعاني إذ ذاك قاضي حلب. أنشدني كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة، أنشدني والدي لجد أبيه القاضي هبة الله بن أحمد بن يحيى يذكر أبا ب ويقتخر به:

أنا ابن مستنبت القضايا
وابن المحازيب لم تعطل
ومواضع المشكلات حلا
وفارس المنبر استكانت

توفي بعد سنة تسع وعشرين وأربعمائة. ومنهم ابنه القاضي أبو الفضل هبة الله بن أحمد، كان كبير القدر جميل الأمر، مبعلاً عند آل مرداس، له شعر جزل فصيح ذو معان دقاق، يترفع قدره عنه، وإنما يقول ببلاغته وبراعته. سمع الحديث من أبيه، ولعله لقي أبا العلاء المعري وقرأ عليه شيئاً، وولي القضاء بحلب وأعمالها في سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة وبقي على ذلك إلى أن مات، وكانت ولايته للقضاء في أوائل دولة شرف الدولة أبي المكارم مسلم بن قريش بعد وفاة حميه القاضي كسرى بن عبد الكريم بن كسرى، وكتب تقليده من بغداد عن المقتدي بالله. ومن شعره:

لي بالغيور لبانات ظفرت بها
وبالثنية بدر لاح في غصن
أصمى فؤادي لها سهم من الملق
وما يقام عليها واجب السرقة
وإن تخلص لم يفلت من العقق
ولا بقاء الليل قلنا غرة الفلق
لا يستبين لها جفن من الغرق
ولم تصنه لتوديع ومفترق

وله:

ربع لهند باللوى مصروم
أخفاه إلحاح البلى فضلت في
تضياف طرفي فيه دمع ساجم
هل عاذر في الربع رائني عيسهم
وهوى تبعده الليالي والنوى
يا صاحبي خذا المطايا وحدها
أمضين أحكام الهوى وأعنه

وله:

وما عسى يطلب الرجال من رجل
كالبارد العذب يوم الورد من ظمأ
همومه في جسيمات الأمور فما
ألذ من ثروة تأتي بإذلال
وما بضر امرأ أثرت مناقبه

وقال أيضاً يمدح أبا الفضائل سابق بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس صاحب حلب ويشكره، إذ لم يسمع فيه قول حساد وشوا به إليه:

خلها إن ظمئت تشكو الأواما
واجعل السرج إذا ما سغبت
لا تقلها الأين إن طال وداما
أو تراها كالحنايا بالسرى

قصرت ظهراً ووسغاً وعسيباً
تنصب الأذنين حتى خيلت
وإذا ما بارت الريح اغتدت
كم مقامي بين أحكام العدى
أكلة الطاعم لا يرهب إنما
تعتلي رأسه أذنا به
والأم الحظ لا ينصفني
أتمنى راحة تنقذني

ومنها:

كم رموني عامداً في هوة
قاصدي حقيقي فكانت بك لي
وله في المعنى من قصيدة:

هنتت يا أرض العواجم دولة
قد عاد في الأيام ماء شبابها
أشكو إليك عصابة نبذوا الحيا
راموا ابتزازي مورثي عن أسرتي
يتطلبون لي الذنوب كأنني
لم أخش قهرهم ونصلك وصلت

وله:

وما الذل إلا أن تبیت مؤملاً
أخشى أمراً أو أشتكي منه جفوة
إذا ما رأي طالباً منه حاجة

مثل ما طالت عناءاً وحزماً
بهما تبصر ما كان أماما
خلفها النكباء حسرى والنعامى
أتبع القائد لا أعصى الزماما
أو أسير المن إن كف احتشاما
فترى الأرجل تعلق فيه هاما
من زمان جار في قصدي إلماً؟
منهم عزت ولو كانت لماما

نارها تعلق اشتعالاً واضطراما
نار إبراهيم برداً وسلاما

روى ثراك بها أشم أروع
وتسالمت حرق الأسى والأضلع
حسداً وشدوا في أذاي وأضعوا
وتأزروا في قبضه وتجمعوا
ممن عليه بالشنان يقعقع
دونى ولي من حسن رأيك مرجع

وقد سهرت عيناك وسانن هاجعا
إذا كنت بالميسور في الدهر قانعا؟
ففي حرج إن لم يكن لي مانعا

وكان المنجمون قد حكموا له أنه يموت في صدور الرجال فاتفق أنه اعتقل بالقلعة. مدةً لتهمة اتهم بها بالممالة لبعض الملوك، ثم أطلق بعد مدة فنزل ركباً وأصحابه حوله، فبينما هو سائر إذ وجد ألماً فقال لأصحابه: أمسكوني أمسكوني، فأخذوه في صدورهم من على فرسه، فلما وصل إلى منزله بقي على صدورهم إلى أن مات بحلب في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة. ومنهم ولده القاضي أبو غانم محمد بن القاضي أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي الحسن أحمد، وكان فقيهاً فاضلاً زاهداً عفيفاً، سمع أباه وغيره، وولي قضاء حلب وأعمالها وخطابتها بعد موت أبيه في أيام تاج الدولة ديبس في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، ولم يزل قاضياً بها إلى أن عزله رضوان لما خطب للمصريين، وولي القضاء القاضي الزوزني العجمي في شوال من سنة تسعين وأربعمائة. ثم عاود الملك رضوان الخطبة لبني العباس، فأعاد القاضي أبا غانم إلى ولايته وجاءه التقليد من بغداد بالقضاء والحسبة عن القاضي علي بن الدامغاني بأمر المستظهر في صفر سنة ست وتسعين وأربعمائة.

وكان مولد القاضي أبي غانم في رجب سنة ست وأربعين وأربعمائة، وهو الذي شرع في عمارة المسجد الذي بحلب يعرف ببني العديم، وأتمه ابنه القاضي أبو الفضل عبد الله، وكان يتولى الخطابة في المسجد الجامع والإمامة بحب، وكان حنفي المذهب وكان يؤم بالناس ثلاثين سنة، وهو متكفف تحت ثيابه، ويسبل أكماله فارغة خوفاً من الولاة في أيامه لأنهم كانوا إسماعيليين يرون رأي المصريين، وكانوا يفطرون قبل العيد بيوم ويجتمع أكابر حلب في يوم عيدهم يهنئونهم، فصعد القاضي أبو غانم للهناء فيمن صعد، وقدم للناس سكر ولوز وأخذ القاضي أبو غانم لوزة ووضعها في فيه، فقال له صاحب حلب: أيها القاضي، لم لا تأكل من السكر؟ فقال: لأنه يذوب وتبسم، فضحك الوالي وأعفاه من ذلك. حدثني كمال الدين قال: حدثني عمي حدثني أبي قال: نزل جدك القاضي أبو غانم في بعض الأيام يصلي بالجامع وخلع نعليه قرب المنبر وكانا جديدين، فلما قضى صلاته قام للبسهما فوجد نعله العتيق مكانهما فقال لغلامه: ألم أنزل إلى الجامع بالمداس الجديد؟ فأين هو؟ فقال الغلام: بلى ولكن جاءنا الساعة رجل وطرق الباب وقال: القاضي يقول لكم: أنفدوا إليه مداسه العتيق إلى الجامع، فقد سرق مداسه الجديد فضحك وقال: هذا والله لص شفيق جزاه الله خيراً وهو في حل منه. والقاضي أبو غانم هذا هو الذي نهض من حلب في سنة ثمان عشرة وخمسائة، وقد حصرها الفرنج وديبس بعد قتل بك على منبج، حتى أقدم البرسقي من الموصل فاستنفذها من الحصار، وهربوا

لما سمعوا بقدمه. وكان أهل حلب لقوا شدة وأكلوا الميتة ولم يكن عندهم أمير، وإنما تولوا حفظ البلد بأنفسهم، وأبلوا بلاء حسناً حسنت به العاقبة ومنهم ابنه القاضي أبو الفضل هبة الله سمي باسم جده وكني بكنيته، واكن فقيهاً مرضياً ورعاً زاهداً سمع الحديث ورواه، وولي القضاء بحلب وأعمالها بعد موت أبيه القاضي أبي غانم، وكتب له عهده من أتابك زنكي بن أفسنقر في سنة أربع وثلاثين وخمسائة، ثم جاء له العهد من بغداد من قاضي القضاة الزينبي بأمر المقتفي. وكان مولده في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمائة.

فلما قتل أتابك زنكي وولي ابنه نور الدين، وولي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوني قضاء الشام - ورزق البسطة والتحكم في الدولة، وقاوم الوزراء بل الملوك - التمس من القاضي أبي الفضل هذا أن يكتب في كتب سجلاته ذكر النيابة عنه، فامتنع القاضي أبو الفضل ولج ابن الشهرزوني وساعده مجد الدين بن الداية، وهو والي حلب لشيء كان في نفسه على القاضي أبي الفضل لأمر كان يخالفه فيها في أفضية يؤثر فيها جانب الحق على أغراضه، وترددت المراسلات بين نور الدين وبينه في قبول النيابة وهو يأبى إلى أن قال ابن الداية: هذا تحكم منه في الدولة وفيك، إذ تأمره بشيء ولا يمتثل فاعزله، وول محيي الدين بن كمال الدين: فقال نور الدين - بياض في الأصل - يستتاب له قاض حنفي فعزل القاضي أبو الفضل وولى محي الدين قضاء حلب، واستتب له الكوردي وذلك في سنة سبع وخمسين وخمسائة وحج في تلك السنة.

وكتب أبو الحسين أحمد بن منير الطرابلسي للقاضي أبي الفضل هبة الله يلتمس منه كتاب للوساطة بين المتبني وخصومه للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، وكان قد وعده بها ودافعه:

يا حانزاً غاي كل فضل
ومن ترقى إلى محل
إلى متى أسعط التني
ولا ترى المن بالوساطة

ومات القاضي أبو الفضل لعشر بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وستين وخمسائة. ومنهم ابن أخته أبو المكارم محمد بن عبد الملك بن أحمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن أبي جرادة، سمع بحلب ورحل إلى بغداد وسمع بها محمد بن ناصر السلامي وغيره وحدثن كمال الدين أبيه الله قال: قال لي شيخنا أبو اليمز زيد الكندي: كان أبو المكارم محمد بن عبد الملك بن أبي جرادة سمع ببغداد الحديث معنا على مشايخنا فسمعت بقرائه وورد إلينا إلى دمشق بعد ذلك، وكنا نلقبه: القاضي بسعادتك، وذلك أن القلانسي دعاه في وليمة وكنت حاضرهما، فجعل لا يسأله عن شيء فيخبر عنه بما سر أو ساء إلا وقال في عقبه بسعادتك، فإن قال له: ما فعل فلان؟ قال: مات بسعادتك، وإن قال له: ما خبر الدار الفلانية؟ يقول: خربت بسعادتك، فسميناه القاضي بسعادتك، وكان يقولها لا اعتياده إياها لا لجهل كان فيه. وكان له أدب وفضل وفقه وشعر جيد، وقد روى الحديث. ولأبي المكارم شعر منه:

لئن تناءيتم عني ولم تترك
لم أخل منكم ولم أسعد بقر بكم
عيني فأنتم بقلبي بعد سكان
فهل سمعتم بوصل فيه هجران؟

وله أشعار كثيرة، ومات بحلب في سنة خمس وستين وخمسائة، أو سنة ست وستين. ومنهم جمال الدين أبو غانم محمد بن القاضي أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي غانم محمد بن القاضي أبي الفضل هبة الله بن الحسين يحيى وهو عم جمال الدين، أحد الأولياء العباد، وأرباب الرياضة والاجتهاد، عامل كثير الصوم والصلاة وهو حي يرزق إلى وقتنا هذا. وكان قد تولى الخطابة بجامع حلب، وعرض عليه القضاء في أيام الملك الصالح إسماعيل بن محمود بن زنكي بعد القاضي ابن الشهرزوري فامتنع منه، فقلد القضاء أخوه القاضي أبو الحسن والد كمال الدين أبيه الله، وكتب جمال الدين هذا بخطه الكثير وشغف بتصانيف أبي عبد الله محمد بن علي بن الحكيم الترمذي فجمع معظم تصانيفه عنده وكتب بعضها بخطه، وكتب من كتب الزهد والرفائق والمصاحف كثيراً، وكان خطه في صباه على طريقة ابن البواب القديمة، ووهب لأهله مصاحف كثيرة بخطه، وكان إذا اعتكف في شهر رمضان كتب مصحفاً أو مصحفين، وجمع بראيات الأقلام فيكتب بها تعاويذ للحمى وعسر الولادة فيعرف بركتها. قال: وسألت عمي عن مولده فقال: في سنة أربعين وخمسائة، وقد سمع أباه وعمه أبا المجد عبد الله وغيرهما، وروى الحديث وفقهه على العلاء الغزنوي، واجتمع بجماعة من الأولياء، وكوشف بأشياء مشهورة، وهو الآن يحيا في محرم سنة عشرين وستمائة. ومنهم القاضي أبو الحسن أحمد بن القاضي أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي غانم محمد بن أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي الحسن أحمد بن أبي جرادة، كل هؤلاء ولوا قضاء حلب، وهذا هو والد كمال الدين صاحب أصل هذه الترجمة، كان يخطب بالقلعة بحلب على أيام نور الدين محمود بن زنكي، ثم ولي الخزنة في أيام ولده الملك الصالح إسماعيل إلى أن عرض القضاء على أخيه كما ذكرنا، فامتنع منه فقلده القاضي هذا بحلب وأعمالها في سنة خمس وسبعين وخمسائة، ولم يزل والياً للقضاء في أيام الملك الصالح ومن بعده في دولة عز الدين، ثم عماد الدين بن قطب الدين مودود بن زنكي، وصدرأ من دولة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى أن عزل عن منزلي الخطابة والقضاء ونقل إلى مذهب

الشافعي، وكان عزله عن القضاء في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، ووليه القاضي محيي الدين محمد بن علي الزكي قاضي دمشق الشافعي، وكان صرف أخوه الأصغر أبو المعالي عبد الصمد عن الخطابة قبله، فعلم أن الأمر يؤول إلى عزله عن القضاء لأن الدولة شافعية، فاستأذن في الحج والإعفاء من القضاء فصرف عن ذلك بعد مراجعات. وسمع الحديث من أبيه وأبي المظفر سعيد بن سهل الفلكي وغيرهما، ومولده سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، ومات رحمه الله ليلة الجمعة لسبعة وعشرين من شعبان سنة ثلاث عشرة وستمائة، هذا ما كتبه من الكتاب الذي ذكرته آنفاً على سبيل الاختصار والإيجاز، وهو قليل من كثير من فضائلهم. وأنا الآن أذكر من أنا بصده وهو كمال الدين أبو القاسم عمر بن القاضي أبي الحسن أحمد بن القاضي أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي غانم محمد بن القاضي أبي سعيد هبة الله بن القاضي أبي الحسن أحمد بن أبي جرادة - وهو الذي نحن بصده وإلى معرفة حاله ركبنا سنن المقال وجدده، فإنه من شروط هذا الكتاب، لكتابته التي فاقت ابن هلال، وبلغت الغاية في الجودة والإتقان، ولتصانيفه في الأدب التي تذكر آنفاً إن شاء الله تعالى.

فأما أوصافه بالفضل فكثيرة، وسماته بحسن الأثر أثيرة، وإذا كان هذا الكتاب لا يتسع لأوصافه جميعاً، وكان الوقت يذهب بحلاوة ذكر محاسنه سريعاً، ورأيت من المشقة والإتعاب التصدي لجميع فضائله والاستيعاب، فاعتمدت على القول مجملًا لا مفصلاً، وضربة لا موباً فأقول: إن الله عز وجل عني بخلقته، فأحسن خلقه وعقله وذنه وذكاه، وجعل همته في العلوم ومعالي الأمور، فقرأ الأدب وأتقنه، ثم درس الفقه فأحسنه، ونظم القريض فجوده، وأنشأ النثر فزينه، وقرأ حديث الرسول وعرف علله ورجاله، وتأويله وفروعه وأصوله، وهو مع ذلك قلق البنان جواد بما تحوي اليدان، وهو كاسمه كمال في كل فضيلة، لم يعتن بشيء إلا وكان فيه بارزاً، ولا تعاطى أمراً إلا وجاء فيه مبرزاً، مشهور ذلك عنه لا يخالف فيه صديق، ولا يستطيع دفاعه عدو. وأما قراءته للحديث في سرعته وصحة إبراده، وطيب صوته وفصاحته، فهو الغاية التي أقر له بها كل من سمعها، فإنه يقرأ الخط العقد كأنه يقرأ من حفظه. وأما خطه في التجويد والتحرير والضبط والتقييد فسواد مقلة لأبي عبد الله بن مقلة، وبدر ذو كمال عند علي بن هلال:

خلال الفضل في الأمجاد فوضى ولكن الكمال لها كمال

وإذا كان التمام من خصائص عالم الغيب، وكان الإنسان لا بد له من عيب، فعليه لطالب العنت والشين، أنه يخاف عليه من إصابته العين، هذا مع العفاف والزمت، والوقار وحسن السمات، والجلال المشهور، عند الخاص والجمهور، قاد الجيوش لسبع عشرة حجة ولداته عن ذاك في إشغال سألته - أدام الله علوه - عن مولده فقال لي: ولدت في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة. قال: فلما بلغت سبعة أعوام حملت إلى المكتب فأقعدت بين يدي المعلم فأخذ يمثل لي كما يمثل للأطفال، وبمد خطاً ويرتب عليه ثلاث سينات، فأخذت القلم وكنت قد رأيته وقد كتب بسم، ومد مدته ففعلت كما فعل، وجاء ما كتبه قريباً من خطه، فتعجب المعلم وقال لمن حوله: لئن عاش هذا الطفل لا يكون في العالم أكتب منه. وصحت لعمري فراسة المعلم فيه، فهو أكتب من كل من تقدمه بعد ابن البواب بلا شك.

وقال: وختمت القرآن، ولي تسع سنين، وقرأت بالعشر ولي عشر سنين، وحبب إلى الخط وجعل والدي يحضني عليه، فحدثني الشيخ يوسف بن علي بن زيد الزهري المغربي الأديب معلم والده بحضرة كمال الدين قال: حدثني والد هذا - وأشار إليه - قال: ولد لي عدة بنات وكبرن ولم يولد لي ولد غير ولد واحد ذكر، وكان غاية في الحسن والجمال والفتنة والذكاء، وحفظ القرآن قدراً صالحاً وعمره خمس سنين، واتفق أن كنت يوماً جالساً في غرفة لنا مشرفة على الطريق فمرت بنا جنازة فاطم ذلك الطفل ببصره نحوها ثم رفع رأسه إلي وقال: يا أبت إذا أنا مت بم تغشي تابوتي؟ فزجرته وأدركني في الوقت استشعار شديد عليه، فلم يمض إلا أيام حتى مرض ودرج إلى رحمة الله ولحق بربه، فأصابني عليه ما لم يصب والداً على ولد، وامتنعت من الطعام والشراب، وجلست في بيت مظلم وتصبرت فلم أعط عليه صبراً، فحملني شدة الوله على قصد قبره وتوليت حفرة بنفسي، وأردت استخراجها والتنشفي برؤيته، فلمشيئة الله ولطفه بالطفل أو بي لنلا أرى به ما أكره صادفت حجراً ضخماً، وعالجته فامتنع علي قلعه مع قوة وأيد كنت معروفاً بهما، فلما رأيت امتناع الحجر علي علمت أنه شفقة من الله على الطفل أو علي، فزجرت نفسي ورجعت ولهان بعد أن أعدت قبره إلى حاله التي كان عليها، فرأيت بعد ذلك في النوم ذلك الطفل وهو يقول: يا أباه عرف والدتي: أني أريد أجيء إليكم فانتبهت مرعوباً، وعرفت والدته ذلك فبكينا وترحمنا واسترجعنا، ثم إنني رأيت في النوم كأن نوراً خرج من ذكري حتى أشرف على جميع دورنا ومحلنا وعلا علواً كبيراً، فانتبهت وأولت ذلك فقيل لي: أبشر بمولود يعلو قدره، ويعظم أمره، ويشيع بين الأنام ذكره بمقدار ما رأيت من ذلك النور، فابتهلت إلى الله عز وجل ودعوته وشكرته، وقويت نفسي بعد الإياس لأنني كنت قد جاوزت الأربعين، فلم تمض إلا هنيهة حتى اشتملت والدتي ولدي هذا وأشار إلى كمال الدين - أيده الله - على حمل، وجاءت به في التاريخ المقدم ذكره، فلم يكن بقلبي بحلاوة ذلك الأول، لأنه كان نحيفاً جداً، فجعل كلما كبر نبل جسمًا وقدراً، ودعوت عدة دعوات، وسألت الله له عدة سؤالات، ورأيت فيه والحمد لله أكثرها. ولقد قال له رجل يوماً بحضرتي كما يقول الناس: أراك الله قاضياً كما كان أباه. فقال: ما أريد له ذلك، ولكنني اشتبهته أن يكون مدرساً، فبلغه الله ذلك بعد موته، وسمع الحديث على جماعة من أهل حلب والواردين إليها، وأكثر السماع على الشيخ الشريف

افتخار الدين عبد المطلب الهاشمي. ورحل به أبوه إلى البيت المقدس مرتين في سنة ثلاث وستمائة، وفي سنة ثمان وستمائة، ولقي بها مشايخ وبدمشق أيضاً، وقرأ على تاج الدين أبي اليمين في النوبتين كثيراً من مسموعاته. حدثني كمال الدين - أدام الله معاليه - قال: قال لي والدي: احفظ اللمع حتى أعطيك كذا وكذا، فحفظته وقرأته على شيخ حلب يومئذ، وهو الضياء بن دهن الحصا، ثم قال لي: احفظ القدوري حتى أهب لك كذا وكذا من الدراهم كثيرة أيضاً، فحفظته في مدة يسيرة وأنا في خلال ذلك أجود، وكان والدي رحمه الله يحرضني على ذلك، ويتولى صقل الكاغد لي بنفسه، فإني لأذكر مرة وقد خرجنا إلى ضيعة لنا فأمرني بالتجويد. فقلت: ليس ههنا كاغد جيد، فأخذ بنفسه كاغداً كان معنا ردياً، وتناول شربة اسفيدر وكانت معنا، فجعل يصقل بها الكاغد بيده ويقول لي: اكتب ولم يكن خطه بالجيد، وإنما كان يعرف أصول الخط، فكان يقول لي: هذا جيد وهذا رديء، وكان عنده خط ابن البواب، فكان يريني أصوله إلى أن أتقنت منه ما أردت، ولم أكتب على أحد مشهور إلا أن تاج الدين محمد بن أحمد بن البرفطي البغدادي، ورد إلينا إلى حلب فكتبت عليه أياماً قلائل لم يحصل منه فيها طائل: ثم إن الوالد رحمه الله خطب لي وزوجني يقوم من أعيان حلب وساق إليهم ما جرت العادة بتقدمته في مثل ذلك، ثم جرى بيننا وبينهم ما كرهته وضيق صدري منهم، فوهب لهم الوالد جميع ما كان ساقه إليهم وطلقتهم، ثم إنه وصلني بابنة الشيخ الأجل بهاء الدين أبي القاسم عبد المجيد بن الحسن بن عبد الله المعروف بابن العجمي وهو شيخ أصحاب الشافعي، وأعظم أهل حلب منزلة وقدرًا ومالاً وحالاً وجاهاً. وساق إليهم المهر وبالغ في الإحسان، وكان والدي رحمه الله باراً بي، لم يكن يلتذ بشيء من الدنيا التذاه بالنظر في مصالحه وكان يقول: أشتي أرى لك ولداً ذكراً يمشي فولد أحمد ولدي ورأه، وبقي إلى أن كبر ومرض مرضة الموت، فيوم مات مشى الطفل حتى وقع في صدره، ثم مات والدي رحمه الله في الوقت الذي تقدم ذكره، وكان الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب رحمه الله كثير الإكرام لي، وما حضرت مجلسه قط فأقبل علي أحد إقباله علي مع صغر السن، واتفق أن مرضت في شهور سنة ثمان عشرة وستمائة مرضاً أس مني فيه، فكان يخطر ببالي وأنا مريض أن الله تعالى لا بد وأن يمن بالعافية لتفتي بصحة رؤيا الوالد وكنت أقول: ما بلغت بعد مبلغاً يكون تفسيراً لتلك الرؤيا إلى أن من الله بالعافية وله الحمد والمنة، فذهب عني ذلك الخيال، وليس يخطر منه في هذا الوقت ببالي شيء، لأن نعم الله علي سابغة، وأيديه في حقي شائعة. قلت: ولما مات والده بقي بعده مدة، ومات مدرس مدرسة شادبخت، وهي من أجل مدارس حلب وأعيانها، فولّي التدريس بها في ذي الحجة سنة ست عشرة وستمائة، وعمره يومئذ ثمان وعشرون سنة. هذا، وحلب أعمر ما كانت بالعلماء والمشايخ والفضلاء الواسخ، إلا أنه رئي أهلاً لذلك دون غيره، وتصدر وألقى الدرس بجنان قوى ولسان لودعي فأبهر العالم، وأعجب الناس.

وصنف مع هذا السن كتباً منها: كتاب الدراري في ذكر الذراري جمعه للملك الظاهر، وقدمه إليه يوم ولد ولده الملك العزيز الذي هو اليوم سلطان حلب. كتاب ضوء الصباح في الحث على السماح صنفه للملك الأشرف، - وكان قد سير من حران يطلبه، فإنه لما وقف على خطه انتهى أن يراه، فقدم عليه فأحسن إليه وأكرمه، وخلع عليه وشرفه. - كتاب الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة -، وأنا سألته جمعه فجمعه لي، وكتبه في نحو أسبوع وهو عشر كراريس. - كتاب في الخط وعلومه، ووصف أدابه وأقلامه وطروسه، وما جاء فيه من الحديث والحكم، وهو إلى وقتي هذا لم يتم. كتاب تاريخ حلب في أخبار ملوكها وابتداء عمارتها ومن كان بها من العلماء، ومن دخلها من أهل الحديث والرواية والدراسة، والملوك والأمراء والكتّاب. وشاع ذكره في البلاد، وعرف خطه بين الحاضر والباد، فتهاذاه الملوك، وجعل مع اللآلئ في السلوك، وضربت به في حياته الأمثال، وجعل للناس في زمانه حذواً ومثالاً، فمما رغب في خطه أنه اشترى وجهة واحدة بخط ابن البواب بأربعين درهماً، ونقلها إلى ورقة عتيقة ووهبها من حي در الكتبي، فذهب بها وادعى أنها بخط ابن البواب وباعها بستين درهماً زيادة على التي بخط ابن البواب بعشرين درهماً، ونسخ لي هذه الرقعة بخطه فدفع فيها كتاب الوقت على أنها بخطه ديناراً مصرياً ولم يطب قلبي ببيعها، وكتب لي أيضاً جزءاً فيه ثلاث عشرة قائمه نقلها من خط ابن البواب فأعطيت فيها أربعين درهماً ناصرية، قيمتها أربعة دنائير ذهباً فلم أفعل، وأنا أعرف أن ابن البواب لم يكن خطه في أيامه بهذا النفاق، ولا بلغ هذا المقدار من الثمن، وقد ذكرت ما يدل على ذلك في ترجمة ابن البواب. فممن كتب إليه يسترفده شيئاً من خطه سعد الدين منوچهر الموصلّي، ولقد سمعته مراراً يزعم أنه أكتب من ابن البواب، ويدعي أنه لا يقوم له أحد في الكتابة ويقر لهذا - كمال الدين - بالكمال، فوجه إليه على لسان القاضي أبي علي القليوبي وهو المشهور بصحبة السلطان الأشرف يسأله سؤاله في سئى من خطه ولو قائمة أو وجهة، وكان اعتماده على أن ينقل له الموجهة المقدم ذكرها، وممن كتب إليه يسترفده خطه أمين الدين ياقوت المعروف بالعالم، وهو صهر أمين الدين ياقوت الكاتب الذي يضرب به المثل في جودة الخط، وتخرج به ألوف وتتلمذ له من لا يحصى. كتب إلى كمال الدين رقعة وحموه حي يرزق نسختها: الذي حض الخادم على عمل هذه الأبيات وإن لم يكن من أرباب الصناعات: أن الصدر الكبير الفاضل عز الدين حرس الله مجده، لما وصل إلى الموصل خلد الله ملكاً مالكة، نشر من فضائل المجلس العالي العالمي الفاضلي كمال الدين كمل الله سعادته كما كمل الله سيادته، وبلغه في الدارين مناه وإرادته: ما يعجز البليغ عن فهمه فضلاً عن أن يورده، لكن فضائل المجلس كانت تملئ على لسانه وتشغله، فطرب الخادم من استنشاق رباها. واشتاق إلى رؤية حاويها عند اجتلاء محياها، فسمح عند ذلك خاطر مع تبلده بأبيات تخبر المجلس محبة الخادم له وتعبده وهي:

حيا نذاك كمال الدين أحيانا
وحسن أخلاقك اللاني خصصت بها
حويت يا عمر المحمود سيرته
إن كان نجل هلال في صناعته
فأنت مولاي إنسان الزمان وقد
قد بث فضلك عز الدين مقتصداً
فضاع نشرك في الحدياء واشتهرت
أثني عليك وآمالي معلقة
وإن تطلعت في صدق الوداد ولم
فما ألام على شيء أتيت به
يا أفضل الناس في علم وفي أدب
قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها

وقد هجم الكلام على المجلس الأعلى بوجه وقاح، ولم يخش مع عفو المولى وصمة الافتضاح. فليلق عليه المولى ستر المعروف، فهو أليق بكرمه المألوف، والسلام. فكتب إليه كمال الدين بخطه الدري، ولفظه السحري، أنشدنيها لنفسه:

ومن جعلت له أحشاي أوطانا
والفضل للمبتدي بالفضل إحسانا
كشارب ظل بالصهباء نشوانا!
من اللاغة والترصيع ألوانا
بأحرف حسنت، روضاً وبستانا
إذ أصبحت وهي تكسو الحسن حسانا
بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
يحكي أباه بما عاناه نقصانا
عبداً يجر من التقصير أردانا
فغادرته صحيحاً خير ما كانا
وهي الصبا حملت روحاً وريحانا؟
فربما زار أحياناً وأحيانا
وشى الطروس بمنظوم ومن زانا
حلت بربك يا أعلى الورى شاننا

وأنشدني كمال الدين أدام الله علاءه لنفسه في الغزل فاعتمد فيه معنى غريباً:

وفي وجنتيه للمدامة عاصر
رحيقاً وقد مرت عليه الأعاصر
فيهتز تيهاً والعيون فواتر
إذا هم رفعاً خالفته المحاجر
وقد غارت الجوزاء والليل ساتر
إلى أن بدا ضوء من الصبح سافر
وقمت ولم تحلل لإثم مآزر
عفيفاً ووصل لم تشنه الجرائر

وأنشدني لنفسه بمنزله بلبل في ذي الحجة سنة تسع عشرة وستمئة وإملائه:

وأهيف معسول المرافف خلته
يسيل إلى فيه اللذيذ مدامة
فيسكر منه عند ذاك قوامه
كان أمير النوم يهوى جفونه
خلوت به من بعد ما نام أهله
فوسدته كفي وبات معانقي
فقام بجر البرد منه على تقى
كذلك أحلى الحب ما كان فرجه

وساحرة الأجفان معسولة اللمي
حننت لي قوسي حاجبها وفوقت
فوا عجباً من ريقها وهو طاهر
فإن كان خمراً أين للخمر لونه
لها منزل في ربع قلبي محله
جرى حبها مجرى حياتي فخالطت
تقول: إلى كم ترتضي العيش أنكداً
سر في بلاد الله واطلب الغنى
فقلت لها: إن الذي خلق الوري
وما ضرني أن كنت رب فضائل
إذا عدمت كفاي مالاً وثروةً
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي

لا يظنن الناظر في هذه الأبيات أن قائلها فقير وقير فإن الأمر بعكس ذلك، لأنه - والله يحوطه - رب ضياع واسعة وأملاك
جمّة، ونعمة كبيرة، وعبيد كثيرة، وإماء وخيل ودواب، وملابس فاخرة وثياب. ومن ذلك: أنه بعد موت أبيه اشترى داراً كانت
لأجداده قديماً بثلاثين ألف درهم، ولكن نفسه واسعة، وهمته عالية، والرغبات في الدنيا بالنسبة إلى الراغبين، والشهوة لها على
قدر الطالبين. وأنشدني لنفسه بمنزله في التاريخ:

سألزم نفسي الصفح عن كل من جنى
وأجعل مالي دون عرضي وقاية
وأسلك آثار الألى اكتسبوا العلا
أولئك قومي المنعمون ذوو النهى
إذا ما دعوا عند النوائب إن دجت
وإن جلسوا في مجلس الحكم خلتهم
وإن هم ترقوا منبراً لخطابة
وإن أخذوا أقلامهم لكتابة
بأقوالهم قد أوضح الدر واغتنى
دعاؤهم يجلو الشدائد إن عرت
وقائلة يا ابن العديم إلى متى
فقلت لها: عني إليك فإنني
أبى اللؤم لي أصل كريم وأسرة

وأنشدني لنفسه وقد رأى في عارضه شعرة بيضاء وعمره إحدى وثلاثون سنة:

أليس بياض الأفق في الليل مؤذناً
كذلك سواد النبات يقرب ببسه

ودخلت إلى كمال الدين المذكور يوماً فقال لي: ألا ترى، أنا في السنة الحادية والثلاثين من عمري، وقد وجدت في لحيتي
شعرات بيضاء فقلت أنا فيه:

هنيئاً كمال الدين فضلاً حبيته
لداتك في شغل بداعية الصبا
بلغت لعشر من سنينك رتبة
ولما اتاك الحكم والفهم ناشئاً

مراسفها تهدي الشفاء من الظما
إلى كبدي من مقلة العين أسهما
حلال وقد أضحي علي محرماً!
ولذته مع أنني لم أذقهما؟
مصون به مذ أوطنته لها حمى
محبتها روحي ولحمي والدماء
وتقنع أن تضحي صحيحاً مسلماً؟
تقر منجداً إن شئت أو شئت متهما
تكفل لي بالرزق منا وأنعما
وعلم عزيز النفس حراً معظماً
وقد صنت نفسي أن أذل وأحرما
لأخدم من لاقيت لكن لأخدما

علي وأعفو حسبة وتكرما
ولو لم يغادر ذاك عندي درهما
وحازوا خلال الخير ممن تقدما
بنو عامر فاسأل بهم كي تعلموا
أناروا بكشف الخطب ما كان أظلاما
بدور ظلام والخلائق أنجما
فأفصح من يوماً بوعظ تكلموا
فأحسن من وشى الطروس ونمما
بأحكامهم علم الشريعة محكما
وينزل قطر الماء من أفق السما
نجدد بما تحوي ستصبح معدما؟
رأيت خيار الناس من كان منعما
عقيلية سنوا الندى والتكرما

وأنشدني لنفسه وقد رأى في عارضه شعرة بيضاء وعمره إحدى وثلاثون سنة:

بآخر عمر الليل إذ هو أسفرا؟
إذا ما بدا وسط الرياض منوراً

وأنشدني لنفسه وقد رأى في عارضه شعرة بيضاء وعمره إحدى وثلاثون سنة:

ونعماء لم يخصص بها أحد قبل
وأنت بتحصيل المعالي لك الشغل
من المجد لا يستطيعها الكامل الكهل
أشباك طفلاً كي يتم لك الفضل

عمر بن ثابت

أبو القاسم الثمانيني النحوي الضرير. إمام فاضل، وأديب كامل، أخذ عن أبي الفتح بن جني، وكان خواص الناس في ذلك الوقت يقرؤون على أبي القاسم عند الواحد بن برهان الأسدي، وعمومهم يقرؤون على الثمانيني. مات الثمانيني في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة في خلافة القائم بأمر الله، وهو منسوب إلى سوق ثمانين بليد صغير بأرض جزيرة ابن عمر بأرض الموصل من ناحية قردى. يقال: إنها أول مدينة بنيت بعد الطوفان وسميت بذلك، لأنهم زعموا أن الذين نجوا من السفينة كانوا ثمانين آدمياً.

وله من التصانيف: كتاب شرح اللمع، كتاب المفيد في النحو، كتاب شرح التصريف الملوكي. وجدت في بعض الكتب: أن أول قرية بنيت بعد الطوفان ثمانين، وإنما سميت بهذا الاسم، لأن ثمانين نفرأ خرجوا من السفينة وبنوها، ولما خرجوا من السفينة نزلوا قردى وبازيدى بأرض الموصل وهي قرية الثمانين ثم وقع فيهم الوباء فماتوا إلا نوحاً وسام بن نوح وحاماً ويافتاً ونساءهم وطبقت الدنيا منهم، فذلك قوله عز وجل: (وجعلنا ذريته هم الباقين).

عمر بن جعفر بن محمد الزعفراني

أبو القاسم يلقب دومي، أحد أعيان أهل الأدب المخصصين بمعرفة علم الشعر من القوافي والعروض وغير ذلك، ذكره محمد بن إسحاق النديم وكان في عصره، وله: كتاب العروض في خمس مجلدات ضخمة، رأيتها بخطه في وقف جامع حلب، وله كتاب القوافي، وكتاب اللغات - ذكرهما ابن النديم -.

عمر بن الحسين الخطاط غلام ابن خرنقا

كان كاتباً مليح الخط محظوظاً منه، وكان يكتب على طريقة علي بن هلال البواب ويجيد في ذلك، وخطه مشهور عند كتاب الأفاق معروف، مات فيما ذكره صدقة بن الحسين الحيار في حادي عشر جمادى الآخرة، سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة للهجرة، ودفن في داره بدرج الدواب، وكان له من آلة الكتابة ما لم يكن لأحد قبله، وذلك أنه حدثني محمد بن البرفطي الكاتب قال: حدثني أبو اليمان زيد بن الحسين الكندي: أنه بيع له في تركته آلة الكتابة بتسعمائة دينار أمامية، من جملة ذلك، دواة بأزهر اشتراها بعض ولد زعيم الدين بن جعفر صاحب المخزن بتسعمائة دينار، وبيع له بالباقي سكاكين وأقلام وبراكرو وما شاكل ذلك.

عمر بن شبة بن عبيدة بن ريطة البصري

أبو زيد مولى بني نمير، واسم شبة زيد، وإنما سمي شبة لأن أمه كانت ترقصه وتقول:

يا بأبي وشبا وعاش حتى دبا

شيخاً كبيراً خبا

مات لست بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين ومائتين للهجرة بسامراء، وبلغ من السن تسعين سنة، وكان أبو زيد راوية للأخبار عالماً بالآثار، أديباً فقيهاً صدوقاً قال المرزباني: وهو القائل للحسن بن مخلد:

ضاعت لديك حقوق واستهنت بها والحر يألم من هذا ويمتعض

إني سأشكر نعمي منك سالفه وإن تخونها من حادث عرض

وله:

أصبحت كلاً على أناس قد كنت عن مثلهم عزوفاً

قال محمد بن إسحاق: وله من التصانيف: كتاب الكوفة، كتاب البصرة، كتاب أمراء المدينة، كتاب أمراء مكة، كتاب السلطان، كتاب مقتل عثمان رضي الله عنه وأرضاه، كتاب الكتاب، كتاب الشعر والشعراء، كتاب الأغاني، كتاب التاريخ، كتاب أخبار المنصور، كتاب أخبار محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن، كتاب أشعار الشراة، كتاب النسب، كتاب أخبار بني نمير، كتاب ما يستعجم الناس فيه من القرآن، كتاب الاستعانة بالشعر وما جاء في اللغات، كتاب الاستعظام، كتاب النحو ومن كان يلحن من النحويين، كتاب طبقات الشعراء.

وكان لأبي زيد ابن اسمه أبو طاهر أحمد، وكان شاعراً مجيداً، اعتبط قبل أن يبلغ مبلغ المشهورين، مات بعد أبيه بعشر سنين. ومن شعر عمر بن شبة:

وقائلة لم يبق للناس سيد
ومن شعر ابنه أبي طاهر أحمد:

نظرت فلم أر في العسكر
غدا الناس للعيد في زينة
ويغدو عليهم بلا أهبة
فنقعد للشؤم في عزلة

فقلت: بلى عبد الرحيم بن جعفر

كشؤمي وشؤم أبي جعفر
من اليوم في منظر أزهـر
فراراً من المنزل المقفر
من الناس ننظر في دفتر

عمر بن عثمان بن الحسين بن شعيب الجنزي

أبو حفص، من أهل ثغر جنزة، ذكره عبد الكريم السمعاني فقال: هو أحد أئمة الأدب، وله باع طويل في الشعر والنحو، ورد بغداد وأقام بها مدة، وصحب الأئمة واقتبس منهم، وأكثر ما قرأ الأدب على أبي المظفر الأبيوردي ثم رجع إلى بلده وعاد ثانياً إلى بغداد، وذاكر الفضلاء بها وبالبصرة وخوزستان، وبرع في العلم حتى صار علامة زمانه، وأوحد عصره وأوانه، وكان غزير الفضل وافر العقل، حسن السيرة كثير العبادة، متودداً سخي النفس، صنف التصانيف وجمع الجموع، وشرع في إملاء تفسيره - لو تم لم يوجد مثله - سمع بهذان عبد الرحمن الدوني، كتبت عنه بمرور وأنشدني لنفسه:

أحادي عيسى إن بلغت مقامي
وخبرهم عما أعاني من الجوى
وقل لهم: إني متى ما ذكرتكم
وإن دموعي كلما لاح كوكب
وإن هب من أرض الحبيب نسيمه
وإن غردت وهنا حمامة أيقة

أبلغ صحابي لا عدمت سلامي
ومن لوعتي في هجرهم وسقامي
غصصت لذكراكم بكل طعام
ترقرق في خدي كصوب غمام
تقلقل أحشائي وهاج غرامي
أحنت بنوحي لحن كل حمام

وله:

قالت وخطتك شبيهة كالعين
قد قلت لها: أيا سواد العين

كم تذرف عينك ذروف العين؟
يزداد من الثلوج ماء العين؟

العين الأولى: الطليعة، ومات الجنزي في رابع عشر ربيع الآخر سنة خمسين وخمسائة للهجرة بمرور، وقد جاوز السبعين. وذكره أبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي في كتاب الوشاح فقال: هو إمام في النحو والأدب لا يشق فيهما غباره، ومع ذلك فقد تحلى بالورع ونزاهة النفس، لكن الزمان عانده، وما بسط في أسباب معاشه يده، جاس خلال الديار وقال: أدركت زمان الأشج، ورأيت مصلاه في طنجة المغرب، إلا أنني لم أمكث حتى أراه، وأدب بنيسابور أولاد الوزير فخر الملك، ثم ارتحل من نيسابور في شهور سنة خمس وأربعين وخمسائة للهجرة ثم لم يعد إليها، وقضى نحبه بعد انتقاله من نيسابور بأيام قلائل، وأنشد له قصيدة واحدة في مدح الإمام محمد بن حمويه منها:

ألم تذكر رابعاً بعسفان عامراً
يشعثن بالعناب ضغث بنفسج
كأن النوى لم تلق غير جوانحي
وتذري على الورد الجمان بنرجس
حكي خدما دمعي وقلبي قلبها
وإن بخلت عيني وضنت بمائها
وأبدع منه أن حر أضالعي
وشابهتها إذ عرضت في ثلاثة
وتصعد من صدري رياح بوارد

وبيضاً يودعن الأحبة خردا
ويضربن بالأسروع خدأ موردا
ومقتلي العبرى مراداً وموردا
حمته بنان تترك الصب مقصدا
وحاجبها قدي لما قد تأودا
إذا جاد قلبي بالدماء وأنجدا
ولوعاتها تغلى التراب المبردا
تزيد لها حسناً وتورثنا الردى
إذا أنا ذكرت اللوى متنهدا

قرأت بخط أبي سعد: أنشدنا أبو حفص عمر بن عثمان الجنزي لنفسه يعزي الكمال المستوفي بزوجه:

وكل جليل بالجليل يصاب
ويشغله عنه هوى وشباب

إذا جل قدر المرء جل مصاب
يروح الفتى في غفلة عن مآله

وأن الذي فوق التراب تراب
وأن بناء بيتنيه خراب
وماذيهما سم يضر وصاب
وسلسالها للأولياء سراب
حساب عليه والحرام عقاب
له مع أهل الخافقين خطاب
غداً لهما فيما أتته كتاب

فلم يتفكر أن من عاش ميت
وأن ثراءً يقتنيه مشئت
ونعمة ذي الدنيا بلاء ومحنة
وفرحتها عند الأكاييس ترحة
فلا يخذع المرء نعمى حلالها
وللدهر مستوف عليهم مناقش
على كل نفس مشرفان لربه

وهي طويلة.

عمر بن عثمان بن خطاب بن بشير التميمي

أبو حفص النحوي، مغربي، له كتاب الأمر والنهي، ويعرف بكتاب المكتفي.

عمر بن أبي محمد بن يوسف بن يعقوب

ابن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم بن القاضي. حدث أبو القاسم التتوخي قال: حدثني أبو الحسين بن عياش القاضي قال: لما قلد المقتدر أبا الحسين بن أبي عمر القاضي المدينة رياسة في حياة أبيه أبي عمر خلع عليه، واجتمع الخلق من الأشراف والقضاة والشهود والجند والتجار وغيرهم على باب الخليفة حتى خرج أبو الحسين وعليه الخلع، فساروا معه قال: وكنت فيهم - للصهر الذي كان بينه وبينهم، ولأنه كان أحد شهودهم - فصار عمي وأنا معه في أخريات الناس والموكب خوفاً من الزحام، ومعنا شيخ أسن أسماه أبو الحسين وأنسيته أنا، فكنا لا نجتاز بموضع إلا سمعنا ثلب الناس لأبي الحسين وتعجبهم من تقلده رياسة. فقال عمي للشيخ يا أبا فلان: أما ترى كثرة تعجب الناس من تقلد هذا الصبي مع فضله ونفاسته وعلمه وجلالة سلفه؟! فقال: يا أبا محمد، لا تعجب من هذا، فلعهدي وقد ركبت مع أبي عمر يوم خلع عليه بالحضرة وقد اجتزنا بالناس وهم معجبون من تقلده أضعاف هذا العجب حتى خفنا أن يثبوا علينا، وهذا أبو عمر الآن وقدره في الفضل والنبيل، ولكن الناس يسرعون إلى العجب مما لم يألفوه. وله من التصانيف: كتاب غريب الحديث كبير لم يتم، كتاب الفرخ بعد الشدة لطيف، وهو فيما أحسب أول من صنف ذلك.

حدث ابن نصر والخطيب عن أبي الطيب بن زنجي المؤدب قال: كان بين أبي أحمد بن ورقاء وبين القاضي أبي عمر وولده أبي الحسين مودة وكيدة، فعن لأبي أحمد سفرة لم يودع فيها القاضيين، فلما عاد من سفرته لم يقصده ولم يعرفا خبره، فكتب إليهما:

أستجفي أبا عمر وأشكو
بأي قضية وبأي حكم
فما جاء ولا بعثا رسولا
وإن من المروءة أن يكونا
فإن نعتب فحقاً غير أنا

وأنفذ الرقعة إلى أبي عمر، فلما وقف عليها ألقاها إلى ولده أبي الحسين وقال: أجبه، فأنت أقوم بجواب هذا الكلام، فكتب إليه:

تجن واطلم فلست منتقلاً
كتبت تشكو قطيعة سلفت
تركحت حق الوداع منصرفاً
كأن حقي عليك مطرح
أمران لم يذهبا على فطن
وبعد ذا فالعتاب من ثقة

فلما وقف عليها ركب إليهما وعاد معهما إلى ما كان عليه من المصافاة.

عمر بن محمد النسفي الحافظ

ونسف هي نخشب وما وراء النهر. كنيته أبو حفص، وصنف كتباً منها كتاب القند في علماء سمرقند، ذكر فيها وقال: وموسى بن عبد الله الأغماتي قدم علينا سنة إحدى وستين وخمسائة وهو شاب فاضل، وبقي عندي أياماً وكتب عني الكثير، ولأجله جمعت كتاباً سميت به عجالة النخشي لضيفه المغربي، وفيه قلت:

لقد طلع الشمس من غربها
فقلنا: القيامة قد أقبلت
قال: وأنشدني موسى الأغماني لنفسه:
لعمر الهوى إني وإن شطت النوى
فإن كنت في أقصى خراسان نازحاً
لذو كبد حرى وذو مدمع سكب
فجسمي في شرق وقلبي في غرب

عمر بن مطرف الكاتب

يكنى أبا الوزير، من عبد القيس كان من أهل مرو، وكان يتقلد ديوان المشرق للمهدي وهو ولي عهد، ثم كتب له في خلافته والهادي والرشد، وكان يكتب للمنصور وللمهدي. وقيل: إنه مات في أيامه، والصحيح أنه مات في أيام الرشيد فحزن عليه وصلى هو عليه بنفسه، فلما فرغ من صلاته قال له: رحمك الله، ما عرض لك أمران أحدهما لله والآخر لك، إلا اخترت ما هو لله على هواك.

وله من الكتب: كتاب مفاخرة العرب ومنافرة القبائل في النسب، كتاب منازل العرب وحدودها وأين كانت محلة كل قوم؟ وإلى أين انتقل منها؟. كتاب رسائله.

قال محمد بن عبدوس: وكان الرشيد أمر بإبطال دواوين الأئمة في سنة سبعين ومائة، فأبطلت شهرين ثم أعيدت، ووليها أبو الوزير عمر بن المطرف بن محمد العبدوي، منسوب إلى عبد القيس لأنه كان مولاها، وكان مطرف بن محمد أحد كتاب المهدي، وتقلد له ديوان الخراج أيام مقامه بالري، وتوفي مطرف بن محمد سنة أربع وأربعين ومائة في قول، وقيل غير ذلك، وقد ذكرته بعد هذا. وكان أبو الوزير عفيفاً متصوفاً وكان يبخل.

وحكي أنه كلم عمر بن العلاء في رجل فوهب له مائة ألف درهم فدخل أبو الوزير على الرشيد وقال له: يا أمير المؤمنين، عمر خائن، كلمته في رجل كانت هبته ألفي درهم، فوهب له ألف درهم. فلم يضره ذلك عند الرشيد لعلمه ببخل أبي الوزير، ولما انصرف عمر بن العلاء إلى حضرة أبي الوزير أغلظ له وشدد معاتبته لأجل ما وهب للرجل وقال له: قد كان يجزئه إذا أسرفت أن تهب له خمسة آلاف درهم، قال له عمر بن العلاء: فاعمل على أني أعطيته بكتابك خمسة آلاف درهم، وأعطيته لنفسني خمسة وتسعين ألف درهم. وفي أبي الوزير يقول بعض الشعراء:

لبس الرئاء وراح في أثوابه
نحو الخليفة كاسراً لم يطرف
بيدي خلاف ضميره ليغره
لله در رئائك ابن مطرف
وكان حج الرشيد في سنة ست وثمانين ومائة، وقد حج الرشيد بعد ذلك أيضاً في سنة ثمان، ولا أدري في أية حجتيه هاتين مات أبو الوزير.

عمرو بن أبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني

قد تقدم ذكر نسبه وولائه عند ذكر أبيه، وكان عمرو هذا قد أخذ علم أبيه وتصدر للقراءة عليه وأبوه حي، مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وقال الأزهري: مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين.

عمرو بن بحر بن محبوب

أبو عثمان الجاحظ مولى أبي القلمس عمرو بن قلع الكناني ثم الفقهي أحد النسابين، قال يموت بن المزرع: الجاحظ خال أمي، وكان جد الجاحظ أسود يقال له فزارة، وكان جملاً لعمرو بن قلع الكناني. وقال أبو القاسم البلخي: الجاحظ كناني من أهل البصرة، وكان الجاحظ من الذكاء وسرعة خاطر والحفظ بحيث شاع ذكره، وعلا قدره، واستغنى عن الوصف.

قال المرزباني: حدث المادي قال: حدثني من رأى الجاحظ يبيع الخبز والسمك بسيحان. قال الجاحظ: أنا أسن من أبي نواس بسنة، ولدت في أول سنة خمس ومائة وولد في آخرها. مات الجاحظ سنة خمس وخمسين ومائتين في خلافة المعتز وقد جاوز التسعين، سمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري، وأخذ النحو عن الأخفش أبي الحسن وكان صديقه، وأخذ الكلام عن النظام، وتلقف الفصاحة من العرب شفاهاً بالمربد. وحدثت أن الجاحظ قال: نسيت كنييتي ثلاثة أيام حتى أتيت أهلي فقلت لهم: بم أكنى؟ فقالوا: بأبي عثمان.

وحدث أبو هفان قال: لم أر قط ولا سمعت من أب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كأنما ما كان، حتى إنه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر. والفتح بن خاقان، فإنه يحضر لمجالسة المتوكل، فإذا أراد القيام لحاجة أخرج كتاباً من كفه أو خفه وقراه في مجلس المتوكل إلى حين عوده إليه حتى في الخلاء وإسماعيل بن إسحاق القاضي فإني ما دخلت إليه إلا رأيته ينظر في كتاب، أو يقلب كتاباً أو يفضها. وقال المرزباني: قال أبو بكر أحمد بن علي: كان أبو عثمان الجاحظ من أصحاب النظام، وكان واسع العلم بالكلام، كثير التبحر فيه شديد الضبط لحدوده، ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين، وله كتب كثيرة مشهورة جليلة في نصره الدين، وفي حكاية مذهب المخالفين، وفي الآداب والأخلاق، وفي ضروب من الجد والهزل، وقد تداولها الناس وقرؤوها وعرفوا فضلها. وإذا تدبر العاقل المميز أمر كتبه علم أنه ليس في تلقح العقول وشحذ الأذهان، ومعرفة أصول الكلام وجواهره، وإيصال خلاف الإسلام ومذاهب الاعتزال إلى القلوب - كتب تشبهها، والجاحظ عظيم القدر في المعتزلة وغير المعتزلة من العلماء الذين يعرفون الرجال ويميزون الأمور.

قال المرزباني: وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك خاصاً به، وكان منحرفاً عن أحمد بن أبي دؤاد للعداوة بين أحمد ومحمد. ولما قبض على محمد هرب الجاحظ فليل له: لم هربت؟ فقال: خفت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التتور، يريد ما صنع بمحمد، وإدخاله تتور حديد فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه، فعذب هو فيه حتى مات - يعني محمد بن الزيات -.

وحدث علي بن محمد الوراق قال: من كتاب الجاحظ إلى ابن الزيات: لا والله، ما عالج الناس داءً قط أدوى من الغيظ، ولا رأيت شيئاً هو أنفذ من شماتة الأعداء، ولا أعلم باباً أجمع لخصال المكروه من الذل، ولكن المظلوم ما دام يجد من يرجوه، والمبتلى ما دام يجد من يرثي له، فهو على سبب درك وإن تطاولت به الأيام، فكم من كربة فادحة، وضيق مصمتة قد فتحت أبقالها وفككت أغلالها، ومهما قصرت فيه فلم أقصر في المعرفة بفضلك، وفي حسن النية ببني وبينك، لا مشئت الهوى، ولا مقسم الأمل، على تقصير قد احتملته، وتفريط قد اغتفرته، ولعل ذلك أن يكون من ديون الإدلال وجرائم الإغفال، ومهما كان من ذلك فلن أجمع بين الإساءة والإنكار، وإن كنت كما تصف من التقصير وكما تعرف من التفريط، فإني من شاكري أهل هذا الزمان، وحسن الحال. متوسط المذهب، وأنا أحمد الله على أن كانت مرتبتك من المنعمين فوق مرتبتي في الشاكرين، وقد كانت علي بك نعمة أذاقتني طعم العز، وعودتني روح الكفاية، ولوت هذا الدهر وجهه، ولما مسخ الله الإنسان قرداً وخنزيراً ترك فيهما مشابه من الإنسان، ولما مسخ زماننا لم يترك فيه مشابه من الأزمان.

وقال أبو عثمان: ليس جهد البلاء مد الأعناق وانتظار وقع السيف، لأن الوقت قصير، والحين معمر، ولكن جهد البلاء أن تظهر الخلّة وتطول المدة، وتعجز الحيلة، ثم لا تعدم صديقاً مؤنباً، وابن عم شامتاً، وجاراً حاسداً، وولياً قد تحول عدواً، وزوجة مختلعة، وجارية مسبعة، وعبداً يحقرك، وولداً ينتهرك.

وقال الجاحظ: إذا سمعت الرجل يقول: ما ترك الأول للآخر شيئاً، فاعلم أنه ما يريد أن يفلح. قال أبو حيان في كتاب التقرير ومن خطه نقلت: وحدثنا أبو دلف الكاتب قال: صدر الجاحظ في ديوان الرسائل أيام المأمون ثلاثة أيام ثم إنه استعفى فأعفي. وكان سهل بن هارون يقول: إن ثبت الجاحظ في هذا الديوان أقل نجم الكتاب. قال أبو عبد الله المرزباني: حدث إسحاق الموصلي وأبو العيناء قال: كنت عند أحمد بن أبي دؤاد بعد قتل ابن الزيات فجاء بالجاحظ مقيداً وكان من أصحاب ابن الزيات وفي ناحيته، فلما نظر إليه قال: والله ما علمتك إلا متنسباً للنعمة، كفوراً للصنيعة، معدداً للمساوي، وما فتني باستصلاحك لك، ولكن الأيام لا تصلح منك لفساد طوبيتك، ورداءة داخلتك، وسوء اختيارك، وتغالب طبعك. فقال له الجاحظ: خفض عليك، - أيديك الله -، فوالله لأن يكون لك الأمر علي خير من أن يكون لي عليك، ولأن أسيء وتحسن، أحسن منك من أن أحسن فتسيء، وأن

تعفو عني في حال قدرتك أجمل من الانتقام مني. فقال له ابن أبي دؤاد: قبحك الله، ما علمتك إلا كثير تزويق الكلام، وقد جعلت ثيابك أمام قلبك، ثم اصطفت فيه النفاق والكفر، ما تأويل هذه الآية؟ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، إن أخذه أليم شديد). قال: تلاوتها تأويلها - أعز الله القاضي - فقال: جيئوا بحداد. فقال: - أعز الله القاضي - ليفك عني أو ليزيدني؟ فقال: بل ليفك عنك. فجاء بالحداد فغمزه بعض أهل المجلس أن يعنف بساق الجاحظ، ويطيل أمره قليلاً، فلطمه الجاحظ وقال: اعمل عمل شهر في يوم، وعمل يوم في ساعة، وعمل ساعة في لحظة، فإن الضرر على ساقي، وليس بجذع ولا ساجة. فضحك ابن أبي دؤاد وأهل المجلس منه. وقال بان أبي دؤاد لمحمد بن المنصور، وكان حاضراً: صر به إلى الحمام وأمط عنه الأذى، واحمل إليه تخت ثياب وطويلة وخفأ، فلبس ذلك ثم أتاه متصدر في مجلسه، ثم أقبل عليه وقال: هات الآن حديثك يا أبا عثمان. ومن شعر الجاحظ في ابن أبي دؤاد:

وعويص من الامور بهيم
قد تسنمت ما توعر منه
مثل وشي البرود هلله النس
حسن الصمت والمقاطع إما
ثم من بعد لحظة تورث اليس
وكتب الجاحظ إلى أحمد بن أبي دؤاد:

لا تراني وإن تطاولت عمداً
كلهم فاضل علي بمال
فاذا ضمنا الحديث وبيت
رب خصم أرق من كل روح
فاذا رام غايتي فهو كاب

وحدث أبو العيناء عن إبراهيم بن رباح قال: أتاني جماعة من الشعراء كل واحد منهم يدعي أنه مدحني بهذه الأبيات وأجزيه عليها:

بدا حين أئثرى بإخوانه
وذكره الدهر صرف الزمان
فتى خصه الله بالمكرمات
ولا ينكت الأرض عند السؤال
ويقال: إن الجاحظ مدح بهذه الأبيات أحمد بن أبي دؤاد وإبراهيم بن رباح، ومحمد بن الجهم.

وحدث إبراهيم بن رباح قال: مدحني حمدان بن أبان اللاهقي وذكر مثل ما مضى وقال في آخره فقال: إن مادحك - أعزك الله - يجد مقالا، والجاحظ يملأ عينيه مني ولا يستحي. قال: وحدث يموت بن المزرع قال: هجا خالي أبو عثمان الجاحظ الجمار بأبيات منها:

نسب الجمار مقصو
تنتهي الأحساب بالنا
فكتب إليه الجمار:

يا فتى إلى ال
لك في الفضل والتزه
ومن هجاء الجمار للجاحظ قوله:

قال عمرو مفاخرأ
قلت في طاعة لرب

وحدث أبو العيناء محمد بن القاسم قال: كان لي صديق فجاءني يوماً فقال: أريد الخروج إلى فلان العامل وأحببت أن يكون معي إليه وسيلة وقد سألت: من صديقه؟ فقبل لي: أبو عثمان الجاحظ وهو صديقك، وأحب أن تأخذ لي كتابه إليه بالعناية. قال: فصرت إلى الجاحظ فقلت له: جنتك مسلماً وقاضياً للحق، ولي حاجة لبعض أصدقائي وهي كذا وكذا. قال: لا تشغلنا الساعة عن

المحادثة وتعرف أخبارنا، إذا كان في غد وجهت إليك بالكتاب، فلما كان من غد وجه إلي بالكتاب. فقلت لابني: وجه هذا الكتاب إلى فلان ففيه حاجته. فقال لي: إن أبا عثمان بعيد الغور، فينبغي أن نفضه وننظر ما فيه، ففعل فإذا في الكتاب: هذا الكتاب مع من لا أعرفه، وقد كلمني فيه من لا أوجب حقه، فإن قضيت حاجته لم أحمذك، وإن رددته لم أذممك. فلما قرأت الكتاب مضيت إلى الجاحظ من فوري فقال: يا أبا عبد الله، قد علمت أنك أنكرت ما في الكتاب. فقلت: أوليس موضع نكرة؟ فقال: لا، هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن أعتني به. فقلت: لا إله إلا الله، ما رأيت أحداً بطبعك ولا ما جبلت عليه. من هذا الرجل علمت أنه لما قرأ الكتاب قال: أم الجاحظ عشرة آلاف في عشرة آلاف قحبة، وأم من يسأله حاجة. فقلت له: ما هذا؟ تشتم صديقنا، فقال: هذه علامتي فيمن أشكره، فضحك الجاحظ، وحدث الفتح بن خاقان، وحدث الفتح المتوكل: فذلك كان سبب اتصالي به وإحضاري إلى مجلسه.

وحدث عبد الرحمن بن محمد الكاتب قال: كان الجاحظ يتقلد خلافة إبراهيم بن العباس الصولي على ديوان الرسائل، فلما جاء إلى الديوان جاءه أبو العيناء، فلما أراد الانصراف تقدم الجاحظ على حاجبه: إذا وصل إلى الدهليز ألا يدعه يخرج، ولا يمكنه من الرجوع إليه، فخرج أبو العيناء ففعل به ذلك، فنادى بأعلى صوته يا أبا عثمان: قد أرتنا قدرتك فأرنا عفوك. ومن كلام الجاحظ: إحذر من تأمن كأنك حذر ممن تخاف. وقال: أجمع الناس على أربع: أنه ليس في الدنيا أثقل من أعمى، ولا أبغض من أعور، ولا أخف روحاً من أحول، ولا أقود من أحذب. قال المرزباني: وروى أصحابنا أن الجاحظ صار إلى منزل بعض إخوانه فاستأذن عليه، فخرج إليه غلام عجمي فقال: من أنت؟ قال الجاحظ: فدخل الغلام إلى صاحب الدار فقال: الجاحظ على الباب وسمعها الجاحظ، فقال صاحب الدار للغلام: أخرج فانظر من الرجل؟ فخرج يستخبر عن اسمه فقال: أنا الحدقي. فدخل الغلام فقال: الحلقي وسمعها الجاحظ فصاح به في الباب: ردنا إلى الأول، يريد أن قوله الجاحظ مكان الجاحظ أسهل عليه من الحلقي مكان الحدقي، فعرفه الرجل فأوصله واعتذر إليه. وقال الجاحظ: أربعة أشياء ممسوخة: أكل الأرز البارد، والنيك في الماء، والقبل على النقاب، والغناء من وراء ستارة.

وحدث قال الجاحظ مرة بحضرة السدري: إذا كانت المرأة عاقلة ظريفة كاملة كانت قحبة، فقال له السدري: وكيف؟ قال: لأنها تأخذ الدراهم وتمتع بالناس والطيب، وتختار على عينها من تريد، والتوبة معروضة لها متى شئت. فقال له السدري: فكيف عقل العجوز حفظها الله؟ قال: هي أحمق الناس وأقلهم عقلاً.

وحدث المبرد قال: قال الجاحظ: أتيت أبا الربيع الغنوي أنا ورجل من بني هاشم فاستأذنا عليه فخرج إلينا وقال: خرج إليكم رجل كريم والله. فقلت له: من خير الخلق يا أبا الربيع؟ فقال: الناس والله. قلت: ومن خير الناس؟ قال العرب والله. قلت: فمن خير العرب؟ قال: مضر والله. فقلت: فمن خير مضر؟ قال: قيس والله. فقلت: ومن خير قيس؟ قال أعصر والله. قلت: فمن خير أعصر؟ قال غني والله. قلت: فمن خير غني؟ قال أنا والله. قلت: فأنت خير الخلق؟ قال إي والله. قلت: أيسرك لو أنك تزوجت بنت يزيد بن المهلب؟ قال: والله لا أدنس كرمي بلؤمها. قلت: على أن لك الجنة، ففكر ساعة ثم قال: على ألا تلد مني وأنشد:

تأبى لأعصر أعراق مهذبة
فإن يكن ذاك حتماً لا مرد له
من أن تناسب قوماً غير أكفاء
فأذكر حذيف فإني غير أبااء

حذيفة بن بكر، وإنما ذكره من بين الأشراف لأنه أقربهم إليه نسباً، لأن أعصر بن أسعد بن قيس بن عيلان. وحذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بن لوزان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان. قال المرزباني: وحدث أبو الحسن الأنصاري، حدثني الجاحظ قال: كان رجل من أهل السواد تشيع وكان ظريفاً، فقال ابن عم له: بلغني أنك تبغض علياً عليه السلام، والله لو فعلت لتردن عليه الحوض يوم القيامة ولا يسقيك. قال: والحوض في يده يوم القيامة؟ قال نعم. قال: وما لهذا الرجل الفاضل يقتل الناس في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالعطش؟ فقيل له: أتقول هذا مع تشيعك ودينك؟ قال: والله ما تركت النادرة لو قتلنتي في الدنيا وأدخلنتي النار في الآخرة.

وقال الجاحظ ينبغي للكاتب أن يكون رقيق حواشي اللسان، عذب ينابيع البيان، إذا حاور سدد سهم الصواب إلى غرض المعنى، لا يكلم العامة بكلام الخاصة، ولا الخاصة بكلام العامة.

وحدث المبرد قال: سمعت الجاحظ يقول: كل عشق يسمى حباً، وليس كل حب يسمى عشقاً، لأن العشق اسم لما فضل عن المحبة، كما أن السرف اسم لما جاوز الجود، والبخل اسم لما قصر عن الاقتصاد، والجبن اسم لما فضل عن شدة الاحتراس، والهوج اسم لما فضل عن الشجاعة.

وحدث ميمون بن هارون الكاتب عن الجاحظ قال: ذم رجل النبيذ فقال: من مثالبه أن صاحبه يتكرهه قبل شربه، ويكلج وجهه

عند شمه، ويستنقص الساقى من قدره، ويعتبر عليه مكياله، ويمزجه بالماء الذي هو ضده ليخرجه عن معناه وحده، ثم يكره على المبادرة ويعبه، ويتجرعه ولا يكاد يسيغه، ليقل مكثه في فيه، ويسرع على اللهوات اجتيازه، ثم لا يستوفي كليته ويرى أن يجعل عاقبة الشراب فضلة في قده، ويشاح الساقى في المناظرة على ما بقي منه عند رده، ليصرف عن نفسه عادية شربه، ويذهب بساعته، ويمنع من تهوعه، كما يفعل بطبخ الغاريقون عند شربه وحب الاسطوخمول. وكان الجاحظ يقول: إن تهالك في الشاعر أن تبره وترضيه وإلا فاقته.

وقال أبو العيناء أنشدني الجاحظ لنفسه:

يطيب العيش أن تلقى حليماً
ليكشف عنك حيلة كل ريب
سقام الحرص ليس له شفاء
وأشدد المبرد للجاحظ:

إن حال لون الرأس عن لونه
هب من له شيب له حيلة
ففي خضاب الرأس مستمتع
فما الذي يحتاله الأصلع

وحدث أبو العيناء قال: قال الجاحظ: كان الأصمعي مانوياً، فقال له العباس بن رستم: لا والله، ولكن نذكر حين جلست إليه تسأله، فجعل يأخذ نعله بيده وهي مخصوفة بحديد ويقول: نعم قناع القدري، فعلمت أنه يعينك ففمت. وحدث يحيى بن علي بن المنجم قال: قلت للجاحظ: مثلك في علمك ومقدارك في الادي يقول في كتاب البيان والتبيين: ويكره للجارية أن تشبه بالرجال في فصاحتها، ألا ترى إلى قول مالك بن أسماء الفزاري:

وحدث أذه هو مما
منطق صائب وتلحن أحيا
ينعت الناعتون يوزن وزنا
نأ وخير الحديث ما كان لحنا

فتراه من لحن الأعراب، وإنما وصفها بالظرف والفتنة وإنما تلحن أي توري في لفظها عن أشياء وتتنكب ما قصدت له، فقال: فطنت لذلك. قلت: فغيره. قال: فكيف لي بما سارت به الركبان؟ فهو في كتابه على خطئه. قال أبو محلم: أراد الفزاري بقوله هذا، أن خير الحديث ما أومأت إلي به، وورثت عن الإفصاح به لئلا يعلمه غيرنا، ومثله قول الكلابي:

لقد لحت لكم لكيما تفهموا
ومنه قوله تعالى: (ولتعرفنهم في لحن القول)، أي فيما يتوحدونه بينهم من النفاق والطعن.

قال المؤلف: وقد انتصر أبو حيان لهذا القول الذي اعترف الجاحظ بخطئه فيه فقال: وعندي أن المسألة محتملة للكلام، لأن مقابل المنطق الصائب المنطق الملحون، واللحن من الغواني والفتيات غير منكر ولا مكروه بل يستحب ذلك، لأنه بالتأنيث أشبه، وللشهوة أدعى، ومع الغزل أجرى، والإعراب جد، وليس الجد من التغزل والتعشق والتشاحي في شيء، وعلى مذهب علي بن يحيى؟ أن المنطق الصائب هو الكلام الصريح، وأن اللحن هو التعريض، وأنها تعرف هذا وهذا، فهب أن هذا المعنى مقبول، لم ينبغي أن يكون المعنى الآخر لهوجاً ومردوداً؟ وقد يجوز أن يكون مراد الشاعر ذاك، لأن الشاعر يشعر بهذا كما يشعر بهذا، قال أبو العيناء: أنشدني الجاحظ لنفسه في إبراهيم بن رباح:

وعهدي به والله يصلح أمره
فلا جعل الله الولاية سبة
رحيب مجال الرأي منبلج الصدر
عليه فإني بالولاية ذو خبر
به المجد إلا أن يلج ويستشري
فقد جهوده بالسؤال وقد أبى

قال أبو علي التنوخي: حدثني أبو الحسن أحمد بن محمد الأخباري قال: حدثني أبو الفرج الأصبهاني قال: أخبرني الحسن بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني عبد الله بن جعفر الوكيل قال: كنت يوماً عند إبراهيم بن المدبر فرأيت بين يديه رقعة يردد النظر إليها فقلت له: ما شأن هذه الرقعة؟ كأنه استعجم عليك شيء منه؟ فقال: هذه رقعة أبي عثمان الجاحظ، وكلامه يعجبني وأنا أردده على نفسي لشدة إعجابي. فقلت: هل يجوز أن أقرأها؟ قال: نعم وألقاها إلي فإذا فيها: ما ضاء لي نهار ولا دجا ليل مذ فارقتك، إلا وجدت الشوق إليك قد حز في كبدي، والأسف عليك قد أسقط في يدي، والنزاع نحوك قد خان جلدي، فأنا بين حشا خافقة ودمعة مهراقة، ونفس قد ذبلت بما تجاهد، وجوانح قد أبليت بما تكابد، وذكرت وأنا على فراش الارتماض ممنوع من لذة الإغماض قول بشار:

إذا هتف القمر نازعني الهوى
أبى الله إلا أن يفرق بيننا
بشوق فلم أملك دموعي من الوجد
وكنا كماء المزن شيب مع الشهد

لقد كان ما بيني زماناً وبينها

كما كان بين المسك والعنبر الورد

فانتظم وصف ما كنا نتعاشر عليه، ونجري في مودتنا إليه في شعره هذا، وذكرت أيضاً ما رماني به الدهر من فرقة أعزائي من إخواني الذين أنت أعزهم، وبمتحنني بمن نأى من أحبائي وخلصاني الذين أنت أحبهم وأخلصهم، ويجر عني من مرارة نأيهم وبعد لقائهم، وسألت الله أن يقرن آيات سروري بالقرب منك، ولين عيشي بسرعة أوبتك، وقلت أبياتاً تقصر عن صفة وجدي، وكنه ما يتضمنه قلبي، وهي:

بخدي من قطر الدموع ندوب

وبالقلب مني مذ نأيت وجيب

ولي نفس حتى الدجى يصدع الحشا

ورجع حنين للنفود مذبذب

ولي شاهد من ضر نفسي وسقمه

يخبر عني أنني لكئيب

كأنني لم أفجع بفرقة صاحب

ولا غاب عن عيني سواك حبيب

فقلت لابن المدبر: هذه رقعة عاشق لا رقعة خادم، ورقعة غائب لا رقعة حاضر. فضحك وقال: نحن ننسبط مع أبي عثمان إلى ما هو أرق من هذا وأطف، فأما الغيبة فإننا نجتمع في كل ثلاثة أيام وتأخر ذلك لشغل عرض لي فخطبني مخاطبة الغائب، وأقام انقطاع المدة مقام الغيبة.

قال الجاحظ: كان يأتيني رجل فصيح من العجم قال: فقلت له: هذه الفصاحة وهذا البيان لو ادعيت في قبيلة من العرب لكنت لا تنازع فيها. قال: فأجابني إلى ذلك، فجعلت أحفظه نسباً حتى حفظه وهذه هذا. فقلت له: الآن لا تنته علينا. فقال: سبحان الله. إن فعلت ذلك فأنا إذا دعي.

ومن كلام الجاحظ يصف البلاغة: ومتى شاكل - أبقاك الله - اللفظ معناه وكان لذلك الحال وفقاً ولذلك القدر لفظاً وخرج من سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكلف، كان قمناً بحسن الموقع، وحقيقاً بانتفاع المستمع، وجديراً أن يمنع جانبه من تأول الطاعنين، ويحمي عرضه من اعتراض العائبين، ولا يزال القلوب به معمورة، والصدور به مأهولة، ومتى كان اللفظ أيضاً كريماً في نفسه متخيراً من جنسه، وكان سليماً من الفضول بريئاً من التعقيد حبيب إلى النفوس، واتصل بالأذهان والتحم بالعقول، وهشت له الأسماح، وارتاحت له القلوب، وخف على ألسن الرواة، وشاع في الأفاق ذكره، وعظم في الناس خطره، وصار ذلك مادة للعالم الرئيس، ورياضة للمتعلّم الریض ومن أعاره من معرفته نصيباً، وأفرغ عليه من محبته ذنوباً، حبيب إليه المعاني وسلس له نظام اللفظ، وكان قد أغنى المستمع عن كد التكلف، وأراح قارئ الكتاب من علاج التفهم. وقرأت بخط أبي حيان التوحيدي من كتابه الذي ألفه في تقرّيط الجاحظ.

وحدثنا أبو سعيد السيرافي - وهمك من رجل، وناهيك - من عالم، وشرعك من صدوق - قال: حدثنا جماعة من الصابنين الكتاب: أن ثابت بن قرة قال: ما أحسد هذه الأمة العربية إلا على ثلاثة أنفس فإنه:

عقم النساء فلا يلدن شببيهه

إن النساء بمثله عقم

فقيل له: أحص لنا هؤلاء الثلاثة. قال: أولهم عمر بن الخطاب في سياسته ويقظته وحذره، وتحفظه ودينه وتقيته، وجزالته وبذالته وصرامته وشهامته، وقيامته في صغير أمره وكبيره بنفسه، مع فريضة صافية، وعقل زافر، ولسان غضب وقلب شديد، وطوية مأمونة، وعزيمة مأمومة، وصدر منشرح، وبال منفصح، وبديهة نضوح وروية لقوح، وسر طاهر، وتوفيق حاضر، ورأي مصيب، وأمر عجيب، وشأن غريب، دعم الدين وشيد بنيانه، وأحكم أساسه ورفع أركانه، وأوضح حجته وأثار برهانه، ملك في زي مسكين، ما جنح في أمر إلى ونى، ولا غض طرفه على خنا، ظهارته كالبطانة، وبطانته كالظاهرة، جرح وأساء، ولان وقساء، ومنع وأعطى، واستخذى وسطاً، كل ذلك في الله والله، لقد كان من نوادر الرجال. قال: والثاني الحسن بن أبي الحسن البصري، فلقد كان من دراري النجوم علماً وتقوى وزهداً وورعاً وعفة ورقة وتألهاً وتنزهاً وفقهاً ومعرفةً وفصاحةً ونصاحةً، مواعظه تصل إلى القلوب، وألفاظه تلتبس بالعقول، وما أعرف له ثانياً، ولا قريباً ولا مدانياً، كان منظره وفق مخبره، وعلا نيته في وزن سريرته، عاش سبعين سنة لم يقرف بمقالة شنعاء، ولم يزن بريية ولا فحشاء، سليم الدين، نقي الأديم، محروس الحريم، يجمع مجلسه ضروب الناس وأصناف اللباس لما يوسعهم من بيانه، ويفيض عليهم بافتنانه، هذا يأخذ عنه الحديث، وهذا يلقي منه التأويل، وهذا يسمع الحلال والحرام، وهذا يتبع في كلامه العربية، وهذا يجرد له المقالة، وهذا يحكي الفتيا، وهذا يتعلم الحكم والقضاء، وهذا يسمع الموعظة، وهو جميع هذا، كالبحر العجاج تدفقاً، وكالسراج الوهاج تألقاً، ولا تنس مواقفه ومشاهده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الأمراء وأشباه الأمراء بالكلام الفصل، واللفظ الجزل، والصدر الرحب، والوجه الصلب، واللسان العضب، كالحجاج وفلان وفلان مع شارة الدين، وبهجة العلم ورحمة التقى، لا تنبيه لائمة في الله، ولا تذهله رائحة عن الله، يجلس تحت كرسیه قتادة صاحب التفسير، وعمر وواصل صاحب الكلام، وابن أبي إسحاق صاحب النحو، وفرقد السبخي صاحب الدقائق، وأشباه هؤلاء ونظراؤهم، فمن ذا مثله ومن يجري مجراه؟ والثالث أبو

عثمان الجاحظ، خطيب المسلمين، وشيخ المتكلمين، ومدره المتقدمين والمتأخرين، إن تكلم حكى سحيان في البلاغة، وإن ناظر ضارع النظام في الجدل، وإن جد خرج في مسك عامر بن عبد قيس، وإن هزل زاد على مزيد حبيب القلوب ومزاج الأرواح، وشيخ الأدب ولسان العرب. كتبه رياض زاهرة، ورسائله أفنان مثمرة، ما نازعه منازع إلا رشاه أنفاه، ولا تعرض له منقوص إلا قدم له التواضع استيقاً. الخلفاء تعرفه، والأمراء تصافيه وتنادمه، والعلماء تأخذ عنه، والخاصة تسلم له، والعامّة تحبه، جمع بين اللسان والقلم، وبين الفطنة والعلم، وبين الرأي والأدب، وبين النثر والنظم، وبين الذكاء والفهم، طال عمره، وفشت حكمته، وظهرت خلته، ووطئ الرجال عقبه، وتهادوا أدبه، وافتخروا بالانتساب إليه، ونجحوا بالإقتداء به، لقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب. هذا قول ثابت، وهو قول صائب لا يرى للإسلام حرمة ولا للمسلمين حقاً، ولا يوجب لأحد منهم ذمماً، وقد انتقد هذا الانتقاد، ونظر هذا النظر، وحكم هذا الحكم، وأبصر الحق بعين لا غشاوة عليها من الهول، ونفس لا لطخ بها من التقليد، وعقل ما تحيل بالعصبية، ولسنا نجعل مع ذلك فضل غير هؤلاء من السلف الطاهر، والخلف الصالح، ولكننا عجبنا فضل عجب من رجل ليس منا ولا من أهل ملتنا ولغتنا، - ولعله ما خير عمر بن الخطاب كل الخبرة، ولا استوعب كل ما للحسن من المنقبة، ولا وقف على جميع ما لأبي عثمان من البيان والحكمة - يقول هذا القول، ويتعجب هذا العجب، ويحسد أمتنا بهم هذا الحسد، ويختم كلامه بأبي عثمان، ويصفه بما يأبى الطاعن عليه أن يكون له شيء منه، ويغضب إذا ادعى ذلك له لموفر عليه، هل هذا إلا الجهل الذي يرحم المبتلى به؟.

قال أبو حيان: وحدثنا ابن مقسم - وقد طال ذكر الجاحظ لأبي هفان: - قيل لأبي هفان لم لا تهجو الجاحظ وقد ندد بك وأخذ بخنقك؟ فقال: أمتلي يخذع عن عقله، والله لو وضع رسالة في أرنبه أنفي لما أمست إلا بالصين شهرة، ولو قلت فيه ألف بيت لما طن منها بيت في ألف سنة. قال أبو حيان: سمعت أبا معمر الكاتب في ديوان بادوريا قال: كتب الفتح بن خاقان إلى الجاحظ كتاباً يقول في فصل منه: إن أمير المؤمنين يجد بك، ويهش عند ذكرك، ولولا عظمتك في نفسه لعلمك ومعرفتك، لحال بينك وبين بعدك عن مجلسه، ولغصبك رأيك وتجبيرك فيما أنت مشغول به ومتوفر عليه، وقد كان ألقى إلي من هذا عنوانه، فزدتك في نفسه زيادة كف بها عن تجشيمك، فاعرف لي هذه الحال، واعتقد هذه المنة على كتاب الرد على النصاري، وافرغ منه وعجل به إلي، وكن من جدا به على نفسه، تنال مشاهرتك وقد استطلقت له لما مضى، واستسلفت لك لسنة كاملة مستقبلة، وهذا مما لم تحتكم به نفسك، وقد قرأت رسالتك في بصيرة غنام، ولولا أنني أزيد في مخيلتك لعرفتكم ما يعتريني عند قراءتها والسلام.

قال الجاحظ: قلت للحزامي: قد رضيت بقول الناس فيك: إنك بخيل. قال: لا أعد مني الله هذا الاسم. قال: لأنه لا يقال: فلان بخيل إلا وهو ذو مال، فإذا سلم المال فادعني بأي اسم شئت. قلت: ولا يقال سخي إلا وهو ذو مال، فقد جمع هذا الاسم المال والحمد، وجمع ذاك الاسم المال والذم. قال: بينهما فرق. قلت: هاته. قال: في قولهم بخيل تنبئت لإقامة المال في ملكه، واسم البخيل اسم فيه حزم وذم، واسم السخاء فيه تضييع وحمد، والمال نافع مكرم لأهله معز، والحمد ربح وسخرية، واستماعه ضعف وفسولة. وما أقل والله غناء الحمد عنه إذا جاع بطنه، وعري جسده، وشمّت عدوه.

قال أبو حيان: ومن عجيب الحديث في كتبه ما حدثنا به علي بن عيسى النحوي الشيخ الصالح قال: سمعت ابن الأخشاد شيخنا أبا بكر يقول: ذكر أبو عثمان في أول كتاب الحيوان أسماء كتبه ليكون ذلك كالفهرست، ومر بي في جملتها الفرق بين النبي والمنتنبى، وكتاب دلائل النبوة وقد ذكرهما هكذا على التفرقة، وأعاد ذكر الفرق في الجزء الرابع لشيء دعاه إليه، فأحببت أن أرى الكتابين ولم أقدر إلا على واحد منهما وهو كتاب دلائل النبوة، وربما لقب بالفرق خطأ، فهمني ذلك وساعني في سوء ظفري به، فلما شخصت من مصر ودخلت مكة - حرسها الله تعالى - حاجاً أقمت منادياً بعرفات ينادي - والناس حضور. من الأفاق على اختلاف بلدانهم وتنازع أوطانهم، وتباين قبائلهم وأجناسهم من المشرق إلى المغرب، ومن مهب الشمال إلى مهب الجنوب، وهو المنظر الذي لا يشابهه منظر -: رحم الله من دلنا على كتاب الفرق بين النبي والمنتنبى لأبي عثمان الجاحظ على أي وجه كان. قال: حجب الناس منى ولم يعرفوا هذا الكتاب ولا اعترفوا به.

قال ابن أخشاد: وإنما أردت بهذا أن أبلغ نفسي عذرها. قال المؤلف: وحسبك بها فضيلة لأبي عثمان أن يكون مثل ابن الأخشاد - وهو هو في معرفة علوم الحكمة، وهو رأس عظيم من رءوس المعتزلة - يستلهم بكتب الجاحظ حتى ينادي عليها بعرفات والبيت الحرام، وهذا الكتاب موجود في أيدي الناس اليوم لا يكاد تخلو خزنة منه. ولقد رأيت أنا منه نحو مائة نسخة أو أكثر.

ومن كتاب هلال قال أبو الفضل بن العميد: ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أنفس: أما الفقه فعلى أبي حنيفة، لأنه دون وخلد ما جعل من يتكلم فيه بعده مشيراً إليه مخبراً عنه. وأما الكلام فعلى أبي الهذيل، وأما البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة، فعلى أبي عثمان الجاحظ. وحدث أبو القاسم السيرافي قال: حضرنا مجلس الأستاذ الرئيس أبي الفضل فقصر رجل بالجاحظ وأزرى عليه وحلم الأستاذ عنه. فلما خرج قلت له: سكت أيها الأستاذ عن هذا الجاهل في قوله الذي قال مع عادتك

بالرد على أمثاله. فقال: لم أجد في مقابلته أبلغ من تركه على جهله، ولو واقفته وبيّنت له النظر في كتبه، صار إنساناً. يا أبا القاسم كُتب الجاحظ تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً.

وحكى أبو علي القالي عن أبي معاذ عبدان الخولي المتطبب قال: دخلنا يوماً بسر من رأى على عمرو بن بحر الجاحظ نعوذه وقد فلج، فلما أخذنا مجالسنا أتى رسول المتوكل إليه فقال: وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل ولعاب سائل؟ ثم أقبل علينا فقال: ما تقولون في رجل له شقان: أحدهما لو غرز بالمسال ما أحس، والشق الآخر يمر به الذباب فيغو، وأكثر ما أشكوه الثمانون. حدث أبو عبد الله الحميدي في الجذوة: قرأت على الأمين بن أبي علي بن القاضي أبي القاسم البصري عن أبيه قال: حدثنا محمد بن عمر بن شجاع المتكلم، حدثنا أبو محمد الحسن بن عمرو النجيري قال: كنت بالأندلس فقيل لي: إن هاهنا تلميذاً لأبي عثمان الجاحظ يعرف بسلام بن يزيد ويكنى أبا خلف، فأتيته فرأيت شيخاً هماً فسألته عن سبب اجتماعه مع أبي عثمان ولم يقع أبو عثمان إلى الأندلس فقال: كان طالب العلم بالمشرق يشرف عند ملوكنا بقاء أبي عثمان، فوقع إلينا كتاب التبريع والتدوير له فأشاروا إليه، ثم أردفه عندنا كتاب البيان والتبيين له فبلغ الرجل الصكاك بهذين الكتابين. قال: فخرجت لا أخرج على شيء حتى قصدت بغداد فسألته عنه فقيل: هو بسر من رأى، فأصعدت إليها فقيل لي: قد انحدر إلى البصرة، فأنحدرت إليه وسألت عن منزله فأرشدت ودخلت إليه فإذا هو جالس وحواليه عشرون صبيّاً ليس فيهم ذو لحية غيره، فدهشت فقلت: أيكم أبو عثمان؟ فرفع يده وحركها في وجهي وقال: من أين؟ قلت من الأندلس، فقال: طينة حمقاء، فما الاسم؟ قلت سلام. قال: اسم كلب القراد، ابن من؟ قلت: ابن يزيد. قال: بحق ما صرت أبو من؟ قلت: أبو خلف. قال: كنية قرد زبيدة، ما جئت تطلب؟ قلت: العلم قال: ارجع بوقت فإنك لا تفالج. قلت له ما أنصفتني، فقد اشتملت على خصال أربع: جفاء البلدية، بعد الشفة، وغرة الحداثة، ودهشة الداخل. قال: فترى حولي عشرين صبيّاً ليس فيهم ذو لحية غيري، ما كان يجب أن تعرفني بها؟ قال: فأقمت عليه عشرين سنة. وهذا فهرست كتب الجاحظ: كتاب الحيوان وهو سبعة أجزاء وأضاف إليه كتاباً آخر سماه كتاب النساء وهو الفرق فيما بين الذكر والأنثى، وكتاباً آخر سماه: كتاب النعل. قال ابن النديم. ورأيت أنا هذين الكتابين بخط زكرياء بن يحيى - ويكنى أبا يحيى - وراق الجاحظ، وقد أضيف إليه كتاب سموه كتاب الإبل ليس من كلام الجاحظ ولا يقاربه، وكتاب الحيوان ألفه باسم محمد بن عبد الملك الزيات. قال ميمون بن هارون: قلت للجاحظ ألك بالبصرة ضيعة؟ فتبسم وقال: إنما أنا وجارية، وجارية تخدمها وخدام وحمار، أهديت كتاب الحيوان إلى محمد بن عبد الملك فأعطاني خمسة آلاف دينار، وأهديت كتاب البيان والتبيين إلى ابن أبي دؤاد فأعطاني خمسة آلاف، وأهديت كتاب الزرع والنخل إلى إبراهيم بن العباس الصولي فأعطاني خمسة آلاف دينار، فأنصرفت إلى البصرة ومعني ضيعة لا تحتاج إلى تجديد ولا تسميد، وكتاب البيان والتبيين نسختان: أولى وثانية، والثانية أصح وأجود، كتاب النبي والمتنبى، كتاب المعرفة، كتاب جوابات كتاب المعرفة، كتاب مسائل كتاب المعرفة، كتاب الرد على أصحاب الإلهام، كتاب نظم القرآن ثلاث نسخ، كتاب مسائل القرآن، كتاب فضيلة المعتزلة، كتاب الرد على المشبهة، كتاب الإمامة على مذهب الشيعة، كتاب حكاية قول أصناف الزيدية، كتاب العثمانية، كتاب الأخبار وكيف تصح؟ كتاب الرد على النصاري، كتاب عصام المريد، كتاب الرد على العثمانية، كتاب إمامة معاوية، كتاب إمامة بني العباس، كتاب الفتيان، كتاب القواد، كتاب اللصوص، كتاب ذكر ما بين الزيدية والرافضة، كتاب صياغة الكلام، كتاب المخاطبات في التوحيد، كتاب تصويب علي في تحكيم الحكمين، كتاب وجوب الإمامة، كتاب الأصنام، كتاب الوكلاء والموكلين، كتاب الشارب والمشروب، كتاب افتخار الشتاء والصيف، كتاب المعلمين، كتاب الجواري، كتاب نواذر الحسن، كتاب البخلاء، كتاب الفخر ما بين عبد شمس ومخزوم، كتاب العرجان والبرصان، كتاب فخر القحطانية والعذانية، كتاب التبريع والتدوير، كتاب الطفيليين، كتاب أخلاق الملوك، كتاب الفتيا، كتاب مناقب جند الخلافة فضائل الأتراك، كتاب الحاسد والمحسود، كتاب الرد على اليهود، كتاب الصرحاء والهجناء، كتاب السودان والبيضان، كتاب المعاد والمعاش، كتاب النساء، كتاب التسوية بين العرب والعجم، كتاب السلطان وأخلاق أهله، كتاب الوعيد، كتاب البلدان، كتاب الأخبار، كتاب الدلالة على أن الإمامة فرض، كتاب الاستطاعة وخلق الأفعال، كتاب المقينين والغناء والصناعة، كتاب الهدايا منحول، كتاب الإخوان، كتاب الرد على من ألد في كتاب الله عز وجل، كتاب أي القرآن، كتاب الناشي والمتلاشي، كتاب حانوت عطار، كتاب التمثيل، كتاب فضل العلم، كتاب المزاح والجد، كتاب جمهرة الملوك، كتاب الصوالة، كتاب ذم الزنا، كتاب التفكير والاعتبار، كتاب الحجر والنبوة، كتاب آل إبراهيم بن المدبر في المكاتبة، كتاب إحالة القدرة على الظلم، كتاب أمهات الأولاد، كتاب الاعتزال وفضله عن الفضيلة، كتاب الأخطار والمراتب والصناعات، كتاب أحوثة العالم، كتاب الرد على من زعم أن الإنسان جزء لا يتجزأ، كتاب أبي النجم وجوابه، كتاب التفاح، كتاب الأنس والسلوة، كتاب الكبر المستحسن والمستفحج، كتاب نقض الطب، كتاب الحزم والعزم. كتاب عناصر الآداب، كتاب تحصين الأموال، كتاب الأمثال، كتاب فضل الفرس، كتاب على الهملاج، كتاب الرسالة إلى أبي الفرج بن نجاح في امتحان عقول الأولياء، كتاب رسالة أبي النجم في الخراج، كتاب رسالته في القلم، كتاب رسالته في فضل اتخاذ الكتب، كتاب رسالته في كتمان السر، كتاب رسالته في مدح النبيذ، كتاب رسالته في ذم النبيذ، كتاب رسالته في العفو الصفح، كتاب رسالته في إثم لسكر، كتاب رسالته في الأمل والمأمول، كتاب رسالته في الحلية، كتاب رسالته في ذم الكتاب، كتاب رسالته في مدح الكتاب، كتاب رسالته في مدح الوراق، كتاب رسالته في ذم الرواق، كتاب رسالته فيمن يسمى من الشعراء عمراً، كتاب رسالته اليتيمة، كتاب رسالته في فرط جهل يعقوب بن إسحاق الكندي، كتاب رسالته في الكرم إلى أبي الفرج بن نجاح، كتاب رسالته في موت

أبي حرب الصفار البصري، كتاب رسالته في الميراث، كتاب في الأسد والذئب، كتاب رسالته في كتاب الكيمياء، كتاب الاستبداد والمشاورة في الحرب، كتاب رسالته في القضاة والولاة، كتاب الملوك والأمم السالفة والباقية، كتاب رسالته في الرد على القولية، كتاب العالم والجاهل، كتاب النرد والشطرنج، كتاب غش الصناعات، كتاب خصومة الحول والعور، كتاب ذوي العاهات، كتاب المغنين، كتاب أخلاق الشطار.

وحدث يموت بن المزرع عن خاله الجاحظ قال: يجب للرجل أن يكون سخيّاً لا يبلغ التبذير، شجاعاً لا يبلغ الهوج، محترساً لا يبلغ الجبن، ماضياً لا يبلغ القحة، قوالاً لا يبلغ الهذر، صموتاً لا يبلغ العي، حليماً لا يبلغ الذل، منتصراً لا يبلغ الظلم، وقوراً لا يبلغ البلادة، ناقداً لا يبلغ الطيش، ثم وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جمع ذلك في كلمة واحدة، وهي قوله: (خير الأمور أوسطها). فعلمنا أنه صلى الله عليه وسلم قد أوتي جوامع الكلم، وعلم فصل الخطاب. وقال أبو زيد البلخي: ما أحسن ما قال الجاحظ: عقل المتنبي مشغول، وعقل المتصفح فارغ. وقال المرزباني بإسناده عن المبرد: سمعت الجاحظ يقول لرجل آذاه: أنت والله أحوج إلى هوان من كريم إلى إكرام، ومن علم إلى عمل، ومن قدرة إلى عفو، ومن نعمة إلى شكر.

وقال الجاحظ في أبي الفرج نجاح بن سلمة يسأله إطلاق رزقه من قصيدة:

أقام بدار الخفض راض بخفضه	وذو الحزم يسري حين لا أحد يسري
يظن الرضا شيناً يسيراً مهوناً	ودون الرضى كأس أمر من الصبر
سواء على الأيام صاحب حنكة	وأخر كاب لا يريش ولا يبري
خضعت لبعض القوم أرجو نواله	وقد كنت لا أعطى الدنية بالقسر
فلما رأيت القوم يبذل بشره	ويجعل حسن البشر واقية الوفر
ربعت على ظلعي وراجعت منزلي	فصرت حليفاً للدراسة والفكر
وشاروت إخواني فقال حليمهم:	عليك الفتى المري ذا الخلق الغمر
أعيزك بالرحمن من قول شامت:	أبو الفرج المامول يزهد في عمرو
ولو كان فيه راغباً لرأيت	كما كان دهرأ في الرخاء وفي اليسر
أخاف عليك العين من كل حاسد	وذو الود منخوب الفؤاد من الذعر
فإن ترع ودي بالقبول فأهله	ولا يعرف الأقدار غير ذوي القدر

وحدث يموت بن المزرع قال: وجه المتوكل في السنة التي قتل فيها أن يحمل إليه الجاحظ من البصرة فقال لمن أراد حمله: وما يصنع أمير المؤمنين بامرئ ليس بطائل، ذي شق مائل، ولعاب سائل، وفرج بائل، وعقل حائل؟ وحدث المبرد قال: دخلت على الجاحظ في آخر أيامه فقلت له: كيف أنت؟ فقال: كيف يكون من نصفه مفلوج لو حز بالمناشير ما شعر به، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآلمه، وأد من ذلك ست وتسعون سنة أنا فيها، ثم أنشدنا:

أترجو أن تكون وأنت شيخ	كما قد كنت أيام الشباب؟
لقد كذبتك نفسك ليس ثوب	دريس كالجديد من الثياب

وقال لمتطبيب يشكو إليه علته: اصطلحت الأضداد على جسدي، إن أكلت بارداً أخذ برجلي، وإن أكلت حاراً أخذ برأسي.

وحدث أحمد بن يزيد بن محمد المهلب عن أبيه قال: قال لي المعتمر بالله: يا يزيد، ورد الخبر بموت الجاحظ، فقلت: لأمر المؤمنين طول البقاء ودوام النعماء. قال: وذلك في سنة خمسين ومائتين، وفيه يقول أبو شراة القيسي:

في العلم للعلماء إن	يتفهموه مواعظ
وإذ نسيت وقد جمع	ت علا عليك الحافظ
ولقد رأيت الظرف ده	راً ما حواه اللافظ
حتى أقام طريقه	عمرو بن بحر الجاحظ
ثم انقضى أمد به	وهو الرئيس الفائظ

عمرو بن عثمان بن قنبر

أبو بشر، ويقال أبو الحسن وأبو بشر أشهر، مولى بني الحارث بن كعب، ثم مولى آل الربيع بن زياد الحارثي، وسيبويه لقب ومعه رائحة التفاح. يقال: كانت أمه ترقصه بذلك في صغره. ورأيت ابن خالويه قد اشتق له غير ذلك فقال: كان سيبويه لا يزال من يلقاه يشم منه رائحة الطيب فسمي سيبويه، ومعنى سي: ثلاثون، وبوى: الرائحة فكانه ثلاثين رائحة طيب، ولم أر أحداً قال ذلك غير ابن خالويه، وأصله من البيضاء من أرض فارس ومنشؤه البصرة، مات فيما ذكره ابن نافع بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة. وقال المرزباني: مات بشيراز سنة ثمانين ومائة. وذكر الخطيب أن عمره كان اثنتين وثلاثين سنة ويقال: إنه نيف على الأربعين سنة وهو الصحيح، لأنه قد روى عن عيسى بن عمر، وعيسى بن عمر مات سنة تسع وأربعين ومائة، فمن وفاة عيسى إلى وفاة سيبويه إحدى وثلاثين سنة، وما يكون قد أخذ عنه إلا وهو يعقل، ولا يعقل حتى يكون بالغاً والله أعلم.

وقال أحمد بن يحيى ثعلب في أماليه: قدم سيبويه العراق في أيام الرشيد وهو ابن نيف وثلاثين سنة، وتوفي وعمره نيف وأربعون سنة بفارس. قال الأصمعي: قرأت على قبر سيبويه بشيراز هذه الأبيات وهي لسليمان بن يزيد العدوي:

ذهب الأحبة بعد طول تزاور ونأى المزار فأسلموك وأقشعوا

تركوك أوحش ما تكون بقفرة لم يؤنسوك وكربة لم يدفعوا

قضي القضاء وصرت صاحب حفرة عنك الأحبة أعرضوا وتصعدوا

وأخذ سيبويه النحو والأدب عن الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب، وأبي الخطاب الأخفش، وعيسى بن عمر. نقلت من خط أبي سعد السمعاني مما انتخبه من طبقات أهل فارس وشيراز تأليف الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز الشيرازي القصار: بشير بن سعيد، وقيل: عمرو بن عثمان بن قنبر يكنى أبا بشر، سيبويه النحوي عن الخليل بن أحمد، وهو من الحارث بن كعب، مات وكان على مظالم فارس وقبره في شيراز. لم يزد في ترجمته على هذا، وورد بغداد وناظر بها الكسائي وتعصبوا عليه، وجعلوا للعرب جعلاً، حتى وافقوه على خلافه، ولذلك قصة ذكرت فيما بعد، وكان سبب طلب سيبويه النحو ما ذكرناه في أخبار حماد بن سلمة.

وحدث أبو عبيدة قال: لما مات سيبويه قيل ليونس بن حبيب: إن سيبويه قد ألف كتاباً في ألف ورقة من علم الخليل. قال يونس: ومتى سمع سيبويه هذا كله من الخليل؟ جئوني بكتابه، فلما نظر فيه رأى كل ما حكى فقال: يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل في جميع ما حكاه كما صدق فيما حكاه عني، وذكر صاعد بن أحمد الجبائي من أهل الأندلس في كتابه قال: لا أعرف كتاباً ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم، وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب، أحدها المجسطي لبطليموس في علم هيئة الأفلاك، والثاني كتاب أرسطو ليس في علم المنطق، والثالث كتاب سيبويه البصري النحوي، فإن كل واحد من هذه لم يشذ عنه من أصول فنه شيء إلا ما لا خطر له. وكان إذا أراد إنسان قراءة كتاب سيبويه على المبرد يقول له: أركبت البحر؟ تعظيماً واستصعاباً.

وحدث محمد بن سلام قال: كان سيبويه جالساً في حلقة بالبصرة فتذاكرنا شيئاً من حديث قتادة فذكر حديثاً غريباً وقال: لم يرو هذا إلا سعيد بن أبي العروبة. فقال بعض ولد جعفر بن سليمان: ما هاتان الزادتان يا أبا بشر؟ فقال هكذا يقال، لأن العروبة هي الجمعة، ومن قال ابن عروبة فقد أخطأ. قال ابن سلام: فذكرت ذلك ليونس فقال: أصاب الله دره.

وحدث ابن النطاح قال: كنت عند الخليل بن أحمد فأقبل سيبويه فقال الخليل مرحباً بزائر لا يمل، قال: وكان كثير المجالسة للخليل، وما سمعت الخليل يقولها لغيره، قال: وكان شاباً جميلاً نظيفاً. وحدث أحمد بن معاوية بن بكر العليمي قال: ذكر سيبويه عند أبي فقال: عمرو بن عثمان قد رأيته وكان حدث السن، كنت أسمع في ذلك العصر أنه أثبت من حمل عن الخليل، وقد سمعته يتكلم وينظر في النحو وكانت في لسانه حبسة، ونظرت في كتابه فرأيت علمه أبلغ من لسانه، وحدث أبو الحسن سعيد بن مسعدة والمبرد وثعلب وجمعت بين أقوالهم وحذفت التكرار قالوا: قدم سيبويه إلى العراق على يحيى بن خالد البرمكي فسأله عن خبره فقال: جئت لتجمع بيني وبين الكسائي، فقال: لا تفعل، فإنه شيخ مدينة السلام وقارئها، ومؤدب ولد أمير المؤمنين، وكل من في المصر له ومعه، فأبى إلا أن يجمع بينهما، فعرف الرشيد خبره، فأمره بالجمع بينهما فوعده بيوم، فلما كان ذلك اليوم غدا سيبويه وحده إلى دار الرشيد، فوجد الفراء والأحمر وهشام بن معاوية ومحمد بن سعدان قد سبقوه، فسأله الأحمر عن مائة مسألة فما أجابه عنها بجواب إلا قال أخطأت يا بصري، فوجم سيبويه وقال: هذا سوء أدب، ووافى الكسائي وقد شق أمره عليه ومعه خلق كثير من العرب، فلما جلس قال له: يا بصري، كيف تقول: خرجت وإذا زيد قائم؟ قال: خرجت وإذا زيد قائم، قال: فيجوز أن تقول: خرجت فإذا زيد قائماً قال: لا، قال الكسائي: فكيف تقول قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور، فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها؟ فقال سيبويه: فإذا هو هي، ولا يجوز النصب، فقال الكسائي: لحن، وخطأ الجميع. وقال الكسائي: العرب ترفع ذلك كله وتنصبه، ودفع سيبويه قوله فقال يحيى بن خالد: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بديكما، فمن يحكم بينكما وهذا موضع مشكل؟ فقال الكسائي: هذه العرب ببابك، وقد جمعتهم من كل أوب، ووفدت عليك من كل صقع وهم

فصحاء الناس وقد قنع بهم أهل المصريين، وسمع أهل الكوفة والبصرة منهم فيحضرون ويسألون، فقال يحيى وجعفر: قد أنصفت، وأمر بإحضارهم فدخلوا وفيهم أبو فقعه، وأبو دثار، وأبو ثروان، فسئلوا عن المسائل التي جرت بينهما فتابعوا الكسائي، فأقبل يحيى على سيبويه فقال: قد تسمع أيها الرجل؟ فانصرف المجلس على سيبويه، وأعطاه يحيى عشرة آلاف درهم وصرفه، فخرج وصرف وجهه تلقاء فارس، وأقام هناك حتى مات غماً بالذرب، ولم يلبث إلا يسيراً ولم يعد إلى البصرة.

قال أبو الحسين علي بن سليمان الأخفش: وأصحاب سيبويه إلى هذه الغاية لا اختلاف بينهم أن الجواب كما قال سيبويه، وهو فإذا هو هي، أي فإذا هو مثلها، وهذا موضع رفع وليس بموضع نصب. فإن قال قائل: فأنت تقول: خرجت فإذا زيد قائم وقائماً فتتصب قائماً، فلم لم يجر فإذا هو إياها؟ لأن إيا للمنصوب وهي للمرفوع؟ والجواب في هذا أن قائماً انتصب على الحال وهو نكرة، وإيا مع ما بعدها مما أضيفت إليه معرفة، والحال لا تكون إلا نكرة فبطل إياها، ولم يكن إلا هي وهو خبر الابتداء، وخبر الابتداء يكون معرفة نكرة، والحال لا يكون إلا نكرة، فكيف تقع إياها وهي معرفة في موضع ما لا يكون إلا نكرة؟ وهذا موضع الرفع. وقد قال أصحاب سيبويه: الأعراب الذين شهدوا للكسائي من أعراب الحطمية الذين كان الكسائي يقوم بهم ويأخذ عنهم.

ولما مرض سيبويه مرضه الذي مات فيه، جعل يجود بنفسه ويقول:

يؤمل دنيا لتبقى له فمات المؤمل قبل الأمل

حديثاً يرى أصول النخيل فعاش الفسيل ومات الرجل

قالوا: ولما اعتل سيبويه وضع رأسه في حجر أخيه فبكى أخوه لما رآه لما به، فقطرت من عينه قطرة على وجه سيبويه ففتح عينه فراه يبكي فقال:

أخيين كنا فرق الدهر بيننا إلى الأمد الأقصى، ومن يأمن الدهر؟

وحدث أبو الطيب اللغوي عن أبي عمر الزاهد قال: قال ثعلب يوماً في مجلسه: مات الفراء وتحت رأسه كتاب سيبويه فعارضه أبو موسى الحامض بما قد كتبناه في أخباره.

وحدث محمد بن عبد الملك التاريخي فيما رواه عن ثعلب عن محمد بن سلام قال: حدثني الأخفش أنه قرأ كتاب سيبويه على الكسائي في جمعة فذهب له سبعين ديناراً. قال: وكان الكسائي يقول لي: هذا الحرف لم أسمع فاكته لي فأفعل. قال: وكان الأخفش يؤدب ولد الكسائي. قال التاريخي: فكان الجاحظ سمع هذا الخبر فقال مما يעדده من فخر أهل البصرة على أهل الكوفة: هؤلاء يأتونكم بفلان وفلان وبسيبويه الذي اعتمدتم على كتبه وجحدتم فضله. وحدث التاريخي أيضاً وهارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال هارون: دخل الجاحظ على أبي وقد اقتصد فقال له: - أدام الله صحتك -، ووصل غبطتك، ولا سلبك نعمتك. قال: ما أهديت لي يا أبا عثمان؟ قال: أطرف شيء، كتاب سيبويه بخط الكسائي وعرض الفراء. وقال التاريخي: قال الجاحظ: أردت الخروج إلى محمد عبد الملك ففكرت في شيء أهديه له فلم أجد شيئاً أشرف من كتاب سيبويه وقلت له: أردت أن أهدي لك شيئاً ففكرت فإذا كل شيء عندك، فلم أر أشرف من هذا الكتاب، وهذا كتاب اشتريته من ميراث الفراء قال: والله ما أهديت إلي شيئاً أحب إلي منه.

وحدث التاريخي عن المبرد عن الزراري أبي زيد قال: قال رجل لسماك بالبصرة: بكم هذه السمكة؟ قال: بدرهمان. فضحك الرجل، فقال السماك: ويلك أنت أحمق، سمعت سيبويه يقول: ثمنها درهمان.

وحدث عن المبرد عن المازني عن الجرمي قال: في كتاب سيبويه ألف وخمسون بيتاً سألت عنها فعرف ألف ولم تعرف خمسون. وحدثت عن النظام أنه دخل على سيبويه في مرضه فقال له: كيف تجدك يا أبا بشر؟ قال: أجدني ترحل العافية عني بانتقال، وأجد الداء يخامرني بحلول، غير أنني وجدت الراحة منذ البارحة. قلت: فما تشتهي؟ قال: أشتهي أن أشتهي. فلما كان من بعد ذلك اليوم دخلت إليه وأخوه يبكي وقد قطرت من دمعه قطرة على خده فقلت: كيف تجدك؟ فقال:

يسر الفتى ما كان قدم من تقى إذا عرف الداء الذي هو قاتله

قال النظام: ثم مات من يومه. وحدث أبو حاتم السجستاني قال: دخلت على الأصمعي في مرضه الذي مات فيه فسألته عن خبره ثم قلت: كم سنة مضت من عمرك؟ فقال: لا أدري، ولكني أحذتك: كنت شاباً مقتبلاً، فتزوجت فولد لي وولد لأولادي وأنا حي ثم انشد:

إذا الرجال ولدت أولادها واضطربت من كبر أعضادها

وجعلت أسقامها تعتادها فهي زروع قد دنا حصادها

فقلت له: في نفسي شيء أريد أن أسألك عنه. قال: سل. فقلت: حدثني بما جرى بينك وبين سيبويه من المناظرة. فقال: والله لولا أنني لا أرجو الحياة من مرضتي هذه ما حدثتك، إنه عرض علي شيء من الأبيات التي وضعها سيبويه في كتابه ففسرتها على خلاف ما فسرته، فبلغ ذلك سيبويه فبلغني أنه قال: لا ناظرته إلا في المسجد الجامع، فصليت يوماً في الجامع ثم خرجت فتلقتني في المسجد فقال لي: اجلس يا أبا سعيد، ما الذي أنكرت من بيت كذا وبيت كذا؟ ولم فسرت على خلاف ما يجب؟. فقلت له: ما فسرت إلا على ما يجب، والذي فسرته أنت ووضعت خطأ، تسألني وأجيب. ورفعت صوتي فسمع العامة فصاحتني، ونظروا إلى لكنته فقالوا: لو غلب الأصمعي سيبويه، فسرنى ذلك، فقال لي: إذا علمت أنت يا أصمعي ما نزل بك مني لم ألتفت إلى قول هؤلاء، ونفض يده في وجهي ومضى. ثم قال الأصمعي: يا بني، فوالله لقد نزل بي منه شيء وددت أني لم أتكلم في شيء من العلم.

وعن أبي عثمان المازني قال: حدثني الأخفش قال: حضرت مجلس الخليل فجاءه سيبويه فسأله عن مسألة وفسرها له الخليل فلم أفهم ما قال، فقممت وجلست له في الطريق فقلت له: جعلني الله فداءك، سألت الخليل عن مسألة فلم أفهم ما رد عليك ففهمني، فأخبرني بها فلم تقع لي ولا فهمتها فقلت له: لا تتوهم أني أسألك إعنائاً فإنني لم أفهمها ولم تقع لي. فقال لي: ويلك، ومتى توهمت أنني أتوهم أنك تعنتني، ثم زجرني وتركني ومضى. وحدث المازني قال: قال الأخفش: كنت عند يونس فليل له: قد أقبل سيبويه فقال: أعود بالله منه. قال: فجاء فسأله فقال: كيف تقول مررت به المسكين، فقال: جائز أن أجره على البذل من الهاء. قال: فقال له: فمررت به المسكين على معنى: المسكين مررت به، فقال: هذا خطأ لأن المضمر قبل الظاهر. قال: فقال له: إن الخليل أجاز ذلك وأنشد فيها أبياتاً فقال: هو خطأ فغمني ذلك. قال: فمررت به المسكين، فقال جائز، فقال: على أي شيء ينصب؟ فقال: على الحال. فقال سيبويه: أليس أنت أخبرتني أن الحال لا تكون بالألف واللام؟ فقال له: صدقت. ثم قال لسيبويه: فما قال صاحبك فيه؟ يعني الخليل، فقال سيبويه: قال لي: إنه ينصب على الترحم، فقال: ما أحسن هذا ورأيت مغموماً بقوله: نصبته على الحال.

عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول بن صول

الصولي، كنيته أبو الفضل، من جلة كتاب المأمون وأهل الفضل والبراعة والشعر منهم. وذكر الجهشيارى: أن مسعدة كان مولى خالد بن عبد الله القسري، وأنه كان يكتب لخالد وكان بليغاً كاتباً، مات في سنة أربع عشرة ومائتين، وقيل في سنة سبع في أيام المأمون. وكان مسعدة من كتاب خالد بن برمك، ثم كتب بعده لأبي أيوب وزير المنصور على ديوان الرسائل.

قال الصولي: قال أحمد بن عبد الله. كان لمسعدة أربعة بنين: مجاشع، وهو الذي يقول فيه أبو العتاهية:

علمت يا مجاشع بن مسعدة
أن الشباب والفراغ والجده

مفسدة للمرء أي مفسده

ومسعود، وعمرو، ومحمد. وقد ذكر أن المنصور قال يوماً لكتابه: اكتبوا لي تعظيم الإسلام، قال: فبدر مسعدة فكتب: الحمد لله الذي عظم الإسلام واختاره، وأوضحه وأناره، وأعزه وأنافه، وشرفه وأكملته، وتممه وفضله، وأعزه ورفعته، وجعله دينه الذي أحبه واجتبه، واستخلصه وارتيضاه، واختاره واصطفاه، وجعله الدين الذي تعتد به ملائكته، وأرسل بالدعاء إليه أنبياءه، وهدى له من أراد إكرامه وإسعاده من خلقه، فقال جل من قائل: (إن الدين عند الله الإسلام)، وقال جل وعلا: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه). وقال: (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل). فبهذا الإسلام والدخول فيه والعلم به، وأداء شرائعه، والقيام بمفروضاته، وصلت ملائكته ورسله إلى رضوان الله ورحمته، وجواره في جنته، وبه تحرزوا من غضبه وعقوبته، وأمنوا نكال عذابه وسطوته. فقال المنصور: حسبك يا مسعدة، اجعل هذا صدر الكتاب إلى أهل الجزيرة بالإعذار والإنذار. وأما عمرو بن مسعدة: فضله شائع، ونبله ذائع، أشهر من أن ينسب عليه، أو يدل بالوصف إليه، قد ولي للمأمون الأعمال الجليلة، وألحق بذوي المراتب النبيلة، وسماه بعض الشعراء وزيراً لعظم منزلته، لا لأنه كان وزيراً وهو قوله:

لقد أسعد الله الوزير ابن مسعدة
وبث له في الناس شكراً ومحمده

في أبيات. فحدث إسماعيل بن أبي محمد الزبيدي قال: كان عمرو بن مسعدة أبيض أحمر الوجه، وهو من أولاد صول الأكبر جد محمد بن صول بن صول، وقد ذكرت أصلهم في أخبار إبراهيم بن العباس من هذا الكتاب، وكان المأمون يسميه الرومي لبياض وجهه. ووصف الفضل بن سهل بلاغة عمرو بن مسعدة فقال: هو أبلغ الناس، ومن بلاغته أن كل أحد إذا سمع كلامه ظن أنه يكتب مثله، فإذا رآه بعد عليه، وهذا كما قيل لجعفر بن يحيى: ما حد البلاغة؟ فقال: التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يقدر على مثلها، فإذا رامها بعد عليه، وهذا كما قيل لجعفر بن يحيى: ما حد البلاغة؟ فقال: التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يقدر على مثلها، فإذا رامها بعد عليه، وهذا كما قيل لجعفر بن يحيى: ما حد البلاغة؟ فقال: التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يقدر على مثلها. عليه.

وحدث العباس بن رستم قال: كان لعمرو بن مسعدة فرس أدهم أغر، لم يكن لأحد مثله فراهة وحسناً فبلغ المأمون خبره، وبلغ عمرو بن مسعدة ذلك، فخاف أن يأمر بقوده إليه فلا يكون له فيه محمدة، فوجه به إليه هدية وكتب معه:

يا إماماً لا يداني
ه إذا عد إمام

فضل الناس كما يف
قد بعثنا بجواد
فرس يزهى به لل
دونه الخيل كما دو
وجهه صبح ولكن
والذي يصلح للمو

ضل نقصاناً تمام
مثله ليس يرام
حسن سرج ولجام
نك في الفضل الأنام
سائر الجسم ظلام
لى على العبد حرام

وكتب عمرو بن مسعدة إلى الحسن بن سهل أما بعد: فإنك ممن إذا غرس، وإذا أسس بني، ليستتم تشييد أسه، ويجتني ثمار غرسه، وثناؤك عندي قد شارف الدروس، وغرسك مشف على اليبوس، فتدارك بناء ما أسست، وسقي ما غرست إن شاء الله تعالى.

وحدث الصولي قال: لما مات عمرو بن مسعدة رفع إلى المأمون أنه خلف ثمانين ألف درهم فوقع على الرقعة: هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا، فبارك الله لولده فيه. وعمرو القائل في رواية المرزباني:

ومستعذب للهجر، والوصل أعب
إذا جدت مني بالرضا جاد بالجفا
تعلمت ألوان الرضا خوف هجره
ولي غير وجه قد عرفت طريقه

أكاتمته حيي فينأى وأقرب
ويزعم أني مذنب وهو أذنب
وعلمه حيي له كيف يغضب
ولكن بلا قلب إلى أين أذهب؟

قال: وهذان البيتان الأخيران متنازعان

عمرو بن كركرة أبو مالك الأعرابي

كان يعلم بالبادية وورق في الحضرة، وهو مولى بني سعد، وكان راوية أبي البيداء، يقال: إنه كان يحفظ لغة العرب، وكان بصري المذهب، وكان أحد الطيبات. قال الجاحظ: كان يزعم أن الأغنياء عند الله أكرم من الفقراء ويقول: إن فرعون عند الله أكرم من موسى، وكان يلتقم الحار الممتنع فلا يؤذيه، وصنف كتباً منها: كتاب خلق الإنسان، كتاب الخيل.

وقال أبو الطيب اللغوي في كتاب مراتب النحويين: كان ابن مناذر يقول: كان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة، وكان أبو عبيدة يجيب في نصفها، وكان أبو زيد يجيب في ثلثيها، وكان أبو مالك يجيب فيها كلها، وإنما عنى ابن مناذر توسعهم في الرواية والفتيا، لأن الأصمعي كان يضيق ولا يجوز إلا أصح اللغات، ويلج في ذلك ويمحك، وكان مع ذلك لا يجيب في القرآن وحديث النبي صلى الله عليه وسلم. فعلى هذا يزيد بعضهم على بعض، وله قصة في أخبار ابن مناذر في كتاب الشعراء من تصنيفنا.

عنيسة بن معدان الفيل

أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي ولم يكن فيمن أخذ النحو أبرع منه. وأما معنى تسميته بمعدان الفيل: فحدث محمد بن عبد الملك التاريخي عن يوسف بن يعقوب بن السكيت قال: حدثني عبد الرحيم بن مالك عن الهيثم بن عدي عن أشياخه قال يوسف: وحدثني مسلم بن محمد بن نوح عن هشام بن محمد عن رجل من قريش قال: كانت لزياد بن أبيه فيلة ينفق عليها في كل يوم عشرة دراهم. فأقبل رجل من أهل ميسان يقال له معدان فقال: ادفعوها إلي وأكفيكم المئونة، وأعطيك عشرة دراهم كل يوم فدفعوها إليه فأثرى وابتنى قصرًا، ونشأ له ابن يقال له عنيسة، فروى الأشعار وظرف وفصح، وروى شعر جرير والفرزدق وانتمى إلى بني أبي بكر بن كلاب فقيل للفرزدق: ههنا رجل من بني أبي بكر بن كلاب يروي شعر جرير ويفضله عليك ووصفوا له فقال: رجل من بني أبي بكر بن كلاب على هذه الصفة لا أعرفه، فأروني داره فأروه فقال: هذا ابن معدان الميساني ثم قص قصته وقال:

لعنيسة الراوي علي القصائد

لقد كان في معدان والفيل زاجر

فروي البيت بالبصرة، ولقي عنيسة أبا عيينة بن المهلب فقال له أبو عيينة: ما أراد الفرزدق بقوله:

لقد كان في معدان الفيل زاجر؟

فقال: إنما قال: لقد كان في معدان واللؤم زاجر. فقال أبو عبيدة: وأبيك إن شيئاً فررت منه إلى اللؤم لعظيم. قال التاريخي: فحدثت بهذا الحديث أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً فسر به وسألني أن أكتبه له، فكتبته له والحديث على لفظ مسلم بن محمد بن نوح.

عوانة بن الحكم بن عياض بن وزر

ابن عبد الحارث بن أبي حصن بن ثعلبة بن جبير بن عامر بن النعمان. كان عالماً بالأخبار والآثار ثقة، روى عنه الأصمعي والهيثم بن عدي وكثير من أعيان أهل العلم. وقال أبو عبيدة في كتاب المثالب: يقال في الحكم بن عوانة الكلبي: إن أباه كان عبداً خياطاً ادعى بعد ما احتلم، وكانت أمه أمة سوداء لآل أيمن بن خزيمة بن فاتك الأسدي، وله إخوة موال، قال في ذلك ذو الرمة:

ألكني فإني مرسل برسالة
فلو كنت من كلب صميماً هجوتها
ولكنما أخبرت أنك ملصق
تدهى فخرت ثلثة من صحيحه
إلى حكم من غير حب ولا قرب
ولكن لعمرى لا إخالك من كلب
كما ألصقت من غيره ثلثة القعب
فلز بأخرى بالغراء وبالشعب

حدث أحمد بن يحيى قال: أنشدني ذو الرمة شعراً وعوانة ابن الحكم حاضر، فغاب شيئاً منه فقال فيه هذه الأبيات المتقدمة. قال: وقال محمد بن أحمد الكاتب: وقال عياض بن وزر في ابنه عوانة:

عجباً عجبت لمعشر لم يرشدوا
إني إلى الرحمن أبرأ صادقاً
أنكرت منك جعودة في حوة
ما كان لي في آل حام والد
جعلوا عوانة لي بغيب إنمنا
ما نكت أمك يا عوانة محرماً
ومشافراً هدلاً وأنفاً أختماً
عبد فأصبح في كنانة أكشما

واكن يكنى أبا الحكم وكان ضريراً، مات فيما ذكره المرزباني عن الصولي سنة سبع وأربعين ومائة في الشهر الذي مات فيه الأعمش. قال المدائني: مات عوانة سنة ثمان وخمسين ومائة في السنة التي مات فيها المنصور. حدث الهيثم بن عدي قال: كنت عند عبد الله بن عياش الهمداني وعنده عوانة بن الحكم فذاكروا أمر النساء فقلت: حدثني ابن الظلمة عن أمه أنها قالت: والله ما أتى النساء مثل أعمى عفيف، فضرب عوانة بيده على فخذي وقال: حفظك الله يا أبا عبد الرحمن، فإنك تحفظ غريب الحديث وحسنه. قال: وكان عوانة ضريراً. قال: قال عبد الله بن جعفر: عوانة بن الحكم من علماء الكوفة بالأخبار خاصة والفتوح مع علم بالشعر والفصاحة، وله إخوة وأخبار ظريفة، وكان موثقاً وعامة أخبار المدائني عنه.

قال: وروى عبد الله بن المعتز عن الحسن بن عليل العنزي أن عوانة بن الحكم كان عثمانياً وكان يضع أخباراً لبني أمية. قال: وحدث أبو العيناء عن الأصمعي قال: أنشد عوانة بيتين فقيل له لمن هما؟ قال: أنا تركت الحديث بغضاً مني للإسناد وليس أراكم تعفوني منه في الشعر.

وحدث هشام بن الكلبي عن عوانة قال: خطبنا عتبة بن النهاس العجلي فقال: ما أحسن شيئاً قال الله عز وجل في كتابه:

ليس حي على المنون بباق
غير وجه المسبح الخلاق

فقمت إليه فقلت: أيها الرجل، إن الله عز وجل لم يقل هذا، إنما قاله عدي بن زيد ثم نزل عن المنبر، وأتى بامرأة من الخوارج فقال: يا عدوة الله، ما خروجك على أمير المؤمنين؟ ألم تسمعي قول الله عز وجل:

كتب القتال والقتال علينا
وعلى المحصنات جر الذبول؟

فحركت رأسها وقالت: يا عدو الله حملني على الخروج جهلكم بكتاب الله عز وجل. وحدث الهيثم بن عدي قال: كنا عند عوانة فورد الخبر بأن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب قد قتل بالمدينة، فترحم عليه عوانة وذكر فضله ثم قال: أخطأ الرأي في استهدافه لهم ومقابلته إياهم بالقرب منهم، ولو تباعد عنهم حتى يجتمع أمره، ويرى رأيه لكالت مدته، فقيل له: قد أشير عليه بذلك فلم يقبله، فتمثل عوانة ببقول زهير:

أضاعتم فلم تغفر لها غفلاتها
فلأقت تباباً عند آخر معهد

دماً حول شلو تحجل الطير حوله
ويضع لحام في إهاب مقدد

قال: ثم قال: هل علينا عين؟ قالوا لا فقل ما شئت، فقال: محمد والله من الذين قال الله فيهم: (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله).

وحدث التاريخي عن إسماعيل بن إسحاق عن نصر بن علي عن الأصمعي عن عوانة قال: كان ابن زياد يأكل بعد الشبع أربع جرادق أصبهاينة وجبنة ورطلاً عسلاً. وحدث عنه أحمد بن عبيد عن الأصمعي عن عوانة قال: لقي رجلاً أعرابياً فقال: ممن الرجل؟ قال: من قوم إذا نسي الناس علمهم حفظوه عليهم. قال: فأنت إذا من كلب، قال أجل. وكان لعوانة أخ يقال له عياض نحوي أديب أقام بإفريقية وانتقل إليها من الكوفة، فحدث المرزباني بإسناده قال: كان عوانة بن الحكم يقول لأخ له - يقال عياض - نحوي: لا تعمق في النحو، فإنه لم يتعمق فيه أحد إلا صار معلماً، قال: فصار عياض بعد ذلك معلماً بإفريقية لولد المولى.

عوف بن محلم الخزاعي

أبو المنهال، أحد العلماء والأدباء والرواة الفهماء، والندامي الطرفاء والشعراء الفصحاء، وكان صاحب أخبار ونوادر، وله معرفة بأيام الناس. وكان طاهر بن الحسين ابن مصعب قد اختصه لمناذمته واختاره لمسامرته. وكان لا يخرج في سفر إلا أخرجه معه، وجعله زميله وأنيسه وعديله، وكان يعجب به.

قال محمد بن داود: ويقال إن سبب اتصاله بطاهر أنه نادى على الجسر بهذه الأبيات في أيام الفتنة ببغداد، وطاهر ينحدر في حراقة دجلة، فسمعها منه فأدخله وأنشده إياها وهي:

عجبت لحراقة بن الحسين

وبحران من تحتها واحد

وأعجب من ذاك عيدانها

وقد مسها كيف لا تورق؟

كيف تعوم ولا تغرق؟

وأخر من فوقها مطبق

وأصله من حران فبقي مع طاهر ثلاثين سنة لا يفارقه، وكان يستأذنه في الانصراف إلى أهله ووطنه فلا يأذن له ولا يسمح به، فلما مات طاهر ظن أنه قد تخلص وأنه يلحق بأهله ويرجع إلى وطنه، فقربه عبد الله بن طاهر من نفسه وأنزله منزلته من أبيه، وكان عبد الله أديباً فاضلاً عالماً بأخبار الناس، فلما وقف على أدب عوف وفضله تمسك به وأفضل عليه حتى كثر ماله، وحسن حاله، وتلطف بجهد أن يأذن له عبد الله في العود إلى وطنه فلم يكن إلى ذلك سبيل، وحفره الشوق إلى أهله وأهمه أمرهم، فاتفق أن خرج عبد الله من بغداد يريد خراسان، فصير عوفاً عديله يستمتع بمسامرته، ويرتاح إلى محادثته إلى أن دنا من الري، فلما شارفها سمع صوت عندليب يغرد بأحسن تغريد وأشجى صوت، فأعجب عبد الله بصوته، والتفت إلى عوف بن محلم فقال له: يا بن محلم، هل سمعت قط أشجى من هذا الصوت وأطرب منه؟ فقال: لا والله أيها الأمير، وإنه لحسن الصوت، شجي النغمة، مطرب التغريد، فقال عبد الله: قاتل الله أبا كبير حيث يقول:

ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر

أفق لا تنح من غير شيء فإنني

ولو عاً فشطت غربة دار زينب

فكبت زماناً والفؤاد صحيح

فها أنا أبكي والفؤاد قريح

فقال عوف: أحسن والله أبو كبير وأجاد ثم قال: أصلح الله أمير المؤمنين - إنه كان في الهذليين مائة وثلاثون شاعراً ما فيهم إلا مفلق، وما كان فيهم مثل أبي كبير فإنه كان يبيع في شعره، ويفهم آخر قوله وأوله، وما شيء أبلغ في الشعر من الإبداع فيه.

قال عبد الله: أقسمت عليك إلا أجزت شعر أبي كبير؟ قال عوف: أصلح الله الأمير، قد كبر سني، وفني ذهني، وأنكرت كل ما كنت أعرفه. قال عبد الله: سألتك بحق طاهر إلا فعلت؟ وكان لا يسأل بحق طاهر شيئاً إلا ابتدر إليه لما كان يوجبه له، فلما سمع عوف ذلك أنشأ يقول:

أفي كل عام غربة ونزوح

لقد طلع البين المشت ركائبي

وأرقتني بالري نوح حمامة

على أنها ناحت ولم تذر دمة

وناحت وفرخاها بحيث تراهما

ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر

عسى جود عبد الله أن يعكس النوى

إن الغنى يدني الفتى من صديقه

أما للنوى من ونية فتريح؟

فهل أرين البين وهو طليح؟

فنحت وذو البث الغريب ينوح

ونحت وأسراب الدموع سفوح

ومن دون أفرخي مهامه فيح

وغصنك مياد فقيم تنوح؟

فيلقي عصا التطواف وهي طريق

وعدم الغنى بالمقترين طروح

قال: فاستعير عبد الله ورق له، وجرت دموعه وقال له: والله إنني لضنين بمفارقتك، شحيح على الفائت من محاضرتك، ولكن والله لا أعملت معي خفاً ولا حافراً إلا راجعاً إلى أهلك، ثم أمر له بثلاثين ألف درهم. فقال يمدح عبد الله وأباه:

يا بن الذي دان له المشرقان	وألين الأمن به المغربان
إن الثمانين، وبلغتها	قد أحوجت سمعي إلى ترجمان
وأبدلتني بالشطاط الحنا	وكننت كالصعدة تحت السنان
وعوضتني من زماع الفتى	وهمتي هم الجبان الهدان
وقاربت مني خطي لم تكن	مقاربات وثنت من عنان
وأنشأت بيني وبين الورى	عنانة من غير نسج العنان
ولم تدع في لمستمتع	إلا لساني وبحسبي لسان
أدعو به الله وأثني به	على الأمير المصعبي الهجان
وهمت بالأوطان وجداً بها	وبالغواني أين مني الغوان؟
فقرباني بأبي أنتما	من وطني قبل اصفرار البنان
وقبل منعاي إلى نسوة	أوطانها حران والرقتان
سقى قصور الشاذياخ الحيا	من بعد عهدي وقصور الميان
فكم وكم من دعوة لي بها	بأن تخطاها صروف الزمان؟

وهذه قصور بخراسان بناحية نيسابور لآل طاهر، ثم ودع عبد الله وسار راجعاً إلى أهله فمات قبل أن يصل إليهم. وقد روى في خبر هذه الأبيات أن عوف بن ملح دخل على عبد الله بن طاهر فسلم عبد الله عليه فلم يسمع فأعلم بذلك فزعموا أنه أنحل هذه القصيدة، وكان قد ورد على عبد الله بن طاهر شاعر يقال له روح وعرض على عوف شعره، فمنعه من إنشاده عبد الله وقال: إن عبد الله رجل فاضل لا ينفق عليه من الشعر إلا أحسنه. فقال له قد حسدتني وتوصل حتى أنشده عبد الله فاسترذله واستبرده ورده، فبلغ ذلك عوفاً فقال:

أنشدني روح مديحاً له	فقلت شعراً قال لي فيش
فصرت لما أن بدا منشداً	كأنني في قبة الخيش
وقلت: زدني وتقهمته	والثلج في الصيف من العيش

عون بن محمد الكندي

الكاتب أبو مالك، أحد أصحاب ابن الأعرابي، وأخذ عن سلمة بن عاصم صاحب الفراء، وروى عنه الصولي فأكثر. حدث الصولي قال: حدثني عون بن محمد الكندي قال: كنا في مجلس ابن الأعرابي فقدم قادم من سر من رأى فأخبر بنكبة سليمان بن وهب وأحمد بن الخصيب فأنشد ابن الأعرابي:

رب قوم رتعوا في نعمة	زمناً والعيش ريان غدق
سكت الدهر طويلاً عنهم	ثم أبكاهم دماً حين نطق

عيسى بن إبراهيم الربيعي الوحاظي

بلدة باليمن. لا أعرف حاله إلا أنه مصنف كتاب نظام الغريب في اللغة، هذا فيه حذو كفاية المتحفظ وأجاده، وأهل اليمن مشتغلون به.

عيسى بن عمر الثقفي أبو عمر

مولى خالد بن الوليد، نزل في ثقيف فنسب إليهم، عالم بالنحو والعربية والقراءة مشهور بذلك، أخذ عن عبد الله بن إسحاق الحضرمي، ومات عيسى بن عمر سنة تسع وأربعين ومائة في خلافة المنصور قبل أبي عمرو بن العلاء بخمس سنين أو ست. حدث التاريخي محمد بن عبد الملك عن المبرد قال: أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود الدؤلي، ثم أخذ النحو

عن أبي الأسود عن عنبسة بن معدان المهري الذي يقال له عنبسة الفيل، ثم أخذه عن عنبسة ميمون الأقرن، ثم أخذه عن ميمون ابن أبي إسحاق الحضرمي، ثم أخذه عن ابن أبي إسحاق عيسى بن عمر، ثم أخذه عن الخليل بن أحمد سيبويه، ثم أخذه عن سيبويه الأخفش، واسمه سعيد بن مسعدة. قال التاريخي: حدثنا المبرد مرة أخرى عن التوزي عن أبي عبيدة قال: ووضع عيسى بن عمر كتابين في النحو سمي أحدهما الجامع والآخر المكمل، فقال الخليل بن أحمد:

بطل النحو جميعاً كله
ذاك إكمال وهذا جامع
غير ما أحدث عيسى بن عمر
فهما للناس شمس وقمر

قال المؤلف: وهذان كتابان ما علمنا أحداً رآهما ولا عرفهما، غير أن أبا الطيب اللغوي ذكر في كتابه أنهما مبسوط ومختصر. وذكر عن المبرد أنه قال: قرأت أوراًفاً من أحد كتابي عيسى بن عمر وذكر أيضاً أن عيسى بن عمر أخذ النحو عن أبي عمرو بن العلاء. وحدث المرزباني فيما أسنده إلى الأصمعي قال: كان عيسى بن عمر صاحب تقصير في كلامه، وكان عمر بن هبيرة قد اتهمه بوديعة لبعض العمال فضربه مقطوعاً نحواً من ألف سوط فجعل يقول: والله ما كان إلا أثياب في أسيفاط قبضها عشاروك فيقول له: إنك لخبيث. قال: وكان دقيق الصوت. قال: فكان طول دهره يحمل في كفه خرقة فيها سكر العشر والإجاص اليابس، وربما رأيته واقفاً أو سائراً أو عند بعض ولاية البصرة فتصيبه نهكة في فؤاده، فيخفق عليه حتى يكاد يغلب فيستغيث بإجاصة وسكرة يلقيها في فيه ثم يتمصصها، فإذا فعل ذلك سكن عليه فسئل عن ذلك فقال: أصابني هذا من الضرب الذي ضربني عمر بن هبيرة، فعالجته بكل شيء فما رأيت له أصلح من هذا.

وحدث التاريخي عن المبرد قال: سمعت يحيى بن معين يقول: عيسى بن عمر النحوي بصري، وعيسى بن عمر الكوفي همداني وهو صاحب الحروف. وحدث عن يوسف بن يعقوب بن السكيت عن الجمار قال: عيسى بن عمر أخو حاجب بن عمر، ويكنى حاجب أبا خشينة، روى عنه الحديث وهما موليان لبني مخزوم، وهما من ولد الحكم بن عبد الله بن الأعرج الذي روى عنه الحديث. وحدث عن أحمد بن عبيد النحوي عن الأصمعي قال: حدثنا عيسى بن عمر قال: قدمت من سفر فدخل علي ذو الرمة فعرضت ألا أكون أعطيته شيئاً فقال لا، أنا وأنت نأخذ ولا نعطي. قال الأصمعي: وحدثني عيسى بن عمر قال: لقد كنت أكتب بالليل حتى ينقطع سوائي أي وسطي. وحدث عن أحمد بن عبيد عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال: للهازم قيس بن ثعلبة وعجل وعزرة وتيم الله. قال عيسى بن عمر: أرى للهازم تجمعوا كما تجمع لهازم الدابة. قال: والرباب ثور وعكل وتيم الله، والرباب ثور وعكل وتيم عدي وضبة وأطل كلهم إخوة، وإنما سموا الرباب لأنهم تجمعوا وتحالفوا، والربابة: جماعة القداح إذا ضمت، وجشم بن بكر وإخوتهم الأراقم وليس بنسب ولكن شبهت عيونهم بعيون الأراقم من الحيات فبقي عليهم. قال مؤلف الكتاب: أما قوله وأطل فهو عجب من مثله، لأن أطل اسم جبل سكنه ثور فنسب إليه فقيل: ثور أطل ولا يفرد في اسم القبيلة. وأما قوله: إنهم تجمعوا مثل الربابة فأكثر أهل هذا الشأن يزعمون أنهم تجمعوا وغمسوا أيديهم في الرب وتحالفوا على بني تميم.

قال أبو العباس ثعلب: جمع الحسن بن قحطبة عند مقدمه مدينة السلام الكسائي والأصمعي وعيسى بن عمر، فألقى عيسى على الكسائي هذه المسألة: همك ما أهمك، فذهب الكسائي يقول: يجوز كذا ويجوز كذا. فقال له عيسى: عافاك الله، إنما أريد كلام العرب، وليس هذا الذي تأتي به كلام العرب قال أبو العباس: وليس يقدر أحد أن يخطئ في هذه المسألة لأنه كيف أعرب هذه الكلمة فهو مصيب، وإنما أراد عيسى بن عمر من الكسائي أن يأتيه باللفظة التي وقعت إليه.

عيسى بن مروان الكوفي أبو موسى

ذكره محمد بن إسحق النديم قال: قرأت بخط ابن الكوفي أنه أخذ عن أبي طالب المفضل بن سلمة وروى عنه، وله من الكتب: كتاب القياس على أصول النحو.

عيسى بن المعلی بن مسلمة الراقي

أحد أدباء عصرنا، أحمل من ذكره خمول قطره، كان مؤدباً بمدينة الرقة التي على الفرات، وله شعر كثير وفضائل جمة وعدة تصانيف منها: كتاب تبيين الغموض في علم العروض وجدته بخطه وقد كتبه في سنة تسعين وخمسائة وعاش بعد ذلك. وله كتاب في اللغة حسن في مجلدين ضخمين رأيته بخطه أيضاً. كتاب ديوان شعره مجلدان.

عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى

ابن عبد الصمد بن عمرو بن عبد الله، المدني المعروف بقالون القارئ، كنيته أبو موسى صاحب نافع بن أبي نعيم، مات سنة خمس ومائتين في أيام المأمون، ومولده سنة عشرين ومائة في أيام هشام بن عبد الملك، وقرأ على نافع سنة خمسين ومائة في أيام المنصور، وكان قالون أصم لا يسمع البوق، وكان إذا قرأ عليه قارئ ألحم أذنه فاه ليسمع قراءته، وهو مولى الأنصار.

حدث أبو موسى قالون: كان نافع إذا قرأت عليه يعقد لي ثلاثين ويقول لي: قالون قالون: يعني جيد بالرومية. وإنما كان يكلمه بذلك، لأن قالون أصله من الروم، جد جده عبد الله من سبي أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقدم به من أسره وباعه فاشتراه بعض الأنصار فأعتقه فهو مولى الأنصار.

عيسى بن يزيد بن دأب الليثي

هو عيسى بن يزيد بن بكر بن كرز بن الحارث بن عبد الله بن أحمد بن يعمر الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر وفي نسبه اختلاف. هذا أظهره أبو الوليد الراوية النسابة من أهل الحجاز، وكان يضعف في روايته، مات سنة إحدى وسبعين ومائة في أول خلافة الرشيد. وحدث المرزباني قال: قال عبد الله بن جعفر كان عيسى بن يزيد بن دأب يكنى أبا الوليد، وكان من رواة الأخبار والأشعار وحفاظهم، وكان معلماً من علماء الحجاز.

وحدث فيما رفعه إلى رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة قال: أنشد ابن دأب:

وهم من ولدوا أشبوا بسر الأدب المحض

فبلغ ذلك أبا عمرو بن العلاء فقال: أخطأت استه الحفرة، إنما هو أشبوا أي كفوا، أما سمع قول الشاعر:

وذو الرمحين أشبأ من القوة والحزم

فبلغه عن ابن دأب شيء فقال: على نفسها تجني براقتش، أما سمعتم قول الليثي:

ألا من مبلغ دأب بن كرز أبا الخنساء زائدة الظليم

فلا تفخر بأحمر واطرحه فما يخفى الأغر من البهيم

فعند الله سر من أبيه كراع زيد في عرض الأديم

وحدث فيما رفعه إلى جابر بن الصلت البرقي قال: وعد المهدي بم دأب جارية فوهبها له فأنشد عبد الله بن مصعب الزبيري قول مضر الأسدي:

فلا تياسن من صالح أن تناله وإن كان قدماً بين أيد تبادره

فضحك المهدي وقال: ادفعوا إلى عبد الله فلانة لجارية أخرى، فقال عبد الله بن مصعب:

أنجز خير الناس قبل وعده أراح من مطل وطول كده

فقال ابن دأب: ما قلت شيئاً، هلا قلت:

حلاوة الفضل بوعد منجز لا خير في العرف كنهب منهز

فضحك المهدي وقال: أحسن الوفاء ما تقدمه ضمان، وحدث عن سعيد بن سلم قال: ما شيء أجل من العلم، كان ابن دأب أحفظ الناس للنسابة والأخبار وكان تياهاً فكان ينادم الهادي ولا يتغدى معه ولا بين يديه ففيل له في ذلك، فقال: أنا لا أتغدى في مكان لا أغسل يدي فيه، فقال له الهادي: فتغدى، فكان الناس إذا تغدوا تنحوا لغسل أيديهم، وابن دأب يغسل يده بحضرة الهادي.

وحدث المرزباني عن الحسين بن علي عن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب عن موسى بن صالح قال: كان عيسى بن دأب كثير الأدب عذب الألفاظ، وكان قد حظي عند الهادي حظوة لم تكن لأحد، وكان يدعو له بتكأة ولم يكن يطمع أحد من الخلق في هذا في مجلسه ولا يفعل بغيره، وكان يقول له: ما استطلت بك يوماً ولا ليلة، ولا غبت عن عيني إلا تمننت ألا ترى غيرك، وكان لذيق المفاكية، طيب المسامرة، كثير النادرة، جيد الشعر حسن الانتزاع له، قال: فأمر له ليلة بثلاثين ألف دينار، فلما أصبح بن دأب وجه قهرمانه إلى باب موسى الهادي وقال له: انطلق إلى باب الحاجب فقل له: توجه إلينا بالمال، فانطلق فأبلغ الحاجب رسالته فتبسم وقال: ليس هذا إلي، فانطلق إلى صاحب التوقيع ليخرج لك به كتاباً إلى الديوان فتديره هناك، ثم تفعل به كذا وتفعل به كذا، فرجع الرسول إلى ابن دأب فأخبره فقال: دعها فلا تعرض لها ولا تسأل عنها. قال: فبينما موسى في مستشرف له إذ نظر إلى ابن دأب قد أقبل وليس معه إلا غلام واحد فقال لإبراهيم بن ذكوان الحراني: - وإليه ينسب طاق الحراني ببغداد بالكرخ - أما ترى بن دأب ما غير من حاله ولا تزيى لنا، وقد بررناه بالأمس ليرى عليه أثراً. فقال

إبراهيم: إن أذن لي أمير المؤمنين عرضت له بشيء من هذا. فقال: لا، هو أعلم بأمره، ودخل ابن دأب فأخذ في حديثه إلى أن عرض له الهادي بشيء من أمره فقال: أرى في ثوبك غسلاً، وهذا الشتاء محتاج فيه إلى لبس الجديد واللين. فقال: يا أمير المؤمنين، باعي قصير عما أحتاج إليه، فقال: وكيف ذلك؟ وقد صرفنا إليك من برنا ما ظننا صلاح شأنك معه، فقال: ما وصل إلي ولا قبضت منه شيئاً، فدعا بصاحب بيت المال فقال له عجل الآن بثلاثين ألف دينار فحملت بين يديه. وحدث بإسناد رفعه إلى أبي زهير قال: كان ابن دأب أحظى الناس عند الهادي، فخرج افضل بن الربيع يوماً فقال: إن أمير المؤمنين يأمر من ببابه بالانصراف، فأما أنت يابن دأب فادخل، قال ابن دأب: فدخلت وهو منبطح على فراشه، وإن عينيه لحرراوان من السهر وشرب الليل. فقال لي: حدثني بحديث من حديث الشراب، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، خرج نفر من كنانة إلى الشام يجلبون الخمر فمات أحدهم فجلسوا على قبره يشربون، فقال أحدهم:

لا تصرد هامة من شربها
إسق أوصالاً وهاماً وصدى
كان حراً فهو فيمن هو
كل عود ذي فنون منكسر

قال: فدعا بدواة فكتبها، ثم كتب إلى الخوان بأربعين ألف درهم وقال: عشرة آلاف لك، وثلاثون ألفاً للثلاثة الأبيات. قال: فأنتيت الخزان فقالوا: صالحنا على عشرة آلاف أنك تحلف لنا ألا تذكرها لأمر المؤمنين، فحلفت ألا أذكرها حتى يبدأني فمات ولم يذكرها. وحدث قال: دخل ابن دأب على عيسى بن موسى عند منصرفه من فخ فوجده واجماً يلتمس عذراً لمن قتل، فقال له: أصلح الله الأمير، أنشدك شعراً كتب به يزيد بن معاوية يعتذر فيه إلى أهل المدينة من قتل الحسين بن علي عليهما السلام، قال أنشدني فأنشدته:

يا أيها الراكب الغادي لطيته
أبلغ قريشاً على شحط المزار بها
وموقف بفناء البيت أنشدته
عنفتهم قومكم فخراً بأمكم
هي التي لا يداني فضلها أحد
وفضلها لكم وفضل وغيركم
إني لأعلم أو ظناً كعالمه
أن سرف يترككم ما تطلبون بها
يا قومنا لا تشهوا القوم إذ خمدت
قد جرت الحرب من قد كان قبلكم
فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بذخاً

قال فسري عن عيسى بعض ما كان فيه. قال ابن منذر يهجو ابن دأب:

ومن يبيع الوصاة فإن عندي
خذوا عن مالك وعن ابن عون
تري الغاوين يتبعون منها
إذا طلبت منافعها اضمخلت
وصاة للكهول وللشباب
ولا ترووا أحاديث ابن دأب
ملاهي من أحاديث كذاب
كما ينجاب رقرق السراب

وحدث عن عمر بن أبي عبيدة النميري عن خاله ابن أبي شميعة قال: كان خلف الأحمر ينسب ابن دأب إلى الكذب قال: فغدوت يوماً أنا وخلف على ابن دأب فأخذ في حديث ذي الخصلة حتى انقضى، فلما انصرفنا قلت لخلف يا أبا محرز: أتراه كذب؟ قال: لا أدري، والله لا أعرف مما حدث به قليلاً ولا كثيراً. قال عمر: ولخلف الأحمر في أبي العيناء محمد ابن عبيد الله:

لنا صاحب مولع بالمرء
أشد لجاجاً من الخنفساء
وليس من العلم في فقرة
أحاديث ألفها شوكر
كثير الخطاء قليل الصواب
وأزهي إذا مشى من غراب
إذا حصل العلم غير التراب
وأخرى مؤلفة لابن دأب

قال المرزباني: وقوم يروون في هذه الأبيات زيادة، وأبيات خلف هي هذه، والزيادة عليها فيما ذكر المقدمي والكراني لأبان بن عبد الحميد اللاهقي. وروى عبد الله بن المعتز عب عمر بن شبة قال: شوكر شاعر بالبصرة يضع الأخبار والأشعار.

وحدث الرياشي قال: قال الأصمعي: قلت لخلف الأحمر: أما ترى ما جاء به ابن دأب من الحجاز؟ والشوكري من الكوفة؟ فقال: إنما يروى لهؤلاء من يقول: قالت ستي، ويدعو ربه من دفتر، ويسبح بالحصى، ويحلف محيت المصحف، ويدع حدثنا وأخبرنا ويقول: أكلنا وشربنا. وزعم العنزي أن ابن دأب كان يتشيع ويضع أخباراً لبني هاشم، وكان عوانة ابن الحكم عثمانياً ويضع أخباراً لبني أمية. وحدث مصعب بن عبد الله الزبيري قال: شيطان الردهة شيء وضعه ابن دأب، وهو ذو الثدية فيما زعم قال: جاءت أمة تستقي ماءً فوقع بها شيطان فحملته فولدته.

وحدث المرزباني فيما رفعه إلى مصعب الزبيري عن أبيه قال: كنا جماعة تجالس الهادي أنا وسعيد بن سلم الناهلي وابن دأب وعبد الله بن مسلم العريزي وكان أجراًنا عليه، فخرج علينا مغيطاً متغيراً فسأله العريزي عن خبره فقال: لم أر كصاحب الدنيا أكثر آفات ولا أدوم هموماً، قد عرفت موضع لبانة بنت جعفر بن أبي جعفر مني، وأثرتها عندي، وأنها أغلظت لي بإدلالها في شيء فلم أجد صبراً فنلتها بيدي فندمت عليه. فسكتنا خوفاً من تعنيفه أو تصويب رأيه فيبلغها ذلك. فقال ابن دأب: وما في ذلك يا أمير المؤمنين؟ هذا الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته، ضرب امرأته أسماء بنت أبي بكر الصديق وهي من أفضل نساء زمانها حتى كسر يدها وكان ذلك سبب مفارقتها إياها لأنه قال: أنت طالق إن حال عبد الله بيني وبينك يعني ابنه عبد الله بن الزبير، فلم يخله وخلصها، وهذا عمر رضي الله عنه يقول: لا يسأل الرجل فيم يضرب امرأته؟ وهذا كعب بن مالك الأنصاري وهو أخو الزبير - أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما - عتب على امرأته وهي من المهاجرات في شيء ضربها حتى حال بنوها بينهما فقال:

لولا بنوها حولها لخبطتها
ولكنهم حالوا بمنعي دونها
فمالت وفيها حائش من عبيطها
كحاشية البرد اليماني المسهم

قال: فضحك الهادي وسري عنه وأمر بالطعام، وأمر لابن دأب بخمسين ألف درهم وخمسين ثوباً. قال عبد الله بن مصعب: فتأسفت كيف سبقتي إلى شيء أحفظه مثل حفظه.

وحدث أبو الطيب اللغوي في كتاب مراتب النحويين قال: فأما مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فلا تعلم بها إماماً بالعربية.

حدث الأصمعي قال: أقمت بالمدينة زماناً مع جعفر بن سليمان الهاشمي واليهما، فما رأيت بالمدينة قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة أو مصنوعة، وكان ابن دأب يضع الشعر وأحاديث السمر وكلاماً ينسبه إلى العرب فسقط وذهب علمه وخفيت روليته. قال: وكان شاعراً وعلمه بالأخبار أكثر. قال الأصمعي: وأتعب لابن دأب حين يزعم أن أعشى همدان يقول:

من رأى لي غزيلي
أرباح الله تجارته
وخضاب بكفه
أسود اللون قارته

ثم قال الأصمعي: يا سبحان الله، يحذف الألف التي قبل الهاء في الله ويسكن الهاء ويرفع تجارته وهو منصوب؟ ويجوز هذا عنه، ويروي الناس عن مثله قال: ولقد سمعت خلفاً الأحمر يقول: لقد طمع ابن دأب في الخلافة حين يجوز مثل هذا عنه.

عينه بن عبد الرحمن المهلبى

يكنى أبا المنهال ذكره الحاكم أبو عبد الله في تاريخ نيسابور فقال: عينه بن عبد الرحمن أبو المنهال اللغوي المهلبى صاحب العربية تلميذ الخليل بن أحمد، مؤدب الأمير أبي العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين، ورد معه نيسابور وتوفي بها، وروى عن داود بن أبي هند، وسفيان بن عيينة، وسعيد بن أبي عروبة، ويحيى بن سليمان، ثم حدث بإسناد رفعه إلى المنهال أنه كان يقول: لا تتصدر إلى فائق أو مائق. قال: قرأت بخط عمر المستملي: سمعت أبا أحمد الفراء، سمعت عينه المهلبى يقول: سمعت سعيد بن أبي عروبة يقول: ما وصى الله الناس بشيء ما وصاهم بأوطانهم.

قال عينه: جاء رجل إلى جعفر بن محمد الصادق وهو يصلي فقال: إني مسترشد، قال: اجلس فجلس، فلما قضى صلاته جاء إليه فقال: إن أبانا مات وتركني وأخاً لي هجيناً. فقال جعفر الملك بينكم أثلاث. فقال الأعرابي: والله الذي لا إله إلا هو أمر بهذا؟ قال: نعم، قال: رضيت رضيت له كتاب في النوادر وكتاب في الشعر. قال أبو العباس: كان أبو المنهال مع إسحاق بن إبراهيم الطاهري وكان أنساً به يحادثه ويجالسه ويقرأ عليه، وكان السبب في ذلك، أن أبا المنهال كان مع عبد الله بن طاهر بن الحسين بخراسان وكان يقدمه وأحسن إليه ووصله بمائة ألف درهم وكنا نجلس إليه وقرأت عليه شيئاً كثيراً. ومما قرأته عليه

كتاب الأنصار، وكتاب الأزدي، وكان ينزل إلى القنطرة عند منازل العاصميين في موضع يقال له دار المهالبة، وكان أحد من لقي الناس وسمع، وكان حسن المعرفة بالإسناد والأخبار والأيام، وعمل كتاباً لإسحاق في القرآن، وكان ابن الأعرابي لا يأتي إسحاق ولا يلقاه وكان يستأذنه في الانصراف إلى أهله ووطنه، يوجه إليه في كل سنة بدرج فيه من سماعه الإشارات الحسنة واللغة الفصيحة، فإذا قرأه إسحاق وقع إلى كاتبه: ادفع إليه ثلاثمائة، فكان على ذلك إلى أن مات.

باب الغين

غانم بن وليد المالقي

أبو محمد المخزومي النحوي: قال ابن خاقان: هو عالم متفرد، وفقه مدرّس، وأستاذ مجود، وإمام لأهل الأندلس مجرد. وأما الأدب فكان جل شرعته وهو رأس بغيته، مع فضل وحسن طريقة، وجد في جميع أموره وحقيقة، وله:

صير فؤادك للمحبوب منزلة
ولا تسامح بغيضاً في معاشرة
فقلاًما تسع الدنيا بغيضين
لا أعرف من أمره إلا ما ذكره ابن عساكر في ترجمة علي بن أحمد بن طيز. قال: أنشدني غانم بن وليد النحوي لنفسه:
ثلاثة يجهل مقدارها
الأمن والصحة والقوت
فلأنتق بالمال من غيرها
لو أنه در وياقوت
قال: وأنشدني غانم لبعض الشعراء:
يا لأيتها المبتغي أختة
عدمت ما تبتغي فدع طمعك
داج المداحين ما لقيتهم
وخادع النفس لامرئ خدعك
لا تكشف المرء عن سرائره
ودعه تحت النفاق ما ودعك
أظهر له مثل قول ذي بله
تريه إن ضر أنه نفعك
ولغانم أنشده ابن خاقان:
الصبر أولى بوقار الفتى
من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حاله
كان على أيامه بالخيار

باب الفاء

فاطمة بنت الأقرع الكاتبة

وجدت بخطها رقعة هذه نسختها: الأمة الكاتبة.

بسم الله الرحمن الرحيم: ثقتي بالله وحده، خشعت لصولة عز المجلس العالي العادلي المؤيدي المظفري المنصوري العزي السعدي الركني النصيري المجدي الشرفي الأميري - أعز الله أنصاره -، وضاعف اقتداره عقب الدهور، وانقادت لمشيئته تصارييف الأمور، وامتدت إلى نواله آمال السؤال، وأناخت بفنائيه راحل الرجال. فما إنسان إلا موفور ببره، ولا لسان إلا مسبح بشكره، ولا أمل إلا مصروف إليه، فأعطاه الله تعالى من الآمال في نفسه وذويه ما لا يرنو إليه طرف، ولا يأتي عليه وصف:

حتى تسير مسير الشمس رايته
وتعتلي باسمه العالي على القمر
ويختم الأرض طراطين خاتمه
ويغتدي أمره أمضى من القدر

ومن بعد: فقد ذهبت - أطال الله بقاء المجلس العالي وأعز سلطانه -، في درج قد قرنته بهذه الرقعة - مذهب المطرف المعجب، وهو مما لم أسبق إلى مثله من مقدمي أهل هذه الصناعة من الذكور دون الإناث، أظهرت فيه المعجز من عاجز، والكامل من ناقص، كما قال قابوس بن شمسكير، وقد يستعذب الشريب من منبع الزعاق، ويستطاب الصهيل من مخرج النهاق. جعلت في

ذلك إقبال المجلس العالي - ضاعف الله اقتداره - قائداً إلى طرق الرشاد، وعز سلطانه هادياً مبصراً إلى سبل الإصابة والمراد، وأظهرت الحروف مفصولة وموصولة ومعماة ومفتحة في أحسن صيغها وأبهج خلقها، منخرطة المحاسن في سلك نظامها، متساوية الأجزاء في تجاورها والبناء. فهي لينة المعاطف والأرداف، متناسبة الأوساط والأطراف، ظاهرها وقور ساكن، ومفتشها رهج مائن، وإن استخدمت إلى مهم يسبح، أوفيت فيه على كل مرتسم في هذا الشأن قديماً وحديثاً، وسالفاً وأنفاً، أو مل بذلك الخطوة من إحماده وجميل رعايته، سمع الله سبحانه فيه كل دعاء مستجاب من الأمة الكاتبة، ومن يتعلق عليها من وليدة ومولود، وشريف ومشروف، وعجوز داعية، وأمة خادمة لما يوليها وينعم عليها، ويعرف موضع خدمتها، ومحل صنعتها، - لا سلبها الله وسائر الخلق ظله بمنه -، قد ترادف الإنعام عليها دفعة واحدة بعد أخرى، وثانية بعد أولى، على يد الشيخ الأجل السيد فخر الكفاءة أبي الحسين - أدام الله تأييده - وتولى عني من غير حق عارفته، ما لا يقوم بوسعه ألسنة القائلين، وشكر الشاكرين، فإذا أنعم على ما أصدرته من الخدم بلحظة، وأحسن إليه بلمحة، أدركت حظي وحزنت أمني، والرأي السامي في إجابتي إلى ما سألت، وإثباتي في جملة المغمورين بالإحسان من الأدباء والحشم والعبيد والخدم، علوه وشرفه أن شاء الله تعالى.

ترجمة ثانياً فاطمة بنت الحسن بن علي العطار

أم الفضل المعروفة بابنة الأقرع الكاتبة، صاحبة الخط المليح المعروف، ماتت فيما ذكره تاج الإسلام ومن خطه نقلت - قاله المؤلف عن أبي الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي السلمي الحافظ - في يوم الأربعاء الحادي والعشرين من المحرم من شهور سنة ثمانين وأربعمائة. قال السمعاني: وكان لها خط مليح حسن، وهي التي أهلت لكتابة كتاب الهدنة إلى ملك الروم من الديوان العزيز، وسافرت إلى بلاد الجبل إلى العميد أبي نصر الكندري. وكتب الناس على خطها، وكانت تكتب طريقة ابن البواب، سمعت أبا عمر عبد الواحد بن عبد الله بن مهدي الفارسي وغيره. سمع منها أبو القاسم مكي بن عبد الله الزميلي الحافظ.

وروى عنها أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي، وأبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطي ببغداد، وأبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن البغدادي الحافظ بأصبهان وغيرهم. سمعت أبا بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزار العروضي يقول: سمعت الكاتبة بنت الأقرع تقول: كتبت ورقة للعميد الملك أبي نصر الكندري وأعطاني ألف دينار.

أخبرنا أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الحافظ بقراءتي عليه، أخبرتنا فاطمة بنت الحسن بن علي العطار المقرئ قالت: أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن مهدي الفارسي، حدثنا أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي، حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا ابن فضيل، حدثنا الأعمش عن عبد العزيز بن رفيع، عن تميم بن طرفة، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه). أنشدنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر الحافظ الأشعبي، أنشدتنا الكاتبة أم الفضل فاطمة بنت الحسن بن علي المقرئ قالت: أنشدنا أبو القاسم المطرز في ديواننا بقطيعة الربيع لنفسه:

سرى مغرمًا بالعيس ينتجع الركبا	يسائل عن بدر الدجى الشرق والغربا
إذا ملأ البدر العيون فعنده	لعينك بدر يملأ العين والقلبا
ولما هوى دمعى ليوم فراقه	عقيقاً تهاوى دمعته لؤلؤاً رطباً
إذا لم تبلغني إليكم ركائبى	فلا وردت ماءً ولا رعت العشباً

الفتح بن خاقان بن أحمد القائد

وقيل: الفتح بن خاقان بن غرطوج، كذا قال المرزباني في كتاب المعجم، قال محمد بن إسحق النديم: كان في نهاية الذكاء والفتنة وحسن الأدب وكان من أولاد الملوك، واتخذ المتوكل أخاً وكان يقدمه على جميع أولاده. قتل مع المتوكل ليلة قتل بالسيوف لأربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين بالمتوكلية، وكانت له خزانة كتب جمعها له علي بن يحيى المنجم لم ير أعظم منها كثرة وحسناً. وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء الكوفيين والبصريين. قال أبو هفان: ثلاثة لم أرقط ولا سمعت بأكثر محبة للكتب والعلوم من الجاحظ، والفتح بن خاقان، وإسماعيل بن إسحاق القاضي.

قال المؤلف: وباقي القصة في أخبار الجاحظ فكرهت التكرار. وللفتح من التصانيف: كتاب البستان صنفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه، ويلقب برأس البغل ونسبه إليه، كتاب الصيد والجوارح. وذكره أبو القاسم في تاريخ الشام فقال: الفتح بن خاقان بن غرطوج التركي أبو محمد قدم الشام مع المتوكل معادله على جملة، ثم نزل بالمزة فلما رحل المتوكل عن دمشق استخلف بها

كلباتكين التركي. وكان على خاتم المتوكل وقتل معه. روى عنه أبو زكريا يحيى بن حكيم الأسلمي شيئاً من شعره وأبو العباس المبرد، وأحمد بن يزيد المؤدب، فلم يذكره الخطيب في تاريخه. وعن محمد بن القاسم قال: دخل المعتصم يوماً إلى خاقان بن غرطوج يعود فرأى الفتح بن خاقان ابنه وهو صبي لم يتعد فمأزحه ثم قال: أيما أحسن داري أم داركم؟ فقال الفتح بن خاقان: يا سيدي دارنا إذا كنت فيها أحسن، فقال المعتصم: لا أبرح والله حتى أنثر عليه مائة ألف درهم وفعل ذلك. وعن أبي العباس المبرد قال: أنشد الفتح بن خاقان:

لست مني ولست منك فدعني
وإذ ما شكوت ما بي قالت
وامض عني مصاحباً بسلام
قد رأينا خلاف ذا في المنام

فزاد الفتح بن خاقان:

لم تجد علة تجنى بها الذن
قال المبرد وسمعت الفتح ينشد قبل أن يقتل بساعات هذا البيت وهو:
وقد يقتل الغتمي مولاه غيلة
وكان الفتح يتعشق خادماً للمتوكل اسمه شاهك، وله فيه أشعار منها:

أشاهك، ليلي مذ هجرت طويل
وبي منك والرحمن ما لا أطيقه
وعيني دماً بعد الدموع تسيل
وليس إلى شكوى إليك سبيل
جزييت ولكن الوفاء قليل

قال ابن حمدون: كان الفتح بن خاقان يأنس بي ويطلعني على الخاص من سره، فقال لي مرة: شعرت يا أبا عبد الله، إني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين، فلما دخلت منزلي استقبلتني فلانة يعني جاريته فلم أتمالك أن قبلتها، فوجدت ما بين شفثيها هواء لو رقد المخمور فيه لصحاً، فكان هذا من مستحسن كلام الفتح، فكان الوأواء الدمشقي سمع هذا حين قال:

سقى الله ليلاً طاب إذ زار طيفه
يطيب نسيم منه يستجلب الكرى
فأفنيته حتى الصباح عناقا
ولو رقد المخمور فيه أفاقا
وتملكني لما تملك مهجتي

ووجدت في بعض المجاميع للفتح بن خاقان يصف الورد:

أما ترى الورد يدعو الشاربين إلى
مداهن من يواقيت مركبة
خاف الملal إذا طالت إقامته
فصار يظهر أحياناً ويحتجب
حمراء صافية في لونها صنب
على الزمرد في أجفانها ذهب

كان أديباً فاضلاً، زكي النفس حسن العشرة، لطيف الأخلاق، متودداً محبباً إلى كل من يكلمه، وكان غاية في الجود، وكان قد تنزل من المتوكل بمنزلة الروح من الجسد، وكان خدم قبله المعتصم والوائق. فذكر أبو العيناء قال: قال الفتح بن خاقان: غضب علي المعتصم ثم رضي عني وقال لي: ارفع حوائجك لتقضى، فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس شيء من عرض الدنيا وإن جل، يفي برضا أمير المؤمنين وإن قل. قال: فأمر فحشي فمي جوهرأ. أخبرني أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار الحافظ قال: أخبرني أبو القاسم الثعلبي، حدثنا الفضل بن سهل، حدثنا الخطيب أبو بكر، أخبرنا محمد بن محمد بن المظفر السراج، حدثنا المرزباني، أخبرني محمد بن يحيى الصولي، حدثني أحمد بن عبد الرحمن، حدثني وهب بن وهب، حدثني البحتري قال: قال المتوكل: قل في شعراً وفي الفتح، فإني أحب أن يحيا معي ولا أفقده فيذهب عيشي، ولا يفقدني فيذل، فقل في هذا المعنى، فقلت أبياتي:

سيدي أنت كيف أخلفت وعدي
وتثاقلت عن وفاء بعهدي

فقلت فيها:

لا أرتني الأيام فقدك يا فت
أعظم الرزء أن تقدم قبلي
حسداً أن تكون إلهاً لغيري
ح ولا عرفتك ما عشت فقدي
ومن الرزء أن تؤخر بعدي
إذ تفردت بالهوى قبل وحدي

قال البحتري: فقتلاً معاً وكنت حاضراً وربحت هذه الضربة، وأوماً إلى ضربة في ظهره فقال: أحسنت والله يا بحتري وجئت بما في نفسي، وأمر لي بألف دينار. وقال غير وهب الراوي للخبر: قال البحتري: قد كنت عملت هذه الأبيات في غلام كنت أكلف به، فلما أمرني المتركل بما أمرت تحيت فقلت الأبيات، وأريته أنني عملتها في وقتي وما غيرت فيها إلا لفظة واحدة، فإني كنت قد قلت:

لا أررتي الأيام فقدك ما عشت

فجعلته يا فتح. ويحدث الشمشاطي علي بن محمد، حدثني محمد بن عبد الله، حدثني أحمد بن الفضل الهاشمي، حدثنا علي بن الجهم القرشي قال: دخلت على المتوكل يوماً وهو جالس وحده، فسلمت عليه فرد السلام وأجلسني فحانت مني التفاتة فرأيت الفتاح بن خاقان واقفاً في غير رتبته التي كان يقوم فيها متكئاً على سيفه مطرقاً، فأنكرت حاله فكنت إذا نظرت إليه نظر إلى الخليفة، فإذا صرفت وجهي نحو الخليفة أطرق، فقال: يا علي، أنكرت شيئاً؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال: ما هو؟ قلت: وقوف الفتاح في غير رتبته التي كان يقوم فيها.

قال: سوء اختياره أقامه ذلك المقام. قلت: ما السبب يا أمير المؤمنين؟ قال: خرجت من عند قبيحة أنفاً فأسررت إليه سرّاً فما عداني السر إذ عاد إلي.

قلت: لعلك أسررته إلى غيره يا أمير المؤمنين؟ قال: ما كان هذا. قلت: فلعل مستمعاً استمع عليكم. قال: ولا هذا أيضاً. قال: فأطرقت ملياً ثم رفعت رأسي فقلت: يا أمير المؤمنين، قد وجدت له مما هو فيه مخرجاً. قال: ما هو؟ قلت: حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، حدثنا المستمر بن سليمان عن أبي الجوزاء قال: طلقت امرأتي في نفسي وأنا في المسجد ثم انصرفت إلى منزلي، فقالت لي امرأتي: أطلقتني يا أبا الجوزاء؟ قلت: من أين لك هذا؟ قالت: خبرتني جارتني الأنصارية، قلت: ومن خبرها بذلك؟ قالت: ذكرت أن زوجها خبرها بذلك. فغدوت على ابن عباس فقصصت عليه القصة فقال: علمت أن وسواس الرجل يحدث وسواس الرجل، فمن ههنا يفشو السر.

قال أبو النعيم: فكان في نفسي من هذا شيء حتى حدثني حمزة الزيات قال: خرجت سنة من السنين أريد مكة، فلما جرت في بعض الطريق ضلت راحلتي، فخرجت أطلبها فإذا باثنين قد قبضا علي، أحس حسهما وأسمع كلامهما ولا أرى شخصهما، فأخذاني وجاء بي إلى شيخ قاعد على تلعة من الأرض حسن الشبهة فسلمت عليه فرد علي السلام، فأفرخ روعي ثم قال: من أين وإلى أين؟ قلت: من الكوفة أريد مكة. قال: ولم تخلفت عن أصحابك؟ قلت: ضلت راحلتي فجنّت أطلبها، فرفع رأسه إلى قوم على رأسه فقال: زاملة، فأنيخت بين يدي، ثم قال لي: أتقرأ القرآن؟ قلت: هاته. فقرأت حم الأحقاف حتى انتهيت إلى هذه الآية: (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن)، الآية، فقال لي: على رسلك تدري كم كانوا؟ قلت: اللهم لا، قال: كنت أربعة وكنت المخاطب لهم عنه صلى الله عليه وسلم. فقلت: يا قومنا أجيئوا داعي الله. ثم قال لي: أتقول الشعر؟ قلت: اللهم لا. قال: أفترويه؟ قلت: نعم. قال: هاته، فأنشدته قصيدة:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم
بحومانة الدراج فالمتثلّم

فقال: لمن هذه؟ فقلت: لزهير بن أبي سلم، قال: الجنّي؟ قلت: بل الإنسي مراراً، فرفع رأسه إلى قوم على رأسه، فقال: زهير: فأتي بشيخ كأنه قطعة لحم فألقي بين يديه فقال له: يا زهير، قال: لبيك، قال: أمن أم أوفى، لمن؟ قال: لي. قال: هذا حمزة الزيات يذكر أنها لزهير بن أبي سلمى الإنسي، قال: صدق هو، وصدقت أنت. قال: وكيف هذا؟ قال: هو إلفي من الإنس، وأنا تابعه من الجن، أقول الشيء فألقيه في وهمه، ويقول الشيء فأخذه عنه، فأنا قائلها في الجن، وهو قائلها في الإنس. قال أبو نعيم: فصدق عندي هذا الحديث حديث أبي الجوزاء: أن وسواس الرجل يحدث وسواس الرجل، فمن ههنا يفشو السر.

قال: فاستفرغ المتوكل ضحكاً وقال: إلي يا فتح، فصب عليه خلعاً، وحمل على شيء من الظهر، وأمر له بمال وأمر لي بدون ما أمر له به، فانصرفت إلى منزلي وقد شاطرني الفتاح ما أخذ، فصار الأكثر إلي والأقل عنده، قال جحظة في أماليه: حدثني المبرد قال: أنشدني الفتاح بن خاقان لنفسه:

وإني وإياها لكالخمر والفتى
متى يستطع منها الزيادة يزد

إذا ازدت منها ازدت جداً بقرها
كيف احتراس من الهوى متجدد؟

قال: فحدثني ابن حمدون قال: لما قال الفتاح هذه الأبيات أنشدتها المتوكل فسألني عن قائلها، فعرفت أنه الفتاح فاستحسنها وقال لي: بأبي أنت من جامع محاسن الدنيا. وبلغ هذا الشعر أبا علي البصير الفضل بن جعفر فقال في الفتاح:

سمعت بأشعار الملوك فكلها
إذا عض متنيه الثقاف تأودا

سوى ما رأينا لامرئ القيس أننا
نراه إذا لم يشعر الفتاح أوحدا

قال المرزباني: ومن شعر الفتاح بن خاقان:

بني الحب على الجور فلو
أنصف المحبوب فيه لسمح

ليس يستملح في حكم الهوى
عاشق يحسن تأليف الحجج

قال المؤلف: وهذان البيتان يرويان لعلية بنت المهدي. قال المرزباني: وللفتح بن خاقان:
أيها العاشق المعذب صبراً
زفرة في الهوى أحط لذنب
من غزاة وحجة مبروره

وقال عمران بن موسى: سمعت الفتح بن خاقان يقول لأحمد بن أبي فنن الشاعر: يا أحمد، قال: لبيك يا سيدي، وهذا في أول سنة سبع وأربعين ومائتين، اعمل أبياتاً حسناً تمدح بها سيدي أمير المؤمنين، واذكر في آخرها أنس شفيحك حتى أخذ لك منه ما يسد خلتك، فما أسرع فقدك لي! فيكى ابن أبي فنن، قال: يا سيدي على الدنيا بعدك لعة الله. قال له: على الدنيا قبلي وبعدك لعنة الله، فما صافت منحرفاً عنها نابذاً لها، ولا وفيت لمتمسك بها راغب فيها أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي: حدثنا العباس بن الفضل الربيعي، حدثنا علي بن الجهم قال: إني لعند المتوكل يوماً والفتح بن خاقان حاضر إذ قيل له: فلان النحاس بالباب، فأذن له فدخل معه وصيفة فقال له أمير المؤمنين: ما صناعة هذه الوصيفة؟ قال: تقرأ بالألحان، فقال الفتح: اقرئي لنا خمس آيات، فاندفعت تقول:

قد جاء نصر الله والفتح
خدين ملك ورجا دولة
الليث إلا أنه ماجد
وكل باب للندی مغلق
وشق عنا الظلمة الصبح
وهمه الإشفاق والنصح
والغيث إلا أنه سمح
فإنما مفتاحه الفتح

قال: فوالله لقد دخل المتوكل من السرور ما قام إلى الفتح فوقع عليه يقبله ووثب الفتح فقبل رجله، فأمره أمير المؤمنين بشرائها، وأمر له بجائزة وكسوة وبعث بها إلى الفتح، فكانت أحظى جواريه عنده، فلما قتل الفتح رثته بهذه الأبيات:
قد قلت للموت حين نازله
لو تبينت ما فعلت إذن
فأذهب بمن شئت إذ ذهبت به
ولم تزل تبكي وتتوح عليه حتى ماتت.
والموت مقدمة على البهم
قرعت سنا عليه من ندم
ما بعد فتح للموت من ألم

الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان

القيسي الإشبيلي، وقيل: هو من أهل الأندلس، أديب فاضل شاعر بليغ فصيح بذيء اللسان قوي الجنان في هجاء الأعيان، وكان منهم الخلوة فيما بلغني، مات في حدود سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة. وقال العماد: سألت عنه بمصر فقيل: إنه عاش بالمغرب إلى عهد شاوور بمصر، فقد توفي بعد سنة خمس وخمسين وخمسمائة. وقال لي بعض المغاربة: إنه توفي قبل هذا التاريخ. له من التصانيف: كتاب قلائد العقيان، كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس.

حدثني صاحب الكبير العالم جمال الدين بن أكرم - أدام الله علوه - قال: لما عزم ابن خاقان على تصنيف كتاب قلائد العقيان جعل يرسل إلى كل واحد من ملوك الأندلس ووزرائها وأعيانها من أهل الأدب والشعر والبلاغة يعرفه عزمه ويسأله إنفاذ شيء من شعره ونظمه ونثره لينذكره في كتابه، وكانوا يعرفون شره وتلبه فكانوا يخافونه وينفذون إليه ذلك وصرر الدنانير، فكل من أَرْضته صلته أحسن في كتابه وصفه وصفته، وكل من تغافل عن بره هجاه وتلبه، وكان ممن تصدى له وأرسل إليه، أبو بكر بن باجة المعروف بابن الصائغ، وكان وزير ابن فلويت صاحب المرية، وهو أحد الأعيان وأركان العلم والبيان، شديد العناية بعلم الأوائل، مستول على أهل الأشعار والرسائل، وكانوا يشبهونه بالمغرب بابن سينا بالمشرق، وله تصانيف في المنطق وغيره، فلما وصلته رسالته تهاون بها ولم يعرها طرفه، ولا لوى نحوها عطفه وذكر ابن خاقان بسوء فعله، فجعله ختم كتابه، وصيره مقطع خطابه وقال: أبو بكر الصائغ: هو رمد جفن الدين وكمد نفوس المهتدين، اشتهر سخفاً وجنوناً، وهجر مفروضاً ومسنوناً، وضل فيما يتسرع، ولا يأخذ في غير الأباطيل ولا يشرع، ولا يرد سوى الغمة ولا يكرع، ناهيك من رجل ما تطهر من جنابة، ولا أظهر مخيلة إنابة، ولا استجى من حدث، ولا أشجى فواده توار في جدث، ولا أقر بباريه ومصوره، ولا فر عن تباريه في ميدان تهوره، والإساءة إليه أجدى من الإحسان، والبهيمة عنده أهدى من الإنسان، نظر في تلك التعاليم، وفكر في أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم، ورفض كتاب الله العلي العظيم، ونبذ وراء ظهره ثاني عطفه، وأراد إبطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، واقتصر على الهيئة، وأنكر أن تكون إلى الله الفينة، وحكم للكواكب بالتدبير، فهو يعتقد أن الزمان دور، وأن الإنسان نبات له نور، مع منشأ وخيم ولؤم أصل وخيم، وصورة شوهاها الله وقبحها، وطلعة إذا أبصرها الكلب نبجها، وقذارة يوبئ البلاد نفسها، ووضارة يحكي الحداد دنسها، وله نظم أجاد فيه بعض الإجابة، وشارف الإحسان أو كاده، مع كلام طويل، وهجو وبيل، وبلغ ذلك ابن الصائغ فأنفذ له مالا استكفه به واستصلحه. وصنف ابن خاقان كتاباً آخر سماه: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في

ذيل شعراء الأندلس، وصله بقلائد العقيان، وافتتحه يذكر ابن الصائغ وأثنى عليه فيه ثناءً جميلاً فقال: الوزير أبو بكر بن الصائغ هو بدر فهم ساطع، وبرهان علم لكل حجة قاطع، تفرحت بعطره الأعصار، وتطبيت بذكره الأمصار، وقام به وزن المعارف واعتدل، ومال وتهدل، وعطل بالبرهان التقليد، وينفق بعد عدمه الاختراع والتوليد، إذا قدح زند فهمه أورى بشرر للجهل محرق، وإن طما بحر خاطره فهو لكل شيء مغرق، مع نزاهة النفس وصونها، وبعد الفساد من كونها، والتحقيق الذي هو للإيمان شقيق، والجد الذي يخلق العمر وهو مستجد، وله أدب يود عطاره أن يلتحفه، ومذهب يتمنى أن يعرفه، ونظم تتمناه اللبات والنحور، وتدعيه مع نفاسة جوهرها البحور. وقد أتيت بما تهوى الأعين النجل أن يكون إثمها، ويزيل من النفس حزنها وكمدها، فمن ذلك قوله يتغزل:

أسكان نعمان الأراك تيقنوا
بأنكم في ربع قلبي سكان
ودوموا على حفظ الوداد فطالما
بلينا بأقوام إذا استحفطوا خانوا
سلوا الليل عني مذ تئاءت دياركم
هل اكتحلت لي فيه بالنوم أجفان؟
وهل جردت أسياف برق دياركم
فكانت لها إلا جفوني أجفان؟

وله:

أتأذن لي آتي العقيق اليمانيا
أسأله ما للمغاني وماليا؟
وسل دارهم بالحزن أقفر إنني
تركت الهوى يقتاد فضل زماميا
فيا مكرع الوادي أما فيك شوبة
لقد سال فيك الماء أزرق صافيا؟
ويا شجرات الجزع هل فيك وقفة
فقد فاء فيك الفيء أخضر ضافيا؟
وقد جرى في هذا الميدان فأحسن كل الإحسان.

الفضل بن إسماعيل التميمي

أبو عامر الجرجاني أديب أريب فاضل لبيب، أحد أصحاب عبد القاهر الجرجاني النحوي، وكان مليح الخط صحيح الضبط رائق النظم فصيح النثر، جيد التصنيف، حسن التأليف، ذكره محمد بن محمود في كتاب سر السرور فقال: رباع الفضل بتصانيفه عامرة، ورياض الأدب بكلماته ناضرة، فكان الربيع فضلة من بدائعها، والزهر ضرة لروابعها، وشعره بطرق السحر بين يديه، ويهتف الملح بحفافيه تقرأ آيات الإحسان من أبياته. وتخفق عذبات الإبداع من راياته.

وله تصنيفات باسم الشيخ الأجل عبد الحميد أهداها إليه بغزنة فأشقرت بها أرجاؤها، وأغدقت أنوارها منها: كتاب البيان في علم القرآن. وكتاب عروق الذهب من أشعار العرب. وكتاب سلوة الغرباء وغيرها. وقال عبد الغافر في كتاب السياق: الفضل بن إسماعيل التميمي الشيخ أبو عامر الجرجاني النحوي الكاتب الأديب الشاعر من أفاضل عصره، وأفراد دهره، حسن النظم والنثر، متين في الفضل: كتب مدة للشيخ الرئيس أبي المحاسن الجرجاني وغيره، وصحب الكتاب والمشايخ، سمع الحديث من المشايخ الذين سمعنا منهم، مثل الشيخ أبي سعد بن رامش، وأبي نصر بن رامش المقرئ، وأبي بكر أحمد بن علي بن خلف الشيرازي، وأبي القاسم إسماعيل بن زاهر النوقاني، وسمع من الشيخ أبي بكر أحمد بن منصور بن خلف المغربي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وسمع من المشايخ الإسماعيلية وغيرهم في شبابه، ولم يذكر وفاته لكنه كان قد مات في حياة عبد الغافر. وكان ورد نيسابور واجتمع به الأديب يعقوب بن أحمد المذكور في بابه، وسأله أن يكتب له بخطه في كتابه الذي سماه: جونة الند. وهو مجموع جمع فيه يعقوب من أشعار نفسه وغيره من أهل عصره ومن تقدمه، وظفرت أنا بأصل يعقوب الذي بخطه وفيه بخط أبي عامر الذي لا أرتاب به ما نقلته بصورته بعد أن أسقطت بعض النظم، وأما النثر فلا. وهذا نسخة خطه: سألتني الشيخ الجليل الأديب - أدام الله نعمته - أن أكتب له في هذا الدفتر شيئاً من هاذوري، فترجحت بين صوارف تنهاني عن الإجابة سترأ لعورتي، ودواع تحتني على امتثال رسمه إظهاراً لطاعتي، وأنا على كل حال واثق بكرمه، ساكن إلى حسن شيمه، وعالم أنه يحرص على إقالة عثرة الإخوان، وستر عيوبهم بقدر الإمكان، والله أسأل أن يجبر نقيصتنا بفضيلته، ويمحو إساءتنا بحسنته فإنه عليه قدير، وهاهو الهاذور:

بالله يا حنفي أما تستحي
حتى متى توردني حنفي؟
تحلف لي أنك في كفي
وعض كفي منك في كفي
وأنت يا قلبي إلى كم وكم
تحيل بالذنب على طرفي!

وأيضاً:

خده الياسمين والخط فيه
سمته قبلة فقال تحرز

وأيضاً:

إذا حفزتكَ نائبة لأمر
فكأثره بهز بعد هز

وأيضاً في الرئيس أبي الفضل - أدام الله علوه -:

تولى الغانيات فليس عندي
رأين الشيب ألبسني فتيراً
وسالمني الغيور فكل يوم
وقنعني الزمان فلسست أس
وكل تعجبي طول الليالي
فشكراً للإله فقد كفاني

له قلبي وخالصتي وودي
ومنه معيشتي وصلاح حالي
وكل الناس يشرك في هواه
فإن أفرع فكهف علاه حرزي
فضلت الناس مأثرة وفخراً
ولما صرت عبدك صار يرضى
أدل عليك إدلال الموالي
وتلك مزية لي ليس تخفى
فعش ألفاً معي في خير حال
فكل الناس دونك آل قفر
وأنت الفرد مكرمة فكن لي

وأيضاً:

نشد على الموت مستبسلين
ونفترع البيض سود القرو

وله أيضاً:

عذيري من شاطر أغضبوه
يقول: أنا لك يا بن الوكيل

وأيضاً:

إنني بليت بشادن
فاذا بلوت طباعه
وإذا نضوت ثيابه
وقصارى وصفي أنه

وأيضاً:

قد ضاق صدري من صدور زماننا
يتضارطون فإن شكوت ضراطهم
هذا يفرقع في الضراط وذاكم
ومن البلية أن تعاشر معشراً

سنبل نابت على ياسمين
بين صدغي عقدنا التنين

فجئت إلى صغير أو كبير
فإن الزبد بالمخض الكثير

لهن سوى هوى أخفي وأبدي
على حد البلى فنقضن عهدي
يوأزن بيننا، ود بود
على فوت الثراء وأنت عندي
لذلة ماجد يسعى لوغد!
تولى غير عباس بن سعد
وفيه تردي وإليه قصدي
ومنصوب به غيي ورشدي
وقد أفردته بهوأي وحدي
وإن أعطش فيحر نداء وردي
وظلتهم بإحسان ومجد
أنوشروا لو أرضاه عبدي
فلا تكرر لديك ولا تعدي
ورثت مكانها من أبي وجدي
وألفاً بعدها ألفان بعدي
يغر بلمعة من غير رقد
تكن فرداً بلا شك لفرد

غلاظ الرقاب غلاظ الكبود
ن صفر الترائب حمر الخدود

فجرد لي مرهفاً باتكا
وهل لي رجاء سوى ذلكا؟

بلواه عندي تستحب
فالما يشرب وهو عذب
فاللوز يقشر وهو رطب
فيما أحب كما أحب

فهم جماع الشر بالإجماع
شفعوا سماع الضراط بالإسماع
يرمي بمثل حجارة المقلع
يتضارطون الدهر بالإيقاع

وله:

مللت مكافحة الحادثات
وحيرني الدهر حتى نشدت
وكنيت بها معجباً عاجباً
حماري وكنيت له راكباً

وأياً:

أصبحت مثل عطار د في طبعه
فلذاك ما ألقاك يوماً واحداً
إذ صرت مثل الشمس في الإشراق
إلا قضيت علي بالإحراق

الشيخ الجليل الأديب - أدام الله نعمته -، وأنعم علي بقراءة ما علقه عن دفتري علي، والله يمتعه به وبفضله، ويقر عين العلم بحراسته. وسمع معه ابنه الشيخ الفاضل أبو بكر الحسن، والفقير الفاضل العالم أبو المجد محمد بن أبي القاسم - أباهما الله - وكذلك سمعوا جميعاً ما أئنته من هاذوري بخطي. وكتب الفضل بن إسماعيل أبو عامر الجرجاني ومن خطه نقلت: كتب إلى الكيا الأجل أبو الفتح رحمه الله:

أبا عامر إن الرثائم إنما
ولكن من عيناه درج فواده
تذكر بالأمر، العيام المغمرا
فليس بمحتاج إلى أن يذكرها
وكتب أيضاً إلى الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر:

ما أبو عامر سوى اللطف شيء
كل ما لا يلوك من سر معنى
إنه جملة كما هو روح
عند تفكيره فليس يلوح

قال المؤلف: هذا آخر ما نقلته من خط أبي عامر رحمه الله -. وله من التصانيف: كتاب عروق الذهب في الشعر واختياره، كتاب قلائد الشرف في الشعر أيضاً، كتاب البيان في علم القرآن، كتاب سلوة الغرباء.

ونقلت من خط الأديب يعقوب بن أحمد النيسابوري وتصنيفه رقعة كتبها الشيخ الفقيه الجليل أبو عامر الفضل بن إسماعيل الجرجاني - أدام الله تأييد - إلى الشيخ الرئيس الشهيد أبي المحاسن سعد - رحمه الله -. قال يعقوب: وكتبتها من خطه إبان مقدمه نيسابور في شعبان سنة ثمان وخمسين وأربعمائة: أنا في هذه السنة - أطال الله بقاء الشيخ - من الاختلال والتكشف والاعتلال والتشعث، على صورة أستحيي من عرضها، وأنف من شرحها، وقد رحب عامتها بما أشكر الله تعالى عليه، وأدرك الصبر في كل ما يمتحن عباده به، وأعمل الحيلة من الآن في استقراض ما عسى أن يبلغني المحل، ولكن من يقرض أبا فرعون بعد وقوفه بالأبواب مع العصا والجراب؟ وأسأل الله تعالى السلامة، ثم أسأل سيدنا أن ينظر واحدة فيما أقول من قبل أن يعضل الداء فلا ينفع الدواء، ويعظم النقب فلا ينجع الهناء، وأن يجعل عنوان بره ألا يرى تعليق هذه الرقعة ضراعة أو رفاة، فما في شرط الحكمة أن أكتم عنه متربة، وأنصور جوعاً ومسغبة. ولولا مكاني من خدمته، ومكاني من شفقتي، لكان استفاف الملة أحب إلي من إظهار الخلّة، والسلام.

ومن كتاب مرو لأبي سعد السمعاني لأبي عامر الفضل بن إسماعيل الجرجاني التميمي يصف هرة:

إن لي هرة خضبت شواها
ثم قلدتها لخوفي عليها
كل يوم أعولها قبل أهلي
وهي تلعب إذا ما رأني
فتغني طوراً وترقص طوراً
لا أريد الصلاء إن ضاجعتني
وإذا ما حككتها لحستني
وإذا ما جفوتها استعطفتني
وإذا ما وترتها كشفت لي
أملح الخلق حين تلعب بالفا
وإذا مات حسه أنشترته
وتصاديه بالغفول فإن را

دون ولدان منزلي بالرقون
ودعات ترد شر العيون
بزال صاف ولحم سمين
عابس الوجه وارم العرنين
وتلهي بكل ما يلهيني
عند برد الشتاء في كانون
بلسان كالمبرد المسنون
بأنين من صوتها ورنين
عن جراب ليست متاع العيون
ر فتلقه في العذاب المهين
بشمال مكروبة أو يمين
م انحجاراً علته كالشاهين

وإذا ما رجا السلامة منها
وكذاك الأقدار تفترس المر
بينما كان في نشاط وأنس
عاجلته بنشطة التنين
ء وتغاله بقطع الوتين
إذ سقاه ساق بكاس المنون

ويروى له:

علقتها بيضاء ظامية الحشا
مثل الشقائق في احمرار خدودها
تسبي القلوب بحسنها وبطيها
للناظرين وفي اسوداد قلوبها

وله:

وقد يستقيم المرء فيما ينوبه
ويرجح من فضل الكلام إذا مشى
كما يستقيم العود في عرك أذنه
كما يرجح الميزان من فضل وزنه

الفضل بن إبراهيم بن عبد الله الكوفي

أبو العباس النحوي المقرئ، أخذ القراءة عن أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي، وقرأ الكسائي على عيسى بن عمر الهمداني عن حمزة الزيات، ولا أعرف من حاله أكثر من هذا، وله اختيار في أحرف يسيرة، وإنما ذكرته لأنه يعرف بالنحوي.

الفضل بن الحباب

بن محمد بن شعيب ابن صخر الجمحي يكنى أبا خليفة من أهل البصرة، قال أبو الطيب اللغوي: هو ابن أخت محمد بن سلام الجمحي من رواية الأخبار والأدب والأشعار والأنساب، مات في شهر ربيع الأول من سنة خمس وثلاثمائة بالبصرة، وكان قد ولي القضاء بالبصرة وكان أعمى، روى عن خاله كتبه فأكثر وعن غيره، وروى له من الكتب: كتاب طبقات شعراء الجاهلية، كتاب الفرسان، وكان شاعراً. فمن شعره ما أنشد محمد بن عمر بن عثمان البغدادي عنه.

قالوا: نراك تطيل الصمت قلت لهم:
لكنه أحمد الأمرين عاقبة
أنشر البز فيمن ليس يعرفه
قالوا: نراك أدبياً لست ذا خطل
لو شئت قلت ولكن لا أرى أحداً
ما طول صمتي من عي ولا خرس
عندي وأبعده من منطق شكس
أو أنثر الدر للعميان في الغلس
فقلت: هاتوا أروني وجه مقتبس
يروى الكلام فأعطيه مدى النفس

وقد روى من جهة أخرى أن هذه الأبيات لابن دريد لما نول سيرا ف سئل أن يجلس للقراءة عليه فأبى ذلك إن لم يكن هناك من يساوي أن يجلس له، فكتب هذه الأبيات في قبلة مسجد سيرا ف وانصرف.

نقلت من خط أبي سعد السمعاني بإسناد له قال: ألفت رقعة إلى أبي خليفة الفضل بن الحباب القاضي فيها:

قل للحكيم أبي خليفه
إني قصدتك للذي
ماذا تقول لطفلة
تصبو إلى زين الوري
فقرأ الرقعة ثم كتب على ظهرها:
يا من تكامل ظرفها
إن كنت صادقة الذي
فلك السعادة والشها
هذا النصاح بعينه
يا زين شيعه ابي حنيفه
كأتمت من حذر وخيفه
في الحسن منزلها شريف؟
من غير ما بأس عفيفه
حال الهوى حال شريفه
كأتمت من حزن وخيفه
دة والجلالة يا شريفه
وبه يقول أبو حنيفه

نقلت من خط الإمام الحافظ حقاً صديقنا ومفيدنا أبي نصر عبد الرحيم بن النفيس بن وهبان من كتاب الإرشاد في معرفة علماء الحديث تصنيف الخليل بن عبد الله بن محمد الحافظ القاضي، أنشدني الصاحب إسماعيل بن عباد الوزير، أنشدني أبي، أنشدني أبو خليفة لنفسه:

شيبان بالكش حدثاني

شيبان والكش حدثاني

فاصبر على نكبة الزمان

قالا: إذا كنت فاطمياً

قال: إني سألت أبا خليفة عن الكيش من هو؟ قال: أبو الوليد الطيالسي، وشيبان هو ابن فروخ الأبلبي، قال الخليل: قلت لعبد الله بن محمد: هذا يدل على أن أبا خليفة كان يميل إلى التشيع، فقال: نعم. قرأت بخط أبي سعد أيضاً بإسناد له إلى أبي سهل هارون بن أحمد بن هارون الأسترابادي قال: أنشدنا الفضل بن الحباب الجمحي القاضي لنفسه:

والموت يرصده في ذلك البلد

ومتعب السفر مرتاح إلى بلد

لو كان يعلم غيباً مات من كمد

وضاحك والمنايا فوق هامته

والموت من تحت إطلية على الرصد

أماله فوق ظهر النجم شامخة

ماذا تفكره في رزق بعد غد؟

من كان لم يعط علماً في بقاء غد

قرأت في كتاب هراة للفاقي قال: روى عن محمد بن إبراهيم بن عبدويه بن سدوس بن علي أبي عبد الله المسندي أنه قال: كنا عند أبي خليفة القاضي بالبصرة، فدخل عليه اللص داره فصاح ابنه باللص، فخرج أبو خليفة إلى صحن الدار وقال: أيها اللص، مالك ولنا؟ إن أردت المال فعليك بفلان وفلان، إنما عندنا قمطران: قمطر فيه أحاديث، وقمطر فيه أخبار، إن أردت الحديث حدثناك عن أبي الوليد الطيالسي، وأبي عمر الجوصي وابن كثير وهو محمد وإن أردت الأخبار أخبرناك عن الرياشي عن الأصمعي ومحمد بن سلام. فصاح ابنه إنما كان كلباً. فقال: الحمد لله الذي مسخه كلباً ورد عنا حرباً.

وذكر التنوخي هذه الحكاية وقال في آخرها: فقال له غلامه: يا مولاي، ليس إلا الخير، إنما هو سنور. فقال أبو خليفة: الحمد لله الذي مسخه هراً وكفانا شراً.

قال المؤلف: ومثل هذه الحكاية تحكى عن أبي حبة النميري مشهورة عنه وقال في آخرها: الحمد لله الذي يمسخه كلباً وردنا حرباً.

وقرأت في كتاب أبي علي التنوخي.

حدثني أبي رضي الله عنه: أن صديقاً لأبي خليفة القاضي اجتاز عليه راكباً وهو في مسجده فسأله أن ينزل عنده فيحادثه. فقال: أمضي وأعود، فقال له أبو خليفة: إياشك فقد، وإيناسك وعد. قال: وكان أبو خليفة كثير الاستعمال للسجع في كلامه، وكان بالبصرة رجل يتحاقق ويتشبه به يعرف بأبي الرطل، لا يتكلم إلا بالسجع هزلاً كله، فقدمت هذا الرجل امرأته إلى أبي خليفة وهو يلي قضاء البصرة إذ ذاك وادعت عليه الزوجية والطلاق، فأقر لها بهما. فقال له أبو خليفة: أعطها مهرها. فقال أبو الرطل: كيف أعطيها مهرها ولم تقلع مسحاتي نهرها؟ فقال له أبو خليفة: فأعطها نصف صداقها. فقال: لا، أو أرفع بساقها وأضعه في طاقها. فأمر به أبو خليفة فصفع. قال وأخبرني غير واحد أن أبا الرطل هذا، كان إذا سمع رجلاً يقول: لا ننكر الله قدرة، قال هو: ولا للهندبا خضرة.

ولا للزردج صفرة، ولا للنخلة بسرة، ولا للعصفر حمرة، ولا للفا نقرة.

حدث أبو علي التنوخي حدثني أبو علي الحسن بن سهل بن عبد الله الإينجي، وكان يخلف أبا علي على القضاء بإيذج ورامهرمز ثم لم يزل على الحكم، ونام أبا محمد المهلب في وزارته فغلب عليه، وعلا محله عنده وتخالع وتهتك فيما لا يجوز للقضاء، وكان يدعي بالقضاء ويخاطبه أبو محمد في الوزارة في كتبه بسبدي القاضي، وكان له محل مكين من الأدب. قال: وردت البصرة وأنا حديث السن لأكتب العلم وأتأدب، فلزمني أبو عبد الله المسمعي وكنت أقتصر عليه، فكتب إلي يوماً وقد قرص الهواء:

دهر إذا عز أن يقال فتى

أيهذا الفتى وأنت فتى ال

كاس وكيس وكسوة وكسا

طوبى لمن كان في الشتاء له

وكتب في الرقعة: وقد بقيت كاف أخرى لولا أنني أحب تقليل المئونة عليك لذكرتها يعين الكس فبعث إليه بجميع ما التمسه. قال التتوخي: وحدثنني قال: كان أبو خليفة القاضي صديقاً لأبي وعمي أيام وفد إلى كور الأهواز في فتنة الزنج، فلما قدمت إلى البصرة قدمتها مع أبي فأنزلنا أبو خليفة داره وأكرمنا وأمكنني من كتبه، فكنت أقرأ عليه كل ما أريد، وأسمع كيف شئت؟ وأكتب وأنسخ لنفسي، وأصوله لي مبدولة، فإذا كان الليل جلسنا وتحادثنا، فربما أحببت القراءة عليه فيجيبني فإذا أضجرت يقول: يا بني روحني فأقطع القراءة، وإذا استراح أخرج من كمة دفترأ من ورق أصفر فيقول: أقرأ علي منه فإنه خطي، وما تقرؤه علي فهو من خط غيري، فكنت أقرأ عليه منه، وكان فيه ديوان عمران بن حطان، فكان يبكي على مواضع منه، فأنشدته ليلة القصيدة التي فيها البيتان المشهوران:-

يا ضربة من بقي ما أراد بها
إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوماً فأحسبه
أوفى البرية عند الله ميزانا

فيكي عليهما لما انتهيتهما إليهما حتى كاد يغمي، فاستطرفت ذلك وعجبت منه، فلما كان من الغد اجتمعت مع المفجع فحدثته بذلك واغتررت به للدب واستكتمته إياه فأشاعه وأذاعه وعمل:

أبو خليفة مطوي على دخن
للهاشميين في سر وإعلان
ما زلت أعرف ما يخفى وأنكره
حتى اصطفى شعر عمران بن حطان

وأنشدنيها لنفسني أنشدها غيري، فكتبها عنه بعض أهل الأدب في رقعة لطيفة وجعلها في مقلته وحضرنا عند أبي خليفة في مجلس عام فنفض الرجل مقلته وقد أنسي ما فيها فسقطت الرقعة وانصرف الناس ووجدها أبو خليفة وقرأها فاستشاط. وقال ابن الإيجي: قبحه الله وترحه أشاط بدمي؟ علي بأبي العباس الساعة، يعني والدي، فجاءه وحديثه الحديث، فوقعت في ورطة وكادت الحال أن تنفجر بيني وبين أبي، ومنعني أبو خليفة القراءة واحتشمني، فحملت إليه ثياباً لها قدر، وأهديت إليه من مأكّل الجند واعتذرت إليه، فرجع إلي وقبل عذري، وداود تدريسي ومكني من القراءة عليه، فقرأت كتاب الطبقات وغيره مما كان عنده. وقال: لا أظهر الرضا عنك أو تكذب نفسك، ففعلت ذلك وأعطيت المفجع ثوباً ديبقياً حتى كف عن إنشاد الأبيات وجدها واعتذرت إلى أبي خليفة قال: وقال أبو علي عقيب هذا: أكثر رواة العرب فيما بلغني عنهم إما خوارج وإما شعوبية كأبي عبيدة معمر بن المثنى، وأبي حاتم سهل السجستاني، وفلان وفلان وعدد جماعة. وقرأت بخط ابن مختار اللغوي المصري: أبو خليفة الفضل بن الحباب اشترى جارية فوجدها خشنة فقال: يا جارية، هل من بزاق أو بصاق أو بساق؟، العرب تنقل السنين صاداً أو زائاً، فتقول: أبو الصقر والزقر والسقر، فقالت: الحمد لله الذي ما أمانتي حتى رأيت حري قد صار ابن الأعراي يقرأ عليه غرائب اللغة.

الفضل بن خالد أبو معاذ النحوي

المروزي مولى باهلة، روى عن عبد الله بن المبارك وعبيد بن سليم. روى عنه محمد بن علي بن الحسن بن شقيق وأهل بلده، مات سنة إحدى عشرة ومائتين. ذكر ذلك الحاكم بن البيع في تاريخ نيسابور.

قال الأزهري: ولأبي معاذ كتاب في القرآن حسن. قلت: وقد روى عنه الأزهري في كتاب التهذيب فأكثر، وذكره محمد بن حيان في تاريخ الثقات في الطبقة الرابعة بمثل ذلك سواء، ولعل الحاكم عنه نقل.

الفضل بن صالح العلوي الحسني

النحوي أبو المعالي اليماني، مات في سنة نيف وثمانين وأربعمائة، قال عبد الغافر: قال: وحضر نيسابور وسمع الحديث من مشايخنا الذين رأيناهم، ولا شك أنه سمع في أسفاره الكتب.

الفضل بن عمر بن منصور بن علي

أبو منصور، يعرف بابن الرائض الكاتب، من أهل باب الأزج، كان حافظاً لكتاب الله، قرأ بالعشر على علي ابن عساكر بالطائحي، وخطه غاية في الجودة على طريقة ابن هلال البواب، ولذلك أوردناه في هذا الكتاب. بلغني أن مولده في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة، ومات في جمادى الآخرة سنة تسع وستمائة.

الفضل بن محمد بناليزيدي

أبي محمد اليزيدي يكنى أبا العباس، وقد ذكرنا نسبه ونسب أهله والسبب الذي لأجله سمو اليزيديين في باب جده أبي محمد يحيى بن المبارك، وكان الفضل أحد الرواة العلماء، والنحاة النبلاء، أخذ عنه العلم الكثير، ورواه من جهته الجم الغفير، ومات فيما ذكره ابن النديم سنة ثمان وسبعين ومائتين.

حدث المرزباني عن الصولي عن احمد بن يزيد المهلبى قال: قال إبراهيم بن المدبر: اجتمع عندي يوماً الفضل اليزيدي والبحثري وأبو العيناء، فجلس الفضل يلقي على بعض فتياننا نحواً فقال له أبو العيناء: هذا بابي وباب الوالدة حفظها الله، فغضب الفضل وانصرف، وخرج البحثري إلى سامرا من بغداد وكتب إلي شعراً أوله:

ذكرتنيك روحة للشمول

وهجا فيها الفضل فقال:

جل ما عنده التردد في الفا

جل ما عنده التردد في الفا

قال إبراهيم: فأمرت أن يكتب جواب الكتاب ويوجه إليه بمائة دينار. ودخل أبو العيناء فأقرأته الشعر فقال: أعطني نصف المائة فإنه هجاه والله بكلامي، فأخذ خمسين ووجهته إلى البحثري بخمسين وعرفته الخبر فكتب إلي: صدق والله وما بنيت أبياتي إلا على معناه.

وحدث المرزباني في كتاب المعجم قال: كتب الفضل ابن محمد بن أبي محمد اليزيدي إلى أبي صالح بن يزداد وكان يداعبه وجرت بينهما جفوة:

واعرف بنفسي أنت لي قدرتي

استحي من نفسك في هجري

يجمل أو يقبح من أمر

واذكر دخولي لك في كل ما

لا صبر لي أكثر من شهر

قد مر لي شهر ولم ألقكم

وحدث ابن ناقياء في كتاب ملح الممالحة قال: قال الفضل بن محمد اليزيدي: كان محمد بن نصر بن منصور بن بسام الكاتب اشترى منزلاً وآلة وطعاماً وعبيداً، وكان ناقص الأدب، وكنت أختلف إلى ولده وولد عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم ليقرؤوا علي الأشعار، وكان عبد الله بن إسحاق سرياً جاهلاً، فدخلت يوماً والستارة مضروبة ومحمد بن بسام وعبد الله بن إسحاق يشربان وأولادهما بين أيديهما وكانوا قد تأدبوا وفهموا، فغنى بشعر جرير:

أحب لحب فاطمة الديارا

ألا حي الديار بسعد إني

فقال عبد الله بن إسحاق: لولا جهل العرب ما كان ذكر لسعد ههنا. فقال محمد بن بسام: لا تفعل يا أخي فإنه يقوي معدتهم ويصلح أسنانهم. قال الفضل اليزيدي: فقال لي علي ابن محمد بن نصر: بالله يا أستاذ اصفعهما وابدأ بأبي. قال المؤلف: أراد بسعد ههنا اسم موضع معروف، وكتب الحمدوني إلى الفضل:

في نعيم وسرور

يا أبا العباس إنا

ة في كل الأمور

ولدينا أسعد الأم

دك فامن بحضور

ما لنا عيب سوى بع

فأجاب سمعنا وأطعنا.

الفضل بن محمد بن علي بن الفضل

القصباني أبو القاسم النحوي البصري، كان واسع العلم غزير الفضل إماماً في علم العربية، وإليه كانت الرحلة في زمانه وكان مقيماً بالبصرة، مات في سنة أربع وأربعين وأربعمائة في أيام القائم، وأخذ عنه أبو زكرياء يحيى ابن التبريزي، وأبو محمد الحريري، وله تصانيف منها: كتاب في النحو، وكتاب في حواشي الصحاح، وكتاب الأمالي، وكتاب في أشعار العرب ومختارها كبير وسمه بالصفوة.

قال القاسم بن محمد بن الحريري صاحب المقامات: أنشدنا شيخنا أبو القاسم القصباني النحوي لنفسه:

إلا إذا مس بإضرار

في الناس من لا يرتجى نفعه

إلا إذا أحرق بالنار

كالعود لا يطمع في ريحه

قابوس بن وشمكير بن زيار

الدليمي المقلب بشمس المعالي من الملوك، وكان صاحب جرجان وطبرستان، وكان أخوه بهستون وأبوه وشمكير وعمه مرداويج ملوك الري وأصبهان وتلك النواحي، لأن أول من ملك من الديلم ليلي بن النعمان فاستولى على نيسابور في أيام نصر بن احمد الساماني، وقام بعده أسفار بن شبرويه، وكان مرداويج بن زيار أحد قواده فخرج عليه فحاربه فظفر به مرداويج فقتله ومملك مكانه، وعمل لنفسه سريراً من ذهب فجلس عليه واشترى عبيداً كثيرة من الأتراك وجعل يقول: أنا سليمان وهؤلاء الشياطين، وكان فيه ظلم وجبروت، فدخل عليه غلمانه الأتراك فقتلوه في الحمام، وكان بنو بويه من أتباعه فولاهم ولاية استظهروا بها عليه وحاربوه حتى ملكوا، وأما هو فلما مات ولت الديلم عليهم أخاه وشمكير، فاستولى على جرجان وطبرستان، ودامت الحرب بينه وبين ركن الدولة أبي علي بن بويه نيفاً وعشرين سنة، وركب في آخر أيامه فرساً له فعارضه خنزير فشب به الفرس وهو غافل عنه فسقط على دماغه فهلك.

وكتب ابن العميد عن ركن الدولة كتاباً يقول فيه: أ حمد لله الذي أغنانا بالوحوش عن الجيوش: وقام بعده ابنه أبو منصور بهستون بن وشمكير مقامه، وتوفي سنة سبع وستين وثلاثمائة، وكان عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو ابن ركن الدولة أبي علي زوج ابنة بهستون، فنفذ معز الدولة إلى المطيع وسأله أن ينفذ إليه الخلع والعهد على جرجان وطبرستان ففعل ذلك ولقبه ظهر الدولة، ووصله ما نفذ إليه في جمادى الأولى سنة ستين وثلاثمائة، فزين بلاده للرسول ونزل عن سريره عند وصول الخلع إليه ونثر عليه النثار العظيم: ونفذ للمطيع الله في جواب اللقب ستين ألف دينار عيناً وغير ذلك من الثياب والخيل، ولما توفي خلف أخوه قابوس بن وشمكير، ونفذ إليه الطائع الله الخلع والعهد على طبرستان وجرجان ولقبه شمس المعالي، وكان فاضلاً أديباً مترسلاً شاعراً ظريفاً، وله رسائل بأيدي الناس يتداولونها، وكان بينه وبين الصاحب بن عباد مكاتبة: مات سنة ثلاث وأربعمائة، وكان فيه عسف وشدة فسئمه عسكره فتغيروا عليه وحسنوا لابنه منوچهر حتى قبض على أبيه وقالوا له: إن لم تقبض أنت عليهم إلا قتلناه، وإذا قتلناه فلا نأمنك على نفوسنا فاحتاج أن نلحقك به، فوثب عليه وقبض عليه وسجنه في القلعة ومنعه ما يتدثر به في شدة البرد، فجعل يصيح: أعطوني ولو جل دابة حتى هلك، وكان حكم على نفسه في النجوم أن منيته على يد ولده، فأبعد ابنه داراً لما كان يراه من عقوبه، وقرب ابنه منوچهر لما رأى من طاعته وكانت منيته بسببه، ثم أن منوچهر قتل قتلته، وكانوا ستة تواطئوا عليه فقتل خمسة وهرب السادس إلى خراسان فقبضه محمود ابن سبكتكين وحمله إليه وقال له: إنما فعلت هذا لنلا يتجرأ أحد على قتل الملوك - فقتل الآخر -، ثم مات منوچهر سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، فقام ابنه أنوشروان بن منوچهر مقامه، وتوفي أنوشروان سنة خمس ولثلاثين وأربعمائة، ثم ولي ابنه حسان بن أنوشروان.

ومن شعر قابوس بن وشمكير:

خطرات ذكرك تستثير صبابتي فأحس منها في الفؤاد ديبيا
لا عضو لي إلا وفيه صباية فكان أعضائي خلقن قلوبا

ومن رسائله ما كتب به إلى بعض إخوانه: كتبت - أطل الله بقاء مولاي - وما في جسمي جراحة إلا وهي تود لو كانت يداً نكتابه، ولساناً يخاطبه، وعيناً تراقبه، وقريحة تعاتبه بنفس ولهي، وبصيرة ورهي، وعين عبري، وكبد حري، ومنازعة إلى ما يقرب منه، وتمسكاً بما يتصل عنه، ومثابرة على أمل هو غايته وتعلقاً بحبل عهد هو نهايته: وخاطري يميل نحوه، ونفسي تأمل دنوه وترجو وتقول أترأه، بل لعله وعساه يرق لنفس قد تصاعد نفسها، ويرحم روحاً قد فارقها روحها ومونسها؟ وكيف بقلبه لو عاين صورة هذه صورتها؟ وشاهد مهجة هذه جملتها؟ فليرفق جعلت فداه بمن عاند برحاً عظيماً، وكابد قرحاً أليماً، وليرق لكبد قذفها البعاد، وعين أرقها السهاد، وأحشاء محرقة بنار الفراق، وأجفان مقروحة بدمعها المهرق، وقلب في أوصابه متقلب، ولب في عذابه معذب، فلو أنني أسعدت فأعطيت الرضا، وخيرت فاخترت المنى، لتمنيت أن أتصور صورتك وأطالع طلعتك، وأمثل لها مثالي لترأه، فأخبرها بكنه حالي ومعناه، لترفق لإزالة ما أزله، وأشكو بعض ما نابني من نوائبه وغوائله، وأطلقني من أشراكه وحباله. وكان قد تمت عليه نكبة أخرجه من مقر عزه وموطن ملكه، فشنتته عن الأوطان، وألحقته بخراسان، فأقام بها برهة من الزمان إلى أن أسفر صبحه وفاز بعد الخيبة قدحه، وتخرج الزمان من جور عليه فرد ملكه إليه، فقال في حال نكبته:

قل للذي بصروف الدهر عيرنا هل عاند الدهر إلا من له خطر؟
أما ترى البحر يطفو فوقه جيف ويستقر بأقصى قعره الدرر؟
فإن تكن عبثت أيدي الزمان بنا ونالنا من تأذى بؤسه ضرر
ففي السماء نجوم غير ذي عدد وليس يكسف إلا الشمس والقمر

أما البيت الثاني فأخذه من قول ابن الرومي:

دهر علا قدر الوضع به
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه

وقوله: وفي السماء نجوم مأخوذ من قو أبي تمام:

إن الرياح إذا ما عصفت قصفت

بنات نعش ونعش لا كسوف لها

وكتب شمس المعالي قابوس إلى عضد الدولة وقد أهدى له سبعة أقلام:

قد بعثنا إليك سبعة أقلام

مرهفات كأنها ألسن الحي

وتفاءلت أن ستحوي الأقاليم

م لها في البهاء حظ عظيم

ات وقد جاز حدها التقويم

م بها كل واحد إقليم

وهذا يشبه قول ابن الصبائي وقد ذكر في بابه قال مؤلف الكتاب: وكنت في سنة سبع وستمئة قد توجهت إلى الشام وفي صحبتي كتب من كتب العلم أتجر فيها، وكان في جملتها كتاب صور الأقاليم للبلخي نسخة رائعة مليحة الخط والتصوير فقلت في نفسي: لو كانت هذه النسخة لمن يجتدي بها بعض الملوك ويكتب معها هذه الأبيات - وقلتها ارتجالاً - لكان حسناً، والأبيات في معنى أبيات قابوس، ولم اكن شهد الله وقعت عليها ولا سمعتها. وهي:

من الناس من يعدى على الدهر عدواكا

يدني على بعد التنايف مثواكا

فلم أر ما يهديه مثلي لشرواكا

لعلمي بأن الفال رائد عقباك

براه إلهي كي يدور ببغياكا

ولما رأيت الدهر جار ولم أجد

ركبت الفلا يحدو بي الأمل الذي

ورمت بأن أهدي إليك هدية

فجنتك بالأرضين جمعاً تفأولاً

فخذ هذه واستخدم الفلك الذي

ثم إنني بعث النسخة من الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب بتخيير المشتري من غير مكسب، وجرت لي فيها قصة طريفة أنزه هذا السلطان عن ذكرها، فإنه وإن كان الحظ حرمني فإنه جواد عند غيري. وكان السبب في خروج قابوس عن دار ملكه ولحقه بخراسان: أن عضد الدولة أبا شجاع فناخسرو تقم على أخيه فخر الدولة أبي الحسن علي بن الحسن بن بويه أمراً خالفه فيه فخر الدولة، فقصده عضد الدولة إلى همدان وكان مالكها وما والاها فهرب منه حتى لحق بجبال طبرستان فتلقاه قابوس وأكرم مثواه وأنزله عنده وآواه، فأنفذ عضد الدولة أخاه الآخر الملقب بأمير الأمراء مؤيد الدولة نحوهما فأنحازا عنه وذلك سنة إحدى وسبعين، وبعثنا إلى أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور وكان يتولى إمارة نيسابور ومادون جيحون من قبل السديد أبي صالح منصور بن نوح الساماني يستجديانه ويستعينانه فوعدهما وأبطأ عليهما لانحلال الأحوال بخراسان لاختلاف الأيدي بها، فسارا هاربين حتى وردا نيسابور ومنها إلى بخارى، فأرسل صاحب بخارى معهما جيشاً صحبة تاش الحاجب وولاه نيسابور فلم يصنع معهما شيئاً، وقال قابوس في تلك الحال:

وأصبح جمعي في ضمان التفرق

منال لراج أو بلوغ لمرتقي

وتكره ورد المنهل المتدفق

وإن بلغت ما ترتجيه فأخلق!

فأي طريق شاء فليطرق؟

لئن زال أملاكي وفات ذخائري

فقد بقيت لي همة ما وراءها

ولي نفس حر تأنف الضيم مركباً

فإن تلفت نفسي فلله درها

من لم يردني والمسالك جمّة

وله:

وقصري فضل ما أرخيت من طول

عن التهور ثم امشي على مهل

مخولون وكانوا أرذل الخول

بالله لا تنهضي يا دولة السفلى

أسرفت فاقصدي جاوزت فانصرفي

مخدمون ولم تخدم أوائلهم

فأما أبو الحسن علي بن بويه فإنه لما مات أخوه في سنة ثلاث وسبعين استدعاه ابن عباد وأقامه مقام أخيه، وأما قابوس فإنه لما تطاولت مدته ولم ير عند السامانية ناصراً قصد أطراف بلاده فتجمعت إليه الجيوش وعاد إلى بلاده، وقاتل المستولي عليها حتى عاد إلى سرير ملكه بعد ثماني عشرة سنة. وذكر أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في رسالة له سماها التعلل بإجالة الوهم في معاني منظوم أولي الفضل قال: وكنت أستحسن من شمس المعالي قابوس إعراضه عن إنشاد مدائحه في وجهه وبين يديه،

وكان يطلق للشعراء المجتمعين على بابه في النيروز والمهرجان مقداراً من البر، ويرسم لأبي الليث الطبري توزيعه عليهم بحسب رتبهم، ويقول: إنهم قوم مستمحيون بما يفاضلون فيه، ولكنني لا أستجيز سماع أكاذيبهم التي أعرف من نفسي خلافاً، وأتحرز بذلك من الاستغبان ولقابوس فصل يعزي: حشو هذا الدهر - أطال الله بقاء مولاي - أحزان وهموم، وصفوه من غير كدر معلوم، فما أولاه - أيده الله - بأن يتأمل أحواله، ويستشف ضرره وأحكامه، فإن وجد أحداً سلم من وجد أو عري من فقد لقي خلاف المعهود، وحق له التأسي على المفقود، وإن علم أن الخلق فيه شرع وأن الباقي للماضي تبع قدم من السلوة والصبر، ما لا بد من المصير إليه آخر الأمر، ليحصل له الثواب والأجر، والسلام.

قال أبو حيان: قال لي البديهي: مدحت وشمكير بمدائح فاحت رباها شرقاً وغرباً، بعداً وقرباً، فما أثابني عليها إلا بشيء يسير، وقصده بعض الأغنام من الجبال فمدحه بقصيدة ركيكة غير موزونة تعلقها بالهجا أكثر من تعلقها بالمديح، فأعطاه ما أغناه وأعاقبه بعده، فشكوت إلى ابن ساسان ذلك فقال لي: إفراط العلم مضر بالجد. والجد والعلم قلما يجتمعان، والكد للعلم، والجد للجهل، وأنشأ يقول:

إن المقادير إذا ساعدت
وللصاحب يهجو قابوس:
قد قبس القابسات قابوس
وكيف يرجى الفلاح من رجل
فاجابه قابوس:

من رام أن يهجو أبا قاسم
لأنه صور من مضغة
فقد هجا كل بني آدم
تجمعت من نطف العالم

قال أبو سعد الأبي في تاريخه: في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة كانت الأخبار تواترت بموت قابوس بن وشمكير، ثم ورد خبر بأنه لم يمت ولكنه نكب وأزيل عن الملك، وذلك أنه كان قد أسرف في القتل وتجاوز الحد في سفك الدماء، ولم يكن يعرف أحداً في التأديب وإقامة السياسة غير ضرب الأعناق وإماتة الأنفس، وكان يأتي ذلك في الأقرب فالأقرب، والأخص فالأخص من الجند والحاشية حتى أفنى جميعهم وأتى على جلعهم، وأذل الخيل وأصناف العسكر للرعية وجراهم عليهم، ولم يتظلم أحد من أهل البلد من واحد من أكابر عسكره إلا قتله وأتى على نفسه من غير أن يتفحص عن الشكوى، أصححة أم باطلة؟ فتبرم عسكره وحاشيته، وخافوا سطوته ولم يأمنوا ناحيته، فمشى بعضهم إلى بعض وتمالئوا عليه، وتعاهدوا وتحالفوا وخفي الأمر، لأنه كان خرج إلى حصن بناه وسماه: شمرايا، وعزم القوم أن يتسلقوا عليه ويغتالوه وقد واطأهم على الأمر جميع من كان معه في الحصن، فتعذر عليهم الصعود إليه والهجوم عليه، وعلموا أنهم لو قد أصبحوا وقد عرف الخبر لم ينج منهم أحد، فنعوه إلى الناس وذكروا أنه قضى نحب، فانتبهت اصطبلاته، وسيقت دوابه وبغاله، ولم يقدر هو على مفارقة الموضع لإعواز الظهور التي تحمل وتنقل عليها خزائنه، وكان عنده وزيره أبو العباس الغانمي فاتهمه بممالأة القوم فأوقع به وقتله. وخاطب العسكر من ذلك الموضع ومن جرجان منوهر وكان إذ ذاك مقيماً بطبرستان، فاستدعوه وكتبوا إليه بالحضور، وأنه متى تأخر قدموا غيره فبادر إليهم فقلدوه الأمر وبلغ ذلك قابوس وقد تفرق عنه من غدر به، فجمع أمراء الرستاق وفارق المكان وصحبه طائفة من العرب وغيرهم من الجند، وخرج إلى بسطام مع خزائنه وأسبابه، وتبعه منوهر ابنه مع العسكر فحصره، وامتنع هو عليه ثم أمكن من نفسه عند الضرورة فقبض عليه وحمل إلى بعض القلاع، وتقرر أمر ابنه منوهر ولقب بفلك المعالي، وكان أبوه يلقب شمس المعالي، ثم ورد الخبر في جمادى الآخرة بصحة موت قابوس وأقام التعزية في مملكه عنه، وكان موته في مجلسه بقلعة جناشك وذكر أنه اغتيل وحمل تابوته إلى جرجان ودفن في مشهد عظيم كان بناه لنفسه، وأنفق عليه الأموال العظيمة وبالغ في تحصينه وتحسينه.

القاسم بن أحمد الأندلسي

بن الموفق أبو محمد الأندلسي اللورقي، يلقب علم الدين، مولده فيما أخبرني عن نفسه في حدود سنة إحدى وستين وخمسائة، وهو إمام في العربية وعالم بالقرآن والقراءة، اشتغل بالأندلس في صباه، وأتعب نفسه حتى بلغ من العلم مناه، فصار عيناً للزمان ينظر به إلى حقائق الفضائل، فما من علم إلا وقد أخذ منه بأوفر نصيب وحصل منه على أعلى ذروة، وكنت لقيته بمحرسة حلب في سنة ثمان عشرة وستمائة، ففرت من لقائه بالأمنية، واقتضبت من فوائده كل فضيلة شهية.

وحدثني أنه قرأ القرآن بمرسية من بلاد الأندلس على الشيخ أبي عبد الله محمد بن سعيد بن محمد المرادي المرسى، وعلى أبي الحسن علي بن يوسف بن الشريك الداني بمرسية. وببلنسية على أبي عبد الله محمد بن أيوب بن محمد بن نوح الغافقي الفقيه وعلى الشيخ المقرئ أبي العباس أحمد بن علي بن محمد بن عون الله الأندلسي، وقرأ المحو على أبي الحسن علي بن الشريك

المذكور وابن نوح المذكور، ثم خرج إلى مصر في سنة إحدى وستمائة فقرأ بها القرآن على الشيخ أبي الجود غياث بن فارس بن مكي اللخمي، وبدمشق على الشيخ الإمام تاج الدين أبي اليمن الكندي، قرأ عليه القرآن جميعه بكتاب المهج تصنيف أبي محمد المقرئ، وكتاب سيبويه وكثيراً من كتب الأدب، وسمع منه أكثر سماعاته كتاريخ الخطيب والحجة وأدب الكاتب وغير ذلك، وكان وروده إلى دمشق سنة ثلاث وستمائة، وبيغداد على الشيخ أبي البقاء الحسين بن عبد الله العكبرائي، وسمع الحديث على جماعة منهم، وأما معرفته بالفقه والأصول وعلوم الأوائل كالمنطق وغيره فهو الغاية فيه.

وله من التصانيف: كتاب شرح المفصل في عشر مجلدات، وكتاب في شرح قصيدة الشاطبي، وكتاب شرح مقدمة الجزولي مجلدان. وأنشدني قال: أنشدني تاج الدين أبو اليمن لنفسه - رحمه الله -:

تركت قيامي للصديق يزورني ولا عذر لي إلا الإطالة في عمري
ولو بلغوا من عشر تسعين نصفها تبين في تركي القيام لهم عذري

القاسم بن إسماعيل أبو ذكوان الراوية

قال محمد بن إسحاق النديم قال أبو سعيد يعني السيرافي: وقد كان في أيام المبرد جماعة نظروا في كتاب سيبويه ولم يكن لهم نباهته: منهم أبو ذكوان القاسم بن إسماعيل. ولأبي ذكوان كتاب معاني الشعر رواه عنه ابن درستويه، ووقع أبو ذكوان إلى السيراف أيام الزنج، وكان علامة أخبارياً قد لقي جماعة من أهل العلم وكان التوزي زوج أم أبي ذكوان.

قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف

بن ناصح ابن عطاء البياني أبو محمد، مولى الوليد بن عبد الملك، إمام من أئمة العلم، حافظ مكثراً مصنف، كان أصله من بيانة وسكن قرطبة، وبها مات سنة أربعين وثلاثمائة عن سن عالية ويقال: إنه لم يسمع منه شيء قبل موته بسنتين، ذكره الحميدي فقال: سمع محمد بن وضاح، ومحمد بن عبد السلام الحسني وجماعة، ورحل فسمع إسماعيل بن إسحاق القاضي، وأبا إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي، والهارث بن أبي أسامة، وأبا قلابة الرقاشي، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة، وأحمد بن زهير بن حرب، وأبا بكر بن أبي الدنيا، وذكر جماعة ثم قال وغيرهم، وصنف كتباً منها: كتاب الحمر، وكتاب في أحكام القرآن على أبواب كتاب إسماعيل بن إسحاق القاضي، وكتاب المجتني على أبواب كتاب ابن الجارود المنتقى.

قال أبو محمد علي بن أحمد: وهو خير منه انتقاء وأنقى حديثاً وأعلى سنداً وأكثر فائدة، وله كتاب في فضائل قریش، وكتاب في الناسخ والمنسوخ، وكتاب في غرائب حديث مالك بن أنس مما ليس في الموطأ، وكتاب في الأنساب في غاية الحسن والإيعاب. وكان من الثقة والجلالة بحيث اشتهر أمره، وانتشر ذكره، وروى عنه جماعة من أهل بلده وغيرهم.

قاسم بن ثابت السرقسطي

ذكره الحميدي فقال: هو مؤلف كتاب غريب الحديث، رواه عنه ابنه ثابت وله فيه زيادات، وهو كتاب حسن مشهور، وذكره أبو محمد علي بن أحمد وأثنى عليه وقال: ما شأه أبو عبيد إلا بتقدم العصر.

القاسم بن الحسين بن محمد أبو محمد الخوارزمي

صدر الأفاضل حقاً، وواحد الدهر في علم العربية صدقاً، ذو الخاطر الوقاد، والطبع النقاد، والقريحة الحاذقة، والنحيزة الصادقة، برع في علم الأدب، وفاق في نظم الشعر ونثر الخطب، فهو إنسان عين الزمان، وغرة جبهة هذا الأوان. سألته عن مولده فقال: مولدي في الليلة التاسعة من شعبان سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وحضرت في منزله بخوارزم فرأيت منه صدراً يملأ الصدر، ذا بهجة سنية وأخلاق هنية، وبشر طلق ولسان ذلق، فملاً قلبي وصدري، وأعجز وصفه نظمي ونثري، واستنشدته من قبله فأنشدني لنفسه بمنزله في خوارزم، في سلخ ذي القعدة سنة ست عشرة وستمائة:

يا زمرة الشعراء دعوة ناصح لا تأملوا عند الكرام سماحا
إن الكرام بأسرهم قد أغلقوا باب السماح وضيعوا المفتاحا

ورأيت شيخاً، بهي المنظر، حسن الشبهة، كبيرها، سميناً بديناً عاجزاً عن الحركة، وكان له في حلقه حوصلة كبيرة. وقلت له: ما مذهبك؟ فقال: حنفي ولكن لست خوارزمية لست خوارزمية يكررها، إنما اشتغلت ببخارى فأرى رأي أهلها، نفى عن نفسه أن يكون معتزلياً رحمه الله. قال: وسألني قاضي القضاة بخوارزم أن أنشئ له أبياتاً يكتبها على جدران دار استحدث بناءها فقلت:

من كان يفخر بالبنيان والشرف
ما قيمة الدار لولا فضل ساكنها؟
إن كان يعجبني خشب مسندة
قد صح لي باتفاق الناس كلهم
إني لمن معشر كانت معاشهم
قوم متى طلعت ليلاً مآثرهم
بدولة الملك الميمون طائره
فليس فخري بغير المجد والشرف
وأي وزن بدون الدر للصدف؟
فلست أكرم نجل من بني خلف
رواية العدل والإنصاف عن سلفي
بالقصد أما عطاياهم فبالسرف
رأيت بدر الدجى في زي منخسف
أنى توجهت فالإقبال مكتنفي؟

وأنشدني لنفسه:

أيا سألني عن كنه علياه إنه
فمن يره في منزل فكأنما
وأنشدني لنفسه في أنباء شيخ الإسلام الرستاني، - ورشتان من قرى مرغينان، و مرغينان من بلاد فرغانة: -
فديت إماماً صيغ من عزة النفس
أشد ارتياحاً نحو طلعة معتف
وأفقه في تدريسه من محمد
مناقب لو أن الحرابي مرة
ويغدو على طرف من الشقر كلما
على سابح من خلقة الوهم طالع
فتى ساومته خلقه وهو فاغم
له الصفو من ودي وإخوته الألى
لفتيان صدق ما اقتنوا طول عمرهم
لأربعة شادوا الهدى بعد شيخهم
بنور ألهي عليهم وزهدهم
فعاشوا لترشيح الهدى ويراعهم
وقال بعض الفضلاء الخراسانية في الإمام صدر الأفاضل يمدحه:

إن للعالمين فخراً وزيناً
بفتى وافر العلوم نقاب
ليس ذاك الفتى المبرز إلا

وحدثني صدر الأفاضل: قال بعض الفضلاء العراقية في وهو من أصحابي:

يقولون إن الأصمعي لبارع
كذا ابن دريد والخليل وجاحظ
فقلت أجل، قد جل في الناس شأنهم

وأنشدني صدر الأفاضل لنفسه:

أتحمل مني نحو ذيلك الرشا
وإني لوجدي أستضيء لذي الحمى
ويرحمني العذال حتى يقول لي
وهل ترد الجرعاء مني بحنة
سلاماً كصدغيه وحالي مشوشاً؟
بشعلة أنفاسي إذا الليل أغطشا
أموقد نار بين جنبيك أم حشاً؟
على طرفيها رونق العهد قد مشى؟

وإني قد كتمت سري وإنما
كما أن صدر الشرق أخفى سخاءه
متى جددت نعماء أنهض جوده
وإن هزه الإطراء ثم تبجست
أيلحقه الوهم القطوف، إذا سعى
لك المنهل المسكي ما زال نفعه
فيلفظ في منسابه من لعبه

برغمي صوب المدمعين به فشا
ولكنه بشر الجبين به وشى
شهوداً من الإحسان لا تقبل الرشا
أياديه لم يسكر له فقد انتشا
لإدراك غايات العلا متكمشاً؟
يعلل صلا في يمينك أرقشا
حتوفاً وأرزاقاً على حسب ما تشا
وهو أطول من هذا وحدتي الإمام صدر الأفاضل قال: كتب إلي الصوفي المعروف بالصواف يسألني عن بيت حسان بن ثابت وهو:

فمن يهجو رسول الله منكم
وقولهم بأن فيه ثلاثة عشر مرفوعاً فأجبتهم:
أفدي إماماً وميض البرق منصرع
يبيغي الصواب لدينا من مباحته

ويمدحه وينصره سواء
من خلف خاطره الوقاد حين خطأ
أما درى أن ما يعدو والصواب خطأ؟
الذي يحضرني في هذا البيت من المرفوعات اثنا عشر، فمنها قوله: فمن يهجو، فيه ثلاثة مرفوعات، المبتدأ، والفعل، المضارع، والضمير المستكن، ومنها المبتدأ المقدر في قوله ويمدحه، المعنى: ومن يمدحه، فيكون هاهنا على حسب المثال الأول ثلاثة مرفوعات أيضاً، ومنها المرفوعان في قوله وينصره، أحدهما الفعل المضارع، والثاني الضمير المستكن، ومنها المرفوعات الأربعة في قوله سواء، إثنان من حيث إنه في مقام الخبرين للمبتدئين، واثنان آخران من حيث إن في كل واحد ضميراً راجعاً إلى المبتدئ، فهذا يا سيدي جهد المقل وغير مرجو قطع المدى من الكل، فليعذرني سيدي قبل الله معاذيره من المرفوع الثالث عشر، فإنه لعمرى قد استكن واستتر حتى لا أعرف عنه عيناً، وكيف يعرف له وجار وقد صار أعزب من العنقاء، وأشد عوزاً من الوفاء.

وأنشدني صدر الأفاضل لنفسه:

سرى ناشداً أنسي قضيب من الآس
وأرشدني وهناً لتقبيل خاله
ولو لم يكن يلقي على جمر خده
إذا لأضاء الليل حتى انجلت لنا

فناولني الصهباء والشهد في كاس
وميض ثناياه وشعلة أنفاسي
من الطرة السوداء ظلة أنقاس
هواجس تخفيهن أفئدة الناس
وكتب الإمام صدر الأفاضل إلى بعض أصدقائه: كتابي إلى المجلس الرفيع جمال الحرمين، إمام الفريقين يديم الله رفعة ثم يديم، وينيم عنه طوارق الحدثنان ثم ينيم، وأنا إليه كالصادي إلى قعقة الجم، وبجماله كهو بجمال المجد، لا أروي إلا عن فضله وإفضاله ولا أرتوي إلا من ورده وزلاله، ولا أتحسر إلا على ليال وشيتها بجواره، ثم طررتها بجواره:

إذا ذكرت النفس باتت كأنها
تولى الصبا والمالكية أعرضت
على حد السيف بين جنبي ينتضى
وزال التصابي والشباب قد انقضى

رفع الله البين من البين، حتى أرى نضاره في قميص من اللجين.

ومن إنشائه إلى الدار العزيزة ببغداد حرسها الله تعالى: رايات مولانا الصوام القوام أمير المؤمنين وإمام المتقين، وخليفة رب العالمين، الإمام الذي ليس للتابعين غيره إمام، ولا دون عتيته متمسك واعتصام، هي التي لم أزل أدعو الله أن يعقد بعذباتها النصر، ويجعل من أشياعها الذنب والنسر، تسابيرها الآمال، وتحل حيثما رفعت الأجال، ويحتف بها الجدود، ويرفرف عليها السعود، وهذا دعاء لو سكت كفيته، وأمل إن لم أسأله فقد أوتيته، مني العبد أن يسعى إلى المواقف المقدسة مسعى القلم، يحبو على رأسه لا على القدم، ليشم بئراها الثرى لخلخة المسك الذكي، ويعفر بها جبينه وأنفه، ويجيل في مسارح الحمد طرفه، ويستلم عتبة بها التف الثقلان، ودانت لها الأيام بعد حران، لكن الحوادث قلما توافقه، والأيام تماكسه في ذلك وتضايقه، وظني بأن الله سوف يريك. ولما ورد الرسم - أعلى نور الله به مشارق الأرض ومغاربها -، تلقاه العبد بالتعظيم والإجلال، ووضع على قمة الامتثال، وفض ختامه عن الدر المكنون، بل أناسي العيون، وعن مشمول من الرض مجنوب، وكلم على صفحات الدهر مكتوب، فما زالت أعضاؤه تود أن تكون شفاهاً تقبله، وخواطر تتأمله، تمنياً يلذ به المستهام، ويحلو له الغرام، ثم استدعى

الأرامل والأيامى فأعطاهم، واستحضر المساكين واليتامى فأغناهم، وأنحى على ما ملكت يمينه من العبيد والأسرى فأعتقهم وأطلقهم شكراً، وسأل الله تعالى أن يديم أكناف العرصة الفيحاء مرتعاً للعزة القعساء، إن شاء الله تعالى.

سنا جبينك مهما لاح في الظلم
إن يزرع الناس في أخلافهم كرمًا
تبدو على أشقر خطر حوافره
تشم عندك صيد العجم لخلخة
كادت لحبك تأتي وهي ساعية
من ظن غير نظام الملك ذا كرم

بتنا نطالع منه نسخة الكرم
فاليزر من جودك الطنان بالديم
بحراً يلاطم أمواجاً على ضرر
من الرغام بأناف من القمم
على الرعوس بدون الساق كالقلم
نادى به لؤمه استسمنت ذا ورم

لما أنشدني هذا البيت قال لي: من نظام الملك؟ قلت: أنت - حرسك الله - قائل الشعر تسألني عن ممدوحك. فقال لي متبسماً: لست تعرفه؟ قلت: لا والله. قال: ولا أنا شهد الله أعرفه، لأنني ما تعرضت لمدح أحد قط، ولا رغب في جداه، ولا أعرف أحداً أفضل علي إلا مرة واحدة، فإن الغربية أوجتني إليه فلعن الله الغربية. قلت له: وكيف ذلك؟ قال: إني مضيت إلى بخارى طالباً للعلم وقاصداً للقراءة على الرضى، فاجتمع إلي أولاً صدر جيهان وغيره فقد أنسيت القصة، فلما حذفوا الأدب برني بسبعين ديناراً ركنية، ووعدني بعود جميلة، ولولا الحاجة والغربة ما قبلتها منه، ولقد عرض علي الشهاب الحوفي، وهو أحد صدور خوارزم المتقربين من السلطان على أن ينصب لي منصباً ومجلساً بطراحة سوداء إلى جانبه، ويعطيني كل شهر عشرة دنانير لأقرأ الأدب فلم أفعل. قلت: فمن أين مادة الحياة؟ قال لي: خلف لي والذي قدراً يسيراً لا يقنع بمثله إلا أصحاب الزوايا، فأنا أنفقه بالميسور، وأتألذذ بالغنى عن الجمهور، وأنا أقول الشعر والنثر تطرباً لا تكسباً، وأستعير اسماً لا أعرفه:

أفديك ذا منظر بالبشر ملتحف
يد الجلال وشت في لوح جبهته:
ولو أناف على هام السها وطني
على النجى وفتت أيامه وعلى
ما جئت أخدمه إلا وقد سحقت
زف الندى نحوه بكرةً مخدرةً
يريه شعري نجوم الليل طالعة
لا زال مثل هلال العيد حضرته
وعاش للملك يحيمه وينصره
ودام كاليم للعافين ملتطماً

عن اليمين وللإقبال مبتسم
الناس من خولي والدهر من خدمي
لما لوت نحوه أجيادها هممي
نشر المحامد منه ألسن الأمم
يدا تلطفه عطرأ من الشميم
لولاه زفت إلى كفن من العدم
والنيرين معاً من مشرق الكلم
في الحسن واليمن والإقبال والشمم
فالملك من دونه لحم على وضم
بنانه وهو مرشوف بكل فم

وله من التصانيف: كتاب المجرمة في شرح المفصل صغير، وكتاب السبيكة في شرحه أيضاً وسط، وكتاب التجمير في شرح المفصل أيضاً بسيط، كتاب شرح سقط الزند كتاب التوضيح في شرح المقامات، كتاب لهجة الشرع في شرح ألفاظ الفقه، كتاب شرح المفرد والمؤلف، كتاب شرح النموذج، كتاب شرح الأحاجي لجار الله، كتاب خلوة الرياحين في المحاضرات، كتاب عجائب النحو، كتاب السر في الإعراب، كتاب شرح الأبنية، كتاب الزوايا والخبايا في النحو، كتاب المحصل للمحصلة في البيان، كتاب عجالة السفر في الشعر، كتاب بدائع الملح، كتاب شرح اليميني للعتبي.

القاسم بن سلام أبو عبيد

كان أبوه رومياً مملوكاً لرجل من أهل هراة، وكان أبو عبيد إمام أهل عصره في كل فن من العلم، وولي قضاء طرسوس أيام ثابت بن نصر بن مالك، ولم يزل معه ومع ولده ومات سنة ثلاث وعشرين ومائتين، أو أربع وعشرين ومائتين أيام المعتصم بمكة، وكان قصدها مجاوراً في سنة أربع عشرة ومائتين، وأقام بها حتى مات عن سبع وستين سنة، وأخذ أبو عبيد عن أبي زيد الأنصاري، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، والأصمعي وأبي محمد اليزيدي وغيرهم من البصريين، وأخذ عن ابن الأعرابي، وأبي زياد الكلابي، ويحيى بن سعيد الأموي، وأبي عمرو الشيباني، والفراء، والكسائي من الكوفيين، وروى الناس من كتبه المصنفة نيفاً وعشرين كتاباً في القرآن والفقه واللغة والحديث. وقال أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي في كتاب مراتب النحويين: وأما أبو عبيد القاسم بن سلام فإنه مصنف حسن التأليف إلا أنه قليل الرواية، يقتطعه عن اللغة علوم أفتن فيها. وأما كتابه المترجم بالغريب المصنف فإنه اعتمد فيه على كتاب عمله رجل من بني هاشم جمعه لنفسه. وأخذ كتب الأصمعي فيبوب ما فيها وأضاف إليه شيئاً من علم أبي زيد الأنصاري وروايات عن الكوفيين. وأما كتابه في غريب الحديث، وكذلك كتابه في

غريب القرآن منتزع من كتاب أبي عبيدة، وكان مع هذا ثقة ورعاً لا بأس به ولا بعلمه. سمع من أبي زيد شيئاً وقد أخذت عليه مواضع في غريب المصنف، وكان ناقص العلم بالإعراب، وروي أنه قال: عملت كتاب غريب المصنف في ثلاثين سنة، وجئت به إلى عبد الله بن طاهر فأمر لي بألف دينار. وذكره الجاحظ في كتاب المعلمين وقال: كان مؤدياً لم يكتب الناس أصح من كتبه ولا أكثر فائدة. وبلغنا أنه إذا ألف كتاباً حمله إلى عبد الله بن طاهر فيعطيه مالا كثيراً، فلما صنف غريب الحديث أهدها إليه فقال: إن عقلاً بعث صاحبه على عمل هذا الكتاب لحقيق ألا يحوج إلى طلب معاش، وأجرى له في كل شهر عشرة آلاف درهم. وسمعه منه يحيى بن معين وكان ديناً ورعاً جواداً، وسير أبو دلف القاسم بن عيسى إلى عبد الله طاهر يستهدي منه أبا عبيد مدة شهرين فأنفذه، فلما أراد الانصراف وصله أبو دلف بثلاثين ألف درهم فلم يقبلها وقال: أنا في جنبه رجل لا يحوجني إلى غيره، فلما عاد أمر له ابن طاهر بثلاثين ألف دينار فاشتري بها سلاحاً وجعله للثغر، وخرج إلى مكة مجاوراً في سنة أربع عشرة ومائتين فأقام بها إلى أن مات في الوقت المقدم ذكره.

وقال إسحاق بن راهويه: يحب الله الحق، أبو عبيد أعلم مني ومن أحمد بن حنبل، ومن محمد بن إدريس الشافعي. قال: ولم يكن عنده ذاك البيان، إلا أنه إذا وضع وضع. ولما قدم أبو عبيد مكة وقضى حجه أراد الانصراف فاكترى إلى العراق ليخرج في صبيحة غد. قال أبو عبيد: فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وهو جالس في فراشه وقوم يحجبونه والناس يدخلون إليه ويسلمون عليه ويصافحونه. قال: فلما دنوت لأدخل مع الناس منعت فقلت لهم: لم لا تخلون بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: إي والله، لا تدخل إليه ولا تسلم عليه وأنت خارج غداً إلى العراق، فقلت لهم، فإني لا أخرج إذا، فأخذوا عهدي ثم خلوا بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخلت وسلمت وصافحت، فلما أصبح فاسخ كريبه وسكن مكة حتى مات بها ودفن في دور في دور وقال أبو عبد الله بن طاهر: علماء الإسلام أربعة: عبد الله بن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والقاسم بن معن في زمانه، وأبو عبيد القاسم بن سلام في زمانه. ثم قال يرثيه:

يا طالب العلم قد مات ابن سلام
كان الذي كان فيكم ربع أربعة
وكان فارس علم غير محجام
لم نلق مثلهم إستار أحكام

إستار أي أربعة. وحدث أبو بكر الزبيدي قال: قال علي بن عبد العزيز، قال عبد الرحمن اللحنة صاحب أبي عبيد: قيل لأبي عبيد وقد اجتاز على دار رجل من أهل الحديث كان يكتب عنه الناس وكان يزن بشر إن صاحب هذه الدار يقول: أخطأ أبو عبيد في مائتي حرف من المصنف. فقال أبو عبيد - ولم يقع في الرجل بشيء مما كان يعرف به - في المصنف مائة ألف حرف، فلم أخطئ في كل ألف حرف إلا حرفين، ما هذا بكثير مما استدرك علينا، ولعل صاحبنا هذا لو بدا لنا فناظرناه في هاتين المائتين بزعمه لوجدنا لها مخرجاً. وحدث عن عباس الخياط قال: كنت مع أبي عبيد فاجتاز بدار إسحاق الموصلي فقال: ما أكثر علمه بالحديث والفقهاء بالعلوم! فقلت له: إنه يذكر بك بضد هذا. قال: وما ذاك؟ قلت: إنه يزعم أنك صحفت في المصنف نيفاً وعشرين حرفاً. فقال: ما هذا بكثير، في الكتاب عشرة آلاف حرف مسموعة يغلط فيها بهذا ليسير، لعلني لو ناظرت فيها لاحتججت عنها، ولم يذكر إسحاق إلا بخير.

قال الزبيدي: ولما اختلفت هاتان الروايتان في العدد امتحنت ذلك في المصنف فوجدت فيه سبعة عشر ألف حرف وتسعمائة وسبعين حرفاً. وحدث موسى بن نجيج السلمي قال: جاء رجل إلى أبي عبيد القاسم بن سلام فسأله عن الرباب فقال: هو الذي يتدلى دون السحاب، وأنشد لعبد الرحمن بن حسان:

كأن الرباب دوين السحاب
فقال: لم أدر هذا، فقال: الرباب اسم امرأة، وأنشد:
وكسا وجوه الغانيات جمالا
في الوجه من بعد الملاحة خالا
وهاب الملاحة للرباب وزاها
فقال: لم أدر هذا أيضاً، فقال: عساك أردت قول الشاعر:

رباب ربة البيت
لها سبع دجاجات
تصب الخل في الزيت
وديك حسن الصوت

فقال: هذا أردت. فقال: من أين أنت؟ قال: من البصرة. قال: على أي شيء جئت، على الظهر أو في الماء؟ قال: في الماء. قال: كم أعطيت الملاح؟ قال: أربعة دراهم. قال: اذهب استرجع منه ما أعطيته وقل: لم تحمل شيئاً، فعلام تأخذ مني الأجرة؟ قال محمد بن إسحاق النديم: ولأبي عبيد من التصانيف: كتاب غريب المصنف، كتاب غريب الحديث، كتاب غريب القرآن، كتاب معاني القرآن، كتاب الشعراء، كتاب المقصور والممدود، كتاب القراءات، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب الأموال، كتاب النسب،

كتاب الأحداث، كتاب الأمثال السائرة، كتاب عدد آي القرآن، كتاب أدب القاضي، كتاب الناسخ والمنسوخ، كتاب الأيمان والنور، كتاب الحيض، كتاب فضائل القرآن، كتاب الحجر والتفليس، كتاب الطهارة، وله غير ذلك من الكتب الفقهية.

قال علي بن محمد بن وهب المشعري عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال: سمعته يقول: هذا الكتاب يعني غريب المصنف أحب إلي من عشرة آلاف دينار: فاستفهمته ثلاث مرات فقال: نعم، هو أحب إلي من عشرة آلاف دينار: وقال أبو العباس أحمد بن يحيى: قدم طاهر بن عبد الله بن طاهر من خراسان وهو حدث في حياة أبيه يريد الحج، فنزل في دار إسحاق بن إبراهيم فوجه إسحاق إلى العلماء، فأحضروهم لإبراهيم طاهر ويقرأ عليهم، فحضر أصحاب الحديث والفقه، وأحضر ابن الأعرابي وأبو نصر صاحب الأصمعي، ووجه إلى أبي عبيد القاسم بن سلام في الحضور فأبى أن يحضر وقال: العلم يقصد، فغضب إسحاق من قوله ورسالته، وكان عبد الله بن طاهر يجزى له في الشهر ألفي درهم، فقطع إسحاق عند الرزق وكتب إلى عبد الله بالخير، فكتب إليه عبد الله: قد صدق أبو عبيد في قوله وقد أضعفت له الرزق من أجل فعله، فأعطه فائته وأدر عليه بعد ذلك ما يستحقه.

القاسم بن علي بن محمد بن عثمان

ابن الحريري أبو محمد البصري، من أهل بلد قريب من البصرة يسمى المشان، مولده ومنشؤه به، وسكن البصرة في محلة بني حرام، وقرأ الأدب علي أبي القاسم الفضل بن محمد القصباني البصري بها، ومات ابن الحريري في سادس رجب سنة ست عشرة وخمسمائة عن سبعين سنة، ومولده في حدود سنة ست وأربعين وأربعمائة في خلافة المسترشد، وبالبصرة كانت وفاته، وكان غاية في الذكاء والفتنة والفصاحة والبلاغة، وله تصانيف تشهد بفضلته وتقر بنبله، وكفاه شاهداً كتاب المقامات التي أبر بها على الأوائل، وأعجز الأواخر، وكان مع هذا الفضل قذراً في نفسه وصورته ولبسته وهيبته، قصيراً ذميماً بخيلاً مبتلياً بنفق لحيته. قال العماد في كتاب الخريدة: لم يزل ابن الحريري صاحب الخبر بالبصرة في ديوان الخلافة، ووجدت هذا المنصب لأولاده إلى آخر العهد المقتفوي: أخبرني عبد الخالق ابن صالح بن علي بن زيدان المسكي البصري بها في سنة اثنتي عشرة ستمائة في صفر قال: حدثنا الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي البندهي - قال: وكان يكتب هو بخطه: الفنجديهي قال: وهي قرية من قرى مرو الشاهجان - قال: سمعت الشيخ الثقة أبا بكر عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد النقور البزاز ببغداد يقول: سمعت الرئيس أبا محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري صاحب المقامات يقول: أبو زيد السروجي كان شيخاً شحاذاً بليغاً، ومكدياً فصيحاً، ورد علينا البصرة فوقف يوماً في مسجد بني حرام فسلم ثم سأل الناس، وكان بعض الولاة حاضراً والمسجد غاص بالفضلاء، فأعجبته فصاحته، وحسن صياغة كلامه وملاحته، وذكر أسر الروم ولده كما ذكرناه في المقامة الحرامية وهي الثامنة والأربعون. قال: واجتمع عندي عشية ذلك اليوم جماعة من فضلاء البصرة وعلمائها، فحكيت لهم ما شاهدت من ذلك السائل وسمعت من لطافة عبارته في تحصيل مراده، وظرافة إشارته في تسهيل إيرادها، فحكى كل واحد من جلسائه أنه شاهد من هذا لسائل في مسجده مثل ما شاهدت، وأنه سمع منه في معنى آخر فضلاً أحسن مما سمعت، وكان يغير في كل مسجد زيه وشكله، ويظهر في فنون الحيلة فضلته، فتعجبوا من جريانه في ميدانه، وتصرفه في تلونه وإحسانه، فأنشأت المقامة الحرامية ثم بنيت عليها سائر المقامات، وكانت أول شيء صنعته.

قال المؤلف: وذكر ابن الجوزي في تاريخه مثل هذه الحكاية، وزاد فيها أن ابن الحريري عرض المقامة الحرامية على أنو شروان بن خالد وزير السلطان فاستحسنها، وأمره أن يضيف إليها ما يشاكلها، فأتممها خمسين مقامة. وحدثني من أثق به: أن الحريري لما صنع المقامة الحرامية وتعاني الكتابة فأنتقها وخالط الكتاب، أصدع إلى بغداد فدخل يوماً إلى ديوان السلطان وهو منغص بذوي الفضل والبلاغة، محتفل بأهل الكفاية والبراعة، وقد بلغهم ورود ابن الحريري إلا أنهم لم يعرفوا فضلته، ولا أشهر بينهم بلاغته ونبله، فقال له بعض الكتاب: أي شيء تتعاني من صناعة الكتابة حتى نباحثك فيه؟ فأخذ بيده قلماً وقال: كل ما يتعلق بهذا، وأشار إلى القلم فقيل له: هذه دعوى عظيمة، فقال: امتحنوا تخبروا، فسأله كل واحد عما يعتقد في نفسه إتقانه من أنواع الكتابة، فأجاب عن الجميع أحسن جواب، وخاطبهم بأتم خطاب حتى بهرهم، فأنتهى خبره إلى الوزير أو شروان بن خالد، فأدخله عليه ومال بكليته إليه وأكرمه ونداه، فتحدثا يوماً في مجلسه حتى انتهى الحديث إلى ذكر أبي زيد السروجي المقدم ذكره، وأورد ابن الحريري المقامة الحرامية التي عملها فيه، فاستحسنها أنو شروان جداً وقال: ينبغي أن يضاف إلى هذه أمثالها وينسج عن منوالها عدة من أشكالها. فقال: أفعل ذلك مع رجوعي إلى البصرة وتجمع خاطري بها، ثم انحدر إلى البصرة فصنع أربعين مقامة، ثم أصدع إلى بغداد وهي معه وعرضها على أنو شروان فاستحسنها وتداولها الناس، واتهمه من يحسده بأن قال: ليست هذه من عمله لأنها لا تناسب فضائله ولا تتشاكل ألفاظه وقالوا: هذا من صناعة رجل كان استضاف به ومات عنده فادعاه لنفسه.

وقال آخرون: بل العرب أخذت بعض القوافل وكان مما أخذ جراب بعض المغاربة وباعه العرب بالبصرة، فاشتراه ابن

الحريري وادعاه، فإن كان صادقاً في أنها من عمله فليصنع مقامة أخرى. فقال: نعم سأصنع، وجلس في منزله ببغداد أربعين يوماً فلم يتهياً له تركيب كلمتين والجمع بين لفظتين، وسود كثيراً من الكاغد فلم يصنع شيئاً فعاد إلى البصرة والناس يقعون فيه ويغيطون في قفاه كما تقول العامة، فما غاب عنهم إلا مديدة حتى عمل عشر مقامات وأضافها إلى تلك، وأصعد بها إلى بغداد فحينئذ بان فضله، وعلموا أنها من عمله، وكان مبتلى بنتف لحيته، فذلك قول ابن جكينا فيه:

شيخ لنا من ربيعة الفرس
أنطقه الله بالمشان وقد
يبتف عشونه من الهوس
ألجمه في العراق بالخرس

وقرأت بخط صديقنا الكمال عمر بن أبي بكر الدباس رحمه الله، حدثني علي بن جابر بن هبة الله بن علي حاكم ساقية سليمان قال: حدثني والدي جابر بن هبة الله أنه قرأ على القاسم بن علي الحريري المقامات في شهور سنة أربع عشرة وخمسمائة قال: وكنت أظن أن قوله:

يا أهل ذا المغنى وقيتم شرا
قد دفع الليل الذي اكفهر
ولا لقيتم ما بقيتم ضرا
إلى ذراكم شعناً مغبرا

أنه سغباً معترأ، فقرأت كما ظننت سغباً معترأ، ففكر ساعة ثم قال: والله لقد أجدت في التصحيف فإنه أجود، فرب شعب مغبر غير محتاج، والسغب المعتر موضع الحاجة، ولولا أنني قد كتبت خطي إلى هذا اليوم على سبعمائة نسخة قرئت علي لغيرت الشعث بالسغب، والمغبر بالمعتر.

قال مؤلف الكتاب: ولقد وافق كتاب المقامات من السعد ما لم يوافق مثله كتاب ألفته فإنه جمع بين حقيقة الجودة والبلاغة، واتسعت له الألفاظ، وانقادت له نور البراعة حتى أخذ بأزمته وملك ربقته، فاختر ألفاظها وأحسن نسقها، حتى لو ادعى بها الإعجاز لما وجد من يدفع في صدره ولا يرد قوله، ولا يأتي بما يقاربها فضلاً عن أن يأتي بمثلها، ثم رزقت مع ذلك من الشهرة وبعد الصيت والاتفاق على استحسانها من الموافق والمخالف ما استحقت وأكثر.

ومن عجيب ما رأيته وشاهدته: أنني وردت آمد في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وأنا في عنفوان الشباب وربعه، فبلغني أن بها علي بن الحسن بن عنتر المعروف بالشميم الحلي وكان من العلم بمكان مكين، واعتلق من حباله بركن ركين، إلا أنه كان لا يقيم لأحد من أهل العلم المتقدمين ولا المتأخرين وزناً، ولا يعتد لأحد فضيلة، ولا يقرأ لأحد بإحسان في شيء من العلوم ولا حسن، فحضرت عنده وسمعت من لفظه إزراءه على أولي الفضل، وتنديده بالمعيب عليهم بالقول والفعل، فلما أبرمني وأضجر، وامتد في غيه وأصحر، قلت له: أما كان فيمن تقدم على كثرتهم وشغف الناس بهم عندك قط مجيد؟ فقال: لا أعلم إلا أن يكون ثلاثة رجال: المتنبي في مديحه خاصة، ولو سلكت طريقه لما برز علي، ولسقت فضيلته نحوي ونسبتها إلي. والثاني ابن نباتة في خطبه، وإن كانت خطبي أحسن منها أسير، وأظهر عند الناس قاطبة وأشهر. والثالث ابن الحريري في مقاماته. قلت: فما منعك أن تسلك طريقته وتنشئ مقامات تخدم بها جمرته؟ وتملك بها دولته.

فقال: يا بني، الرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل، ولقد أنشأتها ثلاث مرات ثم أتأملها فأستردلها، فأعمد إلى البركة فأغسلها ثم قال: ما أظن الله خلقتي إلا لإظهار فضل الحريري. وشرح مقاماته بشرح قرئ عليه وأخذ عنه وكتب ابن الحريري إلى سديد الدولة في صدر الكتاب:

وما نومة بعد الضحى لمسهد
بأحلى من البشرى بأن ركابكم
زوى همه بالليل عن جفنه السنه
ستسري إلى بغداد في هذه السنه

وقرأت في كتاب لبعض أدباء البصرة: قال الشيخ أبو محمد حرس الله نعمته معاياة:

ميم موسى من نون نصر ففسر
أيهذ الأديب ماذا عنيت؟

تفسيره: ميم الرجل: إذا أصابه الموم وهو البرسام، ويقال: إنه أشد الجدرى. ونون نصر: حوت نصر، والنون السمكة، يعني أنه أكل سمكة نصر فأصابه الموم. وله في الأمثلة:

باء بكر بلام ليلي فما ين
فك منها إلا بغين وها

باء: أي اقرأ، واللام: الدرع، فلما أقرأ لليلي به ألزمته فلا ينفك منها إلا بعين أي الدرع بعينه هاء أي خذي. حدثني أبو عبد الله الديبشي قال: حدثني أبو الحسن علي بن جابر، حدثني أبي أبو الفضل جابر بن زهير قال حضرنا مع ابن الحريري في دعوة لظهير الدين بن الوجيه رئيس البصرة في ختان ابنه أبي الغنائم وكان هناك مغن يعرف بحمد المصري وكان غاية في امتداد الصوت وطيب النغمة فعنى:

بالذي ألهم تعذي
بي ثنايك العذابا

ما الذي قالتة عينا
فطرب الحاضرون وسألوا ابن الحريري أن يزيد فيها شيئاً فقال:
قل لمن عذب قلبي
والذي إن سمته الوص
ثم البيتان. فاستحسنها الجماعة وأقسموا على المغنى ألا يغنيهم غيرها، فمضى يومهم أجمع بهذه الأبيات.
وأنشد أيضاً لحريري:
لا تخطون إلى خطء ولا خطأ
وأي عذر لمن شابت ذوائبه
ومن شعره:
خذ يا بني بما أقول ولا تزغ
لا تغترر ببني الزمان ولا تقل
جربتهم فإذا المعاصر عاقر
ولابن الحريري من التصانيف: كتاب المقامات، كتاب درة الغواص في أوام الخواص، كتاب ملحة الإعراب وهي قصيدة في النحو، كتاب شرح ملحة الإعراب، كتاب رسائله المدونة، كتاب شعره.

حدثني أبو عبد الله محمد بن سعيد بن الدبيثي قال: سمعت القاضي أبو الحسن علي بن جابر بن زهير يقول: سمعت أبي أبا الفضل جابر بن زهير يقول: كنت عند أبي محمد القاسم ابن الحريري البصري بالمشان أقرأ عليه المقامات، فبلغه أن صاحبه أبا زيد المطهر بن سلام البصري الذي عمل المقامات عنه قد شرب مسكراً فكتب إليه وأنشدناه لنفسه:
أبا زيد اعلم أن من شرب الطلاب
ومن قبل سميت المطهر والفتى
فلا تحسها كيما تكون مطهراً
قال: فلما بلغه الأبيات أقبل حافياً إلى الشيخ أبي محمد وبهده مصحف فأقسم به ألا يعود إلى شرب مسكر. فقال له الشيخ: ولا تحاضر من يشرب.

حدثني ابن الدبيثي قال: وأنشدني ابن جابر قال: أنشدني أبو عبد الله محمد بن الحسن بن المنقبة الفقيه بالرحبة لنفسه يعارض أبا محمد بن الحريري في بيتيه اللذين قال فيهما: أسكنا كل نافث، وأمنا أن يعززا بثالث:
ملأمة الوكعاء بين الورى
فمه إذا استجديت عن قول لا
نقلت من خط أبي سعد السمعاني، أنشدنا أبو القاسم عبد الله بن القاسم بن علي بن الحريري، أنشدني والذي لنفسه وهو مما كاتب به شيخ الشيوخ أبا البركات إسماعيل بن أبي سعد:
سلام كأزهار الربيع نضارة
ولو لم يعقني الدهر عن قصد ربه
ولكن عداني عنه الدهر مكدر
ومن خطه: أنشدني أبو العباس أحمد بن بختيار بن علي الواسطي، أنشدنا القاسم بن علي الحريري لنفسه:
أحمد بحلمك ما يذكره ذو سفه
فالحلم أفضل ما ازدان اللبيب به
وكتب ابن الحريري إلى سديد الدولة محمد بن عبد الكريم الأنباري كتاباً على يد ولده قال فيه: كتب الخادم وعنده من تباريح الأشواق إلى الخدمة ما يصدع الأطواد، فكيف الفؤاد؟ ويوهي إلى الجبال، فكيف البال؟ ولكنه يستدفع الخوف بسوف، ويبرد حر الأسى بعسى، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير.

ألا ليت شعري والتمني خرافة
أندرون أني مذ تناءت دياركم
وإن كان فيه راحة لأخي الكرب
وشط اقترابي من جنابكم الرحب

أكابد شوقاً ما يزال أواره
أسكب للبين المشت مدامعاً
وأذكر أيام التلاقي فأنثني
ولي حنة في كل وقت إليكم
فوالله إني لو كتمت هواكم
ومما شجا قلبي المعنى وشفه
على أنني راض بما ترضونه
ولما سرى الوفد العراقي نحوكم
جعلت كتابي نائباً عن ضرورة
وأنفذت أيضاً بضعة من جوارحي
وقلت له عند الوداع وقلبه
ألا أبشر بما تحظى به حين تجتلي
ولست أرى إذكركم بعد خبركم

يقابني بالليل جنباً إلى جنب
كأن عزاليها امترين من السحب
لتذكاريها بادي الأسي ذاهب اللب
ولا حنة الصادي إلى البارد العذب
لما كان مكتوماً بشرق ولا غرب
رضاكم بإهمال الإجابة عن كتبي
وأفخر بالإعتاب فيكم وبالعتب
وأعوزني المسرى إليكم مع الركب
ومن لم يجد ماء تيمم بالتر
تنبئكم مشروح حالي وتستتبي
شج وأبوه الشيخ مكتئب القلب
محيا سديد الدولة الماجد الندب
بمكرمة، حسبي اهتزازكم حسبي

هذه على عاهتها بنت ساعتها، فإن حظيت منه بالقبول المأمول، فيا بشرى للحامل والمحمول، وإن لمحت لمحة المستنقل، فيا خيبة المرسل والمرسل، والسلام.

ومن رسائل ابن الحريري رسالة التزم في كل كلمة منها السين نثراً ونظماً، كتبها على لسان بعض أصدقائه يعاتب صديقاً له أخل به في دعوة دعا غيره إليها وكتب على رأسها: باسم القدوس أستفتح، وبإسعاده أستنجج، سحبة سيدنا سيف السلطان سدة سيدنا الإسفهلار السيد النفيس سيد الرؤساء حرس نفسه، واستنارت شمسه، ويسق غرسه، واتسق أنسه استمالة الجليس، ومساهمة الأنيس، ومواساة السحيق والنسيب، ومساعدة الكسير والسليب، والسيادة تستدعي استدامة السنن، والاستحفاظ بالرسم الحسن. وسمعت بالأمس تدارس الألسن سلاسة خندريسه، وسلسال كنوسه، ومحاسن مجلس مسرته، وإحسان مسمعة سنارته فاستسلمت الاستدعاء، وتوسمت الإسرائ، وسوفت نفسي بالإحتساء ومؤانسة الجلساء، وجلست أستقري، السبل، وأستطلع الرسل، وأستطرف تناسي رسمي، وأسامر الوسواس لاستحالة وسمي:

وسيف السلاطين مستأثر
سلاني وليس لباس السلو
وسنن تناسي جللاه
وسر حسودي بطمس الرسوم
وأسكرني حسرة واستعاض
وساقى الحسام بكاس السلاف
سأكسوه لبسة مستعجب
وأسطر سيناته سيرة
وحسبنا السلام رسول السلام.

بأنس السماع وحسو الكئوس
يناسب حسن سمات النفيس
وأسوا السجايا تناسي الجليس
وطمس الرسوم كرمس النفوس
لقسوته سكرة الخندريس
وأسهمني بعبوس وبوس
وأليس سربال سال يئوس
تسير أساطيرها كالبسوس

وكتب إلى أبي طلحة ابن النعمان الشاعر لما قصده إلى البصرة يمدحه ويشكره، ويتأسف على فراقه: بإرشاد المنشئ أنشي، شغفي بالشيوخ شمس الشعراء، ريش معاشه وفشا رياشه، وأشرق شهابه، واعشوشبت شعابه، يشاكل شغف المنتشي بالنشوة، والمرتشي بالرشوة، والشادن بشرخ الشباب، والعطشان بشم الشراب. وشكري لتجشمه ومشقته، وشواهد شففته، يشابه شكر الناشد للمنشد، والمسترشد للمرشد، والمستبشر للمبشر، والمستجيش للجيش المشمر. وشعاري إنشاد شعره، وإنشاء المكاشر والمكاشح بنشره.

وشغلي إشاعة وشائعه، وتشبيد شوافعه، والإشارة بشذوره وشفوفه، والمشورة بتشييعه وتشريفه، وأشهد شهادة تشده المقشر المكاشف، والمشنع الكاشف. لإنشاؤه ومشاهدته تدهش الشائب والناشئ، ولمشافهته تباشير الرشد، واستشيار الشهد، ولمشاحننه تشقي المشاحن، وتشين المشاين، ولمشاغبته تشظى الأشطان، وتشيط الشيطان. فشرفاً للشيخ شرفاً، وشغفاً بشنشنه شغفاً:

فأشعاره مشهورة ومشاعره	وعشرته مشكورة وعشائره
شأى الشعراء المشمعلين شعره	فشانيه مشجو الحشا ومشاعره
وشوه ترقيش المرقش رقصه	فأشباعه يشكونه ومعاشره
وشاق الشباب الشم والشيب وشيه	فمنشوره بشرى المشوق وناشره
شكور ومشكور وحشو مشاشه	شهامه شمير يطيش مشاجره
شقاشقه مخشيه وشباته	شبا مشرفي جاش للشر شاهره
شفا بالاناشيد النشاوى وشفهم	فمشفيه مستشف وشاكيه شاكره
ويشدو فيهتش الشحيح لشدوه	ويشغفه إنشاده فيشاطره
تجشم غشيانى فشرد وحشتي	ويشر ممشاه ببشر أباشر
سأنشده شعراً تشرق شمسه	وأشكره شكراً تشيع بشائره

وأشهد شاهد الأشياء، ومشبع الأحشاء، ليشعلن شواظ اشتياقي في شحطه، ولشعلن شمل نشاطي نشطه، فناشدت الشيخ أيشعر باستيحاشي لشسوعه، وإجهاشي لتشييعه، ووشايتي بنشيد الموشي، وتشكل شخصه بالإشراق والعشي، حاشاه تعشيه شبيهة ونغشاه، فليستشف شرح شجوي بشطونه، وليرشني لمشاركة شجونه، وليشغلني بتمشية شئونه، وليشيد جاشي، ويشارف انكماشه، عاش منتعش الحشاشه، مستشري البشاشه، مشحوذ الشفار، منتشر الشرار، شحاذاً بالأشعار، يشرح ويحوش، ويقنفش المنفوش الشديد البطش، الشامخ العرش، وتشريفه لبشير البشر، وشفيح المحشر.

وله من المقامات:

وأحوى حوى رقي برقة لفظه	وغادرنى إلف السهاد بغدره
تصدى لقتلي بالصدود وإنني	لفي أسره مذ حاز قلبي بأسره
أصدق منه الزور خوف ازوراره	وأرضى استماع الهجر خشية هجره
وأستعذب التعذيب منه وكلما	أجد عذابي جد بي حب بره
تناسى ذمامي والتناسي مذمة	وأحفظ قلبي وهو حافظ سره
له مني المدح الذي طاب نشره	ولي منه طي الود من بعد نشره
وإني على تصريح أمري وأمره	أرى المر حلواً في انقيادي لأمره

وقال الرئيس أبو الفتح هبة الله بن الفضل بن صاعد بن التلميذ الكاتب: كان الشيخ الأجل الإمام الأوحى أبو محمد القاسم بن علي بن الحريري - رضي الله عنه - الإمام المشهور الفضل، من أعيان دهره، وفريد عصره، وممن لحق طبقة الأوائل، وغير عليهم في الفضائل، وكانت ببني وبينه مكاتبة قديمة في سنة خمس وتسعين وأربعمائة عند ابتدائه حمل المقامات التي أنشأ، ولما وقع الاجتماع به في سنة أربع وخمسمائة ببغداد وسماعها منه عدة دفعات، جاريته وسألته أن ينظم في النحو مختصراً يحفظه المبتدئون، فشرع في نظم هذه الأرجوزة، وأملى علي منها أبواباً يسيرة، وانحدر من غير إتمامها، واستعاد مني ما أملاه ليحرره، فكاتبت دفعات أقتضيه بها، وأذكره بإنفاذها وإنفاذ كتابه: درة الغواص في أوهم الخواص، فكتب إلي جوابين نسخة الأولى منهما: وصل من حضرة سيدنا - أطال الله بقاءه ومدته، وحرس عزه ونعمته، وضاعف سعادته، وكبت حسدته -، كتاب كريم، مودعه طول جسيم، وفي ضمنه در نظيم، فابتهجت بتناوله، وقررت عيناً بتأمله، وتذكرت الأوقات التي أسعد الدهر فيها برؤيته، وأحظى باجتماع فضله وروايته، وشكرت الله على ما يوليه من حسن صنعه، وسألته - جلّت عظمته - أن يجعل النعمة راحة بربعه، والسعادة جاذبة أبداً بضيعه، وسررت بما بشرني به من نجابة السيد الرئيس، الولد النفيس - أمتع الله ببقائه -، وأتاح لي تجدد الأنس بلفائه، ولم أستبعد أن يقرم هلاله بل يبدر، ولا استبعدت أن يورق إن دوحته الزكية ويثمر، والله تعالى يملئه أطول الأعمار في رفاهة الأسرار، ومواتاة الأقدار حتى يعاين أسباطه، ويضاعف باجتماعهم وتضاعفهم بحوزته اغتباطه. فاما الملحة إن أمكن تنفيذها مع أحد المترددين إلى هذا المكان لألحق بها الزيادة، وأهذبها كما يطابق الإرادة، فأوعز به.

وأما درة الغواص في أوهم الخواص، فأرجو أن ينشئ الإصعاد إلى بغداد لتصفحها من البدء، وكأن قد، وإلى أن يسهل المأمول من الالتقاء، فما أولى همته الكريمة بإتحافي بالأنباء، وإنهاضي بما يسبح من الأوطار والأهواء، ورأيه أعلى إن شاء الله.

نسخة الكتاب الثاني، وهو المنفذ مع الملحة المذكورة:

لئن كانت الأيام أحسن مرة

إلى لقد عادت لهن ذنوب

إذا فكرت - أطل الله بقاء سيدنا - وضاعف سعادته، وكبت حسدته فيما كان سمح به الزمان من تلك الملاقاة الحلوة، وإن كانت أقل من الحسوة أعظمت قيمة حسناه، ووجدتها أحلى إسعاف وأسناه، ثم فكرت فيما أعقب من الفقرة، وألهب في الصدر من الحرقة، وجدته كمن رجع في المنحة، وطمس الفرحة بالترحة، ولولا تعلقة القلب المشجوب بالتلاقي المرجو لذاب من انتقاد الشوق، ولقال: شب عمرو عن الطوق، وفي لوامح تلك الألمعية ما يغني عن تبيان تلك الطوية، وكان قد وصل من حضرته أنسها الله تعالى ما أعرب فيه عن كريم عهده، وتباريح وجده، فلم أستبدع العذوبة من ورده، ولا استغربت ما توالى من بره وحسن عهده، وبمقتضى هذه الأوامر والطول المتناصر انعكافي على الشكر، واعترافي بعوارفه الغر، فأما استطلاع ملح الإعراب المشتبهة بالسراب، فقد أثرت خزائنه - عمرها الله تعالى - بمسودتها على شعب بنيتها، وشوه خلقتها، ولو لم تعرض حادثة العرب، العائقة عن كل أرب، لزفتها كما ترف العروس المقينة، والخطب المزينة، غير أنني أرجو أن ترزق حظوة القباح، وألا تجبه بالذم الصراح، ولكتبه - حرس الله نعمته - عندي موقع أنفاس التحف، وشكري على التكرم بها شكر من انتشج بها والتحف، وسيدنا أمين الدولة رئيس الحكماء مخدوم بأفضل دعاء، وأطيب ثناء وسلام، ولرأيه - أدام الله نعمته - في الإيعاز بالوقوف على ما شرحته وتمثل ما أوضحت - علوه إن شاء الله تعالى.

نسخة كتاب كتبه ابن الحريري إلى أبي الفتح بن التلميذ قبل اللقاء:

جزى الله خيراً والجزاء بكفه

بني صاعد أهل السيادة والمجد

هم ذكروني والمهامه بيننا

كما ارفض غيث في تهامة من نجد

لو أخذت في وصف شغفي بمناقب سيدنا - أطل الله بقاءه وأدام علاه، وحرس نعماءه، وكبت حساده وأعداءه - وما أنا بصدد من مدح سودده، وشرح تطوله وتودده، لكنني بمثابة المغترين، في محاولة عد رمل بيرين، لكنني راج أن أحظى من المعية الثاقبة، وبصيرته الصائبة، بما يمثل له عقيدتي ويطلعه على نخيلة مودتي، وما أملك في مقابلة مفاتحته التي أخلصت له إيجاب الحق وفضيلة السبق، إلا الثناء الذي أتلو صحائفه، والدعاء الذي أقيم في كل وقت وظائفه، والله سبحانه يحسن توفيق لي لما يشيد مياي المودة، التي أعتدها أفضل مقاني العدة، ثم إنني لفرط اللهج باستملاء فضائله النيرة، واستطلاع محاسنه المسيرة، وأسائل عن خصائصه الركبان، وأطرب بسماعها ولا طرب النشوان. ولما حضر الشيخ الأديب الرئيس أبو القاسم ابن المود - أدام الله تمكينه - ألفتة مولياً مغالياً، وداعية إليه وداعياً، فازددت كلفاً بما وعيته منه، وشغفاً بما استوضحته عنه، واستدللت على كمال سيدنا باستخلاص شكر مثله، وتحققت وفور أفضاله وفضله، فافتتحت المكاتبة بتأدية هذه الشهادة، واستمداد سنة المواصلات المعتادة، والتكرمة التي تقتضيها بواعث السيادة، ولرأيه في الوقوف على ما كتبته، والتطول فيه بما توجهه أريحيته، علوه إن شاء الله تعالى.

وكتب إلى سيد الدولة رسالة صدرها بهذين البيتين:

عندي بشرك ناطقان فواحد

آثار طولك واللسان الثاني

ومجال منتك التي أوليتني

في الشكر أفصح من مجال لساني

وصدر رسالة أخرى إليه بهذه الأبيات:

أهنيك بل نفسي أهني بما سني

لك الله من نيل المنى وبما أسني

شكرت زمني بعد ما كنت عاتباً

عليه لما أسدي إليك من الحسنى

وأيقنت إذ واثاك أن قد تيقظت

لإرضاء أهل الأرض مقلته الوسى

ففخراً بما في عظم فخرك شبهه

ولا لك شبه في الأنام إذا قسنا

جمال الورى ملية تشريفك الذي

أفاض عليك الصيت والعز والحسنى

ومن عجب أنني أهنيك بالذي

أهني به لكن كذا سن من سنا

وكتب إلى المؤيد أبي إسماعيل الطغراني يهنئه بولاية الطغرا في سنة تسع وخمسائة، فأجابه الطغراني بجواب هذا نسخته:

ما الروض أضحت السحاب تغوره

وأفاح أنفاس الصبا منشوره

يوماً بأبهج من كتاب نمومت

بمناك يا شرف الكفاة سطوره

وافى إلي فتته حين رأيت

تية الملى إذ رأى منشوره

فلثمته عشراً ولو قبلته

ألفاً وألفاً لم أوف مهوره

وفضضته عن لؤلؤ ولو أنه
وأجلت منه الطرف فيما راقه
قسماً لأنت الفرد في الفضل الذي
منك امترى لما ارتضعت لبانه
فاسلم له حتى نجدد ما عفا
واعذر وليك إن تقاصر سعيه
للسمط زان فصوله وشذوره
وأتاح للقلب الكئيب سروره
لولاك أطفأت الجهالة نوره
وبك ازدهى لما احتلبت شطوره
منه وتجبر وهنه وكسوره
واغفر له تقصيره وقصوره

وصل من المجلس السامي المؤيدي - ضاعف الله علوه وأضعف عدوه، وأكمل سعوده وأكمد حسوده - كتاب اتسم بالمكرمة الغراء، وابتسم عن التكرمة العذراء فخلته كتاب الأمان من الزمان، وتلقته كما يتلقى الغنسان صحيفة الغنسان، وقابلت ما أودع من البر والطول المبر، بالشكر الذي هو جهد المقل ونسك المستقل، ووجدت ما ألحف من التجميل وأتحف من الجميل ما كانت أطماعي تتوق إليه، وأمالى تحوم حواليه، إذ ما زلت منذ استمليت وصف المناقب المؤيدية، ورويت خبرها عن الرواية الشريفة الشرفية، أبعث قلمي على أن يفتح، وأن يكون الرائد لي والماتح، وهو ينكص نكوص الهيوبة، وينكل نكل الهام عن الضريبة، فأكابد لإحجامه الأسى، وأزجي الأيام بلعل وعسى، إلى أن بديت وهديت، وأريت كيف يحي الله من يميته؟ فلم يبق بعد أن أنشط العقال واستدعى المقال، إلا أن أنقل الحشف إلى هجر وأزف الهشيم إلى الشجر، فأصدرت هذه الخدمة المتشحة بالجل، المرتعشة من الوجل، وأنا معترف بسالف التقصير ومعتذر عنه باللسان القصير، فإن قربت عند الوصول، وقرنت بحظوة القبول، فذلك الذي كانت تتمنى، وحق لي ولها أن تهني، وإن ألغيت إلغاء الحوار في الدية، وندد بمفاضتها في الأندية، فما هضمت فيما قوبلت، ولا ظلمت إذ ما قبلت، على أن لكل امرئ ما نوى، وأن تعفوا أقرب للتقوى، وإن كان وضع اجتهادي فيما وقف من الوطر الذي تأكد فيه اعتراض القدر، وانتقاص النظر، فيا بردها على الكبد، ويا بشرى خادمه المجتهد، ثم إن استخدمت بعد في خدمة اجتهدت، وانتهزت فرصة فريضتها ولو جاهدت، وللرأي الشريف في الإمام بتحسين ما يتأمل، وتحقيق ما يؤمل، مزيد السمو إن شاء الله تعالى.

القاسم بن فيرة بن أبي قاسم

أبو محمد الرعيني ثم الشاطبي المقرئ، كان فاضلاً في النحو والقراءة، وعلم التفسير، وله لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نظم قصيدة من خمسمائة بيت في كتاب التمهيد لابن عبد البر. وكان شعره صعباً لا يكاد يفهم من ذلك قوله:
يلوموني إذ ما وجدت ملائماً
وقالوا: تعلم للعلوم نفاقها
وهي قصيدة طويلة، وله:

بكي الناس قبلي لا كمثلي مصائب
وكنّا جميعاً ثم شئت شملنا
بدمع مطيع كالسحاب الصوائب
تفرق أهواء عراض المواقب

وله قصيدة نظم فيها المقنع لأبي عمرو الداني في خط المصحف، وكان رجلاً صالحاً صدوقاً في القول مجدداً في الفعل، ظهرت عليه كرامات الصالحين كسماع الأذان بجامع مصر وقت الزوال من غير مؤذن، ولا يسمع ذلك إلا عباد الله الصالحون، وكان يعذل أصحابه على أشياء لم يطلعوه عليها، وكان مولده في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. ومات رحمه الله يوم الأحد بعد صلاة العصر الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة، ودفن في مقبرة البيساني بشارية مصر بعد أن أضر. أخذ القراءة عن الشيخين الإمامين أبي الحسن علي بن هذيل، وأبي عبد الله محمد بن أبي العاصم النفري. قال الشيخ الإمام علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي تلميذه وشارح قصيدته، وقد وصف دينه وروعه وصلاحه ثم قال: وذكرت له يوماً جامع مصر وقلت له قد قيل: إن الأذان يسمع فيه من غير المؤذنين ولا يدرى ما هو؟ فقال: قد سمعته مراراً لا أحصيها عند الزوال. وقال لي يوماً: جرت بيني وبين الشيطان مخاطبة فقال: فعلت كذا فسأهلك فقلت له: والله ما أبالي بك. وقال لي يوماً: كنت في طريق وتخلف عني من كان معي وأنا على الدابة، وأقبل اثنان فسبني أحدهما سباً قبيحاً، فأقبلت على الاستعاذة وبقي كذلك إلى ما شاء الله، ثم قال له الآخر: دعه، وفي تلك الحال لحقني من كان معي فأخبرته بذلك، فطلب يميناً وشمالاً فلم يجد أحداً.

وكان رحمه الله يعذل أصحابه في السر على أشياء لا يعلمها منهم إلا الله عز وجل، وكان يجلس إليه من لا يعرفه فلا يرتاب به أنه يبصر، لأنه لذكائه لا يظهر منه ما يظهر من الأعمى في حركاته.

القاسم بن عمر بن منصور

الواسطي أبو محمد، مولده بواسط العراق في سنة خمسين وخمسمائة في ذي الحجة، ومات بحلب يوم الخميس رابع ربيع الأول سنة ست وعشرين وستمائة، أديب نحوي لغوي فاضل أريب، له تصانيف حسان، ومعرفة بهذا الشأن. قرأ النحو بواسط وبغداد على الشيخ مصدق بن شبيب، واللغة على عميد الرؤساء هبة الله بن أيوب، وقرأ القرآن على الشيخ أبي بكر الباقلائي بواسط، وعلى الشيخ علي بن هباب الجماعي بواسط أيضاً، وسمع كثيراً من كتب اللغة والنحو والحديث على جماعة يطول شرحهم علي، منهم: أبو الفتح محمد بن أحمد بن بختيار الماندائي، وأحمد بن الحسين بن المبارك بن نغوبا، سمع عليه المقامات عن الحريري، فانتقل من بغداد إلى حلب في سنة تسع وثمانين وخمسمائة، فأقام بها يقرئ العلم ويفيد أهلها نحواً ولغةً وفنون علوم الأدب، وصنف بها عدة تصانيف، وهي على ما أملاه علي هو بباب داره من حاضر حلب في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة: كتاب شرح اللمع لابن جني، كتاب التصريف الملوكي لابن جني أيضاً، كتاب فعلت أو أفعلت بمعنى على حروف المعجم، كتاب في اللغة لم يتم إلى هذه المدة، كتاب شرح المقامات على حروف المعجم ترتيب العزيري، كتاب شرح المقامات آخر على ترتيب آخر، كتاب خطب قليلة، كتاب رسالة فيما أخذ على ابن النابلسي الشاعر في قصيدة نظمها في الإمام الناصر لدين الله أبي العباس صلوات الله عليه أولها: الحمد لله على نعمه المتظاهرة، والصلاة على خير خلقه محمد وعترته الطاهرة، وبعد: فإنه لما أحرقت الفضائل عن الرذائل، وقدمت الأواخر على الأوائل، ونبذ عهد القدماء، وجهل قدر العلماء، وصار عطاء الأموال باعتبار الأحوال لا باختيار الأقوال، وظهر عظيم الإجلال بالأسماء لا بالأفعال، علمت أن الأقدار هي التي تعطي وتمنع، وتخفض وترفع، فأحملت عند ذلك من ذكرى وقدرى، وأخفيت من نظمي ونثري، ولأمر ما جدع قصير أنفه ومن شعر فقه:

ومالي إلى العلياء ذنب علمته ولا أنا عن كسب المحامد باعد

وقلت: اصبر على كبد الزمان وكده، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده:

فلو لم يعمل إلا ذو محل تعالى الجيش وانحط القتام

إلى أن بلغني ممن يعول عليه، ويرجع في القول إليه عن بعض شعراء هذا الزمان ممن يشار إليه بالبنان، أنه أنشد عنده بيت الوليد، يشهد له بالفصاحة والتجويد وهو قوله:

إذا محاسني اللائي أدل بها صارت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر؟

فقال مقال المفترى: كم قد خرينا على البحترى؟ فصبرت قلبي على أذاته وأغضيت جفني على قذاته حتى ابتدرني بالبادرة، التي يقصر عنها لسان الحادرة، فلو كان النابلسي كابين هائي الأندلسي، لزلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، فيا لله العجب، متى أشرقت الظلمة على الضياء، أو علت الأرض على السماء؟ وأين السها من القمر؟ وكيف يضاهي الغمر بالغمر؟ فإنا لله، وأفوض أمري إلى الله، أفي كل سحاية أراع برعد؟ وفي كل واد بنو سعد:

وإني شقي باللائم ولا ترى شقياً بهم إلا كريم الشماثل

لقد تحككت العقرب بالأفعى، واستنتت الفصال حتى القرعى:

وطاولت الأرض السماء سفاهة وفاخرت الشهب الحصا والجنادل

وما ذلك التيه والصلف؟ والتجاوز للحد والسرف، إلا لأنه كلما جر جريراً اعتقد أنه قد جر جريراً، وكلما ركب الكميته ظن أنه ارتكب الكميته، وكلما أعظم من غير عظم، وأكرم من غير كرم، شمش بأنفه وطال، وتطاول إلى ما لن ينال، وزعم أنه قد بلد ليبدأ، وعبد عبداً ولا والله ليس الأمر كما زعم، ولا الشعر كما نظم، ولكنها المكارم السلطانية الملكية الظاهرية التي نوهت بذكره فسترها، ورفعت من قدره فكفرها بقول ساذكره إذا انتهيت إليه. ولما طلب العبد كراعاً فأعطي ذراعاً، خرج على من يعرفه، وبهرج على من يكشفه، فقلت: لا مخبأ بعد بوس، ولا عطر بعد عروس:

وما أنا بالغيران من دون جاره إذا أنا لم أصبح غيوراً على العلم

وقصدت قصيداً من شعره، يزعم أنها من قلاند دره، قد هذبها في مدة سنين، ومدح بها أمير المؤمنين. وقال فيها:

فانظر لنفسك أي در تنظم؟

فكان لعمرى ناظماً غير أنه كحاطب ليل فاتته منه طائل

فوا عجباً كم يدعي الفضل ناقص؟ ووا أسفاً كم يظهر النقص فاضل؟

وتتبع ما فيها من غلطاته، وأظهرت ما خفي فيها من سقطاته، ولبست له جلد النمر. واندفعت عليه كالسيل المنهمر. بعد ان كتبها بخطه. وزينها بإعرابه وضبطه:

وابن اللبون إذا مالز في قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس

فوجدته قد أخطأ منها في واحد وعشرين مكاناً، عدم فيها تمكناً من العلم وإمكاناً، فمنها ستة عشر موضعاً توضحها الكتابة والنظر، ومنها خمسة توضحها المجادلة والنظر فهذا من جيد مختاره وما يظهر على اختياره. وإن وقع إلى شيء من مزوق شعره أو منوق مستعاره، لأعصبه فيه عصب السلمة، ولأعذبه تعذيب الظلمة:

فإن قلتم: إنا ظلمنا فلم نكن بدأننا ولكننا أسأنا التقاضيا

ولو أنه اقتصر على قصوره، وأنفق من ميسوره، وستر عواره ولم يبد شواره لطويته على غره، ولم أنبه على عاره وعره فإن من سلك الجدد أمن العثار وسلم من سالم النقع المثار، ولكن كان كالباحث عن حتفه بظلفه، فلحق بالأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وخطؤه في هذه القصيدة ينقسم قسمين: قسم فاته فيه أدب الدرس، فيقسم أيضاً قسمين: قسم لغوي، وقسم صناعي، فأما القسم اللغوي: فإنه كذا وكذا لم يحتمل هذا المختصر ذكره. وأنشدني لنفسه من قصيدة:

برزت محاسنه وأنت مبرز
والغصن ينبت في الرياض ويغرز
خجل الشقيق بها وحار القرمز
لقضى القياس بأن حسنك معجز

ديباج وجهك بالعذار مطرز
وبدت على غصن الصبا لك روضة
وجنت على وجنات خذك حمرة
لو كنت مدعياً نبوة يوسف

وأنشدني لنفسه من قصيدة:

منه للغصن حمرة في بياض
ض سيوف من الجفون مواض
ما جنت صحة العيون المراض
رويت عنه فتكة البراض
ب رمين السهام بالأغراض
شمس أيامه الطوال العراض
في طلوع من ألقها وانقضاض
نطقت عن جواهر الأعراض
ه انبساط يعطيك وجه انقباض
طرزتها البروق بالإيماض
فصلت دونها بنات المخاض
ظاهر تسري بالجحفل النهاض

زهر الحسن فوق زهر الرياض
قد حمى ورده ونرجسه الغض
فاذا ما اجتنتت بالالحظ فاحذر
فلها في القلوب فتكة باغ
وإذا فوقت سهاماً من الهد
واغتنم بهجة الزمان وبادر
بشموس الكئوس تحت نجوم
واجل من جوهر الدنان عروساً
كلما أبرزت أرتك لها وج
فعلى الأفق للغمام ملاء
وكأن الرعود إرزام نوق
أو صهيل الجياد للملك الظ

وأنشدني لنفسه يهجو ابن النابلسي المذكور:

ه إذا بدا شبه المريض
ه بدا من الخلق البغيض
بالعض في جعس القريض
عرضاً بتقطيع العروض

لا تعجبين لمدلوي
قد ذاب من بخر بفي
وتكسرت أسنانه
وتقطعت أنفاسه

وأنشدني لنفسه يهجو ابن النابلسي المذكور:

ه وشك فيما يسقمه
ه وما أظنك تفهمه
نفس يغيره فمه
نتنت بشعر ينظمه

يا من تأمل مدلوي
أنظر إلى بخر بفي
ولا تحسن بأنه
لكنما أنفاسه

وأنشدنا لنفسه في ذي الحجة سنة عشرين وستمائة بحلب:

يموت ببغضه القلب العليل
وأحياء عزيزهم ذليل
لها في الطول تصير طويل

أرى بغضي على الجهلاء داء
فهم موتى النفوس بغير دفن
يغطون السماء بكل كف

ويبدون الطلاقة. من وجوه
إذا قاموا لمجد أقعدتهم
وإن طلبوا الصعود فمستحيل
كذلك السجل في الدولاب يعلو
وأنشدني لنفسه بالتاريخ:

لنا صديق به انقباض
لا يعرف الفتح في يديه
فكفه كيف حين يعطي
وأنشدني لنفسه أيضاً:

لا ترد من خيار دهر كخيلاً
رونق كالحباب يعلو على الكا
عذبت في النفق ألسنة القو
وأنشدني لنفسه أيضاً موشحة على طريقة المغاربة:

في زهرة وطيب
أجلو على القضيب
ما روضة الربيع
تزهو على ربيع
في الحسن كالبديع
ناهيك من حبيب
إن قلت والهيبي
كم بت والكئوس
كأنها عروس
تبدو لنا الشمس
لم أخش من رقيب
من شادن ربيب
خيل الصبا بركضي
في سنتي وفرضي
وحجتي لعرضي
عن عاقل لبيب
والرشف من شنيب
وأنشدني لنفسه أيضاً موشحة:

أي عنبرية
من زبرجديه
جادها الغمام
وابتدا الكمام
وشدا الحمام
وارتدت عشيه
حلا سنيه

كما يبدو لك الحجر الصقيل
مسالك ما لهم فيها سبيل
وإن لزموا النزول فما يزول
صعوداً والصعود له نزول

ونحن باليسط نستلذ
إلا إذا ما أتاه أخذ
شيئاً وبعد العطاء منذ

فبعيد من السراب الشراب
س ولكن تحت الحباب الحباب
م وفي الألسن العذاب العذاب

بستاني من أوجه ملاح
ريحاني والورد والأقاح
في حلة الكمال
مرت به الشمال
بالحسن والجمال
نشوان بالذل وهو صاح
حياني من ثغره براح
تجلى من الدنان
زفت من الجنان
منها على البنان
ينهاني ألهو إلى الصباح
فتان زندي له وشاح
تجري مع الغواه
لا أبتغي سواه
ما تنقل الرواه
أفتاني أن الهوى مباح
ريان ما فيه من جناح

في غلائل الغلس
تتبه النعس
فانتشى بها الزهر
أعيناً بها سهر
حين صفق النهر
كملايس العرس
ما دنت من الدنس

واملا الكئوسا

واجلها عروساً

تطلع الشموسا

فلها مزيه

بحلى شهيه

مخبر سناها

فاز من جناها

فان تناهى

قلت ظهريه

من علا أبيه

وأنشدني لنفسه أيضاً:

لا خير في أوجه صباح

كالجرح يبني على فساد

فقل لمن ما له مصون

وأنشدني أيضاً لنفسه:

جد الصبا في أباطيل الهوى لعب

وأقرب الناس من مجد يؤثله

وقادها كظلام الليل حاملة

منقضة من سماء النقع في أفق

واسود وجه الضحى مما أثار به

في موقف يسلب الأرواح سالبها

لا يرهب المرء ما لم تيد سطوته

إن النهوض إلى العلياء مكرمة

والملك صنفان محصول وملتمس

والناس ضدان مرزوق ومحترم

والظاهر النفس لا ترضيه مرتبة

والفضل كسب فمن يقعد به نسب

لله در المساعي ما استدر بها

وحبذا همة في العزم ما انتدبت

وموطن يستفاد العز منه كما

ومنها:

مؤيد الرأي والرايات قد ألفت

إن نازلوه وقد حق النزال فمن

أو كاتبوه فخيّل من كتائبه

مغاوير يهيب الأعمار ذابله

في جحفل قابلوا شمس النهار على

حتى كأن شعاع الشمس بينهم

ما أنكر الهام من أسيافه طبة

فضة على الذهب

توجت من الشهب

في سناً من الذهب

في الدجى على القبس

كمحاسن اللعس

عن تطاير الشرر

من قلائد الدرر

في الخلائق الغرر

أظهرت لملتمس

ما تنال بالخلس

تسفر عن أنفس قباح

بظاهر ظاهر الصلاح

أصبت في عرضك المباح

وراحة اللهو في حكم النهي تعب

من أبعدته مرامي العزم والطلب

أهلة طلعت من بينها الشهب

شيطانه بغمام الدرع محتجب

وأشرق الأبيضان الوجه والنسب

حيث المواضي قواض والقنا سلب

لو لا السنان استوى الخطي القصب

لها التذاذان مشهود ومرتقب

والمجد نوعان موروث ومكتسب

تحت الخمول ومغصوب ومغتصب

في الأرض إلا إذا انحطت لها الرتب

ينهض به الأفضلان العلم والحسب

خلف السيادة إلا أمكن الحلب

لمبهم الخطب إلا زالت الحجب

أفادت العز من سلطانها حلب

ذوائب القوم من راياتها العذب

أنصاره الخاذلان الجبن والرعب

تجيب لا المخبران الرسل والكتب

في غارة الحرب والأموال تنتهب

مثل البحار بمثل الموج يضطرب

فوق الدروع على غدرانها لهب

وإنما أنكرت أسيافه القرب

ما يدفع الخطب إلا كل مندفع
ومن إذا ما انتمى في يوم مفتخر
وأنشدني من قصيدة لنفسه أيضاً:

أفي البان إن بان الخليط مخبر؟
فكم حركات في اعتدال سكونها
يود ظلام الليل وهو ممسك
أحاديث لو أن النجوم تمتعت
يموت بها داء الهوى وهو قاتل
فيا لنسيم صحتي في اعتلاله
كان به مشمولة بابلية
إذا نشأت مالت بلبك نشوة

وقال يمدح الوزير جمال الدين القاضي الأكرم أبا الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي من صعيد مصر ويلتمس منه أن يرتبه في خدمة:

يا سيدي قد رميت من زمني
وأنت في رتبة إذا نظرت
والنظم والنثر قد أجدتهما
فذاك قوم إذا وقفت بهم
تشغل أموالهم مساعيهم
تحمي حماها أعراضهم فإذا
معاول الذم فيه عاملة
نعلك تاج إذا رفعتهم
فاسمع حديثي في مغازلة
قد كنت في راحة مكملة
أرفل في عزة القناعة في
فعند ما طالت البطالة بي
قال أناس نبه لها عمراً

بحادث ضاق عنه محتلي
إلي صار الزمان من قبلي
فيك فلا تترك الإجابة لي
رأيتني راقفاً على طلل
فهم عن المكرمات في شغل
ماتت حماها سور من البخل
إعمالها في مغائر الجبل
لرأس حاف منهم ومنتعل
تبث شكوى في موضع الغزل
أحيي المعالي بميت الأمل
ذيل على النائبات منسدل
وصار لي حاجة إلى العمل
فقلت حسبي رأي الوزير علي

يعني عمر بن الوبار أحد حجاب أتاك طغرل شهاب الدين الخادم المستولي في أيامنا على حلب وقلعتها:

قد بت من وعده على ثقة
فالأكرم ابن الكرام لو سبقت
يفر من وعده المطال كما
أخلاقه حلوة المذاق فلو
تنظم درأ على الطروس كما
بمنطق لو سرت فصاحته
تمج أخلافه إذا كتبت
وإن سطت في ملمة نسيت
مبين علمه لسائله
لكل علم في بابيه علم
أي جمال ما فيه أجمله

أمنت في حلبيها من العطل
وعوده بالشباب لم يحل
تقر آراؤه من الزلل
شبهتها ما ارتضيت بالعسل
ينظم در الحلبي في الحلل
في اللكن لاستعصمت من الخطل
ماء المنى من أسنة الأسل
صفين منها ووقعة الجمل
مسائلاً أشكلت على الأول
يهدي إلى قبلة من القبل
على وجوه التفصيل والجمل؟

جل الذي أظهرت بدائعه

منه معاني الرجال في رجل

القاسم بن محمد بن بشار الأنباري

أبو محمد والد أبي بكر محمد بن الأنباري، كان محدثاً أخبارياً، ثقة صاحب عربية، أخذ عن سلمة بن عاصم وأبي عكرمة الضبي، مات سنة أربع وثلاثمائة غرة ذي القعدة، وقال ثابت بن سنان: مات في صفر سنة خمس وثلاثمائة ومن خطه نقلت: قال محمد بن إسحاق: وله من التصانيف: كتاب خلق الإنسان، كتاب خلق الفرس، كتاب الأمثال، كتاب المقصور والممدود، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب غريب الحديث، كتاب شرح السبع الطوال، رواها أبو غالب بن بشران عن علي بن كردان عن أبي بكر أحمد بن محمد بن الجراح الخراز عن أبي بكر عن أبيه. ومما يروى لابن الأنباري هذا:

إني بأحكام النجوم مكذب
ألغيب يعلمه المهيم وحده
الله يعطي وهو يمنع قادراً
ولمدها لائم ومؤنب
وعن الخلائق أجمعين مغيب
فمن المنجم ويحه والكوكب؟

قرأت في كتاب الفهرست الذي تممه الوزير الكامل أبو القاسم المغربي ولم أجد هذا في النسخة التي بخط المصنف، أو قد ذهب عن ذكرى قال: ذكر أبو عمر الزاهد قال: أخبرني أبو محمد الأنباري قال: قدمت إلى بغداد ومحمد صغير وليس لي دار، فبعث بي ثعلب إلى قوم يقال لهم بنو بدر فأعطوني شيئاً لا يكفيني وذكروا كتاب العين فقلت: عندي كتاب العين، فقالوا لي: بكم تبيعه؟ فقلت بخمسين ديناراً، فقالوا لي قد أخذناه بما قلت إن قال ثعلب إنه للخليل، قلت: فإن لم يقل إنه للخليل بكم تأخذونه؟ قالوا بعشرين ديناراً، فأتيت أبا العباس من فوري فقلت له: يا سيدي، هب لي خمسين ديناراً. فقال لي: أنت مجنون، وهذا تأكيد، فقلت له: لست أريد من مالك وحديثه الحديث، قال: فأكذب؟ قلت حاشاك، ولكن أنت أخبرتنا أن الخليل فرغ من باب العين ثم مات، فإذا حضرنا بين يديك للحكومة فضع يدك على ما لا تشك فيه. فقال: تريد أن أنجس لك؟ قلت نعم، قال هاتهم، فبكروا وسبقوني، وحضرت فأخرجوا الكتاب وناولوه وقالوا: هذا للخليل أم لا؟ ففتح حتى توسط باب العين وقال: هذا كلام الخليل ثلاثاً، قال: فأخذت خمسين ديناراً.

القاسم بن محمد الديمرتي

أبو محمد الأصبهاني من قرية من قراها يقال لها ديمرت، روى عن إبراهيم بن متونة الأصبهاني، وقال حمزة: أبو محمد القاسم الديمرتي لغوي نحوي، عني في صغره بتصحيح كتب وقرائنها، ثم هو منتصب منذ أربعين سنة تقرأ عليه الكتب.

وحدث أبو نصر منصور بن أحمد بن محمد بن الشيرازي خازن كتب عضد الدولة ومعلم ولده صمصام الدولة وقاضي فارس وأعمالها: قال: أنشدنا أبو محمد القاسم بن محمد الديمرتي لنفسه وقد سئل أن يجمع الشعراء العشرة:

الأصل أن تحكم شعر العشرة
أشعار قوم في زمان لم تره
نعم والأعشى وعبيد الأسدي
حتى إذا أحكمت شعر النابغة:.....

فابتد في شعر امرئ القيس
وابتدر القوم وفيهم طرفه
فالفخر في ذاك وشعر أوس
وكل ما قال زهير في صفه

قال المؤلف: وهذا شعر هذا العلامة كما ترى في غاية الركاقة والرداءة، ولم يستطع تصريع البيت الذي فيه ذكر النابغة.

قال محمد بن إسحاق: وله من الكتب: كتاب تقويم الألسنة، كتاب العارض في الكامل، كتاب تفسير الحماسة، كتاب غريب الحديث، كتاب الإبانة.

قال حمزة: وله كتب كبار وصغار، فمن كبار كتبه: كتاب الصفات، كتاب تفسير ضروب المنطق، كتاب سماه كتاب تهذيب الطبع يشتمل على قطعة كبيرة من نواذر اللغة. ذكره أبو نعيم في تاريخ أصبهان فقال: القاسم بن محمد الديمرتي الأديب أبو محمد روى عن إبراهيم بن متونة، وإسحاق بن جميل، ومحمد بن سهل بن الصباح.

الجزء السابع عشر

القاسم بن محمد بن رمضان

أبو الجود النحوي العجلاني: كان في عصر أبي الفتح بن جني وفي طبقة وهو بصري. قال محمد بن إسحاق: وله من الكتب: كتاب المختصر للمتعلمين، كتاب المقصود والممدود، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب الفرق.

القاسم بن محمد بن الواسطي

مباشر الواسطي أبو نصر النحوي، لقي ببغداد أصحاب أبي العلي، وتنقل في البلاد حتى نزل مصر فاستوطنها فقرأ عليه أهلها، وأخذ عنه أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ وبه تخرج، وزوجه من أخته، وكان ابن بابشاذ يخدمه وبه انتفع، ومات بمصر. وله من الكتب: كتاب شرح اللمع، كتاب في النحو رتبته على أبواب الجمل، وشرح من كل باب مسألة.

القاسم بن معن المسعودي

هو أبو عبد القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن غافل ابن حبيب بن شمش بن فاد مخزوم بن صاهلة بن كاهل ابن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من أهل الكوفة، وكان فقيهاً على رأي أبي حنيفة ولقيه، وكان عالماً ولي القضاء بالكوفة ومات سنة خمس وسبعين ومائة، خرج مع بعض أسباب الرشيد إلى الرقة فمات في رأس عين.

وقال أحمد بن كامل القاضي: مات القاسم بن معن في سنة ثمان وثمانين ومائة. قال المرزباني: والأول أصح. وقال عبد الله بن جعفر: من علماء الكوفة بالعربية والفقه والشعر والأخبار والنسب، القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان فقيهاً محدثاً قاضياً، وله في اللغة: كتاب النوادر، كتاب غريب المصنف، وكتب في النحو، ومذهب متروك. وكان الليث بن المظفر صاحب الخليل بن أحمد من أخذ عنه النحو واللغة وروى عنه، وأدخل في كتاب الخليل من علم القوم شيئاً فأفسد الكتاب، إلا أن القاسم من المحدثين والفقهاء والزهاد والثقات، ولم يكن له بالكوفة في عصره نظير ولا أحد يخالفه في شيء يقوله، والفراء كثير الرواية عنه.

وحدث محمد بن سعد قال: القاسم بن معن يكنى أبا عبد الله ولي قضاء الكوفة ولم يرزق عليه شيئاً حتى مات، وكان عالماً بالحديث والفقه والشعر والنسب وأيام الناس، وكان يقال له شعبي زمانه، وكان ثقة سخيماً. وقال أحمد بن كامل: كان القاسم بن معن الهذلي قاضي الكوفة، وكان من أصحاب أبي حنيفة الأثبات في النقل، الرفعاء في اللغة والفقه.

وحدث حماد بن إسحاق الموصلي قال: سمعت محمد بن كناسة قال: سمعت القاسم بن معن يقول: دخلت على عيسى بن موسى فقال لي: ما بعثت إليك إلا لخبر. قال: فهان والله في عيني حتى جلست واحتبيت في مجلسه. فقال لي تحبني في مجلسي؟ يا غلام حل حبوتك. قال: قلت لا عدمت نقويم الأمير. قال: بعثت إليك لأوليك القضاء. قلت: لا أفعل. قال: إن أبييت ضربتك خمسة وسبعين سوطاً. قال: قلت لا يجيء من بعد السبعين. قال قلت: وإن لم أفعل فعلت؟ قال نعم. قال قلت فذا إلي. وحدث الهيثم بن عدي قال: استقضي المنصور على الكوفة بعد عبد الرحمن بن أبي ليلى، شريك بن عبد الله النخعي فلم يزل قاضياً حتى كانت خلافة الرشيد فاستقضى نوح بن دراج. وحدث المرزباني عن علي بن صالح عن القاسم بن معن قال: عدت خشافاً في مرضه الذي مات فيه فقال لي: يا أبا عبد الله، ما أشوقني إليك! ولو كان لي نهوض خرجت إليك، ولو لا أن بيتي قد آلى فأكرس لأحببت أن تدخله - يريد بالموالاة البعر بعير الشاء، وأكرس من الكرسي هو السرجين -. قال العجاج:

يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً

وكان خشاف من علماء أهل الكوفة باللغة. وحدث عن سليمان بن أبي شيخ قال: قال ابن حبيب الكوفي للقاسم بن معن المسعودي القاضي:

قاسم بين الأرامل الصدقه

أسمين يشكين قلة النفقه؟

يا أيها العادل الموفق وال

ماذا ترى في عجائز رزح

ما إن لهن الغداة من نشب
بنات تسعين قد خرفن فما
فهن لولا انتظارهن دنا
قال: فقال القاسم: العجب أنه يوجب علينا دنائير ولا يوجب دراهم. قال وأعطاه ثلاثة دنائير.

قتادة بن دعامة السدوسي

أبو الخطاب وكان أكمة ولد أعمى، وكان أبوه أعرابياً ولد بالبادية وأمه سرية من مولدات الأعراب، وكان يقول بشيء من القدر ثم رجع عنه. ويقال أيضاً: إنه كان ذا علم في القرآن والحديث والفقه.

قال الأصمعي: وقاتدة حاطب ليل من الطبقة الثالثة من النابغين بالبصرة، مات بالبصرة سنة سبع عشرة ومائة في أيام هشام بن عبد الملك، وأخذ القراءة عن الحسن البصري وابن سيرين. عن التوزي عن أبي عبيدة قال: ما كنا نفقد في كل أيام ركباً من ناحية بني أمية ينيخ على باب قتادة يسأله عن خبر أن نسب أو شعر، وكان قتادة أجمع الناس. ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعي عن محمد بن سلام الجمحي عن عامر بن عبد الملك المسمعي قال: لقد كان الرجلان من بني مروان يختلفان في بيت شعر فيرسلان ركباً إلى قتادة يسأله قال: ولقد قدم عليه رجل من عند بعض الخلفاء من بني مروان فقال لقتادة: من قتل عمراً وعامراً؟ فقال: قتلها جحدر بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة. قال: فشخص بها ثم عاد إليه فقال: أجل، قتلها جحدر ولكن كيف قتلها جميعاً؟ فقال: اعتوراه فطعن هذا بالسنان وهذا بالزج، فعادى بينهما.

قال أبو يحيى الساجي: حدثنا نصر بن علي الجهضمي مولاي عن خالد بن قيس قال: قال قتادة: ما نسيت شيئاً قط ثم قال: يا غلام ناولني نعلي، قال: نعلك في رجلك.

قثم بن طلحة بن علي بن محمد

بن علي ابن الحسن، الزينبي أبو القاسم، يعرف بابن الأتقي، وهو لقب أبيه طلحة، تولى قثم نقابة العباسيين مرتين: أولهما في أيام المستضيء بأمر الله في سنة ست وستين وخمسائة، وعزل في ذي الحجة سنة ثمان وستين. والثانية في صفر سنة ثلاث وثمانين وخمسائة في أيام الناصر، وعزل في سابع عشر ذي الحجة تسعين، وولي بعد ذلك حجابة باب النوبي يوم الخميس خامس عشر ذي القعدة سنة ستمائة، فوقعت فتنة ببغداد بين أهل باب الأزج والمأمونية فركب ليسكن الفتنة فلم تسكن، فأخذ بيده حربة وحمل على إحدى الطائفتين ونادة يا لهاشم، وتداركه الشحنة حتى سكنت الفتنة، فعيب عليه وقيل: أردت خرق الهيبة، لو ضربك أحد العوام فقتلك، فعزل عن حجبه الباب في ثالث عشر من شهر رمضان سنة إحدى وستمائة ولم يستخدم بعد ذلك.

وكان فيه فضل وتميز ومعرفة بالعلم وحرص عليه جداً، خصوصاً ما يتعلق بالأنساب والأخبار والأشعار، وجمع في ذلك جمعاً بأيدي الناس، وكتب الكثير بخطه المليح إلا أن خطه لا يخلو من السقط مع ذلك، وسمع الحديث من أبي عبد الله الحسين بن عبد الرحمن الغزي، وأبي بكر أحمد بن المقرب الكرخي، وأبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن سليمان وغيرهم. وسئل عن مولده فقال: في سابع محرم سنة خمسين وخمسائة، ومات في سادس رجب سنة سبع وستمائة.

قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب

أبو الفرج، كان نصرانياً وأسلم على يد المكتفي بالله، وكان أحد البلغاء الفصحاء، والفلاسفة الفضلاء، وممن يشار إليه في علم المنطق، وكان أبوه جعفر ممن لا يفكر فيه ولا علم عنده. وذكر أبو الفرج بن الجوزي في تاريخه: قدامة بن جعفر بن قدامة أبو الفرج الكاتب، له كتاب في الخراج وصناعة الكتابة، وقد سأل ثعلباً عن أشياء. مات في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة في أيام المطيع، وأنا لا أعتمد على ما تفرد به ابن الجوزي لأنه عندي كثير التخليط، ولكن آخر ما علمنا من أمر قدامة أن أبا حيان ذكر أنه حضر مجلس الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات وقت مناظرة أبي سعيد السيرافي ومتى المنطقي في سنة عشرين وثلاثمائة. قال محمد بن إسحاق: وله من الكتب: كتاب الخراج تسع منازل، كان ثمانية منازل فأضاف إليه تاسعاً، كتاب نقد الشعر، كتاب صابون الغم، كتاب صرف الهم، كتاب جلاء الحزن، كتاب درياق الفكر، كتاب السياسة، كتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام، كتاب حشوشاء الجليس، كتاب صناعة الجدل كتاب الرسالة في أبي علي بن مقلة وتعرف بالنجم الناقب، كتاب نزهة القلوب وزاد المسافر، كتاب زهر الربيع في الأخبار.

وبلغني عن بعض متعاطي علم الأدب أنه شرح كتاب المقامات الحيرية فقال عند قوله: ولو أوتي بلاغة قدامة. إن قدامة بن جعفر كان كاتباً لبني بويه، وجهل في هذا القول فإن قدامة كان أقدم عهداً. أدرك زمن ثعلب والمبرد وأبي سعد السكري وابن قتيبة وطبقتهما، والأدب يومئذ طرئ فقراً واجتهداً، وبرع في صناعتي البلاغة والحساب، وقرأ صدرأ صالحاً من المنطق وهو لائح على ديباجة تصانيفه، وإن كان المنطق في ذلك العصر لم يتحرر تحريره الآن، واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر، وصنف في ذلك كتباً منها: كتاب نقد الشعر له وقد تعرض ابن بشر الأمدي إلى الرد عليه فيه، وله كتاب في الخراج رتبه مراتب. وأتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب إليه، وهو من الكتب الحسان إلى غير ذلك من الكتب، ولم يزل يتردد في أوساط الخدم الديوانية بدار السلام إلى سنة سبع وتسعين ومائتين، فإن الوزير أبا الحسن ابن الفرات لما توفي أخوه أبو عبد الله جعفر بن محمد بن الفرات في يوم الأحد ثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة سبع وتسعين ومائتين، وكان أسن من أخيه أبي الحسن بن محمد الوزير بثلاث سنين، رد ما كان إليه من الديوان المعروف بمجلس الجماعة إلى ولده أبي الفتح الفضل بن جعفر وإليه ديوان المشرق، ثم ظهر له بعد ذلك اختلال من النواب فولاه لولده أبي أحمد المحسن، واستخلف المحسن عليه القاسم بن ثابت، وجعل قدامة بن جعفر يتولى مجلس الزمام في هذا الديوان، وبانت عند صناعة المحسن، وأثار من جهة العمال أموالاً جلية.

قنعب بن المحرر الباهلي أبو عمرو

الرواية من أهل البصرة الكثيرين، وكان أو هفان يتردد إليه فأخذ عنه ثم وجد عليه فهجاه. حدث قنعب قال: دخلت على سعيد بن سلم الباهلي وهو يضحك فسألته عن سبب ذلك فقال: جاءتني جارية ليست عندي كغيرها فغمزتني فانتشرت فقلت: ادعي لي فلانة لجارية كنت أهواها، فقالت لا والله، فقلت: ولم؟ قالت لأنك تروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من أحيا أرضاً مواتاً فهي له). وقد أحبيت أنا هذا فهو لي فوافقتها وما كنت فعلت ذلك قبل، وقربت من قلبي.

وحدث أبو العيلاء قال: كان قنعب الباهلي قد تعشق فتى من فتيان المهالبة واتصل بأبيه وبخادم له ثم نذر به. فدعاه الفتى وقد جمع له عدة من المهالبة ومواليهم إلى بستان له فأكلوا وشربوا، ثم حملهم على قنعب فهتكوا ستره. فقال أبو العالية الشامي:

نبئت أن المرء قنعب
بأسنة تدع الكمي
فجلت الغمى وكل
دمرت عليه بنو المهلب
ي وأنفه دام مترب
ل سلاحهم بدم مخضب

قال أبو العيلاء: فحدث بهذا الحديث الأصمعي بحضرتي، فذهبت أدب عن قنعب تقريباً إلى الأصمعي للباهلية بينهما. فقال الأصمعي: أسكت يا بني، فقد بلغني أنه لقي بكمز ككيزان الفقاع عندها إرزاز. وقال عبد الصمد بن المعذل في قنعب:

أراك الله يا دلفاء ما قد
غدا يبغي النكاح فعاد فيه
تشقق دبره ويقول هذا
لقيه قنعب يوم الهنيه
أبور كالعصى مهلبيه
جزاء ذوي التلوط بالنشيه

وحدث عمر بن محمد الفقيه قال: سمعت محمد بن عثمان ابن أبي شبيب يقول: سمعت عمي القاسم بن أبي شبيب يعاتب قنعب بن المحرر في شربه النبيذ ويقول له: قد كبرت وشخت فلو تركته. فقال له قنعب: يا أبا محمد لم تجد وقتاً تعاتبني فيه إلا أيام الورد

قنبل بن عبد الرحمن

بن محمد بن خالد ابن سعيد بن جرجة المكي. قال أبو علي الأهوازي: سمعت أبا عبد الله محمد بن أحمد العجلي المقرئ بالبصرة يقول: هو أبو عمر قنبل بن عبد الرحمن، وقنبل لقب غلب عليه، وإنما سمي بذلك لأنه كان يستعمل دواء يقال له قنبل يسقى للبقر معروف عند العطارين لمرض كان به فسمى بذلك. وقيل: بل هو من قوم يقال لهم القنابلة من أهل مكة، ولو كان كذلك لقبل له قنبل. مات سنة إحدى وتسعين ومائتين في أيام المكتفي عن ست وتسعين سنة، لأن مولده في سنة خمس وتسعين ومائة في أيام الأمين، وكان قد قطع الإقراء قبل موته بعشر سنين. قرأ على عبد الله ابن كثير وكان من جلة أصحابه، ومن جهته انتشرت قراءته، وكان قنبل يلي الشرطة بمكة، وكان لا يليها إلا أهل العلم والفضل لتقوم بواجباتها، وكان ابن مجاهد يزعم أنه قرأ عليه، وكان ابن شنبوذ يدفع ذلك، وكان ابن مجاهد يقول: قرأت على قنبل ولا يقول قرأت القرآن من أوله إلى آخره عليه. حدث ابن طراوة الحلواني قال: سألت أبا الحسين بن المنادي وقلت له: إن ابن مجاهد يزعم أنه قرأ على قنبل وابن شنبوذ في سنة واحدة في سنة تسع وسبعين ومائتين، ونحن على نية القراءة على قنبل فوجدناه قد اختل واضطرب وخط في القراءات، فأما أنا فلم أقرأ عليه ولا حرفاً واحداً، وأما ابن مجاهد فإنه قرأ عليه بعض القرآن فخط عليه فترك القراءة وأخرج له تعليق ابن

عون الواسطي عنه، وكان معه فقرأه عليه إلى آخره، وأما ابن شنبوذ فإنه جاور سنتين بمكة وقرأ عليه ختمتين. فقول ابن مجاهد قرأت عليه يصدق، يعني بعض القرآن، وقول ابن شنبوذ لم يقرأ عليه يصدق يعني القرآن كله لم يقرأه عليه.

باب الكاف

كامل بن الفتح

ابن ثابت بن سابور أبو تمام الضرير من أهل بادرايا سكن بغداد، وكان أديباً فاضلاً ذكياً جداً، قرأ فنون العلم وحفظ الأشعار والأخبار، وأخذ أهل الأدب ببغداد عنه علماً كثيراً وكان متهماً في دينه. مات سنة ست وتسعين وخمسمائة، وكان يسكن باب الأزج، وصاهر بني زهمويه الكتاب وله ترسل وشعر، وقد سمع شيئاً من الحديث من أبي الفتح علي بن علي زهمويه، وقيل إنه كان يدخل على الناصر ويحاضره ويخلو معه، وأنه علمه علم الأوائل وهون عليه الشرائع والله أعلم. ومن شعره:

وفي الأوانس من بغداد أنسة
ساومتها نفثة من ريقها بدمي
عند العذول اعتراضات ولائمة
ولها من القلب ما تهوى وتختار
وليس إلا خفي الطرف سمسار
وعند قلبي جوابات وأعدار

كلاب بن حمزة العقيلي

أبو الهيثام اللغوي قال محمد بن إسحاق النديم: هو من أهل حران أقام بالبادية، وقيل: إنه كان معلماً ودخل الحضرة أيام القاسم بن عبيد الله بن سليمان ومدحه، وكان عالماً بالشعر وخطه معروف وخط المذهبيين، وكان أبو الحسين محمد ابن محمد بن لنكك البصري الشاعر مولعاً بهجوه، وكان أبو الهيثام قد ورد البصرة. فمن قول ابن لنكك فيه:

نفسى تقيك أبا الهيثام كل أذى
ما بال جعسك مكرماً على ذكري
ما كان أيرى فقيهاً إذ ظفرت به
إني بكل الذي ترضاه لي راضي
يا أكرم الناس من باق ومن ماضي
فكيف أليسته دنية القاضي؟

ووجدت بخط أبي أحمد عبد السلام بن الحسين البصري للغوي ما صورته:

مسطح أصدر عكلاً وله
ضغث تشجذ قيظ بن فخر

هذا البيت لأبي الهيثام كلاب بن حمزة العقيلي جمع فيه حروف المعجم، فجعل ما لا ينقط في الصدر وما ينقط في العجز، أنشدنيه جماعة من أهل العلم منهم: أبو الحسن علي بن الحسين الأمدي النحوي - رحمه الله -.

وذكره المرزباني في كتاب المعجم فقال: أبو الهيثام كلاب بن حمزة العقيلي محدث، وهو القائل يرثي أبا أحمد يحيى بن علي المنجم، ومات سنة ثلاثمائة من قصيدة:

لقد عاش يحيى وهو محمود عيشة
فإن كان صرف الدهر خلى كنوزه
فما زال حكم البيض والسود نافذاً
وللموت يغزو والد كل مولود
وأتى ققيداً واحد العلم والجود
وأفقدنا منه بأنفس مفقود
بحكم الردى في أنفاس البيض والسود
وللموت يغزو والد كل مولود

قال محمد بن إسحاق النديم: وله من الكتب: كتاب جامع النحو، كتاب الأراك، كتاب ما يلحن فيه العامة. وأنشد الخالدي في كتاب الديرة لأبي الهيثام:

سقياً لحران إنه بلد
بقية سجسج تخرقها
يشرع فيه من الصنوبر وال
في يوم باعوثهم وقد نشروا الص
فمن مهاة هناك هبله
أزحم هذا وتلك تزحمي
أصبح للهو وهو مضمار
ومن حواشي الرياض أنهار
عرعر والزورفين أشجار
صلبان والمسلمون نظار
ومن غزال عليه زنار
وفي الحشا والفؤاد إسماع

فعارضتني هناك شاطرة
تقول لي والدلال يصرعها
فقلت: يا غاييتي ويا أملتي
أطلب منها بذاك تقربة
فرق لي قلبها وملت بها
تقول لي عند وقت منصرفي
حللت عقد الأمان منك لنا
لا أنس يومي من الفتاة لدي الذي
فقلت: قد كان ذاك عن خطأ
استغفر الله ثم أسأله التو

قرأت في جزارة عتيقة أملاها أبو الهيثام كلاب بن حمزة العقيلي ما صورته: قال أبو الهيثام: كتبت إلى أبي الحسن محمد بن عبد الوهاب الزينبي الهاشمي بالبصرة بما توهم أنه مديح له وهو:

إسلم على الدهر يا أبا الحسن
فأنت عندي حليف ضد سوى
وأنت سلم لحرب سلم عدى
يعجب منك الكرام أعجب ما
فهو يرى فرقة الفراق لما
إذا بنور الهدى توسم أع
كم سائل عنك يا محمد لا
ألقيت في روعه جواب فتى
إن قلت شروى أبي حسن
سنته غرة وناصية للز
لا سيما وهو قلقل ذهن
قد كان بالأمس قال لي وجرى
بعداً وسحقاً لمن يشرف بال
وكيف تحتال فيه إن خزن الن
فقلت: أبدي بكل سيئة
لعل رب العباد يغفر بال
كقاتل الصيد وهو في حرم ال
والثور بالثور والغزالة ال
أليس هذا الجزاء أثقل إذ
ولا تطع في السماح متهماً
فأنت من أسرة مفضلة
والزينبيون معشر زهر
غير سوى ضد غير غيرهم
فلا تضع يا ابن خيرهم أملتي

منهم بها في الذراع أسوار
أنحن يا مسلمون كفار؟
بل أنتم المؤمنون أختيار
والشعراء الخباث فجار
في ديرزكي ونعمت الدار
إنك من بعدها لغدار
فما لعقد لديك إمرار
رين والمشركون حضار
لا قود عندنا ولا ثار
ب فليس بالذنوب إقرار

وعش على ما تود ألف سنه
غير حليف الشمائل الحسنة
حرب عداة اللئام والخونه
يدعو به الله عاقل فتنة
يخشى من الخير غاية الأمنة
راض معاريض دهره الدرنة
يأذن خلق لجابتي أذنه
لو غين عاقلاً غبنه
للعرض بالمال أصون الصونه
زينبيين فاجتنب سننه
يهرب من رجم ذهنه الشطنه
ذكر شقي حرمة وسنه
مدح ولم يعط شاعراً ثمنه
نذل وأعطاك خازناً وسنه؟
من مدحه في هجائه حسنه
عفو أباطيل مدحه اللحنه
له يجازي الحمار بالبدنه
شاة وجفراً بالأرنب الأرنه
أحضر للوزن والحساب زنه
أخلاقه بالسفال ممتحنه
على كرام الأخلاق مؤتمنه
لا سر يلقي وهم له خزنه
أيديهم بالسماح مرتهنه
فيك فعقبي الفعال مختزنه

بنت الكنيري

حدث أبو نصر قال: ومن طريف ما شاهدته أنا: أنه كان في الجانب الشرقي بمدينة السلام امرأة تعرف ببنت الكنيري وكانت نهاية في الفضل، ولها أخ غاية في الجهل، وكانت حسنة المعرفة بال نحو واللغة، ولها تصانيف فيهما تعرف بها، واختصما في ميراث والدهما فطال التنازع بينهما، وحضرا يوماً مجلس والدي وزاد الكلام بينهما ونقص، فاغتاظ والدي من تفيهقها وحوشي كلامها، ومن سقطه وعاميته في مناقضتها ففطنت لذلك فقالت: أغاظ سيدنا الشيخ - أيده الله - ما يرى مني ومن هذا الأخ أصلحه الله؟ قال: كلا - إن شاء الله - ولكن جردي الدعوى فإنه أقرب للإيجاز. فقالت: - أيد الله الشيخ -، في ذمته اثنان وعشرون ديناراً مطيعية سلامية. فقال له: ما الذي تقول؟ فقال: أما لها عندي اثنان وسكت، ورام أن يقول مثل ما قالت فلم يقدر فقال بالله يا سيدي كيف قالت فقد والله صدعتنا؟ فقال له: فضولك، قل كما تحسن، وضحك أهل المجلس وصار طنزاً، واندفعت الخصومة ذلك اليوم.

كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر

قد ذكرنا أخباره مستوفاة في كتابنا أخبار الشعراء، وأما نسبه فهو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش ابن أوس بن مسعود بن عبد الله بن عمرو الشاعر بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ابن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل. وعمرو بن كلثوم المذكور في أجداده هو شاعر السبع الطوال، وكنية العتابي أبو عمرو، وأصله من الشام من أرض قنسرين، صاحب البرامكة ثم صاحب طاهر بن الحسين، وعلي بن هشام القائدين. وكان حسن الاعتذار في رسائله وشعره، يشبه في المحدثين بالنابعة في الجاهلية، فمن ذلك قوله في جعفر بن يحيى وقد كان بلغ الرشيد عنه ما أهدر به دمه، فخلصه جعفر فقال فيه:

ما زلت في غمرات الموت مطرَحاً يضيق عني فسيح الرأي من حيلي
فلم تزل دائباً تسعى بلطفك لي حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

قال محمد بن إسحاق النديم: وكان العتابي أديباً مصنفاً، وله من الكتب: كتاب المنطق، كتاب الأداب، كتاب فنون الحكم، كتاب الخليل لطيف، كتاب الألفاظ رواه أبو عمر الزاهد عن المبرد عنه.

قال العتابي: وقفت بباب المأمون أنتظر من يستأذن لي عليه فإذا أنا بيحيى بن أكثم فقلت: استأذن لي على أمير المؤمنين. قال: لست بحاجب. قلت: صدقت، ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان. قال: سلكت بي غير سبيلي. قلت: إن الله أتحنك بجاه وهو عليك مقبل بالزيادة إن شكرت، وبالتغيير إن كفرت، وأنا لنفسك خير منك لها، أدعوك إلى زيادة النعمة وبقائها عليك فتأبها. قال: فدخل على المأمون وحكى له ما جرى بيني وبينه، فاستحسنه وأذن لي.

قال جحظة في أماليه: كلم العتابي يحيى بن خالد في حاجة له كلمات قليلة. فقال له يحيى: لقد نزر كلامك اليوم وقل. فقال: له وكيف لا يقل وقد تكنفي ذل المسألة وحيرة الطلب وخوف الرد؟ فقال له يحيى: لئن قل كلامك لقد كثرت فوائده. وقال في أماليه: قال العتابي: لو سكت من لا يعلم عما لا يعلم سقط الاختلاف. ومن شعره.

ولو كان يستغني عن الشكر ماجد لعزة ملك أو علو مكان
لما أمر الله العباد بشكره فقال اشكروا لي أيها الثقلان

قال الحسن بن وهب: بلغ العتابي أن عمرو بن مسعدة ذكره عند المأمون بسوء فقال:

قد كنت أرجو أن تكون نصيري وعلى الذي يبغي على ظهيري
وطفقت أمل ما يرجي سيبه حتى رأيت تعلقي بغرور
فحضرت قبرك ثم قلت دفنته ونفضت كفي من ثرى المقبور
ورجعت مفترية على الأمل الذي قد كان يشهد لي عليك بزور

فبلغ الشعر عمراً فركب من وقته إلى العتابي في موكله حتى اعتذر إليه.

قال مالك بن طوق للعتابي: أما ترى عشيرتك - يعني بني تغلب - كيف تدل علي وتستطيل وأنا أصبر؟ فقال العتابي: أيها الأمير، إن عشيرتك من أحسن عشيرتك، وإن ابن عمك من عمك خير، وإن قريبك قرب منك نفعه، وإن أحب الناس إليك من كان أخفهم ثقلاً عليك، وأنشده

إني بلوث الناس في حالاتهم وخبرت ما وصلوا من الأنساب
فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً وإذا المودة أوكد الأسباب

وقيل للعتابي لو تزوجت. فقال: إني وجدت مكابدة العفة خير من الاحتيال لمصلحة العيال، وما أحسن قول العتابي وأحكمه.

لوم يعينك من سوء تقارفه
أبقي لعرضك من قول يداجيك
وقد رمى بك في تيهاء مهلكة
من بات يكتمك العيب الذي فيكا

ومن منثور كلامه: أما بعد: فإنه ما من مستخلص غضارة عيش إلا من خلال مكروه، ومن انتظر بمعالجة الدرك مواجهة الاستقصاء سلبته الأيام فرصتها.

وكتب إلى آخر: من اجتمع فيه من خلال الفضل ما اجتمع فيك وانحاز إلى نواحيك، لم يخش المطنب في الثناء عليه أن يكون مفراطاً كما لا يأمن أن يكون مفراطاً، فالاعتراف بالعجز عن بلوغ استحقاقك من التقريض، أولى من الإطناب الذي غايته التقصير وماله إلى الحشو.

كيسان بن المعروف النحوي

أبو سليمان الهجيمي قالوا: كان يخرج معنا إلى الأعراب فينشدوننا، فيكتب في ألواح غير ما ينشدونا، وينقل من ألواح إلى الدفاتر غير ما فيها، ثم يحفظ من الدفاتر غير ما نقله إليها، ثم يحدث بغير ما حفظ.

وذكر أبو الطيب في كتاب مراتب النحويين عن الأصمعي قال: كيسان ثقة ليس بمتزيد، وقد أخذ عن الخليل. وحدث أبو العيلاء قال: قال كيسان لخلف الأحمر: يا أبا محرز، المخبل كان شاعراً أو من بني ضبة؟ فقال: يا مجنون صحح المسألة حتى يصح الجواب.

وحدث أبو حاتم قال: قال أبو زيد يوماً في مجلسه وكانت العرب تقول: ليس لحاقن رأي. فقال كيسان: ولا لمنعظ. فقال أبو زيد: ما سمعناه ولكن اكتبوه فإنه حق، وكان كيسان من الطيابة المزاحين. قال أبو زيد: جاء صبي إلى كيسان يقرأ عليه شعراً حتى مر بببيت فيه ذكر العيس قال: الإبل البيض التي يخلط بياضها حمرة، قال: وما الإبل؟ قال الجمال: قال: وما الجمال؟ فقام على أربع ورغا في المسجد وقال: الذي تراه طويل الرقبة وهو يقول بوع.

وحدث المبرد عن التوزي قال: حبس عيسى بن سليمان الهاشمي كيسان وكان أحد الطيابة، وكان أبو عبيدة يعذب به كثيراً فشفع فيه أبو عبيدة إلى الأمير فأمر بإخراجه.

فقال للجلالوزة: من أخرجني؟ قالوا: تكلم فيك شيخ مخضوب. فقال: أمه زانية إن برح من الحبس، إحبس ظلم، وطلق ذل، لا يكون ذلك أبداً.

وقرأت في كتاب التصحيف لحمزة الأصفهاني: قال الرياشي: سمعت كيسان يقول: كنت على باب أبي عمرو بن العلاء فجاء أبو عبيدة فجعل ينشد شعراً لأبي شجرة وهو قوله:

ضن علينا أبو عمرو بنائله
ما زلت يضربني حتى جذبت له
وكل مختبط يوماً له ورق
وحال من دون بعض البغية الشفق

فقلت: جذبت جذبت وضحكت فغضب وقال: كيف هو؟ فقلت: إنما هو خذيت، فانخزل وما أحرار جواباً، خذيت من قولك خذي البازي: إذا ثبت على يد البازيار. قال أبو الحسن على بن سليمان الأخفش: حدثني أبو العباس ثعلب: قرأ بعض أصحاب الأصمعي عليه شعر النابغة الجعدي حتى انتهى إلى قوله:

إنك أنت المخزون في أثر ال
حي فإن تتونيهم تقم

قال الأصمعي معناه: فإن تتونيهم: تقم صدور الإبل وتظعن نحوهم كما قال الآخر: أقم لها صدورها يا بسبس. فقال كيسان: كذبت، أما إنك قد سمعت من أبي عمرو بن العلاء ولكن أنسيت، إنما أراد أنهم قد نوا فراقك فذهبوا وتركوك، فإن تتولهم مثل ما نوا فيك من القطيعة نقم في دارك ومكانك، ولا ترحل نحوهم ولا تطلبهم كما قال الآخر:

إذا اختلجت عنك النوى ذا مودة
أذاقتك مر العيش أو مت حسرة
قرين بقطاع من البين ذا شعب
كما مات مسقي الصباح على ألب

ألب، وألب يلوب واحد. يقول: إذا باعدت بيني وبين من أحب قربن، يعني إبلي قربت إلى منزلي ووطني ومياهي، ولم أتبع من فارقتني لأنني صبور على الفراق جلد متعود لذلك فقطاع: يعني نفسه هو القطاع، لأنني أقطع من قطعي، وأذاقتك من تحب وهي التي فارقتها، فأنت وإن كنت كذا وعلى هذه الحال فأنت صبور قوي على القطع. وكما قال الراعي:

وإلف صبرت النفس عنه وقد أرى
وقد قادني الجيران حيناً وقدتهم
غداة فراق الحي أن لا تلاقيا
وفارقت حي ما تحن جماليا

الكيس النمري النساب

الكيس لقب واسمه زيد بن الحارث بن حارثة بن هلال ابن ربيعة بن زيد مناة بن عوف بن سعد بن الخزرج بن تيم الله ابن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة. فعوف بن سعد بن الخزرج هو أخو عامر الضحيان، هذا قول الكلبي. وقال غيره: اسم الكيس زيد بن حارثة بن زيد مناة بن تميم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان رهط نثلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة عامر الضحيان، ولدت لعبد المطلب العباس ومرار ابني عبد المطلب.

قال مسكين الدارمي يخاطب عبد الرحمن بن حسان بن ثابت مفتخراً:

وحكم دغلاً وارحل إليه
وعند الكيس النمري علم
ولا تدع المطي من الكلال
ولو أمسى بمنخرق الشمال
وقيل مصعب بن الكيس هو النساب وكان يعدل بدغفل. قال الكمي:

وما ابن الكيس النمري معكم
وما أنتم هناك بدغفلينا

وقيل: الكيس هو مالك بن شراحيل بن زيد بن الحارث ابن حارثة بن هلال كلهم ينسب من عبيد إلى الكيس، يعني كلهم نساب يعلم النسب.

باب اللام

لقيط بن بكير المحاربي

قال ابن حبيب في كتاب جمهرة النسب التي رواها عن ابن الكلبي وغيره: ومنهم يعني بني محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان، عائد بن سعيد بن جندب بن جابر بن زيد بن عبد الحارث بن بغيض بن شكم بن عبد بني عوف بن زيد ابن بكر بن عميرة بن علي بن حرب بن محارب، وقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم. من ولده لقيط الرواية، - وكان صدوقاً - ابن بكير - وكان أيضاً عالماً صدوقاً - ابن النضر بن سعيد عائد بن سعيد، وقد لقي هشام بن الكلبي لقيطاً.

حدث المرزباني فيما أسنده إلى الخليل النوشجاني قال: قال لي الجهمي: كان لقيط المحاربي من رواة الكوفة وكان سيئ الخلق. قال الصولي: ويكنى أبا هلال، ومات في سنة تسعين ومائة في خلافة الرشيد. وقال عبد الله بن جعفر: أخبرني ابن مهدي والسكري قالاً: للقيط كتاب مصنف في الأخبار مبوب، في كل فن من الفنون كتاب مفرد. فمنها ومن أحسنها كتابه في النساء وهو عندي رواية عنهما عن العمري عنه. وله كتاب السمر، كتاب الخراب واللصوص، كتاب أخبار الجن. وأخذ العلم عن لقيط جماعة من أعيانهم منهم ابن الأعرابي.

وحدث المرزباني فيما رفعه إلى لقيط بن بكير المحاربي قال: أمر المهدي الناس سنة ستين ومائة بصوم ثلاثة أيام لبطء المطر ليستسقي، فلما كان في اليوم الثالث من الليل طرق الناس ليلتهم كلها ثلج ملاً الأرض، فقال لقيط:

يا إمام الهدى سقينا بك الغي
وهي أبيات طويلة. وقال لقيط في ذلك أيضاً:

لما استغاث بك العباد بجهدهم
أسقاهم بك مثل ما أسقاهم
متوسلين إلى إله الناس
صوب الغمام بجذك العباس
منهلة بالوا كف الرجاس
فأنتهم لما دعوت سماؤهم
توليه ذا الإيحاش والإيناس
العدل منه سقاهم وجميل ما

فإذا أمرت فبالإبانة والهدى

قال: ودخل لقيط على الرشيد وهو ولي عهد وقد اشتكى فأنشد:

ما بال نومك أمسى لا يؤاتيك

من غير سقم ولا عشق أرقى له

وقيل هارون أمسى شاكياً وصبا

ما كنت أحسب جوداً يشتكى نهكاً

فبت مرتفعاً أرعى النجوم إلى

فكم وكم لي من نذر سأنجزه

حج وصوم وعشق لن أخيس به

سعد عتيق وبناته وأمهما

توقعوني كأنني قد حذيتكم

وإذا وزنت وزنت بالقسطاس

كأن في الجفن شوكا بات يقذيك

إلا لأن قيل أمسى الجود موعوكا

فقلت: نفسي يا هارون تفديك

حتى رأيت ولي العهد منهوكا

أن جابوب الديك فينا سحرة ديك

إن كنت عوفيت قد أوجبتك فيكا

فما تركت لنفسي اليوم مملوكا

كانوا وأعجب بهم عندي مماليكا

سود النعال وأهديت المساويكا

وحدث فيما أسنده إلى إسحاق الموصلي قال: كان لقيط ابن بكير في جارية المهدي، وكان الذي وصله به أبو عبد الله وزير المهدي، وكان أبو عبد الله مائلاً إليه لعلمه بالشعر والأخبار. فلما مات المهدي لزم الكوفة. قال إسحاق: فرأيت في سنة تسعين ومائة وهو ينشد قوماً شعراً له في الزهد وهو قوله:

عزفت عن الغواية والملاهي

وغرتني ليلال كنت فيها

أجاري الغي في ميدان لهوى

والجمي المشيب لجام تقوى

ومن لم يكفه العذال عزم

وأخلصت المتاب إلى إلهي

مطيعاً للشباب به أباهي

وقلبي عن طريق الرشداهي

وركن الشيب بادي العيب واهي

فليس له على عذل تناهي

قال: وكان ذلك من آخر شهره وفي آخر زمانه ثم توفي في هي هذه السنة. وحدث مما رفعه إلى ابن المدور قال: سألت ابن الأعرابي لقيط بن بكير وموته فقال: مات في آخر أيام الرشيد وهو أزهّد الناس، وكان من دعائه: اللهم اغفر لي، فإن حسناتي لو كانت مثل حسنات جميع خلقك لعلمت أنني لا أستحق الجنة إلا بفضلك، ولو كانت على سيئاتهم جميعاً ما ينست من عفوك.

لوط بن مخنف الأزدي

هو لوط بن يحيى بن مخنف بن سليمان بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبة ابن سعد مائة بن غامد، واسم غامد عمر بن عبد الله بن كعب ابن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد يكنى أبا مخنف، ومخنف بن سليمان من أصحاب علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، مات لوط سنة سبع وخمسين ومائة، وكان راوية أخبارياً صاحب تصانيف في الفتوح وحروب الإسلام. قال يحيى بن معين: هو كوفي وليس حديثه بشيء.

وجدت بخط أحمد بن الحارث الخزاز قال: العلماء: أبو مخنف بأمر العراق وفتوحها وأخبارها يزيد على غيره، والمدائني بأمر خراسان والهند وفارس والواقدي بالحجاز والسير، وقد اشتركوا في فتوح الشام. قال محمد بن إسحاق: ولأبي مخنف من الكتب: كتاب الردة، كتاب فتوح الشام، كتاب فتوح العراق، كتاب الجمل، كتاب صفين، كتاب النهروان، كتاب الغارات: كتاب الخريت بن راشد وبني ناجية، كتاب مقتل علي كرم الله وجهه، كتاب مقتل حجر بن عدي، كتاب مقتل محمد بن أبي بكر والأشتر ومحمد بن أبي حذيفة، كتاب الشورى ومقتل عثمان رضي الله عنه، كتاب المستوردين بن علفة، كتاب مقتل الحسين بن علي عليهما السلام، كتاب المختار ابن أبي عبيد، كتاب وفاة معاوية وولاية ابنه ووقعة الحرة وعبد الله بن الزبير، كتاب سليمان بن صرد وعين الورد، كتاب مرج راهط ومقتل الضحاك بن قيس الفهري، كتاب مصعب بن الزبير والعراق، كتاب مقتل عبد الله بن الزبير، كتاب مقتل عمرو بن سعيد بن العاص، كتاب حديث باخمرا ومقتل ابن الأشعث، كتاب نجدة الحروري، كتاب الأزارقة، كتاب حديث روستقباد، كتاب شبيب الحروري وصالح بن مسرح، كتاب المطرف بن المغيرة، كتاب دير الجماجم وخلع بن الأشعث، كتاب يزيد بن المهلب ومقتله بالعقر، كتاب خالد القسري ويوسف بن عمر وموت هشام وولاية الوليد، كتاب زيد بن علي، كتاب يحيى ابن زيد، كتاب الضحاك الخارجي، كتاب الخوارج والمهلب بن أبي صفرة.

الليث بن المظفر

كذا قال الأزهرى في مقدمة كتابه: الليث بن المظفر. وقال ابن المعتز في كتاب الشعراء من تصنيفه: الليث بن رافع بن نصر بن سيار قال الأزهرى: ومن المتقدمين الليث بن المظفر الذي نحل الخليل بن أحمد تأليف كتاب العين حملة لينفق كتابه باسمه ويرغب فيه من حوله، وأثبت لنا عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي الفقيه أنه قال: كان الليث رجلاً صالحاً، ومات الخليل ولم يفرغ من كتاب العين فأحب الليث أن ينفق الكتاب كله فسمى لسانه الخليل، فإذا رأيت في الكتاب سألت الخليل أو أخبرني الخليل، فإنه يعني الخليل نفسه. قال: وإذا قال: قال الخليل فإنما يعني لسان نفسه. قال: وإنما وقع الاضطراب فيه من خليل الليث. قال: وأخبرني المنذري أنه سأل ثعلباً عن كتاب العين فقال: ذاك كتاب مليء غدد - قال: وهذا لفظ أبي العباس، وحقه عند النحويين ملآن غدداً، ولكن كان أبو العباس يخاطب العامة على قدر فهمهم. قلت: ليس هذا بعذر لأبي العباس فإنه لو قال: ملآن غدداً لم يخف معنى الكلام على صغار العامة، فكيف وفي مجلسه الأئمة من أهل العلم؟ ثم سألته الذي أجابه ليس بتلك الصورة، وإنما عذره أنه كان لا يتكلف الإعراب في المفاوضة وهي سنة جلة العلماء - وأراد أن في جراب العين حروفاً كثيرة قد أزيلت عن صورها ومعانيها بالتصحيح والتغيير فهي تضر حافظها كما تضر الغدد أكلها.

قال أبو الطيب اللغوي: مصنف كتاب العين الليث ابن المظفر بن نصر سيار، روى ذلك عن أبي عمر الزاهد قال: حدثني فتى قدم علينا من خراسان وكان يقرأ على كتاب العين قال: أخبرني أبي عن إسحاق بن راهويه قال: كان الليث بن المظفر بن نصر بن سيار صاحب الخليل رجلاً صالحاً، وكان الخليل قد عمل من كتاب العين باب العين فأحب الليث أن ينفق سوق الخليل، ثم ذكر كما ذكر الأزهرى.

وحدث عبد الله بن المعتز في كتاب الشعراء عن الحسن ابن علي المهلبى قال: كان الخليل منقطعاً إلى الليث بن رافع ابن نصر بن سيار، وكان الليث من أكتب الناس في زمانه، بارع الأدب بصيراً بالشعر والغريب والنحو، وكان كاتباً للبرامكة وكانوا معجبين به، فارتحل إليه الخليل وعاشه فوجده بحراً فأغناه، وأحب الخليل أن يهدي إليه هدية تشبهه، فاجتهد الخليل في تصنيف كتاب العين فصنفه له، وخصه به دون الناس وحبسه وأهداه إليه، فوقع منه موقعاً عظيماً وسر به، وعوضه عنه مائة ألف درهم واعتذر إليه، وأقبل الليث ينظر فيه ليلاً ونهاراً لا يمل النظر فيه حتى حفظ نصفه، وكانت ابنة عمه تحته، فاشتري الليث جارية نفيسة بمال جليل فبلغها ذلك فغارت غيرة شديدة فقالت: والله لأغيظنه ولا أبقي غايه، فقالت: إن غظته في المال فذاك ما لا يبالي به، لكنني أراه مكباً ليله ونهاره على هذا الدفتر، والله لأفجعنه به، فأخذت الكتاب وأضمرت ناراً وألقته فيها، وأقبل الليث إلى منزله ودخل إلى البيت الذي كان فيه الكتاب فصاح بخدمه وسألهم عن الكتاب فقالوا: أخذته الحرة، فبادر إليها وقد علم من أين أتى؟، فلما دخل عليها ضحك في وجهها وقال لها: ردي الكتاب فقد وهبت لك الجارية وحرمتها على نفسي، وكانت غضبي فأخذت بيده وأدخلته رماه فسقط في يد الليث، فكتب نصفه من حفظه، وجمع على الباقي أدباء زمانه وقال لهم: مثلوا عليه واجتهدوا، فعملوا هذا النصف الذي بأيدي الناس، فهو ليس من تصنيف الخليل ولا يشق غباره، وكان الخليل قد مات.

وجدت على ظهر جزء من كتاب التهذيب لأبي منصور الأزهرى:

ابن دريد بقره	وفيه عجب وشره
ويدعى بجهله	وضع كتاب الجمهور
وهو الكتاب العين إل	لا أنه قد غيره
الأزهرى وزغه	وحمقه حمق دغه
ويدعى بجهله	كتاب تهذيب اللغة
وهو كتاب العين إل	أنه قد صبغه
في الخارزنجي بله	وفيه حمق ووله
ويدعى بجهله	وضع كتاب التكملة
وهو كتاب العين إل	أنه قد نقله

حاشية: دغة بنت مغنج يضرب بها المثل في الحمق، زوجت وهي صغيرة في بني العنبر فحملت، فلما ضربها المخاض ظننت أنها تحتاج إلى الخلاء فبرزت إلى بعض الغيطان ووضعت ذا بطنها، فاستهل الوليد فجاءت منصرفة وهي لا تظن إلا أنها أحدثت فقالت لأمتها: يا أمتاه، وهل يفتح الجعر فاه؟ قالت نعم ويدعو أباه، فسب بنوا العنبر به وسموا بنوا الجعراء. ولها حماقات كثيرة. قرأت بخط أبي منصور الأزهرى في كتاب نظم الجمان تصنيف أبي الفضل المنذري: نصر بن سيار كان والي

خراسان، والليث بن المظفر بن نصر صاحب العربية وصاحب الخليل بن أحمد هو ابنه، حدث عنه قتيبة بن سعيد: سمعت محمد بن إبراهيم العبدى يقول: سمعت قتيبة يقول: كنت عند ليث بن نصر بن سيار فقال: ما تركت شيئاً من فنون العلم إلا نظرت فيه إلا هذا الفن، وما عجزت إلا أنى رأيت العلماء يكرهونه - يعني النجوم - . سمعت محمد بن سعيد القزاز قال: نصر بن سيار والي خراسان المحمول إليه رأس جهم، وكان نصر من تحت يدي هشام ابن عبد الملك، وكان بمرو، وكان سلم بن أحوز والي بلخ والجوزجان من تحت يده، وهو الذي قتل يحيى بن زيد ابن علي بن الحسين، جهم بن صفوان الذي ينسب إليه مذهب جهم ووجه برأسيهما إلى مرو إلى نصر بن سيار فنصبا على باب قهندز مرو، فكان سلم بن أحوز يقول: قتلت خير الناس وشر الناس.

قال المنذري: وسمعت محمد بن إبراهيم العبدى قال سمعت أبا رجا قتيبة يقول: دخل الليث بن نصر بن سيار على علي بن عيسى بن ماهان وعنده رجل يقال له حماد الخزربك، فجاءه رجل فقص رؤيا رآها لعلي بن عيسى فهم حماد أن يعبرها فقال ليث: كف فلست هناك. فقال علي: يا أبا هشام وتعبرها؟ قال نعم وأنا أعبرها أهل خراسان. فكانت الرؤيا كأن علي بن عيسى مات وحمل على جنازة وأهل خراسان يتبعونه، ثم انقض غراب من السماء ليحمله فكسروا رجل الغراب. فقال الليث: أما الموت فبقاء، وأما الجنازة فهو سرير وملك، وأما ما حملوك فهو ما علوتهم وكنت على رقابهم، وأما الغراب فهو رسول، قال الله تعالى: (فبعث الله غراباً يبحث في الأرض)، يقدم فلا ينفذ أمره. فما مكثوا إلا يومين أو ثلاثة حتى قدم رسول من عند الخليفة في حمل علي بن عيسى، فاجتمع قواد خراسان فأثتوا عليه خيراً ولم يتركوه يحمل وقالوا: يخشى انتقاض البلاد فبقي.

قال المنذري: هو الليث بن المظفر بن نصر بن سيار صاحب العربية، وكان له ابن يقال له رافع. سمعت بعض أصحابي قال: سمعت محمد بن إسحاق السراج قال: سمعت إسحاق بن راهويه قال: سألت رافع بن الليث بن المظفر عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل سكر حرام)، أيقع على جميع المسكر يعني جميع ما يسكر منه من قليلة وكثيرة؟ أم على الشربة التي تسكر؟ فقال بل على جميع ما يسكر منه قليلة وكثيرة، إذا أسكر كثيره فقليله بمنزلته، ولو كان عني الشربة التي تسكر لقال: كل مسكر حرام.

قال ابن المنذري: وبلغني أن المظفر بن نصر مر به عناق وابنه الليث قد حضره فقال له وأراد أن يخبره: ما هذا؟ قال: بز بالفارسية. فقال: لأسيرتك إلى حيث لا تعرف بز، فسيره إلى البادية فمكث فيها قريباً من عشر سنين أو أكثر، ففيها تأدب ثم رجع فعجب أهله من كثرة أدبه. هذا آخر ما كتبت من خط الأز هري وكتاب المنذري.

وحدث الحاكم أبو عبد الله بن البيع في كتاب نيسابور عن العباس بن مصعب قال: سئل النضر بن شميل عن الكتاب الذي ينسب إلى الخليل بن أحمد ويقال له كتاب العين، فأنكره فقل له: لعله ألفه بعدك؟ فقال: أو خرجت من البصرة حتى دفنت الخليل بن أحمد؟

وحدث أبو الحسن علي بن مهدي الكسروي، حدثني محمد بن منصور المعروف بالراج المحدث قال: قال الليث بن المظفر بن نصر بن سيار: كنت أصير إلى الخليل بن أحمد فقال لي يوماً: لو أن إنساناً قصد وألف حروف أ ب ت ث على ما أمثله لاستوعب في ذلك جميع كلام العرب، وتهياً له أصل لا يخرج منه شيء ألبتة. فقلت له: وكيف يكون ذلك؟ قال: يؤلفه على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، فإنه ليس يعرف في كلام العرب أكثر منه.

قال الليث: فجعلت أستفهمه ويصف لي ولا أفهم على ما يصف، فاختلف إليه في هذا المعنى أياماً ثم اعتل وحجبت، فما زلت مشفقاً عليه وخشيت أن يموت في علته فيبطل ما كان يشرحه لي، فرجعت من الحج وصرت إليه فإذا هو قد ألف الحروف كلها على ما في الكتاب، وكان يملئ علي ما يحفظ، وما شك فيه يقول لي سل عنه، فإذا صح فأثبته إلى أن عملت الكتاب.

باب الميم

المبارك بن الحسن بن أحمد بن علي

ابن فتحان بن منصور الشهرزوري أبو الكرم المقرئ، إمام في القراءات عالم بها. مات فيما ذكره أبو سعد عن ابن حرز في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة خمسين وخمسائة للهجرة ودفن في دكة بشر الحافي بباب حرب ببغداد إلى جنب أبي بكر الخطيب. قال: وكتب عنه وذكر أن مولده في سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وأربعمائة قال: وكان يسكن دار

الخليفة ببغداد مما يلي باب العامة شيخ صالح دين خير قيم بكتاب الله عالم باختلاف الروايات والقراءات، و صنف فيها كتاب المصباح في القراءات، وهو حسن السيرة جيد الأخذ على الطلاب، له روايات عالية، سمع الحديث من أبي الفضل أحمد بن الحسن ابن جبرون الأمين وغيره.

المبارك بن سعيد بن الحمامي المؤدب

أبو الفرج المؤدب، كان يسكن قراح بني رزين من بغداد، وله به مكتب يعلم فيه الصبيان، وكان أديباً فاضلاً صالحاً، تخرج به خلق كثير وكان محمود السيرة مشكوراً عند الناس، وكان ذا هيبة على الصبيان، وكان أولاد الأكابر يقصدون مكتبه من جميع بغداد لما شاع من خيره وصلاحه، أدركت زمانه ورأيت مكتبه وكان مكتباً حفيلاً مزدحماً إلا أنني لم ألقه شيئاً، وكان يكتب خطاً حسناً معروفاً عند الناس مرغوباً فيه. مات فيما بلغني في جمادى الآخرة سنة ثمانين وخمسمائة للهجرة، وكان له ابن على سيرته في الصلاح والدين والخير، قام مقامه في مكتبه وخلفه بعده في مكتبه، وكان اسمه أيضاً المبارك، مات سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

المبارك بن الفاخر بن محمد بن يعقوب

أو الكرم النحوي - أخو أبي عبد الله الحسين بن محمد لأمه - المعروف بالبارع الدباس. ولد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، ومات في ذي القعدة سنة خمسين وخمسمائة ودفن بباب حرب، سمع الحديث من أبي الطيب الطبري والجوهري وغيرهما، وكان قيماً بالنحو عارفاً باللغة. قال أبو الفرج: غير أن مشايخنا جرحوه. كان أبو الفضل ابن ناصر سئ الرأي فيه يرميه بالكذب والتزوير قال: وكان يدعي سماع ما لم يسمعه، ولما مات دفن بمقبرة باب حرب، وقرأ النحو علي ابن برهان الأسدي، وله من الكتب: كتاب المعلم في النحو. كتاب نحو العرف. كتاب شرح خطبة أدب الكاتب. وجدت بخط السمعاني مولده على ما تقدم، فإن صح ذلك لا يصح أخذه النحو عن ابن برهان، لأن ابن برهان مات سنة ست وخمسين وأربعمائة، بل إن كان سمع منه شيئاً جاز ذلك، ثم لما وردت إلى مرو نظرت في كتاب المذيل للسمعاني وقد ألحق بخطه في تضاعف السطور بخط دقيق: قرأت بخط والدي رحمه الله سألت المبارك بن الفاخر عن مولده فقال: ولدت في سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة. قلت: فإذا صححت هذه الرواية فقد صح أخذه عن ابن برهان، وكان والد السمعاني قد لقي ابن الفاخر وأخذ عنه، وحكى عنه شيئاً من النحو واللغة. رأيت بخط الشيخ أبي محمد عبد الله ابن أحمد بن أحمد بن الخشاب رحمه الله: حكى لي محمد بن محمد ابن قزما الإسكافي عن شيخنا أبي الكرم المبارك بن فاخر ابن يعقوب النحوي المعروف بابن الدباس: أنه كان يكرم المترددين إليه لطلب العلم بالقيام لهم في مجلسه، وكان الشيخ أبو زكريا يحيى بن علي يابى ذلك وينكره عليه وعلى غيره ممن يعتمدونه وينشده:

قصر بالعلم وأزرى به من قام في الدرس لأصحابه

قال الشيخ أبو محمد: ولعمري إن حرمة العلم أكد من حرمة طالبه، وإعزاز العلم أبعث لطلبه، وبحسب الصبر على مرارة طلبه تحلو ثمرة مكتسبه وكان الشيخ أبو الكرم بن الدباس رحمه الله يجمع إلى هذا، التساهل في الخطاب إذا أخذ خطه على ظهر كتاب ويقصد بذلك اجتذاب الطلاب، لأن النفوس تميل إلى هذا الباب، وحال أبي علي رحمه الله في عكس هذه الحال معلومة متعارفة يائرها أصحابه عنه، وكان أمره مع العالم في ذاك على حد سواء من ملك وسوقة وعالم ومتعلم، ونحن نسأل الله العون على زمن نحن فيه. آخر ما فيه من خط ابن الخشاب.

المبارك بن المبارك بن المبارك

أبو طالب الكرخي بن أبي البركات الفقيه الشافعي صاحب أبي الحسن بن الخل، مات في ثامن ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمسمائة، أدركت زمانه ولقيت ببغداد أوانه إلا أنني لم أره لصغر السن حينئذ، والاشتغال في ذلك الزمان بغير هذا الشأن. كان رحمه الله فاضلاً زاهداً عابداً ورعاً إماماً أوحده زمانه في حسن الخط على طريقة علي بن هلال بن البواب. سمعت جماعة يحكون أنه لم يكتب أحد قبله ولا بعده مثله في قلم الثلث، حتى رأيت من يغالي فيه فيقول: إنه كتب خيراً من ابن البواب، وكان ضئيلاً بخطه جداً فلذلك قل وجوده. كان إذا اجتمع عنده شيء من تجويداته يستدعي طستاً ويغسله، فأما إذا استفتى فإنه كان يكسر قلمه ويجهد في تغيير خطه، وكان أحد الشهود المعدلين، تفقه على أبي الحسن بن الخل ولازمه مدة حتى صار بارعاً في الفقه، وصارت له معرفة بالمذهب ولسان تام في الخلاف، شهد عند قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي في تاسع جمادى الآخرة سنة ثلاثين وخمسمائة، ولم يزل على ذلك إلى أن عزل نفسه عن تحمل الشهادة وأدائها قبل موته بمدة مديدة ولن يدع الطيلسان، وتولى التدريس بمدرسة كمال الدين أبي الفتوح حمزة بن علي بن طلحة الرازي التي بباب العامة المحروس بعد وفاة شيخه أبي الحسن بن الخل المدرسي كان بها، ثم تولى تدريس النظامية وذكر الدرس بها في تاسع صفر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة،

وأضيف إليه التقدم بالرباط الجديد المجاور لتربة الجهة الشريفة السلجوقية المعروف بالأخلاقية عند مشهد عون ومعين بالجانب الغربي، وانتقل إلى هناك وسكن الدار المجاورة للرباط المذكور، وكان يعبر إلى الجانب الشرقي ويذكر الدروس بالنظامية ويعود إلى منزله بالجانب الغربي، وكان له قبول عند الخاص والعام وجاء عند أرباب الولايات، وهو الذي تولى خدمة الأمير ابن أبي نصر محمد وأبي الحسن علي ابني مولانا الناصر لدين الله أمير المؤمنين خلد الله سلطانه في تعليم الخط، وسمع الحديث من ابن الحصين وقاضي البيمارستان وشيخه ابن الحاج وغيرهم، وحدث عنهم ثم خرج من منزله لصلاة العصر بالرباط الجديد المذكور وكان يوم فيه، فلما توجه للصلاة عرضت له سعة وتتابع فوق المقدم إلى الأرض وحمل إلى منزله فمات لوقته في الوقت المقدم ذكره وصلى عليه في غده، واجتمع له خلق عظيم ودفن بتربة الجهة السلجوقية المجاورة للرباط، وهو فيما يقال ابن اثنين وثمانين سنة.

المبارك بن المبارك بن سعيد

ابن الدهان أبو بكر الضرير النحوي المعروف بالوجيه من أهل واسط، قدم بغداد مع أبيه في صباه فأقام بها إلى أن مات في السادس عشر من شعبان سنة اثنتي عشرة وستمئة - رحمه الله - دفن بالوردية، ومولده في سنة اثنتين وخمسمائة، وهو شيعي الذي به تخرجت وعليه قرأت، وهو قرأ بواسط علي أبي سعيد نصر ابن محمد بن سلم المؤدب وغيره، وأدرك ببغداد ابن الخشاب فأخذ عنه، ولازم الكمال أبا البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي، وقرأ عليه وتلمذ له، فهو أشهر شيوخه وسمع منه تصانيفه، وسمع الحديث من طاهر بن محمد المقدسي، وتولى تدريس النحو بالنظامية سنين، فخرج عليه جماعة كثيرة منهم: حسن بن الباقلاوي الحلبي، والموفق عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، والمنتخب سالم ابن أبي الصقر العروضي وغيرهم. وكان - رحمه الله - قليل الحظ من التلامذة يتخرجون عليه ولا ينسبون إليه، ولم يكن فيه عيب إلا أنه كان فيه كيس ولين، وكان إذا جلس للدرس يقطع أكثر وقته بالأخبار والحكايات وإنشاد الأشعار حتى يسأم الطالب وينصرف عنه وهو ضجر وينقم ذلك عليه، وكان يحسن بكل لغة من الفارسية والتركية، والحبشية، والرومية، والأرمنية، والزنجية، فكان إذا قرأ عليه عجمي واستعلق عليه المعنى بالعربية فهمه إياه بالعجمية على لسانه، وكان حسن التعليم طويل الروح كثير الاحتمال للتلامذة، وكان شاعراً مجيداً، أنشدني لنفسه كثيراً من شعره. منه في التجنيس:

ولو وقعت في لجة البحر قطرة
من المزن يوماً ثم شاء لما زها
ولو ملك الدنيا فأضحى ملوكها
عبيداً له في الشرق والغرب ما زها

وكان قد فوض إلى عضد الدولة أبي الفتوح بن الوزير عضد الدين بن رئيس الرؤساء أمر المخزن المعمور والأعمال التي كانت مفوضة قبله إلى ابن ناصر في عاشر شعبان سنة خمس وستمئة، وخلع عليه في باب الحجرة الشريفة وهو موضع لا يخلع فيه إلا على الوزراء، وركب منه والعالم بين يديه ليمضي إلى منزله، فعثرت به فرسه وسقط من عليها ثم ركبها سالماً من ساعته، فأكثر الناس القول في الطيرة من هذا، فقال الوجهيه وأنشدني لنفسه:

لا تعذل الفرس التي عثرت
بك أمس قبل سماعك العذرا
قالت مقالاً لو علمت به
لم تولها هجراً ولا هجراً
لما رأى الأملأ أن على
سرجي فتى أعلى الورى قدرا
رفعت يدي حتى قبلها
شغفاً بها فوهت يدي الأخرى

ثم لم يلبث المذكور إلا يسيراً حتى عزل وألزم بيته.

وأنشدني الوجهيه أيضاً لنفسه:

لست أستقبح اقتضاءك بالوع
د وإن كنت سيد الكرماء
فأله السماء قد ضمن الرز
ق عليه ويقتضي بالدعاء

وأنشدني الوجهيه أيضاً لنفسه في التجنيس:

لا راح مسترفدي جذلان من صفدي
يوماً ولا عز بي في مشهد جاري
إن لم تكب على الأذقان أوجههم
سيوف قومي بسيل من دم جاري

وحدثني الوجهيه - رحمه الله - قال: دخلت يوماً إلى فخر الدين أبي علي الحسن بن هبة الله بن الدوامي وهو من علمت أدباً وفضلاً وحسن بشر وكرم سجية، فجلسنا نتذكر الشعراء إلى أن انتهى بنا الكلام إلى البحري فأنشد قوله في الفتح بن خاقان:

هب الدار ردت رجع ما أنت قائلة
وأبدى الجواب الربع عما تسائله

إلى قوله:

ولما حضرنا سدة الإذن أخرت
بدا لي محمود السجية شمرت
كما انتصب الرمح الرديني ثققت
فكالبدر وافته لوقت سعوده
فسلمت واعتاقت جنائي هيبة
فلما تأملت الطلاقة وانثنى
دنوت فقبلت الندى من يد امرئ
صفت مثل ما يصفو المدام خلاله
فهش الجميع وأخذ كل منهم يصف حسن ألفاظها ورشاقة معانيها وجودو مقاصدها، وجعلوا يقولون: هذا هو السهل الممتنع،
والفضل المتسع، والديباج الخسرواني، والزهر الأنيق، وأطنبوا في ذلك وحق لهم فقلت ارتجالاً:
سواسية إلا امرؤ أنا جاهله؟
دروا أن ذا الشعر ابن خاقان قائله

وكان الوجيه قد التزم سماحة الأخلاق وسعة الصدر، فكان لا يغضب من شيء ولم يره أحد قط حردان وشاع ذلك عنه، وبلغ ذلك بعض الحرفاء فقال: ليس له من يغضبه ولو أغضب لما غضب وخاطروه على أن يغضبه، فجاءه فسلم عليه، ثم سألته عن مسألة نحوية، فأجابه الشيخ بأحسن جواب ودله على محجة الصواب فقال له: أخطأت، فأعاد الشيخ الجواب بالطف من ذلك الخطاب، وسهل طريقته وبين له حقيقته فقال له: أخطأت أيها الشيخ، والعجب ممن يزعم أنك تعرف النحو ويهتدي بك في العلوم، وهذا مبلغ معرفتك؟ فلاطفه وقال له: يا بني لعلك لم تفهم الجواب، وإن أحببت أن أعيد القول عليك بأبين من الأول فعلت، قال له: كذبت، لقد فهمت ما قلت، ولكن لجهلك تحسب أنني لم أفهم، فقال له الشيخ وهو يضحك: قد عرفت مرادك ووقفت على مقصودك، وما أراك إلا وقد غلبت، فأد ما بايعت عليه، فلست بالذي تغضبني أبداً. وبعد يا بني فقد قيل: إن بقعة جلست ظهر فيل فلما أرادت أن تطير قالت له: استمسك فإنني أريد الطيران، فقال لها الفيل: والله يا هذه ما أحسست بك لما جلست، فكيف استمسك إذا أنت طرت؟ والله يا ولدي ما تحسن أن تسأل، ولا تفهم الجواب، فكيف أستفيد منك؟ وحدثني محب الدين محمد بن النجار قال: حضر الوجيه النحوي بدار الكتب التي برباط المأمونية، وخازنها يومئذ أبو المعالي أحمد بن هبة الله، فجرى حديث المعري فذمه الخازن وقال: كان عندي في الخزانة كتاب من تصانيفه فغسلته، فقال له الوجيه: وأي شيء كان هذا الكتاب؟ قال: كان كتاب نقض القرآن. فقال له: أخطأت في غسله، فعجب الجماعة منه وتغامزوا عليه واستشاط ابن هبة الله وقال له: مثلك ينهي عن مثل هذا؟ قال نعم، لا يخلو أن يكون هذا الكتاب مثل القرآن أو خيراً منه أو دونه، فإن كان مثله أو خيراً منه وحاش لله أن يكون ذلك، فلا يجب أن يفرط في مثله، وإن كان دونه وذلك ما لا شك فيه فتركه معجزة للقرآن فلا يجب التفريط فيه. فاستحسن الجماعة قوله ووافقه ابن هبة الله على الحق وسكت.

وكان الوجيه - رحمه الله - حنبلياً ثم صار حنفياً فلما درس النحو بالنظامية صار شافعيّاً، فقال فيه المؤيد أبو البركات محمد بن أبي الفرج التكريتي ثم البغدادي وكان أحد تلامذته، وسمعته من لفظه غير مرة:

ألا مبلغ عني الوجيه رسالة
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل
وما اخترت دين الشافعي تديناً
وعما قليل أنت لا شك صائر
وأنشدني الوجيه لنفسه في التجنيس

أطلت ملامي في اجتناي لمعشر
ترى بابهم لا بارك الله فيهم
حموا ما لهم والدين والعرض منهم
إذا شرع الأجواد في الجود منهجاً

وأنشدني الوجيه النحوي لنفسه يمدح أبا الفضل مسعود ابن جابر صاحب المخزن
ما مر يوم ولا شهر ولا عيد
فاخضر فيه لنا من وصلكم عود

عودوا تعد بكم الأيام مشرقة
كم ذا التجني وكم هذا الصدود صلوا؟
لو تسألوا كيف حالي بعد بعدكم؟
لولا التعلل بالآمال مت أسي
ولو شكوت الذي ألقى بحبكم
يا هذه ما أنام الليل من ولهي
قل اضطباري وزاد الوجد بي فأنا
تلف في حبك الأيام لي وأرى الت
كأنك المجد أو بذل الندى وأنا
مولي إذا السحب ضنت بالحيا فله
وله مطلع قصيدة في ابن جابر أيضاً:

وإن أبيتم ففي الأسقام لي عودوا
من حظه منكم هم وتسهيّد؟
فالحال شاهدة والسقم مشهود
يغنى الزمان وما تفنى المواعيد
إلى الجلاميد رفت لي الجلاميد
كأنما حاجبي بالجفن معقود
بك الشقي وغيري منك مسعود
تعذيب عذباً به والقلب مجهود
في فرط حبك فخر الدين مسعود
في الخلق بحر عظيم الري مورود

يا من أقام قيامتي بقوامه
أمت اللثام عن العذار تقم به
وارفق ببال في هواك معذب
طبع الحبيب على الملal وليته
لو كنت تسمع ما أقول وقوله
شدا الرحال عقد تصبري

وأطال تعذبي بطول مطاله
عند العذول عليك عذر الواله
بجفاك ما خطر السلو بباله
يوماً يميل إلى ملال ملاله
لعجبت من ذلي له ودلاله
لما سرت أجماله بجماله

أنشدني الحافظ أبو عبد الله محمد بن النجار صديقنا - حرسه الله - قال: أنشدني شيخنا الوجيه النحوي لنفسه:

أرفع الصوت إن مررت بدار
وأحيي من ليس عندي بأهل

وكان ملازماً لدار الوزير عضد الدين أبي الفرج بن رئيس الرؤساء ويبيت ويصبح يقرئ أهله ونال من جهته ثروة، فحدثني عز الدين أبو الحسن علي بن محمود بن محمد المعروف بالسرخسي النحوي قال: حدثني الوجيه قال: اقترحت على بعض خطايا الوزير أن أعمل أبياتاً تكتبها على قميص أصفر فعلمت:

انظر إلى لابسني وانظر إلى وكن
هذا اصفراري يراه الناظرون وما
أموت في خلعه بالليل لي كمدأ
أقول عجباً إذا ما رام يلبسني

من مثل ما حل بي منه على خطر
في القلب من حبه يخفي على البصر
لولا انتظار وصال منه في السحر
ما كنت أطمع أن أعلو على القمر

ونقشتها على القميص ورأه الوزير عليها، فنلت منه بذلك السبب خيراً كثيراً

المبارك بن محمد الشيباني

بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني أبو السعادات الملقب بمجد الدين المعروف بابن الأثير هو أبوه محمد بن محمد بن عبد الكريم من أهل جزيرة ابن عمر. مات فيما حدثني به أخوه عز الدين أبو الحسن علي بن محمد في يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة ست وستمائة قال: ومولده في أحد الربيعين سنة أربع وأربعين وخمسمائة بالجزيرة وانتقل إلى الموصل في سنة خمس وستين ولم يزل بها إلى أن مات.

قال المؤلف: وكان عالماً فاضلاً وسيداً كاملاً، قد جمع بين علم العربية والقرآن والنحو واللغة والحديث وشيوخه وصحته وسقمه والفقه وكان شافعيّاً، وصنف في كل ذلك تصانيف هي مشهورة بالموصل وغيره. حدثني أخوه أبو الحسن قال: قرأ أخي الأدب على ناصح الدين أبي محمد سعيد ابن الدهان البغدادي، وأبي بكر يحيى بن سعدون المغربي القرطبي، وأبي الحزم مكي بن الريان بن شبة الماكسي النحوي الضرير، وسمع الحديث بالموصل من جماعة منهم الخطيب أبو الفضل بن الطوسي وغيره، وقدم بغداد حاجاً فسمع بها من أبي القاسم صاحب ابن الخل، وعبد الوهاب ابن سكينه، وعاد إلى الموصل فروى بها وصنف،

ووقف داره علي الصوفية وجعلها رباطاً. وحدثني أخوه أبو الحسن قال: تولى أخي أبو السعادات الخزانة لسيف الدين الغازي بن مودود بن زكي ثم ولاه ديوان الجزيرة وأعمالها، ثم عاد إلى الموصل فناب في الديوان عن الوزير جلال الدين أبي الحسن علي بن جمال الدين محمد ابن منصور الأصبهاني، ثم اتصل بمجاهد الدين قايمار بالموصل أيضاً فنال عنده درجة رفيعة، فلما قبض على مجاهد الدين اتصل بخدمة أتابك عز الدين مسعود بن مودود إلى أن توفي عز الدين فاتصل بخدمة ولده نور الدين أرسلان شاه، فصار واحد دولته حقيقة بحيث إن السلطان كان يقصد منزله في مهام نفسه لأنه أقعد في آخر زمانه فكانت الحركة تصعب عليه فكان يجيئه بنفسه، أو يرسل إليه بدر الدين لؤلؤ الذي هو اليوم أمير الموصل.

وحدثني أخوه المذكور قال: حدثني أخي أبو السعادات قال: لقد ألزمني نور الدين بالوزارة غير مرة وأنا أستعفيه حتى غضب مني وأمر بالتوكيل بي قال: فجعلت أبكي فبلغه ذلك فجاءني وأنا على تلك الحال فقال لي: أبلغ الأمر إلى هذا؟ ما علمت أن رجلاً ممن خلق الله يكره ما كرهت. فقلت: أنا يا مولانا رجل كبير وقد خدمت العلم عمري، واشتهر ذلك عني في البلاد بأسرها، وأعلم أنني لو اجتهدت في إقامة العدل بغاية جهدي ما قدرت أؤدي حقه، ولو ظلم أكار في ضيعة من أقصى أعمال السلطان لنسب ظلمه إلي، ورجعت أنت وغيرك باللائمة علي، والملك لا يستقيم إلا بالتسليم في العسف وأخذ هذا الخلق بالشدة، وأنا لا أقدر على ذلك فأعفاه، وجاءنا إلى دارنا فخبّرنا بالحال. فأما والده وأخوه فلاماه على الامتناع فلم يؤثر اللوم عنده أسفاً، وذكر في قصة طويلة بتفاصيلها إلا أن هذا الذي ذكرته هو معناها.

وحدثني عز الدين أبو الحسن قال: حدثني أخي أبو السعادات - رحمه الله - قال: كنت أشتغل بعلم الأدب على الشيخ أبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي البغدادي بالموصل، وكان كثيراً ما يأمرني بقول الشعر وأنا أمتنع من ذلك قال: فبينما أنا ذات ليلة نائم رأيت الشيخ في النوم وهو يأمرني بقول الشعر فقلت له: ضع لي مثلاً أعمل عليه فقال:
جب فلا مدمناً إن فاتك الظفر وخذ خد الثرى والليل معتكر
فقلت أنا:

فالعز في صهوات الخيل مركبه والمجد ينتجه الإسراء والسهر
فقال لي: أحسنت، هكذا قل، فاستيقظت فأتممت عليها نحو العشرين بيتاً.

وحدثني عز الدين أبو الحسن قال: كتب أخي أبو السعادات إلى صديق له في صدر كتاب والشعر له:
وإني لمهد عن حنين مبرح إليك على الأقصى من الدار والأدنى
وإن كانت الأشواق تزداد كلما تناقص بعد الدار واقترب المغنى
سلاماً كنشر الروض باكراً الحيا وهبت عليه نسمة السحر الأعلى
فجاء بمسكي الهوا متحلياً ببعض سجايا ذلك المجلس الأسمى
وأنشدني عز الدين قال: أنشدني أخي مجد الدين أبو السعادات لنفسه:

عليك سلام فاح من نشر طيبه نسيم تولى بثه الرند والبان
وجاز على أطلال مي عشية وجاد عليه مغدق الويل هتان
فحملته شوقاً حوته ضمائري تميد له أعلام رضوى ولبنان

واستشهدته شيئاً آخر من شعره فقال: كان أخي قليل الشعر لم يكن له به تلك العناية، وما أعرف الآن له غير هذا. فقلت له: فأمل علي تصانيفه، فأملني علي: كتاب البديع في النحو الأربعين كراسة، وقفني عليه فوجدته بديعاً كاسمه سلك فيه مسلماً غريباً، وبوبه تبويباً عجيباً، كتاب الباهر في الفروق في النحو أيضاً، كتاب تهذيب فصول ابن الدهان، كتاب الإنصاف في تفسير القرآن أربع مجلدات، كتاب الشافي وهو شرح مسند الشافعي أبدع في تصنيفه، فذكر أحكامه ولغته ونحوه ومعانيه نحو مائة كراسه، كتاب غريب الحديث على حروف المعجم أربع مجلدات، كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول عشر مجلدات جمع فيه بين البخاري ومسلم والموطأ وسنن أبي داود وسنن النسائي والترمذي عمله على حروف المعجم، وشرح غريب الأحاديث ومعانيها وأحكامها ووصف رجالها، ونبه على جميع ما يحتاج إليه منها.

قال المؤلف: أقطع قطعاً أنه لم يصنف مثله قط ولا يصنف، وله رسائل في الحساب مجلدات، كتاب ديوان رسائله، وكتاب البنين والبنات والأبواء والأمهات والأدواء والذوات مجلد، كتاب المختار في مناقب الأخبار أربع مجلدات إلى غير ذلك.

مبشر بن فاتك أبو الوفاء الأمير

أحد أدباء مصر العارفين بالأخبار والتواريخ المصنفين فيها، وكان في أيام الدولة المصرية في أيام الظاهر والمستنصر وله من التصانيف: كتاب سيرة المستنصر ثلاث مجلدات وله تاليف في علوم الأوائل، وملك من الكتب ما لا يحصى عدده كثرة.

مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني

روي عن الشعبي فأكثر، وروي عنه الهيثم بن عدي، مات في سنة إحدى وأربعين ومائة، وكان راوية للأخبار والأنساب والأشعار، وهو عند أصحاب الحديث ضعيف.

مجاهد بن جبر القارئ

وقيل مجاهد بن جبير مولى عبد الله بن السائب، وقيل مولى قيس بن السائب المخزومي من كبار التابعين يكنى أبا الحجاج، مات سنة أربع ومائة، وقيل سنة ثلاث عن ثلاث وثمانين سنة من عمره. سمع ابن عباس وجابراً وأبا هريرة وأبا سعيد الخدري وأبا ريحان وعبد الله بن عمر وغيرهم. أخذ القراءة عن عبد الله بن عباس وعن عبد الله بن أبي ليلى، وقرأ على علي بن أبي طالب وأبي بن كعب رضي الله عنهم. روى عنه الأعمش والليث بن أبي سليم والحكم ومنصور بن نجيح وغيرهم.

وقال مجاهد: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة. قال مجاهد: وكنت أصحب ابن عمر في السفر فكنت إذا أردت أن أركب يأتيني فيمسك ركابي، فإذا ركبت سوى على ثيابي. قال مجاهد: فجاءني مرة فكأنني كرهت ذلك فقال يا مجاهد: إنك ضيق الخلق، نقلت ذلك كله من كتاب الأمالي لأبي بكر محمد بن منصور السمعاني.

وقرأت بخط أبي سعد بإسناد رفعه إلى مجاهد أنه قال: انطلق غلام من بني إسرائيل بفخ فنصبه منتبذاً عن الطريق، فجاء عصفور فوق قريباً منه وأنطلق الله العصفور وأفهم الفخ فقال العصفور: مالي أراك منتبذاً عن الطريق؟ قال: اعتزلت شرور الناس. قال فمالي أراك نحيفاً؟ قال: أنهكتني العبادة. قال: فما هذه الحبة في فبك؟ قال أرصد بها مسكيناً أو ابن سبيل. قال: فانا مسكين وابن سبيل، قال: فدونها. قال فوثب العصفور فأخذ الحبة فوثب الفخ فوق في عنقه، فجعل العصفور يقول: عيق عيق، وعزة ربي لاغرني بعدها قارئ مرأء أبداً.

قال مجاهد: وهذا مثل قرأتين مرأتين يكونون آخر الزمان. وذكر ابن عفير قال: قدم عمرو بن العاص بهد فتحه مصر على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قد متين استخلف في إحداهما زكريا بن الجهم العبدي على الجند، ومجاهد بن جبر مولى بني نوفل بن عبد مناف على الخراج، وهو جد معاذ بن موسى النفاط أبي إسحاق بن معاذ الشاعر فسأله عمر من استخلفت؟ فذكر له مجاهد بن جبر، فقال له عمر: مولى ابنة غزوان؟ قال نعم إنه كاتب، فقال عمر: إن العلم ليرفع صاحبه. وبنت غزوان هي أخت عتبة بن غزوان وقد شهد عتبة بدرأ، وكان حليف بني نوفل بن عبد مناف قال: وخطة مجاهد بن جبر دار صالح صاحب السوق.

مجاهد بن عبد الله العامري

أبو الجيش الموفق، مولى عبد الرحمن الناصر بن المنصور محمد بن أبي عامر أمير الأندلس، مات بدانية في سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وأصله مملوك رومي من ممالك ابن أبي عامر، كان من أهل الأدب والشجاعة والمحبة للعلوم وأهلها، نشأ بقرطبة وكانت له همة وجلادة وجرأة، فلما جاءت أيام الفتنة وتغلبت العساكر على النواحي سار هو فيمن تبعه إلى الجزائر التي في شرق الأندلس وهي: دانية ومنورقة بالنون، ودانية هي ذات خصب وسعة فغلب عليها وحماها، وقصد سردانية في قصة ذكرتها في التاريخ الذي سميت المبدأ، وكان من الكرماء على العلماء يبذل لهم الرغائب خصوصاً على القراء حتى صارت دانية معدن القراء بالغرب، وهو الذي بذل لأبي غالب تمام بن غالب ألف دينار ليزيد اسمه في ديوانة كتابه كما ذكرنا في باب تمام. وفيه يقول أبو العلاء صاعد بن الحسن اللغوي - وقد استماله بخريطة مال ومركب أهداهما إليه - قصيدة أولها:

أنتني الخريطة والمركب	كما اقترن السعد والكوكب
وحط بمينائه قلعة	كما وضعت حملها المقرب
على ساعة قام فيها الثنا	على هامة المشتري يخطب

س فأصبحت ما لم يكن بصحب
صبيخ إليك بما ترغب

مجاهد رضى إباء الشمو
فقل واحتكم لي فسمع الزمان

وقد ألف مجاهد كتاب عروض يدل على قوته فيه: ومن أعظم فضائله تقديمه للوزير أبي العباس أحمد بن رشيق وتعليه عليه، وبسط يده في العدل.

المحسن بن إبراهيم بن هلال بن زهرون

الصابئ أبو علي بن أبي إسحاق صاحب الرسائل، ووالد هلال بن المحسن صاحب التواريخ والرسائل. كان أديباً فاضلاً بارعاً، قد لقي الأديباء والعلماء وأخذ عنهم كأبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي وأبي عبيد الله المرزباني. مات في ثامن محرم سنة إحدى وأربعمئة عن ابنه هلال وله شعر حسن من مثله، وكان بوجهه شامة حمراء فكان يعرف بصاحب الشامة، وابنه هلال بن المحسن أعلى منزلة منه. ومات هذا على دين أبيه، وأما ابنه فأسلم على ما ذكرته في بابه، وكان لأبي إسحاق ابن آخر يقال له أبو سعيد سنان ليس بالنبيه، وآخر كنيته أبو العلاء صاعد. ومات أبو سعيد سنان في حياة أبيه في رجب سنة ثمانين. ولمات قبض على أبيه أبي إسحاق قبض معه على ولديه أبي علي هذا وأبي سعيد. فحدث أبو الحسين هلال قال: حدثني أبو علي والذي قال: أمر عضد الدولة أبا القاسم المطهر بن عبد الله وزيره وقال له: أفرج عن ابن أبي إسحاق صاحب الشامة، فإن له قديم خدمة فتقدم بذلك، فنقل على أبي سعيد أخي إطلاقي من دونه، ودمدم على والدنا دمدم قال له عندها: أي أمر لنا يا بني في نفوسنا؟ أم أي ذنب لي فيما لطف به لأخيك وحرمته؟ ثم عدل إلى مسألتني أن أخرج أسبوعاً ويخرج أسبوعاً، ويقع بيننا مناوبة في ذاك فامتنعت وأبيت ورفق بي رفقا استحيت معه وأجبت، فكتب أبو إسحاق إلى أبي القاسم المطهر:

وعز حسنها عن منظر النور
عين فصرت من الإبنين كالعور
مستوفراً منهما من أجر مأجور
أبوهما وهما من كل محذور

ابناني عينا كف الحبس لحظهما
أطلقت لي منهما عيناً وقد بقيت
فسو بينهما في فك أسرهما
يفديك بالأنفس التي مننت بها

فقال المطهر: الأمر إلى الملك، والذي رسم لي إطلاق ولدك صاحب الشامة، ولو كنت مستطيعاً للجمع بينهما لفعلت، بل لم أقنع حتى تكون أنت المطلق، فعاوده وشكره وقال: إذا كان قد أخذ في تخلية واحد فيجوز أن يتناوبا في الخروج وفصح المطهر في ذلك. قال أبو علي: وكانت خدمتي التي راعاها الملك عضد الدولة أن أبا طاهر بن بقية لما أفرج عن أبي إسحاق والذي بعد القبض عليه عقيب خروج عضد الدولة من مدينة السلام استخلفه على أن يعرفه ما يرد عليه من كتبه ويسلم إليه من يجيئه من رسله، فاتفق أن جاء أبو سعد المدبر إليه بكتاب من عضد الدولة وعمل على تسليمه فاجتهدت به ألا يفعل، فخاف وأشفق ولم يقبل وحمله إلى ابن بقية، فتقدم باعتقاله بعد أن ضربه وقرره، وشق ذلك على لما يراعي من عواقبه، وحملني الشباب ونزقه، والاعتذار وبواعثه، على أن قمت ليلاً وحملت معي خمسين درهماً في صرة وعشرين درهماً في صرة أخرى، وجئت إلى الحبس متنكراً وعلى رأسي منشفة وقلت للسجان: هذه عشرون درهماً خذها ومكني من الدخول على هذا الجاسوس واجتمع معه وأخاطبه وأخرج، فأخذها وأدخلني وجئت إلى أبي سعد وتوجعت له مما حصل فيه ووعدته بما أستطيعه من المعاونة على خلاصة ثم قلت له: أنت غريب وربما احتجت إلى شيء وهذه خمسون درهماً اصرفها في نفقتك واستعن بها على أمرك فشكرني وانصرفت، وأظنه ذكر ذلك لعضد الدولة عند خلاصه وعوده إليه، فحصل لي في نفسه ما كانت هذه الحال ثمرته. قرأت بخط أبي علي المحسن في مجموع جمعه لولده هلال ما هذا صورته لبعض المحدثين في عصرنا - وعلى الحاشية بخط ابنه هلال، هذه الأبيات لأبي علي المحسن بن إبراهيم بن هلال رحمه الله -:

بنيك أمه جهر إذا تأثما
وأنعظ مشتاقاً إليها متيماً
يكون لها بعلاً وكان لها ابنما
ففر لها فرجاً وفرت له فما
يكون أخاً وابناً له كلما انتمى
بذلك ما كان الإله محرماً
تقدم يهذي في الصلاة مزماً
ويحتسب اللذات أجراً ومغماً

أأهجو مجوسياً لو أني أمرته
إذا ذكرت يوماً له ريع قلبه
يحن إليها حنتين لأنه
قضاها رضاع الثدي منه بأيره
فإن طرقت بالحمل يوماً فإنما
ينيك الإقاصي والأداني محلاً
إذا ماذو الأديان صلوا لربهم
ويخرج مما كفوا من مشقة
وكتب أبو علي إلى أبيه في بعض نكباته:

لا تأس للمال إن غالته غائلة
إذ أنت جوهرنا الأعلى وما جمعت
فأجابه أبو إسحاق بأبيات ذكرتها في بابه فأغني. قرأت بخط أبي علي المحسن: أنشدني القاضي أبو سعيد الحسن ابن عبد الله السرافي رحمه الله:

الجواد والغول والعنقاء الثالثة

وأنشدني:

ألهي بني جشم عن كل مكرمة
يفاخرون بها مذ كان أولهم

وأنشدني في المعنى:

كأن وجوه شماس بن لأي
إذا ذكروا الحطينة لم يعدوا

وأنشدني:

يا ابن صليبا أين طبك والذي
أنكرت مما قيل ما قد عرفته
بل الموت ميقات النفوس متى يحن

ومن خط أبي علي المحسن قال: سألت القاضي أبا سعيد السيرافي رحمه الله عن الأخبار التي يرويها عن أبي بكر بن دريد وكنت أقرؤها عليه: أكان يملئها من حفظه؟ فقال: لا، كانت تجمع من كتبه وغيرها ثم تقرأ عليه. وسألت أبا عبد الله محمد بن عمران المرزباني رحمه الله عن ذلك فقال: لم يكن يملئها من كتاب ولا حفظ، ولكن كان يكتبها ثم يخرجها إلينا بخطه، فإذا كتبناها خرق ما كانت فيه. وقرأت بخط أبي علي المحسن: لأبي الحسن محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمي إلي يتقاضاني دفترًا أعطانيه:

كنت يا سيدي استعرت كتاباً

في الربيع وهذا ربيع

تغتتم مدحتي وإن جدت أيضاً

يا جميل الصنيع لم قد تغير

من عذيري يا آل زهرون منكم

لست في المنع بالملوم تعلم

كنت أعدتكم لنائبة الده

ورجوت الغني فخاب رجائي

واقربضي واخيبتني وأعنائي

واشبابي الذي تقضي ضياعاً

واشقائي من ذل بختي عليكم

كنت أبكي منكم فلما نكبتم

قال أبو علي: وكنت مع أبي الحسن بن سكرة على المائدة فحمل بعض الغلمان غضارة فيها مضيرة فاضطربت يده وانقلب شيء منها على ثياب أبي الحسن فادعى عليه أنه ضرط وهجاه بأبيات لم يبق في حفظي منها غير بيتين وهما:

قليل الصواب كثير الغلط

جني بالمضيرة ما قد جنى

شديد العثار قبيح السقط

ولم يكفه ذاك حتى ضرط

المحسن بن الحسين كوكبك

بن علي كوجك أبو القاسم الأديب من أهل الفضل، وكان الغالب عليه الوراثة ويقول الشعر، وخطة معروف مرغوب فيه يشبه خط الطبري. قال أبو محمد أحمد بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الروذباري في تاريخه الذي ألف بمصر: وفي شوال سنة ست عشرة وأربعمائة، مات أبو القاسم المحسن بن الحسين العبسي الأديب الوراق، سمع من أبي مسلم محمد بن أحمد كاتب بن حنزية، وسمع معه أخوه علي بن الحسين وكان أبوه أيضاً من أهل الفضل، وله شعر ذكرته في ترجمة ابنه الآخر علي ابن الحسين. وقرأت في كتاب الشام: المحسن بن علي بن كوجك أبو عبد الله من أهل الأدب، أملي بصيدا حكايات مقطعة بعضها عن ابن خالويه، روي عنه أبو نصر طلاب قال: أنبأنا عبد الله بن أحمد بن عمر قال: أخبرنا أبو نصر ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن طلاب قال: أملي علينا الأستاذ أبو عبد الله المحسن بن علي بن كوجك بصيدا، وقرأته عليه في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة أنشدنا لبعضهم:

ودعك الحسن فهو مرتحل
ومت من بعد ما أمت وأح
كم قائل لي وقد رأى كلفي
يرحمك الله يا غلام إذا
وانصرفت عن جمالك المقل
بيت وكل الأمور تنتقل
فيك ووجدي فقال مكتهل
قال لك العاشقون يا رجل

قال ابن طلاب: وحضرنا معه يوماً في محرس غرق بمدينة صيدا، وفيه قبة فيها مكتوب أسماء من حضرها وأشعار: من جملتها:

رحم الله من دنا لأناس
فرقت بينهم صروف الليالي
نزلوا ههنا يريدون مصرأ
فتخلوا عن الأحبة قسرا

فقال له قائل من جماعتنا: إن المائدة لا تقعد على رجلين ولا تستقر إلا على ثلاثة فأجز لنا هذين البيتين بثالث، فأطرق ساعة ثم قال اكتبوا:

نزلوا والثياب بيض فلما
أزف البين منهم صرن حمرا

قال ابن طلاب: وكان بين الأستاذ وبين رجل كاتب لبني بزال إحن وملاحاة مستهجنة أوقعت بينهما العداوة بعد وكيد الصداقة، وكان هذا الرجل يقال له أبو المنتصر مبارك الكاتب، فهجاه الأستاذ بأشعار كثيرة وجمعها في جزء وكتب على ظهر هذا الجزء شعراً له وهو:

هذا جزاء صديق
سعى على دم حر
لم يرع حق الصداقة
محرم فأرقه

قال: وأنشد لنفسه فيه أيضاً:

مبارك بورك في الطول لك
ولولا انحناؤك نلت السما
فأصبحت أطول من في الفلك
ء ولكن ربك ما عدلك

المحسن بن علي التنوخي

بن محمد بن داود بن الفهم التنوخي أبو علي القاضي، وقد مر ذكر أبيه علي بن محمد وابنه علي ابن المحسن في مواضعهما. مات لخمس بقين من محرم سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، ومولده سنة تسع وعشرين وثلاثمائة بالبصرة وكانت وفاته ببغداد، وله من التصانيف: كتاب الفرج بعد الشدة ثلاث مجلدات، كتاب نشوار المحاضرة اشترط فيه أنه لا يضمه شيئاً نقله من كتاب أحد عشر مجلداً كل مجلد له فاتحة بخطبه.

قال غرس النعمة: صنف أبو علي المحسن كتاب نشوار المحاضرة في عشرين سنة أولها سنة ستين وثلاثمائة، وذيله غرس النعمة بكتاب سماه كتاب الربيع قال: ابتدأه في سنة ثمان وستين وأربعمائة. ولي القضاء بعدة نواح. حكى عن نفسه أنه في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة كان متولي القضاء بواسط، وقال في موضع آخر من كتابه: حضرت أنا مجلس أبي العباس بن أبي الشوارب قاضي القضاء إذ ذاك وكنت حينئذ أكتب له على الحكم والوقوف بمدينة السلام مضافاً إلى ما كنت أخلفه عليه بتكريت ودقواء وخانيجار، وقصر ابن هبيرة، والجامعين، وسوراء وبابل والإيغارين وخطرية. وذكر قصة. وذكر في موضع آخر أنه كان يتقلد القضاء بعسكر مكرم في أيام المطيع لله وعز الدولة بن بويه. وقد ذكر أبو الفرج الشلجي أنه تقلد القضاء بالأهواز نيابة عن القاضي أبي بكر بن قريعة وقد ذكرت ذلك في خبر الشلجي.

قال أبو الفرج: وحدثني أبو علي التنوخي القاضي قال: لما قلدني القاضي أبو بكر بن قريعة قضاء الأهواز خلافة له كتب إلى المعروف بابن سركر الشاهد وكان خليفته على القضاء قبلي كتاباً على يدي وعنوانه: إلى المخالف الشاق، السئ الأخلاق الظاهر النفاق، محمد بن إسحاق.

وذكر الثعالبي فقال: هلال ذلك القمر، وغصن ذلك الشجر، الشاهد العدل لمجد أبيه وفضله، والفرع المشيد لأصله، والنائب عنه في حياته، والقائم مقامه بعد وفاته، وفيه يقول أبو عبد الله الحسين بن الحجاج:

إذا ذكر القضاة وهم شهود
ومن لم يرض لم أصفه إلا
تخبرت الشباب على الشيوخ
بحضرة سيدي القاضي التنوخي
قال: وأخبرني أبو نصر سهل بن المرزبان: أنه رأى ديوان شعره ببغداد أكبر حجماً من ديوان شعر أبيه، ومما علق بحفظ أبي نصر من شعره قوله في معنى طريف لم سبق إليه:

خرجنا لنستسقي بيمن دعائه
فلما ابتدا يدعو تفشعت السما
وقد كاد هذب الغيم أن يبلغ الأرضا
فما تم إلا والغمام قد انفضا
قال: وأنشدني غيره له وأنا مرتاب به لفرط جودته وارتفاعه عن طبقتة.

أقول لها والحي قد فطنوا بنا
لما ساءني أن وشحتني سيوفهم
وأنشد لنفسه في كتاب الفرج بعد الشدة:

لئن أشمت الحساد صرفي ورحتي
مقام وترحال وقبض وبسطة
فما صرفوا فضلي ولا ارتحل المجد
كذا عادة الدنيا وأخلاقها النكد

قرأت في كتاب الوزراء لهلال بن المحسن: حدث القاضي أبو علي قال: نزل الوزير أبو محمد المهدي السوس فقصدته للسلام عليه وتجديد العهد بخدمته فقال لي: بلغني أنك شهدت عند ابن سيار قاضي الأهواز؟ قلت نعم، قال: ومن ابن سيار حتى تشهد عنده وأنت ولدي وابن أبي القاسم التنوخي أستاذ ابن سيار؟ قلت: ألا إن في الشهادة عنده مع الحداثة جمالاً - وكانت سني يومئذ عشرين سنة - قال: وجب أن تجيء إلى الحضرة لأتقدم إلى أبي السائب قاضي القضاة بتقليدك عملاً تقبلي أنت فيه شهوداً. قلت: ما فات ذلك إذا أنعم سيدنا الوزير به، وسيلي إليه الآن مع قبول الشهادة أقرب، فضحك وقال لمن كان بين يديه: انظروا إلى ذكائه كيف اغتتمها؟ ثم قال لي: اخرج معي إلى بغداد فقبلت يده ودعوت له، وسار من السوس إلى بغداد ووردت إلى بغداد في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، فتقدم إلى أبي السائب في أمري بما دعاه إلى أن قلدني عملاً بسقي الفرات، وكنت ألزم الوزير أبا محمد وأحضر طعامه ومجالس أنسه، اتفق أن جلس يوماً مجلساً عاماً وأنا بحضرته وقيل له: أبو السائب في الدار قال: يدخل، ثم أوماً إلي بأن أتقدم إليه فتقدمت، ومد يده ليسارني فقبلتها فمد يدي وقال: ليس بيننا سر، وإنما أردت أن يدخل أبو السائب فيراك تسارني في مثل هذا المجلس الحافل فلا يشك أنك معي في أمر من أمور الدولة فيرهبك ويحشمك، ويتوفر عليك ويكرمك، فإنه لا يجي إلا بالرهبة وهو يبغضك بزيادة عداوة كانت لأبيك، ولا يشتهي أن يكون له خلف مثلك، وأخذ يوصل معي في مثل هذا الفن من الحديث إلى أن دخل أو السائب، فلما رآه في سرار وقف ولم يحب أن يجلس إلا بعد مشاهدة الوزير له تقريباً إليه وتلطفاً في استمالة قلبه، فإنه كان إذ ذاك فاسد الرأي فيه فقال الحاجب لأبي السائب: يجلس قاضي القضاة وسمعه الوزير فرفع رأسه وقال له اجلس يا سيدي وعاد إلى سراري وقال لي: هذه أشد من تلك، فامض إليه في غد فستري ما يعاملك به، وقطع السرار وقال لي ظاهراً: قم فامض فيما أنفذتك فيه وعد إلي الساعة بما تعمله، فوهم أبا السائب بذاك أننا في مهم، فقمتم ومضيت إلى بعض الحجر وجلست إلى أن عرفت انصراف أبي السائب ثم عدت إليه وقد قام عن ذلك المجلس وجئت من غد إلى أبي السائب فكاد يحملني على رأسه، وأخذ يجاذبني بضروب من المحادثة والمباينة، وكان ذلك دهرًا طويلاً.

قال القاضي أبو علي في نشوار المحاضرة: حضر بين يدي رجلان بالأهواز فادعى أحدهما على الآخر حقاً فأكرهه فسأل غريمه إحلافه فقال له أتحلف؟ فقال: ليس له علي شيء فكيف أحلف؟ ولو كان له علي شيء حلفت له وأكرمته.

حدث أبو علي قال: كنت جالساً بحضرة عضد الدولة في مجلس أنسه بنهاوند فغناه محمد بن كالة الطنبوري - شيخ كان يخدمه في جملة المغنين باق إلى الآن -:

ذد بماء المزن والعنب
قهوة لو أنها نطقت
طارقات الهم والكرب
ذكرت قحطان في العرب

وهي تكسو كف شاربها
فاستحين الشعر والصنعة وسأل عنها. فقال له ابن كالة: هذا شعر غنت به مولانا سلمة بنت حسينة فاستعاده منها استحساناً له
فسرقته منها. قال التتوخي: فقلت له: أما الشعر فللخباز البلدي، وأظن أبا الحسن بن طرحان قال لي: إن الصنعة فيه لأبيه،
والمعنى حسن ولكنه مسروق. فقال: من أين؟ فقلت: أما البيت الثاني فمن قول أبي نواس:
عنقت حتى لو اتصلت
لاحتببت في القوم ماثلة
ووصفها بالعنق والقدم كثير في القوم في أبلغ من هذا البيت، ولكن التشبيه في البيت الثالث هو الحسن، وقد سرقه مما أنشدناه
أبو سهل بن زياد القطان قال: أنشدنا يعقوب بن السكيت ولم يسم قائلًا:
أقرى الهموم إذا ضاقت معتقة
تکسو أصابع ساقها إذا مزجت
وقد كشف - أطال الله بقاء مولاي - هذا المعنى من قال:
كأن المدير لها باليمن
تدرع ثوباً من الناسمين
وكان أبو علي أحمد بن علي المدائني المعروف بالهائم الراوية قائماً في المجلس فقال: قد كشف معنى الأبيات الفائية سرى
الرفاء حيث يقول في صفة الدنان:
ومستلمات هززن لها
وقد نظم الصلح أجسامها
تمد إليها أكف الرجال
وكشف المعنى الثاني في الأبيات بقوله:
إزدد من الراح وزد
يديرها ذو عنة
مد إليها يده
قال القاضي التتوخي: فقلت له: فأين أنت عما هو خير من هذا؟ وهو قول ابن المعتز:
قبل أن يسقيها مختضباً
قال الهائم: فقد قال بكارة الرسغي:
وبكر شربناها على الورد بكرة
إذا قام مبيض للباس يديرها
وقول أبي النصر النحوي:
فلو رأني إذا اتكأت وقد
يخالني لايساً مشهرة
فبدأت أذكر شيئاً فقال الهائم: اصبر اصبر فها هنا ما لا يلحقه أحد كان في الدنيا قط حسناً وجودة، وهو قول مولانا الملك من
أبيات:
وشرب الكأس من صهباء صرف
يفيض على الشروب يد النضار
فقطعت المذاكرة وأقبلت أعظم البيت وأفخم أمره، وأفرط في استحسانه، والاعتراف بأنني لا أحفظ ما يقاربه في الحسن والجودة
فأذاكر به. قال التتوخي: وكنت بحضرته في عشية من العشايا في مجلس الأنس، وكان هذا بعد خدمتي له المؤانسة بشهور
يسيرة فغنى له من وراء ستارته الخاصة صوت وهو:
نحن قوم من قريش
وبعد أبيات بعضها ملحون وبعض جيد. فاستلمح اللحن وقال: هو شعر ركيك جداً فتعلمون لم هو ولمن اللحن؟ فقال له أبو عبد
الله بن المنجم: بلغني أن الشعر للمطيع لله وأن اللحن له أيضاً. فقال لي: اعمل أبياتاً تنقل هذا اللحن إليها في وزنها وقافيتها
فجلست ناحية و عملت:
لعم من دار القمر
أي هذا القمر الطا

رائحاً من خيلاء ال
والذي يجني ولا يت
أنا من هجرك في بع
أوضح العذر عذارا

حسن في أبهى إزار
بع ذنباً باعتذار
د على قرب المزار
ك على خلع العذار

وعدت وأنشدته إياها في الحال فارتضاها وقال: لولا أنه قد هجس في نفسي أن أعمل في معناها لأمرت بنقل اللحن إليها، ثم أنشدنا بعد أيام لنفسه:

نحن قوم نحفظ العه
ونمر السحب سحباً
أبدأ ننجز للضي

على بعد المزار
من أكف كالبحار
ف قدوراً من نضار

وأمر جواريه بالغناء فيه. وأما أبياتي فإني تمتتها قصيدة ومدحته بها وهي مثبتة في ديوان شعري. قال: وجلس عضد الدولة وقد تحولت له سنة شمسية من يوم مولده على عادة له في ذلك، وكان عادته أنه إذا علم أنه قد بقي بينه وبين دخول السنة الجديدة ساعة أو أقل أو أكثر، أن يأكل ويتبخر ويخرج في حال التحويل إلى مجلس عظيم قد عبي فيه آلات الذهب والفضة ليس فيه غيرهما، وفيها أنواع الفاكهة والرياحين، ويجلس في دست عظيم القيمة ويجئ المنجم فيقبل الأرض بين يديه ويهنئه بتحويل السنة، وقد حضر المغنون وأخذوا مواضعهم وجلسوا، وحضر الندماء وأخذوا موافقهم قياماً ولم يكن أحد منهم يجلس بحضرته غيري وغير أبي علي الفسوي، وأبي الحسن الصوفي المنجم، وأما أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف صاحب ديوان الرسائل فإنه كان يجلس ليوقع بين يديه ويستدعي له إذا نشط فيجعل بين يديه أقداً ويشرب معه. ومن قبل أن يشرب يوقع بمال الصدقات فيخرج، والغناء يمضي ثم يجئ المهنون من أهل المجلس مثل رؤساء دولته ووجوه الكتاب والعمال وكبار أهل البلد من الأشراف وغيرهم فيدخلون إليه فيهنونه والشعراء فيمدحونه. فلما جلس ذلك اليوم على هذه الصفة قيل له: إن الناس قد اجتمعوا للخدمة وفيهم أبو الحسن بن أم شيبان وقد حضر، فعجب من هذا ثم قال: أبو الحسن رجل فاضل وليس هذا من أيامه وما حضر إلا لفرط موالاته، وأنه ظن أنه يوم لا يشرب فيه لنا، وإن حجبناه غرضنا منه، وإن أوصلناه فلعله لا يحب ذلك لأجل الغناء والنبذ، ولكن اخرج إليه يا فلان - ليعض من كان قائماً من الندماء - وشرح له صفة المجلس ما قلته من أمره، وأد الرسالة إليه ظاهراً ليسمعها الناس، فإن أحب الدخول فأدخله قبلهم، وإن أراد الانصراف فلينصرف والناس يسمعون وقد علموا منزلته منا. فخرج الحاجب وأبلغ ذلك، فدعا وشكر وأثر الانصراف، فانصرف وهم جلوس يسمعون، ثم قال لحاجب النوبة: اخرج وأدخل الناس، وأبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس وأخوه أبو محمد علي ابن العباس يتقدمون الناس جميعهم لرياستهم القديمة حتى دخلوا وقبلوا الأرض على الرسم في ذلك وأعطوه الدينار والدرهم ووقفوا، وابتدأ الشعراء فكان أول من ينشده من الشعراء السلامي أبو الحسن محمد بن عبد الله إلا أنه يريد مني أن أنشده في الملا شيئاً، فإنه كان يأمرني بذلك من الليل فأحضر وأبتدئ فأنشده أو يحضر رجل علوي ينشد شعراً لنفسه فيجعل عقيب، ثم ينشد السلامي أبو الحسن ثم أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي الشامي من أهل معرة النعمان يعرف بابن جلاب، ثم يتتابع الشعراء. فلما انصرف الناس وتوسط الشرب جاءه الحاجب فقال: قد حضر أبو بكر بن عبد الرحيم الفسوي، وكان هذا شيخاً قد أقام بالبصرة وشهد عند القاضي بها، وقد وفد إلى باب عضد الدولة قبل ذلك وأقام، وكان خادماً له فيما يخدم فيه التجار يختصه بعض الاختصاص، فأقبل وكان بين يدي الدست التمري الذي يوضع بين يدي في كل يوم، وفيه من الأشرطة المحللة ما جرت عادتي بشرب اليسير منه بين يدي عضد الدولة على سبيل المنادمة والموانسة والمباشطة، وكان قد وسمني وألزمني ذلك بعد امتناعي منه شهوراً حتى قد ردني وأخافني. فقال لي: يا قاضي، إن هذا الرجل الذي استؤذن له عامي جاهل بالعلم، وإنما استخدمته رعاية لحرمت له علي، ولأنه كان يخدم أمي في البز ويدخل إليها بإذن ركن الدولة لتقاه وأمانته فلا تستتر عنه وهذا قبل أن أولد فلما ولدت كان يحملني على كتفه إلى أن ترجلت، ثم صار يشتري البز ويبيعه علي واستمرت خدمته لحرمة وهو قاطن بالبصرة، ولعله يدخل فيرى ما بين يديك فيظنه خماً فيرجع إلى البصرة فيخبر قاضيه وشهودها بذلك فيفقد فيك، ومحلة يوجب أن يكشف لك عذرك، ولكن أرح الدست الذي بين يديك حتى يصير بين يدي أبي عبد الله المنجم - وكان أبو عبد الله بن إسحاق بن المنجم يجلس دوني بفسحة في المجلس - فإذا دخل رأى الدست بين يديه دونك فلم يقدر على حكاية يطعن بها عليك. فقبلت الأرض شكراً لهذا التطول في الإنعام، وباعدت الدست إلى أبي عبد الله ثم قال: أدخلوه، وشاهد المجلس وهنا ودعا وأعطى ديناراً ودرهماً كبيرين فيهما عدة مثاقيل وانصرف. قال أبو علي: ويقرب من هذا ما عاملني به الوزير أبو محمد المهلب، وذكر الحكاية التي سبق ذكرها أنفاً مع قاضي القضاة أبي السائب، وحديث تقريبه منه ومسارته إياه في المحفل ليعظم بذلك قدره، وتكبر منزلته في عين قاضي القضاة، أبي السائب، لله در القائل

ما كان يعرف في الأنام كبير

لولا ملاحظة الكبير صغيره

قال الرئيس أبو الحسن هلال: وفي شهر ربيع الأول سخط عضد الدولة على القاضي أبي المحسن بن علي التنوخي وألزم منزله وصرف عما كان يتقلده، وقسم ذلك على أبي بكر بن أبي موسى، وأبي بكر بن المحاملي، وأبي محمد ابن عقبة، وأبي تمام بن أبي حصين، وأبي بكر بن الأزرق، وأبي محمد بن الجمهوري. وكان السبب في ذلك ما حدثني به أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال: حدثني القاضي أبو علي والذي قال: كنت بهمدان مع الملك عضد الدولة فاتفق أن مضيت يوماً إلى أبي بكر بن شاهويه رسول القرامطة والمتوسط بين عضد الدولة وبينهم وكان له صديقاً، ومعني أبو علي الهائم وجلسنا نتحدث، وقعد أبو علي على باب خركاه، كنا فيه وقدم إليه ما يأكله فقال لي: اجعل أيها القاضي في نفسك المقام في هذه الشتوة في هذا البلد. فقلت لم؟ فقال: إن الملك مدبر في القبض على صاحب أبي القاسم بن عباد وكان قد ورد إلى حضرته بهمدان، وإذا كان كذلك تشاغل بما يتناول معه الأيام وانصرف من عنده. فقال أبو علي الهائم: قد سمعت ما كنتما فيه، وهذا أمر ينبغي أن تطويه ولا تخرج به إلى أحد ولا سيما إلى أبي الفضل بن أحمد الشيرازي. فقلت أفعل ونزلت إلى خيمتي وجاءني من كانت له عادة جارية بملازمتي ومواصلتي ومواكلتي ومشاربتي، وفيهم أبو الفضل بن أحمد الشيرازي فقال لي: أيها القاضي، أنت مشغول القلب فما الذي حدث؟ فاسترسلت على أنس كان بيننا وقلت: أما علمت أن الملك مقيم وقد عمل على كذا في أمر صاحب وهذا دليل على تطاول السنة. فلم يتمالك أن انصرف واستدعى ركبياً من ركايتي وقال له: أين كنتم اليوم؟ فقال: عند أبي بكر ابن شاهويه. قال: وما صنعتم؟ قال: لا أدري، إلا أن القاضي أطال عنده الجلوس وانصرف إلى خيمته عنه ولم يمض إلى غيره، فكتب إلى عضد الدولة رقعة يقول فيها: كنت عند القاضي أبي علي التنوخي فقال كذا وكذا، وذكر أنه قد عرفه من حيث لا يشك فيه، وعرفت أنه كان عند أبي بكر بن شاهويه وربما كان لهذا الحديث أصل، وإذا شاع الخبر به وأظهر السر فيه فسد ما دبر في معناه.

فلم وقف عضد الدولة على الرقعة وجم وجوماً شديداً وقام من سماط كان قد عمل في ذلك اليوم على منابت الزعفران للديلم مغيطاً واستدعاني وقال لي: بلغني أنك قلت كذا وكذا حاكياً عن أبي بكر بن شاهويه، فما الذي جرى بينكما في ذلك؟ قلت: لم أقل من ذلك شيئاً فجمع بيني وبين أبي الفضل ابن أبي أحمد وواقفني وأكرته وراجعني وكذبتة، وأحضر أبو بكر بن شاهويه وسئل عن الحكاية فقال: ما أعرفها ولا جرى بيني وبين القاضي قول في معناها، وثقل على أبي بكر هذه الموافقة وقال: ما نعامل الأضياف بهذه المعاملة. وسئل أبو علي الهائم عما سمعه فقال: كنت خارج الخركاه وكنت مشغولاً بالأكل وما وقفت على ما كانا فيه، فمد وضرب مانتني مقرعة وأقيم فنفض ثيابه، وخرج أبو عبد الله سعدان وكان لي محباً فقال لي: الملك يقول لك: ألم تكن صغيراً فكبرناك، ومتأخراً فقدمناك، وخاملاً فنبهنا عليك، ومقتراً فأحسننا إليك؟؟ فما بالك جددت نعمتنا وسعيت في الفساد على دولتنا؟ قلت: أما اصطناع الملك لي فأنا معترف به، وأما الفساد على دولته فما علمت أنني فعلته، ومع ذلك فقد كنت مستوراً فهتكتني، ومتصوناً ففضحتني، وأدخلني من الشرب والمنادمة بما قدح في؟ فقال أبو عبد الله: هذا قول لا أرى الإجابة له لئلا يتضاعف ما نحن محتاجون إلى الاعتذار والتخلص منه، ولكنني أقول عنك كذا وكذا بجواب لطيف فاعرفه حتى إن سئلت عنه وافقتي فيه. وتركني وانصرف، وجلست مكاني طويلاً وعندي أنني مقبوض علي ثم حملت نفسي على أن أقوم وأسبر الأمر وقمت وخرجت من الخيمة فدعا البوابون دابتي على العادة ورجعت إلى خيمتي منكسر النفس منكسف البال، فصار الوقت الذي أدعى فيه للخدمة، فجاءني رسول ابن الحلاج على الرسم وحضرت المجلس، فلم يرفع الملك إلي طرفاً ولا لوى إلي وجهاً، ولم يزل الحال على ذلك خمسة وأربعين يوماً، ثم استدعاني وهو في خركاه وبين يديه أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف وعلى رأسه أبو الثناء شكر الخادم فقال: ويلك، اصدقني عما حكاه أبو الفضل بن أحمد فقلت: كذب منه، ولو ذكرت لمولانا ما يقوله لما أقاله العثرة. فقال: أو من حقوق عليكم أن تسيئوا غيبتني وتتشاغلوا بذكري؟ فقلت: أما حقوق النعمة فظاهرة، وأما حديثك فنحن نتفاوضه دائماً. فالتفت إلى أبي القاسم وقال: اسمع ما يقول. فقال له بالفارسية وعنده أنني لا أعرفها: هؤلاء البغداديون مفتونون ومفسدون ومتسوفون. وقال شكر: الأمر كذلك، إلا أن التسوق على القاضي لا منه.

ثم قال لي عضد الدولة: عرفنا ما قاله أبو الفضل قلت: هو ما لا ينطق لساني به. فقال: هاته، وكان يجب أن تعاد الأحاديث والأقوال على وجهها من غير كناية عنها ولا احتشام فيها. فقلت: نعم قال: إنك عند وفاة والدك بشيراز أنفدت من كرمان وأخذت جاريته زرياب، وأن الخادم المخرج في ذاك وافي ليلة الشهر فاجتهد به أن يتركها تلك الليلة لتوفي أيام الحق فلم يفعل ولا رعى للماضي حقاً ولا حرمة. فقال: والله لقد أنكرنا على الخادم إخراجها إياها على هذا الإعجال ولو تركها يوماً وأياماً لجاز، وبعد فهذا ذنب الخادم ولا عمل لنا فيه ولا عيب علينا به، ثم ماذا؟ قلت: وقال: إن مولانا يعشق كنك المغنية ويتهاك في أمرها وربما نهض إلى الخلاء فاستدعاه إلى هناك وواقعها. فقال: إنا لله لعنكما الله ولا يارك فيكما، ثم ماذا؟ فأوردت عليه أحاديث سمعتها من غير أبي الفضل ونسبتها إليه وقلت: لم أعلم أنني أقوم هذا المقام فأحفظ أقواله، وقد ذكر أيضاً هذا الأستاذ وأومات إلى أبي القاسم وأبي الريان وجماعة الحواشي فقال ما قال في أبي القاسم؟ قلت قال: إنه ابتاع من ورثة ابن بقية ناحية الزاوية من راذان بأربعة آلاف درهم بعد أن استأذنتك استأذناً سلك فيه سبيل السخرية والمغالطة واستغلها في سنة واحدة نيفاً على ثلاثين ألف درهم وإنه أعطى فلاناً وفلاناً ثمانية آلاف درهم على ظاهر البضاعة والتجارة فأعطاه نيفاً وستين ألف درهم، فمات

أبو القاسم عند سماعه ذلك، وأوردت ما أوردته منه مقابلة على ما ذكرني به. قلت: وقال في أبي الريان كذا وكذا لأمر ذكرتها. وحضرت آخر النهار المجلس في ذلك اليوم على رسمي فعاود التقريب لي والإقبال علي، واتفق أنه سكر في بعض الأيام وولع بكنجك ولعاً قال لي فيه: وهذا من حديث أبي الفضل وأشار إليه، فقلق أبو الفضل وقرب مني وكنت أقعد ويقوم. وقال لي: ما الذي أوما إلي الملك فيه؟ قلت: لا أدري فسله أنت عنهن ثم رحلنا عائدين إلى بغداد فرآني الملك في الطريق وعلي ثيابه حسنة وتحتي بغلة بمركب وجناح جواد فقال لي: من أين لك هذه البغلة؟ قلت: حملني عليها صاحب أبو القاسم بمركبها وجناحها وأعطاني عشرين قطعة ثياباً وسبعة آلاف درهم. فقال: هذا قليل لك منه مع ما تستحقه عليه، فعلمت أنه اتهمني به وبأني خرجت بذلك الحديث إليه وما كنت حدثته به، ووردنا إلى بغداد فحكى لي: أن الطائع لله متجاف عن ابنته المنقولة إليه وأنه لم يقربها إلى تلك الغاية فثقل ذلك عليه وقال لي: تمضي إلى الخليفة وتقول له عن والدته الصبية: إنها مستزيدة لإقبال مولانا عليها وإدناؤه إياها، ويعود الأمر إلى ما يستقيم به الحال ويزول معه الانقباض، فقد كنت وسيط هذه المصاهرة فقلت: السمع والطاعة، وعدت إلى داري لألبس ثياب دار الخلافة، فاتفق أن زلقت ووئثت رجلي، فأنفذت إلى الملك أعرفه عذري في تأخري عن أمره فلم يقبله، وأنفذ إلي من يستعلم خبري، فرأى الرسول لي غلماناً روقة وفرشاً جميلاً فعاد إليه وقال له: هو متعالل وليس بعليل، وشاهدته على صورة كذا وكذا والناس يغشونه ويعودونه، فاعْتَظَ غيظاً مجدداً حرك ما في نفسه مني أولاً، فراسلني بأن أُلزم بيتك ولا تخرج عنه ولا تأذن لأحد في الدخول عليك فيه إلا نفر من أصدقائي استأذنت فيهم فاستثنى بهم، ومضيت الأيام وأنفذ إلى أبو الريان فطالبني بعشرة آلاف درهم وكنت أستسلمتها من إقطاعي فأديتها إليه، واستمر على السخط والصرف عن الأعمال إلى حين وفاة عضد الدولة.

وذكر عرس النعمة بن هلال: حدثني بعض السادة الأصقاء وأسيته وأظنه أبا طاهر محمد بن محمد الكرخي قال: كانت بنت عضد الدولة لما زفت إلى الطائع بقيت بحالها لا يقربها خوفاً أن تحمل منه فتستولي الديلم على الخلافة، وكان الطائع يحبها حباً شديداً زانداً موفياً، وبُقيْل عليها باب حجرتها إذا شرب ويقول للخدم: خذوا المفتاح ولا تعطونيهِ إذا سكرت ورمت الدخول إليها ولو فعلت مهما فعلت، فأقسم بالله لئن مكنت من ذاك لأقتلن الذي يمكنني منه، فإذا سكر منعه السكر من التماسك، وحمله الحب والهوى على المضي إليها والدخول عليها فيجئ إلى بابها ويأمر بفتحه ويتهدد ويتوعد ولا يقبل منه، ولا يقر له أحد بمعرفة المفتاح أين هو؟ ولا من هو معه إلى أن ينصرف أو ينام، فذاك كان دأبه ودأبها، وتقدم عضد الدولة إلى أبي علي التنوخي في أواخر أيامه بأن يمضي إلى الطائع ويطارحه عن والدته الصبية في المعنى بما يستزيده فيه لها ويبعثه به عليها بأسباب يتوصل إليها وأقول يصفها ويومئ إلى الغرض فيها رتبها عضد الدولة ولقته إياها وفهمه فقال: السمع والطاعة، ومضى إلى بيته ولن يقدم على الطائع، وخاف عضد الدولة إن خالف ما رسمه له، فأظهر مرضاً وعاده أصدقائه منه واعتذر به إلى عضد الدولة، فوقع لعضد الدولة باطن الأمر، وأمر بعض الخدم الخواص بالمضي إلى التنوخي لعيادته وتعرف خيره وأن يخرج من عنده ويركب إلى أن يخرج من الدرب، ثم يعود فيدخل عليه هاجماً، فإن كان على حاله في فراشه لم يتغير له أمر أعطاه مائتي دينار أصحابه إياها لنفسه وأظهر أنه عاد لأجلها لأنه أنسبها معه؟ وإن وجده قاعداً أو قائماً عن الفراش قال له: الملك يقول لك: لا تخرج عن دارك إلينا ولا إلى غيرنا، وانصرف. قال الخادم: فدخلت إليه وهو في فراشه وعليه دثاره وخاطبته عن الملك فشكر وأعاد جواباً ضعيفاً لم أكد أفهمه، وخرجت ثم عدت على ما رسم الملك، فهجمت عليه فوجدته قائماً يمشي حول البستان، فلما رأيته اضطرب وتحير فقلت له: الملك يقول لك: لا تبرح دارك لا إلينا ولا إلى غيرنا وخرجت، فبقي على ذلك إلى أن مات عضد الدولة.

محمد بن آدم بن كمال الهروي

أبو المظفر الهروي ذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في السياق وقال: مات بغتة سنة أربع عشرة وأربعمائة ودفن بمقبرة الحسين، وقبره ظاهر بقرب قبر أبي العباس السراج ووصفه فقال: الأستاذ الكامل الإمام في الأدب والمعالي، المبرز على إقرانه وعلى من تقدمه من الأئمة باستخراج المعاني وشرح الأبيات، وله أمثال وغرائب التفسير بحيث يضرب به المثل، ومن تأمل فوائده في كتاب شرح الحماسة وكتاب شرح الإصلاخ وكتاب شرح أمثال أبي عبيد وكتاب شرح ديوان أبي الطيب وغيرها اعترف له بالفضل والانفراد، وتتلذذ للأستاذ أبي بكر الخوارزمي الطبري، وتفق على القاضي أبي الهيثم، ثم جدد الفقه على القاضي أبي العلاء صاعد، وكان يقعد للتدريس في النحو وشرح الدواوين والتفسير وغير ذلك، فأما الحديث فما أعلم أنه نقل عنه منه شيء لا اشتغاله بما سواه لا لعدم السماع له.

محمد بن أبان بن سيد أبان

اللخمي أبو عبد الله القرطبي، كان عالماً باللغة والعربية حافظاً للأخبار والآثار والأيام والمشاهد والتواريخ، أخذ عن أبي علي البغدادي وعن غيره، ولي أحكام الشرطة وكان مكيماً عند المنتصر، وألف له الكتب وكتب عنه، وتوفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.

محمد بن إبراهيم بن حبيب بن سمرة

ابن جندب بن هلال بن جريج بن مسرة بن حزن بن عمرو ابن جابر بن ذي الراسين واسمه خشين بن لاي بن عصيم بن شمش ابن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان أبو عبد الله الفزاري. ولسمرة بن جندب صحبه بالنبي صلي الله عليه وسلم وكان عبيد الله بن زياد يستعمله على شرط البصرة إذا قدم الكوفة، وكان الفزاري هذا نحويًا ضابطاً جيد الخط، أخذ عن المازني وحكى عنه أنه قال: قرأت كتاب الأمثال للأصمعي على الأصمعي. ومن زعم أنه قرأه عليه غيره فقد كذب. قال المرزباني: كان محمد بن إبراهيم الفزاري الكوفي عالماً بالنجوم. وهو الذي يقول فيه يحيى بن خالد البرمكي: أربعة لم يدرك مثلهم في فنونهم: الخليل بن أحمد، وابن المقفع، وأبو حنيفة، والفزاري.

وقال جعفر بن يحيى، لم ير أبدع في فنه من الكسائي في النحو، والأصمعي في الشعر، والفزاري في النجوم، وزلزل في ضرب العود. وللـفـزاري القصيدة التي تقوم مقام زيجات المنجمين وهي مزدوجة طويلة تدخل مع تفسيرها عشرة أجيال أولها:

الحمد لله العلي الأعظم
الواحد الفرد الجواد المنعم
الخالق السبع العلي طباقا
والبدر يملأ نوره الآفاقا
وهي هكذا ثلاثة أقفال، ثلاثة أقفال

محمد بن إبراهيم العوامي

قال ابن إسحاق: يعرف بالقاضي وكان صديقي وتوفي بعد الخمسين والثلاثمائة، وله كتاب الإصلاح والإيضاح في النحو.

محمد بن إبراهيم بن عمران

ابن موسى الحوزي الأديب أبو بكر النحوي، من حوز فارس، وكان الأدباء المنقرين علامة في معرفة الأنساب وعلوم القرآن، ونزل نيسابور مدة وكثر الانتفاع به، وسمع حماد بن مدرك وجعفر بن درستويه الفارسيين وأبا بكر محمد ابن دريد وأقرانهم. قال الحاكم: وجاءنا نعمه من فارس سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.

محمد بن إبراهيم بن عبد الله أبو سعيد

الأديب الرجل الصالح، درس الأدب على أبي حامد الخارزنجي، وسمع أبا العباس بن يعقوب وأبا بكر القطان وأبا عثمان البصري وخرجت له الفوائد وحدث. ومات يوم الجمعة النصف من جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ذكر ذلك كله الحاكم في كتاب نيسابور.

محمد بن إبراهيم بن الحسين بن دادا

الـجـرـبـاذقاني أبو جعفر، ذكره أحمد بن صالح بن شافع في تاريخه وقال: مات في حادي عشر ذي الحجة سنة تسع وأربعين وخمسمائة ووصفه فقال: رفيقنا الفقيه المحدث النحوي الأديب اللغوي الفرضي كالكاتب العفيف، ذو الموات والخصائص، ولما مات صلى عليه شيخنا أبو الفضل ابن ناصر ودفن في تربة استجدها أبو النجيب بظاهر التوتة وكنا نسمع معاً، ولم أر له مثلاً زهداً وعلماً ونبلاً، وصل إلى بغداد سنة أربعين وخمسمائة واصطحبنا، وكان متيقظاً زاهداً ورعاً، وصنف كتباً في الفرائض

وغيرها، وكان شافعي المذهب، ولو عاش لكان صدر الآفاق، ولقد فت في عضدي فقده، وأثر عندي بعده، فعند الله نحتسب مصيبتنا فيه.

محمد بن إبراهيم بن خلف اللخمي الأديب

أبو عبد الله يعرف بابن زروقه، قال ابن بشكوال: كان من أهل الأدب معتنياً بطلبه قديماً مشهوراً فيه، وممن يقول الشعر الحسن، له تأليفان في الأدب والأخبار. قال ابن خزرج: قرأتها عليهما، ومن شيوخه أبو نصر النحوي وابن أبي الحباب وغيرهما، وتوفي في حدود سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وهو ابن سبع وستين سنة.

محمد بن إبراهيم البيهقي

بن أحمد البيهقي أبو سعيد قال عبد الغافر: هو رجل فاضل متدين حسن العقيدة، صنف في اللغة كتباً منها: كتاب الهداية، كتاب الغيبة، وكان ماهراً في ذلك النوع، سمع الحديث من مشايخ نيسابور كالإمام شيخ الإسلام الصابوني والإمام ناصر المروزي.

محمد بن إبراهيم بن داود

بن سليمان أبو جعفر الأردستاني - وأردستان من نواحي أصبهان بليدة - أديب فاضل، حدث عن أحمد بن عبد الله النهدي وأحمد بن محمد بن العباس الأسفاطي البصري، وكتب عنه أحمد بن محمد الحداد وغيره بأصفهان، ذكره يحيى بن مندة وقال: مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعمائة.

محمد بن أحمد بن عبد الله

بن عبد الصمد ابن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، وقال المرزباني: هو أحمد بن محمد، قتل في سنة خمسين ومائتين في خلافة المستعين بالله، وكنيته أبو العباس ويلقب بأبي العبر.

قال جحظة: لم أر قط أحفظ منه لكل عين ولا أجود شعراً، ولم يكن في الدنيا صناعة إلا وهو يعلمها بيده حتى لقد رأيته يعجن ويخبز، وكان أبوه أحمد يلقب بالحامض، وكان حافظاً أديباً في نهاية التنسن، قتل بقصر ابن هبيرة وقد خرج لأخذ أرزاقه من هناك، سمعه قوم من الشيعة ينتقص علياً عليه السلام فرموا به من فوق سطح كان بانئاً عليه فمات في السنة المقدم ذكرها.

وذكره أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني فقال: كان أبوه أحمد يلقب حمدون الحامض، ولد لمضي خمس سنين من خلافة الرشيد والرشيد ببيع في سنة سبعين ومائة وعاش إلى أيام المستعين بالله، وكان في أول أمره يسلك في شعره الجد ثم عدل إلى الهزل والحماسة فنفق كثيراً، وجمع به ما لم يجمع أحد من شعراء عصره المجيدين.

ومن سائر شعره قوله:

بأبي من زارني مكتئباً	خائفاً من كل حس جزعا
رصد الخلوة حتى أمكنت	ورعى السامر حتى هجعا
قمر نم عليه حسنه	كيف يخفي الليل بداراً طلعا؟
ركب الأهوال في زورته	ثم ما سلم حتى ودعا

قال محمد بن إسحاق: وله من الكتب: كتاب جامع الحماقات وحاوي الرقاعات، كتاب المندامة وأخلاق الرؤساء. حدث أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي السلمي حدثني أبو أحمد الهذلي قال: حدثنا أبو عبد الله الشعيري وكان شاعراً من أهل بغداد قال: اجتمعت مع جماعة من الشعراء في مجلس نتناظر ونتناشد ونتساءل ونعد شعراء زماننا، فمر بنا أبو العبر فقلنا: هذا أيضاً يعد نفسه في الشعراء فمال إلينا وقال: والله أشعر منكم وأعلم. فقلنا: قد اختلفنا في بيت فاشتبه علينا فهل نسألك عنه؟ فقال نعم، فسألناه عن معنى هذا البيت:

عافت الماء في الشتاء فقلنا	برديه تصادفيه سخينا
----------------------------	---------------------

كيف تصادفه سخياً إذا بردته؟ فقال: أخفي عليكم؟ قلنا نعم. فقال هو ليس من التبريد وإنما هو صرف مدغم، ومعناه بل رديه من الورود، فأدغموا اللام في الراء كما قال الله تعالى: (كلا بل ران على قلوبهم)، وقوله: (وقيل من راق). قال: فاستحسننا ما فسرناه وأقررنا له بالفضل. فقال: إني أسألكم بيتاً كما سألتكموني، أما ترون إلى قول دغفل:

إن على سائلنا أن نسأله

فقلنا: سل: فقال: ما معنى قول القائل؟:

يا من رأى رحلاً واقفاً

أحرقه الحر من البرد

كيف يحرقه الحر من البرد؟ قال: فاضطربنا في معناه، فلم نخرجه فسالناه عنه فقال: هذا قلبي: وذلك أنني مررت بحداد يبرد حديداً فمسست تلك البرادة فأحرقت يدي، وإنما البرد مصدر برد الحديد برداً، وليس هو من الشيء البارد. قال: فأقررنا بفضل معرفته فأنشأ يقول:

أقر الشعراء أنني

ومروا في الحرمرم

إنهم عندي جميعاً

....الغنم

فقطعت الرأس منهم

ثم جلد القد دمدم

فعلمنا منه طيلاً

من طويل الخد دمدم

فضربنا به دمدم

ثم دمدم ثم دمدم

عجبنا يا قوم مني

كنت معكم كالململم

وقال المرزباني: أبو العبر أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب.

وقال محمد بن داود: اسمه محمد بن أحمد، وهو حمدون ابن عبد الله بن عبد الصمد يكنى أبا العباس، صاحب الشعر الأحمر والكلام المختلق، وهو أبرد الناس غير مدافع وربما قال شعراً صالحاً، وهو القائل وأنشدناه الأخفش:

لو يكون الهوى بجسم من الصخ

رعلى أن فيه قلب حديد

فعل الحب فيهما مثل ما يف

عل شعر اللحي بورد الحدود

وله ورواه أبو الحسن علي بن العباس الرومي:

لو كنت من شيء خلافاً لم تكن

لتكون إلا مشجباً في مشجب

لو أن لي من جلد وجهك رقعة

لجعلت منها حافراً للأشهب

قال: وكان يظهر الميل على العلويين والهجاء لهم، وجرت منيته على يد رجل من أهل الكوفة من رماة الجلاهق، وخرج معه من بغداد إلى آجام الكوفة للرمي فسمع الرامي منه كلاماً استحل به دمه فقتله وهو القائل لموسى بن عبد الملك وكان دفع إليه توقيعاً بصلة من المتوكل فدافعه موسى وماطله مدة فوقف له يوماً فلما ركب أنشده:

حتى متى نتبرد

وكم وكم أتبرد؟

موسى أدر لي كتابي

بحق ربك الأسود

يعني محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق، وكان محمد من أمة سوداء فنحلتها سوادها، فجزع موسى بن عبد الملك من قوله، وسأله كتم الحال وقضي شغله.

وقال جحظة: اجتمعت أنا وجماعة من إخواننا مع أبي العبر في براح أراد أن يبينه داراً فأقبلنا نقدر البيوت وأين مواقعها؟ فبينما نحن كذلك إذ شرط بعض من كان معنا فقال أبو العبر: مهما شككنا فيه فما نشك أن هذا الموضع الكنيف.

محمد بن أحمد بن محمد المغربي

أبو الحسن راوية المتنبي، أحد الأئمة الأدباء والأعيان الشعراء، خدم سيف الدولة ولقي المتنبي وصنف تصانيف حسنة وله ذكر في مصر والعراق والجيل وما وراء النهر والشاش، وجالس صاحب ابن عباد، ولقي أيا الفرج الأصبهاني وروي عنه، وله معه أخبار. ومن تصانيفه التي شاهدها: كتاب الانتصار المنبئ عن فضائل المتنبي، كتاب النبيه المنبئ عن رذائل المتنبي، كتاب تحفة الكتاب في الرسائل - محبوب -، كتاب تذكرة النديم - مجموع حسن جيد ممتع -، كتاب الرسالة الممتعة كتاب بقية الانتصار المكثّر للاختصار. وغير ذلك من الرسائل والكتب. قال: وأخذت قول المتنبي:

كفى بجسمي نحولاً أنني رجل
فزدت عليه فلم أدع لغيري فيه زيادة وقلت من قصيدة:

لولا مخاطبتي إياك لم ترني
يكفيني الوجود ولا عيان
لكنك خفيت عني لا أراني
قال: واختفائي عني أبدع من اختفائي من غيري وأبلغ في المعنى. وله إلى بعض جلة الكتاب يستهذه عمامة:
أريد عمامة حسناء عنها
فوجهها وقد نبلت
معافى نشرها من كل عاب
أدق من الذكاء إذا اجتلتها
وأضوى لحمة وسدى ولوناً
لو الغرقى قاربها لأربت
لبم أو لنيسابور تعزى
كعرضك إنه عرض نقي
تتوجني بهاء منه أكسى
إذا ما مست فيها معجباً لا
يقول المبصروها أي تاج
وتعلم أن قول العرب حق
عمائنا لنا تيجان فخر

قرأت في كتاب مذاكرة النديم من تصنيف محمد بن أحمد المغربي هذا: قلت أصف رغيماً أمرني بوصفه الصاحب الجليل أبو القاسم إسماعيل بن عباد وأنا معه على مائدته، واقتراح أن يكون وصفي له ارتجالاً فقلت:

ورغيف كأنه الترس يحكى
خفت أن يكتسي نهار مآقي
جمعته أناملي ثم خلعت
لم تقع منه قطعة لا ولا با
ناعم لين كمبسم من قا
لست أنسى به تنعم ضرسي
كان أحظى إذ ذاك عندي من الوف
يعلم الله أنني لست أنسا
حمرة الشمس بالغدو احمراره
ى به الليل مذ تبدى نهاره
ه فسيان طيه وانتشاره
ن للحظ شقيقه وانكساره
م بعزري عند البرايا عذارة
إذ لجزعي وهج توقد ناره
ر إذا قر في محلى قراره
ه وإن شط عن مزارى مزاره

فاستحسن الأبيات وتعجب من سرعة خاطري بها ثم قال لي مداعباً نفاسة أخلاق فيه: خذ صلة لك، فأخذته وتركته على رأسي إلى أن قمنا عن المائدة، ثم خرجت ماراً إلى منزلي وكنت أنزل بعيداً من منزله، فعرف خروجي على تلك الحال فقال: ردوه، فرجعت فقال لي: عزمت أن تشق الأسواق والشوارع وهذا على رأسك؟ فقلت: نعم لأسأل فأقول: هذا صلة مولانا وأذكر الأبيات، فضحك ثم قال: بعناه. فقلت: قد بعته من مولانا بخمسمائة دينار فقال: أنقضنا واجعلها دراهم، فقلت: قد فعلت، فأمرني لي بخمسمائة درهم وخلعة من ثياب جسده. وقال في هذا الكتاب: ولي في وصف مضيرة وصفتها وأنا على مائدة أبي عبد الله بن جيهان وزير صاحب خراسان:

نعم الغذاء إذا ما أينع العشب
مضيرة كاللجين، السبك يحكمها
تخالها أرض بلور وما حملت
أبرنجها أكر سود ملبسة
ولحمها حلل للزهر قد جعلت
ورافت العين أبراد له قشب
معقودة مصطفى للطبخ منتخت
من الدسومة نقشاً حشوة ذهب
قباطياً عن قريب سوف تستكب؟
من أبيض الثلج فيما بينها حجب

من الرطوبة في حال هي العطب
لا بل إليها المسك ينتسب
جرم أتنه وبالأحاط تنتهب
ونال من دهره أضعاف ما يجب

توافق الشيخ والكهل اللذين هما
وللأبازير نفع من دواخلها كالمسك
يا حسنهما وهي بالأيدي تغار بلا
من حالفته فقد جلت مواهبه

محمد بن أحمد الوشاء

ن إسحاق بن يحيى الوشاء أبو الطيب النحوي من أهل الأدب حسن التصنيف مليح التأليف أخباري. قال أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في تاريخه: مات أبو الطيب الوشاء سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، وله ابن يعرف بابن الوشاء. حدث الوشاء عن أحمد بن عبيد بن ناصح والحارث بن أسامة وثلعب والمبرد قال الخطيب: روت عنه منية جارية خلافة أم ولد المعتمد. قال ابن النديم: وكان نحويًا معلمًا لمكتب العامة وكان يعرف بالأعرابي، وله من الكتب: كتاب مختصر في النحو، كتاب الجامع في النحو، كتاب في المقصور والممدود، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب الفرق، كتاب خلق الإنسان، كتاب خلق الفرس، كتاب المثلث، كتاب أخبار صاحب الزنج، كتاب الزاهر في الأنوار والزهر، كتاب السلوان، كتاب المذهب، كتاب الموشح، كتاب سلسلة الذهب، كتاب أخبار المتطرفات، كتاب الحنين إلى الأوطان، كتاب حدود الطرف الكبير، كتاب الموشى. نقلت من خط أبي عمرو محمد بن أحمد النوقاتي أنشدني الشافعي أحمد بن محمد، أنشدني بن محمد بن حفص، أنشدني أبو الطيب الوشاء لنفسه:

أرضى من الدهر بما يقدر
مثلي عن مثلك لا يصبر

لا صبر لي عنك سوى أنني
من كان ذا صبر فلا صبر لي

ومن خطه وإسناده للوشاء:

لا تحسبني خلي البال من سهد
حاشاك من طول ما ألقى من الكمد
أوهى فؤادي وأوهى عقدة الجلد
بين الضلوع كصبر الأم عن ولد

يا من يقوم مقام الروح في الجسد
حاشاك من أرقى حاشاك من قلقي
حزني عليك جديد لا نفاذ له
والصبر عنك قليل مضرم قلقاً

محمد بن أحمد لأصبغ

بن الحسين بن الأصبغ بن الحرون ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: هو عالم فاضل حسن التصنيف مليح التأليف كثير الأدب واسع الرواية من أهل بغداد ومن أولاد الكتاب، وله من الكتب: كتاب المطابق والمجانس، كتاب الحقائق كبير، كتاب الشعر والشعراء، كتاب الأداب، كتاب الرياض، كتاب الكتاب، كتاب المحاسن، كتاب مجالسة الرؤساء.

محمد بن أحمد بن مروان بن سبره

أبو مسهر النحوي، ذكره محمد بن إسحاق النديم ثم قال: وله من الكتب: كتاب الجامع في النحو، كتاب المختصر، كتاب أخبار أبي عيينة محمد بن أبي عيينة.

محمد بن أحمد المزني أبو الحسن

وزير نوح بن منصور الساماني، أحد أصحاب البلاغة والرسائل، شاع ذكرها في الآفاق، وتناجت بحسنها الرفاق.

محمد بن أحمد بن عبد الحميد الكاتب

ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: هو من أهل السير، وله من الكتب: كتاب أخبار خلفاء بني العباس كبير

محمد بن أحمد الحكيمي

بن إبراهيم بن قريش الحكيمي أبو عبد الله، روي عن يموت بن المزرع، ومحمد بن إسحاق الصاغانى، وأحمد بن عبيد بن ناصح، والهارث بن أبي أسامة، روي عن أبو عبد الله المرزباني وغيره، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: له من الكتب: كتاب خلية الأدباء تشتمل على أخبار ومحاسن وأشعار، كتاب سبط الجواهر، كتاب الشباب، كتاب الفكاهة والدعابة. حدث أبو علي قال: حدثني ابن أبي قيراط قال: أقر أني أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي كتاباً بخط علي بن عيسى الوزير وأخبرني أنه كتبه إليه في وزارته الأخيرة وهو يتقلد له طساسيج طريق خراسان يحثه فيه على حمل المال وضمنه: قد كنت - أكرمك الله - بعيداً من التقصير، غنياً عن التنبيه والتبصير، راغباً فيما خصك بالجمال، وقدمك على نظرائك من العمال، واتصلت بك ثقتي، وانصرفت إليك عنايتي، ورددت الجميل من العمل إليك، واعتمدت في المهم عليك، ثم وضح لي من أثرك، وصح عندي من خبرك، ما اقتضى استزادتك، وردفه ما استدعى استبطائك ولأثمتك، وأنت تعرف صورة الحال، وتطلعي مع شدة الضرورة إلى ورود المال، وكان يجب أن تبعثك العناية، على الجد في الجبابة، حتى تدر حمولك وتتوفر ويتصل ما يتوقع وروده من جهتك ولا تتأخر، فنشدتك لما تجنبت مذاهب الإغفال والإهمال، وقرنت الجواب عن كتابي هذا بمال، تثيره من سائر جهاته وتحصله، وتبادر به وتحمله، فإن العين إليه ممدودة، والساعات لوروده معدودة، والعذر في تأخيره ضيق، وأنا عليك من سوء العاقبة مشفق، والسلام.

محمد بن أحمد بن إبراهيم

بن كيسان أبو الحسن النحوي، وكيسان لقب واسمه إبراهيم، مات فيما ذكره الخطيب لثمان خلون من ذي القعدة سنة تسع وتسعين ومائتين في خلافة المقتدر. قال أبو بكر الزبيدي: وليس هذا بالقديم الذي له في العروض والمعنى كتاب. وقال الخطيب بن برهان: كيسان - ليس باسم جده إنما هو لقب أبيه - وكان يحفظ المذهب الكوفي والبصري في النحو لأنه أخذ عن المبرد وثعلب، وكان أبو بكر بن مجاهد يقول: أبو الحسن ابن كيسان أنحى من الشيخين يعني المبرد وثعلباً. قال المؤلف: وكان كما قال: يعرف المذهبين إلا أنه كان إلى البصريين أميل.

وحدث أبو الطيب اللغوي في كتاب مراتب النحويين قال: كان ابن كيسان يسأل المبرد عن مسائل فيجيبه فيعارضها بقول الكوفيين فيقول في هذا: على من يقوله كذا ويلزمه كذا، فإذا رضي قال له: قد بقي عليك شيء لم لا تقول كذا؟ فقال له يوماً وقد لزم قولاً للكوفيين ولج فيه: أنت كما قال جرير:

أسليك عن زيد لتسلى وقد أرى	بعينيك من زيد فذى غير بارح
إذا ذكرت زيدا ترقرق دمعها	بمذروفة العينين شوساء طامح
تبكي على زيد ولم تر مثله	براء من الحمى صحيح الجوانح
فإن تقصدي فالقصد منك سجية	وإن تجمحي تلقى لجام الجوامح

وحدث أبو بكر محمد بن مبرمان قال: قصدت بن كيسان لأقرأ عليه كتاب سيبويه فامتنع وقال: أذهب به إلى أهله يعني الزجاج وابن السراج، وكان أبو بكر بن الأنباري يتعصب عليه ويقول: خلط المذهبين فلم يضبط منهما شيئاً، وكان يفضل الزجاج عليه جداً. وله من الكتب: كتاب المهذب في النحو، كتاب غلط أدب الكاتب، كتاب اللامات، كتاب الحقائق، كتاب البرهان، كتاب مصابيح الكتاب، كتاب الهجاء والخط، كتاب غريب الحديث نحو أربعمائة ورقة، كتاب الوقف والابتداء، كتاب القراءات، كتاب التصاريف، كتاب الشاذاني في النحو، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب المقصور والممدود، كتاب معاني القرآن، كتاب مختصر في النحو، كتاب المسائل على مذهب النحويين ما اختلف فيه الكوفيين والبصريون، كتاب الفاعل والمفعول به كتاب المختار في علل النحو ثلاث مجلدات أو أكثر قرأت بخط إبراهيم بن محمد بن بندار، قرأت بخط أبي جعفر السعال في آخر العروض: - إلى ههنا أُملي على بن كيسان وأنا كنت أستمليه، وفرغنا من العروض لخمس بقين من شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين -.

وقال أبو حيان التوحيدي: وما رأيت مجلساً أكثر فائدة وأجمع لأصناف العلوم وخاصة ما يتعلق بالتحف والطرف والنتف من مجلس ابن كيسان، فإنه كان يبدأ بأخذ القرآن والقراءات، ثم بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا قرئ خبر غريب أو لفظة شاذة أبان عنها وتكلم عليها وسأل أصحابه عن معناها، وكان يقرأ عليه مجالسات ثعلب في طرفي النهار، وقد اجتمع على باب مسجده نحو مائة رأس من الدواب للرؤساء والكتاب والأشراف والأعيان الذين قصدوه، وكان مع ذلك إقباله على صاحب المرقعة الممزقة والعباء الخلق والطمر البالي كإقباله على صاحب القصب والوشي والديباج والذابة والمركب والحاشية والغاشية. ويوماً من الأيام جرى في مجلسه ما امتعض منه وأنكره وقضى منه عجباً، وأنشد في تلك الحالة من غرر الشعر والمقطعات الحسنة وغيرها ما ملاء السمع وحير الألباب حتى قال الصابى: هذا الرجل من الجن إلا أنه في شكل إنسان. ومن جملة ما أنشد في تلك الحال:

أبقى لنا ذنباً واستوصل الراس
لا ينقصان ولكن ينقص الناس
بالحاملين فهم أثواء أرماس
حمقى وأن لناس أكباس

مالي أرى الدهر لا تقني عجائبه؟
إن الجديدين في طول اختلافهما
أبقى كل محمول وفجعنا
يرون أن كرام الناس إن بذلوا
وتمثل أيضا ببيني أبي تمام:

سفكوا الدما بأسنة الأقالم
أَمْضَى وَأَنْفَذَ مِنْ رَقِيقِ حَسَامٍ

قوم إذا خافوا عداوة حاسد
ولضربة من كاتب بمداة

قال المؤلف: هكذا حكى أبو حيان، ولا أرى أبا حيان أدرك ابن كيسان، هذا إن صحت وفاته التي ذكرها الخطيب، ولا يكون الصابي أيضاً أدركه، لأن مولد الصابي في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، والذي ذكره الخطيب لاشك سهو، فإني وجدت في تاريخ أبي غالب همام ابن الفضل بن المذهب المغربي أن كيسان مات في سنة عشرين وثلاثمائة.

محمد بن أحمد بن منصور

أبو بكر بن الخياط النحوي، أصله من سمرقند وقدم بغداد، ومات فيما ذكره أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني في سنة عشرين وثلاثمائة قال: وكان قد انحدر مع البريد لما غلبوا على البصرة وبها مات، وجرت بينه وبين الزجاج ببغداد مناظرة وكان يخلط المذهبين، وقد قرأ عليه أبو علي الفارسي وكتب عنه شيئاً من علم العربية، رأيت ذلك بخط أبي علي. وله مع أصحاب الخياط قصة قد ذكرت في أخبار أبي علي، وأخذ عنه أبو القاسم الزجاجي أيضاً، وكان ابن الخياط جميل الأخلاق طيب العشرة محبوب الخلقة. وله من الكتب: كتاب معاني القرآن، كتاب النحو الكبير، كتاب الموجز في النحو، كتاب المقنع في النحو.

وقال أبو علي الفارسي في ضمن رقعة كتبها إلى سيف الدولة جواباً عن رقعة وردت منه ذكرتها في أخبار أبي علي: وأما قوله: إني قلت إن ابن الخياط كان لا يعرف شيئاً فغلط في الحكاية كيف أستجيز ذلك؟ وقد كلمت ابن الخياط في مجالس كثيرة، ولكني قلت: إنه لا لقاء له لأنه دخل إلى بغداد بعد موت محمود بن يزيد وصادف أحمد ابن يحيى وقد صم صمماً شديداً لا يخرق الكلام سمعه فلم يمكن تعلم النحو منه، وإنما كان يقوله فيما كان يؤخذ عنه ما يمليه دون ما كان يقرأ عليه، وهذا أمر لا ينكره أهل هذا الشأن ومن يعرفهم.

محمد بن أحمد بن علي

بن إبراهيم بن زيد ابن حاتم بن المهلب بن أبي صفرة، المهلب النحوي أبو يعقوب، مات بمصر سنة تسع وأربعين وثلاثمائة في خلافة المطيع، وكان عالماً نحوياً لغوياً، ذكره الزبيدي. قال المؤلف: وعساه أن يكون أبا الحسين علي بن أحمد المهلب والله أعلم.

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد

ابن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عبد المطلب بن هاشم، شاعر مفلح، وعالم محقق، شائع الشعر نبيه الذكر. مولده بأصبهان، وبها مات في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وله عقب كثير بأصبهان، فيهم علماء وأدباء ونقباء ومشاهير، وكان مذكوراً بالذكاء والفتنة وصفاء القريحة وصحة الذهن وجودة المقاصد، معروف بذلك مشهور به. وهو مصنف كتاب عيار الشعر، كتاب تهذيب الطبع، كتاب العروض لم يسبق إلى مثله، كتاب في المدخل في معرفة المعنى من الشعر، كتاب في تقريظ الدفاتر. ذكر أبو عبد الله حمزة بن الحسن الأصبهاني قال: سمعت جماعة من رواة الأشعار ببغداد يتحدثون عن عبد الله بن المعتز أنه كان لهجاً بذكر أبي الحسن مقدماً له على سائر أهله ويقول: ما أشبهه في أوصافه إلا محمد بن يزيد مسلمة بن عبد الملك، إلا أن أبا الحسن أكثر شعراً من المسلمي وليس في ولد الحسن من يشبهه، بل يقاربه علي بن محمد الأفواه.

قال: وحدثني أبو عبد الله بن أبي عامر قال: كان أبو الحسن طوال أيامه مشتاقاً إلى عبد الله بن المعتز متمنياً أن يلقاه أو يرى شعره، فأما لقائه فلم ينفق له لأنه لم يفارق أصبهان قط، وأما ظفره بشعره فإنه اتفق له في آخر أيامه. وله في ذلك قصة عجيبة: وذلك أنه دخل إلى دار معمر وقد حملت إليه من بغداد نسخة من شعر عبد الله بن المعتز، فاستعارها فسوف بها فتمكن عندهم

من النظر فيها، وخرج عدل إلى كالا معيماً كأنه ناهض بجمل ثقيل، فطلب محبرة وكاغداً وأخذ يكتب عن ظهر قلبه مقطعات من الشعر فسألته لمن هي؟ فلم يجبني حتى فرغ من نسخها وملأ منها خمس ورقات من نصف المأموني، وأحصيت الأبياتبلغ عددها مائة وسبعة وثمانين بيتاً تحفظها من شعر ابن المعتز في ذلك المجلس واختارها من بين سائرهما. وذكر عنه حكايات، منها ما حدثني به أبو عبد الله بن أبي عامر قال: من توسع أبي الحسن فيأتي القول وقهره لأبيه، أن عبد الله فتى أبي الحسين بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل كانت به لكنه شديدة حتى كان لا يجري على لسانه حرفان من حروف المعجم، الراء والكاف، يكون مكان الراء غيناً ومكان الكاف همزة، فكان إذا أراد أن يقول كركي يقول: أغ إي، وإذا أراد أن يقول كركرة يقول: أغ أغة، وينشد للأعشى: قالت إغى غجلاً في أفه أتف. يريد: قالت أرى رجلاً في كفه كتف. فعمل أبو الحسن قصيدة في مدح الحسين حذف منها حرفي لكنة الحسين ولقنه حتى رواها لأبيه أبي الحسين فجن عليها. وقال أبو الحسن: والله أنا أقدر على أبي الكلام من واصل بن عطاء، والقصيدة:

يا سيداً دانته له السادات	وتتابع في فعله الحسنات
وتواصلت نعمائه عندي فلي	منه هبات خلفهن هبات
نعم ثنت عني الزمان وخطبه	من بعد ما هيبته له غدوات
فأدلت من زمن منيت بغشمه	أيام للأيام بي سطوات
فلميت آمالي لديه حياته	ولحاسدي نعمى يديه ممات
أوليتني مننا تجلى وتعتلي	عن أن يحيط بوصفهن صفات
فإذا نثنت بمنطق من مادح	فالمدمح مني والثناء صمات
عجنا عن المدح التي استحققتها	والله يعلم ما تعي النيات
يا ماجداً فعل المحامد دينه	وسماحه صوم له وصلاة
فبيببت يشفع راجياً بتطوع	منه وقد غشى العيون سبات
فالجود مثل قيامه وسجوده	إن قيس والتسبيح منه عادات
مازال يلقي جائداً أو واعداً	وعدا تضايق دونه الأوقات
ليمينه بالنجح عند عفاته	في ليل ظنهم البهيم ثبات
ذو همة علوية توفي على ال	جوزاء تسقط دونها الهمات
تنأى عن الأوهام إلا أنها	تدنو إذا نيظت بها الحاجات
وعزيمة مثل الحسام مصونة	عن أن يفل به الزمان شبة
فإذا دهى خطب مهم أيد	خلي العداة وجمعهم أشتات
لأبي الحسين سماحة لو أنها	للغيث لم تجذب عليه فلاة
وله مساع في العلا عدد الحصى	في طيئ منن جلها مسعاة
كحيا السحاب على البقاع سماته	وله على عاقي نداه سمات
يحيى بنائله نفوساً مثل ما	يحيا بجود الهاطلات نبان
شاد العلاء أبو الحسين وحازه	عن سادة هم شائدون بناء
سباق غايات تقطع دونها	سباقها إن مدت الحلبات
فإذا سعوا نحو العلا وسعى لها	متمهلاً حيزت له القصبات
مستوفز عند السماح وإن تقس	أحداً به في الحلم قلت حصاة
طود يلوذ به الزمان وعنده	لجميع أحداث الزمان أداة
بيمينه قلم إذا ماهزه	في أوجه الأيام قلت قناة
في سنة باس السنان وهيبة الس	يف الحسام وقد حوته دواة
سحبان عيا وهو عيا باقل	عجل إلى النجوى وفيه أناة
وسنان إلا أنه متنبه	يقظان منه الزهو والإخبات
لم يخط في ظلمات ليل مداده	إلا انجلت عنا به الظلمات

وأبو علي أحمد بن محمد
فتقاعست دوني عوائد فضله
فاقتله عن طول العقوق وهزه
والله ما شأني المديح وبذله
إلا مجازاة لمن أضحت له
والمسمعي له لدي صنائع
فإخالها عهد الشباب وحسنه
خذها الغداة أبا الحسين قصيدة
غيبين عنها ختلة أخواتها
ولو أنهن شهدن لازدوجت
فاسعد أبا عبد الإله بها إذا
نقصت فتمت في السماع وألغيت
صفيتها مثل المدام له فما
معشوقة تسبي العقول بحسنها
علوية حسنية مزهوه
ميزانها عند الخليل معدل
لو واصل بن عطاء الباني لها
لولا اجتنابي أن يمل سماعها

وقال أيضاً في الفخر:

حسود مريض القلب يخفى أنينه
يلوم على أن رحت في العلم راغباً
وأملك أبكار الكلام وعونه
ويزعم أن العلم لا يجلب الغنى
فيا لائمي دعني أعالي بقيمتي
إذا عد أغني الناس لم أك دونه
إذا ما رأى الراؤون نطقي وعيه
وما ثم ريب في حياتي وموته
أبي الله لي من صنعه أن يكونني

قد نمقت عني لديه هنات
وسعت سعاة بيننا وعداء
فله لدي فعل العلا هزات
لمؤمل ليمينه نفحات
عندي يد أغذي بها وأفات
أيامهن لطيفها ساعات
إذ طار لي في ظله اللذات
ضيمت بها الرءاء والكافات
عند النشيد فما لها أخوات
لها الغينات والألفات
شقيت بلثغة منشد أبيات
منها التي هي بينها آفات
فيها لدي حسن السماع قذاة
ياقوتة في اللين وهي صفاة
تزهي بحسن نشيدها اللهوات
متفاعلن متفاعلن فعلات
تليت توهم أنها آيات
لأطلتها ما خطت التاءات

ويضحى كئيب البال عندي حزينه
أجمع من عند الرواة فنونه
وأحفظ مما أستفيد عيونه
ويحسن الجهل الذميمة ظنونه
فقيمة كل الناس ما يحسنونه
وكنت أرى الفجر المسود دونه
رأوا حركاتي قد هتكن سكونه
فأعجب بميت كيف لا يدفنونه؟
إذا ما ذكرنا فخرنا وأكونه

وجدت في كتاب شعراء أصبهان لحمزة الأصبهاني قال: وجدت بخط أبي الحسن - رحمه الله - يعني ابن طباطبائي، أن أبا علي يحيى بن علي بن المهلب وصف له دعوة لأبي الحسن أحمد بن محمد بن إبراهيم الكراري، ذكر أنهم قربوا فيها مائدة عليها خيار وفي وسطها جامات عليا - فطر نخشب - فسميتها مسيحية لأنها أدم النصراني، وأنهم قربوا بعد ذلك سكباجة بعظام عارية فسميتها شطرنجية، وأنهم قربوا بعدها مضيرة في غضائر بيض فسميتها معتدة وكانت بلا دسم، والمعتدة لا تمس الدهن والطيب، وأنهم قدموا بعدها زيرباجة قليلة الزعفران فسميتها عابدة تشبيهاً بلون العباد في الصفرة، وأنهم قربوا بعدها لونا فسميتها قنبية وأنهم قربوا بعدها زيبية سوداء فسميتها موكبية، وأنهم قربوا بعدها قليلة الأعطام الأضلاع فسميتها حسكية، ثم قربوا بعدها فالودجة بيضاء فسميتها صابونية، وأنه اعتل على الجماعة بأنه عليل فحولهم من منزله إلى باغ قد طبق بالكراث فهياً المجلس هناك، وأحضرهم جرة منثلثة وكانوا يمزجون شرابهم منها، فإذا أرادوا الغائط نقلوها معهم، فكانت مرة في المجلس ومرة في المخرج وأن الباغبان ربط بحذائهم عجله كانت تخور عليهم خواراً مناسباً لقول القائل يا فاطمة، فقلت في ذلك:

كأنها من سفر قادمه
أضحت على أسلافها نادمه

يا دعوة مغبرة قاتمة
قد قدموا فيها مسيحية

نعم وشطرنجية لم تزل
فلم نزل في لعبها ساعة
وبعدها معتدة أختها
في حجرها أطراف مؤودة
والقنبيات فلا تنسها
أقنب ما امتد في إصبعي
والموكبيات بسلطانها
والحسكيات فلا تنس في
وجام صابونية بعدها
ظل الكراريسي مستعبراً
وقال إن ابني عليل ولي
ولولت داياته حوله

والقصيدة طويلة باردة تشبت في كتابتها فكتبت منها هذا. وله:

لا تنكرن إهداءنا لك منطقاً
فالله عز وجل يشكر فعل من

وقال: وقد صادف على باب ابن رستم عثمانيين أسودين معتمين بعمامتين حمراوين فامتحنهما فوجدهما من الأدب خاليين،
فدخل إلى مجلس أبي علي وتناول الدواة والكاغد من بين يديه وكتب بديهية:

رأيت باب الدار أسودين
كجمرتين فوق فحمتين
جدكما عثمان ذو النورين
يا قبح شين صادر عن زين
ما أنتما إلا غرابا بين
زورا ذوي السنة في المصرين
وخليا الشيعة للسبطين
لا تبرما إبرام رب الدين

قال: وقال لابن أبي عمر بن عصام وكان ينتف لحيته:

يا من يزيل خلقه الر
تب وخف الله على
هل لك عذر عنده
في لحية إن سئلت

وقال:

ما أنس لا أنس حتى الحشر مائدة
إذا أقبل الجدي مكشوفاً ترائبه
قد مد كلنا يديه لي فذكرني
كأنه عاشق قد مد بسطته
وقد تردى بأطمار الرقاق لنا

وله:

لنا صديق نفسنا
أبرد من سكونه

أيد وأيد حولها حائمه
ثم نفضناها على قائمه
عابدة قائمة صائمه
قد قتلتها أمها ظالمه
فحيرتي في وصفها دائمه
أم حية في وسطها نائمه
قد تركت أناقنا راغمه
خندقها أوتادها القائمه
فافخر بها إذ كانت الخاتمه
من عصبه في داره طاعمه
قيانه من أجله قائمه
وليس إلا عبرة ساجمه

منك استقدنا حسنه ونظامه
يتلو عليه وحيه وكلامه

ذي عمامتين حمراوين
قد غادرا الرفض قريري عين
فما له أنسل ظلمتين؟
حدائد تطبع منلجين
طيرا فقد وقعتما للحين
المظهرين الحب للشيخين
الحسن المرضي والحسين
ستعطيان في مدى عامين

حمن عما خلقت
ما ... اجترحت
إذا الوحوش حشرت؟
بأي ذنب قتلت؟

ظلنا لديك بها في أشغل الشغل
كأنه متمط دائم الكسل
بيتاً بمثله من أحسن المثل
يوم الفراق إلى توديع مرتحل
مثل الفقير إذا ما راح في سمل

في مقتنه منهمكه
وسط الندى الحركه

يحكيه جلد السمكه	وجدري وجهه
أو قطعة من شبكه	أو جلد أفعى سلخت
أبصرتها مشتيكه	أو حلق الدرع إذا
ما الريح أبدت حبكه	أو كدر الماء إذا
أو كرش منفركه	أو سفن محبب
رقيقة منهتكه	أو منجل أو عرض
من وسخ قد دلكه	أو حجر الحمام كم
أفرخ فيه تركه	أو كور زنبور إذا
قد نقرتها الديكه	أو سلحه يابسة

ومن محاسن ابن طباطبا في أبي علي الرستمي يهجو بالذعوة والبرص:

له آيا بها علوت الرؤوسا	أنت أعطيت من دلائل رسل ال
ك بياض فأنت عيسى وموسى	جئت فرداً بلا أب وبيمنا

محمد بن أحمد بن نصر الجيهاني

أبو عبد الله، قال السلمي في تاريخ خراسان: وفي سنة إحدى وثلاثمائة في جمادى الآخرة، ولي أبو الحسن نصر ابن أحمد بن إسماعيل وهو ابن ثمان سنين، وتولي التدابير أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني فأجرى الأسباب على وجوها، وكان حسن النظر لمن أمله وقصده، معيناً لمن أمه واعتمده، وكان مبتلي بالمذهب فلم يكن يصافح أحداً إلا دون ثوب أو كاغد، ومراً يوماً بنخاس يعالج دابة فتأفف وأبرز يده من كمه وعلقها إلى أن نزل وصب عليها قماقم من الماء تقذراً مما فعله النخاس كأنه هو الذي تولى ذلك، ولم يكن يأذن في إمساك السنابير في دوره، فكان الفأر يتعابث فيها، وفيه يقول أبو الطيب الطاهري:

رأيت الوزير على بابيه	من المذهب الشائع المنتشر
يرى الفأر أنظف شيء يدب	ب على ثوبه ويعاف البشر
يبيت حفيهاً بها معجباً	ويضحى عليها شديد الحذر
وإن سغبت فهو في جحرها	يفت لها يابسات الكسر
فلم صار يستقذر المسلمين	ويألف ما هو عين القذر؟

وله أيضاً فيه:

ما فيك من خس نثني عليك به	إلا التصنع بالوسواس للناس
ليوهموا شغفاً بالطهر منك فلا	تعد فيمن يؤدي جزية الراس
يا لهف نفسي على دنيا حظيت بها	عفواً بلا طول إبساس وإيناس

وله أيضاً فيه:

قل للوزير الذي عجائبه	يضرب في سوقنا بها المثل
أنت إذا كمن طول دهرك بال	مخرج عما سواه تشتغل
فأين ألقاك للحوائج أو	في أي حين يهملك العمل؟

قال: وكان هجيرى الجيهاني يقول في أضعاف كلامه بدواندرون، وأن هجيرى علي بن محمد العارض يقول هزين، وفيهما يقول الطاهري:

وزيران أما بالمقدم منهما	فخبل وبالثاني يقال جنون
إذا نحن كلمناهما فجوابنا	بدواندرون دائم وهزين
متى تلق ذا أو تلق ذلك لحادث	تلاقي مهيناً لا يكاد يبين

ومعنى بدواندرون اعد على داخل ومعنى هزين الفرار. وللطاهري فيهم:

إن الأمور إذا أضحت يديرها	طفل رضيع وسكران ومجنون
---------------------------	------------------------

محمد بن أحمد أبو الندى الغندجاني اللغوي

رجل واسع العلم راجح المعرفة باللغة وأخبار العرب وأشعارها، وما عرفت له شيخاً ينسب إليه ولا تلميذاً يعول عليه غير الحسن بن أحمد الأعرابي المعروف بالأسود صاحب التصانيف المشهورة التي تصدى فيها للأخذ على أعيان العلماء فإن روايته في كتبه كلها عن أبي الندى هذا، وأنا أرى أن هذا الرجل خرج إلى البادية واقتبس علومه من العرب الذين يسكنون الخيم وقد وقع لي شيء من خبره في ذلك أنا أورده ههنا ليستدل به على ما ذهبت إليه كما استدلت أنا به: وجدت بخط صديقنا كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد ابن هبة الله بن أبي جرادة الحلبي الفقيه المدرس الكاتب الأديب ما أسنده إلى ليث الطويل قال: سألت أبا الندى وكان من أعلم من شاهدت بأخبار العرب، هل تعرف من شعر الذلفاء بنت الأبييض في ابن عمها نجدة بن الأسود؟ قال نعم، كنت فيمن حضر جنازة نجدة حتى وضعناه في قبره وأهلنا عليه التراب وصدرنا عنه غير بعيد، فأقبلت نسوه يتهادين فيهن امرأة قد فاقتهن طولاً كالغصن الرطب وإذا هي الذلفاء فأقبلت حتى أكبت على القبر وبكت بكاء محرقة، وأظهرت من وجدها ما خفن معه على نفسها، فقلن لها: يا ذلفاء، إنه قد مات السادات من قومك قبل نجدة، فهل رأيت نساء هم قتلن أنفسهن عليهم؟ فلم يزلن بها حتى قامت فانصرفت عن القبر، فلما صارت منه غير بعيد عطفت بوجهها عليه وقالت:

سئمت حياتي حين فارقت قبره ورحت وماء العين ينهل هامله

وقالت نساء الحي قد مات قبله شريف فلم تهلك عليه حلاله

صدقن لقد مات الرجال ولم يمت كنجدة من إخوانه من يعادله

فتى لم يضق عن جسمه لحد قبره وقد وسع الأرض الفضاء فضائله

قال: فقلت أحسنت والله يا أبا الندى وأحسنت، فهل تعرف من شعرها شيئاً آخر؟ قال نعم، كنت ممن حضر قبر نجدة عند زيارتها إياه لتمام الحول فرأيتها قد أقبلت حتى أكبت على القبر وبكت بكاء شديداً ثم أنشأت تقول:

يا قبر نجدة لم أهجرك مقلية ولا جفوتك من صبري ولا جلدي

لكن بكيتك حتى لم أجد مدداً من الدموع ولا عوناً من الكمد

وأيستي جفوني من مدامعها فقلت للعين فيضي من دم الكبد

فلم أزل بدمي أبكيك جاهدة حتى بقيت بلا عين ولا جسد

والله يعلم لولا الله ما رضيت نفسي سوى قتل لها بيدي

قال: فقلت: أحسنت والله يا أبا الندى وأحسنت، فهل تعرف من شعرها شيئاً آخر؟ قال نعم، حضرنا عيداً لنا في زمن الربيع ونحن في رياض خضرة معشبة فركب الفتيان وعقدوا العذب الصفرة في القنا الحمر، وجعلوا يتجاولون فلما أردنا الانصراف قال بعضنا لبعض: ألا تجعلون طريقكم على الذلفاء! ولعلها إذا نظرت إليكم تسلت بمن بقي عنك هلك. قال: فخرجنا نؤمها فأصبنها بارزة من خباثتها وهي كالشمس الطالعة، إلا أنه يعلوها كسوف الحزن فسلمنا عليها وقلنا: يا ذلفاء إلى كم يكون هذا الوجد على نجدة؟ أما أن لك أن تتسلي بمن بقي من بني عمك عنك هلك، هانحن سادات قومك وفتيانهم ونجومهم، وفينا السادة والذادة، والبأس والنجدة. فأطرقت ملياً ثم رفعت رأسها باكياً تقول:

صدقتم إنكم لنجوم قومي ليوث عند مختلف العوالي

ولكن كان نجدة بدر قومي وكهفهم المنيف على الجبال

فما حسن السماء بلا نجوم وما حسن النجوم بلا هلال!

ثم دخلت خبائها وأرسلت سترها فكان آخر العهد بها. وقرأت بخط أبي سعد في المذيل: أنشدنا شافع بن علي الحمامي، أنشدنا إسماعيل عبد الغافر الفارسي، أنشدني أبو حرب رزماشوب بن زياد الجيلي بشيراز، أنشدنا أبو محمد الحسن بن علي الغندجاني الأديب، أنشدنا أبو محمد الأسود الغندجاني الأديب، أنشدنا أبو الندى قال: سمعت أعرابياً بالبصرة يقال له الوليد بن عاصم ينشد لنفسه:

وما مغزل بالغور غور تهامة بأودية صابت عليها عهودها

ترود الضحى أفنان ضال وتتقي ويخرج من بين الأراكة جيدها

بأحسن من سلمى ولا ضوء درة تسمى إليها غائض يستجدها

قرأت في كتاب اللقائط لأبي يعلى بن الهبارية وقد ذكر أبا محمد الأعرابي ووضع منه وانتصر للنمري الذي شرح الحماسة وغيره، واستدل على صحة رواياتهم وإتقان علمهم ومقالاتهم ثم قال: فكيف نترك أمثال هذه الروايات لرواية مثل أبي الندى؟ ولم يذكر لي من لقيناه من شيوخ بلاد فارس من فضل أبي الندى إلا أنه غاب عن أهله مدة وأقام في البادية سنين عدة، وعاد يروي ويخبر، وكان له ابن فأخذ يطلّيه بالزيت وبقفه في شمس القيط بالغندجان وهي حارة جداً ولم يزل يفعل به ذلك ليكون أسمر اللون كالعرب حتى مات ذلك المسكين

محمد بن أحمد الأزهرى طلحة بن نوح

ابن الأزهر بن نوح حاتم بن سعيد بن عبد الرحمن، الأزهرى أبو منصور اللغوي الأديب الشافعي المذهب الهروي، مات فيما ذكره أبو النصر عبد الرحمن بن عبد الجبار بن أبي سعيد الفامي في تاريخ هراة في سنة سبعين وثلاثمائة، ووافقه الحاكم أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الكتبي الهروي في كتاب الوفيات له وزاد في ربيع الآخر. قال الحاكم: ورأيت في كتاب تاريخ السنين تصنيف أبي يعقوب إبراهيم ابن محمد بن عبد الرحمن بن الفرات الهروي الحافظ وأصله عندي بخطه في عشرة أجزاء: أن مولد أبي منصور الأزهرى في سنة اثنتين ومائتين، أخذ الأزهرى عن أبي الفضل محمد ابن أبي جعفر المنذري عن ثعلب وغيره فأكثر. وعن أبي محمد المزني عن أبي الخليفة الجمحي، وعن أبي محمد عبد الله بن عبد الوهاب البغوي عن الربيع بن سليمان عن الشافعي، وعن عبد الله بن محمد بن هاجك، وأبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي. ورد بغداد وأدرك ابن دريد فلم يرو عنه قال: ودخلت داره ببغداد مرة فألفيته على كبر سن سكران لا يكاد يستمر لسانه على الكلام من سكره. وأخذ الأزهرى ببغداد عن أبي عبد الله إبراهيم بن عرفة نبطويه، وعن ابن السراج، وصنف: كتاب التهذيب في اللغة، كتاب معرفة الصبح، كتاب التقريب في التفسير، كتاب تفسير ألفاظ كتاب المزني، كتاب علل القراءات، كتاب في الروح وما جاء فيه من القرآن والسنة، كتاب تفسير أسماء الله عز وجل، كتاب معاني شواهد غريب الحديث، كتاب الرد على الليث، كتاب تفسير شواهد غريب الحديث، كتاب تفسير إصلاح المنطق، كتاب تفسير السبع الطوال، كتاب تفسير شعر أبي تمام، كتاب الأدوات. وذكر في مقدمة كتابه قال: وكنت امتحنت بالإسار سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبير، وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عرباً نشئوا بالبادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع، ويرجعون إلى إعداد المياه في محاضرهم زمن القيط وبرعون النعم ويعيشون بالبانها ويتكلمون بطباعهم البدوية وقرائهم التي اعتادوها، ولا يكاد يكون في منطقهم لحن أو خطأ فاحش، فبقيت في إسارهم دهرًا طويلاً، وكنا نتشتى الدهناء، ونتربع الصمان، وننقيط الستارين، واستقدت من مخاطبتهم ومحاوره بعضهم بعضاً ألفاظاً جمّة، ونوادير كثيرة أوقعت أكثرها من الكتاب، وستراها في مواضعها إذا أنت قرأتها علينا إن شاء الله تعالى، وذكر في تضاعيف كتابه أنه أقام بالصمان شتوتين، ورأى ببغداد أبا إسحاق الزجاج وأبا بكر بن الأنباري ولم يذكر أنه أخذ عنهم شيئاً.

قال المؤلف: كانت سنة الهبير هي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وذكر بعهم أنها كانت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، عارضهم أبو طاهر الجناني فقتل بعضهم واسترق بعضهم واستولى على جميع أموالهم، وذلك في أيام المقتدر بالله بن المعتضد.

محمد بن أحمد بن طالب الأخباري

قال الخطيب: مات بعد سنة سبعين وثلاثمائة ويكنى أبا الحسن، سكن الشام وحدث بطرابلس، أنشد أبو الحسن محمد بن أحمد البغدادي قال: أنشدني أبو علي الأعرابي لنفسه:

كنت دهرًا أعلل النفس بالوع
فمضى الواعدون ثم اقتطعنا
د وأخلوا مستأنساً بالأمانى
عن فضول المنى لصرف الزمان

محمد بن أحمد بن شنبود

بن أيوب بن الصلت بن شنبود أبو الحسن المقرئ، مات فيما ذكره الخطيب في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، قال الخطيب قد تخير لنفسه حروفاً من شواذ القراءات فقرأ بها، فصنف أبو بكر الأنباري وغيره كتباً في الرد عليه. قرأت بخط أبي علي بن إسحاق الصابي، قال القاضي أبو سعيد السيرافي - رحمه الله -: كان ابن شنبود واسمه محمد ابن أحمد بن أيوب كثير اللحن قليل العلم، وكان ديناً وفيه سلامة وحمق، ثم ذكر توبته كما ذكرنا بعد. حدث إسماعيل بن علي الخطيب في كتاب التاريخ قال: واشتهر ببغداد أمر رجل بعرف بابن شنبود يقرئ الناس ويقرأ في المحراب بحروف يخالف فيها المصحف فيما يروي عن عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب وغيرهما مما كان يقرأ به قبل

المصحف الذي جمعه عثمان، ويتتبع الشواذ فيقرأ بها ويجادل حتى عظم أمره وفحش وأنكره الناس، فوجه السلطان وقبض عليه في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وحمل إلى دار الوزير محمد بن مقلّة وأحضر القضاة والفقهاء والقراء وناظرة الوزير بحضرته، فأقام على ما ذكر عنه ونصره، واستنزله الوزير عن ذلك فأبى أن ينزل عنه أو يرجع عما يقرأ به من هذه الشواذ المنكرة التي تزيد على المصحف العثماني، فأنكر ذلك جميع من حضر المجلس وأشاروا بعقوبته ومعاملته بما يضطره إلى الرجوع، فأمر بتجريدته وإقامته بين الخبازين، وأمر بضربه بالدرة على قفاه فضرب نحو العشرة ضرباً شديداً فلم يصبر واستغاث وأذن بالرجوع والتوبة فخلى عنه وأعيدت عليه ثيابه واستتيب، وكتب عليه كتاب توبته وأخذ فيه خطه بالتوبة فنقول أصحابه أنه دعا على ابن مقلّة بقطع اليد فاستجيب له. قال المؤلف: وهذا من عجيب الاتفاق إن صح، وذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: كان ابن شنبوذ بناوئاً أباً بكر بن مجاهد ولا يعشره، وكان ديناً فيه سلامة وحمق. وقال لي الشيخ أبو محمد يوسف بن السيرافي: إنه كان كثير اللحن قليل العلم، وقد روى قراءات كثيرة، وله كتب مصنفة في ذلك، وكان مما خالف فيه قراءة الجمهور. قال القاضي أبو يوسف: وسئل عنه بحضرة الوزير أبي علي ابن مقلّة فاعترف به ولم ينكره: (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله). وقرأ: (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا). وقرأ كصوف المنفوش. وقرأ: (تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى). وقرأ: (فاليوم ننجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية). وقرأ: (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون). وقرأ: (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والآنثى). وقرأ: (وقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاماً). وقرأ: (إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض). إلى غير ذلك. وله من التصانيف: كتاب ما خالف فيه ابن كثير أبا عمرو، كتاب قراءة علي عليه الصلاة والسلام. كتاب اختلاف القراء، كتاب القراءات، كتاب انفراداته.

وقرأت في كتاب ألفه القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني سماه أفواج القراء قال: كان ابن شنبوذ أحد القراء والمتنسين، وكان يرجع إلى ورع ولكنه كان يميل إلى الشواذ ويقرأ بها، وربما أعلن ببعضها في بعض صلواته التي يجهر فيها بالقراءة، وسمع ذلك منه وأنكر عليه فلم ينته للإنكار فقام أبو بكر بن مجاهد فيه حق القيام، وأشهر أمره ورفع حديثه إلى الوزير في ذلك الوقت، وهو أبو علي بن مقلّة فأخذ وضرب أسواطاً زادت على العشرة ولم تبلغ العشرين، وحبس واستتيب فتألم وقال: إني قد رجعت عما مننت أقرأ به ولا أخالف مصحف عثمان، ولا أقرأ إلا بما فيه من القراءة المشهورة، وكتب عليه بذلك الوزير أبو علي محضراً بما سمع من لفظه، وأمره أن يكتب في آخره بخطه. وكان المحضر بخط أبي الحسين أحمد بن محمد ميمون، وكان أبو بكر بن مجاهد تجرد في كشفه ومناظرته، فأنتهى أمره إلى أن خاف على نفسه من القتل، وقام أبو أيوب السمسار في إصلاح أمره وسأل الوزير أبا علي أن يطلقه وأن ينفذه إلى داره مع أعوانه بالليل خيفة عليه لئلا يقتله العامة ففعل ذلك، ووجه إلى المدائن سرّاً مدة شهرين، ثم دخل بيته ببغداد مستخفياً من العامة. ونسخة المحضر المعمول على ابن شنبوذ بخط ابن ميمون: يقول محمد ابن أحمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ: قد كنت أقرأ حروفاً تخالف ما في مصحف عثمان بن عفان - رضي الله عنه - المجمع عليه والذي اتفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم على تلاوته، ثم بان لي أن ذلك خطأ فأنا منه تائب وعنه مقلع وإلى الله عز وجل برئ، إذ كان مصحف عثمان هو الحق الذي لا يجوز خلافة، ولا يقرأ بغير ما فيه. نسخة خط ابن شنبوذ في هذا المحضر: يقول محمد بن أحمد بن أيوب ابن شنبوذ: ما في الرقعة صحيح، وهو قولي واعتقادي، وأشهد الله عز وجل وسائر من حضر على نفسي بذلك وكنت بخطه، فمتى خالفت ذلك أو بان مني غيره فأمر المؤمنين - أطال الله بقاءه - في حل وسعة من دمي، وذلك في يوم الأحد لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة في مجلس الوزير أبي علي محمد بن علي - أدام الله توفيقه - وحسبي الله وحده، وصلاته على سيدنا محمد وآله.

خط ابن مجاهد: اعترف ابن شنبوذ بما في هذه الرقعة وكتب ابن مجاهد بيده وذكر التاريخ.

خط ابن أبي موسى: اعترف المعروف بابن شنبوذ بما في هذه الرقعة بحضور طوعاً. وكتب محمد بن أبي موسى الهاشمي وذكر التاريخ. شهادة أخرى: شهد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ بجميع ما في هذا الكتاب وذكر التاريخ. وقال ابن شنبوذ في المجلس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماعة من أصحابه خالفوا بعض ما في هذا المصحف الذي في أيدينا وكان اعترافه به طوعاً. شهد بذلك محمد بن أبي موسى وكتب بيده. وشهد أحمد بن موسى بن مجاهد وكتب بيده. قال القاضي أبو يوسف: كنت قد سمعت من مشايخنا بالري ثم ببغداد أن سبب الإنكار على ابن شنبوذ أنه قرأ أو قرئ عليه في آخر سورة المائدة عند حكاية قول عيسى: (وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم من العزيز الحكيم).

محمد بن أحمد لشنبوذي

بن إبراهيم الشنبوذي أبو الفرج المقرئ يعرف بـ غلام ابن شنبوذ، مات سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وقليل سنة ثمان، ومولده في سنة ثلاثمائة قال الخطيب: روي عن أبي الحسن محمد بن أحمد بن شنبوذ وغيره كتباً في القراءات وتكلم الناس في رواياته، وسئل الدارقطني عنه فأساء القول فيه والثناء عليه قال: وسمعت عبيد الله الصيرفي يذكر أبا الفرج الشنبوذي فعظم أمره، ووصف علمه بالقرآن وحفظ التفسير وقال: سمعته يقول: أحفظ خمسين ألف بيت من الشعر شواهد للقرآن. وله من التصانيف: كتاب الشارة في تلطيف العبارة في علم القرآن، كتاب التفسير ولم يتم.

محمد بن أحمد المعمرى

أبو العباس النحوي، أحد شيوخ النحاة ومشورتهم، صحب الزجاج وأخذ عنه، وكان أبو الفتح المراغي تلميذه وصاحبه، وكان أكثر مقامه بالبصرة وبها توفي وأظنه من أهلها، وله شعر صالح متوسط من أشعار الأدباء، ومات فيما أحسب بين الخمسين وثلاثمائة قال ذلك ابن عبد الرحيم. قال: وأنشدي أبو القاسم التنوخي عن أبيه له من قصيدة مدح بها جده أبا القاسم أولها:

وجفون المضانيات المراض	والثنايا يلحن بالإيماض
والعهود التي تلوح بها الصبح	ف خلاف الصدود والإعراض
لبرتتي الخطوب حتى نضتني	حرضاً بالياً من الأحراض
وجدتني والدهر سلمى سليماً	لم ينلني بنا به العضاض
بين برد من الشباب جديد	ورداء من الصبا فضفاض
ومدبر عرى الأمور برأى	يقظ الحزم مبرم نقاض
دق معنى وجل قدراً فجادت	في معانيه نهية الأغماض

وانشد أيضاً له:

لو قد وجدت إلى شفائك منهجاً	جبت الصباح إليه أوحلك الدجى
لكن رأيتك لا يحبك العتب في	ك ولا العتاب ولا المديح ولا الهجا
فأذهب سدى ما فيك شر يتقي	يوماً وليس لديك خير يرتجى
وإذا امرؤ كانت خلائق نفسه	هذي الخلائق فالنجا منه النجا

قال: وحدثني أبو علي محمد بن وشاح قال: حدثني أبي قال: حدثني القاضي أبو تمام الحسن بن محمد الزينبي رحمه الله قال: جاءتني في بعض البكر رسالة محمد بن أحمد المعمرى النحوي بالبصرة - وكنت أغشى مجلسه دائماً وأخذ عنه - أن أدركني، فبادرت إليه وتبعني جماعة من أصحابي، فلما صرت إليه عرفني أن صبية مملوكة له مولدة قد كنت أشاهدها في ولده قد هربت منه، وتناولت صدرها مما كان في منزله، فأنفذت أصحابي وبتتتهم في الجيران، وبحيث يظن بها الحصول فيه، فما بعد أن أحضرت وما أخذت، فسر المعمرى وطابت نفسه، فلما هممت بالانصراف أنشدني:

ما لا يرى كسبت عا	دية الدهر عموده
كان حرباء فاضحى	بشقاء البخت دوده

قال ابن وشاح: وحدثني أبي قال: حدثني القاضي رحمه الله قال: كان رسم المعمرى أن يجلس لأهل العمى في يوم الأربعاء فبكرنا إليه في بعض الأيام فقال للجماعة: ليس لكم اليوم عندي فائدة ولا مني حظ، فلما هممنا بالانصراف قال:

إذا كان يوم الأربعاء ولم أنك	ولم أصطبج بالأربعاء مشوم
فإن نكت فيه واصطحبت ولمته	فإنني ليوم الأربعاء ظلوم

انصرف مأجورين فانصرفنا. قال: وكان شديد المحبة لشرب النبيذ كثير التوفر عليه قاطعاً أكثر زمانه به. ولما مات رثاه أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي صاحب كتاب الموازنة بقوله:

يا عين أذري الدموع وانسكي	أصبح ترب العلوم في الترب
لقيت بالمعمرى يوم ثوى	أول رزء بأخر الأدب
كان على أعجمي نسبته	فضيلة من فضائل العرب

وكتب أبو القاسم الأمدي إلى المعمرى جواب أبيات كتب بها إليه:

يا مهدي الشعر إلى من يرى	أنك تستعلي عن الشعر
--------------------------	---------------------

أعيا على الباقلاني الحبر
أوضح أسباباً من الفجر
إلى مدى تبلغه يجري؟
كحاجة الأرض إلى القطر

أنت الذي تحكم فيه إذا
وتكشف الغامض حتى يرى
بنت عن المثل ومن ذا الذي
كل إلى علمك ذو حاجة

محمد بن أحمد القطان

بن عبد الله بن زياد القطان ويعرف بالمتوثي، ويكنى أبا سهل. أحد الشيوخ الفضلاء المقدمين، سمع الحديث ورواه وكان ثقة جيد المعرفة بالعلوم، ومات سنة تسع وأربعين وثلاثمائة. وسمع كثيراً من كتب الأدب عن بشر من موسى الأسدي، ومحمد بن يونس الكديمي، وأبي العيلاء وثعلب والميرد وغيرهم، ولقي السكري أبا سعيد، وسمع عليه أشعار اللصوص من صنعه، وسمعه منه الخلع أبو عبد الله الشاعر وفلج في آخر عمره، وكان ينزل بدار القطن من غربي دار السلام - بغداد - وله بقية حال حسنة. قال الخالغ: وحكى لنا أنه كان في ابتداء أمره يتوكل لعلي بن عيسى بن الجراح الوزير وأنه صحبه حين نفي من بغداد وعاد بعوده، وأنهم نزلوا في بعض طريقهم بأحد أمراء الشام، وأنه حمل على يده إلى علي بن عيسى سمكة فضة وزنها زيادة على خمسة آلاف درهم مبيتة للطبيب وعليها جوهر وياقوت قد رصعت به، فامتنع من قبولها على عادته في ذلك فرددتها إلى صاحبها فوهبها لي ولم أتجاسر على قبولها إلا بعد استئذانه، فاستأذنته فأذن لي فكانت أصل حالي.

قال الخالغ: وكانت بضاعة أبي سهل جيدة في العلم، فكان يحفظ القرآن ويعرف القراءات ويرويه، ويطلع على قطعة من اللغة، ويعرف النحو ويحفظ الشعر ويقول، وكان يتشيع على مذهب الإمامية ويظاهر به، إلا أنه كان في الأصول على رأي المجبرة، ولم يعقب ولد ذكراً، وكانت له ابنة بقيت إلى سنة أربعين وباعت كتبه، وله أشعار كثيرة ركيكة باردة ومن أصلها:

كسر الضيف وسمي
كاد أن يتلف غما
شم ريح الخبز شما
ضيف بل أكلا وذما

غضب الصولي لما
ثم عند للمضغ منه
قال للضيف ترفق
واغتتم شكري فقال ال

محمد بن أحمد بن يونس الفسوي

أبو عبد الله يعرف بخاطف. صاحب أب بكر بن السراج، وروي عن ابن دريد وغيره.

محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني

الخوارزمي، وهذه النسبة معناها البراني، لأن بيرون بالفارسية معناه برأ، وسألت بعض الفضلاء عن ذلك فزعم أن مقامه بخوارزم كان قليلاً، وأهل خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم، كأنه لما طالت غربته عنهم صار غريباً، وما أظنه يراد به إلا أنه من أهل الرستاق يعني أنه من برأ البلد. ومات السلطان محمود بن سبكتكين في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وأبو الريحان بغزنة.

وجدت كتاب تقاسيم الأقاليم تصنيفه وخطه وقد كتبه في هذا العام، ذكره محمد بن محمود النيسابوري فقال: له في الرياضيات السبق الذي لم يشق المحضرون غباره، ولم يلحق المضمرون المجيدون مضماره، وقد جعل الله الأقسام الأربعة له أرضاً خاشعة، سمت له لواقح مزنها، واهتزت به يوانع نبتها، فكم مجموع له على روض النجوم ظله، ويرفرق على كبد السماء ظله. وبلغني أنه لما صنف القانون المسعودي أجازته السلطان يحمل فيل من نقده الفضي، فردّه إلى الخزانة بعذر الاستغناء عنه، ورفض العادة في الاستغناء به، وكان - رحمه الله - مع الفسحة في التعمير وجلالة الحال في عامة الأمور مكباً على تحصيل العلوم منصباً إلى تصنيف الكتب يفتح أبوابها، ويحيط بشواكلها وأقربها ولا يكاد يفارق يده القلم، وعينه النظر، وقلبه الفكر إلا في يومي النيروز والمهرجان من السنة لإعداد ما تمس إليه الحاجة في المعاش من بلغة الطعام وعلقة الرياش، ثم هجيراه في سائر الأيام من السنة علم يسفر عن وجهه قناع الإشكال، ويحسر عن ذراعيه كمام الإغلاق. حدث القاضي كثير بن يعقوب البغدادي النحوي في الستور عن الفقيه أبي الحسن علي بن عيسى الولوالجي قال: دخلت على أبي الريحان وهو يوجد بنفسه قد

حشرج نفسه وضاق به صدره فقال لي في تلك الحال: كيف قلت لي يوماً حساب الجدات الفاسدة؟ فقلت له إشفافاً عليه: أفي هذه الحالة؟ قال لي يا هذا، أودع الدنيا وأنا علم بهذه المسألة، ألا يكون خيراً من أن أخليها وأنا جاهل بها. فأعدت ذلك عليه وحفظ وعلمني ما وعد، وخرجت من عنده وأنا في الطريق فسمعت الصراخ. وأما نباهة قدره وجلالة خطره عند الملوك فقد بلغني من حظوته لديهم أن شمس المعالي قابوس بن وشمكير أراد أن يستخلصه لصحبته ويرتبطه في داره، على أن تكون له الإمرة المطاعة في جميع ما يحويه ملكه، ويشتمل عليه ملكه، فأبى عليه ولم يطاوعه، ولما سمحت قرونته بمثل ذلك أسكنه في داره، وأنزله معه في قصره. ودخل خزارزمشاه يوماً وهو يشرب على ظهر الدابة فأمر باستدعائه من الحجرة فأبطأ قليلاً فتصور الأمر على غير صورته، وثنى العنان نحوه ورام النزول، فسبقه أبو الريحان إلى البروز وناشده الله ألا يفعل فتمثل خوارزمشاه:

العلم من أشرف الولايات يأتيه كل الورى ولا يأتي

ثم قال: لولا الرسوم الدنيا لما استدعيتك، فالعلم يعلو ولا يعلو، وكأنه سمع هذا في أخبار المعتضد، فإنه كان يوماً يطوف في البستان وهو أخذ بيد ثابت بن قرة الحراني إذ جذبها دفعة وخالها فقال ثابت: ما بدا يا أمير المؤمنين؟ قال: كانت يدي فوق يدك والعلم يعلو ولا يعلو. ولما استبقاه السلطان الماضي لخاصة أمره وحجاء صدره كان يفاوضه فيما يسبح لخطره من أمر السماء والنجوم، فيحكي أنه ورد عليه رسول من أقصى بلاد الترك وحدث بين يديه بما شاهد فيما وراء البحر نحو القطب الشمالي من دور الشمس عليه ظاهرة في كل دورها فوق الأرض بحيث يبطل الليل فتسارع على عادته في التشدد في الدين إلى نسبة الرجل إلى الإلحاد والقرمطة على براءة أولئك القوم عن هذه الآفات حتى قال أبو نصر بن مشكان: إن هذا لا يذكر ذلك عن رأي يرتئيه، ولكن عن مشاهدة يحكيه، وتلا قوله عز وجل: (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً). فسأل أبا الريحان عنه، فأخذ يصف له على وجه الاختصار ويقرره على طريق الإقناع، وكان السلطان في بعض الأوقات يحسن الإصغاء ويبذل الإنصاف، فقبل ذلك وانقطع الحديث بينه وبين السلطان وقتئذ، وأما ابنه السلطان مسعود فقد كان فيه إقبال على علم النجوم ومحبة لحقائق العلوم، ففاوضه يوماً في هذه المسألة وفي سبب اختلاف مقادير الليل والنهار في الأرض، وأحب أن يتضح له برهان ما لم يصح له من ذلك بعبان، فقال له أبو الريحان: أنت المنفرد اليوم بامتلاك الخافقين، والمستحق بالحقيقة اسم ملك الأرض، فأخلق بهذه المرتبة إثثار الاطلاع على مجاري الأمور، وتصاريح أحوال الليل والنهار، ومقارها في عامرها وغامرها، وصنف له عند ذلك كتاباً في اعتبار مقدار الليل والنهار بطريق تبعد عن مواضع المنجمين وألقابهم، ويقرب تصورهم من فهم من لم يرتض بها ولم يعتدها، وكان السلطان الشهيد قد مهر بالعربية فسهل وقوفه عليه، وأجزل إحسانه إليه. وكذلك صنف كتابه في لوازم الحركتين بأمره، وهو كتاب جليل لا مزيد عليه مقتبس أكثر كلماته عن آيات من كتاب الله عز وجل. وكتابه المترجم بالقانون المسعودي يعفي على أثر كل كتاب صنف في تنجيم أو حساب. وكتابة الآخر المعنون بالدستور الذي صنفه باسم شهاب الدولة أبي الفتح مودود ابن السلطان الشهيد مستوف أحاسن المحاسن. قال مؤلف الكتاب: هذا ذكره محمد بن محمود، وإنما ذكرته أنا ههنا لأن الرجل كان أديباً أريباً لغويًا، له تصانيف في ذلك رأيت أنا منها: كتاب شرح شعر أبي تمام رأيته بخطه لم يتمه، كتاب التعليل بإحالة الوهم في المعاني نظم أولي الفضل، كتاب تاريخ أيام السلطان محمود وأخبار أبيه، كتاب المسامرة في أخبار خوارزم، كتاب مختار الأشعار والأثار. وأما سائر كتبه في علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فإنها تفوق الحصر، رأيت فهرستها في وقف الجامع بمر في نحو الستين ورقة بخط مكنتز. وحدثنني بعض أهل الفضل: أن السبب في مصيره إلى غزنة أن السلطان محمود لما استولى على خوارزم قبض عليه وعلى أستاذه عبد الصمد الأول ابن عبد الصمد الحكيم، واتهمه بالقرمطة والكفر فأذاقه الحمام وهم أن يلحق به أبا الريحان، فساعده فسحة الأجل بسبب خلصه من القتل، وقيل له: إنه إمام وقته في علم النجوم، وإن الملوك لا يستغنون عن مثله، فأخذه معه ودخل إلى بلاد الهند وأقام بينهم وتعلم لغتهم واقتبس علومهم، ثم أقام بغزنة حتى مات بها أرى في حدود سنة ثلاث وأربعمئة عن سن عالية، وكان حسن المحاضرة، طيب العشرة خليعاً في ألفاظه عفيفاً في أفعاله، لم يأت الزمان بمثله علماً وفهماً، وكان يقول شعراً إن لم يكن في الطبقة العليا فإنه من مثله حسن، منه في ذكر صحبة الملوك، ويمدح ويمدح أبا الفتح البستي من كتاب سر السرور.

مضى أكثر الأيام في ظل نعمة	على رتب فيها علوت كراسيا
فأل عراق قد غذوني بدرهم	ومنصور منهم قد تولى غراسيا
وشمس المعالي كان يرتاد خدمتي	على نفرة مني وقد كان قاسيا
وأولاد مأمون ومنهم عليهم	تبدى بصنع صار للحال آسيا
وأخرهم مأمون رفه حالتي	ونوه باسمي ثم راس راسيا
و لم ينقبض محمود عني بنعمة	فأغنى و أقتى مغضيا عن مكاسيا
عفا عن جهالاتي وأبدي تكرماً	وطرى بجاه رونقي ولباسيا
عفا على دنياي بعد فراقهم	وواحرني إن لم أزر قبل آسيا

ولما مضوا وأعتضت منهم عصابة
وخلفت في غزنين لحماً كمضغة
فأبدلت أقواماً وليسوا كمثلهم
بجهد شأوت الجالبين أئمة
فما برکوا للبحث عند معالم
فسائل بمقداري هنوداً بمشرق
فلم يثنهم عن شكر جهدي نفاسة
أبو الفتح في دنياي مالك ربقتي
فلا زال للدنيا وللدين عامراً
ومن أقوم شعره قوله لشاعر اجتاده.

يا شاعر جاءني يخزى على الأدب
وجدته ضارطاً في لحيتي سفهاً
وذاكراً في قوافي شعره حسبي
إذ لست أعرف جدي حق معرفة
إني أبو لهب شيخ بلا أدب
المدح والذم عندي يا أبا حسن
فأعفني عنهما لا تشتغل بهما

وله:

ومن حام حول المجد غير مجاهد
وبات قرير العين في ظل راحة
وله في التجنيس:

فلا يغررك مني لين مس
فإني أسرع الثقليين طرا

ومنه:

تنغص بالتباعد طيب عيشي
كتابك إذ هو الفرج المرجى

وله:

أتأذنون لصب في زيارتكم
فأنتم الناس لا أبغي بكم بدلاً
وكدكم لمعال تنهضون بها
فليس يعرف من أيام عيشته
لدي المكابد إن راجت مكابده

محمد بن أحمد بن عبيد الله الكاتب

المعروف بالمفجع صاحب ثعلب. كذا وجدت نسبه بخط الطبري المعروف بمضراب اللين من أهل البصرة، ويكنى أبا عبد الله ذكره ابن النديم فقال: إنه لقي ثعلباً وأخذ عنه وعن غيره وكان شاعراً شيعياً، وله قصيدة يسميها بالأشباه يمدح فيها علياً عليه السلام، وبينه وبين ابن دريد مهاجرة. وذكره أبو المنصور الثعالبي في كتاب اليتيمة فقال: المفجع البصري صاحب ابن دريد والقائم مقامه في التأليف والإملاء. حدث ابن نصر قال: حدثني بعض المشايخ البصريين قال: كان المفجع وشمال يتهاجيان وكان شمال سنياً والمفجع شيعياً، فقال فيه المفجع:

دعوا بالتناسي فاغتتمت التناسيا
على وضم للطير للعلم ناسيا
معاذ إلهي أن يكونوا سواسيا
فما اقتبسوا في العمل مثل اقتباسيا
ولا احتبسوا في عقدة كاحتباسيا
وبالغرب من قد قاس قدر عماسيا
بل اعترفوا طرا وعافوا انتكاسيا
فهات بذكراه الحمية كاسيا
ولا زال فيها للغواة مواسيا

وإني ليمدحني والذم من أدبي
كلا فلحيته عثونتها ذنبي
ولست والله حقاً عارفاً نسبي
وكيف أعرف جدي إذ جهلت أبي؟
نعم ووالدتي حمالة الحطب
سيان مثل استواء الجد واللعب
بأنه لا توقعن مفساك في تعب

ثوى طاعماً للمكرمات وكاسيا
ولكنه عن حلة المجد عاريا

تراه في دروس واقتباس
إلى خوض الردى في وقت باس

فلا شيء أمر من الفراق
أطب لما ألم من ألف راق

إن كان مجلسكم خلواً من الناس؟
وأنتم الراس والإنسان بالراس
وغيركم طاعم مسترجع كاسيا
سوى التلهي بأير قام أو كاس
ينسى الإله وليس الله بالناس

دار شمال في بني أسمع
فقال شمال كذا هو، فقال المفجع:

أنظر إليها فهي في بلقع
قال شمال: أي شيء ذنبي إذا خربت المحلة؟ قال:

هو خبيث النفس مستهتر
فقال شمال: هو شيعي، وكان يجب أن ينزه ذكر القائم والأصلع عن لفظ الهجاء. قال:

وذا قبيح أن يرى شاعر
قال شمال: وغير الشاعر أيضاً قبيح أن يرى كذا. ثم عمل فيه شمال يعرض به:

رجل نازل بدرج سطيح
أخذ الله لابن عفان منه
فلما سمعت ربعة بذلك قصدت دار المفجع فهرب منها. ومن شعر المفجع:

لي أير أراحي الله منه
نام إذ زارني الحبيب عناداً
حسبت زورة على لحيني
ووجدت له أيضاً فيما رواه الحميدي:

لنا صديق مليح الوجه مقتبل
شبهته بنهار الصيف يوسعنا
وقد هجاه بعض الشعراء فقال:

إن المفجع ويله
ومن النوادر أنه
كانه من قول أبي تمام:

ومالك بالغريب يد ولكن
قال المرزباني: لقب بالمفجع لبيت قال، وهو شاعر مكثر عالم أديب، مات قبل الثلاثين والثلاثمائة. قال: وهو القائل في أبي
الحسن محمد بن عبد الوهاب الزيني الهاشمي بمدحه:

للزيني على جلالة قدره
وشهامة تقصي الليوث إذا سطا
يحتل بيتاً في ذؤابة هاشم
حر يروح المستميح ويغتدي
فاذا تحيف ماله إعطاؤه
بضياء سنته المكارم تهتدي
مقدار ما بيني وما بين الغنى
وقال الثعالبي: وأما شعره فقليل كثير الحلاوة يكاد يقطر منه ماء الظرف وفيه يقول اللحام:

إن المفجع فالعنوه مؤنث
يهوى العلوق وإنما يهواهم
ومن شعره ويروي لابن لنكك:

لنا سراج نوره ظلمة
كانه شخص الإمام الذي
يبيغي الهدى منه أولو الرفض

وللمفجع تصانيف منها: كتاب الترجمان في الشعر ومعانيه يشتمل على ثلاثة عشر حداً وهي: حد الإعراب، حد المديح، حد
البخل، حد الحلم والرأي، حد الغزل، حد المال حد الإغتراب، حد المطايا، حد الخطوب، حد النبات، حد الحيوان حد الهجاء، حد
الغز وهو آخر الكتاب. وله أيضاً: كتاب المنقذ في الإيمان يشبه كتاب الملاحن لابن دريد إلا أنه أكبر منه وأجود وأتقن. كتاب

أشعار الجوّاري لم يتم، كتاب عرائس المجالس، كتاب غريب شعر زيد الخيل الطائي، كتاب قصيدته في أهل البيت ذكره أبو جعفر في مصنفي الإمامية. ومما أنشدته الثعالبي له في غلام يكنى أبا سعد:

زفرات تعتادني عند ذكرا	ك وذكراك ما تريم فؤادي
وسروري قد غاب عني مذ غب	ت فهل كنتما على ميعاد؟
حاربتني الأيام فيك أبا سع	د بسيف الهوى وسهم العباد
ليس لي مفزع سوى عبرات	من جفون مكحولة بالسهاد
في سهادي لطول أنسي بذكرا	ك اعتياض من الكرى والرقاد
وبحسبي من المصائب أني	في بلاد وأنتم في بلاد

وله:

ألا يا جامع البص	رة لا خربك الله
وسقي صحنك الغي	ث من المزن فرواه
فكم من عاشق فيك	يرى ما يتمناه
وكم ظبي من الإنس	مليح فيك مرعاه
نصبنا الفخ بالعلم	له فيك فصدناه
بقرآن قرأناه	وتفسير رويناه
وكم من طالب للشع	ر بالشعر طلبناه
فما زالت يد الأيا	م حتى لان متناه
وحتى ثبت السرج	عليه وركبناه
ألا يا طالب الأمر	د كذب ما ذكرناه
فلا يغررك ما قلناه	فما بالجد قلناه
وإن كان من البغض	يزني حين تلقاه
فرد الدرهم الضرب	إليه تتلقاه
فبالدرهم يستنز	ل ما في الجو مأواه
وبالدرهم يستخر	ج ما في القفر مثواه

قال أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم عبد المجيد بن بشران بن إبراهيم بن العباس بن محمد بن العباس بن محمد ابن جعفر في تاريخه قال: وفيها يعني في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة توفي أبو عبد الله محمد بن عبد الله المفجع الكاتب الشاعر، وكان شاعر البصرة وأديبها، وكان يجلس في الجامع بالبصرة فيكتب عنه ويقرأ عليه الشعر واللغة والمصنفات، وامتنع من الجلوس مدة لسبب لحقه من بعض من حضره فخطب في ذلك فقال: لو استطعت أن أنسيهم أسماءهم لفعلت. وشعره مشهور، فمنه دامت الأمطار وقطعت عن الحركة:

يا خالق الخلق أجمعينا	وواهب المال والبنينا
ورافع السبع فوق سبع	لم يستعن فيهما معينا
ومن إذا قال كن لشيء	لم تقع النون أو يكونا
لا تسقنا العم صوب غيث	أكثر من ذا فقد روينا

وله يخاطب أبا عبد الله البريدي وقد أعاد عليه ذكر سبب:

قل لمن كان قد عفا	عن ذنوب المفجع
لا تعد ذكر ما مضى	من عفا لم يقرع

وله وقد سأل بعض أصدقائه أيضاً رقعة وشعراً له يهنئه في مهرجان إلى بعضهم فقصر حتى مضى المهرجان:

إن الكتاب وإن تضمن طيه	كنه البلاغة كالفسح الأخرس
فإذا أعانته عناية حامل	فجوابه يأتي بنجح منفس

وإذا الرسول ونى وقصر عامداً

قد فات يوم المهرجان فذكره

فسئل عن سخاء المفلس فقال: يعد في إفلاسه بما لا يفي به عند إمكانه. قال: دخل المفجع يوماً إلى القاضي أبي القاسم علي بن محمد التتوخي فوجده يقرأ معاني الشعر على العبيسي فأنشد:

قد قدم العجب على الرويس

وطاول البقل فروع الميس

وادعت الروم أباً في قيس

إذ قرأ القاضي حليف الكيس

وألقى ذلك إلى التتوخي وانصرف. وكان أبو عبد الله الأكفاني راويته وكتب لي بخطه من ملبح شعره شيئاً كثيراً قال: ومدح أبا القاسم التتوخي فرأى منه جفاء فكتب إليه:

لو أعرض الناس كلهم وأبوا

كان وداد فزال وانصرما

وقد صحبنا في عصرنا أمماً

فما هلكنا هزلاً ولا ساخت ال

في الله من كل هالك خلف

حر ظننا به جميل فما

فكان ماذا ما كل معتمد

غلطت والناس يغلطون وهل

من ذا إذا أعطى السداد فلم

شلت يدي لم جلست عن تفه

يا ليتني قبلها خرسست فلم

يا زلة ما أقلت عثرتها

من راعه بالهوان صاحبه

وله:

أظهرت للرئم بعض وجدي

وقلت حبيك قد براني

وإنما الوجد ما سترته

فقال دعه بذا أمرته

وله قصيدته ذا الأشباه، وسميت بذات الأشباه لقصدته فيما ذكره من الخير الذي رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في محفل من أصحابه: (إن تنظروا إلى آدم في علمه، ونوح في همه، وإبراهيم في خلقه، وموسى في مناجاته، وعيسى في سنه، ومحمد في هديه وحلمه، فانظر إلى هذا المقبل). فتناول الناس فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام، فأورد المفجع ذلك في قصيدته وفيها مناقب كثيرة وأولها:

أيها اللانمي لحبي عليا

أخير الأنام عرضت لا زل

أشبه الأنبياء كهلاً وزولاً

كان في علمه كآدم إذ عل

وكنوح نجى من الهلك من س

وجفا في رضا الإله أباه

كاعتزال الخليل أزر في ال

ودعا قومه فأمن لوط

وعلي لم دعاه أخوه

قم ذميماً إلى الجحيم خزياً

ت مذوداً عن الهدى مزوياً

وفطيماً وراضعاً وغذاً

م شرح الأسماء والمكنيا

ير في الفلك إذ علا الجوديا

واجتواه وعده أجنبيا

له وهجرانه أباه مليا

أقرب الناس منه رحماً وريا

سبق الحاضرين والبدويا

وله من أبيه ذي الأيد إسماء
إنه عاون الخليل على الكع
ولقد عاون الوصي حبيب ال
رام حمل النبي كي يقطع الأص
فحناء ثقل النبوة حتى
فارتقى منكب النبي على
فأماط الأوثان عن ظاهر الكع
ولو أن الوصي حاول مس ال
أفهل تعرفون غير علي

وعلى شبه ما كان عني خفياً
بـة إذ شاد ركنها المبنيا
له إذ يغسلان منها الصفيا
نام من سطحها المثل الحبيا
كاد ينآد تحته مثنيا
صنوه ما أجل ذا المرتقيا
بـة ينفي الرجاس عنها نفيا
نجم بالكف لم تجده قصيا
وابنه استرحل النبي مطيا
وشعر أبي عبد الله المفجع كثير حسن. وكان يوماً بالأهواز جالساً مع جماعة فاجتاز به غلام لموسى بن الطيب نديم أبي عبد الله البريدي يقال له طريف وهو أمرد مليح فسال المفجع عنه فقيل: هذا غلام نديم البريدي فقال:
اجتاز بي اليوم في الطريق فتى
فقلت من ذا؟ فقال لي خبر
ولأبي عبد الله في جماعة من كبار أهل الأهواز مدائح كثيرة وأهاج، وله قصيدة في أبي عبد الله بن درستوريه يرثيه فيها وهو حي يقول فيها ويلقبه بدهن الأجر:

مات دهن الأجر فاخضرت الأر
ض وكادت جبالها لا تزول
ويصف أشياء كثيرة فيها. قال: وكان المفجع يكثر عند والدي ويطيل المقام عنده، وكنت أراه عنده وأنا صبي بالأهواز، وله إليه مراسلات وله فيه مدح كثيرة كنت جمعتها فضاعت أيام دخول ابن أبي ليلى الأهواز ونهب رزناماتها، وكان منها قصيدة بخطه عندي يقول فيها:

لو قيل للجود من مولاك قال نعم؟
وأذكر له من قصيدة أخرى:
يا من أطال يدي إذ هاضني زمني
أنقذتني من أناس عند دينهم
قال: وكانت وفاته قبل وفاة والدي بأيام يسيرة، ومات والدي في يوم السبت لعشرة خلون من شعبان سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وفيها مات الخروزي الشاعر. ومن ملحه المشهورة قوله لإنسان أهدى إليه طبقاً فيه قصب السكر والأترنج والنارنج وأراه أبا سعد غلامه:

إن شيطانك في الظر
فلهذا أنت فيه
قد أتتنا تحفة من
طبق فيه قدود
فإن شيطانك في الظر
فلهذا أنت فيه
قد أتتنا تحفة من
طبق فيه قدود
وأناشد الثعالبي له في غلام مغن جدر فازداد حسناً وجمالاً:
يا قمرأ جدر حتى استوى
كأنه غني لشمس الضحى
وأناشد له أيضاً:

فسا على قوم فقالوا له
فقال لا عدت فقالوا له
وأناشد له أيضاً:

أداروها وللليل اعتكار
فقلت لصاحبي وللليل داج
فقال هي العقار تداولوها
فخلت الليل فاجأه النهار
ألاح الصبح أم بدت العقار؟
مشعشة يطير لها شرار

فلولا أنني أمتاح منها

حلفت بأنها في الكأس نار

محمد بن أحمد بن غيثة

بن سليمان بن أيوب بن غيثة النوقاتي بالتاء قبل ياء النسبة، ونوقات محلة بسجستان يقال لها نوها فعربت، يكنى أبا عمر السجستاني وهو والد عمر و عثمان، وصاحب التصانيف المشهورة. ذكره أبو سعد السمعاني في كتاب تاريخ مرو فقال: دخل إلى خراسان وكتب بهراة ومرو وبلخ وما وراء النهر، وسمع الكثير من الشيوخ وأكثر واشتغل بالتصانيف، وبلغ فيها الغاية وكان مرزوقاً فيها محسناً، جمع من كل جنس وفن، وأحسن في كل التصانيف، وسمع أبا عبد الله محمد بن إسحاق القرشي ثم ذكر خلقاً كثيراً، منهم الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن البيع الحافظ، وأبو حاتم محمد بن حيان البستي، وأبو يعلى النسفي، وأبو على حامد بن محمد الرفاء، وأبو سليمان الخطابي.

وروى عنه ابنه عمر و عثمان، وله تصانيف كثيرة منها: كتاب آداب المسافرين، كتاب العتاب والإعتاب، كتاب فضل الرياحين، كتاب العلم، كتاب الشيب، كتاب محنة الظراف في أخبار العشاق، كتاب معاشر الأهلين. وأنشد لنفسه في كتاب محنة الظراف:

وشرد النوم عن عيني أحزاني

نمت دموعي على سري وكتماني

على الهوى حشرات منك تغشاني

وأقلقتني عما أستعين به

صبا وأشمت بي من كان يلحاني

يا من جفاني وأقصاني وغادرني

وداو غلة قلب فيك أعياني

لا تنس أيام أنس قد مننت بها

ومن كتاب محنة الظراف مما نسبته أبو عمر إلى نفسه ومن خطه نقلت:

على الكره حتى تأمنوا الرقباء

سأهجركم ما دمت في حجابكم

ولم يصبر العطشان يبصر ماء

مساعدة مني لكم لا تصبراً

وأنشد أيضاً لنفسه:

أم أذنبت فاستحسننت يا سيدي ذنبي؟

أصابتك أيضاً عين بعد فرطك في حي

وصيرتني عبداً تجافيت عن قربي؟

أحين سلبت القلب من صباية

وأنظر الحسنى على ذاك من ربي

سأصبر حتى تعجبوا من تصبري

وأنشد السمعاني بإسناد له رفعة إلى النوقاتي عن الحسين بن أحمد عن الصولي عن ثعلب عن أبي العالية:

يكل وخطوي عن مدى الخطو يقصر

أرى بصري في كل يوم وليلة

يغيرنه والدهر لا يتغير

ومن يصحب الأيام ستين حجة

لما كنت أمشي مطلق القيد أكثر

لعمري لئن أمسيت أمشي مقيداً

قال: وحدث أبو عمر بن النوقاتي في رجب سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة، فتكون وفاته بعد هذا الشهر.

محمد بن أحمد بن عمر الخلال

أبو الغنائم اللغوي، إمام عالم جيد الضبط، صحيح الخط، معتمد عليه معتبر، أخذ عن أبي سعيد السيرافي، وأبي علي الفارسي، وأبي الحسن الرماني وتلك الطبقة.

محمد بن أحمد بن طالب الفقيه

الأديب الحلبي أبو الحسن، سمع ببغداد أبا بكر بن دريد وأبا بكر بن الأنباري، وأبا علي بن الحسين بن أحمد الكاتب المعروف بالكوكبي، وأبا عبد الله نفطويه، وأبا عيسى محمد بن أحمد بن قطن السمسار، ويحلب أبا عبد الله أحمد بن جعفر بن أحمد بن ماست الحاضري الحلبي، والقاضي أبا حصين، ومات بعد سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، قرئ عليه كتابه في هذه السنة، وله كتاب الشبان والشيب أحسن فيه.

محمد بن أحمد بن محمد أشرس

أبو الفتح النحوي اللغوي، أديب فاضل شاعر من أهل نيسابور، وكان من تلاميذ أبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي بنيسابور، وقدم بغداد فلقى بها جماعة من أصحاب أبي علي الفارسي كالربيعي علي بن عيسى، وأبي الحسن السهمي وغيرهما، ذكره البخارزي في كتابه فقال: حدثني القاضي أبو جعفر البجلي قال: حدثني الحاكم أبو سعد بن دوست قال: كان أبو الفتح بن أشرس من ناحية الرخ، وكان يؤدب بنيسابور ويختلف إلى أبي بكر الخوارزمي، فلما نزل ما عنده ارتحل إلى مدينة السلام قال: فرأيت كتاباً بخط يده وقد كتب به إلى بعض أصدقائه وذكر في أثناءه أن ليس اليوم بخراسان من يقوم باختيار فصيح الكلام لتعجب، وألفاظ الكتبة لعبد الرحمن عيسى.

قال أبو سعد: وكان الخوارزمي يومئذ حياً يرزق، والألسنة لفضله تطلق. وهذان الكتابان من زغب فراخ الكتب، وأنكر معرفة أهل خراسان بهما، فما ظنك بالقشاعم اللقماني من أمهاتنا. وأنشدني القاضي أبو جعفر قال: أنشدني الحاكم أبو سعد قال: أنشدني ابن الأشرس لنفسه في أبي الحسن الأهوازي يهجو.

يا عجباً لشيخنا الأهوازي
قال الحاكم أبو سعد: وأنشدني أيضاً لنفسه:

كأنما الأغصان لما علا
ولاحت الشمس عليها ضحى

نقد الحاكم أبو سعد على بيته فقال: قوله قد أثمر الدر، لا يستقيم في النحو، لأنه لا يقال أثمرت النخلة الثمر، وإنما يقال أثمرت ثمراً بغير الألف واللام. وكتب ابن أشرس من بغداد إلى أبي الفتح الحداد بنيسابور:

رب غلام صار في
رقعتك خرق ظهره

قال الحاكم: في هذين البيتين خلل، لأنه لا يمكن أن يفسر على وجه قبيح لأن لحيته أيضاً من بدنه. قال القاضي البجلي: فقلت له: وهذا التفسير أشبه، لأن اللحية أشبه بالرقعة من الفعل، قال نعم. لأن اللحية ترقع وذاك يمزق. هذا آخر ما ذكره البخارزي في كتابه.

قال القاضي أبو المحاسن بن مسعر المغربي في كتابه: وممن قرأت عليه: أبو الفتح محمد بن أشرس النيسابوري، وكان ملازماً دار الخلافة ويأتي يوم الثلاثاء إلى قطيعة الملحم فكنت أصل إليه في هذا الموضع، وكان واسع العلم غزير الحفظ، وكان حياً في سنة خمس عشرة وأربعمائة، ولم تتجاوز وفاته سنة عشرين وأربعمائة وما لقيت أحداً من البغداديين يحقق لي وقت وفاته فأثبته على الحقيقة.

محمد بن أحمد بن محمد أبو سعد

العميدي، أديب نحوي لغوي مصنف سكن مصر. قال أبو إسحاق الجبال: أبو سعد العميدي له أدبيات، مات يوم الجمعة لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وكان العميدي يتولى ديوان الترتيب وعزل عنه كما ذكر الروذباري في سنة ثلاث عشرة في أيام الظاهر ووليه ابن معشر، ثم تولى ديوان الإنشاء بمصر في أيام المستنصر استخدم فيه عوضاً من ولي الدولة ابن خيران الكاتب في صفر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، وتولى الديوان بعده أبو الفرج الذهلي في جمادى الآخرة من سنة ست وثلاثين وأربعمائة. وله تصانيف في الأدب منها: كتاب تنقيح البلاغة في عشر مجلدات، رأيته بدمشق في خزنة الملك المعظم - خلد الله دولته - وعليه خطه، وقد قرئ عليه في شعبان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، كتاب الإرشاد إلى حل المنظوم والهداية إلى نظم المنثور، كتاب انتزاعات القرآن، كتاب العروض، كتاب القوافي كبير. قال علي بن مشرف: أنشدنا أبو الحسين محمد بن محمود ابن الدليل الصواف بمصر قال: أنشدنا أبو سعد محمد بن أحمد العميدي لنفسه:

إذا ما ضاق صدري لم أجد لي
لئن لم يرحم المولى اجتهادي

مقر عبادة إلا القرافة
قلة ناصري لم ألق رافه

محمد بن أحمد محمد بن سلمان كامل

ابن عبد الله بن عامر بن سنان، البخاري المعروف بالغنجار الحافظ أبو عبد الله بن أبي بكر. لم يكن من أهل الأدب فيجب ذكره، إنما ذكرته لأنه ألف كتاب تاريخ بخارى.

قال أبو سعد السمعاني: مات الغنjar البخاري سنة عشرة وأربعمائة، ومولده في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، ودفن في مقبرة حوض الفدام ببخارى.

قال أحمد بن ماما الأصبهاني الحافظ فيما زاده على تاريخ غنjar بعد ذكر نسب غنjar كما ذكرنا قال: سمي غنjar لتتبعه وجمعه في حال شبابه أحاديث أبي أحمد عيسى بن موسى غنjar البخاري قال: وأول من كتب عنه الحديث كثير عن أبي بكر محمد بن أحمد بن حبيب، ومشايخه أكثرهم مذكورون في تصنيفه لتاريخ بخارى. سمعته يقول: ولدت سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، ومات يوم الجمعة عند طلوع الشمس الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة.

محمد بن أحمد بن علي المعمرى أبو بكر الأديب. مات في محرم سنة ثمان وعشرين وأربعمائة. قال عبد الغافر: الأديب المعمرى مشهور ثقة حدث عن جماعة من الشيوخ، وكان يؤدب وتخرج عليه جماعة من أولاد المشايخ، سمع أبا حفص محمد بن علي الفقيه إماماً. روي عنه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الكريزي.

محمد بن أحمد بن سهل

يعرف بابن بشران وبشران جده لأمه، ويعرف بابن الخالة أيضاً، ويكنى أبا غالب من أهل واسط، أحد الأئمة المعروفين والعلماء المشهورين، تجمع فيه أشتات العلوم، وقرن بين الرواية والدراسة والفهم وشدة العناية، صاحب نحو ولغة وحديث وأخبار ودين وصلاح، وإليه كانت الرحلة في زمانه، وهو عين وقته وأوانه، وكان مع ذلك ثقة ضابطاً محرراً حافظاً إلا أنه كان محدوداً، أخذ العلم عن خلق لا يحصون: منهم أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الرحمن بن دينار الكاتب صاحب أبي علي الفارسي.

وحدث أبو عبد الله الحميدي قال: كتب إلى أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الجلابي الواسطي صديقنا من واسط: أن أبا غالب بن بشران النحوي مات بواسط في خامس عشر رجب سنة اثنتين وستين وأربعمائة، ومولده سنة ثمانين وثلاثمائة. قال الجلابي: ودخلت إليه قبل موته وجاءه من أخبره أن القاضي وجماعة معه قد ختموا على كتبه حراسة لها وخوفاً عليها فقال:

لئن كان الزمان على أنحى
فقد أسدى إلى يداً بأنى
لئن كان الزمان على أنحى
فقد أسدى إلى يداً بأنى

قال: وهذا آخر ما قاله من الشعر. قال الحميدي: وما أظن البيتين إلا لغیره. قال: وأنشدنا وقد انقطع الناس عن عيادته والدخول إليه:

مالي أرى الأبصار بي جافيه
لا ينظر الناس إلى الميت لا
لم تلتفت مني إلى ناحية؟
وإنما الناس مع العافية

وله حظ وافر من الشعر في قوله وعلمه، فمن شعره:

لولا تعرض ذكر من سكن الغضا
لكن جفا جفني الكرى بجفائهم
ولو أن ما بي بالرياح لما جرت
يا راكباً يطوي الدجنة عيسه
بلغ رعاك الله سكان الغضا
وقل انتضي عصر الشباب وودنا
إن كان قد حكم الزمان ببعدهم
ونضا الشباب قناعه لما رأى
قد كنت ألقى الدهر أبيض ناضراً
لولا اعترافي بالزمان وربيّه

وله:

لا تغترر بهوى الملاح فربما
ظهرت خلائق للملاح قباح

وكذا السيوف يرون حسن صقالها	وبحدها تتخطف الأرواح
وله:	
هوى النفس سكر والسلو إفاقه	ولن يستبين الرشد ذو الرشد أو يصحو
فدع نصح من أعماه عن رشده الهوى	فإن سواء عنده الغش والنصح
وله:	
ولما أثاروا العيس للبين بينت	غرامي لمن حولي دموع وأنفاس
فقلت لهم لا بأس بي فتعجبوا	وقالوا الذي أبديته كله بأس
تعوض بأنس الصبر من وحشة الأسى	فقد فارق الأحباب من قبلك الناس
وله:	
توهمه قلبي فأوحى ضميره	قبولاً فأحكمنا الهوى بالسرائر
فلما التقينا شبت الحرب بيننا	على السلم منا مقتلته وناظري
جرحت بلحظي وجنتيه فأقصدت	لواظته قلبي بأسنهم ثائر
وله:	
سقى الله ليلاً بت فيه مغازلاً	غزاً لا حكى لي وجهه طلعة البدر
أصبت به غرة الدهر فرصة	فبادرتها علماً بعاقبة الدهر
وله:	
أفدى الذي عارضاً خديه لم يدعا	إذ أعرضاً جوهرأ مني ولا عرضاً
ولم يزل ممرضي تمريض مقتلته	حتى ثناني على فرش الضنى حرصاً
قال الوشاة إلى كم ذا الغرام به؟	فقلت حتى أرى من حسنه عوضاً
قالوا فقد كنت ذا صبر تعوذ به	فقلت شرده عني الهوى فمضى
وله:	
إن قدم الحظ قوماً ما لهم قدم	في فضل علم ولا حزم ولا جلد
فهكذا الفلك العلوي أنجمه	تقدم الثور فيها رتبة الأسد
وله:	
لما بدا يفتن الألباب رؤيته	أبديت من حبه ما كنت أخفيه
وبان عذري لعذالي فكلهم	إلى متعذر من عذله فيه
لكن سكرت براح من لواظته	فما أفقت بغير الراح من فيه
قال: وقد سئل ابن بشران إجازة هذا البيت:	
ليس يخفى عليك وجدي عليك	واشتكائي شوقي إليك إليكا
فقال:	
ونزول المشيب قبل أوان الشي	ب في عارضي من عارضيك
وحياتي لديك في قبضة الأسد	فكن حافظاً حياتي لديكا
وعليك اعتمدت في حفظ عهدي	فارح لي حرمة اعتمادك عليكا
ناظري ناظر إلى جنت	ك وقلبي في النار من ناظريك

نقلت من خط خميس الحوزي قال: قال قاضي القضاة أبو الفرج محمد بن عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة قال: اجتمعت مع أبي غالب بن بشران في جمادى الأولى سنة ستين وأربعمائة بواسطة فسألته أولاً عن سبب تجنبه الانتساب إلى ابن بشران وهو به مشهور فقال: هو جدي لأمي، وهو ابن عم بشران المحدث الذي كان ببغداد، فسألته عن مولده فقال: مولدي في سنة ثمانين وثلاثمائة. قال الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن سلفة: وسألته يعني خمسين بن علي الحوزي أبا الكرم عن أبي غالب النحوي فقال: هو محمد ابن أحمد بن سهل يعرف بابن الخالة أصله من نهر سابس ينسب إلى خاله ابن بشران وكان أحد الأعيان، قدم واسط فجالس ابن الجلاب وابن دينار وتخصص بابن كروان، وقرأ عليه كتاب سيبويه ولازم حلقة أبي إسحاق الرفاعي صاحب

السيرافي وكان يقول: قرأت عليه من أشعار العرب ألف ديوان، وكان أكثراً حسن المحاضرة مليح العارضة إلا أنه لم ينتفع به أحد بواسط ولن يبرع به أحد في الأدب وكان جيد الشعر مع ذلك، رأينا في كتبه بعده خطوط أشياخ عدة بكتب كثيرة في الأدب وغيره إلا أنه كان معتزلاً وشهد عند إسماعيل قاضي واسط في آخر شوطه وذكر وفاته كما تقدم. ومن شعره في أمرد التحي:

قالوا التحي من قد براك صدوده
فقلت لهم: إني تعشقت روضة
وقد زاد فيها بعد ذاك بنفسج
وعما قليل سوف عنك يفرج
بها نرجس غرض وورد مضرج
أتركها إذ زاد فيها بنفسج؟

وله

طلبت صديقاً في البرية كلها
بلى من تسمى بالصديق مجازة
وطلقت ود العالمين صريمة
ومن مستحسن قوله في الشيب:

وقائله إذ راعها شيب مفرقي
تراه الذي خبرت قدماً بأنه
لقد راعني حتى تخلّيت أنه
فقلت لها بل روضة غاض ماؤها
وإن عشت لا قيت الذي قد لقيت
وكل امرئ إن عاش للشيب عرضة

قال: وكان لابن بشران كتب حسنة كثيرة وقفها على مشهد أبي بكر الصديق فذهبت على طول المدى. وسئل ابن بشران عن مقدمة العسكر ومقدمة الكتاب فقال: أما مقدمة العسكر فلا خلاف فيه أنه بكسر الدال، وأما مقدمة الكتاب فيحتمل الوجهين، والوجه حمله على مقدمة العسكر.

وله:

قل للوزير الذي ما في وزارته
حاتم ويلي أنا وقف عليك ولي
كأنني فرس الشطرنج ليس له
لمن يلوذ به ظل ولا شرف
إلى سواك من الأمجاد منصرف؟
في ظل صاحبه ماء ولا علف

محمد بن أحمد بن علي بن محمد

ابن يزيد بن حاتم البارودي النحوي أبو يعقوب. قال أحمد ابن محمد بن مرزوق الأنماطي المصري: مات يوم الأربعاء لسبع وعشرين ليلة خلت من ربيع الآخر سنة تسع وأربعين و أربعمائة.

محمد بن أحمد بن محمد الصفار

أبو بكر الأديب الأصبهاني، ذكره يحيى بن عبد الوهاب ابن مندة فقال: كان يختلف إلى الحديث إلى أن مات، وكان يعظ الناس مدة ثم اشتغل بالعلم إلى أن مات، كان أديباً فاضلاً بارعاً في الأدب حسن الخلق مائلاً إلى الخيرات. مات في شهر ربيع الأول سنة سبعين وأربعمائة.

محمد بن أحمد المعموري البيهقي

الأديب الفيلسوف، مات مقتولاً في شهور سنة خمس وثمانين وأربعمائة، كذا ذكر البيهقي في كتاب الوشاح وقال: كان من عليه الحكماء والأئمة، وقد ألقت العلوم إليه أطراف الأزمة، واتفق أنه انتقل إلى أصبهان في خدمة تاج الملك الذي كان وزيراً بعد نظام الملك، وكان قد نظر في زائجة طالعة فرأى من التسييرات إلى القواطع وشعاع النحوس ما يدل على الخوف والوجل، فأغلق باب داره عليه فأخرج وقتل وأحرق على سبيل الغلط. قضاء الله ليس له مرد. ومن منظومه:

دعاك الربيع وأيامه
يقول اشرب الراح وردية
وغنى البلبل عند الصباح
قال: ومن تصانيفه: كتاب في التصريف مجلد، كتاب في النحو، كتاب في المخروطات والهندسة وغير ذلك.

محمد بن أحمد بن عبد الباقي

بن منصور ابن إبراهيم الدقاق، أبو بكر المعروف بابن الخاضبة الحافظ العالم، مات فيما نقلت من المذيل بخط أبي سعد السمعاني في شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وأربعمائة ودفن بمقبرة الأجمة المتصلة بباب أبرد. قال أبو سعد: وكان حافظاً فهماً درس القرآن وتفقّه زماناً وقرأ الحديث فأكثر، وكان مفيد والمشار إليه في القراءة الصحيحة والنقل المستقيم، وكان مع ذلك صالحاً ورعاً ديناً خيراً سمع بمكة والشام والعراق، وأكثر ببغداد عن أبي بكر أحمد ابن علي الخطيب، وأصحاب أبي طاهر المخلص، وأبي حفص الكتاني، وعيسى بن علي الوزير وطبقتهم. وأدركته المنية قبل وقت الرواية، سمع منه جماعة من مشايخنا وسمعوا بقراءته وإفادته الكثير، ورأيتهم مجمعين على الثناء عليه والمدح له:

والناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً
حتى يروا عنده آثار إحسان

قال السمعاني: سمعت أبا العلاء أحمد بن محمد بن الفضل الحافظ: ذكر أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي، سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقي الدقاق المعروف بابن الخاضبة يقول: لما كانت سنة الغرق وقعت داري على قماشي وكتبي وكان لي عائلة: والوالدة والزوجة والبنات، فكنت أورق الناس وأنفق على الأهل، فأعرف أنني كتبت صحيح مسلم في تلك السنة سبع مرات، فلما كان ليلة من الليالي رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، ومناد ينادي: ابن الخاضبة، فأحضرت فقيل لي: ادخل الجنة، فلما دخلت الباب وصرت من داخل استلقيت على قفائي ووضعت إحدى رجلي على الأخرى وقلت: أه استرحت والله من النسخ.

قال السمعاني: وسمعت أبا المناقب محمد بن حمزة بن إسماعيل العلوي بهذان مذاكرة يقول: ذكر أبو بكر بن الخاضبة رحمه الله أنه كان ليلة من الليالي قاعداً ينسخ شيئاً من الحديث بعد أن مضى قطعة من الليل قال: وكنت ضيق اليد فخرجت فأرة كبيرة وجعلت تعدو في البيت وإذا بعد ساعة قد خرجت أخرى وجعلنا يلعبان بين يدي ويتقافزان إلى أن دنوا من ضوء السراج، وتقدمت إحدهما إلي وكانت بين يدي طاسة فأكببتها عليها، فجرى صاحبه فدخل سربه، وإذا بعد ساعة قد خرج وفي فيه دينار صحيح وتركه بين يدي فنظرت إليه وسكت واشتغلت بالنسخ ومكث ساعة ينظر إلي فرجع وجاء بدينار آخر، ومكث ساعة أخرى وأنا ساكت أنظر وأنسخ فكان يمضي ويجيء إلى أن جاء بأربعة دنانير أو خمسة - الشك مني - وقعد زماناً طويلاً أطول من كل نوبة، ورجع ودخل سربه وخرج وإذا في فيه جليدة كانت فيها الدنانير وتركها فوق الدنانير، فعرفت أنه ما بقي معه شيء، فرفعت الطاسة فقفزاً فدخل البيت وأخذت الدنانير وأنفقتها في مهم لي، وكان في كل دينار دينار وربع.

قال السمعاني: حكى أبو المناقب العلوي هذا أو معناه، فأني كتبت من حفظي والعهد عليه فيما حكى وروى. فإني ذاكرت بهذه الحكاية بعض أهل العلم بدمشق فنسبها إلى غير ابن الخاضبة والله أعلم.

قال: وسمعت أبا الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي السلامي يقول: سمعت أبا بكر بن الخاضبة يحكي هذه الحكاية عن مؤدبة أبي طالب المعروف بابن الدلو، كان يسكن بنهر طابق وكان رجلاً صالحاً. وحكى عنه حكايات أخر أيضاً في إجابة الدعاء، ولم يحكها ابن الخاضبة عن نفسه، فذهبت على أبي المناقب ولم يكن ضابطاً، كان متسانلاً في الرواية.

قال مؤلف هذا الكتاب: وهذه حكاية على ما يرى من الاستحالة، وقد أوردتها أنا ثقة موردها وتحريه في الرواية، فإن صحت فقد فزت بخط من العجب، وإلا فاجعلها كالسمر تستمتع به.

قال السمعاني: وأنشدني أبو صالح عبد الصمد بن عبد الرحمن الحنوي، أنشدنا محمد بن أحمد بن عبد الباقي الدقاق، أنشدنا أبو علي إسماعيل بن قلية ببيت المقدس:

كتبت إليك إلى الكتاب
لتقرأه أنت لا بل أنا
وأودعته منك حسن الخطاب
وينفذ مني إلى الجواب

قال مؤلف الكتاب: إنما ذكرت ابن الخاضبة في كتابي هذا وإن لم يكن ممن اشتهر بالأدب لأشياء منها: أنه كان قارئاً ورافاً، وله حكايات ممتعة، ولم يكن بالعاري من الأدب بالكلية.

محمد بن أحمد الكركنجي

بن علي بن حامد الكركنجي أبو نصر المروزي من أهل مرو، صاحب أبي الحسين الدهان. مات فيما ذكره السمعاني في المذيل عن ابنه عبد الرحمن الكركنجي قال: توفي الإمام الوالد في ثاني عشر ذي الحجة سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وهو ابن نيف وتسعين سنة، ومولده في حدود سنة تسعين وثلاثمائة بمرو. قال: كان إماماً فاضلاً في علوم القرآن صاحب التصانيف الحسنة فيها، مثل كتاب المعول، وكتاب التذكرة لأهل البصرة وغير ذلك، سافر الكثير إلى العراق والحجاز والجزيرة والشام والسواحل في طلب علم القرآن والقراءة على المشايخ إلى أن صار أوحده عصره وفريد دهره في فنه، وكان مع فضله زاهداً ورعاً متديناً. قال: حكى لي بعض المشايخ أن أبا بصر المقرئ المروزي قال: غرقت نوبة في البحر وانكسر المركب، فكنت أخوض في الماء وتلعب بي الأمواج، فنظرت إلى الشمس وقد زالت ودخل وقت الظهر، فغصت في الماء ونويت أداء فرض الظهر وأنا أنزل في الماء، وشرعت في الصلاة على حسب الوقت، فخلصني الله تعالى ببركة ذلك. وقرأ القرآن على جماعة كثيرة: منهم بمرو على أستاذه أبي الحسين عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الدهان المقرئ، وبنيسابور على أبي عبد الله محمد بن علي الخبازي، وأبي عثمان سعيد بن محمد المعدل، وبيغداد على أبي الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص بن الحامي، وذكر غير هؤلاء قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الرزاق المقرئ بسرخص يقول: سمعت أستاذي أبا نصر محمد بن أحمد بن علي المقرئ الكركنجي بجيرنج يسأل ويقول: أين في القرآن كلمة متصلة عشرة أحرف؟ فأفخمتنا فقال: (ليستخلفهم في الأرض)، ثم قال: فأين جاء في القرآن بين سبع كلمات ثمان نونات؟ فلم نحر جواباً فقال: (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون، نحن نقص

وذكر السمعاني بإسناد آخر أن أبا نصر الكركنجي قال: نصف القرآن في قوله تعالى: (لقد جئت شيئاً نكراً)، النون والكاف من النصف الأول والراء والألف من النصف الثاني. قال: وسمعت المقرئ أبا عبد الله محمد بن عبد الرزاق الحداد بسرخص يقول: سمعت المقرئ أبا نصر محمد بن أحمد الكركنجي بجيرنج يقول: أردت أن أقرأ القرآن على بعض القراء بالشام برواية وقعت له عالية فامتنع علي ثم قال لي: تقرأ على كل يوم عشراً وتدفع إلى مثقالاً من الفضة، فقبلت ذلك منه شئت أو أبييت. قال: فلما وصلت إلى المفضل، أذن لي كل يوم في قراءة سورة كاملة، وكنت أرسل غلmani في التجارة إلى البلاد، وأقمت عنده سنة وخمسة أشهر أو سنة حتى ختمت، واتفق أن لم يرد علي في هذه الرواية خلافاً من جودة قراءتي، فلما قرب أن أخيم الكتاب جمع أصحابه الذين قروا عليه في البلاد القريبة منه وأمرهم أن يحمل إلى كل واحد منهم شستكة قيمتها ديناراً أحمر، وفيها من دينارين إلى خمسة وقال لهم المقرئ: اعلموا أن هذا الشاب قرأ على الرواية الفلانية ولم احتج أن أرد عليه، ووزن لي في كل يوم مثقالاً من الفضة وأردت أن أعرف حرصه في القراءة مع الجودة. ورد علي ما كان أخذه مني ودفع إلى كل ما حمله أصحابه من الشساتك والذهب فامتنعت، فأظهر الكراهية حتى أخذت ما أشار إليه وخرجت من تلك البلدة.

محمد بن أحمد الأبيوردي الكوفي

أحد قراء أبيورد. هو أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد أبي العباس أحمد بن إسحاق بن أبي العباس محمد الإمام بن إسحاق بن الحسن أبي الفتيان بن أبي مرفوعة منصور بن معاوية الأصغر بن محمد بن أبي العباس عثمان بن عنبسة بن عتبة بن عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. نقلت هذا النسب من تاريخ جمعه منو جهر بن أسفرسيان بن منو جهر، ابتدأه فيما ذكر لي في أوله من بعد ما ذكره الوزير أبو شجاع فقال فيه عند ذكر الأبيوردي: حكى أنه كان من أبيورد ولم يعرف له هذا النسب، وأنه كان ببغداد في خدمة مؤيد الملك ابن نظام الملك، فلما عادى مؤيد الملك عميد الدولة بن منو جهر ألزمه أن يهجو ففعل، فسعى عميد الدولة إلى الخليفة بأنه قد هجاك ومدح صاحب مصر، فأبج دمه فهرب إلى همدان واختلق هذا النسب حتى ذهب عنه ما قرف به من مدح صاحب مصر، وكان يكتب على كتبه المعايي وكان فاضلاً في العربية والعلوم الأدبية نسابة ليس مثله، متكبراً عظيماً. وسمع سنقر كفجك بخبره فأراد أن يجعله طغراني الملك أحمد فمات أحمد فرجع إلى أصفهان بحال سيئة، وبقي سنين يعلم أولاد زين الملك برسق ثم شرح سنقر الكفجك للسلطان محمد ذلك وأعطاه أشراف المملكة، وكان يدخل مع الخطير وأبي إسماعيل والمعين وشرف الدين، فتوفي فجأة بأصفهان يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسمائة وكذا ذكر ابن منده. ويقال: سقا الخطير ودفن بباب دبره، وكان كبير النفس عظيم الهممة، لم يسأل أحداً شيئاً قط مع الحاجة والمضايقة، وكان من دعائه في الصلاة: اللهم ملكني مشارق الأرض ومغربها، ورثي الحسين عليه السلام بقصيدة قال فيها ومن خطه نقلت:

فجدي وهو عنبسة بن صخر
برئ من يزيد ومن زياد

قال السمعاني: قال شيرويه: سمع الأبيوردي إسماعيل ابن مسعدة الجرجاني، عبد الوهاب بن محمد بن الشهيد، وأبا بكر بن خلف الشيرازي حديثاً واحداً، وأبا محمد الحسن ابن أحمد السمرقندي وعبد القاهر الجرجاني النحوي. قال ابن طاهر المقدسي: عنبة الأصغر بن عتبة الأشراف ابن عثمان بن عنبة الأكبر بن أبي سفيان قال: ومعاوية الأصغر هو الذي ينتسب إليه الأبيوردي، ومعاوية أول من تدبر كوفن وهي قصبة بين نسا وأبيورد، ونقله إليها حبان بن حكيم العابدي. وكتب مرة قصة إلى الخليفة وكتب على رأسها الخادم المعاوي، يعني معاوية بن محمد بن عثمان لا معاوية بن أبي سفيان، فكره الخليفة النسبة إلى معاوية واستبشعها، فأمر بكشط الميم ورد القصة فبقيت الخادم العاوي.

وحدث السمعاني عن أحمد بن سعد العجلي قال: كان السلطان نازلاً على باب همدان فرأيت الأديب الأبيوردي راجعاً من عندهم فقلت: له من أين؟ فأنشأ يقول ارتجالاً:

ركبت طرفي فأدري دمه أسفاً
وقال حتام تؤذيني فإن سنحت
عند انصرافي منهم مضمير الياش
جوانح لك فاركني إلى الناس؟

وحدث أبو سعد السمعاني عن أبي علي أحمد بن سعيد العجلي المعروف بالبديع قال: سمعت الأبيوردي يقول في دعائه: اللهم ملكني مشارق الأرض ومغاربها، فقلت له: أي شيء هذا الدعاء؟ فكتب إلي بهذه الأبيات:

يعبرني أخو عجل إبانِي
ويعلم أنني فرط لحي
على عدم وتيهي واختيالي
حموا خطط المعالي بالعوالي
فلمست بحاصن إن لم أزرها
على نهل شبا الأسل الطوال
وإن بلغ الرجال مداي فيما
أحاول فلست من الرجال

قال أبو علي العجلي: وكنت يوماً منكسراً فأردت أن أقوم فعضدني الأبيوردي وعاونني على القيام ثم قال: أموياً يعضد عجلاً كفى بذلك شرفاً. وقد ولي الأبيوردي خزن خزانة دار الكتب بالنظامية التي ببغداد بعد القاضي أبي يوسف يعقوب بن سليمان الأسفرايني، وكانت وفاة الأسفرايني هذا في رمضان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة، وكان أبو يوسف الأسفرايني أيضاً شاعراً أديباً وهو القائل في بهاء الدولة منصور بن مزيد صاحب حلة بني مزيد:

أيا شجرات النبل من يضمن القرى
إذا غاب منصور فلا النور ساطع
إذا لم يكن جار الفرات ابن مزيد
ولا الصبح بسام ولا النجم مهتدي

وحدث العماد محمد بن حامد الأصبهاني في كتاب خريدة القصر: الأبيوردي تولى في آخر عمره أشراف مملكة السلطان محمد بن ملشكاه فسقوه السم وهو واقف عند سرير السلطان فخانتة رجلاه فسقط وحمل إلى منزله فقال:

وقفنا بحيث العدل مد رواقه
وفوق السرير ابن الملوك محمد
وخيم في أرجائه الجود والباس
تخر له من فرط هيبتة الناس
وإن رد عني نفرة الجأش إيناس
إذا لم ينب فيه عن القدم الراس
لئن عثرت رجلي فليس لمقولي
عثار وكم زلت أفاضل أكياس

قال العماد الأصبهاني: وكان - رحمه الله - عفيف الذيل غير طفيف الكيل، صائم النهار قائم الليل، متبحراً في الأدب، خبيراً بعلم النسب، وأورد له صاحب وشاح الدمية فيه:

من أرتجي وإلى من ينتهي أربي
يا دهر هبني لا أشكو إلى أحد
تركنتي بين أيدي النائبات لقي
يريك وجهي بشاشات الرضا كرمأ
إن هزني اليسر لم أنهض على مرح
حسب الفتى من غناه سد جوعته
ولم أطأ صهوات السبعة الشهب؟
ما ظل منتهساً شكوى من النوب
فلا على حسبي تبقى ولا نسبي
والصدر مشتمل مني على الغضب
أو مسني الضر لم اجثم على الكعب
وكل ما يقتنيه نهزه العطب

وله:

خليلي إن الحب ما تعرفانه
أحن ولأنضاء بالغور حنة
فلا تنكرا أن الحنين من الوجد
إذا ذكرت أوطانها برياً نجد

وله:

خطرت لذكرك يا أميمة خطرة
وتنود عن قلبي سواك كما أبى
لم يبق مني الحب غير حشاشة
أبيل من جلب السقام طبيبه
إن كان طرفك ذاق ريقك فالذي
نفسى فداؤك من ظلوم أعطيت
فلقاة الأشباه فيما أوتيت

بالقلب تجلب عبرة المشتاق
دمعي جواز النوم بالآماق
تشكو الصبابة فاذهبي بالباقي
ويفبق من سحرته عين الراقي؟
ألقي من المسقي فعل الساقى
رق القلوب وطاعة الأحداق
أضحت تدل بكثرة العشاق

وله:

علاقة بفؤادي أعقبت كمدا
وللحجيج ضجيج في جوانبه
فأيقظ القلب رعباً ما جنى نظري
وقد رمتني غداة الخيف غانية
لما رأى صاحبي ما بي بكى جزءاً
وقال دع يا فتى فهر فقلت له
فبت أشكو هواها وهو مرتفق
تبدو لوامعه كالسيف مختضباً
ولم يطق ما أعانيه فغادرني

لنظرة بمنى أرسلتها عرضاً
يقضون ما أوجب الرحمن واقترضا
كالصقر نداه ظل الليل فانتقضا
بناظر إن رمى لم يخطئ الغرضاً
ولم يجد بمنى عن خلتي عوضاً
يا سعد أودع قلبي طرفها مرضاً
يشوقه البرق نجدياً إذا ومضاً
شبهه بالدم أو كالعرق إن نبضاً
بين النقا والمصلي عندها ومضى

وقرأت من خط تاج الإسلام اختلاف في نسبه وهو محمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن الحسن بن منصور بن معاوية ابن محمد بن عثمان بن عتبة بن عنبسة بن أبي سفيان صخر بن حرب، الأموي العبشمي، أوجد عصره وفريد دهره في معرفة اللغة والأنساب وغير ذلك، وألقى ما وصف به بيت أبي العلاء المعري:

وإني وإن كنت الأخير زمانه
لأت بما لم تستطعه الأوائل

وله تصانيف كثيرة منها كتاب تاريخ أبيورد ونسا، كتاب المختلف والمؤتلف، كتاب قبسة العجلان في نسب آل أبي سفيان، كتاب نهضة الحافظ، كتاب المجتبي من المجتمى في رجال، كتاب أبي عبد الرحمن النسائي في السنن المأثورة وشرح غريبة، كتاب ما اختلف وانتلف في أنساب العرب، كتاب طبقات العلم في كل فن، كتاب كبير في الأنساب، كتاب تعلقة المشتاق إلى ساكني العراق، كتاب كوكب المتأمل يصف فيه الخيل، كتاب تعلقة المقرور في وصف البرد والنيان وهمدان، كتاب الدرة الثمينة، كتاب صهولة القارج رد فيه على المعري - سقط الزند - وله في اللغة مصنفات ما سبق إليها، وكان حسن السيرة جميل الأمر منظرانياً من الرجال، سمع الحديث فأكثر، ولقي عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي وأخذ عنه. وروى عنه جماعة غير محصورة.

وقال السمعاني: سمعت أبا الفتح محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم النطنزي يقول: سمعت الأبيوردي يقول: كنت ببغداد عشرين سنة حتى أمرن طبعي على العربية، وبعد أنا أرتضخ لكنة. قال: وقرأت بخط يحيى بن عبد الوهاب ابن مندة: سئل الأديب الأبيوردي عن أحاديث الصفات فقال: نقر ونمر. وأنشد السمعاني للأبيوردي بإسناد:

جدي معاوية الأغر سمعت به
وورثته شرفاً رفعت مناره

جرثومة من طينها خلق النبي
فبنو أمية يفخرون به وبني

وأنشد له:

كفى أميمة غرب اللوم والعذل
إن مسني العدم فاستبقي الحياء ولا
فشعر مثلي وخير القول أصدقه
أما الهجاء فلا أرضي به خلقاً
وكيف أمدح أقواماً أوائلهم

فليس عرضي حال بمبتذل
تكلفني سؤال العصابة السفلى
كان يفتر عن فخر وعن غزل
والمدح إن قلته فالمدح يغضب لي
كانوا لأسلافي الماضين كالخول

وله أيضاً في مدح الأئمة الخمسة:

زاهر العود وطيبه	وليا ليه تشيبه
كل يوم من مكان	يلبس الذل غريبه
وهو يسعى طالباً لل	علم والهم يذيبه
وطوى برد صباه	قبل أن يبلى قشيبه
وافتدى بالقوم يدعو	ه هواه فيجيبه
خمسة لا يجد الحا	سد فيهم ما يعيبه
منهم الجعفي لا يع	رف في العلم ضريبه
وإذا اعتل حديث	فالقشيري طبيبه
وأخونا ابن شعيب	حازم الرأي صلبه
وأبو داود موفو	ر من الفضل نصيبه
وأبو عيسى يرى الجه	مي منه ما يريبه
حاديهم ذو زجل يس	تضحك الروض نحيبه
طار فيه البرق حتى	خالط الماء لهيبه

وأنشد له:

تتكر لي دهري ولم يدر أنني	أعز وأحداث الزمان تهون
فبات يريني الخطب كيف اعتداؤه؟	وبت أريه الصبر كيف يكون؟

وله في الغزل:

أعصر الحمى عد فالمطايا مناخة	منزلة جرداء ضاح مقليلها
لئن كانت الأيام فيك قصيرة	فكم حنة لي بعدها أستطيلها؟

وله:

رمتني غداة الخيف ليلي بنظرة	على خفر والعيس صعر خدودها
شكت سقماً ألحاضها وهي صحة	فلست ترى إلا القلوب تعودها

وله:

صلي يا ابنة الأشراف أروع ماجداً	بعيد مناط الهم جم المسالك
ولا تتركه بين شاك وشاكر	ومطر ومغتاب وبك وضاحك
فقد ذل حتى كاد ترحمه العدا	وما الحب يا ظبياء إلا كذلك

ووجدت بعد ذلك رسالة - كتبها إلى أمير المؤمنين المستظهر بالله يعتذر - تدل على صحة ما نسب إليه من الهرب من بغداد نسختها: إحسان المواقف المقدسة النبوية الإمامية الطاهرة الزكية الممجة العلية، زاد الله في إشراق أنوارها، وإعزاز أشباعها وأنصارها، وجعل أعداءها حصائد نقمها، ولا سلب أوليائها فلائد نعمها، شمل الأنام، وغمر الخاص والعام، وأحق خدمها من انتهج المذاهب الرشيدة في الولاء الناصع، والتزام الشاكلة الحميدة في الثناء المتتابع، ولا خفاء باعتلاق الخادم أهداب الإخلاص، واستجابة مزايا الاجتناب والاختصاص، لما أسلفه من شوافع الخدم، ومهده من أوامر الذمم، متوافراً على دعاء يصدره من خلوص اليقين، ويعد المواصله به من مفترضات الدين، ولئن صددت الموانع عن المثول السدة المنيفة، والاستدراء بالجناب الأكرم في الخدمة الشريفة، فهو في حالتي دنوه منها واقترابه، وتارتي انتزاحه عنها واغترابه، على السنن القاصد في المشايعة مقيم، ولما يشمله من نفحات الأيام الزاهرة مستديم، وقد علم الله سبحانه - ولا يستشهد كاذباً إلا من كان لرداء الغي جاذباً - أنه مطوي الجنان على الولاء منطلق اللسان بالشكر والدعاء، يتشج بهما الصبح كاشراً عن نابه، ويدرعهما الليل ناشراً سابغ جلبابه، وكان يغيب خدمه اتقاء لقوم يبعونه الغوائل، وينصبون له الحبال، وتدعوهم العقائد المدخولة إلى تنفيره، ويزنون عنه غير ما أجنه في ضميره، ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذماماً ويزيدهم الاستدراج على الجرائم جرأة وإقداماً، حتى استشعر وجلاً، فاتخذ الليل جملاً، والتحف بناشئه الظلماء، والفرار مما لا يطاق من سنن الأنبياء، ولم يزل يستبطن فيهم المقادير، والأيام ترمز بما يعقب التبدل والتغيير، فحاق بهم مكرهم، وانقضت شرتهم وشرهم:

عذرت الذرى لو خاطرتني قرومها	فما بال أكاريه فدع القوائم؟
------------------------------	-----------------------------

وعاود الخادم المثابرة على الممادح الإمامية مطنباً ومطيلاً إذ وجد إلى مطالعة مقار العز والعظمة ومواقف الإمامية المكرمة بها سبيلاً، وهذه فاتحة ما نظم، وانتهاز فرصة الإمكان فيه واغتتم:

لك من غليل صبايتي ما أضمر
وتذكري زمن العذيب يشفني
إذ لمتي سحماء مد على النقا
والدتك النشأ الصغار وليس ما
هو ملعب شرفت بنا أرجاؤه
فيحر أنفاسي وصوب مدامعي
وأجبل في تلك المعهد ناظري
وأرد عبرتي الجموح لأنها
فأبيت محتضر الجوى قلق الحشا
غضبت قريش إذ ملكت مقادتي
وتعاودت عذلي فما أروعيتها
ولقد يهون على العشيرة أنني
وبمهجتي هيفاء يرفع جيدها
طرقت وأجفان الوشاة على الكرى
والشهب في غسق الدجى كأسنة
فنجاد سيفي مس ثنى وشاحها
ثم افترقنا والرقيب يروع بي
والدر ينظم حين تضحك عقدة
فوطئت خد الليل فوق مطهم
طرب العنان كأنه في حضره
والعز يلحفني وشائع برده
وعلام أدرع الهوان وموئلي
هو غرة الزمن الكثير شياؤه
وله كما اطردت أنابيب القنا
وعلا ترف على التقى وسماحة
لا تنفع الصلوات من هو صاحب
ولو استمليت عنه هامة مارق
والله يحرس بابن عم رسوله
فعفاته حيث الغنى يسع المنى
وبسبييه وبسيفه أعمارهم
وكانه المنصور في عزماته
وإذا معد حصلت أنسابها
ولهم وقائع في العدا مذكورة
والسمر في اللبات راعفة دماً
والقرن يركب رده سهل الخطا
ودجا النهار من العجاج وأشرقت

وأسر من ألم الغرام وأظهر
والوجد ممنو به الممتذكر
أظلالها ورق الشباب الأخضر
ألقاه فيك من الملاوم يصغر
إذ نحن في حلل الشبيبة نخطر
أضحت معالمه تراح وتمطر
فالقلب يعرفها وطرفي ينكر
بمقيل سرك في الجوانح تخبر
وأظل اعذر في هواك وأعذر
غضباً يكاد السم منه يقطر
سمعاً يقل به الكلام ويكثر
أشكو الغرام فيرقدون وأسهر
رشاً ويخفض ناظريها جوذر
تطوي وأردية الغياهب تنشر
زرق يصافحها العجاج الأكر
بمضاجع كرمت وعف المنزر
أسداً يودعه غزال أحور
وإذا بكيت فمن جفوني ينثر
تسمو لغايته الرياح فتحسر
نار بمعترك الجياد تسعر
حلق الدلاص وصارمي والأشقر
خير الخلائق أحمد المستظهر؟
زهى السرير به وتاه المنبر
شرف وعرق بالنبوة يزخر
علق الرجاء بها وبأس يحذر
ذيل الضلال وعن هواه أزور
لدعا صوارمه إليها المغفر
دين الهدى وبه يعان وينصر
وعداته حيث القنا يتكسر
في كل معضلة تطول وتقصر
ومحمد في المكرمات وجعفر
فهم الذرا والجوهر المتخير
ترى الذئاب حديثها والأنسر
والبيض يخضبها النجيع الأحمر
والأعوجية بالجماجم تعثر
فيه الصوارم فهو ليل مقمر

يا بن الشفيح إلى الحيا ما لامرئ
أنا عبد نعمتك التي لا تجتدي
والنجاح يضمنها، لمن يرتادها
ولقد عداني عن جنابك حادث
وإن اقتربت أو اغتربت فإنني
وعلاك لي في ظلها ما أبتغى
يسدي مديحك هاجسي وينيره
بغداد أيتها المطي فواصلني
إني وحق المستجن بطيبة
وكانني مما تسوله المنى
أرض تجر بها الخلافة ذيلها
فكانها جلبت علينا جنة
وهواؤها أرج النسيم وتربها
يقوي الضعيف بها ويأمن خائف
فتركها إذ صدعني معشري
من كل ملتحف بما يصم الفتى
فنفضت منه يدي مخافة كيده
والأبيض المأثور يخطم بالردى
فارفض شملهم وكم من مورد
وآبى لشعري أن أدنسه بهم
قابلت سيئ ما أتوا بجميل ما
وإلى أمير المؤمنين تطلعت
ويقيم مائدهن ليل مظلم
فبمثل طاعته الهداية تبتغي

وله:

ألا ليت شعري هل تخب مطيتي
ألذ به مس الثرى ويروقني
ولولا دواعي حب رملة لم أقل
فيا حبذا أثل العقيق ومن به
ضعيفة رجع القول من ترف الصبا
وقد بعثت سرا إلى رسولها
تخاف على الحي إذ نذروا دمي
أيمعني خوف الردى أن أزورها
إذا رضيت عني فلا بات ليلة

وله:

خطوب للقلوب بها وجيب
نرى الأقدار جارية بأمر
فتتجح في مطالبها كلاب

طامنت نخوته، المحل الأكبر
معها السحائب فهي منها أغزر
منا الطلاقة والجبين الأزهر
أنحى علي به الزمان الأغبر
لهج بشكر عوارف لا تكفر
منها ومن كلمي لها ما ينخر
فكري وحظي في امتداحك أوفر
عناقاً تئن له القلاص الضمر
كلف بها إلى ذراها أصور
والدار نازحة إليها أنظر
وبها الجبابة من الملوك تعفر
وكان دجلة فاض فيها، الكوثر
مسك تهاده الغدائر أذفر
قلقت وسادته ويثري المقتر
وبغى علي من الأراذل معشر
يؤذي ويظلم أو يجور ويغدر
إن الكريم على الأذى لا يصبر
من لا يهنهه القطيع الأسمر
للظالمين وليس عنه مصدر
حسبي وحسب ذوي الخنا أن يحقروا
أتى فإني بالمكارم أجدر
مدح كما ابتسم الرياض تحبر
ويضم شاردن صبح مسفر
وبفضل نائله الخصاصة تجبر

بحيث الكئيب الفرد والأجرع السهل
حواشي ربا يغدو أزاهيرها الويل
إذا زرت مغناها به سقى الرمل
وإن رحلت عنه فلا حبذا الأثل
لها نظرة تنسيك ما يفعل النصل
لأهجرها والهجر شيمة من يسلو
سأرخسه فيها على أنه يغلو
وأروح من صبري على هجرها القتل؟
على غضب إلا العشيرة والأهل

تكاد لها مفارقنا تشيب
يريب ذوي العقول بما يريب
وأسد الغاب ضارية تخيب

وتقسم هذه الأرزاق فينا ونخضع راغمين لها اضطراباً	فما ندري أتخطى أم تصيب؟ وكيف يلاطم الإشفي لبيب؟
وله:	
وغادة لو رأتها الشمس ما طلعت عانقتها برداء الليل مشتملاً فظلت أحميه خوفاً أن ينبهها	والرئم أغضى وغصن البان لم يمس حتى انتهت ببرد الحلى في الغلس وأتقي أن أذيب العقد بالنفس
وله:	
ومتشح باللوم جاذبني العلا وطوقت أعناق المقادير ما أتى ولو نيلت الأرزاق بالفضل والحجى فيا نفس صبراً إن للههم فرجة ولي حسب يستوعب الأرض ذكره	فقدمه يسر وأخرني عسر به الدهر حتى ذل للعجز الصدر لما كان يرجو أن يثوب له وفر فمالك إلا العز عندي أو القبر على العدم والأحساب يدفنها الفقر
وله أيضاً وهو من جيد شعره:	
وعليّة الألاحظ ترقد عن وفؤاده كسوارها حرج عانقتها والشهب ناعسة ولثمتها والليل من قصر بمعانق ألف العفاف به ثم افترقنا حن فاجأنا وبنحرها من أدمعي بلل	صب يصافح جفنه الأرق ووساده كوشاحها قلق والأفق بالظلماء منتطق قد كاد يلثم فجره الشفق كرم بأذيال التقى علق صبح تقاسم ضوءه الحدق وبراحتي من نشرها عبق
وله:	
بيضاء إن نطقت في الحي أو نظرت والركب يسرون والظلماء عاكفة	تقاسم السحر أسماع وأبصار كأنهم في ضمير القلب أسرار
وله:	
وقصائد مثل الرياض أضعتها فاذا تناشدها الرواة وأبصروا ال	في باخل ضاعت به الأحساب ممدوح قالوا ساخر كذاب
وله:	
ما للجبان ألان الله ساحته وكم حياة جبتها النفس من تلف فقت الثناء أبلغ مداك به والعي أن يصف الورقاء مادحها	ظن الشجاعة مرقاة إلى الأجل ورب أمن حواه القلب من وجل حتى توهمت أن العجز من قبلي بالطوق أو يمدح الأدماء بالكمل
وله:	
وقد سئمت مقامي بين شرذمة أراذل ملكوا الدنيا وأوجههم	إذا نظرت إليهم قطبت هممي لم يكشف الفقر عنها بهجة النعم
وله:	
ألام على نجد وأبكي صباية قلي بالحمى من لا أطيق فراقه وأكرم من جيرانه كل طارئ إذا لم يدع مني نواه وحبه	رويدك يا دمعي وبيا عاذلي رفقا به يسعد الواشي ولكنني أشقى يود وداداً أنه من دمي يسقى سوى رمق يا أهل نجد فكم يبقى؟

ولولا الهوى مالان للدهر جانبي
ولا رضيت مني قريش بما ألقى
قرأت بخط محمد بن عبيد الله الشاعر المعروف بابن التعاويذي قال: حدثني الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب قال:
حدثني الشيخ أبو منصور بن الجواليقي قال: كنت أقرأ على أبي زكريا شعر أبي دهل الجمحي حتى وصلت إلى هذا البيت:
يجول وشاحاها ويغرب حجلها
ويشبع منها وقف عاج ودملج
قال: فقلت له: وصفها بقوله يجول وشاحاها بأنها هزيمة الحشا، ويقول: ويشبع منها وقف عاج ودملج: أنها علة الزند والعصده،
فما معنى قوله ويغرب حجلها؟ فقال لا أدري، وكان الأبيوردي حاضراً فلما قمت من عنده قال لي الأبيوردي: أتحب أن تعرف
معنى هذا البيت؟ قلت نعم. فقال اتبعني، فمضيت معه إلى بيته فأجلسي وأخرج سلة فيها جزاز فجعل يطوفها إلى أن أخرج ورقة
فنظر فيها وقال لي: إنه مدح امرأة من آل أبي سفيان، هم يوصفون بأنهم سته حمش. والحمش: رقة السافين. ومن اقتخاراته
قوله:

يا من يساجلني وليس بمدرک
لا تتبعن فدون ما أملتہ
المجد يعلم أينما خير أبا؟
جدي معاوية الأغر سمت به
وورثته شرفاً رفعت مناره
شأوى وأين له جلاله منصبی؟
خرط القتادة وامتطاء الكوكب
فأسأله تعلم أي ذي حسب أبي
جرثومة من طينها خلق النبي
فبنوا أمية يفخرون به وبی

قال عبد الله بن علي التميمي: ولقد حصل للأبيوردي بعد ما تراه من شكوى الزمان في أشعاره مما انتجعه بالشعر من ملوك
خراسان ووزرائها وخلفاء العراق وأمرائها ما يحصل للمتنبئ في عصره، ولابن هاني في مصره، فمن ذلك ما حدثني القاضي
أبو سعد محمد بن عبد الملك بن الحسن النديم: أن أفضل الدولة الأبيوردي لما قدم الحلة على سيف الدولة صدقة ممتدحاً له - ولم
يكن قبلها اجتمع به قط - خرج سيف الدولة لتلقيه قال: وكنت فيمن خرج فشاهدت الأبيوردي راكباً في جماعة كثيرة من أتباعه،
منهم من المماليك الترك ثلاثون غلاماً ووراءه سيف مرفوع وبين يديه ثمان جنائب بالمرابك والسرفسات الذهب، وعدنا
تقله فكان على أحد وعشرين بغلاً، وكان مهيباً محترماً جليلاً معظماً لا يخاطب إلا بمولانا، فرحب به سيف الدولة، وأظهر له
من البر والإكرام ما لم يعهد مثله في تلقي أحد ممن كان يتلقاه، وأمر بإنزاله وإكرامه والتوفر على القيام بمهامه، وحمل إليه
خمسمائة دينار وثلاثة حصن وثلاثة أعبد، وكان الأبيوردي قد عزم على إنشاء سيف الدولة قصيدته التي يقول فيها:

وفي أي عطفيك التفت تعطفت
عليك به الشمس المنيرة والبر

في يوم عينه. ولم يكن سيف الدولة أعد له بحسب ما كان في نفسه أن يلقاه به ويجيزه على شعره، واعتذر إليه ووعد يوماً غير
ذلك اليوم ليعد ما يليق بمثله إجازته مما يحسن به بين الناس ذكره، ويبقى على ممر الأيام أثره، فاعتقد أفضل الدولة أن سيف
الدولة قد دافعه عن سماعه منه استكباراً لما يريد أن يصله به ثانياً، فأمر الأبيوردي أصحابه أن يعبروا ثقله الفرات متفرقاً في
دفعات، وخرج من غير أن يعلم به أحد سوى ولد أبي طالب بن حبش فإنه سمعه ينشد على شاطئ الفرات حين عبوره:

أبابل ولا واديك بالخبر مفعم
لئن ضقت عني فالبلاد فسيحة
فإن كنت بالسحر الحرام مدلة
قواف تعبر الأعين النجل سحرها
لراج ولا ناديك بالرفد أهل
وحسبك عاراً أنني عنك راحل
فعندي من السحر الحلال دلائل
وكل مكان خيمت فيه بابل

فبادر ولد أبي طالب إلى سيف الدولة فقال له: رأيت على شاطئ الفرات فارساً يريد العبور إلى الشرق وهو ينشد هذه الأبيات.
فقال سيف الدولة: وأبيك ما هو إلا الأبيوردي، فركب لوقته في قل من عسكره، فلحقه فاعتذر، وسأله الرجوع وعرفه عذره في
امتناعه من سماع شعره، وأمر بإنزاله في داره معه، وحمل إليه ألف دينار، ومن الخيل والثياب ما يزيد على ذلك قيمة.

قال عبيد الله التميمي: أنشدني أبو إسحاق يحيى بن إسماعيل المنشئ الطغرائي قال: سمعت والدي ينشد لنفسه مرتبة للأبيوردي:

إن ساغ بعذك لي ماء على ظمإ
أو إن نظرت من الدنيا إلى حسن
صحبتني والشباب الغض ثم مضى
هيني بلغت من الأعمار أطولها
كف لي بشباب لا ارتجاع له
سبقتماني ولو خيرت بعد كما
فلا تجرعت غير الصاب والصبر
مذ غبت عني فلا تمتع بالنظر
كما مضيت فما في العيش من وطر
أو انتهيت إلى آمالي الكبر
أم أين أنت فما لي منك من خبر؟
لكن أول لحاق على الأثر

محمد بن أحمد بن طاهر بن حمد

أبو منصور الخازن لدار الكتب القديمة، من ساكني درب منصور بالكرخ، مات في ثالث عشر شعبان سنة عشرة وخمسمائة ذكر ذلك ابن الجوزي وقال: كان أديباً فاضلاً نحوياً، وخطه موجود بأيدي الناس كثير يرغب فيه ويعتمد غالباً عليه، وكان أبو السعادات بن الشجري النحوي والنقيب حيدرة كثيراً ما يستكتبانه، سمع علي بن المحسن التنوخي، وابن غيلان وغيرها. وكان علي فقيهاً على مذهب الشيعة، ووجدت سماعه على كتاب بخطه في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة.

وحدث غرس النعمة أبو الحسن محمد بن الصابئ في كتاب الهفوات قال: كان بدار العلم التي وقفها سابور بن أزدشير الوزير خازن يعرف بأبي منصور، واتفق بعد ذلك بسنين كثيرة من وفاة سابور أن آلت مراعاة الدار إلى المرتضى أبي القاسم علي بن الحسن الموسوي نقيب الطالبين، فرتب معه آخر يعرف بأبي عبد الله بن حمد مشرفاً عليه وكان داهية، فصمد لأبي منصور كيداً ومكرراً فصار يتلهم به دائماً. فمن ذلك أنه قال له يوماً: قد هلكت الكتب وذهب معظمها. فقال له وانزعج: بأي شيء؟ قال: بالبراغيث وغيثهم فيها وعبثهم بها. قال: فما تفعل في ذلك؟ قال: تقصد الأجل المرتضى وتطالعه بالحوال وتسلله إخراج شيء من دوائهم المعد عنده لهم لتنتشره بين الورق ويؤمن الضرر، فمضى إلى المرتضى وخدمه. وقال له بسكون ووقار، ومن طريق النصح والاحتياط: يتقدم سيدنا إلى الخازن بإخراج شيء من دواء البراغيث، فقد أشرفت الكتب على الهلاك بهم، لتندارك أمرهم بتعجيل إخراج الدواء المانع لهم المبعد لضررهم. فقال المرتضى: البراغيث البراغيث مكرراً، لعن الله ابن حمد، فأمره كله طنز وهزل، قم أيها الشيخ مصاحباً ولا تسمع لابن حمد نصيحة ولا قولاً.

قال المؤلف: هكذا وجدت هذا الخبر، وقد وافق رواية ابن الجوزي في كون ابن حمد خازن الكتب بين السورين وفي مقاربة العصر وخالفه في الكنية، ولا أدري هل هو هذا أو غيره؟ أو قد غلط أحدهما في الكنية والله أعلم. ثم وقفت على المذيل الذي للسمعاني بخطه على حاشية ملحقة أن محمد بن عطف الموصلي سأل أبا منصور بن حمد الخازن عن مولده فقال: سنة ثمانى عشرة وأربعمائة. قال: وسأله فقال: سنة سبع عشرة وأربعمائة، وهذا يدل على أن هذه الحكاية ليست عنه، لأن المرتضى مات سنة ست وثلاثين وأربعمائة، فيكون حينئذ قد كان ابن حمد ابن ثمانى عشرة سنة، فيستحيل أن تكون الحكاية عنه وعساها عن أبيه، عز وجل أعلم بالصواب.

محمد بن أحمد بن جرامرد الشيرازي

أبو بكر القطان النحوي، شيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد الخشاب ومخرجه ومؤدبه وعنه أخذ النحو، قرأ ابن جرامرد على علي بن فضال المجاشعي القيرواني وعلى غيره، وسمع الحديث ورواه، ومات بعد سنة عشرة وخمسمائة. قال الشيخ أبو محمد بن الخشاب فيما قرأته بخطه: كان في أبي علي الحسن بن علي المحولي شيخنا سلامة صدر. ولقد كان شيخنا أبو بكر محمد بن جرامرد الشيرازي المعروف بالقطان - رحمه الله - يولع به وبغيره كثيراً، فكان يقول معرضاً به وبغيره ممن هو أعلى منه منزلة وأرفع ذكراً وأبعد صيتاً، فكان من قوله ما عبر عن البلادة والجمود بأحسن من قولهم هو ثقة، وله أعني الشيخ أبا بكر مع هذا المحولي نواذر أقاصيص لا أطول بذكرها.

محمد بن أحمد بن حمزة بن جيا

أبو الفرج من أهل الحلة المزبدية يلقب شرف الكتاب، كان نحوياً لغوياً فطناً شاعراً مترسلاً، شعره ورسائله مدونة. قدم بغداد فقرأ على النقيب أبي السعادات هبة الله بن الشجري النحوي وأخذ عنه، ثم أخذ بعده عن أبي محمد بن الخشاب، وسمع الحديث على القاضي أبي جعفر عبد الواحد بن الثقفي، وأصله ومولده من مطيراباذ وصحب ابن هبيرة الوزير. وله رسائل مدونة عملها أجوبة لرسائل أبي محمد القاسم بن الحريري.

حدثني أبو علي القيلوي قال: أنا رأيته. ومات في سنة تسع وسبعين وخمسمائة وقد نيف على الثمانين. أنشدني ابن الديبثي قال: أنشدني أبو التثاء محمود بن عبد الله بن المفرج الحلبي قال: أنشدني شرف الكتاب أبو الفرج محمد ابن أحمد بن جيا لنفسه:

حتام أجرى في ميادين الهوى	لا سابق أبداً ولا مسبوق
ما هزني طرب إلى أرض الحمى	إلا تعرض أجمع وعقيق
شوق بأطراف البلاد مفرق	نحوي، شتيت الشمل منه فريق

ومدامع كفلت بعارض مزنة
فكأن جفني بالدموع موكل
قدم الزمان، فصار شوقي عادة
قد كان في الهجران ما يزع الهوى
لكنني أبى لعهدي أن يرى
إن عادت الأيام لي بطويلع
لأنهن على الغرام بزفرتي

حدثني أبو علة القيلوي قال: سمعت شرف الكتاب يحدث أنه كان يوماً في مجلس الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة فجاءه فراش من دار الخلافة وحده بمحضري شيئاً كان يحب كتمانته من كل أحد. قال: واتفق خروج الفراش وقد اجتمع عنده الناس فشغل بهم عني، وقمت أنا وخرجت ومضيت فما وصلت باب العامة حتى جاءني من رديني إلى حضرته، فلما وقفت بين يديه قلت: أحسن الله إلى مولانا الوزير وأدام أيامه. بيت الحماسة؟ فقال نعم، امض بارك الله فيك، كذا الظن بمثلك. قال وخرجت من عنده ولم يفهم أحد شيئاً مما جرى بيننا، وإنما أردت قول شاعر الحماسة:

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم
ومن شعره:

أما والعيون النجل تصمي نبالها
ومنعطف الوادي لأرج نشره
وقد كان في الهجران ما يزع الهوى

ومنها:

أيا ابناً لألى جادوا وقد بخل الحيا
ذد الدهر عني من رضاك بعزيمة
ووجدت بخط بعض بني معية العلويين الحسينين: أنشدني الشيخ أبو الفرج ابن جيا الكاتب لنفسه:
قل لحادي عشر البروج أبا العا
يا ابن شكران ضلة لزمان
ليس طبي ذم الزمان ولكن

ومن كلامه في جواب رسالة لابن الحريري كتبها إلى سديد الدولة بن الأنباري يشكره: سيدنا الشيخ الإمام في توالي مباره، والقصور مني عن تأدية حقه وإيفائه، كمن يفرض غريماً مع عسرته، ويتكثر بمن أفراد الزمان عن أهله وأسرته، فهلا اقتصر بي من دينه على ما تقادم عهده، ولم يشفعه بطول أضعف قوى شكري وكان مستحكماً عقدة:

أنت امرؤ أو ليتني منناً
فاليلك بعد اليوم معذرتي
لا تسدين إلى عارفة
أوهت قوى شكري فقد ضعفا
لاقتك بالتصريح منكشفا
حتى أقوم بشكر ما سلفا

فأما ما يعزوه إلي من البراعة وحسن الصناعة، ويقرره من إحسان كان الطي أولى به من الإذاعة، فتلك حال إن ثبت فيها الدعاوى، واتفق على صحة نقلها المخالف والموالي، فإنما جريت إليها بجيادهن التوالي لسوابقه، الصوادي إلى مناهل حقائقه، وأين الرذايا بعد ذلك من السابقات؟. والمقصرة من اللاحقات؟. والمقرفة من كريمات المناسب؟. والمكدية مطالبها من نجيدات المكاسب:

سبقت إلى الآداب أبناء دهرنا
وليس كما أبقت ضبيعة اضخم
ولكن طوداً لم يحلحل رسيه
إذا ما بناء شاده الفضل والتقى
فبوت بعادي على الدهر أقدم
وليس كما سادت قبائل جرهم
وفارعة قعساء لم تتسنم
تهدمت الدنيا ولم يتهدم

فالله تعالى يحرس عليه ما خوله من هذه الخصائص النفسية والمنح الشريفة، ولا تعدم القلوب الراحة بمحاضرتة، كما لم يخله من النصر إذا أشرع رماح الجدل يوم مناصرتة بمنه وجوده. فأما اعتذاره عن إنفاذ ذلك التأليف، وإنكاره للفراغ منه بعد

التعريف، فما يخفى ما وراء ذلك من المغالطة، وما يقصده في كل وقت من قطع حبال المباشطة، ولولا أن المعاتبة إذا حقت فلما يسلم معها وداد، ويجود في مطاويها من الصفاء عهد:

لأرسلتها مقطوعة العقل تغتدي
قوارص تبقى ما رأى الشمس ناظر
شوارد قد بالغن في الجولان
وما سمعت من سامع أذنان

لكن المقصود ما عاد بإجمام خاطره وصفاء مشاربه، وألا أكون عليه عوناً للدهر ونوائبه، ولا سيما وقد رأيت الصبر على فعالة أيسر من الصبر على ترك وصاله، فأما الملحة فإنني وجدتُها عند الوصول كما سماها، غريبة في لفظها ومعناها، عارية من لبسة التكلف بعيدة عن التصنع تقتاد القلوب بأزمته، وما كان أولاه لو قرنها إلى ذلك العقد المكنون والدر المصون، فكانت النعمى تكمل، والمسرة تشمل، وهأنا أرتقب لذلك السمط أن تؤلف فرائده، وتجمع بدائده، وأنظر لوصوله يوماً ثقل همومه وتكثر حواسده، فما ذاك بمتعذر عليه متى رame، ولا بمعوزه إن سرح سوام الفكر فيه وشامه، ولرأيه في ذلك ومعرفته، وإنجاز الوعد جرياً على كريم عادته، مزيد من علاء لا يطرأ الأفول على أهله، إن شاء الله تعالى وحده.

محمد بن أحمد الزاهري

بن سليمان الزاهري أبو عبد الله الأندلسي، رجل فاضل وأديب كامل متقن، سمع الحديث الكثير ببغداد من ابن كليب وابن بوش وغيرهما فأكثر، وكتب بخطه الكثير وصنف، ولقيته ببغداد وكان لي صديقاً معاشراً حسن الصحبة عذري القلب جيد الشعر، أنشدني كثيراً من شعره لم أثبت، ثم فارق بغداد وحصل في بلاد الجبال، واستوطن بروجرد وتآهل بها وولد له، وصنف بها تصانيف في الأدب كثيرة منها شرح الإيضاح.

محمد بن أحمد بن بريك

بن محمد بن حمزة بن بريك الأنصاري الدسكري المعروف بابن البرفطي، والدسكرة: قرية من قرى نهر الملك، سكن بها أجداده وقرى وغلظ اسمه بالنسبة إلى برفطا، وهي أيضاً قرية من قرى نهر الملك فغلب عليه هذا الاسم. ولد ببغداد في شهر رمضان من شهور سنة ست وستين وخمسائة، ومات رحمه الله في أول رجب سنة خمس وعشرين وستمائة، وخلف خمسة وعشرين قطعة بخط ابن البواب لم نجتمع في زماننا عند كاتب، وكان يغالي في شرائها. وله شعر من جملته:

أبدأ أميل إليك ميل تدلل
أبداً صد تجنب ودلال
حترف المتيم منط يوم قطيعة
وحياته في الحب يوم وصال
قد كدت أغرق في بحار مدامعي
لولا التمسك فيك بالأمال
عذبت مرأشفه وصال بقده
فحمى جني المعسول بالعسال
عهدي وظل الوصل غير مقلص
عنا وعمر المطل غير مطال
وكانما ليس الزمان سناء بد
ر الدين ذي الإنعام والإفضال
خضر الجنبان فإن دجت في أزمة
سوء الخطوب فأبيض الأفعال
منح ابتداء رافعاً خبر الندى
وكفى الوجوه مؤونة التسال
كثرت صنائعه فقل نظيره
وكذا البدور قليلة الأمثال
وحوت أزمة دجلة أعماله
وكذا الجنان تجاز بالأعمال
حاط العلا فرماحه أقلامه
حيث المداد لها رؤوس نصال
في ليل ذاك النفس تطرقنا المنى
يحكى بياض الطرس تحت سواده
فكأنه في الهدى طيف خيال
أسرار صبح في صدور ليالي

وابن البرفطي هذا أوجد عصرنا في حسن الخط والمشار إليه في التحرير، قد تخرج به خلق كثير وسافر إلى دمشق، وكتب عليه كتابها وأقام بحلب مدة مديدة ثم عاد إلى بغداد، وهو صديقنا أنشدني لنفسه أشعار منها ما أثبتته. وحفزه السفر في يوم الخميس ثامن المحرم سنة ثلاث عشرة وستمائة إلى تستر صحبة الأمير ابن أبي محمد الحسن، وأبي عبد الله الحسين ابني الأمير الملك المعظم أبي الحسن علي بن سيدنا ومولانا الإمام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين لما ولاهما أرض خوزستان بعد موت أبيهما أبي الحسن علي، تقدم إلى ابن البرفطي بالخروج في خدمتهما والكون في جملتهما ليكتبا عليه ويصلحا خطهما به ويكون معلماً لهما، وهو دمث الأخلاق حسن العشرة، لين الكلام قصير من الرجال فيه دهاء، وكان أول

أمره معلماً، فلما جاد خطه صار محرراً، وكان يبالغ في أثمان خطوط ابن البواب فحصل له منها ما لم يحصل لأحد غيره. وجدت عنده أكثر من عشرين قطعة بخطه أرانيها. وحدثني قال: بلغني عن رجل معلم في بعض محال بغداد أن عنده جزاًزاً كثيرة ورثه عن أبيه، فخیل لي أنه لا یخلو من شيء من الخطوط المنسوبة، فمضيت إليه وقلت له: أحب أن تريني ما خلف لك والدك عسى أنأشتري منه شيئاً، فصعد بي إلى غرفة جلست أفتش حتى وقع بيدي ورقة بخط ابن البواب قلم الرقاع أرانيها أيضاً، فضممت إليها شيئاً آخر لا حاجة بي إليه وقلت له: بكم هذا؟ فقال لي يا سيدي: ما صلح لك في هذا كله شيء آخر؟ فقلت له: أنا الساعة مستعجل، ولعلي أعود إليك مرة أخرى. فقال: هذا الذي اخترته لا قيمة له فخذ هبة مني. فقلت لا أفعل وأعطيته قطعة قراضة مقدارها نصف دانق، فاستكثرها وقال: يا سيدي ما أخذت شيئاً يساوي هذا المقدار فخذ شيئاً آخر، فقلت: لا حاجة لي في شيء آخر، ثم نزلت من غرفته فاستحييت وقلت هذا مخادعة، ولا شك أنه قد باعني ما جهله، والله لا جعلت حق خط ابن البواب أن يشتري بالمخادعة، فعدت إليه وقلت له: يا أخي هذه الورقة بخط ابن البواب. فقال وإذا كانت بخط ابن البواب أي شيء أصنع؟ قلت له قيمتها ثلاثة دنانير إمامية. فقال يا سيدي لا تسخر بي، ولعلك قد عزمت على ردها فخذها وحط الذهب. فقلت: بل أحضر ميزاناً للذهب فأحضرها، فوزنت ثلاثة دنانير وقلت له: بعثني هذا بهذا؟ فقال بعثك، فأخذتها وانصرفت.

محمد بن إدريس الشافعي الإمام

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد ابن أد.

وهاشم هذا الذي في نشب الشافعي ليس هو هاشماً جد النبي صلى الله عليه وسلم، ذاك هاشم بن عبد مناف، فهاشم هذا هو ابن أخي ذاك. ولد فيما حكاه الشافعي عن نفسه أنه قال: ولدت بغزة سنة خمسين ومائة، وحملت إلى مكة وأنا ابن سنتين قال: وكانت أمي من الأزدي، وغزة من بيت المقدس على ثلاث مراحل. وفي رواية أخرى عن الشافعي أنه قال: ولدت بعسقلان، وعسقلان من غزة على ثلاثة فراسخ وكلاهما في فلسطين.

وكان مولد الشافعي يوم مات أبو حنيفة، ولا اختلاف في أن وفاة أبي حنيفة كانت سنة خمسين ومائة. ومات الشافعي - رحمه الله عليه - في رجب سنة أربع ومائتين وهو ابن أربع وخمسين سنة، وكان قدومه مصر سنة ثمان وتسعين ومائة.

وقد روى الزعفراني عن أبي عثمان بن الشافعي: أن الشافعي مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة. وفي رواية أن الشافعي قال: ولدت باليمن فخافت أمي على الضيعة، فحملتني إلى مكة وأنا يومئذ ابن عشر أو شبيه بذلك، وتأول بعضهم قوله باليمن بأرض أهلها وسكانها قبائل اليمن. وبلاد غزة وعسقلان كلها من قبائل اليمن وبطونها. قلت وهذا عندي تأويل حسن إن صحت الرواية، وإلا فلا شك أنه ولد بغزة وانتقل إلى عسقلان إلى أن ترعرع. وأما طلبه للعلم، فحدث الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبد الله بن الزبير: أنه خرج إلى اليمن فلقى محمد بن إدريس الشافعي وهو مستحضر في طلب الشعر والنحو والغريب. قال فقلت له: إلى كم هذا؟ لو طلبت الحديث والفقه كان أمثل بك، وانصرفت به معي إلى المدينة فذهبت به إلى مالك بن أنس وأوصيته به. قال: وكان فتى حلواً. قال فما ترك عند مالك بن أنس إلا الأقل، وعند شيخ من مشايخ المدينة إلا جمعه، ثم شخص إلى العراق فانقطع إلى محمد بن الحسن فحمل عنه ثم جاء إلى المدينة بعد سنين. قال: فخرجت به إلى مكة فكلمت له ابن داود وعرفته حاله الذي صار إليه، فأمر له بعشره آلاف درهم. حدث اللأبري، وهو أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم اللأبري السجزي قال: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمد بن المولد الرقي يحكي عن زكريا بن يحيى البصري، ويحيى بن زكريا بن جبرية النيسابوري كلاهما عن الربيع بن سليمان، وبعضهم يزيد على بعض في الحكاية. قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: كنت أنا في الكتاب أسمع المعلم يلقي الصبي الآية فأحفظها أنا، ولقد كنت - ويكتبون أنهم فإلى أن يفرغ المعلم من الإملاء عليهم - قد حفظت جميع ما أُملي، فقال لي ذات يوم: ما يحل لي أن أخذ منك شيئاً. قال: ثم لما خرجت من الكتاب كنت أتلقط الخزف والدفوف وكرب النخل أكتاف الجمال، أكتب فيها الحديث وأجئ إلى الدواوين فأستوهب منها الظهور فأكتب فيها حتى كانت لأمي حباب فملأتها أكتافاً وخزفاً وكرباً مملوءة حديثاً، ثم إنني خرجت عن مكة فلزمت هذيلاً في البداية أتعلم كلامها وأخذ طبعها وكانت أفصح العرب. قال: فبقيت فيهم سبع عشرة سنة، أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم، فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب، فمر بي رجل من الزبيريين من بني عمي فقال لي: يا أبا عبد الله: عز علي ألا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقه، فتكون قد سدت أهل زمانك، فقلت: فمن بقي نقصاً؟ فقال لي: مالك بن أنس سيد المسلمين يومئذ. قال: فوقع في قلبي فعمدت إلى الموطأ فاستعرت من رجل بمكة فحفظته في تسع ليال ظاهراً قال: ثم دخلت إلى والي مكة وأخذت كتابه إلى والي المدينة، وإلى مالك بن أنس قال: فقدمت المدينة فأبلغت الكتاب إلى والي، فلما أن قرأ قال يا

فتى إن مشى من جوف المدينة إلى جوف مكة حافياً راجلاً أهون علي من المشي إلى باب مالك بن أنس، فلست أرى الذل حتى أقف على بابه فقلت: - أصلح الله الأمير - إن رأى الأمير يوجه إليه ليحضر. قال: هيهات، ليت أنى إذا ركبت أنا ومن معي وأصابنا من تراب العقيق نلنا بعض حاجتنا. قال فواعدته العصر وركبنا جميعاً، فوالله لكان كما قال: لقد أصابنا من تراب العقيق. قال: فتقدم رجل فقرع الباب فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير: قولي لمولاي إنى بالباب. قال: فدخلت فأبطأت ثم خرجت فقالت: إن مولاي يقرئك السلام ويقول: إن كانت مسألة فارفعها في رقعة يخرج إليك الجواب، وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فأنصرف، فقال لها: قولي له: إن معي كتاب والى مكة إليه في حاجة مهمة. قال فدخلت وخرجت وفي يدها كرسي فوضعت، ثم إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار، وهو شيخ طويل مسنون اللحية فجلس وهو متطلس فرفع إليه الوالي الكتاب، فبلغ إلى هذا: إن هذا رجل من أمره وحاله فتحدثه وتفعل وتصنع، رمى بالكتاب من يده ثم قال: سبحان الله! أوصار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ بالوسائل؟ قال: فرأيت الوالي وقد تهيبه أن يكلمه فتقدمت إليه وقلت: - أصلحك الله - إني رجل مطلي ومن حالي وقصتي، فلما أن سمع كلامي نظر إلى ساعة وكانت لمالك فراسة فقال لي: ما اسمك؟ قلت: محمد. فقال لي يا محمد. اتق الله واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن من الشأن ثم قال: نعم كرامة، إذا كان غداً تجئ ويجئ من يقرأ لك. قال: فقلت أنا أقوم بالقراءة. قال: فغدوت عليه وابتدأت أن أقرأه ظاهراً والكتاب في يدي، فكلما تهيبت مالكا وأردت أن أقطع أعجبه حسن قراءتي وإعرابي فيقول: يا فتى زد حتى قرأته في أيام يسيرة، ثم أقمت بالمدينة حتى توفي مالك بن أنس، ثم خرجت إلى اليمن فارتفع لي بها الشأن، وكان بها وال من قبل الرشيد وكان ظلوماً غشوماً، وكنت ربما أخذ على يديه وأمنعه من الظلم. قال: وكان باليمن تسعة من العلوية قد تحركوا وإني أخاف أن يخرجوا، وإن ههنا رجلاً من ولد شافع المطلب لا أمر لي معه ولا نهى. قال: فكتب إليه هارون: أن احمل هؤلاء واحمل الشافعي معهم فقرنت معهم. قال: فلما قدمنا على هارون الرشيد أدخلنا عليه وعنده محمد بن الحسن. قال: فدعا هارون بالنطع والسيف وضرب رقاب العلوية، ثم التفت محمد بن الحسن فقال: يا أمير المؤمنين، هذا المطلي، لا يغلبك بفصاحته فإنه رجل لسن. فقلت مهلاً يا أمير المؤمنين فإنك الداعي وأنا المدعو، وأنت القادر على ما تريد مني، ولست القادر على ما أريد منك، يا أمير المؤمنين، ما تقول في رجلين: أحدهما يراني أخاه، والآخر يراني عبده، أيهما أحب إلي؟ قال: الذي يراك أخاه. قال: قلت فذاك أنت يا أمير المؤمنين. قال فقال لي: كيف ذاك؟ فقلت يا أمير المؤمنين، إنكم ولد العباس وهم ولد علي، ونحن بنو المطلب، فأنتم ولد العباس ترونا إخوتكم وهم يرونا عبيدهم. قال: فسري ما كان به فاستوى جالساً فقال: يا ابن إدريس: كيف علمك بالقرآن؟ قلت عن أي علومه تسألني؟ عن حفظه فقد حفظته ووعيته بين جنبي وعرفت وقفه وابتدائه، وناسخه ومنسوخه وليليه ونهاريه ووحشيه وأنسيه، وما خوطب به العام يراد به الخاص، وما خوطب به الخاص يراد به العام.

فقال لي: والله يا ابن إدريس لقد ادعيت علماً فكيف علمك بالنجوم؟ فقلت: إني لأعرف منها البري من البحري، والسهلي والجبلي والفيلق والمصبح وما تجب معرفته. قال: فكيف علمك بأنساب العرب. قال: فقلت إني لأعرف أنساب اللثام وأنساب الكرام ونسبي ونسب أمير المؤمنين. قال: لقد ادعيت علماً فهل من موعظة تعظ بها أمير المؤمنين؟ قال: فذكرت موعظة لطاوس اليماني فوعظته بها، فبكى وأمر لي بخمسين ألفاً وحملت على فرس وركبت من بين يديه وخرجت، فما وصلت الباب حتى فرقت الخمسين ألفاً على حجاب أمير المؤمنين وبوابيه. قال: فلحقني هرثمة وكان صاحب هارون فقال: اقبل هذه مني. قال: فقلت له إني لا أخذ العطية ممن هو دوني، وإنما أخذها ممن هو فوقى. قال: فوجد في نفسه. قال: وخرجت كما أنا حتى جئت منزلي فوجهت إلى كاتب محمد ابن الحسن بمائة دينار وقلت: اجمع الوراقين الليلة على كتب محمد بن الحسن وانسخها لي ووجه بها إلي. قال: فكتبت لي ووجه بها إلي. قال: اجتمعنا أنا ومحمد بن الحسن على باب هارون وكان يجلس فيه القضاة والأشراف ووجوه الناس إلى أن يؤذن لهم. قال: واجتمعنا في ذلك المكان. قال وفيه جماعة من بني هاشم وقريش والأنصار والخلق يعظمون محمد بن الحسن لقربه من أمير المؤمنين وتمكنه. قال: فاندفع بعرض بي ويذم أهل المدينة فقال: من أهل المدينة؟ وأي شيء يحسن أهل المدينة؟ والله لقد وضعت كتاباً على أهل المدينة كلها لا يخالفني فيه أحد، ولو علمت أن أحداً يخالفني في كتابي هذا تبلغني إليه أباط الإبل لصرت حتى أرد عليه. قال الشافعي: فقلت إن أنا سكت نكست رؤوس من هاهنا من قريش، وإن أنا رددت عليه أسخطت على السلطان، ثم إني استخرت الله في الرد عليه، فتقدمت إليه فقلت: - أصلحك الله -، طعنك على أهل المدينة وذمك لأهل المدينة؟ إن كنت أردت رجلاً واحداً وهو مالك بن أنس فألا ذكرت ذلك الرجل بعينه ولم تطعن على أهل حرم الله وحرم رسوله وكلهم على خلاف ما ادعيت، وأما كتابك الذي ذكرت أنك وضعته على أهل المدينة، فكتابك من بعد بسم الله الرحمن الرحيم، خطأ إلى آخره، قلت في شهادة القابلة كذا وكذا وهو خطأ، وفي مسألة الحامل كذا وكذا وهو خطأ، وقلت في مسألة كذا، وكذا وكذا وهو خطأ، فاصفر محمد بن الحسن ولم يحر جواباً. وكتب أصحاب الأخبار إلى الرشيد بما كان فضحك وقال: ماذا ننكر لرجل من ولد المطلب أن يقطع مثل محمد بن الحسن. قال: فعارضني رجل من أهل المجلس من أصحابه فقال: ما تقول في رجل دخل منزل رجل فرأى بطة ففقا عينها، ماذا يجب عليه؟ قال قلت: ينظر إلى قيمتها وهي صحيحة وقيمتها وقد ذهبت عينها، فيقوم ما بين القيمتين، ولكن ما تقول أنت وصاحبك في رجل محرم نظر إلى فرج امرأة فأنزل؟ قال: ولم يكن لمحمد حذافة بالمناسك. قال: فصاح به محمد وقال له: ألم أقل لك لا تسأله؟ قال: ثم أدخلنا على الرشيد فلما

أن استوينا بين يديه قال لي: يا أبا عبد الله، تسأل أو أسأل؟ قال: قلت ذاك إليك. قال: فأخبرني عن صلاة الخوف أو اجابة هي؟ قلت: نعم، فقال: ولم؟ فقلت: لقول الله عز وجل: (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك). فدل أنها واجبة. قال: وما تنكر من قائل قال لك: إنما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو فيهم، فلما أن زال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم زالت تلك الصلاة؟ فقلت: وكذلك قال الله عز وجل لنبيه: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها)، فلما أن زال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم زالت عنهم الصدقة؟ فقال: لا. قلت: وما الفرق بينهما والنبي صلى الله عليه وسلم هو المأمور بهما جميعاً؟ قال: فسكت ثم قال: يا أهل المدينة ما أجركم على كتاب الله؟ فقلت: الأجر على كتاب الله من خالفه. قال فقد قال الله عز وجل: (وأشهدوا ذوي عدل منكم)، فقلتم أنتم: نقضي باليمين مع الشاهد فقلت: لكننا نقول بما قال الله، ونقضي بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنك أنت إذا خالفت كتاب قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد خالفت كتاب الله. قال: وأين لكم رد اليمين؟ قال: قلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: وأين؟ قلت قصة حويصة ومحبيصة وعبد الرحمن حين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة القتيل: تحلفون وتستحقون دم صاحبكم؟ قالوا: لم نشهد ولم نعاين؟ قال: فيحلف لكم يهود، فلما أن نكلوا رد اليمين إلى اليهود. قال: فقال لي: إنما كان ذلك استفهاماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فقلت يا أمير المؤمنين، هذا بحضرتك يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفهم من اليهود. فقال الرشيد: ثكلتك أمك يا بن الحسن، رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفهم من اليهود؟ نطع وسيف، فلما رأيت الجد من أمير المؤمنين قلت مهلاً يا أمير المؤمنين، فأن الخصمين إذا اجتمعا تكلم كل واحد منهما بما لا يعتقده ليقطع به صاحبه، وما أرى أن محمداً يرى نقصاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فسريت عنه. قال: ثم ركبنا جميعاً وخرجنا من الدار. قال: فقال لي: يا أبا عبد الله فعلتها؟ قال: فقلت فكيف رأيته بعد ذلك؟

وللشافعي رضي الله عنه مع محمد بن الحسن مناظرات في عدة مواطن، اقتصرنا على هذه قصداً للاختصار. مناظرة إسحاق بن راهويه مع الشافعي رضي الله عنه نقلت من تاريخ نيسابور للحاكم، ومن كتاب مناقب الشافعي للأبري، وجمعت بين الخبرين قصداً للاختصار مع نسبة كل قول إلى قائله. حدث الأبري بإسناده: قال إسحاق بن راهويه: كنا عند سفيان بن عيينة نكتب أحاديث عمرو بن دينار، فجاءني أحمد بن حنبل فقال لي يا أبا يعقوب: قم حتى أريك رجلاً لم تر عينك مثله. قال: فقممت فأتى بي فناء زمزم فإذا هناك رجل عليه ثياب بيض تعلو وجهه السمرة، حسن السم، حسن العقل، وأجلسني إلى جانبه فقال له: يا أبا عبد الله، هذا إسحاق بن راهويه الحنظلي فرحب بي وحياني، فذاكرته وذاكرني فانفجر لي منه علم أعجبنى حفظه قال: فلما أن طال مجلسنا قلت له: يا أبا عبد الله قم بنا إلى الرجل، قال: هذا هو الرجل، فقلت يا سبحان الله، أقمتنا من عند رجل يقول: حدثنا الزهري، فما توهمت إلا أن تأتي بنا إلى رجل مثل الزهري أو قريب منه. فأتيت بنا إلى هذا الشاب أو هذا الحدث، فقال لي يا أبا يعقوب: اقتبس من الرجل، فإنه ما رأيت عينا مثله. قال الأبري: قال إسحاق: فسألته عن سكني بيوت مكة - أراد الكرى - فقال جائز. فقلت: إي يرحمك الله، وجعلت أذكر له الحديث عن عائشة وعبد الرحمن وعمر وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن كره كرى بيوت مكة وهو ساكت يسمع وأنا أسرد عليه. فلما فرغت سكت ساعة وقال: يرحمك الله، أما علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: هل ترك لنا عقيل من رباع أو دار؟ قال فوالله ما فهمت عنه ما أراد بها ولا أرى أن أحداً فهمه. قال الحاكم: فقال إسحاق: أتأذن لي في الكلام؟ فقال نعم، فقلت: حدثنا يزيد بن هارون عن هشام عن الحسن أنه لم يكن يرى ذلك، وأخبرنا أبو نعيم وغيره عن سفيان عن منصور عن إبراهيم أنه لم يكن يرى ذلك. قال الحاكم: ولم يكن الشافعي عرف إسحاق، فقال الشافعي لبعض من عرفه: من هذا؟ فقال: هذا إسحاق بن إبراهيم بن الحنظلي بن راهويه الخراساني. فقال له الشافعي: أنت الذي يزعم أهل خراسان أنك فقيههم؟ قال إسحاق: هكذا يزعمون. قال الشافعي: ما أحوجني أن يكون غيرك في موضعك، فكنت أمر بعرك أذنيه. وقال الحاكم في خبر آخر: قال له الشافعي: لو قلت قولك احتجت إلى أن أسلسل أنا أقول لك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تقول: عطاء وطاوس ومنصور وإبراهيم والحسن وهؤلاء لا يرون ذلك، هل لأحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة؟ قال إسحاق لبعض من معه من المراوذة بلسانهم: مردك لا كما لا نيس، قرية عندهم بمرور يدعون العلم، وليس لهم علم واسع. وقال الأبري: قال إسحاق لبعض من معه: الرجل مالاني، ومالان: قرية من قرى مرو وأهلها فيهم سلامة. قال الحاكم في خبره: فلما سمع الشافعي تراطنه علم أنه قد نسبته إلى شيء. فقال تناظر؟ وكان إسحاق جريئاً فقال: ما جئت إلا للمناظرة. فقال له الشافعي: قال الله عز وجل: (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم) الآية. نسب الدار إلى المالكيين أو غير المالكيين قال إسحاق: إلى المالكيين. قال الشافعي: فقله عز وجل أصدق الأقاويل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابها فهو آمن)، أنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم الدار إلى مالك أو إلى غير مالك؟ قال إسحاق: إلى مالك. فقال الشافعي: وقد اشترى عمر بن الخطاب دار الحجامين فأسكنها، وذكر له جماعة من أصحاب صلى الله عليه وسلم اشتروا دور مكة وجماعة باعوها. وقال إسحاق له: قال الله عز وجل: (سواء العاكف فيه والباد). فقال الشافعي: اقرأ أول الآية. قال: (والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد). قال الأبري: قال الشافعي: والعاكف يكون في المسجد، ألا ترى إلى قوله: (للطائفين والعاكفين) والعاكفون يكونون في المساجد، ألا ترى إلى قوله عز وجل: (وأنتم عاكفون في المساجد)، فدل ذلك أن قوله عز وجل: (سواء العاكف فيه والباد)

في المسجد خاص، فأما من ملك شيئاً فله أن يكرى وأن يبيع. قال الحاكم: وقال الشافعي: ولو كان كما تزعم لكان لا يجوز أن تنتشد فيها ضالة ولا ينحر فيها البدن ولا تنتثر فيه الأرواث، ولكن هذا في المسجد خاصة. قال فسكت إسحاق ولم يتكلم. وفي خبر الأبري: فلما تدبرت ما قال من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل ترك لنا عقيل من رباع أو دار)؟ علمت أنه قد فهم ما ذهب عنا. قال إسحاق: ولو كنت قد أدركني هذا الفهم وأنا بحضرته لعرفته ذلك، ثم نظرنا في كتيبه فوجدنا الرجل من علماء هذه الأمة. قال الأبري: وقرأت في بعض ما حكى عن أبي الحسن أنه كان يأخذ بلحيته في يده ويقول: وأحيائي من محمد بن إدريس الشافعي، يعني في هذه المسألة.

ومن كتاب الحاكم: سمعت أبا بكر محمد بن علي ابن إسماعيل الفقيه الأديب الشاشي أبا بكر القفال، إمام عصره بما وراء النهر للشافعيين يقول: دخلت على أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة أول ما قدمت نيسابور وتكلمت بين يديه وأنا شاب حدث السن فقال لي: من أين أنت؟ فقلت من أهل الشاش. قال لي إلى من اختلفت؟ قلت إلى أبي الليث. قال: وأبو الليث هذا أي مذهب يعتقده؟ قلت حنبلي. فقال: يا بني قل شافعي، وهل كان أحمد بن حنبل إلا غلاماً من غلمان الشافعي؟ قال: ومات أبو بكر القفال بالشاش في ذي الحجة سنة خمس وستين وثلاثمائة. ومن كتاب الأبري: حدثني محمد بن عبد الله الرازي، حدثنا الحسن بن حبيب الدمشقي عن محمود المصري وكان من أفصح الناس قال: سمعت ابن هشام. قال محمود: وما رأيت بعيني ممن فهمت عنه مثل ابن هشام. قال محمود: ورأيت الشافعي وأنا صغير. قال محمود: وسمعت ابن هشام يقول: جالست الشافعي زماناً فما سمعته تكلم بكلمة إلا اعتبرها المعبر، ولا يجد كلمة في العربية أحسن منها. قال: وسمعت ابن هشام يقول: الشافعي كلامه لغة يحتج بها.

وحدثت عن الحسن بن محمد الزعفراني قال: كان قوم من أهل العربية يختلفون إلى مجلس الشافعي معنا ويجلسون ناحية قال: فقلت لرجل من رؤسائهم: إنكم لا تتعاطون العلم فلم تختلفون معنا؟ قالوا: نسمع لغة الشافعي. قال: وسمعت أبا علي الحسين بن أحمد البيهقي الفقيه ببغداد قال: سمعت حسان بن محمد يحكي عن الأصمعي أنه قال: صححت أشعار هذيل على فتى من قریش يقال له محمد بن إدريس الشافعي. قال: وحكى لنا عن مصعب الزبيري قال: كان أبي والشافعي يتناشدان، فأتى الشافعي على شعر هذيل حفظاً وقال: لا تعلم بهذا أحداً من أهل الحديث فإنهم لا يحتملون هذا. قال الشافعي رضي الله عنه قال ما رأيت أحداً أعلم بهذا الشأن مني، وقد كنت أحب أن أرى الخليل بن أحمد.

وحدث ابن خزيمة قال: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: كان الشافعي إذا أخذ في العربية، قلت هو بهذا أعلم، وإذا تكلم في الشعر وإنشاده، قلت هو بهذا أعلم، وإذا تكلم في الفقه، قلت هو بهذا أعلم. وتحدث ابن عيينه بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (وأقروا الطير على مكنايتها)، قال: وكان الشافعي إلى جنب ابن عيينه فالتفت إليه سفيان فقال: يا أبا عبد الله، ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (وأقروا الطير على مكنايتها)؟ فقال الشافعي: إن علم العرب كان زجر الطير والخط والاعتياف، كان أحدهم إذا غدا من منزله يريد أمراً نظراً أول طير يراه، فإن سنج عن يساره فاجتاز عن يمينه قال: هذا طير الأيامن، فمضى في حاجته ورأى أنه يستجحبها. وإن سنج عن يمينه فمر عن يساره قال: هذا طير الأشائم، فرجع وقال: هذه حالة مشنومة، فيشبه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وأقروا الطير على مكنايتها)، أي لا تهيجوها، فإن تهيجها وما تعملون به من الطيرة لا يصنع شيئاً، وإنما يصنع فيما توجهون فيه قضاء الله عز وجل. قال: وكان سفيان يفسره بعد ذلك على ما قال الشافعي.

وحدث الأبري، حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الرقي إملاء قال: حدثنا عبد الواحد بن سعيد عن صالح بن أحمد قال: جاء الشافعي يوماً إلى أبي يعوده وكان علياً فوثب أبي إليه فقيل ما بين عيني ثم أجلسه في مكانه وجلس بين يديه قال: فجعل يسأله ساعة، فلما وثب الشافعي ليركب قام أبي فأخذ بركابه ومشى معه، فبلغ يحيى بن معين فوجه إلى أبي: يا أبا عبد الله، يا سبحان الله! اضطرك الأمر إلى أن تمشي إلى جانب بغلة الشافعي؟ فقال له أبي: وأنت يا أبا زكريا لو مشيت من الجانب الآخر لا انتفعت به. قال: ثم قال أبي: من أراد الفقه فليشم ذنب هذه البغلة. وفي رواية أخرى عن أحمد بن حنبل أنه قال: قدم علينا نعيم ابن حماد فحضرنا على طلب المسند، فلما قدم الشافعي وضعنا على المحجة البيضاء. ورواية أخرى عن حميد بن الربيع الخراز قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما أعلم أحداً أعظم منه على الإسلام في زمن الشافعي من الشافعي، وإني لأدعو الله له في أدبار صلواتي فأقول: اللهم اغفر لي ولوالدي ولمحمد بن إدريس الشافعي. وحدث الحارث بن محمد الأموي عن أبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي قال: كنت من أصحاب محمد بن الحسن فلما قدم الشافعي علينا جئته إلى مجلسه شبه المستهزئ فسألته عن مسألة من الدور فلم يجبني وقال لي: كيف ترفع يديك في الصلاة؟ قلت هكذا. قال لي أخطأت. فقلت: كيف أصنع؟ فقال حدثني ابن عيينه عن الزهري عن سالم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه حذو منكبيه، وإذا ركع، وإذا رفع. قال أبو ثور: فوقع في قلبي من ذلك، فجعلت أزيد في المجيء إلى الشافعي وأقصر في الاختلاف إلى محمد بن الحسن. فقال لي ابن الحسن يوماً: يا أبا ثور، أحسب هذا الحجازي قد غلب عليك. قال: قلت أجل، الحق معه. قال: وكيف ذلك؟ قال: فقلت كيف

ترفع يديك في الصلاة؟ فأجابني على نحو ما أحببت الشافعي فقلت أخطأت، قال: كيف أصنع؟ قلت حدثني الشافعي عن ابن عيينه عن الزهري عن سالم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه حذو منكبيه، وإذا ركع وإذا رفع. قال أبو ثور: فلما كان بعد شهر قال: يا أبا ثور، خذ مسألتك في الدور فإنما منعني أن أجيبك يومئذ أنك كنت متعنتاً.

وحدث المزني وهو إبراهيم إسماعيل بن يحيى قال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت: كيف أصبحت من الدنيا راحلاً، ولإخوان مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله جل ذكره وارداً، ولا والله ما أدري روعي تصير إلى الجنة أو إلى النار فأعزبها ثم بكى وأنشأ يقول:

فلما قسا قلبي وضافت مذهبني
تعاظمني ذنبي فلما قرنته
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل
فلولاك لم يقدر بابليل عابد
جعلت رجائي نحو عفوك سلماً
بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
تجود وتعفو منة وتكرماً
فكيف وقد أغوى صفيك آدماء؟

وحدث الربيع بن سليمان أنه قال: كان الشافعي رحمه الله يجلس في حلقة إذا صلى الصبح فيجئ به أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر، فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار، ثم ينصرف رضى الله عنه.

وحدث يونس بن عبد الأعلى الصديقي قال: قال لي الشافعي رضي الله عنه: يا أبا موسى، رضا الناس غاية لا تدرك، ما أقوله لك إلا نصحاء، ليس إلى السلامة من الناس سبيل، فانظر ما فيه صلاح نفسك فالزمه، ودع الناس وما هم فيه. وحدث الحسن بن محمد الزعفراني قال: كنا نحضر مجلس بشر المريسي فكان لا نقدر على مناظرته، فمشينا إلى أحمد ابن حنبل فقلنا له: ائذن لنا في أن نحفظ الجامع الصغير الذي لأبي حنيفة، لنخوض معهم إذا خاضوا. فقال: اصبروا فالآن يقدم عليكم المطليبي الذي رأيته بمكة. قال: فقدم علينا الشافعي فمشوا إليه وسألناه شيئاً من كتبه، فأعطانا كتاب اليمين مع الشاهد فدرسته في ليلتين، ثم غدوت على بشر المريسي وتخطيت إليه فلما رأيته قال: ما جاء بك يا صاحب حديث؟ قال: قلت: درني من هذا، إيش الدليل على إبطال اليمين مع الشاهد؟ فناظرته فقطعته فقال: ليس هذا من كيسكم هذا من كلام رجل رأيته بمكة، معه نصف عقل أهل الدنيا.

وحدث الربيع بن سليمان قال: كنا عند الشافعي إذ جاءه رجل برقعة فنظر فيها وتبسم، ثم كتب فيها ودفعها إليه قال: فقلنا يسأل الشافعي عن مسألة لا ننظر فيها وفي جوابها؟ فالحقنا الرجل وأخذنا الرقعة فقرأناها وإذ فيها:

سل المفتي المكي هل في تزاور
قال: وإذا إجابة أسفل من ذلك:
وضممة مشتاق الفؤاد جناح؟

أقول معاذ الله أن يذهب التقى
قرأت في أمال أملاها أبو سليمان الخطابي على بعض تلامذته قال الشيخ: كان الشافعي - رحمه الله - يوماً من أيام الجمع جالساً للنظر فجاءت امرأة فألقت إليه رقعة فيها:

عفا الله عن عبد أعان بدعوة
إلى أن مشى واشي الهوى بنميمة
خليلين كانا دائمين على الود
إلى ذاك من هذا فزالا عن العهد

قال: فبكى الشافعي - رحمه الله - وقال: ليس هذا يوم نظر، هذا يوم دعاء ولم يزل يقول: اللهم اللهم حتى تفرق أصحابه. ومثله ما بلغني أن رجلاً جاءه برقة فيها:

سل المفتي المكي من آل هاشم
قال: فكتب الشافعي تحته:

يداوي هواه ثم يكتم وجده
فأخذها صاحبها وذهب بها ثم جاءه وقد كتب تحت هذا البيت الذي هو الجواب:

فكيف يداوي والهوى قاتل الفتى
فكتب الشافعي رحمه الله:

فإن هو لم يصبر على ما أصابه
ويروي للشافعي رحمه الله:

أنثر درا بين سارحة البهم
لعمري لن ضيعت في شر بلدة
لئن سهل الله العزيز بلطفه
يثبت مفيداً واستقدت ودادهم
ومن منح الجهال علماً أضاعه
وله رضي الله عنه في تعزية:

إني أعزيك لا أني على طمع
فما المعزي بباقي بعد صاحبه
وحدث بإسناد رفعه إلى ابن عمر الشافعي قال: كان لأبي عبد الله الشافعي امرأة يحبها فقال:
ومن البلية أن تحب
ويصد عنك بوجهه
ب ولا المعزي وإن عاشا إلى حين
من الخلود ولكن سنة الدين
ب ولا يحبك من تحبه
وتلج أنت فلا تغبه

وحدث الأبري بإسناد إلى المزني عن الشافعي قال: كنا في سفر بأرض اليمن فوضعنا سفرتنا لنتعشى وحضرت صلاة المغرب فقلنا نصلي ثم نتعشى، فتركنا سفرتنا كما هي، وكان في السفرة دجاجتان فجاء ثعلب فأخذ إحدى الدجاجتين فلما قضينا صلاتنا أسفنا عليها وقلنا حرماناً طعامنا، فبينما نحن كذلك إذ جاء الثعلب وفي فيه شيء كأنه الدجاجة فوضعه فبادرنا إليه لنأخذ ونحن نحسبه الدجاجة قد ردها، فلما قمنا لخلاصها فإذا هو قد جاء إلى الأخرى فأخذها من السفرة وأصبنا الذي قمنا إليه لنأخذه ليفة قد هيأها مثل الدجاجة.

وحدث الحسن بن محمد الزعفراني قال: سئل الشافعي عن مسألة فأجاب فيها أنشأ يقول:

إذا المشكلات تصدين لي
ولست كشقشة الأرحبي
ولست بأمعة في الرجا
ولكنني مدرة الأصغري
ي أو كالحسام اليماني الذكر
ل أسأل هذا وذا ما الخبر
ن جلاب خير وفراج شر

وحدث الربيع بن سليمان قال: لما دخل الشافعي مصر أول قدومه إليها فجاءه الناس فلم يجلس إليه أحد قال: فقال له بعض من قدم معه: لو قلت شيئاً يجتمع إليك الناس، قال فقال: إليك عني وأنشأ يقول:

أنثر درا بين سارحة النعم
الأبيات التي مرت آنفاً. وجرى بين الشافعي وبين بعض من صحبه مجانة فقال:
وأنزلني طول النوى دار غربة
أحامقة حتى تقال سجية
إذا شئت لاقيت امرأة لا أشاكله
ولو كان ذا عقل لكنك أعاقله

وحدث الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول:

يا راكباً قف بالمحصب من مني
سحراً إذا فاض الحجيج إلى مني
واهتم بقاعد خيفها والناهض
فيضاً بمتلطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حب آل محمد
فليشهد الثقلان أني رافضي

ومن كتاب الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي بإسناده إلى الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي وسأله رجل عن مسألة فقال: يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كذا وكذا. فقال له السائل: يا أبا عبد الله، أتقول بهذا؟ فارتعد الشافعي واصفر لونه وحال وتغير وقال: ويحك، أي أرض تقلني؟ وأي سماء تظلني إذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أقل به، نعم على الرأس والعينين. قال: وسمعت الشافعي يقول: ما من أحد إلا وتذهب عنه سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعزب عنه، فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلت، فالقول ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قولتي وجعل يردد هذا الكلام. وبإسناده عن أحمد بن حنبل أنه قال لعبد الملك بن عبد الحميد الميموني: مالك لا تنظر في كتب الشافعي؟ فما من أحد وضع الكتب منذ ظهرت أتبع للسنة من الشافعي رضي الله عنه. وبإسناده إلى أبي عثمان المازني قال سمعت الأصمعي يقول: قرأت شعر الشنفرى على الشافعي بمكة. قال زكريا بن يحيى الساجي: فذكرت ذلك للرياشي فقال ذلك ما أنكره، قرأتها على الأصمعي فقال: أنشدنيها رجل من قریش بمكة. وبإسناده إلى عبد الرحمن بن أخي الأصمعي قال: قلت لعمي يا عماء، على من قرأت شعر هذيل؟ فقال: على رجل من آل المطلب يقال له محمد بن إدريس. وحدث

الصولي عن الميرد أنه قال: كان الشافعي من أشعر الناس وآدب الناس وأعرفهم بالقراءات. وبإسناده إلى عبد الملك ابن هشام النحوي صاحب كتاب المغازي أنه قال: طالت مجالستنا للشافعي فما سمعت منه لحنة قط ولا كلمة غيرها أحسن منها. وبإسناده إلى جبير بن مطعم قال: لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوي القربى من خيبر على بني هاشم وبني المطلب، مشيت أنا وعثمان بن عفان فقلنا: يا رسول الله، هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ينكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله به منهم، رأيت إخوتنا من بني المطلب أعطيتهم وتركنا؟ وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة. فقال: (إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام، وإنما بنو هاشم وبني المطلب شيء واحد)، ثم شبك رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه إحداها بالأخرى. أخرجه البخاري في الصحيح. وهذا لأن عبد مناف كان له أربعة أولاد: هاشم والمطلب وعبد شمس جد بني أمية ونوفل. وكان جبير بن مطعم من بني نوفل، وعثمان من بني عبد شمس وهما أخوا المطلب. وبإسناده إلى الحارث بن سريح النقال قال: سمعت يحيى بن سعيد يقول: أنا أدعو الله للشافعي أحصه به. وبإسناده: كتب عبد الرحمن ابن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن ويجمع قبول الأخبار فيه وحجة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة، فوضع له كتاب الرسالة. قال عبد الرحمن: ما أصلي صلاة إلا وأدعو للشافعي فيها. وبإسناده قال أحمد بن حنبل: كان الفقه قفلاً على أهله حتى فتحه الله بالشافعي. وبإسناده قال إبراهيم الحربي: سئل أحمد بن حنبل عن مالك بن أنس فقال: حديث صحيح ورأي صحيح. وسئل عن آخر فقال: لا رأي ولا حديث. وبإسناده إلى محمد بن مسلم بن وارة قال: لما قدمت من مصر أتيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل أسلم عليه فقال لي: كتبت كتب الشافعي؟ فقلت لا. فقال لي: فرطت، ما عرفنا العموم من الخصوص، وناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه حتى جالسنا الشافعي. قال ابن وارة: فحملني ذلك على أن رجعت إلى مصر فكتبتها. وبإسناده قال الزعفراني: كنت مع يحيى بن معين في جنازة فقلت له: يا أبا زكريا، ما تقول في الشافعي؟ فقال دعنا، لو كان الكذب له مطلقاً لكانت مروءته تمنعه أن يكذب. وبإسناده على عبد الملك الميموني قال: كنت عند أحمد ابن حنبل وجرى ذكر الشافعي فرأيت أحمد يرفعه وقال: يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يقرر لها دينها). فكان عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى، وأرجو أن يكون الشافعي على رأس المائة الأخرى. وبإسناده قال الشيخ أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول: كنا في مجلس القاضي أبي العباس ابن سريج سنة ثلاث وثلاثمائة فقام إليه شيخ من أهل العلم فقال له: أبشر أيها القاضي فإن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها، وإنه بعث على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز وتوفي سنة ثلاث ومائة، وبعث على رأس المائتين أبا عبد الله بن إدريس الشافعي وتوفي سنة أربع ومائتين، وبعثك على رأس الثلاثمائة. ثم أنشأ يقول:

اثان مضيا فبورك فيهما
الشافعي الألمي محمد
أبشر أبا العباس إنك ثالث
عمر الخليفة ثم حلف السود
إرث النبوة وابن عم محمد
من بعدهم سقياً لنوبة أحمد

قال: فصاح القاضي وبكى وقال: إن هذا الرجل قد نعى إلى نفسي. قال: فمات القاضي أبو العباس في تلك السنة. وذكر الخطيب في تاريخه أن ابن سريج مات سنة ست وثلاثمائة. وبإسناده البيهقي إلى داود بن علي الأصبهاني أنه قال: اجتمع للشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره. فأقول: ذلك شرف نفسه ومنصبه، وأنه من رهط النبي صلى الله عليه وسلم، منها صحة الدين وسلامة الاعتقاد من الأهواء والبدع، ومنها سخاوة النفس، ومنها معرفته بصحة الحديث وسقمه، ومنها معرفته بناسخ الحديث ومنسوخه، ومنها حفظه لكتاب الله وحفظه لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعرفته بسير النبي صلى الله عليه وسلم ويسير خلفائه، ومنها كشفه لتمويه مخالفيه، ومنها تأليف الكتب القديمة والجديدة، ومنها ما اتفق له من الأصحاب والتلامذة مثل أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه وإقامته على السنة، ومثل سليمان بن داود الهاشمي، وعبد الله ابن الزبير الحميدي، والحسين القلانسي، وأبي ثور إبراهيم ابن خالد الكلبي، والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، وأبي يعقوب يوسف بن يحيى البويطي، وحرملة بن يحيى التجيبي، والربيع بن سليمان المرادي، وأبي الوليد موسى ابن الجرد، والحارث بن سريح النقال، وأحمد بن خالد الخلال، وأبي عبيد القاسم بن سلام. والقائم بمذهبه أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني.

قال الشيخ أحمد البيهقي: إنما عد داود بن علي من أصحاب الشافعي جماعة يسيرة، وقد عد أبو الحسن الدارقطني من روى عنه أحاديثه وأخباره أو كلامه زيادة على مائة، هذا مع قصور سنة عن سن أمثاله من الأئمة، وإنما تكثر الرواة عن العالم إذا جاوز سنة الستين أو السبعين، والشافعي لم يبلغ في السن أكثر من أربع وخمسين. ومن كتاب مرو مسنداً إلى عبد الله بن محمد بن هارون الفرياني قال: وقفت بمكة على حلقة عظيمة وفيها رجل فسألت عنه فقيل: هذا محمد بن إدريس الشافعي، فسمعتة يقول: سلوني عما شئتم أخبركم بأية من كتاب الله وسنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول صحابي. فقلت في نفسي: إن هذا الرجل جريء، ثم قلت له: ما تقول في المحرم يقتل الزنور؟ فقال: قال الله تعالى: (وما أتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا). وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر). وحدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن عمر رضي الله عنه أمر المحرم بقتل الزنور.

وعن المزني سمعت الشافعي يقول: رأيت بالمدينة أربع عجائب. رأيت جدة لها إحدى وعشرين سنة، ورأيت رجلاً فلسفة القاضي في مدين نوى، ورأيت شيخاً قد أتى عليه تسعون سنة يدور نهاره حافياً راجلاً على القيان يعلمهن الغناء فإذا جاءت الصلاة صلى قاعداً، وكان بالمدينة والى وكان رجلاً صالحاً فقال: مالي لا أرى الناس يجتمعون على بابي كما يجتمعون على أبواب الولاة؟ فقالوا: إنك لا تضرب أحداً ولا تؤذي الناس. فقال أهكذا؟ علي بالإمام فنصب بين العقابين وجعل يضرب والإمام يقول: - أعز الله الأمير - إيش جرمي، وهو يقول: حملنا بنفسك، حتى اجتمع الناس على بابي.

وعن خيثمة بن سليمان بن حيدرة قال: جاء رجل إلى الشافعي فقال له: - أصلحك الله - صديقك فلان عليل، فقال الشافعي: والله لقد أحسنت إلي وأيقظني لمكرمة، ودفعت عني اعتذار يشوبه الكذب ثم قال: يا غلام، هات السبئية ثم قال: للمشي على الحفاء، على علة الوجاء في حر الرمضاء من ذي طوى أهون من اعتذار إلى صديق يشوبه الكذب. ثم أنشأ يقول:

أرى راحة للحق عند قضائه
وحسبك خطاً أن ترى غير كاذب
ومن يقض حق الجار بعد ابن عمه
يعش سيداً يستعذب الناس ذكره
ومما يروي للشافعي رضي الله عنه:

أصبحت مطرحاً في معشر جهلوا
والناس يجمعهم شمل وبينهم
كمثل ما الذهب الإبريز يشركه
والعود لو لم تطب منه روائحه
حق الأديب فباعوا الرأس بالذنب
في العقل فرق وفي الآداب والحسب
في لونه الصفر، والتفضيل للذهب
لم يفرق الناس بين العود والحطب

وعن أبي بكر بن بنت الشافعي قال: قال الشافعي بمكة حين أراد الخروج إلى مصر:
ومن دونها قطع المهامة والقفور
أساق إليها أم أساق إلى القبر؟
قال: فخرج فقطع عليه الطريق فدخل بعض المساجد وليس عليه إلا خرقة فدخل الناس وخرجوا فلم يلتفت إليه أحد فقال:

على ثياب لو يباع جميعها
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها
وما ضر نصل السيف إخلاق غمده
بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
إذا كان عضباً أين وجهته فرى؟

قرأت في كتاب خطط مصر لأبي عبد الله محمد بن سلامة ابن جعفر بن علي القضاعي المصري صاحب كتاب الشهاب قال: محمد بن إدريس الشافعي المظلي الفقيه يكنى أبا عبد الله، توفي في سلخ رجب سنة أربع ومائتين بمصر، ودفن غربي الخندق في مقابر قریش وحوله جماعة من بين زهرة من ولد عبد الرحمن بن عوف الزهري وغيرهم، وقبره مشهور هناك مجمع على صحته، ينقل الخلف عن السلف في كل عصر إلى وقتنا هذا، وهو البحري من القبور الثلاثة التي تجمعها مصطبة واحدة غربي الخندق بينه وبين المشهد، والقبران الآخران اللذان إلى جنب قبر الشافعي أحدهما قبر عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع مولى قریش، مات سنة أربع عشرة ومائتين، ودفن إلى جنب من الشافعي وهو ما يلي القبلة، وهو القبر الأوسط من القبور الثلاثة، وكان من ذوي الجاه والمال والديابج، وكان يزكي الشهود ولم يشهد قط لدعوة سبقت فيه، والقبر الثالث قبر ولده عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، مات في سنة سبع وخمسين ومائتين وقبره مما يلي القبلة، وعبد الرحمن هذا هو صاحب كتاب فتوح مصر وكان عالماً بالتواريخ.

يقال: إن الشافعي رضي الله عنه قدم إلى مصر سنة تسع وتسعين ومائة في أول خلافة المأمون، وكان سبب قدومه إلى مصر أن العباس بن عبد الله بن العباس بن موسى بن عبد الله ابن العباس استصحبه فصحبه، وكان العباس هذا خليفة لأبيه عبد الله على مصر، ولم يزل الشافعي بمصر إلى أن ولي السري ابن الحكم البلخي - من قوم يقال لهم الزط - مصر واستقامت له، وكان يكرم الشافعي ويقدمه ولا يؤثر أحداً عليه، وكان الشافعي محبباً إلى الخاص والعام لعلمه وفقهه، وحسن كلامه وأدبه وحلمه، وكان بمصر رجل من أصحاب مالك بن أنس يقال له فتیان فيه حدة وطيش، وكان يناظر الشافعي كثيراً ويجتمع الناس عليهما، فتناظرا يوماً في مسألة بيع الحر وهو العبد المرهون إذا أعتقه الراهن ولا مال له غيره، فأجاب الشافعي بجوار بيعه على أحد أقواله، ومنع فتیان منه، لأنه يمضي عتقه بكل وجه وهو أحد أقوال الشافعي، فظهر عليه الشافعي في الحجاج، فضاق فتیان

بذلك ذرعاً فشمم الشافعي شتماً قبيحاً فلم يرد عليه الشافعي حرفاً ومضى في كلامه في المسألة، فرفع ذلك رافع إلى السري، فدعا الشافعي وسأله عن ذلك وعزم عليه فأخبره بما جرى، وشهد الشهود على فتیان بذلك، فقال السري: لو شهد آخر مثل الشافعي. على فتیان لضربت عنقه، وأمر فتیان فضرب بالسياط وطيف به على جمل وبين يديه مناد ينادي: هذا جزء من سب آل رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم إن قوماً تعصبوا لفتیان من سفهاء الناس وقصدوا حلقة الشافعي حتى خلت من أصحابه وبقي وحده، فهجموا عليه وضربوه فحمل إلى منزله، فلم يزل فيه عليلاً حتى مات في الوقت المقدم ذكره.

قال ابن يونس: كان لشافعي ابن اسمه محمد، قدم مع أبيه مصر وتوفي بها في شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين. وقيل: كان له ولد آخر اسمه محمد أيضاً يروي عن سفيان ابن عيينة. ولي قضاء الجزيرة وتوفي بها بعد أربعين ومائتين. هذا آخر ما ذكره القضاعي نقلته على وجهه. ومن مشهور أصحاب الشافعي: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني مات في سنة أربع ومائتين. والربيع ابن سليمان وكان من أجل أصحاب الشافعي وأورعهم وأكثرهم تصنيفاً. ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم يكنى أبا عبد الله صحب الشافعي وقرأ عليه، ومات سنة ثمان وستين ومائتين، ودفن إلى جنب الشافعي مع قبر أخيه وأبيه المذكورين، وكان من أهل الدين والورع. والربيع بن سليمان ابن عبد الجبار المرادي - مولى لهم - المؤذن الفقيه يكنى أبا محمد، وهو صاحب الشافعي المشهور بصحبته، ومات سنة سبعين ومائتين، وقبره غربي الخندق ممالي الفقاعي، وهو آخر من روى بمصر عن الشافعي وكان جليلاً مصنفًا، حدث يكتب الشافعي كلها ونقلها الناس عنه ويقال: إنه أعان المزني على غسل الشافعي، والربيع بن سليمان بن داود ابن الأعرج الجيزي مولى الأزدي وأظنه صحب الشافعي، ومات في سنة ست وخمسين ومائتين وقبره بالجزيرة. وهذا فهرست كتب الشافعي رضي الله عنه: كتاب الطهارة، كتاب مسألة المنى، كتاب استقبال القبلة، كتاب الإمامة، كتاب إيجاب الجمعة، كتاب صلاة العيدين، كتاب صلاة الكسوف، كتاب صلاة الاستسقاء، كتاب صلاة الجنائز، كتاب الحكم في تارك الصلاة، كتاب الصلاة الواجبة والتطوع والصيام، كتاب الزكاة الكبير، كتاب زكاة الفطر، كتاب زكاة مال اليتيم، كتاب الصيام الكبير، كتاب المناسك الكبير، كتاب المناسك الأوسط، كتاب مختصر المناسك، كتاب الصيد والذبائح، كتاب البيوع الكبير، كتاب الصرف والتجارة، كتاب الرهن الكبير، كتاب الرهن الصغير، كتاب الرسالة، كتاب أحكام القرآن، كتاب اختلاف الحديث، كتاب جماع العلم، كتاب اليمين مع الشاهد، كتاب الشهادات، كتاب الإجازات الكبير، كتاب كرى الإبل والرواحل، كتاب الإجازات إملاء، كتاب اختلاف الأجير والمستأجر، كتاب الدعوى والبيانات، كتاب الإقرار والمواهب، كتاب رد المواريث، كتاب بيان فرض الله عز وجل، كتاب صفة نهي النبي عليه الصلاة والسلام، كتاب النفقة على الأقارب، كتاب المزارعة، كتاب المساقاة، كتاب الوصايا الكبير، كتاب الوصايا بالعنق، كتاب الوصية للوارث، كتاب وصية الحامل، كتاب صدقة الحي عن الميت، كتاب المكاتب، كتاب المدير، كتاب عتق أمهات الأولاد، كتاب الجناية على أم الولد، كتاب الولاء والحلف، كتاب التعريض بالخطبة، كتاب الصداق، كتاب عشرة النساء، كتاب تحريم ما يجمع من النساء، كتاب الشغار، كتاب إباحة الطلاق، كتاب العدة، كتاب الإيلاء، كتاب الخلع والنشوز، كتاب الرضاع، كتاب الطهار، كتاب اللعان، كتاب أدب القاضي، كتاب الشروط، كتاب اختلاف العراقيين، كتاب اختلاف علي وعبد الله، كتاب سير الأوزاعي، كتاب الغصب، كتاب الاستحقاق، كتاب الأفضية، كتاب إقرار أحد الابنين بأخ، كتاب الصلح، كتاب قتال أهل البغي، كتاب الأساري والغلول، كتاب القسامة، كتاب الجزية، كتاب القطع في السرقة، كتاب الحدود، كتاب المرتد الكبير، كتاب المرتد الصغير، كتاب الساحر والساحرة، كتاب الفراض، كتاب الأيمان والنذور، كتاب الأشربة، كتاب الوديعه، كتاب العمري، كتاب بيع المصاحف، كتاب خطأ الطبيب كتاب جناية معلم الكتاب، كتاب جناية البيطار والحجام، كتاب اصطدام الفرسين والنفسين، كتاب بلوغ الرشد، كتاب اختلاف الزوجين في متاع البيت، كتاب صفة النفى، كتاب فضائل قریش والأنصار، كتاب الوليمة، كتاب صول الفحل، كتاب الضحايا، كتاب البحيرة والسائبة، كتاب قسم الصدقات، كتاب الاعتكاف، كتاب الشفعة، كتاب السبق والرمي، كتاب الرجعة، كتاب اللقيط والمنبوذ، كتاب الحوالة والكفالة، كتاب كرى الأرض، كتاب التفليس، كتاب اللقطة، كتاب فرض الصدقة، كتاب قسم الفئ، كتاب القرعة، كتاب صلاة الخوف، كتاب الديات، كتاب الجهاد، كتاب جراح العمى، كتاب الخرص، كتاب العتق، كتاب عمارة الأرضين، كتاب إبطال الاستحسان، كتاب العقول، كتاب الأولياء، كتاب الرد على محمد بن الحسن كتاب صاحب الرأي، كتاب سير الواقدي، كتاب حبل الحبله، كتاب خلاف مالك والشافعي، كتاب قطاع الطريق. قال: والذي لم يسمعه الربيع من الشافعي رضي الله عنه وأرضاه: كتاب الوصايا الكبير، كتاب اختلاف أهل العراق على علي وعبد الله، كتاب ديات الخطأ، كتاب قتال المشركين، كتاب الإقرار بالحكم الظاهر، كتاب الأجناس، كتاب اتباع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتاب مسألة الجنين، كتاب وصية الشافعي، كتاب ذبائح بني إسرائيل، كتاب غسل الميت، كتاب ما ينجس الماء مما خالطه، كتاب الأمالي في الطلاق، كتاب مختصر البويطي، رواه الربيع عن الشافعي رضي الله عنه.

الجزء الثامن عشر

محمد بن أزر بن عيسى

أحد الأخباريين المشهورين، قال محمد بن إسحاق النديم: مات سنة تسع وسبعين ومائتين ومولده سنة تسع وسبعين. وكان قد سمع من الأعرابي وغيره، وله من الكتب: كتاب التاريخ، من جياذ الكتب.

محمد بن إسحاق بن يسار

صاحب السيرة كنيته أبو عبد الله، وقيل أبو بكر مولى عبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، ويسار من سبي عين التمر، وهو أول سبي دخل المدينة من العراق. قال ابن أبي خيثمة: وموسى بن يسار أخو إسحاق بن يسار عم محمد بن إسحاق رواية أيضاً علامة. مات محمد بن إسحاق سنة خمسين أو إحدى أو اثنتين وخمسين ومائة. ودفن بمقابر الخيزران عند قبر أبي حنيفة.

قال المرزباني: ومحمد بن إسحاق أول من جمع مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وألفها، وكان يروي عن عاصم ابن عمر بن قتادة، ويزيد بن رومان، ومحمد بن إبراهيم، وابن شهاب والأعمش، ويروي عن فاطمة بنت المنذر بن الزبير امرأة هشام بن عروة، فبلغ ذلك هشاماً فقال: هو كان يدخل على امرأتي؟ كأنه أنكر ذلك، وخرج عن المدينة قديماً فلم يرو عنه منهم أحد غير إبراهيم بن سعد. وكان محمد بن إسحاق مع العباس بن محمد بالجزيرة، وكان قصد أبا جعفر المنصور بالحيرة فكتب إليه المغازي فسمع منه أهل الكوفة لذلك السبب، وسمع منه أهل الجزيرة حين كان مع العباس بن محمد، وأتى الري فسمع منه أهلها فرواته، هذه البلدان أكثر ممن روى عنه من أهل المدينة، وأتى بغداد فأقام بها إلى أن مات بها، وكان كثير الحديث، وقد كتب عنه العلماء ومنهم من يستضعفه، وكان له أخوان عمر وأبو بكر ابنا إسحاق، وقد روى الحديث.

وحدث بإسناد رفعة إلى المفضل بن غسان الغلابي قال: سألت يحيى بن معين عن محمد بن إسحاق فقال: قال عاصم ابن عمر بن قتادة: لا يزال في الناس علم ما عاش محمد بن إسحاق. قال يحيى: وابن إسحاق يسمع من عاصم فكان يقال: وحدث فيما رفعه إلى علي المدني قال: سمعت بن يحيى بن سعيد القطان يقول: كان محمد بن إسحاق والحسن بن ضمرة وإبراهيم بن محمد كل هؤلاء يتشيعون ويقدمون علياً على عثمان.

وقال الشاذكاني: كان محمد بن إسحاق بن يسار يتشيع، وكان قديراً. وقال أحمد بن يونس: أصحاب المغازي يتشيعون كابن إسحاق وأبي معشر ويحيى بن سعيد الأموي وغيرهم. وأصحاب التفسير السدي والكلبي وغيرهما، وكان له انقطاع إلى عبد الله بن حسن بن حسن، وكان يأتيه بالشئ فيقول له: أثبت هذا في علمك فيثبته ويرويه عنه.

وحدث فيما أسنده إلى الواقدي قال: كان محمد بن إسحاق يجلس قريباً من النساء في مؤخر المسجد فيروي عنه أنه كان يسامر النساء، فرفع إلى هشام وهو أمير المدينة وكانت له شعرة حسنة فرقق رأسه وضربه أسواطاً ونهاه عن الجلوس هنالك وكان حسن الوجه.

وحدث عبد الله بن إدريس قال: كنت عند مالك بن أنس فقال له رجل: إن محمد بن إسحاق يقول: اعرضوا علي علم مالك بن أنس فإنني أنا بيطاره. فقال مالك: انظروا إلى دجال من الدجاجة يقول: اعرضوا علي علم مالك. قال إدريس: وما رأيت أحداً جمع الدجال قبله. وحدث هارون بن عبد الله الزهري قال: سمعت ابن أبي خازم قال: كان ابن إسحاق في حلقة فأغفى ثم انتبه فقال: رأيت حماراً اقتيد بحبل حتى خرج من المسجد، فلم يبرح حتى أتته رسل الوالي فاقتادوه بحبل فأخرجوه من المسجد. وقال محمد بن إسحاق: كانت تعمل له الأشعار فيضعها في كتب المغازي فصار بها فضيحة عند رواة الأخبار والأشعار، وأخطأ في كثير من النسب الذي أورده في كتابه، وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميه في كتبه أهل العمل الأول، وأصحاب الحديث يضعفونه ويتهمونهم. وله من الكتب: كتاب الخلفاء رواه عنه الأموي، كتاب السير والمغازي، كتاب المبدأ رواه عنه إبراهيم بن سعد ومحمد بن عبد الله بن نمير النفيلي، ومات النفيلي بمران سنة أربع وثلاثين ومائتين، وكان يكنى أبا عبد الرحمن.

محمد بن إسحاق أبو العنيس الصيمري

قال الخطيب في تاريخه: محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبي العنيس بن المغيرة بن ماهان أبو العنيس الصيمري الشاعر أحد الأدباء الملحاه، خبيث اللسان هجاء، هجاه أكثر شعراء زمانه وقدم بغداد، مات سنة خمس وسبعين ومائتين، وحمل إلى الكوفة فدفن بها ونادم المتوكل، وهو القائل يهجو أحمد بن المديبر:

أسل الذي عطف المومنا
كب والمراكب نحو بابك

ما لم يمن لك في حسابك
ز على وقوف في رحابك
المنية من حجابك

وأراك نفسك مالكا
وأذل موقف في العزي
ألا يطيل تجري غصص

وهو القائل:

بعد موت الطبيب والعواد
ويحل القضاء بالصياد

كم مريض قد عاش من بعد يأس
قد يصاد القطا فينجو سليماً

وذكره محمد بن إسحاق النديم في الفهرست فقال: محمد بن إسحاق أبو العنيس الصيمري من أهل الفكاهات وأصله من الكوفة وكان قاضي الصيمرة، وكان مع استعماله للهلل شريفاً عارفاً بالنجوم، وله فيه كتاب يمدحه المنجمون، وأدخله المتوكل في ندمائه وخص به، وله مع البحري خبر معروف بين يدي المتوكل، وعاش إلى أيام المعتمد ودخل في ندمائه، وله يهجو طباط المعتمد:

ونحن في بعد من السوق
ينفخ لي صالح البوق

يا طبيب أيامي بمعشوق
إذا طلبت الخير من فارس

وله من الكتب: كتاب تأخير المعرفة، كتاب العاشق والمعشوق، كتاب الرد على المنجمين، كتاب الطبلنب، كتاب كرزابل، كتاب طوال اللحى، كتاب الرد على المتطبيين، كتاب عنقاء مغرب، كتاب الراحة ومنافع القيادة، كتاب فضائل خلق الرأس، كتاب هندسة العقل، كتاب الأحاديث الشاذة، كتاب فضائل الزو، كتاب الرد على ميخائيل الصيدناني في الكيمياء، كتاب عجائب البحر، كتاب مساوي العوام وأخبار السفلة والأغنام، كتاب فضل السلم على الدرجة، كتاب الفاس بن الحائك، كتاب الدولتين في تفصيل الخلافتين، كتاب تذكية العقول، كتاب السحاقات والبعائين، كتاب الخضضة في جلد عميرة، كتاب أخبار أبي فرعون كندر بن حيدر، كتاب تفسير الرؤيا، كتاب الثقلاء، كتاب نوادر القواد، كتاب دعوة العامة، كتاب الإخوان والأصدقاء، كتاب كنى الدواب، كتاب أحكام النجوم، كتاب المدخل في صناعة التنجيم، كتاب صاحب الزمان، كتاب الحلقتين، كتاب استغاثة الجمل على ربه، كتاب فضل السرم على الفم.

وقال أبو العنيس الصيمري: قوام أمر الإنسان بتسع دالات: دار ودينار ودرهم ودقيق ودابة ودبس وذن ودسم ودعوة.

وحدث الصولي قال: حدثني ابن أبي العنيس وكان قدم إلينا بغداد من سر من رأى وكان متأدباً قال: عرضت لأبي حاجة إلى الحسن بن مخلد وزير المعتمد في أقطاع له فخاف معارضته وذلك أيام تقلده ديوان الضياع فقال:

قابلاً وصلى يقبلني

زارني بدر على غصن

قد أعاد الروح في بدني

خلته في النوم من فرحي

بمقال الشعر في الحسن

إن لي عن مثله شغلاً

قد لبسنا سابغ المنن

وأبيه مخلد فبه

فاضل في العلم واللسن

كاتب قل النظير له

قال: فأمضى له كل ما أراد ولم يعارضه في شيء. وأنشد جحظة لأبي العنيس الصيمري:

فلم يحكني غير السليم المسهد

لئن كنت عن أرض تقلك نازحاً

غريب البكا عين الحمام المغرد

وعلمت مذ جر عتني صاب بينكم

وعن أبي الفرج، حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدثني أبو العنيس الصيمري قال: كنت عند المتوكل والبحري ينشده:

وبأي طرف تحتكم

عن أي ثغر تبتسم

حتى بلغ إلى قوله:

متوكل بن المعتمد

قل للخليفة جعفر ال

والمنعم بن المنتقم

والمجتدي بن المجتدي

وإذا سلمت فقد سلم

إسلم لدين محمد

قال: وكان البحري من أبغض الناس إنشاداً، يتشدد ويتزاور في مشيه مرة جائياً ومرة القهقري، ويهز رأسه مرة ومنكبه أخرى، ويشير بكفه ويقول: أحسنت والله، ثم يقبل على المستمعين فيقول: ما لكم لا تقولون: أحسنت؟ هذا والله ما لا يحسن أحد

أن يقول مثله، فضجر المتوكل من ذلك وأقبل علي فقال: أما تسمع يا صيمري ما يقول؟ فقلت بلى يا سيدي، فمر فيه بما أحببت فقال: بحياتي اهجه على هذا الروى الذي أنشدنيه. فقلت:

أدخلت رأسك في الحرم	وعلمت أنك تنهزم
يا بحتري حذار وي	لك من قضاقة ضغم
فلقد أسلت لوالدي	ك من الهجاسيل العرم
والله حلفه صادق	وبقبر أحمد والحرم
وبحق جعفر الإما	م ابن الإمام المعتصم
لأصيرنك شهرة	بين المسيل إلى العلم
فبأي عرض تعتصم	وبهتكه جف القلم؟
حي الطلول بذى سلم	حيث الأراكة والخيم
يا بن الثقيلة والثقي	ل على قلوب ذوي النعم
وعلى الصغير مع الكب	ير مع الموالى والحشم
في أي سلح تلتطم	وبأي كف تلتقم؟
يا بن المباحة للورى	أمن العفاف أو التهم؟
إذ رحل أختك للعجم	وفراش أمك في الظلم
وبباب دارك حانة	في بيته يؤتى الحكم

قال: وخرج البحتري مغضباً يعد وجعلت أصبح به خلفه:

أدخلت رأسك في الحرم
والمتوكل يضحك ويصفق حتى غاب عنه. هذه رواية جحظة، والذي يتعارفه الناس أن أبا العنيس كان واقفاً خلف السرير والبحتري ينشد قوله:

عن أي ثغر تبتسم
فقال أبو العنيس ارتجالاً

في أي سلح ترتطم

أدخلت رأسك في الحرم

فغضب البحتري وخرج وضحك المتوكل حتى أكثر، وأمر لأبي العنيس الصيمري بعشرة آلاف درهم.

محمد بن إسحاق بن أسباط الكندي

أبو النضر المصري، ذكره أبو بكر الزبيدي، قال الزبيدي: أخذ عن الزجاج. وله كتاب في النحو سماه كتاب العيون والنكت ذهب فيه إلى اخذ الاسم والفعل والحرف، وتلا ذلك بذكر شيء من أبواب الباء والواو ولم يصنع شيئاً. وقال ابن مسعر: نزل أبو النضر أنطاكية مدة ثم سار عنها إلى مصر، وله كتابان: كتاب التلقين، كتاب الموقظ. ورأيت أنا له كتاب المغني في النحو. وذكره ابن عبد الرحيم فقال: نقلت من خط أبي الحسن بن الخطيب: حدثنا البيهقي قال: كان يجتمع معنا في خدمة سيف الدولة شيخ من أهل الأدب والتقدم في النحو وعلم المنطق ممن درس على الزجاج وأخذ عنه يكنى بأبي النضر وذكر اسمه ونسبه، وحكى أنه كان حسن الشعر، وأخبرنا أن الأبيات التي ينسبها قوم إلى ابن المغيرة وآخرون إلى أبي نضلة، قلت: أنا وجدت أنها أنا في ديوان أبي القاسم التتوخي ومعزوة إلى أبي القاسم وتروى لغيرهم أيضاً أنها لأبي النضر من قديم شعره، وأنشدها لنفسه وهي:

وكأس من الشمس مخلوقة	تضمنها قدح من نهار
هواء ولكنه ساكن	وماء ولكنه غير جار
فهذا النهاية في الابيضاض	وهذا النهاية في الاحمرار
وما كان في الحكم أن يوجد	لفرط التنافي وفرط النفار
ولكن تجاور سطحاها ال	بسيطان فاجتمعا بالجوار
كأن المدير لها باليمين	إذا طاف للسقي أو باليسار

تدرع ثوبا من الياسمين
وقد أورد التنوخي هذه الحكاية في كتاب النشوار وحكى أن أبا النضر كان عالماً بالهندسة قيماً بعلوم الأوائل. ولأبي النضر أيضاً:

هات اسقني بالكبير وانتخب
فلو تراني إذا انتشيت وقد
لخلتني لابساً مشهرة
وقال أبو علي التنوخي: أنشدني أبو عمر بن جعفر الخلال لأبي النضر المصري النحوي من قصيدة يذكر فيها رجلاً مدحه قال:
وكان متسعاً في الشعر الجيد المستحسن:
ورأيت أحمدا وسيدنا
خلت النجوم خلقن دائرة
نافية للهموم والكرب
حركت كفي بها من الطرب
من لازورد يشف من ذهب
متصدراً للورد والصدر
موصولة الطرفين بالقمر

محمد بن إسحاق الشابستي

أبو عبد الله الشابستي صاحب خزنة كتب العزيز بن المعز بمصر والمتولي عرضها وكان من أهل الفضل والأدب. مات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة للهجرة في أيام الحاكم بن العزيز، وله عدة تصانيف منها: كتاب الديارات، كتاب اليسر بعد العسر، كتاب مراتب الفقهاء، كتاب التوقيف والتخويف، كتاب مراسلات، كتاب ديوان شعره، كتاب في الزهد والمواعظ وقد اختلف في اسمه فرأيت أنا كتاب الدايات من تصنيفه وهو مترجم، محمد بن إسحاق كما ترى. ونقل لي بمصر بعض من اختبرت صحة نقله أنه: أبو الحسن علي بن أحمد والله أعلم.

محمد بن إسحاق النديم

كنيته أبو الفرج، وكنية أبيه أبو يعقوب، مصنف كتاب الفهرست الذي جود فيه، واستوعب استيعاباً يدل على اطلاعه على فنون من العلم وتحققه لجميع الكتب، ولا أبعد أن يكون قد كان وراقاً يبيع الكتب، وذكر في مقدمة هذا الكتاب أنه صنف في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، وله من التصانيف: فهرست الكتب، كتاب التشبيهات. وكان شيعياً معتزلياً.

محمد بن إسحاق بن علي بن داود

ابن حامد أبو جعفر القاضي الزوزني البجلي، ذكره عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي وأنه مات بغزنة سنة ثلاث وستين وأربعمائة وقال: هو أحد الفضلاء المعروفين جداً وهزلاً، والفائق أهل عصره ظرفاً وفضلاً، والتعصب لأهل السنة المخصوص بخدمة البيت الموقفي، المحترم بين الأئمة والكبار لفضله مرة، وللتوقي من حماة لسانه وعقارب هجائه ثانية. ولقد رزق من الهجاء في النظم والنثر طريقة لم يسبق إليها، وما ترك أحداً من الكبراء والأئمة والفقهاء وسائر الأصناف من الناس إلا هجاه ووقع فيه، فكان الكل ينترسون باحترامه وإيوائه عن سهام هجائه.

قال عبد الغافر: وكان صديق والدي من البائتين عنده في الأحايين، والمقترحين عليه ما يشتهي من الطبائخ والمطعمات، سمعته رحمه الله يحكي عنه أحواله وتهتكه واشتغاله في جميع الأحوال بما لا يليق بالعلماء والأفاضل، ولكنه كان يحتمل عنه اتقاء لسانه، ومما حكاه لي رحمه الله أنه قال: ما وقع بصري قط على شخص إلا تصور في قلبي هجاؤه قبل أن أكلمه وأجربه أو أخبر أحواله. وحكى لي بعض من أثق به أنه قال: لم يفلت أحد من هجائي إلا القاضي الإمام صاعد بن محمد رحمه الله، فإني كنت قد وزرت في نفسي أن أهجوه، فحيث تأملت في حسن عبادته وكمال فضله ومرضي سيرته استحيت من الله تعالى، وتركت ما أجلته في فكري. على أنني سمعت فيما قرع سمعي تشبيهاً منه بشيء من ذلك عفا الله عنه، ولقد خص طائفة من الأكابر والعلماء بوضع التصنيف فيهم ورميهم بما برأهم الله عز وجل عنه، وبلغ في الإفحاش وأغرق في قوس الإيحاش وأظهر النسك بين الناس وأغرب في فنون الهجاء، وأتى بالعبارات الرشيقة والمعاني الصحيحة من حيث الصنعة، وإن كانت عن آخرها أوزاراً وآثاماً وكذباً وبهتاناً، واتفق الأفاضل على أنه أهجى أهل عصره من الفضلاء، وأفتقهم شتماً قبيحاً، وتعرضاً وتصريحاً، وكان يسكن مدرسة السيوري بباعزرا، ويخص جماعة سكانها من الأئمة في عصره بالهجاء، وله معهم ثارات وأحوال يطول ذكرها، ثم مع تبحره وانفراده بفن الهجاء كان له شعر في الطبقة العليا في المدح والثناء وسائر المعاني، قصائده الغر في السادة والأئمة مشهورة، ومقطعاته في الغزل مأثورة، وكان ينسخ كتباً بالأدب بخط مقروء صحيح أحسن النسخ، ولقد

رأيت نسخة من كتاب يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي في خمس مجلدات بخطة المليح بيعت بثلاثين ديناراً نيسابورية وكانت تساوي أكثر من ذلك، ولقد كتب نسخة غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي وقرأها على جدي الشيخ عبد الغافر ابن محمد الفارسي قراءة سماع، وعلى الحاكم الإمام أبي سعد ابن دوست قراءة تصحيح وإتقان أقطع على الله تعالى أن لم يبق من ذلك الكتاب نسخة أبين ولا أملح منها، وهي الآن برسم خزانة الكتب الموضوعة في الجامع القديم موقوفة على المسلمين، ومن أراد صدقي في ادعائي فليطالعه منها، ولم أظفر من مسموعاته في الأحاديث بشيء يمكنني أن أودعه هذا الكتاب مع أنني لا أشك في سماعه، ولقد ذكر الحافظ أنه روى عنه خاله أبي الحسن هارون الزوزني عن أبي حاتم بن حيان ولم يقع إلى بعد، ومن شعره في بعض الأكابر:

يرتاح للجد مهتزاً كمطررد	مثقف من رماح الخط عسال
فمرة باسم عن ثغر برق حياً	وتارة كاشف عن ناب رثبال
فما أسامة مطروراً برائنه	ضخم الجزارة يحمي خيس أشبال
يوماً بأشجع مه حشو ملحمة	والحرب تصدع أبطالاً بأبطال
ولا خضارة صخاباً غواربه	تسمو أواذيه حالاً على حال
أندى واسمح منه إذ يبشره	مبشوره برواد ونزال
إلى غير ذلك من أمثاله إلى تمام القصيدة، وله:	أشبهها بالجمر خفت به ظلما
وذي شنب لو أن جمرة ظلمه	فأوسعني شتماً وأوسعته لما
فبضت عليه حالياً واعتنقته	
ومن شعره يصف البرد:	كثغور معسول الثنايا أشنب
متناثر فوق الثرى حباته	كالدّر إلا أنه لم يثقب
برد تحد من ذرى صخابة	

قال عبد الغافر: واقتصرت على هذا النموذج من كلامه مخافة الإملال، ومن أراد المزيد عليه فديوان شعره هزلاً وجداً موجود، والله يغفر له ويعفو عنه.

قال المؤلف: ولم أر من تصانيف البحاثي هذا شيئاً إلا شرح ديوان البحثري، ولعمري إن هذا شيء ابتكره، فإني ما رأيت هذا الديوان مشروحاً، ولا تعرض له أحد من أهل العلم ولا سمعت أحداً قال: إني رأيت ديوان أبي عبادة البحثري مشروحاً، وتأملته فرأيت أنه قد ملئ علماً وحشي فهماً، وذاك أن شروح الدواوين المعرفة كأبي تمام والمتنبي وغيرهما تساعدت القرائح عليها، وترافدت الهمم إليها، وما أرى له فيما اعتمده من شرح هذا الكتاب عمدة إلا أن يكون كتاب عبث الوليد للمعري، وكتاب الموازنة للأمدى لا غير. وقد ذكر البحاثي هذا أبو منصور الثعالبي في تنمة يتيمة الدهر بما أنا ذاكره إن شاء الله. قال أبو منصور: أبو جعفر محمد بن إسحاق البحاثي زينة زوزن، وطرف الطرف، وريحان الروح، يقول في هجاء لحيته الطويلة:

يا لحية قد علفت من عارضي	لا أستطيع لقبحها تشبيهاً
طالت فلم تفلح ولم تك لحية	لتطول إلا والحماسة فيها
إني لأظهر للبرية حبها	والله يعلم أنني أقلبها
ويقول في ذم خال على وجه بعض من يهجو:	بعيد عن الإسلام والعقل والدين
أبو طاهر في الشؤم واللوم غاية	كمثل ذباب واقع فوق سرقين
على وجهه خال قريب من انفه	

وله:

ينكون غزلان الحسان ولا أرى	غزلاً من الغزلان فرداً بساكتي
فمن يك قد لاقى من النيك راحة	ففي راحتي أنسي ورفقي وراحتي

وله:

ولما رأيت الفقر ضربة لازب	ولم يك لي في الكف عقد على نقد
ولا لي غلام قد يناك ولم يكن	سبيل إلى الترك المكحلة الجرد
شريت قبيحاً من بني الهند أسوداً	ونيك الهنود السود خير من الجلد

وله أيضاً يهجو:

فسوي وضرطي والخرأ مائعاً
من خلقه أقبح من خلقه

وله:

تعود هنك الستر نسوان سكبر
وطرن سروراً حين لقبن سكبراً
وللبحاثي في صفة دعوة:
سألونا عن قراه
كان فيه كل شيء
ومن خبيث شعره:

الحمد لله وشكراً على
إن الذي لاعبني في الصبا

نقلت من خط أبي سعد السمعاني عن رجل، عن أسعد بن محمد العتبي قال: حكى أبو جعفر البحاثي أن أبا بكر الصيفي كان يختلف معنا إلى الحاكم أبي سعد بن دوست وكان من أنجب تلامذته نظماً ونثراً، فاختلف في ريعان شبابه ونضارة عمره فرأيته في المنام ليلة قلت: ما وجدت من أشعارك شيئاً يكون لي تذكرة فقال: ليس لي شعر. فقلت: أأست القائل؟
فاختصرنا في الجواب
بارداً غير الشراب
ما بين إبريق وطاس
قال: وأنا أقول:

حل الخطوب بساحتي
غادرتنا فغدرت إ
دنيا تقضت لم يكن
لا كنت أيتها الخطوب
ن الدهر خداع خلوب
لي في أطايبها نصيب

قال: فانتبهت وأشعلت السراج وكتبت عنه هذه الأبيات. حكى يعقوب بن أحمد النيسابوري أن القاضي البحاثي دخل على أبي سعد بن دوست فأنشده:

ليت شعري إذا خرجت من الدن
هل يقولن إختوتي بعد موتي
فلما مات البحاثي قال فيه أبو سعد بن دوست:

يا أبا جعفر بن إسحاق إني
من هوى من مصاعد العز قسراً
فلك اليوم من قواف حسان
مع كتب جمعن في كل فن
قائل كلها بغير لسان
خانني فيك نازل الأحداث
يك تحت الرجام في الأحداث
سرن في المدح سيرها في المراثي
حين يروين ألف باك وراثي
رحم الله ذلك البحاثي

وذكر محمد بن محمود النيسابوري في كتاب سر السرور: أن شعر البحاثي على نيف عشرين ألف بيت وأنه وقف عليه في تسع مجلدات، فانتخب من ذلك المنتخب في هذه الورقة:

بأبي من عند لثمي
ومضى يبكي ويمحو
زاد في عشقي بشتمه
أثر اللثم بكمه

وله مثله:

بليت بطفل قل طائل نفعه
ويمسحها من عارضيه بكمه
يكاشفني إن لاح شخصي بعينه
ولم أجد له في غير الهجاء السخيف شيئاً استحسنته، قال يهجو:

ألا إن هذا البيهقي محدث
مسيلم الكذاب في جنبه ملك

وفي نطقه كذب وفي دينه حلك

ففي وجهه قبح وفي قلبه عمى

بالسلح الكلب لحيته ذلك
ويهلك أهل الفضل إذ خرف الفلك

لو ابن معين كان حيا لجاءه
فلا تعجباً إن مد في عمر مثله

وله:

جئته قاضياً لحق الحمام
وبكاء يحكي بكاء الحمام
مكدي الدمع واري الابتسام

مأتم الشيخ مانس للكرام
مع حزن يحكي حزين الأغاني
كجهام الغمام جفنًا ووجهًا

وكان البارع الزوزني عرضة لأهاجيه وغرضاً لطعان قوافيه، وكان يلقيه بالباعر ويدعى أنه افترسه طبيباً غريباً وافترشه بدرأ منيراً، فلما التحى أنكر صحبتته، ونبذ وراء ظهره مودته، فمن ذلك:

ما كان أحسنه وجهاً وأبهاه
والسحر ما بثه في الناس عيناه
نهاره وفراشي كان مأواه
واستفيد لذيداً من جنى فاه
مشعراً ودجا واسود قطراه
وغول فقر يميمت الإنس لقياه
وليس يحسن إلا ما أفدناه
فليس ينكر أيرى شم مفساه
لكان مغفورة عندي خطاياها

كان البويعر بدرأ في حدائته
والطيب اجمع فيما تحت منزره
ربيته وهو في حجري ألاعبه
أفيده من جنايا العلم أحسنها
حتى إذا ما عشا جلد استه وغدا
وصار كلباً وخنزيراً وزوبعة
أنشأ يمزق عرضي منكراً أدبي
إن كان ينكر ما قدمت من أدبي
لو لم تغير صروف الدهر صورته

وله في السخف أبيات وله:

أصبحت من أحذق حذاقهم
أخالق الناس باخلاقهم

إني لمرزوق من الناس إذ
ما ذاك من فضل ولكنني

محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن محمد

ابن مكيال أبو جعفر الميكالي، قد استوفينا هذا النسب في باب أبي الفضل عبد الله بن أحمد فأغنى، وكان أبو جعفر أديباً شاعراً لغوياً فقيهاً، مات في صفر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة، وكان قد تفقه على قاضي الحرمين أبي الحسين، وعقد له المجلس الإملاء سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة، سمع منه الحاكم أبو عبد الله بن البيع الحافظ.

محمد بن إسماعيل النحوي

أبو عبد الله يعرف بالحكيم من أهل قرطبة، سمع محمد بن وضاح، ومحمد بن عبد السلام الخشني، ومطرف بن قيس، وعبد الله ابن مسرة، ومحمد بن عبد الله بن الغاز، وكان عالماً بالنحو والحساب دقيق النظر، مثيراً للمعاني الغامضة مؤكداً لها، لا يتقدمه أحد في ذلك، وعمر إلى أن بلغ ثمانين عاماً وأدب الحكم المستنصر، وتوفي لعشر خلون من ذي الحجة سنة إحدى وثلثين وثلثمائة ونسلة انقرض.

محمد بن إسماعيل بن زنجي

أبو عبد الله الكاتب، له نباهة وذكر في أيام المعتضد وإلى آخر أيام الراضي، وكان من جلة الكتاب ومشايخهم، معروف بجودة الخط، وله تصانيف: منها كتاب الكتاب والصناعة، وكتاب رسائله. قال ابن بشران: مات محمد ابن إسماعيل المعروف بزنجي الكاتب الأنباري في شوال سنة أربع وثلثين وثلثمائة، وكان متقدماً في كتاب الإنشاء والرسائل والكلام حسن المجلس، وله أخبار كثيرة حسنة.

محمد بن بحر الرهني

أبو الحسين الشيباني والرهني بالراء المهمل والمهملة والنون منسوب إلى رهنة: قرية من قرى كرمان، وكان يسكن نرماسير من أرض كرمان، وهو يكنى أبا الحسين شيباني الأصل، معروف بالفضل والفقه. قال ابن النحاس في كتابه قال بعض أصحابنا: إنه كان في مذهبه ارتفاع وحديثه قريب من السلامة، ولا أدري من أين قيل. قال شيخنا رشيد الدين: كان لفتاً حافظاً يذاكر بثمانية آلاف حديث غير أنه كثر حفظه، وتتبع الغرائب فعمر، ومن طلب غرائب الحديث كذب. قال: ووقفت على كتابة البدع فما أنكرت فيه شيئاً وعند الله علمه. وكان عالماً بالأنساب وأخبار الناس شيعي المذهب غالباً فيه، وله تصانيف منها: كتاب سماه كتاب نحل العرب يذكر فيه تفرق العرب في البلاد في الإسلام، ومن كان منهم شيعياً ومن كان منهم خارجياً أو سنياً فيحسن قوله في الشيعة ويقع فيمن عداهم. وقفت على جزء من هذا الكتاب ذكر فيه نحل أهل المشرق خاصة من كرمان وسجستان وخراسان وطبرستان، وذكر فيه أن له تصنيفاً آخر سماه كتاب الدلائل على نحل القبائل، وذكر فيه أعني كتاب النحل: أخبرني ابن المحتسب ببغداد في درب عبدة بالحربية قال: أخبرنا أحمد بن الحارث الخزاز قال: أخبرني المدائني علي بن محمد بن أبي سيف عن سلمة بن سليمان المغني وغيره، فذكر قصة الملبد بن يزيد عن عون بن حرملة بن بسطام بن قيس بن حارثة بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان الخارج في أيام المنصور شارياً بالجزيرة حتى قتل.

وقال في موضع آخر: حدثني سعد بن عبد الله بن أبي خلف قال: حدثني أبو هاشم الجعفري وقال فيه: حدثني النوفلي علي بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن أبيه وقال فيه: سمعت أحمد بن محمد بن كيسان النحوي وأنا أقرأ عليه كتاب سيبويه يقول: لم يجر على فعل إلا أربعة أسماء: البقم: هي الخشبة التي يصنع منها وهي معروفة، وشلم: اسم بيت المقدس بالنبطية. وبذر: وهو اسم ماء من مياه العرب. قال كثير:

سقى الله أمواها عرفت مكانها
جرباً وملكوماً وبذر والغمرا

وخصم: اسم للعنبر بن عمرو بن تميم.

محمد بن بكر البسطامي

لا أعرف من حاله إلا ما ذكره حمزة الأصبهاني وقد ذكر الخليل وغيره ثم قال: وصنف بالأمس محمد بن بكر البسطامي كتاباً على كتاب محمد بن الحسن بن دريد المسمى الجمهرة وقال: كان السبب لوضعي هذا الكتاب تطرفي الكتاب المسمى كتاب الياقوتة، وأن مصنفه حشاً أكثر الكتاب بما ينطق به العرب وعزاه إلى ثعلب، وقد طلبنا ما ادعى من ذلك على العرب في المصنفات فلم نجده ثم سألنا عنه أصحاب ثعلب فلم يعرفوه، والذي صنف هذه الكتب لم يقم ما أودعه شاهداً ولا ودليلاً من القرآن أو الحديث أو المثل، ولا نما فيما رواه إلا إلى: أخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي، فتمت له رواية تلك الأباطيل بين قوم لم يطالبوه بدليل وظنوا أنه فيها مصيب، ثم ذكر كتاب العين وأنه من تصنيف تلاميذ الخليل كما ذكرته في ترجمة الخليل.

محمد بن ثابت

بن محمد بن سوار بن علوان النمري الأصبهاني أبو بكر إمام الجامع بأصبهان في باب كوشك، وذكره يحيى بن مندة فقال: كان سنياً فاضلاً من الناس بارعاً في الأدب شاعراً فصيحاً كثير السماع قليل الرواية، مسكنه في درب البخاري، روى عن عبد الله بن محمد ابن محمد بن فورك، وأبي بكر محمد إبراهيم بن المقرئ وأحمد بن عبد الله النهديري، كتب عنه عمي الإمام وجماعة رحمهم الله.

محمد بن تميم أبو المعاني البرمكي

اللغوي، له كتاب كبير في اللغة سماه المنتهي في اللغة منقول من كتاب الصحاح للجوهري، وزاد فيه أشياء قليلة وأغرب في ترتيبه، إلا أنه والجوهري كانا في عصر واحد، لأنني وجدت كتاب الجوهري بخطه وقد فرغ منه سنة ست وتسعين وثلاثمائة، وذكر البرمكي في مقدمة كتابه، أنه صنّفه في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة، ولا شك أن أحد الكاتبين منقول من الآخر نقلاً، والذي أشك فيه أن البرمكي نقل كتاب الصحاح، لأن أبا سهل محمد بن علي الهروي كان بمصر وحكى عن البرمكي، وقد روى الهروي الصحاح عن ابن عبدوس، ولعل الكتاب خرج عن الجوهري وهو حي وقدم به إلى مصر.

محمد بن بحر الأصفهاني

الكاتب، يكنى أبا مسلم، كان كاتباً مترسلاً بليغاً متكلماً جدلاً، مات فيما ذكره حمزة في تاريخه في آخر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، ومولده سنة أربع وخمسين ومائتين، وكان الوزير أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح يشتاقه ويصفه. وقال أبو علي التنوخي وقد ذكر محمد بن زيد الداعي فقال: وهو الذي كان أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني الكاتب المعتزلي العالم بالتفسير وبغيره من صنوف العلم، قد صار عامل أصبهان وعامل فارس للمقتدر يكتب له ويتولى أمره. ذكره محمد بن إسحاق وقال: له من الكتب: كتاب جامع التأويل لحكم التنزيل على مذهب المعتزلة أربعة عشر مجلداً، كتاب جامع رسائله كتاب حمزة كتاب الناسخ والمنسوخ، كتاب في النحو، وسمي حمزة كتابه في القرآن شرح التأويل. وكان ابن أبي البغل ولي في سنة ثلاثمائة ديوان الخراج والضياح بأصبهان وهو ببغداد، فورد كتابه على أبي مسلم بن بحر بأن يخلفه على ديوان الضياح بها، ثم ورد ابن أبي البغل إلى أصبهان فأقره على خلافته، ثم مات أبو علي محمد بن رستم في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة فرتب مكانه أبو مسلم بن بحر وذلك في شوال، ثم ورد على بن بويه في خمسمائة فارس فهزم المظفر بن ياقوت في خمسة آلاف فارس، ودخل ابن بويه أصبهان في منتصف ذي القعدة فعزل أبو مسلم. نقلت من كتاب أصفهان قال: وقال أبو مسلم في أبيات بالفارسية لأبي الأشعث القمي:

يا للشباب وغصنه النضر
لو دام لي عهد المتاع به
لكنه لي معقب هرماً
والعيش في أيامه الزهر
وأمنت فيه حوادث الدهر
وهو النذير بآخر العمر

قال: وقال في أبي المعمر:

هل أنت مبلغ هذا القائد البطل
إن كنت أخطأت قرطاساً عمدت له
عني مقالة طب غير ذي خطل
فأنت في رمي قلبي من بني ثعل

قال: ودخل يوماً إلى دار أخيه أحمد بن بحر فرأى معه دفترًا على ظهره أبيات نصر بن سيار، وذلك عند ما بيض ما كان بن كاكى الديلمي ووردت خيله قم، وأبيات نصر:

أرى خلل الرماد وميض جمر
وإن النار بالزندان توري
أقول من التعجب ليت شعري
ويوشك أن يكون له ضرام
وإن الحرب يقدمه الكلام
أليقظ أمية أم نيام؟

فكتب أبو مسلم تحتها:

أرى ناراً تشب بكل واد
وقد رقدت بنو العباس عنها
كما رقدت أمية ثم هبت
لها في كل منزلة شعاع
وأضحت وهي آمنة رناع
لندفع حين ليس بها دفاع

ولما مات قال فيه علي بن حمزة بن عمارة الأصبهاني يرثيه:

وقالوا ألا ترثي ابن بحر محمداً
فلن يستطيع القول من طار قلبه
ومن بان عنه إلفه وخليله
ومن كان أوفى الأوفياء لمخلص
سحاباً كماء المزن به الجني
وغرب ذكاء واقد مثل جمرة
ومن كان بيت الكتابة في الذرى
فقلت لهم ردوا فؤادي واسمعوا
جريحاً قريحاً بالمصائب يقرع
فليس له إلا إلى البعث مرجع
ومن حيز في سرباله الفضل أجمع
جنى الشهد في صفو المدام يشعشع
وطبع به العضب المهند يطبع
وذا منطق في الحفل لا يتتبع

وله

وقد كنت أرجو أنه حين يلتحي
فلما التحى واسود عارض وجهه
يفرج عني أو يجدد لي صبرا
تحول لي البلوى بواحدة عشا

محمد بن بركات بن هلال بن عبد الواحد

ابن عبد الله السعدي الصوفي، نقلت نسبه هذا من خط يده يكنى أبا عبد الله، مات في سنة عشرين وخمسمائة وقيل: إن مولده في سنة عشرين وأربعمائة، فيكون عمره على هذا مائة سنة. أحد فضلاء المصريين وأعيانهم المبرزين. أخذ النحو والأدب عن أبي الحسن بن بابشاذ فأثقتنه، وله أيضاً معرفة حسنة بالأخبار والأشعار وكان يقول الشعر فيجيد. ومن قوله:

يا عنق الأبريق من فضة
هيك تخافيت واقصيتني
ويا قوام الغصن الرطب
تقدر أن تخرج من قلبي؟

ومنه:

وإذا الصنيعة وافقت أهلالها
دلت على توفيق مصطنع اليد
وله من الكتب: كتاب خطط مصر أجاد فيه، وله عدة تصانيف في النحو، كتاب الناسخ والمنسوخ فيما بلغني والله أعلم. وقال محمد بن بركات السعدي يخاطب أبا القاسم هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت البوصيري الأنصاري:

قله أوامر من حجاه حكيمة
يقظان من فهم لكل فضيلة
وله زواجر من نهاه
بنباهة جلت عن الأشباه
علامة ما مشكل مستبهم
خاف عن الأفهام عن أساه

محمد بن جرير بن يزيد بن كثير

بن غالب أبو جعفر الطبري المحدث الفقيه المقرئ المؤرخ المعروف المشهور. مات فيما ذكره أبو بكر الخطيب يوم السبت لأربع بقين من شوال سنة عشر وثلاثمائة، ودفن يوم الأحد بالغداة في دار برحبة يعقوب ولم يغبر شبيهه، وكان السواد في شهره رأسه ولحيته كثيراً. ومولده سنة أربع أو أول سنة خمس وعشرين ومائتين. وكان أسمر إلى الأدمة أعين نحيف الجسم مديد القامة فصيح اللسان.

قال غير الخطيب: ودفن ليلاً خوفاً من العامة لأنه كان يتهم بالتشيع، وأما الخطيب فإنه قال: ولم يؤذن به أحد فاجتمع على جنازته من لا يحصى عددهم إلا الله، وصلى على قبره عدة شهور ليلاً ونهاراً، ورثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب.

قال وسمع محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، وأحمد ابن منيع البغوي، وأحمد بن حميد الرازي، وأبا همام الوليد ابن شجاع، وأبا كرييب محمد بن العلاء، وعدد خلقاً كثيراً من أهل العراق والشام ومصر. وحدث عنه أحمد بن كامل القاضي وغيره، واستوطن بغداد وأقام بها إلى حين وفاته. قال: وكان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله عز وجل، عارفاً بالقرآن بصيراً بالمعاني، فقيهاً بأحكام القرآن عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمتها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب في تفسير القرآن لم يصنف أحد مثله، وكتاب سماه تهذيب الآثار لم أرسوا في معناه لم يتممه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيار من أقاويل الفقهاء، وتفرد بمسائل حفظت عنه.

قال الخطيب: وسمعت علي بن عبيد الله اللغوي السمسمي يحكي أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة قال: وقال أبو حامد الإسفرايني الفقيه: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً، أو كلاماً هذا معناه.

وحدث عن القاضي أبي عمر عبيد الله بن أحمد السمسار وأبي القاسم بن عقيل الوراق أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه: أنتشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة. فقالوا: هذا مما يفني الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة ثم قال تنتشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا كم قدره؟ فذكر نحواً مما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك فقال: إنا الله ماتت الهمم، فاختصر في نحو مما اختصر التفسير.

وحدث فيما أسنده إلى أبي بكر بن بالويه قال: قال لي أبو بكر محمد بن إسحاق يعني ابن خزيمة: بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير؟ قلت نعم، كتبنا التفسير عنه إملاء، قال كله؟ قلت نعم، قال في أي سنة؟ قلت: من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين. قال: فاستعاره مني أبو بكر ورده بعد سنين ثم قال: نظرت فيه من أوله إلى آخره، وما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير، ولقد ظلمته الحنابلة قال: وكانت الحنابلة تمنع ولا تترك أحداً يسمع عليه، وأنشد محمد بن جرير:

وأستغني فيستغني صديقي
ورفقي في مطالبتي رفقي
لكننت إلى الغنى سهل الطريق

إذا أعسرت لم أعلم رفيقي
حياتي حافظ لي ماء وجهي
ولو أني سمحت ببذل وجهي

وأنشد أيضاً:

تبه الغنى ومذلة الفقر
وإذا افتقرت فته على الدهر

خلقاً لا أرضى طريقهما
فاذا غنيت فلا تكن بطراً

وحدث فيما أسنده إلى محمد بن جرير قال: كتب إلى أحمد بن عيسى العلوي من بلد:

فهل لي إلى ذاك القليل سبيل؟
فكل عليه شاهد ودليل

ألا إن إخوان الثقات قليل
سل الناس تعرف غثهم من سمينهم

قال أبو جعفر فأجيبته:

فهل لي بحسن الظن منه سبيل؟

يسئ أميري الظن في جهد جاهد

فإن جميل القول منك جميل

تأمل أميري ما ظننت وقلته

هذا آخر ما نقلته من تاريخ أبي بكر.

وحدث عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغاني في كتابه المعروف بكتاب الصلة، وهو كتاب وصل به تاريخ ابن جرير: أن قوماً من تلاميذ ابن جرير حصلوا أيام حياته منذ بلغ الحلم إلى أن توفي وهو ابن ست وثمانين، ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته فصار منها على كل يوم أربع عشر ورقة، وهذا شيء لا يتهيأ لمخلوق إلا بحسن عناية الخالق. وفرغ من تصنيف كتاب التاريخ ومن عرضه عليه في يوم الأربعاء ثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثمائة وقطعه على آخر سنة اثنتين وثلاثمائة. وجدت على جزء من كتاب التفسير لابن جرير بخط الفرغاني، ما ذكر فيه قطعة من تصانيف ابن جرير فنقلته على صورته لذلك وهو: قد أجرت لك يا علي بن عمران، وإبراهيم بن محمد ما سمعته من أبي جعفر الطبري رحمه الله من كتاب التفسير المسمى بجامع البيان عن تأويل آي القرآن، وكتاب تاريخ الرسل والأنبياء والملوك والخلفاء، والقطعين من الكتاب ولم أسمعهما وإنما أخذته إجازة، وكتاب تاريخ الرجال المسمى بذي المذيل، وكتاب القراءات وتنزيل القرآن، وكتاب لطيف القول وخفيته في شرائع الإسلام، وما سمعته من كتاب التهذيب من مسند العشرة، ومسند ابن عباس إلى حديث المعراج، وكتاب آداب القضاة والمحاضر والسجلات، وكتاب اختلاف علماء الأمصار فليرويا ذلك عني. وكتب عبد الله بن أحمد الفرغاني بخطه في شعبان سنة ست وثلاثين وثلاثمائة.

وحدث أبو علي الحسن بن علي الأهوازي المقرئ في كتاب الإقناع في إحدى عشرة قراءة قال: كان أبو جعفر الطبري عالماً بالفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة والعروض، له في جميع ذلك تصانيف فاق بها على سائر المصنفين، وله في القراءات كتاب جليل كبير رأيته في ثمانين عشرة مجلدة إلا أنه كان بخطوط كبار، ذكر فيه جميع القراءات من المشهور والشواذ وعلل ذلك وشرحه، واختار منها قراءة لم يخرج بها من المشهور ولم يكن منتصباً للإقراء، ولا قرأ عليه أحداً إلا أحاد من الناس كالصغار شيخ كان ببغداد من الجانب الشرقي يروي عنه رواية عبد الحميد بن بكار عن ابن عامر. وأما القراءة عليه باختباره فإني ما رأيته أحداً قرأ به غير أبي الحسين الجبي وكان ضئيلاً به، ولقد سألته زماناً حتى أخذ علي به قال: وترددت إلى أبي جعفر نحواً من سنة أسأله ذلك زماناً حتى أجمرت عليه وسألته وكنت قد سمعت منه صدراً من كتبه فأخذه علي على جهته وقال: لا تنسبها إلي وأنا حي، فما أقرأت بها أحداً حتى مات رحمه الله في شوال سنة عشر وثلاثمائة.

وقال أبو الحسين الجبي: ما قرأ عليه به إلا اثنان وأنت ثالثهم، ولا قرأ عليه أحد إلى أن مات سنة ثمانين وثلاثمائة. وقرأت بخط أبي سعد بإسناده رقعة إلى أبي العباس البكري من ولد أبي بكر الصديق قال: جمعت الرحلة بين محمد بن جرير الطبري ومحمد بن إسحاق بن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هارون الروياني بمصر، فأرملوا وافتقروا ولم يبق عندهم ما يمولونهم، وأضربهم الحال فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه واتفقوا على أن يستهموا، فمن خرجت عليه القرعة سأل الناس لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة فقال لأصحابه: أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخير، فاندفع بالصلاة فإذا هم بالشموع وخصي من قبل والي مصر يدق عليهم فأجابوه وفتحوا له الباب فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقيل هذا وأشاروا إليه، فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً ودفعها إليه وقال: أيكم محمد بن جرير؟ فأشاروا إليه فدفع إليه خمسين ديناراً ثم قال: أيكم محمد بن هارون؟ فقيل هذا، فدفع إليه مثلها ثم قال: وأيكم محمد بن إسحاق بن خزيمة؟ فقيل هو ذا

يصلي، فلما فرغ من صلاته دفع إليه صرة فيها خمسون ديناراً ثم قال: إن الأمير كان قائلاً فرأى في النوم خيالاً أو طيفاً يقول له: إن المحامد طووا كشحهم، فبعث بهذه الصرر وهو يقسم عليكم إذا نفذت أن تبعثوا إليه ليزيدكم.

قال المؤلف: وقد ذكر أبو بكر الخطيب هذه الحكاية في ترجمة محمد بن حرب إلا أنني نقلتها من كتاب السمعاني وسأله يوماً سائل عن نسبه فقال: محمد بن جرير. فقال السائل: زدنا في النسب، فأشده لرؤية:

قد رفع العجاج ذكرني فادعني باسمي إذا الأنساب طالت يكفني

قال القاضي ابن كامل: كان مولده في آخر سنة أربع وعشرين ومائتين، أو أول خمسة وعشرين ومائتين. قال ابن كامل: فقلت له: كيف وقع لك الشك في ذلك؟ فقال: لأن أهل بلدنا يؤرخون الأحداث دون السنين، فأرخ مولدي بحدث كان في البلد، فلما نشأت سألت عن ذلك الحادث، فاختلف المخبرون لي فقال بعضهم: كان ذلك في آخر سنة أربع. وقال آخرون: بل كان في أول سنة خمس وعشرين ومائتين، وكان مولده بأمل طبرستان، وهي قسبة طبرستان.

قال أبو جعفر: جئت إلى أبي حاتم السجستاني وكان عنده حديث عن الأصمعي عن أبي زائدة عن الشعبي في القياس فسألته عنه فحدثني به. وقال لي أبو حاتم: من أي بلد أنت؟ فقلت: من طبرستان. فقال: ولم سميت طبرستان؟ فقلت: لا أدري. فقال لما افتتحت وابتدئ ببنائها كانت أرضاً ذات شجر فالتمسوا ما يقطعون به الشجر، فجاءوهم بهذا الطبر الذي يقطع به الشجر فسمى الموضع به.

وقال أبو بكر بن كامل: جئت إلى أبي جعفر قبل المغرب ومعني ابني أبو رفاعة وهو شديد العلة، فوجدت تحت مصلاه كتاب فردوس الحكمة لعلي بن زين الطبري سمعاً له، فمددت يدي لأنظره، فأخذه ودفعه إلى الجارية وقال لي: هذا ابنك؟ فقال: قلت نعم. قال: ما اسمه؟ قلت عبد الغني. قال: أغناه الله وبأي شيء كنيته؟ قلت بأبي رفاعة. قال: - رفعه الله - أفلك غيره؟ قلت: نعم، أصغر منه. قال: وما اسمه؟ قلت عبد الوهاب أبو يعلى. قال: - أعلاه الله - لقد اخترت الكني والأسماء، ثم قال لي: كم لهذا سنة؟ قلت: تسع سنين. قال لم لم تسمعه مني شيئاً؟ قلت كرهت صغره وقلة أدبه. فقال لي: حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثمانين سنين، وكتب الحديث وأنا ابن تسع سنين، ورأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معي مخلعة مملوءة حجارة وأنا أرمي بين يديه. فقال له المعبر: إنه كبر نصح في دينه وذبح عن شريعته، فحرص أبي على معونتي على طلب العلم وأنا حينئذ صبي صغير.

قال ابن كامل: فأول ما كتب الحديث ببلده ثم بالري وما جاورها وأكثر من الشيوخ حتى حصل كثيراً من العلم وأكثر من محمد بن حميد الرازي، ومن المثني بن إبراهيم الأبلبي وغيرهم.

قال أبو جعفر: كنا نكتب عند محمد بن حميد الرازي فيخرج إلينا في الليل مرات ويسألنا عما كتبناه ويقرؤه علينا قال: وكنا نمضي إلى أحمد بن حماد الدولابي وكان في قرية من قرى الري بينها وبين الري قطعة، ثم نعدو كالمجانين حتى نصير إلى ابن حميد فنلق مجلسه. وكتب عن أحمد بن حماد كتاب المبتدأ، والمغازي عن سلمة بن المفضل عن محمد بن إسحاق وعليه بني تاريخه. يقال: إنه كتب عن ابن حميد فوق مائة ألف حديث.

قال أبو جعفر: كان يقرأ علينا ابن حميد من التفسير، فإذا بلغ إلى قوله عز وجل: (وإذ يامر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك)، قال: أويخرجوك. ثم دخل أبو جعفر إلى مدينة السلام وكان في نفسه أن يسمع من أبي عبد الله أحمد بن حنبل فلم يتفق ذلك لموته قبيل دخوله إليها، وقد كان أبو عبد الله قطع الحديث قبل ذلك بسنين، فأقام أبو جعفر بمدينة السلام وكتب عن شيوخها فأكثر، ثم انحدر إلى البصرة فسمع من كان بقي من شيوخها في وقته كمحمد بن موسى الحرشي، وعماد بن موسى القزاز، ومحمد ابن عبد الأعلى الصنعاني، وبشر بن معاذ، وأبي الأشعث، ومحمد بن بشار بن دار، ومحمد بن المعني وغيرهم فأكثر، وكتب في طريقه عن شيوخه الواسطيين، ثم صار إلى الكوفة فنكتب فيها عن أبي كريب محمد بن العلاء الهمداني، وهناد بن السري وإسماعيل بن موسى، وغيرهم. وكان أبو كريب شرس الخلق من كبار أصحاب الحديث.

قال أبو جعفر: حضرت باب داره مع أصحاب الحديث فاطلع من باب خوخة له، وأصحاب الحديث يلتبسون الدخول ويضجون فقال: أيكم بحفظ ما كتب عني؟ فالتفت بعضهم إلى بعض ثم نظروا إلي وقالوا: أنت يحفظ ما كتبت عنه؟ قال: قلت نعم. فقالوا: هذا فسله. فقلت: حديثنا في كذا بكذا، وفي يوم كذا بكذا. قال: واخذ أبو كريب في مسألته إلى أن عظم في نفسه فقال له: أدخل إلي، فدخل إليه وعرف قدره على حديثه ومكنه من حديثه، وكان الناس يسمعون به فيقال: إنه سمع من أبي كريب أكثر من مائة ألف حديث، ثم عاد إلى مدينة السلام فكتب بها ولزم المقام بها مدة وتفقه بها وأخذ في علوم القرآن. وقال رجل لأبي جعفر: إن

أصحاب الحديث يختارون فقال: ما كنا نكتب هكذا كتبت مسند يعقوب بن إبراهيم الدوري وتركت شيئاً منه ولم أعلم ما كتبت منه ثم رجعت لأضع الحديث موضعه وأصنّفه، فبقى علي حديث كثير مما كتبت وطال علي ما فاتني، وكتبت المسند كله ثانياً، والناس يختارون، فربما فاتهم أكثر ما يحتاجون إليه أو نحو هذا الكلام. ثم غرب فخرج إلى مصر وكتب في طريقه من المشايخ بأجناد الشام والسواحل والثغور وأكثر منها، ثم صار إلى القسطنطينية في سنة ثلاث وخمسين ومائتين، وكان بها بقية من الشيوخ وأهل العلم فأكثر عنهم الكتب من علوم مالك والشافعي وابن وهب وغيرهم ثم عاد إلى الشام ثم رجع إلى مصر، وكان بمصر وقت دخوله إليها أبو الحسن علي بن سراج المصري، وكان متأدباً فاضلاً في معناه، وكان من دخل القسطنطينية من أهل العلم إذا ورد لقيه، وتعرض له فوافي أبو جعفر إلى مصر، وبأن فضله عند وروده إليها في القرآن والفقه الحديث واللغة والنحو والشعر، فلقبه أبو الحسن بن سراج فوجده فاضلاً في كل ما يذاكره من العلم، ويجيب في كل ما يسأله عنه حتى سألته عن الشعر فراه فاضلاً بارعاً فيه، فسأله عن شعر الطرماحوكان من يقوم به مفقوداً في البلد فإذا هو يحفظه، فسل أن يمليه حفظاً بغريبة، فعهدني به وهو يمليه عند بيت المال في الجامع. وكان قد لقي بمصر أبا إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم المزني فتكلمنا في أشياء منها الكلام في الإجماع، وكان أبو جعفر قد أختار من كذاهب الفقهاء قولاً اجتهد فيه بعد أن كان ابتداءً بالفقه في المدينة السلام على مذهب الشافعي رضى الله عنه، وكتب كتابه عن الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ودرسه في العراق على جماعة منهم: أبو سعيد الإصطخري وغيره وهو حدث قبل خروجه إلى القسطنطينية. وقال أبو بكر بن كامل: خرج إلينا ليلة أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ونحن نقرأ عليه كتاب قراءة أبي عمر بن العلاء الكبير فوجدنا نتناظر في: بسم الله الرحمن الرحيم، مع بعض إخواننا من الشافعيين، وهل هي من فاتحة الكتاب أم لا؟ وكان المجلس حفلاً بجماعة من الفقهاء من أصحاب الشافعي ومالك وأبي حنيفة وأصحابنا، وكان يسميني في بعض الأوقات لقراءتي عليه الكسائي. فقال لي: كسائي فيم أنتم؟ فعرفته فقال: وعلى مذهب من تتفقه؟ فقلت على مذهب أبي جعفر الطبري. فقال رحم الله أبا جعفر، حديثاً بحديث نوح بن أبي بلال عن سعيد المقبري عن أبي هريرة في: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم اخذ أبو بكر بن مجاهد في مدح أبي جعفر الطبري وقال: بلغنا أنه التقى مع المزني فلا تسأل كيف استظهاره عليه؟ والشافعيون حضور يسمونه ولم يذكر مما جرى بينهما شيئاً. قال أبو بكر بن كامل: سألت أبا جعفر عن المسألة التي تناظر فيها هو والمزني فلم يذكرها لأنه كان أفضل من أن يرفع نفسه وأن يذكر ظفره على خصم في مسألة، وكان أبو جعفر يفضل المزني فيطريه ويذكر دينه وقال: جفاني بعض أصحابه في مجلسه فانقطعت عنه زماناً ثم إنه لقيني فاعتذر إلي كأنه قد جنى جناية ولم يزل في ترققه وكلامه حتى عدت إليه. وبلغنا أنه سئل بالقسطنطينية أن يرد على مالك في شيء فرد عليه في شيء كان الكلام فيه لابن عبد الحكم وكانت أجزاء ولم تقع في أيدينا، ولعله مما منع الخصوم نشره. وقال لنا أبو جعفر: لما وردت مصر في سنة ست وخمسين ومائتين نزلت على الربيع بن سليمان فأمر من يأخذ لي داراً قريبة منه وجاءني أصحابه فقالوا: تحتاج إلى قصرية وزير وحمارين وسدة. فقلت: أما القصرية فأنا لا ولد لي، وما حلت سراويلي على حرام ولا حلال قط، وأما الوزير فمن الملاهية وليس هذا من شأني، وأما الحماران فإن أبي وهب لي بضاعة أنا أستعين بها في طلب العلم، فإن صرفتها في ثمن حمارين فبأي شيء اطلب العلم؟ قال: فتبسموا فقلت: إلى كم تحتاج هذا؟ فقالوا يحتاج إلى درهمين وثلاثين، فأخذوا ذلك مني وعلمت أنها أشياء متفقة، وجاءوني بإجانه وحب للماء وأربع خشبات قد شدوا وسطها بشرط وقالوا: الزير للماء، والقصرية للخبر والحماران والسدة تنام عليها من البراغيث فنفعني ذلك، وكثرت البراغيث فكنت إذا جئت نزع ثيابي وعلقتها على حبل قد شدته واتزرت وصعدت إلى السدة خوفاً منها.

وقال هارون بن عبد العزيز: قال أبو جعفر: لما دخلت مصر لم يبق أحد من أهل العلم إلا لقيني وامتحنتني في العلم الذي يتحقق به، فجاءني يوماً رجل فسالني عن شيء من العروض ولم أكن نشطت له قبل ذلك، فقلت له: على قول ألا أتكلم اليوم في شيء من العروض فإذا كان في غد فصر إلي، وطلبت من صديق لي العروض للخليل بن أحمد فجاء به، فنظرت فيه ليلتي فأمسيت غير عروضي وأصبحت عروضياً. ثم رجع إلى مدينة السلام وكتب أيضاً ثم رجع إلى طبرستان وهي الدفعة الأولى، ثم الثانية كانت في سنة تسعين ومائتين، ثم رجع إلى بغداد فنزل في قطرة البردان واشتهر اسمه في العلم وشاع خبره بالفهم والتقدم.

قال عبد العزيز بن هارون: لما دخل أبو جعفر إلى الدينور ماضياً إلى طبرستان دعاه بعض أهل العلم بها، فلما اجتمعنا قلت يا أبا جعفر، ما يحسن بنا أن نجتمع ولا نتذاكر، فقال عبد الله بن حمدان: قد ذاكرته فأغربت عليه خمسة وثمانين حديثاً، وأغرب علي ثمانية عشر حديثاً قال عبد العزيز: ثم لقيت بعد ذلك أبا بكر بن سهل الدينوري وكان من العلماء والحفاظ للحديث فحدثته بذلك فقال: كذب، والله الذي لا إله إلا هو لقد قدم إلينا أبو جعفر فدعاه المعروف بالكسائي ودعا معه أهل العلم وكنت حاضراً ومعنا بان حمدان فقرأ على أبي جعفر كتاب الجنائز من الاختلاف فقال له أبو جعفر: ليس يصلح لنا أن نفترق من غير مذاكرة، وهذا كتاب الجنائز فتتذاكر بمسنده ومقطوعه، وما اختلف فيه الصحابة والتابعون والعلماء. فقال ابن حمدان: أما المسند فأذاكر به، وأما سواه فلا أذاكر به، فأغرب عليه ثلاثة وثمانين حديثاً، وأغرب عليه ابن حمدان ثمانية عشر حديثاً، وكان ابن حمدان فيما أغرب به علي أبي جعفر أقبح مما أغرب به أبو جعفر لأنه كان إذا أغرب ابن حمدان بحديث قال له أبو جعفر: هذا خطأ من جهة كذا، ومثلي لا يذاكر به فيخجل وينقطع. فلما قدم إلى بغداد من طبرستان بعد رجوعه إليها تعصب عليه أبو عبد الله

الجصاص، وجعفر بن عرفة، والبياضى. وقصده الحنابلة فسألوه عن أحمد بن حنبل في الجامع يوم الجمعة وعن حديث الجلوس على العرش.

فقال أبو جعفر: أما أحمد بن حنبل فلا يعد خلافة. فقالوا له: فقد ذكره العلماء في الاختلاف فقال: ما رأيته روى عنه ولا رأيته له أصحاباً يعول عليهم. وأما حديث الجلوس على العرش فمحال ثم أنشد:

سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس

فلما سمع ذلك الحنابلة منه وأصحاب الحديث وثبوا ورموه بمحابرهم وقيل كانت ألوفاً، فقام أبو جعفر بنفسه ودخل داره، فرموا داره بالحجارة حتى صار على بابه كالتل العظيم، وركب نازوك صاحب الشرطة في عشرات ألوف من الجند يمنع عنه العامة، ووقف على بابه يوماً إلى الليل وأمر برفع الحجارة عنه. وكان قد كتب على بابه:

سبحان من ليس له أنيس ولا له في عرشه جليس

فأمر نازوك بمحو ذلك. وكتب مكانه بعض أصحاب الحديث:

لأحمد منزل لا شك عال إذا وافى إلى الرحمن وافد

فبينه ويقعه كريماً على رغم لهم في أنف حاسد

على عرش يفلغه بطيب على الأكباد من باغ وعاند

له هذا المقام الفرد حقاً كذاك رواه ليث عن مجاهد

فخلافى في داره وعمل كتابه المشهور في الاعتذار إليهم، وذكره مذهبه واعتقاده وجرح من ظن فيه غير ذلك، وقرأ الكتاب عليهم وفضل أحمد حنبل، وذكر مذهبه وتصويب اعتقاده ولم يزل في ذكره إلى أن مات، ولم يخرج كتابه في الاختلاف حتى مات فوجده مدفوناً في التراب فأخرجوه ونسخوه أعني اختلاف الفقهاء، هكذا سمعت من جماعة منهم أبي - رحمه الله - وقال أبو محمد عبد العزيز بن محمد الطبري: كان أبو جعفر من الفضل والعلم والذكاء والحفظ على ما لا يجهله أحد عرفه لجمعه من علوم الإسلام ما لم نعلمه اجتمع لأحد من هذه الأمة، ولا ظهر من كتب المصنفين، وانتشر من كتب المؤلفين ما انتشر له، وكان راجحاً في علوم القرآن والقراءات وعلم التاريخ من الرسل والخلفاء والملوك واختلاف الفقهاء مع الراوية، كذلك على ما في كتابه البسيط والتهديب وأحكام القراءات من غير تعويل على المناولات والإجازات ولا على ما قيل في الأقوال، بل يذكر ذلك بالأسانيد المشهورة، وقد بان فضله في علم اللغة والنحو على ما ذكره في كتاب التفسير وكتاب التهديب مخبراً عن حاله فيه. وقد كان له قدم في علم الجدل يدل على ذلك مناقضاته في كتبه على المعارضين لمعاني ما أتى به، وكان فيه من الزهد والورع والخشوع والأمانة وتصفية الأعمال وصدق النية وحقائق الأفعال ما دل عليه كتابه في آداب النفوس، وكان يحفظ من الشعر للجاهلية والإسلام ما لا يجهله إلا جاهل به. وقال أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد: سمعت ثعلباً يقول: قرأ علي أبو جعفر الطبري شعر الشعراء قبل أن يكثر الناس عندي بمدة طويلة. وقال أبو بكر بن مجاهد: قال أبو العباس يوماً: من بقى عنكم؟ يعني في الجانب الشرقي ببغداد من النحويين؟ فقلت: ما بقى أحد، مات الشيوخ. فقال: حتى خلا جانبكم؟ قلت: نعم إلا أن يكون الطبري الفقيه. فقال لي: ابن جرير؟ قلت: نعم، قال: ذاك من حذاق الكوفيين. قال أبو بكر: وهذا من أبي العباس كثير لأنه كان شديد النفس شرس الأخلاق، وكان قليل الشهادة لأحد بالحق في علمه.

وقال عبد العزيز بن محمد: قطرة البردان محفوظة من العلماء النحويين، كان فيها أبو عبيد القاسم بن سلام، ومسجده وراء سوق جعفر معروف به، وكان فيها علان الأزدي ومسجده في الموضع معروف به، وكان بها أبو بكر هشام بن معاوية الضرير النحوي وكان فاضلاً مسجده عند مسجد أبي عبد الله الكسائي، وكان بها أبو عبيد الله محمد بن يحيى الكسائي، وعنه انتشرت رواية أبي الحارث عن الكسائي، وقرأ عليه كبار الناس، ونزلها أبو جعفر الطبري وكان أبو جعفر قد نظر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة وكثير من فنون أبواب الحساب وفي الطب، وأخذ منه قسطاً وافراً يدل عليه كلامه في الوصايا، وكان عازفاً عن الدنيا تاركاً لها ولأهلها يرفع نفسه عن التماسها، وكان كالقارئ الذي لا يعرف إلا القرآن، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه، وكالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو، وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب وكان عالماً بالعبادات جامعاً للعلوم، وإذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلاً على غيرها. ومن كتبه: كتابه المسمى جامع البيان عن تأويل القرآن.

قال أبو بكر بن كامل: أمني علينا من كتاب التفسير مائة وخمسين آية، ثم خرج بعد ذلك إلى آخر القرآن فقرأه علينا وذلك في سنة سبعين ومائتين، واشتهر الكتاب وارتفع ذكره وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد يحييان، ولأهل الإعراب والمعاني معقلان، وكان أيضاً في الوقت غيرهما مثل أبي جعفر الرستمي، وأبي حسن بن كيسان، والمفضل بن سلمة، والجعد، وأبي إسحاق الزجاج وغيرهم من النحويين من فرسان هذا اللسان، وحمل هذا الكتاب مشرقاً ومغرباً وقرأه كل

من كان في وقته من العلماء وكل فضله وقدمه.
قال أبو جعفر: حدثني بن نفسي وأنا صبي. قال عبد العزيز ابن محمد الطبري: كان أبو عمر الزاهد يعيش زماناً طويلاً بمقابلة الكتب مع الناس. قال أبو عمر: فسألت أبا جعفر عن تفسير آية فقال: قابلت هذا الكتاب من أوله إلى آخره فما وجدت فيه حرفاً واحداً خطأ في نحو ولا لغة. قال أبو جعفر: استخرت الله في عمل كتاب التفسير، وسألته العون على ما نويته ثلاث سنين قبل أن أعمله فأعانني.

وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغاني: أخبرني شيخ من جسر ابن عفيف قال: رأيت في النوم كأنني في مجلس أبي جعفر والناس يقرؤون عليه كتاب التفسير، فسمعت هاتفاً بين السماء والأرض يقول: من أراد أن يسمع القرآن كما أنزل فليسمع هذا الكتاب. وقال أبو بكر محمد بن مجاهد: سمعت أبا جعفر يقول إني أعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلنذ بقرائه؟ وكتاب التفسير كتاب ابتدأه بخطبه، ورسالة التفسير تدل على ما خص الله به القرآن العزيز من البلاغة والإعجاز والفصاحة التي نافي بها سائر الكلام، ثم ذكر من مقدمات الكلام في التفسير وفي وجوه تأويل القرآن وما يعلم تأويله وما ورد في جواز تفسيره وما حظر من ذلك والكلام في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أنزل القرآن على سبعة أحرف) وبأي الألسنة نزل؟ والرد على من قال: إن فيه أشياء من غير الكلام العربي وتفسير أسماء القرآن والسور وغير ذلك مما قدمه، ثم تلاه بتأويل القرآن حرفاً حرفاً فذكر أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من تابعي التابعين، وكلام أهل الإعراب من الكوفيين والبصريين، وجملاً من القراءات واختلاف القراءة فيما فيه من المصادر واللغات والجمع والتنثنية، والكلام في ناسخه ومنسوخه وأحكام القرآن والخلاف فيه والرد عليهم من كلام أهل النظر فيما تكلم فيه بعض أهل البدع، والرد عليهم على مذاهب أهل الإثبات ومبتغي السنن إلى آخر القرآن، ثم أتبعه بتفسير أبي جاد وحروفها وخلاف الناس فيها، وما اختاره من تأويلها بما لا يقدر أحد أن يزيد فيه بل لا يراه مجموعاً لأحد غيره، وذكر فيه من كتب التفاسير المصنفة عن ابن عباس خمسة طرق، وعن سعيد بن جببر طريقتين، وعن مجاهد بن جبر ثلاثة طرق، وربما كان عنه في مواضع أكثر من ذلك، وعن قتادة بن دعامة ثلاثة طرق، وعن الحسن البصري ثلاثة طرق، وعن عكرمة ثلاثة طرق، وعن الضحاك بن مزاحم طريقتين، وعن عبد الله بن مسعود طريقتين، وتفسير عبد الرحمن بن زيد أسلم، وتفسير ابن جريج، وتفسير مقاتل بن حيان سوى ما فيه من مشهور الحديث عن المفسرين وغيرهم، وفيه من المسند حسب حاجته إليه، ولم يتعرض لتفسير غير موثوق به، فإنه لم يدخل في كتابه شيئاً عن كتاب محمد بن السائب الكلبي، ولا مقاتل بن سليمان، ولا محمد بن عمر الواقدي لأنهم عنده أظناء والله أعلم.

وكان إذا رجع إلى التاريخ والسير وأخبار العرب حكى عن محمد بن السائب الكلبي وعن ابنه هشام وعن محمد بن عمر الواقدي وغيرهم فيما يفتقر إليه ولا يؤخذ إلا عنهم، وذكر فيه مجموع الكلام والمعاني من كتاب علي بن حمزة الكسائي، ومن كتاب يحيى بن زياد الفراء، ومن كتاب أبي الحسن الأخفش، ومن كتاب أبي علي قطرب وغيرهم مما يقتضيه الكلام عند حاجته إليه، إذ كانوا هؤلاء هم المتكلمون في المعاني وعنهم يؤخذ معانيه وإعرابه، وربما لم يسمهم إذا ذكر شيئاً من كلامهم، وهذا كتاب يشتمل على عشرة آلاف ورقة أو دونها حسب سعة الخط أو ضيقه.

قال عبد العزيز بن محمد الطبري: وقد رأيت منه نسخة ببغداد تشتمل على أربعة آلاف ورقة. ومن كتبه: كتاب الفصل بين القراءة ذكر فيه اختلاف القراء في حروف القرآن وهو من جيد الكتب، وفصل فيه أسماء والقراء بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام وغيرها، وفيه من الفصل بين كل قراءة فيذكر وجهها وتأويلها والدلالة على ما ذهب إليه كل قارئ لها، واختياره الصواب منها والبرهان على صحة ما اختاره مستظهراً في ذلك بقوته على التفسير والإعراب الذي لم يشتمل على حفظ مثله أحد من القراء، وإن كان لهم - رحمهم الله - من الفضل والسبق ما لا يدفع ذو بصيرة بعد أن صدره بخطبة تليق به، وكذلك كان يعمل في كتبه أن يأتي بخطبته على معنى كتابه فيأتي الكتاب منظوماً على ما تقتضيه الخطبة، وكان أبو جعفر مجوداً في القراءة موصوفاً بذلك يقصده القراء البعداء من الناس للصلاة خلفه يسمعون قراءته وتجويده. وقال أبو بكر بن كامل: قال لنا أبو بكر بن مجاهد: - وقد كان لا يجري ذكره إلا فضله - ما صنف في معنى كتابة مثله، وقال لنا: ما سمعت في المحراب أقرأ من أبي جعفر، أو كلاماً هذا معناه. قال ابن كامل: وكان أبو جعفر يقرأ قديماً لحمزة قبل أن يختار قراءته. وقال أبو عبد الله بن أحمد الفرغاني: قال لنا أبو جعفر: قرأت القرآن على سليمان بن عبد الرحمن بن حماد الطلحي، وكان الطلحي قد قرأ على خلاد، وخلاد قرأ علي سليم بن عيسى، وسليم قرأ علي حمزة، ثم أخذها أبو جعفر عن يونس بن عبد الأعلى عن علي بن كيسة عن سليم عن حمزة. وقال ابن كامل: قال لنا أبو بكر بن مجاهد وقد ذكر فضل كتابه في القراءات وقال: إلا أنني وجدت فيه غلطاً وذكره لي، وعجبت من ذلك مع قراءته لحمزة وتجويده لها، ثم قال: والعلة في ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام لأنه بنى كتابه على كتاب أبي عبيد فأغفل أبو عبيد هذا الحرف فنقله أبو جعفر على ذلك.

وقال أبو بكر بن كامل: قال لنا أبو جعفر وصف لي قارئ بسوق يحيى فجنبت إليه فتقدمت فقرأت عليه من أول القرآن حتى

بلغت إلى قوله: (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً)، فأعاد على فأعدته في كل قراءتي بين فيه الياءين، وهو يرد على إلى أن قلت له: تريد أكثر من تبين الياءين بكسر الأولى فلم يدر ما أقول، فقلت ولم أعد إليه. قال: وكان عند أبي جعفر رواية ورش عن نافع عن يونس بن عبد الأعلى عنه، وكان يقصد فيها فحرص - على ما بلغني - أبو بكر ابن مجاهد - مع موضعه في نفسه وعند أبي جعفر - أن يسمع منه هذه القراءة منفرداً فأبى إلا أن يسمعها مع الناس، فما أثر ذلك في نفس أبي بكر وكان ذلك كرهاً من أبي جعفر أن يخص أحداً بشيء من العلم، وكان في أخلاقه ذلك لأنه كان إذا قرأ عليه جماعة كتاباً ولم يحضره أحدهم لا يأذن لبعضهم أن يقرأ دون بعض، وإذا سأله إنسان في قراءة كتاب وغاب لم يقرئه حتى يحضر إلا كتاب الفتوى فإنه كان أي وقت سئل عن شيء منه أجاب فيه. وكتابه في القراءات يشتمل على كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام لأنه كان عنده عن أحمد بن يوسف الثعلبي عنه وعليه نبي كتابه. ومنها كتابه كتاب التاريخ الكبير المسمى بتاريخ الرسل والملوك وأخبارهم، ومن كان في زمن كل واحد منهم، بدأ فيه الخطبة المشتملة على معانيه ثم ذكر الزمان ما هو؟ ثم مدة الزمان على اختلاف أهل العلم من الصحابة وغيرهم والأمم المخالفة لنا في ذلك والسنن الدالة على ما اختاره من ذلك وهذا باب لا يندر وجوده إلا له. قال أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس الفقيه وكان أفضل من رأياه فهماً وعناية بالعلم ودرساً له: ولقد كان لعنايته بدرس العلم تعبي كتبه في جانب حائر ثم يبتدئ فيدرس الأول فالأول منها إلى أن يفرغ منها، وهو ينقلها إلى الجانب الآخر، فإذا فرغ منها عاد في درسها ونقلها إلى حيث كانت فقال يوماً: ما عمل أحد في تاريخ الزمان وحصر الكلام فيه مثل ما عمله أبو جعفر. قال: ولقد قال لي أبو الحسن بن المغلس يوماً وهو يذاكرنا شيئاً من العلم وفضل العلماء فقال: والله إني لأظن أبا جعفر الطبري قد نسي مما حفظ إلى أن مات ما حفظه فلان طول عمره، وذكر رجلاً كبيراً من أهل العلم. ثم ذكر أبو جعفر في التاريخ الكلام في الدلالة على ما حدث الزمان الأيام والليالي، وعلى أن محدثها الله عز وجل وحده، وذكر أول ما خلق وهو القلم وما بعد ذلك شيئاً شيئاً على ما وردت الآثار به، واختلاف الناس في ذلك. ثم ذكر آدم وحواء واللعين إبليس وما كان من نزول آدم عليه السلام، وما كان بعده من أخبار نبي نبي ورسول رسول وملك وملك على اختصار منه كذلك إلى نبينا عليه السلام مع ملوك الطوائف وملوك الفرس والروم، ثم ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبه وآبائه وأمهاته وأولاده وأزواجه ومبعثه ومغازيه وسراياه وحال أصحابه رضي الله عنهم، ثم ذكر الخلفاء الراشدين المهديين بعده، ثم ذكر ما كان من أخبار بني أمية وبني العباس في القطين المنسوب أحدهما إلى قطع بني أمية والثاني إلى قطع بني العباس وما شرحه في كتاب التاريخ، وإنما خرج ذلك إلى الناس على سبيل الإجازة إلى سنة أربع وتسعين ومائتين، ووقف على الذي بعد ذلك لأنه كان في دولة المقتدر، وقد كان سئل شرح القطيعين، فلما سئل ذلك شرحه وسماه القطيعين، وهذا الكتاب من الأفراد في الدنيا فضلاً ونباهة، وهو يجمع كثيراً من علوم الدين والدنيا، وهو نحو خمسة آلاف ورقة. ومنها كتابة المسمى بكتاب ذيل المذيل المشتمل على تاريخ من قتل أو مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته أو بعده على ترتيب الأقرب بالأقرب منه أو من قرئ من القبائل، ثم ذكر موت من مات من التابعين والسلف بعدهم ثم الخالفين إلى أن بلغ شيوخه الذين سمع منهم وجملًا من أخبارهم ومذاهبهم، وتكلم في الذب عن ذوي الفضل منهم ممن رمى بمذهب هو برئ منه كنحو الحسن البصري وقتادة وعكرمة وغيرهم، وذكر صنف من نسب إلى ضعف من الناقلين ولينه، وفي آخره أبواب حسان من باب من حدث عنه الإخوة أو الرجل وولده ومن شهر بكنيته دون اسمه، أو باسمه دون كنيته، وهو من محاسن الكتب وأفاضلها يرغب فيه طلاب الحديث وأهل التواريخ، وكان خرج إملاءه بعد سنة ثلاثمائة وهو في نحو من ألف ورقة، ومنها كتابه المشهور بالفضل شرقاً وغرباً المسمى بكتاب اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام، قصد به إلى ذكر أقوال الفقهاء وهم مالك بن أنس فقيه أهل المدينة بروايتين، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي فقيه أهل الشام، ومن أهل الكوفة سفيان الثوري بروايتين، ثم محمد بن إدريس الشافعي ما حدث به الربيع بن سليمان عنه، ثم من أهل الكوفة أبو حنيفة النعمان بن ثابت، وأبو يوسف يعقوب بن محمد الأنصاري، وأبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني مولى لهم، ثم إبراهيم بن خالد أبو نصر الكلبي، وقد كان أولاً ذكر في كتابه بعض أهل النظر وهو عبد الرحمن بن كيسان، لأنه كان في الوقت الذي عمله ما كان يتفقه على مذهبه، فلما طال الزمان به وفقه أصحابه بسهوه أسقطه من كتابه، وكان أول ما عمل هذا الكتاب - على ما سمعته يقول وقد سأله عن ذلك أبو عبد الله أحمد بن عيسى الرازي -: إنما عمله ليتذكر به أقوال من ينظره، ثم انتشر وطلب منه فقرأه على أصحابه، وقد كان محمد بن داود الأصبهاني لما صنف كتابه المعروف بكتاب الوصول إلى معرفة الأصول ذكر في باب الإجماع عن أبي جعفر الطبري: أن الإجماع عنده إجماع هؤلاء المقدم ذكرهم الثمانية نفر دون غيرهم تقليداً منه لما قال أبو جعفر: أجمعوا وأجمعت الحجة على كذا، ثم قال في تصدير باب الخلاف: ثم اختلفوا فقال مالك وقال الأوزاعي كذا وقال فلان كذا: إن الذين حكى عنهم الإجماع هم الذين حكى عنهم الاختلاف وهذا غلط من ابن داود، ولو رجع إلى كتابه في رسالة اللطيف وفي رسالة الاختلاف وما أودعه كثيراً من كتبه من أن الإجماع هو نقل المتواترين لما أجمع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآثار دون أن يكون ذلك رأياً ومأخوذاً جهة القياس، لعلم أن ما ذهب إليه من ذلك غلط فاحش وخطأ بين. وكان أبو جعفر يفضل كتاب الاختلاف وهو أول ما صنف من كتبه وكان يقول كثيراً: لي كتابان لا يستغني عنهما فقيه: الاختلاف واللطيف، وكتاب الاختلاف نحو ثلاثة آلاف ورقة، ولم يستقص فيه اختياره لأجل أنه قد جود ذلك في كتاب اللطيف، ولئلا يتكرر كلامه في ذلك، وقد كان جعل لكتاب الاختلاف رسالة بدأ بها ثم قطعها، ذكر فيها عند الكلام في الإجماع وأخبار الأحاد والعدول زيادات ليست

في كتاب اللطيف، وشيئاً من الكلام في المراسيل والناسخ والمنسوخ. وله كتاب الشروط المسمى أمثلة العدول وهو من جيد كتبه التي يعول عليها أهل مدينة السلام. وكان أبو جعفر مقدماً في علم الشروط قيماً به. ومن جياذ كتبه: كتابه المسمى بكتاب لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام، وهو مجموع مذهبه الذي يعول عليه جميع أصحابه، وهو من أنفس كتبه وكتب الفقهاء، وأفضل أمهات المذاهب وأسدها تصنيفاً، ومن قرأه وتدبره رأي ذلك إن شاء الله. وكان أبو بكر بن راميك يقول: ما عمل كتاب في مذهب أجود من كتاب أبي جعفر اللطيف لمذهبه، وكان يعتذر في اختصاره كثيراً في أوله، وكتبه تزيد على كتاب الاختلاف في القدر ثلاثة كتب: كتاب اللباس، كتاب أمهات الأولاد، كتاب الشرب وهو من جيد الكتب وأحسنها وهو كالمنفرد فيه، ولا يظن ظان أن قوله: كتاب الطيف إنما أراد به صغره وخفة محمل وزنه، وإنما أراد بذلك لطيف القول كدقة معانيه وكثرة ما فيه من النظر والتعليقات، وهو يكون نحو ألفين وخمسمائة ورقة. وفيه كتاب جيد في الشروط يسمى بأمثلة العدول من اللطيف، ولهذا الكتاب رسالة فيها الكلام في أصول الفقه، والكلام وفي الإجماع وأخبار الأحاد والمراسيل والناسخ والمنسوخ في الأحكام، والمجمل والمفسر من الأخبار والأوامر والنواهي، والكلام في أفعال الرسل الخصوص والعموم والاجتهاد، وفي إبطال الاستحسان إلى غير ذلك مما تكلم فيه. ومن جياذ كتبه: كتابه المعروف بكتاب الخفيف في أحكام شرائع الإسلام وهو مختصر من كتاب اللطيف، وقد كان أبو أحمد العباس بن الحسن العريزي أراد النظر في شيء من الأحكام فراسله في اختصار كتاب له، فعمل هذا الكتاب ليقرّب متناوله وهو نحو من الأربعمئة ورقة، وهو كتاب قريب على الناظر فيه كثير المسائل يصلح لتذكر العالم والمبتدئ المتعلم. ومنها كتاب تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار، وهو كتاب يتعذر على العلماء عمل مثله ويصعب عليهم تتمته. قال أبو بكر بن كامل: لم أر بعد أبي جعفر أجمع للعلم وكتب العلماء ومعرفة اختلاف الفقهاء وتمكنه من العلوم منه، لأنني أروض نفسي في عمل مسند عبد الله بن مسعود في حديث منه نظير ما عمله أبو جعفر فما أحسن عمله ولا يستوي لي.

ومن كتبه الفاضلة: كتابه المسمى بكتاب بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام، وهذا الكتاب قدم له كتاباً سماه كتاب مراتب العلماء حسناً في معناه، ذكر فيه خطبة الكتاب وحض فيه على طلب العلم والتفقه وغمز فيه على من اقتصر من أصحابه على نقله دون التفقه بما فيه. ثم ذكر فيه العلماء ممن تفقه مذهبهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أخذ عنهم، ثم من أخذ عنهم ثم من أخذ عنهم من فقهاء الأمصار. بدأ بالمدينة لأنها مهاجر النبي صلى الله عليه وسلم ومن خلفه أبو بكر وعمر وعثمان ومن بعدهم، ثم بمكة لأنها الحرم الشريف، ثم العراقيين الكوفة والبصرة ثم الشام وخراسان، ثم خرج إلى كتاب الصلاة بعد ذكر الطهارة، وذكر في هذا الكتاب اختلاف المختلفين واتفاقهم فيما تكلموا فيه على الاستقصاء والتبيين في ذلك والدلالة لكل قائل منهم، والصواب من القول في ذلك، وخرج منه نحو ألفي ورقة. وأخرج من هذا الكتاب كتاب آداب القضاة وهو أحد الكتب المعدودة له المشهورة بالتجويد والتفصيل، لأنه ذكر فيه بعد خطبة الكتاب الكلام في مدح القضاة وكتابهم، وما ينبغي للقاضي إذا ولي أن يعمل به وتسليمه له ونظره فيه ثم ما ينقض فيه أحكام من تقدمه، والكلام في السجلات والشهادات والدعوى والبيانات وسيأتي ذكر ما يحتاج إليه الحاكم من جميع الفقه إلى أن فرغ منه وهو في ألف ورقة، وكان يجتهد بأصحابه أن يأخذوا البسيط والتهذيب ويجدوا في قراءتهما، ويشغلوا بهما دون غيرهما من الكتب.

ومن جياذ كتبه: كتابه المسمى بكتاب أدب النفوس الجيدة والأخلاق النفيسة، وربما سماه بأدب النفس الشريفة والأخلاق الحميدة، وربما زاد في ترجمته المشتمل على علوم الدين والفضل والورع والإخلاص والشكر والكلام في الرياء والكبر والتخاضع والخشوع والصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبدأ فيه بالكلام في الوسوسة وأعمال القلوب، ثم ذكر شيئاً كثيراً من الدعاء وفضل القرآن وأوقات الإجابة ودلائلها، وما روى من السنن وأقوال الصحابة والتابعين في ذلك، وقطع الإمام في بعض الكلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان ما خرج منه نحو خمسمائة ورقة، وكان قد عمل أربعة أجزاء ولم يخرجها إلى الناس في الإملاء، ووقع ذلك إلى أبي سعيد عمر بن أحمد الدينوري الوراق، وخرج به إلى الشام ففقط عليه ولم يبق معه إلا جزءان فيهما الكلام في حقوق الله الواجبة على الإنسان في بصره والحقوق الواجبة في سمعه، وكان ابتداء في سنة عشر وثلاثمائة، ومات بعد مدبرة من قطعة الإملاء وكان يقول: إن خرج هذا الكتاب كان فيه جمال لأنه كان أراد أن يخرج بعد الكلام في الحقوق اللازمة للإنسان إلى ما يعيننا منه من أهوال القيامة وشروطها وأحوال الآخرة وما ورد فيها وذكر الجنة والنار. ومما صنف وخرج: كتاب المسند المجرد، وقد كتب أصحابه الحديث الأكثر منه، وذكر فيه من حديثه عن الشيوخ ما قرأه على الناس. ومنها كتابه المسمى بكتاب الرد على ذي الأسفار يرد فيه على داود بن علي الأصبهاني، وكان سبب تصنيف هذا الكتاب أن أبا جعفر كان قد لزم داود بن علي مدة، وكتب من كتبه كثيراً. ووجدنا في ميراثه من كتبه ثمانين جزءاً بخطه الدقيق، وكان فيها المسألة التي جرت بين داود بن علي وبين أبي المجالد الضرير المعتزلي بواسطة عند خروجهما إلى الموفق لما وقع التنازع في خلق القرآن، وكان داود بن علي قد أخذ من النظر ومن الحديث ومن الاختلاف ومن السنن حظاً ليس بالمتسع، وكان بسيط اللسان حسن الكلام متمكناً من نفسه، وله أصحاب فيهم دعابة قد تمكنت منهم حتى صارت لبعضهم خلقاً يستعمله في النظر لقطع مخالفته. وكان ربما ناظر داود ابن علي الإثبات في المسألة في الفقه فيراه مقصراً في الحديث فينقله إليه أو يكلمه في

الحديث فينقله إلى الفقه أو إلى الجدل إذا كان خصمه مقصراً فيهما، وكان هو مقصراً في النحو واللغة وإن كان عارفاً بقطعة منه. وكان أبو جعفر ملياً بما نهض فيه من أي علم كان، وكان متوقفاً عن الأخلاق التي لا تليق بأهل العلم ولا يؤثرها إلى أن مات، وكان يحب الجد في جميع أحواله. وجرت مسألة يوماً بين داود بن علي وبين أبي جعفر فوقف الكلام على داود بن علي فشق ذلك على أصحابه وكلم رجل من أصحاب داود بن علي أبا جعفر بكلمة مضرة فقام من المجلس وعمل هذا الكتاب، وأخرج منه شيئاً بعد شيء إلى أن أخرج منه قطعة نحو مائة ورقة، وكان ابتداء الكلام فيه بخطبة من غير إملاء وهو من جيد ما عمله أبو جعفر ومن أحسنه كلاماً فيه حملاً على اللفظ عليه، ثم قطع ذلك بعد ما مات داود بن علي فلم يحصل في أيدي أصحابه من ذلك إلا ما كتبه منه مقدمو أصحابه ولم ينقل. فممن كتب هذا الكتاب منه أبو إسحاق بن الفضل بن حيان الحلواني. - قال أبو بكر بن كامل: وسمعه منه عنه - وأبو الطيب الجرجاني وأبو علي بن الحسن بن الحسين بن الصواف، وأبو الفضل العباس بن محمد المحسن وغيرهم، وقال الرؤاسي وكان من مقدمي أصحاب داود بن علي: إن داود قطع كلام ذلك الإنسان الذي كلم أبا جعفر سنة مجازاة له على ما جرى منه على أبي جعفر، ثم تعرض محمد بن داود بن علي للرد على أبي جعفر فيما رده على أبيه فتعسف الكلام على ثلاث مسائل خاصة وأخذ في سب أبي جعفر وهو كتابه المنسوب إلى الرد على أبي جعفر بن جرير.

قال أبو الحسن بن المغلس: قال لي أبو بكر بن داود ابن علي: كان في نفسي مما تكلم به ابن جرير علي أبي، فدخلت يوماً على أبي بكر بن أبي حامد وعنده أبو جعفر فقال له أبو بكر: هذا أبو بكر محمد بن داود بن علي الأصبهاني، فلما رأيته أبو جعفر وعرف مكاني رحب بي وأخذ يثنى علي أبي ويمدحه ويصفني بما قطعني عن كلامه.

ومن كتب أبي جعفر: رسالته المسماة بكتاب رسالة البصير في معالم الدين التي كتب بها إلى أهل طبرستان فيما وقع بينهم فيه من الخلاف في الاسم والمسمى وفي مذاهب أهل البدع وهو نحو ثلاثين ورقة، ومنها أيضاً رسالته المعروفة بكتاب صريح السنة في أوراق، ذكر فيها مذهبه وما يدين به ويعتقده، كتاب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه تكلم في أوله بصحة الأخبار الواردة في غدير خم، ثم تلاه بالفضائل ولم يتم كتاب فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولم يتم أيضاً، كتاب فضائل العباس وانقطع أيضاً بموته، كتاب في عبارة الرؤيا جمع فيه أحاديث فمات ولم يعمل، وكتاب مختصر مناسك الحج، كتاب مختصر الفرائض، كتاب في الرد على ابن عبد الحكم على مالك ولم يقع إلى أصحابه، كتاب الموجز في الأصول ابتداء فيه برسالة الأخلاق، ثم قطع ووعد بكتاب الأدر في الأصول ولم يخرج منه شيء وأراد أن يعمل كتاباً في القياس فلم يعمل.

قال أبو القاسم الحسين بن حبيش الوراق: كان قد التمس مني أبو جعفر أن أجمع له كتب الناس في القياس، فجمعت له نيفاً وثلاثين فأقامت عنده مديدة، ثم كان من قطعه للحديث قبل موته بشهور ما كان، فردها علي وفيها علامات له بحمرة قد علم عليها.

قال عبد العزيز بن محمد: وقد وقع إلى كتاب صغير في الرمي بالنشاب منسوب إليه وما علمت أحداً قرأه عليه ولا ضابطاً ضبط عنه لا ينسبه إليه، وأخاف أن يكون منحولاً إليه. وقال عبد العزيز بن محمد الطبري: كان أبو جعفر يذهب في جل مذاهبه إلى ما عليه الجماعة من السلف، وطريق أهل العلم المتمسكين بالسنة، شديداً عليه مخالفتهم ماضياً على مناهجهم لا تأخذ في ذلك ولا في شيء لومة لائم، وكان يذهب إلى مخالفة أهل الاعتزال في جميع ما خالفوا فيه الجماعة من القول بالقدر وخلق القرآن وإبطال رؤية الله في القيامة، وفي قولهم بتخليد أهل الكبائر في النار وإبطال شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي قولهم إن استطاعة الإنسان قبل فعله. وكان أبو جعفر يزعم أن ما في العالم من أفعال العباد فخلق الله، وأن ما من الله به على أهل الإيمان من الاستطاعة التي وفقهم لها غير ما أعطاه لأهل الكفر من الدار والعقل، وأن الله ختم على قلوب من كفر به مجازاة لهم على كفرهم. قلت: وهذا الفصل رديء جداً لأنه إن كان ختم قبل الكفر فقد ظلم، وإن كان بعده فقد ختم على مختوم، وهذا لم يقل به أحد من أهل السنة والجماعة، إنما هو من أقوال الروافض والمعتزلة قبحهم الله. وكان أبو جعفر يعتقد أن ما أخطأه ما كان ليصيبه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن جميع ما في العالم لا يكون إلا بمشيئة الله، وأن الله جل وعز لم يزل موصوفاً بصفاته التي هي عامة وقدرته، وكلام غير محدث.

قال أبو علي: وهذا الفصل يدل على أن ما لم يكن من الصفات كالعلم والقدرة والكلام أنها محدثة مخلوقة وهذا محض كلام المعتزلة والأشعرية.

قال: وكان أبو جعفر يذهب في الإمامة إلى إمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وما عليه أصحاب الحديث في التفصيل، وكان يكفر من خالفه في كل مذهب إذ كانت أدلة العقول تدفع كالحق في القدر، وقول من كفر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الروافض والخوارج ولا يقبل أخبارهم ولا شهاداتهم، وذكر ذلك في كتابه في الشهادات وفي الرسالة

وفي أول ذيل المذيل، وكان لا يورث من الكفرة منهم، وذكر ذلك في مسند أسامة بن زيد عند كلامه في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يورث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم، ولا يتوارث أهل ملتين شتى) وكان لا يورث متكافرين، لا يورث يعقوبياً من النصارى من ملكي، ولا ملكياً من نسطوري، ولا شمعانياً من اليهود سامرياً، ولا عنانياً من الشمعتي، ووافقه على هذا المذهب الأوزاعي، فإذا اختلفت الكنائس والبيع لم يورث بعضهم من بعض.

قال أبو بكر بن كامل: حضرت أبا جعفر حين حضرته الوفاة فسألته أن يجعل كل من عاداه في حل، وكنت سألته ذلك لأجل أبي الحسن بن الحسين الصواف لأنني كنت قرأت عليه القرآن فقال: كل من عاداني وتكلم في حل إلا رجلاً رمانى ببذعه. وكان الصواف من أصحاب أبي جعفر وكانت فيه سلامة ولم يكن فيه ضبط دون الفصل، فلما أُملي أبو جعفر ذيل المذيل ذكر أبا حنيفة وأطراه وقال كان فقيهاً عالماً ورعاً فتكلم الصواف في ذلك الوقت فيه لأجل مدحه لأبي حنيفة وانقطع عنه وبسط لسانه فيه.

قال أبو بكر بن كامل: من سبقك إلى إكفار أهل الأهواء؟ قال فقال: إماماً عدل عبد الرحمن بن مهدي، ويحيى ابن سعيد القطان، وكان إذا عرف من إنسان بدعة أبعدده وأطرحه، وكان قد قال بعض الشيوخ ببغداد بتكذيب غدير خم وقال: إن بن أبي طالب كان باليمن في الوقت الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بغدير خم، وقال هذا الإنسان في قصيدة مزدوجة فيها بلداً وبنزلاً منزلاً أبياتاً يلوح فيها إلى معنى حديث غدير خم فقال:

ثم مررنا بغدير خم
على علي والنبي الأُمي
كم قائل فيه بزور خم

وبلغ أبا جعفر ذلك فابتدأ الكلام في فضائل علي بن أبي طالب، وذكر طرق حديث خم فكثرت الناس لاستماع ذلك، واجتمع قوم من الروافض ممن بسط لسانه بما لا يصلح في الصحابة رضي الله عنهم فابتدأ بفضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم سأله العباسيون في فضائل العباس فابتدأ بخطبة حسنة وأُملي بعضه وقطع جميع الإملاء قبل موته وكان يظن أن فيه لاجأة، قال أبو بكر بن كامل: ولم يكن فيه ذلك، وقد كان رجوع طبرستان فوجد الرفض قد ظهر، وسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أهلها قد انتشر، فأُملي فضائل أبي بكر وعمر حتى خاف أن يجري عليه ما يكرهه فخرج منها من أجل ذلك. وقال عبد العزيز بن محمد الطبري: أخبرني غير واحد من أصحابنا أنه رأى عند أبي جعفر شيخاً مسناً فقام له أبو جعفر وأكرمه ثم قال أبو جعفر: إن هذا الرجل ناله في ما قد صار له علي به الحق الكثير، وذلك أنني دخلت إلى طبرستان وقد شاع سب أبي بكر وعمر فيهما، فسألوني أن أُملي فضائلهما ففعلت، وكان سلطان البلدة يكره ذلك فاجتمع إليه من عرفه ما أُمليته، فوجه إلي فبادر هذا وأرسل إلي من أخبرني أنني قد طلبت، فخرجت من وقتي عن البلد ولم يشعر بي وحصل هذا في أيديهم فضرب بسبي ألفاً قال: وكان شديد التوقي والحذر والنزاهة والورع، يدل على ذلك ما أودعه كتاب آداب النفوس المنبه على دينه وفضله، ومع ما كان فيه من الاشتغال بالتصانيف والحديث والإملاء لا بد له مع ذلك من حربه من القرآن، ويقال: إنه كان يقرأ كل ليلة ربعاً أو حظاً وافرأ.

قال عبد العزيز بن محمد: وكان أبو جعفر ظريفاً في ظاهره، نظيفاً في باطنه، حسن العشرة لمجالسيه، متفقداً لأحوال أصحابه، مهذباً في جميع أحواله، جميل الأدب في مأكله وملبسه، وما يخصه في أحوال نفسه، منبسطاً مع إخوانه، حتى ربما داعبهم أحسن مداعبة، وربما جئ بين يديه بشيء من الفكاهة فيجري في ذلك المعنى ما لا يخرج من العلم والفقه والمسائل حتى يكون كأجد جد وأحسن علم. وكان إذا أهدى إليه مهد هدية مما يمكنه المكافأة عليه قبلها وكافأه، وإن كانت مما لا يمكنه المكافأة عليه ردها واعتذر إلى مهديها. ووجه إليه أبو الهيجاء بن حمدان ثلاثة آلاف دينار، فلما نظر إليها عجب منها ثم قال: لا أقبل ما لا أقدر على المكافأة عنه، ومن أين لي ما أكافئ عن هذا؟ فقيل: ما لهذا مكافأة، إنما أراد التقرب إلى الله عز وجل، فأبى أن يقبله ورده إليه.

وكان يختلف إليه أبو الفرج بن أبي العباس الأصبهاني يقرأ عليه كتبه، فالتمس أبو جعفر حصيراً لصفة له صغيرة، فدخل أبو الفرج الأصبهاني وأخذ مقدار الصفة واستعمل له الحصار متقرباً بذلك له وجاء به وقد وقع موقعه، فلما خرج دعا ابنه دفع إليه أربعة دنائير فأبى أن يأخذها وأبى أبو جعفر أن يأخذ الحصار إلا بها. وأهدى إليه أبو المحسن المحرر جاره فرخين فأهدى إليه ثوباً.

وقال أبو الطيب القاسم بن أحمد بن الشاعر وسليمان بن الخاقاني: أهدى أبو علي محمد بن عبيد الله الوزير إلى أبي جعفر محمد بن جرير برمان فقبله وفرقه في جيرانه، فلما كان بعد أيام وجه إليه بزنبيل فيه بدرة فيها عشرة آلاف درهم وكتب معها رقعة وسأله أن يقبلها. قال سليمان: قال لي الوزير: إن قبلها وإلا فسلوه أن يفرقها في أصحابه ممن يستحق، فصرت بالبصرة إليه

فدفقت الباب وكان يأنس إلي، وكان أبو جعفر إذا دخل منزله بعد المجلس لا يكاد يدخل إليه أحد لتشاغله بالتصنيف إلا في أمر مهم. قال: فعرفته أني جئت برسالة الوزير فأذن لي، فدخلت وأوصلت إليه الرقعة فقال: - يغفر الله لنا وله - اقرأ عليه السلام وقل له: أردنا إلى الرمان، وامتنع من قبول الدراهم. فقلت له: فرقها في أصحابك على من يحتاج إليها ولا تردّها. فقال: هو أعرف بالناس إذا أراد ذلك، وأجاب عن الرقعة وانصرفت.

قال أبو الطيب وسليمان: فلما كان بعد مدة قدم الحاج وكان يأتيه مال ضيعته معهم فربما جئ إليه بالشيء فجعله بضاعة، فدعانا وإذا بين يديه شيء مشدود فقال: امضيا بهذا إلى الوزير واقراء عليه السلام، وأوصلا إليه هذه الحزمة والرقعة. قالوا: فصرنا إليه ولا نعرف ما فيها قرأ الرقعة وإذا فيها إنه قد أنفذ إليه شيء من طبرستان فأثر إنفاذه إليه قال: فتقدم من فتحه فإذا فيه سمور حسن فقوم له ذلك بأربعين ديناراً ولم يجد بداً من قبوله. وكان داعياً إلى امتناعه من الإهداء إليه. قال: وقد كان يمضي إلى الدعوة يدعى إليها وإلى الوليمة يسأل فيها ويكون ذلك يوماً مشهوداً من أجله وشريفاً بحضوره، وكان يخرج مع بعضهم إلى الصحراء فيأكل معهم. قال ابن كامل: قال لي أبو علي محمد بن إدريس الجمل - وكان من وجوه اليهود بمدينة السلام -: حضرنا يوماً مع أبي جعفر الطبري وليمة فجلست معه على مائدة فكان أجمل الجماعة أكلًا وأظرفهم عشرة. قال: وحضر جماعة من الغلمان على رؤوسنا لسقي الماء والخدمة قال: فرأيت بعض الغلمان قد مد عينه إلى بعض ما قدم إلينا فأخذت لقمة فناولتها الغلام. قال: فزبرني أبو جعفر وقال: من أذن لك أن تأكل أو تطعم؟ قال: فأخجلني. قال ابن كامل: ما رأيت أظرف أكلًا من أبي جعفر، كان يدخل يده في الغضارة فيأخذ منها لقمة فإذا عاد بأخرى كسح باللقمة ما التطخ من الغضارة باللقمة الأولى فكان لا يتلطف من الغضارة إلا جانب واحد، وكان إذا تناول اللقمة ليأكل سمى ووضع يده اليسرى على لحيته ليوقئها من الزهومة فإذا حصلت اللقمة في فيه أزال يده.

قال أبو بكر بن كامل: قال لنا أبو بكر بن مجاهد: كان أبو جعفر ربما خرج إلى الصحراء فنخرج معه فدعانا يوماً أبو الطيب بن المغيرة الثلاثي وكان جاراً لأبي جعفر في محلة ببغداد، فجاء بنا إلى قراح باقلي فأكلنا وأكل أبو جعفر أكلًا فيه إفراط، ورأينا من حسن عشرته وانبساطه أمراً عظيماً، ثم انصرفنا فصررت إليه لأعرف خبره من تعبته مما أكله، فإذا بين يديه أدوية وجوارشنت يأكل منها ليدفع بها ضرر ما كان أكله. وكان إذا جلس لا يكاد يسمع له تتخم ولا تبصق ولا يرى له نخامة، وإذا أراد أن يمسح ريقه أخذ ذؤابة منديل ومسح جانبي فيه، قال أبو بكر بن كامل: ولقد حرصت مراراً أن يستوي لي مثل ما يفعله فيتعذر على اعتياده. قال: وما سمعته قط لاحنا ولا حالفاً بالله عز وجل. قال: وكان لا يأكل الدسم، وإنما يأكل اللحم الأحمر الصرف ولا يطبخه إلا بالزبيب وكان يقول: السمين يلطخ المعدة، وكان يتجنب السمسم والشهد ويقول: إنهما يفسدان المعدة، وبغيران النكهة ويقول إن التمر يلطخ المعدة، ويضعف البصر، ويفسد الأسنان، ويفعل في اللحم كذا وكذا. فقال له أبو علي الصواف: أنا أكله طول عمري ولا أرى من إلا خيراً. فقال أبو جعفر: وما بقي على التمر أن يعمل بك أكثر مما عمل. قال: وكان الصواف قد وقعت أسنانه وضعف بصره، ونحف جسمه وكثر اصفراره. قال: وكان أبو جعفر كبير اللحية حسن القيام على نفسه لا يأكل من الخبز إلا السميد لأجل غسل القمح، لأن من كذبه أن الشمس والنار والريح لا تطهر نجساً، وكان ربما أكل من العنب الرازق والتين الوزيري والرطب وربما أخذ له من اللبن الحليب من غنم ترعى فيصفي ويجعل في قدر على النار حتى يذهب منه جزء ثم يثرد في الإناء ويصب عليه اللبن الحار، ويدعه حتى يبرد ويطرح عليه الصعتر وحب السوداء والزيت، وكان يكثر من الإسفيداج والزيرباج، وكان ربما أكل بالحصرم في وقته، وكان لا يعدم في الصيف الحيس والريحان واللينوفر، فإذا أكل نام في الخيش في قميص قصير الأكمام مصبوغ بالصندل وماء الورد، ثم يقوم فيصلي الظهر في بيته ويكتب في تصنيفه إلى العصر، ثم يخرج فيصلي العصر ويجلس للناس يقرئ ويقرأ عليه إلى المغرب، ثم يجلس للفقهاء والدرس بين يديه إلى عشاء الآخرة ثم يدخل منزله، وقد قسم ليله ونهاره في مصلحة نفسه ودينه والخلق كما وفقه الله عز وجل. وكان أبو الطيب الثلاثي قد سأله أن يجعل شربه الماء من عنده، لأنه كان يكره الثلج وكان له كراز يدفعه فيه، وكان أبو القاسم سليمان بن فهد الموصلي يهدي له العسل ويقبله منه، فلما مات وجد عنده إحدى عشرة جرة عسلاً ومنها ما قد نقص منه. وكان قد كتب فردوس الحكمة لعلي بن زين الطبري وأخذه عن علي بن زين مصنفه سماعاً. قال أبو بكر بن كامل: ورأيت عنده في ستة أجزاء وقال أبو العباس بن المغيرة الثلاثي: لما اعتل ابني أبو الفرج وكان حسن الأدب ويتفقه على مذهب أبي جعفر. قال لي أبو جعفر تقبل مني ما أصفه لك؟ فقلت نعم، وكنت أتبرك بقوله ورأيه. قال: احلق رأسه واعمل له جواذبة سميكة من رفاق وأكثر دسمها وقدمها إليه وأطعمه منها حتى يمتلئ شبعاً ثم خذ ما بقي فاطرحه على دماغه، واحرص أن ينام على حاله تلك فإنه يصلح إن شاء الله تعالى ففعلت فكان سبب برئه. وأبو الفرج هذا مات قبل أبي جعفر بمدينة، وكان أبو الفرج هذا يتعسف في كلامه. تجاوزاً يوماً عند أبي جعفر فذكر الطبخ فقال أبو الفرج: لكني أكلت طباهقة. قال أبو جعفر: وما الطباهقة؟ قال: الطباهقة: ألا ترى أن العرب تعمل الجيم قافاً. قال أبو جعفر: فأنت إذا أبو الفرق بن الثلاثي، فصار يعرف بأبي الفرق بن الثلاثي ويمزح معه بذلك.

وكان أبو بكر بن الجواليقي يأخذ لسانه بالإعراب ويكثر الإشارات فيه إلى حد البغض، فأخذ يوماً في ذلك فقال أبو جعفر: أنت بغيض فسمي بغيض الطبري. قال: ورأيت أنا هذا الإنسان يوماً وقد ورد على باب الطاق وكان مهاجراً لبعض الوراقين فوقف علينا فسلم ثم اعتذر من وقوفه بالمكان لأجل الوراق فقال: لولا من ما كنت بالذي، يعني لولا من ههنا ما كنت لأقف على حانوتك، وكان بأبي جعفر ذات الجنب تعتاده وتنتقض عليه، فوجه إليه علي بن عيسى طبيباً فسأل الطبيب أبا جعفر عن حاله، فعرفه حاله وما استعمل وأخذه لعلته وما انتهى إليه في يومه ذاك وما كان رسمه أن يعالج به وما عزم على أخذه من العلاج. فقال له الطبيب: ما عندي فوق ما وصفته لنفسك شيء، والله لو كنت في ملتنا لعددت من الحواريين - وفكك الله -، ثم جاء إلى علي بن عيسى فعرفه ذلك فأعجبه. قلت: أكثر هذه الأخبار عن عبد العزيز بن محمد الطبري من كتاب له أفرد في سيرة أبي جعفر، ومن كتاب لأبي بكر بن كامل في أخباره والله ولي الخير.

قال أبو علي الأهوازي: مات ببغداد في سنة عشر وثلاثمائة، وكذا وجدته بخط أبي سليمان بن يزيد مكتوباً، ورأيت أيضاً من يقول: إنه مات في سنة إحدى عشرة وست عشرة والله أعلم وأحكم، وهذه السنون كلها في أيام المقتدر بالله.

محمد بن جعفر الصيدلاني

كان صهر أبي العباس المبرد على ابنته ويلقب برممة، وكان أديباً شاعراً، روى عن أبي هفان الشاعر أخباراً وحدث عنه أبو الفرج الأصفهاني وغيره، وأنشد الخطيب في تاريخه لمحمد بن جعفر الصيدلاني:

أما ترى الروض قد لاحت زخارفه	ونشرت في رباه الریط والحل
واعتم بالأرجوان النبت منه فما	يبدو لنا منه إلا مونق خضل
والنرجس الغض يرنو من محاجر	إلى الوری مقل تحيا بها المقل
تبر حواه لجين فوق أعمدة	من الزمرد فيها الزهر مكتهل
فعج بنا نصطلح يا صاح صافية	صهباء في كأسها من لمعها شعل
فقد تجلت لنا عن حسن بهجتها	رياض قطربل واللهو مشتمل
وعندنا شادن شدت قراطقه	على نقا وقضيب فهو معتدل
يدور بالكأس بين الشرب أونة	ما دام للشرب منه العل والنهل
وقينة إن تشأ غنتك من طرب	ودع هريرة إن الركب مرتحل
وإن أشرت إلى صوت تكرره	إننا محيوك فاسلم أيها الطلل
ليست بمظهرة تيهاً ولا صلفاً	وليس يغضبها التجميش والقبل
فنحن في تحف منها وفي غزل	مما يغازلنا طرف لها غزل

محمد بن جعفر بن ثوابه الكاتب

يكنى أبا الحسن، كاتب بليغ منشي فاضل، كان ينشئ في الديوان أيام المقتدر بالله، ومات في سن اثنتي عشرة وثلاثمائة، قال الرئيس أبو الحسين: كان أبو الحسن هذا صاحب ديوان الرسائل في ديوان المقتدر. وقال ثابت: في سنة أربع وثلاثمائة قيس على علي بن عيسى بن الجراح الوزير، واستوزر أبو الحسن محمد بن الفرات، فأقر أبا الحسن محمد بن جعفر بن ثوابه على ديوان الرسائل والمعاون، ومن كلامه رسالة كتبها عن المقتدر بالله أمير المؤمنين إلى البلدان في وزارة ابن الفرات الثانية: لما لم يجد أمير المؤمنين غنى عنه، ولا للملك بدأ منه، وكان كتاب الدواوين على اختلاف أقدارهم وتفاوت ما بين أخطارهم مقرين برياسته، معترفين بكفايته، متحاكمين إليه إذا اختلفوا، واقفين عند غايته إذا استبقوا، مدعين بأنه الحول القلب. المحنك المجرب، العالم بدرة المال كيف تحلب؟ ووجهه كيف تطلب؟ انتضاه من غمده، فعاود ما عرف من حده، فنفذ الأعمال كان لم يرغب عنها، ودبر الأمور كأن لم يخل منها.

ورأى أمير المؤمنين ألا يدع شيئاً من أسباب التكرم كان قديماً جعله له إلا وفاه إياه، ولا نوعاً من أنواع المثوبة والجزاء كان أخره عنه إلا حباه به، فخاطبه بالتلبية. ومما يستحسنه الكتاب من كلامه قوله لما أجاب خمارويه بن أحمد عن المعتضد عن

الكتاب بإنفاذ ابنته فقال في الفصل الذي احتاج فيه إلى ذكرها: وأما الوديعة فهي بمنزلة ما انتقل من شمالك إلى يمينك عناية بها وحياطة لرأيك فيه.

محمد بن جعفر بن محمد بن سهل

ابن شاعر الخرائطي. قال أبو بكر الخطيب: كنيته أبو بكر، وهو من أهل سر من رأي، مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بعسقلان من بلاد الشام، وكان سمع عمر بن شبة وغيره، وكان حسن الأخبار مليح التصانيف سكن الشام وحدث بها فحصل حديثه عند أهلها. ومن مصنفاته: كتاب اعتلال القلوب في أخبار العشاق، وكان قدم دمشق في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، ثم مات بعد ذلك بعسقلان في الوقت المقدم ذكره.

وله من التصانيف: كتاب مكارم الأخلاق، كتاب مساوي الأخلاق، كتاب قمع الحرص بالقناعة، كتاب هواتف الجان وعجيب ما يحكى من الكهان، كتاب القبور.

محمد بن جعفر بن حاتم الواسطي

أبو جعفر غلام ثعلب، له شعر صالح، مات في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، وذكر ذلك كله أبو محمد عبد الله ابن بشران في تاريخه.

محمد أبي جعفر المنذري

الهروري أبو الفضل، ذكره أبو النضر عبد الرحمن بن عبد الجبار بن أبي سعيد الفامي في تاريخ هرة وقال: مات في رجب سنة تسع وعشرين وثلاثمائة.

قال المؤلف: وهو نحوي لغوي مصنف في ذلك، وهو شيخ أبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى الذي أملى كتاب التهذيب بالرواية عنه وقدم بغداد لأنه قال: سألت ثعلباً عن كتاب العين فقال: ذلك كتاب ملئ غدد، قال: وهذا لفظ أبي العباس، وحقه عند النحويين ملآن غدداً، ولكن أبا العباس يخاطب العامة على قدر فهمهم.

وذكر الأزهرى في مقدمة كتابه: أن أبا الفضل المنذري لازم أبا الهيثم الرازي سنين وعرض عليه الكتب، وكتب عنه من أماليه وفوائده أكثر من مائتي مجلد. قال الأزهرى: فما وقع في كتابي لأبي الهيثم فهو ما أفادنيه المنذري عنه في كتاب الشامل وكتاب الفاخر، وكتاب الزيادات التي زادها في معاني القرآن للفراء، وكتاب زيادات أمثال أبي عبيد، وكتاب ما زاد في المصنف وغريب الحديث.

وقال أبو النضر: صنف أبو الفضل المنذري كتاب نظم الجمان وكتاب الملتقط، وذكر الفاخر والشامل. قال الأزهرى: أخبرني أبو الفضل المنذري أن أبا الهيثم الرازي حثه على النهوض إلى أبي العباس يعني ثعلباً قال: فرحلت إلى العراق ودخلت مدينة السلام يوم الجمعة ومالي همة غيره، فأثبته وعرفته خبري وقصدي إياه، فاتخذ لي مجلساً في النوادر التي سمعها من ابن الأعرابي حتى سمعت الكتاب كله منه قال: وسألته عن حروف كانت أشكلت على أبي الهيثم فأجابني عنها. قال الأزهرى: أخبرني المنذري أنه اختلف إلى ثعلب سنة في سماع كتاب النوادر لابن الأعرابي لأنه كان في أذنه وقر وكان يتولى قراءة ما يسمع منه قال: وكتبت عنه من أماليه في معاني القرآن وغيرها أجزاء كثيرة فما عرض ولا صرح بشيء من أسباب الطمع قال واختلفت إلى أبي العباس المبرد وانتخبت عليه أجزاء من كتابيه المعروفين بالروضة والكامل قال: وقاطعته من سماعها على شيء مسمى وإنه لم يأذن لي في قراءة حكاية واحدة لم يكن وقع عليها الشرط.

محمد بن جعفر العطار النحوي

أبو جعفر، ويلقب فرتك. قال الخطيب: هو من أهل المخرم. حدث عن الحسن بن عرفة، روي عنه الدارقطني ولم يزد الخطيب على هذا.

محمد بن جعفر بن محمد الهمداني

ثم المراغي. ذكره محمد بن إسحاق فقال: كان يعلم عز الدولة أبا منصور بختيار بن معز الدولة بن بويه. قال الخطيب: يكنى أبا الفتح، سكن بغداد وروى بها عن أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة. حدث عنه أبو الحسين المحاملي القاضي وروى عنه في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة.

قال محمد بن إسحاق: وكان حافظاً نحوياً بليغاً في نهاية السرو والحرية. وله من الكتب: كتاب النهج مثال الكامل، كتاب الاستدراك لما أغفله الخليل.

وقال أبو حيان في الإمتاع: وصف جماعة من النحويين أبا سعد السيرافي والرماني وأبا علي الفارسي ثم قال: وأما ابن المراغي فلا يلحق هؤلاء مع براعة اللفظ، وسعة الحفظ، وقوة النفس، وبلل الريق، وغزارة النفث، وكثرة الرواية، ومن نظر في كتاب النهج له عرف ما أقول، واعتقد فوق ما أصف، ونحل أكثر مما أبذل. ذكر أبو حيان في كتاب المحاضرات قال: ولما مات المراغي - وكان قدوة في النحو وعلماً في الأدب كبيراً مع حداثة سنه ورقة حاله، وإن قلت إنني ما رأيت في الأحداث مثله كان كذلك - استرجع أبو سعيد السيرافي واستعير وأنشد:

من عاش لم يخل من هم ومن حزن	بين المصائب من دنياه والمحن
وإنما نحن في الدنيا على سفر	فراحل خلف الباقي على الطعن
وكلنا بالردى والموت مرتهن	فما نرى فيهما فكا لمرتهن
من الذي أمن الدنيا فلم نحن	أو الذي اعتز بالدنيا فلم يهن؟
كل يقال له قد كان ثم مضى	كأن ما كان من دنياه لم يكن
ثم قال: قوموا بنا لتجهيزه وتولية أمره فتبعناه على ذلك، فلما أخرجت جنازته بكى وأنشد:	
أساءت بنا الأيام ثمت أحسنت	وكل من الأيام غير بديع
وما زال صرف مذ كان مولعاً	بتأليف شتى أو بشت جميع

محمد بن جعفر بن محمد بن هارون

ابن فروة بن ناجية بن مالك، أبو الحسن التميمي النحوي المعروف بابن النجار من أهل الكوفة، ولد سنة ثلاث وثلاثمائة بالكوفة، وقدم بغداد وحدث بها عن ابن دريد ونفطويه والصولي وغيرهم.

قال الخطيب: وهو ثقة، مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعمئة بالكوفة، نقلت ذلك من تاريخ ابن الجوزي، ونقله هو من تاريخ الخطيب حرفاً حرفاً، ونقلت من زيادات الوزير المغربي في فهرست ابن النديم: أنه ولد سنة إحدى عشرة وثلاثمائة قال: وكان من مجودي القراء، أخذ عن النصار وغيره، وكان يقرئ لحمة والكسائي الغالب في أخذه، ولقي أحمد بن يونس، وروى قراءة عاصم عنه عن الأعشى عن أبي بكر عياش عن عاصم، ولقي من المحدثين القدماء ابن الأشناني الكبير وابن الأشناني القاضي، وابن مروان القطان، وأبا عبيدة وغيرهم. قال: وكنا سمعنا منه: كتاب القراءات، وكتاب مختصر في النحو، وكتاب الملح والنوادر، وكتاب التحف والطرف، وكتاب الملح والمصار، وكتاب روضة الأخبار ونزهة الأبصار، وكتاب تاريخ الكوفة رأيته.

محمد بن جعفر بن محمد الغوري

أبو سعيد، أحد أئمة اللغة المشهورين والأعلام في هذا اللسان المذكورين، صنف كتاب ديوان الأدب في عشرة أجلد ضخمة، أخذ كتاب أبي إبراهيم إسحاق الفارابي المسمى بهذا الاسم وزاد في أبوابه، وأبرزه في أبيه أثوابه، فصار أولى به منه، لأنه هذبه وانتقاه، وزاد فيه ما زينه وحلاه، لم أعرف شيئاً من حاله فأذكره إلا أنه ذكر في أول كتابه بعد البسملة: قال محمد بن جعفر بن محمد المعروف جده بالغوري، ثم ذكر أنه هذب كتاب الفارابي وختم الكلام بأن قال: وأهديته - يعني الكتاب - إلى الدهقان الكبير أبي نصر منصور مولى أمير المؤمنين.

محمد بن أبي جعفر القزاز القيرواني

أبو عبد الله التميمي، كان إماماً علامة قيماً بعلوم العربية، ذكره الحسن بن رشيق في كتاب النموذج فقال: مات بالقيروان سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وقد قارب التسعين، وهو جامع كتاب الجامع في اللغة، وهو كتاب كبير حسن متقن يقارب كتاب التهذيب لأبي منصور الأزهري رتبته على حروف المعجم، وكتاب ما يجوز للشاعر استعماله في ضرورة الشعر.

قال ابن رشيق: وكان مهيباً عند الملوك والعلماء وخاصة الناس. محبوباً عند العامة، يملك لسانه ملكاً شديداً وقد مدحه الشعراء فقال فيه يعلى بن إبراهيم الأربسي:

نسجت شعاعاً بيننا منها فبت
فمزجتها من فيه ثم شربتها
في ليلة للدهر كانت غرة
فت الأنام بها فت الورى
أبدأ على طرف السؤال جوابه
يغدو مساجلة بغرة صافح
فالأبعد النائي عليه في الذي

وكان القزاز معجباً بهذه الكلمة ويقول: ما مدحت بأحب إلي منها. وقال الحسن بن رشيق في العمدة: وحاجي شيخنا أبو عبد الله بعض تلاميذه فقال:

أحاجيك عباد كزيب في الورى
فأجابه التلميذ في الحال:

سأكنتم حتى ما تحس جوارحي
فمعكوس: عباد كزيب: شرك ذائع. وسأكنتم: جواب على الظاهر حسن، ومعكوسة منك أتيت، وهو جواب لما حوجي به بديع مقابل، ولم تؤت إلا من صديق وصاحب، تفسير حسن بديع جداً. وشعر أبي عبد الله جيد مطبوع مصنوع، ومن شعره يتغزل:

أما ومحل حبك من فؤادي
لو انبسطت لي الأمالي حتى
لصننتك في مكان سواد عيني
فأبلغ منك غايات الأمناني
فلي نفس تجرع كل حين
إذا أمنت قلوب الناس خافت
فكيف وأنت دنياي ولولا

ومن شعره أيضاً:

إذا كان حظي منك لحظة ناظر
رضيت بها في مدة الدهر مرة

وله أيضاً:

لو أن لي حكم قلبي فيك أو بصري
أخشى وأحذر من عيني القريحة ما
ويلاه إن كان حظي فيه مشتركاً
يناله وادع لا يستعد له

وله أيضاً:

أضمروا لي وداً ولا تظهروه
ما أبالي إذا بلغت رضاكم

وله أيضاً:

أحين علمت أنك نور عيني
وأني لا أرى حتى أراكا

جعلت مغيب شخصك عن عياني
وله أيضاً:
وإحسر تامات أحبابي وخلاني
وشيب الدهر أترابي وأخداني

وغيرت الأيام خالصتي
والمنتضي الحر من أهلي وإخواني
ومن تصانيف أبي عبد الله أيضاً: كتاب أدب السلطان والتأديب له عشر مجلدات، كتاب التعريض والتصريح مجلد، كتاب إعراب الدريدية مجلد، كتاب شرح رسالة البلاغة في عدة مجلدات، كتاب أبيات معان في شعر المتنبي، كتاب ما أخذ على المتنبي من اللحن والغلط، كتاب الضاد والظاء مجلد.

محمد بن الجهم بن هارون السمرى

أبو عبد الله الكاتب، مات سنة سبع وسبعين ومائتين عن تسع وثمانين سنة، ذكر ذلك أبو بكر بن علي وقال: سمع يعلى بن عبيد الطنافسي، وعبد الوهاب بن عطاء، ويزيد ابن هارون، وأدم بن أبي إياس، وروى عن الفراء تصانيفه. حدث عنه موسى بن هارون الحافظ، والقاسم بن محمد الأنباري، وأبو بكر بن مجاهد المقرئ، ونفطويه، وإسماعيل بن محمد الصغار وغيرهم. وقال الدارقطني: هو ثقة صدوق قال المرزباني: محمد بن الجهم بن هارون السمرى أبو عبد الله صاحب الفراء، وروى كتابه في معاني القرآن وهو أحد الثقات من رواة المسند، وهو القائل يمدح الفراء ويصف مذهبه في النحو: أكثر النحو يزعم الفراء وهي أبيات يقول فيها:

نحوه أحسن النحو فما في	ه معيب ولا به إزراء
ليس من صنعة الضعائف لكن	فيه فقه وحكمة وضياء
حجة توضح الصواب وما قا	ل سواه فباطل وخطاء
ليس من قال بالصواب كمن قا	ل بجهل والجهل داء عياء
وكانى أراه يملى علينا	وله واجباً علينا الدعاء
كيف نومي على الفراش ولما	يشمل الشام غارة شعواء
تذهل المرء هن بنيه وتبدي	عن براها العقيلة العذراء

هذان البيتان لعبد الله بن قيس الرقيات ضمنهما.

محمد بن حارث الخشني الأندلسي

صاحب التواريخ، ذكره الحميدي في كتابه فقال: هو من أهل العلم والفضل فقيه محدث، روى عن ابن وضاح ونحوه، وله من الكتب: كتاب أخبار القضاة بالأندلس، كتاب أخبار الفقهاء والمحدثين، كتاب الاتفاق والاختلاف لمالك بن أنس وأصحابه وغير ذلك. ومات في حدود الثلاثين والثلاثمائة، ذكره أبو عمر بن عبد البر، وأبو محمد علي بن أحمد، وأورد عنه أبو سعيد بن يونس في تاريخه وفيات الجماعة من أهل الأندلس ممن مات قبل الثلاثمائة وبعدها بمدة، وقد افصح أبو سعيد باسمه في موضعين من تاريخه في باب السين وباب النون، وما أراه لقيه ولكنه عاصره وكان في زمانه، وإنما يقول فيما يورده عنه: ذكره الخشني في كتابه. وذكر الحميدي في باب محمد بن عبد السلام الخشني: أن عبد الغني بن سعيد الحافظ غلط فيه فقال: محمد بن عبد السلام الخشني صاحب التاريخ، وإنما هو محمد بن حارث فغلط، هذا تلخيص كلام الحميدي لا على وجهه.

محمد بن حبيب أبو جعفر

ذكره المرزباني فقال: قال عبد الله بن جعفر: من علماء بغداد باللغة والشعر والأخبار والأنساب الثقات محمد بن حبيب ويكنى أبا جعفر وكان مؤدباً. ولا يعرف أبوه وإنما نسب إلى أمه وهي حبيب، وهو ممن يروي كتب ابن الأعرابي وابن الكلبي، وقطرب وكتبه صحيحة، وله مصنفات في الأخبار منها: كتاب المحبر والموشي وغيرهما. مات ابن حبيب بسامرا في ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائتين في أيام المتوكل. قال أبو الحسن بن أبي روبة: قال أبو روبة: عبرت إلى ابن حبيب في

مكتبه وكان يعلم ولد العباس بن محمد في شكوك شككت فيها، وروى محمد بن موسى البربري عن ابن حبيب قال: إذا قلت للرجل ما صناعتك؟ فقال معلم فاصفع، وأنشد ابن حبيب:

إن المعلم لا يزال معلماً
لو كان علم آدم الأسماء
من علم الصبيان صبوأ عقله
حتى بنى الخلفاء والخلفاء

ومحمد بن حبيب مولى لبني هاشم ثم مولى لمحمد بن العباس بن محمد الهاشمي، وأمه مولاة لهم. وقال ابن النديم: نقلت من خط أبي سعيد السكري قال: هو محمد بن حبيب ابن أمية بن عمرو، وكان يروي عن هشام بن الكلبي وابن الأعرابي وقطرب وأبي عبيدة وأبي اليقظان، وأكثر الأخذ عنه أبو سعيد السكري. قال المرزباني: وكان محمد ابن حبيب يغير على كتب الناس فيديها ويسقط أسماءهم، فمن ذلك: الكتاب الذي ألفه إسماعيل بن أبي عبيد الله، واسم أبي عبيد الله معاوية، وكنيته هي الغالبة على اسمه فلم يذكرها لئلا يعرف، وابتدأ فساق كتاب الرجل من أوله إلى آخره فلم يخلطه بغيره، ولم يغير منه حرفاً ولا زاد فيه شيئاً، فلما ختمه أتبع ذلك بذكر من لقب من الشعراء ببيت قاله. قال: وما علمت أن أحداً من العلماء صنع صنيعه هذا، ولا من استحسّن أن يضع نفسه هذا الموضع القبيح، وأحسب أن الذي حمله على ذلك أن كتاب إسماعيل هذا لم تكثر روايته ولا اتسع ي أيدي الأدباء، فقدّر ابن حبيب أن أمره ينسثر، وأن إغارته عليه تميت ذكر صاحبه.

وحدث المرزباني عن أحمد بن محمد الكاتب عن علي ابن عبد الله بن المسيب قال: كان علي بن العباس الرومي يختلف إلى محمد بن حبيب، لأن محمداً كان صديقاً لأبيه العباس بن جرجس، وكان يخص علياً لما يرى من ذكائه، فحدث علي عنه أنه كان إذا مر به شيء يستغربه ويستجده يقول لي: يا أبا الحسن، ضع هذا في تامورك. وحدث أبو بكر بن علي قال: قال أبو طاهر القاضي محمد بن حبيب وهي أمه وهو ولد ملاعنه. وحدث أيضاً فيما أسنده إلى ثعلب قال: حضرت مجلس ابن حبيب فلم يمل فقلت ويحك أمل، مالك؟ فلم يفعل حتى قمت، وكان والله حافظاً صدوقاً، وكان يعقوب أعلم منه، وكان هو أحفظ للأنساب والأخبار منه وهو بغدادى.

وحدث أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الإشبيلي في كتابه قال: قال ثعلب: أتيت ابن حبيب وقد بلغني أنه يملئ شعر حسان بن ثابت، فلما عرف موضعي قطع الإملاء فانصرفت وعدت إليه، وترفت به فأملئ وكان لا يقعد في المسجد الجامع، فعذلت على ذلك حتى قعد جمعة من الجمع واجتمع إليه الناس فسأله سائل عن هذه الأبيات:

أزحنة عني تطردن تبددت
بلحمتك طير طرن كل مطير
ففي لا تزلي زلة ليس بعدها
جبور وزلات النساء كثير
وإني وإياه كرجلي نعمة
على كل حال من غنى وفقير

ففسر ما فيه من اللغة، فقيل له كيف قيل: غني وفقير، ولم يقل من غنى وفقير. قال: فاضطرب، فقلت للسائل: هذه غريبة، وأنا أنوب عنه وبينت العلة وانصرف، ثم لم يعد للقعود بعد ذلك وانقطعت عنه. قوله رجلي نعمة: إنما شبه به لأنه لا تنوب إحداهما عن الأخرى لأنه لامخ فيها، وسائر الحيوان إذا أعيت إحدى رجليه استعان بالأخرى فيقال هما رجلا نعمة، أي لا غنى لإحداهما عن الأخرى، والأسماء ترد على المصادر والمصادر على الأسماء، لأن المصادر إنما ظهرت لظهور الأسماء وتمكن الإعراب منها.

قال محمد بن إسحاق: ولابن حبيب من الكتب: كتاب النسب، كتاب الأمثال على أفعل ويسمى المنمق، كتاب السعود والعمود، كتاب العماثر والربائع، كتاب الموشح، كتاب المختلف والمؤتلف في أسماء القبائل، كتاب المحبر وهو من جيد كتبه، كتاب المقتني، كتاب غريب الحديث، كتاب الأنواء، كتاب المشجر، كتاب من استجيب دعوته، كتاب الموشى، كتاب المذهب في أخبار الشعراء وطبقاتهم، كتاب نقاض جرير وعمر بن لجأ، كتاب نقاض جرير والفرزدق، كتاب المفوف، كتاب تاريخ الخلفاء كتاب من سمي ببيت قاله، كتاب مقاتل الفرسان، كتاب الشعراء وأنسابهم، كتاب العقل، كتاب كني الشعراء، كتاب السمات، كتاب أيام جرير التي ذكرها في شعره، كتاب أمهات أعيان بني عند المطلب، كتاب المقتبس، كتاب أمهات السبعة من قریش، كتاب الخيل، كتاب النبات، كتاب ألقاب القبائل كلها، كتاب الأرحام التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه سوى العصابة، كتاب ألقاب اليمن ومضر وربيعه، كتاب القبائل الكبير الأيام جمعه للفتح بن خاقان. قال محمد بن إسحاق: رأيت أنا النسخة بعينها في طلحي نيفاً وعشرين جزءاً، وكانت تنقص ما يدل على أنها كانت نحواً من أربعين جزءاً في كل جزء مائتا ورقة وأكثر، ولهذه النسخة فهرست لما تحتوي عليه من القبائل والأيام في طلحي نحو خمسة عشر ورقة. ومن صنعه في أشعار العرب: كتاب ديوان زفر بن الحارث، كتاب شعر الشماخ، كتاب شعر الأقيشر، كتاب شعر الصمة، كتاب شعر لبيد العامري.

محمد بن حرب بن عبد الله النحوي

الحلبي أبو المرجي، أحد أعيان حلب والمشهورين منهم بعلم الأدب، مات بدمشق في سنة إحدى وثمانين أو اثنتين وثمانين، وحدثني ابن الجبراني قال: مات شيخنا بدمشق في سنة ثمانين وخمسمائة.

حدثني كمال الدين أبو القاسم عمر بن أبي جرادة - أدام الله أيامه - قال: حدثني محمد بن عبد الواحد بن حرب الخطيب خطيب قلعة حلب إملاء من لفظه قال: حدثني أبو المرجي محمد بن حرب أبو عبد الله النحوي قال: رأيت في النوم إنساناً ينشدني هذا البيت:

أروم عطا الأيام والدهر مهلكي ممر لها والدهر رهن عطاها
فأجزته بأبيات:

أيا طالب الدنيا الدنية إنها سترديك يوماً إن علوت مطاها
صن النفس لا تركز إليها فإن أبت فردد عليها أي آخر طه
ودع روضي الآمال والحرص إنه إذا ردع النفس الهدى سطاها
فلا بد يوماً أن تلم ملمة فتبسط منا عقدة نشطاها

أنشدني الأخ أبو القاسم أحمد بن هبة الله سعد الجبراني النحوي الحلبي قال: أنشدني شيخي أبو المرجي محمد بن حرب الأنابي، وأناب قرية من بلد أعزاز من نواحي حلب لنفسه في صفة الرمان:

ولما فضضت الختم عنهن لا ح لي فصوص عقيق في بيوت من التبر
ودر ولكن لم يدنس غائص وماء ولكن في مخازن من جمر
وأنشدني قال: أنشدني المذكر لنفسه:

لما بدا ليل عارضيه لنا يحكي سطوراً كتبت بالمسك
تلا علينا العذار سورة وال ليل وغنى لنا قفا نبك

وأنشدني له:

تجل سنا شمعته تشابهني وقدأ ولوناً وأدمعاً وفنا
قال: وله أرجوزة في مخارج الحروف.

محمد بن حسان النملي يكنى أبا حسان

أحد الكتاب الطيِّاب والأدباء، وكان في أيام المتوكل وله معه أحاديث، وله كتاب برجان وحباب وهو كبير في أخبار النساء والباء، كتاب آخر صغير في هذا المعنى، كتاب البغاء، كتاب السحق، كتاب خطاب المكاري لجارية البقال.

محمد بن حسان الضبي أبو عبد الله

كان نحوياً فاضلاً وأديباً شاعراً، وكان يؤدب العباس ابن المأمون وغيره من ولده فماتوا فقال يرثيهم:

خل دمع العين ينهمل بان من أهواه فاحتملوا
كل دمع صانه كلف فهو يوم البين مبتذل
يا أخلائي الذين نأت بهم الطيات وانتقلوا
قد أبى أن ينثني بكم أوبة يحيا بها الأمل

وحدث شباب العصفري قال: ولي المأمون محمد بن حسان الضبي مظالم الجزيرة وقنسرين والعواصم والثغور سنة خمس عشرة ومائتين، ثم زاده بعد ذلك مظالم الموصل وأرمينية قال: وولي المعتصم محمد بن الحسن مظالم الرقة في سنة أربع وعشرين ومائتين إلى أن توفي المعتصم فأقره الوائق عليها.

وحدث المرزباني بإسناده قال: قدم محمد بن حسان الضبي على أبي المغيث الرافقي فمدحه فوعده بثواب فتأخر عنه فكتب إليه محمد:

عذبت بالمطل وعدّ رف مورقه حتى لقد جف منه الماء والعود

سقىا للفظك ما أحلى مخرجه
فلما قرأها أبو المغيث تبسم وأجابه:
لا تعجلن على لومي فقد سبقت
فإن صبرت أذاك النجح عن كذب
وفي الكريم أناة ربما اتصلت
وعجل له صلته. وقال أبو الحسن بن البراء: أنشدني محمد ابن حسان الضبي لنفسه:
كتمت الهوى حتى بدا السقم ظاهراً
وأخفيت من أهوى وألقيت دونه
وله أيضاً في رواية المرزباني:
فقيم أجن الصبر والبين حاضراً
وقد فرقت جمع الهوى طية النوى

لولا عقارب في أثناؤه سود
مني إليك بما تهوى المواعيد
وكل طالعة سعد ومسعود
إن لم يعامل بصبر أيبس العود
وحتى جرى دمعي يسيل بداراً
من الحب أستاراً فعدن جهاراً
وأمنع تذرّاف الدموع السواكب
وغودرت فرداً شاهداً مثل غائب

محمد بن الحسن بن أبي سارة الرّؤاسي

يكنى أبا جعفر، هو ابن أخي معاذ الهراء، وهم من موالى محمد بن كعب القرظي قال: وسمي الرّؤاسي لكبر رأسه، وكان ينزل النيل فقيل له النيلي، وكان أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو، ومات في أيام الرشيد. قال أحمد بن يحيى تغلب: كان الرّؤاسي أستاذ علي بن حمزة الكسائي والفراء. قال الفراء: فلما خرج الكسائي إلى بغداد قال لي الرّؤاسي: قد خرج الكسائي وأنت أسن منه، فجئت إلى بغداد فرأيت الكسائي فسألته عن مسائل الرّؤاسي فأجابني بخلاف ما عندي، فغمرت عليه قوماً كوفيين كانوا معي فرأني فقال لي: مالك قد أنكرت؟ لعلك من أهل الكوفة، قلت نعم. قال: الرّؤاسي يقول كذا وكذا وليس صواباً. وسمعت العرب تقول كذا وكذا حتى أتى على مسائلي فلزمته. قال: وكان الرّؤاسي رجلاً صالحاً وقال: بعث الخليل إلي يطلب كتابي فبعثت به إليه فقرأه قال: وكل ما في كتاب سيبويه وقال الكوفي كذا فإنما يعني الرّؤاسي. قال: وكتاب الرّؤاسي يقال له الفيصل. وزعم تغلب أن أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو أبو جعفر الرّؤاسي، وكان له كتاب معروف عندهم يقدمونه. وقال سلمة: سئل الفراء عن الرّؤاسي فأثنى عليه وقال: قد كان دخل البصرة دخلتين، وقل مقامه بالكوفة فلذلك قل أخذ الناس عنه قال: وقال المبرد: ما عرف الرّؤاسي بالبصرة، وقد زعم بعض الناس أنه صنف كتاباً في النحو فدخل البصرة ليعرضه على أصحابنا فلم يلتفت إليه، أو لم يجسر على إظهاره ولما سمع كلامهم.

وقال ابن درستويه: وزعم جماعة من البصريين أن الكوفي الذي يذكره الأخفش في آخر كتاب المسائل ويرد عليه هو الرّؤاسي.

حدث محمد بن جعفر الأشعثي عن الرّؤاسي قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي: إن لي تجارة بالنيل أفأشتري بالنيل داراً؟ فقال: اشتر ما ينفعك، فرب عزلة كانت داعية خير، وإياك وجميع ما يعينك، فأما لا يعينك فإياك وإياه.

وحدث عبد الله بن جعفر عن علي بن المبارك الأحمر عن الكسائي قال: كان للرّؤاسي امرأة من أهل النيل تزوجها بالكوفة وانتقلت إليه من النيل وشرطت عليه أنها تلم بأهلها في كل مدة فكانت لا تقيم عنده إلا القليل، ثم يحتاج إلى إخراجها وردها فمل ذلك منها وفارقها وقال فيها:

بانئت لمن تهوى حمول
أتبعتهم عيناً علي
ثم ارعويت كما ارعوى
لاحت مخائل خلفها
ملت وأبدت جفوة
ولأبي جعفر الرّؤاسي قصيدة منها:

فأسفت في أثر الحمول
هم ما تفيق من الهمول
عنها المسائل للطلول
وخلافها دون القبول
لا تركنن إلى ملول
عن الدنيا لعلك تهتدينا
لعلك عنده تستبشرينا

ألا يا نفس هل لك في صيام
يكون الفطر وقت الموت منها

لعلك في الجنان تخلديننا

أجيبني هديت وأسعفيني

وحدث أبو الطيب اللغوي في كتاب المراتب قال: وممن أخذ عن أبي عمرو بن العلاء من أهل الكوفة أبو جعفر الرؤاسي عالم أهل الكوفة إلا أنه ليس بنظير لمن ذكرنا ولا قريباً منهم، وكان ذكر يونس بن حبيب وعيسى بن عمر والخليل بن أحمد ونظائرهم قال: وقال أبو حاتم: كان بالكوفة نحوي يقال له أبو جعفر الرؤاسي وهو مطروح العلم ليس بشيء.

وقال محمد بن إسحاق في الكتاب الذي ألفه في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة: وللرؤاسي من الكتب: كتاب الفبصل رواه جماعة وهو يروي إلى اليوم، كتاب معاني القرآن، كتاب التصغير، كتاب الوقف والابتداء الكبير، كتاب الوقف والابتداء الصغير.

محمد بن الحسن بن دينار الأحول

أبو العباس، كان غزير العلم واسع الفهم جيد الدراية حسن الرواية. روي عنه أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي وقرأ عليه ديوان عمرو بن الأهتم في سنة خمسين ومائتين. قال أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي المعروف بنفطويه: جمع أبو العباس محمد بن الحسن بن دينار الأحوال أشعار مائة شاعر وعشرين شاعراً، وعلمت أنا خمسين شاعراً. وذكره أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي وجعله في طبقة المبرد وثلعب. وحدث المرزباني أنه كان وراقاً يورق لحنين بن إسحاق المتطبب في منقولاته لعلوم الأوائل، وكان ممدوداً أي قليل الحظ من الناس، وحدث عن علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن الحسن الأحول قال: اجتمعنا مع أبي العباس ثعلب في بيته وحضر ابن بوكران رجل من أهل الأدب فقال بعض أصحابنا: عرفوني ألقابكم. فقال ثعلب: أنا ثعلب، وقال الآخر: أنا كذا، والآخر أنا كذا، فلما بلغوا إلي قالوا: وأنت ما لقبك؟ فقلت منعت العاهة من اللقب.

وحدث المرزباني عن نفطويه قال: كان أبو العباس الأحول يقول: لم يزلوا، وكذا رد علي فقلت له: لم يزلوا أراد أنه كان لحاناً. وحدث عن أبي عبد الله اليزيدي قال: كان أبو العباس الأحول يكتب لي مائة ورقة بعشرين درهماً. وقال محمد بن إسحاق النديم: كان محمد بن الحسن الأحول ناسخاً وله من الكتب: كتاب الدواهي، كتاب السلاح، كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه، كتاب فعل وأفعّل، كتاب الأشباه، وجمع كما تقدم دواوين مائة وعشرين شاعراً.

محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية

ابن حنتم بن حمامي بن واسع بن وهب بن سلمة بن حنتم ابن حاضر بن جشم بن ظالم بن أسد بن عدي بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهير - ويقال: زهران - ابن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب ابن يعرب بن قحطان.

مات يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وفي هذا اليوم مات أبو هاشم عبد السلام بن محمد الجبائي فقيل: مات علما اللغة والكلام ودفنا جميعاً في مقبرة الخيزران. وقال المرزباني: دفن بالعباسية من الجانب الشرقي في ظهر سوق السلاح من الشارع الأعظم. وقال التنوخي ورجاله: دفن ابن دريد بظهر السوق الجديد المعروفة بمقابر العباسية من الجانب الشرقي، ومولده البصرة في سكة صالح في خلافة المعتصم سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وبالبصرة تأدب وعلم اللغة وأشعار العرب، وقرأ على علماء البصرة ثم صار إلى عمان فأقام بها مدة، ثم صار إلى جزيرة ابن عمر ثم صار إلى فارس فسكنها مدة ثم قدم بغداد فأقام بها إلى أن مات.

وحدث أبو بكر بن علي قال: أبو بكر بن دريد بصري المولد ونشأ بعمان وتنقل في جزائر البحر والبصرة وفارس وطلب الأدب وعلم العربية، وكان أبوه من الرؤساء وذوي اليسار، وورد بغداد بعد أن أسن فأقام بها إلى آخر عمره. وروى عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي وأبي حاتم السجستاني، وأبي الفضل الرياشي. وكان رأس أهل العلم. وروى عنه خلق منهم أبو سعيد السيرافي، وأبو عبيد الله المرزباني، وأبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، وله شعر كثير، وروي من أخبار العرب وأشعارهم ما لم يروه كثير من أهل العلم.

وقال أبو الطيب اللغوي في كتاب مراتب النحويين عند ذكر ابن دريد: هو الذي انتهت إليه لغة البصريين، وكان أحفظ الناس وأوسعهم علماً وأقدرهم على شعر، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وابن دريد. وتصدر ابن دريد في العلم ستين سنة. وأول شعر قاله:

ثوب الشباب علي اليوم بهجته
ف سوف تنزعه عني يد الكبير
أنا ابن عشرين ما زادت ولا نقصت
إن ابن عشرين من شيب على خطر
وكان يقال: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء. قال الخطيب: وقال محمد بن دريد: كان أول من أسلم من آبائي حمامي وهو
من السبعين راكباً الذين خرجوا مع عمرو بن العاص من عمان إلى المدينة لما بلغهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
أدوه وفي ذلك يقول قائلهم:

وفينا لعمرو يوم عمرو كأنه
طريد نفته مذبح والسكاسك
وحدث أبو علي التنوخي قال: حدثني جماعة أن ابن دريد قال: كان أبو عثمان الأشناداني معلمي، وكان عمي الحسين ابن دريد
يتولى تربيتي، فكان إذا أراد الأكل استدعى أبا عثمان ليأكل معه، فدخل يوماً عمي وأبو عثمان يروني قصيدة الحارث بن حلزة
التي أولها:

أذنتنا ببينها أسماء

فقال لي عمي: إذا حفظت هذه القصيدة وهبت لك كذا وكذا، ثم دعا المعلم ليأكل معه فدخل إليه فأكلنا وتحدثنا بعد الأكل ساعة،
فإلى أن رجع المعلم حفظت ديوان الحارث بن حلزة بأسره فخرج المعلم فعرفته ذلك فاستعظمه وأخذ يعتبره علي فوجدني قد
حفظته، فدخل إلى عمي فأخبره فأعطاني ما كان وعدني به.

قال الخطيب عن رأي ابن دريد إنه قال: كان ابن دريد واسع الحفظ جداً ما رأيت أحفظ منه وكانت تقرأ عليه دواوين العرب
كلها أو أكثرها فيسبق إلى إتمامها وتحفظها، وما رأيته قط قرئ عليه ديوان شاعر إلا وهو يسابق إلى روايته لحفظه له. قال:
وسئل عنه الدارقطني فقال: قد تكلموا فيه. قال: وقال أبو ذر عبد الله بن أحمد الهروي: سمعت ابن شاهين يقول: كنا ندخل على
ابن دريد ونستحي منه لما نرى من العيدان المعلقة، والشراب المصفي موضوع وقد كان جاوز التسعين سنة. هذا كله من كتاب
أبي بكر بن علي.

وقال أبو منصور الأزهرى في مقدمة كتاب التهذيب: وممن ألف في زماننا الكتب فرمى بافتعال العربية وتوليد الألفاظ وإدخال
ما ليس من كلام العرب في كلامها: أبو بكر محمد بن دريد صاحب كتاب الجهرة، وكتاب اشتقاق الأسماء، وكتاب الملاحن،
وقد حضرته في داره ببغداد غير مرة فرأيت يروي عن أبي حاتم والرياشي وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي. وسألت إبراهيم
بن محمد بن عرفة عنه فلم يعبأ به ولم يوثقه في روايته، وألفيته أنا على كبر سنه سكران لا يكاد يستمر لسانه على الكلام من
سكره، وقد تصفحت كتابه الذي أعاره اسم الجهرة فلم أردلا على معرفة ثاقبة ولا قريحة جيدة، وعثرت من هذا الكتاب على
حروف كثيرة أنكرتها ولم أعرف مخرجها فأثبتها في كتابي في مواقعها منه لأبحث أنا وغيري عنها.

وقال أبو ذر الهروي: سمعت أبا منصور الأزهرى يقول: دخلت على ابن دريد فرأيت سكران فلم أعد إليه. وقال غير أبي
منصور: كان ابن دريد قد أملى الجهرة في فارس ثم أملاها بالبصرة وببغداد من حفظه قال: فلذلك قلما تتفق النسخ وتراها
كثيرة الزيادة والنقصان، ولما أملاه بفارس غلامه تعلم من أول الكتاب، والنسخة التي عليها المعول هي الأخيرة، وآخر ما صح
من النسخ: نسخة أبي الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي جخجخ لأنه كتبها من عدة نسخ وقرأها عليه.

وحدث المرزباني قال: قال ابن دريد: خرجت أريد زهران بعد دخول البصرة فمررت بدار كبيرة قد خربت فكتبت على
حائطها:

وكذا كل جميع مفترق

أصبحوا بعد جميع فرقاً

فمضيت ورجعت فإذا نحته مكتوب:

ثم أبكاهم دماً حين نطق

ضحكوا والدهر عنهم صامت

قال: وخرجنا نريد عمان في سفر لنا فنزلنا بقرية تحت نخل فإذا بفاختتين تتزاقان فسنح لي أن قلت:

وقد طفل الإماء أو جنح العصر

أقول لورقاوين في فرع نخلة

ومر على هاتيك من هذه النحر

وقد بسطت هاتا لتلك جناحها

وما دب في تشنيت شملكما الدهر

ليهنكما أن لم تراعا بفرقة

على أنه يحكي قساوته الصخر

فلم أر مثلي قطع الشوق قلبه

قال: وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: سقطت من منزلي بفارس فانكسرت ترقوتي فسهرت ليلي فلما كان في آخر الليل حملتني عينايا فرأيت في نومي رجلاً طويلاً أصفر الوجه كوسجا دخل علي وأخذ بعضادتي الباب وقال: أنشدني أحسن ما قلت في الخمر. فقلت: ما ترك أبو نواس شيئاً. فقال: أنا أشعر منه. فقلت: ومن أنت؟ قال: أبو ناجية من أهل الشام ثم أنشدني:

وحمراء قبل المزج صفراء بعده

حكمت وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا

فقلت له: أسأت. قال ولم؟ قلت: لأنك قلت وحمراء فقدمت الحمرة ثم قلت: بدت بين ثوبي نرجس وشقائق، فأتيت الصفرة، فألا قدمتها على الأخرى كما قدمتها على الأولى؟ فقال: وما هذا الاستقصاء في هذا الوقت يا بغيض؟. وحدث قال: كتب ابن دريد إلى ابن أبي علي أحمد بن محمد بن رستم:

حجابك صعب يجبه الحر دونه

وما أزعجتني نحو بابك حاجة

وحدث أيضاً قال: وعد أبو بكر أبا الحسين عمر بن محمد ابن يوسف القاضي أن يصير إليه فقطعه المطر فكتب إليه أبو بكر:

منابيك في بذل النوال وإنه

عدائي عن حظي الذي لا أبيع

لم الغيث واعذر من لقاءك عنده

فأجابه أبو الحسين:

على الرسل في بري فقد عظم الشكر

مدائح مثل الغيث جادت عيونها

ومن شعر أبي بكر بن دريد:

عانقت منه وقد مال النعاس به

ريحانة ضمخت بالمسك ناضرة

وله يرثي عبد الله بن عمار:

بنفسي ثرى ضاجعت في بيته البلى

فلو أن حيا كان قبراً لميت

ولو أن عمري كان طوع إرادتي

وما خلت قبراً وهو أربع أذرع

وحدث الخطيب فيما أسنده إلى إسماعيل بن سويد: أن سائلاً جاء إلى ابن دريد فلم يكن عنده غير دن نبيذ فوهبه له فجاء غلامه وأنكر عليه ذلك فقال: أي شيء أعمل؟ لم يكن عندي غيره، ثم تلا قوله تعالى: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون). فما تم اليوم حتى أهدى له عشرة دنان فقال الغلام: تصدقنا بواحد وأخذنا عشرة. وقال جحظة يرثيه:

فقدت بابين دريد كل منفعة

وكنت أبكي لفقد الجود مجتهداً

وقال محمد بن إسحاق: ولابن دريد من الكتب: كتاب الجمهرة في اللغة، كتاب المجتني، كتاب الأمالي، كتاب اشتقاق أسماء القبائل، كتاب الملاحن، كتاب المقتبس، كتاب المقصور والممدود، كتاب الوشاح على حذو المحبر لابن حبيب، كتاب الخيل الكبير، كتاب الخيل الصغير، كتاب الأنواء، كتاب السلاح، كتاب غريب القرآن لم يتم، كتاب فعلت وأفعلت، كتاب أدب الكاتب، كتاب تقويم اللسان على مثال كتاب ابن قتيبة ولم يجرده من المسودة فلم يجرده منه شيء يعول عليه، كتاب المطر.

وقال أبو الحسن الدريدي: حضرت وقد قرأ أبو علي بن مقلة وأبو حفص كتاب المفضل بن سلمة الذي يرد فيه على الخليل بن أحمد، على أبي بكر بن دريد فكان يقول: صدق أبو طالب، في شيء إذا مر به كذب أبو طالب في شيء آخر، ثم رأيت هذا الكلام وقد جمعه أبو حفص في نحو المائة ورقة وترجمه بالتوسط.

ومن شعر ابن دريد:

وقد ألفت زهر النجوم رعايتي

فإن غبت عنها فهي عني تسأل

يقابل بالتسليم منهن طالع

ويومئ بالتوديع منهن آفل

وأما مقصورة ابن دريد المشهور فإنه قالها يمدح بها الأمير أبا العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال بن عبد الواحد بن جبريل بن القاسم بن بكر بن ديواسي، وهو سور بن سور بن سور بن سور أربعة الملوك ابن فيروز بن يزجرد بن بهرام جور قالها فيه وفي أبيه، وكان الأمير أبو العباس رئيس نيسابور ومتقدمها، وذكر أبو علي البيهقي المعروف بالسلامي في كتاب الننف والطرف: أن ابن دريد صنف كتاب الجماهرة للأمير أبي العباس إسماعيل بن عبد الله ابن ميكال أيام مقامه بفارس فأملأه عليه إملاء ثم قال: حدثني أبو العباس الميكالي قال: أمني على أبو بكر الدريدي كتاب الجماهرة من أوله إلى آخره حفظاً في سنة سبع وتسعين ومائتين، فما رأيته استعان عليه بالنظر في شيء من الكتب إلا في باب الهمزة واللفيف فإنه طالع له بعض الكتب قال: وكفاك بها فضيلة وعجيبة أن يتمكن الرجل من علمه كل التمكن ثم لا يسلم مع ذلك من الألسن حتى من قيل فيه:

ابن دريد بقرة

وفيه عي وشره

ويدعي من حمقه

وضع كتاب الجماهرة

وهو كتاب العين إلا

أنه قد غيره

وقد ذكرت هذه الحال في أخبار أبي العباس إسماعيل ابن عبد الله بأبسط من هذا. وكتب ابن دريد إلى عيسى بن داود الجراح الوزير:

أبا حسن والمرء يخلق صورة

تتم على ما ضمنته الغرائز

إذا كنت لا ترجى لنفع معجل

وأمرك بين الشرق والغرب جائز

ولم تك يوم الحشر فينا مشفعاً

فرأى الذي يرجوك للنفع عاجز

على بن عيسى خير يوميك أن ترى

وفضلك مأمول وودك ناجز

وإني لأخشى بعد هذا بأن ترى

وبين الذي تهوى وبينك حاجز

قرأت بخط أبي سعد السمعاني من المذيل بإسناد أن ابن دريد قال:

ودعته حين لا تودعه

روحي ولكنها تسير معه

ثم افترقنا وفي القلوب لنا

ضيق مكان وفي الدموع سعه

قال أبو هلال: أخبرنا أبو أحمد قال: كنا في مجلس ابن دريد وكان يتنصر ممن يخطئ في قراءته، فحضر غلام وضئ فجعل يقرأ ويكثر الخطأ وابن دريد صابر عليه، فتعجب أهل المجلس فقال رجل منهم: لا تعجبوا فإن في وجهه غفران ذنوبه، فسمعها ابن دريد فلما أراد أن يقرأ قال له: هات يا من ليس في وجهه غفران ذنوبه، فعجبوا من صحة سماعه مع علو سنه. قال: وقال بعضهم في مجلس ابن دريد:

من يكن للظباء طالب صيد

فعليه بمجلس ابن دريد

إن فيه لأوجهاً قيدتني

عن طلاب العلا بأوثق قيد

قال الرصافي: حدثنا بعض أصابنا قال: حضرت مجلس أبي بكر بن دريد وقد سأله بعض الناس عن معنى قول الشاعر:

هجرتك لا قلبي مني ولكن

رأيت بقاء ودك في الصدود

كهجر الحائمات الورد لما

رأت أن المنية في الورود

تفيض نفوسها ظمأ وتخشي

حماماً فهي تنظر من بعيد

فقال: الحائم: الذي يدور حول الماء ولا يصل إليه، يقال: حام يحوم حياماً.

ومعنى الشعر أن الأيائل تأكل الأفاعي في الصيف فتحمل فتلتهب بحرارتها وتطلب الماء، فإذا وقعت عليه امتنعت من شربه وحامت حوله تنسمه، لأنها إن شربته في تلك الحال صادف الماء السم الذي في جوفها فتلفت، فلا تزال تدفع بشرب الماء حتى يطول بها الزمان فيسكن ثوران السم ثم تشربه فلا يضرها. ويقال: فاظ الميت وفاضت نفسه وفاظت نفسه أيضاً، جائز عند الجميع إلا الأصمعي فإنه يقول: فاظ الميت، فإذا ذكر النفس قال فاضت نفسه بالضاد ولم يجمع بين الظاء والنفس.

وحدث أبو علي المحسن، حدثني أبو القاسم الحسن بن علي ابن إبراهيم بن خلاد الشاهد العكبري إمام الجامع فيها، حدثني أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال: كنت بعمان مع الصلت بن مالك الشاري وكانت الشراة تدعوه أمير المؤمنين، وكانت السنة كثيرة الأمطار ودامت على الناس فكادت المنازل أن تنهدم، فاجتمع الناس وصاروا إلى الصلت وسألوه أن يدعوا لهم فأجل بهم

أن يركب من الغد إلى الصحراء ويدعوا فقال لي بكرة: لتخرج معي في غد فبت مفكراً كيف يدعو؟ فلما أصبحت خرجت معه فصلى بهم وخطب ودعا فقال: اللهم إنك أنعمت فأوفيت، وسقيت فأرويت، فعلى القيعان ومنابت الشجر، وحيث النفع لا الضرر، فاستحسننت ذلك منه. وقال ابن دريد في النرجس:

عيون ما يلم بها الرقاد
إذا ما الليل صافحها استهلّت
لها حدق من الذهب المصفى
وأجفان من الدر استفادت
على قضب الزبرجد، في ذراها
لأعين من يلاحظها مراد

قرأت في كتاب التحبير وهو ما أخبرنا به الشريف افتخار الدين أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمي إذناً، قال أبو سعد السمعاني إجازة إن لم يكن سماعاً قال: سمعت الأمير أبا نصر أحمد بن الحسين بن أحمد بن عبيد الله ابن أحمد بن الميكالي يقول: تذاكرنا المتنزهات يوماً وابن دريد حاضر فقال بعضهم: أنزه الأماكن غوطة دمشق. وقال آخرون: بل نهر الأبلّة؟ وقال آخرون: بل سغد سمرقند. وقال بعضهم بل نهر نهروان بغداد. وقال بعضهم: شعب بوان بأرض فارس. وقال بعضهم: نوبهار بلخ. فقال: هذه متنزهات العيون، فأين أنتم عن متنزهات القلوب؟ قلنا وما هي يا أبا بكر؟ قال: عيون الأخبار للقتبي، والزهرة لابن داود، وقلق المشتاق لابن أبي طاهر، ثم أنشأ يقول:

ومن تك نزهته قينة
وكأس تحت وكأس تصب
فنز هتنا واستراحتنا
تلاقي العيون ودرس الكتب

وقرأت في التاريخ الذي ألفه أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم عبد المجيد بن بشران الأهوازي قال: وفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة مات أبو أحمد حجر بن أحمد الجويمي وكان من أهل الفضل بجويم ونواحي فارس، وقد خلف القراء بها فمدحه جماعة من الشعراء وقصده من انتفع به، ولأبي بكر بد دريد فيه مدائح منها:

نهنه بوارد دمك المهرق
حجر بن أحمد فارغ الشرف الذي
أي انتلاف لم ير ع بفراق؟
خضعت لعزته طلى الأعناق
لكنهن مفاتيح الأرزاق
للبر لم يطبع برين محاق
قبل أنامله فلسن أناملاً
وانظر إلى النور الذي لو أنه

محمد بن الحسن بن سهل

المعروف بشيعة الكاتب، وشيعة لقب لمحمد هذا، وأبوه الحسن بن سهل هو الوزير المعروف، أخو الفضل بن سهل مات محروقاً، وكان شيعة أولاً مع العلوي صاحب الزنج، ثم صار إلى بغداد وأومن ثم خلط وسعى لبعض الخوارج فحرقه المعتضد حياً وكان مصلوباً على عمود خيمة، ذكر ذلك محمد بن إسحاق وقال: له من الكتب المصنفة: كتاب أخبار صاحب الزنج، كتاب رسائله.

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق قال: حدثني أبي قال: كنت أكتب لبدر اللاني في أيام الموفق وابنه المعتضد بالله وأدخل الدار معه، فرأيت محمد بن الحسن بن سهل المعروف بشيعة وقد جعله كردناكاً قال: قلت له وكيف كان ذلك وما كان سببه؟ فقال: إن رجلاً من أولاد الوثائق كان يسكن مدينة المنصور سعى في طلب الخلافة هو وشيعة ليستوزره، وأخذ له البيعة على أكثر أهل الحضرة من الهاشميين والقضاة والقواد والجيش وأهل بغداد والأحداث وأهل العصية وقوى أمره وانتشر خبره، وهم بالظهور في المدينة والاعتصام بها حتى إذا أخذ المعتضد صار إلى دار الخلافة، فبلغ المعتضد الخبر على شريحه إلا اسم المستخلف فكبس شيعة وأخذ فوجد في داره جرائد بأسماء من بايع، وبلغ الخبر الهاشمي فهرب وأمر المعتضد بالجراند فأحرقت ظاهراً ولم يقف على شيء منها لئلا يفسد قلوب الجيش بوقوفه عليها لما يعتقدون من فساد نيته عليهم، وأخذ يسائل شيعة عن الخبر، فصدقه عن جميع ما جرى إلا اسم الرجل الذي يستخلف، فرفق به ليصدق عنه فلم يفعل، فطال الكلام بينهما فقال له شيعة: والله لو جعلتني كردناكاً ما أخبرتك باسمه قط. فقال المعتضد للفراشين: هاتوا أعمدة الخيم الكبار النقال وأمر أن يشد عليها شداً وثيقاً وأحضروا فحماً عظيماً وفرش على الطوابيق بحضرته وأججوا ناراً، وجعل الفراشون يقلبون تلك النار وهو مشدود على الأعمدة إلى أن مات وأخرج من بين يديه ليدفن فرأيت على هذه الصورة.

محمد بن الحسن بن رمضان النحوي

له من الكتب فيما ذكره محمد بن إسحاق: كتاب أسماء الخمر وعصيرها، كتاب الديرة.

محمد بن الحسن بن محمد بن زياد

ابن هارون بن جعفر بن سند النقاش الشعراني الدارقطني أبو بكر المقرئ، مات فيما ذكره الخطيب يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شوال سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، ومولده سنة ست وستين وستمائة، ودفن في داره بدار القطن. قال أبو بكر: وأصله من الموصل. ويقال: إنه مولى أبي دجانة سماك بن خرشة الأنصاري وكان حافظاً للتفسير، صنف فيه كتاباً سماه شفاء الصدور، وله تصنيف في القراءات وغيرها من العلوم، وكان قد سافر الكثير شرقاً وغرباً، وكتب بالكوفة والبصرة ومكة ومصر والشام والجزيرة والموصل والجلال وبلاد خراسان وما وراء النهر وحدث عن خلق كثير، وروى عنه أبو بكر ابن مجاهد والدارقطني وأبو حفص بن شاهين قال: وحدثنا عنه أبو الحسن بن رزقويه وجماعة آخرهم أبو علي بن شاذان وفي حديثه مناكير بأسانيد مشهورة. قال: حدثني عبيد الله بن أبي الفتح عن طلحة بن محمد بن جعفر أنه ذكر النقاش فقال: كان يكذب في الحديث والغالب عليه القصص؟ قال: وسألت البرقاني عنه فقال: كل حديثه منكر. قال: وحدثني من سمع أبا بكر البرقاني وذكر تفسير النقاش فقال: ليس فيه حديث صحيح.

وقال هبة الله بن الحسن الطبري وذكر تفسير النقاش فقال: ذاك إشفاء الصدور وليس شفاء الصدور. هذا كله من تاريخ أبي بكر بن علي.

وقال محمد بن إسحاق: له من الكتب: كتاب الإشارة في غريب القرآن، كتاب الموضح في معاني القرآن، كتاب المناسك، كتاب فهم المناسك، كتاب أخبار القصاص، كتاب دم الحسد، كتاب دلائل النبوة، كتاب الأبواب في القرآن، كتاب إرم ذات العماد، كتاب المعجم الأوسط، كتاب المعجم الأصغر، كتاب المعجم الأكبر في أسماء القراء وقراءاتهم، كتاب السبعة الأوسط، كتاب السبعة الأصغر، كتاب التفسير الكبير اثنا عشر ألف ورقة، كتاب العقل، كتاب ضد العقل.

حدث القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني قال: أخبرنا محمد بن الحسن بن زياد النقاش المقرئ قال: لقيت رقعة قد رفع فيها إلى القاضي أبي بكر أحمد بن موسى الأنطاكي:

صانك الله عن مقام الدنات	أي هذا القاضي الكبير بعدل
من غزال مورد الوجنات؟	أيكون القصاص في فتك لحظ
مبتلي بالزفير والحسرات؟	أم يخاف العذاب من هو صب
ك له زاجر عن الشبهات	ليس إلا العفاف والصوم والنس
	فأخذ الرقعة وكتب على ظهرها:
وعظيم الأشجان واللوعات	يا ظريف الصنيع والآلات
بل ترقبت رفعة الدرجات	إن تكن عاشقاً فلم تأت ذنباً
من تعلفته من الحجرات	فلك الحق واجباً إن عرفنا
إذ تنكبت موبق الشبهات	أن أكون الرسول جهراً إليه
ظ حبيب أخطى طريق القضاة	ومتى أقصى بالقصاص على لح

محمد بن الحسن بن جمهور القمي الكاتب

أبو علي. قال أبو علي التنوخي: وكان من شيوخ أهل الأدب بالبصرة وكثر الملازمة لأبي، وحرر لي خطي لما قويت على الكتابة لأنه كان جيد الخط حين الترسل كثير المصنفات لكتب الأدب، فكثرت ملازمتي له، وكان يمدح أبي فأنشدني لنفسه وه من مشهور شعره:

وضايق بالهجر صدري	إذا تمنع صبري
وقد خلوت بفكري	ناديت والليل داج
وصال يوم بعمرى	يا رب هب لي منه

وأنشدني أيضاً لنفسه:

كثرت عندي أيادي
فأحاطت بجميع ال
فمتى ازددتك منها
كنت كالناقص منها

قلت أنا: وهو صاحب النوادر مع زامهر المغنية جارته المنصورية.

محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن

ابن الحسين بن محمد بن سليمان بن داود بن عبيد الله ابن مقسم أبو بكر العطار المقرئ، ولد سنة خمس وستين ومائتين، ومات لثمان خلون من ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، سمع أبا مسلم الكجي وثعلباً وإدريس ابن عبد الكريم وغيرهم. روى عنه ابن رزقويه وابن شاذان وغيرهما. وكان ثقة من أعرف الناس بالقراءات وأحفظهم لنحو الكوفيين، وله في معاني القرآن كتاب سماه الأنوار وما رأيت مثله، وله عدة تصانيف: ولم يكن له عيب إلا أنه قرأ بحروف تخالف الإجماع واستخرج لها وجوهاً من اللغة والمعنى مثل ما ذكر في كتاب الاحتجاج للقراء في قوله تعالى: (فلما استيأسوا منه خلصوا نجباء) بالباء لكان جائزاً هذا مع كونه يخالف الإجماع بعيد من المعنى، إذ لا وجه للنجابة عند يأسهم من أخيهما إنما اجتمعوا يتتاجون. وله كثير من هذا الجنس من تصحيف الكلمة واستخرج وجه بعيد لها مع كونها لم يقرأ بها أحد.

وحدث أبو بكر الخطيب قال: ومما طعن به على أبي بكر بن مقسم أنه عمد إلى حروف من القرآن فخالف الإجماع فيها وقرأها على وجوه ذكر أنها تجوز في اللغة والعربية، وشاع ذلك عنه عند أهل العلم فأذكروه، وارتفع الأمر إلى السلطان فأحضره واستتابه بحضرة القراء والفقهاء فأذعن بالتوبة وكتب محضراً بتوبته، وأثبت جماعة من حضر ذلك المجلس خطوطهم فيه بالشهادة عليه. وقيل إنه لم ينزع عن تلك الحروف وكان يقرأ بها إلى حين وفاته.

قال الخطيب: وقد ذكر حاله أبو طاهر بن أبي هاشم المقرئ صاحب ابن مجاهد في كتابه الذي سماه كتاب البيان فقال: وقد نبغ نابغ في عصرنا هذا فزعم أن كل ما صح عنده وجه في العربية كحرف من القرآن يوافق خط المصحف، فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها فابتدع بقلبه ذلك بدعه ضل بها قصد السبيل، وأورط نفسه في مزلة عظمت بها جنايته على الإسلام وأهله، وحاول إلحاق كتاب الله من الباطل ما لا يأتيه من بين يديه ولا خلفه، إذ جعل لأهل الإلحاد في دين الله بسئ رأيه طريقاً من بين يدي أهل الحق بتخيير القراءات من جهة البحث والاستخراج بالأراء دون الاعتصام والتمسك بالأثر المفترض.

وقد كان أبو بكر شيخنا نضر الله وجهه يسأله عن بدعته المضلة باستتابة منها، وأشهد عليه الحكام والشهود المقبولين عند الحكام بترك ما أوقع نفسه فيه من الضلالة بعد أن سئل البرهان على صحة ما ذهب إليه فلم يأت بباطل، ولم يكن له حجة قوية ولا ضعيفة، فاستوهم أبو بكر رضي الله عنه تأديبه من السلطان عند توبته وإظهاره الإقلاع عن بدعته، ثم عاود في وقتنا هذا إلى ما كان ابتدعه واستغوى به أصاغر المسلمين ممن هم في الغفلة والغباء دونه ظناً منه أن ذلك يكون للناس ديناً، وأن يجعلوه فيما ابتدعه إماماً، ولن يعدو ما ضل به مجلسه، لأن الله تعالى قد أعلمنا أنه حافظ لكتابه من لفظ الزائغين وشبهات الملحدين بقوله تعالى: (إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون). وقد دخلت عليه شبهة لا يخيل بطولها وفسادها على ذي لب وذلك أنه قال: لما كان لخلف بن هشام وأبي عبيد وابن سعدان أن يختاروا وكان ذلك مباحاً لهم غير منكر، كان ذلك أيضاً مباحاً غير مستنكر. فلو كان هذا حذوهم وسلك طريقهم كان لعمرى له غير مستنكر، ولكنه سلك من الشذوذ ما لا يقول به إلا مبتدع. قال الخطيب: وذكر أبو طاهر كلاماً كثيراً نقلنا منه هذا المقدار وهو في كتابه مستقصي. وحدث فيما أسنده إلى أحمد الفرسي قال: رأيت في المنام كأنني في المسجد الجامع أصلي مع الناس، وكان ابن مقسم قد ولي ظهره للقبلة وهو يصلي مستدبرها، فأولت ذلك مخالفته الأئمة فيما اختاره لنفسه من القراءات. وذكر محمد بن إسحاق فقال: مات في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة. وله من الكتب: كتاب الأنوار في تفسير القرآن، كتاب المدخل إلى علم الشعر، كتاب الاحتجاج في القراءات، كتاب في النحو كبير كتاب المقصور والممدد، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب الوقف والابتداء، كتاب المصاحف، كتاب عدد التمام، كتاب أخبار نفسه، كتاب مجالسات ثعلب، كتاب مفرداته، كتاب الانتصار لقراء الأمصار، كتاب الموضح، كتاب شفاء الصدور، كتاب الأوسط، كتاب اللطائف في جمع هجاء المصاحف، كتاب في قوله تعالى: (ومن يقتل) والرد على المعتزلة. ولابن مقسم ابن يكنى أبا الحسن وكان حفظة عالماً، له كتاب عقلاء المجانين.

محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي

أبو علي، ذكره الخطيب في تاريخه فقال: روي عن أبي عمرو عنه أخباراً في مجالس الأدب، قلت أنا: وأدرك ابن دريد وأخذ عنه، وهو من حذاق أهل اللغة والأدب شديد العارضة، وكان مبغضاً إلى أهل العلم فهجاه ابن الحجاج وغيره بأهـاج مرة. ومات سنة ثمان وثمانين وثلثمائة. وذكره الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر فقال: محمد بن الحسن الحاتمي حسن التصرف في الشعر موف على كثير من شعراء العصر وأبوه أيضاً شاعر. وأبو علي شاعر كاتب يجمع بين البلاغة في النثر والبراعة في النظم، وله الرسالة المعروفة في وقعة الأدهم قال: وليس يحضرني من شعره إلا بيتان:

لي حبيب لو قيل لي ما تمنى ما تعديته ولو بالمنون

أشتهي أن أحل في كل جسم فأراه بلحظ تلك العيون

قال: ومما اخترته لأبيه قوله من قصيدة في القادر بالله أمير المؤمنين - رحمه الله - وأولها:

حي رسم الغميم محي الغميما إن فقدت الهوى فحي الرسوما

وذكر قصيدة. وذكره أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الحصري في كتاب النورين، وذكر أشعار في قصر الليل وطوله فقال: وقال بعض أهل العصر وهو أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي:

يا رب يوم سرور خلته قصراً كعارض البرق في أفق الدجى برقاً

قد كاد يعثر أولاه بآخره وكاد يسبق منه فجره الشفقاً

كأنما طرفاه طرف اتفق الـ جفنان منه على الإطراق وافترقا

قال: وقد ملح الحاتمي في وصف الثريا:

وليل أقمنا فيه نعمل كأسنا

ونجم الثريا في السماء كأنه إلى أن بدا للصبح في الليل عسكر

على حلة زرقاء جيب مدنو ونجم الثريا في السماء كأنه

وللحاتمي تصانيف عدة منها: كتاب حلية المحاضرة في صناعة الشعر، كتاب الموضحة في مساوي المتنبي، كتاب الهلـباجة في صنعة الشعر، كتاب سر الصناعة في الشعر أيضاً، كتاب الحالي والعاطل في الشعر أيضاً، كتاب المجاز في الشعر أيضاً، كتاب الرسالة الناجية، كتاب مختصر العربية، كتاب في اللغة لم يتم، كتاب عيون الكاتب، كتاب الشراب رسالة، كتاب منتزع الأخبار ومطبوع الأشعار، كتاب المعيار والموازنة لم يتم، كتاب المغسل وهي الرسالة الباهرة في خصال أبي الحسن البتي.

قرأت في كتاب الهلـباجة من تصنيفه وهو كتاب صنفه للوزير أبي عبد الله بن سعدان في رجل سبعة عنده وسمي الرجل الهلـباجة من غير أن يصرح باسمه قال فيه: وقد خدمت سيف الدولة - تجاوز الله عن فرطاته - وأنا ابن تسع عشرة سنة تميل بي سنة الصبا، وتنقاد بي أريحية الشباب بهذا العلم، وكان كلفاً به علفاً علاقة المغرم بأهله منقياً عن أسرارهم، ووزنت في مجلسه تكريمة وإدناء وتسوية في الرتبة - ولم تسفر خدائي عن عذاريهما - بأبي علي الفارسي وهو فارس العربية وحائز قصب السبق فيها منذ أربعين سنة، وبأبي عبد الله بن خالويه وكان له السهم الفائز في علوم العربية تصرفاً في أنواعه، وتوسعاً في معرفة قواعده وأوضاعه، وبأبي الطبيب اللغوي وكان كما قيل حتف الكلمة والشروء حفظاً وتيقظاً، وناز عتالعلماء ومدحت في مصنفاتهم، وعددت في الأفراد الذين منهم أبو سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني، وأبو سعيد المعلى وقده الأعلى، واتخذت بعضاً ممن كان يقع الإيـماء إليه سخرة وأنا إذ ذاك غزير الغزارة، تميد بي أسرار السرور ويسري علي رخاء الإقبال، وأختال في ملاة العز في بلهنية من العيش وخفض من النعيم، وخطوب الدهر راقدة وأيامه مساعدة. وأنشد لنفسه في هذا الكتاب يمدح سيف الدولة:

تأوبني هم من الليل وارد وعاودني من لـاعج الوجد عائد

فبت قضيب الجنب مسترجف الحشا كأنني سقتني سمهن الأوساد

كأن القنا فيه على القرن ضاغن وحد الحسام الهندواني حاقد

قصمت به الإشراك وهو مقوم وقومت دين المصطفى وهو مائد

فلا يشفق الإسلام من سوء عثرة وفي الروع من آل ابن حمدان ذائد

وأنشد لنفسه في هذا الكتاب أبيضاً ضمنها أعجاز أبيات للنايعة وهي في الحماسة:

لا يهـنأ الناس ما يرعون من كالأ وما يسوقون من أهل ومن مال

فقال الحاتمي:

وليلة عنها الصبح داجية لبستها بمطول الجرى هطال

وقد رمى البين شعب الحي فاقتسموا أيدي سبا بين تقويض وترحال

وما يسوقون من أهل ومن مال
أمسي ببلدة لا عم ولا خال
إلى ذوات الذرى حمال أثقال
هذا عليها وهذا تحتها بال

فناسبت أنجم الأفاق عيسهم
ترى الهلال نحيلاً في مطالعة
والجدي كالطرف يستن المراح به
والليل والصبح في غيراء مظلمة

وفي هذا الكتاب لنفسه في الهلابة الذي صنف الكتاب لأجله:

لقد سخف الفعلي لما تحذقا
ويا رب وجه حذفه لزينة
فنكر في تعريفه ما تعرفا
فأصبح من قبح لصاحبه قفا

وهذه مخاطبة جرت بين أبي الطيب المتنبي وبين علي الحاتمي حكيتها كما وجدتها. قال أبو علي الحاتمي: كان أبو الطيب المتنبي عند وروده مدينة السلام التحف رداء الكبر وأزال ذبول التيه وصعر خده ونأى بجانبه، وكان لا يلقى أحداً إلا نافضاً مذبذبة، رافلاً من التيه في برويه، يخيل إليه أن العلم مقصور عليه، وأن الشعر بحر لم يغترف نمير مائة غيره، وروض لم يرع نواره سواه، فدل بذلك مديدة أجرته رسن الجهل فيها، فظل يمرح في تنبيهه حتى إذا تخيل أنه القريع الذي لا يقارع، والنزيع الذي لا يجارى ولا ينازع، وأنه رب الغلب ومالك القصب، وثقلت وطأته على أهل الأدب بمدينة السلام، فطأ كثيراً منهم رأسه وخفض جناحه وطامن على التسليم له جأشه، وتخيل أبو محمد المهلب أن أحداً لا يقدر على مساجلته ومجاراته، ولا يقوم لتنبهه بشيء من مطاعنه، وساء معز الدولة أن يرد عن حضرة عدوه رجل فلا يكون في مملكته أحد يماثله في صناعته، ويساويه في منزلته. نهدت حينئذ منتبهاً عواره، ومتعقباً آثاره، ومطفياً ناره، ومهتكا أستاره، ومقلماً أظفاره، وناشراً مطاويه، وممزقاً جلباب مساويه، متحنياً أن تجمعنا دار فأجري أنا وهو في مضمار يعرف فيه السابق من المسبوق، حتى إذا لم أجد ذلك قصدت موضعه الذي كان يحله في ربح حميد، فوافق مصيري إليه حضور جماعة تقرأ شيئاً من شعره عليه، فحين أودن بحضوري واستؤذن عليه لدخولي نهض عن مجلسه مسرعاً، ووارى شخصه عني مستخفياً، فنزلت عن بغلة كانت تحتي ناحية وهو يراني نازلاً عنها لانتهائي بها إلى أن حاذيته، فجلست في موضعه وإذا تحته قطعة من زيلو مخلقة قد أكلتها الأيام وتعاورتها السنون، فهي رسوم خافية وسلوك بادية، حتى وإذا خرج إلى نهضت إليه فوفيته حق السلام غير مشاح له في القيام، لأنه إنما اعتمد بنهوضه ألا ينهض لي عند موافاتي، وإذا هو قد لبس سبعة أقبية كل قباء منها لون، وكان الوقت آخر أيام الصيف وأخلفها بتخفيف اللبس، فجلست وجلس وأعرض عني ساعة لا يعبرني فيها طرفه، ولا يسألني عما قصدت له، وقد كدت أتميز غيظاً وأقبلت أسخف رأيي في قصده، وأفنده نفسي في التوجه نحو مثله. ولوى عذراه عني مقبلاً على تلك الزعفة التي بين يديه، كل واحد يومئ إليه ويوحى بطرفه، ويشير إلى مكاني بيده، ويوقظه من سنة جهله، ويأبى إلا ازوراراً ونفاراً وجرياً على شاكلة خلقه المشكلة، ثم رأى أن يثني رأسه إلي، فوالله ما زادني على أن قال: أي شيء خبرك؟ قلت أنا بخير لولا ما جنيت على نفسي من قصدك، وكلفت قدمي في المصير إلى مثلك، ثم تحدت عليه تحدر السيل إلى القرار وقلت له: أبين لي عافاك الله ممن تيهك وخيلاؤك وعجبك؟ وما الذي يوجب ما أنت عليه من التجبر والتنمر؟ هل ها هنا نسب في الأبطح تبحجت في بحبوحة الشرف وفرعت سماء المجد به؟ أم علم أصبحت علماً يقع الإيماء إليك فيه؟ هل أنت إلا وتد بقاع في شر البقاع؟ وجفاء سيل دفاع. يا الله استنتت الفصل حتى القرعى وإنني لأسمع جعجعة ولا أرى طحناً، فامتقع لونه عند سماع كلامي وعصب ريقه، وجحظت عيناه وسقط في يده، وجعل يلين في الاعتذار ليناً كاد يعطف عليه عطف صفحي عنه. ثم قلت: يا هذا، إن جاءك رجل شريف في نسبة تجاهلت نسبه، وأو عظيم في أدبه صغرت أدبه، أو متقدم عند سلطانه لم تعرف موضعه، فهل العز تراث لك دون غيرك؟ كلا والله! لكنك مددت الكبر سترأ على نقصك، وضربت رواقاً دون جهلك. فعاد إلى الاعتذار، وأخذت الجماعة في تليين جانبي والرغبة إلي في قبول عذره واعتماد مياسرته، وأنا أبي إلا استشرأ واجترأ، وهو يؤكد الأقسام ويواصلها أنه لم يعرفني فأقول: يا هذا، ألم يستأذن لي عليك باسمي ونسبي أما في هذه العصابة من يعرفك بي لو كنت جهلنتي؟ وهب ذلك كذلك، ألم ترني ممتطياً بغلة رائعة يعلوها مركب ثقيل وبين يدي عدة من الغلمان؟ أما شاهدت لباسي؟ أما شمعت نشر عطري؟ أما راعك شيء من أمري أتميز به في نفسك عن غيري؟ وهو في أثناء ما أكلمه يقول: خفض عليك، أرفق استأن، فأصبحت جانبي بعض الإصحاب ولان شماسي بعض الليان، وأقبل علي وأقبلت عليه ساعة ثم قلت: أشياء تختلج في صدري من شعرك أحب أن أرجعك فيها. قال وما هي؟ قلت خبرني عن قولك:

فإن كان بعض الناس سيفاً لدولة
أهكذا تمدح الملوك؟ وعن قولك:

ولا من في جنازتها تجار
أهكذا تؤبن أخوات الملوك؟ والله لو كان هذا في أدني عبيدها لكان قبيحاً. وأخبرني عن قولك:

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع
أهكذا تنسب بالمحبيين؟ وعن قولك في هجاء ابن كيغلق:

وإذا أشار محدثاً فكأنه
أما كان لك في أفانين الهجاء التي تصرفت فيها الشعراء مندوحة عن هذا الكلام الرذل الذي ينفر عنه كل طبع، ويمجه كل سمع.
وعن قولك:

وضاقت الأرض حتى ظن هاربهم
إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً
أفتعلم مرثياً يتناوله النظر لا يقع عليه اسم شيء؟ وما أراك نظرت إلا إلى قول جرير:
مازلت تحسب كل شيء بعدهم
خيلاً تكر عليهم ورجالاً
فأحلت المعنى عن جهته، وعبرت عنه بغير عبارته. وعن قولك:
أليس عجباً أن وصفك معجز
وأن ظنوني في معاليك تطلع
فاستعرت الظلع لظنونك، وهي استعارة قبيحة وتعجبت من غير متعجب، لأن من أعجز وصفه لم يستنكر قصور الظنون
وتحيرها في معاليه، وإنما نقلته وأنشدته من قول أبي تمام:
ترقت مناه طود عز لو ارتقت
به الريح فتراً لانتشت وهي ظالع
وعن قولك تمدح كافوراً:

فإن نلت ما أملت منك فربما
شربت بماء يعجز الطير ورده
إنها مدح أو ذم؟ قال: مدح. قلت: إنك جعلته بخيلاً لا يوصلك إلى خيره من جهته، وشبهت نفسك في وصولك إلى ما وصلت إليه
منه بشربك من ماء يعجز الطير ورده لبعده وترامي موضعه. وأخبرني أيضاً عن قولك في صفة كلب وظبي:
فصار ما في جلده في المرجل
فلم يضرنا معه فقد الأجل
فأي شيء أعجبك من هذا الوصف؟ أعذوبة عبارته؟ أم لطف معناه؟ أما قرأت رجز ابن هانئ و طرد ابن المعتز؟ أما كان
هناك من المعاني التي ابتدئها هذان الشاعران وعرر المعاني التي اقتضباها ما تتشاعل به عن بنيات صدرك هذه؟ وألا
اقتصرت على ما في أرجوزتك هذه من الكلام السليم ولم تسف إلى هذه الألفاظ القلقة والأوصاف المختلفة، فأقبل علي ثم قال:
أين أنت من قولي؟

كأن الهام في الهيجاء عيون
وقد صغت الأسنة من هموم
وأين أنت من قولي في صفة جيش؟
وفي فليق من حديد لو رميت به
وأين أنت من قولي؟
لو تعقل الشجر التي قابلتها
وأين أنت من قولي؟
أيقح في الخيمة العذل
وما اعتمد الله تقويضها
وفيها أصف كتيبة:
وملومة زرد ثوبها
وأين أنت عن قولي؟

الأناس ما لم يروك أشباه
والجود عين وأنت ناظرها
أما يلهيك إحساني في جميع هذه عن إساءتي في تلك؟ قلت: ما أعرف لك إحساناً في جميع ما ذكرته، إنما أنت سارق متبع،
وأخذ مقصر، وفيما تقدم من هذه المعاني التي ابتكرها أصحابها مندوحة عن التشاعل بقولك. فأما قولك: كأن الهام في الهيجا
عيون البيت فهو منقول من بيت منصور النمري:

فكأنما وقع الحسام بهامة
خدر المنية أو نعاس الهاجع
وأما قولك: في فليق، البيت فنقلته. نقلاً لم تحسن فيه من قول الناجم:
ولي في حامد أمل بعيد
مدح قد مدحت به طريف
مدح لو مدحت به اللبالي

والناجم إنما نظمه من قول أرسطاطاليس، قد تكلمت بكلام لو مدحت به الدهر لما دارت علي صروفه. وأما قولك: لو تعقل الشجر التي قابلتها البيت هذا معنى متداول تساجلته الشعراء وأكثرت فيه، فمن ذلك قول: الفرزدق:

يكاد يمسكه عرفان راحته
ثم تكرر في أفواه الشعراء إلى أن قال أبو تمام:

لو سعت بقعة لإعظام أخرى
وأخذه البحرى فقال:

لو أن مشتاقاً تكلف غير ما
وأما قولك: وما اعتمد الله تقويضها فقد نظرت فيه إلى قول رجل مدح بعض الأمراء بالموصل وقد كان عزم على السير فاندق لواؤه فقال:

ما كان مندق اللواء لريبة
لكن لأن العود ضعف متنه
وأما قولك: ولمومة زرد ثوبها فمن قول أبي نواس:

أمام خميس أرجوان كأنه
وأما قولك: الناس ما لم يروك أشباه، فمن قول علي ابن نضر بسام في عبيد الله بن سليمان يرثيه:
قد استوى الناس ومات الكمال
هذا أبو القاسم في نعشه
فقله: قد استوى الناس ومات الكمال، هو قولك: الناس ما لم يروك أشباه. فقال بعض من حضر: ما أحسن قوله: قوموا انظروا كيف تزول الجبال! فقال أبو الطيب: اسكت ما فيه من حسن، ألم يسرقه من قول النابغة الذبياني؟ يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم فقال الحاتمي فقلت: قد سرقه النابغة من أوس حين قال:

ألم تكسف الشمس شمس النها
لفقد فضالة لا يستوي ال

قلت: والله لئن كان أخذه فقد أحسن وأخفى الأخذ. فقال الرجل أجل. فقال المتنبي: يا محسد خذ بيده وأخرجه يريد بمحسد ابنه. فرجعت إلى أن تركه ثم قلت له: وأما قولك: والدهر لفظ وأنت معناه، فمن قول من قول الأخطل إن كان البيت له في عبد الملك بن مروان:

وإن أمير المؤمنين وفعله
وقد قال جرير حين قال له الفرزدق:

فإني أنا الموت الذي هو نازل
وقال جرير:

أنا الدهر بفنى والدهر خالد
ثم قلت له: أترى أن جريراً أخذ قوله: يفنى الموت من أحد، وأن أحداً شركه في إفناء الموت؟ ففكر طويلاً ثم قال لا، قلت: بلى عمران بن حطان حيث يقول:

لن بعجز الموت شيء دون خالقة
وكل كرب أمام الموت متضع

فأمات الموت وأحياء وما سبقه إلى ذلك أحد. ثم قلت له: أترى أن البيت المتقدم الذي يقول فيه: لك الدهر لا عار بما فعل الدهر، مأخوذ من أحد؟ فأطرق هنيهة ثم قال: وما تصنع بهذا؟ قلت يستدل على موضعك ومواضع أمثالك من سرقة الشعر. فقال: الله المستعان، أساء سمعاً فأساء إجابة، ما أردت ما ذهبت إليه. قلت: فإنه أخذه من قول النابغة وهو أول من ابتكره:

وعيرتني بنو ذبيان خشيته
ثم أخذه أبو تمام فأحسن بقوله:

خشعوا لصولتك التي هي فيهم
كالموت يأتي ليس فيه عار

قال: ومن أبو تمام؟ قلت: الذي سرقت شعره فأشددته. قال: هذه خلائق السفهاء لا خلائق العلماء. قلت أجل، أنت سفهت رأيي ولم يكن سفيهاً ألسنت القائل؟

ذي المعالي فليعلون من تعالى
شرف ينطح الثريا بروقي
قال بلى. قلت فإنك أخذت البيت الأول من بيت بكر بن النطاح:
يتلقى الندى بوجه حيي
هكذا هكذا تكون المعالي
وأخذت البيت الثاني فأفسدته من قول أبي تمام:

همة تتطح الثريا وجد
قال: وبأي شيء أفسدته؟ قلت: بأن جعلت للشرف قرناً، قال: وأني لك بذلك؟ قلت ألم تقل: ينطح السماء بروقيه؟ والروقان: القرنان؟ قلت أجل، إنما هي استعارة؟ قلت نعم، هي استعارة خبيثة. قال: أقسمت غير محرج في قسمي إنني لم أقرأ شعراً قط لأبي تمامكم هذا. فقلت: هذه سوءة لو سترتها كان أولى. قال: السوءة قراءة شعر مثله، أليس هو الذي يقول:
خشنت عليه أخت بني خشين
والذي يقول:

لعمري لقد حررت يوم لقيته
والذي يقول:

تكاد عطاياه يجن جنونها
والذي يقول:

تسعون ألفاً كأساد الشرى نضجت
والذي يقول:

ولي ولم يظلم وهل ظلم امرؤ
والذي يقول:

فضربت الشتاء في أذنيه
والذي يقول:

كانوا رداء زمانهم فتصدعوا
والذي يقول:

أقول لقرحان من البين لم يصب
ما قرحان البين أخرس الله لسانه؟ فأحفظني ذلك وقلت: يا هذا، من أدل الدليل على أنك قرأت شعر هذا الرجل تتبعك مساويه: فهل في الدالة على اختلافك إنكاره أوضح مما ذكرته؟ وهل يصم أبا تمام أو يسمه بميسم النقيصة ما عدته من سقطاته وتخونته من أبياته، وهو الذي يقول في النونية:

نوالك رد حسادي فلولاً
فهل اغتفرت لأول لهذا البيت الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله؟ وأما قوله:

تسعون ألفاً كأساد الشرى نضجت
أعمارهم قبل نضج التين والعنب
فلهذا البيت خبر لو استقربت صفحة لأقصرت عما تناولته بالطعن فيه. ثم قصصت الخبر وقلت في هذه القصيدة مالا يستطيع أحد من متقدمي الشعراء وأمرأ الكلام وأرباب الصناعة أن يأتي بمثله. قال: وما هو؟ قلت لو قال قائل: إن أحداً لم يبتدي بأوجز ولا أحسن ولا أخصر من قوله:

السيف أصدق أنباء من الكتب
لما عنف في ذلك وفيها يقول:

رمى بك الله برجيهما فهدمها
وفيها يقول:

لما رأى الحرب رأى العين توفلس
والحرب مشنقة المعنى من الحرب

وفيهما يقول:

فتح تفتح أبواب السماء له وتبرز الأرض في أبرادها القشب

وفيهما يقول:

بكر فما افترعتها كف حادثة ولا ترقى إليها همة النوب

وفيهما يقول:

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى
حتى كأن جلابيب الدجى رغب
يشبها وسطها صبح من الذهب
عن لونها وكأن الشمس لم تغب

وفيهما يقول:

أحبته معلناً بالسيف منصلتاً
وأما قوله: أقول لقرحان من البين، فإنه يريد رجلاً لم يقطعه أحبابه ولم يبينوا عنه قبل ذلك، وإذا كانت حاله كذلك كان موقع البين أشد عليه وأفت في عضده، والأصل في هذا: أن القرحان الذي لم يجدر قط. وقد قال جرير:
وكننت من زفرات البين قرحاناً
وفي هذه القصيدة من المعاني الرائعة، والتشبيهات الواقعة، والاستعارات البارة ما يغتفر معه هذا البيت وأمثاله. على أننا عن صحته معناه وعن أمثاله، فمن ذلك:

إذا العيس لاقت بي أبا دلف فقد
يرى أقبح الأشياء أوبة أمل
وأحسن من نور يفتحه الندى
وقد علم الأفسين وهو الذي به
بأنك لما استحكم النصر واكتسى
تجللته بالرأي حتى أريته
بأرشق إذ سالت عليهم غمامة
ولو كان يفنى الشعر أفناه ما قرت
ولكنه فيض العقول إذا انجلت
تقطع ما بيني وبين النوائب
كسته يد المأمول حلة خائب
بياض العطايا في سواد المطالب
يصان رداء الملك عن كل جاذب
إهابي تسقى في وجوه التجارب
به ملء عينيه مكان العواقب
جرت بالعوالي والتعاق الشوارب
حياضك منه في العصور الذواهب
سحائب جود أعقت بسحائب

فبهره مما أوردته ما قصر عنان عبارته، وحبس بنيات صدره، وعقل عن الإجابة لسانه، كاد يشغب لولا ما تخوفه من عاقبة شغبه، وعرفه من مكاني في تلك الأيام، وأن ذلك لا يتم له، فما زاد على أن قال: قد أكثرت من أبي تمام، لا قدس الله أبا تمام وذويه. قلت: ولا قدس السارق منه والواقع فيه. ثم قلت له: ما الفرق - في كلام العرب - بين التقديس والقداس والقادس؟ فقال: وأي شيء غرضك في هذا؟ قلت: المذاكرة. فقال: بل المهاترة ثم قال: التقديس: التطهير في كلام العرب، ولذلك سمي القدس قدساً لأنه يشتمل على الذي به الطهور، وكل هذه الأحرف تؤول إليه.

فقلت له: ما أحسبك أنعمت النظر في شيء من علوم العرب، ولو تقدمت منك مطالعة لها لما استجزت أن تجمع بين معاني هذه الكلمات مع تباينها، وذلك لأن القداس بتشديد الدال: حجر يلقي في البئر ليعلم به غزارة مائها من قلته، حكى ذلك ابن الأعرابي، والقداس: الجمان، حكى ذلك الخليل واستشهد بقوله: كنظم قداس سلكه متقطع والقداس: السفينة. قال الشاعر يصف ناقه:

وتهفو بهاد لها متلع كما اقتحم القداس الأردمونا

فلما علوته بالكلام قال: يا هذا، مسلمة إليك اللغة. قلت: وكيف تسلمها وأنت أبو عذرتها؟ ومن نصابها وسرها، وأولى الناس بالتحقق بها والتوسع في اشتقاقها والكلام على أفانينها، وما أحد أولى بأن يسأل عن لغته منك. فشرعت الجماعة الحاضرة في إعفائه وقبول عذره والتواطؤ له، وقال كل منهم: أنت أولى بالمراجعة والمياسرة لمثل هذا الرجل من كل أحد. وكننت قد بلغت شفاء نفسي وعلمت أن الزيادة على الحد الذي انتهيت إليه ضرب من البغي لا أراه في مذهبي، ورأيت له حق القدمة في صناعته. فطأطأت له كتفي واستأنفت جميلاً من وصفه، ونهضت فنهض لي مشيعاً إلى الباب حتى ركبت وأقسمت عليه أن يعود إلى مكانه، وتشاغل ببقية يومي بشغل عن لي تأخرت معه عن حضرة المهلب وانتهى إليه الخبر، وأتتني رسله ليلاً فأتيتته فأخبرته بالقصة على الحال، فكان من سروره وابتهاجه بما جرى ما بعثه على مباركة معز الدولة قانلاً له: أعلمت ما كان من فلان والمتنبّي؟ قال نعم، قد شفا منه صدورنا.

محمد بن الحسن الزبيدي الإشبيلي

أبو بكر النحوي اللغوي. سكن قرطبة من بلاد الأندلس، وأخذ عن أبي إسماعيل القالي، واعتمد عليه الحكم ابن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس - والحكم هو المتغلب على بلاد الغرب المتقلب بالمستنصر - في تعليم ولده، مات الزبيدي بإشبيلية في جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وثلاثمائة. كذا ذكر ابن بشكوال.

وقال الحميدي: توفي قريباً من سنة ثمانين وثلاثمائة، وروى عنه غير واحد منهم: ابنه الوليد محمد وإبراهيم ابن محمد الأقبلي النحوي وغيرهما. والزبيدي نسبة إلى زبيد ابن صعب بن سعد العشيرة رهط عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وقد ذكر الحميدي في كتابه في باب الحسن بن عبد الله ابن مذحج بن محمد بن عبيد الله بن بشير بن أبي حمزة بن ربيعة بن مذحج بن الزبيدي: سمع بالأندلس من عبيد الله بن يحيى ابن يحيى الليثي ومن غيره وسمع. وكانت وفاته بالأندلس قريباً من سنة عشرين وثلاثمائة، وقد سمعت من يقول: إنه والد أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي مؤلف كتاب الواضح، ويشبه أن يكون ذلك والله أعلم.

قال الحميدي: أبو بكر الزبيدي من الأئمة في اللغة والعربية، وألف في النحو كتاباً سماه كتاب الواضح. واختصر كتاب العين اختصاراً حسناً، وله كتاب في أبنية سيبويه، وله كتاب ما يلحن فيه عوام الأندلس، وكتاب طبقات النحويين.

قال المؤلف: وقد نقلت إلى كتابي هذا ما نسبته إليه. وبلغني أن أهل الغرب يتنافسون في كتبه خصوصاً كتابه الذي اختصره من كتاب العين، لأنه أتمه باختصاره وأوضح مشكله، وزاد فيه ما عساه كان مفقداً إليه، وله غير ما ذكرناه من التصانيف في كل نوع من الأدب.

قال الحميدي: وكان شاعراً كثير الشعر، أخبرنا أبو عمر ابن عبد البر قال: كتب الزبيدي إلى أبي مسلم بن فهد:

أبا مسلم إن الفتى بجنانه
ومقوله لا بالمراكب واللبس
وليس ثياب المرء تغني قلامه
إذا كان مقصوراً على قصر النفس
وليس يقيد العلم والحلم والحجى
أبا مسلم طول القعود على الكرسي

قال: وقال أبو محمد علي بن أحمد: كتب الوزير أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي إلى صاحب الشرطة أبي بكر محمد ابن الحسن الزبيدي بمنظوم بين له فيه الخطأ بتصريح وهو:

قل للوزير السني محتده
لي ذمة منك أنت حافظها
عناية بالعلوم معجزة
قد بهظ الأولين باهظها
يقر لي عمرها ومعمرها
فيها ونظامها وجاحظها
قد كان حقاً قبول حرمتها
لكن صرف الزمان لافظها
وفي خطوب الزمان لي عظة
لو كان يثني النفوس واعظها
إن لم تحافظ عصاة نسبت
إليك قدماً فمن يحافظها؟
لا تدعن حاجتي مطرحة
فإن نفسي قد فاظ فائظها

فأجابه المصحفي:

خفض فواقاً فأنت أوحدها
علماً ونقابها وحافظها
كيف تضع العلوم في بلد
أبناءه كلهم تحافظها؟
ألفاظهم كلها معطلة
ما لم يعول عليك لافظها
من ذا يساويك إن نطقت وقد
أقر بالعجز عنك جاحظها؟
علم ثنى العالمين عنك كما
ثنى سنا الشمس من يلاحظها
فقد أنتني فديت شاغله
لنفس أن قلت فاظ فائظها
فأوضحنها نفرز بنادرة
قد بهظ الأولين باهظها

فأجابه الزبيدي وضمن الشعر الشاهد على ذلك:

أثنائي كتاب من كريم مكرم
فسر جميع الأولياء وروده
لقد حفظ العهد الذي قد أضاعه
وباحث عن فاضلت وقبلي قالها
روى ذاك عن كيسان سهل وأنشدوا
فلا حفظ الرحمن روحك حية
قال الحميدي: قال لي أبو محمد: وقد يقال: فاضت نفسه بالضاد، ذكر يعقوب ابن السكيت في كتاب الألفاظ له. قال: وله - وقد استأذن الحكم المستنصر في الرجوع إلى إشبيلية فلم يأذن له فكتب إلى جارية له هناك تدعى سلمى :-
ويحك يا سلم لا تراعي
لا تحسبيني صبرت إلا
ما خلق الله من عذاب
ما بينها والحمام فرق
إن يفترق شملنا وشيكا
فكل شمل إلى افتراق
وكل قرب إلى بعاد
قال المؤلف: هذا آخر ما كتبنا من كتاب الحميدي وهو الذي وجدناه فيه من خبره.

محمد بن الحسن المذحجي أبو عبد الله

يعرف بان بالكتاني، ذكره الحميدي في تاريخ الأندلس وقال: له مشاركة قوية في علم الأدب والشعر، وله تقدم في علوم الطب والمنطق والكلام في الحكم، ورسائل في كل ذلك وكتب معروفة، مات بعد الأربعمائة، وله كتاب محمد وسعدي مليح في معناه.

ومن شعره:

ألا قد هجرنا الهجر واتصل الوصل
فسعدي نديمي والمدامة ريقها
ومنه أيضاً:
نأيت عنكم فلا صبر ولا جلد
أضحى الفراق رفيقاً لي يوصلني
وبالوجوه التي تبدو فأنشدها
إذا رأيت وجوه الطير قلت لها:
وبانت ليالي البين واشتمل الشمل
ووجنتها روضي وقبلتها النقل
وصحت واكبدني حتى مضت كبدي
بالبعد والشجو والأحزان والكمد
وقد وضعت على قلبي يدي بيدي
لا بارك الله في الغربان والصرد

محمد بن الحسن الجبلي النحوي

ذكره الحميدي في تاريخه أيضاً، وهو أديب شاعر كثير القول كان يقرأ عليه الأدب وأنشدني لنفسه:
وما الأنس بالأنس الذين عهدتهم
إذا سلمت نفسي وديني منهم
قال ابن ماکولا: قتل سنة خمس وأربعمائة، وقال لي الحميدي: تركته حياً.
بأنس ولمن فقد أنسهم أنس
فحسبي أن العرض مني لهم ترس

محمد بن الحسن البرجي

الأديب الأصفهاني قال ابن مندة: مات في محرم سنة ثمان وأربعين وأربعمائة.

محمد بن الحسين الفارسي

بن محمد بن الحسين بن عبد الوارث أبو الحسين الفارسي النحوي ابن أخت أبي علي الفارسي، وأخذ عن خاله علم العربية، وطوف الأفاق ورجع إلى الوطن، وكان خاله أوقده على الصاحب بن عباد إلى جهة الري فارتضاه وأكرم مثواه، ثم تغرب أبو الحسين ولقي الناس في انتقاله، وورد خراسان ونزل بنيسابور دفعات، وأملى بها من الأدب والنحو ما سارت به الركبان، وآل أمره إلى أن وزر للأمير شاد عرسي ستان ثم أختص بالأمير إسماعيل بن سيكتكين بغزنة ووزر له، ثم عاد إلى نيسابور، ثم توجه إلى مكة وجاور بها ثم عاد إلى غزنة ورجع إلى نيسابور، ثم انتقل إلى أسفراين، ثم استوطن جرجانة إلى أن مات، وقرأ عليه أهلها منهم: عبد القاهر الجرجاني وليس له أستاذ سواه، وللصاحب بن عباد مكاتبات إليه مدونة، وله تصانيف منها: كتاب الهجاء، وكتاب الشعر. مات سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، ومن شعره:

ولا غصن إلا ما حواه قباؤه ولا دعص إلا ما خبته مآزره
وأمضى من السيف المنوط بحضره إذا شيم سيف تنتضيه محاجر

محمد بن الحسين الطبري

بن محمد الطبري النحوي يعرف بابن نجدة مشهور في أهل الأدب، وله خط مرغوب فيه، قرأ على الفضل بن الحباب الجمحي بن خليفة، ومن شعره:

شفاء العمى حسن السؤال وإنما يطيل العمى طول السكوت على الجهل
فكن سائلاً عما عناك فإنما خلقت أخوا عقل لتسأل بالعقل

محمد بن حمد بن محمد

بن عبد الله بن محمود ابن فورجة بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المفتوحة وفتح الجيم، والبروجردى، أديب فاضل مصنف، له كتاب الفتح على أبي الفتح، والتجني على ابن جني، يرد فيه على أبي الفتح بن جني في شرح شعر المتنبي، ومولده في ذي الحجة سنة ثلاثين وثلاثمائة، كان موجوداً سنة خمس وخمسين وأربعمائة ومن شعره:

أيها القتالي بعينيهِ رفقاً إنما يستحق ذا من قلاكا
أكثر اللائمون فيك عتابي أنا واللائمون فيك فداكا
إن لي غيرة من اسمي إنه دائماً يقبل فاكا

محمد بن حيويه بن المؤمل

الوكيل أبو بكر بن أبي روضة الكرجي النحوي، روي عن إبراهيم بن الحسين، ومحمد بن المغيرة السكري من أهل همدان، وروي عنه كامل بن أحمد النحوي، وأبو الحسن ابن الصباح، وأبو سعد بن عبد الرحمن بن محمد الإدريسي السمرقندي الحافظ وقال لا أعتمد عليه، وقد تكلموا فيه، وليس عندهم بذلك، وسئل عن سنة فقال: مائة واثنيتي عشرة سنة، ومات سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة.

محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي

أبو عبد الله، كان مولى لبني هاشم لأنه من موالى العباس ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان أبوه زياد عبداً سندياً، وكان من أكابر أئمة اللغة المشار إليهم في معرفتها نحويًا، لم يكن للكوفيين أشبه برواية البصريين منه رواية لأشعار القبائل ناسباً. وكان ربيباً للمفضل الضبي، سمع منه الدواوين وصححها، وأخذ عن الكسائي كتاب النوادر، وأخذ عن أبي معاوية الضرير والقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود القاضي، وأخذ عنه إبراهيم الحربي، وأبو عكرمة الضبي، وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، وابن السكيت، وكانت طريقته طريقة الفقهاء والعلماء، وكان أحفظ الناس للغات والأيام والأنساب.

وقال أبو العباس ثعلب: قال لي ابن الأعرابي: أملت قبل أن تجيئني يا أحمد حمل جمل. وقال ثعلب: انتهى علم اللغة والحفظ إلى ابن الأعرابي، وكان يزعم أن الأصمعي وأبا عبيدة لا يحسنان قليلاً ولا كثيراً.

وقال ثعلب: سمعت ابن الأعرابي يقول في كلمة رواها الأصمعي: سمعت من ألف أعرابي خلاف ما قاله الأصمعي. وقال: شاهدت ابن الأعرابي وكان يحضر مجلسه زهاء مائة إنسان، كل يسأله أو يقرأ عليه ويجيب من غير كتاب. قال: ولزمته بضعة عشرة سنة ما رأيته يبده كتاباً قط، وما أشك في أنه أُملي على الناس ما يحمل على أجمال، ولم ير أحد في علم الشعر واللغة أغزر منه.

وقال محمد بن الفضل الشعراني: كان للناس رؤساء، كان سفيان الثوري رأساً في الحديث، وأبو حنيفة رأساً في القياس، والكسائي رأساً في القرآن، فلم يبق الآن رأس في فن من الفنون أكبر من ابن الأعرابي فإنه رأس في كلام العرب، وكان ممن وسم بالتعليم، فكان يأخذ كل شهر ألف درهم فينفقها على أهله وإخوانه، وتماسك في آخر أيامه بعد سوء حاله. ويحكى أنه اجتمع أبو عبد الله بن الأعرابي وأبو زياد الكلابي على الجسر ببغداد، فسأل أبو زياد ابن الأعرابي عن قول النابغة على ظهر منبأة فقال: النطع يفتح النون وسكون الطاء، فقال أبو زياد: النطع بكسر النون وفتح الطاء. فقال أبو عبد الله نعم. وإنما أنكر أبو زياد النطع يفتح النون وسكون الطاء لأنها لم تكن لغته، ورأى ابن الأعرابي في مجلسه يوماً رجلين يتحدثان فقال لأحدهما: من أين أنت؟ فقال من أسفيج، وقال للآخر من أين أنت؟ فقال من الأندلس، فعجب من ذلك وأنشد

رفيقان شتى ألف الدهر بيننا
وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

ثم أُملي علي من حضر مجلسه بقية الأبيات الآتية

نزلنا على قيسية يمنية
فقلت وأرخت جانب الستر بيننا
فقلت لها: أما رفيقي فقومه
رفيقان شتى ألف الدهر بيننا
لها نسب في الصالحين هجان
لأية أرض أم من الرجال؟
تميم وأما أسرتي فيماني
وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

وحكى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم وابن الأعرابي فتجاذبا الحديث إلى أن حكى أبو نصر أن أبا الأسود دخل على عبيد الله بن زياد وعليه ثياب رثة فكساه ثياباً جدداً من غير أن يعرض به بسؤال فخرج وهو يقول:

كساك ولم تستكسه فاحمدنه
فإن أحق الناس إن كنت مادحاً

فأنشد أبو نصر قافية البيت الأول، وياصر بالياء يريد ويعطف، فقال له ابن الأعرابي وناصر بالنون، فقال دعني يا هذا ويا صرى عليك بناصرك. وحدث الصولي قال: غني في مجلس الواثق بشعر الأخطل:

وشارب مربح بالكأس نادمني
لا بالحصور ولا فيها بسوار

فقل بسوار وبسائر، فوجه إلى ابن الأعرابي وهو يومئذ بسر من رأي فسأل عن ذلك فقال: بسوار يريد بوثاب أي لا يثب على ندمائه، وبسائر: أي لا يفضل في القدر سؤره وقد روي جميعاً، فأمر له الواثق بعشرة آلاف درهم. وحكى عن ابن الأعرابي أنه روي قول الشاعر:

ولا عيب فينا غير عرق لمعشر
كرام وأنا لا نخط على النمل

نخط بحاء مهملة وقال معناه: إنا لا نخط على بيوت النمل لنصيب ما جمعه وهذا تصحيف، وإنما الرواية لا نخط على النمل واحدها نملة، وهي قرحة تخرج بالجانب تزعم المجوس أن ولد الرجل إذا كان من أخته ثم خط على النملة شفى صاحبها، ومعنى البيت: إنا لسنا بمجوس ننكح الأخوات. وعن أبي عمران قال: كنت عند أبي أيوب أحمد ابن محمد بن شجاع فبعث غلامه إلى أبي عبد الله بن الأعرابي يسأله المجيء إليه فعاد إليه الغلام فقال: قد سألته ذلك فقال لي: عندي قوم من الأعراب، فإذا قضيت أربي معهم أتيت. قال الغلام: وما رأيت عنده أحداً إلا أنني رأيت بين يديه كتباً ينظر فيها، فينظر في هذا مرة وفي هذا مرة، ثم ما شعرنا حتى جاء فقال له أيوب: إنه ما رأى عندك أحداً وقد قلت له أنا مع قوم من الأعراب، فإذا قضيت أربي أتيت فأنشد:

لنا جلساء ما نمل حديثهم
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى
ألباء مأمونون غيباً ومشهدا
وعقلاً وتأديباً ورأياً مسددا

فلا فتنة نخشى ولا سوء عشرة
فإن قلت أموات فما أنت كاذب

ولا نتقي منهم لساناً ولا يدا
وإن قلت أحياء فلست مفنداً

وقال محمد بن حبيب: سأل أبا عبد الله بن الأعرابي في مجلس واحد عن بضع عشرة مسألة من شعر الطرماح يقول في كلها لا أدري ولم أسمع، أفأحدث لك برأيي؟ وقال أبو العباس ثعلب: سمعت ابن الأعرابي يقول: من لا قبول عليه فلا حياة لأدبه. وقال: ما رأيته قوماً أكذب على اللغة من قوم يزعمون أن القرآن مخلوق. واغتاب رجل عنده بعض العلماء فقال له: لو لم نقل فينا ما قلت عندنا فلا تجلس إلينا. وله من التصانيف كتاب النوادر وهو كبير، كتاب الأنواء، كتاب صفة النخل، كتاب صفة الزرع، كتاب الخيل، كتاب النبت والبقول، كتاب نسب الخيل، كتاب تاريخ القبائل، كتاب تفسير الأمثال، كتاب النبات، كتاب معاني الشعر، كتاب صفة الدرع، كتاب الألفاظ، كتاب نوادر الزبيريين، كتاب نوادر بني فقعس، كتاب الذباب وغير ذلك.

قال أبو العباس ثعلب: سمعت ابن الأعرابي يقول: ولدت في الليلة التي مات فيها أو حنيفة. وقال أبو غالب علي بن النضر: توفي ابن الأعرابي سنة ثلاثين ومائتين، وقيل سنة إحدى وثلاثين، وقيل سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وقد بلغ من العمر إحدى وثمانين سنة وأربع أشهر وثلاثة أيام، وكانت وفاته في خلافة الواثق بن المعتصم، وصلى عليه قاضي أحمد بن أبي داود الإيادي.

محمد بن زيد بن مسلمة

أبو الحسن النحوي المعروف بابن أبي الشمليين، لا أعرف من حاله إلا ما قرأته في كتاب أدب المريض والعائد لأبي شجاع البسطامي قال: كتب أبو محمد بن علي بن سمعون النرسي الحافظ بخطه وأذن لنا في روايته عنه: أخبرنا محمد بن علي بن عبد الرحمن، أنشدنا أبو الحسن محمد بن زيد بن مسلمة النحوي قال: أنشدنا أبو علي الفارسي والسيرافي قالاً: أنشدنا أبو بكر السراج قال: عدنا أبا الحسن ابن الرومي في مرضه فأنشدنا لنفسه:

ولقد سئمت مآربي
إلا الحديث فإنه
فكان أطيبها خبيث
مثل اسمه أبداً حديث

محمد بن السري بن سهل

أبو بكر السراج البغدادي النحوي. قال المرزباني: كان أحدث أصحاب أبي العباس الميرد مع ذكاء وفطنة، قرأ عليه كتاب سيبويه، ثم اشتغل بالموسيقى فسل عن مسألة بحضرة الزجاج فأخطأ في جوابها فوبخه الزجاج وقال مثلك يخطئ في مثل هذه المسألة؟ والله لو كانت في منزلي لضربتك، ولكن المجلس لا يحتمل ذلك. فقال: قد ضربتني يا أبا إسحاق، وكان علم الموسيقى قد شغلني عن هذا الشأن، ثم رجع إلى كتاب سيبويه ونظر في دقائقه، وعول على مسائل الأخفش والكوفيين، وخالف أصول البصريين في مسائل كثيرة. ويقال: ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله، وكان أحد العلماء المذكورين وأئمة النحو المشهورين، وإليه انتهت الرياسة في النحو بعد المبرد.

وأخذ عنه أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، وأبو سعيد السيرافي، وأبو علي الفارسي، وعلي بن عيسى الرماني.

ويحكي أنه اجتمع هو وأبو بكر بن مجاهد وإسماعيل القاضي في بستان وكان فيه دولا، فعن لهم أن يبعثوا بإدارتها فلم يقدروا على ذلك، فالتفت أحدهم وقال: أما تستحيون؟ مقرئ البلد ونحويه وقاضيه لا يجيئ منهم ثور. وحكى أن أبا بكر بن السراج كان يهوى جارية فجفت، فاتفق وصول الإمام المكنفي في تلك الأيام من الرقة فاجتمع الناس لرؤيته، فلما شاهد أبو بكر جمال المكنفي تذكر جمال معشوقته وجفاءها له، فأنشد بحضرة أصحابه:

ميزت بين جمالها وفعالها
حلفت لنا ألا تخون عهدنا
فإذا الملاحه بالخيانة لا تفي
فكأنما حلفت لنا ألا تفي
والله لا كلمتها ولو أنها
كاليدر أو الشمس أو كالمكنفي

ثم إن أبا عبد الله محمد بن إسماعيل بن زنجي الكاتب أنشدها لأبي العباس بن الفرات وقال هي لابن المعتز، وأنشدها أبو العباس للقاسم بن عبيد الله الوزير، فاجتمع الوزير بالمكنفي وأنشدها إياه وقال للمكنفي: هي لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر، فأمر بألف دينار فوصلت إليه فقال ابن زنجي: ما أعجب هذه القصة، يعمل أبو بكر بن السراج أبياتاً تكون سبباً لوصول الرزق إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر! قال أبو الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي: توفي أبو بكر ابن السراج يوم الأحد لثلاث ليال بقين من ذي

الحجة سنة ست عشرة وثلاثمائة في خلافة المقتدر. وله من المصنفات: كتاب الأصول وهو أحسنها وأكبرها وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه جمع فيه أصول علم العربية، وأخذ مسائل سيبويه ورتبها أحسن ترتيب، وكتاب جمل الأصول وهو الأصول الأصغر، وشرح كتاب سيبويه، والموجز، وكتاب الاشتقاق لم يتم كتاب الرياح والهواء والنار، كتاب الشعر والشعراء، كتاب الجمل، كتاب احتجاج القراء، كتاب الخط، كتاب المواصلات والمذكرات، كتاب الهجاء وغير ذلك.

وحكى الرماني قال: ذكر كتاب الأصول بحضرته فقال قائل: هو أحسن من المقتضب. فقال أبو بكر لا نقل هكذا وأنشد:

ولو قبل مبكاها بكيت صباية
بسعدي شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا
بكاهها فقلت: الفضل للمتقدم

وقال أبو علي الفارسي: جئت لأسمع من كتاب سيبويه وحملت إليه ما حملت، فلما انتصف الكتاب عسر على إتمامه فانقطعت عنه لتمكني من مسائله، فقلت في نفسي بعد مدة: إذا عدت إلى فارس وسئلت عن إتمامه فإن قلت نعم كذبت، وإن قلت لا بطلت الرواية فدعتني الضرورة أن حملت إليه رزمة وأقبلت إليه، فلما أبصرني من بعيد أنشد:

كم قد تجرعت من غيظ ومن حنق
لكن تجدد وجدي هون الماضي
وكم غضبت ولم يلوا على غضبي
فعدت طوعاً بقلب ساخط راضي

محمد بن سعدان بقلب الضرير

أبو جعفر الكوفي النحوي المقرئ، ولد سنة إحدى وستين ومائة، وروى عن عبد الله بن إدريس وأبي معاوية الضرير، وروى عنه محمد بن سعد كاتب الواقدي، وعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل، وأبن المرزبان وكان ثقة، وكان يقرأ بقراءة حمزة، ثم اختار لنفسه ففسد عليه الأصل والفرع إلا أنه كان نحويًا. وقال بعضهم: أخذ ابن سعدان القراءات عن أهل مكة والمدينة والشام والكوفة والبصرة ونظر في الاختلاف وكان ذا علم بالعربية، وصنف كتاباً في النحو، وكتاباً في القراءات.

قال ابن عرفة: مات يوم عيد الأضحى سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وكان ذلك في خلافة الواثق بن المعتصم، وله ولد يقال له إبراهيم من أهل العلم.

وقال الداني في طبقات القراء: أخذ القراء عرضاً عن سليم بن عيسى عن حمزة، وعن يحيى بن المبارك اليزيدي عن أبي عمرو عن إسحاق بن محمد المسيبي عن نافع وعن معلى ابن منصور عن أبي بكر بن عاصم، وروى عنه القراء محمد ابن أحمد بن واصل وهو أجل أصحابه وأثبتهم له.

محمد بن سعد ويقال ابن سعيد الرباحي

بالباء الموحدة، أبو عبد الله الأعرج الطليطلي الخطيب النحوي اللغوي، أصله من قلعة رباح من أعمال طليطلة بالأندلس، رحل إلى المشرق وسمع بمصر ابن الورد وابن السكن وحدث وأفاد، مولده سنة تسع وثلاثمائة، وتوفي في ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

محمد بن سعيد

أبو جعفر البصير الموصلية العروضي النحوي، كان أبو إسحاق الزجاج معجباً به، وكان في النحو ذا قدم ثابتة، اجتمع يوماً مع أبي علي الفارسي عند أبي بكر بن شقير فقال لأبي علي: في أي شيء تنتظر يا فتى؟ فقال في التصريف، فجعل يلقي عليه المسائل على مذهب البصريين والكوفيين حتى ضجر، فهرب أبو علي منه إلى النوم وقال: إني أريد النوم. فقال: هربت يا فتى؟ فقال: نعم هربت، وكان ذكياً فهيماً - له في الشعر رتبة عالية - إماماً في استخراج المعاني والعروض، قال له الزجاج يوماً وقد سأله عن أشياء من العروض: يا أبا جعفر، لو رآك الخليل لفرح بك، قرأ عليه عبيد الله بن جعفر الأسدي النحوي وغيره.

محمد بن سلام الجمحي

بن عبد الله بن سالم الجمحي البصري أبو عبد الله، كان من أعيان أهل الأدب، وألف كتاباً في طبقات الشعراء، وله غريب القرآن، وأخذ عن حماد بن سلمة ومبارك بن فضالة وجماعة. وروى عنه الإمام أحمد بن حنبل وابنه عبد الله وأبو العباس ثعلب وأحمد علي بن الأبار.

قال أبو خليفة: ابضت لحية محمد بن سلام ورأسه وله سبع وعشرين سنة. وقال محمد بن أحمد بن يعقوب بن شبة: حدثنا جدي قال: كان محمد بن سلام له علم بالشعر والأخبار وهما من جملة علوم الأدب. وقال الحسين بن فهم: قدم علينا محمد بن سلام سنة اثنتين وعشرين ومائتين فاعتل علة شديدة فما تخلف عنه أحد، وأهدى له الأجلاء أطباءهم، فكان ابن ما سويه من جملة من أهدى إليه، فلما جسده ونظر إليه قال له: لا أرى بك من العلة ما أرى بك من الجزع. فقال: والله ما ذاك على الدنيا مع اثنتين وسبعين سنة، ولكن الإنسان في غفلة حتى يوقظ بعله. فقال ابن ماسويه: لا تجزع فقد رأيت في عرقك من الحرارة الغريزية ما إن سلمت ممن العوارض بلغك عشر سنين. قال ابن فهم: فوافق كلامه قدراً، فعاش محمد بن سلام بعد ذلك عشر سنين. وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وكان ذلك في السنة التي مات فيها الواثق وبويع المتوكل بن المعتصم؟ وقال موسى بن هارون: توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين.

محمد بن سليمان البغدادي

ابن قطر مش بن تركان شاه أبو نصر، البغدادي المولد السمرقندي الأصل، النحوي اللغوي الأديب، أحد أدباء عصرنا، وأعيان أولي الفضل بمصرنا، تجمعت فيه أشنات الفضائل، وقد أخذ من كل فن من العلم بنصيب وافر، وهو من بيت الإمارة، وكانت له اليد الباسطة في حل إقليدس وعلم الهندسة مع اختصاصه التام بالنحو واللغة وأخبار الأمم والأشعار، خلف له والده أموالاً كثيرة فضيعها في القمار واللعب بالنرد، حتى احتاج إلى الوراقة فكان يورق بأجرة بخطه المليح الصحيح المعتبر، فكتب كثيراً من الكتب حتى ذكر الإمام الناصر فولاه حاجب الحجاب، فلم يزل بها إلى أن مات في ربيع الآخر سنة عشرين وستمائة، ومولده في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وله شعر رائق فمن ذلك:

ولا الذي سخر قلبي لها عبد كما سخرني قلبها
ما فرحي في حبها غير أن زين عندي هجرها قلبها

محمد بن طويس القصري

أبو الطيب، هو من النحويين المعتزلة، أحد تلاميذ أبي علي الفارسي، أملى عليه المسائل القصريات وبه سميت، وأظنه من قصر ابن هبيرة من نواحي الكوفة، وقرأت في المفاوضة أنه لما كان حدثاً كان أبوة علي الفارسي يتعشقه ويخصه بالطرف ويحرص على الإملاء عليه والالتفات إليه، مات شاباً.

محمد بن حمدان الدلفي العجلي

أبو الحسن النحوي من أصحاب أبي الحسن علي الرماني كان نحويًا فاضلاً بارعاً، شرح ديوان المتنبي ومات بمصر سنة ستين وأربعمائة.

محمد بن عبد الله بن قادم

أبو جعفر النحوي، كان حسن النظر في علل النحو، وكان يؤدب ولد سعيد بن قتيبة الباهلي، وكان من أعيان أصحاب الفراء وأخذ عنه ثعلب. حكى عنه قال: وجه إلي إسحاق ابن إبراهيم المصعبي يوماً فأحضرني ولم أدر ما السبب، فلما قربت من مجلسه تلقاني ميمون بن إبراهيم كاتبه على الرسائل وهو على غاية الهلع والجزع، فقال لي بصوت خفي: إنه إسحاق، ومر غير متلبث حتى رجع إلى مجلس إسحاق فراعني ذلك، فلما مثلت بين يديه قال لي: كيف يقال: وهذا المال مال أو هذا المال مالا؟ قال: فعلت ما أراد ميمون، فقلت: الوجه مال، ويجوز مالا، فأقبل إسحاق على ميمون يغلطه وقال: الزم الوجه في كتبك ودعنا من يجوز ويجوز ورمي بكتاب كان في يده، فسألت عن الخبر، فإذا ميمون قد كتب إلى المأمون - وهو ببلاد الروم عن إسحاق وذكر مالا حمله إليه - وهذا المال مالا. فخط المأمون على الموضع من الكتاب ووقع بخطه على الحاشية: تخاطبني بلحن؟ فقامت القيامة على إسحاق، فكان ميمون بعد ذلك يقول: لا أدري كيف ابن قادم أبقي على روحي ونعمتي. وحكى عن أحمد بن إسحاق بن بهلول: أنه دخل هو وأخوه بغداد فدار على الحلق يوم الجمعة فوقف على رجل يتلهب ذكاء ويجيب عن كل مت يسأل

عنه من مسائل الأدب والقرآن فقلنا: من هذا؟ قالوا ثعلب، فبين نحن كذلك، إذ ورد شيخ يتوكأ على عصا فقال لأهل الحلقة أفرجوا للشيخ فأفرجوا له حتى جلس إلى جانبه، ثم إن سائلاً سأل ثعلباً عن مسألة فقال: الرؤاسي فيها كذا، وقال الكسائي كذا، وقال الفراء كذا، وقال هشام كذا، وقلت أنا كذا، فقال له الشيخ: لا أراني اعتقد فيها إلا جوابك، فالحمد لله الذي بلغني فيك هذه المنزلة. فقلنا: من هذا الشيخ؟ فقيل: أستاذ ابن قادم، وكان ابن قادم يعلم المعتز قبل الخلافة، فلما ولي بعث إليه فقيل له: أجب أمير المؤمنين، فقال أليس هو ببغداد يعني المستعين؟ فقالوا: لا وقد ولي المعتز، وكان قد حقد عليه بطريق تأديبه له، فخشي من بادرته، فقال لعياله: عليكم السلام، فخرج ولم يرجع إليهم وذلك في سنة إحدى وخمسين ومائتين، وله من الكتب: الكافي في النحو، المختصر فيه أيضاً، وكتاب غرائب الحديث.

محمد بن عبد الله بن محمد

بن أبي الفضل أبوة عبد الله المرسي السلمي، شرف الدين الأديب النحوي، المفسر المحدث الفقيه أحد أدباء عصرنا، أخذ من النحو والشعر بأوفر نصيب، وضرب فيه بالسهم المصيب، وخرج التخاريج، وتكلم على المفصل للزمخشري، وأخذ عليه عدة مواضع بلغني أنها سبعون موضعاً أقام على خطئها البرهان، واستدل على سقمها ببيان، وله عدة تصانيف، خرج من بلاد المغرب سنة سبع وستمائة، ودخل مصر وسار إلى الحجاز ودخل مع قافلة الحاج إلى بغداد، وأقام بها يسمع ويقرأ الفقه والخلاف والأصليين بالنظامية، ورحل إلى خراسان ووصل إلى مرو الشاهجان، وسمع بنيسابور وهراة ومرو، ولقي المشايخ وعاد إلى بغداد، وأقام بطلب ودمشق ورأيت بالموصل، ثم حج ورجع إلى دمشق ثم عاد إلى المدينة فأقام على الإقراء. ثم انتقل إلى مصر وأتابها سنة أربع وعشرين وستمائة ولزم النسك والعبادة والانقطاع.

أخبرني أن مولده بمرسية سنة سبعين وخمسمائة، وأنه قرأ القرآن على ابن غلبون وغيره، والنحو على أبي الحسن علي بن يوسف بن شريك الداني، والطبيب بن محمد بن الطيب النحوي، والشلوبيني، وتاج الدين الكندي، والأصول على إبراهيم بن دقماق والعميدي، والخلاف على معين الدين الجازمي، وسمع الحديث الكثير بواسط من ابن عبد السميع، ومن ابن الماندائي ومشخته، وبهمذان من جماعة، وبنيسابور صحيح مسلم من المؤيد الطوسي وجزءاً من ابن نجيد، ومن منصور بن عبد المنعم الفراوي، وأم المؤيد زينب بنت الشعري، وبهراة من ابن روح الهروي، وبمكة من الشريف يونس بن يحيى الهاشمي، وكان نبياً ضريراً يحل بعض مشكلات إقليدس، وحدث بكتاب السنن الكبرى للبيهقي عن منصور بن عبد المنعم الفراوي، وبكتاب غريب الحديث للخطابي، صنف الضوابط النحوية في علم العربية، والإملاء على المفصل، وتفسيراً للقرآن سماه ري الظمان في تفسير القرآن كبير جداً قصد فيه ارتباط الآي بعضها ببعض، وكتاباً في أصول الفقه والدين، وكتاباً في البديع والبلاغة، وله تفسير القرآن الأوسط عشرة أجزاء، وتفسير القرآن الصغير ثلاثة أجزاء، ومختصر صحيح مسلم، والكافي في النحو وتعليق الموطأ وتعليق أخرى، وكان كثير الشيوخ والسماع. وحدث بالكثير بمصر والشام والعراق والحجاز، وكانت له كتب في البلاد التي ينتقل فيها بحيث لا يستصحب كتباً في سفره اكتفاء بما له من الكتب في البلد الذي يسافر إليه، وله النظم الرائق، والنثر الفائق، فمن شعره قوله:

من كان يرغب في النجاة فما له
ذاك السبيل المستقيم وغيره
فاتبع كتاب الله والسنن التي
ودع السؤال بكم وكيف فإنه
أدين ما قال النبي وصحبه

وقال أيضاً:

قالوا فلان أزال بهاءه
فأجبتهم: بل زاد نور بهائه
استقصرت ألاحظه فتكأتها

وقال:

قالوا محمد قد كبرت وقد أتى
قلت: الكريم من القبيح لضيفه

محمد بن عبد الله بن محمد بن موسى

أبو عبد الله الكرمانى النحوى الوراق، كان عالماً فاضلاً عارفاً بالنحو واللغة، مليح الخط صحيح النقل يورق بالأجرة، قرأ على ثعلب وخط المذهبيين، وله من الكتب: الموجز فى النحو، وكتاب آخر فيه لم يتم، والجامع فى اللغة ذكر فيه ما أغفله الخليل فى العين، وما ذكر أنه مهملة وهو مستعمل وقد أهمل، وكان بينه وبين ابن دريد مناقضة، مات سنة تسع وعشرين وثلاثمائة

محمد بن عبد الله أبو الخير

الضرير المروزي النحوى، كان فقيهاً فاضلاً أديباً لغوياً نحوياً، تفقه على القفال المروزي فبرع فى الفقه، واشتهر فى النحو واللغة والأدب.

قال السمعاني. كان من أصحاب الرأي فصار من أصحاب الحديث بصحبته الإمام أبا بكر القفال، سمع الحديث منه ومن أبي نصر المحمودي، وروى عنه القاضي الحافظ أبو منصور السمعاني، وكان إذا دخل فى داره يقرأ عليه الفقهاء الأدب والباب مردود، فإذا اجتاز به القفال راكباً وسمع صوت حافر فرسه على الأرض قام إلى داخل الدار لئلا يسمع الصوت القفال تعظيماً للأستاذ. مات أبو الخير سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة.

والمروزي هذا هو المعروف بالمسعودي عند الشافعية، وقد يلقبونه بأبي عبد الله وهو أحد أئمتهم، معدود من أقران شيخه القفال، وله شرح على مختصر المازني عمدة فى المذهب. ومن شعره:

تنافى المال والعقل	فما بينها شكل
هما كالورد والنر	جس لا يحويهما فصل
فعمل حيث لا مال	وما حيث لا عقل

محمد بن عبد الله

خطيب القلعة الفخرية أبو عبد الله المعروف بالخطيب الإسكافي، الأديب اللغوي صاحب التصانيف الحسنة أحد أصحاب ابن عباد صاحب، وكان من أهل أصبهان وخطيباً بالرري.

قال ابن عباد: فاز بالعلم من أهل أصبهان ثلاثة: حائك وحلاج وإسكاف. فالحائك أبو المرزوقي. والحلاج أبو منصور ماشد، والإسكاف أبو عبد الله الخطيب. وصنف كتاب غلط كتاب العين، والغرة تتضمن شيئاً من غلط أهل الأدب، ومبادئ اللغة وشوهد كتاب سيبويه، ونقد الشعر، ودرة التنزيل وغرة التأويل فى الآيات المتشابهة، وكتاب لطف التدبير فى سياسات الملوك وغير ذلك، توفي سنة عشرين وأربعمائة.

محمد بن عبد الرحمن

بن محمد بن مسعود ابن احمد بن الحسين بن مسعود أبو سعيد البندهي، وكان يكتب بخطه البنجديهي، اللغوي الفقيه الشافعي، من أهل الفضل والأدب والدين والورع. ورد بغداد ثم الشام وحصل له سوق نافقة وقبول تام عند صلاح الدين بن أيوب، وأقبلت عليه الدنيا فحصل كتباً لم تحصل لغيره ووقفها بخانقاه السيمساطي، وأكثرها من خزنة كتب حلب التي أباح له السلطان صلاح الدين أن يأخذ منها ما شاء، وكان البنجديهي يعلم الملك الأفضل أبا الحسن علي بن صلاح الدين وحدث وأملى بالشام، وصنف شرحاً لمقامات الحريري فى خمس مجلدات متوسطة استوعب وأحسن فيها ما شاء، ولد فى وقت الغروب ليلة الثلاثاء غرة ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، ومات بدمشق فى ليلة السبت التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة أربعة وثمانين وخمسمائة، وكان كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات

قالت عهدتك تبكي	دماً حذار التنائي
فلم تعوضت عنا	بعد الدماء بماء؟
فقلت ما ذاك مني	لسلوة أو عزاء
لكن دموعي شابت	من طول عمر بكائي

محمد بن عبد الملك بن زهر

ابن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الأندلسي الإشبيلي أبو بكر، ولد بإشبيلية ونشأ بها، وحفظ القرآن وسمع الحديث، واقتبل على الأدب واللغة والعربية فبرع في ذلك كله، وعانى الشعر فبلغ الإجادة فيه، وكان يحفظ شعر ذي الرمة، وانفرد بالإجادة فينظم الموشحات التي فاق بها أهل المغرب على أهل المشرق، ولازم عبد الملك الباجي سبع سنين، وقرأ عليه المدونة في مذهب مالك، وأخذ صناعة الطب عن أبيه أبي مروان عبد الملك، وياشر أعمالها ففاق أهل زمانه، وخدم بها دولة المثلثين في آخر عهدهم، ثم خدم بها دولة الموحدين بني عبد المؤمن. ومات في أول دولة الناصر محمد، وكان حسن المعالجة جيد التدبير لا يماثله أحد في ذلك، وكان صحيح البنية قوي الأعضاء، وبلغ الشيخوخة ولم يفقد قوة عضو من أعضائه إلا ثقلاً في السمع اعتراه في أواخر عمره.

حكى أبو مروان محمد بن أحمد الباجي أن أبا بكر بن زهر كان شديد البأس يجذب قوساً مائة وخمسين رطلاً بالإشبيلي وهو ست عشرة أوقية، وكان يحسن اللعب بالشطرنج بارعاً فيه، ولد سنة سبع وخمسمائة، وتوفي بمراكش سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وقيل في أول سنة ست وتسعين، ودفن بمقابر الشيخ وقد ناهز التسعين. ومن شعر الوزير أبي بكر بن زهر قوله:

إني نظرت إلى المرأة إذ جلّيت
رأيت فيها شيخاً لست أعرفه
فقلت أين الذي بالأمس كان هنا
فاستجھلتني وقالت لي وما نطق
كان الغواني يقلن يا أخي ولقد
وقال في كتاب حيلة البرء لجالينوس وأجاد:
حيلة البرء صنف لعليل
فإذا جاءت المنية قالت
ومن موشحاته قوله:

أيها الشاكي إليك المشتكي
ونديم همت في غرته وشربت الراح من راحته كلما استيقظت من سكرته
جذب الزق إليه واتكا
غصن بان مال من حيث استوى بات من يهواه من فرط الجوى خفق الأحشاء موهون القوى
كلما فكر في البين بكى
ليس لي صبر ولا لي جلد يا لقوم هجروا واجتهدوا أنكروا شكواي مما أجد
إن مثلي حقه أن يشتكي
ما لعيني عشيت بالنظر أنكرت بعدك ضوء القمر وإذا ما شئت فاسمع خبري
قرهت عيني من طول البكا
كبد حرى ودمع يكف يعرف الذنب ولا يعترف أيها المعرض عما أصف
قد نما حبك عندي وزكا
ومن موشحاته أيضاً:

شباب مسك الليل كافور الصباح
فاسقنيها قبل نور الفلق وغناء الورق بين الورق كاحمرار الشمس عند الشفق
نسج المزج عليها حين لاح
وغزال سامني بالملق وبرى جسمي وأذكى حرقى أهيف مذ سل سيق الحدق
قصرت عنه مشاهير الصفاح
صار بالذل فؤادي كلفا وجفوني ساهرات وطفا كلما قلت جوى الحب انطفا
أمراض القلب بأجفان صحاح
يوسف الحسن عذب المبتسم قمري الوجه ليلي اللمع عنثري البأس عبسي الهمم

غصني القد مهضوم الوشاح
قد بالقد فؤادي هيفاً وسبا عقلي لما انعطفا ليته بالوصل أحيا دنفا
مستطار العقل مقصوص الجناح
يا علي أنت نور المقل جد بوصل منك لي يا أملي كم أغنيك إذا ما لحت لي
مرحباً بالشمس من غير صباح
و قال أيضاً:

لله ما صنع الغرام بقلبه
لباه لما أن دعاه وهكذا
وأودى به لما ألم بلبه
من يدعه داعي الغرام يلبه

بأبي الذي لا يستطيع لعجبه
طبي من الأعراب ما ترك الضنا
إن كنت تنكر ما جنى بلحاظه
أو شئت أن تلقى غزالاً أغيداً
ياما أميلحه وأعذب ريقه
بل ما أليطف وردة في خده
كم من خمار دون خمرة ريقه
نادى بنفسج عارضيه وقد بدا
و قال أيضاً:

مازلت اسقيهم وأشرب فضلهم
والخمر تعلم حين تأخذ ثارها
و قال أيضاً وأوصى أن يكتب على قبره:
تأمل بحقك يا واقفاً
فإني حذرت منه الأنا
حتى سكرت ونالهم ما نالني
أني أملت إناءها فأملاني
ولاحظ مكاناً دفعت إليه
م وهأنا قد صرت رهناً لديه

محمد بن عبد الملك

أبو عبد الله الكلثومي النحوي من الفضلاء الكبراء علامة في الإعراب واللغة والحساب ومعرفة الأيام والأنساب والنجوم، دخل خوارزم مع عدة من الأدباء والشعراء حين ضاق بهم الحال بخراسان وأنشد بها:

تقول سعاد ما تغرد طائر
أجارتنا إنا غريبان ههنا
أجارتنا إن الغريب وإن غدت
أجارتنا من يغترب يلق للأذى
يحن إلى أوطانه وفؤاده
سقى الله ربعاً بالعراق فإنه
أحن إليه من خراسان نازعاً
وإن حنيناً من خوارزم ينتهي
على فنن إلا وأنت كئيب
وكل غريب للغريب نسيب
عليه غواصي الصالحات غريب
نوائب تقذى عينه فيشيب
له بين أحناء الضلوع وجيب د
إلي وإن فارقتك لحبيب
وهيهات لو أن المزار قريب
إلى منتهى أرض العراق عجيب

محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم

أبو عمر الزاهد المطرز الباوردي غلام ثعلب اللغوي، من أئمة اللغة وأكابر أهلها وأحفظهم لها. قال أبو علي ابن أبي علي التنوخي عن أبيه: ومن الرواة الذين لم يرقط أحفظ منهم أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد المعروف بـغلام ثعلب، أملي من حفظه ثلاثين ألف ورقة في اللغة فيما بلغني، وكان لسعة حفظه يطعن بعض أهل الأدب ولا يوثقونه في علم اللغة، حتى قال عبيد الله بن أبي الفتح: لو طائر طار في الجو لقال أبو عمر الزاهد: حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي ويذكر في معنى ذلك شيئاً، وكان المحدثون يوثقونه.

قال الخطيب البغدادي: رأيت جميع شيوخنا يوثقونه ويصدقونه، وكان يسأل عن الشيء فيجيب عنه، ثم يسأل عنه بعد سنة فيجيب بذلك الجواب. ويروي أن جماعة من أهل بغداد اجتازوا على قنطرة الصراة وتذكروا ما يرمي له من الكذب فقال أحدهم: أنا أصحف له القنطرة وأسأله عن معناها فننظر ما يجيب.

فلما دخلوا عليه قال له الرجل: أيها الشيخ، ما الهرطوق عند العرب؟ فقال كذا وكذا، وذكر شيئاً فتصاحك الجماعة وانصرفوا، فلما كان بعد شهر أرسلوا إليه شخصاً آخر فسأله عن الهرطوق فقال: أليس قد سئلت عن هذه المسألة منذ كذا وكذا ثم قال: هو كذا وكذا كما أجاب أولاً، قال القوم: فما ندري من أي الأمرين نعجب، من حفظه إن كان علماً؟ أم من ذكائه إن كان كذباً؟ فإن كان علماً فهو اتساع عجيب، وإن كان كذباً فكيف تناول ذكائه المسألة وتذكر الوقت بعد أن مر عليه زمان فأجاب بذلك الجواب بعينه. وحكى أن معز الدولة بن بويه قد شرطه بغداد غلاماً تركياً من مماليكه اسمه خواجه، فبلغ ذلك أبا عمر الزاهد وكان يملئ كتابه اليواقيت في اللغة، فقال للجماعة في مجلس الإملاء: اكتبوا يا قوته خواجه، الخواجه في أصل اللغة: الجوع، ثم فرع هذا باباً وأملأه عليهم، فاستعظموا كذبه وتتبعوه، فقال أبو علي الحاتمي وكان من أصحابه: أخرجنا في أمالي الحامض عن ثعلب عن ابن الأعرابي: الخواجه: الجوع. وحكى رئيس الرؤساء أبو القاسم علي بن الحسن عن حدثه: أن أبا عمر الزاهد كان يؤدب ولد القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، فأملأ على الغلام نحواً من ثلاثين مسألة في النحو، وذكر غريبها وختمها ببيتين من الشعر، وحضر أبو بكر بن دريد وأبو بكر بن الأنباري وأبو بكر ابن مقسم العطار المقرئ عند القاضي أبي عمر، فعرض عليهم تلك المسائل فما عرفوا منها شيئاً وأنكروا الشعر، فقال لهم القاضي: ما تقولون فيها؟ فقال ابن الأنباري: أنا مشغول بتصنيف مشكل القرآن ولست أقول شيئاً. وقال ابن مقسم مثل ذلك واعتذر باشتغاله بالقراءات.

وقال ابن دريد: هذه المسائل من موضوعات أبي عمر الزاهد ولا أصل لشيء منها في اللغة وانصرفوا، فبلغ ذلك أبا عمر فاجتمع بالقاضي وسأله إحضار دواوين جماعة من قدماء الشعراء عينهم ففتح القاضي خزانته وأخرج له تلك الدواوين، فلم يزل أبو عمر الزاهد يعمد إلى كل مسألة منها ويخرج لها شاهداً من تلك الدواوين ويعرضه على القاضي حتى استوفى جميع المائل ثم قال: وهذان البيتان أنشدتهما ثعلب بحضرة القاضي وكتبهما القاضي بخطه على ظهر الكتاب كما ذكر أبو عمر وانهت القصيدة إلى ابن دريد، فلم يذكر أبا عمر الزاهد بلفظه إلى أن مات. وقال رئيس الرؤساء أيضاً: رأيت أشياء كثيرة مما أنكر على أبي عمر ونسب فيها إلى الكذب فوجدتها مدونة في كتب اللغة، وخاصة في الغريب المصنف لأبي عبيد.

وقال أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن رهان الأسدي: لم يتكلم في اللغة أحد من الأولين والآخرين بأحسن من كلام أبي عمر الزاهد، أخذ أبو عمر عن أبي العباس ثعلب وصحبه زماناً طويلاً فنسب إليه وعرف بـغلام ثعلب، وأخذ عنه أبو علي الحاتمي الأديب الكاتب اللغوي، وأبو القاسم ابن برهان وغيرهما.

وروى عنه أبو الحسن محمد بن رزقويه وأبو علي ابن شاذان وغيرهما. وقال أبو الحسن المرزباني: كان إبراهيم بن أيوب بن ماسي ينفذ إلى أبي عمر الزاهد كفايته وقتاً فقطع ذلك عنه مدة لعذر ثم أنفذ إليه جملة ما كان انقطع عنه، وكتب إليه رقعة يعتذر بها من تأخير رسمه فردده، وأمر بعض من كان عنده من أصحابه أن يكتب له على ظهر رقعة:

أكرمنا فمكنتنا وتركتنا فأرحتنا

وكانت صناعة أبي عمر الزاهد التطريز فنسب إليها، وكان جماعة من الأشراف والكتاب يحضرون مجلسه للسمع منه وكان قد جمع جزءاً في فضائل معاوية، فكان لا يمكن أحداً من السماع حتى يبتدئ بقراءة ذلك الجزء. وعن محمد بن العباس بن الفرات قال: كان مولد أبي عمر الزاهد سنة إحدى وستين ومائتين، وقال الخطيب البغدادي: توفي يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وذلك في خلافة المطيع لله. ودفن يوم الاثنين في الصفة التي تقابل قبر معروف الكرخي وبينهما عرض الطريق. وعن أبي الحسن ابن رزقويه: توفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة. والصحيح الأول. ولأبي عمر من الكتب: شرح الفصيح لثعلب، وفائت الفصيح جزء لطيف، واليواقيت في اللغة، والمرجان في اللغة، والكتاب الحضري في الكلمات، وغريب الحديث، صنفه على مسند أحمد بن حنبل، كتاب المكنون والمكتوم، وفائت المستحسن، وكتاب ما أنكره الأعراب على أبي عبيدة فيما رواه، والموشح، والسريع، والتفاحة، وفائت

الجمهرة، وفائت العين، وتفسير أسماء القراء، والمداخل في اللغة، وحل المداخل، والنوادر، وكتاب العشرات، وكتاب البيوع، وكتاب الشورى، والمستحسن في اللغة، وكتاب القبائل، وكتاب يوم وليلة، وكتاب الساعات وغير ذلك، وأمل في آخر كتابه البواقيت في اللغة قوله:

لما فرغنا من نظام الجوهرة
وعورت العين وفض الجمهرة
ووقف الفصيح عند القنطرة وعن أبي علي الحاتمي: أنه اعتل فتأخر عن مجلس أبي عمر فسأل عنه فقيل: إنه كان عليلاً، فجاءه من الغد يعود، فاتفق أنه كان قد خرج إلى الحمام فكتب على باب داره بالإسفيداج:
وأعجب شيء سمعنا به
عليل يعاد فلا يوجد
قال وهو من شعره. وحدث عباس بن محمد الكلوازي قال: سمعت أبا عمر الزاهد يقول: ترك قضاء حقوق الإخوان مذلة، وفي قضائها رفعة، فاحمدوا الله تعالى على ذلك، وسارعوا في قضاء حوائجهم مسارهم تكافئوا عليه.

وحكى أبو الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي: قال: أنشد أبو العباس اليشكري في مجلس أبي عمر الزاهد يمدحه:
أبو عمر يسمو من العلم مرتقى
يزل مساميه ويردى مطاله
ولو أنني أقسمت ما كنت حائثاً
بأن لم ير الراؤون حبراً يعادله
هو الشخت جسماً والسمين فضيلة
فأعجب بمهزول سمان فضائله
تدفق بحرًا بالمسائل زاحراً
تغيب عن لج فيه سوا حله
إذا قلت شارفنا أواخر علمه
تفجر حتى قلت هذي أوائله

محمد بن عبيد الله بن الحسن بن الحسين

ابن أبي البقاء البصري، قاضي البصرة أبو الفرج النحوي، قدم بغداد وواسط، وقرأ الأدب على أبي غالب بن بشران وغيره، والفقه على القاضي أبي الطيب والشيخ أبي إسحاق الشيرازي والماوردي، وسمع بالأهواز من الحسين الخوزي، وبالبصرة من الفضل القصباني وعبيد الله الرقي والحسن بن رجاء وابن الدهان النحويين، وروى عن الماوردي كتبه كلها، وكان حافظاً للفقه حسن المذاكرة كثير القراءة، محتشماً عن السلاطين، وله تصانيف حسان منها: مقدمة في النحو، كتاب المتعربين. توفي في تاسع عشر المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة، وسمع في مرضه يقول: ما أخشى أن الله يحاسبني أنني أخذت شيئاً من وقف أو مال يتيم.

محمد بن عبيد الله أبو الفتح

ابن التعاويذي، ويعرف أيضاً بسبط ابن التعاويذي، وكلاهما نسبة لجدّه لأمه أبي محمد المبارك بن المبارك بن السراج الجوهري المعروف بابن التعاويذي الزاهد، كان شاعر العراق في وقته، وكان كاتباً بديوان الأقطاع ببغداد، واجتمع به العماد الكاتب الأصفهاني لما كان بالعراق وصحبه مدة، فلما انتقل العماد إلى الشام واتصل بالسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كان ابن التعاويذي يرأسه، فكان بينهما مراسلات ذكر بعضها العماد في الخريدة، وعمي أبو الفتح في آخر عمره سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وله في ذلك أشعار كثيرة يندب بها بصره وزمان سبابه. مدح السلطان صلاح الدين بثلاث قصائد أنفذها إليه من بغداد، إحداها عارض بها قصيدة أبي المنصور علي ابن الحسن المعروف بصردر التي أولها:

أكذا يجازي كل قرين؟

فقال ابن التعاويذي وأحسن ما شاء:

إن كان دينك في الصبابة ديني
فقف المطي برمليتي يبرين
والم ثرى لو شارفت بي هضبه
أيدي المطي لثمته بجفوني
وانشد فوادي في الظباء معرضاً
فيغير غزلان الصريم جنوني
ونشيدتي بين الخيام وإنما
غالطت عنها بالظباء العين
لولا العدا لم أكن عن ألاحظها
وقدودها بجآذر وغصون
لله ما اشتملت عليه قبابهم
يوم النوى من لؤلؤ مكنون
من كل تائهة على أترابها
في الحسن غانية عن التحسين

خود ترى قمر السماء إذا بدت
غادين ما لمعت بروق ثغورهم
إن تنكروا نفس الصبا فلأنها
وإذا الركائب في المسير تلفنت
يا سلم إن ضاعت عهددي عندكم
أو عدت مغبوناً فما أنا في الهوى
رفقاً فقد عسف الفراق بمطلق ال
مالي ووصل الغانيات أرومة
وعلام أشكو والعهود نقضنها
هيهات ما للغيد في حب امرئ
ومن البلية أن تكون مطالبتي
ليت الضنين على المحب بوصلة
ملك إذا علقت يد بدمامه
قاد الجياد معاقلاً وإن اكتفى
سهرت جفون عذاه خيفة فاتح
لو أن الليث الهزبر سطاه لم
أضحت دمشق وقد حلت بجوها
لك عفة في قدرة وتواضع
وأريتنا بجميل صنعك ما روى ال
وضمنت أن تحي لنا أيامهم
كاد الأعادي أن يصيبك كيدها
تخفي عداوتها وراء بشاشة
دفنت حياثل مكرها فرددتها
وعلمت ما أخفوا كأن قلوبهم
فهوت نجوم سعودهم وقضى لهم
وأما قصيدته الثانية فهي:

حتام أرضي في هواك وتغضب
ما كان لي لولا ملالك زلة
خذ في أفانين الصدود فإن لي
أتظنني أضمرت يوماً سلوة
لي فيك نار جوانح لا تنطفي
أنسيت أياماً لنا وليالياً
أيام لا الواشي يش بتولهي
قد كنت تصفي المودة راكباً
واليوم أقتع أن يمر بمضجعي
قالت وريعت من بياض مفارقي
إن تنقمي سقمي فخصرك ناحل
يا طالباً بعد المشيب غضارة

ما بين سالفه لها وجبين
إلا استهلكت بالدموع شؤوني
مرت بزفرة قلبي المحزون
فحنينها لتلفتني وحنيني
فأنا الذي استودعت غير أمين
لكم بأول عاشق مغبون
عبرات في أسر الغرام رهين
ولقد بخلن علي بالماعون
بلحاظهن إذا لوين ديوني
أرب وقد أربي على الخمسين
جدوى بخيل أو وفاء خئون
ألف السماحة عن صلاح الدين
علقت بحبل في الوفاء متين
بمعازل من رأيه وحصون
خلقت صوارمه بغير جفون
يلجأ إلى غاب له وعرين
مأوى الضعيف وموئل المسكين
في عزة وصرامة في لين
راوون عن أمم خلعت وقرون
بالمكرمات فكنت خير ضمير
لو لم تكذب برأيها المأفون
فتشف عن نظر لها مشفون
تبلى بغيظ صدورها المدفون
أفضت إليك بسرها المخزون
بالنحس طائر جدك الميمون

وإلى متى تجني علي وتعتب؟
لما مللت زعمت أنني مذنب
قلباً على العلات لا يتقلب
هيهات عطفك من سلوى أقرب
شوقاً وماء مدامع لا ينضب
للهم فيها والخلاعة ملعب
بك للرقيب ولا العذول يؤنب
في الحب من أخطاره ما أركب
في النوم طيف خيالك المتأوب
ونحول جسمي بان عنك الأطيب
أو تنكري شبيبي فتغرك أشنب
من عيشه ذهب الزمان المذهب

أتروم بعد الأربعين تعدّها
لولا الهوى العذري يا دار الهوى
كلا ولا استسقيت للطلل الحيا
ثم مضى في المدح فأجاد وأحسن، وأما الثالثة فنكتفي بإيراد أبيات من مديحها قال:

عليك وكثرة ما تبذل
جواد سواك ولا مفضل
وقد كثر البائس المرمّل
وما فيه إلّاك من يسأل

بنكبة قاصمة الظهر
علمتها باتت على وتر
نفيسة القيمة والقدر
فضلاً عن الدمع فما عذري؟
بكاء خنساء على صخر

دث منها بفجيعتين
ء من مشيب سرمدين
لا خلفه فاعجب لذين
سراء صفر الراحتين
ميت كهمة بين بين

سواء صباحي عنده ومسائي
وبعداً لها من رقة وبكاء

قذاه ويرسب في أسفله
على صفحة الكاس من أوله

سر بالشيب نشاطي

وهو أخذ في انحطاط

كيف سموه علوا
وقال في ذلك أيضاً:

أسفت وقد نفت عني الليالي
وكان يقيم عذري في زمان الص
ولم أكره بياض الشيب إلا

وقال أيضاً:

سقاك سار من الوسمي هتان
يا دار لهوى وإطرابي ومعهد أت
أعاند لي ماض من جديد هوى
إذ الرقيب لنا عين مساعدة

وقال أيضاً:

جديداً من شباب مستعار
صبا لون الشبية في عذاري
لأن العيب يظهر في النهار

ولا رقت للغوادي فيك أجفان
رابي وللهم أوطار وأوطان
أبليتة وشباب فيك فينان؟
والكاشحون لنا في الحب أعوان

وإذ جميلة توليني الجميل وعن
ولي إلى البان من رمل الحمى طرب
وما عسى يدرك المشتاق من وطير
إن المغاني معان والمنازل أم
الله كم قمرت لي بجوك أق
وليلة بات يجلو الراح من يده
خال من الهم في خلخاله حرج
يذكي الجوى بارد من ريقه شيم
إن يمس ريان من ماء الشباب فلي
بين السيوف وعينه مشاركة
فكيف أصبحوا غراماً أو أفيق جوى
أفديه من غادر بالعهد غادرني
في خده وثناياه ومقلته
شقائق وأقاح نبتته خضل

وكان له راتب في الديوان فلما عمى طلب أن يجعل باسم أولاده، ثم كتب هذه القصيدة ورفعها إلى الخليفة الناصر التمس بها تجديد راتب مدة حياته:

خليفة الله أنت بالدين والد
أنت لما سنه الأئمة أع
قد عدم العدم في زمانك والجو
فالناس في الشرع والسياسة وال
يا ملكاً يردع الحوادث وال
ومن له أنعم مكررة
أرضى قد أجدبت وليس لمن
ولي عيال لا در درهم
إذا رأوني ذا ثروة جلسوا
وطالما قطعوا حبالى إر
يمشون حولي شتى كأنهم
فمنهم الطفل والمراهق والر
لا قارح منهم أو مل أن
لهم حلوق تقضي إلى معد
من كل رحب المعاء أجوف نا
لا يحسن المضغ فهو يطرح في
ولي حديث يلهي ويعجب من
نقلت رسمي جهلاً إلى ولد
نظرت في نفعمهم وما أنا في اج
وقلت هذا بعدي يكون لكم
واختلسوه مني فما تركوا
فبئس والله ما صنعت فأض

د الغانيات وراء الحسن إحسان
فاليوم لا الرمل يصيبني ولا البان
إذ بكى الربع، والأحاب قد بانوا
وات إذا لم يكن فيهن سكان
مار وكم غازلتني فيك غزلان
فيها أغن خفيف الروح جذلان
فقلبه فارغ والقلب ملآن
ويوقد الظرف طرف منه وسان
قلب إلى ريقه المعسول ظمآن
من أجله قيل للأعماد أجفان
وقده ثمل بالتية نشوان؟
صدوده ودموعي فيه غدران
وفي عذاريه للعشاق بستان
ونرجس أنا منه الدهر سكران

نيا وأمر الإسلام مضطلع
لام الهدى مقتف ومتبع
ر معاً والخلاف والبدع
إحسان والعدل كلهم شرع
أيام عن ظلمها فترتدع
لنا مصيف منها ومرتبّع
أجذب يوماً سواك منتجع
قد أكلوا دهرهم وما شبعوا
حولي ومالوا إلي واجتمعوا
راضاً إذا لم تكن معي قطع
عقارب كلما سعوا لسعوا
ضيع يحبو والكهل واليفع
ينالني خيرة ولا جذع
تحمل في الأكل فوق ما تسع
ري الحشا لا يمسه الشبع
فيه بلا كلفة وبيتلع
يوسع لي خلقه ويستمتع
لست بهم ما حييت أنتفع
تلاب نفع الأولاد مبتدع
فما أطاعوا أمري ولا سمعوا
عيني عليه ولا يدي تقع
ررت بنفسى وبئس ما صنعوا

فإن أردتم أمراً يزول به ال
فاستأنفوا لي رسماً أعود على
وإن زعمتم أنني أتيت بها
حاشا لرسم الكريم ينسخ من
فوقعوا لي بما سألت فقد
ولا تطيلوا معي فلست ولو
وحلفوني ألا تعود يدي

خصام من بيننا ويرتفع
ضنك معاشي به فيتسع
خديعة فالكريم ينخدع
نسخ دواوينكم فينقطع
أطمعت نفسي واستحكم الطمع
دفعتموني بالراح أندفع
ترفع في نقله ولا تضع

وكل شعر أبي الفتح غرر وديوانه كبير يدخل في مجلدين، جمعه بنفسه قبل أن يضرر واقتتحه بخطبة لطيفة ورتبه على أربعة أبواب، وما حدث من شعره بعد المعى سماه الزيادات، وهي ملحقة ببعض نسخ ديوانه المتداولة، وبعض النسخ خلو منها.

وله كتاب سماه الحجة والحجاب في مجلد كبير ونسخه قليلة. ولد أبو الفتح بن التعاويذي في اليوم العاشر من رجب سنة تسع عشرة وخمسمائة، وتوفي في ثاني شوال سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ببغداد ودفن في مقبرة باب أبرز.

محمد بن عثمان بن بلبل

أبو عبد الله لغوي نحوي، صاحب السيرافي والفارسي وروى عنه كتابه الحجة في القراءات، وسمعه ابن بشران النحوي، وقرأ على ابن خالويه وبرع في الشعر والأدب، وتوفي يوم الجمعة لسبع بقين من رمضان سنة عشر وأربعمائة، ومن شعره يمدح الوزير سابور

أضحى الرجاء لبرق جودك شائماً
سميت نفسي غذ رجوتك واثقاً
فمتى أقوم بشكر نعمتك التي
لا زال جدك للعدو مزاحماً
وارتاد روض الحمد وهفاً ناعماً
ودعوتها لك مذ خدمتك خادماً
عقدت علي من الخطوب تائماً
يعلو وآناف البغاة رواغماً

محمد بن عثمان بن مسيح

أبو بكر المعروف بالجعد، الشيباني النحوي، أحد أصحاب أبي الحسن بن كيسان، كان من العلماء الفضلاء مقدماً في النحو واللغة والأدب، وله من الكتب: كتاب الألفات، والناسخ والمنسوخ، كتاب معاني القرآن، كتاب القراءات، المختصر في النحو، كتاب الهجاء، كتاب المقصور والممدود، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب العروض، كتاب خلق الإنسان، كتاب الفرق، مات سنة نيف وعشرين وثلاثمائة.

محمد بن علي بن إبراهيم بن زبرج

أبو المنصور بن أبي البقاء البغدادي، قرأ النحو على أبي السعادات هبة الله بن علي بن الشجري، واللغة على أبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي، وسمع الحديث من جده لأمه أبي العباس أحمد بن القاسم بن قريش، وأبي القاسم هبة الله ابن الحصين، وأبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، سمع منه القاضي أبو المحاسن عمر بن علي بن الخضر القرشي، وأبو المفاخر محمد بن محفوظ الجرباذقاني، وعبد الرحمن بن يعيش بن سعدان القواريري، كان إماماً في النحو والعلوم العربية وتصدر للقراء، وكتب الخط المليح مع الصحة والضبط، وكان بينه وبين أبي محمد بن الخشاب البغدادي النحوي منافرات ومناظرات، ولد في ربيع الأول سنة أربع وثمانين، ومات يوم الثلاثاء خامس عشر جمادى الأولى سنة ست وخمسين وخمسمائة.

محمد بن علي بن أحمد

أبو عبيد الله الحلبي المعروف بابن حميدة النحوي، كانت له معرفة جيدة بالنحو واللغة، قرأ على أبي محمد بن الخشاب البغدادي ولازمه حتى برع في علم العربية، وصنف كتباً منها: شرح أبيات الجمل لأبي بكر بن السراج، شرح للمع لابن جني، وشرح

المقامات الحريرية، وكتاب التصريف، والروضة في النحو، والأدوات في النحو أيضاً، وكتاب الفرق بين الضاد والطاء، ومولده سنة ست وثمانين وأربعمائة، ومات سنة خمسين وخمسمائة، أنشدني أبو الحسن علي بن نصر بن هارون الحلبي قال: أنشدني محمد بن علي بن حميدة الحلبي لنفسه:

سلام على تلك المعاهد والربا
وسقياً لربات الحجال وأهلها
أحن لتنيك الحجال وإن غدت
وأصبوا لربع العامرية كلما
فلا هم إلا دون همي غدوة
وأهلاً بأرباب القباب ومرحبا
ورعياً لأرباب الخدور بيثربا
ربائبها تيدي إلي التجنبا
تذكرت من جرعاتها لي ملعبا
إذا جرت النكباء أوهبت الصبا

محمد بن أبي سارة علي

أبو جعفر الرؤاسي ابن أخي معاذ الهراء، وسمي الرؤاسي لعظم رأسه، كان إماماً في النحو بارعاً في العربية، وهو أستاذ أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي.

قال أبو محمد درستويه: زعم أبو العباس بن يحيى ثعلب: أن أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو أبو جعفر الرؤاسي وكان يقول: كان الرؤاسي أستاذ الكسائي والفراء، وقال أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء: لما خرج الكسائي إلى بغداد قال لي الرؤاسي: قد خرج الكسائي إلى بغداد وأنت أميز منه، فجننت إلى بغداد فرأيت الكسائي فسألته عن مسائل الرؤاسي فأجابني بخلاف ما عندي، فغمزت قوماً من علماء الكوفيين كانوا معي فقال الكسائي: مالك قد أنكرت؟ لعلك من أهل الكوفة فقلت نعم، فقال: الرؤاسي يقول كذا وكذا وليس صواباً، فقد سمعت العرب تقول كذا وكذا حتى أتى على مسائل الرؤاسي فلزمته.

وحكى عن الرؤاسي أنه قال: أرسل إلي الخليل بن أحمد يطلب كتابي فبعثته إليه فقرأه ووضع كتابه، وكان أبو جعفر الرؤاسي رجلاً صالحاً ورعاً، وله تصانيف كثيرة منها: كتاب معاني القرآن، كتاب الوقف والإبتداء الكبير، كتاب الوقف والابتداء الصغير، والفصل في العربية، وكتاب التصغير وغير ذلك.

محمد بن علي بن إسماعيل العسكري

أبو بكر المعروف بمبرمان النحوي، أخذ عن المبرد وعن أبي إسحاق إبراهيم الزجاج وأكثر عنه، وأخذ عنه أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي وأبو علي الفارسي، وكان إماماً في النحو قيمياً به، وكان مع علمه وفضله سخيلاً إذا أراد أن يمضي لمصلحة طرح نفسه في طبق حمال وشده بحبل، وربما كان معه ما ينتقل به نحو نبق وغيره فيأكل ويرمي الناس بالنوى يعتمد رؤوسهم، وربما بال على رأس الحمال فإذا قيل له في ذلك اعتذر، وقال بعض معاصريه يهجو:

صداع من كلامك يعترينا
وما فيه لمستمع بيان
مكابرة ومخرقة وبهت
لقد أبرمتنا يا مبرمان

وكان المبرد يقول: تلاميذ أبي رجلان: أحدهما التكلاباذي يقرأ على أبي ثم يقول: قال المازني فيعلو، والآخر مبرمان يقرأ عليه ثم يقول: قال الزجاج فيسفل. وكان أبو بكر مبرمان ضئيلاً بالقراءة عليه، لا يقرأ كتاب سيبويه إلا بمائة دينار، فقصده أبو هاشم الجبائي لقراءة الكتاب عليه فقال له مبرمان: قد عرفت الرسم؟ فقال أبو هاشم نعم، ولكن أسألك النظر وأحمل إليك شيئاً يساوي أضعاف الرسم فأودعه عندك إلى أن يصل إلي مال لي في بغداد فأحمله إليك واسترد الوديعة، فتمنع قليلاً ثم أجابه، فعمد أبو هاشم إلى زنفيلة حسنة مغشاة بالأدم محلاة فملأها حجارة وقفلها وختمها وحملها إلى مبرمان فوضعها بين يديه، فلما رأى منظرها وثقلها لم يشك في حقيقة ما ذكره، فوضعها عنده وأخذ عنه، فلما ختم الكتاب قال له المبرمان: احمل إلي مالي قبلك. فقال: أنفذ معي غلامك حتى أدفع إليه الرسم. فأنفذه معه إلى منزله، فلما جاء أبو هاشم إلى بيته كتب إلى مبرمان رقعة يقول فيها: قد تأخر حضور المال وأرهقني السفر، وقد أبحت لك التصرف في الزنفيلة وهذا خطي لك حجة بذلك. وخرج أبو هاشم لوقته إلى البصرة ومنها إلى بغداد، فلما وصلت الرقعة إلى مبرمان استدعى بالزنفيلة وفتحها فإذا فيها حجارة فقال: سخر منا أبو هاشم - لا حياه الله - واحتال علي بما لم يتم لغيره.

ولمبرمان من الكتب: شرح كتاب سيبويه لم يتم، وشرح شواهد سيبويه، كتاب المجموع على العلل، والتلفين في النحو، والمجاري، كتاب صفة شكر المنعم، وشرح كتاب الأخفش وغير ذلك، توفي سنة خمس وأربعين وثلاثمائة.

محمد بن علي بن الحسين بن عمر

أبو الحسن بن أبي الصقر الواسطي، كان فقيهاً أديباً شاعراً تفقه في بغداد على أبي إسحاق الشيرازي، وعلق عنه تعليقات وسمع منه ومن أبي بكر الخطيب وأبي سعد المتولي، وروى عنه أبو غالب الذهلي والحافظ محمد بن ناصر الدين، وأبو منصور موهوب الجواليقي وغيرهم، وكان شديد التعصب لمذهب الإمام الشافعي، وظهر ذلك في قصائد المعروفة بالشافعية، وغلب عليه الأدب والشعر فبرع فيهما، وجود الخط فبلغ فيه الغاية وجمع ديوانه في مجلد، ومن شعره:

من عارض الله في مشيئته
لا يقدر الخلق باجتهادهم
فما لديه من بطشه خبر
إلا على ما جرى به القدر

وقال أيضاً:

كل رزق ترجوه من مخلوق
وأنا قائل واستغفر ال
لست أرضى من فعل إبليس شيئاً
يعتريه ضرب من التعويق
له مقال المجاز لا التحقيق
غير ترك السجود للمخلوق

وقال:

من قال لي جاه ولي حشمة
ولم يعد ذاك بنفع على
وقال وقد طعن في السن وعجز عن المشي:
كل أمر إذا تفكرت فيه
كنت أمشي على اثنتين قوياً
وحضر عزاء طفل وهو يرتعش من الكبر، فتغامز عليه الحاضرون يشيرون إلى موت الطفل وطول حياته مع هذه السن، ففطن لهم وقال:

إذا دخل الشيخ بين الشباب
رأيت اعتراضاً على الله إذ
فقل لابن شهر وقل لابن دهر
عزاء وقد مات طفل صغير
توفي الصغير وعاش الكبير
وما بين ذلك: هذا المصير

وقال أيضاً:

علة سميت ثمانين عاماً
فإذا عمروا تمهد عذري
منعتني للأصدقاء القياما
عندهم بالذي ذكرت وقاما

وقال:

ابن أبي الصقر افكر
والله لولا بولة
لما ذكرت أن لي
وقال في حال الكبر
تحرقتني وقت السحر
ما بين فخذي ذكر

وقال:

وحرمة الود مالي عندكم عوض
أشتاقكم وبودي لو يواصلني
وقد شرطت على صحب صحبتهم
ومن حديثي بكم قالوا: به مرض
لأنني ليس لي في غيركم غرض
لكم خيال ولكن لست أغتمض
بأن قلبي لكم من دونهم فرضوا
فقلت: لا زال عني ذلك المرض

وقال:

ولما إلى عشر تسعين صرت
تيفنت أني مستبدل
فتبت إلى الله مما مضى
ومالي إليها أب قبل صارا
بداري داراً والجار جاراً
ولن يدخل الله من تاب ناراً

وكان مولد ابن أبي الصقر في ذي القعدة سنة تسع وأربعمائة، وتوفي يوم الخميس رابع عشر جمادى الأولى سنة ثمان وستين وأربعمائة.

محمد بن علي بن عمر

أبو منصور بن الجبان، أحد حسنات الري وعلمائها الأعيان، جيد المعرفة باللغة، باقعة الوقت وفرد الدهر، وبحر العلم وروضة الأدب، تصانيفه سائرة في الآفاق، كان من ندماء الصاحب بن عباد ثم استوحش منه، وصنف أبنية الأفعال، وشرح الفصيح والشامل في اللغة، قرئ عليه في سنة ست عشرة وأربعمائة.

قال ابن مندة، قدم أصبهان فتكلم فيه من قبل مذهبه، وقرأ عليه مسند الروياني بسماعه من جعفر بن فناكي، وابتلى بحب غلام يقال له البركاني، فاتفق أن الغلام حج فلم يجد بداً من مرافقته، فلما أحرم قال: اللهم لبيك اللهم لبيك، والبركاني ساقني إليك، وابتلى بفراقه وبرح به فكتب إليه:

أترى يدوم على هذا؟

يا وحشتي لفراقكم

ح وكل معضلة ولاذا

ألموت والأجل المتأ

ومن كلامه: قياسات النحو تتوقف ولا تطرد كقميص له جربانات، فصاحبه كل ساعة يخرج رأسه من جربانة، ومن تصانيفه أيضاً: كتاب سماه انتهاز الفرص في تفسير المقلوب من كلام العرب، قرأه عليه عبد الواحد بن برهان، ومن شعره يمدح الصاحب بن عباد:

ما سير الأسيران الشعر والسمر
ما عمر الأبقان الكتب والسير
صفا به الأفضلان العدل والنظر
أيحسب الأكثران الرمل والشجر؟
تمرد الأشجعان الترك والخزر
في سيره الأسنيان الفتحة والظفر
أغضى له الأبهجان الوشي والزهر
يقبل الأكرمان الركن والحجر

ليهنك الأهنان الملك والعمر
وطال عمر سناك المستضاء به
يفدي الوري كلهم كافي الكفاة فقد
له مكارم لا تحصى محاسنها
لكيده النصر من دون الحسام وإن
ما سار موكبه إلا ويخدمه
وإن أمر على طرس أنامله
دامت تقبلها صيد الملوك كما

محمد بن علي

أبو سهل الهروي النحوي، ولد في رمضان سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، وأخذ عن صاحب الغريبين أبي عبيد أحمد بن محمد الهروي، وروي عنه وعن أبي يعقوب النجيري وأبي أسامة جنادة بن محمد النحوي رئيس المؤذنين بجامع عمرو، وله من الكتب: شرح الفصيح ومختصره، وكتاب أسماء الأسد، كتاب أسماء السيف. مات بمصر يوم الأحد ثالث المحرم سنة ثلاث وثلثين وأربعمائة.

محمد بن علي

أبو بكر المراغي النحوي، قرأ علي أبي إسحاق إبراهيم الزجاج، وكان عالماً أديباً أقام بالموصل زمناً طويلاً، وله من الكتب: المختصر في النحو، وشرح شواهد الكتاب - كتاب سيبويه -.

محمد بن علي

أبو الحسن الدقيقي النحوي، ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، أخذ عن أبي الحسن الرماني وغيره. وصنف المرشد في النحو، وكتاب المسموع من كلام العرب وغير ذلك.

محمد بن علي بن مروان الأموي

أبن أخي المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الخليفة المرواني بالأندلس، كان أديباً فاضلاً شاعراً ومن شعره:

كم تصاب أردفته بتصاب
وكنوس أعطيتها بدر تم
وغصون جنيت منا ثماراً
زمن لو بكيته حسب وجدي

وقال:

قد رضيت الهوى لنفسي خلا
وتذلللت للحبيب وعز الصب
يأبى من أحل قتلي عمداً
سوف أجزى الحبيب بالصد ودا
وإذا ما استزاد تيتهاً وعجباً

وقال:

تبدت بأكناف الحجاز ديارها
كأنى بأنفاسي استمدت ضرامها
يحن إليها القلب حتى كأنما

وقال:

لئن وعدتني وصلها وصل عاتب
فأفضل صوب الغيث في الأرض دافق
فإن ما نعتني فضل إنجاز موعد
فلا كان لي في الأرض رزق أناله

وقال:

ومختطف للعين بت أشيمه
سرى يخطب الظلماء حتى كأنه

وقال:

غير مستنكر همول دموعي
ليس عزي إلا فناء اعتزازي
وبحسبي أني ألاقي عذولي

وقال:

ولما حمى الشوق المبرح ناظري
شربت عقاراً ذكرتني ريقه
فيا نشوة كانت على الصب نعمة

وقال:

راجعته شوقه فحنا
وسال من دمه مصون
فعاد فيه الهوى يقينا
لو كان يلقي الذي ألاقي

وقال:

بين أجفانها وبين ضلوعي
لست أدري أعن مدى طرفها الفا
نازعتني الحياة أيدي المنون
تن موتي أم طرفي المفتون؟

وقال:

يا رباعي ما كان ضرك لوجد
ورده ذاهب ووردك باق
كن شفيعي إليك يا جنة الخلد
ت علينا كما يجود الربيع
وهو سمح به وأنت منوع
فمالي غير الخضوع شفيع

محمد بن عمران بن موسى بن سعيد

ابن عبد الله المرزباني. أبو عبد الله الراوية الأخباري الكاتب، كان راوية صادق اللهجة، واسع المعرفة بالروايات كثير السماع، روى عن البغوي وطبقته، وأكثر روايته بالإجاز لكنه يقول فيها أخبرنا، وكان ثقة صدوقاً من خيار المعتزلة.

قال أبو القاسم الأزهرى: كان المرزباني يضع المحبرة وقنينة النبيذ فلا يزال يكتب ويشرب. وقال القاضي الحسين بن علي الصيمري: سمعت المرزباني يقول: كان في داري خمسون ما بين لحاف ودواج معدة لأهل العلم الذين يبيتون عندي، وصنف كتباً كثيرة في أخبار الشعراء والأمم والرجال والنوادر، وكان حسن الترتيب لما يصنفه، يقال إنه أحسن تصنيفاً من الجاحظ، ولد في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائتين، وتوفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة. وقال الخطيب: سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

وله من التصنيفات: أخبار الشعراء المشهورين والمكثرين من المحدثين وأنسابهم وأزمانهم، وأولهم بشار بن برد وآخرهم ابن المعتز عشرة آلاف ورقة، أخبار أبي تمام نحو مائة ورقة، أخبار أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة أكثر من مائة ورقة، أخبار الأولاد والزوجات والأهل وما جاء فيهم من مدح وذم نحو مائتي ورقة، أخبار البرامكة من ابتداء أمرهم إلى انتهائهم مشروحاً نحو خمسمائة ورقة، أخبار عبد الصمد بن المعذل الشاعر، أخبار محمد بن حمزة العلاف نحو مائة ورقة، أشعار النساء نحو ستمائة ورقة، أشعار الجن المتمثلين فيمن تمثل منهم بشعر أكثر من مائة ورقة، الأنوار والثمار فيما قيل الورد والنجس وجميع الأنوار من الأشعار وما جاء فيها من الآثار والأخبار، ثم ذكر الثمار وجميع الفواكه وما جاء فيها، مستحسن النظم والنثر، تلقيح العقول أكثر من مائة باب وهو أكثر من ثلاثة آلاف ورقة، الرياض في أخبار المتممين من الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والمحدثين، شعر حاتم الطائي، كتاب الأزمنة ألف ورقة، ذكر فيه أحوال الفصول الأربعة والحر والغيوم والبروق والرياح والأمطار، وأوصاف الربيع والخريف وطرفاً من الفلك وأيام العرب والعجم وسنينهم وما يلحق بذلك من الأخبار والأشعار، كتاب الأوائل في أخبار الفرس القدماء وأهل العدل والتوحيد وشيء من مجالسهم نحو ألف ورقة، كتاب الدعاء نحو مائتي ورقة، كتاب ذم الحجاب نحو مائتي ورقة، كتاب ذم الدنيا نحو خمسمائة ورقة، كتاب الشباب والشيب نحو ثلاثمائة ورقة، كتاب الزهد وأخبار الزهاد، كتاب الشعر وهو جامع لفضائله وذكر محاسنه وأوزانه وعيوبه، وأجناسه وضروبه ومختاره وأدب قائله ومنشديه، وبيان منحوه ومسروقه وغير ذلك، كتاب الفرج نحو مائة ورقة، كتاب العبادة نحو أربعمائة ورقة، كتاب المحتضرين نحو مائة ورقة، كتاب المراثي نحو خمسمائة ورقة، كتاب المغازي ثلاثمائة ورقة، كتاب نسخ العهود إلى القضاة نحو مائتي ورقة، كتاب الهدايا نحو ثلاثمائة ورقة، كتاب المديح في الولائم والدعوات نحو خمسمائة ورقة، المتوج في العدل وحسن السيرة أكثر من مائة ورقة، المرشد في أخبار المتكلمين نحو مائة ورقة، المستطرف في الحمقى والنوادر نحو ثلاثمائة ورقة، المشرف في حكم النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه ومواعظه ووصاياه، المفضل في البيان والفصاحة نحو ثلاثمائة ورقة، المزخرف في الإخوان والأصحاب أكثر من ثلاثمائة ورقة، المعجم ذكر فيه الشعراء على حروف المعجم فيه نحو خمسة آلاف اسم ألف ورقة، المقتبس في أخبار النحويين البصريين وأول من تكلم في النحو وأخبار القراء والرواة من أهل البصرة والكوفة نحو ثمانين ورقة، الموسع فيما أنكره العلماء على بعض الشعراء من كسر ولحن وعيوب الشعر ثلاثمائة ورقة، المنير في التوبة والعمل الصالح نحو أربعمائة ورقة، المفيد في أخبار الشعراء وأحوالهم في الجاهلية والإسلام ودياناتهم ونحلهم نيف وخمسة آلاف ورقة، الموثق في أخبار الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين على طبقاتهم نيف وخمسة آلاف ورقة، الوثائق في وصف أحوال الغناء وأخبار المغنين والمغنيات الإملاء والأحرار وله غير ذلك.

أبو جعفر الكوفي النحوي،

كان يؤدب عبد الله بن المعتز وكان نحويّاً عارفاً بالقراءة والعربية بعيد النظر في البوادر، روى أنه حين كان يؤدب ابن المعتز أقرأه يوماً سورة والنازعات وقال له: إذا سألك أمير المؤمنين في أي سورة أنت؟ فقل له: أنا السورة التي تلي سورة عبس، فلما سأله أبوه المعتز عن ذلك قال له: أنا في السورة التي تلي عبس. فقال له: من علمك هذا؟ فقال: مؤدبي أبو جعفر فأمر له بعشرة آلاف درهم، وكان أبو جعفر عالماً بالحديث والآثر وثقة الحافظ علي بن عمر وغيره.

محمد بن عمر بن عبد العزيز

ابن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم المعروف بابن القوطية الإشبيلي الأصل القرطبي أبو بكر اللغوي النحوي الأديب الشاعر، كان أعلم أهل زمانه باللغة والعربية إماماً مقدماً فيهما، وأروى أهل عصره للأشعار والأخبار لا يشق في ذلك غباره، ولا يلحق شأوه، وكان مع ذلك فقيهاً متمكناً حافظاً للحديث والآثار، غير أنه لم يكن له في ذلك أصول يرجع إليها فلم يكن ضابطاً للرواية، وكان ما يسمع منه من ذلك إنما يحمل على المعنى دون اللفظ، وكان كثيراً ما يقرأ عليه ما لا رواية له على سبيل الضبط والتصحيح، وكان مضطرباً بأخبار الأندلس رواية لسير ملوكها وأمرائها وعلمائها وشعرائها، حافظاً لأخبارهم يملئ ذلك عن ظهر قلبه، وكان أكثر ما يؤخذ عنه ويقرأ عليه كتب اللغة.

ولما دخل أبو علي القالي الأندلس اجتمع به، وكان يبالغ في تقديمه وتعظيمه حتى قال له الخليفة المستنصر الحكم بن عبد الرحمن: من أنبل من رأيته ببلدنا في اللغة؟ فقال: أبو بكر ابن القوطية، ومما كان يزيد علمه وفصله اتصافه بالزهد والتقوى والنسك، وكان في أول أمره ينظم الشعر بالغاً فيه حد الإجادة مع الإحسان في المطالع والمقاطع وتخير الألفاظ الرشيق والمعاني الشريفة، ثم ترك ذلك وأقبل على النسك والانفراد.

قال الثعالبي: أخبرني أبو سعيد بن دوست قال: أخبرني الوليد بن بكر الفقيه: أن أبا بكر يحيى بن هذيل الشاعر زار يوماً ابن القوطية في ضيعة له بسفح جبل قرطبة وكان منفرداً فيه عن الناس فألفاه خارجاً منها فلما رآه ابن القوطية استبشر به. فبادره يحيى بن هذيل ببيت حضرة على البديهة فقال:

من أين أقبلت يا من لا شبيه له
فتبسم وأجابه مسرعاً بقوله:

من منزل يعجب النساك خلوته
وفيه ستر على الفتاك إن فتكوا

قال ابن هذيل: فما تمالكت أن قبلت يده إذ كان شيعي وأستاذي، وكان الشعر أقل صنائعه لكثرة علومه وغرائبه. سمع أبو بكر ابن القوطية من قاسم بن أصبغ وابن الأغيش وأبي الوليد الأعرج ومحمد بن عبد الوهاب ابن مغيث، وسمع بقرطبة من طاهر بن عبد العزيز، وسمع بإشبيلية من محمد بن عبد الله بن الفرق وسعيد بن جابر وحسن ابن عبد الله الزبيدي وغيرهم، ولقي أكثر مشايخ عصره بالأندلس فأخذ عنهم وأكثر النقل من فوائدهم، وروى عنه الشيوخ والكهول وطال عمره، فسمع الناس منه طبقة بعد طبقة، ومن تصانيفه: كتاب تصارييف الأفعال وهو أول مصنف في ذلك، ثم تبعه ابن القطام السعدي فوضع كتابه على منواله، كتاب المقصور والممدود جمع فيه فأوعى فأعجز من بعده عن أن يأتوا بمثله، وفاق به من تقدمه، وله شرح أدب الكتاب، وتاريخ الأندلس وغير ذلك.

مات ابن القوطية يوم الثلاثاء لسبع بقين من ربيع الأول سنة سبع وستين وثلاثمائة بمدينة قرطبة، ودفن يوم الأربعاء وقت صلاة العصر بمقبرة قریش، والقوطية نسبة إلى القوط، وهم ينسبون إلى قوط بن حام بن نوح، كانوا بالأندلس من أيام إبراهيم عليه السلام، ومن شعر أبي بكر بن القوطية:

ضحى أناخوا بوادي الكلج عيسهم
أكرم به وادياً حل الحبيب به
يا وادياً سار عنه الركب مرتحلاً
أبالغضا نزلوا أم للوى عدلوا
بانوا وقد أورتوا جسمي الضنا وكان

وقال:

ضحك الثرى وبدا لك استبشاره
ورنت حدائقه وأزر نبتة
واهتز قد الغصن لما أن كسى
وتعممت صلع الربي بنيانها
واخضر شاربه وطر عذاره
وتبسمت أنواره وثماره
ورقاً كديباج يروق وإزاره
وترنمت في لحنها أطيّاره

محمد بن واقد

الواقدي المدني مولى الأسلميين، أحد أوعية العلم وصاحب التصانيف الكثيرة، وسمع من مالك بن أنس والثوري ومعمّر بن راشد بن أبي ذؤيب وغيرهم، وروي عنه جماعة من الأعيان وكاتبه محمد بن سعد الزهري، وكان عارفاً برأي مالك وسفيان الثوري.

وقال أبو داود الحافظ: بلغني أن ابن المديني قال: كان الواقدي يروي ثلاثين ألف حديث غريب، وكان ذلك إلى حفظه المنتهي في المغازي والسير والأخبار وأيام الناس والوقائع والفقه وغير ذلك، ولقي الواقدي ابن جريج وابن عجيلان ومعمراً وثور بن يزيد.

وقال الإمام إبراهيم الحربي: الواقدي أمين الناس على الإسلام. وقال البخاري: سكتوا عنه. وقال محمد بن إسحاق: والله لولا أنه عندي ثقة ما حدثت عنه. وقال مصعب بن الزبير: والله ما رأينا مثلاً للواقدي، وقال: أيضاً: الواقدي ثقة مأمون.

وقال الإمام إبراهيم الحربي: من قال إن مسائل مالك وابن أبي ذؤيب تؤخذ من أوثق من الواقدي فلا تصدقه. وقال الحافظ الدراوردي: الواقدي أمير المؤمنين في الحديث. وقال محمد بن سلام الجمحي: الواقدي علم دهره. وقال جابر ابن كردي: سمعت يزيد بن هارون يقول: الواقدي ثقة، ووثقه أيضاً أبو عبيد القاسم بن سلام.

وقال الخطيب في تاريخه: قدم الواقدي بغداد وولي قضاء الجانب الشرقي منها، وهو ممن طبق الأرض شرقها وغربها ذكره، ولم يخف على أحد عرف الأخبار أمره، وسارت الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازي والسير والطبقات وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم والأحداث الكائنة في وقته وبعد وفاته، وكتب الفقه واختلاف الناس في الحديث وغير ذلك، وكان جواداً مشهوراً بالسخاء - انتهى - . وسئل معن الفزاز عن الواقدي فقال: أنا أسأل عن الواقدي؟ والواقدي يسأل عني، يعني تحري الواقدي في معرفة الرجال.

قال المؤلف: وهو مع ذلك ضعفه طائفة من المحدثين كابن معين وأبي حاتم والنسائي وابن عدي وابن راهويه والدارقطني، أما في أخبار الناس والسير والفقه وسائر الفنون فهو ثقة بجماع، وكان الرشيد قد ولاه القضاء بشرفي بغداد، ثم ولاه المأمون القضاء بعسكر المهدي وكان يكرم جانبه ويبالغ في رعايته، وكتب الواقدي إلى المأمون مرة يشكو ضائقة ركبته بسببها دين وعين مقدار، فوقع المأمون على قصته بخطه: فيك خلطان: سخاء وحياء، فالسقاء أطلق يديك بتبذير ما ملكت، والحياء حملك على أن ذكرت لنا بعض دينك، وقد أمرنا لك بضعف ما سألت، وإن كنا قصرنا عن بلوغ حاجتك فبجنايتك على نفسك، وإن كنا بلغنا بغيتك فرد في بسطة يدك، فإن خزائن الله مفتوحة، ويده بالخير مبسطة، وأنت حدثتني حين كنت على قضاء الرشيد: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير: يا زبير، إن مفاتيح الرزق بإزاء العرش، ينزل الله سبحانه وتعالى للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم، فمن كثر كثر له، ومن قلل قلل عليه. قال الواقدي: نسيت الحديث، وكان تذكيره لي به أعجب من صلتته. وعن ابن أبي الأزر قال: حدثني أبو سهل الداري عن حدثه عن الواقدي قال: كان لي صديقان أحدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة فنالتني ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتي: أما نحن في أنفسنا فنصبر على اليأس والشدة، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم، لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة، فلو احتلت بشيء نصرته في كسوتهم قال: فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة علي بما حضر، فوجه إلى كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف درهم، فما استقر قراره إذ كتب إلى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي، فوجهت إليه الكيس بحاله، وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليلي مستحيياً من امرأتي، فلما دخلت عليها وأخبرتها بما فعلت استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه. فبينما أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهينته فقال لي: أصدقني عما فعلته فيما وجهت إليك، فعرفته الخبر على وجهه فقال: إنك وجهت إلي وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة فوجه إلي كيساً بخاتمي، قال الواقدي: فتقاسمنا الكيس أثلاثاً ونمى الخبر إلى المأمون، فدعاني فشرحت له الخبر، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد ألف دينار، وللمرأة ألف دينار.

وروى ابن سعد عن الواقدي أنه قال: ما من أحد إلا وكتبه أكثر من حفظه، وحفظي أكثر من كتبي وقال يعقوب بن شيبة: لما تحول الواقدي من الجانب الغربي يقال أنه حمل كتبه على عشرين ومائة وقر، وقيل كان له ستمائة قمطر كتب، ولد سنة ثلاثين ومائة، وتوفي عشية يوم الاثنين حادي عشر ذي الحجة سنة سبع ومائتين عن سبعة وسبعين عاماً ودفن في مقابر الخيزران. وله من الكتب: كتاب الاختلاف يحتوي على اختلاف أهل المدينة والكوفة في الشفعة والصدقة والعمرى والرقي والوديعة وعلى كتب الفقه الباقية، كتاب غلط الحديث، كتاب السنة والجماعة ودم الهوى، كتاب ذكر القرآن، كتاب الأدب، كتاب الترغيب في علم القرآن، التاريخ الكبير، كتاب التاريخ والمغازي والبعث، أخبار مكة، كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب وفاة

النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب السقيفة وبيعة أبي بكر، كتاب سيرة أبي بكر ووفاته، كتاب الردة والدار، كتاب السيرة، كتاب أمر الحبشة والفيل، كتاب حرب الأوس والخزرج، كتاب المناكح، كتاب يوم الجمل، كتاب صفين، كتاب مولد الحسن والحسين، كتاب مقتل الحسين، كتاب فتوح الشام، كتاب فتوح العراق، كتاب ضرب الدنانير والدراهم، كتاب مراعي قريش والأنصار في القطائع ووضع عمر الدواوين، كتاب الطبقات، تاريخ الفقهاء.

محمد بن فتوح بن عبد الله بن حميد

أبو عبد الله الأزدي الحميدي الحافظ المؤرخ الأديب أصله من قرطبة، وولد بميورقة جزيرة بالاندلس قبل العشرين وأربعمائة، وكان يحمل على الكتف للسمع سنة خمس وعشرين وأربعمائة، وأول من سمع منه أبو القاسم أصبغ، وتفقه بآب أبي زيد القيرواني، وروى عنه رسالته ومختصر المدونة، ورحل سنة ثمان وأربعين وأربعمائة إلى المشرق فحج وسمع بمكة، وقدم مصر فسمع بها من الضراب والقراعي وغيرهما. وكان سمع بالاندلس من الحافظ ابن عبد البر، وأبي محمد بن حزم الظاهري ولازمه وقرأ عليه أكثر مصنفاته وأكثر من الأخذ عنه، وشهر بصحبته وكان على مذهبه إلا أنه لم يتظاهر بذلك، وسمع بإفريقية ودمشق، وأقام بواسط مدة ثم رجع إلى بغداد واستوطنها، وروى عن الخطيب البغدادي وكتب عنه أكثر مصنفاته، وروى عنه الأمير الحافظ الأديب أبو نصر علي بن ماکولا وقال: أخبرنا صديقنا أبو عبد الله الحميدي وهو من أهل العلم والفضل والتبليغ: لم أر مثله في عفته ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم. وقال بعض أكابر عصره ممن لقي الأئمة: لم تر عينا مثلي أبي عبد الله لحميدي في فضله ونبله ونزاهته وورعه وعزازه علمه، وحرصه على نشر العلم وبثه في أهله، وكان ورعاً ثقة إماماً في علم الحديث وعلمه، ومعرفة متونه ورواته، محققاً في علم الأصول على مذهب أصحاب الحديث، متبحراً في علم الأدب والعربية وكان يقول: ثلاثة أشياء من علوم الحديث يجب تقديم الاهتمام بها: العلل وأحسن كتاب صنف فيها كتاب الدارقطني، ومعرفة المؤلف والمختلف، وأحسن كتاب وضع فيه كتاب الأمير أبي نصر بن ماکولا، ووفيات الشيوخ وليس فيها كتاب. وقد كنت أردت أن أجمع في ذلك كتاباً فقال لي الأمير ابن ماکولا: رتبته على حروف المعجم بعد أن رتبته على السنين.

قال أبو بكر بن طرخان: فشغله عنه الصحيحان إلى أن مات، توفي ببغداد ليلة الثلاثاء سابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وكان أوصى مظفر بن رئيس الرؤساء أن يدفنه عند قبر بشر الحافي، فخالف وصيته ودفنه في مقبرة باب البزر، فلما مضت مدة رآه مظفر في النوم يعاتبه على مخالفته، فنقل في صفر سنة إحدى وتسعين وأربعمائة إلى مقبرة باب حرب ودفن عند قبر بشر، ووجد كفنه حين نقل وبدنه طرياً تفوح منه رائحة الطيب.

صرف الحميدي جذوة المقتبس في أخبار علماء الأندلس ألفه في بغداد وذكر في خطبته أنه كتبه من حفظه، وتاريخ الإسلام، والأمانى الصادقة، وتسهيل السبيل إلى علم الترسيل، والجمع بين الصحيحين للبخاري ومسلم، وكتاب ذم النميمة، والذهب المسبوك في وعظ الملوك، وكتاب ما جاء من النصوص والأخبار في حفظ الجار، ومخاطبات الأصدقاء في المكاتبات واللقاء، وكتاب من ادعى الأمان من أهل الإيمان، ومن شعره:

كلام الله عز وجل قولني
وما اتفق الجميع عليه بدءاً
فدع ما صد عن هذا وهذا
وما صحت به الآثار ديني
وعوداً فهو عن حق مبين
تكن منها على عين اليقين

وقال:

ألفت النوى حتى أنست بوحشتي
فلم أحص كم رافقت فيها مرافقاً
ومن بعد جوب الأرض شرقاً ومغرباً
وصرت بها لا بالصباية مولعا
ولم أحص كم يمت في الأرض موضعا
فلا بد لي م أن أوافي مصرعا

وقال:

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً
فأقلل من لقاء الناس إلا
سوى الهذيان من قيل وقال
لأخذ العلم أو إصلاح حال

محمد بن فرج

أبو جعفر الغساني الكوفي النحوي، أخذ عن سلمة بن عاصم صاحب الفراء. وقال الداني: أخذ القراءة عن أبي عمرو الدوري وله عنه نسخة، وروي عنه الحروف أحمد بن جعفر بن عبيد الله ابن المنادي ومحمد بن الحسن النقاش، وأبو مزاحم الخاقاني وغيرهم.

محمد بن القاسم

وقيل ابن خلاد بن ياسر بن سليمان الهاشمي بالولاء أبو عبد الله المعروف بأبي العيناء، الأخباري الأديب الشاعر، روي عن ابن عاصم النزيل، وسمع من الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري والعتبي وغيرهم، وحدث عنه الصولي ابن نجيح وأحمد بن كامل وآخرون، وكان فصيحاً بليغاً من ظرفاء العالم آية في الذكاء واللسن وسرعة الجواب، فمن لطائفه: أنه شكا تأخر أرزاقه إلى عبيد الله بن سليمان فقال له: ألم تكن كتبنا لك إلى ابن المدبر فما فعل في أمرك؟ قال جرتني على شوك المظل، وحرمني ثمرة الوعد، فقال: أنت اخترته. فقال: وما علي وقد اختار موسى قومه سبعين رجلاً فما كان منهم رشيد، فأخذتهم الرجفة، واختار النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتباً فلحق بالمشركين مرتداً، واختار علي بن أبي طالب أبا موسى الأشعري حكماً فحكم عليه. وحجبه بعض الأمراء ثم كتب إليه يعتذر منه فقال: تجبهني مشافهة وتعتذر إلى مكاتبة؟. وقال: أخلجني ابن صغير لعبد الرحمن بن خاقان قلت له: وددت أن لي ابناً مثلك قال: هذا بيدك، قلت: كيف ذلك؟ قال: تحمل أبي على امرأتك فتلد لك ابناً مثلي. وبلغه أن المتوكل قال: لولا أنه ضرير لنادمناه فقال: إن أعفاني من رؤية الأهله وقراءة نقش الفصوص صلحت للمنادمة. ودخل على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة ست وأربعين ومائتين فقال له: ما تقول في دارنا هذه؟ فقال: إن الناس بنوا الدور في الدنيا، وأنت بنيت الدنيا في دارك، فاستحسن كلامه ثم قال له: كيف شربك للخمير؟ قال: أعجز عن قليله، وأفتضح عند كثيره. فقال له: دع هذا عنك ونادمناه فقال: أنا رجل مكفوف وكل من في مجلسك يخدمك وأنا محتاج أن أخدم، ولست آمن من أن تنتظر إلي بعين راض وقلبك علي غضبان، أو بعين غضبان وقلبك راض، ومتى لم أميز بين هذين هلكت، فأختار العافية على التعرض للبلاء. فقال: بلغني عنك بذاء في لسانك، فقال: يا أمير المؤمنين، قد مدح الله تعالى وذم فقال: (نعم العبد أنه أواب)، وقال عز وجل: (هماز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم). وقال الشاعر:

إذا أنا المعروف لم أثن صادقاً ولم أشتم النكس اللئيم المذمماً

ففيهم عرفت الخير والشر باسمه؟ وشق لي الله المسامع والفما؟

قال: فمن أين أنت؟ قال من البصرة: قال: فما تقول فيها؟ قال: ماؤها أجاج، وحرها عذاب، وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم. قرأت في تاريخ دمشق قال: قرأت على زاهر بن طاهر عن أبي بكر البيهقي: حدثنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت عبد العزيز بن عبد الملك الأموي يقول: سمعت إسماعيل بن محمد النحوي يقول: سمعت أبا العيناء يقول: أنا والحافظ وضعنا حديث فذك وأدخلناه على الشيوخ في بغداد فقبلوه إلا ابن شيبه العلوي قال: لا يشبه آخر هذا الحديث أوله فأبي أن يقبله، وكان أبو العيناء يحدث بهذا بعد ما كان، وكان جد أبي العيناء الأكبر يلقي علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأساء المخاطبة بينه وبينه، فدعا عليه بالعمى له ولولده من بعده، فكل من عمي من ولد أبي العيناء فهو صحيح النسب فيهم.

وقال المبرد: إنما صار أبو العيناء أعمى بعد أن نيف على الأربعين، وخرج من البصرة واعتلت عيناه فرمى فيهما بما رمى، والدليل على ذلك قول أبي البصير:

قد كنت خفت يد الزما ن عليك إذ ذهب البصر

ولم ادر أنك بالعمى تغنى ويفتقر البشر

وقال أحمد بن أبي دؤاد لأبي العيناء: ما اشد ما أصابك في ذهاب بصرك؟ قال أبدأ بالسلام، وكنت أحب أن أكون أنا المبتدئ، وأحدث من لا يقبل على حديثي ولو رأيته لم أقبل عليه. فقال له ابن أبي دؤاد: أما من بدأك بالسلام فقد كافأته بجميل بيتك له، ومن أعرض عن حديثك إنما أكسب نفسه من سوء الأدب أكثر مما نالك من سوء الإعراض. وقال محمد بن خلف المرزبان: قال لي أبو العيناء: أتعرف في شعراء المحدثين رشيداً الرياحي؟ قال: فقلت لا. قال: بل هو القائل في:

نسب لابن قاسم ما تراث فهو للخير صاحب وقرين

أحول الهين والخلائق زين لا احوال بها ولا تلوين

ليس للمرء شائناً حول العي ن إذا كان فعله لا يشين

فقلت له: وكنت قبل العمى أحول؟ أمن السقم إلى البلى؟ فقال: هذا أظرف خبر تعرض به الملائكة إلى السماء اليوم. وقال: أيما أصلح، من السقم إلى البلى؟ أو حال العجوز أصلحها الله من القيادة إلى الزناء؟ وحمله بعض الوزراء على دابة فانتظر علفها فلما أبطأ عليه قال: أيها الوزير، هذه الدابة حملتني عليها أو حملتها علي. وقال له المتوكل: هل رأيت طالبياً الوجه؟ قال نعم: رأيت ببغداد - منذ ثلاثين - واحداً قال: نجده كان مؤجراً وكنت أنت تقود عليه، فقال يا أمير المؤمنين: أو يبلغ هذا من فراغي

أدع موالي مع كثرتهم وأقود على الغرباء؟ فقال المتوكل للفتح: أردت أن أشتقي منهم فاشتقي لهم مني. وقال له يوماً: إن سعيد بن عبد الملك يضحك منك فقال: إن الذين أكرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون. وقال له ابن ثوبة يوماً: كتمت أنفاس الرجال فقال: حيث كانوا وراء ظهرك. وقال له جناح بن سلمة يوماً: ما ظهورك وقد خرج توقيع أمير المؤمنين في الزنادقة؟ فقال له: أستدفع الله عنك وعن أصهارك. ودخل يوماً على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وهو يلعب بالشطرنج فقال: في أي الحيزين أنت؟ فقال في حيز الأمير - أيده الله - وغلب عبيد الله فقال: يا أبا العيناء، قد غلبنا وقد أصابك خمسون رطل تلج فقام ومضى إلى ابن ثوبة وقال: إن الأمير يدعوك، فلما دخلا قال: أيد الله الأمير، قد جنتك بجبل همدان وما سبذان تلجاً فخذ منه ما شئت، وكان بينه وبين محمد بن مكرم مداعبة فسمع ابن مكرم أبا العيناء يقول في دعائه: يا رب سائلك، فقال يا ابن الفاعلة: ومن ليس سائله؟! وقال له ابن مكرم يوماً يعرض به: كم عدد المكدين بالبصرة؟ فقال له: مثل عدد البغاثين ببغداد، وقال له ابن مكرم ذات يوم: هممت أن أمر غلامي أن يدوس بطنك فقال: الذي تخلفه على عيالك إذا ركبت، أو الذي تحمله على ظهرك إذا نزلت؟. وقال ابن مكرم يوماً: مذهبي الجمع بين الصلاتين فقال له: صدقت تجمع بينهما بالترك. وقيل له: ما تقول في محمد بن مكرم والعباس بن رستم؟ فقال: هما الخمر والميسر، إثمهما أكبر من نفعهما؟ وقال ابن مكرم له يوماً: أحسبك لا تصوم شهر رمضان، فقال له ويلك، وتدعني امرأتك الصوم؟ وبات ليلة عند ابن مكرم فجعل ابن مكرم يفسو عليه فقام أبو العيناء وصعد السرير فارتفع إليه فساؤه، فصعد إلى السطح فبلغته رائحته فقال: يا ابن الفاعلة، ما فساؤك إلا دعوة مظلوم. وقدم إليه ابن مكرم يوماً جنب شواء فلما جسه قال: ليس هذا جنباً، هذا شريحة قصب. ومر يوماً على دار عدو له فقال: ما خبر أبي محمد؟ فقالوا كما تحب. قال: فمالي لا أسمع الرنة والصياح؟. ووعده ابن المدبر بدابة فلما طالبه قال: أخاف أن أحملك عليها فتقطعني ولا أراك فقال: عدني أن تضم إليها حمراً لأواظب مقتضياً، ووعده يوماً أ يعطيه بغلاً فلقبه في الطريق فقال: كيف أصبحت يا أبا العيناء؟ فقال: أصبحت بلا بغل فضحك منه وبعث به إليه. وقالت له قينة: هب لي خاتمك وأذكرك به، فقال لها: اذكرني أنك طلبته مني ومنعتك. ولما استوزر صاعد عقب إسلامه صار أبو العيناء إلى بابيه فقيل له يصلي، فعاد فقيل يصلي فقال: معذور، ولكل جديد لذة. وحضره يوماً ابن مكرم وأخذ يؤذيه ثم قال: الساعة والله أنصرف، فقال أبو العيناء: ما رأيت من يتهدد بالعافية غيرك. وقال له ابن الجمار المغني: هل تذكر سالف معاشرتنا؟ فقال: إذ تغنينا ونحن نستعفيك. ودخل على أبي الصقر إسماعيل بن بلبل الوزير فقال له: ما الذي أخرجك عنا يا أبا العيناء؟ فقال: سرق حماري، فقال وكيف سرق؟ قال: لم أكن مع اللص فأخبرك. قال فهلا أتيتنا على غيره؟ قال: قعد بي عن الشراء قلة يساري، وكرهت ذل المكاري ومنه العواري. وقيل له إلى متى تمدح الناس وتهجوهم؟ فقال: ما دام المحسن بحسن والمسيء يسيء، وأعوذ بالله أن أكون كالعقرب تلسب النبي والذمي. ودخل على ابن ثوبة عقب كلام جرى بينه وبين الوزير أبي الصقر بن بلبل وكان ابن ثوبة تطاول على الوزير فقال به أبو العيناء: بلغني ما جرى بينك وبين الوزير، وما منعه من استقصاء الجواب إلا أنه لم يجد فيك عزا فيضعه، ولا مجداً فينقصه، وبعد: فإنه عاف لحكم أن يأكله، واستقل دمك أن يسفكه. فقال ابن ثوبة وما أنت والدخول بيني وبين هؤلاء يا مكدي؟ فقال: لا تتكر على ابن ثمانين قد ذهب بصره وجفاه سلطانه أن يعول على إخوانه فيأخذ من أموالهم، ولكن أشد من هذا من يستنزل الماء من أصلاب الرجال فيستقرغه في جوفه، فيقطع نسلهم ويعظم أوزارهم. فقال ابن ثوبة: ما تساب اثنتان إلا غلب الأملهما. فقال أبو العيناء: وبذا غلبت أبا الصقر بالأمس فأفحمه. وخاصم يوماً علويًا فقال له العلوي: تخاصمني وقد أمرت أن تقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فقال: لكني أقول الطيبين الطاهرين فتخرج أنت. وقال له ابن الجهم يوماً: يا مخنث. فقال: (وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه).

ولما وكل موسى بن عبد الملك الأصبهاني بنجاح بن سلمة ليستأديه ما عليه من الأموال عاقبه موسى فهلك ابن سلمة في المطالبة والعقاب، فلقى بعض الرؤساء أبا العيناء وقال له: ما عندك من خبر نجاح بن سلمة؟ فقال أبو العيناء: فوكزه موسى فقضى عليه. فبلغت كلمته موسى فلقبه وقال له: أبا تولع؟ والله لأقومنك، فقال له أبو العيناء: أتريد أن تقتلني كما قلت نفساً بالأمس؟.

وقال له العباس بن رستم يوماً: أنا أكفر منك فقال له: لأنك تكفر ومعك خفير مثل عبيد الله بن يحيى وابن أبي دؤاد، وأنا أكفر بلا خفارة.

وقال أبو العيناء: مررت يوماً في درب بسر من رأي، فقال لي غلام: يا مولاي، في الدرب حمل سمين والدرب خال، فأمرته أن يأخذه وغطيته بطيلساني وصرت إلى منزلي، فلما كان من الغد جاءتني رقعة من بعض رؤساء ذلك الأرب مكتوب فيها: جعلت فداك ضاع لنا بالأمس حمل فأخبرني صبيان دربنا أنك أنت أخذته فأمر برده متفضلاً، فكتب إليه: يا سبحان الله! ما أعجب هذا الأمر، مشايخ دربنا يزعمون أنك بغاء وأكذبهم أنا ولا أصدقهم، وتصدق أنت صبيان دربك أنني أخذت الحمل؟ قال: فسكت ولم يعاودني.

وقال له رجل من بني هاشم: بلغني أنك بغاء فقال: وما أنكرت من ذلك مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مولى القوم منهم)، فقال الهاشمي: إنك دعي فينا. قال بغائي صحيح نسبي فيكم. ولقيه بعض الكتاب في السحر فقال متعجباً من بكوره: يا أبا عبد الله، أتبكر في مثل هذا الوقت؟ فقال له أبو العيناء: أنشركني في الفعل وتتفرد بالتعجب؟ ودعا أبو العيناء سائلاً ليعيشه فلم يدع شيئاً إلا أكله فقال له: يا هذا دعوتك رحمه فاتركني رحمة. ووقف عليه رجل من العامة فلما أحس به قال: من هذا؟ قال: رجل من بني آدم، قال أبو العيناء: مرحباً بك - أطال الله بقاءك -، كنت أظن أن هذا النسل قد انقطع.

وكنيت إلى بعض الرؤساء وقد وعده بشيء فلم ينجزه: ثقني بك تمنعني من استطبائك، وعلمي بشغلك يدعوني إلى تذكيرك، ولست آمن - مع استحكام ثقتي بطولك والمعرفة بعلو همتك - اخترام الأجل، فإن الآجال آفات الآمال - فسح الله في أجلك - وبلغك منتهى أملك، والسلام. وغداة ابن مكرم يوماً فقدم إليه عراقاً فلما جسده قال: قدركم هذه طبخت بالشطرنج. وقدم يوماً إليه قدراً فوجد بها كثيرة العظام فقال له: هذه أم قبر؟ وأكل عنده يوماً فسقى على المائدة ثلاث شربات باردة ثم استقى فسقى شربة حارة فقال: لعل مزملتكم تعتربها حمى الربيع. ودخل يوماً على المتوكل فقدم إليه طعام فغمس أبو العيناء لقمته في خل كان حاضراً وأكلها فتأذى بالحموضة وفطن المتوكل له فجعل يضحك، فقال لا تلمني يا أمير المؤمنين، فقد محت حلاوة الإيمان من قلبي.

وأكل يوماً عند بعض أصحابه طعاماً وغسل يده عشرات مرات فلم تنق فقال: كادت هذه القدر أن تكون إلا نسباً وصهراً.

وقال له رجل من ولد سعيد بن مسلم: إن أبي يبغضك، فقال: يا بني لي أسوة بآل محمد صلى الله عليه وسلم. واعترضه يوماً أحمد بن سعيد فسلم عليه فقال له أبو العيناء: من أنت؟ قال: أنا أحمد بن سعيد. فقال: إني بك لعارف، ولكن عهدي بصوتك يرتفع إلى من أسفل، فما له ينحدر علي من علو؟ قال: لأنني راكب فقال: عهدي بك وأنت في طمرين لو أقسمت على الله في رغي لأعضك بم تكره.

ودق إنسان عليه الباب فقال: من هذا؟ قال أنا، فقال أنا والدق سواء.

وذكر يوماً ولد موسى بن عيسى فقال: كأن أنوفهم قبور نصبت على غير قبلة. وقيل له: لم اتخذت خادمين أسودين؟ قال: أما أسودان، فلنلا أتهم بهما، وأما خادمان فلنلا يتهما بي.

وقال يوماً لابن ثوبة: إذ شهدت على الناس ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون، شهد عليك أنتن عضو فيك.

وقال ابن ثوبة يوماً: أما والله أحبك بكل جوارحي، فقال أبو العيناء: إلا بعضو واحد - أيدك الله - فبلغ ذلك ابن أبي ذؤاد فقال: قد وفق في التحديد عليه. سئل يوماً عن مالك بن طوق فقال: لو كان في بني إسرائيل حين نزلت آية البقرة ما ذبحوا غيره.

وقال أبو العيناء: أنا أول من أظهر العقوق بالبصرة قال لي أبي يا بني: إن الله تعالى قرن طاعته بطاعتي فقال: (أشكر لي ولوالديك)، فقلت له: يا أبت، إن الله انتمني عليك ولم ياتمك علي، فقال تعالى: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق). وقال له عبيد الله بن سليمان: اعذرني فأني مشغول عنك فقال له: إذا فرغت لم أحتج إليك، يعني إذا عزل. ووضع أبو العيناء كتاباً في ذم أحمد بن الخطيب حكى فيه: أن جماعة من الفضلاء اجتمعوا في مجلس وكل منهم يكره ابن الخصيب لما كان فيه من الفدامة والجهالة والتغفل، فتجادبوا أطراف الملح في ذمه فقال أحدهم: كان جهله غامراً لعقله، وسفهة قاهرراً لحلمه. وقال آخر: لو كان دابة لتقاعس في عنانه، وحرن في ميدانه. وقال آخر: كنت إذا وقع لفظه في سمعي أحسست النقصان في عقلي.

وقال بعض كتابه: كنت أرى قلم ابن الخصيب يكتب بما لا يصيب، ولو نطق بنوك عجب. وقال إبراهيم ابن المدبر: كنت يوماً عنده فقدم الطعام وفيه هليون فأكب عليه فقلت له: أراك راغباً في الهليون فقال: إنه يزيد الباه. وقال آخر: لو غابت عنه العافية لنسيها. وقال أبو العيناء في آخر هذا التصنيف: كان ابن الخصيب إذا ناظر شغب، وربما رفس من ناظره إذا عجز عن الجواب، وخفى عليه الصواب، واستولت عليه البلادة، وعرى كلامه عن الإفادة، وكان إذا دنوت منه غرك، وإن بعدت عنه ضرك، فحياته لا تنفع، وموته لا يضر. وقال أبو الخطيب في تاريخه: أخبرنا الأزهرى، أخبرنا محمد بن جعفر التميمي، أخبرنا الصولي عن أبي العيناء قال: سبب تحولي من البصرة أني رأيت غلاماً ينادي عليه بثلاثين ديناراً يساوي ثلاثمائة دينار، فاشتريته وكنيت أبنياً داراً فأعطيته عشرين ديناراً لينفقها على الصناعات، فأنفق عشرة واشترى بعشرة ملبوساً له فقلت ما هذا؟

فقال: لا تجعل فإن أرباب المروءات لا يعتبرون على غلمانهم هذا، فقلت في نفسي: أنا اشتريت الأصمعي ولم أدر، ثم أردت أن أتزوج امرأة سراً من بنت عمي فاستكتمته ودفعت إليه ديناراً يشتري به حوائج وسمكاً هازباً فاشتري غيره فعاظني فقال: رأيت بقراط يذم الهازباً فقلت: يا ابن الفاعلة، لم أعلم أنني اشتريت جالينوس، فضربته عشر مقارع فأخذني وضربني سبعاً وقال: يا مولاي، الأدب ثلاث، وإنما ضربتك سبعاً قصاصاً. قال فرميته فشججته فذهب إلى بنت عمي وقال: الدين النصيحة ومن غشنا فليس منا. إن مولاي قد تزوج واستكتمني فقلت: لا بد من تعريف مولاتي الخبر فضربني وشجني. فمنعتني بنت عمي دخول الدار وحالت ما بيني وبين ما فيها، وما زالت كذلك حتى طلقت المرأة، وسمته بنت عمي الغلام الناصح، فلم يمكنني أن أكلمه فقلت: أعتق هذا وأستريح، فلما أعتقته لزممني وقال: الآن وجب حقك علي، ثم إنه أراد الحج فزودته فغاب عشرين يوماً ورجع وقال: قطع الطريق ورأيت حقك قد وجب. ثم أراد الغزو فجهزته، فلما غاب بعث مالي بالبصرة وخرجت منها خوفاً أن يرجع.

ولد أبو العيناء بالأهواز سنة إحدى وتسعين ومائة، وتوفي ببغداد في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقيل سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

وقال ابنه أبو جعفر: مات أبي لعشرة ليال خلون من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين.

ومن شعره:

إن يأخذ الله من عيني نورهما
قلب ذكي وعقل غير ذي خطر
وفي لساني وسمعي منهما نور
وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وقال:

حمدت إلهي إذ بلاني بحبها
نظرت إليها والرقيب يظنني
على حول يغني عن النظر الشذر
نظرت إليه فاسترحت من العذر

وقال يهجو أسد بن جوه:

تعس الزمان لقد أتى بعجاب
وافي بكتاب لو انبسطت يدي
جيل من الأنعام إلا أنهم
لا يعرفون إذا الجريدة جردت
أو ما ترى أسد جوه قد غدا
فاذا أتاه مسائل في حاجة
وسمعت من غث الكلام ورثه
تكلتك أمك هيك من بقر الفلا

وقال في الوزير أحمد بن الخصيب:

قل للخليفة يا ابن عم محمد
قد أحجم المتظلمون مخافة
ما دام مطلقة علينا رجله
قد نال من أعراضنا بلسانه
أشكلك وزيرك إنه ركال
منه وقالوا ما نروم محال
أو دام للنزق الجهول مقال
ولرجله بين الصدور مجال
ما كنت تغلط مرة بصواب!

إمنعه من ركل الرجال وإن ترد

وقال:

أحمد لله ليس لي فرس
ولا غلام إذا هتفت به
إبني غلامي وزوجتي أمتي
غنيت باليأس واعتصمت به
ولا على باب منزلي حرس
بادر نحوي كأنه قبس
ملكنيها الملاك والعرس
عن كل فرد بوجهه عبس
فما يراني ببابه أبداً
طلق المحيا سمح ولا شرس

وقال:

من كان يكلك درهمين تعلمت
وتقدم الفصحاء فاستمعوا له
لولا دراهمه التي في كيسه
إن الغني إذا تكلم كاذباً
وإذا الفقير أصاب قالوا لم يصب
إن الدراهم في المواطن كلها
فهي اللسان لمن أراد فصاحة

شفته أنواع الكلام فقالوا
ورأيته بن الوري مختالاً
لرأيته شر البرية حالاً
قالوا صدقت وما نطق محالاً
وكذبت يا هذا وقلت ضلالاً
تكسو الرحال مهابة وجلالاً
وهي السلاح لمن أراد قتالاً

وقال:

تولت بهجة الدنيا
وخان الناس كلهم
رأيت معالم الخير
فلا حسب ولا أدب

فكل جديد خلق
فما أدري بمن أثق
ت سدت دونها الطرق
ولا دين ولا خلق

وقال:

ألم تعلمي يا عمر ك الله أنني
وإني لا أخزي إذ قيل مقتدر
وإلا يكن عظمي طويلاً فإنني
إذا كنت في القوم الطوال فضلتهم
ولا خير في حسن الجسوم وطولها
وكائن رأينا من جسوم طويلة
ولم أر كالمعروف أما مذاقه

كريم على حين الكرام قليل
جواد وأخزي أن يقال بخيل
له بالخصال الصالحات وصول
بطولي لهم حتى يقال طويل
إذا لم يزن طول الجسوم عقول
تموت إذا تحيهن أصول
فعلو وأما وجهه فجميل

وقال:

يا ويح هذي الأرض ما تصنع
تزرعهم حتى إذا ما أتوا

أكل حي فوقها تصرع؟
أشدهم تحصد ما تزرع

محمد بن القاسم

ابن محمد بن بشار بن الحسين بن بيان بن سماعة بن فروة ابن قطن بن دعامة أبو بكر بن الأنباري، النحوي اللغوي الأديب، كان من أعلم الناس بنحو الكوفيين وأكثرهم حفظاً للغة، وكان صدوقاً زاهداً متواضعاً فاضلاً، أديباً ثقة خيراً من أهل السنة حسن الطريقة، أخذ عن أبي العباس ثعلب وخلق.

وروى عنه الدارقطني وجماعة وكتب عنه وأبودحي، وكان يملئ في ناحية من المسجد وأبوه في ناحية أخرى، ومرض فعاده أصحابه فرأوا من انزعاج والده أمراً عظيماً فطبيبوا نفسه فقال: كيف لا أنزعج وهو يحفظ جميع ما ترون، وأشار إلى خزانة مملوءة كتباً.

وقال أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي: كان أبو بكر ابن الأنباري يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهداً في القرآن، وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً بأسانيداً. وقال له أبو الحسن العروضي: قد أكثر الناس في حفظك فكيف تحفظ؟ فقال ثلاثة عشر صندوقاً. قال: وسألته جارية الراضي يوماً عن تعبير رؤيا فقال: أنا حاقن ثم مضى من يومه فحفظ كتاب الكرمان في التعبير وجاء من الغد وقد صار معبراً للرؤيا.

وقال حمزة بن محمد طاهر الدقاق: كان أبو بكر بن الأنباري يملئ كتبه المصنفة ومجالسه المشتعلة على الحديث والتفسير

والأخبار والأشعار كل ذلك من حفظه. وقال محمد ابن جعفر التميمي. أما أبو بكر بن الأنباري فما رأينا أحفظ منه ولا أغزر منه علماً، وكان يحفظ ثلاثة عشر صندوقاً وهذا مما لم يحفظه أحد قبله ولا بعده.

وقال أبو العباس يونس النحوي: كان أبو بكر آية من آيات الله تعالى في الحفظ، وكان أحفظ الناس للغة والشعر. وحكى أبو الحسن الدارقطني: أنه حضر مجلس إملائه في يوم الجمعة فصحف اسماً أورده في إسناد حديث، إما كان حبان فقال حيان. قال الدارقطني: فأعظمت أن يحمل عن مثله في فضله وجلالته وهم وهبت أن أوقفه على ذلك، فلما فرغ من إملائه تقدمت إليه فذكرت له وهمه، وعرفته صواب القول فيه وانصرفت، ثم حضرت الجمعة الثانية مجلسه فقال أبو بكر للمستلمي: عرف جماعة الحاضرين أنا صحفنا الاسم الفلاني لما أملينا حديث كذا في الجمعة الماضية، ونبهنا ذلك الشاب على الصواب وهو كذا، وعرف ذلك الشاب أنا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال. وقال أحمد بن يوسف الأصبهاني: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت: يا رسول الله، عمن أخذ علم القرآن؟ فقال عن أبي بكر الأنباري. وقال أبو الحسن العروضي: اجتمعت أنا وأبو بكر بن الأنباري عند الراضي بالله على الطعام وكان الطباخ قد عرف ما يأكل أبو بكر، وشوى له قليلة يابسة قال: فأكلنا نحن ألوان الطعام وأطاييه وهو يعالج تلك القليلة، ثم فرغنا وأتينا بملوى فلم يأكل منها فقمنا وملنا إلى الخيش، فنام بين يدي الخيش ونمنا نحن في خيشين ولم يشرب ماء إلى العصر، فلما كان بعد العصر قال: يا غلام، الوظيفة، فجاءه بماء من الجب وترك الماء المزمّل بالثلج فغاضني أمره وصحت: يا أمير المؤمنين، فأمر بإحضاري وقال: ما قصتك؟ فأخبرته وقلت: يا أمير المؤمنين، يحتاج هذا إلى أن يحال بينه وبين تدبير نفسه لأنه يقتلها، ولا يحسن عشتها، فضحك وقال له: في هذا لذة وقد جرت له به عادة وصار ألفاً لذلك فلن يضره، ثم قلت له: يا أبا بكر، لم تفعل هذا بنفسك؟ فقال: أبقى علي حفظي ويحكي أنه كان يأخذ الرطب ويشمه ويقول: أما إنك طيب ولكن أطيب منك ما وهب الله لي من العلم وحفظه.

وحكى أنه مر يوماً بالنخاسين فرأى جارية تعرض حسنة الصورة كاملة الوصف قال: فوقع في قلبي ثم مضيت إلى دار أمير المؤمنين الراضي بالله فقال: أين كنت إلى الساعة؟ فعرفته الأمر وأخبرته بالجارية فأمر بشرائها وحملت إلى منزلي ولم أعلم، فجنّت فوجدتها في المنزل فقلت لها: اعتزلي إلى الاستبراء وكنت أطلب مسألة قد خفيت علي فاشتغل قلبي بالجارية فقلت للخدام: خذها وامض بها إلى النخاس فليس يبلغ قدرها أن يشغل قلبي عن علمي فأخذها الغلام فقالت: دعني حتى أكلمه فقالت لي: أنت رجل لك محل وعقل، فإذا أخرجتني ولم تبني ذنبي لم آمن أن يظن الناس بي ظناً قبيحاً فعرفني قبل أن تخرجني، فقلت: مالك عندي ذنب غير أنك شغلتنني عن علمي، فقالت هذا سهل عندي قال: فبلغ الراضي ما كان من أمري فقال: لا ينبغي أن يكون العلم في قلب أحد أحلى منه في قلب هذا الرجل. ولابن الأنباري شعر لطيف فمن ذلك قوله:

إذا زيد شراً زاد صبراً كأنما
هو المسك ما بين الصلابة والفهر
فإن فتيت المسك يزداد طيبه
على السحق والحر اضطباراً على الضر

ومن أماليه:

فهلّا منعتم إذ منعتم كلامها
خيالاً يوافيني عل النأي هاديا
سقى الله أطلالاً بأكتبه الحمى
وإن كن قد أبدين للناس ما بيا
منازل لو مرت بهن جنازتي
لقال الصدى يا صاحبي انزلا بيا
وأملّي أيضاً:

وبالهضبة البيضاء إن زرت أهلها
مهاً مهملات ما عليهن سائس
خرجن لخوف الريب من غير ريبة
عفائف باغي اللهو منهن آئس

ولأبي بكر بن الأنباري من التصانيف: غريب الحديث قيل إنه خمس وأربعون ورقة أملاه من حفظه. ومما أملاه أيضاً من مصنفاته: كتاب الهاءات نحو ألف ورقة، وشرح الكافي نحو ألف ورقة، وكتاب الأضداد وما ألف في الأضداد أكبر منه، وكتاب المذكر والمؤنث ما صنف أحد أتم منه، ورسالة المشكل رد فيها على ابن قتيبة وأبي حاتم السجستاني، وكتاب المشكل في معاني القرآن بلغ فيه إلى طه وأملاه سنين كثيرة ولم يتمه، وشرح الجاهليات سبعمئة ورقة، وكتاب الوقف والابتداء، والكافي في النحو، والزاهر، وكتاب اللامات، وشرح المفضلّيات، والأمالي، وأدب الكاتب، والواضح في النحو، والموضع في النحو أيضاً، وشرح شعر النابغة، وشرح شعر الأعشى، وشرح شعر زهير، وشعر الراعي، والمقصود والممدود، وكتاب الألفات، وكتاب الهجاء والمجالسات، وكتاب مسائل ابن شنبوذ، وكتاب الرد على من خالف مصحف عثمان وغير ذلك، وكانت ولادة أبي بكر بن الأنباري يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة إحدى وسبعين ومائة، وتوفي ليلة عيد النحر سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.

الجزء التاسع عشر

محمد بن أبي القاسم بايجوك

أبو الفضل البقالي الخوارزمي الأدمي الملقب زين المشايخ، النحوي الأديب، كان إماماً في الأدب وحبّة في لسان العرب، أخذ اللغة وعلم الإعراب عن أبي القاسم الزمخشري وجلس بعده مكانه، وسمع الحديث منه ومن غيره. وكان جمّ الفوائد حسن الاعتقاد، كريم النفس نزيه العرض غير خائض فيما لا يعنيه. له يد في الترتل ونقد الشعر. وله من التصانيف: مفتاح التنزيل، وتقويم اللسان في النحو، والإعجاب في الإعراب، والبداية في المعاني والبيان، وكتاب منازل العرب، وشرح أسماء الله الحسنى وغير ذلك. مات في سلخ جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين وخمسائة عن نيف وسبعين سنة.

محمد بن محمد بن جعفر بن مختار

أبو الفتح الواسطي النحوي، كان نحويًا فاضلاً جالس ابن كردان وسمع منه. وجالس أبا الحسين بن دينار وغيره. وكان حسن الإيراد جيد المحفوظ متيقظاً ولم يتصدر لإقراء النحو، بلغ تسعين سنة ومات سنة أربع وسبعين وخمسمائة.

محمد بن محمد بن جعفر

أبو الحسن المعروف بابن لنكك البصري الشاعر الأديب، كان فرد البصرة وصدر أدبائها في زمانه، أدركته حرفة الأدب فقصر به جهده عن بلوغ الغاية التي كانت تسمو إليها نفسه، إذ كان التقدم في زمنه لأبي الطيب المتنبي وأبي ريش اليمامي، فكسدت بضاعته بنفاق سوقهما، وانحط نجهه عن مطلع سعادتهما، فوَلع بثلثيهما والتشفي بهجوهما وذهمهما، فكان أكثر شعره في شكوى الزمان وأهله وهجاء شعراء عصره، وكان أبلغ شعره ما لم يتجاوز البيتين والثلاثة. وكان يروي قصيدة دعلج التي أولها:

مدارس آیات خلت من تلاوة

يرويه عن أبي الحسين العبداني عن أخيه عن دعلج، ورواها عنه ابن جحجج النحوي ومن شعره:

نحن والله في زمان غشوم
لو رأيناه في المنام فزعنا

يُصْبِحُ النَّاسُ فِيهِ مِنْ سَوْءِ حَالٍ

وقال:

جار الزمان علينا في تصرفه
وأى دهر على الأحرار لم يجز؟

عندي من الدهر ما لو أن أبسره
يلقى على الفلك الدوار لم يدرك

وقال:

نحن من الدهر في أعاجيبا فنسأل الله صبر أيوبا

أَقْفَرَتِ الْأَرْضُ مِنْ مَحَاسِنِهَا فَابْكُ عَلَيْهَا يَكْأُ يَعْقُوبَا

وقال:

زمان قد تفرع للفضول وسود كل ذي حق جهول

فان أحببتم فيه ارتفاعاً
فكونوا جاهلين بلا عقول

وقال:

يعيب الناس كلهم الزمانا وما لزماننا عيب سوانا

نعيب زماننا والعيب فينا
ولو نطق الزمان إذا هجانا

ذئاب كلنا في زي ناس
فسبحان الذي فيه برانا

يعاف الذئب يأكل لحم ذئب ويأكل بعضنا بعضاً عيانا

وقال أيضاً:

أقول لعصبة بالفقه صالت وقالت ما خلا ذا العلم باطل

أجل لا علم يوصلكم سواء إلى مال اليتامي والأرامل

أراكم تقبلون الحكم قلباً إذا ما صب زيت في القنادر

القنادل والقناديل بمعنى، وصب الزيت فيها كناية عن الرشوة، وقال:

مضى الأحرار وانقرضوا وبادوا
وقالوا قد لزمت البيت جداً
فمن ألقى؟ إذا أبصرت فيهم
زمان عز فيه الجود حتى

وقال:

وخلفني الزمان على علوج
فقلت لفقد فائدة الخروج
قروداً راكبين على السروج
كأن الجود في أعلى البروج

يا زماناً أليس الأح
لست عندي بزمان
كيف نرجو منك خيراً
أجنون ما نراه

وقال يهجو أبا ريش اليمامي الشاعر المشهور:

نبئت أن أبا ريش قد حوى
من مخبري عنه؟ فإني سائل

وقال يهجو أبا الطيب المتنبي وكان يزعم أن أباه كان سقاء بالكوفة:

قولا لأهل زمان لا خلاق لهم
أعطيت المتنبي فوق منيته
لكن بغداد جاد الغيث ساكنها

وقال فيه أيضاً:

فيما حكى وادعاه
أباح قفاه
من ذاك كان غناه
فالجائليق إلاه

ما أوقح المتنبي
أبيح مالا عظيماً
يا سائلي عن غناه
إن كان ذاك نبياً

وقال فيه:

ن ويوحى من الكنيف إليه
سلحت فحة الزمان عليه

متنبيكم ابن سقاء كوفاً
كان من فيه يسلح الشعر حتى

وقال في الرملي الشاعر:

قص عني وحكاه
أنني قبلت فاه
قبلت نعلي قفاه

حلف الرملي فيما
يدعي يوم اصطلحنا
لم أقبل فاه لكن

وقال في مبرمان النحوي:

وما فيه لمستمع بيان
لقد أبرمتنا يا مبرمان

صداع من كلامك يعترينا
مكابرة ومخرقة وبهت

وقال:

تروح وتغدو دائم الفرحات
كما سار ذو القرنين في الظلمات

تولى شباب كنت فيه منعماً
فلست تلاقيه ولو سرت خلفه

وقال:

شربت عبرة السحاب السكوب
صر إلا تعلقت بالقلوب

قد شربنا على شقائق روض
صبغت من دم القلوب فما تب

وقال أيضاً وفيه الإيمان إلى حديث: - امرو القيس قائد الشعراء إلى النار -:

وقد حمل امرو القيس اللواء

إذا خفق اللواء علي يوماً

محمد بن حامد بن عبد الله بن علي

أبو عبد الله المعروف بالعماد الكاتب الأصبهاني. ولد بأصبهان يوم الاثنين ثاني جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وخمسمائة ونشأ بها، وقدم بغداد شاباً وانتظم في سلك صلبة المدرسة النظامية ففقه بها بأبي منصور سعيد بن محمد بن الرزاز، وسمع منه ومن أبي بكر الأشقر وأبي الحسن علي بن عبد السلام وأبي القاسم علي بن الصباغ وأبي منصور بن خيرون وأبي المكارم المبارك بن علي السمرقندي وجماعة. وأجاز له أبو عبد الله الفراوي وأبو القاسم بن الحصين، ثم عاد إلى أصبهان ففقه بها أيضاً على محمد بن عبد اللطيف الخجندي، وأبي المعالي الوركاني، ثم رجع إلى بغداد واشتغل بصناعة الكتابة فبرع فيها ونبغ، فاتصل بالوزير عون الدين يحيى بن هبيرة فولاه النظر بالبصرة ثم بواسط. ولما توفي الوزير ابن هبيرة وتشتت شمل المنتسبين إليه، أقام العماد مدة ببغداد منك العيش فانتقل إلى دمشق ووصل إليها في شعبان سنة اثنتين وستين وخمسمائة، فأنزله قاضي القضاة كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشهرزوري بالمدرسة النورية الشافعية المنسوبة إلى العماد الآن المعروفة بالعمادية، وإنما نسبت إليه لأن الملك نور الدين ولده إياها سنة سبع وستين وخمسمائة، وكان العماد له معرفة بنجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين، عرفه بتكريت حين كان نجم الدين والياً عليها، فلما سمع نجم الدين بوصوله بادر لتبجيله والسلام عليه في منزله. ومدحه العماد إذ ذاك بقصيدة أولها:

يوم النوى ليس من عمري بمحسوب	ولا الفراق إلى عيشي بمنسوب
ما اخترت بعدك لكن الزمان أتى	كرها بما ليس يا محبوب محبوبي
أرجو إياي إليكم غانماً عاجلاً	فقد ظفرت بنجم الدين أيوب
موفق الرأي ماضي العزم مرتفع	على الأعاجم والأعاريب
أحبك الله إذ لازمت نصرته	على جبين بتاج الملك معوب

وهي طويلة فشكره نجم الدين وأحسن إليه وأكرمه، وقدمه على الأعيان وميزه وعرف به ابنه صلاح الدين، وكان القاضي كمال الدين بن الشهرزوري يحضر مجالس العماد ويذكره بمسائل الخلاف في الفروع، فنوه القاضي بذكر العماد عند السلطان نور الدين، وذكر له تقدمه في العلم والكتابة وأهله لكتابة الإنشاء، فتردد العماد في الدخول فيما لم يتقدم له اشتغال طويل به، مع توفر مواد هذه الصناعة عنده خوفاً من التقصير فيما لم يمارسه، ثم أقدم بعد الإحجام فباشرها وأجاد فيها حتى زاحم القاضي الفاضل بمنكب ضخم، وكان ينشئ الرسائل بالفارسية أيضاً فيجيد فيها إجادته بالعربية، وعلت منزلته عند نور الدين وصار صاحب سره، وفوض إليه تدريس المدرسة العمادية كما تقدم، وولاه الإشراف على ديوان الإنشاء، ولما توفي نور الدين وولى ابنه الملك الصالح إسماعيل أغراه بالعماد جماعة كانوا يحسدونه ويكرهونه، فخاف على نفسه وخرج من دمشق قاصداً بغداد، فوصل إلى الموصل ومرض بها ولما أبل من مرضه، بلغه خروج السلطان صلاح الدين من مصر قاصداً دمشق ليستولي عليها، فعزم على الرجوع إلى الشام وخرج من الموصل سنة سبعين وخمسمائة فوصل إلى دمشق وسار منها إلى حلب، وصلاح الدين يومئذ نازل عليها فلاقاه في حمص وقد استولى على قلعتها، فلزم بابه ومدحه بقصيدة طويلة كان نظمها قبلاً في الشوق إلى دمشق والتأسف عليها فجعل مدح صلاح الدين مخلصها أولها:

أجبران جيرون مالي مجير	سوى عدلكم فاعدلوا أو فجوروا
ومالي سوى طيفكم زائر	فلا تمنعوه إذا لم تزوروا
يعز علي بأن الفؤاد	لديكم أسير وعنكم أسير
وماكنت أعلم أني أعلي	ش بعد الأحبة إنني صبور
وقت أدمعي غير أن الكرى	وقلبي وصبري كل غدور
إلى ناس باناس لي صبوة	لها الوجد داع وذكرى تثير
يزيد اشتياقي وينمو كما	يزيد يزيد وثور يثور
ومن بردى برد قلبي المشوق	فها أنا من حره أستجير
وبالمرج مرجو عيشي الذي	على ذكره العذب عيشي مرير
فقدتكم ففقدت الحياة	ويوم اللقاء يكون النشور
تداول سؤلي عند القصير	فعن نيله اليوم باعي قصير

وكن لي بريداً بباب البريد

ومنها:

ترى بالسلامة يوماً يكون
وإن جوازي بباب الصغير
وماجنة الخلد إلا دمشق
وجامعها الرحب والقبه ال
وفي قبة النسر لي سادة
وباب الفرديس فردوسها
وبرزة فالسهم فالنيربا
كان الجواسق مأهولة
بنيربها يستنير الفؤاد

ومنها:

وأين تأملت فلك يدور
وأين نظرت نسيم يرق
ومنذ ثوى نور دين الإل
وللناس بالملك الناصر الص
هو الشمس أنوارها بالبلاد
إذ ما سطا أو حبا واحتبي
بيوسف مصر وأيامه

فأنت بأخبار شوقي خبير

بباب السلامة مني عبور؟
لعمري من العمر حظ كبير
وفي القلب شوقاً إليها سعي
منيفة والفلك المستدير
بهم للمكارم أفق منير
وسكانها أحسن الناس حور
ن فجنات رقتها فالكفور
بروج تطلع منها البدور
ويربو بربوتها لي السرور

وعين تفور ونهر يمور
وزهر يروق وروض نضير
ه لم يبق للدين والشام نور
لاح ونصر وخير
ومطلعها سرجه والسرير
فما الليث أو حاتم أو ثبير
تقر العيون وتشفي الصدور

وقد أطال نفسه في هذه القصيدة وكلها غرر وقد اكتفينا بما أوردناه منها، ثم لزم العماد من ذلك اليوم باب السلطان صلاح الدين ينزل لنزوله، ويرحل لرحيله، ولم يغش مجالسه ملازماً لخدمته حتى قربه واستكتبه واعتمد عليه، فتصدر وزاحم الوزراء وأعيان الدولة، وعلا قدره وطار صيته، وكان إذا انقطع القاضي الفاضل عن الديوان ناب عنه في النظر عليه وألقى إليه السلطان مقاليد، وركن إليه بأسراره فتقدم الأعيان، وأشير إليه بالبنان، وكان بينه وبين القاضي الفاضل مراسلات ومحاورات، فمن ذلك أنه لقي القاضي يوماً وهو راكب على فرس فقال له: سر فلا بك الفرس، فقال له الفاضل: دام علا العماد، وكلا القولين يقرأ عكساً وطرداً واجتمعا يوماً في موكب السلطان وقد ثار الغبار لكثرة الفرسان وتعجب القاضي من ذلك، فأشد العماد:

أما الغبار فإنه

والجو منه مظلم

يا دهر لي عبد الرح

مما أثارته السنايك

لكن أنارته السنايك

يم فلسن أخشى مس نابك

ولما توفي السلطان صلاح الدين رحمه الله اختلت أحوال العماد ولزم بيته، وأقبل على التصنيف والإفادة حتى توفي يوم الاثنين مستهل رمضان سنة سبع وتسعين وخمسائة، وله من المصنفات: خريدة القصر وجريدة العصر، ذيل به زينة الدهر لأبي المعالي سعد بن علي الحظيري الوراق، جمع العماد في هذا الكتاب تراجم شعراء الشام والعراق ومصر والجزيرة والمغرب وفارس ممن كان بعد المائة الخامسة إلى ما بعد سنة سبعين وخمسائة، وهو يدخل في عشر مجلدات لطيفة، وله البرق الشامي وهو تاريخ بدأ فيه بذكر نفسه ونشأته ورحلته من العراق إلى الشام، وأخبره مع الملك العادل نور الدين والسلطان صلاح الدين وما جرى له في خدمتهما، وذكر فيه بعض الفتوحات بالشام وأطرافها وهو بضعة مجلدات، وله الفيح القسي في الفتح القدسي في مجلد كبير، وكتاب السيل على الذيل جعله ذيلاً على كتابه خريدة القصر، وله نصرة الفطرة وعصرة القطرة في أخبار الدولة السلجوقية، وله رسالة سماها عتبي الزمان وتسمى أيضاً العتبي والعتبي، وكتاب سماه نحلة الرحلة، ذكر فيه اختلال الأحوال وتغير الأمور بعد موت السلطان صلاح الدين، واختلاف أولاده وما وقع من الخلاف بين الأمراء والعمال، وله ديوان رسائل في مجلدات، وديوان شعر في مجلدين، وديوان دوبيت صغير وغير ذلك. ومن إنشاء العماد الكاتب الكتاب الذي كتبه عن السلطان صلاح الدين إلى ديوان الخلافة ببغداد مبشراً بفتح بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسائة افتتحه بقوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض)، ثم قال: الحمد لله الذي أنجز لعباده الصالحين وعد الاستخلاف، وقهر بأهل التوحيد أهل الشرك والخلاف، وخص سلطان الديوان العزيز بهذه الخلافة، ومكن دينه المرتضى وبذل الأمان

بالمخافة، وذخر هذا الفتح الأسني والنصر الأهنى للعصر الإمامي النبوي الناصري على يد الخادم أخلص أوليائه، والمختص من الاعتزاز باعتزائه إليه وانتمائيه، وهذا الفتح العظيم، والنجاح الكريم، قد انقضت الملوك الماضية والقرون الخالية على مسرة تمنيه، وحبرة ترجيه، ووحشة اليأس من تسنيه، وتقصرت عنه طوال الهمم، وتخاذلت عن الانتصار له أملاك الأمم، فالحمد لله الذي أعاد القدس إلى القدس، وظهره من الرجس، وحقق من فتحه ما كان في النفس، وبذل بوحشة الكفر فيه من الإسلام الأنس، وجعل عز يومه ماحياً ذل أمس، وأسكنه الفقهاء والعلماء بعد الجهال والضلال من بطرك وقس، وعبد الصليب ومستقبلي الشمس، وقد أظهر الله على المشركين الضالين جنوده المؤمنين العالمين، وقطع دابر القوم الظالمين والحمد لله رب العالمين. فكان الله شرف هذه الأمة فقال لهم: اعزموا على اقتناء هذه الفضيلة التي بها فضلكم، وحقق في حكم امتثال أمره الذي خالفه اليهود في قوله: (ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم). هذا الفتح قد أقدر الله على افتضاضه بالحرب العوان، وجعل ملائكته المسومة له من أعز الأنصار وأظهر الأعوان، وأخرج من بيته المقدس يوم الجمعة أهل يوم الأحد، ومع من كان يقول: (إن الله ثالث ثلاثة) بمن يقول: (هو الله أحد)، وأعان الله بإنزال الملائكة والروح، وأتى بهذا النصر الممنوح الذي هو فتح الفتوح، وقد تعالى أن يحيط به وصف البليغ نظماً ونثراً، وعبد الله في البيت المقدس سرّاً وجهراً، وملكت بلاد الأردن وفلسطين غوراً ونجداً، وبراً وبحراً، وملئت إسلاماً وقد كانت ملئت كفرًا، وتقاضى الخادم دين الدين الذي غلق رهنه دهرًا، والحمد لله وشكرًا، حمداً يجد للإسلام كل يوم نصراً، ويزيد وجوه أهله بشرى فتتوجه بشرًا، والكتاب طويل ذكر فيه فصولاً عن الوقائع التي تقدمت فتح المقدس فاكثفنا منه بما أوردناه، وللعمد قصيدة من قصائده الطوال ضمنها فتح القدس وفلسطين، ومدح السلطان صلاح الدين، اقتصرنا على إيراد طرف منها قال:

أطيب بأنفاس تطيب لكم نفساً	وتعتاض من ذكراكم وحشي أنسا
وأسأل عنكم عافيات دوارس	غدت بلسان الحال ناطقة خرسا
معاهدكم ما بالها كعهودكم	وقد كررت من درس آثارها درسا؟
وقد كان في حدسي لكم كل طارف	وما جئتم من هجركم خالف الحدسا
أرى حدثان الدهر ينسى حديثه	وأما حديث الغدر منكم فلا ينسى
تزول الجبال الراسيات وثابت	رسيس غرام في فؤادي لكم أرسى
حسبت حبيبي قاس القلب وحده	وقلب الذي يهوى بحمل الهوى أقسى

ومنها:

وإن نهاري صار ليلاً لبعثكم	فما أبصرت عيني صباحاً ولا شمساً
بكيت على مستودعات خدورك	كما قد بكت قدماً على صخرها الخنسا
فلا تحبسوا عني الجميل فإنني	جعلت على حبي لكم مهجتي حبسا

ومنها:

رأيت صلاح الدين أفضل من غدا	وأشرف من أضحى وأكرم من أمسى
وقيل لنا في الأرض سبعة أبحر	ولسنا نرى إلا أنامله الخمسا
سجيته الحسنى وشيمته الرضا	وبطشته الكبرى وعزته القعسا
فلا عدمت أيامنا منه مشرفاً	ينير بما يولي ليلينا الدمسا
جنودك أملاك السماء وظنهم	أعدائك جنأ في المعارك أو إنسا
سحبت على الأردن ردنا من القنا	ردينية ملداً وخطية ملسا
ونعم مجال الخيل حطين لم تكن	معاركها للجرد ضرساً ولا دهسا
غداة أسود الحرب معتقلو القنا	أساود تبغي من نحور العدا نهسا
أنوا شكس الأخلاق خشناً فلينت	حدود الرفاق الخشن أخلاقها الشكسا
طردهم في الملتقى وعكستهم	مجيداً بحكم العزم طردك والعكسا
فكيف مكست المشركين رؤوسهم	ورأيك في الإحسان أن تطلق المكسا
كسرتهم إذ صح عزمك فيهم	ونكستهم من بعد أعلامهم نكسا
بواقعة رجبت بها أرض جيشهم	ومارت كما بست جبالهم بسا
بطون ذناب البر صارت قبورهم	ولم ترض أرض أن تكون لهم رسا

وحامت على نار المواضي فراشهم
وقد خشعت أصوات أبطالها فما
تقاد بدأماء الدماء ملوكهم
سبايا بلاد الله مملوءة بها
يطاف بها الأسواق لا راغب لها
شكا يبساً رأس البرنس الذي به
حسا دمه ماضي الغرار لغدره

ومنها:

ومن قبل فتح القدس كنت مقدساً
نزعت لباس الكفر عن قدس أرضها

ومنها:

جری بالذي تهوى القضاء وظهرت
وكم لبني أيوب عبد كعنتر

ومن غزلياته قوله:

أفدي الذي خلبت قلبي لواظته
صفات ناظره سقم بلا ألم
على محياه من نار الصبا شعل

ومن حكمياته:

إنقع ولا تطمع فإن الغنى
فإنما ينقص بدر الدجا

وقال:

وما هذه الأيام إلا صحائف
ولم أر في دهري كدائرة المنى

محمد بن محمد بن عباد

أبو عبد الله البغدادي المقرئ النحوي، كان مقدماً في علم القراءات بارعاً في النحو وعلوم العربية، قرأ النحو على أبي سعيد السيرافي النحوي، وأخذ عنه القراءة أبو العباس أحمد بن الفرج بن منصور بن محمد بن الحجاج بن هارون. وصنف كتاب الوقف والابتداء وأجاد فيه، وسمعه منه أبو العباس بن هارون المذكور، توفي أبو عبد الله بن عباد البغدادي يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.

محمد بن محمد بن عبد الجليل

ابن عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن مردويه بن سأل م بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رشيد الدين المعروف بالوطواط، الأديب الكاتب الشاعر، كان من نوادر الزمان وعجائبه، وأفراد الدهر وغرائبه، أفضل زمانه في النظم والنثر، وأعلم الناس بدقائق كلام العرب، وأسرار النحو والأدب، طار في الأفاق صيته، وسار في الأقاليم ذكره، وكان ينشئ في حالة واحدة بيتاً بالعربية من بحر وبيتاً بالفارسية من بحر آخر ويمليهما معاً، وله من التصانيف: حدائق السحر في دقائق الشعر باللغة الفارسية ألفه لأبي المظفر خوارزم شاه، وعارض به كتاب ترجمان البلاغة لفرحي الشاعر الفارسي، وللوطواط أيضاً ديوان رسائل عربي، وديوان رسائل فارسي، وتحفة الصديق من كلام أبي بكر الصديق، وفصل الخطاب من كلام عمر بن الخطاب، وأنس اللهفان من كلام عثمان بن عفان، ومطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب وغير ذلك. مولده ببلخ، ومات بخوارزم سنة ثلاث وسبعين وخمسائة، ومن رسائله ما كتبه لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري وهي:

لتطفا فزادت من خمودهم قبسا
يعي السمع إلا من صليل الظبي همسا
أساري كسفن اليم نيطت بها القلسا
وقد عرضت نخساً وقد شريت بخسا
لكثرتها كم كثرة توجب الوكسا
فندى حسام حاسم ذلك اليبسا
وماكان لولا غدره دمه يحسى

فلا عدمت أخلافك الطهر والقدسا
وألبيتها الدين الذي كشف اللبسا

ملائكة الرحمن أجنادك الحمسا
إن ذكروا بالبأس لم يذكروا عبسا

وخلفت لذعات الوجد في كبدي
سكر بلا قرح جرح بلا قود
وورد خديه من ماء الجمال ندى

كماله في عزة النفس
لأخذه الضوء من الشمس

يؤرخ فيها ثم يمحي ويمحق
توسعها الآمال والعمر ضيق

لقد حاز جاز الله دام جماله

فضائل فيها لا يشق غباره

تجدد رسم الفضل بعد اندراسه

بآثار جاز الله فالفه جاره

أنا منذ لفظتني الأقدار من أوطاني، ومعاهد أهلي وجبراني إلى هذه الخطة التي هي اليوم بمكان جاز الله أدام الله دولته جنة للكرام، وجنة من نكبات الأيام كانت قصوى منيتي وقصارى بغيني أن أكون أحد الملازمين لسدته الشريفة التي هي مخيم السيادة ومقبل أفواه السادة من ألقى فيها عصاه حاز في الدارين مناه، ونال في المحليين مبتغاه، ولكن سوء التقصير أو مانع التقدير حرمني تلك الخدمة، وحرّم على هذه النعمة، والآن أظن وظن المؤمن لا يخطئ، أن أفل جدي هم بالإشراق، وذابل إقبالي أقبل على الإبراق، وذابل إقبالي أقبل على الإبراق، فقد أجد في نفسي نوراً مجدداً يهديني إلى جنته، ومن شوقي داعياً موفّقاً يدعوني إلى حضرته، ويقرع لسان الهيبة كل ساعة سمعي بندا: اخلع نعلك، واطرح بالواد المقدس رحلك، ولا تحفل بحقد حاقد وحسد حاسد، فإن حضرة جاز الله أوسع من أن تضيق على راغب في فوائده، وأكرم من أن تستثقل وطأة طالب لعوائده، ومع هذا أرجو إشارة تصدر من مجلسه المحروس إما بخطه الشريف، فإن في ذلك شرفاً لي يدوم مدى الدهر والأيام، وفخراً يبقى على مرّ الشهور والأعوام، وإما على لسان من يوثق بصدق مقالته، ويعتمد على تبليغ رسالته من المنخرطين في سلك خدمته، والراغبين في رياض نعمته، ورأيه في ذلك أعلى وأصوب.

ومن إنشائه أيضاً تقليد حسبة صدر عن ديوان خوارزم وهو: إن أولى الأمور بأن تصرف أعنة العناية إلى ترتيب نظامه، وتقصير الهمم على مهمة إتمامه، أمر يتعلق به ثبات الدين، ويتوقف عليه صلاح المسلمين، وهو أمر الاحتساب، فإن فيه تثبيت الزائعين عن الحق، وتأديب المنهمكين في الفسق، وتقوية أعضاد أرباب الشرع وسواعدها، وإجراء معاملات الدين على قوانينها وقواعدها، وينبغي أن يكون متقلد هذا الأمر موصوفاً بالديانة، معروفاً بالصيانة، معرضاً عن مراصد الريب، بعيداً عن مواقف التهم والعيب، لابساً مدارع السداد، سأل كاً مناهج الرشاد، والشيخ الإمام فلان أدام الله فضله متحل بهذه الخصائص المذكورة، والفضائل المشهورة، ومستظهر في دولتنا للحقوق الفرضية، ومستشعر للصفات المرضية، فقلدناه هذا الأمر الذي هو من مهمات الأعمال ومعظمت الأشغال، واعتمدنا في التقليد والتقلد على دينه المتين وفضله المبين، وعقيدته الطاهرة وأمانته الظاهرة، وأمرناه أولاً: أن يجعل التقوى شعاره والزهد دثاره، والعلم معلمه والدين مناره، ثم يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ويقيم حدود الشرع على وفق النصوص والأخبار ومقتضى السنن والآثار، من غير أن يتسور الحيطان، ويتسلق الجدران، ويرفع الحجب المسدولة، ويكسر الأبواب المسدودة ويسلط الأوباش على دور المسلمين وحرّم المؤمنين، فيغيروا على أموالهم، ويمدوا الأيدي إلى نسائهم وأطفالهم، ويظهروا ما أمر الله تعالى بستره وإخفائه، ونهى عن إشاعته وإفشائه، فإن عبادة الأوثان خير من ذلك الاحتساب والعقوبة أجدر بمباشر ذلك من الأجر والثواب، وأمرناه أن يبالي في تعديل المكاييل والموازين على وفق أحكام الشرع والدين، فإن وجد تفاوتاً في شيء منها سواء عدله، وغيره وبدله، وأدب صاحبه على رؤوس الأشهاد، لينزجر عن مثله أهل الخيانة والفساد، وليعلم أنه في عهده ما يطوي وينشر، وينهي ويأمر، يوم ينشر الديوان، وينصب الميزان (يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم).

وسبيل الأئمة والعلماء، وكافة الرعايا حاطهم الله أن يتوفروا على تعظيم قدره وتفخيم أمره، ويبالغوا فيما يرجع إلى تمهيد قواعد حرمة، وتشبيد أركان حشمته، ولا يعترضوا عليه في شغل الاحتساب، فإن ذلك أمانة هو حاملها، ووديعة هو ضامنها والسلام.

ولرشيد الدين شعر دون نثره جودة، فمن ذلك قصيدة أوردتها ضمن كتاب إلى صدر الدين بن نظام الدين رئيس جرجان:

جنابك صدر دين الله حصن	لأهل الفضل من نوب الزمان
وصدرك في الخطوب إذا أمت	محط رحال حفاظ القرآن
وجودك دونه فيض الغوادي	وعزمك دونه حد السنان
وبابك فيه مسكن كل عاف	وعفوك فيه مأمّن كل جاني
غدوت قريع فرسان القوافي	وحائز سبقها يوم الرهان
لقد بلغت قاصية المعالي	كما ملكت ناصية المعاني
وأعجزت الأفاضل في التحدي	بمعجزة الفصاحة والبيان
يشق سناك جلباب الليالي	وجنح ظلامها ملقي الجران
بك الآداب أهلة المغاني	ودار المجد شاهقة المباني
فما لك في فحول الفضل ند	ولا لك في رجال العلم ثاني

مغانيك الرحاب رياض عز
نمتك عصابة بيض هجان
لقد أخرجت من أزكى نصاب
فأنت الغيث في وقت العطايا
أنتني منك آيات تحاكي
بلفظ مثل أفراد اللآلي
فالبسني كتابك بعد خوف
وقد شاهدت في الدنيا عياناً
بقيت مدى الزمان حليف أمن
وطاوعك الأسافل والأعالي
صديقك صاحب ذيل المعالي

وقال:

سقى صوب الحيا تلك المغاني
وهل تلد الهجان سوى الهجان؟
وقد أروضت من أصفى لبنان
وأنت الليث في يوم الطعان
بدائع نظمها عقد الجمان
وخط مثل أصداع الغواني
من الحدثان أروية الأمان
بما أهديت روضات الجنان
ويمن تجتني ثمر الأماني
وتابعك الأبعد والأداني
وخصمك لابس ثوب الهوان

ست بليت بها والمستعاذ به
نفسى وإبليس والدنيا التي فتنت
إن لم تكن منك يا مولاي واقية

وقال:

وتحدث من بعد الأمور أمور
وتطلع فيها أنجم وتغور
فقد ظن عجزاً لايدوم سرور

تروح لنا الدنيا بغير الذي غدت
وتجري الليالي باجتماع وفرقة
فمن ظن أن الدهر باق سروره

وقال:

وتتجو في الحساب من الخصوم
حياتك في مدارس العلوم

إذا ما شئت أن تحيا سعيداً
فلا تصحب سوى الأخيار واصرف

محمد بن أبي سعيد محمد

المعروف بابن شرف، الجذامي القيرواني الأديب الكاتب الشاعر أبو عبد الله. روى عن أبي الحسن القاسبي، وأبي عمران الفاسي، وقرأ النحو على أبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز، وأخذ العلوم الأدبية عن أبي إسحاق إبراهيم الحصري وغيرهم فبرع في الكتابة والشعر، وتقدم عند الأمير المعز بن باديس أمير إفريقية، وكانت القيروان في عهده وجهة العلماء والأدباء، تشد إليها الرحال من كل فج لما يروونه من إقبال المعز على أهل العلم والأدب وعنايته بهم.

وكان ابن شرف وابن رشيق صاحب العمدة متقدمين عنده على سائر من في حضرته من الأفاضل والأدباء، فكان يقرب هذا تارة ويذني ذاك تارة، فتنافسا وتنافرا ثم تهاجيا، ولكن لم يتغير أحدهما على الآخر بما جرى بينهما من المناقشات، ولم يزل ابن شرف ملازماً لخدمة المعز إلى أن هاجم عرب الصعيد القيروان، واضطر المعز إلى الخروج منها إلى المهديّة سنة سبع وأربعين وأربعمئة، فخرج ابن شرف وسائر الشعراء معه إليها واستقروا بها، فأقام ابن شرف مدة بالمهديّة ملازماً لخدمة المعز وابنه تم، ثم خرج منها قاصداً صقلية ولحق به رفيقه ابن رشيق فاجتمعا بها ومكثا بها مدة، ثم استنفضه ابن شرف على دخول الأندلس، فتردد ابن رشيق وأنشد:

أسماء مقتدر فيها ومعتضد
كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

مما يزهدني في أرض أندلس
ألقاب مملكة في غير موضعها

فأجابه ابن شرف على الفور:

قد جبل الطبع على بعضهم
وأرضهم ما دمت في أرضهم

إن ترمك الغربة في معشر
فدارهم ما دمت في دارهم

ثم شخص ابن شرف منفرداً إلى الأندلس، وتنقل في بلادها وسكن المرية بعد مقارعة أهوال ومقاومة خطوب، وتردد على ملوك الطوائف كآل عباد وغيرهم، وتوفي بإشبيلية سنة ستين وأربعمئة، ومن شعره:

لك مجلس كملت دواعي لهونا
غنى الذباب فظل يزمر حوله
وقال في وصف وادي عذراء بمدينة برجة من أعمال المرية:

رياض غلائلها سندس
مدامعها فوق خط الريا
وكل مكان بها جنة
وقال في ليلة أنس باردة ممطرة:

ولقد نعمت بليلة جمد الحيا
جمع العشاءين المصلي وانزوى
والكأس كاسية القميص يديرها
هي وردة في خده وبكأسها الد
مني إليه ومن يديه إلى يدي
وقال:

قالوا تسابقت الحمي
خلت الدسوت من الرخا
رفقلت من عدم السوابق
خ ففرزنت فيها البيادق

وقال:

إذا صحبت الفتى جد وسعد
ووافاه الحبيب بغير وعد
وعد الناس ضرطته غناء
وقال:

ولقد يهون أن يخونك كاشح
لقى أخو يعقوب يعقوب الأذى
ومضى عقيل عن علي خاذلاً
فعلى الوفاء سلام غير معاين
وقال في الحر يخدم أصحابه:

خادمنا خيرنا وأفضلنا
فنحن يسرى اليدين تخدمها
وقال في مليح اسمه عمر:

يا أعدل الناس اسماً كم تجور علي
أظنهم سلبوك القاف من قمر
وقال يمدح شيخه أبا الحسن علي بن أبي الرجال:

جاور علياً ولا تحفل بحادثة
اسم حكاة المسمى في الفعال وقد
فالمجاد السيد الحر الكريم له
زان العلا وسواه شأنها وكذا
سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد

وقال:

وجسمي عليه للشباب وشاح
أمانع عيني منه وهو مباح

فجلت عن الغفران والله غافر
ألم تك قدماً في البلاد الكبائر؟
أقيمت ستور دونهم وستائر

سن نفسها ولو أنها أقمار
نور يضيء وإن مست فنار

إلا كأشعب يرجو وعد عرقوب
فكيف لي بقضاء غير مكتوب؟

ولابن شرف القيرواني من التصانيف: أبحار الأفكار جمع فيه ما اختاره من شعره، وأعلام الكلام مجموع فيه فوائد ولطائف وملح منتخبة، ورسالة الانتقاد وهي على طراز مقامة نقد فيها شعر طائفة من شعراء الجاهلية والإسلام، وديوان شعر وغير ذلك.

محمد بن محمد بن القاسم بن أحمد

ابن خديو الأخسيكاني أبو الوفاء المعروف بابن أبي المناقب، كان إماماً في اللغة أديباً فاضلاً صالحاً عارفاً بالأدب والتاريخ حسن الشعر، مات في آخر ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ومن شعره:

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتته
وساقت إليه الإثم والعار بالذي
ولم ينهها تاقت إلى كل باطل
دعته إليه من حلاوة عاجل

وقال:

ارحم أخي عباد الله كلهم
وقر كبيرهم وارحم صغيرهم
وانظر إليهم بعين اللطف والشفقة
وراع في كل خلق وجه من خلقه

محمد بن محمد بن أحمد الرامش

بن همamah الرامش أبو نصر النحوي النيسابوري، كان مبرزاً في القراءات وعلوم الحديث، ذا حظ وافر من العربية واللغة، وله شعر صالح، سمع الحديث من أصحاب الأضمر وغيرهم. ورحل وتخرج به جماعة وأملي بنيسابور، وأخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره. ولد سنة أربع وأربعمئة، ومات في جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وأربعمئة. ومن شعره:

ولما برزنا للرحيل وقربت
وضعت على صدري يدي مبادراً
فقلت ومن لي بالعناق وإنما
تداركت قلبي حين كاد يطير

وقال:

وإذا لقيت صعوبة في حاجة
وابعثه فيما تشتهيه فإنه
فاحمل صعوبها على الدينار
حجر يلين سائر الأحجار

محمد بن محمد بن موهب

بن محمد أبو العز المعروف بابن الخراساني، النحوي العروض الشاعر الكاتب، كان عارفاً بالأدب شديد العناية بالعروض، وله شعر كثير سمع ابن نبهان وغيره. وقرأ على أبي منصور الجواليقي. وله مصنف في العروض وتصانيف أدبية وديوان شعر وتغير ذهنه بآخره، ولد سنة أربع وتسعين وأربعمائة، ومات يوم الأحد مستهل رمضان سنة ست وسبعين وخمسمائة. ومن شعره قوله:

أنا راض منكم بأيسر شيء
يرتضيه لعاشق معشوق
بسلام من الطريق إذا ما
جمعتنا بالاتفاق طريق
ومدح شخصاً بقصيدة منها:

إذا عجفت آمالنا عند معشر
غدا نجمها عند الزعيم خطائطا
فبلغت الحيص ببص الشاعر فقال: كل كلام في الدنيا يزداد لحناً، تكلمت بصادين فانقلبت الدنيا، وهذا ما يقوله أحد شيوخ وديوان ابن الخراساني هذا كبير يدخل في عشر مجلدات لطيفة، ومن شعره أيضاً:

إن شئت ألا تعد غمراً
فخل زيداً وخل عمراً
واستعن الله في أمور
ما زلن طول الزمان أمراً
ولا تخالف مدى الليالي
لله حتى الممات أمراً
واقنع بما راج من طعام
والبس إذا ما عريت طمراً

وقال:

قد فلت إذ لحظته عيني مرة
فاحمر من خجلٍ وفرط تصلف
عيني التي غرست نجدك وردة
من ذا يقول لغارس لا تقطف؟
يا سافكا دمي الحرام بطرفه
أو ما تخاف الله يوم الموقف؟
أرويته عن عالم أوجدته
في مسند أقرأته في مصحف؟؟

محمد بن محمد بن يحيى

بن بحر الشيخ تاج الدين أبو العلاء العلوي السند ببسي الواسطي الفقيه الشافعي النحوي، أخذ النحو عن أبي الفضل بن جهور وغيره، وصحب الشيوخ وبرع في النحو وشرح الكلام، وكان فاضلاً تصدر في هذا الشأن وأقرأ مدة، توفي بعد سنة أربعين وخمسمائة.

محمد بن أبي محمد

بن محمد حجة الدين أبو جعفر المعروف بابن ظفر الصقلي الأصل، المكي النحوي اللغوي الأديب، مولده بصقلية ونشأ بمكة ورحل إلى مصر وإفريقية وأقام بالمهدية مدة، وشهد الحروب بها وأخذت من المسلمين وهو هناك، ثم انتقل إلى صقلية ثم عاد إلى مصر ورحل منها إلى حلب وأقام فيها بمدرسة ابن أبي عسرون، ولما وقعت فيها الفتنة بين الشيعة وأهل السنة نهبت كتبه فيما نهب، وخرج منها إلى حماة فصادف فيها قبولا فسكن بها وأجري له راتب من ديوانها وكان دون الكفاف، فلم يزل يكابد الفقر إلى أن مات بها سنة خمس وستين وخمسمائة، وله من التصانيف: التفسير الكبير، وينبوع الحياة تفسير أيضاً، وكتاب الاشتراك اللغوي، وكتاب الاستنباط المعنوي، وأنباء نجباء الأبناء، وسلوان المطاع في عدوان الأتباع، والقواعد والبيان في النحو، وحاشية على درة الغواص للحريري رد فيها عليه، والمطول شرح مقامات الحريري، والمختصر شرحها أيضاً، والتنقيب على ما في المقامات من الغريب، وأسأل يب الغاية في أحكام آية، وخير البشر بخير البشر ذكر فيه الإرهاسات التي كانت بين ظهور النبي صلى الله عليه وسلم، وإكسير كيمياء التفسير، وأرجوزة في الفرائض، وملح اللغة وهو فيما اتفق لفظه واختلف معناه، ومعاقبة الجريء على معاقبة البريء وغير ذلك.

محمد بن محمود بن الحسن

ابن هبة الله بن محاسن صاحبنا الإمام محب الدين بن النجار، البغدادي الحافظ المؤرخ الأديب العلامة أحد أفراد العصر الأعلام، ولد ببغداد في ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، وسمع من ابن كليب والحافظ أبي الفرج بن الجوزي الواعظ وأصحاب ابن الحصين، ورحل إلى الشام ومصر والحجاز وخراسان وأصبهان ومرو وهراة ونيسابور، وسمع الكثير وحصل

الأصول والمسانيد، واستمرت رحلته سبعاً وعشرين سنة. واشتملت مشيخته على ثلاثة آلاف شيخ، وكان إماماً حجة ثقة حافظاً مقرئاً أديباً عارفاً بالتاريخ وعلوم الأدب، حسن الإلقاء والمحاضرات، وكان له شعر حسن، وله التصانيف الممتعة، منها تاريخ بغداد ذيل به علة تاريخ مدينة السلام للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي واستدرك فيه عله، وهو تاريخ حافل دل على تبحره في التاريخ وسعة حفظه للتراجم والأخبار، وله المختلف والمؤتلف ذيل به كتاب الأمير ابن ماكولا، والمتفق والمفترق في نسبة رجال الحديث إلى الآباء والبلدان، وجنة الناظرين في معرفة التابعين، والعقد الفائق في عيون أخبار الدنيا ومحاسن تواريخ الخلائق، وكتاب القمر المنير في المسند الكبير ذكر فيه الصحابة الرواة وما لكل واحد من الحديث، والكمال في معرفة الرجال، ومعجم الشيوخ، ونزهة الوري في أخبار القرى، والدرة الثمينة في أخبار المدينة، ومناقب الإمام الشافعي، وروضة الأوليا في مسجد إيليا، والزهر في محاسن شعراء العصر، والأزهار في أنواع الأشعار، ونزهة الطرف في أخبار أهل الطرف، وغرر الفواد حافل في ست مجلدات، وسلوة الوحيد، وإخبار المشتاق، وجموع نحافيه نحو نشوار المحاضرة للتتوخي النقطة من أفواه الرجال، والشافعي في الطب وغير ذلك. وأنشدني لنفسه قال:

وقائل قال يوم العيد لي ورأى
مالي أراك حزيناً باكياً أسفاً
فقلت: إني بعيد الدار عن وطن
ومملق الكف والأحباب قد هجروا

ونظر إلى غلام تركي حسن الصورة فرمد من يومه فقال:

وقائل قال قد نظرت إلى
فقلت: إن الشمس المنيرة قد
وجهٍ مليح فاعتادك الرمد
يعشى بها الناظر الذي يقد

وقال أيضاً:

إذا لم تكن حافظاً واعياً
فجمعك للكتب لا ينفع
وعلمك في البيت مستودع؟
أتتلق بالجهل في مجلس

محمد بن المرزبان

أبو العباس الدميري، كان فاضلاً بليغاً مؤرخاً عالماً بمجاري اللغة، تصدر عنه الكتاب الكبار، وكان أحد التراجمة ينقل الكتب الفارسية إلى العربية، له أكثر من خمسين منقولاً من كتب الفرس، وله بضعة عشر كتاباً في الأوصاف منها: وصف الفارس والفرس، ووصف السيف، ووصف القلم، وله الحاوي في علوم القرآن سبعة وعشرون جزءاً، وكتاب الحماسة، وأخبار عبد الله بن جعفر بن أبيطال وغير ذلك. أخذ ابن المرزبان عن الزبير بن بكار والرمادي، وروي عنه أبو عمر بن حيوة وجماعة، وتوفي سنة تسع وثلاثمائة.

محمد بن المستنبر بن أحمد

أبو علي المعروف بقطرب، البصري النحوي اللغوي، سمي قطرباً لأنه كان يكر إلى سيبويه للأخذ عنه، فإذا خرج سيبويه سحراً رآه على بابه فقال له يوماً: ما أنت إلا قطرب ليل، والقطرب دويبة تدب ولا تقتر فلقب بذلك، وهو أحد أئمة النحو واللغة، أخذ النحو عن سيبويه وأخذ عن عيسى بن عمر وجماعة من علماء البصرة، وأخذ عن النظام المتكلم إمام المعتزلة وكان على مذهبه، ولما صنف كتابه في التفسير أراد أن يقرأ في الجامع فخاف من العامة وإنكارهم عليه، لأنه ذكر فيه مذهبه أهل الاعتزال، فاستعان بجماعة من أصحاب السلطان ليتمكن من قراءته في الجامع، واتصل قطرب بأبي دلف العجلي وأدب ولده، وأخذ عنه ابن السكيت وقال: كتبت عنه قمطراً ثم تبينت أنه يكذب في اللغة فلم أذكر عنه شيئاً.

توفي أبو علي ببغداد سنة ست ومائتين. وله من التصانيف: كتاب معاني القرآن، وغريب الحديث، وإعراب القرآن، والمثلث في اللغة، وكتاب الرد على الملحدين في متشابه القرآن، وكتاب الفرق، وكتاب الاشتقاق، وكتاب الأضداد، وكتاب فعل وأفع، وكتاب النوادر، وكتاب الأصوات، وكتاب الأزمنة، وكتاب القوافي، وكتاب خلق الإنسان وكتاب خلق الفرس، وكتاب الهمزة، وكتاب العلل في النحو، ومجاز القرآن، والمصنف الغريب في اللغة وغير ذلك.

ومن شعره:

إن كنت لست معي فالذكر منك معي
يراك قلبي إذا ما غبت عن بصري

وناظر القلب لا يخلو من النظر

والعين تبصر من تهوى وتفقد

وقال:

بمنزلة ما بعدها متحول
وراض بعيش غيره سيبدل
ومصطلم من دون ما كان يأمل

لقد غرت الدنيا رجالاً فأصبحوا
فساخط عيش ما يبدل غيره
وبالغ أمر كان يأمل غيره

محمد بن مسعود

أبو بكر الخشني الأندلسي الجياني المعروف بابن أبي الركب، نحوي عظيم من مفاخر الأندلس، لغوي أديب شاعر، أخذ النحو عن ابن أبي العافية، وروي عن أبي الحسين ابن سراج وأبي علي الصدفي وجماعة وتصدر للإقرار. كان متقناً لمسائل سيبويه، فرحل الناس إليه لقراءة الكتاب عليه وانتقل بآخره إلى غرناطة فأقرأ بها، وولى الصلاة والخطبة بجامعها، وله شرح كتاب سيبويه، توفي في منتصف ربيع الأول سنة أربع وأربعين وخمسمائة. ومن شعره:

وماؤها العذب لؤلؤي
والزهر من فوقها الحلي

بساط ذي الأرض سندس
كأنها البكر حين تجلى

محمد بن مسعود العشامي

الأصبهاني المعروف بالفخر، النحوي، له تصانيف في الأدب مرغوب فيها، وشعر متداول ورسائل مدونة فائقة في الفقه والفرائض والحساب والمساحة، توفي بعد سنة ست وخمسمائة.

محمد بن المعلى بن عبد الله

أبو عبد الله الأسدي الأزدي النحوي اللغوي، روي عن الفضل بن سهل وأبي كثير الأعرابي وابن لنكك الشاعر والصولي أبي إسحاق إبراهيم وابن دريد اللغوي إجازة وغيرهم. وله شرح ديوان تميم بن مقبل وغير ذلك.

محمد بن منذر

مولى بنى صبير بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم أبو جعفر، وقيل أبو عبد الله، وقيل أبو ذريح، وذريح ابن له مات صغيراً، وهو شاعر فصيح متقدم في العلم باللغة إمام فيها، أخذ عنه كثير من اللغويين. وكان في أول أمره ناسكاً يتأله ثم ترك ذلك وهجا الناس، وتهتك فوعظته المعتزلة فلم يتعظ، فزجروه فهجأهم وقذفهم حتى نفى عن البصرة إلى الحجاز فمات هناك سنة ثمان وتسعين ومائة، وكان قارئاً تروى عنه حروف يقرأ بها. وصحب الخليل بن أحمد وأبا عبيدة وأخذ عنهما الأدب واللغة، وله معرفة بالحديث، روى عن سفيان بن عيينة وسفيان النوري وشعبة وجماعة، وذكر ليحيى بن معين فقال: لا يروي عنه من فيه خير، وذكر له مرة فقال: أعرفه كان يرسل العقارب في المسجد بالبصرة حتى تلسع الناس، وكان يصب الممداد بالليل في أماكن الضوء حتى يسود وجوههم.

وقال أبو العتاهية يوماً لابن منذر: كيف أنت في الشعر فقال: أقول في الليلة عشرة أبيات إلى خمسة عشر. فقال أبو العتاهية: لو شئت أن أقول في الليلة ألف بيت لقلت.

فقال أجل والله لأنك تقول:

أموت الساعة الساعة

ألا يا عتبه الساعة

وتقول:

يا ليتي لم أرك

يا عتب مالي ولك

وأنا أقول:

بمكة ما عشنا ثلاثة أبحر

ستظلم بغداد ويجلو لنا الدجى

إذا وردوا بطحاء مكة أشرقت

بيحيى وبالفصل بن يحيى وجعفر

فما خلقت إلا لجد أكرمهم

وأرجلهم إلا لأعواد منبر

ولو أردت مثله لتعذر عليك الدهر، وإنني لا أعود نفسي مثل كلامك الساقط فخلج أبو العتاهية. وقال يوماً ليونس النحوي يعرض به: أينصرف جبل أم لا؟ فقل له: لقد عرفت ما أردت يابن الزانية، فأنصرف وأعد شهوداً ثم جاءه وأعاد السؤال، وعرف يونس ما أراد فقال الجواب ما سمعته أمس.

قال الجاحظ: كان ابن مناذر مولى سليمان القهرماني، وسليمان مولى عبيد الله ابن أبيبكرة، وعبيد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو مولى مولى مولى، ثم ادعى أبو بكر أنه ثقيي وادعى سليمان أنه تميمي، وادعى ابن مناذر أنه من بني صبيير بن يربوع، فهو دعي مولى دعي مولى دعي، وهذا مما لم يجتمع في غيره، وعن محمد بن يزيد النحوي: أن ابن مناذر كان إذا قيل له ابن مناذر بفتح الميم يغضب ثم يقول: أمناذر الصغرى أم مناذر الكبرى؟ وهما كورتان من كور الأهواز، إنما هو مناذر على وزن مفاعل من ناذر فهو مناذر، ومما هدد به المعتزلة حين توعدوه ومنعوه من دخول المسجد قوله:

أبلغ لديك بنى تميم مآلكا

عني وعرج في بني يربوع

إنني أخ لكم بدار مضيفة

بوم وغربان عليه وقوع

يا للقبائل من تميم ما لكم

روبي ولحم أخيك بمضيع

وإذا تحربت القبائل صلتكم

بفتى لكل ملمة وفطيع

هبوا له فلقد أراه بنصركم

ياوي إلى جبل أشم منيع

إن أنتم لم توتروا لأخيك

حتى يباء بوتره المتبوع

فخذوا المغازل بالأكف وأيقنوا

ماعشتم بمنذلة وخضوع

إن كنتم حرباً على أحسابكم

سمعاً فقد أسمعت كل سميع

أين الرياحيون لم أر مثلهم

في النائبات وأين رهط وكيع؟

وروى المبرد عن أبي واثلة قال: كان أبان اللاحقي يولع بابن مناذر ويقول له: إنما أنت شاعر في المراثي فإذا مت فلا ترثني، وكثر ذلك من أبان عليه حتى أغضبه فقال يهجوه:

غنح أبان ولبن منطقته

يخبر الناس أنه حلقي

داء به تعرفون كلكم

يا آل عبد الحميد في الأفق

حتى إذا ما المساء جلله

كان أطباؤه على الطرق

ففرجوا عنه بعض كربته

بمستطير مطوق العنق

وقال يرثي سفيان بن عيينة

يجني من الحكمة سفياننا

ماتت شتهى الأنفس ألوانا

يا واحد الأمة في عمله

لقيت من ذي العرش غفرانا

راحوا بسفيان على عرشه

والعلم مكسوين أكفانا

محمد بن منصور بن جميل

أبو عبد الله الغر الكاتب، نحوي لغوي أديب من أفاضل العصر، قدم بغداد في صباه وقرأ الأدب، ولازم مصدق بن شبيب النحوي حتى برع في النحو واللغة، وقرأ الفقه والفرائض والحساب وقال الشعر ومدح الناصر فعرف واشتهر، ورتب كتاباً في ديوان التركات مدة، ثم ولي نظره ثم ولي الصدريّة بالمخزن، ثم عزل واعتقل وأفرج عنه بعد مدة، ورتب وكيلاً للأمير عدة الدين بن الناصر، وكان كاتباً بليغاً مليح الخط غزير الفضل متواضعاً، مليح الورة طيب الأخلاق، مات في شعبان سنة ست عشرة وستمئة.

محمد بن موسى بن عبد العزيز

أبو بكر الكندي المصري، وقيل أبو عمران بن الصيرفي ويعرف بابن الجبي ويلقب بسبيويه، كان عارفاً بالنحو والمعاني والقراءة والغريب والإعراب والأحكام وعلوم الحديث والرواية، واعتبني بالنحو والغريب حتى لقب بسبيويه لذلك، وله معرفة بأخبار الناس والنوادر والأشعار والفقه على مذهب الشافعي، جالس ابن الحداد الفقيه الشافعي وتلمذ له، وسمع من أبي عبد الرحمن النسائي وأبي جعفر الطحاوي، وكان يتكلم في الزهد وأحوال الصالحين، عفيفاً متنسكاً ويظهر الاعتزال، اجتمعت فيه أدوات الأدباء والفقهاء والصلحاء والعباد والمتأدبين، وبلغ بذلك مبلغاً جالس به الملوك، وكان يظهر الكلام في الاعتزال في الأسواق فيتحمل لما هو عليه من العلم، ولحقته السوداء فاختلفت ثم زادت عليه الوسوسة، وواصلته السوداء إلى أن مات في صفر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بمصر، وولد سنة أربع وثمانين ومائتين. ومن شعره:

من لم يكن يومه الذي هو فيه أفضل من أمسه ودون غده
فالموت خير له وأروح من حياة سوء تفت في عضده

محمد بن موسى الحدادي البلخي

النحوي الشاعر، يقال أخرجت بلخ أربعة من الأفراد، أبا القاسم الكعبي في علم الكلام، وأبا زيد البلخي في البلاغة والتأليف، وسهل بن الحسن في الشعر الفارسي، ومحمد بن موسى الحدادي في العربية والشعر العربي، وكان الحدادي يكتب للحسين بن علي، وشعره سائر مدون أكثره أمثال وحكم منه:

يسرني من حسد الناس لي أني فيهم غير محروم
وأني من كرم لابس وأني عار من اللوم

وقال:

إن كنت أشكو ما يدق ق عن الشكاية في القريض
فالليل يضجر وهو أع ظم ما رأيت من البعوض

وقال:

ما بال فرقة شملنا لاتجمع وإلى متى يصل الزمان ويقطع؟
كم خلفت تلك الركاب وراءها من منزل فيه لنا مستمتع
فالورد يلطم خده لمصابنا وعيون نرجسه علينا تدمع

محمد بن موسى بن أبي محمد

بن مؤمن الكندي أبو بكر النحوي، كتب الحديث والنحو وأكثر، وكان رجلاً فاضلاً صالحاً، توفي في ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وقد قارب الثمانين.

محمد بن ميمون الأندلسي

القطربي أبو بكر النحوي يعرف بمركوش، كان بارعاً في النحو مشهوراً بالأدب. ومن شعره في غلام قص من شعره:

تبسم عن مثل نور الأفاحي وأقصدنا بمراسم صحاح
ومر يمس كما ماس غصن يلاعب عطفه موج الرياح
وقصر من ليله ساعة فأعقب ذلك ضوء الصباح
وإني وإن رغم العاذلو ن من خمر أجفانه غير صاح
ولأبي بكر بن ميمون من التصانيف: شرح الجمل في النحو، شرح مقامات الحريري وغير ذلك.

محمد بن نصر بن صغير بن داغر

ابن محمد بن خالد، من ولد خالد بن الوليد الصحابي الجليل شرف الدين المخزومي المعروف بابن القيسراني الحلبي الأديب الشاعر، كان شاعراً مجيداً وأديباً متقناً، كان وابن منير الطرابلسي شاعري الشام في عهد الملك العادل نور الدين بن زنكي،

ولهما القصائد الطنانة في مدحه، قرأ الأدب على توفيق بن محمد الدمشقي وابن الخياط الشاعر، وسمع بحلب من هاشم بن أحمد الحلبي وأبي طاهر الخطيب، وسمع منه أبو سعيد السمعاني والحافظ بن عساكر وأبو المعالي الحظيري الأديب الشاعر وغيرهم. وكان هو وابن منير يشبهان بجريير والفرزدق للمناقصات والوقائع التي جرت بينهما، واتفق موتهما في سنة واحدة، فقد مات ابن منير في حلب في جمادى الآخرة، وفي ثاني عشر شعبان وصل إلى دمشق ابن القيسراني باستدعاء الأمير مجير الدين فمات بعد وصوله بعشرة أيام، وذلك ليلة الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وكانت ولادته سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، وله شعر كثير مدون أجاد في أكثره، فمن ذلك قصيدة مدح بها الملك العادل نور الدين حين أسر جوسلين واستولى على بلاده بشمالي حلب سنة خمس وأربعين وخمسمائة قال:

دعا ما ادعى من غره النهي والأمر	فما الملك إلا ما حباك به الأمر
ومن تثت الدنيا إليه عنانها	تصرف فيما شاء عن إذنه الدهر
ومن راهن الأقدار في صهوة العلا	فلن تترك الشعرى مداه ولا الشعر
ولم لا يلي أسنى الممالك مالك	زعيم جيوش من طلائعها النصر
ليهن دمشقاً أن كرسي ملكها	حبا منك صدراً ضاق عن همه الصدر
وأنت نور الدين مذ زرت أرضها	سمت بك حتى انحط عن نسرها النسر
خطبت فلم يحبك عنها وليها	وخطب العلا بالسيف ما دونه ستر
جلاها لك الإقبال حورية السنا	عليها من الفردوس أودية خضر
خلوب أكننت من هواك محبة	نمت فانتمت جهراً وسر الهوى جهر
فإن صافحت يمنالك من بعد هجرها	فأحلى التلاقي ما تقدمه هجر
وهل هي إلا كالحصان تمنعت	دللاً وإن عز الحيا وغلا المهر؟
ولكن إذا ما قسها بصداقها	فليس له قدر وليس لها قدر
هي الثغر أمسى بالكراديس عابساً	وأصبح عن باب الفراديس يفتّر
على أنها لو لم تجبك إنابة	لأرهبها من بأسك الخوف والذعر
فلما وقفت الخيل ناقعة الصدى	على بردى من فوقها الورق النضر
فمن بعد ما أوردتها حومة الوغى	وأصدرتها والبيض من علق حمر
وجللتها نفعاً أضاع شياتها	فلا شهبها شهب ولا شقرها شقر
علا النهر لما كاثر الغصب القنا	مكاثرة في كل نحر لها نحر
وقد شرقت أجرافه بدم العدى	إلى أن جري العاصي وضحضاحه غمر
صدعتهم صدع الزجاجة لايد	لجابرها ما كل كسر له جبر
فلا ينتحل من بعدها الفخر دائل	فمن بارز الإبرنز كان له الفخر
ومن بز أنطاكية من مليكها	أطاعته ألحاظ المؤلفة الخزر

ومنها:

طغى وبغى عدوا على غلوائه	فأوبقه الكفران عدواه والكفر
وألقت بأيديها إليك حصونه	ولو لم تجيء طوعاً لجاء بها القسر
فسر واملأ الدنيا ضياء وبهجة	فبالأفق الداجي إلى ذا السناهر
كأنني بهذا الحزم لا فل حده	قصاه بالأقصى وقد قضى الأمر
وقد أصبح البيت المقدس طاهراً	وليس سوى جاري الدماء له طهر
وقد أدت البيض الحداد فروضها	فلا عهدة في عنق سيف ولا نذر
وصلت بمعراج النبي صوارم	مساجدها شفع وساجدها وتر
وإن تتيمم ساحل البحر مالكا	فلا عجب أن يملك الساحل البحر
سللت سيوفاً أكلت كل بلدة	بصاحبها حتى تخوفك البدر

إذا سار نور الدين في عزماته
ولو لم يسر في عسكر من جنوده
ملك سميت شم المنابر باسمه
فيا كعبة مازال في عرسانها
خلعت على الأيام من حل العلا
وتوجت ثغر الشام منك جلالة
فلا تفتخر مصر علينا بنيلها
رددت الجهاد الصعب سهلاً سبيله
وقال يمدح أبا غانم سعد بن طارق:

خاطر بقلبك إما صبوة الغالي
من كل ذي هيف ترنو لواحظه
كم ليلة بت من كأس وريقته
وبات لا يحتمي عني مرأشفه
يا مطلق ما بقي للسقم من جسدي؟
إن شئت علم حالي بعد فرقتك
خذوا حديث غرامي عن مطوقة
لم تتركوا لي سوى نفس أجود بها
إذا غضيم وبات الوجد يشفع لي
كأن عيني في فضل انسكابهما
غمر يصدك عن تكذيب مادحه
يثرى فلا يستقر المال في يده
ميتم ببنات الفكر وهي به
يا من يزار فيلقى عنده كرم
من كان من عرب أو كان من عجم

وقال يمدح القاضي كمال الدين الشهرزوري:
أيا عاذلي في الحب مالي وللعدل؟
أحين استجارتك الملاحه في الهوى؟
لي الله من صب تملكه الجوى
منيت بمثل البدر في مستقره
إذا ما التقينا جال طرفي وطرفه
فيا ويح قلبي من بلاه بحبه
ويا لي من ليل طويل كهجره
ألفت قلاه واستطبت مطاله
وقالوا حباك الشيب بالحلم والنهي
ليالي أجتاب الليالي صبوة
متى ما خلا قلب المحب من الهوى
ألم تر أن الشيب بين جوانحي
عقيد المعالي بين كفيه والندی

فقولاً لليل الفجر قد طلع الفجر
لكان له من نفسه عسكر مجر
كما قد زهت تيهاً به الأنجم الزهر
مواسم حج لا يروعها النفر
ملابس من أعلامها الحمد والشكر
تمنت لها بغداد لو أنها ثغر
فيمنك نيل كل مر بها مصر
ويا طالما أمسى ومسلكه وعر

فيما أحب وإما سلوة السأل ي
إليك من لهزم في صدر عسأل
نشوان أمزج سلسأل أ بسلسأل
كأنما ثغره ثغر بلا والي
وفي يديهم فؤادي رهن أغلال
فأنصتوا للحمام العاطل الحالي
تتلو ضلالي في فرع من الضال
والجود بالنفس غير الجود بالمال
إلى رضاكم رأيت السقم أشفى لي
يدا أبي غانم جادت بأفضال
ما عند كفيه من تصديق آمال
كأنه عدل في سمع مختال
مفتونة فهو لا شاك ولا سأل ي
بلا حجاب ومجد بالعلا حالي
فأنت يا سعد من يمن وإقبال

ويا هاجري هل من سبيل إلى الوصل؟
بخلت كأن الحسن في ذمة البخل
فأمسى أسيراً رهن حبل من الخبل
يريك المنال الصعب في المنظر السهل
فانظر من دمع وينظر من نصل
ومن دل ألحاضي على ذلك الدل؟
وصبر ضعيفٍ ضعف أجفانه النجل
وأطيب ما جاء الوصال على مطل
ومن لي بأيام الشيبة والجهل
ورامي غرامي لا يرى موقع النبل
فيالك من ربع أقام بلا أهل
أقام مقام الفضل عند أبيالفضل؟
موثيق عقد لا تروع بالحل

ويبسم عن ثغر يبشر بالجد
مناقبه بين الورى مستفيضة
وما العلم إلا سيرة شهدت بها
متى ارتجل الإيجاز في صدر دسسته
غريب العلى يفتن في مكرماته
وجدنا ابن عبد الله أمدى من الحيا
فطوراً يباريه الرجاء على النوى
إليك انتضى شوقي إليك عزيمة
على سابع يطوى المدى بسنابك
إلى ماجد أمواله بيد الندى
أبا الفضل كم لي في مساعيك مدحة
فريدة لفظ في فريد محاسن

وقال:

خذوا حيث غرامي عن ضني بدني
وخبروني عن قلبي ومالكه
من ذا الذي ترهب الأبطال صولته
وما جفون إذا سلنت صوارمها
هذا الذي سلب العشاق نومهم
تفرق الحسن إلا في محاسنه
أمسى غرامي بذاك القد يوهمنى
إذا الصبابة عاطتني مدامتها
أعيا اللوائم سمعي غير لائمة
حتى إذا ما تناهى العذل في كلفي
فما تثنت ناظري عن منظر حسن

وقال:

مررنا في ديار بني عدي
يتيمنى بأرض الشام حب
غرام طارف وهوى تلبد
فلا وأبيك ما هومت إلا
فكل هوى يطالبني بقلب

وقال:

لا يغرنك من السيف المضى
مرهفات الحد أمضاها المها
حدق علتها صحتها

وقال:

تظلمت من أجفانهن إلى النوى
ولما دنا التوديع قلت لصاحبي
إذا كانت الأحداق نوعاً من الطبى

وقال:

كما بشر البرق اليماني بالوبل
إذا رويت لم تعتبر صحة النقل
أسانيدها أورد فرع إلى أصل
رأيت الخطاب الفصل في ذلك الفصل
إذا ما انقضى شكل بدا بك في شكل
وأغلى محلاً منه في زمن المحل
وطوراً تتاجيه المطالب في الرحل
هي النصل تحت الليل أو سمة النصل
لمستها فوق الصفا طاعة الرمل
فليس عليها من وكيل سوى البذل
ألذ على الأفواه من ضرب النحل
فتلك بلا مثل وأنت بلا مثل

أغنى لسان الهوى عن دمعي اللسن
فربما أشكل المعنى على الفطن
زيد الفوارس أم سيف بن ذي يزن؟
تجاذبت مهج الأفران في قرن
أما ترى عينه ملأى من الوسن؟
ويلاه من فتن جمعن في فنن
أن اعتلاك الصبا شوقاً إلي الغصن
فما فؤادي على سر بمؤتن
للشيب ما لت إلى عيني عن أذني
قامت إلي بنات الدهر تعذلني
حتى أرتني مكاني من أبي الحسن

يجاذب لوعتي شرق وغرب
ويعطفنى على بغداد حب
لكل صبابة في القلب شعب
سرى لهما خيال لا يغيب
وهل لي غير هذا القلب قلب؟

فالطبي ما نظرت منها الأطباء
وقضاها للمحبين القضاء
ربما كان من الداء الدواء

سفاهاً وهل يعدى البعاد على القرب؟
حنانيك سربي عن ملاحظة السرب
فلا شك أنا للحظ ضرب من الضرب

رنا بطرفٍ مريض الجفن منكسر
جفن روى عنه ما يرويه من سقم

وقال:

إذا ما تأملت القوام مهفهفاً
وطرفاً تخلي عن سقامي سقامه

وقال:

بالسفع من لبنان لي
حملت تحيته الشما
فرد الصفات غريبها
لم أنس ليلة قال لي
بالله قل لي يافتى

وقال:

بين فتور المقلتين والكحل
توق من فتكاتهما لواحظاً
ويلاه من نواظر سواحر
لو لم تكن أحفانها نوابلاً
يا رامياً مسمومة نصاله
كم عاذلٍ خوفني من لحظه

وله من قصيدة في الملك العادل نور الدين وأجاد:

حصن بلادك هيبة لا رهبة
هيهات يطمع في محلك طامع
كلفت همتك السمو فحلقت
وأظن أن الناس لما لم يروا

وقال أيضاً في قصيدة يهنئه بها باستيلائه على سنجار وأعمال الفرات:

في عسكر يخفي كواكب ليله
جرار أذيال العجاج وراءه
تدني لك الغايات همتك التي
وملكت سنجاراً وما من بلدة
وبسطت بالأموال كفا طالما
وثنى الفرات إلى يديك عنانه

ومنها:

تدعو البلاد إليك السنة الطيبي
حتى عمدت الدين يا ابن عماده

ومنها:

أمضى السلاح على عدوك بغية
شوقاً إلى ساكني دمشق فلا
فاحسم عناد ذوي العناد بجحفل
جند على جرد أمام صدورها
قد بايع الإخلاص بيعة نصره

فمن رأى جؤنراً يلهو بأساد؟
جسمي فصيح به نقلي وإسنادي

تأملت سيفاً بيز جفنيه مرهفاً
فهلاً شفى من بات منه على شفا

قمر منازلہ القلوب
ل فردھا عني الجنوب
والحسن في الدنيا غريب
لما رأى جسدي يذوب
ماتشتكي؟ قلت الطبيب

هوى له من كل قلب ما انتحل
أما ترى تلك الطيبي كيف تسل؟
ما عقل العقل بها إلا اختبل
لما برت أسهمها من المقل
عينك للقارة قل لي أم ثعل؟
إليك عني سبق السيف العذل

فالدرع من عدد الشجاع الحازم
طال البناء على يمين الهادم
فكأنما هي دعوة في ظالم
عدلاً كذلك أرجفوا بالقائم

نقع فيطلعها القنا الخطار
وأمامه بل جحفل جرار
كبرت كذا همم الملوك كبار
إلا تمننت أنها سنجار
طالت به الآمال وهي قصار
والبحر ما اتصلت به الأنهار

فتجيبك الأنجاد والأغوار
بقنأ أسنتها عليه منار

بالغدر يطعن في الوغى الغدار
عدت رباها مواطر السحب
كالليل فيه من الصفاح نهار
صدر عليه من اليقين صدار
ولكل هادي أمة أنصار

وإذا الملوك ثققلت عن غاية

فأرادها خفت به الأقدار

محمد بن نصر الله بن الحسين

بن عنين دمشقي الأنصاري، أصله من الكوفة من الخطة المعروفة بمسجد بني النجار، وولد بدمشق يوم الاثنين تاسع شعبان سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وهو من أفاضل العصر لغوي أديب شاعر مجيد، نشأ بدمشق وأخذ عن الحافظ أبي القاسم بن عساكر وغيره وهو يستحضر كتاب الجماهرة لابن دريد، وبرع في الشعر وحل الألغاز، ورحل إلى العراق والجزيرة وخراسان وأذربيجان وخوارزم، ودخل الهند ورحل إلى اليمن ومنها إلى الحجاز ثم إلى مصر ثم رجع إلى دمشق وهو مولع بالهجو، وله في ذلك قصيدة طويلة سماها مقراض الأعراض، ويقال: إنه يخل بالصلاة ويصل ابنة العنقود، ورماه أبو الفتح بن الحاجب بالزندقة والله أعلم بصحة ذلك.

ولما كان بخوارزم حضر يوماً درس الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المعروف بابن خطيب الري وكان يوماً باردا سقط فيه الثلج، فبينما الشيخ يلقي الدرس إذا سقطت حمامة بالقرب منه ووراءها طير من الجوارح يطاردها، فلما صارت بين الناس خاف الجراح وطار، ولم تقدر الحمامة على النهوض مما لحقها من الخوف والبرد، فرق لها الإمام فخر الدين وأخذها بيده وحنى عليها، فأنشده ابن عنين مرتجلاً:

يا ابن الكرام المطعمين إذا اشتوا
العاصمين إذا النفوس تطايرت
من نبأ الورقاء أن محلكم
وفدت عليك وقد تدانى حتفها
لو أنها تحبى بمال لانتنت
جاءت سليمان الزمان بشكوها
قرم يطاردها فلما استأمنت
ففي يوم مسغبة وثلج خاشف
بين الصوارم والوشيج الراعف
حرم وأنك ملجأ للخائف؟
فحبوتها ببقائها المستأنف
من راحتك بنائل متضاعف
والموت يلمع من جناحي خاطف
بجنابه ولى بقلوب واجف

وله من قصيدة كتب بها إلى العادل يشكو الغربة والشوق إلى الشام:

ماذا على طيف الأحبة لو سرى
جنحوا إلى قول الوشاة وأعرضوا
يا معرضاً عني بغير جناية
هيني أسأت كما تقول وتفتري
ما بعد بعدك والصدود عقوبة
لا تجمعن على عتبك والنوى
عبء الصدود أخف من عبء النوى
فسقى دمشق وواديهما والحمى
حتى ترى وجه الرياض بعارض
تلك المنازل لا ملاعب عالج
أرض إذا مرت بها ريح الصبا
فارقتها لا عن رضا وهجرتها
أسعى لرزق في البلاد مشئت
وأصون وجه مدائحي متقنعاً

ومنها في الشكوى والدخول إلى المديح:

أشكو إليك نوى تمادى عمرها
لا عيشي تصفو ولا رسم الهوى
أضحى عن الربع المريع محولاً
حتى حسبت اليوم منها أشهراً
يعفو ولا جفني يضافحه الكرى
وأبيت عن ورد النмир منفراً

ومن العجائب أن يقل بظلكم
وأول قصيدته المسماة مقراض الأعراض قوله:
أضالع تنطوى على كرب
شوقاً إلى ساكني دمشق فلا
ومن ثم أخذ في الهجو بنفس طويل، وتقنن بأساليب السب والتلب فأورد ما لا يحسن إيراده، وقال أيضاً في هجو أبيه:
وجنبي أن أفعل الخير والد
يعيد من الحسنى قريب من الخنا
إذا رمت أن أسمو صعوداً إلى العلا
وقال يهجو كحالا:

لو أن طلاب المطالب عندهم
لأتوا إليك بكل ما أملت
ودعوك بالصباغ لما أن رأوا
وبكفك الميل الذي يحكي عصا
وقال في العادل سيف الدين بن أيوب:
إن سلطاننا الذي نرتجيه
هو سيف كما يقال ولكن
وقال في المحدث الفاضل ابن دحية الكلبي وهو معاصر:

دحية لم يعقب فلم تعتزى؟
ما صح عند الناس شيء سوى
وقال يمدح فخر الدين الرازي وسيرها إليه من نيسابور إلى هراة:

ريح الشمال عساك أن تتحملي
وقفي بوادي المقدس وانظري
من دوحة فخرية عمرية
مكية الأنساب زاك أصلها
واستمطري جدوى يديه فطالما
نعم سحائبها تعود كما بدت
بحر تصدر للعلوم ومن رأى
ومشمر في الله يسحب للتقى
ماتت به بدع تمادى عمرها
فعلا به الإسلام أرفع هضبة
غلط امرؤ بأبي علي قاسه
لو أن رسطاً ليس يسمع لفظة
ويحار بطليموس لو لاقاه من
فلو أنهم جمعوا لديه تيقنوا
وبه يبيت الحلم معتصماً إذا
يعفو عن الذنب العظيم تكرماً
أرض الإله بفضلته ودفاعه
يأيها المولى الذي درجاته
مامنصب الا وقدرك فوقه

كل الورى ونبذت وحدي بالعرا
ومقلة مستهله الغرب
عدت رباها مواطر السحب
ضئيل إذا ما عد أهل التناسب
وضيع مساعي الخير جم المعاييب
غدا عرقه نحو الدنيا جاذبي

علم بأنك للعيون تعور
منهم وكان الجزاء الأوفر
يعشي العيون لديك ماء أصفر
موسى وكم عين به تتفجر

واسع المال ضيق الإنفاق
قاطع للرسوم والأرزاق

إليه بالبهتان والإفك
أنك من كلب بلا شك

شوقي إلى الصدر الإمام الأفضل
نور الهدى متألقا لا يأتلي
طابت مغارس مجدها المتائل
وفروها فوق السماك الأعزل
خلف الحيا في كل عام محل
لا يعرف الوسمي منها والولي
بحراً تصدر قبله في محفل؟
والدين سر بال العفاف المسبل
دهراً وكاد ظلامها لا ينجلي
ورسا سواه في الحضيض الأسفل
هيئات قصر عن مداه أبو علي
من لفظة لعرفته هزة أفكل
برهانه في كل شكل مشكل
أن الفضيلة لم تكن للأول
هزت رياح الطيش ركني يذبل
ويجود مسؤولاً وإن لم يسأل
عن دينه وأقر عين المرسل
ترنو إلى فلك الثوابت من عل
فبمجدك السامى يهنى ماتلى

فمتى أراد الله رفعة منصب
لازال ربك للوفود؟ثابة
ولما كان بمصر أهدى اليه الشريف أبو الفضل سليمان الكحال خروفاً هزياً فكتب إليه يشكره ويداعبه فقال:
أبو الفضل وابن الفضل أنت وأهله
أنتني أياديك التي لأعدها
ولكنني أنبيك عنها بطرفة
أتاني خروف ماشككت بأنه
إذا قام في شمس الظهيرة خلته
فناشدته مايشتهي؟ قال حلبة
فاحضرتها خضراء مجاجة الثرى
فظل يراعيها بعين ضعيفة
أنت وحياض الموت بيني وبينها

وقال:

ألين لصعب الخلق قاس فؤاده
من الترك مياس القوام منعم
أسأل عذاراً في أسيل كأنه
وأعتبه لو يرعوى من أعاتبه
له الدر ثغر والزمرد شارب
عبير على كافور خديه ذائب

وقال:

ومفهف رقت حواشي حسنه
لم يكس عارضه السواد وإنما
وشعره غرر كله وهو الآن حي مقيم في دمشق.

محمد بن هاني

أبو القاسم الأزدي الأندلسي، من ولد روح بن حاتم ابن قبيصة بن المهلب، أديب شاعر مفلق، أشعر المتقدمين والمتأخرين من المغاربة، وهو عندهم كالمتنبى عند أهل المشرق، ولد بإشبيلية ونشأ بها، ونال حظاً واسعاً من علوم الأدب وفنونه، وبرز في الشعر فلم يبارِه في حلبته مبار، ولم يشق غباره لاحق، وكان متهماً بالفلسفة يسلك في أقواله وأشعاره مسلك المعري، وما زال يغلو في ذلك حتى تعدى الحق وخرج في غلوه إلى ما لا وجه له في التأويل، فأزعجه أهل الأندلس واضطروه إلى الخروج من وطنه، وأشار عليه صاحب إشبيلية بذلك درءاً للفتنة، فخرج متنقلاً في البلاد ووصل إلى عدوة المغرب، فلقي بها جوهر القائد مولى المنصور فمدحه، ثم رحل إلى الزاب واتصل بجعفر ابن الأندلسية وأخيه يحيى فانتجع بابهما ولزم رحابهما، فأكرا وفادته واحسنا إليه، ثم بلغ خبره للمعز أبا تميم فاستقدمه واحسن نزله وبالغ في إكرامه، ولما رحل المعز إلى الديار المصرية استأذنه في الرجوع إلى عياله ليأتي بهم ويلحق به، فأذن له فخرج قاصداً بلده، فلما بلغ برقة نزل على أحد أعيانها للراحة فأضافه أيام فخرج ليلة سكران من بيته، فلما أصبح الناس وجدوه ملقي في سانية من سواني البلد مخنوقاً بتكة سراويله ولم يعرف سبب ذلك ولا فاعله، وكانت وفاته كذلك يوم الأربعاء سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وقد جاوز الأربعين، ولما بلغ المعز خبر موته أسف عليه أسفا عظيماً وقال: هذا الذي كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك، ومن غرر شعره قصيدته الرائية المشهورة التي مدح بها المعز المذكور وهي:

فتقت لكم ريح الجلال بعنبر
وجنيت ثمر الوقائع يانعا
وضربت هام الكماة ورعتم
أبني العوالي السهرية والسيو
من منكم الملك المطاع كأنه
القائد الخيل العتاق شوازبا
وأمدكم فلق الصباح المسفر
بالنصر من ورق الحديد الأخضر
بيض الخدور بكل ليث مخدر
ف المشرفية والعديد الأكثر
تحت السوابغ تبع في حمير
خزراً إلى لحظ السنان الأخضر

شعث النواصي حشرة أذاتها
تنبو سنا بكهن عن عفر الثرى
جيش تقدمه الليوث وفوقه
وكانما سلب القشاعم ريشها
وكانما شملت قناة ببارق
تمتد السنة الصواعق فوقه
ويقوده الليث الغضنفر معلماً
نحر القبول من الدبور وسار في
في فتية صدأ الدروع عبيرهم
لا يأكل السرحان شلو طعينهم
أنسوا بهجران الأنيس كأنهم

ومنها:

قوم يبيت على الحشايا غيرهم
وتظل تسبح في الدماء قبابهم
من كل أهرت كالح ذي لبدة

ومنها في ذكر الممدوح:

لي منهم سيف إذا جردته
وفتكت بالزمن المدجج فتكة ال
صعب إذا نوب الزمان استصعبت
فإذا عفا لم تلق غير مملك
وكفالك من حب السماحة أنها
فغمامه من رحمة وعراصه

وقال أيضاً يمدحه من قصيدة:

أولئ دمع هذا الغيث أم نقط
بين السحاب وبين الريح ملحمة
كأنه ساخط يرضى على عجل
أهدى الربيع إلينا روضة أنفاً

ومنها:

والريح تبعث أنفاساً معطرة
كأنما هي أنفاس المعز سرت
تالله لو كانت الأنواء تشببه
أبدى الزمان لنا من نور طلعتة
حتى تسلط منه في الورى ملك
إمام عدل وفي في كل ناحية
قد بان بالفضل عن ماض ومؤتلف

وقال يمدح جعفر بن الأندلسية:

أليتنا إذ أرسلت وارداً وحفاً
ولم يبق إرعاش المدام له يداً
تريف تناء السكر إلا ارتجاجة

قب الأياطل داميات الأنسر
فيطان في خد العزيز الأصعر
كالغيل من قصب الوشيح الأسمر
مما يشق من العجاج الأكر
متألق أو عارض متعنجر
عن ظلتي مزن عليه كنهور
في كل شنن اللبدتين غضنفر
جيش الهرقل وعزمه الإسكندر
وخلوقهم علق النجيع الأحمر
مما عليه من القنا المتكسر
في عبقرى البيد جنة عبقر

ومبيتهم فوق الجياد الضمر
فكانهن سفائن في أبحر
أوكل أبيض واضح ذي مغفر

يوما ضربت به رقاب الأعصر
براض يوم هجائه ابن المنذر
متنمر للحادث المتنمر
وإذا سطا لم تلق غير مظفر
منه بموضع مقلة من محجر
من جبنة ويمينه من كوثر

ما كان أحسنه لو كان يلتقط
معامع وظبي في الجو تختلط
فما يدوم رضا منه ولا سخط
كما تنفس عن كافوره السفط

مثل العبير بماء الورد يختلط
لاشبهة للندى فيها ولا غلط
مامر بؤس على الدنيا ولا قنط
عن دولة ما بها وهن ولا سقط
رنت بدولته الأملاك والسلط
كما قضوا في الإمام العدل واشترطوا
كالعقد عن طرفيه يفضل الوسط

وبتنا نرى الجوزاء في أذننا شنفا
ولم يبق أعنات التثني له عطفا
إذا كل عنها الخصر حملها الردفا

يقولون: حقف فوقه خيزرانة
جعلنا حشايانا ثياب مدامنا
فمن كبد تدنى إلى كبد هوى
بعيشك نبه كأسه وجفونه
وقد فكت الظلماء بعض قيودها

ومنها في المديح:

كان لواء الشمس غرة جعفر
وقد جاشت الدأماء بيضاً صوارماً
وجاءت عتاق الخيل تجري كأنما
هنالك تلقى جعفر غير جعفر
وكائن تراه في الكريهة جاعلاً
وكائن تراه في المقامة جاعلاً

وقد بلغ في هذه القصيدة غايات الإجادة ولولا طولها لاوردتها بتمامها، وقال يصف سيفاً ليحيى أخى جعفر المذكور:

لله أي شهاب حرب واقد
في كف يحيى منه أبيض مرهف
وجرى الفرند بصفحتيه كأنما
يكفيك مما شئت في الهيجاء أن

وقال أيضاً يمدح المعز وهي أول قصيدة مدحه بها حين قدم عليه بالقيروان:

هل من أعقه عالج يبرين
ولمن ليال ماذمنا عهدنا
المشرقات كأنهن كواكب
بييض وما ضحك الصباح وإنها
أدمى لها المرجان صفحة خده

ومنها:

لأعطشن الروض بعدهم ولا
أعير لحظ العين بهجة منظر
لا الجو جو مشرق ولو اكتسى

ومنها:

عهدي بذاك الجو وهو أسنة
هل يذنيني منه أجرد سابح

ومنها في المديح:

ألروض ما قد قيل في أيامه
والمسك ماكتم الثرى من ذكره
ملك كما حدثت عنه رافة
شيم لوان اليم أعطى رفقاها
تالله لا ظلل الغمام معاقل
ووراء حق ابن الرسول ضراغم
أطالبان المشرفية والقنا
وصواهل لا الهضب يوم مغارها

أما يعرفون الخيزرانه والحقفا؟
وقدت لنا الظلماء من جلدها لحفا
ومن شفة توحى إلى شفة رشفا
فقد نبه الإبريق من بعدما أغفى
وقد قام جيش الليل للفجر واصطفا

رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا
ومارئة سمرأ وفضفاضة زغفا
تخط له أقلام آذانها صحفا
وقد بدلت يمناه من رفقاها عنفا
عزيمته برقاً وصولته خطفا
مشاهده فصلاً وخطبته حرفا

وقال يصف سيفاً ليحيى أخى جعفر المذكور:

صحب ابن ذي يزن وأدرك تبعا
عرف المعز بأله فتشيعا
ذكر القتيل بكر بلاء فدمعا
تلقى العدا قتل منه أصبعا

وقال يمدح المعز وهي أول قصيدة مدحه بها حين قدم عليه بالقيروان:

أم منهما بقر الحدوج العين؟
مذ كن إلا أنهن شجون
والناعمات كأنهن غصون
بالمسك من طرر الحسان لجون
وبكى عليها اللؤلؤ المكنون

يرويه لي دمع عليه هتون
وأخونهم؟ إني إذا لخئون
زهراً ولا الماء المعين معين

وكناس ذاك الخشف وهو عرين
مرح وجائلة النسوع أمون

لأنه ورد ولانسرين
لأن كل قراره دارين
فالخمر ماء والشراسة لين
لم يلتقم ذا النون فيه النون
تأتي عليه ولا النجوم حصون
أسد وشهباء السلاح متون
والمدركان النصر والتمكين
هضب ولا البيد الحزون حزون

جنب الحمام ومالهن قوادم
فكأنما تحت الغبار كواكب
عرفت بساعة سيقها لأنها
أجل علم البرق فيها أنها

ومنها:

وعلا الربود وما لهن وكون
وكأنما تحت الحديد دجون
علقت بها يوم الرهان عيون
مرت بجانحتيه وهي ظنون

انظر إلى الدنيا بإشفاق فقد
لو يستطيع البحر لاستعدى علي
امدده أو فاصفح له عن نيله
واعذر أمية أن تغص بريقها
ألقت بأيدي الذل ملقى عمرها

أرخصت هذا العلق وهو ثمين
جدوى يديك وإنه لقمين
فلقد تخوف أن يقال ضنين
فالمهل ما سقيته والغسلين
بالثوب إذ فغرت له صفين

وهذه القصيدة أطول قصائده وهي نيف وثمانون بيتاً اقتصرنا منها على ما أوردناه. وقال أيضاً في مجلس أنس حضره عند الأمير جعفر:

وثلاثة لم تجتمع في مجلس
الورد في رامشنة من نرجس
فاصفر ذا واحمر ذا وابيض ذا
فكأن هذا عاشق وكأن ذا

إلا لمثلك والأريب أريب
والياسمين وكلهن عجيب
فاتت بدائع أمرهن عجيب
لك معشوق وكأن ذاك رقيب

وقال أيضاً في شمعة:

لقد أشبهتني شمعة في صبابتي
نحول وحزن في فناء ووحدة

وفي هول ما ألقى وما أتوقع
وتسفيد عين واصفرار وأدمع

وقال أيضاً:

وليل بت أسقاها سلافاً
كأن حبابها خرزات در
بكف مقرطق يزهي بردف
أقمت لشربها عبثاً وعندي
ونجم الليل يركض في الدياجي

معتقة كلون الجلنار
علت ذهباً بأقداح النضار
يضيق بحمله وسع الإزار
بنات اللهو تعبت بالعقار
كأن الصبح يطلبه بثار

محمد بن هبيرة

أبو سعيد الأسدي النحوي المعروف بصعورا، من أعيان أهل الكوفة وعلمائها، عارف بالنحو واللغة وفنون الأدب، قدم بغداد واختص بعبد الله بن المعتز وعمل له رسالة فيما أنكرته العرب على أبي عبيد القاسم بن سلام ووافقته فيه، وله كتاب في بن يزداد وزير المأمون، وله كتاب فيما يستعمله الكاتب وغير ذلك.

محمد بن ولاد

هكذا اشتهر، وقيل: هو ابن الوليد أبو الحسين التميمي النحوي، أخذ بمصر عن أبي علي الدينوري ختن ثعلب، ثم رحل إلى العراق وأخذ عن المبرد وثعلب، وكان جيد الخط والضبط وفيه عرج، وغلب عليه الشيب وتزوج الدينوري أمة، وله كتاب في النحو سماه المنمق لم يصنع فيه شيئاً، وكتاب المقصور والممدود وغير ذلك.

وكان المبرد لا يمكن أحداً من نسخ كتاب سيبويه من عنده، فكل من الولاد المبرد في نسخه على شيء سماه له فأجابه، فأكمل نسخه وأبي أن يعطيه شيئاً حتى يقرأه عليه، فغضب المبرد وسعى به إلى بعض خدم السلطان ليعاقبه على ذلك، فالتجأ ابن ولاد إلى صاحب الخراج ببغداد وكان يؤدب ولده فأجابه، ثم ألح على المبرد حتى أقرأه الكتاب. مات ابن ولاد سنة ثمان وتسعين ومائتين وقد بلغ الخمسين. ومن شعره:

فهيهات منك الذي تطلب
فما في زمانك من يصحب

إذا ما طلبت أخاً مخلصاً
فكن بانفردك ذا غبطة

محمد بن يحيى بن علي

بن مسلم ابن موسى بن عمران الحنفي الزبيدي أبو عبد الله النحوي، كانت له معرفة بالنحو واللغة والأدب، صحب الوزير ابن هبيرة مدة وقرأ عليه، وكان صبوراً على الفقر لا يشكو حاله. قال ابن لجوزي: حدثني الوزير ابن هبيرة قال: جلست مع الزبيدي من بكرة إلى قريب الظهر وهو يلوك شيئاً في فمه فسألته فقال: لم يكن عندني شيء فأخذت نواة وجعلتها في فمي أتعلم بها، وكان يحكي عنه أنه على مذهب السليمانية ويقول: إن الأموات يأكلون ويشربون في القبر، وإن العاصي لا يلام لأنه بقدر الله تبارك وتعالى، وكان يقول: قل الحق وإن كان مرأً. ودخل على الوزير الزينبي وعليه خلعة الوزارة والناس يهونونه فقال: هذا يوم عزاء لاهناء، فقيل لم؟ فقال: أيهنأ على لبس الحرير؟ وحكى عنه قال: خرجت إلى المدينة على الوحدة فأواني الليل إلى جبل فصعدت عليه وناديت: اللهم إني الليل ضيفك، ثم نزلت فتواريت عند صخرة فسمعت منادياً ينادي: مرحباً يا ضيف الله، إنك مع طلوع الشمس تمر على قوم على بئر يأكلون خبزاً وتمراً، فإذا دعوك فاجب فهذه ضيافتك، فلما كان من الغد سرت فلما كان وقت طلوع الشمس لاحت لي أهداف بئر فوجدت عندها قوما يأكلون خبزاً وتمراً فدعوني إلى الأكل فأجبت. وله من التصانيف: منار الاقتضاء، ومنهاج الاقتفاء، وكتاب الرد على ابن الخشاب، وكتاب العروض، والمقدمة في النحو، وكتاب الحساب وكتاب القوافي، وكتاب تعليل قراءة: ونحن عصابة بالنصب. مات في ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة.

محمد بن يحيى بن محمد

أبو عبد الله بن الحذاء، التميمي الأندلسي، كان محدثاً فقيهاً وخطيباً بليغاً، عارفاً بفنون الأدب بارعاً بها، له معرفة تامة بعلم التعبير، أخذ عن ابن عون الله وابن بطلال وابن زرب وغيرهم، وتفقه علي ابن أبي زيد القيرواني وقرأ عليه تأليفه، ورحل إلى مصر فأخذ بها عن الحافظ عبد الغني والجوهري وغيرهما، ثم رجع إلى الأندلس فولى القضاء ببلنسية وغيرها، ثم رحل في فتنة البربر فاستوطن سر قسطة إلى أن مات بها سنة عشرة وأربعمائة. ومن تصانيفه: كتاب الخطب والخطباء في مجلدين، والبشري في تعبير الرؤيا كبير يدخل في عشر مجلدات، والأنبياء بمعاني الأسماء - أسماء الله تعالى -، والاستنباط لمعاني السنن والأحكام في عدة أسفار، والتعريف برجال الموطن وغير ذلك.

محمد بن يحيى بن سعادة

أبو عبد الله المرسي، كان عالماً بالتفسير والحديث والكلام، خطيباً مصقفاً عارفاً بفنون الأدب، أخذ عن أبي علي الصدي وأبي بكر بن العربي وأبي الوليد بن رشدواي الأسدي وغيرهم.

وولى القضاء والشورى بمرسية ثم بشاطبة فاستوطنها، ومولده بمرسية في رمضان سنة ست وتسعين وأربعمائة، وتوفي بشاطبة في العشر الأخير من ذي الحجة سنة أربع وستين وخمسمائة، ومن تصانيفه: شجرة الوهم المرقية إلى ذروة الفهم، وفهرست أسماء الشيوخ.

محمد بن يحيى

بن عبد الله بن العباس ابن محمد بن صول. الكاتب المعروف بالأصولي، كان جده ابن صول التركي أحد دعاة بني العباس، ولد أبو بكر ببغداد ونشأ بها، وأخذ عن ثعلب والمبرد وأبي داود السجستاني، وأخذ عنه أبو عبد الله المرزباني الكاتب الأخباري وغيره، وكان إخبارياً أديباً كاتباً، وكان نديماً للخلفاء متمكناً عندهم، نادم المكتفي ثم الراضي ثم المقندر، وكان واحد عصره في لعب الشطرنج حتى قيل أنه هو الذي وضعه وليس كذلك، وإنما وضع الشطرنج صصة الهندي لبهرام ملك الفرس.

حكى أن الراض بالله خرج إلى النزهة فأتى بستاناً مونتاً مزهراً فقال لمن حضر: هل رايتم منظر أحسن من هذا؟ فكل أثنى بما حضره ووصف محاسنه، فقال الراض: لعب الصولي بالشطرنج احسن من هذا ومما وصفتم.

وكان لأبي بكر الصولي خزانة أفرد لها جمع من الكتب المختلفة ورتبها فيها أجمل ترتيب، وكان يقول لأصحابه: كل مافي

هذه الخزانة سماعي، وإذا أراد مراجعة كتاب منها قال: يا غلام هات الكتاب الفلاني، فسمعه يوماً أبو سعيد العقيلي يقول ذلك فانشد:

إنما الصولي شيخ
إن سألناه بعلم
قال يا غلمان هاتوا
أعلم الناس خزانه
نبتغي عنه الإبانة
رزمة العلم فلانه

وللصولي من التصانيف: أخبار ابن هرمة الشاعر، وأخبار أبي تمام، وأخبار أبي عمر بن العلاء وأخبار إسحاق الموصلي، وأخبار الحميري الشاعر، وأخبار القرامطة، وأدب الكاتب، وكتاب الأنواع، وكتاب العبادلة وكتاب الغرور، وكتاب الورقة، وكتاب الوزراء وغير ذلك. وكان خرج من بغداد لضيق لحقه فنزل البصرة وبها توفي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

محمد بن يزيد بن الكبير بن عمير

ابن حسان بن سليمان بن سعد بن عبدالله بن يزيد بن مالك ابن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف بن أسلم وهو ثمالة، ثم ينتهي إلى السد بن العوث وهو الأزدي، فهو الثمالي الأزدي البصري أبو العباس النحوي اللغوي الأديب، ولد بالبصرة يوم الاثنين غداة عيد الأضحى سنة عشرة ومائتين، وأخذ عن أبي عمر الجرمي وأبي عثمان المازني وقرأ عليهما كتاب سيبويه، وأخذ عن أبي حاتم السجستاني وأخذ عنه أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ونفطوية وأبو علي الطوماري وغيرهم. وكان إمام العربية ببغداد وإليه انتهى علمها بعد طبقة الجرمي والمازني، وكان حسن المحاضرة فصيحاً بليغاً، مليح الأخبار ثقة فيما يرويه كثير النواذر فيه ظرافة ولباقة، وكان الإمام اسماعيل القاضي يقول: ما رأى محمد بن يزيد مثل نفسه، وإنما لقب بالمبرد لأنه لما صنف المازني كتاب ألف واللام سأل ه عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب، فقال له المازني: قم فأنت المبرد بكسر الراء، أي المثبت للحق، فحرفه الكوفيون وفتحوا الراء. وقال السيرافي: سمعت أبا بكر بن مجاهد يقول: مارأيت أحسن جواباً من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمنقدم، ولقد فاتني منه علم كثير لقضاء ذمام ثعلب. وقال السيرافي أيضاً: سمعت نفطويه يقول: مارأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد من المبرد وأبي العباس بن الفرات. وقال المفجع البصري: كان المبرد لكثرة حفظه للغة وغريبها يتهم بالوضع فيها، فتواضعنا على ماله نساه عنها لأصل لها لننظر ماذا يجيب؟ وكنا قبل ذلك تمارينا في عروض بيت الشاعر:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا
حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فقال البعض: هو من البحر الفلاني، وقال آخرون: هو من البحر الفلاني، وتردد على أفواها من تقطيعه: القبعضنا، ثم ذهبنا إلى المبرد فقلت له: أيدك الله تعالى ما القبعض عند العرب؟ فقال هو القطن، وفي ذلك يقول الشاعر:

كان سنامها حشى القبعضا

قال: فقلت لأصحابي ترون الجواب والشاهد، فإن كان صحيحاً فهو عجب، وإن كان مختلفاً على البديهة فهو أعجب وحكى ابن السراج قال: كان بين المبرد وثعلب ما يكون بين المعاصرين من المناقرة واشتهر ذلك حتى قال بعضهم:

كفى حزناً أنا جميعاً ببلدة
وكل لكل مخلص الود وامق
نروح ونغدو لاتراور بيننا
فابداننا في بلدة والتقاونا
ويجمعنا في أرضها شر مشهد
ولكنه في جانب عنه مفرد
وليس بمضروب لنا يوم موعد
عسير كلقيا ثعلب والمبرد

وكان أهل التجميل يفضلون المبرد على ثعلب. وفي ذلك يقول أحمد بن عبد السلام:

رأيت محمد بن يزيد يسمو
جليس خلائف وغذى ملك
وفتيانية الظرفاء فيه
فينثر إن أجال الفكر درا
وكان الشعر قد أودى فأحيا
وقالوا: ثعلب رجل عليم
وقالوا: ثعلب يفتي ويملي
وهذا في مقالك مستحيل
إلى الخيرات في جاه وقدر
وأعلم من رأيت بكل أمر
وأبهة الكبير بغير كبر
وينثر لؤلؤاً من غير فكر
أبو العباس دائر كل شعر
وأين النجم من شمس وبدر
وأين الثعلبان من الهزير
تشبه جدولا وشلا ببحر؟

وقال بعضهم في المبرد وثعلب:

أيا طالب العلم لاتجهلن
تجد عند هذين علم الورى
علوم الخلاق مقرونة
وعذ بالمبرد أو ثعلب
فلا تك كالجمال الأجرب
بهذين في الشرق والمغرب

وقال أبو بكر بن الأزهري: حدثني أبو العباس المبرد قال: قال لي المازني: بلغني أنك تنصرف من مجلسنا فتصير إلى مواضع المجانين والمعالجين فما معنى ذلك؟ فقلت: أعزك الله تعالى، إن لهم طرائف من الكلام قال: فأخبرني بأعجب ما رأيت من المجانين، قال فقلت: صرت يوماً إليهم فمررت على شيخ منهم وهو جالس على حصير قصب فجاوزه إلى غيره فقال: سبحان الله تعالى أين السلام؟ من المجنون أنا أو أنت؟ فاستحييت منه وقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقال: لو كنت ابتدأت لأوجبت علينا حسن الرد، علي أنا نصر فسوء أدبك إلى أحسن جهاته من العذر، لأنه كان يقال: إن للدخل على القوم دهشة، أجلس - أعزك الله تعالى عندنا وأوماً إلى موضع من الحصير، فجلست إلى ناحية منه استرعى مخاطبته فقال لي وقد رأى معي محبرتي: أرى معك آلة رجلين أرجو ألا تكون أحدهما: أصحاب الحديث الأغثاء، أو الأدباء أصحاب النحو والشعر؟ قلت الأدباء، قال: أتعرف أبا عثمان المازني؟ قلت نعم، قال أتعرف الذي يقول فيه؟

وفتي من مازن
أستاذ أهل البصرة
أمه معرفة
وأبوه نكره

فقلت لا أعرفه فقال: أتعرف غلاماً له قد نبغ في هذا العصر معه له ذهن وحفظ، وقد برز في النحو يعرف بالمبرد؟ فقلت: أنا والله الخبير به، قال: فهل أنشدك شيئاً من شعره؟ قلت: لا أحسبه يحسن قول الشعر، فقال: ياسبحان الله، أليس هو القائل:

حبذا ماء العناقي
بهما ينبت لحمي
أيها الطالب أشهى
دبريق الغانيات
ودمي أي نبات
من لذيق الشهوات
كل بماء المزن تفا
ح خدود الفتيات

قلت: سمعته ينشد هذا في مجلس أنس فقال: ياسبحان الله، أليستحي أن ينشد مثل هذا حول الكعبة؟! ثم قال: ألم تسمع ما يقولون في نسبه؟ قلت: يقولون هو من الأزرد اردش نو، ثم من ثماله، قال: أتعرف القائل في ذلك؟

سألنا عن ثماله كل حي
فقلت: محمد بن يزيد منهم
فقال لي المبرد خل قومي
فقال القائلون ومن ثماله
فقالوا: زدتنا بهم جهالة
فقومي معشر فيهم نذالة

فقلت أعرفه، هذا عبد الصمد بن المعذل يقولها فيه فقال: كذب فيما أدعاه، هذا كلام رجل لانسب له، يريد أن يثبت له بهذا الشعر نسباً، فقلت له أنت أعلم، فقال يا هذا: قد غلبت خفة روحك على قلبي، وقد أخرت ما كان يجب تقديمه، ما الكنية أصلحك الله؟ فقلت: أبو العباس. قال: فما الاسم؟ قلت محمد: قال فالأب؟ قلت يزيد، قال: قبحك الله، أحوجتني إلى الاعتذار مما قدمت ذكره، ثم وثب وبسط يده فصافحني فرأيت القيد في رجله فأمنت غائلته، فقال: يا أبا العباس، صن نفسك من الدخول في هذه المواضع، فليس يتهياً في كل وقت أن تصادف مثلي على مثل حالتي ثم قال: أنت المبرد، أنت المبرد، وجعل يصفق وانقلبت عيناه واحمرت وتغيرت حالته، فبادرت مسرعاً خوف أن تبدر إلي منه بادرة، وقبلت منه الله نصحه ولم أعاود بعدها إلى تلك المواضع أبداً.

وقال الزجاج: لما قدم المبرد بغداد جئت لأنظره وكنت أقرأ على أبي العباس ثعلب فعزمت على أعناته فلما باحثته الجمي بالحجة، وطالبنى بالعلة، وألزماني إلزامات لم أهتد إليها، فاستيقنت فصله، واسترجحت عقله، وأخذت في ملازمته، وكان المبرد يحب الاجتماع بأبي العباس ثعلب للمناظرة، وثعلب يكره ذلك.

حكى أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي وكان صديقهما قال: قلت لأبي عبد الله الدينسوري ختن ثعلب: لم يأبى ثعلب الاجتماع بالمبرد؟ فقال: لأن المبرد حسن العبارة، حلو الإشارة، فصيح اللسان، ظاهر البيان، وثعلب مذهبه مذهب المعلمين، فإذا اجتمعاً في محفل حكم للمبرد على الظاهر إلى أن يعرف بالباطن.

وحكى أن بعض الأكابر من بني طاهر سأل أبا العباس ثعلباً أن يكتب له مصحفاً على مذهب أهل التحقيق، فكتب: والضحي بالياء، ومذهب الكوفيين أنه إذا كان كلمة من هذا النحو أو الهاضمة أو كسرة كتبت بالياء وإن كانت من ذوات الواو،

والبصريون يكتبون بالألف، فنظر المبرد في ذلك المصحف فقال: ينبغي أن يكتب والضحا بالألف لأنه من ذوات الواو، فجمع ابن طاهر بينهما فقال المبرد لعلي: لم كتبت والضحي بالياء؟ فقال: لضمه أوله. فقال له: ولم إذا ضم أوله وهو من ذوات الواو تكتبه بالياء؟ فقال: لأن الضمة تشبه الواو، وما أوله واو يكون آخره ياء فتوهموا أن أوله واو. فقال المبرد: أفلا يزول هذا التوهم إلى يوم القيامة؟ وليعضهم في مدح المبرد:

وإذا يقال من الفتى كل الفتى
والمستضاء بعلمه وبرأيه
والشيخ والكهل الكريم العنصر
وبعقله قلت: ابن عبد الاكبر
ولآخر في مدحه أيضاً:

وأنت الذي لا يبلغ المدح وصفه
رأيتك والفتح بن خاقان راكباً
وكان أمير المؤمنين إذا رنا
وأوتيت علماً لا يحيط بكنهه
يروح إليك الناس حتى كأنهم
وإن أطنب المداح مع كل مطنب
فأنت عدل الفتح في كل موكب
إليك يطيل الفكر بعد التعجب
علوم بني الدنيا ولا علم ثعلب
ببابك في أعلى منى والمحصب

مات أبو العباس المبرد في شوال، وقيل في ذي القعدة سنة خمس وثمانين ومائتين في خلافة المعتضد، وصلى عليه أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي ودفن في دار في مقابر باب الكوفة، ولما مات قال فيه ثعلب هذه الأبيات، وقيل هي لأبي بكر بن العلاف:

ذهب المبرد وانقضت أيامه
بيت من الآداب أضحي نصفه
فابكوا لما سلب الزمان ووطنوا
وتزودوا من ثعلب فبكأس ما
أوصيكم أن تكتبوا أنفاسه
ومن شعر المبرد وقد بلغه أن ثعلباً نال منه:

رب من يعنيه حالي
قلبه ملآن مني
وهو لا يجري ببالي
وفؤادي منه خالي

ولأبي العباس المبرد من التصانيف الكامل في الأدب وهو أشهر كتبه، والمقتضب في النحو وهو أكبر مصنفاته وأنفسها إلا أنه لم ينتفع به أحد.

قال أبو علي الفارس: نظرت في المقتضب فما انتفعت منه بشيء إلا بمسألة واحدة، وهي وقوع إذا جواباً للشرط في قوله تعالى: (وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون)، ويزعمون أن سبب عدم الانتفاع به، أن هذا الكتاب أخذه ابن الرواندي الزنديق عن المبرد، وتناوله الناس من يد ابن الرواندي فكأنه عاد عليه شؤمه فلا يكاد ينتفع به.

ومن تصانيفه أيضاً: الروضة، والمدخل في كتاب سيبويه، وكتاب الاشتقاق، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب المذكر والمؤنث، ومعاني القرآن ويعرف بالكتاب التام، وكتاب الخط والهجاء، وكتاب الأنواء والأزمنة، وكتاب احتجاج القراء وإعراب القرآن، وكتاب الحروف في معاني القرآن إلى سورة طه، وكتاب صفات الله جل وعلا، وكتاب العبارة عن أسماء الله تعالى، وشرح شواهد كتاب سيبويه، وكتاب الرد على سيبويه ومعنى كتاب الأوسط للأخفش، وكتاب الزيادة المنزعة من كتاب سيبويه، ومعنى كتاب سيبويه، وكتاب الحروف، والمدخل في النحو، وكتاب الإعراب، وكتاب التصريف، وكتاب العروض، وكتاب القوافي، وكتاب البلاغة، والرسالة الكاملة، والجامع لم يتم، وقواعد الشعر، وكتاب ضرورة الشعر، وكتاب الفاضل والمفضول، والرياض المونقة، وكتاب الوشي، وكتاب شرح كلام العرب وتخليص ألفاظها ومزاوجة كلامها وتقريب مبانيها، وكتاب الحث على الأدب والصدق، وأدب الجليس، وكتاب الناطق، وكتاب الممدوح والمقبح، وكتاب أسماء الواهي عند العرب، وكتاب ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه في القرآن، وكتاب التعازي، وكتاب قحطان وعدنان، وطبقات التحو بين البصريين وأخبارهم وغير ذلك.

محمد بن يوسف بن عمر بن علي

ابن منيرة الكفرطابي، ابو عبد الله النحوي نزيل شيراز، سمع الحديث على أبي السمع الحنبلي، وصنف بحر النحو نقض فيه مسائل كثيرة من أصول النحويين، ونقد الشعر، وغريب القرآن، مات في رمضان سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة.

أبو محمد الترسابادي النحوي

عرف كتاب سيبويه وأحكم مسائل الاخفش، ثم خرج إلى العراق فهابه علماء النحو وانقبضوا عن مناظرته، منهم الزجاج وابن كيسان. وحضر يوماً مجلس النحويين ببغداد فسل عن مسألة وابن كيسان حاضر، فانقبض عن الإجابة إجلالاً لابن كيسان فقال له: يا أبا محمد، أجب فو الله أنت أحقنا بالانتصاب.

محمود بن جرير الضبي

الاصبهاني أبو مضر النحوي، كان يلقب فريد العصر، وكان وحيد دهره وأوانه في علم اللغة والنحو والطب، يضرب به المثل في أنواع الفضائل، أقام بخوارزم مدة وانتفع الناس بعلمه ومكارم أخلاقه وأخذوا عنه علماً كثيراً، وتخرج عليه جماعة من الأكابر في اللغة والنحو، منهم الزمخشري وهو الذي ادخل على خوارزم مذهب المعتزلة ونشره بها، فاجتمع عليه الخلق لجلالته وتمذهبوا بمذهبه، منهم أبو الاسم الزمخشري ولست أعرف له مع نباهة قدره وشيوع فكره مصنفًا مذكورًا، ولا تأليفًا مأثورًا، إلا كتاباً يشتمل على تنق وأشعار وحكايات وأخبار سماه زاد الراكب. مات بمرور سنة سبع وخمسمائة. ورثاه الزمخشري بقوله:

وقائلة ما هذه الدرر التي تساقطها عيناك سمطين سمطين
فقلت: هو الدر الذي قد حشا به أبو مضر عيني تساقط من عيني

محمود بن أبي الحسن بن الحسين

النيسابوري الغزنوي يلقب ببيان الحق، كان عالماً بارعاً مفسراً لغويًا فقهًا متفنبًا فصيحًا، له تصانيف أدعى فيها الإعجاز، منها كتاب خلق الإنسان، وجمل الغرائب في تفسير الحديث، وإيجاز البيان في معاني القرآن وغير ذلك. ومن شعره:

فلا تحقرن خلقاً من الناس عليه ولي إله العالمين ولا تدري
فدو القدر عند الله يخفى على الورى كما خفيت عن علمهم ليلة القدر

محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى

النحوي، هو تاج القراء وأحد العلماء الفقهاء النبلاء، صاحب التصانيف والفضل، كان عجباً في دقة الفهم وحسن الاستنباط، لم يفارق وطنه ولا رحل، وكان في حدود الخمسمائة وتوفي بعدها. صنف لباب التفسير، والإنجاز في النحو اختصره من الإيضاح للفارسي، النظامي في النحو اختصره من اللمع لابن جني. الإفادة في النحو، العنوان فيه أيضاً. وله في موانه الصرف:

فمعرفة وتأنيت ونعت ونون قبلها ألف وجمع
وعجمة ثم تركيب وعدل ووزن الفعل والأسباب تسع

محمود بن عزيز العارض

أبو القاسم الخوارزمي الملقب شمس المشرق، كان من أفضل الناس في عصره في علم اللغة والأدب، لكنه تخطى إلى علم الفلسفة فصار مفتوناً بها مقفوتاً بين المسلمين، وكان سكوتاً سكوتاً وقوراً، يطالع الفقه وينظر في مسائل الخلاف أحياناً، سمع الحديث من أبي نصر القشيري وغيره، وأملى طرفاً من الحديث وشرحه بلفظ حسن ومعانٍ لأبأس بها. وكان الزمخشري يدعوه الجاحظ الثاني لكثرة حفظه وفصاحته لفظه. أقام مدة بخوارزم في خدمة خوارزم شاه مكرماً، ثم ارتحل إلى مرو فذبح بها نفسه بيده في أوائل سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، ووجد بخطه رقعة فيها: هذا ما عملته أيدينا فلا يؤاخذ به غيرنا.

محمود عمر بن احمد

أبو القاسم الزمخشري جار الله، كان إماماً في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم كبير الفضل متقناً في علوم شتى، معتزل المذهب متجاهراً بذلك. قال ابن اخته أبو عمر وعامر بن الحسن المسار: ولد خالي بزمخشر من أعمال خوارزم يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وأربعمائة. واخذ الأدب عن أبي مضر محمود بن جرير الضبي الأصبهاني، وأبي الحسن علي ابن المظفر النيسابوري، وسمع من شيخ الاسلام أبي منصور نصر الحارثي، ومن أبي سعد الشقاني، وأصابه خراج في رجله فقطعها واتخذ رجلاً من خشب، وقيل أصابه برد الثلج في بعض أسفاره بنواحي خوارزم فسقطت رجله وحكى أن الدامغاني المتكلم الفقيه، سأله عن سبب قطع رجله فقال: دعاء الوالدة، وذلك أنني أمسكت عصفوراً وأنا صبي صغير وربطت برجله خيطاً فأفلت من يدي ودخل خرقة فجذبتة فانقطعت رجله، فتألمت له والدتي وقالت: قطع الله رجلك كما قطعت، فلما رحلت إلى بخارى في طلب العلم سقطت عن الدابة في أثناء الطريق فانكسرت رجلي وأصابني من الألم ما أوجب قطعها، ولما قدم الزمخشري إلى بغداد قاصداً الحج زاره الشريف أبو السعادات هبة الله بن الشجري مهنئاً له بقدمه، فلما جلس إليه أنشده متمثلاً:

كانت مسائلة الركبان تخبرني
عن أحمد بن دواد طيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت
أذني بأحسن مما قد رأى بصري

وأنشد أيضاً:

واستكبر الأخبار قبل لقائه
فلما التقينا صغر الخبر الخبر

ثم أخذ يثني عليه فلم ينطق الزمخشري حتى فرغ ابن الشجري من كلامه، فلما أتم كلامه شكر الشريف وعظمه، وتصاغر له ثم قال إن زيد الخيل دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما بصر بالنبى صلى الله عليه وسلم رفع صوته بالشهادتين، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يازيد الخيل: كل رجل وصف لي وجدته دون الصفة إلا أنت، فإنك فوق ما وصفت، وكذلك سيدنا الشريف، ثم دعا له وأثنى عليه. توفي أبو القاسم الزمخشري بقصبة خوارزم ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة.

ومن شعره:

أعلم للرحمن جل جلاله
وسواه في جهالاته يتغمغم
ماللتراب والعلوم وإنما
يسعى ليعلم أنه لا يعلم

وقال أيضاً:

كثر الشك والخلاف وكل
فاعتصامي بلا إله سواه
يذعى الفوز بالصراف السوي
ثم حبي لأحمد وعلي
فاز كلب بحب أصحاب كهف
كيف أشقى بحب آل نبي؟

وقال في مدح تفسير الكشاف:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد
وليس فيها لعمرى مثل كشافي
إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته
فالجهل كالداء والكشاف كالشافي

ومن كلامه ما استخرجه من كتابة الأطواف قال: استمسك بحبل مواخيك ماستمسك باواخيك واصحبه ما صحب الحق وأذعن، وحل مع أهله ووطن، فإن تنكرت أنحاؤه، وشرح بالباطل إنأؤه، فتعوض عن صحبتته وإن عوضت الشع، وتصرف بحبله ولو أعطيت النسع، فصاحب الصدق أنفع من الترياق النافع، وقرين السوء أضر من السم النافع. وقال: الدعة من الضعة مرة لا تنشره إليها نفس حرة. وقال: الكريم إذا ريم على الضيم نيا، والسرى متى سيم الخسف أبي، وقلم عرفت الأنفة والإباء في غير من شرفت منه الإباء. وقال: عزة النفس وبعد الهمة، الموت الأحمر والخطوب المدلهمة، ولكن من عرف منهل الذل فعافه، استعذب نقيع العز وذعافه. وقال: أحمق من النعمامة من افتخر بالزعامة، لم أر أشقى من الزعيم، ولا أبعد منه من الفوز بالنعيم، هالك في الهوالك، خابط في الظلم الحوالك، على آثاره العفاء، أدركته بمجانيقها الضعفاء. وقال: الدنيا أدوار، والناس أطوار، فاليس لكل يوم بحسب مافيه من الطوارق، وجانس كل قوم بقدر مالمهم من الطرائق، فلن تجري الأيام على أمنيته، ولن تنزل الأقوام على قضيتك. وقال: ألا أحدثك عن بلد الشوم؟ ذلك بلد الوالي الغشوم، فإياك وبلد الجور، وإن كنت أعز من بيضة البلد، وأحظى أهله بالمال المثمر والولد، وتوقع أن تسقط فيه الطيور النواعق، وتأخذ أهله الرجفة والصواعق. وقال: لا تفتع بالشرف التالد، فذلك الشرف للوالد، واضم إلى التالد طريفاً حتى تكون بهما شريفاً، ولا تدل بشرف أبيك مالم تدل عليه بشرف فيك. وقال: كب الله على مناخره من زكى نفسه بمفاخره، على أن رب مسأخر يعدها الناس مفأخر. وقال: ما لعلماء الشيء جمعوا عزائم الشرع ودونوها، ثم رخصوا فيها لأمرء السوء وهونوها، إنما حفظوا وعلقوا، وصفقوا وحلقوا، ليقمروا المال ويبسروا، ويفقروا، الأيتام ويوسروا، أكمام واسعة، فيها أطلال لاسعة، وأقلام كأنها أزلام، وفتوى يعمل بها الجاهل فيستوي ومن إنشائه ما كتب به إلى حافظ الاسكندرية أبي الطاهر السلفي جواب عن كتاب كتبه إليه يستجير هبة وهو:

ما مثلي مع أعلام العلماء، إلا كمثل السهام مع مصابيح السماء، والجهام الصفر والرهام مع الغواصي الغامرة للقيعان والأكام، والسكيت المخلف عن خيل السباق، والبغات مع الطير العناق، وما التلقيب بالعلامة، إلا شبه الرقم والعلامة، والعلم مدينة أحد بابها الدراية، والثاني الرواية، وأنا في كلا البابين ذو بضاعة مزجاة، ظلي فيها أخلص من ظل حصاة، أما الرواية فحديثه الميلاد قريبة الأسناد لم تستند إلى علماء نحارير، ولا إلى أعلام مشاهير. وأما الدراية فتتمد لا يبلغ أفواها، وبرض ما يبل شفاها، إلى أن قال: ولا يغرنكم قول فلان وفلان، في وذكر جماعة من العلماء والشعراء أثنوا عليه ومدحوه، ثم قال: فإن ذلك اغترار بالظاهر المموه، وجهل بالباطن المشوه، ولعل الذي غرهم مني مارأوا من حسن النصح للمسلمين، وبلوغ الشفقة على المستفيدين، وقطع المطامع، وإفادة المبار والصنائع، وعزة النفس والربء بها عن السفاسف والإقبال على خويصتي والإعراض عما لا يعنيني فجللت في عيونهم، وغلطوا في ونسبوني إلى مالست منه في قبل ولادبير الخ، والكتاب طويل اقتصرت منه على ما أوردت. ولأبي القاسم من التصانيف: الكشف في تفسير القرآن، الفائق في غريب الحديث، نكت الأعراب في غريب الإعراب في غريب إعراب القرآن، كتاب متشابه أسماء الرواة، مختصر الموافقة بين أهل البيت والصحاب، الأصل لأبي سعيد الرازي إسماعيل، الكلم النوايع في المواعظ، أطواق الذهب في المواعظ، نصائح الكبار، نصائح الصغار، مقامات في المواعظ، نزهة المستأنس، الرسالة الناصحة، رسالة المسامة، الرائض في الفرائض، معجم الحدود، المنهاج في الأصول، ضالة الناشد، كتاب عقل الكل، النموذج في النحو، المفصل في النحو أيضاً، المفرد والمؤلف فيه أيضاً، صميم العربية، الأملي في النحو، أساس البلاغة في اللغة، جواهر اللغة، كتاب الأجناس، مقدمة الأدب في اللغة، كتاب الأسماء في اللغة، القسطاس في العروض، حاشية على المفصل، شرح مقاماته، روح المسائل، سوائر الأمثال، المستقصى في الأمثال، ربيع الأبرار في الأدب والمحاضرات، تسليية الضرير، رسالة الاساراء، أعجب العجب في شرح لامية العرب، شرح المفصل، ديوان التمثيل، ديوان خطب، ديوان شعر، شرح كتاب سيبويه، كتاب الجبال والامكنة، شافي العي من كلام الشافعي، شقائق النعمان في حقائق النعمان في مناقب الإمام أبي حنيفة، المحاجة ومنهم مهام أرباب الحاجات في الأحاجي والألغاز المفرد والمركب في العربية وغير ذلك.

محمود بن أبي المعالي

تاج الدين الحواري اللغوي الأديب الشاعر، أخذ الأدب عن سعيد بن أبي الفاضل الميداني وبرع في اللغة، وله النثر الفائق والشعر اللائق، وكان واحد نيسابور علماً وفضلاً وأديباً، وصنف كتاب ضالة الأديب في الجمع بين الصحاح والتهذيب، أخذ فيه على الجوهري في عدة مواضع، كان حياً سنة ثمانين وخمسائة.

مدرك بن علي الشيباني

أعبر أبي من بادية البصرة، دخل بغداد صغيراً أو نشأ بها فتفقه وحصل العربية والأدب، وكان شاعراً أديباً فاضلاً، وكان كثيراً مايلم بدير الروم في الجانب الشرقي ببغداد وكان بدير الروم غلام من أولاد النصارى يقال له عمرو ابن يوحنا، وكان من أحسن الناس صورة وأكملهم خلقاً، وكان مدرك بن علي يهواه، وكان لمدرك مجلس تجتمع فيه الأحداث، فإن حضر شيخ أو صاحب حرمة قال له مدرك: فبيح بك أن تختلط بالأحداث والصبيان، فقم في حفظ الله فيقوم وكان عمرو يحضر مجلسه فعشقه مدرك وهام به، فجاء عمرو يوماً إلى المجلس فكتب مدرك رقعة وطرحها في حجره فإذا فيها:

بمجالس العلم التي بك تم حسن جموعها

إلا رثيت لمقلة غرقت بفيض دموعها

بيني وبينك حرمة الله في تضجيعها

فقرأ الأبيات ووقف عليها من كان في المجلس، فاستحيا عمرو وانقطع عن الحضور، وغلب الأمر على مدرك فترك مجلسه ولزم دير الروم، وجعل يتبع عمراً حيث سار وقال فيه شعراً كثيراً. قال الحريري: - وقد رأيت عمراً أبيض الرأس واللحية - ومن شعر مدرك فيه المزدوجة المشهورة وهي:

من عاشق ناء هو اه داني ناطق دمع صامت اللسان

معذب بالصد والهجران موثق قلب مطلق الجسمان

من غير ذنب كسبت يده غير هوى نمت به عيناه

شوقاً إلى رؤية من أشقاه كأنما عافاه من أضناه

يا ويحه من عاشق مايلقى من أدمع منهلة ما ترقا

ناطقة وما أجادت نطقا تخبر عن حب له استرقا

لم يبق منه غير طرف بيكي
تطفئ نيران الهوى وتذكي
إلى غزال من بني النصارى
وغادر الأسد به حيارى
رثم بدار الروم رام قتلي
وطرة بها استطار عقلي
رثم به أي هزير لم يصد؟
متى يقل ها قالت الألاحظ قد
ما أبصر الناس جميعا بدرا
أحسن من عمرو فديت عمرا
هأنذا بقده مقدود
ما ضر من فقري به موجود
إن كان ذنبي عنده الإسلام
واختلت الصلاة والصيام
يا ليتني كنت له صليبا
أبصر حسناً وأشم طيباً
يا ليتني كنت له قرباناً
أوجاً ثليفاً كنت أو مطراناً
يا ليتني كنت لعمرو مصحفاً
أو قلماً يكتب بي مألفا
يا ليتني كنت لعمرو عوده
أو تركة باسمه معدوده
يا ليتني كنت له زناراً
حتى إذا الليل طوى النهارا
قد والذي يبقيه لي أفنانى
ظبي على البعاد والتداني
وا كبدي من خده المضرج
لأشياء مثل الطرف منه الأدعج
إليك أشكو ياغزال الأنس
يامن هلالى وجهه وشمسى
جدلي كما جدت بحسن الود
واصدد كصدى عن طويل الصد
هأنذا في بحر الهوى غريق
محترق ما مسني حريق
فليت شعري فيك هل ترثى لي
أم هل إلى وصلك من سبيل
في كل عضو منه سقم وألم
شوقاً إلى شمس وبدر وصنم

بأدمع مثل نظام السلك
كأنها قطر السماء تحكي
عذار خديه سبى العذارى
في ربة الحب له أسارى
بمقلة كحلاء لامن كحل
وحسن وجه وقبيح فعل
يقتل باللحظ ولا يخشى القود
كأنها ناسوته حين اتحد
ولارأوا شمساً وغصناً نضرا
ظبي بعينه سقاني خمرا
والدمع في خدي له أخدود
لولم يقبح فعله الصدود
فقد سعت في نقصه الآثام
وجاز في الدين له الحرام
أكون منه أبداً قريباً
لاواشياً أخشى ولا رقيباً
ألثم منه الثغر والبنانا
كيما يرى الطاعة لي إيماناً
يقرأ مني كل يوم أحرفاً
من أدب مستحسن قد صنفا
أوحلة يلبسها مقدوده
أوبيعةً بداره مشهوده
يديرني في الخصر كيف دارا
صرت له حينئذ إزارا
وابتز عقلي والضنا كسانى
حل محل الروح من جثمانى
وا كبدي من ثغره المفلج
اذهب للنسك وللتحرج
مابي من الوحشة بعد الأنس
لا تقتل النفس بغير النفس
وارع كما أرعى قديم العهد
فليس وجد بك مثل وجدي
سكران من حبك لا أفيق
يرثى لي العدو والصديق
من سقم ومن ضناً طویل؟
لعاشق ذي جسد نحيل؟
ومقلة تبكي بدمع وبدم
منه إليه المشتكى إذا ظلم

أقول إذا قام بقلبي أو قعد
أقسم بالله يمين المجتهد
يا عمرو ناشدتك بالمسيح
يخبر عن قلب له جريح
يا عمرو بالحق من اللاهوت
ذاك الذي في مهده المنحوت
بحق ناسوت ببطن مريم
ثم استحال في قنوم الأقدم
بحق من بعد الممات قميصاً
وكان لله تقياً مخلصاً
بحق محبي صورة الطيور
ومن إليه مرجع الأمور
بحق من في شامخ الصوامع
يبيكي إذا ما نام كل هاجع
بحق قوم حلقوا الرءوسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا
بحق ماري مريم وبولس
بحق دانييل بحق يونس
ونينوى إذ قام يدعو ربه
ومستقيلاً فأقيل ذنبه
بحق مافي قلة الميرون
بحق ما يؤثر عن شمعون
بحق أعياد الصليب الزهر
وبالشعانيين العظيم القدر
وعيد شعيا وبالهياكل
يشفي بها من خبل كل خابل
بحق سبعين من العباد
وأرشدوا الناس إلى الرشاد
بحق ثنتي عشرة من الأمم
حتى إذا صبح الدجى جلا الظلم
بحق مافي محكم الإنجيل
مع خبر ذي نبأ جليل
بحق مارعيد الشفيق الناصح
بحق تلميذا الحكيم الراجح
بحق معمودية الأرواح
ومن به من لابس الأمساح
بحق تقريبك في الأعياد
وطول تفتيتك للأكباد

يا عمر ويا عامر قلبي بالكمد
أن امرأ واصلته لقد سعد
إلا سمعت القول من فصيح
باح بما يلقي من التبريح
والروح روح القدس والناسوت
عوض بالنطق عن السكوت
حل محل الريق منها في الفم
فكلم الناس ولما يفظم
ثوباً على مقداره ما قصصا
يشفي ويبري أكمها وأبرصا
وباعث الموتى من القبور
يعلم مافي البر والبحور
من ساجد لربه وراكع
خوفاً من الله بدمع هامع
وعالجوا طول الحياة بوسا
مشمعلين يعبدون عيسى
بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق حزقيل وبيت المقدس
مطهراً من كل سوء قلبه
ونال عند الله ما أحبه
من نافع للداء والجنون
من بركات الخوص والزيتون
وعيد شمعون وعيد الفطر
وعيد ما ماري الرفيع الذكر
والدخن اللاتي بكف الحامل
ومن دخيل السقم في المفاصل
قاموا بدين الله في البلاد
حتى اهتدى من لم يكن بهاد
ساروا إلى الأقطار يتلون الحكم
ساروا إلى الله ففازوا بالنعم
من محكم التحريم والتحليل
برويه جيل قد مضى عن جيل
بحق لوقا ذي الفعال الصالح
والشهداء بال فلا الصالح
والمذبح المشهور في النواحي
وعابد باك ومن نواح
وشربك القهوة كالفرصاد
بما يعنيك من السواد

بحق ما قدس شعيا فيه
بحق نسطور ومايروه
شيخان كانا من شيوخ العلم
لم ينطقا قط بغير فهم
بحرمة الأسقف والمطران
والقس والشماس والديراني
بحرمة المحبوس في أعلى الجبل
وبالكنيسات القديسات الأول
بحرمة الأسقوفيا والبيرم
بحرمة الصوم الكبير الأعظم
بحق يوم الذبح ذي الإشراق
والذهب المذهب للنفاق
بكل قداس على قداس
وقربوا يوم الخميس الناسي
الا رغبت في رضا أديب
فذاب من شوق إلى المذيب
فانظر أميري في صلاح أمري
مكتسباً في جميل الشكر
ثم إن مدركاً وسوس وسل جسمه وذهب عقله وانقطع عن إخوانه ولزم الفراش.

حكى حسان بن محمد بن عيسى قال: حضرته عائداً مع جماعة من أصحابه فقال: الست صاحبكم القديم العشرة لكم؟ أما منكم أحد يسعدني بنظرة إلى وجه عمرو؟ قال فمضينا بأجمعنا إلى عمرو وقلنا له: إن كان قتل هذا الرجل ديناً فإن إحياءه مروءة، قال وما فعل؟ قلنا قد صار إلى حال مانحسبك تلحقه، قال فلبس ثيابه ثم نهض معنا، فلما دخلنا عليه سلم عليه عمرو وأخذ بيده فقال: كيف تجدك ياسيدي؟ فنظر إليه ثم أغمى عليه، ثم أفاق وهو يقول:

أنا في عافية إل
أيها العائد مابي
لاتعد جسماً وعد قل
كيف لايهلك مرشو
لا من الشوق اليكا
منك لا يخفى عليكا
بأ رهيناً في يديكا
ق بسهمي مقاتيكا

ثم إنه شهق شهقة فارق فيها الدنيا، فما برحنا حتى دفناه.

مرجي بن كوثر

أبو القاسم المقرئ النحوي المؤدب، أديب نحوي كان مقيماً بجلب، وله المفيد في النحو، وكتاب الضاد والطاء، وكانت بينه وبين أبي العلاء المعري مكاتبة.

مروان بن سعيد بن عباد بن حبيب

ابن المهلب بن أبي صفرة المهلي، أحد أصحاب الخليل ابن المتقدمين في النحو المبرزين فيه، سمعت بعض النحويين ينسب إليه هذا البيت:

ولأعلم من أمره غير هذا
ألقي الصحيفة كي يخفف رحله
والزاد حتى نعله ألقاهما

مسعود بن علي بن أحمد

بن العباس الصواني البهقي أبو المحاسن، قال البهقي في الوشاح الزمان وأوحد الأقران، ومن لا ينظر الأدب إلا بعينه، ولا يسمع الشعر إلا بإذنه، صنف تفسير القرآن، وشرح الحماسة، وصيقل الألباب في الأصول، والتوايع واللوامع في الأصول، والتذكرة أربع مجلدات، وأعلق الملوين وأخلاق الأخوين مجلدان، والتنقيح في أصول الفقه، ونفثة المصور، وديوان أشعاره مجلد.

مات في الثالث والعشرين من محرم سنة أربع وأربعين وخمسمائة. وله:

تكلف المجد أقوام وقد سئمو
كأنك الدرة الزهراء في صدف
منه وإنك مشغوف به كلف
والناس حولك طرا ذلك الصدف

مصدق بن شبيب بن الحسين

أبو الخير الصلحي النحوي، صاحب الشيخ صدقة الواعظ وهو صبي وقرأ عليه القرآن وشيئاً من النحو، وقدم بغداد فقراً على ابن الخشاب وحبشي وأبي الحسن بن العطار والكمال الأنباري، وطلب الأدب حتى برز فيه، وسمع الحديث وتخرج به جماعة مناهل الأدب، ولم يكن في العبارة بذلك وإنما كان رجلاً صالحاً، فكان تستفاد بركته، ولد سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، ومات في ليلة الإثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة خمس وستمائة.

مظفر بن إبراهيم

بن جماعة بن علي بن سامي ابن أحمد بن ناهض بن عبد الرزاق موفق الدين، أبو العز الأعمى العيلاني بالعين المهملة المصري، كان نحويًا عروضيًا أديبًا شاعرًا مجيداً، صنف في العروض مختصراً دل على حذقه فيه. وله ديوان شعر، ولد لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وهو اليوم بها في قيد الحياة، ومن شعره الذي وصل إلينا قوله:

قبلته فتلاظى ورد وجنته
وجال بينهما ماء ومن عجب
وفاح من عارضيه العنبر العبق
لا ينطفي ذا ولاذا منه يحترق

وله:

يا نائماً أسهرني حبه
وخادعاً رق لحبي له
قلنا على حسنك عيني جنت
جثمانى الناحل ما ذنبه؟

وله أيضاً:

وشادن كان زمان الصبا
قد كتب الشعر على خده
بدولة المرد له صوله
خفض فهذا آخر الدولة

وله أيضاً:

قالوا عشقت وأنت أعمى
والله ما عاينتها
وخياله بك في المنا
من أين أرسل للنفوا
ومتى رأيت جماله
وبأي جارحة وصل
والعين راعية الهوى
فأجبت إنني موسي
أهوى بجارحة السما
ظبياً كحيل الطرف ألى
فكانها شغفتك وهما
م فما أطف ولا ألما
د وأنت لم تبصره سهما
حتى كساك هواه سقما
ت لوصفه نثراً ونظما
وبها يتم إذا استتما
ى العشق إنصاتا وفهما
ع ولا أرى ذات المسمى

وقال في شمعته:

جادت بجسم لسانه ذرب
كأنها في يمين حاملها
تبكي وتشكو الهوى وتلتهب
رمح لجين سنانه ذهب

وله:

وروضات بنفسجها
كخرم لازوردي
بصبغة صنعة الباري
على ألقات زنجار

وله:

هويت هلالاً سرى في الدجى
فلا تعجبوا إن بدا وجهه
وهاروت من جند أجفانه
نهاراً وعظمت من شأنه
فإن الهلال يرى طالعاً
مع الشمس في بعض أحيانه

وله أيضاً:

وزهرة لونها من العجب
كأنها درهم وقد جعلت
بيضاء فيها اصفرار مكتئب
في وسطه نقطة من الذهب

المعافي بن زكريا

بن يحيى بن حماد بن داود النهرواني الجريري بفتح الجيم نسبة إلى ابن جرير الطبري، المعروف بابن طرارة، كان من أعلم الناس بفقهاء مذهب ابن جرير والنحو واللغة وفنون الأدب والأخبار والأشعار، وكان ثقة ثباتاً، أخذ الأدب عن أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه وغيره. وروى عن أبي القاسم البغوي وأبي حامد محمد بن هارون الحضرمي وأبي بكر بن داود وأبي سعيد العدوي ويحيى بن صاعد وغيرهم، وروى عنه جماعة منهم القاضي أبو الطيب الطبري وأبو القاسم الأزهري وأحمد بن علي الثوري وأحمد بن عمر ابن روح، وولى القضاء بباب الطاق نيابة عن القاضي ابن صير، كتاب الجليس والأنيس في الأدب، والتفسير الكبير، ونصر مذهب ابن جرير الطبري ونوه به وحمى عنه.

قال أبو حيان التوحيدي: رأيته في جامع الرصافة وقد نام مستدبر الشمس في يوم شات وبه من أثر الفقر والبؤس والضرر أمر عظيم مع غزارة علمه واتساع أدبه وفضله المشهور، ومعرفته بصنوف العلوم ولاسيما علم الآثار والأخبار وسير العرب وأيامها فقلت له: مهلاً أيها الشيخ وصبراً فإنك بعين الله ومرأى منه ومسمع، وما جمع الله لأحد شرف العلم وعز المال فقال: ما لأبد منه من الدنيا فليس منه بد ثم قال:

يا محنة الدهر كفى
قد أن أن ترحميني
فقلت لي قد توفي
ولا صناعة كفي
يا وعالم متخفي
يا محنة الدهر كفى
قد أن أن ترحميني
طلبت جداً لنفسي
فلا علومي تجدي
ثور ينال الثري

وقال أحمد بن عمر بن روح: إن المعافي بن زكريا حضر في دار بعض الرؤساء وكان هناك جماعة مناهل العلم فقالوا له: في أي نوع من العلم نتذاكر؟ فقال المعافي للرئيس صاحب الدار: إن خزانة جمعت أنواع العلوم وأصناف الأدب، فإن رأيت أن تبعث الغلام إليها يضرب بيده إلى أي كتاب منها فيحمله إليك ثم نفتحه فنظر في أي علم هو؟ فتتذاكر ونتجارى فيه، فقال ابن روح: وهذا يدل على أن المعافي كان له أنسة بسائر العلوم، وكان أبو محمد الباقر يقول: إذا حضر المعافي فقد حضرت العلوم كلها، وكان يقول أيضاً: لو أن رجلاً أوصى بثلاث ماله لأعلم الناس لوجب أن يدفع إلى المعافي. وكانت ولادته يوم الخميس لسبع خلون من رجب سنة خمس وثلاثمائة، وقيل سنة ثلاث، وتوفي يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة تسعين وثلاثمائة. ومن شعره:

خالق العالمين ضامن رزقي
قد قضى لي بما علي ومالي
فلماذا أملك الخلق رقي؟
خالقي جل ذكره قبل خلقي
أصحب البذل والندى في يساري
ورفيقي في عسرتي حسن رفيقي

فكما لا يرد عجزى رزقي
وذكر أنه عمل هذه الأبيات في معنى قول علي بن الجهم:
لعمرك ما كل التعطل ضابر
إذا كانت الأرزاق في القرب والنوى
وقال أيضاً:
ألا قل لمن كان لي حاسداً
أسأت على الله في فعله
فكذا لا يجز رزقي حزقي
ولا كل شغل فيه للمرء منفعة
عليك سواء فاغتنم راحة الدعه
أتدري على من أسأت الأدب؟
لأنك لم ترض لي ما وهب

- معاوية بن عمر بن أبي عقرب

أبو نوفل الدولي، كان فقيهاً نحوياً، ذكر عن أبي عمرو ابن العلاء قال: كنت آتي أبا نوفل أنا وشعبة بن الحجاج، فكان شعبة يسأله عن الآثار وأسأله أنا عن النحو والشعر فلم يعلم شعبة شيئاً مما أسأل ه عنه، ولا أعلم أننا شيئاً مما يسأل عنه شعبة.

معمر بن المثنى

أبو عبيدة البصري مولى بني تميم، تيم قريش لا يتم الرباب، كان من أعلم الناس باللغة وأنساب العرب وأخبارها، وهو أول من صنف غريب الحديث، أخذ عن يونس بن حبيب وأبي عمرو بن العلاء، وأسند الحديث إلى هشام بن عروة الإمام الحجة. قال يعقوب بن شيبة: سمعت ابن المديني يصحح رواية أبي عبيدة. وقال الدار قطي لأبأس به، إلا أنه يتهم بشيء من رأي الخوارج ويتهم بالأحداث، وأخذ عن أبي عبيدة أبو عبيد القاسم بن سلام، والأثرم علي بن المغيرة، وأبو عثمان المازني، وأبو حاتم السجستاني، وعمر بن شبة النميري وغيرهم. وقال أبو العباس المبرد: كان أبو عبيدة عالماً بالشعر والغريب والأخبار والنسب، وكان الأصمعي أعلم منه بالنحو، وكان العم من الأصمعي وأبي زيد بالأنساب، وكان أبو نواس يتعلم منه ويمدحه ويذم الأصمعي، سئل عن الأصمعي يوماً فقال: بلبل في قفص، وسئل عن أبي عبيدة فقال: أديم طوى على علم. وقال بعضهم: كان الطلبة إذا أتوا مجلس الأصمعي اشتروا البعر في سوق الدر، وإذا أتوا مجلس أبي عبيدة اشتروا الدر في سوق البعر، لأن الأصمعي كان حسن الإنشاء والزخرفة قليل الفائدة، وأبو عبيدة بضد ذلك. وقال يزيد بن مرة: كان أبو عبيدة ما يفتش عن العلوم إلا كان من يفتشه عنه يظن أنه لا يحسن غيره، ولا يقوم بشيء أجود من قيامه به. قال أبو حاتم: وكان مع علمه إذا قرأ البيت لم يقم إعرابه وينشده مختلف العروض. وقال ابن قتيبة: كان الغريب أغلب عليه وأيام العروض. وقال ابن قتيبة: كان الغريب أغلب عليه وأيام العرب أخبرها. وقال الجاحظ: لم يكن في الأرض خارجي ولا إجماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة.

ويحكى أنه كان يرى رأى الخوارج الإباضية. وقيل: كان شعوبياً يطعن في الأنساب. قال: قال أبو العيناء: قال رجل لأبي عبيدة ياأبا عبيدة: قد ذكرت الناس وطعنت في أنسابهم، فبالله إلا ما عرفتني من أبوك وما أصله؟ فقال: حدثني أبي أن أباه كان يهودياً. وحدث الصولي عن محمد بن سعيد عن عيسى بن اسماعيل قال: جلس إبان ابن عبد الحميد اللاهقي ليلة في قوم فثلب أبا عبيدة فقال في مجلسه: لقد أغفل السلطان كل شيء حين أغفل أخذ الجزية من أبان اللاهقي، وهو وأهله يهود وهذه منازلهم فيها أسفار التوراة وليس فيها مصحف، وأوضح دلالة على يهوديتهم أن أكثرهم يدعى حفظ التوراة ولا يحفظ من القرآن ما يصلح به، فبلغ ذلك أبان فقال:

لا تنمن عن صديق حديثاً
واخفض الصوت إن نطقت بليل
وحكى أبو الحسن الأسدي قال: حدثنا حماد بن إسحاق الموصلي عن أبيه قال: أنشدت الفضل بن الربيع أبياتاً كان الأصمعي أنشدنيها في صفة فرس له وهي:
كأنه في الحل وهو سام
يسور بين السرج واللجام
استعذ من تسرر النمام
والتفت بالنهار قبل الكلام
وحكى أبو الحسن الأسدي قال: حدثنا حماد بن إسحاق الموصلي عن أبيه قال: أنشدت الفضل بن الربيع أبياتاً كان الأصمعي أنشدنيها في صفة فرس له وهي:
كأنه في الحل وهو سام
يسور بين السرج واللجام
قال: ودخل الأصمعي فسمعي أنشدها فقال: هات بقيتها فقلت: ألم تقل إنه لم يبق منها شيء؟ فقال: مابقي منها إلا عيونها، ثم أنشد بعدها ثلاثين بيتاً فغاضى فعله، فلما خرج عرفت الفضل بن الربيع قلة شكره لعارفة وبخله بما عنده، ووصفت له فضل أبي عبيدة معمر بن المثنى وعلمه ونزاهته، وبذله ما عنده واشتماله على جميع علوم العرب، ورغبته فيه حتى أنفذ إليه مالا جليلاً واستقدمه فكنت سبب مجيئه من البصرة.

قال أبو عبيدة: أرسل إلى الفضل بن الربيع إلى البصرة في الخروج إليه سنة ثمان وثمانين ومائة، فقدمت إلى بغداد واستأذنت عليه فأذن لي، فدخلت عليه وهو في مجلس له طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه، وفي صدره فرش عالية لا يرتقي إليها على كرسي وهو جالس عليها فسلمت عليه بالوزارة فرد وضحك إلي واستدناني حتى جلست إليه على فرشه ثم سألني وأطفني وباسطني وقال: أنشدني، فأنشدته فطرب وضحك وزار نشاطه، ثم دخل رجل في زي الكتاب له هيئة فأجلسه إلى جانبي وقال له: أتعرف هذا؟ قال لا: قال: هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة، أقدمناه لتستفيد من علمه، فدعا له الرجل وقرظه لفعله هذا وقال لي: إني كنت إليك مشتاقاً، وقد سألت عن مسألة أفتأذن لي أن أعرفك إياها، فقلت هات، قال الله عز وجل: (طلعها كأنه رؤوس الشياطين)، وإنما يقع الوعد والأبعاد بما عرف مثله وهذا لم يعرف. فقلت: إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرئ القيس:

أبقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به، فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل، وعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتاباً في القرآن في مثل هذا وأشباهه وما يحتاج إليه من علمه، فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميت به المجاز، وسألت عن الرجل السائل فقيل لي: هو من كتاب الوزير وجلسائه، وهو إبراهيم بن إسماعيل الكاتب. قال سلمة: سمعت الفراء يقول لرجل: لو حمل إلى أبو عبيدة لضربته عشر بن في كتاب المجاز. وقال التوزي: بلغ أبا عبيدة أن الأصمعي يعيب عليه تأليف كتاب المجاز في القرآن وأنه قال: يفسر ذلك برأيه، فسأل عن مجلس الأصمعي في أي يوم هو؟ فركب حمارة في ذلك اليوم ومر بحلقة الأصمعي، فنزل عن حمارة وسلم عليه وجلس عنده وحادثه ثم قال له: يا أبا سعيد، ما تقول في الخبز؟ قال هو الذي تخبزه وتأكله. فقال له أبو عبيدة: فسرت كتاب الله برأيك. قال تعالى: (إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً). قال الأصمعي: هذا شيء بان لي فقلته ولم أفسره برأيه. فقال له أبو عبيدة: وهذا الذي تعييه علينا كله شيء بان لنا، فقلناه ولم نفسره برأينا، ثم قام فركب حمارة وانصرف. وقال أبو عثمان المازني: سمعت أبا عبيدة يقول: أدخلت على الرشيد فقال لي يا معمر: بلغني أن عندك كتاباً حسناً في صفة الخيل أحب أن أسمعه منك. فقال الأصمعي: وما تصنع بالكتاب؟ يحضر فرس ونضع أيدينا على عضو عضو ونسميه ونذكر ما فيه. فقال الرشيد: يا غلام أحضر فرسي، فقام الأصمعي فوضع يده على عضو عضو وجعل يقول: هذا كذا، قال الشاعر فيه كذا حتى انقضى قوله. فقال لي الرشيد: ما تقول فيما قال؟ فقلت قد أصاب بعض وأخطأ في بعض، والذي أصاب فيه شيء نعلمه، والذي أخطأ فيه لا أدري من أين أتى به، وكان الأصمعي إذا أراد الدخول إلى المسجد قال: انظروا لا يكون فيه ذاك يعني أبا عبيدة خوفاً من لسانه، وكانت ولادة أبي عبيدة في رجب سنة عشر ومائة. وقال أبو موسى محمد بن المثنى: توفي أبو عبيدة سنة ثمان ومائتين. وقال الصولي سنة سبع، وقال المظفر بن يحيى: سنة تسع، وقيل سنة إحدى عشرة، وقيل ثلاث عشرة وله ثمان وتسعون سنة، ولم يحضر جنازته أحد لأنه لم يكن يسلم من لسانه أحد لا شريف ولا غيره. ولأبي عبيدة من التصانيف: كتاب غريب القرآن، كتاب مجاز القرآن كتاب غريب الحديث، كتاب فضائل العرش، كتاب الحدود، كتاب التاج، كتاب الديباج، كتاب الإنسان، كتاب الزرع، كتاب الجمع والتنشئة، كتاب الفرس كتاب اللجام، كتاب السرج، كتاب الإبل، كتاب الرحل، كتاب البازي، كتاب الحمام، كتاب الحيات، كتاب العقار، كتاب الخيل، كتاب السيف، كتاب حضر الخيل، كتاب الخف، كتاب اللغات، كتاب الأضداد، كتاب الفرق، كتاب ما تلحن فيه العامة كتاب الأبدال، كتاب القرائن، كتاب أشعار القبائل، كتاب أسماء الخيل، كتاب الأمثال السائرة، كتاب الدلو، كتاب البكرة، كتاب نقائص جرير والفرزدق، كتاب المعانيات، كتاب الملاومات، كتاب من شكر من العمال وحمد، كتاب محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كتاب العفة، كتاب فعل وأفعال، كتاب الشوارد كتاب أدعية العرب، كتاب بيوتات العرب، كتاب أيام بني مازن أخبارهم، كتاب القبائل، كتاب إيراد الأزد، كتاب الضيفان، كتاب مقاتل الفرسان، كتاب مقاتل الأشراف، طبقات الفرسان، كتاب الغارات، كتاب المنافرات، كتاب مناقب باهلة، كتاب مآثر العرب، كتاب مثالب العرب، كتاب مآثر غطفان، كتاب النوائج، كتاب النواشز، كتاب لصوص العرب، كتاب الأيام الكبير، كتاب الأيام الصغير، كتاب الحمس من قریش، كتاب خبر البراض، كتاب قصة الكعبة، كتاب الأوس والخزرج، كتاب الموالي، كتاب الاحتلام، كتاب خلق الإنسان، كتاب البله، فتوح الأهواز، كتاب خوارج البحرين واليمامة، كتاب السواد وفتحة، كتاب خراسان، كتاب مقتل عثمان، أخبار الحجاج، كتاب مرج رهط كتاب الأعيان، كتاب الجمل وصفين، كتاب مكة والحرم، كتاب فضائل الفرس، كتاب قضاة البصرة وغير ذلك، فقد قيل أن تصانيفه تقارب المائتين.

المفضل بن سلمة بن عاصم

أبو طالب اللغوي النحوي، كان لغوياً نحويًا كوفي المذهب، أخذ عن أبيه وعن أبي عبد الله بن الأعرابي وأبي العباس ثعلب وابن السكيت وغيرهم، وخالف طريقة أبيه. قال أبو الطيب اللغوي: ورد أشياء من كتاب العين للخليل أكثرها غير مردود، واختار في اللغة والنحو اختيارات غيرها المختار، وكان منقطعاً إلى الفتح بن خاقان، وله كتب كثيرة منها: كتاب الخط والقلم، كتاب

الاشتقاق، البارع في اللغة، كتاب المقصور والممدود، ضياء القلوب في معاني القرآن نيف وعشرون جزءاً، المدخل إلى علم النحو، الفاخر فيما يلحن فيه العامة، كتاب خلق الإنسان، كتاب جماهير القبائل، كتاب الرد على الخليل وإصلاح ما في كتاب العين من الغلط والمحال، جلاء الشبهة، كتاب آلة الكاتب، كتاب الزرع والنبات والنخل وأنواع الشجر، كتاب المطيب، كتاب العود والملاهي، كتاب الطيف، كتاب الأنواء والبوارح.

المفضل بن محمد بن مسعر بن محمد

أبو المحاسن التنوخي، كان فقيهاً نحويّاً أديباً، وكان معتزليّاً شيعياً مبتدعاً أصله من المعرفة، وقدم بغداد فأخذ عن علي بن عيسى الربيعي، وعلي بن عبد الله الدقيقي، ومحمد بن اشرس النحوي، وسمع أبا عمر بن مهدي، وأخذ الفقه عن أبي الحسين القدوري الحنفي والصيمري، وحدث بدمشق وناب في القضاء بها، وولى قضاء بعلبك، وحدث عنه الشريف النسابة، وصنف تاريخ النحاة، وكتاب الرد على الشافعي وكان يضع منه، مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وأربعين وأربعمائة.

المفضل بن محمد بن يعلى

أبو عبد الرحمن الضبي، الراوية الأديب النحوي اللغوي، كان من أكابر علماء الكوفة، عالماً بالأخبار والشعر والعربية. أخذ عنه أبو عبد الله بن الأعرابي، وأبو زيد الأنصاري، وخلف الأحمر وغيرهم وكان ثقة ثباتاً. قال ابن الأعرابي: سمعت المفضل الضبي يقول: قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً، فليل له وكيف ذلك؟ أخطئ في روايته أو يلحن؟ قال: ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره، ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، وأين ذلك؟ وعن إبراهيم ابن المهدي قال: حدثني السعدي الراوية وأبو إياد المؤدب قالاً: كنا في دار أمير المؤمنين المهدي بعبسا باذ، وقد اجتمع فيها عدة من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها إذ خرج بعض أصحاب الحاجب فدعا المفضل الضبي الراوية، فدخل فمكث ملياً ثم خرج إلينا ومعه حماد والمفضل جميعاً، وقد بان في وجه حماد الانكسار والغم، وفي وجه المفضل السرور والنشاط، ثم خرج حسين الخادم فقال: يا معشر من حضر من أهل العلم، إن أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حماد الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره، وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها، ووصل المفضل بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته، فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع من حماد، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل. فسألنا عن السبب فأخبرنا أن المهدي قال للمفضل لما دعا به وحده: إني رأيت زهير أبي سلمى افتتح قصيدته بان قال:

دع ذا وعد القول في هرم

ولم يتقدم له قبل ذلك قول، فما أمر نفسه بتركه؟ فقال له المفضل: ما سمعت يا أمير المؤمنين في هذا شيئاً إلا أنني توهمته، كان يفكر في قول يقوله أو يروى في أن يقول شعراً، فعدل عنه إلى مدح هرم وقال: دع ذا، أو كان مفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال: دع ذا فأمسك المهدي عنه، ثم دعا بحماد فسأل ه عن مثل ما سأل عنه المفضل فقال: ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين، قال فكيف قال؟ فأئشده:

لمن الديار بقنة الحجر	أقوين مذ حجج ومذ دهر
قفر بمندفع النجائب من	ضفوى أولات الضال والسدر
دع ذا وعد القول في هرم	خير البداة وسيد الحضرم

قال فاطرق المهدي ساعة ثم أقبل على حماد فقال له: قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبر لا بد من استحلافك عليه، ثم استحلفه بأيمان البيعة وكل يمين محرجة ليصدقن عن كل ما يسأله عنه، فحلف له بما توثق منه، فقال له: أصدقني عن حال هذه الأبيات ومن أضافها إلى زهير؟ فأقر له حينئذ أنه قائلها، فأمر له وللمفضل بما أمر به من صلة وشهرة أمرهما وكشفه. وللمفضل من التصانيف: كتاب الاختيارات، كتاب معاني الشعر، كتاب الأمثال، كتاب الألفاظ، كتاب العروض، المفضليات وهي أشعار مختارة جمعها للمهدي وفي بعض نسخها زيادة ونقص، وأصحها التي رواها عنه أبو عبد الله بن الأعرابي.

مكي بن أبي طالب

واسم أبي طالب محمد، ويقال: حموش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي القيرواني الأصل، القرطي مسكناً، النحوي اللغوي المقرئ، كان إماماً عالماً بوجوه القراءات، متبحراً في علوم القرآن والعربية فقيهاً أديباً متقناً، غلبت عليه علوم القرآن فكان من

الراسخين فيها. ولد بالقيروان لسبع بقين من شعبان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ونشأ بها، ورحل إلى مصر سنة سبع وستين وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فاختلف بها إلى ابن غلبون المقرئ وغيره من المؤدبين والعلماء ثم رجع إلى القيروان سنة تسع وسبعين وقد حفظ القرآن واستظهر القراءات وغيرها من الأداب. ثم رجع إلى مصر ليتلقى ما بقي عليه من القراءات سنة اثنتين وثمانين، ثم رجع إلى القيروان سنة ثلاث وثمانين وأقام بها يقرأ إلى سنة سبع وثمانين، فأخذ عن محمد بن أبي زيد وأبي الحسن القابس وغيرهما، ثم خرج إلى مكة سنة سبع وثمانين وأقام بها إلى آخر سنة تسعين فحج أربع حجج متوالية، وسمع بمكة من أكابر علمائها، ثم رجع من مكة فوصل إلى مصر سنة إحدى وتسعين، ثم عاد إلى بلده القيروان سنة اثنتين وتسعين، وفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة رحل إلى الأندلس فدخل قرطبة في رجب من السنة في أيام المظفر ابن أبي زيد، ونزل في مسجد النخيلة بالرواقين عند باب العطارين. ثم نقله ابن ذكوان القاضي إلى المسجد الجامع فجلس فيه للإقراء ونشر علمه، فعلا ذكره ورحل إليه، فلما انصرفت دولة آل عامر نقله محمد بن هشام المهدي إلى المسجد الخارج بقرطبة فأقرأ عليه، وقلده الحسن ابن جوهر الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع، فأقام على ذلك إلى أن مات. وروى عنه جماعة من الأئمة كأبي عبد الله بن عتاب وأبي الوليد الباجي وغيرهما، توفي بقرطبة يوم السبت لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة وقد أناف على الثمانين، وصلى عليه ولده أبو طالب محمد، ودفن ضحوة يوم الأحد بالربض، وله تصانيف كثيرة أشهرها: الهداية إلى بلوغ النهاية في التفسير. وله الهداية في الفقه، والبيان عن وجوه القراءات السبع ألفه في أواخر عمره سنة أربع وعشرين وأربعمائة، ومنتخب الحجة في القراءات لأبي علي الفارس ثلاثون جزءاً، وكتاب الاختلاف في عدد الإعشار، والرسالة إلى أصحاب الإنطاكي في تصحيح المد لورش ثلاثة أجزاء، تفسير القرآن خمسة عشر مجلداً. اختصار أحكام القرآن أربعة أجزاء: التبصرة في القراءات خمسة أجزاء الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخة، والإيضاح في الناسخ والمنسوخ أيضاً ثلاثة أجزاء التذكرة في اختلاف القراء الإبانة عن معاني القراءات الموجز في القراءات جزءان. الرعاية في تجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة أربعة أجزاء، التنبيه في أصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه جزءان، الانتصاف في الرد على أبي بكر الأدفوي فيما زعم من تعليله في كتاب الإمالة ثلاثة أجزاء، كتاب الإمالة ثلاثة أجزاء إعراب القرآن الزاهي في اللمع الدالة على مشتملات الإعراب أربعة أجزاء، كتاب الوقف على كلا وبلى جزءان، كتاب البيئات المشدودة في القرآن، كتاب الحروف المدغمة جزءان، كتاب هجاء المصاحف جزءان، الهداية في الوقف على كلا، كتاب الإدغام الكبير، مشكل غير القرآن ثلاثة أجزاء، كتاب تسمية الأحزاب كتاب المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره، مشكل معاني القرآن، كتاب شرح التمام والوقف أربعة أجزاء، كتاب دخول حروف الجر بعضها مكان بعض، كتاب فرض الحج على من استطاع إليه سبيلاً، كتاب إيجاب الجزاء على قاتل الصيد في الحرم خطأ في مذهب مالك والحجة على ذلك، كتاب بيان العمل في الحج أول الإحرام مناسك الحج، كتاب بيان الصغائر والكبائر، كتاب الاختلاف في الذبيح من هو؟ كتاب تنزيه الملائكة من الذنوب وفضلهم على بني آدم، كتاب اختلاف العلماء في النفس والروح، منتخب كتاب الإخوان لابن وكيع جزآن المنتقي في الأخبار أربعة أجزاء. الرياض مجموع في خمسة أجزاء. وغير ذلك.

مكي بن زيان بن شبة بن صالح

أبو الحرم الماكسيني الضرير النحوي الأديب، كان عالماً فاضلاً متقناً والغالب عليه النحو والقراءات، قدم بغداد وقرأ على أبي محمد بن الخشاب النحوي وعلى أبي الحسن ابن العطار وأبي البركات عبد الرحمن بن الأنباري، وقرأ بالموصل على أبي بكر يحيى بن سعدون القرطبي وغيره. وقام عليه أهل الموصل وتخرج به أعيان أهلها، ورحل إلى الشام ثم عاد إلى الموصل، رأيته وكان شيخاً طوالاً على وجهه أثر الجدري إلا أنني ما قرأت عليه شيئاً وكان حراً كريماً صالحاً صبوراً على المشغولين يجلس لهم من السحر إلى أن يصلي العشاء الآخرة، وكان من أحفظ الناس للقرآن ناقلاً للسبع، نصب نفسه للإقراء فلم يتفرغ للتأليف، وكان يقرأ عليه الجماعة القرآن معاً كل واحد منهم بحرف وهو يسمع عليهم كلهم ويرد على كل واحد منهم، وكان قد أخذ من كل علم طرفاً وسمع الحديث فأكثر، ومن شعره:

إذا احتاج النوال إلى شفيع
فلا تقبله تضح قرير عين
إذا عيف النوال لفرد من
فأولى أن يعاف لمنتين

وقال أيضاً:

على الباب عبد يطلب الإذن قاصداً
فإن كان إذن فهو كالخير داخل
به أدباً لا أن نعماك تحجب
عليك وإلا فهو كالشر ذاهب

وقال أيضاً:

حيائي حافظ لي ماء وجهي
ولو أني سمحت ببذل وجهي
ورفقي في مطالبتني رفيقي
لكان إلى الغنى سهلاً طريقي

وكان يتعصب لأبي العلاء المعري، ويطرب إذا قرئ عليه شعره للجامع بينهما: الأدب والعمى، لأنه أضر بالجذري صغيراً، وكان يعرف ماكسين بمكيك تصغير مكي، فلما ارتحل عن ماكسين واشتغل وتميز، اشتاق إلى وطنه فعاد إليه، وتسامع به الناس ممن كان يعرفه من قبل فراروه وفرحوا بفضل فبات تلك الليلة، فلما كان من الغد خرج إلى الحمام سحراً فسمع امرأة تقول من غرفتها لأخرى: أتدرين من جاء؟ قالت لا، قالت جاء مكيك بن فلانة فقال: والله لا أقمت في بلد أدعى فيه بمكيك، وسافر من يومه إلى الموصل بعدما كان نوى الإقامة في وطنه، وتوفي بها يوم السبت سادس شوال سنة ثلاث وستمئة.

ميمونة أبو ربيعة الاصبهاني

النحوي كان متقدماً في علم النحو بارعاً فيه، صنف فيه كتباً كثيرة منها: الجماهير. وله الشعر الجيد، وخرج في صغره إلى الكرخ فتوطنها ومن شعره:

كن ابن من شئت واكتسب أدباً
لا شيء في الخافقين تكسبه
يغنيك تشريفه عن النسب
أحمد عند الأنام من أدب

وله:

وأخ لي تكدرت
صاحبي حين لا يرى
بعد صفو مشاربه
في الورى من يصاحبه
وإذا ما حظي به
صد وازور جانبه

منداد بن عبد الحميد

أبو عمر الكرخي المعروف بابن لزة، كان لغوياً أديباً، صنف كتاب معاني الشعر، وجامع اللغة، وشرح معاني الشعر للباهلي الأنصاري، وكتاب الوحوش، وما عرفت من أمره غير هذا.

منذر بن سعيد أبو الحكم

البلوطي الأندلسي، كان نحويّاً فاضلاً وخطيباً مصقلاً وشاعراً بليغاً، ولد سنة خمس وستين ومائتين. ورحل فلقى جماعة من العلماء والأدباء، وجلب في رحلته كتاب الأشراف في اختلاف العلماء رواية عن مؤلفه ابن المنذر النيسابوري، وكتاب العين للخليل رواية أبي العباس بن ولاد، واتصل بعبد الرحمن الناصر فحظي عنده ثم عند ابنه الحكم من بعده، وكان سبب اتصاله بالناصر ما ظهر من بلاغته يوم الاحتفال بدخول رسول قسطنطين بن ليون صاحب قسطنطينية على الناصر موفداً إليه مع وفود سائر ملوك الأفرنجية، وذلك أن الناصر جلس للقاء الوفود بقصر قرطبة، فلما تكامل المجلس ودخل عليه الوفود ورحب بهم، أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه للتنويه بفخامة الخليفة، وماتهماً من توطيد الخلافة في أيامه، وتقدم إلى ولي عهده الحكم بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء، فقدم الحكم أبا علي القالي البغدادي وكان إذ ذاك ضيف الناصر، فقام أبو علي وحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فارتج عليه وانقطع وبهر، فلما رأى ذلك منذر بن سعيد وكان حاضراً قام من ذاته ووصل افتتاح أبي علي بكلام بهر العقول، فخرج الناس يتحدثون ببلاغته وحسن بيانه وثبات جنانته، وكان الناصر أشدهم تعجباً وإعجاباً به، فسأل عنه ابنه الحكم ولم يكن يعرفه فقال له: هذا منذر بن سعيد البلوطي فقال: والله لقد أحسن ما شاء، ثم قرّبه وولاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء، ثم ولاه قضاء الجماعة بقرطبة.

ولما توفي في الناصر وولى ابنه الحكم أقره على القضاء واستعفى غير مرة فما أعفاه، وكان وقوراً صلياً في الحكم مقدماً على إقامة العدل والحق، وإزهاق الجور والباطل، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، له كتب في السنة والورع، والرد على أهل الأهواء والبدع. ومن مصنفاته المتداولة: أحكام القرآن، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وله رسائل وخطب مجموعة، وأشعار متفرقة مطبوعة، ومن خطبه الخطبة التي ألهاها بحضرة الناصر في الاحتفال الذي تقدم ذكره ونصها: أما بعد حمد الله والثناء عليه، والتعداد لأسماؤه والشكر لنعمائه، والصلاة والسلام على محمد صفيه وخاتم أنبيائه، فإن لكل حادثة مقاماً، ولكل مقام مقالاً، وليس بعد الحق إلا الضلال، وإنني قد قمت في مقام كريم بين يدي ملك عظيم، فأصغوا إلى معشر الملاء بأسماعكم، وافقهوا عني بافئدتكم، وإن من الحق أن يقال للمحق صدقت وللمبطل كذبت، وإن الجليل - تعالى في سمانه، وتقدس بصفاته وأسمائه - أمر كليمة موسى صلى الله عليه وآله ونبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه، أن يذكر قومه بأيام الله جل وعز عندهم، وفيه وفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة، وإنني أذكركم بأيام الله عندهم، وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي لمت شعنتكم، وأمنت

سريكم ورفع قوتكم، كنتم قليلا فكثركم، ومستضعفين فقواكم، ومستذلين فنصركم، ولاه الله رعايتكم، وأسند إليه إمامتكم أيام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق، وأحاطت بكم شعل النفاق، حتى صرتم في مثل حذقة البعير من ضيق الحال ونكد العيش، فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء، وانتقلتم بيمن سياسته إلى تمهيد كنف العافية بعد استيطان البلاء، أنشدكم الله معاشر الملاء: ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها؟ والسبل مخوفة فأمنها؟ والأموال منتهية فأحرزها وحصنها؟ ألم تكن البلاد خراباً فعمرها، وثغور المسلمين مهتزمة فحماها ونصرها؟ فاذكرو آلاء الله عليكم بخلافته، وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بإمامته، حتى أذهب الله عنكم غيظكم وشفى صدوركم، وصرتم يدا على عدوكم بعد أن كان بأسكم بينكم، فأنشدكم الله: ألم تكن خلافته قفل الفتنة بعد انطلاقها من عقالها؟ ألم يتلافى صلاح الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها ولم يكل ذلك إلى القواد والأجناد؟ حتى باشره بالقوة والمهجة والأولاد، واعتزل النسوان وهجر الأوطان، ورفض الدعة وهي محبوبة، وترك الركون إلى الراحة وهي مطلوبة، بطوية صحيحة، وعزيمة صريحة، وبصيرة نافذة ثاقبة، وريح هابة عالية، ونصرة من الله واقعة واجبة، وسلطان قاهر، وجد ظاهر، وسيف منصور تحت عدل مشهور، متحملاً للنصب، مستقلاً لما ناله في جانب الله من التعب، حتى لانت الأحوال بعد شدتها، وانكسرت شوكة الفتنة بعد حدثها، فلم يبق لها غارب إلا جبه، ولا ظهر لأهلها قرن إلا جده فأصبحت بمنعم الله إخواناً، وبلغ أمير المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعواناً، حتى تواترت لديكم الفتوحات، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم، وآمال الأقيسين والأدنيين متجهة إليه وإليكم، يأتون من كل فج عميق وبلد سحيق للأخذ بحبل بينكم وبينه جملة وتفصيلاً، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، ولن يخلف الله وعده، ولهذا الأمر ما بعده، وتلك أسباب ظاهرة بادية، تدل على أمور باطنة خافية، دليلها قائم، وجفنها غير نائم (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم). وليس في تصديق ما وعد الله ارتياب، ولكل نبأ مستقر، ولكل أجل كتاب، فاحمدوا الله أيها الناس على الآئه، واسألوا المزيد من نعمائه، فقد أصبحتم بين خلافة أمير المؤمنين - أيده الله بالسداد، والهمه التوفيق إلى سبيل الرشاد - أحسن الناس حالاً، وأنعمهم بالاً، وأعزهم قراراً، وأوثقهم جمعا، وأجملهم صنعا، لاتهاجمون ولا تذاذون وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون، فاستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصحة لإمامكم، والتزام الطاعة لخليفتكم وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم، فإن من نزع يداً من الطاعة، وسعى في تفريق الجماعة، ومرق من الدين فقد خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين، وقد علمتم أن في التعلق بعصمتها والتمسك بعروتها حفظ الأموال وحقق الدماء، وصلاح الخاصة والدهماء، وأن بقيام الطاعة تقام الحدود وتوفي العهود، وبها وصلت الارحام، ووضحت الاحكام، وبها سد الله الخلل، وأمن السبل، ووطأ الأكناف، ورفع الاختلاف، وبها طاب لكم القرار، واطمأنت بكم الدار، فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به، فإنه تبارك وتعالى يقول: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم). وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين وصنوف الملحدين، الساعين في شق عصاكم وتفريق ملنكم، الأخذين في مخاذلة دينكم وهتك حريمكم وتوهين دعوة نبيكم صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع النبيين والمرسلين، أقول قولي هذا واختم بالحمد لله رب العالمين، مستغفراً الله الغفور الرحيم فهو خير الغافرين.

وكان منذر بن سعيد شديداً في دينه لاتأخذه في الله لومة لائم، وكانت له مقامات بين يدي الخليفة الناصر يتناولها فيها بالعظات والزواج غير هياب ولا محتشم، من ذلك أن الناصر كان كلفاً بعمارة الارض، وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك وعزة السلطان وعلو الهمة، فأفصى به الافراط في ذلك إلى أن ابنتى الزهراء البناء الشائع ذكره، واستفرغ جهده في إيقان قصورها وزخرفة دورها، حتى ترك شهود الجمعة بالمسجد الجامع ثلاث جمع متواليات، فأراد القاضي منذر تنبيهه بما يتناولها به من الموعظة، وتذكيره بالانابة والرجوع، فابتدأ خطبته في الجمعة الرابعة بقوله تعالى: (أتبنون بكل ريع آية تعبثون)، ثم وصله بقوله تعالى: (قل متاع الدنيا قليل، والآخرة خير لمن اتقى)، وهي دار القار ومكان الجزاء، ومضى في ذم تشييد البناء وزخرفته، والاسراف في الإنفاق عليه بكل كلام جزل، ثم أتى بما يناسب المقام من التخويف بالموت، والدعاء إلى الزهد في الدنيا، والإقصار عن اللذات والشهوات وإتباع الهوى، وأورد أحاديث وأثاراً تشاكل ذلك، حتى خشى الناس وبكوا وأعلنوا بالتوبة والاستغفار، وأخذ الناصر من ذلك بأوفر حظ، وقد علم أنه المقصود بالموعظة فيكى وندم على ما أفرط وفرط، إلا أنه وجد على منذر لما قرعه به، فشكا ذلك لولده الحكم بعد أنصراف منذر فقال: والله لقد تعمدني منذر بخطبته وما عني بها غيري، فأسرف وافرط في تقريعي، قم اقسام ألا يصلي خلفه إلا الجمعة خاصة، فكان يصلي بقرطبة وراء أحمد بن مطرف صاحب الصلاة، وترك الصلاة بالزهراء فقال له الحكم: ما الذي يمنك من عزل منذر عن الصلاة بك والاستبدال به إذا كرهته؟ فزجره وانتهره وقال له: أمثل منذر ابن سعيد في فضله وخيره وعلمه - لا أم لك - يعزل؟ لارضاء نفس ناكبة عن الرشد، سالكة غير القصد، هذا مايكون، وإنني لاستحي من الله ألا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر في ورعه وصدقه، ولكنه أخرجني فاقسمت، ولوددت أني أجد سبيلاً إلى كفارة يميني بملكي، بل يصلي بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله تعالى، فما أظننا نعتاض منه أبداً. وكان منذر على متانته وصلابته حسن الخلق كثير الدعابة، فربما ساء ظن من لا يعرفه به لدعابته، فإذا رأى ما يخل بالدين قدر شعرة ثار ثورة الأسد الضاري وتبدلت بشاشته عبوساً، ومر في رحلته بمصر فحضر يوماً مجلس أبي جعفر النحاس وهو يملي أخبار الشعراء، فأملى شعر القيس مجنون بني عامر وهو قوله:

خليلي هل بالشام عين حزينة
قد أسلمها الباكون لإحمامة
تجاوبها أخرى على خيزرانة

تبكي على نجد لعلّي أعينها
مطوقة باتت وبات قرينها
يكاد يدينها من الأرض لينها

فقال له منذر: يا أباجعفر، ماذا باتا يصنعان؟ فقال له: وكيف تقول أنت يا أندلسي؟ فقلت له: باتت وبان قرينها، فسكت. قال منذر: وما زال يستقلني بعد ذلك حتى منعني كتاب العين، وكنت ذهبت للاستنساخ من نسخته، فلما يؤست منه قيل لي: أين أنت من أبي العباس بن ولاد؟ فقصدته فلقيت رجلاً كامل العلم حسن المرأة، فسألته الكتاب فأخرجه إلي، ثم ندم أبو جعفر حين بلغه إباحة أبي العباس الكتاب لي وعاد إلى ماكنت أعرفه منه. ومن شعر منذر بن سعيد ماكتب به إلى أبي علي القالي يستعير كتاباً من الغريب:

بحق رئم مهفهب
ابعث إلي بجزء
فأرسل إليه الكتاب وأجابه بقوله:
وحق در مؤلف
لأبعثن بما قد
ولو بعثت بنفسي

وصدغه المتعطف
من الغريب المصنف

بفيك أي تألف
حوى الغريب المصنف
إليك ماكنت أسرف

وقال أيضاً:

مقالي كحد السيف وسط المحافل
بقلب ذكي قد توقد نوره
فما زلفت رجلي ولا زل مقولي
وقد حدقت حولي عيون إخالها
أخير إمام كان أو هو كائن
وفود ملوك الروم حول فنائه
فعش سالماً أقصى حياة مؤملاً
ستملكها مابين شرق ومغرب

أميز به مابين حق وباطل
كبرق مضئ عند تسكاب وابل
ولا طاش عقلي عند تلك الزلازل
كمثل سهام أثبتت في المقاتل
بمقتل أوفي العصور الاوائل؟
مخافة بأس أو رجاء لنائل
فأنت رجاء الكل حاف وناعل
إلى أرض قسطنطين أو أرض بابل

توفي منذر بن سعيد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

منصور بن اسماعيل بن عمر

أبو الحسن التميمي المصري الضرير، كان إماماً في فقه مذهبه، أديباً شاعراً مجيداً متفنناً، له حظ من كل علم، أصله من رأس العين المشهورة بالجزيرة، وقدم مصر وبها توفي، ولم يكن في زمانه مثله فيها، وكانت له منزلة جليلة عند أبي عبيد القاسي، وكان من خواصه الذين يخلو بهم للمذاكرة والمحادثة، وكان بينهما مناظرات في الفروع أدت إلى الخصام، فتعصب الأمير ذلك وجماعة من الجند لمنصور، وتعصب للقاضي أبي عبيد جماعة منهم ابن الربيع الجيري، ثم شهد ابن الربيع علي منصور بكلام زعم أنه سمعه منه فقال القاضي: إن شهد عليه آخر بمثل ماشهد به عليه ابن الربيع ضربت عنقه، فخاف على نفسه ومات. وكانت وفاته في جمادى الأولى سنة ست وثلاثمائة، وله مصنفات في الفقه منها: كتاب الواجب، وكتاب المستعمل، وزاد المسافر وغير ذلك. ومن شعره:

من كان يخشى زحلاً
فإنني منه وإن

أو كان يرجو المشتري
كان أبي منه بري

وقال:

الناس بحر عميق
وقد نصحتك فانظر

والبعد عنهم سفينة
لنفسك السكينه

وقال:

لي حيلة فيمن ينم

م وليس في الكذاب حيلة

ل فحياتي فيه قليلة	من كان يخلق مايقو	وقال:
تضر وتنفع من تحتها بأنك بالله أشركتها	إذا كنت تزعم أن النجوم فلا تنكرن على من يقول	وقال يمدح يموت بن المزرع بن أخت الجاحظ:
ره أن تحيا يموت ت لروح النفس قوت لاخلت منك البيوت	أنت يحيى والذي يك أنت صون النفس بل أن أنت للحكمة بيت	وقال:
وهو النهاية في الخساسة سة قبل أوقات الرياسة	ألكب أحسن عشره ممن ينازع في الريا	وقال:
لطرت شوقاً إلى الممات بغضني قربهم حياتي	لولا بناتي وسيئاتي لأنني في جوار قوم	وقال:
ر ولا نفع سبيل قات والسمت دليل	ليس للنجم إلى ض إنما النجم على الأو	وقال:
بأن لقلبك فيه سرورا وما كنت يوماً عليه صبوراً إذا كان يرضيك سهلاً يسيراً	سررت بهجرك لما علمت ولولا سرورك ماسرني لأنني أرى كل ماساءني	وقال:
مانال واش مناه مني قرح فيض الدموع جفني هجوم خوف عقيب آمن	لولا صدود الصديق عني ولا أدمت البكاء حتى وما جفاء الصديق إلا	وقال:
بادي الصداقة ما في وده دغل فإنه بانتقال الحال ينتقل	إذا رأيت أمراً في حال عشرته فلا تمن له حالاً يسر له	وقال:
م على من يقول أنت حرام ت عتيق محرر يا غلام دة عن شبهة وكيف الكلام؟ فتولى وللغزال بغام ت وقوت مبلغ والسلام	ليس هذا زمان قولك ما الحك والحقي بانناً بأهلك أو أن أو متى تتكح المصابة في العد في حرام أصاب سن غزال إنما ذا زمان كدح إلى المو	وقال:
للموت ألف فضيلة لاتعرف وفراق كل معاشر لاينصف	قد قلت إذ مدحوا الحياة فاكثروا منها أمان بقائه بلقائه	وقال:
س إذا ما فقدوه	كل مذكور من الننا	

حفظوه فنسوه	صار في حكم حديث	وقال:
ولم يعاتبك في التخلف	إذا تخلفت عن صديق	
فإنما وده تكلف	فلا تعد بعدها إليه	وقال:
ه رغيغ يغتذيه	من كفاه من مساعي	
ه وثوب يكتسيه	وله بيت يوارى	
ه الذي كبر وتيه؟	فعلام يبذل الوج	
ض لمخلوق سفيه؟	وعلام يبذل العر	وقال:
تركي زيارتها خلوب	قد قلت لما أن شكت	
ر إذا تقاربت القلوب	إن التباعد لا يضر	وقال:
فقل لنا ماأخرك	منذ ثلاث لم نرك	
أم دهر سوء غيرك؟	أعلة فنعدرك	
	وقال في مرضه معرضاً بأبي عبيد القاضي:	
لكل حي مدى ووقت	ياشامتاً بي إذا هلكت	
تخاف منها الذي أمنت	وأنت في غفلة المنايا	
تشرب منها كما شربت	والكأس ملأى وعن قليل	
	وأنشء عند موته معرضاً به أيضاً:	
حمقى بهم غفلة ونوم	قضيت نحبي فسرقوم	
وليس للشامتين يوم	كأن يومي علي حتم	

منصور بن محمد

بن عبد الله بن المقدر التميمي أبو الفتح الأصبهاني، كان نحوياً أديباً متكلماً كثير الوراثة حريصاً على العلم، قدم بغداد واستوطنها وقرأ بها العربية وصحب صاحب بن عباد، وكان معتزلياً متظاهراً بالاعتزال، وصنف كتاب ذم الاشاعرة، مات يوم السبت ثامن عشرة جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة.

منصور بن القاضي أبي منصور

محمد هو أبو أحمد الأزدي الهروي قاضي هراة، كان فقيهاً شاعراً مجيداً كثير الفضائل حسن الشائل، تفقه على أبي حامد الأسفرايني ببغداد، وسمع أبا الفضل بن حمدويه، والعباس بن الفضل النضروي وغيرهما، وامتدح القادر بالله.

مات سنة أربعين وأربعمائة، ومن شعره قوله:	كالنار يورث شربها السراء
قم يا غلام فهاتها حمراء	من تلجه ديباجة بيضاء
فاليوم قد نشر الهواء بأرضنا	
وقال:	

معتقة أرق من التصابي	ومن وصل أتى بعد التتائي
يطوف بها قضيب من كثيب	ويطلع فوقه بدر السماء
لواظله تبث السحر فينا	وفي شفتيه أسباب الشفاء

وقال:

خشف من الترك مثل البدر طلعت
كان عينيهِ والتفتير كحلّهما
يحوز ضدين من ليل وإصباح
أثار ظفر بدت في صحن تفاح

وقال:

أدر المدامة يا غلام فإننا
والورد أصفه يلوح كأنه
في مجلس بيد الربيع منضد
أقداح تبر كفتت بزبرجد

وقال:

قرن الربيع إلى البنفسج نرجساً
كخود عشاق قد اصفرت وقد
متبرجاً في حلة الإعجاب
نظرت إليها أعين الأحباب

وقال:

طلع البنفسج زائراً أهلاً به
فكأنما النقاش صور وسطه
من وافد سر القلوب وزائر
في أزرق الديباج صورة طائر

وقال:

روضة غضة عليها ضباب
فهي تحكي مجامراً مذكيات
قد تجلت خلالها الأنوار
قد علاها من البخور بخار

وقال:

يا أيها العاذل المردود حجتـه
ماذا بقلبي من بدر بليت به
أقصر فعذري قد أبدته طلعتـه
لليث أخلاقه والخشف خلقتـه

وقال:

وشادن في الحسن فوق المثل
قبلت كفيه فقال انتقل
أبصر مني بوجوه العمل
إلى فمي فهو محل القبل

وقال:

الله جار عصابة رحلوا
ما الشأن ويحك في رحيلهم
عني وقلب الصب عندهم
ألشأن أني عشت بعدهم

وقال:

أبا عبد الإله العلم روح
لذلك كل أهل الفضل أضحوا
وأنتك دون كل الناس شخصه
كحلقة خاتم وغدوت فصه

وقال:

بقيت مدى الزمان أبا علي
فأنت من المكارم والمعالي
رفيع الشأن ذا جد علي
بمنزلة الوصي من النبي

منصور بن المسلم

بن علي بن أبي الخرجين أبو الحسن الحلبي، المؤدب المعروف بابن أبي الدميك، كان أديباً فاضلاً نحويّاً شاعراً له تصانيف وردود على ابن جني منها: تنمة ما قصر فيه ابن جني في شرح أبيات الحماسة، وديوان شعر وقفت عليه بخطه الرائق فوجدته مشحوناً بالفوائد النحوية، وقد شرح ألفاظه اللغوية، وأعتنى بإعرايه فدل على تجرّبه في علم العربية. ومن شعره:

أحبابنا إن خلف البين بعدكم
رحلتكم على أن القلوب دياركم
عسى مورد من سفح جوشن نافع
وما كل ظن ظنه المرء كان
قلوباً ففيها للتفرق نيران
وأنتكم فيها على البعد سكان
فإني إلى تلك الموارد ظمآن
يقوم عليه للحقيقة برهان

كما حاله قسمان: رزق وحرمان

وعيش الفتى طعمان: قند وعلقم

وقال:

وأخاف العيون حين أبوح
من هواه لعلني استريح

إن كتمت الهوى تزايد سقمي
لأبوحن بالذي في ضميري

وقال:

ولاحاجة يسمو لها لعجيب
ونال ثراء أن يقال غريب

وإن اغتراب المرء من غير فاقة
فحسب الفتى بخساً وإن أدرك الغنى

وقال:

كأنك لاتظن الموت حقاً
أما والله مذهبوا لتبقى
إذا جعلت إلى اللهوات ترقى

أخي ما بال قلبك ليس ينقى
ألا يابن الذين مضوا وبادوا
ومالك غير تقوى الله زاد

وقال:

فقلت قولاً فيه إنصاف
والناس أشكال وآلاف

وقائل كيف تهاجرتما؟
لم يك من شكلي فتاركته

منوajer بن محمد بن تركان شاه

ابن محمد بن الفرع، أبو الفضل بن أبي الوفاء البغدادي الكاتب، كان كاتباً فاضلاً أديباً حاذقاً حسن الطريقة، سمع أباه وأبا بكر الحلواني، وسمع المقامات من مؤلفها الحريري ورواها عنه، وروى عنه أبو الفتوح بن الخصري وابن الأخضر وغيرهما. مات سنة خمس وسبعين وخمسائة.

مؤرج بن عمرو بن الحارث بن منيع

ابن ثور بن سعد بن حرملة بن علقمة بن عمرو بن سدوس السدوسي البصري النحوي الأخباري، هو من أعيان أصحاب الخليل، عالم بالعربية والحديث والأنساب. أخذ عن أبي زيد الأنصاري وصحب الخليل بن أحمد، وسمع الحديث من شعبة بن الحجاج وأبي عمرو بن العلاء وغيرهما. وأخذ عنه أحمد بن محمد بن أبي محمد اليزيدي وغيره. وكان قد رحل مع المأمون إلى خراسان فسكن مدينة مرو، وقدم نيسابور وأقام بها وكتب عنه مشايخها. ويقال أن الأصمعي كان يحفظ ثلث اللغة، وكان الخليل يحفظ ثلث اللغة، وكان مؤرج يحفظ الثلاثين، وكان أبو مالك يحفظ اللغة كلها.

وقال أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي: أخبرني عمي قال: أخبرني مؤرج أنه قدم من البادية ولا معرفة له بالقياس في العربية قال: فأول ما تعلمت القياس في حلقة أبي زيد الأنصاري بالبصرة. وقال محمد بن العباس أيضاً: أهدى أبو فيد مؤرج السدوس إلى جدي محمد بن أبي محمد كساء فقال جدي فيه:

وامنحه حسن الثناء مع الود
أب كان صبا بالمكارم والمجد
ونقدح زنداً غير كاب ولاصلد
ومازال محمود المصادر والورد
وذلك أهناً مايكون من الرفد
وثوب شتاء إن خشيت من البرد
ترنحت مختالاً وجرت عن القصد
فرند حسام نصله سل من عمد
وأوصي بشكر للسدوسي من بعدي

سأشكر ما أولى ابن عمرو مؤرج
أغر سدوسي نماء إلى العلا
أتينا أبا فيد نؤمل سيبه
فأصدرنا بالفضل والبذل والغنى
كساني ولم استكسه متبرعاً
كساء جمال إن أردت جمالة
كسانيه فضفاضاً إذا مالبيسته
تري حبكاً فيه كأن اطرادها
سأشكر ما عشت السدوسي بره

وصنف مؤرج عريب القرآن، كتاب الانواء، كتاب المعاني، كتاب جماهير القبائل. حذق نسب قريش وغير ذلك.

موسى بن بشار

أبو محمد موسى تيم بن مرة، وقيل موسى بن سهم القرشي بالولاء الملقب بشهوات، لقب بذلك لأنه كان سئولا ملحفاً إذا رأى شيئاً أعجبه من متاع أو ثياب تباكي، فإذا قيل له مالك؟ قال: اشتهى هذا فلقب شهوات. وقيل بل كان يجلب القند والسكر إلى البلد فقالت امرأة من أهله: ما يزال موسى يجيئنا بالشهوات فغلب ذلك عليه، وكان شاعراً مجيداً من شعراء الأمويين يستجدي خلفاهم وأمراءهم، وكان يدخل على سليمان ابن عبد الملك وينشده، ومن مشهور شعره قوله في الأمير سعيد بن خالد العثماني:

أبا خالد أعني سعيد بن خالد	ولكنني أعني ابن عائشة الذي
عقيد الندى معاش يرضى به الندى	دعوه دعوه إنكم قد رقدتم
فدى للكريم العشمي ابن خالد	على وجهه تلقى الأيمان واسمه
أنال وما استغنى عن الندي خيره	ترى الجند والحجاب يغشون بابيه
فيعطى ولا يعطى ويغشى ويجتدي	قتلت أناساً هكذا في جلودهم
يعيشون معاشوا بغيظ وإن تحن	فقل لبغاة العرف مات خالد
أخا العرف لا أعني ابن بنت سعيد	
أبو أبويه خالد بن أسيد	
فإن مات لم يرضى الندى بعقيد	
وما هو عن أحسابكم برقود	
بنى وما لي طارفي وتليدي	
وكان جوارى طيره بسعود	
أنال به في المهدي قبل قعود	
بحاجاتهم من سيد ومسود	
وما بابيه للمجتي بسديد	
من الغيظ لم تقتلهم بحديد	
مناياهم يوما تحن بحقوق	
ومات الندى إلا فضول سعيد	

المؤمل بن أميل بن أسيد

المحاربي من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان، كوفي من مخضرمي شعراء الدولتين الأموية والعباسية، وكان في دولة بني العباس أشهر لأنه كان من الجند المرتزقة معهم ومن أوليائهم وخواصهم، وانقطع إلى المهدي قبل خلافته وبعدها، وكان شاعراً مجيداً ودون طبقة الفحول.

قال ابن قدامة: حدثني المؤمل بن أميق لقال: قدمت على المهدي وهو بالري وهو إذ ذاك ولي عهد فامتدحته بابيات فامر لي بعشرين ألف درهم، فكتب بذلك صاحب البريد إلى أبي جعفر المنصور وهو بمدينة السلام يخبره أن الأمير المهدي أمر لشاعر بعشرين ألف درهم، فكتب المنصور إلى ابنه المهدي يعذله ويلومه، وكتب إلى كاتب المهدي أن يوجه إليه بي فطلبني ولم يظفر بي، فكتب إلى المنصور أنه توجه إلى مدينة السلام، فاجلس قائداً من قواده على جسر التهروان وأمره أن يتصفح الناس حتى إذا علق بي حملني إليه، فما مرت به القافلة التي أنا فيها تصفحها فوقع بصره علي فسألني من أنت؟ قلت: أنا المؤمل بن أميل بن المحاربي الشاعر أحد زوار المهدي فقال: أياك طلبت، فكاد قلبي أن يتصدع خوفاً من الخليفة، فقبض علي واسلمني إلى الربع فادخلني إلى المنصور فسلمت تسليم مروع فرد السلام وقال: ليس لك هاهنا الأخير، أنت المؤمل بن أميل؟ قلت نعم أصلح الله أمير المؤمنين. قال: أتيت غلاماً غراً فخدعته حتى أعطاك من مال الله عشرين ألف درهم؟ قلت نعم أصلح الله الأمير، أتيت غلاماً غراً كريماً فخدعته فانخدع. قال المؤمل: فكان كلامي أعجبه فقال: انشدني ما قلت فيه، فأنشدته:

هو المهدي إلا أن فيه	مشابه صورة القمر المنير
تشابه ذا وإذا فهم إذا ما	أنارا مشكلان على البصير
فهذا في الظلام سراج ليل	وهذا في النهار ضياء نور
ولكن فضل الرحمن هذا	على ذا بالمنابر والسرير
وبالملك العزيز فذا أمير	وما ذا بالأميرولا الوزير
ونصف الشهر ينقص ذا وهذا	منير عند نقصان الشهور
فيا بن خليفة الله المصطفى	به تعلو مفاخرة الفخور
لئن فت الملوك وقد توافوا	إليك من السهولة والوعر

لقد سبق الملوك أبوك حتى
وجئت مصلياً تجري حثيثاً
فقال الناس ما هذان إلا
لئن سبق الكبير فأهل سبق
وإن بلغ الصغير مدى كبير
فقد خلق الصغير من الكبير

فقال المنصور: والله لقد أحسنت، ولكن هذا لا يساوي عشرين ألف درهم فأين المال؟ قلت هو هذا. فقال ياربيع: امضى معه فاعطه اربعة الاف درهم وخذ الباقي. قال المؤمل: فوزن لي الربيع من المال اربعة الاف درهم واخذ الباقي. فلما ولى المهدي الخلافة رفعت اليه رقعة فلما قراها ضحك وامر برد العشرين الف درهم إلى فردت فاخذتها وانصرفت. وانشد نفطويه لابن اميل:

لا تغضبني على قوم تحبهم
ولا تخاصمهم يوماً وإن ظلموا
يا جائرين علينا في حكومتهم
لسنا إلى غيركم منكم نفر إذا

وقال:

وكم من لئيم ود أني شتمته
وللكف عن شتم اللئيم تكرماً

مات المؤمل بن اميل في حدود سنة تسعين ومائة.

موهوب بن أحمد بن الحسن

بن الخضر الجواليقي البغدادي، كان من كبار أهل اللغة، اماماً في فنون الأدب ثقة صدوقاً، أخذ الادب عن أبي زكريا يحيى الخطيب التبريزي ولازمه، وسمع الحديث من أبي القاسم ابن اليسري وأبي طاهر بن أبي الصقر، وروى عنه الكندي وأبو الفرج بن الجوزي، وأخذ عنه أبو البركات عبد الرحمن ابن محمد الانباري، ودرس الأدب في النظامية بعد شيخه التبريزي، واختص بامامة المقتفي لأمر الله، وكان من أهل السنة طويل الصمت لا يقول شيئاً إلا بعد التحقن، ويكثر من قول لا أدري، وكان مليح الخط يتنافس الناس في تحصيله والمغلاة به، وكان في بعض مسائل النحو مذاهب غريبة.

قال ابن الانباري: كان يذهب إلى ان الاسم بعد لولا يرتفع بها على ما يذهب اليه الكوفيون، والى ان الالف واللام في نعم الرجل للعهد، خلاف مذاهب اليه الجماعة من انها للجنس. قال: وحضرت حلقة يوماً وهو يرا عليه كتاب الجمهرة لابن دريد، وقد حكى عن بعض النحويين انه قال: اصل ليس لايس. فقلت: هذا الكلام كانه من كلام الصوفية، فكان الشيخ انكر على ذلك ولم يقل في تلك الحال شيئاً، فلما كان بعد ايام وقد حضرنا الدرس على العادة قال: اين ذلك الذي أنكر ان يكون أصل ليس لايس؟ أليس لا تكون بمعنى ليس؟ فقلت ولم إذا كانت لا بمعنى ليس يكون أصل ليس لايس؟ فلم يذكر شيئاً وسكت. قال: وكان الشيخ - رحمه الله - في اللغة أمثل منه في النحو. وحكى ولد الجواليقي أبو محمد اسماعيل قال: كنت في حلقة والذي يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع القصر والناس وقوف يقرءون عليه فوقف عليه شاب وقال: يا سيدي، قد سمعت بيتين من الشعر ولم أفهم معناهما وأريد أن تسمعهما مني وتعرفني معناهما، فقال قل فأنشده:

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها
فالشمس بالقوس أمست وهي نازلة
وهجره النار يصليني به النارا
إن لم يزرني وبالجوزاء إن زار

قال اسماعيل: فلما سمعها والي قال: يابني هذا معنى من علم النجوم وسيرها لا من صنعة أهل الادب، فانصرف الشاب من غير فائدة واستحي والذي من ان يسأل عن شيء ليس عنده منه علم، فالى على نفسه الايجلس في حلقة حتى ينظر في علم النجوم ويعرف تسير الشمس والقمر، فنظر في ذلك ثم جلس للناس. ومعنى البيت: ان الشمس إذا كانت في القوس كان الليل طويلاً فجعل ليالي الهجر فيها، وذ كانت في الجوزاء كان الليل قصيراً فجعل ليالي الوصل فيها. وللجواليقي من التصانيف: شرح ادب الكاتب، كتاب العروض، التكملة فيما يلحن فيه العامة اكمل به درة الغواص للحريري، المعرب من الكلام الاعجمي وغير ذلك. وكانت ولادته سنة ست وستين واربعمائة، توفي يوم الاحد خامس عشر المحرم سنة تسع وثلاثين وخمسمائة.

المؤيد بن عطف

بن محمد بن علي بن محمد أبو سعيد الالوسي الشاعر الأديب، ولد بالوس سنة أربع وتسعين وأربعمائة، ونشأ بدجيل واتصل بخدمة ملكشاه مسعود بن محمد السلجوقي فعلاً ذكره وتقدموا ثري، ودخل بغداد في أيام المسترشد فصار جويشا، ولما صارت الخلافة إلى المقتفي تكلم فيه وفي أصحابه بما لا يليق، فقبض عليه وسجن فلبث في السجن عشر سنين وأخرج منه في خلافة المستنجد، ومن شعره:

رحلوا فأفانيت الدموع لبعدهم
وعلمت أن العود يقطر ماؤه
وأبيت ماسورا وفرحة ذكركم
لا تنكر البلوى سواد مفارقي
وقال في صفة القلم:

ومثقف يغني ويفنى دائماً
قلم يفل الحيش وهو عرمرم
وهبت به الآجام حين نشابها
في طوري الميعاد والإيعاد
والبيض ماسلت من الأغمام
كرم السيول وهيبة الأساد

توفي أبو سعيد بالموصل يوم الخميس الرابع والعشرين من رمضان سنة سبع وخمسين وخمسمائة عن ثلاث وستين سنة.

ميمون الاقرن

هو الامام المقدم في العربية بعد أبيالاسود الدولي، أخذ عن أبيالاسود، وأخذ عنه عنبسة بن معدان الفيل في اصح الروايتين. حدث اسحاق بن ابراهيم الموصلي عن المدائني قال: امر زياد ابا الأسود الدولي ان ينقط المصاحف فنقطها ورسم من النحو رسوما، ثم جاء بعده ميمون الاقرن فزاد عليه في حدود العربية، ثم زاد فيها بعده عنبسة بن معدان المهري، وكان ميمون احد ائمة العربية الخمسة الذين يرجع اليهم في المشكلات.

حدث أبو عبيدة ان يونس النحوي سئل عن جرير والفرزدق والاختل: ايهم اشعر؟ فقال: اجمعت العلماء على الاختل. قال أبو عبيدة: فقلت لرجل إلى جنبه: سل: من هؤلاء العلماء؟ فسأله فقال: هم ميمون الاقرن، وعنبسة الفيل، وابن أبي إسحاق الحضرمي، وابو عمر وابن العلاء، وعيسى بن عمر الثقفي، هؤلاء طرّفوا الكلام ومأثوه موثاً لا كمن تحكون عنهم لاهم بدويون ولا نحويون.. وقال أبو عبيدة: اول من وضع العربية أبو الاسود الدولي، ثم ميمون الاقرن، ثم عنبسة الفيل، ثم عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، ثم عمر الثقفي.

ميمون بن جعفر

ابو توبة النحوي، كان لغوياً نحوياً أديباً أخذ عن أبي الحسن الكسائي، وكان يؤدب عمرو بن سعيد بن سلم، فلما قدم الأصمعي من البصرة نزل على سعيد فحضر يوماً وأخذ سعيد يسأل ه، فجعل أبو توبة إذا مر الأصمعي بشيء من الغريب بادر إليه فأتى بكل ما في الباب أو أكثره، فشق ذلك على الأصمعي فعذر بابي توبة إلى المعاني فقال سعيد: يا باتوبة، لا تتبعه في هذا الفن يعني المعاني فإنه صناعته، فقال أبو توبة: وماذا على في ذلك؟ ان سألتني عما احسنه اجبت، وما لا احسنه تعلمته منه واستفدت.

باب النون

ناصر بن أحمد بن بكر

ابو القاسم الخوي النحوي الأديب، ولد في المحرم سنة ست وستين وأربعمائة، قرأ النحو على أبي طاهر الشيرازي، والفقه على أبي إسحاق الشيرازي، وسمع ابا القاسم علي بن أحمد بن السري، واما الحسين عاصم بن الحسين المعروف بابن النقور العاصمي، واما زيد نظام الملك، وكان شيخ الأدب في ازربيجان غير مدافع، وولى القضاء بها مدة ورحل اليه الناس من الاطراف، وصنف شرح اللمع لابن جني، وتوفي في ربيع الاخر سنة سبع وخمسمائة، ومن شعره:

تكون إذا دامت إلى الهجر مسلكا
ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا

عليك بإغباب الزيارة إنها
فاني رأيت الغيث يسأم دائماً

وقال:

وعاة العلوم رعاة الأمم
ووجدان حظ قريب العدم

نصير تراباً كأن لم تكن
فتباً لعيش قصير الدوام

ناصر بن عبد السيد علي

أبو الفتح المطرزي الخوارزمي النحوي الأديب، ولد بخوارزم في رجب سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة في السنة والبلدة التي مات فيها الزمخشري، ولذلك قيل له خليفة الزمخشري، لاسيما وقد كان على طريقته رأساً في الاعتزال داعياً إليه، وكان ينتحل في الفروع مذهب أبي حنيفة، وكان فقيهاً فاضلاً بارعاً في النحو واللغة وفنون الأدب، وله شعر حسن يعتمد فيه استعمال الجناس، قرأ ببلده على أبيه أبي المكارم عبد السيد، وعلى أبي المؤيد الموفق بن أحمد ابن إسحاق المعروف باخطب خوارزم وغيرهما، وسمع من أبي عبد الله محمد بن علي بن أبي سعيد التاجر وغيره، ودخل بغداد متوجهاً إلى الحج سنة إحدى وستمئة، وجرى له فيها مباحث مع جماعة من الفقهاء والأدباء وأخذ أهل الأدب عنه، وصنف شرح المقامات للحريري، والمغرب في غريب الفاظ الفقهاء، والمغرب في شرح المغرب، والافتناع في اللغة، والمقدمة المطرزية في النحو، والمصباح في النحو أيضاً مختصر، ومختصر إصلاح المنطق لابن السكيت وغير ذلك، مات بخوارزم يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة عشر وستمئة، ومن شعره:

ورند ربي خواضله نصير
ودر نواله أبداً غزير

وزند ندى فواضله وري
ودر خلاله أبداً ثمين

وقال:

قبيح على الزرقاء تبدي تعامياً
كفى لذوي الأسماح منكم منادياً

تعامي زماني عن حقوقي وإنه
فإن تنكروا فضلي فإن رغاءه

وقال:

علو قدري في الهوى انحطاً
لما رأت منزلهم شطاً

يا وحشة لجيرة منذ نأوا
حككت دموعي البحر من بعدهم

نبا بن محمد بن محفوظ

أبو البيان القرشي الدمشقي المعروف بابن الحوراني شيخ الطريق البيانية بدمشق، كانت له معرفة تامة باللغة والأدب والفقه، وكان شاعراً فاضلاً زاهداً عابداً، سمع أبا الحسن علي بن الموازني، وأبا الحسن علي بن أحمد بن قبيس المالكي، وسمع منه يوسف بن عبد الواحد بن وفاء السلمي، والقاضي أسعد بن المنجاء، والفيق أحمد العراقي، وعبد الرحمن ابن الحسين بن عبدان وغيرهم، وصحب الشيخ أرسلان الدمشقي الصوفي ولزمه وكان ينفرد به، وله تصاميف مفيدة ومجاميع لطيفة وشعر كثير. ومن مصنفاته: منظومة في الصاد والضاد، ومنظومة في تعزيز بيتي الحريري اللذين أولهما:

سم سمة تحمد آثارها

قال فيها:

مود يوالي سمه بلسمه

بل سمه بالهجر عندي لمح

توفي بدمشق يوم الثلاثاء غرة ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وخمسمئة.

نجم بن سراج العقيلي

البغدادي الأصل، الملقب بشمس الملك، رحل مع أهله إلى مصر صغيراً، وتوطن بأسنا من بلاد الصعيد فنشأ بها، وهو أحد شعراء العصر المجيدين وأبائه المبرزين، شائع الصيت سائر الذكر، تصرف بفنون الأدب وتميز بالشعر فمدح الأكابر والأعيان، وكان منقطعاً إلى الرئيس جعفر ابن حسان بن علي الأسنائي أحد أكابر العصر وأدبائه، وله فيه مدائح كثيرة، وكان

بينه وبين مجد الملك جعفر ابن شمس الخلافة الأديب الشاعر صحبة ومودة ومطارحات، توفي سنة احدى وستمائة، ومن شعره في مدح الرئيس بن حسان المذكور قوله:

لعل فؤادي بين تلك الحقائق	قف الركب واسأل قبل حث الركائب
أعلل قلباً ذاهباً في المذاهب	وماذا عسى يجدي السؤال وإنما
ونحلة قوم في العصور الذواهب	فوالله لولا الشعر سنة من خلا
يرون طلاب البر أسني المكاسب	لنزهت نفسي عن سؤال معاشر
وإن كان للمعروف ليس بواهب	وهبت لمن يأبى مديحي عرضه
حليف الندى رب العلا والمناقب	وأقسمت لأرجو سوى رقد جعفر
كما تتقى خوفاً شفار القواضب	أحق فتى يطري ويرجى ويتقى
وجدناه بالتقصير فوق الكواكب	إذا نحن قدرنا تقاعس مجده
رأينا نداه فوق سح السحائب	وإن نحن رمنا وصف جدوى يمينه
وما همه غير اتصال المواهب	أخو هم لم يسله اللوم همه
كان عليه الجود ضربة لازب	جواد تراه الدهر في البر دائباً
فكنت به في الفضل أحسن خاطب	رقيت بإحسان ابن حسان منبرا
من الرعب من بعد الجفاء صواحي	وصلت على الأيام حتى لقد غدت
	ومن هذا رجع إلى الغزل وختم القصيدة به فقال بعده:
دريئة رام للأسى والنوائب	على أنني من وقع عادية النوى
وما فيه لا يخفى على ذي التجارب	وما الحب شيء يجهل المرء قدره
ملامي فذهني حاضر غير غائب	خليلي كفا وأتركاني وخلياً
فتلك ذنوب لست منها بتائب	إذا كان ذنبي الحب والوجد والهوى
	والقصيدة طويلة تركت باقياً للاختصار.

نشوان بن سعيد بن نشوان

أبو سعيد الحيري اليميني الأمير العلامة، كان فقيهاً فاضلاً عارفاً باللغة والنحو والتاريخ وسائر فنون الادب، فصيحاً بليغاً شاعراً مجيداً، استولى على قلاع وحصون وقدمه أهل جبل صبر حتى صار ملكاً، وله تصانيف أجلاها شمس العلوم، وشفاء كلام العرب من الكلوم في اللغة، وله القصيدة المشهورة التي أولها:

الأمر جد وهو غير مزاح
فاتعمل لنفسك صالحاً ياصاح
مات في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة.

نصر بن ابراهيم بن

أبي نصر بن الحسين الدينوري ثم البغدادي الحمامي المؤدب. ولد سنة خمسين ومائتين، وكان حسن المعرفة بالنحو فاضلاً أديباً، سمع ابا الحسن بن عبد السلام وابا محمد بن الطراح وغيرهما، ولا اعرف من امره غير هذا

نصر بن أحمد بن نصر

بن المأمون أبو القاسم البصري المعروف بالخيز أُرزي شاعر أمي مجيد كان لا يتهجى ولا يكتب، وكان خبازاً يخبز خبز الأرزب كان له في مريد البصرة، فكان يخبز وهو ينشد ما يقوله من الشعر فيجتمع الناس حوله ويزدحمون عليه لإسماع شعره وملحه، ويتعجبون من اجادته في مثل حاله وحرفته، وكان ممن يفضل الذكور على الاناث، فكان أحداث البصرة يلتفون حوله ويتنافسون بميله إليهم، ويحفظون شعره لسهولة ورقته، وكان شاعر البصرة ابن لنكك مع علو قدره يجلس إليه ويتردد على دكانه، وعني بجمع ديوان شعره. ذكر الخطيب في تاريخ مدينة السلام: ان أبا محمد عبد الله بن محمد الأكفاني قال: خرجت مع

عمي أبي عبد الله الأكفاني الشاعر وأبي الحسين بن لنكك وأبي عبد الله المفجع وأبي الحسن السماك في بطالة العيد وانا يومئذ صبي اصحبهم، فانتهموا إلى نصر الخبز أرزي وهو يخبز على طابقه فجلسوا يهنونه بالعيد وهو يوقد السعف تحت الطابق فزاد في الوقود فدخنها فنهضوا حين تزايد الدخان فقال نصر لابن لنكك: متى اراك يا با الحسين؟ فقال له: إذا اتسخت ثيابي، ثم مضينا في سكة بني سمرة حتى انتهينا إلى دار أبياحمد بن المثنى فجلس ابن لنكك وقال: ان نصر الايخيلياالمجلس الذي مضى لنا معه منشئ يقوله فيه، ويجب ان نبداه قبل ان يبدانا فاستدعى بدواة وكتب اليه:

لنصر في فؤادي فرط حب	أنيف به على كل الصحاب
أتيناه فبخرنا بخوراً	من السعف المدخن بالتهاب
فقمتم مبادراً وحسبت نصراً	أراد بذاك طردني أو ذهابي
فقال متى أراك أبا حسين	فقلت له إذا اتسخت ثيابي
فلما وصلت الرقعة إلى نصر أملى على من كتب له بظهرها الجواب، فلما وصل إلينا قرأناه فإذا هو فيه:	
منحت أبا الحسين صميم ودي	فداعبني بألفاظ عذاب
أتى وثيابه كالشيب بيض	فعدن له كريهان الشباب
وبغضي للمشيب أعد عندي	سواداً لونه لون الخضاب
ظننت جلوسه عندي لعرس	فجدت له بتمسك الثياب
وقلت متى أراك أبا حسين	فجاوبني إذا اتسخت ثيابي
ولو كان التقزز فيه خير	لما كنى الوصي أبا تراب
ومن شعره أيضاً:	

رأيت الهلال ووجه الحبيب	فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتي فيهما	هلال السما من هلال البشر
ولولا التورد في الوجنتين	ومارأني من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب	وكنت أظن الحبيب القمر

وقال:

شاقني الأهل لم يشقني الديار	والهوى صائر إلى حيث صاروا
جيرة فرقتهم غربة البي	ن وبين القلوب ذاك الجوار
كم أناس رعو لنا حين غابوا	وأناس خانوا وهم حضار
عرضوا ثم أعرضوا واستمالوا	ثم مالوا وأنصفوا ثم جاروا
لاتلمهم على التجني فلو لم	يتجنوا لم يحسن الاعتذار

وقال:

فلا تمن بتتميق تكلفة	لصورة حسنها الاصيلي يكفيها
إن الدنانير لاتجلى وإن عتقت	ولاتزاد على الحسن الذي فيها

وقال:

إذا ما لسان المرء أكثر هذره	فذاك لسان بالبلاء موكل
إذا شئت أن تحيا عزيزاً مسلماً	فدبر وميز ما تقول وتفعل

توفي نصر بن أحمد الخبز أرزي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.

نصر بن الحسن بن جوشن

بن منصور ابن حميد بن أثال، أبو المرهف العيلاني النميري، كان قارئاً أديباً شاعراً مجيداً، أضر بالجذري صغيراً فحفظ القرآن المجيد، وقرأ الأدب على أبي منصور الجواليقي وسمع من القاضي أبي بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري وأبي البركات عبد الوهاب بن المبارك الانماطي وأبي الفضل ابن ناصر، وبرع في الشعر فمدح الخلفاء والوزراء وكان منقطعاً إلى

الوزير ابن هبيرة، وقد ادركته صغيرا ولم ألقه توفي يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، ومن شعره:

شمس الضحى يعشى العيون ضياؤها
ولذاك تاه العور واحتقروا الورى
نقصان جارحة أعانت أختها
فكأنما قويت بعين زائده

وله:

لها من الليل البهيم طرة
ومعصم يكاد يجري رقة
على جبين واضح نهاره
وإنما يعصمه سواره

وقال:

ترى يتألف الشمل الصديق
وتؤنس بعد وحشتها بنجد
ذكرت بأيمن العلمين عيشاً
فلم أملك لدمعي رد غرب
ينازعني إلى لمياء قلبي
وأخوف ما أخاف على فوادي
فقد حملت من طول التناهي
عن الأحباب مالا أستطيع

وقال:

مافي قبائل عامر
خالي زعيم عبادة
من معلم الطرفين غيري
وأبي زعيم بني عمير

نصر بن عام الليثي

النحوي، كان فقيها عالما بالعربية من فقهاء التابعين، وكان يسند إلى أبي الأسود الدؤلي في القرآن والنحو، وله كتاب في العربية، وقيل أخذ النحو عن يحيى بن يعمر العدواني، وأخذ عنه أبو عمرو بن العلاء وكان يرى رأي الخوارج ثم ترك ذلك وقال في تركه أبياتا وهي:

فارقت نجدة والذين تزرقوا
وهوي النجاريين قد فارقتهم
وإبن الزبير وشيعة الكرابي
وعطية المتجبر المرتاب

مات بالبصرة سنة تسع وثمانين وقيل ستة وتسعين.

نصر بن علي بن محمد

أبو عبد الله الشيرازي الفارس الفسوي، يعرف بابن أبي مريم النحوي، خطيب شيراز وعالمها وأديبها والمرجوع إليه في الأمور الشرعية والمشكلات الأدبية، أخذ عن محمود بن حمزة الكرماني، وصنف تفسير القرآن، وشرح الإيضاح للفارس، قريء عليه سنة خمس وستين وخمسمائة وتوفي بعدها.

نصر بن مزاحم

أبو الفضل المنقري الكوفي، كان عارفا بالتاريخ والأخبار وهوشيعة من الغلاة جلد في ذلك، روى عنه أبو سعيد الأشج ونوح بن حبيب وغيرهما. وروى عن شعبة بن الحجاج، واتهمه جماعة من المحدثين بالكذب وضعفه آخرون، وصنف كتاب الغارات، وكتاب الجمل، وكتاب صفين، وكتاب مقتل حجر بن عدي، وكتاب مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما وغير ذلك، مات سنة اثنتي عشرة ومائتين.

نصر بن يوسف

صاحب أبي الحسن الكسائي، كان نحوياً لغوياً له من الكتب: كتاب خلق الانسان، كتاب الابل، ذكره

نصر الله بن ابراهيم

بن أبي نصر بن الحسين الدينوري ثم البغدادي الحمامي المؤدب، ولد سنة عشرين وخمسمائة، وكان حسن المعرفة بالنحو فاضلاً أديباً، سمع ابا الحسن بن عبد السلام و ابا محمد بن الطراح وغيرهما، ولا اعرف من امره غير هذا.

نصر الله بن عبد مخلوف

ابن علي بن عبد القوي بن فلاقس الاسكندري، كان أديباً فاضلاً وشاعراً مجيداً، ولد بالاسكندرية في ربيع الاخر سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، ونشأ بها وقرأ على أبي طاهر السلفي وسمع منه ومن غيره. ورحل إلى اليمن ودخل عدن سنة ثلاث وستين وخمسمائة، وامتدح بها الوزير ابا الفرج ياسر بن بلال، وسافر إلى صقلية ودخلها سنة خمس وستين وخمسمائة، وامتدح بها القائد ابا القاسم بن الحجر فاکرم نزله واحسن اليه، فصنف باسمه كتابا سماه الزهر الباسم في اوصاف أبيالقاسم، ثم فارق صقلية راجعا إلى مصر، فتوفي بعيذاب سنة سبع وستين وخمسمائة، ومن شعره:

إشرب معتقة الطلا صرفاً على	رقص الغصون بروضة غناء
من كف وطفاء الجفون كأنما	تسعى بنار أضرمت في ماء
فيسحر مقلتها وخمرة ريقها	شرك العول وآفة الأعضاء

وقال:

سدودها من القدود رماحاً	وانتضوها من الجفون صفاحا
يالها حلة من السقم حالت	واستحالت ولاكفاها كفاحا
صح إذ أذرت العيون دماء	أنهم أثخنوا القلوب جراحا

وقال:

قرنت بواو الصدغ صاد المقبل	وأبديت لأمأ في عذار مسلسل
فإن لم يكن وصل لديك لعاشق	فماذا الذي أبديت للمتأمل؟

وقال من قصيدة:

عقدوا الشعور معاهد التيجان	وتقلدوا بصوارم الأجفان
ومشوا وقد هزوا رماح قدودهم	هز الكماة عوالي الممران
وتدرعوا زرداً فخلت أراقماً	خلعت ملابسها على الغزلان

نصيب بن رباح

مولى عبد العزيز بن مروان شاعر من فحول الشعراء الإسلاميين، كان عبداً لرجل من كنانة من أهل ودان، وكان فصيحاً مقدماً في النسيب والمديح مترفعاً عن الهجاء كبير النفس عفيفاً، قيل لم ينسب قط إلا بامراته، وكان مقدماً عند الملوك يجيد مديحهم ومراثيهم، وفي سبب اتصاله بعبد العزيز بن مروان وفك رقبته من الرق روايات شتى منها: انه لما قال الشعر وهو شاب جعل يأتي مشيخة القبيلة وينشدهم فاجتمعوا إلى ملاه وقالوا: إن عبدك هذا قد نبغ بقول الشعر ونحن منه بين شرتين، إما أن يهجوناً فيهنك أعراضنا، أو يمدحننا فيشيب بنساننا، وليس لنا في شيء من الخلتين خيرة. فقال له ملاه: يانصيب، انا بائعك لامحالة فاختر لنفسك، فسار إلى عبد العزيز بن مروان بمصر فدخل عليه وانشده:

لعبد العزيز على قومه	وغيرهم ممن غامرهم
فبابك أسهل أبوابهم	ودارك مأهولة عامرهم
وكلبك أرأف بالزائرين	من الأم بابنتها الزائره
وكفك حين ترى المعتفين	أندى من الليلة الماطرهم

فمنك العطاء ومنا الثناء

بكل محبرة سائره

فقال عبد العزيز: اعطوه اعطوه فقال: - أصلحك الله - إني عبد ومثلي لا يأخذ الجوائز، قال فما شأنك؟ فاخبره بحاله فدعا الحاجب فقال: اخرج به إلى باب الجامع فابلق في قيمته فدعا المقومين فنادوا عليه، من يعطي لعبد اسو جلد؟ قال رجل هو علي بمائة دينار، فقال نصيب قولوا على اني ابري القس واريش السهام واحتجن الاوتار، فقال الرجل: هو على بمائتي دينار. قال: قولوا على اني ارعى الابل وامريها واقضقضها واصدرها واوردها وارعاها وارعيها. قال رجل هو على بخمسائة دينار. قال نصيب قولوا على اني شاعر عربي لا يوطيء ولا يقوي ولا يساند. قال رجل هو على بالف دينار، فسار به الحاجب إلى عبد العزيز فاخبره بما تم فقال: افعوا اليه الف دينار فقبضها وافتك بها رقبتة، ولم يزل في جملة عبد العزيز حتى احتضر، فاوصى به سليمان بن عبد الملك خيرا فصيره في جملة سماره.

حكى ان نصيبا دخل على سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدق فقال سليمان للفرزدق يا أبافراس: أنشدني وإنما أراد أن ينشده مديحا فيه فأنشده قوله يفتخر:

وركب كأن الريح تطلب عندهم

لها ترة من جذبها بالعصائب

سروا يركبون الريح وهي تلفهم

إلى شعب الأكوار ذات الحقائق

إذا أبصروا ناراً يقولون ليّتها

وقد خصرت أيديهم نار غالب

فتمعر سليمان واربد لما ذكر الفرزدق غالبا وقال لنصيب: قم وأنشد مولاك ويحك، فقام نصيب وأنشده:

أقول لركب صادرين لقيتهم

قفازات أوшал ومولاك قارب

قفوا خيروني عن سليمان إنني

لمعروفه من أهل ودان طالب

فعاجوا وأثنوا بالذي أنت أهله

ولوسكتوا أثنت عليك الحقائق

وقالوا عهدناه وكل عشية

بأبوابه من طالبي العرف راكب

هو البدر والناس الكوكب حوله

ولاتشبه البدر المضيء الكواكب

فقال سليمان للفرزدق: كيف ترى شعره؟ فقال هو اشعر أهل جلدته. قال سليمان: واهل جلدتك، يا غلام اعط نصيبا خمسمائة دينار وللفرزدق نار ابيه، فخرج الفرزدق وهو يقول:

وخير الشعر أشرفه رجالاً

وشر الشعر ما قال العبيد

وقال:

ليس السواد بناقصى مادام لي

هذا اللسان إلى فؤاد ثابت

من كان ترفعه منابت أصله

فبيوت أشعاري جعلن منابتي

كم بين أسود ناطق ببيانه

ماضي الجنان وبين أبيض صامت؟

إني ليحسدني الرفيع بناؤه

من فضل ذاك وليس بي من شامت

وقال:

كأن القلب قيل يغدي

بليلي العامرية أو يراح

قطاة غرها شرك فباتت

تجاذبه وقد علق الجناح

لها فرحان قد تركا بو كر

فعشهما تصفقه الرياح

إذا سمعا هبوب الريح نضا

وقد أودى بها القدر المتاح

فلا في الليل نالت ماترجى

ولا في الصبح كان لها براح

وقال:

فان أك حالكا فالمسك أحوى

وما لسواد جسمي من دواء

ولى كرم عن الفحشاء ناء

كبعد الارض من جو السماء

ومثلي في رجالكم قليل

ومثلك ليس يعدم في النساء

فإن ترضى فردي قول راض

وإن تأبى فنحن على السواء

وقال:

غداً غربة النأي المفرق والبعد
بنا ثم يخلو الكاشحون بها بعدي
فتشمتهم بي أم تدوم على العهد

وحرمة ما بين البيئة والحجر
ولو كان في يوم المحلق والنحر

ألا ليت شعري ما الذي تجدين بي
لدي أم بكر حين تغترب النوى
أتصرمني عند الذين هم العدا

وقال:

ألام على ليلي ولو أستطيعها
لملت على ليلي بنفسي ميلاً

نصيب مولى المهدي

أصله عبد من بادية اليمامة عرض على المهدي وهو إذ ذاك ولي عهد فاستنشدته فأنشده فقال: والله ما هو بدون نصيب مولى بني مروان فاشتراه، ولما ولي الخلافة أرسله إلى اليمن في شراء أبل مهريّة وكتب إلى عامل اليمن أن يجعل له عشرين ألف دينار لذلك، فاخذ نصيب ينفق من المال والاكل والشرب واللهو وشراء الجوارى، فكتب بذلك إلى المهدي فامر بحمله اليه موثقاً بالحديد بعد أن حبس مدة باليمن، فلما ادخل على المهدي أنشده قصيدة طويلة يستعطفه بها أولها:

فأرق عيني والخليون هجع
بسلمى لظلت صمة تتصدع

تأوبني ثقل من القيد موجه
هموم توالى لو ألم يسيرها

ومنها:

سواك مجيراً منك ينجى ويمنع
سوى رحمة أعطاكها الله تشفع؟
فما عجزت عني وسائل أربع
على صالح الأخلاق والدين تطبع
وأنت ترى ما كان يأتي ويصنع
لطارت به في الجو نكباء زعزع
ولم تعترضه حين يكبو ويخنع
به عنق من طائش الجهل أشنع

إليك أمير المؤمنين ولم أجد
تلمست هل من شافع لي فلم أجد
لئن لم تسعني يابن عم محمد
طبعت عليها صيغة ثم لم تزل
تغاضيك عن ذي الذنب ترجو صلاحه
وعفوك عني لو تكون جزيته
وإنك لاتنفك تنعش عائراً
وحلمك عن ذي الجهل من بعدما جرى

وقال يمدح الفضل بن يحيى:

ونأئك بالهجران وهي قريب
تجزى الوداد بודהا وتثيب

طرقتك مية والمزار شطيب
لله مية خلة لوأنها

ومنها:

ظل وإذ غصن الشباب رطيب
إن الموكل بالصبا لطروب
واللون أسود حالك غريب
وطلابك البيض الحسان عجب

إذ للشباب عليك من ورق الصبا
طرب الفؤاد ولات حين تطرب
وتقول مية ما لمثلك والصبا
شاب الغراب وما أراك تشيب

ومنها في المديح:

أو باعدته السن فهو نجيب
لامتبع منا ولا محسوب
مامنكم إلا أغر وهوب
لجلاله إن الجلال مهيب

والبرمكي وإن تقارب سنه
خرق العطاء إذا استهل عطاؤه
يال برمك مارأينا مثلكم
وإذا بد الفضل بن يحيى هبته

ومنها:

في الشيم اذ بعض البروق خلوب
مما نؤمله فليس نخيب

شمنا لديك مخيلة لاخلياً
إنا على ثقة وظن صادق

النضر بن أبي النضر

أبو مالك التميمي، أعرابي من أهل البادية لغوي شاعر، وفد على الرشيد ومدحه وخدمه، وانقطع إلى الفضل امتدح الخلفاء والامراء وتقرب منهم، ومن شعره يرثي يزيد حوراء المدني المغني:

لم يمتع من الشباب يزيد
خانه دهره وقاله من
حين زفت إليه دنياه تجلى
فكان لم يكن يزيد ولم يش
صار في الترب وهو غض جديد
ه نحوس واستدبرته السعود
وتداني منها إليه البعيد
ج نديماً يهزه التغريد

النضر بن شميل بن خرشة

بن يزيد بن كلثوم التميمي المازني النحوي اللغوي الأديب، ولد بمرور ونشأ بالبصرة وأخذ عن الخليل بن أحمد، وأقام بالبادية زمناً طويلاً فأخذ عن فصحاء العرب كأبي خيرة الاعرابي وأبي الدقيش وغيرهما. وسمع من هشام بن عروة وحميد الطويل واسماعيل بن أبي خالد وعبد الله بن عون وهشام ابن حسان وغيرهم من صغار التابعين. وروى عنه يحيى بن معين وابن المديني، وهو ثقة حجة احتجوا به في الصحاح ولما ضاقت عليه الأسباب في البصرة عزم على الخروج إلى خراسان فشعه من أهل البصرة نحو ثلاثة آلاف من المحدثين والفقهاء واللغويين والنحاة والادباء فجلس لوداعهم بالمربد وقال: يا أهل البصرة، يعز علي والله فراقكم، ولو وجدت عندكم كل يوم كيلجة من الباقلاء ما فارقتكم، فلم يكن يهم واحد يتكلف له ذلك، فسار إلى مرو وأقام بها فائترى وأفاديهها مالا عظيماً، ذكر ذلك أبو عبيدة في كتاب المثالب، وكان النضر من أهل السنة وهو أول من أظهرها بخراسان ومرو، وولى القضاء بمرور فأقام العدل وحمدت سيرته، وكان متقللاً متقشفاً.

قال الزبير بن بكار: حدثنني النضر بن شميل قال: دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمرور وعلى أطمار متر عبلة فقال: يانضر، تدخل على أمير المؤمنين في مثل هذه الثياب؟ فقلت: ان حر مرو شديد لا يدفع الا بمثل هذه الاخلاق.

قال: بل أنت رجل متقشف، ثم تجارينا الحديث فاجرى ذكر النساء وقال: حدثني هشيم بن بشير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز)، ففتح السنين من سداد، فقلت صدقك يا أمير المؤمنين، وحدثني عوف بن أبي جميلة الاعرابي عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز)، وكسرت السنين قال: وكان المأمون متكئاً فاستوى جالساً وقال: السداد لحن عندك يا نضر؟ قلت نعم ههنا يا أمير المؤمنين. قال: أوتلحنني؟ قلت: إنما لحن هشيم وكان لحناً فتبع أمير المؤمنين لفظه فقال: ما الفرق بينهما؟ قلت: السداد: القصد في الدين والطريقة والأمر، والسداد: أبلغه وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد، وقد قال العرجي:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا
أضاعوني وأي فتى أضاعوا
قال: فأطرق المأمون ملياً ثم قال: قبح الله ما لا أدب له ثم قال: أنشدني يا نضر أخلب بيت للعرب، قلت قول حمزة بن بيض:
أقم علينا يوماً ولم أقم
لأي وجه إلا إلى الحكم
هذا ابن بيض بالباب بيتسم
هاك اوحد ذاك وأعطني سلمي
قد كنت أسلمت فيك مقتبلاً

فقال المأمون لله درك، كأنما شق لك عن قلبي، فأنشدني أنصف بيت للعرب، قلت: قول أبي عروة المدني:

إني وإن كان ابن عمي غائباً
ومفيده نصري وإن كان أمراً
وأكون والي سره وأصونه
وإذا رعا باسمي ليركب مركباً
وإذا ارتدى ثوباً جميلاً لم أقل
فقال احسنت يانضر، انشدني اقنع بيت قالته العرب، قلت: قول ابن عبد الاسدي:

لمزاحم من خلفه وورائه
متزعزعا في أرضه وسمائه
حتى يجيء علي وقت أدائه
صعباً قعدت له على سيسائه
باليث كان على حسن رداؤه

إنني امرؤ لم أزل وذاك من ال
أقيم بالدار ما أطمأنت بي الد
لأحتوي خلة الصديق ولا
أطلب ما يطلب الكريم من الر
إنني رأيت الفتى الكريم إذا
والعبد لا يطلب العلاء ولا
مثل الحمار سوء المخاتل لا
قد يرزق الخافض المقيم ولا
ويحرم الرزق ذو المطية والر

له قديماً أعلم الأدبا
دار وإن كنت نازحاً طرباً
أتبع نفسي شيئاً إذا ذهب
رزق بنفسه وأجمل الطلب
رغبته في صنعة رغبا
يعطيك شيئاً إلا إذا رهبا
يحمل شيئاً إلا إذا ضربا
شد لعيس رحلاً ولا قتباً
رحل ومن لا يزال مغترباً

فقال أحسنت يانضر، ثم أخذ القرطاس وأنا لا أدري ما يكتب ثم قال: كيف تقول إذا أمرت من يترب الكتاب؟ قلت اتربه، قال فهو ماذا؟ قلت فهو مترب، قال فمن الطين؟ قلت طنه، قال فهو ماذا؟ قلت فهو مطين، قال: هذه احسن من الاولى، ثم قال يا غلام، ارتبه وطنه وابلغ معه إلى الفضل ابن سهل. قال: فلما قرأ الكتاب الفضل قال يانضر: ان أمير المؤمنين امر لك بخمسين الف درهم، فما كان السبب؟ فآخبرته الخبر فقال: لحت أمير المؤمنين، قلت كلا، انما لحن هشيم بن بشير وكان لحانا فتبع أمير المؤمنين لفظه، فامر لي الفضل بثلاثين الف درهم، فاخذت ثمانين الفا درهم بحرف استفيد مني. توفي النضر بن شميل في ذي الحجة سنة اربع ومائتين. وله من التصانيف: كتاب الصفات في اللغة خمسة اجزاء، والمدخل إلى كتاب العين، وكتاب غريب الحديث، وكتاب المعاني، وكتاب السلاح، وكتاب المصادر، وكتاب الانواء، وكتاب خلق الفرس، وكتاب الجيم، وكتاب الشمس والقمر وغير ذلك.

نهشل بن يزيد

ابو خيرة الاعرابي البصري، بدوي من بني عدي، دخل الحضرة وصنف كتاب الحشرات ذكره في الفهرست.

باب الواو

واصل بن عطاء

ابو حذيفة الغزال مولى بني ضبة، كان متكلماً بليغاً ديباً متقناً خطيباً، ولقب بالغزال لكثرة جلوسه في سوق الغزالين إلى أبي عبد الله مولى قطن الهلالي، وكان بشار بن برد قبل ان يدين بالرجعة ويكفر جميع الامة كثير المديح لواصل بن عطاء، وفضله في الخطابة على خالد بن صفوان وشبيب بن شبة والفضل بن عيسى يوم خطبوا عند عبد الله ابن عمر بن عبد العزيز والى العراق فقال في ذلك

أبا حذيفة قد أوتيت معجزة

وإن قولاً يروق الخافقين معاً

وقال في ذلك أيضاً:

تكلفوا القول والاقوام قد حفلوا

فقام مرتجلاً تغلى بداهته

وجانب الرء لم يشعر به أحد

قوله وجانب الرء اشارة إلى لثغة واصل، وكان واصل اللثغة في الرء، فكان يخلص كلامه من الرء ولا يفتن لذلك السامع لاقتداره على الكلام وسهولة الفاظه، وفي ذلك يقول أبو الطروق الضبي:

لكل خطيب يغلب الحق باطله

عليه بإبدال الحروف وقامع

ولما قال بشار بالرجعة وتتابع على واصل ما يشهد بالحداه قال واصل: اما لهذا الاعمى الملحد، اما لهذا المشنف المكنى بابي معاذ من يقتله، اما والله لولا ان الغيلة سجية من سجايا الغالية لدستت اليه من بيعج بطنه في جوف منزله او في حقله، ثم لا يتولى ذلك الا عقيلي او سدوسي، فقال أبو معاذ ولمي يقل بشار، وقال: المشنف ولم يقل المرعث وكان بشار ينيز بالمرعث.

وقال: من سجايا الغالية ولم يقل الرافضة. وقال: في منزله ولم يقل في داره. وقال: يبيع ولم يقل يبيع كل ذلك تخلصاً من الراء، ولما بلغ بشاراً انكار واصل عليه وانه يهتف به قال يهجو:

مالي أشايح غزالاً له عنق
عنق الزرافة مابالي وبالكم
كنقق الدو إن ولي وإن مثلاً
أتكفرون رجالاً أكفروا رجالاً؟

وكان واصل في أول امره يجلس إلى الحسن البصري، فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكبي الكبائر، وقال الجماعة بإيمانهم خرج واصل عن الفريقين، وقال بمنزلة بين المنزلتين، فطرده الحسن عن مجلسه فاعزل عنه وتبعه عمرو بن عبيد، ومن ثم سموا وجماعتهم المعتزلة، ومما قيل في لثغته بالراء قول بعضهم:

ويجعل البر قمحاً في تصرفه
ولم يطق مطراً في القول يجهله
وخالف الراء حتى احتال للشعر
فعاذ بالغيث إشفاقاً من المطر

وقال قطرب: سألت عثمان البري كيف كان يصنع واصل بالعدد عشرة وعشرين وأربعين، وبالقمر وبالبدر ويوم الأربعاء والمحرم وصفر، وربيع الأول والآخر وجمادى الآخرة: مالي فيه إلا قول صفوان بن ادريس:

ملقن ملهم فيما يحاوله
جم خواطره جواب آفاق

ولو اوصل بن عطاء خطب وحكم من الكلام ومناظرات ورسائل واخبار يطول ذكرها، وله شعر اجاد فيه ومنه:

تحامق مع الحمقى إذا مالقيتهم
فإن الفتى ذا العقل يشقى بعقله
ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل
كما كان قبل اليوم يشقى ذوو الجهل

وله من التصانيف: معاني القرآن، وكتاب التوبة، وكتاب الخطب في الوحيد، وكتاب المنزلة بين المنزلتين، وكتاب السبيل إلى معرفة الحق، وكتاب ماجرى بينه وبين عمر وبن عبيد، وكتاب اصناف المرجئة، وكتاب خطبة التي اخرج منها الراء، وطبقات أهل العلم والجهل وغير ذلك. ولد واصل بالمدينة سنة ثمانين، وتوفي سنة احدى وثلاثين ومائة.

وثيمة بن موسى الفرات

ابو زيد الفارس الفسوي الوشاء، المحدث الأديب الاخباري، كان يتجر في الوشي وهو نوع من الثياب المنسوجة من الابرسم، حدث عن سلمة بن فضل عن ابن سمعان عن الزهري باحاديث موضوعة، وله عن مالك حديث منكر، وسمع منه أحمد بن ابراهيم بن ملحان، وحدث عنه ابنه أبو رفاعة عمارة بن وثيمة، وسافر وثيمة في أول امره من بلده إلى البصرة، ثم إلى مصر ومنها إلى الاندلس، ثم عاد إلى مصر وبها مات يوم الاثنين لعشر خلون من جمادى الاولى سنة سبع وثلاثين ومائتين، وصنف كتاب اخبار الردة ذكر فيه القابائل التي ارتدت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وسرايا أبي بكر التي سيرها لقتالهم وما جرى بينهم ومن رجع منهم إلى الاسلام، واخبار خالد ابن الوليد مع مالك بن نويرة وقتله له، ومرائي متمم بن نويرة في اخيه وغير ذلك.

الوليد بن عبيد الله بن يحيى بن عبيد

ابن شلال بن جابر بن مسلمة بن مسهر بن الحارث بن جشم بن أبي حارثة بن جدي بن بدولين بحتز، أبو عبادة وابو الحسن والاول اشهر، البحراني الطائي الشاعر المشهور، كان فاضلاً أديباً فصيحاً بليغاً شاعراً مجيداً، وكان بعض أهل عصره يقدمونه على أبي تمام بادئ الرأي ويختمون به الشعراء، وروى عنه شعره أبو العباس المبرد وابن المرزبان محمد بن خلف وابو بكر الصولي والمحاملي أبو عبد الله. ولد بمنج من اعمال حلب وبها نشأ وتنبل وقال الشعر، ثم صار إلى أبي تمام وهو بحمص فعرض عليه شعره وكان يجلس للشعراء فيعرضون عليه اشعارهم، فلما سمع أبو تمام شعره اقبل عليه وقال له: انت اشعر من انشدني. وللبحتري تصرف حسن في ضروب الشعر سوى الهجاء فانه لم يحسنه، واجود شعره ماكان في الاوصاف، وكان يتشبه بابي تمام في شعره ويحذو حذوه، وينحو نحوه في البديع الذي كان أبو تمام يستعمله ويراه اماماً ويقدمه على نفسه ويقول في الفرق بينهما قول منصف: ان جيد أبيتمام خير من جيدي، ورديني خير من رديئه.

وقال له الحسين بن اسحاق يوماً: ان الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام فقال: والله ما ينفعني هذا أقول ولا يضر أبا تمام، والله ما أكلت الخبز إلا به، ولوددت أن الأمر كما قالوا، ولكن والله تابع له لأنذ به، نسيمي يركد عند هوائه، وأرضي تنخفض عند سمائه.

وحدث محمد بن علي الأنباري قال: سمعت البحتري يقول: أنشدني أبو تمام يوماً لنفسه:
وسابح هطل بالشعر هتان
على الجراء أمين غير خوان
فلو تراه مشيحاً والحصى زيم
بين السنايك من مثني ووحدان
أيقنت أن تتثبت أن حافره
من صخر تدمر أو من وجه عثمان
ثم قال لي: ماهذا الشعر؟ قلت لا أدري، قال هو الاستطراد قلت وما معنى ذلك؟ قال: يريك انه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان.

قال المؤلف الفقير: وهذا هو الذبكره علماء البديع في تعريف الاستطراد، وقد نحا البحتري نحو أبي تمام فوصف فرسا واستطرد إلى هجو حمدويه الأحول فقال:

ما إن يعاف قذى ولو أوردته يوماً خلائق حمدويه الأحول
وهو من قصيدة امتدح بها محمد بن علي القمي، وكان حمدويه عدواً له فهجاه في عرض مدحه لمحمد القمي، وكانت ولادة البحتري سنة ست ومائتين، وتوفي بمنيج بمرض السكتة سنة أربع وثمانين ومائتين، وله كتاب الحماسة على مثال حماسة ابن تمام، وكتاب معاني الشعر، وديوان مجلدين جمعة أبو بكر الصولي ورتبه على الحروف، وجمهه أيضاً على بن حمرة الأصبهاني الأخباري ورتبه على الأنواع كما صنع بشعر أبي تمام. ومن غير شعره في المديح قصيدته الرائية التي مدح بها المتوكل على الله يهنئه بعيد الفطر ويذكر خروجه في الصلاة قال:

الله مكن للخليفة جعفر
نعمى من الله اصطفاه بفضلها
ملكاً يجمله الخليفة جعفر
والله يرزق من يشاء ويقدر

ومنها:

بالبرصمت وأنت أفضل صائم
فانعم بيوم الفطر عيناً إنه
أظهرت عز الملك فيه بجحفل
خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت
والخيل تصهل والفوارس تدعى

ومنها:

حتى طلعت بضوء وجهك فانجلي
وافتن فيك الناظرون فأصبع
يجدون رؤيتك التي فازوا بها
ذكروا بطلعتك النبي فهللوا
حتى انتهيت إلى المصلى لابساً
ومشيت مشية خاشع متواضع
فلو أن مشتاقاً تكلف فوق ما

وله من قصيدة يمدح بها علي بن مر:

لم يبق من جل هذا الناس باقية
جهل وبخل وحسب المرء واحدة
إذا محاسني اللاتي أدل بها
أهز بالشعر أقواماً ذوي وسن
علي نحت القوافي من مقاطعها

ومنها في المديح:

لولا علي بن مر لاستمر بنا
خلف من العيش فيه الصاب والصبر

عذنا بأروع أقصى نيله كئيب
ألح جودا ولم تضرر سحائبه
مواهب ما تجشمننا السؤال لها
ومن غرر شعره في الاوصاف قوله يصف ايوان كسرى:

حضرت رحلي الهموم فوجه
أتسلى عن الخطوب وأسى
ذكرتنيهم الخطوب التوالي
وهم خافضون في ظل عال
مغلق بابه على جبل القب
نقل الدهر عهدهن عن الجد
فكان الجرماز من عدم الآن
لو تراه علمت أن الليالي
وهو ينبيك عن عجائب قوم
فإذا ما رأيت صورة انطا
والمنايا موائل وأنوشر
في اخضرار من اللباس على أص
وعراك الرجال بين يديه
من مشيح يهوى بعامل رمح
تصف العين أنهم جد أحيا
يغتلي فيهم ارتياحي حتى
قد سقاني ولم يصرد أبو الغو
من مدام تخالها ضوء نجم
وتراها إذا أجدت سروراً
أفرغت في الزجاج من كل قلب
حلم مطبق على الشك عيني؟
وكان الإيوان من عجب الصن
يتظنى من الكآبة أن يب
مزعجاً بالفراق عن أنس ألف
عكست حظه الليالي وبات ال
فهو يبدي تجلداً وعليه
لم يعبه أن بز من بسط الدي
مشخر تعلو له شرفات
لابسات من البياض فما تب
ليس يدري أصنع أنس لجن
غير أنني أراه يشهد أن لم
وكانى أرى المواكب والقو
وكان الوفود ضاحين حسري
وكان القيان وسط المقاصي

على العفاة وأدنى سعيه سفر
وربما ضر في إلحاحه المطر
إن الغمام قليب ليس يحتقر
ت إلى أبيض المدائن عنسي
لمحل من آل ساسان درس
ولقد تذكر الخطوب وتنسى
مشرف يحسر العيون ويخسى
ق إلى دارتي خلاط ومكس
دة حتى غدون أنضاء لبس
س وإخلاله بنية رمس
جعلت فيه مأتماً بعد عرس
لايشاب البياض فيه بلبس
كية ارتعت بين روم وفرس
وان يزجى الصفوف تحت الدرس
فر يختال في صبيغة ورس
في خفوت منهم وإغماض جرس
ومليح من السنان بترس
ء لهم بينهم إشارة خرس
تتقراهم يداي بلمس
ث على العسكرين شربة خلص
نور الليل أو مجاجة شمس
وارتياحاً للشارب المتحسي
فهي محبوبة إلى كل نفس
أم أمان غير ظني وحدسي؟
عة جون في جنب أر عن جلس
دو لعيني مصبح أو ممس
عز أو مرهقاً بتطليق عرس
مشتري فيه وهو كوب نحس
كلكل من كلاكل الدهر مرسى
باج واستل من ستور الدمقس
رفعت في رء وس رضوى وقس
صر منها إلا غلائل برس
صنعوه أم صنع جن لأنس؟
يك بانيه في الملوك بنكس
م إذا مابلغت آخر حسى
من وقوف خلف الزحام وخنس
ر يرجعن بين حور ولعس

وكان اللقاء أول من أم
وكان الذي يريد اتباعاً
عمرت للسرور دهرأ فصارت
فلها أن أعينها بدموع
ذاك عندي وليست الدار داري
غير نعلي لأهلها عند أهلي
أبدوا ملكنا وشدوا قواه
وأعانوا على كتائب أربا
وأراني من بعد أكلف بالأشرا

س ووشك الفراق أول أمس
طامع في لقائهم بعد خمس
للتعزي ربوهم والتأسي
موقوفات على الصبابة حبس
باقتراي منها ولا الجنس جنسي
غرسوا أعلى رباطها خير غرس
بكما تحت الستور وحمس
ط بطعن على النحور ودعس
ف طراً من كل سنخ وأس

وهب بن منبه

أبو عبد الله اليماني الأخباري صاحب القصص، كان من خيار التابعين ثقة صدوقاً، كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالاسرائيليات. قال ابن قتيبة: كان وهب بن منبه يقول: قرأت من كتب الله تعالى اثنتين وسبعين كتاباً. صنف كتاب القدر ثم ندم على تصنيفه.

حدث سفيان بن عيينه عن عمرو بن دينار قال: دخلت علي وهب بن منبه داره بصنعاء فأطعمني من جوزة في داره فقلت له: وددت أنك لم تكن كتبت في القدر كتباً فقال: وأنا والله وددت ذلك.

وروى حماد بن سلمة عن أبي سنان قال: سمعت وهب بن منبه يقول: كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتاباً كانت كتب الانبياء في كلها من جعل لنفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر فتركت قولي. ولو هب أيضاً: كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وغير ذلك. ومن كلامه: العلم خليل المؤمن والحلم وزيره، والعقل دليله والصبر جنوده، والرفق أبوه واللين أخوه. مات وهب وهو على قضاء صنعاء سنة أربع عشرة ومائة، وقيل سنة عشر والأول أصح.

وهب بن وهب بن كثير

ابن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب القاضي أبو البخترى القرشي الأسدي المدني، كان فقيهاً أخبارياً نسباً لكنه متهم في الحديث، وكان جواداً ممدحاً يحب المدح ويثيب عليه، روى عن هشام بن عروة وجعفر بن محمد وعبيد الله بن عمر.

وروى عنه الربع بن ثعلب والمسيب بن واضح ورجاء ابن سهل وجماعة، وسكن بغداد وولي قضاء عسكر المهدي ثم ولي حربها وصلاتها، توفي في بغداد سنة مائتين، وله من الكتب: كتاب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، وكتاب فضائل الانصار، وكتاب الفضائل الكبير، وكتاب نسب ولد اسماعيل، وكتاب طسم وجديس،

باب الهاء

هارون بن الحانك

النحوي الضرير من أعيان أصحاب ثعلب وكان معدوداً من طبقته، أصله يهودي من الحيرة، وكان الوزير عبيد الله ابن سليمان أرسل إلى ثعلب ليختلف إلى ولده القاسم فأبى واعتذر بالشيخوخة والضعف فقال له: أنفذ إلى من ترتضيه من أصحابك، فأنفذ إليه هارون الضرير، فاستحضر الوزير عبيد الله أبا إسحاق الزجاج وجمع بينه وبين هارون فسأله الزجاج: كيف تقول ضربت زيدا ضرباً، فقال: ضربت زيدا ضرباً، فقال: كيف تكني عن زيد والضرب فافحم ولم يجب، وحار في يده وانقطع انقطاعاً قبيحاً، فصرفه الوزير واختار الزجاج لتأديب ولده، فكان ذلك سبب منية هارون، وما كان هارون ممن يذهب عليه هذا، فان

جواب المسألة ضربته إياه، ذكر ذلك أبو بكر الزبيدي في الطبقات، ولهارون من التصانيف: كتاب العلال في النحو، كتاب الغريب الهاشمي، وقيل الغريب الهاشمي لثعلب.

هارون بن زكريا الهجري

أبو علي النحوي صاحب كتاب النوادر المفيدة، روي عنه ثابت بن حزم السرقسطي وغيره، ولا أعلم من أمره غير هذا.

هارون بن علي بن يحيى

بن أبي منصور المنجم البغدادي أبو عبد الله، كان أديباً شاعراً رواية نديماً ظريفاً، وهو أحد بني المنجم المشهورين بالأدب والفضل المنقطعين إلى الخلفاء لمنادمتهم والمقيمين عندهم، وكان هارون هذا من أكملهم أدباً. وصنف كتاب أخبار النساء، وكتاب أخبار الشعراء المولدين أورد فيه ما اختاره من شعرهم وسماه بالبارع، قال في مقدمته: عملت كتابي هذا في أخبار الشعراء المولدين ذكرت فيه ما اخترته من أشعارهم، وتحريت في ذلك الاختيار أقصى ما بلغته معرفتي وانتهى إليه علمي، والعلماء يقولون: يدل على العاقل اختياره، وقالوا: اختيار الرجل من وفود عقله ثم ذكر أنه اختصره من كتاب مطول ألفه قبله، ذكر في هذا الكتاب نيفاً ومائة وستين شاعراً، وافتتحه بذكر بشار بن برد، وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح. توفي هارون بن علي سنة ثمان وثمانين ومائتين.

هارون بن موسى بن شريك

القارئ النحوي الدمشقي أبو عبد الله، يعرف بالأخفش وهو آخر الأخافشة، ولد سنة إحدى ومائتين، وقرأ بقراءات كثيرة وروايات غريبة، وكان قيمياً بالقراءات السبع، عارفاً بالتفسير والنحو والمعاني والغريب والشعر حسن الصوت والأداء، وعنه أخذت قراءة أهل الشام وبضبطه اشتهرت، قرأ علي عبد الله بن ذكوان وغيره. وعليه أبو الحسن بن الأخرم. وحدث عن أبي مسهر الغساني، وعنه أبو بكر بن فطيس. وكان فاضلاً أديباً صنف كتباً في القراءات والعربية. مات سنة إحدى وتسعين ومائتين وقيل في السنة التي بعدها.

هارون بن أحمد بن عبد الواحد

بن هاشم ابن محمد بن هاشم بن علي بن هاشم الحلبي الأسدي الخطيب، أصل آله من الرقة وانتقلوا إلى حلب، وكان حسن القراءة والعبادة والزهد، صنف كتاب اللحن الخفي، وكتاب أفراد أبي عمرو بن العلاء وغير ذلك. وولى خطابة حلب، ولما خطب اعتنقه أبو عبد الله بن القيسراني الشاعر وقال له:

شرح المنبر صدرا
اترى ضم خطيبا
لتلقيك رحيبا
منك أم ضمخ طيبا؟
ولد سنة ست وستين وأربعمائة ومات في جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وخمسمائة.

هبة الله بن حامد بن أحمد

ابن أيوب بن علي بن أيوب أبو منصور، يعرف بعميد الرؤساء، أديب فاضل نحوي لغوي شاعر، شيخ وقته ومتصدر بلده، أخذ عنه أهل تلك البلاد الأدب، وأخذ هو عن أبي الحسن علي بن عبد الرحيم الرقي المعروف بابن العصار وغيره. وله نظم ونثر وكان يلقب بوجه الدويبة، وسمع المقامات من ابن النقور وروى عنه. مات سنة عشرة وستمائة.

هبة الله القاضي السعيد

ابن القاضي الرشيد جعفر بن سنا الملك محمد بن هبة الله ابن محمد السعدي المصري المعروف بابن سنا الملك، أحد أبناء العصر وشعرائه المجيدين، ذاع صيته وسار ذكره. أخذ عن الحافظ أبي الطاهر أحمد بن سلفة واتصل بالقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني فكانت له منزلة عنده، وكان في خدمته بدمشق سنة إحدى وسبعين وخمسمائة. ثم عاد إلى القاهرة وكان بينه وبين الفاضل ترسل ومدحه بعدة قصائد وصنف كتاب روح الحيوان لخص فيه كتاب الحيوان للجاحظ، وله ديوان موشحات

سماه دار الطراز، وديوان شعر، وديوان رسائل. مات يوم الأربعاء رابع شهر رمضان سنة ثمان وستمئة بالقاهرة، ومن شعره قوله يمدح الملك المعظم توران شاه واجاد ماشاء:

تقنعت لكن بالحبيب المعمم
وباتت يدي في طاعة الحب والهوى
وأثريت من دينار خد ملكته
يزيد احمراراً كلما زدت صفرةً
توقد ذاك الخد واخضر نضرةً

ومنها:

سعدت ببدر برجه برج عقرب
وأقسم ماوجه الصباح إذا بدا
ولا سيما لما مررت بمنزل
وما بان لي إلا بعود أراكة
ولا عجباً إن مت فيه صبايةً
بنفسي من قبلته ورشفته
فجردت قلبي من مخيط همومه

ومنها:

ولم ير طرفي قط شملاً مبدداً
تبسم ذاك الطرف عن ثغر دمه
ولم يسئل قلبي أو فمي عن غزالة
هذا والله السحر الحلال، والسهل الممتنع الذي لا ينال، ومن شعره أيضاً قوله يمدح القاضي الفاضل عبد الرحيم:
عادني من هوى الأحبة عيد
ونحرت الجفون من بعد أن أش
كلف عاد بعد شيبتي وليداً
فغرامي بالبدر كالبدر لكن
بأبي من أبي مرادي لمثل الد
صد عطفاً وصاد طرفاً فما ين
كيف خلدت في جهنم ذا الص

ومنها في المديح:

لي من راحتيه جنة مأوى
أنا عبد وخدمتي مدح مول
هو قاض لابل أمير إذا شئ
وفقيه النوال يلقى على الخل
اوسعوا جوده ملاماً وتقني
رددوا عدلهم فرد عليهم

ومن شعره الذي سارت به الركبان قصيدته الحماسية الغزلية وهي:

سواي يخاف الدهر أو يهرب الردى
ولكنني لا اهرب الدهر إن سطا
ولو مد نحوي حادث الدهر طرفه
توقد عزم يترك الماء جمرهً
وله بالثناء مني خلود
نجح القصد عنده والقصيد
ت لديه من المعالي جنود
ق عطاياه والغمام معيد
داً فضاغ الملام والتقني
كل شيء مردود

وغيري يهوى أن يكون مخلداً
ولأحذر الموت الزؤام إذا عدا
لحدت نفسي أن أمد له يدا
وحلية حلم تترك السيف مبرداً

أرى كل عار من حلي سوددي سدى
ولو كان لي نهر المجرة موردا
رأيت الهدى أن لا أميل إلا إلى الهدى
وبي بل بفضلتي أصبح الدهر أمردا
على الكره من أن أرى لك سيدي
ولي همة لا ترتضي الأفق مقعدا
لخرت جميعاً نحو وجهي سجدا
فما ضرني ألا أهز المهندا
فإن صليل المشرفي له صدا

أقام عذولي بالملام وأقعدا
فليت عذولي كان بالصمت مسعدا
فيا ليتني كنت العذول المفندا
فقلت: وإني ما وجدت بها هدى

والقصيدة طويلة كل بيت منها فريدة في عقد، وشعره كثير وأكثره جيد.

هبة الله بن الحسن

ابو الحسن المعروف بالحاجب ذكره الكمال بن الأنباري في طبقات النحويين، وكان من أفضل أهل الأدب شاعر مليح الشعر، فمن شعره:

يا ليلة سلك الزما
إذ أرتقى درج المسر
والبدر قد فضح الظلا
وكانما زهر النجو
والغيم أحيانا يمو
وكان نشر المسك ين
والنور يبسم في الريا
شارطت نفسي أن أقو
حتى تولى الليل من
ويح الفتى لو أنه
والمرء يحسب عمره

ن بطيبتها في كل مسلك
رة مدركاً ماليس يدرك
م فستره عنه مهتك
م بلمعها شعل تحرك
ج كأنه ثوب ممسك
فح في النسيم إذا تحرك
ض فإن نظرت إليه سرك
م بحقها والشرط أملك
هزماً وجاء الصبح يضحك
في ظل طيب العيش يترك
فإذا أتاه الشيب فذلك

مات هبة الله الحاجب فجأة في آخر شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة في بغداد في خلافة القائم بأمر الله ابن القادر بالله.

هبة الله بن الحسين

ابو بكر بن العلاف الشيرازي، كان من أفراد الزمان في عصره في أنواع العلوم، نحويًا إمامًا شاعرًا فاضلاً بارعاً، ورد خراسان وما وراء النهر، وسمع حماد بن مدرك وغيره، وسمع منه الحافظ أبو عبد الله بن الحاكم وذكره في ذلك:

إلام و فيم يظلمني شبابي
و أمل شعرة بيضاء تبدو

ويلبس لمتي حلك الغراب؟
بدو البدر في خلل السحاب

و أدعى الشيخ ممتلئاً شباباً
فيا مللي هنالك من مشيبي

كذي ظما يعلل بالسراب
ويا خجلي هنالك من شبابي

هبة الله بن الحسين بن أحمد البغدادي

عرف بالبديع الأسطرابي، كان أديباً فاضلاً شاعراً بارعاً حكيماً عارفاً بالطب والرياضة والهيئة والنجوم والرصد والزيج، متقناً علم الآلات الفلكية ولاسيما الأسطراب فنسب إليه، وحصل له مال جزيل من عمله ولم يخلفه في صناعته مثله، وقد أقام على صحة ما يعمل من الآلات الحجج الهندسية، وبرهن عليها بالقوانين الإقليدية، وأتى فيها باختراعات أغفلها المتقدمون، فزاد في الكرة ذات المرسى وكمل نقصها الذي مرت عليه الأعوام، وأكمل نقص الآلات الشاملة التي وضعها الخجندي وجعلها لعرض واحد وأقام الدليل على أنه لا يمكن أن تكون لعروض متعددة، فلما وصلت إلى البديع تأملها واهتدى إلى طريق لعملها لعروض متعددة، واختبر مازاد فيها بالقواعد الهندسية فصح عمله، وحمل ما صنع منها إلى الأكابر والأجلاء من أهل هذا الفن فتلقوها بالقبول، وله في عمل الأسطراب والركار والمساطر وغيرها من الآلات اليد الطولى، وقد صار ما صنعه من ذلك من الذخائر التي يتغالى بها أهلها وعانى عمل الطلاسم ورصد لها ما يوافقها من الأوقات السعيدة، وحملها إلى الملوك والأمراء والوزراء فجربوها فصحت، وحصل له منها ومن سائر صنائعه أموال جمّة، وصنف رسالة في الآلات الشاملة التي كملها، ورسالة في الكرة ذات الكرسي، واختار ديوان ابن الحجاج وسماه درة التاج من شعر ابن الحجاج، رتبته على واحد وأربعين ومائة باب جعل كل باب في فن من فنون شعره، وله ديوان شعر دونه وجمعه بنفسه، مات ببغداد بعلة الفالج سنة أربع وثلاثين ومائة، ومن شعره الرائق الفائق قوله:

وذو هيئة يزهو بخال مهندس
محيط بأوصاف الملاحه وجهه
فعارضه خط استواء وخاله

أموت به في كل وقت وأبعث
كأن به إيدسا يتحدث
به نقطة والحد شكل مثلث

وقال:

أذاقني حمرة المنايا
وقد تبدى السواد فيه

لما اكتسى خضرة العذار
وكرتني بعد في العيار

وقال:

قام إلى الشمس بآلاته
فقلت أين الشمس قال الفتى

لينظر السعد من النحس
في الثور قلت الثور في الشمس

وقال:

يا صدور الزمان ليس بوفر
إنما عم ظلمكم سائر الأثر

مارأيناه في نواحي العراق
ض فشابت ذوائب الآفاق

الوفر: الثلج بلغة أهل العراق، قال ذلك في عام نزل فيه ببغداد ثلج كثير وقال:

أهدي لمجلسك الشريف وإنما
كالبجر يطره السحاب وماله

أهدي له محزرت من نعمائه
فضل عليه لأنه من مائه

هبة الله بن سلامة بن نصر

بن علي ابو القاسم الضرير المقرئ المفسر النحوي البغدادي، كان من أحفظ الناس لتفسير القرآن والنحو والعربية، وكانت له حلقة في جامع المنصور ببغداد، سمع من أبيبكر بن مالك القطيعي وغيره. وقرأ عليه أبو الحسن علي بن القابس الطابثي، وصنف كتاب الناسخ والمنسوخ، والمسائل المنثورة في النحو والتفسير. وأبو محمد رزق الله ابن عبد الوهاب التميمي المحدث هو ابن بنت هذا. مات هبة الله في رجب سنة عشر وأربعمائة.

- هبة الله بن صاعد

بن هبة الله بن ابراهيم بن علي موفق الملك أمين الدولة، أبو الحسن بن أبي العلاء المعروف بابن التلميذ البغدادي الطبيب الحكيم الأديب، كان واحد عصره في صناعة الطب متقننا في علوم كثيرة، حكيماً أديباً شاعراً مجيداً، وكان يكتب خطاً منسوباً في نهاية الحسن، وكان عارفاً بالفارسية واليونانية والسريانية متضلعا بالعربية، وله النظم الرائق والنثر الفائق، ونثره أجود من شعره، وكان ساعور اليمارستان العضدي تولاه إلى أن توفي، وكان حاذقا في المباشرة والمعالجة موقفاً في صناعته، خدم الخلفاء من بني العباس وتقدم عندهم وعلت مكانته لديهم وعمر طويلاً، نبه الذكر جليل القدر معروف المكانة. وكان مقدم الناصري في بغداد ورأسهم ورئيسهم وقسيسهم، وكان حسن العشرة كريم الأخلاق ذا مروءة وسخاء، حلو الشرائط كثير النادرة، وكان يميل إلى صناعة الموسيقى ويقرب أهلها، وكانت دار القوارير ببغداد من اقطاعاته، فلما ولي يحيى بن هبيرة الوزارة حلها وأخذها منه فحضر ابن التلميذ يوماً عند الخليفة المقتفي على عادته، فلما أراد الانصراف عجز عن القيام وكان قد ضعف من الكبر، فقال المقتفي: كبرت يا حكيم. قال نعم كبرت وتكسرت قواريري، وهذا مثل يتماجن به أهل بغداد. فقال الخليفة: رجل عمر في خدمتنا وما تماجن قط بحضرتنا فلماذا التماجن سر، ثم فكر ساعة وسأل عن دار القوارير فقيل له: قد حلها الوزير وأخذها منه، فأنكر عليه المقتفي أخذها إنكاراً شديداً، وردّها على ابن التلميذ وزاده إقطاعاً آخر، وكان ابن التلميذ هو أوحّد الزمان أبو البركات هبة الله المعروف بابن ملكا في خدمة المستضيء بأمر الله، كان بينهما شتآن وعداوة، فأراد أوحّد الزمان أن يوقع ابن التلميذ في تهلكة فكتب رقعة يذكر فيها عن ابن التلميذ عظام لا تصدر عن مثله، ووهب لبعض خدم القصر مالا ورغب إليه أن يلقي الرقعة في مجلس من مجالس الخليفة ففعل. فلما أخذ الخليفة الرقعة وقرأها هم أن يوقع بأمين الدولة، فأشير عليه أن يتنصر ويستقصي عن ذلك فأخذ يقرر من يتهمه من الخدم عن الرقعة، فظهر الأمر وعلم أن ذلك تدبير أوحّد الزمان لإهلاك ابن التلميذ، فغضب وأباح أمين الدولة ابن التلميذ دم أوحّد الزمان وماله وكتبه، فكان من كرم أخلاق أمين الدولة أنه لم يتعرض له بسوء وصف عنه غير أنه قال:

لنا صديق يهودي حماقته إذا تكلم تبدو فيه من فيه

يتيه والكلب أعلى منه منزلة كأنه بعد لم يخرج من التيه

وصنف ابن التلميذ حاشية على القانون لابن سينا، حاشية على المنهاج لابن جزلة، حاشية على كتاب المائة للمسيحي، شرح مسائل حنين بن إسحاق، شرح أحاديث نبوية تشتمل على مسائل طبية، مختصر الحاوي لأبي بكر الرازي، تنمة جوامع الإسكندرانيين لكتاب حيلة البرء، مختصر تفسيرتقدمة المعرفة لأبقراط، تفسير جالينوس، مختصر تفسير فصول أبقراط الجالينوس، مختصر كتاب الأشربة لمسكويه، مختار كتاب أبدال الأدوية لجالينوس، مختار كتاب المائة للمسيحي، الكناش في الطب، المقالة الأمينية في الأدوية البمارستانية، مقالة في الفصد، الأقراباذين الكبير، الأقراباذين الصغير، ديوان رسائل مجلد ضخم، ديوان شعر مجلد صغير وغير ذلك.

مات في اليوم الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة ستين وخمسمائة وله أربع وتسعون سنة، وخلف مالا عظيماً ومتاعاً حسناً كثيراً وكتباً كثيرة لانظير لها، ومن نثر أمين الدولة ماكتبه إلى ولده رضي الدولة أبينصر من رسالة قال: الفت ذهنك عن الترهات إلى تحصيل مفهوم تتميز به، وخذ نفسك من الطريقة بما كررت تنبيهك عليه وإرشادك إليه، و اغتتم الإمكان واعرف قيمته، و اشتغل بشكر الله تعالى عليه، وفز بحظ نفيس من العلم تثق من نفسك بأنك عقلته و ملكته لا قرأته و رويته، فإن بقية الحظوظ تتبع هذا الحظ و تلزم صاحبه، و من طلبها بدونه فإما ألا يجدها، و إما ألا يعتمد عليها إذا وجدها و لا يثق بدوامها، و أعوذ بالله أن ترضى لنفسك إلا بما يليق بمثلك أن يتسامى إليه بعلو همته، و شدة أنفته و غيرته على نفسه، و مما قد كررت عليك الوصاية به: أن تحرص على ألا تقول شيئاً لا يكون مهذباً في لفظه و معناه و يتعين عليك إirاده، و أن تتصرف معظم حرصك إلى أن تسمع ما يفيدك لا ما يلهيك مما بلذ للأعمار وأهل الجهالة - رفعك الله - عن طبقتهم، فإن الأمر كما قال أفلاطون: الفضائل مرة الورد حلوة الصدر، و الرذائل حلوة الورد مرة الصدر، و قد زاد أرسطاطاليس في هذا المعنى فقال: إن الرذائل لا تكون حلوة الورد عند ذي فطرة سليمة بل يؤديه تصور قبحها إذا يفسد عليه ما يستلذ من غيرها بها، وكذلك يكون صاحب الطبع السليم قادراً على معرفة ما يتوخى و ما يتجنب، كالتام الصحة يكفي حسه تعريفه النافع والضار، فلا ترضى لنفسك - حفظك الله - إلا بما تعلم أنه يناسب طبقة أمثالك، و أغلب خطرات الهوى بعزائم الرجال الراشدين، و امح بنفسك إلى المعالي بإطاعة عقلك فإنك تسر بنفسك، و تراها في كل يوم مع الاعتماد على ذلك في رتبة عليه، و مرقاة من سمو في السعادة إن شاء الله تعالى. ومن شعر أمين الدولة قوله:

لو كان يحسن غصن البان مشيتها
تأوداً لحكاها غير محتشم
في صدرها كوكباً نور أقلهما
ركنان مالسا من كف مستلم
صانتهما في حرير من غلائلها
فتلك في الحل والركنان في الحرم

وقال:

أبصره عاذلي عليه ولم يكن قبل ذا رآه

فقال لو عشقت هذا
قل لي إلى من عدلت عنه
فظل من حيث ليس يدري

وقال:

مالامك الناس في هواه
وليس أهل الهوى سواء
يأمر بالعشق من نهاه

لا تعجبوا من حنين قلبي
فالقوس مع كونها جماداً

وقال:

عن الحقيقة عما كان في الأزل
حتى الحقيقة في المعلول والعلل

لولا حجاب أمام النفس يمنعها
لأدركت كل شيء عز مطلبه

وقال:

ونقيصة للأحمق الطياش
نوراً ويعمى مقلة الخفاش

أعلم للرجل اللبيب زيادة
مثل النهار يزيد أبصار الورى

هبة الله بن علي بن محمد

بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله ابن أبي الحسن بن عبد الله الأمين بن عبد الله بن الحسن ابن جعفر بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو السعادات المعروف بابن الشجري البغدادي، نسب إلى بيت الشجري من قبل أمه، كان أوحد زمانه وفرد أوانه في علم العربية ومعرفة اللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها، متضلعا من الأدب كامل الفضل، قرأ على ابن فضال المجاشعي والخطيب أبي زكريا التبريزي وسعيد بن علي السلافي وأبي معمر ابن طبا طبيا العلوي، وسمع الحديث من أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم الصيرفي، وأبي علي محمد بن سعيد الكاتب وغيرهما. وأقرأ النحو سبعين سنة، وأخذ عنه تاج الدين الكندي وخلق. وكان نقيب الطالبين بالكرخ نيابة عن الطاهر، وكان ذا سميت حسن وقور لا يكاد يتكلم في مجلسه بكلمة إلا تتضمن أدب نفس أو أدب درس، وصنف الأمالي وهو أكبر تصانيفه وأمتعتها، أملاه في أربعة وثمانين مجلساً، والانتصار على ابن الخشاب رد فيه عليه ما انتقده من الأمالي، وكتاب الحماسة ضاهى به حماسة أبي تمام، وشرح التصريف الملوكي، وشرح اللمع لابن جني النحوي، وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه وغير ذلك.

توفي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة. ومن شعره:

لا تمزحن فإن مزحت فلا يكن
واحذر ممازحة تعود عداوة
مزحاً تضاف به إلى سوء الأدب
إن المزاح على مقدمة الغضب

وقال:

هل الوجد خاف والدموع شهود
وحتى متى تقنى شئونك بالبكا
وهل مكذب قول الوشاة جحود؟
وقد حد حدا للبكاء لبيد
وإني وإن لانت قناتي لضعفها
لذو مرة في النائبات شديد

وقال:

وتجنب الظلم الذي هلك به
إياك والدنيا الدنية إنها
ألم تود لو أنها لم تظلم
دار إذا سالمتها لم تسلم

هبة الله بن علي بن عرام

أبو محمد الربيعي الأسواني، كان أديباً فاضلاً وشاعراً مجيداً، وكان من خواص الوزير رضوان وجلسائه، ومدحه بعدة قصائد، وله ديوان شعر جمعه بنفسه ونقحه وهذبه ورتبه علي الحروف وهو في مجلد لطيف، مات سنة خمسين وخمسمائة ومن شعره:

لا عز لمرة إلا في موطنه
فاقنع بما كان من رزق تعيش به
والذل غاية ما يلقي من اغتربا
بحيث أنت وكن للبين مجتبا

واعلم يقيناً بأن الرزق يطلب من

لم يطلب الرزق إيماناً كم طلبا

وقال:

نميل مع الأمل وهي غرور

ونصغي لدعواها وذلك زور

وتخدعنا الدنيا القليل متاعها

وللموت فينا واعظ ونذير

ونزداد فيها كل يوم تنافساً

وحرصاً عليها والمتاع خفير

ويطمع كل أن يؤخر يومه

وللموت منا أول وأخير

هشام بن إبراهيم الكرنباني الأنصاري

أبو علي، جالس الأصمعي وأضرابه، وكان عالماً باللغة وأيام العرب وأشعارها، روي عنه الفضل بن الحباب، وصنف كتاب الحشرات، وكتاب الوحوش، وكتاب النبات، وكتاب خلق الخيل، وكان عبد الصمد بن المعذل الشاعر، مولعاً بهجره، وفيه يقول من أبيات:

ولم تر أبلغ من ناطق

أنته البلاغة من كرنبا

هشام بن أحمد بن خالد بن سعيد

أبو الوليد الكناني المعروف بابن الوقش الكاتب من أهل طليطلة، كان من أعلم الناس بالعربية واللغة والشعر والخطابة والحديث والفقه والأحكام والكلام، وكان أديباً كاتباً شاعراً متوسعاً في ضروب المعارف، متحققاً بالمنطق والهندسة، ولا يفضلته عالم بالأنساب والأخبار والسير، ولد سنة ثمان وأربعمائة، وأخذ عن أبي عمر الطلمنكي وأبي عمر بن الحداد وغيرهما، وولي قضاء طليطلة من أعمال طليطلة قاعدة الأمير المأمون بن يحيى بن الطاهر بن ذي النون.

وصنف كتاب نكت الكامل للمبرد وغيره، مات بدانية في جمادى الآخرة سنة تسع وثمانين وأربعمائة، ومن شعره:

قد أثبتت فيه الطبيعة أنها

بدقيق أعمال المهندس ماهره

عنيت بعارضه فخطت فوقه

بالمسك خطا من محيط الدائره

وقال:

برح بي أن علوم الورى

إثنان ما إن لهما من مزيد

حقيقة يعجز تحصيلها

وباطل تحصيله لايفيد

هشام بن محمد بن السائب

بن بشر ابن عمر الكلبي، أبو المنذر الأخباري النسابة العلامة، كان عالماً بالنسب وأخبار العرب وأيامها ووقائعها ومثالبها، أخذ عن أبيه أبي النضر محمد المفسر وعن مجاهد وعن محمد أبي السري البغدادي ومحمد بن سعد كاتب الواقدي وأبي الأشعث أحمد بن المقدم وغيرهم، وحدث عنه جماعة.

قال أحمد بن حنبل: كان صاحب سير ونسب مازننت أن أحداً يحدث عنه. قال البلاذري في تاريخه: حدث هشام ابن الكلبي عن أبيه عن أي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: (وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً)، قال أسر إلى حفصة: أن أبا بكر ولي الأمر من بعده، وأن عمر وليه من بعد أبي بكر فأخبرت عائشة. قال الدار قطني: هشام متروك. وقال غيره: ليس بثقة. وذكر الخطيب في تاريخ مدينة السلام: إن هشاماً كان يقول: حفظت مالم يحفظه أحد، ونسيت مالم ينسه أحد، كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن، فدخلت بيتاً وحلفت لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن فحفظته في ثلاثة أيام، ودخلت يوماً أنظر في المرأة فقبضت على لحيتي لأخذ مادون القبضة فأخذت ما فوق القبضة. وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: رأيت ثلاثة كانوا إذا رأوا ثلاثة يذوبون: علويه إذا رأى مخارقاً وأبا نواس إذا رأى أبا العتاهية، والزهرى إذا رأى هشاماً. مات هشام سنة أربع ومائتين وقيل سنة ست وتضانيه تزيد على مائة وخمسين مصنفًا، ذكر منها ابن النديم نقلاً عن أبي الحسن بن الكوفي ما يأتي: كتاب حلف عبد المطلب وخزاعة، كتاب حلف الفضول، كتاب حلف كلب وتميم، كتاب حلف أسلم وقريش، كتاب فضائل قيس عيلان، كتاب بيوتات ربيعة، كتاب أخبار العباس بن عبد المطلب، كتاب الموءودات، كتاب خطبة على رضى الله عنه، كتاب شرف

قصي بن كلاب وولده في الجاهلية والإسلام، كتاب ألقاب قريش، كتاب ألقاب ربيعة، كتاب ألقاب قيس عيلان، كتاب ألقاب اليمن، كتاب ألقاب بنى طانجة، كتاب المثالب، كتاب النواقل، فيه نواقل قريش وكنانة وأسد وتميم وقيس وإياد وربيع، كتاب تسمية من نقل من عاد ونمود والعماليق وجرهم وبني إسرائيل من العرب، كتاب نواقل قضاعة، كتاب نواقل اليمن، كتاب ادعاء معاوية زباداً، كتاب المناقلات، كتاب أخبار زياد ابن أبيه، كتاب صنائع قريش، كتاب المعانيات، كتاب المشاغبات، كتاب ملوك الطوائف، كتاب ملوك كندة، كتاب ملوك اليمن من التبابعة، كتاب بيوتات اليمن، كتاب افتراق ولد نزار، كتاب تفرق الأزرد، كتاب طسم وجديس، كتاب حديث آدم وولده، كتاب من قال بيتاً من الشعر فنسب إليه، كتاب المعارف من النساء في قريش، كتاب عاد الأولى والآخرة، كتاب تفرق عاد، كتاب أصحاب الكهف، كتاب الأوائل، كتاب رفع عيسى عليه السلام، كتاب أمثال حمير، كتاب المسوخ من بني إسرائيل، كتاب حي الضحاك، كتاب منطق الطير، كتاب غزية، كتاب لغات القران، كتاب المعمرين، كتاب الأصنام، كتاب القداح، كتاب أسنان الجزور، كتاب أديان العرب، كتاب حكام العرب، كتاب وصايا العرب، كتاب السيوف، كتاب الخيل، كتاب الدفائن، كتاب أسماء فحول العرب، كتاب القداء، كتاب الكهان، كتاب الجن، كتاب أخذ كسرى رهن العرب، كتاب ماكانت الجاهلية تفعله ويوافق حكم الإسلام، كتاب أبي عتاب إلى ربيع حين سألته عن العويس، كتاب عدي بن زيد العبادي، كتاب الدوس، كتاب حديث بيهس وإخوته، كتاب مروان القرظ، كتاب اليمن وأمر سيف بن ذي يزن، كتاب منالك أزواج العرب، كتاب الوفود، كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب زيد بن حارثة، كتاب تسمية من قال بيتاً أو قيل فيه، الديباج في أخبار الشعراء، كتاب من فخر بأخواله من قريش، كتاب من هاجر وأبوه، أخبار الحريين وأشعارهم، كتاب دخول جرير على الحجاج، أخبار عمر وبن معد يكرب، تاريخ أخبار الخلفاء، كتاب صفات الخلفاء، كتاب المصلين، كتاب البلدان الكبير، كتاب البلدان الصغير، كتاب تسمية من بالحجاز من أحياء العرب، كتاب قسمة الأرضين، كتاب الأنهار، كتاب الحيرة، كتاب منار اليمن، كتاب العجائب الأربعة، كتاب أسواق العرب، كتاب الأقاليم، كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات، كتاب تسمية ما في شعر امرئ القيس من أسماء الرجال والنساء والحجبال والمياه، كتاب داحس والغبراء، أخبار المنذر ملك العرب، كتاب أيام فزارة ووقائع بني شيبان، كتاب وقائع ضباب وفزارة، كتاب يوم سنيق، كتاب يوم السنايس، كتاب أيام بني حنيف، كتاب أيام قيس ابن ثعلبة، أخبار مسيلمة الكذاب، كتاب الفتيان الأربعة، كتاب الأحاديث، كتاب المقطعات، كتاب حبيب العطار، عجائب البحر، المنزل وهو كتاب النسب الكبير، كتاب أولاد الخلفاء، كتاب أمهات النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب أمهات الخلفاء، كتاب العواقل، كتاب تسمية ولد عبد المطلب، كتاب كنى آباء الرسول صلى الله عليه وسلم، جمهرة الأنساب، رواها عنه ابن سعد كاتب الواقدي، هذا ما ذكره ابن النديم من تصانيفه. ولهشام أيضاً: الفريد في الأنساب صنفه للمأمون، والملوكي في الأنساب أيضاً صنفه لجعفر بن يحيى البرمكي، والموجز في النسب أيضاً وغير ذلك.

هشام بن معاوية

أبو عبد الله الضرير الكوفي النحوي صاحب أبي الحسن الكسائي، كان مشهوراً بصحبته وعنه أخذ النحوي، وله من التصانيف: مقالة في النحو تعزى إليه، وكتاب الحدود في العربية، وكتاب المختصر في النحو، وكتاب القياس فيه أيضاً وغير ذلك. كان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب قد كلف المأمون يوماً فلحن في كلامه، فنظر إليه المأمون ففطن لما أراد وخرج من عنده وجاء إلى هشام بن معاوية وقرأ النحو عليه. مات هشام سنة تسع ومائتين.

هشام بن نهيس

بن مسعود بن حارثة بن عمر ابن ربيعة بن ملكان بن عدي العدوي، أخو ذي الرمة الشاعر المشهور كان هشام هذا شاعراً مجيداً، وكان بينه وبين أخيه ذي الرمة ملاحاة فقال له:

أغيلان إن ترجع قوى الود بيننا	فكل الذي ولي من العيش راجع
فكن مثل أقصى الناس عندي فإنني	بطول التنائي من أخي السوء قانع
وغيلان اسم ذي الرمة، فقال ذو الرمة له:	
أغر هشاماً من أخيه ابن أمه	قوادم ضأن أقبلت وربيع؟
وهل تخلف الضأن الغزار أخت الندى	إذا حل أمر في الصدور مريع؟
فأجابته هشام فقال:	

إذا بان مالي من سوامك لم يكن	إليك ورب العالمين رجوع
فأنت الفتى ما اهتر في الزهر الندى	وأنت إذا اشتد الزمان ممنوع

وله:

كل امرئ يشبه فعله
أسكتنا عن ذمه بذله

مايفعل المرء فهو أهله
ولا ترى أعجز من عاجز

هلال بن العلاء

أبو همرو الرقي، كان من أهل العلم واللغة بالرقعة، مات سنة ثمانين ومائتين. ولا أعلم من أمره غير هذا.

هلال بن المحسن بن إبراهيم

بن هلال ابن إبراهيم بن زهرون بن حيون الصائبى الحراني أبو الحسن، وهو حفيد أبي إسحاق الصائبى الكاتب المشهور، كان هلال هذا أديباً كاتباً فاضلاً له معرفة بالعربية واللغة، أخذ عن أبي على الفارسي وأبي عيسى الرمانى وأبي بكر أحمد بن الجراح الخراز، وكان صابئاً ثم أسلم في آخر عمره وحسن إسلامه، وكتب عنه الخطيب البغدادي وقال: كان ثقة صدوقاً، وصنف كتاب الأمثال والأعيان ومنتدى العواطف والإحسان، جمع فيه أخباراً وحكايات مستطرفة مما حكى عن الأعيان والأكابر وهو كتاب ممتع، ومما يستحسن من تلك الأخبار قال: حدث القاضي أبو الحسين عبيد الله بن عياش: أن رجلاً اتصلت عطلته وانقطعت مدته، فزور كتاباً عن الوزير أبيالحسن بن الفرات إلى أبي زنبور المادراتي عامل مصر يتضمن الوصاية به، والتأكيد في الإقبال عليه والإحسان إليه، وخرج إلى مصر فلقبه به، فارتاب أبو زنبور في أمره لتغير الخطاب على ما جرت به العادة، وكون الدعاء أكثر مما يقتضيه محله، فراحه مراعاة قريبة ووصله بصلة قليلة، واحتبس عنده على وعد وعده به، وكتب إلى أبي الحسن بن الفرات يذكر الكتاب الوارد عليه وأنفذه بعينه إليه واستتبته فيه، فوقف ابن الفرات على الكتاب المزور فوجد فيه ذكر الرجل وأنه من ذوي الحرمات والحقوق الواجبة عليه، وما يقال في ذلك مما قد استوفى الخطاب فيه، فعرض ابن الفرات الكتاب على كتابه وعرفهم الصورة فيه، وعجب إليهم منها ومما أقدم عليه الرجل وقال لهم: ما الرأي في أمر هذا الرجل عندكم؟ فقال بعضهم: تأديبه أو حبسه. وقال آخر: قطع إبهامه لنلا يعاود مثل هذا. ولنلا يقتدي به غيره فيما هو أكثر م، هذا. وقال أحسنهم محضراً: يكشف لأبي زنبور قصته ويرسم له طرده وحرمانه. فقال ابن الفرات: ما أبعدكم عن الحرية والخيرية! وأنفر طباعكم عنها، رجل توصل بنا وتحمل المشقة إلى مصر في تأميل الصلاح بجباهنا واستمداد صنع الله عز وجل بالانتساب إلينا، ويكون أحسن أحواله عند أحسنكم محضراً تكذيب ظنه وتخيب سعيه، والله لا كان هذا أبداً، ثم إنهاخذالقالم من دواته ووقع على الكتاب المزور: هذا كتابي ولست أعلم لم أنكرت أمره؟ واعترضت شكه فيه، وليس كل من خدمنا وأوجب حقاً علينا تعرفه، وهذا رجل خدمني في أيام نكبتني، وما أعتقده في قضاء حقه أكثر مما كلفتك في أمره من القيام به، فأحسن نفقده، ووفر رفته، وصرفه فيما يعود عليه نفعه، ويصل إلينا بما يتحقق به ظنه ويتبين موقعه، ورد الكتاب إلى أبي زنبور عامل مصر من يومه، فلما مضت على ذلك مدة طويلة دخل يوماً على الوزير أبي الحسن بن الفرات رجل ذو هيئة مقبولة وبزة جميلة وأقبل يدعو له ويثني عليه ويبيكي ويقبل الأرض فقال ابن الفرات: من أنت؟ بارك الله فيك - وكانت هذه كلمته - فقال أنا صاحب الكتاب المزور إلى أبي زنبور عامل مصر، الذي صححه كرم الوزير ونفضله فعل الله به وصنع، فضحك ابن الفرات وقال: كم وصل إليك منه؟ قال: وصل إلى من ماله وتقسيط قسطه على عماله ومعامله، وعمل صرفن فيه عشرون ألف دينار. فقال ابن الفرات: الحمد لله، الزمنا فإننا نعرضك لما يزداد به صلاح حالك، ثم اختبره فوجده كاتباً سديداً، فاستخدمه وأكسبه مالا جزيلاً. انتهى. مات هلال بن المحسن ليلة الخميس سابع عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، وكانت ولادته في شوال سنة تسع وخمسين وثلاثمائة.

همام بن غالب بن صعصعة

بن ناجية ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن عوف ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر التميمي، أبو فراس المعروف بالفرزدق الشاعر المشهور، كان جده صعصعة عظيم القدر في الجاهلية، وكان افتدى ثلاثمائة موعودة إلى أن جاء الله عزوجل بالإسلام: وكان أبوه غالب من سراة قومه ورئيسهم، وكان الفرزدق كثير التعظيم لقبر أبيه فما جاءه أحد واستجار به إلا نهض معه، وساعده على بلوغ غرضه.

حدث أبو عبد الله محمد بن سلام الجني قال: سمعت يونس بن حبيب يقول: مشهدت مشهداً قط ذكر فيه جرير والفرزدق وأجمع أهل المجلس على أحدهما، وكان يونس يقدم الفرزدق ويقول: ما كان بالبصرة مولد مثله، ولما هرب الفرزدق من زياد ابن أبيه حين هجا بني نهشل فاستعدوا زياد عليه قدم المدينة واستجار بسعيد بن العاص فأجاره، وكان الحطيئة وكعب بن جعيل عند سعيد لما دخل الفرزدق عليه، فأنشده الفرزدق:

إذا ما الأمر في الحدثن غالاً
وعثمان الألى غلبوا فعلاً
كانهم يرون به هلالاً

ترى الغر الجحاح من قریش
بني عم النبي ورهط عمرو
قياما ينظرون إلى سعيد

فقال الحطيئة هذا والله الشعر أيها الأمير لا ما تعلل به منذ اليوم. فقال كعب بن جعيل: فضله على نفسك ولا تفضله على غيرك. فقال: بلى، والله أفضله على نفسي وعلى غيري، أدركت من قبلك وسبقت من بعدك. ثم قال له الحطيئة: يا غلام، لئن بقيت لتبرزن علينا. وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: كان الشعراء في الجاهلية من قيس، وليس في الإسلام مثل حظ تميم في الشعر، وأشعر تميم جرير والفرزدق والأخطل، وكان المفضل الضبي يفضل الفرزدق، قيل له: الفرزدق أشعر أم جرير؟ قال: الفرزدق. فقيل له ولم؟ قال لأنه قال بيتاً هجافيه قبيلتين فقال:

عجبت لعجل إذ تهاجى عبيدها
كما آل يربوع هجوا آل دارم

فقيل له قد قال جرير:

إن الفرزدق والبيعت وأمه
فقال: وأي شيء أهون من أن يقول إنسان: فلان وفلان والناس كلهم بنو الفاعلة.

وحدث أبو حاتم السجستاني عن أبي عبيدة قال: سمعت يونس يقول: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب. وقال آخر: الفرزدق مقدم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل، ومحلّه في الشعر أكبر من أن ينسب عليه بقول أو يدل على مكانه بوصف، لأن الخاص والعام يعرفانه بالاسم، ويعلمان تقدمه بالخبر الشائع علماً يستغني به عن الإطالة في الوصف، وقد تكلم الناس في هذا قديماً وحديثاً وتعصبوا واحتجوا بما لا مزيد فيه، وبعد إجماعهم على تقديم هؤلاء الثلاثة اختلفوا في أيهم أحق بالتقديم على الآخرين؟ فأما قديماء أهل العلم والرواية فلم يسووا بينهما وبين الأخطل، لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر، ولأنه مثل مالهما من فنونه، ولا تصرف كتصرفهما في سائره. وقالوا: إن ربيعه أفرطت في الأخطل حين ألحقته بهما، وهم في الفرزدق وجرير قسمان: فمن كان يميل إلى جزالة الشعر وفخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق. ومن كان يميل إلى الشعر المطبوع وإلى الكلام السهل الغزل فيقدم جريراً. وقال ابن سلام: كان الفرزدق أكثرهم بيتاً مقلداً.

والمقلد: البيت المستغني بنفسه المشهور الذي يضرب به المثل، فمن ذلك قوله:

فيا عجباً حتى كليب تسبني
كأن أباه نهشل ومجاشع

وقوله:

ليس الكرام بما نحيك أباهم
حتى ترد إلى عطية تعتل

وقوله:

وكنا إذا الجبار صعر خده
ضربناه حتى تستقيم الأخادع

وقوله:

وكنت كذئب السوء لما رأى دماً
بصاحبه يوماً أحال على الدم

وقوله:

وإن تتج مني تتج من ذي عزيمة
وإلا فإني لا إخالك ناجيا

وقوله:

ترى كل مظلوم إلينا فراره
ويهرب منا جهده كل ظالم

وقوله:

أحلامنا تزن الجبال رزانة
وتخالنا جنا إذا مانجهل

ومقلداته في شعره كثيرة، وفيما أوردناه منها كفاية، وبشهرته عني عن إيراد طرف من شعره. قال أبو اليقظان: أسن الفرزدق حتى قارب المائة، فأصابته الدبيلة وهو بالبادية فقدم به إلى البصرة وأتى برجل متطبب من بني قيس فأشار بأن يكوي ويسقي النفط الأبيض فقال: أتعجلون لي طعاماً أهل النار في الدنيا؟ وجعل يقول:

أروني من يقوم لكم مقامي
إذا ما الأمر جل عن الخطاب؟

ومات في مرضه ذلك سنة عشر ومائة، ومات جرير بعده بستة أشهر، ومات في هذه السنة الحسن البصري وابن سيرين فقالت امرأة من أهل البصرة: كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه في سنة؟ ولما نعى إلى جرير بكى ثم أنشأ يقول:

فجعنا بجمال الديات ابن غالب
يكيناك حثان الفراق وإنما
فلا حملت بعد ابن ليلي مهيرة
ورثاه أبو ليلي المجاشعي بأبيات منها:

وحامي تميم كلها والبراجم
بكيناك شجوا للأمر العظام
ولاشد أنساع المطى الرواسم
على نكبات الدهر موت الفرزدق
إلى كل بدر في السماء مطلق
لجان وعان في السلاسل موثق

لعمرى لقد أشجى تميما وهدها
لقد غيبوا في اللحد من كان ينتمي
لتبك النساء المعولات ابن غالب

الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن

ابن زيد بن سيد بن جابر بن عدي، أبو عبد الرحمن الطائي الكوفي، أصله من منبج، وامه من سبى منبج، ولد بالكوفة قبل سنة ثلاثين ومائة، وكان أخبارياً علامة راوية، نقل من أخبار العرب وأشعارها ولغاتها شيئاً كثيراً، وروى عن شام بن عروة وعبد الله بن عياش المنتوف ومجالد.

قال البخاري ويحيى بن معين: ليس بثقة كان يكذب وقال أبو داود مثل ذلك. وقال النسائي متروك، وقال الحافظ: ابن عدي حديثه في المسند قليل إنما هو صاحب أخبار. وكانت جارية الهيثم بن عدي تقول: كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي، فإذا أصبح جلس يكذب وقال الجاحظ: قال أبو يعقوب الخزيمي: ماريت كثلاً رجلاً، كانوا يأكلون الناس أكلاً حتى إذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الرصاص على النار، كان هشام بن الكلبي علامة نسابة رواية للمثالب عيابة، فإذا رأى الهيثم بن عدي ذاب كما يذوب الرصاص، وكان علي بن الهيثم حريفاً مفقعا صاحب تقعر يستولي على كل كلام لا يحفل بخطيب ولا شاعر، فإذا رأى موسى الضبي ذاب كما يذوب الرصاص، وكان علويه واحد الناس في الغناء رواية وحكاية ودراية وصنعة وجودة ضرب وأضراب وحسن خلق، فإذا رأى مخارقاً ذاب كما يذوب الرصاص على النار. وكان الهيثم بن عدي قد تزوج في بني الحارث بن كعب فلم يرتضوه، فأذاعوا عنه أنه ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بشيء فحبس لذلك، ثم ركب محمد بن زياد بن عبد الله بن عبد الممدان الحارثي ومعه جماعة من الحارثيين إلى هارون الرشيد فسألوه أن يفرق بين الهيثم وبين التي تزوجها من بني الحارث. فقال الرشيد: أليس هو الذي يقول فيه الشاعر؟:

إذا نسبت عديا في بني ثعل
فقدم الدال قبل العين في النسب

قالوا بلي يا أمير المؤمنين. قال فهذا الشعر من قاله؟ قالوا هو لرجل من أهل الكوفة من بني شيبان يقال له ذهل بت ثعلبة، فأمر الرشيد داود بن يزيد أن يفرق بينهما، فأخذوا الهيثم وأدخلاه داراً وضربوه بالعصي حتى طلقها وقد ورد هذا البيت المنسوب إلى ذهل بن ثعلبة في أبيات لأبي نواس يهجو بها الهيثم فما أدري أفي نسبته إلى ذهل وهم أم هول؟ وورد في شعر أبي نواس على سبيل التضمين والاستشهاد، وكان سبب هجو أبي نواس للهيثم: أن أبا نواس حضر مجلس الهيثم في حديثه والهيثم لا يعرفه فلم يستدنه ولا قربه فقام مغضباً، فسأل الهيثم عنه فعرّفه به فقال: إنا لله، هذه والله بلية لم أجنها على نفسي، فقوموا بنا إليه لنعتذر، فساروا إليه ودق الهيثم عليه الباب وتسمى له فقال: ادخل فدخل فإذا هو قاعد يصفي نبيذاً له، وقد أصلح بيته بما يصلح به مثله، فقال الهيثم: المَعذرة إلى الله تعالى ثم إليك، فما عرفتك وما الذنب إلا لك حيث لم تعرفنا نفسك فنقضني حقك، ونبلغ الواجب من برك، فأظهر له قبول المَعذرة. فقال الهيثم: أستعهدك من قول سبق منك في فقال: ما قد مضى فلا حيلة فيه، ولك الأمان مما أستأنف. فقال: ما الذي مضى؟ جعلت فداك، قال بيت مر وأنا فيما رأيت من الغضب، قال فأنشد نيه فدافعه فآلح عليه فأنشده:

ولست من طيء إلا على شغب
فقدم الدال قبل العين في النسب

في كل يوم له رحل على خشب
إلى الموالى وأحياناً إلى العرب
كأنه لم يزل يغدو على قتب
على جواد قريب منك في الحساب
من الصيد مكان الليف والكر

يا هيثم بن عدي لست للعرب

إذا نسبت عديا في بني ثعل

فقام الهيثم من عنده ثم بلغه بعد ذلك بقية الأبيات وهي:

لهيثم بن عدي في تلونه

فما يزال أخوا حل ومرتحل

له لسان يزجيه بجوهره

كأنني بك فوق الجسر منتصباً

حتى نراك وقد درعته قمصاً

إلا اجتلبت لها الأنساب من كُتب

لله أنت فما قربى تهم بها

فعاد الهيثم إليه وقال: ياسبحان الله، قد أمنتني وجعلت لي عهداً ألا تهجوني فقال: (إنهم يقولون ما لا يفعلون)، وكان الهيثم مكروهاً لأنه كان يتعرض لأحوال الناس وأخبارهم فيرويها على وجهها ويشيع ماكنموا، فكرهوه ووشوا به إلى الولاة وأغروا الشعراء بهجوه.

حدث على بن جبلة الشاعر المشهور المعروف بالعكوك قال: جاءني أبو يعقوب الخريمي فقال: إن لي إليك حاجة، قلت وماهي؟ قال: تهجو لي الهيثم بن عدي. فقلت فما جاءني شيء كما أريد. فقلت له: كيف أهجو رجلاً لم يتقدم إلى منه إساءة ولا له إلى جرم يحفظني؟ فقال: تقرضني فأني مليء بالوفاء والقضاء؟ قلت نعم، فأمهلني اليوم فمضى وغدوت عليه فأنشدته:

أباه فأراحتنا من العدد

للهيثم بن عدي نسبة جمعت

ماعمر الناس لم ينقص ولم يزد

أعدد عدواً فلو مد البقاء له

تلوه للوجه واستعلوه بالعمدا

نفسى فداء بي عبد المدان وقد

وعرفوه بذل أبى أصل عدي

حتى أزالوه كرها عن كريمتهم

إذا هجوت وما تنمي إلى أحد

يابن الخبيثة من أهجو فأفضحه

قوله: نفسى فداء بي عبد المدان والبيت الذي بعده إشارة إلى الخبر الذي تقدم من قدوم محمد بن زياد بن عبد المدان على الرشيد واستظهاره به على تطليق فتاتهم الحارثية من الهيثم وقد تقدمت القصة. مات الهيثم بقم الصلح سنة تسع ومائتين، وقيل سنة سبع وله ثلاث وتسعون سنة. وله من المصنفات: كتاب هبوط آدم وافتراق العرب، كتاب نزول العرب بخراسان والسواد، كتاب بيوتات العرب، كتاب بيوتات قريش، كتاب المثالب الكبير، كتاب المعمرين، كتاب نسب طيء، أخبار طيء، أخبار طيء ونزولها الجبلين وحلف دهيل وثعل، كتاب حلف كلب وتميم ودهيل وطيء وأسد، كتاب المثالب الصغير، كتاب مثالب ربيعة، كتاب النواقل، كتاب من تروح من الموالي في العرب، أسماء بغايا قريش في الجاهلية وأسماء من ولدن، كتاب الدولة، تاريخ العجم وبني أمية، تاريخ الأشراف الكبير، تاريخ الأشراف الصغير، كتاب مديح أهل الشام، كتاب مداعي أهل الشام، أخبار زياد بن أبيه، كتاب الجامع، كتاب الوفود، كتاب النشأ، كتاب ولادة الكوفة، كتاب خطط الكوفة، كتاب النكد، كتاب النساء، كتاب فخر أهل الكوفة على أهل البصرة، كتاب قضاة الكوفة والبصرة، طبقات من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة، طبقات الفقهاء والمحدثين، كتاب تسمية الفقهاء والمحدثين، كتاب شرط الخلفاء، كتاب خواتيم الخلفاء، كتاب عمال الشرط لأمرأ العراق، أخبار الحسن عليه السلام، التاريخ مرتب على السنين، كتاب خطب المضرس بمكة والمدنية، كتاب مقتل خالد بن عبد الله القسري والوليد ابن يزيد، كتاب الصوائف، كتاب الخوارج، كتاب المواسم، كتاب النوادر، مقطعات الأعراب، أخبار الفرس، المحبر، منحل الجواهر، كتاب كنى الأشراف.

باب الياء

ياقوت بن عبد الله مذهب الدين

أبو الدر الرومي، أحد أدباء العصر وشعرائه المجيدين، نشأ ببغداد وحفظ القرآن، وعني بالتحصيل في المدرسة النظامية، فقرأ فيها العلوم العربية والأدبية على جماعة وغلب عليه الشعر، وكان حسن الخط والضبط، وله ديوان شعر لطيف، بلغتنا وفاته في ربيع الآخر سنة اثنين وعشرين وستمائة، ومن شعره قوله:

إلا هواك وعن سواك أجله

لك منزل في القلب ليس يحله

علم العذول بأن ظلما عذله

يامن إذا جليت محاسن وجهه

والقد غصن نقا وشعرك ظلله

الوجه بدر دجى عذارك ليلة

وعذار خدك كاد ينطق نمله

هذي جفونك أعربت عن سحرها

وجمال وجهك ليس يوجد مثله

عار لمثلي أن يرى متسلها

هبهات أضحى الحسن عندل كله؟

هل في الورى حسن أهيم بحبه

وله من قصيدة:

دنف نحبك ما أبلى بلى بلى

جسدي لبعذك يامثير بلابلى

أوضحت عذري بالعذار السائل

يامن إذا ملام فيه لوائمي

أم في التهذيب أم في الشامل؟
ذو مقلة عبري ودمع هامل؟

أ أجيز قتلي في الوجيز لقاتلي
أم في المذهب أن يعذب عاشق

ياقوت بن عبد الله

الرومي الأصل نزيل الموصل، الكاتب الأديب النحوي، أخذ النحو والأدب عن ابن الدهان أبي محمد سعيد بن المبارك ولازمه، وكان واحد عصره في جودة الخط وإتقانه على طريقة ابن اليوَاب، فقصده الناس من ابلاد وكتب عليه خلق لا يحصون كثرة، اجتمعت به في الموصل سنة ثلاث عشرة وستمئة فرأيتُه على جانب عظيم من الأدب والفضل والنباهة والوقار، وقد أسن وبلغ من الكبر الغاية، ورأيت كتباً كثيرة بخطه يتداولها الناس ويتغالون بأثمانها، بينها عدة نسخ من الصحاح للجوهري، والمقامات الحريية، وتوفي في السنة التي عدت فيها من خوارزم إلى الموصل سنة ثمان عشرة وستمئة عن سن عالية.

يحيى بن أحمد

أبو زكريا الفارابي، أحد الأئمة المتبعين في اللغة، تخرج به جماعة من أهل فاراب وما وراء النهر، روي الحديث عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عبيد الله بن شريح البخاري، وعن الحسن بن منصور، وصنف كتاب المصادر في اللغة ومات سنة ...

يحيى بن أحمد

أبو بكر المعروف بابن الخياط الأندلسي، كاهن، أديباً شاعراً متقناً للحساب والهندسة بارعاً في علم النحو، أخذ عن أبي القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي، وخدم بصناعة إحكام النجوم سليمان بن الحكم بن الناصر لدين الله أمير المؤمنين وغيره من الأمراء. وكانت له معرفة بصناعة الطب وحسن المعالجة، حسن السيرة والمذهب. توفي بطليطلة سنة سبع وأربعين وأربعمائة، ومن شعره:

كلا فشان النائبات عجيب
فيها لأبناء الذكاء نصيب
جدا وفهما فاته المطلوب

لم يخل من نوب الزمان أديب
وغضارة الأيام تأبى أن يرى
وكذاك من صحب الليالي طالبا

وقال في بخيل:

سله أدما وخل عنك الرغبة
جعل الكعك للبنات شنوفا

لا تكونن مبرما وعسوفا
أكرم الخبز بالصيانة حتى

يحيى بن حبش

شهاب الدين أبو الفتوح السهروردي، كان فقيها شافعي المذهب أصولياً أديباً شاعراً حكيماً، متقناً نظاراً لم يناظره مناظر إلا خصمه وأفحمه، قرأ بالمراغة على الشيخ الإمام مجد الدين الجيلي الفقيه الأصولي المتكلم ولازمه مدة، ثم تنقل في البلاد على قدم التجرد، ولقي بماردين الشيخ فخر الدين المارديني وصحبه، وكان يثني عليه كثيراً ويقول: لم أر في زماني أحدا مثله ولكني أخشى عليه من شدة حدته وقلة تحفظه، ثم رحل أبو الفتوح إلى حلب فدخلها في زمن الظاهر غازي بن أيوب سنة تسع وسبعين وخمسمائة ونزل في المدرسة الحلاوية، وحضر درس شيخها الشريف افتخار الدين وبحث مع الفقهاء من تلاميذه وغيرهم، وناظرهم في عدة مسائل فلم يجاره أحد منهم وظهر عليهم وظهر فضله للشيخ افتخار الدين فقرب مجلسه وأدناه وعرف مكانه في الناس، ومن ذلك الحين تألب عليه الفقهاء وكثر تشنيعهم عليه، فاستحضره الملك الظاهر وقد له مجلساً من الفقهاء والمتكلمين فباحثوه وناظروه، فظهر عليهم بحججه وبراهينه وأدلتها، وظهر فضله للملك الظاهر فقربه وأقبل عليه وتخصص به، فزاداد تغيط المناظرين عليه ورموه بالإلحاد والزندقة، وكتبوا بذلك إلى الملك الناصر صلاح الدين وحذروه من فساد عقيدة ابنه الظاهر بصحبته للشهاب السهروردي وفساد عقائد الناس إذا أبقى عليه، فكتب صلاح الدين إلى ابنه الظاهر يأمره لقتله وشدد عليه بذلك وأكد، وأفتى فقهاء حلب بقتله فبلغ ذلك الشهاب فطلب الظاهر أن يحبس في مكان ويمنع من الأكل والشرب إلى أن يموت ففعل به ذلك، وقيل بل أمر الظاهر بخنقه في السجن فخنق سنة سبع وثمانين وخمسمائة وقد قارب الأربعين.

ويروى أن الظاهر ندم على ما فعل بعد مدة ونقم على من أفتو بقتله، فقبض عليهم واعتقلهم ونكبهم، وصادر جماعة منهم بأموال عظيمة. ومن تصانيفه: التلويحات في الحكمة، والتنقيحات في أصول الفقه، وكمة الإشراف، والغربة الغربية في الحكمة، وهياكل النور في الحكمة أيضاً. والألواح العمادية، والمعارج، واللحة، والمطارحات، والمقامات وغير ذلك. وله شعر كثير أشهره وأجوده قصيدته الحائية وهي:

ابدا تحن إليكم الأرواح
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم
وارحمنا للعاشقين نكلفوا
بالسر إن باحوا تباح دماؤهم
وإذا هم كتموا تحدث عنهم
وبدت شواهد للسقام عليهم
خفض الجناح لكم وليس عليكم
فالإ لقاكم نفسه مشتاقة
عودوا بنور الوصل في غسق الجفا
صافاهم فصفوا له قلوبهم
فتمتعوا والوقت طاب بقربهم
يا صاح ليس على المحب ملامة
لاذنب للعشاق إن غلب الهوى
سمحوا بأنفسهم وما بخلوا بها
دعاهم داعي الحقائق دعوة
ركبوا على سنن الوفا ودموعهم
والله ما طلبوا الوقوف ببابه
لايطربون لغير ذكر حبيبهم
حضرُوا فغابوا عن شهود ذواتهم
أفناهم عنهم وقد كشفت لهم
فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
قم يا نديم إلى المدام وهاتها
من كرم إكرام بدن ديانة

وقال:

أقول لجارتي والدمع جاري
ذريني أن أسير ولا تنوحي
وإني في الظلام رأيت ضوءاً
إلي كم أجعل الحيات صحبي
وأرضى بالإقامة في فلاة
ويبدولي من الزوراء برق
إذا أبصرت ذاك النور أفنى

ومن كلامه: اعلم أنك ستعارض بأعمالك وأقوالك وأفكارك، وسيظهر عليك من كل حركة فعلية أو قولية أو غكرية صور جانبية. فإن كانت تلك الحركة عقلية صارت تلك الصورة مادة لملك تلتذ بمنادمته في دنياك، وتهتدي بنوره في أخراك. وإن كانت تلك الحركة شهوية أو عصبية صارت تلك الصورة مادة لشيطان يؤذك في حال حياتك، وبحبك عن ملاقة النور بعد مماتك.

يحيى بن خالد بن برمك

أبو الفضل البرمكي الوزير السري الجواد، كان سيد بني برمك وأفضلهم جوداً وحلماً ورأياً، وكان من أكمل أهل زمانه أدباً وفصاحة وبلاغة، وأخباره في الكرم وشرف الخلال مشهورة. وإنما دخل في شرط كتابنا من جهة بلاغته وتقدمه على أكثر أهل عصره في الإنشاء والكتابة، وما صدر عنه من الحكم والأقوال التي تداولها الولاة وملئت بها الدفاتر فأنا أورد منها جملة صالحة، وأما أخباره فما يتسع لها كتابنا وليست من شرطه، فمما روى عنه أنه قال: مارأت رجلاً إلا هبته حتى يتكلم، فإن كان فصيحاً عظم في عيني وصدري وإن قصر سقط من عيني. وحدث محمد بن صالح الواقدي قال: دخلت على يحيى ابن خالد البرمكي فقلت: إن ههنا قوماً جاءوا يشكرون لك معروفاً، فقال يامحمد: هؤلاء جاءوا يشكرون معروفاً فكيف لنا شكر شكرهم.

وقال: مسألة الملوك عن حالها من سحابة النوكي، فإذا أردت أن تقول: كيف أصبح الأمير فقل: أصبح الله الأمير بالنعمة والكرامة، وإذا كان عليلاً فأردت أن تسأله عن حاله فقل: أنزل الله على الأمير الشفاء والرحمة فإن الملوك لا تسأل ولا تشمت ولا تكيف وأنشد:

إن الملوك لا يخاطبونا ولا إذا ملوا يعاتبونا
وفي المقال لا ينازعونا وفي العطاس لا يشمتونا
وفي الخطاب لا يكيّفونا يثني عليهم ورجلونا

وافهم وصاتي لا تكن مجنوناً وقيل له: أي الأشياء أقل؟ قال: قناعة ذي الهمة البعيدة بالعيش الدون، وصديق كثير الآفات قليل الإمتاع، وسكون النفس إلى المدح. وقيل له ما الكرم؟ فقال ملك في زي مسكين. قيل له فما اللؤم؟ قال: مسكين في بطش عفرية. قيل فما الجود؟ قال عفو بعد قدرة. وقال: من ولي ولاية فتاه فيها فقدرد دونها وقال: إذا فتحت بينك وبين المعروف فاحذر أن تغلقه ولو بالكلمة الجميلة، إذا أردت أن تنظر مروءة المرء فانظر الي، كانت حسنة فاحكم له بالشرف، وإن رأيت فما وراءها خير. وقال: أحسن جبلة الولاة إصابة السياسة، ورأس إصابة السياسة العمل لطاعة الله وفتح بابين للرعية، أحدهما رافة ورحمة وبذل وتحزن، والآخر غلظة ومباعدة وإمساك ومنع. وقال: العذر الصادق مع النية الحسنة يقوم مقام النج. وقال: ما سقط غبار موكبي على أحد إلا وجب علي حقه. وقال الفضل له: يا أبت، مالنا نسدي إلى الناس المعروف فلا يتبين فيهم كتيبته ببر غيرنا؟ قال آمال الناس فينا أعظم من آمالهم في غيرنا، وإنما يسر الإنسان ما بلغه أمله. وقال: أنا مخير في الإحسان إلي أحسن إليه، ومرتهن بالإحسان إلي من أحسنت إليه، لأنني إن وصلته فقد أتمته، وإن قطعتة فقد أهدرتة. وقال: الخط صورة روحها البيان، ويدها السرعة، وقدمها التسوية، وجوارحها معرفة الفصول. وركب يوماً مع الرشيد فرأى الرشيد في طريقه أحمالاً فسأل عنها فقيل له: هذه هدايا خراسان بعث بها علي بن عيسى بن ماهان، وكان ابن ماهان وليها بعد الفضل بن يحيى، فقال الرشيد ليحيى: أين كانت هذه الأحمال في ولاية ابنك؟ فقال يحيى كانت في بيوت أصحابها فأفحم الرشيد وسكت ولما كان الفضل بن يحيى والياً على خراسان كتب صاحب البريد إلى الرشيد كتاباً يذكر فيه: أن الفضل تشاغل بالصيد واللذات عن النظر في أمور الرعية، فلما قرأه الرشيد رمى به ليحيى وقال له: يا أبت أقرأ هذا الكتاب واكتب إلى الفضل كتاباً يردعه عن مثل هذا. فمد يحيى يده إلى دواة الرشيد وكتب إلى ابنه على ظهر الكتاب الذبور من صاحب البريد: حفظك الله يا بني وأمتع بك، قد انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أمور الرعية ما أنكروه، فعاود ما هو أزين بك، فإنه من عاد إلى ما يزينه لم يعرف أهل زمانه إلا به والسلام. وكتب تحته هذه الأبيات:

إنصب نهاراً في طلاب العلا واصبر على فقد لقاء الحبيب
حتى إذا الليل بدا مقبلاً وغاب فيه عنك وجه الرقيب
فبادر الليل بما تشتهي فإنما الليل نهار الأريب
كم من فتى تحسبه ناسكاً يستقبل الليل بأمنر عجيب
ألقي عليه الليل أستاره فبات في لهو وعيش خصيب
ولذة الأحق مكشوفة يسعى بها كل عدو مريب

وكان يقول لولده: اكتبوا أحسن ما تسمعون، واحفظوا أحسن ما تكتبون، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون. وقال: أنفق من الدنيا وهي مقبلة، فإن الإتفاق لا ينقص منها شيئاً، وأنفق منها وهي مدبرة، فإن الإمساك لا يبقى منها شيئاً. وقال: الدنيا دول، والمال عارية، ولنا فيمن قبلنا أسوة، ونحن لمن بعدنا عبرة. قال القاضي يحيى بن أكرم: سمعت المأمون يقول: لم يكن كيعي بن خالد وولده

أحد في البلاغة والكفاية، والجود والشجاعة، وكان يحيى يجري على سفیان الثوري رضي الله عنه ألف درهم في كل شهر، فكان إذا صلى سفیان يقول في سجوده: اللهم إن يحيى كفاني أمر دنيائي فاكفه أمر آخرته. فلما مات يحيى روى في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بدعاء سفیان. مات يحيى في سجن الرشيد في الرفقة في أوائل المحرم سنة تسعين ومائة.

يحيى بن زياد بن عبد الله

ابن منظور بن مروان الأسلمي الديامي الكوفي مولى بني أسد المعروف بالفراء أبو زكريا، أخذ عن أبي الحسن الكسائي، وروى عن قيس بن الربيع ومنذر بن علي. وأخذ عنه سلمة بن عاصم ومحمد بن الجهم النمرى وغيرهما. كان هو والأحمر أشهر أصحاب الكسائي، وكانا أعلم الكوفيين بالنحو من بعده. وأخذ أيضاً عن يونس بن حبيب البصري فاستكثر منه، والبصريون ينكرون ذلك.

حكى محمد بن الجهم قال: حدثنا الفراء قال: أنشدني يونس النحوي:

رب حلم أضاعه عدم الما ل وجهل غطى عليه النعيم

وعن الفراء أيضاً قال يونس: الال من عذوة إلى ارتفاع النهار. ثم هو سراب سائر النهار، وإذا زالت الشمس فهو فيء، وفي غدوة ظل.

وأنشد لأبي ذؤيب:

لعمري لأنت البيت أكرم أهله وأقعد في أفيائه بالأصائل

وله روايات كثيرة عن يونس لانطيل بذكرها، وكان أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب يقول: لولا الفراء ما كانت اللغة لأنه حصلها وضبطها، ولولاها لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد، ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فنذهب.

وكان الفراء فقيها عالماً بالخلاف وبأيام العرب وأخبارها وأشعارها، عارفاً بالطب والنجوم متكلماً يميل إلى الاعتزال، وكان يتفلسف في تصانيفه ويستعمل فيها ألفاظ الفلاسفة. وحكى أبو العباس ثعلب عن ابن نجدة قال: لما تصدى أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء للاتصال بالمأمون كان يتردد إلى الباب، فلما كان ذات يوم بالباب جاء ثمامة بن الأشرس المتكلم المشهور قال: فرأيت صورة أديب وأبهة أدب فجلست إليه وفاتشته عن اللغة فوجدته بحراً، وعن النحو فشاهدته نسيج وحده، وعن الفقه فوجدته فقيهاً عارفاً باختلاف القوم، وفي النجوم ماهراً، وبالطبخ خبيراً، وبأيام العرب وأخبارها وأشعارها حاذقاً فقلت له: من تكون؟ وما أظنك إلا الفراء، فقال: أنا هو، قال فدخلت فأعلمت أمير المؤمنين بمكانته فاستحضره وكان سبب اتصاله به.

وقال أبو بريدة الوضاحي: أمر أمير المؤمنين المأمون الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب، فأمر أن تفرد له حجرة من حجر الدار، وكل بها جوارى وخذنا للقيام بما يحتاج إليه حتى لا يتعلق قلبه ولا تتشوف نفسه إلى شيء، حتى إنهم كانوا يؤذونه بأوقات الصلاة، وصير له الوراقين وألزمه الأمانة والمنفقين، فكان الوراقون يكتبون حتى صنف كتاب الحدود، وأمر المأمون بكتبه في الخزائن، وبعد أن فرغ من ذلك خرج إلى الناس وأبتدأ يملئ كتاب المعاني، وكان وراقه سلمة بن عاصم وأبو نصر بن الجهم.

قال أبو بريدة: فأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا الإملاء كتاب المعاني فلم نضبط عددهم، ولما فرغ من إملائه خزنة الوراقون عن الناس ليتكسبوا به وقالوا: لانخرجه لأحد إلا لمن أراد أن ننسخه له على أن يكون عن كل خمسة أوراق درهم، فشكا الناس إلى الفراء فدعا الوراقين وكلمهم في ذلك وقال: قاربوا الناس تنفعوا وتنفعوا فأبوا عليه فقال: سأريكم وقال للناس: إني أريد أن أملئ كتاب معان أتم شرحاً وأبسط قولاً من الذيامليت قبلاً، وجلس يملئ فأملئ في الحمد مائة ورقة، فجاء الوراقون إليه وقالوا: نحن نبليغ الناس ما يحبون، فنسخوا كل عشرة أوراق بدرهم.

قال أبو بكر بن الأنباري: لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية إلا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس إذ انتهت العلوم إليهما وكان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، توفي أبو زكريا الفراء في طريق مكة سنة سبع ومائتين، وقد بلغ ثلاثاً وستين سنة.

ومن تصانيفه: كتاب اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف، معاني القرآن أربعة أجزاء ألفه لعمر ابن بكير، البهي ألفه للأمير عبد الله بن طاهر، كتاب المصادر في القرآن، كتاب اللغات، كتاب الوقف والابتداء، كتاب الجمع والتثنية في القرآن،

آة الكتاب الفاجر، كتاب النوادر، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب يافع ويافعة، كتاب ملازم، كتاب الحدود ألفه بأمر المأمون كتاب مشكل اللغة الكبير، كتاب المشكل الصغير كتاب الوار وغير ذلك.

يحيى بن سعدون بن تمام

أبو بكر الأزدي القرطبي الملقب سابق الدين، شيخ فاضل عارف بالنحو ووجوه القراءات، قرأ على أبي القاسم خلف بن إبراهيم الحصار بقرطبة، وسمع من أبي محمد بن عتاب. وقدم العراق فقرأ ببغداد على الشيخ المقرئ أبي محمد عبد الله بن علي سبط أبي منصور الخياط وسمع عليه كتباً كثيرة، وسمع بها الحديث من أبي القاسم بن الحصين وأبي بكر محمد بن عبد الباقي البزاز المعروف بقاضي المارستان، وأبي عبد الله البارع وأبي العز بن كارش وغيرهم. وسمع بمصر من أبي صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدني المصري، وبالإسكندرية من أبي الطاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني وأبي عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي. وسكن دمشق مدة وأقرأ بها القرآن والنحو، وانتفع به خلق كثير لحسن خلقه وتواضعه. ثم رحل إلى أصبهان وعاد منها إلى الموصل فسكنها وأخذ عنه شيوخها، منهم القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع المعروف بابن شداد وغيره. وكان ثقة صدوقاً ثباتاً ديناً كثير الخير، ولد بقرطبة سنة ست وثمانين وأربعمائة وقيل سنة سبع. ومات بالموصل يوم عيد الفطر سنة سبع وستين وخمسمائة.

يحيى بن سعيد بن المبارك

بن علي ابن عبد الله بن سعيد بن محمد بن نصر بن عصام المعروف بابن الدهان البغدادي الأنصاري أبو زكريا بن أبي محمد، النحوي بن النحوي الأديب الشاعر، ولد بالموصل في أوائل السنة التي مات أبوه في أواخرها سنة تسع وستين وخمسمائة فلما بشر به والده قال وصدق في حدسه:

قيل لي جاءك نسل ولد شهيم وسيم

قلت عزوه بفقدني ولد الشيخ يتيم

ثم توفي والده وله بضعة أشهر. أخذ أبو زكريا النحوي عن مكي بن زيان وانقطع إليه وتخرج به فبرع في النحو واللغة والأدب، وهو أحد نحاة العصر وأدبائه المشاهير. توفي قريباً سنة ست عشرة وستمائة بالموصل ودفن عن أبيه بمقبرة المعافي بن عمران بباب الميدان. اجتمعت به لما كنت بالموصل سنة ثلاث عشرة وستمائة، ومن شعره:

إن بهت الخمول نهبت أقوا ما نياما فسا بقوني إليه

هو قد دلني على لذة العي ش فمالي أدل غيري عليه

وله:

وعهدي بالصبا زمنا وقدي حكي ألف ابن مقلة في انتصاب

وصرت الآن منحنيا كأني أفتش في التراب علي شبابي

يحيى بن سعيد بن هبة الله

ابن علي بن زيادة الشيباني الواسطي ثم البغدادي، كان كاتباً أديباً شاعراً مشاركاً في الفقه والكلام والرياضة، أخذ الأدب عن أبي منصور الجواليقي وغيره، وولى النظر في ديوان البصرة ثم بواسط والحالة، ثم قلد النظر في المظالم ورتب حاجبا بباب المتولي، ولما قتل الأستاذ هبة الله بن الصاحب ولى الأستاذية مكانه ثم عزل وقلد ديوان الإنشاء والنظر في ديوان المقاطعات فبقي على ذلك حتى مات، وكانت وفاته في ذي الحجة سن أربع وتسعين وخمسمائة، ومولده سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة. ومن شعره.

إني لتعجبن الفتاة إذا رأت أن المروءة في الهوى سلطان

لا كالتى وصلت وأكبر همها في خدرها النقضان والرجحان

وكذاك شمس الأفق برج علوها حمل وبرج هبوطها الميزان

وقال:

إن كنت تسعى للسعادة فاستقم تتل المراد وتغد أول من سما

لما استقام على الجميع تقدما

ألف الكتابة وهو بعض حروفها

وقال:

كيف أشكو غير متهم
وتمطت في العلا هممي
فهي من فرقي إلى قدمي

لا أقول الله يظلمني
قنعت نفسي بما أتيت
ولبست الصبر سابعة

وقال:

ذال فيه حتى يعم البلاء
رك ثارت من قعره الأقداء

باضطراب الزمان ترتفع الآن
وكذا الماء ساكنا فإذا حر

يحيى بن سلامة بن الحسين

المعروف بالخطيب الحصكفي، كان فقيهاً نحوياً كاتباً شاعراً، نشأ بحصن كيفا وقدم بغداد فأخذ بها الأدب عن الخطيب أبي زكريا التبريزي وغيره. وبرع في النظم والنثر وإنشاء الخطب، ثم رحل إلى ميفارقين فسكنها وولى بها الخطابة وإفتاء. وله ديوان شعر وديوان رسائل، ولد سنة تسع وخمسين وأربعمائة، وتوفي سنة إحدى وخمسين وخمسمائة. ومن شعره:

فعانقت غصن البان منها إلى الفجر
معطلة منه معطرة النشر
إلى معصمي لما تقلقل في خصري

وإنسية زارت مع النوم مضجعي
أسائلها أين الوشاح وقد سرت
فقالته واومت للسوار نقلته

وقال:

ويرى عذلي من العبث
قال حاشاها من الخبث
قال طبيب العيش في الرفث
شرفت عن مخرج الحدث
قال عند الكون في الجثث

وخليع بت أعذله
قلت إن الخمر مخبثة
قلت فلأرفاث تتبعها
قلت ثم القى قال أجل
وسأجفوها فقلت متى

وقال:

زهر الربيع وصوت الطائر الغرد
وراحت الراح في أثوابها الجدد

لم يضحك الورد إلا حين أعجبه
بدا فأبدى لنا البستان بهجته

يحيى بن صاعد بن يحيى

معتمد الملك أبو الفرج ابن التلميذ، كان حكيماً عالماً فاضلاً حاذقاً في صناعة الطب أديباً شاعراً، وكان مقيماً بأصبهان مقرباً عند الأمراء والأعيان. وقصده الشريف ابن الهبارية الأديب الشاعر فأكرمه وحباه، وحصل له بواسطته من الأمراء والأكابر مال عظيم فمدحه بعدة قصائد، توفي معتمد الملك ابن التلميذ سنة تسع وخمسين وخمسمائة. ومن شعره:

علق الذبالة في حشا المصباح
إلا لحين تفرق من الأشباح

علق الفؤاد على خلو حبها
لايستطيع الدهر فرقة بينهم

وقال:

إلا بلاء وهو لايدري
أو أدبرت شغلته بالفكر

ما هذه الدنيا لطالبها
إن أقبلت فسدت أمانته

وقال:

فلا تجهزن على مدنف
فما إن تفارقه أو تنطفئ

فراقك عندي فراق الحياة
علقتك كالنار في شمعها

يحيى بن الطيب

اليمني النحوي، كان أديباً شاعراً، له مصنف في النحو مختصر وكان لا يطيل في شعره، فإذا مدح أو هجا لا يزيد على بيتين.

ومن شعره:

إن اللئيم إذا رأى
لاتخذ عن فصلاح من
ليناً تزايد في حرانه
جهل الكرامة في هوانه

يحيى بن عبد الرحمن بن بقي

الأندلسي القطبي، كان آية في النثر والنظم بارعاً في نظم الموشحات مجيداً فيها كل الإجابة الإجابة إلا أنه كان حرب زمانه، حسبت حرفة الأدب عليه براعته من رزقه فحكمت بإقلاله وحرمانه فامتطى غارب الاغتراب ووقف في البلاد على كل باب، فلم يستقر به النوى حتى اتصل من الأمير يحيى بن علي بن القاسم بسبب، فتقياً ظلاله، وحط في رحابه رحاله. توفي ابن بقي سنة أربعين وخمسمائة.

ومن شعره: قوله في قصيدة:

هو الشعر أجرى في ميادين سبقه
فسل أهله عني هل امترت منهم
سلكت أساليب البديع فأصبحت
وربما غني به كل ساجع
وضيعني قومي لأنني لسانهم
وطالبنني دهري لأنني زنته

وله:

ولي هم ستقذف بي بلاداً
والحق بالأعاريب اعتلاء
لكيما تحمل الركبان شعري
وكيما يعلم الفصحاء أنني
وقد أطلعتهن بكل أرض
فلم أعدم وإياها حسوداً

وقال:

بأبي غزال غازلته مقلتي
وسألت منه زيارة تشفي الجوى
بتنا ونحن من الدجى في لجة
عاطيته والليل يسحب ذيله
وضممته ضم الكمي لسيفه
حتى إذا مالت به سنة الكرى
أبعدته عن أضلع تشتاقه
لما رأيت الليل آخر عمره
ودعت من أهوى وقلت مشيعاً

ومن موشحاته قوله:

عبث الشوق بقلبي فاشتكى
ألم الوجد فلبت أدمعي

أيها الناس فؤادي شغف
وهو من بغي الهوى لا ينصف
كم أداريه ودمعي يكف
أيها الشادن من علمكا
بدر تم تحت ليل أغطش
طالع في غصن بان منتشى
أهيف القد بحد أرقش
ساحر الطرف وكم قد فتكا
وانثنى يهتز من سكر الصبا
أي رنم رمته فاجتنبأ؟
كفضيب هزه ريح الصبا
قلت هب لي يا حبيبي وصلكا
قال خذي زهره مذ فوفا
جرد الطرف حساماً مرهفا
حذراً منه بالأ يقطفا
إن من رام جناه هلكا
ذاب قلبي في هوى ظبي غريز
وجهه في الدجن صبح مستنير
وفؤادي بين كفيه أسير
لم أجد للصبر عنه مسلكا
فأزل عنك أمانى الطمع
فانتصاري بانسكاب الأدمع

يحيى بن علي بن محمد

ابن الحسن بن محمد بن موسى بن بسطام الشيباني أبو زكريا ابن الخطيب التبريزي، وربما يقال له الخطيب وهو وهم، كان أحد الأئمة في النحو واللغة والأدب حجة صدوقاً ثبناً، رحل إلى أبي العلاء المعري وأخذ عنه وعن عبيد الله بن علي الرقي والحسن بن رجاء بن الدهان اللغوي وابن برهان والمفضل القصباني وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم من الأئمة، وسمع الحديث وكتبه على خلق منهم القاضي أبو الطيب الطبري وأبو القاسم التنوخي والخطيب البغدادي وسمع بمدينة صور من الفقيه أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي ومن أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الله ابن يوسف الدلال الساوي البغدادي وأبي القاسم عبد الله ابن علي، وأخذ عنه أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي وأبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري وأبو الفضل ابن ناصر وغيرهم. ودخل مصر في عنفوان شبابه فقرأ عليه بها أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوي وغيره اللغة ثم رجع إلى بغداد فأقام بها إلى أن مات. ويحكى أن سبب رحلته إلى أبي العلاء المعري: أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب في اللغة تأليف أبي منصور الأزهري المعري فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً فنفذ العرق من ظهره إليها فأثر فيها البلل. وهذه النسخة في بعض المكاتب الموقوفة ببغداد إذا رآها من لا يعرف خبرها ظن أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب، وذكر السمعاني في الذيل سمعت أبا منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيرون المقرئ يقول: أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي ما كان بمرضي الطريقة، كان يدمن شرب الخمر ويلبس الحرير والعمامة المذهبة، وكان الناس يقرءون عليه تصانيفه وهو سكران، فذاكرت أبا الفضل محمد بن ناصر الحافظ بما ذكره ابن خيرون فسكت وكأنه لم ينكر ذلك ثم قال: ولكن كان ثقة في اللغة وما كان يرويه وينقله، وولي ابن الخطيب تدريس الأدب بالنظامية وخزانة الكتب بها، وانتهت إليه الرياسة في اللغة والأدب، وسار ذكره في الأفاق ورحل الناس إليه. توفي فجأة يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسمائة، وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، وصنف شرح القصائد العشر ملكته بخطه. وتفسير القرآن، وإعراب القرآن، وشرح اللمع لابن جني، والكافي في العروض والقوافي، وثلاثة شروح على الحماسة لأبي تمام، وشرح شعر المتنبي، وشرح المقصورة الدريدية، وشرح سقط الزند، وشرح المفضليات، وتهذيب إصلاح المنطق لابن السكيت، ومقدمة في النحو، وكتاب مقاتل الفرسان، وشرح السبع الطوال وغير ذلك ومن شعره:

فإني قد سئمت من المقام
لنام ينتمون إلى لنام

فمن يسأم من الأسفار يوماً
أقمنا بالعراق إلى رجال

يحيى بن علي بن أبي منصور

المعروف بابن المنجم، النديم. قال المرزباني في معجم الشعراء: أبو أحمد بن المنجم أديب شارع مطبوع، أشعر أهل زمانه وأحسنهم أدبا وأكثرهم افتنانا في علوم العرب والعجم، ونام المعتضد والمكتفي من بعده، وهو من أشجار الأدب الناضرة، وأنجمه الزاهرة، ولد سنة إحدى وأربعين ومائتين، وتوفي سنة ثلاثمائة، ومن شعره

رب يوم عاشرته فتقضى
يا لقومي لضعفه ولكيد
بعد حمد عن آخر مذموم
مثل كيد النساء منه عظيم

وقال في الطاوس:

سبحان من من خلقه الطاوس
كأنه في نفسه عروس
ديباجة تنشر أو سدوس
تشرف من داراتها شمس
طير على أشكاله رئيس
إذ أنه يحلو به التعريس
في ريشه قد ركب فلوس
في الرأس منه شجر مغروس
كأنه بنفسج يمس
كأنه بنفسج يمس

ولأبي أحمد شعر كثير وتصانيف منها: الباهر في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين، وكتاب الإجماع على مذهب أبي جعفر الطبري، والدخل إلى مذهب الطبري ونصرة مذهبه، وكتاب الأوقات وغير ذلك.

يحيى بن القاسم

ابن مفرج بن روع بن الخضر بن الحسن بن حامد أبو زكريا الثعلبي التكريتي، إمام من أئمة المسلمين وحبر من أحبارهم، كامل فاضل فقيه قارئ مفسر نحوي لغوي عروضي شاعر، تفقه على والده وصحب ببغداد أبا النجيب السهوردي وغيره، وقرأ الأدب على ابن الخشاب وبرع في الفقه والأدب، وسمع من أبي زرعة المقدسي وابن البطي ودرس بالنظامية، مات في رمضان سنة ست عشرة وستمائة، وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ومن نظمته في ألف الأمر:

لألف الأمر ضروب تنحصر
فالفصح فيما كان من رباعي
والضم فيما ضم بعد الثاني
والكسر فيما منهما تخلص
في الفتح والضم وأخرى تنكسر
نحو أجب يا زيد صوت الداعي
من فعله المستقبل الزمان
إن زاد عن أربعة أو قلا

يحيى بن المبارك بن المغيرة

أبو محمد مولى بني عدي بن عبد مناف، قيل له اليزيدي لأنه صحب يزيد بن منصور خال المهدي مؤدبا لولده فنسب إليه، ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدبا للمأمون، أخذ العربية عن أبي عمرو بن العلاء وابن أبي إسحاق الحضرمي، وأخذ اللغة والعروض عن الخليل بن أحمد، إلا أنه كان يعتمد في اللغة على أبي عمرو بن العلاء لسعة علمه بها، وكان أبو عمرو يميل إليه ويدنيه لذلك، وأخذ عن أبي محمد اليزيدي جماعة منهم ابنه محمد وأبو عبيد القاسم بن سلام وإسحاق بن إبراهيم الموصلي وأبو عمرو الدوري القاري وأبو شعيب السوسي المقرئ وعامر بن عمر الموصلي وأبو خلاد سليمان بن خلاد وأبو حمدون بن إسماعيل الطبيب وغيرهم، وخالف في القراءة أبا عمرو في حروف اختارها، وكان صحيح الرواية ثقة صدوقا، وكان أحد أكابر القراء وهو الذي خلف أبا عمرو بن العلاء فيها، وكان في أيام الرشيد مع الكسائي ببغداد يقرئ الناس في مسجد واحد، وكان مع ذلك أديبا شاعرا مجيدا، وله مجموع أدب فيه شيء من شعره، وكان يتهم بالميل إلى الاعتزال.

مات بخراسان سنة اثنتين ومائتين عن أربع وستين سنة، وصنف كتاب الوقف والابتداء، وكتاب النوادر في اللغة على مثال

نواذر الأصمعي الذيعمله لجعفر بن يحيى، والمختصر في النحو ألفه لبعض ولد المأمون، وكتاب النقط والشكل، وكتاب المقصور والممدود وغير ذلك. ومن شعره قوله في الكسائي وأصحابه:

كنا نقيس النحو فيما مضى
على لسان العرب الأول
فجاء أقوام يقيسونه
على لغى أشياخ قطربل
فكلهم يعمل في نقض ما
به يصاب الحق لا يأتلي
إن الكسائي وأصحابه
يرقون في النحو إلى أسفل

وله:

إذا نكبات الدهر لم تعظ الفتى
وأفرغ منها لم تعظه عواذله
ومن لم يؤدبه أبوه وأمه
تؤدبه روعات الردى وزلازله
فدع عنك مالا تستطيع ولا تطع
هواك ولا يغلب بحقك باطله

وله في الأصمعي:

أبن لي دعى بني أصمع
متى كنت في الأسرة الفاضله؟
ومن أنت هل أنت إلا امرؤ
إذا صح أصلك من باهله؟

يحيى بن محمد

الشريف أبو المعمر بن طباطبا العلوي، كان نحويًا أديبًا فاضلاً يتكلم مع ابن برهان في هذا العلم، أخذ عن علي بن عيسى الربيعي وأبي القاسم الثمانيني، وعنه أبو السعادات هبة الله بن الشجري وكان يفتخر به. مات في رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

ومن شعره:

لي صاحب لا غاب عني شخصه
أبدأ وظلت ممتعاً بوجوده
فطن بما يوحى إليه كأنما
قد نيط هاجس فكرتي بفؤاده

وقال:

حسود مريض القلب يخفي أنينه
ويضحى كئيب القلب عندي حزينه
يلوم على أن رحت في العلم راغباً
أحصل من عند الرواة فنونه
فأعرف أبحار الكلام وعونه
وأحفظ مما أستفيد عيونه
ويزعم أن العلم لا يجلب الغنى
ويحسن بالجهل الذميمة ظنونه
فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي
فقيمة كل الناس ما يحسنونه

يحيى بن محمد بن عبد الله العنبري

ابن عطاء بن صالح بن محمد بن عبد الله بن شعيبان أبو زكريا العنبري، مولى بني حرب السلمي من أهل نيسابور، كان عالماً بالتفسير لغوياً أديباً فاضلاً، قال القاضي عبد الحميد ابن عبد الرحمن النيسابوري: ذهبت الفوائد من مجلسنا بعد أبي زكريا، وذلك أن أبا زكريا اعتزل الناس وقعد عن حضور المحافل بضع عشرة سنة، سمع أبا الحسن الحرسي وأحمد بن سلمة وغيرهما، وروى عنه أبو بكر بن عبدوس المفسر، وأبو علي الحسين بن علي الحافظ والمشايخ من طبقته. مات في شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة عن ست وسبعين سنة.

يحيى بن محمد

أبو محمد الأرزني، إمام في العربية مليح الخط سريع الكتابة، كان يخرج في وقت العصر إلى سوق الكتب ببغداد فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب الفصحى لثعلب ويبيعه بنصف دينار ويشترى نبيذاً ولحماً وفاكهة ولا يبيت حتى ينفق ما معه منه، وله تأليف في النحو مختصر. مات سنة خمس عشرة وأربعمائة.

ومن شعره:

إن من أحوجك الدهر إليه
ليس يصفو ود من واخيته
وتعلقت به هنت عليه
إن تعرضت لشيء في يديه

يحيى بن معطي بن عبد النور

زين الدين المغربي الزواوي، فاضل معاصر إمام في العربية أديب شاعر، مولده بالمغرب سنة أربع وستين وخمسمائة، وقدم دمشق فأقام بها زماناً طويلاً ثم رحل إلى مصر فتوطن بها، وتصدر بأمر الملك الكامل لإقراء النحو والأدب بالجامع العتيق وهو مقيم بالقاهرة لهذا العهد. ومن تصانيفه: الفصول الخمسون في النحو، وألفية في النحو أيضاً، وحواش على أصول ابن السراج، ونظم الصحاح للجوهري لم يكلمه، ونظم الجوهرة لابن دريد، والمثلث في اللغة، وقصيدة في العروض، وقصيدة في القراءات السبع، وديوان شعر، وديوان خطب وغير ذلك. ومن شعره في مشارك في اللقب.

قالوا تلقب زين الدين فهو له
فقلت لاتغبطوه إن ذا لقب
نعت جميل به أضحى اسمه حسنا
وقف على كل نحس والدليل أنا

وله:

وإذا طلبت العلم فاعلم أنه
وإذا علمت بأنه متفاضل
عبء لتتظر أي عبء تحمل
فاشغل فؤادك بالذي هو أفضل

يحيى بن نزار بن سعيد

أبو الفضل المنبجي، مولده بمنبج في المحرم سنة ست وثمانين وأربعمائة، قدم دمشق واتصل بالملك العادل نور الدين ابن محمود بن زنكي ومدحه بقصائد أجاد فيها، ثم رحل إلى بغداد فتوطنها وأقام بها إلى أن توفي في ليلة الجمعة سادس ذي الحجة سنة أربع وخمسين وخمسمائة، وكان سبب موته أنه وجد في أذنه ثقلاً فاستدعى طبيباً من الطرقية فامتص أذنه ليخرج ما فيها من أذى فخرج شيء من مخه فمات لوقته.

ومن شعره:

لو صد عني دلالاً أو معاتباً
لكن ملالاً فما أرجو تعطفه
لكنك أرجو تلافيه وأعتذر
جبر الزجاج عسير حين ينكسر

وله:

وليلة وصل خالست غفلة الدهر
سميري بها غصن من البان مائد
أشاهد فيها طلعة القمر الذي
أمنت بها إتيان واش وحاسد
ضممت إلى صدري الحبيب معانقاً
فيا ليلة أحيت فؤادي بقربه
ولما رأيت الروح فيها مسامري
تيقنت حقاً أنها ليلة القدر

وله:

وأبيض غض زاد خط عذاره
تموج بحار الحسن في وجناته
وتجري بخديه الشبية ماءها
لعشاقه في وجدهم والبلابل
فتقذف منها عنبراً في السواحل
فتنبت ريحاناً بجنب الجداول

يحيى بن واقد بن محمد

بن عدي بن حذيم الطائي، أبو صالح البغدادي النحوي، أخذ عن الأصمعي وغيره، وسمع في حديثه من الحافظ هشيم بن بشير السلمي الواسطي، ومن الإمام الحافظ أبي بشر إسماعيل بن إبراهيم ابن عليّة الأسدي البصري، ومن ابن أبي زائدة وغيرهم. ولد ببغداد سنة خمس وستين ومائة، ثم انتقل إلى البصرة فتوطنها وبها مات، وكان ثقة صدوقاً إماماً في العربية، أخذ عنه الشيوخ وتخرج به خلق كثير.

يحيى بن هذيل بن الحكم

بن عبد الملك ابن إسماعيل التميمي القرطبي المعروف بالكفيف، كان أديباً شاعراً، قدم إلى المشرق في أواسط المائة الرابعة وأخذ عنه الرمادي الشاعر وغيره. مات سنة تسع وثمانين وثلاثمائة وقد جاوز التسعين. ومن شعره:

أرى أهل الثراء إذا توفوا	بنوا تلك المراصد بالصخور
أبوا إلا مباحةً وفخراً	على الفقراء حتى في القبور
فإن يكن التسامح في ذارها	فإن العدل فيها في القعور
عجبت لمن تأنق في بناء	أميناً من تصارييف الدهور
ألم يبصر بما قد خربته الد	دهور من المدائن والقصور؟
وأقوام مضوا قوماً فقوماً	وصار صغيرهم إثر الكبير
لعمر أبهم لو أبصروهم	لما عرفوا الغني من الفقير
ولا عرفوا العبيد من الموالي	ولا عرفوا الإناث من الذكور
ولا من كان يلبس ثوب صوف	من البدن المباشر للحريز
إذا أكل الثرى هذا وهذا	فما فضل الجليل على الحقير؟

وله:

لا تلمني على الوقوف بدار	أهلها صيروا السقام ضجيعي
جعلوا لي إلى هواهم سبيلاً	ثم سدوا علي باب الرجوع

يحيى بن يحيى

المعروف بابن السخية القرطبي، قدم المشرق ودخل بغداد والقاهرة قم انصرف إلى بلده، وكان بارعاً في النحو واللغة والأخبار وعلوم الأدب والسعر والعروض، عالماً بالحديث والفقه والجدل، عارفاً بالطب والرياضة والنجوم وكان يميل إلى الاعتزال مات بعد انصرافه من المشرق سنة خمس عشرة وثلاثمائة.

يحيى بن يحيى بن سعيد

المعروف بابن ماري المسيحي من أهل البصرة، كان كاتباً أديباً شاعراً عارفاً بالطب عالماً بالنحو واللغة متفنناً وكان يتكسب بالكتابة والطب ويمتدح الأكابر والأعيان، روى عنه جماعة من الأفضل منهم: أبو حامد المعروف بالعماد الكاتب الأصبهاني وغيره، وصنف المقامات الستين أحسن فيها وأجاد، وكانت وفاته بالبصرة في شهر رمضان سنة تسع وثمانين وخمسمائة.

ومن شعره:

نعم المعين على المروء للفتى	مال يصون عن التنبذ لنفسه
لا شيء أنفع للفتى من ماله	يقضي حوائجه ويجلب أنسه
وإذا رمت يد الزمان بسهمه	غدت الدراهم دون ذلك ترسه

وله أيضاً:

لاموا على صب الدموع كأنهم	لا يعرفون صبابتي وولوعي
---------------------------	-------------------------

كفوا فقد وعد الحبيب بزورة

ولذا غسلت طريقه بدموعي

وله:

نفرت هند من طلائع شبي

واعترتها سامة من وجومي

هكذا عادة الشياطين ينفر

ن إذا مابت نجوم الرجوم

يحيى بن يعمر

أبو سليمان العدوانى من عدوان بن قيس بن عيلان، الوشقي البصري تابعي، لقي عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، روى عنه قتادة السدوسي وإسحاق بن سويد وجماعة، ووثقه النسائي وأبو حاتم وغيرهما، ورماه عثمان بن دحية بالقدر، وكان عالماً بالقراءة والحديث والفقه والعربية ولغات العرب. أخذ عنه أبو الأسود الدؤلي، وكان فصيحاً بليغاً يستعمل الغريب في كلامه، روى أن يزيد بن المهلب كتب إلى الحجاج: لقينا العدو ففعلنا وفعلنا، واضطربنا إلى عرعة الجبل. فقال الحجاج: مالا بن المهلب وهذا الكلام؟ فقبل له إن يحيى بن يعمر عنده، فقال ذاك إذن، وحكى أن الحجاج قال له: أتجدي ألحن؟ فقال: الأمير أفصح من ذلك. فقال عزمت عليك، أتجدي ألحن؟ فقال يحيى نعم. فقال له في أي شيء؟ فقال في كتاب الله تعالى، فقال ذلك أسوأ، ففي أي حرف من كتاب الله؟ قال: قرأت: (قل إن كان أبواؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم)، فرفعت أحب وهو منصوب. فغضب الحجاج وقال: لاتساكنني ببلد أنا فيه، ونفاه إلى خراسان فولاه يزيد بن المهلب القضاء بها، ثم عزله على شربه النبيذ وإدمانه له، وكان يحيى يتشيع ويقول بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لغيرهم، وأخباره كثيرة. توفي سنة تسع وعشرين ومائة.

يزيد بن زياد بن ربيعة

المعروف بابن مفرغ، أبو عثمان الحميري، وإنما لقب جده ربيعة مفرغاً، لأنه راهن على أن يشرب عسا من لبن فشربه حتى فرغ فلقب بذلك وقد طعن النسابون في انتسابه إلى حمير، وهو الذي وضع سيرة تبع وأشعاره، وكان يصحب عباد بن زياد فجرت بينهما وحشة فحبسه عباد فكان يهجووه وهو في السجن، فزاد ذلك في غيظ عباد فترك هجوه وأخذ يتلطف له فكان يقول للناس إذا سألوه عن سبب حبسه: رجل أدبه أميره ليقم من أوده، فبلغ ذلك عباداً فرق له وخلي سبيله، فخرج هارباً إلى البصرة ومنها إلى الشام وجعل ينتقل في مدنها ويهجو زياداً ولده، فطلبه عبيد الله أخو عباد طلباً شديداً وكاد يؤخذ، فجعل ينتقل في قرى الشام ويغلغل في نواحيها، ويهجو بني زياد فترد أشعاره إلى البصرة فقتلهم، فكتب عبيد الله بن زياد إلى يزيد معاوية: إن ابن مفرغ نال من زياد وبنيه بما هتكه وفضحهم فضيحة الأبد، وتعدى في ذلك إلى أبي سفيان فقتله بالزنا، وهرب من خراسان إلى البصرة، فطلبته فلفظته الأرض إلى الشام، فهو ينتقل في قراها يمزغ لحومنا بها، فأمر يزيد بطلبه فجعل ينتقل من بلد إلى بلد إلى أن أتى البصرة واستجار بالأحنف بن قيس فأبى أن يجيره على السلطان، فأتى خالد بن أسيد فلم يجره، ثم لاذ بابن معمر وطلحة الطلحات فوعده ولم يفعل، فلاد بالمنذر بن الجارود العبدى وكانت ابنته تحت عبيد الله بن زياد فأجاره، فلم يرع عبيد الله جوار المنذر وأخذ ابن مفرغ وسجنه، وكتب إلى يزيد يستأذنه في قتله فحذره يزيد من الإيقاع به، وأشار إليه بحبسه وتنكيله بما يؤدبه فأمر عبيد الله أن يسقي نبيذاً خلط بشبرم حتى سلح على ثيابه، فأمر أن يطاف به في أسواق البصرة ترفه الصبيان ثم رد إلى السجن، وبقي فيه مدة طويلة إلى أن أطلق بشفاعة قومه اليمنين عند يزيد.

ومات سنة تسع وستين، وأخباره مع بني زياد طويلة ومن أشعاره التي هجاهم بها قوله في عبيد الله وأخيه عباد من قصيدة طويلة:

وما لاقيت من أيام بؤس

ولا أمر يضيق به ذراعي

ولم تك شيمي عجزاً ولؤماً

ولم أك بالمضلل في المتاع

سوى يوم الهجين ومن يصاحب

لئام الناس يغض على القذاع

ومنها في عبيد الله:

فأير في است أمك من أمير

كذاك يقال للحمق اليراع

ولا بلت سماؤك من أمير

فبئس معرس الركب الجياع

ومنها:

إذا أودى معاوية بن حرب

فبشر شعب قعبك بانصداع

فأشهد أن أمك لم تباشر
ولكن كان أمر فيه لبس

أبا سفيان واضعة القناع
على عجل شديد وارتياح

يزيد بن سلمة بن سمرة

ابن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة أبو مكشوح المعروف بابن الطثرية، وطثرة اللين زبدته، وكان يلقب مورقاً لحسن وجهه وشعره وحلاوة حديثه، وكان يعشق جارية من جرم يقال لها وحشية وله فيها أشعار حسنة، وكان جواداً متلاًفاً يغشاه الدين، فإذا أخذ قضاه عنه أخوه ثور بن سلمة، وكان صاحب غزل، زير نساء يجلسن إليه فيحادثهن، وكان ظريفاً عفيفاً وقتل في الواقعة التي قتل فيها الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة سبع وعشرين ومائة. ومن شعره:

عقيلية أما ملأت إزارها
تقيظ أكناف الحمى ويظلمها
أليس قليلاً نظرة إن نظرتها
فياخلة النفس التي ليس دونها
ويا من كتمنا حبها لم يطع به
أما من مقام أشتكي غربة النوى
فديتك أعدائي كثير وشفتي
وكننت إذا ما جئت جئت بعلّة
فما كل يوم لي بأرضك حاجة
صحائف عندي للعتاب طويها
فلا تحلمي ذنبي وأنت ضعيفة

وقال في وحشية الجرمية:

لو أنك شاهدت الصبا يابن بوزل
بأسفل حل الملح إذ دين ذي الهوى
لشاهدت لهواً بعد شحط من النوى
بنفسي من لو مر برد بنانه
ومن هابني في كل شيء وهبته
ألا حبذا عيناك يا أم شنبل
فذاك من الخلان كل ممازق
فرحنا بيوم سرنا بام شنبل
وكننت كأني حين كان سلامها
رهين بنفس لم تفك كبولها

وقال:

ألا رب راج حاجة لا ينالها
يروح لها هذا وتقضي لغيره

فدعص وأما خصرها فبتيل
بنعمان من وادي الأراك مقل
إليك وكلا ليس منك قليل
لنا من أخلاء الصفاء خليل
عدو ولم يؤمن عليه دخيل
وخوف العدى فيه إليه سبيل
بعيد وأشياعي لديك قليل
فأفنيبت علاتي فكيف أقول؟
ولا كل يوم لي إليك رسول
ستنشر يوماً والعتاب طويا
فحمل دمي يوم الحساب ثقيل

بجزع الغضا إذ راجعتني غياطله
مؤدى وإذ خير الوصال أوائله
على سخط الأعداء حلواً شمائله
على كبدي كانت شفاء أنامله
فلا هو يعطيني ولا أنا سائله
إذ الكحل في جفنيهما جال جائله
تكون لأدنى من يلاقي وسائله
ضحاه وأبكتنا عليه أصائله
وداعاً وقلبي موثق الوجد حامله
عن الساق حتى جرد السيف قاتله

وأخر قد تقضي له وهو جالس
فتأتي الذي تقضي له وهو أئس

يعقوب بن إسحاق

أبو يوسف بن السكيت، والسكيت لقب أبيه، وكان أبوه من أصحاب الكسائي عالماً بالعربية واللغة والشعر، وكان يعقوب يؤدب الصبيان مع أبيه في درب القنطرة بمدينة السلام حتى احتاج إلى الكسب، فأقبل على تعلم النحو من البصريين والكوفيين، فأخذ عن أبي عمر والشيباني والفراء وابن الأعرابي والأثرم، وروى عن الأصمعي وأبي عبيدة، وأخذ عنه أبو سعيد السكري وأبو عكرمة الضبي ومحمد ابن الفرج المقرئ ومحمد بن عجلان الأخباري وميمون بن هارون الكاتب وغيرهم.

وكان علامة بالقرآن ونحو الكوفيين، ومن أعلم الناس باللغة والشعر رواية ثقة، ولم يكن بعد ابن الأعرابي مثله، وكان قد خرج إلى سر من رأى فصيره عبد الله بن يحيى ابن الخاقان إلى المتوكل فضم إليه ولده يودبهم وأسنى له الرزق، ثم دعاه إلى منادمته فنهاه عبد الله بن عبد العزيز عن ذلك، فظن أنه حسده وأجاب إلى مادعي إليه، فبينما هو مع المتوكل يوما جاء المعتز والمؤيد فقال له المتوكل: يا يعقوب، أيما أحب إليك، ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ فذكر الحسن والحسين رضي الله عنهما بما هما أهله وسكت عن أبنيه، وقيل قال له: إن قنبرا خدام على أحب إلي من أبنيك.

وكان يعقوب يتشيع، فأمر المتوكل الأتراك فسلوا لسانه، وداسوا بطنه، وحمل إلى بيته، فعاش يوما وبعض آخر، ومات يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة ثلاث وأربعين ومائتين، وقيل سنة أربع وأربعين، وقيل سنة ست وأربعين.

ووجه المتوكل من الغد عشرة آلاف درهم ديته إلى أهله، ولما بلغ عبد الله بن عبد العزيز الذي نهاه عن المنادمة خبر قتله أنشد:

نهيتك يا يعقوب عن قرب شادن
إذا ماسطأ أربى على كل ضيغم
فثق وأحس إنني لا أقول الغداة إذ
عثرت لعا بل لليدين وللغم

وصنف ابن السكيت كتاب إصلاح المنطق، وكتاب القلب والإبدال، وكتاب النوادر، وكتاب الألفاظ، وكتاب فعل وأفعل، وكتاب الأضداد، وكتاب الأجناس الكبير، وكتاب الفرق، وكتاب الأمثال، وكتاب البحث، وكتاب الزبرج، وكتاب الإبل، وكتاب السرج واللجام، وكتاب الوحوش، وكتاب الحشرات، وكتاب النبات والشجر، وكتاب الأيام والليالي، وكتاب سرقات الشعراء وماتوا ردوا عليه، وكتاب معاني الشعر الكبير، وكتاب معاني الشعر الصغير وغير ذلك.

يعقوب بن إسحاق بن زيد

بن عبد الله الحضرمي بالولاء، البصري أبو يوسف وأبو محمد القاري ثامن القراء العشرة، الإمام في القراءات والعربية ولغة العرب والفقه أخذ القراء عن ابن ميمون والقطاردي، وروى عن خمرة والكسائي، وأخذ عنه سلام الطويل عرضا، وأخذ عنه الزعفراني وأبو حاتم السجستاني وروح ابن عبد المؤمن وجماعة. وكان من أعلم أهل زمانه بمذاهب النحاة في القرآن الكريم ووجه الاختلاف فيه، وكان زاهدا ورعا ناسكا.

حكى أنه سرق رداؤه وهو في الصلاة ورد إليه ولم يشعر، وفيه يقول بعضهم:

أبوه من القراء كان وجده
ويعقوب في القراء كالكوكب الدري
تقرده محصن الصواب وجمعه
فمن مثله في وقته وإلى الحشر؟

وصنف يعقوب كتاب الجامع، ذكر فيه اختلاف وجوه القراءات ونسب كل حرف إلى من قرأ به، وكتاب وقف التمام وغير ذلك، مات في جمادى الأولى سنة خمس ومائتين عن ثمانين سنة.

يعقوب بن الربيع

أخو الفضل بن الربيع حاجب أبي جعفر المنصور، كان أديباً شاعراً ماجنا خليعا، وكان يصحب آدم بن عبد العزيز الأموي، وكان آدم هذا ماجنا أيضاً منهمكا في الشراب ثم نesk، وليعقوب معه أخبار وملح، فمن ذلك ما حدث به فليح بن سليمان قال: لما ترك آدم بن عبد العزيز الشراب استأذن يوما على يعقوب بن الربيع وأنا عنده فقال يعقوب: ارفعوا الشراب فإن هذا قد تاب وأحسبه يكره أن يحضره، فرفع وأذن له فلما دخل قال: إني لأجد ريح يوسف، قال يعقوب: هو الذبوجدت، ولكننا ظننا أن يثقل عليك لتترك له قال: إي والله إنه ليثقل علي ذاك. قال: فهل قلت في ذلك شيئا منذ تركته؟ قال نعم وأنشد:

ألا هل فتى عن شربها اليوم صابر
ليجزيه عن صبره الغد قادر؟
شربت فلما قيل ليس بنازع
نزعت وثوبي من أذى اللوم طاهر

وكان يعقوب بن الربيع يعشق جارية فطلبها سبع سنين وبذل فيها جاهه وماله حتى ملكها وأعطى فيها مائة ألف دينار فلم يبعها، فمكثت عنده ستة أشهر وماتت فرثاها بشعر كثير فمن ذلك قوله:

لئن كان قريك لي ناعفا
لأنني أمنت رزايا الدهور
فبعذك أصبح لي أنفعا
وإن حل خطب فلن أجزعا

وله:

راحوا يصيدون الظباء وإنني
أشبهن منك لواحظا وسوالفا
أعزز على بأن أروع شبهها
لأرى تصيدها على حراما
فحوت بذلك حرمة ودماما
أو أن يذوق علي يدي حماما

يعقوب بن علي بن محمد بن جعفر

أبو يوسف البلخي ثم الجندلي، أحد الأئمة في النحو والأدب، أخذ عن أبي القاسم الزمخشري ولزمه، ولا أعرف عنه غير هذا.

اليمان بن أبياليمان

أبو بشر البند نيجي، أصله من الأعاجم من الدهاقين ولد أكمة في سنة مائتين ببندنيج بلده. وحفظ أدبا كبيرا وأشعارا كثيرة، وكان بها أبو الحسن علي بن المغيرة المعروف بالأثرم صاحب أبي عبيدة يروي كتبه كلها وكتب الأصمعي، فلزم أبو بشر ذلك النمط، وحفظ من كتب الأثرم علما كثيرا قال: حفظت في مجلس واحد مائة وخمسين بيتا من الشعر بغريبه، وخرج إلى بغداد وسر من رأى ولقى العلماء وقرأ على محمد بن زياد الأعرابي، ولقي أبا نصر صاحب الأصمعي وهو ابن أخته، وحفظ كتاب الأجناس الأكبر للأصمعي، وكان لأبي بشر ضياع كثيرة وبساتين خلفها له أبوه فباعها وأنفقها في طلب العلم وعلى العلماء، ولقى أبا يوسف يعقوب بن السكيت والزيادي والرياش بالبصرة وقرأ عليهم من حفظه كتب كثيرة، وصنف كتاب معاني الشعر، وكتاب العروض وكتاب التقفية، مات سنة أربع وثمانين ومائتين.

ومن شعره:

أنا اليمان بن أبياليمان
إن تلقني تلق عظيم الشأن
في العلم والحكمة والبيان، وله:
أسد من أبصرت في العميان
تجدني أبلغ من سحبان
فديوان الضياع بفتح ضاد
إذا ولي ابن عيسى وابن موسى
واديوان الخراج بغير جيم
فما أمر الأنام بمستقيم

يموت بن المزرع

بن موسى بن سيار العبدي من عبد قيس، أبو عبد الله وأبو بكر البصري ابن أخت أبي عثمان الجاحظ نحوي أديب راوية ذكره الزبيدي في نحاة مصر، أخذ عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ونصر بن علي الجهضمي، وكان من مشايخ العلم والشعر أخباريا حسن الآداب، دخل بغداد ومات بطبرية وقيل بدمشق سنة ثلاث وثلاثمائة، وقيل سنة أربع. وكان له ولد يقال له مهلهل بن يموت، وكان شاعرا مجيدا وله يقول أبوه يموت ابن المزرع:

مهلهل قد شربت شطور دهري
وجاريت الرجال بكل ربع
فأوجع ما أجن عليه قلبي
كفى حزنا بضیعة ذي قديم
وقد أسهرت عيني بعد غمض
وفي لطف المهيمن لي عزاء
وأن يشتد عظمك بعد موتي
فجب في الأرض وابغ بها علوما
وإن بخل العليم عليك يوما
وقل بالعلم كان أبيجوادا
وكافحني به الزمن العنوت
فأذعن لي الحثالة والرتوت
كريم عضه زمن بغوت
وأبناء الطريف لها التخوت
مخافة أن تضيع إذا فني
بمثلك إن فني وإن بقيت
فلا تقطعك جائحة سوت
ولا تلفتك عن هذا الدسوت
فذل له وديدنك السكوت
يقال فمن أبوك فقل يموت؟

تقر لك الأبعاد والأداني

بعلم ليس يجحده البهوت

يوسف بن أبي بكر بن محمد

أبر يعقوب السكاكي من أهل خوارزم، علامة إمام في العربية والمعاني والبيان والأدب والعروض والشعر، متكلم فقيه متفنن في علوم شتى، وهو أحد أفاضل العصر الذين سارت بذكرهم الركبان، ولد سنة أربع وخمسين وخمسمائة، وصنف مفتاح العلوم في اثني عشر علماً أحسن فيه كل الإحسان وله غير ذلك، وهو اليوم حي ببلده خوارزم

يوسف بن الحجاج بن يوسف

عرف بابن الصيقل، مولده ومنشؤه بالكوفة وكان يلقب بلقوة، صحب أبا نواس وأخذ عنه وروى شعره. وكان كاتباً شاعراً ظريفاً صاحب نواذر متهتكا بالمرد، مات في خلال خلافة المأمون.

ومن شعره:

أبعد الموائيق لي	وبعد السؤال الحفي؟
وبعد اليمين التي	حلفت على المصحف؟
تركت الهوى بيننا	كضوء سراج طفئ
فليتك إذ لم تفي	بوعدك لم تحلفي
وقال في مدح الرشيد:	
أغيثاً تحمل الناق	ة أم تحمل هارونا؟
أم الشمس أم البدر	أم الدنيا أم الدين؟
ألا كل الذيعدد	ت قد أصبح مقرونا
مفرق هارونا	فداه الأدميونا

يوسف بن الحسن بن عبد الله

أبو محمد السيرافي، كان رأساً في العربية واللغة، له مشاركة في غيرها من العلوم، أخذ عن والده الإمام وخلفه في جميع علومه، وتم كتباً كان شرع فيها أبوه منها: الإقناع، وصنف شرح أبيات سيويه، وشرح أبيات إصلاح المنطق، وشرح أبيات الغريب المصنف لأبي عبيد، مات في ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثلاثمائة عن خمس وخمسين سنة.

يوسف بن سليمان بن عيسى

أبو الحجاج الشنتمري المعروف بالأعلم النحوي، كان عالماً بالعربية واللغة واسه الحفظ للأشعار ومعانيها، جيد الضبط كثير العناية بهذا الشأن فكانت الرحلة إليه في وقته، رحل إلى قرطبة فأخذ عن أبي القاسم إبراهيم الأفليلي وساعده في شرح ديوان المتنبي، وأخذ أيضاً عن أبي سهل الحراني ومسلم بن أحمد الأديب، وأخذ عنه أبو علي الغساني وجماعة كثيرة وأضر بآخره، وكان مشقوق الشفة العليا شقاً واسعاً ولذا لقب بالأعلم. وصنف شرح الجمل في النحو لأبي القاسم الزجاج، وشرح الحماسة شرحاً مطولاً ورتبها على حروف المعجم. ولد سنة عشر وأربعمائة، وتوفي بإشبيلية سنة ست وسبعين وأربعمائة.

يوسف بن عبد الله

أبو القاسم الزجاجي، أدهل البلاغة والبراعة والدراية في النحو واللغة والأدب، أصله من همدان وسكن جرجان وتصدر بها، صنف شرح الفصيح، وعمدة الكتاب، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب خلق الفرس، وكتاب اشتقاق الأسماء وكتاب الرياحين وغير ذلك.

يوسف بن علي بن جبارة

بن محمد بن عقيل أبو القاسم الهذلي المغربي البسكري نسبة إلى بسكره من إقليم الزاب الصغير، الضرير المقرئ النحوي، كان عالماً بالقراءات والعربية، قرأ على المشايخ بأصبهان وطوف البلاد في طلب القراءات، وقدم بغداد فقرأ بها على القاضي أبي العلاء محمد بن علي بن يعقوب الواسطي وغيره، وورد نيسابور فحضر دروس أبي القاسم القشيري في النحو، وسمع بأصبهان من الحافظ أبينعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، وبنيسابور من أبيبكر أحمد بن منصور ابن خلف، وقرره نظام الملك في مدرسته بنيسابور مقرناً سنة ثمان وخمسين وأربعمائة فاستمر بها إلى أن توفي. ومن تصانيفه: الكامل في القراءات وغيره. وكانت ولادته سنة ثلاث وأربعمائة، ومات سنة خمس وستين وأربعمائة عن ثلاث وستين سنة.

يوسف بن هارون

أبو بكر الكندي المعروف بالرمادي القرطبي شاعر مفلق، كان معاصراً لأبي الطبيب المتنبي فكان يقال: فتح الشعر بكندة وختم بكتدة، يعنون امرأ القيس والمتنبي والرمادي هذا، وكان مقلاً ضيق العيش، ونسب إليه بعضهم أشعاراً في دولة الخلافة أو غرت صدر الخليفة عليه فسجنه زماناً طويلاً، ونظم في السجن عدة قصائد استعطف بها الخليفة فلم يعطف عليه، وكان كلفاً بفتى من أبناء النصاري يقال له نصير وله فيه أشعار حسنة، ولما دخل أبو علي القالي الأندلس لزمه الرمادي وامتدحه بقصيدة وروى عنه كتاب النوادر من تأليفه، وروى الحافظ بن عبد البرطرفا من شعر الرمادي وأوردها في بعض مصنفاته. مات أبو عمر المادي سنة ثلاث وأربعمائة، ومن شعره قوله لنصير النصرائي الذي تقدم ذكره:

أدر الكأس يانصير وهات	إن هذا النهار من حسناتي
بأبي غرة ترى الشخص فيها	في صفاء أصفى من المرأة
تبصر الناس حولها في ازدحام	كازدحام الحجيج في عرفات
هاتها يا نصير إنا اجتمعنا	بقلوب في الدين مختلفات
إنما نحن في مجالس لهو	نشرب الراح ثم أنت مواتي
فإذا ما انقضت ديانة ذا الله	و اعتمدنا مواضع الصلوات
لو مضى الوقت دون راح وقصف	لعددنا هذا من السيئات

وله:

بدر بدا يحمل شمسا بدت	وحدها في الحسن من حده
تغرب في فيه ولكنها	من بعد ذا تطلع في خده

يونس بن حبيب

أو عبد الرحمن الضبي وقيل الليثي بالولاء، إمام نحاة البصرة في عصره ومرجع الأدباء والنحويين في المشكلات، كانت حلقة مجمع فصحاء الأعراب وأهل العلم والأدب، سمع من العرب كما سمع من قبله وأخذ الأدب عن أبيعمرو ابن العلاء، وأخذ عنه سيبويه وروى عنه في كتابه وأخذ عنه أيضاً أبو الحسن الكسائي وأبو زكريا الفراء وأبو عبيدة معمر بن المثنى وخلف الأحمر وأبو زيد الأنصاري وغيرهم من الأئمة، وكان له في العربية مذاهب وأقيسة يتفرد بها.

قال أبو عبيدة: اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملاً كل يوم ألواحي من حفظه. وقال أبو زيد الأنصاري: جلست إلى يونس بن حبيب عشر سنين وجلس إليه قبلي خلف الأحمر عشرين سنة، وكان يونس عالماً بالشعر نافذ البصر في تمييز جيده من رديئه، عارفاً بطبقات شعراء العرب حافظاً لأشعارهم يرجع إليه في ذلك كله.

حدث محمد بن سلام قال: سأل ت يونس النحوي عن أشعر الناس فقال: لا أومي إلى رجل بعينه ولكني أقول: امرؤ القيس إذا

ركب، والنابعة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب. وكان يونس يفضل الأخطل على جرير والفرزدق وقد انفرد بذلك.

قال أبو عبيدة: سئل يونس النحوي عن جرير والفرزدق والأخطل: أيهم أشعر؟ فقال: أجمعت العلماء على الأخطل. قال أبو عبيدة: فقلت لرجل إلى جنبه: سله ومن هؤلاء العلماء؟ فسأل ه فقال من شئت: ابن أبي إسحاق، وأبو عمرو ابن العلاء، وعيسى بن عمر الثقفي، وعنبسة الفيل، وميمون الأقرن، هؤلاء طرخوا الكلام وماثوه لآكمن تحكون عنه لا بدويين ولا نحويين. فقلت للرجل سله: فبأي شيء فضل عليهم؟ قال: بأنه كان أكثرهم عدد قصائد طوال جباد ليس فيها فحش ولا سقط. ومن نقد يونس للشعر: ما حكاه الأصمعي قال: جاء مروان بن أبي حفصة الشاعر إلى حلقة يونس فسلم ثم قال: أيكم يونس؟ فأومأنا إليه فقال له: أصلحك الله إني أرى قوما يقولون الشعر لأن يكشف أحدهم سوءته ثم يمشي كذلك في الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر، وقد قلت شعرا أعرضه عليك، فإن كان جيدا أظهرته، وإن كان رديئا سترته، فأنشده قوله: طرقتك زائرة فحي خيالها فقال له يونس يا هذا: اذهب فأظهر هذا الشعر، فأنت والله فيه أشعر من الأعشى في قوله: رحلت سمية غدوة أجمالها فقال له مروان: سررتني وسؤتني، سررتني بارتضائك شعري، وساءني تقديمك إياي على الأعشى وأنت تعرف محله فقال له يونس: إنما قدمتك عليه في تلك القصيدة لأفي شعره كله، لأنه قال فيها: فأصاب حبة قلبها وطحاليها والطحال لا يدخل في شيء إلا أفسده، وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه، وليونس أخبار كثيرة يطول ذكرها ومن تصانيفه: كتاب معاني القرآن الكبير، كتاب معاني القرآن الصغير، كتاب اللغات، كتاب النوادر، كتاب الأمثال. وكان مولده سنة ثمانين، ومات سنة اثنتين وثمانين ومائة عن مائة سنة واثنين.

يونس بن سالم الخياط

القرشي وقيل الهذلي بالولاء، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان شاعراً مجيداً ظريفاً ماجناً خبيث الهجاء، وكان منقطعاً إلى آل الزبير بن العوام، وقدم على المهدي مع عبد الله بن مصعب الزبير فأوصله إليه وتوسل له إلى أن سمع المهدي شعره ووصله. وكان يونس عاقاً لأبيه، وكان أبوه شاعراً فقال فيه:

يونس قلبي عليك يلتهم	والعين عبري دموعها تكف
تلحنني كسوة العقوق فلا	برحت منها ما عشت تلتحف
أمرت بالخفض للجناح وبال	رفق فأمسى يعوقك الأنف
وتلك والله من زبانية	إذا سطوا في عذابهم عنفوا

فأجابه يونس:

أصبح شيخي يزري به الخرف	ما إن له فطنة ولا نصف
صفاتنا في العقوق واحدة	ماخلقنا في العقوق يختلف
ألحقته سأل ما أباك وقد	أصبحت مني بذاك تلتحف
وأنشد يوماً بحضرة أبيه وكان عنده أصحابه ليغيظه:	
ياسائلي من أنا أو من يناسبني	أنا الذي ماله أصل ولا نسب
الكلب يختال فخرا حين يبصرني	فالكلب أكرم مني حين ينتسب
لو قال لي الناس طرا أنت ألامنا	لم يشطط الناس في هذا ولا كذبوا

يونس إبراهيم الوفراوندي

ذكره ابن النديم في الفهرست، صنف الشافي في علوم القرآن، الوافي في العروض والقوافي.